COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0315221008

893.7K84 JT2
7-11

Columbia University
in the City of New York

LIBRARY

الجـــزء السابع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٧ هجريه

Tabari
893.7K84
DT2
v. 7-11

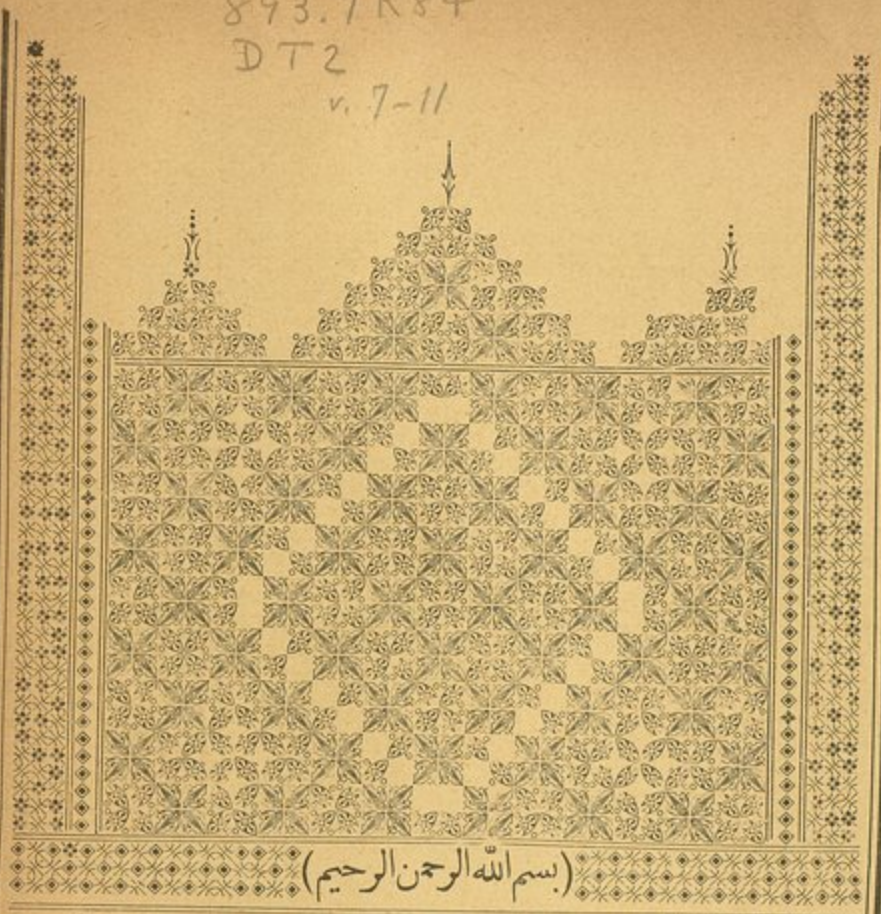

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتجدن يا محمد أشد الناس عداوة للذين صدّوك واتبعوك وصدّقوا بما جئتهم به من أهل الاسلام اليهود والذين أشركوا يعنى عبدة الاوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا يقول ولتجدن أقرب الناس مودة ومحبة والمودة المفعلة من قول الرجل وددت كذا أوده ودا وودا وودا وموده اذا أحببته للذين آمنوا يقول للذين صدّقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق واتباعه والاذعان به وقيل ان هذه الآية والتى بعدها نزلت فى نفر قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى الحبشة فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت فى النجاشى ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير قال بعث النجاشى وفدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا قال فأنزل الله تعالى فيهم لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا الى آخر الآية قال فرجعوا الى النجاشى فاخبروه فأسلم النجاشى فلم يزل مسلما حتى مات قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والنجاشى

ثم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم)

﴿القراآت أن لا تكون بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلى وخلف غير سهل وحفص وأبى بكر وحماد الباقون بالنصب ﴿الوقوف رسلا ط أنفسهم لا لأن عامل كما قوله كذبوا يقتلون ○ كثير منهم ط بما يعملون ○ ابن مريم ط وربكم ط النار ط من أنصار ○ ثلاثة لا لئلا يوهم أن ما بعده من قول الكفار واحد ط أليم ○ ويستغفرونه ط والوصل أيضا حسن بناء على أن الواو للحال أى هلا يستغفرونه وهو غفور رحيم ○ رسول ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف الرسل ط لأن الواو للاستئناف لا للعطف صديقة ط لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير فى كانا مثنى الطعام ط يؤفكون ○ ولانفعاط والوصل يحسن على أن الواو للحال أى

الله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى قال هم الوفد الذين جاؤا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه الى النجاشي ملك الحبشة فلما بلغ ذلك المشركين بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فقالوا انه خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها زعم أنه نبي وإنه بعث اليك رهطا ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم قال ان جاؤني نظرت فيما يقولون فقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقاموا بباب النجاشي فقالوا أتأذن لأولياء الله فقال ائذن لهم فرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال له الرهط من المشركين ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم ما منعكم أن تحيوني بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة قال لهم ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه قال يقول هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها الى مريم وروح منه ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فأخذ عودا من الارض فقال ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم قال لهم هل تعرفون شيأ مما أنزل عليكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرؤا وهنالك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفت كل ما قرؤا وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق قال الله تعالى ذكره ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآية **حدثني** محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الآية قال بعث النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا من الحبشة سبعة قسيسين وخمسة رهبانا ينظرون اليه ويسألونه فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا فأنزل الله عليه فيهم وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين فآمنوا ثم رجعوا الى النجاشي فهاجر النجاشي معهم فمات في الطريق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون واستغفروا له **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء في قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الآية هم ناس من الحبشة آمنوا اذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين * وقال آخرون بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الايمان فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا فقرأ حتى بلغ فاكتبنا مع الشاهدين أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى يؤمنون به وينتهون اليه فلما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم صدقوا به وآمنوا به وعرفوا الذي جاء به أنه الحق فأثنى عليهم ما تسمعون والصواب في ذلك من القول عندي أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا انا نصارى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يجدهم أقرب الناس ودادا لأهل الايمان بالله ورسوله ولم يسم لنا أسماءهم وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الاسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق ولم يستكبروا عنه وأما قوله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا فانه يقول قربت مودة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين من أجل أن

يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال أن الله يسمع دعاء المضطر ويعلم رجاء المعتر العليم ○ السبيل ○ ابن مريم ط يعتدون ○ فعلوه ط يفعلون ○ كفروا ط خالدون ○ فاسقون ○ أشركوا ج لطول الكلام والفصل بين الوصفين المتضادين نصارى ط لا يستكبرون ○ من الحق ج لاحتمال ما يتلوه الحال والاستئناف الشاهدين ○ من الحق لا لأن الواو بعده للحال الصالحين ○ خالدين فيها ط المحسنين ○ الجحيم ○ ﴿التفسير﴾ افتتح الله تعالى السورة بقوله أوفوا بالعقود وانجر الكلام الى ما انجر والآن عاد الى ما بدأ به والمقصود بيان عتو بني اسرائيل وشدة تمردهم أي أخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال (وأرسلنا اليهم رسلا) لتعريف الشرائع والاحكام قال في الكشاف (كلما جاءهم رسول) الخ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف أي رسول منهم وأقول الأصوب جعلها جملة مستأنفة جوابا لسائل يسأل كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا أما جواب الشرط فاختار في الكشاف أنه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن يقال ان أكرمت أخي أخالك أكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه أو عادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا وأقول

منهم قسيسين ورهبانا والقسيسون جمع قسيس وقد يجمع القسيس قسوس لأن القس والقسيس بمعنى واحد وكان ابن زيد يقول فى القسيس بما حدثنا يونس قال حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد القسيسين عبادهم وأما الرهبان فانه يكون واحدا و جمعا فأما اذا كان جمعا فان واحدهم يكون راهبا و يكون الراهب حينئذ فاعلا من قول القائل رهب الله فلان بمعنى خافه يرهبه رهبا ورهبا ثم يجمع الراهب رهبان مثل راكب وركبان وفارس وفرسان ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعا قول الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا * والعصم من شعف العقول الفادر

وقد يكون الرهبان واحدا واذا كان واحدا كان جمعه رهابين مثل قربان وقرابين وجردان وجرادين ويجوز جمعه أيضا رهابنة اذا كان كذلك ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحدا قول الشاعر

لو عاينت رهبان دير فى القلل * لانحدر الرهبان يمشى ونزل

* واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا فقال بعضهم عنى بذلك قوم كانوا استجابوا لعيسى بن مريم حين دعاهم واتبعوه على شريعته ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عمن حدثه عن ابن عباس فى قوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال كانوا اثنى عشر فى البحر يعنى ملاحين قال فمر بهم عيسى بن مريم فدعاهم الى الاسلام فأجابوه قال فذلك قوله قسيسين ورهبانا * وقال آخرون بل عنى بذلك القوم الذين كان النجاشى بعثهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عنبسة عمن حدثه عن أبى صالح فى قوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال ستة وستون أو سبعة وستون أو اثنان وستون من الحبشة كلهم صاحب صومعة عليهم ثياب الصوف حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال بعث النجاشى الى النبى صلى الله عليه وسلم خمسين أو سبعين من خياره ليجعلوا يبكون فقال هم هؤلاء حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال هم رسل النجاشى الذين أرسل باسلامه واسلام قومه كانوا سبعين رجلا اختارهم الخير فالخير فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم يس والقرآن الحكيم فبكوا وعرفوا الحق فأنزل الله فيهم ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وأنزل فيهم الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله ويؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * والصواب فى ذلك من القول عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم لاهل الايمان بالله ورسوله أن ذلك انما كان منهم لأن منهم أهل اجتهاد فى العبادة وترهيب فى الديارات والصوامع وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق اذا عرفوه ولا يستكبرون عن قبوله اذا تبينوه لأنهم أهل دين واجتهاد فيه ونصيحة لأنفسهم فى ذات الله وليسوا كاليهود الذين قد دربوا بقتل الانبياء والرسل ومعاندة الله فى أمره ونهيه وتحريف تنزيله الذى أنزله فى كتبه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ يقول تعالى ذكره واذا سمع هؤلاء الذين قالوا انا نصارى الذين وصفت لك يا محمد صفتهم أنك تجدهم

أما أن التركيب المذكور غير مستحسن فعين النزاع وأما أن الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجىء الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى (بما لا تهوى أنفسهم) بما يضاد شهواتهم لرغبتهم عن التكاليف وفائدة تقديم المفعول وايراد يقتلون مضارعا ذكرناها فى سورة البقرة وزعم فى التفسير الكبير أنه ذكر التكذيب بلفظ الماضى لانه اشارة الى معاملتهم مع موسى عليه السلام فى التيه وتمردهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه رمز الى ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وإن ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر (وحسبوا أن لا تكون فتنة) قال علماء الأدب الافعال على ثلاثة أضرب فعل يدل على ثبات الشئ كالعلم والتيقن فيقع بعده أن المشددة الدالة على ثبات الشئ أيضا التأكيد مقتضاه كقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين فان خففت ودخلت على الفعل لم يجز الا أن يكون مع فعله قد أو سوف أو السين أو حرف نفى ليكون كالعوض من احدى النونين وقيل من حذف ضمير الشأن مثل علم أن سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار نحو أطمع وأخاف وأرجو فلا يجىء معه الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذى أطمع أن يغفر لى وفعل يحتمل المعنيين

أقرب الناس مودة للذين آمنوا ما أنزل اليك من الكتاب يتلى ترى أعينهم تفيض من الدمع وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وذلك سيلانه عن شدة امتلائه ومنه قول الأعشى

*(١) ففاضت دموعى فطل الشؤن داما حدارا * وقوله مما عرفوا من الحق يقول فيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذى يتلى عليهم من كتاب الله الذى أنزله الى رسول الله حق كما **حدثنا** هناد بن السرى قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا أسباط بن نصر الهمدانى عن اسمعيل بن عبد الرحمن السدى قال بعث النجاشى الى النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا وكان منهم سبعة رهبان وخمسة قسيسون أو خمسة رهبان وسبعة قسيسون فأنزل الله فيهم واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الى آخر الآية **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عمر بن على بن مقدم قال سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عبد الله ابن الزبير قال نزلت فى النجاشى وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع **حدثنا** هناد قال ثنا عبدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال ذلك فى النجاشى **حدثنا** هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال كانوا يرون أن هذه الآية أنزلت فى النجاشى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع **حدثنا** هناد قال ثنا يونس بن بكير قال قال ابن اسحق سألت الزهرى عن الآيات ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الآية وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال مازلت أسمع علماءنا يقولون نزلت فى النجاشى وأصحابه وأما قوله يقولون فانه لو كان بلفظ اسم كان نصبا على الحال لان معنى الكلام واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قائلين ربنا آمنا ويعنى بقوله تعالى ذكره يقولون ربنا آمنا أنهم يقولون يا ربنا صدقنا لما سمعنا ما أنزلته الى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من كتابك وأقررنا به أنه من عندك وأنه الحق لا شك فيه وأما قوله فاكتبنا مع الشاهدين فانه روى عن ابن عباس وغيره فى تأويله ما **حدثنا** به هناد قال ثنا وكيع و**حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى وابن نمير جميعا عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فاكتبنا مع الشاهدين يعنون بالشاهدين محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال محمد صلى الله عليه وسلم وأمته انهم شهدوا أنه قد بلغ وشهدوا أن الرسل قد بلغت **حدثنا** الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا يحيى بن زكريا قال ثنى اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثل حديث الحرث بن عبد العزيز غير أنه قال وشهدوا للرسل أنهم قد بلغوا فكأن متأول هذا التأويل قصد بتأويله هذا الى معنى قول الله تعالى ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فذهب ابن عباس الى أن الشاهدين هم الشهداء فى قوله لتكونوا شهداء على الناس وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان التأويل ذلك كان معنى الكلام يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون لأنبيائك يوم القيامة أنهم قد بلغوا أممهم رسالاتك ولو قال قائل معنى ذلك فاكتبنا مع

فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا أن لا تكون فتنة قرئ بالنصب على أن المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على أن المخففة أى أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه سدا مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل أنه لا تقع فتنة وهى محصورة فى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وعذاب الدنيا أقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرت الفتنة بكل ذلك وحسبانهم أن لا تقع فتنة يحتمل وجهين الاول أنهم كانوا يعتقدون أن لا نسخ لشريعة موسى وأن كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه والثانى أنهم اعتقدوا كونهم مخطئين فى التكذيب والقتل الا أنهم كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وأن نبوة أسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الآية تدل على أن عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا فى زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم للايمان به (ثم عموا وصموا كثير منهم) فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فأنكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك رأيت القوم أكثرهم وقيل انه على لغة من يقول أكلونى

(١) يحرر هذا البيت فانا لم نعثر عليه اهـ كتبه مصححه

البراغيث وقيل خبر مبتدا محذوف أى أولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو طلب رؤية الله جهرة وقال القفال انه يجوز أن يكون اشارة الى ما فى سورة بنى اسرائيل فاذا جاء وعد أولاهما فاذا جاء وعد الآخرة وقرئ فعموا وصموا بالضم أى رماهم الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال ركبته اذا ضربته بالركبة ثم انه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع فى حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم أنهم (قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وهذا قول اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم أنه تعالى حل فى ذات عيسى أو اتحد به ثم حكى عن المسيح ما حكى ليكون حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوا فيه وذلك أنه لم يفرق بين نفسه وبين غيره فى المربوبية وفى ظهور دلائل الحدوث عليه ثم أكد ذلك المعنى بقوله (انه من يشرك بالله) أى فى العبادة أو فى تجويز الحلول أو الاتحاد أو فى اجراء وصفه فى المخلوقين أو بالعكس (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين أى منعه منها (وما للظالمين من أنصار) من كلام الله تعالى أو من حكاية قول عيسى عليه السلام لهم وقد مر تفسيره فى آخر سورة آل عمران وفيه تقريع لهم لأنهم كانوا يعتقدون أن لهم أنصارا كثيرة فيما يقولون ويعتقدون فنفى الله تعالى أو عيسى ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه

الشاهدين الذين يشهدون أن ما أنزلته الى رسولك من الكتاب حق كانوا صوابا لان ذلك خاتمة قوله واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وذلك صفة من الله تعالى ذكره لهم بايمانهم لما سمعوا من كتاب الله فتكون مسئلتهم أيضا الله أن يجعلهم ممن صحت عنده شهادتهم بذلك ويلحقهم فى الثواب والجزاء منازلهم ومعنى الكتاب فى هذا الموضع الجعل يقول فاجعلنا مع الشاهدين وأثبتنا معهم فى عدادهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات أنهم اذا سمعوا ما أنزل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من كتابه آمنوا به وصدقوا كتاب الله وقالوا مالنا لا نؤمن بالله يقول لا نقر بوحدانية الله وما جاءنا من الحق يقول وما جاءنا من عند الله من كتابه وآى تنزيله ونحن نطمع بايماننا بذلك أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين يعنى بالقوم الصالحين المؤمنين بالله المطيعين له الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم اياه وانما معنى ذلك ونحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته مداخلهم من جنته يوم القيامة ويلحق منازلنا بمنازلهم ودرجاتنا بدرجاتهم فى جناته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين قال القوم الصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره فجزاهم الله بقولهم ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين جنات تجرى من تحتها الانهار يعنى بساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول دائما فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يحولون عنها وذلك جزاء المحسنين يقول وهذا الذى جزيت هؤلاء القائلين بما وصفت عنهم من قيلهم على ما قالوا من الجنات التى هم فيها خالدون جزاء كل محسن فى قيله وفعله واحسان المحسن فى ذلك أن يوحد الله توحيدا خالصا محضا لا شرك فيه ويقر بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب ويؤدى فرائضه ويجتنب معاصيه فذلك كمال احسان المحسنين الذين قال الله تعالى جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا بآيات كتابه فان أولئك أصحاب الجحيم يقول هم سكانها واللابثون فيها والجحيم ما اشتد حره من النار وهو الجاحم والجحيم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه حق من عند الله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعنى بالطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب فتمنعوها اياها كالذى فعله القسيسون والرهبان فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وحبس فى الصوامع بعضهم أنفسهم وساح فى الارض بعضهم يقول تعالى ذكره فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك ولا تعتدوا حد الله الذى حد لكم فيما أحل لكم وفيما حرم عليكم فتجاوزوا حده الذى حده فتخالفوا بذلك طاعته فان الله لا يحب من اعتدى حده الذى حده لخلقه فيما أحل لهم وحرم عليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو

حصين عبدالله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر أبو زبيد قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية قال عثمان بن مظعون وأناس من المسلمين حرموا عليهم النساء وامتنعوا من الطعام الطيب وأراد بعضهم أن يقطع ذكره فنزلت هذه الآية **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنى خالد الحذاء عن عكرمة قال كان اناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هموا باخصاء وترك اللحم والنساء فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة أن رجالا أرادوا كذا وكذا وأرادوا كذا وكذا وأن يختصوا فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الى قوله الذى أنتم به مؤمنون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال كانوا يرموا الطيب واللحم فأنزل الله تعالى هذا فيهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدالوهاب الثقفى قال ثنا خالد عن عكرمة أن أناسا قالوا لا نتزوج ولا نأكل ولا نفعل كذا وكذا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال أراد أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة ثم قال انما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم لكم قال ونزلت فيهم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال نزلت فى أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يتخلوا من اللباس ويتركوا النساء ويتزهدوا منهم على بن أبي طالب وعثمان بن مظعون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن زياد بن فياض عن أبي عبدالرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رفضوا النساء واللحم وأرادوا أن يتخذوا الصوامع فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس فى دينى ترك النساء واللحم ولا اتخاذ الصوامع وخبرنا أن ثلاثة نفر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا فقال أحدهم أما أنا فأقوم الليل لا أنام وقال أحدهم أما أنا فأصوم النهار فلا أفطر وقال الآخر أما أنا فلا آتى النساء فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا قالوا بلى يا رسول الله وما أردنا الا الخير قال لكنى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وكان فى بعض القراءة من رغب عن سنتك فليس من أمتك وقد ضل عن سواء السبيل وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأناس من أصحابه ان من قبلكم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فهؤلاء اخوانهم فى الدور والصوامع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم لكم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وذلك أن رسول الله صلى الله

قال المفسرون (ثالث ثلاثة) معناه ثالث آلهة ثلاثة ليلزم الكفر والا فما من شيئين والا والله ثالثهما يحكى أن النصارى يقولون أب وابن وروح قدس والثلاثة اله واحد كما أن الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة قالوا ان الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا أن الأب اله واحد والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم أن هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله (وما من اله الا اله واحد) فزاد من الاستغراقية والمعنى ما اله قط فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا نظير له ثم زجرهم بقوله (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا) قال الزجاج يعنى الذين أقاموا على هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية فمن فى قوله (منهم) للتبعيض ويجوز أن تكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن أقيم الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر ورمزا الى أنهم من الكفر بمكان حتى لو فسر الكفار المعذبون عنوا بذلك خاصة ومعنى (عذاب أليم) نوع شديد الألم من العذاب (أفلا يتوبون) قال الفراء انه أمر بلفظ الاستفهام وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم بقوله (ما المسيح بن مريم الا رسول)

وهذا ترتيب فى غاية الحسن لانه منعهم من الكفر أولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع فى حل شبههم ثالثا ومن هنا قيل ان المرتد يستتاب بلا مهل ومناظرة ان عنت له شبهة بل يسلم أولا ثم تحل شبهته ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتخطى الرسالة الى الالهية كما لم يتخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وان أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك من آيات ربه الكبرى (وأمه صديقة) كبعض النساء المؤمنات بالانبياء الصادقات فى أقوالهن وأفعالهن وأحوالهن قال تعالى فى وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين أى من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم المجتهدون فى اقامة مراسم العبودية ففيه تكذيب للنصارى المفرطين فيها اذ جعلوها الها وفيه تكذيب لليهود المفرطين فى شأنها حيث نسبوها الى الهنات والى الكذب فى أن عيسى خلق من غير أب وفيه أن من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم أكد حدوثهما وعجزهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) فان المحتاج الى الاغتذاء سيحتاج الى ما يتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما وأفولهما فى حيز الامكان ثم عجب من غاية غوايتهم فقال (انظر) يا محمد أو كل من له أهلية النظر (كيف نبين لهم الآيات) الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم والعامل

عليه وسلم جلس يوما فذكر الناس ثم قام ولم يزدهم على التخويف فقال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة منهم على بن أبى طالب وعثمان بن مظعون ما حقنا ان لم نحدث عملا فان النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه فأتت امرأته عائشة وكان يقال لها الحولاء فقالت لها عائشة ومن عندها من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما بالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتشطين ولا تطيبين فقالت وكيف أتطيب وأمتشط وما وقع على زوجى ولا رفع عنى ثوبا منذ كذا وكذا فجعلن يضحكن من كلامها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن فقال ما يضحككن قالت يا رسول الله الحولاء سألتها عن أمرها فقالت ما رفع عنى زوجى ثوبا منذ كذا وكذا فأرسل اليه فدعاه فقال ما بالك يا عثمان قال انى تركته لله لكى أتخلى للعبادة وقص عليه أمره وكان عثمان قد أراد أن يجب نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسمت عليك الا رجعت فواقعت أهلك فقال يا رسول الله انى صائم قال أفطر فأفطر وأتى أهله فرجعت الحولاء الى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيبت فضحكت عائشة فقالت ما بالك يا حولاء فقالت انه أتاها أمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ألا انى أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا يقول لعثمان لا تجب نفسك فان هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفروا أيمانهم فقال لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال هم رهط من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح فى الارض كما تفعل الرهبان فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهم فذكر ذلك لهم فقالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتى فهو منى ومن لم يأخذ بسنتى فليس منى

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وذلك أن رجالا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكى تنقطع الشهوة ويتفرغوا لعبادة ربهم فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما أردتم فقالوا أردنا أن نقطع الشهوة عنا ونتفرغ لعبادة ربنا ونلهو عن النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أومر بذلك ولكنى أمرت فى دينى أن أتزوج النساء فقالوا نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين الى قوله الذى أنتم به مؤمنون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يبتتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت هذه الآية الى قوله واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون قال ابن جريج عن عكرمة ان عثمان بن مظعون وعلى بن أبى طالب وابن مسعود والمقداد ابن الأسود وسالما مولى أبى حذيفة فى أصحاب تبتلوا فلبسوا فى البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس الا ما أكل ولبس أهل السياحة من بنى اسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا القيام الليل وصيام النهار فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل

الله

الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين يقول لا تستنوا بغير سنة المسلمين يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس وما أجعوا له من صيام النهار وقيام الليل وما هموا له من الاخصاء فلما نزلت فيهم بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لأنفسكم حقا وان لأعينكم حقا صوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا فقالوا اللهم أسلمنا واتبعنا ما أنزلت

حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال قال أبي ضاف عبد الله بن رواحة ضيف فانقلب ابن رواحة ولم يتعش فقال لأهله ما عشيته فقالت كان الطعام قليلا فانتظرت أن تأتي قال فحبست ضيفي من أجلي فطعامك علي حرام ان ذقته فقالت هي وهو علي حرام ان ذقته ان لم تذقه وقال الضيف هو علي حرام ان ذقته ان لم تذوقوه فلما رأى ذلك قال ابن رواحة قربي طعامك كلوا باسم الله وغدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنت فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقرأ حتى بلغ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان اذا قلت والله لا أذوقه فذلك العقد

حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا عكرمة عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا أصبت من اللحم انتشرت وأخذتني شهوتي فحرمت اللحم فأنزل الله تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال هم أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك النساء والخصاء فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية واختلفوا في معنى الاعتداء الذي قال تعالى ذكره ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين فقال بعضهم الاعتداء الذي نهى الله عنه في هذا الموضع هو ما كان عثمان بن مظعون هم به من جب نفسه فنهى عن ذلك وقيل له هذا هو الاعتداء وممن قال ذلك السدي

حدثنا محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عنه به * وقال آخرون بل ذلك هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا به من تحريم النساء والطعام واللباس والنوم فنهوا أن يفعلوا ذلك وأن يستنوا بغير سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وممن قال ذلك عكرمة

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عنه به وقال بعضهم بل ذلك نهي من الله تعالى ذكره أن يتجاوز الحلال الى الحرام ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن عاصم عن الحسن يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا قال لا تعتدوا الى ما حرم عليكم وقد بينا أن معنى الاعتداء تجاوز المرء ماله الى ما ليس له في كل شيء فيما مضى بما أغنى عن اعادته واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بقوله لا تعتدوا النهي عن العدوان كله كان الواجب أن يكون محكوما لما عمه بالعموم حتى يخصه ما يجب التسليم له وليس لأحد أن يتعدى حد الله تعالى في شيء من الأشياء مما أحل أو حرم فمن تعداه فهو داخل في جملة من قال تعالى ذكره ان الله لا يحب المعتدين وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في أمر عثمان بن مظعون والرهط الذين هموا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هموا به من تحريم بعض ما أحل الله لهم على أنفسهم ويكون مرادا بحكمها كل من كان في مثل معناهم ممن حرم على نفسه ما أحل الله له أو أحل ما حرم الله عليه أو تجاوز حدا حده الله له وذلك أن الذين هموا بما هموا به من تحريم بعض ما أحل لهم على أنفسهم انما عوتبوا على ما هموا به من تجاوزهم ما سن لهم وحد الى غيره ۞ القول في تأويل قوله ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله

في كيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع الجملة بل مضمونها أي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها ومثله ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق أفكه بالفتح يأفكه بالكسر أفكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق وأرض مأفوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجبين أي بيننا لهم الآيات بيانا عجيبا ولكن اعراضهم عنها أعجب ثم الصارف عن تأمل الحق هو الله أو العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وأنت قد عرفت التحقيق في ذلك مرارا ثم أقام حجة أخرى على فساد قول النصارى فقال قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك أي شيأ لا يستطيع أو الذي لا يقدر على مثل ما يضركم به الله من البليات والمصائب أو ينفعكم به من الصحة والخصب بواسطة أو بغير واسطة بل لم يملك شيأ من ذلك لنفسه فان اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ومزقوا أضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عليه السلام مصروف الهمة الى عبادة الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم يسمع أباطيلهم ويعلم ضمائرهم ليجازيهم عليه وفيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا أهل الكتاب لا تغلوا والغلو مجاوزة حد الاعتدال وأنه شامل لطرفي

الذى أنتم به مؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المؤمنين الذين نهاهم أن يحرموا طيبات ما أحل الله لهم كلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم وأحله لكم حلالا طيبا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعنى ما أحل الله لهم من الطعام وأما قوله واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فانه يقول وخافوا أيها المؤمنون أن تعتدوا فى حدوده فتحلوا ما حرم عليكم وتحرموا ما أحل لكم واحذروه فى ذلك أن تخالفوه فينزل بكم سخطه أو تستوجبوا به عقوبته الذى أنتم به مؤمنون يقول الذى أنتم بوحدانيته مقرون وبربوبيته مصدقون ﴿القول فى تأويل قوله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ يقول تعالى ذكره للذين كانوا حرموا على أنفسهم الطيبات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا حرموا ذلك بأيمان حلفوا بها فنهاهم عن تحريمها وقال لهم لا يؤاخذكم ربكم باللغو فى أيمانكم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم فى القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها فأنزل الله تعالى ذكره لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الآية فهذا يدل على ما قلنا من أن القوم كانوا حرموا ما حرموا على أنفسهم بأيمان حلفوا بها فنزلت هذه الآية بسببهم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز وبعض البصريين ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بتشديد القاف بمعنى وكدتم الايمان ورددتموها وقراء الكوفيين بما عقدتم الأيمان بتخفيف القاف بمعنى أوجبتموها على أنفسكم وعزمت عليها قلوبكم * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت فى الكلام الا فيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة مثل قولهم شددت على فلان فى كذا اذا كررت عليه الشد مرة بعد أخرى فاذا أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل شددت عليه بالتخفيف وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أن اليمين التى تحب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث فى حلف مرة واحدة وان لم يكررها الحالف مرات وكان معلوما بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وان لم يكرره ولم يردده واذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقدتم وجه مفهوم فتأويل الكلام اذا لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها وعقدت عليه قلوبكم وقد بينا اليمين التى هى لغو والتى الله مؤاخذ العبد بها والتى فيها الحنث والتى لا حنث فيها فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع وأما قوله بما عقدتم الأيمان فان هنادا حدثنا قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان قال بما تعمدتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان يقول ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فكفارته اطعام عشرة مساكين﴾ اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله فكفارته على ما هى عائدة ومن ذكر ما فقال بعضهم هى عائدة على ما التى فى قوله بما عقدتم الأيمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عدى عن الحسن فى هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم قال هو أن تحلف على الشئ وأنت تخيل اليك أنه كما حلفت وليس كذلك فلا يؤاخذكم الله فلا كفارة ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلفت عليه على علم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مغيرة عن الشعبى قال اللغو

الافراط والتفريط وان كان قد يخص بطرف الافراط ويجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو الاول فالهود فرطوا فيه حيث نسبوه الى الزنا والكذب والنصارى أفرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال فى الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر أى غلوا غير الحق ولزمه القول بأن الغلو فى الدين غلوان حق وهو أن يبالغ فى تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه وباطل وهو أن يتبع الشبهات على حسب الشهوات والثانى منهى عنه دون الاول وأقول لما كان الغلو مجاوزة الحد وكل شئ جاوز حده شابه ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القائل * كلا طرفى قصد الامور ذميم * فالأصوب أن يقال انتصب غير الحق على أنه صفة قائمة مقام المصدر أى لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين أى افسادا وكقولهم تعال جائيا وقم قائما ولو سلم أن المصدر محذوف كان غير الحق صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وأمس الدابر لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا أهواء قوم هى المذاهب التى تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبى ما ذكر الله تعالى لفظ الهوى فى القرآن الا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى أفرأيت من اتخذ الهه هواه قال أبو عبيد لم نجد للهوى موضعا الا فى الشر لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار وقال رجل

ليس فيه كفارة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان قال ما عقد فيه يمنه فعليه الكفارة
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قال الأيمان ثلاث يمين تكفر
ويمين لا تكفر ويمين لا يؤاخذ بها صاحبها فأما اليمين التي تكفر فالرجل يحلف على الامر
لا يفعله ثم يفعله فعليه الكفارة وأما اليمين التي لا تكفر فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه
الكذب فليس فيه كفارة وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها فالرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما
حلف عليه فلا يكون كذلك فليس عليه فيه كفارة وهو اللغو حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال
أخبرنا ابن أبي ليلى عن عطاء قال قالت عائشة لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه حدثني يعقوب
قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام قال ثنا حماد عن ابراهيم قال ليس في لغو اليمين كفارة حدثني
يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة حدثه أن
عائشة قالت أيمان الكفارة كل يمين حلف فيها الرجل على جد من الامور في غضب أو غيره ليفعلن
ليتركن فذلك عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفارة وقال تعالى ذكره لا يؤاخذكم الله باللغو
في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني
معاوية بن صالح عن يحيى بن سعد وعن علي بن أبي طلحة قالا ليس في لغو اليمين كفارة حدثنا بشر
قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الأيمان يقول ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة قال وقال قتادة أما اللغو فلا كفارة فيه حدثنا
هناد قال ثنا عبدة عن سعيد عن قتادة عن الحسن قال لا كفارة في لغو اليمين حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عمرو العبقري عن أسباط عن السدي ليس في لغو اليمين كفارة فعني الكلام على
هذا التأويل لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارة
ما عقدتم منها اطعام عشرة مساكين * وقال آخرون الهاء في قوله فكفارته عائدة على اللغو وهي
كناية عنه قالوا وانما معنى الكلام لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اذا كفرتموه ولكن
يؤاخذكم اذا عقدتم الايمان فأثمتم على المضي عليه بترك الحنث والكفارة فيه والاقامة على المضي
عليه غير جائزة لكم فكفارة اللغو منها اذا حنثتم فيه اطعام عشرة مساكين ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال هو الرجل يحلف على أمر ضرارا أن يفعله فلا
يفعله فيرى الذي هو خير منه فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير وقال مرة أخرى قوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم الى قوله بما عقدتم الأيمان قال واللغو من اليمين هي التي تكفر
لا يؤاخذ الله بها ولكن من أقام على تحريم ما أحل الله له ولم يتحول عنه ولم يكفر عن يمينه فتلك
التي يؤاخذ بها حدثنا هناد قال ثنا حفص بن غياث عن داود بن أبي هند عن سعيد بن
جبير قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال هو الذي يحلف على المعصية فلا يفي فيكفر حدثنا
محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن جبير لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
قال هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله تعالى يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان الرجل يحلف على المعصية ثم يقيم عليها فكفارته اطعام عشرة
مساكين حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود عن سعيد بن جبير قال في لغو اليمين هي
اليمين في المعصية فقال أولا تقرأ فتفهم قال لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الأيمان قال فلا يؤاخذه بالالغاء ولكن يؤاخذه بالمقام عليها قال وقال ولا يجعلوا الله

لابن عباس الحمد لله الذي جعل
هواي على هواك فقال ابن عباس
كل هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني
أئمتهم في النصرانية واليهودية قبل
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأضلوا
كثيرا ممن شايعهم على التثليث أو
التفريط في شأن مريم وابنها وضلوا
عن سواء السبيل عند مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فكذبوه
والغرض بيان استمرارهم على
الضلال قديما وحديثا وقيل
الضلال الاول عن الدين والضلال
الثاني عن الجنة وقيل الضلال الثاني
اعتقادهم في ذلك الاضلال أنه
ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور
على لسان داود وفي الانجيل على
لسان عيسى وفيه تعيير لهم حيث
ادعوا أنهم أولاد الانبياء وقد لعنوا
على ألسنتهم وقال كثير من
المفسرين ان أصحاب أيلة كما سيجيء
في الاعراف لما اعتدوا في السبت
قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية
فمسخوا قردة وان أصحاب المائدة
لما أكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى
اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت
فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة
آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي
وعن الاصم أن داود وعيسى بشرا
بمحمد صلى الله عليه وسلم
ولعنا من يكذبه وذلك اللعن بسبب
عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
والتناهي معنيان أحدهما وعليه
الجمهور أنه تفاعل من النهي أي
كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن
مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم وذلك أن فى التناهى المأمور به حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما والثانى أنه بمعنى الانتهاء أى لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه لان النهى بعد الفعل لا يفيد أو المراد لا يتناهون عن منكر أرادوا فعله وأحضروا آلاته أولا ينتهون أولا ينهون عن الاصرار على منكر فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المقدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف أسلافهم بما وصف شرع فى نعت الحاضرين بأن كثيرا منهم يتولون المشركين والمراد كعب بن الاشرف وأصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر فى تفسير سورة النساء عند قوله أهؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم من العمل لمعادهم ومحل أن سخط رفع على أنه مخصوص بالذم أى بئس الزاد الى الآخرة سخط الله يعنى موجب سخط الله وسببه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وهو موسى وما أنزل اليه فى التوراة كما يدعون واتخذوا المشركين أولياء لان تحريم ذلك متأكد فى شريعة موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون فى دينهم لان مرادهم تحصيل الرياسة والجاه بأى طريق قدروا عليه لا تقريرا دين موسى و يحتمل أن يراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله ومحمد والقرآن ايمانا خالصا

عرضة لأيمانكم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم قال هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله بتركها ان تركها قلت وكيف يصنع قال يكفر يمينه و يترك المعصية حدثنى يحيى بن جعفر قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم قال اليمين المكفرة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن ابراهيم قال اللغو يمين لا يؤاخذ بها صاحبها وفيها كفارة * والذى هو أولى عندى بالصواب فى ذلك أن تكون الهاء فى قوله فكفارته عائدة على ما التى فى قوله بما عقدتم الايمان لما قدمنا فيما مضى قبل أن من لزمته فى يمينه كفارة وأوخذ بها غير جائز أن يقال لمن قد أوخذ لا يؤاخذه الله باللغو وفى قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم دليل واضح أنه لا يكون مؤاخذا بوجه من الوجوه من أخبر نا تعالى ذكره أنه غير مؤاخذه فان ظن ظان أنه انما عنى تعالى ذكره بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم بالعقوبة عليها فى الآخرة اذا حنثتم وكفرتم لا أنه لا يؤاخذهم بها فى الدنيا بتكفير فان اخبار الله تعالى ذكره وأمره ونهيه فى كتابه على الظاهر العام عندنا مما قد دللنا على صحة القول به فى غير هذا الموضع فأغنى عن اعادته دون الباطن العام الذى لا دلالة على خصوصه فى عقل ولا خبر ولا دلالة من عقل ولا خبر أنه عنى تعالى ذكره بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم بعض معانى المؤاخذة دون جميعها واذ كان ذلك كذلك وكان من لزمته كفارة فى يمين حنث فيها مؤاخذا بها بعقوبة فى ماله عاجلة كان معلوما أنه غير الذى أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها واذ كان الصحيح من التأويل فى ذلك ما قلنا بالذى عليه دللنا فمعنى الكلام اذا لا يؤاخذكم الله أيها الناس بلغو من القول والأيمان اذا لم تتعمدوا بها معصية الله تعالى ولا خلاف أمره ولم تقصدوا بها اثما ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم به الاثم وأوجبتموه على أنفسكم وعزمت عليه قلوبكم و يكفر ذلك عنكم فيغطى على شئ ما كان منكم من كذب وزور قول ومحوه عنكم فلا يتبعكم به ربكم اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أعدله كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول فى هذه الآية من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم قال عطاء أوسطه أعدله واختلف أهل التأويل فى معنى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم فقال بعضهم معناه من أوسط ما يطعم من أجناس الطعام الذى يقتاته أهل بلد المكفر أهاليهم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال أخبرنا شريك عن عبد الله بن حنش عن الاسود قال سألته عن أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز والتمر والزيت والسمن وأفضله اللحم حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد عن ذلك فقال الخبز والتمر زاد هناد فى حديثه والزيت قال وأحسبه والخل حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو الاحوص عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن ابن عمر فى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من أوسط ما يطعم أهله الخبز والتمر والخبز والسمن والخبز والزيت ومن أفضل ما يطعمهم الخبز واللحم حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن ابن سيرين عن ابن عمر من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز واللحم والخبز والسمن والخبز والجبن والخبز والخل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد عن أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز والتمر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنا عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سعيد بن عبد الرحمن

عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني من أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز والسمن حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد بن عبد الرحمن عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن ذلك فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا أزهر قال أخبرنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز والسمن حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يزيد بن ابراهيم عن ابن سيرين قال كانوا يقولون أفضله الخبز واللحم وأوسطه الخبز والسمن وأخسه الخبز والتمر حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن قال خبز ولحم أو خبز وسمن أو خبز ولبن حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا عمر بن هرون عن أبي مصلح عن الضحاك في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز واللحم والمرقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن يحيى بن حبان الطائي قال كنت عند شريح فأتاه رجل فقال اني حلفت على يمين فأثمت قال شريح ما حملك على ذلك قال قدر علي فما أوسط ما أطعم أهلي قال له شريح الخبز والزيت والخل طيب قال فأعاد عليه فقال له شريح ذلك ثلاث مرار لا يزيده شريح على ذلك فقال له أرأيت ان أطعمت الخبز واللحم قال ذاك أرفع طعام أهلك وطعام الناس حدثنا هناد قال ثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال في كفارة اليمين يغديهم ويعشيهم خبزا وزيتا أو خبزا وسمنا أو خلا وزيتا حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة عن زبرقان عن أبي رزين من أوسط ما تطعمون أهليكم خبز وزيت وخل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن هشام بن محمد قال أكلة واحدة خبز ولحم قال وهو من أوسط ما تطعمون أهليكم وانكم لتأكلون الخبيص والفاكهة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى وحدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن الحسن قال في كفارة اليمين يجزيك أن تطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبزا ولحما فان لم تجد فخبزا وسمنا ولبنا فان لم تجد فخبزا وخلا وزيتا حتى يشبعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن زبرقان قال سألت أبا رزين عن كفارة اليمين ما يطعم قال خبزا وخلا وزيتا من أوسط ما تطعمون أهليكم وذلك قدر قوتهم يوما واحدا ثم اختلف قائلو ذلك في مبلغه فقال بعضهم مبلغ ذلك نصف صاع من حنطة أو صاع من سائر الحبوب غيرها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن ابراهيم عن عمر قال اني أحلف على اليمين ثم يبدو لي فاذا رأيتني قد فعلت ذلك فأطعم عشرة مساكين لكل مسكين مدا من حنطة حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية ويعلى عن الاعمش عن شقيق عن يسار بن نمير قال قال عمر اني أحلف أن لا أعطي أقواما ثم يبدو لي أن أعطيهم فاذا رأيتني فعلت ذلك فأطعم عني عشرة مساكين بين كل مسكينين صاعا من بر أو صاعا من تمر حدثنا هناد ومحمد بن العلاء قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عمرو بن مرة عن عبد الله ابن سلمة عن علي قال كفارة اليمين اطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن ابراهيم من أوسط ما تطعمون أهليكم نصف صاع بر لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا حفص عن عبد الكريم الجزري قال قلت لسعيد بن جبير أجمعهم قال لا أعطهم مدين مدين من حنطة مدا لطعامه ومدا لادامه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الكريم الجزري قال قلت لسعيد فذكر نحوه حدثنا هناد قال ثنا أبو زيد عن حصين قال سألت الشعبي عن كفارة اليمين فقال مكوكين مكوكا لطعامه ومكوكا لادامه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا

ما اتخذوا المشركين أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال القفال ولو أن هؤلاء المشركين يؤمنون بالله ومحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم اليهود أولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد أو كل من له أهلية الخطاب أشد الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله للذين آمنوا كما تعلقت بالمودة فيما بعد وظاهر الآية يدل على أن اليهود في غاية العداوة للمسلمين وكيف لا وقد نبه على تقدم قدمهم في العداوة بتقديمهم على الذين أشركوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله لكنه روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي أن المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ولم يرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال آخرون مذهب اليهود أنه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين بأي طريق كان بالقتل أو بغصب المال أو بوجوه المكايد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد أكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالأشد والاقرب وفي الآية من الفائدة أن التمرد والمعصية عادة لهم ففرغ قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم ولا

هشام عن عطاء عن ابن عباس قال لكل مسكين مدين **حدثنا** هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن عطاء عن ابن عباس قال لكل مسكين مدين من بر فى كفارة اليمين **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال مدان من طعام لكل مسكين **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سعد بن يزيد أبو سلمة قال سألت جابر بن زيد عن اطعام المسكين فى كفارة اليمين فقال أكلة قلت فان الحسن يقول مكوك بر ومكوك تمر فاترى فى مكوك بر فقال ان مكوك برلا أو مكوك تمر لا قال يعقوب قال ابن علية وقال أبو سلمة بيده كأنه يراه حسنا وقلب أبو سلمة يده **حدثنا** هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن الحسن أنه كان يقول فى كفارة اليمين فيما وجب فيه الطعام مكوك تمر ومكوك بر لكل مسكين **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع قال ثنا أبى عن الربيع عن الحسن قال قال ان جمعهم أشبعهم اشباعة واحدة وان أعطاهم أعطاهم مكوكا مكوكا **حدثنا** يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس قال كان الحسن يقول فان أعطاهم فى أيديهم فمكوك بر ومكوك تمر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك فى كفارة اليمين نصف صاع لكل مسكين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبيه عن الحكم فى قوله اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال اطعام نصف صاع لكل مسكين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن مغيرة عن ابراهيم قال أوسط ما تطعمون أهليكم نصف صاع **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فكفارته اطعام عشرة مساكين قال الطعام لكل مسكين نصف صاع من تمر أو بر * وقال آخرون بل مبلغ ذلك من كل شئ من الحبوب مد واحد ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن زيد بن ثابت أنه قال فى كفارة اليمين مد من حنطة لكل مسكين **حدثنا** هناد قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال فى كفارة اليمين مد من حنطة لكل مسكين ربعه ادامه **حدثنا** هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن سفيان عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر اطعام عشرة مساكين لكل مسكين مد **حدثنا** هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع قال ثنا العمرى عن نافع عن ابن عمر قال مد من حنطة لكل مسكين **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكفر اليمين بعشرة أمداد بالمد الاصغر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن عبيد الله عن القاسم وسالم فى كفارة اليمين ما يطعم قالا مد لكل مسكين **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار قال كان الناس اذا كفر أحدهم كفر بعشرة أمداد بالمد الاصغر **حدثنا** هناد قال ثنا عمر بن هرون عن ابن جريج عن عطاء فى قوله اطعام عشرة مساكين قال عشرة أمداد لعشرة مساكين **حدثنا** بشر قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال كان يقال البر والتمر لكل مسكين مد من تمر ومد من بر **حدثنا** أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن مالك بن مغول عن عطاء قال مد لكل مسكين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من أوسط ما تعولونهم قال وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك

تحزن على كيدهم ثم ذكر سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم لرئيس النصارى فى العلم والدين وكأنه من القس وهو تتبع الشئ وطلبه قال قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه الوفاق بين اللغتين وقال عروة بن الزبير ضيعت النصارى الانجيل وأدخلت فيه ما ليس منه وبقى واحد من علمائهم على الحق والدين يسمى قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان فى راكب وفارس وقيل انه واحد وجمعه رهابين كقربان وقرابين ولكن النظم يأباه وأصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة فى مقابلة قساوة اليهود وغلظتهم والافهى مذمومة فى نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله صلى الله عليه وسلم لا رهبانية فى الاسلام وههنا نكتة هى أن كفر النصارى حيث انهم ينازعون فى الالهيات والنبوات جميعا أغلظ فى الحقيقة من كفر اليهود لأنهم لا ينازعون الا فى النبوات الا بعضهم القائلين بأن عزيرا ابن الله ثم ان النصارى لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا وعلى الحياة وأقبلوا على العلم والبراءة من الكبر خصهم الله تعالى بالمدح وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم أحرص الناس على حياة غلت أيديهم فتبين صحة قوله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة

مد اعمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة قال أبو زيد هو الوسط مما يقوت به أهله ليس بأدناه ولا بأرفعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب من أوسط ما تطعمون أهليكم قال مد * وقال آخرون بل ذلك غداء وعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال في كفارة اليمين يغديهم ويعشيهم حدثنا هناد قال ثنا عمر بن هرون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي في كفارة اليمين قال غداء وعشاء حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن يونس عن الحسن قال يغديهم ويعشيهم * وقال آخرون انما عنى بقوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أوسط ما يطعم المكفر أهله قال ان كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة وان كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله في عسره ويسره ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ان كنت تشبع أهلك فأشبع المساكين والا فعلى ما تطعم أهلك بقدره حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم وهو أن تطعم كل مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع أو نصف صاع من بر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر عن ابن عباس قال من عسرهم ويسرهم حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال من عسرهم ويسرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن مهدي قال ثنا سفيان عن سليمان بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير من أوسط ما تطعمون أهليكم قال قوتهم حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سليمان العبسي عن سعيد بن جبير في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال قوتهم حدثنا أبو حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عنبسة عن سليمان بن عبيد العبسي عن سعيد بن جبير في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال كانوا يفضلون الحر على العبد والكبير على الصغير فنزلت من أوسط ما تطعمون أهليكم حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال كانوا يطعمون الكبير ما لا يطعمون الصغير ويطعمون الحر ما لا يطعمون العبد فقال من أوسط ما تطعمون أهليكم حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال ثنا جويبر عن الضحاك في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ان كنت تشبع أهلك فأشبعهم وان كنت لا تشبعهم فكل قدر ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيبان النحوي عن جابر عن عامر عن ابن عباس من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من عسرهم ويسرهم حدثنا يونس قال ثنا سفيان عن سليمان عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس كان الرجل يقوت بعض أهله قوتا دونا وبعضهم قوتا فيه سعة فقال الله من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز والزيت * وأولى الاقوال في تأويل قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم عندنا قول من قال من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات كلها بذلك وردت وذلك لحكمه صلى الله عليه وسلم في كفارة الحلق من الاذى بفرق من طعام بين ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وكحكمه في كفارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعا بين ستين مسكينا لكل مسكين ربع صاع ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات أمر باطعام خبز وادام

قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف على أصحابه من المشركين فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود في رهط من أصحابه الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه أكرمهم وقال لهم هل تعرفون شيأ مما أنزل عليكم قالوا نعم فقرؤا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرؤا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال آخرون قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه ومعهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشأم وهم بحيرا الراهب وأبرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وآمنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض الذي هو مسبب الامتلاء موضع الامتلاء وأصله تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض بعد الامتلاء ويحتمل أن يكون الدمع مصدر دمعت عينه وقصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء كأن الأعين تفيض بأنفسها ومعنى مما عرفوا من الحق أي مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق فمن الاولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع نشأ من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض يعني أنهم عرفوا بعض الحق

فأبكاهم فكيف لو عرفوا كله وأحاطوا بالسنة ربنا آمنا المراد انشاء الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد مر مثله فى آل عمران ومالنا انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع حصول موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين قالوا ذلك فى أنفسهم أو فيما بينهم أو فى جواب قومهم حين رجعوا اليهم ولاموهم ومحل لا نؤمن نصب على الحال نحو مالك قائما والعامل فيه معنى الفعل أى ما نصنع غير مؤمنين وهو العامل أيضا فى ونطمع لكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو حذفتها وقلت ومالنا ونطمع لأحلت ويحتمل أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن كأنهم أنكروا أن لا يوحدوا الله وهم يطمعون فى الثواب وأن يكون عطفا على لا نؤمن أى مالنا نجمع بين التثليث وبين الطمع أو مالنا لا نجمع بين الايمان وبين الطمع فأثابهم الله بما قالوا ظاهره يدل على أنهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول ولكن فيما سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف اليه القول كمل الايمان ويحتمل أن يكون مأخوذا من قولك هذا قول فلان أى اعتقاده ومذهبه وروى عطاء عن ابن عباس أن المراد بما سألوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين قال أهل السنة فيه دليل على أن المعرفة مع الاقرار توجب حصول الثواب

ولا بغداء وعشاء فاذ كان ذلك كذلك وكانت كفارة اليمين احدى الكفارات التى تلزمه كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم من أن الواجب على مكفرها من الطعام مقدار للمساكين العشرة محدود بكيل دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم اذ كانت سنته صلى الله عليه وسلم فى سائر الكفارات كذلك فاذ كان صحيحا ما قلنا مما به استشهدنا فبين أن تأويل الكلام ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أعدل اطعامكم أهليكم وأن ما التى فى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم بمعنى المصدر لا بمعنى الاسماء واذا كان ذلك كذلك فأعدل أقوات الموسع على أهله مدّان وذلك نصف صاع فى ربعه ادامه وذلك أعلى ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم فى كفارة فى اطعام مساكين وأعدل أقوات المقتر على أهله مد وذلك ربع صاع وهو أدنى ما حكم به فى كفارة فى اطعام مساكين وأما الذين رأوا اطعام المساكين فى كفارة اليمين الخبز واللحم وما ذكرنا عنهم قبل والذين رأوا أن يغدّوا أو يعشوا والذين رأوا أن يغدوا ويعشوا فانهم ذهبوا الى تأويل قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أوسط الطعام الذى تطعمونه أهليكم فجعلوا ما التى فى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم اسما لا مصدرا فأوجبوا على المكفر اطعام المساكين من أعدل ما يطعم أهله من الاغذية وذلك مذهب لو لا ما ذكرنا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكفارات غيرها التى يجب الحاق أشكالها بها وان كفارة اليمين لها نظيرة وشبيهة يجب الحاقها بها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أو كسوتهم﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك فكفارة ما عقدتم من الأيمان اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم يقول اما أن تطعموهم أو تكسوهم والخيار فى ذلك الى المكفر * واختلف أهل التأويل فى الكسوة التى عنى الله بقوله أو كسوتهم فقال بعضهم عنى بذلك كسوة ثوب واحد ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى كسوة المساكين فى كفارة اليمين أدناه ثوب **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أدناه ثوب وأعلاه ما شئت **حدثنا** هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال فى كفارة اليمين فى قوله أو كسوتهم ثوب لكل مسكين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن وهيب عن ابن طاوس عن أبيه أو كسوتهم قال ثوب **حدثنا** هناد قال ثنا عبيدة **وحدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير جميعا عن منصور عن مجاهد فى قوله أو كسوتهم قال ثوب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله أو كسوتهم قال ثوب ثوب قال منصور القميص أو الرداء أو الازار **حدثنا** أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر فى قوله أو كسوتهم قال كسوة الشتاء والصيف ثوب ثوب **حدثنا** هناد قال ثنا عمر بن هرون عن ابن جريج عن عطاء فى قوله أو كسوتهم قال ثوب ثوب لكل مسكين **حدثنا** هناد قال ثنا عبدة بن سليمان عن سعيد ابن أبى عروبة عن أبى معشر عن ابراهيم فى قوله أو كسوتهم قال اذا كساهم ثوبا ثوبا أجزأ عنه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمان الرازى عن ابن سنان عن حماد قال ثوب أو ثوبان وثوب لا بد منه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال ثوب ثوب لكل انسان وقد كانت العباءة تقضى يومئذ من الكسوة **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو كسوتهم قال الكسوة عباءة لكل مسكين أو شملة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدى عن أبى مالك قال ثوب أو قميص أو رداء أو ازار **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى

قال

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ان اختار صاحب اليمين الكسوة كسا عشرة أناسى كل انسان عباءة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول فى قوله أو كسوتهم الكسوة ثوب ثوب وقال بعضهم عنى بذلك الكسوة ثوبين ثوبين ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا عبيدة وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية جميعا عن داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب فى قوله أو كسوتهم قال عباءة وعمامة حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب قال عمامة يلف بها رأسه وعباءة يلتحف بها حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أشعث عن الحسن وابن سيرين قال ثوبين ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن يونس عن الحسن قال ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن يونس عن الحسن مثله حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع عن سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال ثوبان ثوبان لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن أبى موسى أنه حلف على يمين فكسا ثوبين من معقدة البحرين حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن ابن سيرين أن أبا موسى كسا ثوبين من معقدة البحرين حدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن محمد بن عبد الاعلى أن أبا موسى الاشعرى حلف على يمين فرأى أن يكفر ففعل وكسا عشرة ثوبين ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن هشام عن محمد أن أبا موسى حلف على يمين فكفر فكسا عشرة مساكين ثوبين ثوبين حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب قال عباءة وعمامة لكل مسكين حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبى هند قال قال رجل عند سعيد بن المسيب أو كاسوتهم فقال سعيد لا انما هى أو كسوتهم قال قلت يا أبا محمد ما كسوتهم قال لكل مسكين عباءة وعمامة عباءة يلتحف بها وعمامة يشد بها رأسه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سامان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو كسوتهم قال الكسوة لكل مسكين رداء وازار كنحو ما يجد من الميسرة والفاقة * وقال آخرون بل عنى بذلك كسوتهم ثوب جامع كالملحفة والكساء والشئ الذى يصلح للبس والنوم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم قال الكسوة ثوب جامع حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا ابن فضيل عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله أو كسوتهم قال ثوب جامع قال وقال مغيرة والثوب الجامع الملحفة أو الكساء أو نحوه ولا نرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال ثوب جامع حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن مغيرة عن ابراهيم قال ثوب جامع حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أو كسوتهم قال ثوب جامع لكل مسكين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وشعبة عن المغيرة عن ابراهيم فى قوله أو كسوتهم قال ثوب جامع حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن المغيرة مثله * وقال آخرون عنى بذلك كسوة ازار ورداء أو قميص ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن بردة عن نافع عن ابن عمر قال فى الكسوة فى الكفارة ازار ورداء وقميص * وقال آخرون كل ما كسا فيجزى والآية على عمومها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن مجاهد قال يجزى

وصاحب الكبيرة له المعرفة والاقرار فلا بد أن يؤل حاله الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا أن الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب ولكن بشرط عدم الاحباط * (التأويل) لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل مع ذرات ذريات آدم عليه السلام وأرسلنا اليهم رسلا بالاجساد فى عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية فى عالم الغيب فريقا كذبوا يعنى الالهامات والواردات وفريقا يقتلون فى عالم الحس لقد كفر الذين قالوا النصارى أرادوا أن يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا فى أودية الشبهات وأمة محمد صلى الله عليه وسلم سلكوا الطريق بأقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية فأسقط عنهم براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلى يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل أنت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال فتحقق لهم أن عيسى بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهى فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما أن المرايا المحرقة تحرق بما قبلت من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى بن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل المستحق للخلافة قبوله قبول الحق ورده رد الحق لا يتناهون عن منكر سمى العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الطاعة

معروفا لأنها توجب المعرفة ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا يعني أن تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم ثبت لهم القرابة والمودة من أهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فآمنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله ويشاهدونه بلوائح المعرفة وطوالع المحبة فالاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات

في كفارة اليمين كل شئ الا التبان حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أشعث عن الحسن قال يجزئ عمامة في كفارة اليمين حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أويس الصيرفي عن أبي الهيثم قال قال سلمان نعم الثوب التبان حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الشيباني عن الحكم قال عمامة يلف بها رأسه * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن قول من قال عنى بقوله أو كسوتهم ما وقع عليه اسم كسوة مما يكون ثوبا فصاعدا الا ما دون الثوب لا خلاف بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية فكان ما دون قدر ذلك خارجا من أن يكون الله تعالى عناه بالنقل المستفيض والثوب وما فوقه داخل في حكم الآية اذ لم يأت من الله تعالى وحي ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ولم يكن من الامة اجماع بانه غير داخل في حكمها وغير جائز اخراج ما كان ظاهر الآية محتملا من حكم الآية الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة بذلك ﴿القول في تأويل قوله﴿أو تحرير رقبة﴾ يعني تعالى ذكره بذلك أو فك عبد من أسر العبودة وذلها وأصل التحرير الفك من الاسر ومنه قول الفرزدق بن غالب

أبني غدانة انني حررتكم * فوهبتكم لعطية بن جعال

يعني بقوله حررتكم فككت رقابكم من ذل الهجاء ولزوم العار وقيل تحرير رقبة والمحرر صاحب الرقبة لان العرب كان من شأنها اذا أسرت أسيرا أن تجمع يديه الى عنقه بقيد أو حبل أو غير ذلك واذا أطلقته من الاسر أطلقت يديه وحللتهما مما كانتا به مشدودتين الى الرقبة فجرى الكلام عند اطلاقهم الاسير بالخبر عن فك يديه عن رقبته وهم يريدون الخبر عن اطلاقه من أسره كما يقال قبض فلان يده عن فلان اذا أمسك يده عن نواله وبسط فيه لسانه اذا قال فيه سوأ فيضاف الفعل الى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله لاستعمال الناس ذلك بينهم وعلمهم بمعنى ذلك فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره أو تحرير رقبة أضيف التحرير الى الرقبة وان لم يكن هنالك غل في رقبته ولا شد يد اليها وكان المراد بالتحرير نفس العبد بما وصفنا من جرى استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه فان قال قائل أفكل الرقاب معنيّ بذلك أو بعضها قيل بل معنيّ بذلك كل رقبة كانت سليمة من الاقعاد والعمى والخرس وقطع اليدين أو شلل ما والجنون المطبق ونظائر ذلك فان من كان به ذلك أو شئ منه من الرقاب فلا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ في كفارة اليمين فكان معلوما بذلك أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير في هذه الآية فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر فانهم معنيون به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول من كانت عليه رقبة واجبة فاشترى نسمة قال اذا أنقذها من عمل أجزأته ولا يجوز عتق من لا يعمل فأما الذي يعمل فالأعور ونحوه وأما الذي لا يعمل فلا يجزئ كالاعمى والمقعد حدثنا هناد قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن قال كان يكره عتق المخبل في شئ من الكفارات حدثنا هناد قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه كان لا يرى عتق المغلوب على عقله يجزئ في شئ من الكفارات وقال بعضهم لا يجزئ في الكفارة من الرقاب الا الصحيح ويجزئ الصغير فيها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال لا يجزئ في الرقبة الا الصحيح حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال يجزئ المولود في الاسلام من رقبة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم قال ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة فلا يجزئ الا ما صام وصلى وما كان ليس بمؤمنة فالصبي يجزئ وقال بعضهم لا يقال للمولود رقبة الا بعد مدة تأتي عليه ذكر من

قال

قال ذلك حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن شعيب بن شابور عن النعمان بن المنذر عن سليمان قال اذا ولد الصبي فهو نسمة واذا انقلب ظهرا لبطن فهو رقبة واذا صلى فهو مؤمنة * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى عم بذكر الرقبة كل رقبة فأي رقبة حررها المكفر يمينه في كفارته فقد أدى ما كلف الا ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى لم يعنه بالتحرير فذلك خارج من حكم الآية وما عدا ذلك فجائز تحريره في الكفارة بظاهر التنزيل والمكفر مخير في تكفير يمينه التي حنث فيها باحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه وذلك اطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة باجماع من الجميع لا خلاف بينهم في ذلك فان ظن ظان أن ما قلنا من أن ذلك اجماع من الجميع ليس كما قلنا لما حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا سليمان الشيباني قال ثنا أبو الضحى عن مسروق قال جاء نعمان ابن مقرن الى عبد الله فقال اني آليت من النساء والفراش فقرأ عبد الله هذه الآية لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال فقال نعمان انما سألتك لكوني أتيت على هذه الآية فقال عبد الله ائت النساء ونم وأعتق رقبة فانك موسر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني جرير بن حازم أن سليمان الاعمش حدثه عن ابراهيم بن يزيد النخعي عن همام ابن الحرث أن نعمان بن مقرن سأل عبد الله بن مسعود فقال اني حلفت أن لا أنام على فراشي سنة فقال ابن مسعود يا أيها الذي آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم كفر عن يمينك ونم على فراشك قال بم أكفر عن يميني قال أعتق رقبة فانك موسر ونحو هذا من الاخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما فان ذلك منهم كان على وجه الاستحباب لمن أمروه بالتكفير عما أمروه به بالتكفير من الرقاب لا على أنه كان لا يجزي عندهم التكفير للموسر الا بالرقبة لانه لم ينقل أحد عن أحد منهم أنه قال لا يجزي الموسر التكفير الا بالرقبة والجميع من علماء الامصار قد يعهم وحديثهم مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائز للموسر ففي ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بغيره ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ يقول تعالى ذكره فمن لم يجد لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفر بها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه في كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فصيام ثلاثة أيام يقول فعليه صيام ثلاثة أيام ثم اختلف أهل العلم في معنى قوله فمن لم يجد ومتى يستحق الحانث في يمينه الذي قد لزمته الكفارة اسم غير واجد حتى يكون ممن له الصيام في ذلك فقال بعضهم اذا لم يكن للحانث في وقت تكفيره عن يمينه الا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته فان له أن يكفر بالصيام فان كان عنده في ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم لزمه التكفير بالاطعام أو الكسوة ولم يجزه الصيام حينئذ وممن قال ذلك الشافعي حدثنا بذلك عنه الربيع وهذا القول قصد ان شاء الله ممن أوجب الطعام على من كان عنده درهمان وممن أوجبه على من عنده ثلاثة دراهم وبنحو ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اذا لم يكن له الا ثلاثة دراهم أطعم قال يغني في الكفارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني معتمر بن سليمان قال قلت لعمر بن راشد الرجل يحلف ولا يكون عنده من الطعام الا بقدر ما يكفر قال كان قتادة يقول يصوم ثلاثة أيام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا المعتمر بن سليمان قال ثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال اذا كان عنده درهمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر عن حماد عن عبد الكريم

ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الالباب لعلكم تفلحون﴾ القرا آت عاقدتم بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد من أوصط مثل مبصوطتان بجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم عن المفضل كفارة طعام بالاضافة أبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة

بالتنوين طعام بالرفع قيما بغير ألف ابن عامر ۞ او قوف ولا تعتدوا ط المعتدين ○ طيبا ص لعطف المتفقتين مؤمنون ○ الايمان ج لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب رقبة ط ثلاثة أيام ط حلفتم ط للاضمار أى حلفتم وحنثتم أيمانكم ط تشكرون ○ تفلحون ○ وعن الصلاة ج لابتداء الاستفهام لاجل التحذير مع دخول الفاء فيه منتهون ○ واحذروا ط المبين ○ وأحسنوا ط المحسنين ○ بالغيب ج أليم ○ وأنتم حرم ط وبال أمره ط سلف ط منه ط انتقام ○ وللسيارة ج لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما ط لاطلاق الامر بالابتداء تحشرون ○ والقلائد ط عليم ○ رحيم ○ البلاغ ط تكتمون ○ كثرة الخبيث ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون ○

۞ التفسير انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع أهل الكتاب بين عاد الى بيان الاحكام فبدأ بحل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم أن مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم فى هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون منهم أبو بكر وعلى وابن مسعود وأبو ذر

ابن أبى أمية عن سعيد بن جبير قال ثلاثة دراهم وقال آخرون جائز لمن لم يكن عنده مائتا درهم أن يصوم وهو ممن لا يجد وقال آخرون جائز لمن لم يكن عنده فضل عن رأس ماله يتصرف به لمعاشه ما يكفر به بالاطعام أن يصوم الا أن يكون له كفاية ومن المال ما يتصرف به لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه وهذا قول كان يقوله بعض متأخرى المتفقهة * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن من لم يكن عنده فى حال حنثه فى يمينه الا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته لا فضل له عن ذلك يصوم ثلاثة أيام وهو ممن دخل فى جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق وان كان عنده فى ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين أو يعتق رقبة فلا يجزيه حينئذ الصوم لان احدى الحالات الثلاث حينئذ من اطعام أو كسوة أو عتق حق قد أوجبه الله تعالى فى ماله وجوب الدين وقد قامت الحجة بأن المفلس اذا فرق ماله بين غرمائه انه لا يترك ذلك اليوم الا مالا بد له من قوته وقوت عياله يومه وليلته فكذلك حكم المعدم بالدين الذى أوجبه الله تعالى فى ماله بسبب الكفارة التى لزمت ماله واختلف أهل العلم فى صفة الصوم الذى أوجبه الله فى كفارة اليمين فقال بعضهم صفته أن يكون مواصلا بين الايام الثلاثة غير مفرقها ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن العلاء قال ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال كل صوم فى القرآن فهو متتابع الا قضاء رمضان فانه عدة من أيام أخر **حدثنا** أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس قال كان أبى بن كعب يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** عبد الاعلى بن واصل الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن قزعة ابن سويد عن سيف بن سليمان عن مجاهد قال فى قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** هناد قال ثنا ابن المبارك عن ابن عون عن ابراهيم قال فى قراءتنا فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن ابراهيم مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فى قراءة أصحاب عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن عامر قال فى قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد عن معمر عن ابن اسحق فى قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد عن معمر عن الاعمش قال كان أصحاب عبد الله يقرؤن فصيام ثلاثة أيام متتابعات **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول اذا فرق صيام ثلاثة أيام لم يجزه قال وسمعته يقول فى رجل صام فى كفارة يمين ثم أفطر قال يستقبل الصوم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فصيام ثلاثة أيام قال اذا لم يجد طعاما وكان فى بعض القراءة فصيام ثلاثة أيام متتابعات وبه كان يأخذ قتادة **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هو بالخيار فى هؤلاء الثلاثة الاول فالاول فان لم يجد من ذلك شيأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات وقال آخرون جائز لمن صامهن أن يصومهن كيف شاء مجتمعات ومفترقات ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا أشهب قال قال مالك كل ما ذكر الله فى القرآن من الصيام فأن يصام تباعا أعجب فان فرقها رجوت أن تجزى عنه * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى أوجب على من لزمته كفارة يمين اذا لم يجد الى تكفيرها بالاطعام أو الكسوة أو العتق

سبيلا أن يكفرها بصيام ثلاثة أيام ولم يشرط فى ذلك متتابعة فكيفما صامهن المكفر مفرقة ومتتابعة أجزأه لان الله تعالى انما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام فكيفما أتى بصومهن أجزأ فأما ماروى عن أبى وابن مسعود من قراءتهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات فذلك خلاف ما فى مصاحفنا وغير جائز لنا أن نشهد بشئ ليس فى مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله غير أنى أختار للصائم فى كفارة اليمين أن يتابع بين الايام الثلاثة ولا يفرق لانه لا خلاف بين الجميع أنه اذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته وهم فى غير ذلك مختلفون ففعل ما لا يختلف فى جوازه أحب الىّ وان كان الآخر جائزا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذى ذكرت لكم أنه كفارة أيمانكم من اطعام العشرة المساكين أو كسوتهم أو تحرير الرقبة وصيام الثلاثة الايام اذا لم تجدوا من ذلك شيأ هو كفارة أيمانكم التى عقدتموها اذا حلفتم واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم كذلك يبين الله لكم آياته كما بين لكم كفارة أيمانكم كذلك يبين الله لكم جميع آياته يعنى أعلام دينه فيوضحها لكم لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله لم أعلم حكم الله فى ذلك لعلكم تشكرون يقول لتشكروا الله على هدايته اياكم وتوفيقه لكم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ وهذا بيان من الله تعالى ذكره للذين حرموا على أنفسهم النساء والنوم واللحم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تشبها منهم بالقسيسين والرهبان فأنزل الله فيهم على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابه ينهاهم عن ذلك فقال يا أيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم فنهاهم بذلك عن تحريم ما أحل الله لهم من الطيبات ثم قال ولا تعتدوا أيضا فى حدودى فتحلوا ما حرمت عليكم فان ذلك لكم غير جائز كما غير جائز لكم تحريم ما حللت والى لا أحب المعتدين ثم أخبرهم عن الذى حرم عليهم مما اذا استحلوه وتقدموا عليه كانوا من المعتدين فى حدوده فقال لهم يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ان الخمر التى تشربونها والميسر الذى تياسرونه والأنصاب التى تذبحون عندها والأزلام التى تستقسمون بها رجس يقول اثم ونتن سخطه الله وكرهه لكم من عمل الشيطان يقول شر بكم الخمر وقماركم على الجزر وذبحكم للانصاب واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم ودعائه اياكم اليه وتحسينه لكم لا من الأعمال التى ندبكم اليها ربكم ولا مما يرضاه لكم بل هو مما يسخطه لكم فاجتنبوه يقول فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه لعلكم تفلحون يقول لكى تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم بتركم ذلك وقد بينا معنى الخمر والميسر والأزلام فيما مضى فكرهنا اعادته وأما الأنصاب فانها جمع نصب وقد بينا معنى النصب بشواهده فيما مضى وروى عن ابن عباس فى معنى الرجس فى هذا الموضع ما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله رجس من عمل الشيطان يقول سخط وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله رجس من عمل الشيطان قال الرجس الشر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ يقول تعالى ذكره انما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح ويحسن ذلك لكم ارادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح ليعادى بعضكم بعضا ويبغض بعضكم الى بعض فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالايمان

الغفارى وسلمان الفارسى فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا يا رسول الله وما أردنا الا الخير فقال انى لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم من رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما انى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فأنزل الله هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم فهذا وجه اتصال الآيات فان قيل ما الحكمة فى قوله لا تحرموا ومن المعلوم أن توسع الانسان

وجمعه بينكم بأخوة الاسلام ويصدكم عن ذكر الله يقول ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها اياكم عليكم وباشتغالكم بهذا الميسر عن ذكر الله الذى به صلاح دنياكم وآخرتكم وعن الصلاة التى فرضها عليكم ربكم فهل أنتم منتهون يقول فهل أنتم منتهون عن شرب هذه والمياسرة بهذا وعاملون بما أمركم به ربكم من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها ولزوم ذكره الذى به نجح طلباتكم فى عاجل دنياكم وآخرتكم واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل الله تحريمها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال قال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا قال فنزلت الآية التى فى البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى النساء لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قال وكان منادى النبى صلى الله عليه وسلم ينادى اذا حضرت الصلاة لا يقربن الصلاة السكران قال فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا قال فنزلت الآية التى فى المائدة يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الى قوله فهل أنتم منتهون فلما انتهى الى قوله فهل أنتم منتهون قال عمر انتهينا انتهينا حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا أبى عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال قال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانها تذهب بالعقل والمال ثم ذكر نحو حديث وكيع حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال قال عمر بن الخطاب اللهم بين لنا فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه واسرائيل عن أبى اسحق عن أبى ميسرة عن عمر بن الخطاب مثله حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا زكريا بن أبى زائدة عن أبى اسحق عن أبى ميسرة عن عمر بن الخطاب مثله حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى أبو معشر المدنى عن محمد بن قيس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه الناس وقد كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوه عن ذلك فأنزل الله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فقالوا هذا شئ قد جاء فيه رخصة نأكل الميسر ونشرب الخمر ونستغفر من ذلك حتى أتى رجل صلاة المغرب فجعل يقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد فجعل لا يجود ذلك ولا يدرى ما يقرأ فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان الناس يشربون الخمر حتى يجئ وقت الصلاة فيدعون شربها فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون فلم يزالوا كذلك حتى أنزل الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الى قوله فهل أنتم منتهون فقالوا انتهينا يا رب وقال اخرون نزلت هذه الآية بسبب سعد بن أبى وقاص وذلك أنه كان لاحى رجلا على شراب لهما فضرب به صاحبه بلحى جمل ففزر أنفه فنزلت فيهما ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد أنه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فقال فشربنا الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل منكم قال فأخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به أنف سعد ففزره فكان سعد أفزر الانف قال فنزلت هذه الاية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى آخر الآية حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن مصعب بن سعد قال قال سعد شربت مع قوم من الانصار فضربت رجلا منهم أطن بفك جمل فكسرته فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فلم ألبث أن نزل تحريم الخمر يا أيها الذين

فى اللذات والطيبات يمنعه عن الاستغراق فى تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا شبعت الاجسام صارت الارواح أجسادا واذا جاعت الاجسام صارت الاجساد أرواحا فالجواب أن الرهبانية المفرطة مما توقع الآفة فى الاعضاء الرئيسة التى هى القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التأمل فى الجواهر الروحانية ومبادئها على أن النفوس القوية لا يمنعها التصرف فى الجسمانيات عن التأمل فى الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال فى الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الترهب مع رعاية وظائف الطاعة يفضى الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال فى أول السورة أوفوا بالعقود فبين أنه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحريم المحلل وذلك أنهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما أحل الله ولا تظهروا باللسان تحريمه أو لا تجتنبوه اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل أن يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى أو لا تلتزموا تحريمها بنذر أو يمين كقوله يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك أو لا تخلطوا الحلال بالمغصوب أو الطاهر بالنجس خلطا لا يبقى معه التمييز فانه يحرم الكل والطيبات المستلذات التى تشتهيها

آمنوا انما الخمر والميسر الى آخر الآية حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا اسرائيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن أبيه قال شربت الخمر مع قوم من الانصار فذكر نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث أن ابن شهاب أخبره أن سالم بن عبد الله حدثه أن أول ما حرمت الخمر أن سعد بن أبي وقاص وأصحابا له شربوا فاقتتلوا فكسر وا أنف سعد فأنزل الله انما الخمر والميسر الآية وقال آخرون نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا ربيعة بن كلثوم عن جبير عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا أخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رؤفا رحيما ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان قتل يوم بدر وقتل فلان يوم أحد فانزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية حدثنا محمد بن خلف قال ثنا سعيد بن محمد الجرمي عن أبي تميلة عن سلام مولى حفص بن أبي قيس عن أبي بريدة عن أبيه قال بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلالا اذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى آخر الآيتين فهل أنتم منتهون فخرجت الى أصحابي فقرأتها عليهم الى قوله فهل أنتم منتهون قال وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضا وبقي بعض في الاناء فقال بالاناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا انتهينا ربنا انتهينا ربنا وقال آخرون انما كانت العداوة والبغضاء كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب الميسر لا بسبب السكر الذي يحدث لهم من شرب الخمر فلذلك نهاهم الله عن الميسر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا جامع ابن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال بشر وقد سمعته من يزيد وحدثنيه قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يدي غيره فكانت توريث بينهم عداوة وبغضاء فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله أعلم بالذي يصلح خلقه * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى قد سمى هذه الاشياء التي سماها في هذه الآية رجسا وأمر باجتنابها وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضي الله عنه في أمر الخمر وجائز أن يكون ذلك كان بسبب ما نال سعدا من الانصاري عند انتشائهما من الشراب وجائز أن يكون كان من أجل ما كان يلحق أحدهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يسره وبغضه وليس عندنا بأي ذلك كان خبر قاطع للعذر غير أنه أي ذلك كان فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف وغير ضائرهم الجهل بالسبب الذي له نزلت هذه الآية فالخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فرض على جميع من بلغته الآية من التكليف اجتناب جميع ذلك كما قال تعالى فاجتنبوه لعلكم تفلحون * القول في تأويل قوله ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول في اجتنابكم ذلك واتباعكم أمره فيما أمركم به من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعاني التي بينها لكم في هذه الآية وغيرها وخالفوا الشيطان في أمره اياكم بمعصية الله في ذلك وفي غيره فانه انما يبغي لكم العداوة والبغضاء

النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا أمر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في ادخال من التبعيضية ارشاد الى الاقتصاد والاقتصار في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وفيه أنه تعالى هو الذي يرزق عبيده وتكفل برزقهم قال في التفسير الكبير قوله حلالا طيبا ان كان متعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على أن الرزق لا يكون الا حلالا لأنه يدل على الاذن في أكل كل ما رزق الله تعالى وانما يأذن في أكل الحلال فيلزم أن يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالمأكول أي كلوا من الرزق الذي يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يؤذن بأن الرزق قد لا يكون حلالا أقول هذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع أنه من المعتزلة ثم أكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب اتقاءه في أوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم انفا وقد تقدم معنى يمين اللغو في سورة البقرة أما قوله بما عقدتم الايمان فمن قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرأ بالتشديد فان أبا عبيدة اعترض عليه بأن التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة وأجاب الواحدي بأن عقد بالتخفيف

بينكم بالخمر والميسر واحذروا يقول واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عند مانهاكم عنه من هذه الامور التى حرمها عليكم فى هذه الآية وغيرها أو يفقدكم عند ما أمركم به فتوبقوا أنفسكم وتهلكوها فان توليتم يقول فان أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به وتنتهوا عما نهيناكم عنه ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الايمان والتصديق بالله وبرسوله واتباع ماجاءكم به نبيه ﴿فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين يقول فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه اليكم بالنذارة غير ابلاغكم الرسالة التى أرسل بها اليكم مبينة لكم بيانا يوضح لكم سبيل الحق والطريق الذى أمرتم أن تسلكوه وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية فعلى المرسل اليه دون الرسل وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولى عن أمره ونهيه يقول لهم تعالى ذكره فان توليتم عن أمرى ونهيى فتوقعوا عقابى واحذروا سخطى ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا اذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه كيف بمن هلك من اخواننا وهم يشربونها وبنا وقد كنا نشربها ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك فى الحال التى لم يكن الله تعالى حرمه عليهم اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات يقول اذا ما اتقى الله الاحياء منهم فخافوه وراقبوه فى اجتنابهم ما حرم عليهم منه وصدقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم فأطاعوهما فى ذلك كله وعملوا الصالحات يقول واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله فى ذلك مما كلفهم بذلك ربهم ثم اتقوا وآمنوا يقول ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضا فثبتوا على اتقاء الله فى ذلك والايمان به ولم يغيروا ولم يبدلوا ثم اتقوا وأحسنوا يقول ثم خافوا الله فدعاهم خوفهم الله الى الاحسان وذلك الاحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الاعمال ولكنه نوافل تقربوا بها الى ربهم طلب رضاه وهربا من عقابه والله يحب المحسنين يقول والله يحب المتقربين اليه بنوافل الاعمال التى يرضاها فالاتقاء الاول هو الاتقاء بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والاتقاء الثانى الاتقاء بالثبات على التصديق وترك التبديل والتغيير والاتقاء الثالث هو الاتقاء بالاحسان والتقرب بنوافل الاعمال * فان قال قائل ما الدليل على أن الاتقاء الثالث هو الاتقاء بالنوافل دون أن يكون ذلك بالفرائض قيل انه تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربى الخمر التى شربوها قبل تحريمه اياها اذا هم اتقوا الله فى شربها بعد تحريمها وصدقوا الله ورسوله فى تحريمها وعملوا الصالحات من الفرائض ولا وجه لتكرير ذلك وقد مضى ذكره فى آية واحدة وبنحو الذى قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه جاءت الاخبار عن الصحابة والتابعين ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل تحريم الخمر قالوا يا رسول الله فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل باسناده نحوه حدثنا محمد ابن بشار قال ثنى عبد الكبير بن عبد المجيد قال أخبرنا عباد بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك قال بينا أنا أدير الكاس على أبى طلحة وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبى دجانة حتى مالت رؤسهم من خليط بسر وتمر فسمعنا مناديا ينادى ألا ان الخمر قد حرمت قال فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا

واغتسل

وعقد بالتشديد واحد فى المعنى ولو سلم فالتكرير يحصل بأن يعقدها بقلبه ولسانه أما لو عقد اليمين بأحدهما دون الآخر فلا كفارة ومن قرأ بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك عاقبت اللص وعافاه الله والمعنى على القراءتين ولكن يؤاخذكم بعقد الايمان أو بتعقيدها أو معاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم به أو المراد بنكث ما عقدتم بحذف المضاف فكفارته أى الفعلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها أحد هذه الامور ويسمى بالواجب المخير وحاصله أنه لا يجب الاتيان بكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا أتى بأى واحد منها فانه يخرج عن العهدة ومن هنا قال أكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شئ آخر وهو الصوم أما مقدار الطعام فقد قال الشافعى نصيب كل مسكين مد أى ثلثا من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والحسن والقاسم لانه تعالى قال من أوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا فى العرف فثلثا من الحنطة اذا جعل دقيقا وخبز فانه يصير قريبا من المن وذلك كاف لواحد فى يوم واحد وان كان المراد ما كان متوسطا فى الشرع فليس له فى الشرع مقدار الا ما جاء فى قصة الاعرابى المفطر فى نهار رمضان أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره باطعام ستين

واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل أنتم منتهون فقال رجل يا رسول الله فما منزلة من مات منا وهو يشربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فقال رجل لقتادة سمعته من أنس بن مالك قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وحدثني من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب

حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال لما حرمت الخمر قالوا كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية

حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء مات ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريمها قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فنزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية

حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا داود عن ابن جريج عن مجاهد قال نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فمن قتل ببدر وأحد مع محمد صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى قوله والله يحب المحسنين لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر في سورة المائدة بعد سورة الأحزاب قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصيب فلان يوم بدر وفلان يوم أحد وهم يشربونها فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة فأنزل الله تعالى ذكره ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يقول شربها القوم على تقوى من الله واحسان وهي لهم يومئذ حلال ثم حرمت بعدهم فلا جناح عليهم في ذلك

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قالوا يا رسول الله ما نقول لاخواننا الذين مضوا كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا يعني قبل التحريم اذا ما كانوا محسنين متقين

وقال مرة أخرى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الحرام قبل أن يحرم عليهم اذا ما اتقوا وأحسنوا بعد ما حرم وهو قوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا يعني بذلك رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تحرم الخمر فلم يكن عليهم فيها جناح قبل أن تحرم فلما حرمت قالوا كيف تكون علينا حراما وقد مات اخواننا وهم يشربونها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات يقول ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون قبل أن أحرمها اذا كانوا محسنين متقين والله يحب المحسنين

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي

مسكينا من غير ذكر مقدار فقال الرجل ما أجد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا تلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الأهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطر وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال أبو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة أو صاع من غيرها قال لان الأوسط هو الأعدل وما ذكره الشافعي هو أدنى ما يكفي وأما الأعدل فيكون بادام وهكذا روي عن ابن عباس مد بادامه والادام تبلغ قيمته مدا آخر ويزيد في الاغلب أجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره ما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال أبو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الأهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من أوسط ما تطعمون أهليكم ولقائل أن يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لأجل كيفية الاطعام وقال أبو حنيفة لو أطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة لأن مدار الباب على التعبد الذي

لا يعقل معناه فيجب الوقوف على مورد النص * قال في الكشاف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط ووجه بأن البدل هو المقصود فكانه قيل فكفارته من أوسط وأقول الأظهر أن يكون من أوسط مفعولا آخر للاطعام سواء كان من للابتداء أو للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزى في الكفارة أقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطى العورة ازار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روى عن ابن عباس كانت العباءة تجزى يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان أبيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب تجمع يداه الى رقبته فاذا أطلق حل ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل فك رقبة ثم أجرى ذلك على العتق هكذا قيل في أصل هذا المجاز ومذهب أهل الظاهر أن جميع الرقاب تجزئه وقال الشافعي لا يجزئ الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت أو كبيرة ذكرا أو أنثى بعد أن كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شراء القريب وفي تقديم الاطعام على العتق مع أن العتق أفضل تنبيه على التخيير وأن الامر مبني على التخفيف ويمكن أن يقال الاطعام أفضل لان الحر الفقير قد لا يجد

نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا لمن كان يشرب الخمر ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدر وأحد **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح الآية هذا في شأن الخمر حين حرمت سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله هذه الآية ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد يقول ليختبرنكم الله بشئ من الصيد يعني ببعض الصيد وانما أخبرهم تعالى ذكره أنه يبلوهم بشئ لأنه لم يبلهم بصيد البحر وانما ابتلاهم بصيد البر فالابتلاء ببعض لم يمتنع وقوله تناله أيديكم فانه يعني إما باليد كالبيض والفراخ وإما باصابة النبل والرماح وذلك كالحمر والبقر والظباء فيمتحنكم به في حال احرامكم بعمرتكم أو بحجكم وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال أيديكم صغار الصيد أخذ الفراخ والبيض والرماح قال كبار الصيد **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبي زائدة عن داود عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تناله أيديكم ورماحكم قال النبل ورماحكم تنال كبير الصيد وأيديكم تنال صغير الصيد أخذ الفرخ والبيض **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع و **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد في قوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال ما لا يستطيع أن يفر من الصيد **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أيديكم ورماحكم قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله تعالى به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثوري عن حميد الأعرج وليث عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر ۞ القول في تأويل قوله ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ يعني تعالى ذكره ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال احرامكم كي يعلم أهل طاعة الله والايمان به والمنتهون الى حدوده وأمره ونهيه من الذي يخاف الله فيتقي مانهاه عنه ويجتنبه خوف عقابه بالغيب بمعنى في الدنيا بحيث لا يراه وقد بينا أن الغيب انما هو مصدر قول القائل غاب عني هذا الامر فهو يغيب غيبا وغيبة وأن ما لم يعاين فان العرب تسميه غيبا فتأويل الكلام اذا ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقي محارمه التي حرمها عليه من الصيد وغيره بحيث لا يراه ولا يعاينه وأما قوله فمن اعتدى بعد ذلك فانه يعني فمن تجاوز حد الله الذي حده له بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام فاستحل ما حرم الله عليه منه بأخذه وقتله فله عذاب من الله أليم يعني مؤلم موجع ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تقتلوا الصيد الذي بينت لكم وهو صيد البر دون صيد البحر وأنتم حرم يقول وأنتم محرمون بحج أو عمرة والحرم جمع حرام والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد تقول

هذا رجل حرام وهذه امرأة حرام فاذا قيل محرم قيل للمرأة محرمة والاحرام هو الدخول فيه يقال أحرم القوم اذا دخلوا فى الشهر الحرام أو فى الحرم فتأويل الكلام لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بحج أو عمرة وقوله ومن قتله منكم متعمدا فان هذا اعلام من الله تعالى ذكره عباده حكم القاتل من المحرمين الصيد الذى نهاه عن قتله متعمدا * ثم اختلف أهل التأويل فى صفة العمد الذى أوجب الله على صاحبه به الكفارة والجزاء فى قتله الصيد فقال بعضهم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان قاتله احرامه فى حال قتله وقال ان قتله وهو ذاكر احرامه متعمدا قتله فلا حكم عليه وأمره الى الله قالوا وهذا أجل أمرا من أن يحكم عليه أو يكون له كفارة ذكر من قال ذلك **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم من قتله منكم ناسيا لاحرامه متعمدا لقتله فذلك الذى يحكم عليه فان قتله ذاكرا لحرمه متعمدا لقتله لم يحكم عليه **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى الذى يقتل الصيد متعمدا وهو يعلم أنه محرم ومتعمدا قتله قال لا يحكم عليه ولا يجزئ له وقوله ومن قتله منكم متعمدا قال هو العمد المكفر وفيه الكفارة والخطأ أن يصيبه وهو ناس لاحرامه متعمدا لقتله أو يصيبه وهو يريد غيره فذلك يحكم عليه مرة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا أو أراد غيره فأخطأه فذلك العمد المكفر **حدثنا** يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد فى قوله ومن قتله منكم متعمدا قال متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه **حدثنى** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد قال العمد هو الخطأ المكفر **حدثنا** الحسن ابن عرفة قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا ليث قال قال مجاهد قول الله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال فالعمد الذى ذكر الله تعالى أن يصيب الصيد وهو يريد غيره فيصيبه فهذا العمد المكفر فأما الذى يصيبه غير ناس ولا مريد لغيره فهذا لا يحكم عليه هذا أجل من أن يحكم عليه **حدثنا** ابن وكيع ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد ابن جعفر عن شعبة عن الهيثم عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية ومن قتله منكم متعمدا قال يقتله متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى قال ثنا شعبة عن الهيثم عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال قال ابن جريج ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا لحرمه أو أراد غيره فأخطأه فذلك العمد المكفر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سهل ابن يوسف عن عمرو عن الحسن ومن قتله منكم متعمدا للصيد ناسيا لاحرامه فمن اعتدى بعد ذلك متعمدا للصيد ذاكرا احرامه **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا محمد بن أبى عدى قال ثنا اسمعيل ابن مسلم قال كان الحسن يفتى فيمن قتل الصيد متعمدا ذاكرا لاحرامه لم يحكم عليه * قال اسمعيل وقال حماد عن ابراهيم مثل ذلك **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد ابن سلمة قال أمرنى جعفر بن أبى وحشية أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم الآية فسألته فقال كان عطاء يقول هو بالخيار أى ذلك شاء فعل ان شاء أهدى وان شاء أطعم وان شاء صام فأخبرت به جعفرا وقلت ما سمعت فيه فتلكأ ساعة ثم جعل يتحلك ولا يخبرنى ثم قال كان سعيد بن جبير يقول يحكم عليه من النعم هديا بالغ الكعبة فان لم يجد يحكم عليه ثمنه فقوم طعاما فتصدق به فان لم يجد حكم عليه الصيام فيمن

الطعام أو لا يكون هنالك من يعطيه فيقع فى الضر أما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التأخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك (فمن لم يجد) أحد الامور الثلاثة المذكورة (فصيام) فعليه صيام (ثلاثة أيام) قال الشافعى اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك أنه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلاث فعند وجدانها وجب أن لا يجوز الصوم تركا للعمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لأن ذلك ضرورى وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فبقى الآية معمولا بها فى غيره وعند أبى حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا تجب فيه الزكاة * ثم صيام الأيام الثلاثة مشروط عند أبى حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة أبى وابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات فان قراءتهما لا تتخلف عن روايتهما وقال الشافعى فى أصح قوليه ان التفريق جائز والقراءة الشاذة لا يعتد بها لأنها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له على أيام من رمضان أفأقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم

ثلاثة أيام الى عشرة حدثنا ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنى ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا أو أراد غيره فأخطأ به فذلك العمد المكفر حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذى يتعمد فيه الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله غير محرم فهؤلاء الذين يحكم عليهم فأما من قتله متعمدا بعد نهى الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام فذلك يوكل الى نقمة الله وذلك الذى جعل الله عليه النقمة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد فى قوله ومن قتله منكم متعمدا قال متعمدا القتله ناسيا لاحرامه * وقال آخرون بل ذلك هو العمد من المحرم لقتل الصيد ذاكرا لحرمه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال يحكم عليه فى العمد والخطا والنسيان حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا ابن جريج وحدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قال طاوس والله ما قال الله الا ومن قتله منكم متعمدا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنى بعض أصحابنا عن الزهرى أنه قال نزل القرآن بالعمد وجرت السنة فى الخطا يعنى فى المحرم يصيب الصيد حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم قال ان قتله متعمدا أو ناسيا حكم عليه وان عاد متعمدا عجلت له العقوبة الا أن يعفو الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير قال انما جعلت الكفارة فى العمد ولكن غلظ عليهم فى الخطا كى يتقوا حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو معاوية ووكيع قالا ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير نحوه حدثنا ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنا ابن جريج قال كان طاوس يقول والله ما قال الله الا ومن قتله منكم متعمدا * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى حرم قتل صيد البر على كل محرم فى حال احرامه مادام حراما بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد ثم بين حكم من قتل ما قتل من ذلك فى حال احرامه متعمد القتله ولم يخصص به المتعمد قتله فى حال نسيانه احرامه ولا المخطئ فى قتله فى حال ذكره احرامه بل عم فى التنزيل بايجاب الجزاء كل قاتل صيد فى حال احرامه متعمدا وغير جائز احالة ظاهر التنزيل الى باطن من التأويل لادلالة عليه من نص كتاب ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجماع من الامة ولا دلالة من بعض هذه الوجوه فاذ كان ذلك كذلك فسواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامدا قتله ذاكرا لاحرامه أو عامدا قتله ناسيا لاحرامه أو قاصدا غيره فقتله ذاكرا لاحرامه فى ان على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى وهو مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل من المسلمين أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما وهذا قول عطاء والزهرى الذى ذكرناه عنهما دون القول الذى قاله مجاهد وأما ما يلزم بالخطا قاتله فقد بينا القول فيه فى كتابنا كتاب لطيف القول فى أحكام الشرائع بما أغنى عن ذكره فى هذا الموضع وليس هذا الموضع موضع ذكره لان قصدنا فى هذا الكتاب الابانة عن تأويل التنزيل وليس فى التنزيل للخطا ذكر فنذكر أحكامه * وأما قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم فانه يقول وعليه كفارة وبدل يعنى بذلك جزاء الصيد المقتول يقول تعالى ذكره فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول مثل ما قتل من النعم وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل من النعم وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض البصريين فجزاء مثل ما قتل من النعم باضافة الجزاء الى المثل وخفض المثل

فالدرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فالله أحق أن يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق فى صوم رمضان ففى غيره أولى وأيضا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (مسئلة) من صام ستة أيام عن يمينين أجزأته ولا حاجة الى تعيين احدى الثلاثتين لاحدى اليمينين لان الواجب عن كل منهما ثلاثة أيام وقد أتى بها فيخرج عن العهدة (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب مجردا لحلف وللتنبيه على أن الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين وأما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعى وأحمد موافقا لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا فكفر عن يمينك ثم ائت بالذى هو خير ولان الكفارة حق مالى يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود أحد السببين كتعجيل الزكاة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم أما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تتقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلاة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب وان كان الحنث بارتكاب محظور كأن حلف أن لا يشرب الخمر أجزأه التكفير قبل الشرب أيضا لوجود أحد السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بجزاء مثل ما قتل بتنوين الجزاء ورفع المثل بتأويل فعليه جزاء مثل ما قتل وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ جزاء مثل ما قتل بتنوين الجزاء ورفع المثل لان الجزاء هو المثل فلا وجه لاضافة الشئ الى نفسه وأحسب أن الذين قرؤا ذلك بالاضافة رأوا أن الواجب على قاتل الصيد أن يجزى مثله من الصيد بمثل من النعم وليس ذلك كالذى ذهبوا اليه بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتول نظيره من النعم واذ كان ذلك كذلك فالمثل هو الجزاء الذى أوجبه الله تعالى على قاتل الصيد ولن يضاف الشئ الى نفسه ولذلك لم يقرأ ذلك قارئ علمناه بالتنوين ونصب المثل ولو كان المثل غير الجزاء لجاز فى المثل النصب اذا نون الجزاء كما نصب اليتيم اذ كان غير الاطعام فى قوله أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة وكما نصب الاموات والاحياء ونون الكفات فى قوله ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا اذ كان الكفات غير الأحياء والاموات وكذلك الجزاء لو كان غير المثل لاتسعت القراءة فى المثل بالنصب اذا نون الجزاء ولكن ذلك ضاق فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ونصب المثل اذ كان المثل هو الجزاء وكان معنى الكلام ومن قتله منكم متعمدا فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم * ثم اختلف أهل العلم فى صفة الجزاء وكيف يجزى قاتل الصيد من المحرمين ما قتل بمثله من النعم فقال بعضهم ينظر الى أشبه الاشياء به شبها من النعم فيجزيه به ويهديه الى الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال أما جزاء مثل ما قتل من النعم فان قتل نعامة أو حمارا فعليه بدنة وان قتل بقرة أو أيلا أو أروى فعليه بقرة أو قتل غزالا أو أرنبا فعليه شاة وان قتل ضبا أو حرباء أو يربوعا فعليه سخلة قد أكلت العشب وشربت اللبن حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن أبى مجاهد قال سئل عطاء أيغرم فى صغير الصيد كما يغرم فى كبيره قال أليس يقول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال عليه من النعم مثله حدثنا هناد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قال اذا أصاب المحرم الصيد وجب عليه جزاؤه من النعم فان وجد جزاءه ذبحه فتصدق به فان لم يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ثم قوم الدراهم حنطة ثم صام مكان كل نصف صاع يوما قال انما أريد بالطعام الصوم فاذا وجد طعاما وجد جزاء حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم فان لم يجد نظر كم ثمنه قال ابن حميد نظركم قيمته فقوم عليه ثمنه طعاما فصام مكان كل نصف صاع يوما أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال انما أريد بالطعام الصيام فاذا وجد الطعام وجد جزاءه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فان لم يجد هديا قوم الهدى عليه طعاما وصام عن كل صاع يومين حدثنا هناد قال ثنا عبد بن حميد عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى هذه الآية ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة قال اذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه فان لم يكن عنده قوم عليه ثمنه طعاما ثم صام لكل نصف صاع يوما حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال ابتدرت وصاحب

وبعده لا أثر لهما فيه جميع ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعى أما عند أبى حنيفة وأصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا (واحفظوا أيمانكم) قلوها ولا تكثروا منها أو احفظوها اذا حلفتم عن الحنث وعلى هذا تكون الايمان مختصة بالتى الحنث فيها معصية كمن حلف أن لا يشرب الخمر بخلاف مالو حلف ليشربن فانه لا يؤمر حينئذ بالحفظ عن الحنث وقيل احفظوها بأن تكفروها أو المراد لا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان الشافى (يبين الله لكم آياته) أحكامه وأعلام شريعته (لعلكم تشكرون) نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما فى سورة البقرة وسلك فى سلك التحريم الأنصاب والأزلام وقد ذكرناهما فى أول هذه السورة واعلم أنه كانت تحدث قبل تحريم الخمر أشياء يكرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قصة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روى فى الصحيحين أنه قال كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى شارفا من الخمس فلما أردت أن أبنى بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى لاذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به فى

وليمة عرسى فبينا أنا أجمع لشارفى متاعا من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار أقبلت فاذا أنا بشارفى قد جبت أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عينى حين رأيت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة ابن عبد المطلب وهو فى البيت فى شرب مع امرأة من الانصار غنت أغنيــة فقالت فى غنائها

ألا ياحمز للشرف النواء *

وهن معقــلات بالفناء

ضع السكين فى اللبات منها *

فضرجهن حمزة بالدماء

وأطعم من شرائحها كبابا *

ملهوجة على وهج الصــلاء

فانت أبا عمارة المرجى *

لكشف الضر عنا والبلاء

فوثب الى السيف فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخــذ من أكبادهما قال على رضى الله عنه فانطلقت حتى دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أتيت له فقال مالك فقلت يارسول الله مارأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتى فاجتب أسنمتهما وبقــر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه ثم انطلق يمشى واتبعت أثره أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى فيــه فاستأذن فأذن له فاذا هــم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم

لى ظبيا فى العقبة فأصبته فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فأقبل على رجل الى جنبه فنظر فى ذلك قال فقال اذبح كبشا **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى قال أخبرنى قبيصة بن جابر نحو ما حدث به عبد الملك **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن المسعودى عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال قتــل صاحب لى ظبيا وهو محرم فأمره عمر أن يذبح شاة فيتصدق بلحمها ويسقى اهابها **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن داود بن أبى هند عن بكر بن عبد الله المزنى قال قتل رجل من الأعراب وهو محرم ظبيا فسأل عمر فقال له عمر أهد شاة **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين **وحدثنا** أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا حصين عن الشعبى قال قال قبيصة بن جابر أصبت ظبيا وأنا محرم فأتيت عمر فسألته عن ذلك فأرسل الى عبد الرحمن بن عوف فقلت ياأمير المؤمنين ان أمره أهون من ذلك قال فضربنى بالدرة حتى سابقته عدوا قال ثم قال قتلت الصيــد وأنت محرم ثم تغمص الفتيا قال فجاء عبد الرحمن فحكم شاة **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثــل ماقتل من النعم قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فان قتل أيلا أو نحوه فعليه بقرة وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أرأيت ان قتلت صيدا فاذا هو أعور أو أعرج أو منقوص أغرم مثله قال نعم ان شئت قلت أوفى أحب اليك قال نعم وقال عطاء وان قتلت ولد الظبى ففيه ولد شاة وان قتلت ولد بقرة وحشية ففيه ولد بقرة انسية مثله فكل ذلك على ذلك **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال أخبرنا عبيد بن سليمن الباهلى قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فجزاء مثــل ماقتل من النعم ما كان من صيد البر مما ليس له قرن الحمار والنعامة فعليه مثله من الابل وما كان ذا قرن من صيد البر من وعل أو أيل فجزاؤه من البقر وما كان من ظبى فمن الغنم مثله وما كان من أرنب ففيها ثنية وما كان من يربوع وشبهه ففيه جمل صغير وما كان من جرادة أو نحوها ففيه قبضة من طعام وما كان من طير البر ففيــه أن يقوم ويتصدق بثمنه وان شاء صام لكل نصف صاع يوما وان أصاب فرخ طير بريه أو بيضها فالقيمة فيها طعــام أو صوم على الذى يكون فى الطير غير أنه قد ذكر فى بيض النعام اذا أصابها المحرم أن يحمل الفحل (١) على عدة ما أصاب من البيض على بكارة الابل فما لقح منها أهداه الى البيت وما فسد منها فلا شئ فيه **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع قال أخبرنى ابن جريج قال قال مجاهــد من قتله يعنى الصيد ناسيا أو أراد غيره فاخطأه فذلك العمد المكفر فعليه مثله هديا بالغ الكعبة فان لم يجد ابتاع بثمنه طعاما فان لم يجد صام عن كل مد يوما وقال عطاء فان أصاب انسان نعامة كان له ان كان ذا يسار ماشاء ان شاء يهدى جزورا أو عدلها طعاما أو عــدلها صياما أيهن شاء من أجــل قوله فجزاء أو كذا قال فكل شئ فى القرآن أو أو فليختر منه صاحبه ماشاء **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع قال أخبرنى ابن جريج قال أخبرنى الحسن بن مســلم قال من أصاب من الصيد مايبلغ أن يكون شاة فصاعدا فذلك الذى قال الله تعالى فجزاء مثــل ماقتل من النعم وأما كفارة طعام مساكين فذلك الذى لا يبلغ أن يكون فيه هدى العصفور يقتل فلا يكون فيه قال أو عدل ذلك صياما عدل النعامة أو عدل العصفور أو عدل ذلك كله * وقال آخرون بل يقوم الصيد المقتول قيمته من الدراهم ثم

(١) أى يحمل فحل الابل على بكرات من الابل بقدر عدد البيض المصاب فما لقح الخ

يشترى القاتل بقيمته ندا من النعم ثم يهديه الى الكعبة ذكر من قال ذلك **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبدة عن ابراهيم قال ما أصاب المحرم من شئ حكم فيه فقيمته **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد قال سمعت ابراهيم يقول فى كل شئ من الصيد ثمنه * وأولى القولين فى تأويل الآية ما قال عمر وابن عباس ومن قال بقولهما ان المقتول من الصيد يجزى بمثله من النعم كما قال الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم وغير جائز أن يكون مثل الذى قتل من الصيد دراهم وقد قال الله تعالى من النعم لان الدراهم ليست من النعم فى شئ فان قال قائل فان الدراهم وان لم تكن مثلا للمقتول من الصيد فانه يشترى بها المثل من النعم فيهديه القاتل فيكون بفعله ذلك كذلك جازيا ما قتل من الصيد مثلا من النعم (١) قيل له أفرأيت ان كان المقتول من الصيد صغيرا أو كبيرا أو سليما أو كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما ولا يصيب بقيمته من النعم الا صغيرا أو معيبا أيجوز له أن يشترى بقيمته خلافه وخلاف صفته فيهديه أم لا يجوز ذلك له وهو لا يجد الا خلافه فان زعم أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته الا مثله ترك قوله فى ذلك لان أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته ذلك فيهديه الا ما يجوز فى الضحايا واذا أجاز واشترى مثل المقتول من الصيد بقيمته واهداءها وقد يكون المقتول صغيرا معيبا أجاز وافى الهدى ما لا يجوز فى الاضاحى وان زعم أنه لا يجوز أن يشترى بقيمته فيهديه الا ما يجوز فى الضحايا أوضح بذلك من قوله الخلاف لظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمدا المثل من النعم اذا وجده وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم وهو الى ذلك واجد سبيلا ويقال لقائل ذلك أرأيت ان قال قائل آخر ما على قاتل ما لا يبلغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النعم ما يجوز فى الاضاحى من اطعام ولا صيام لان الله تعالى انما خير قاتل الصيد من المحرمين فى أحد الثلاثة الأشياء التى سماها فى كتابه فاذا لم يكن له الى واحد من ذلك سبيل سقط عنه فرض الآخرين لان الخيار انما كان له ولا له الى الثلاثة سبيل فاذا لم يكن له الى بعض ذلك سبيل بطل فرض الجزاء عنه لأنه ليس ممن عنى بالآية نظير الذى قلت أنت انه اذا لم يكن المقتول من الصيد يبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز فى الضحايا فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه وانما عليه الجزاء بالاطعام أو الصيام هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة﴾ يقول تعالى ذكره يحكم بذلك الجزاء الذى هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم يعنى فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل هديا يقول يقضى بالجزاء ذوا عدل أن يهدى فيبلغ الكعبة والهاء فى قوله يحكم به عائدة على الجزاء ووجه حكم العدلين اذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل أن ينظرا الى المقتول ويستوصفاه فان ذكر أنه أصاب ظبيا صغيرا حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذى قتله فى السن والجسم فان كان الذى أصاب من ذلك كبيرا حكما عليه من الضأن بكبير وان كان الذى أصاب حمار وحش حكما عليه ببقرة ان كان الذى أصاب كبيرا فكبيرا من البقر وان كان صغيرا فصغيرا وان كان المقتول ذكرا فمثله من ذكور البقر وان كان أنثى فمثله من البقر أنثى ثم كذلك ذلك ينظران الى أشبه الاشياء بالمقتول من الصيد شبها من النعم فيحكمان عليه به كما قال تعالى وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فى ذلك بينهم ذكر من قال ذلك بنحو الذى قلنا فيه **حدثنا** هناد بن السرى

(١) لعل فى العبارة تكرارا من الناسخ وأصلها أفرأيت ان كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما ولا يصيب بقيمته الخ تأمل كتبه مصححه

يلوم حزة فيما فعل فاذا حزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال وهل أنتم الا عبيد أبى فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب الموجبة لنزول تحريم الخمر قالت العلماء هذه الآية تدل على تحريمها من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا الرجس وعمل الشيطان ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلها رجسا كما قال فى موضع آخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان وأصل الرجس العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون أى العقاب والغضب وكأنه ابدال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير فلهذا سمى العمل القوى الدرجة فى القبح رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير فى فاجتنبوه عائد الى الرجس أو العمل أو الى المضاف المحذوف أى انما تعاطى الخمر ونحو ذلك ومنها شرح أنواع المفاسد المنتجة منها من

التعادى والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلاة خصوصا وفيه أن غرض الشرب من الاجتماع تأكد الألفة والمودة ثم انها تورث نقيض المقصود لان العقل اذا زال استولت الشهوة والغضب ويؤدى الى التنازع واللجاج وكذا القمار يفضى الى افناء المال والى أن يقامر على حليلته وأهله وولده وكل ذلك يورث العداوة والفتن وهذان من مكايد الشيطان ومضادان لمصالح الانسان وأيضا الخمر سبب تهييج اللذة الجسمية والقمار يورث لذة الغلبة الحالية وكلتاهما توجب الاشتغال عن اللذات الحقيقية الحاصلة من الاستغراق فى طاعة المعبود وانما أفرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فقرنهما أولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها على أنها جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك ثم أفردهما لان الكلام مسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون سوى هذين ومنها سوق الكلام بطريق الاستفهام فى قوله (فهل أنتم منتهون) كأنه قيل قد تلى عليكم ما هو كاف فى باب المنع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم تزجروا ولهذا قالوا قد انتهينا يا رب اذ فهموا التحريم المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم من

قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا داود بن أبى هند عن بكر بن عبد الله المزنى قال كان رجلان من الأعراب محرمين فاجاش أحدهما ظبيا فقتله الآخر فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف فقال له عمر وما ترى قال شاة قال وأنا أرى ذلك اذهبا فأهديا شاة فلما مضيا قال أحدهما لصاحبه ما درى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه فسمعها عمر فردهما فقال هل تقرآن سورة المائدة فقالا لا فقرأها عليهما يحكم به ذوا عدل منكم ثم قال استعنت بصاحبى هذا **حدثنا** أبو كريب ويعقوب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال ابتدرت أنا وصاحب لى ظبيا فى العقبة فأصبته فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فأقبل على رجل الى جنبه فنظر فى ذلك قال فقال اذبح كبشا قال يعقوب فى حديثه فقال لى اذبح شاة فانصرفت فأتيت صاحبى فقلت ان أمير المؤمنين لم يدر ما يقول فقال صاحبى انحر ناقتك فسمعها عمر بن الخطاب فأقبل على ضربا بالدرة وقال تقتل الصيد وأنت محرم وتغمص الفتيا ان الله تعالى يقول فى كتابه يحكم به ذوا عدل منكم هذا ابن عوف وأنا عمر **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى قال أخبرنى قبيصة بن جابر بنحو ما حدث به عبد الملك **حدثنا** هناد وأبو هشام قالا ثنا وكيع عن المسعودى عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال خرجنا فكنا اذا صلينا الغداة اقتدنا وارتحلنا نتماشى نتحدث قال فبينما نحن ذات غداة اذ سنح لنا ظبى أو برح فرماه رجل منا بحجر فما أخطأ خشاشاه فركب وودعه ميتا قال فعظمنا عليه فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر فقص عليه القصة قال واذا الى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة يعنى عبد الرحمن بن عوف فالتفت الى صاحبه فكلمه قال ثم أقبل على الرجل قال أعمدا قتلته أم خطأ قال الرجل لقد تعمدت رميه وما أردت قتله فقال عمر ما أراك الا قد أشركت بين العمد والخطأ اعمد الى شاة فاذبحها وتصدق بلحمها وأسق إهابها قال فقمنا من عنده فقلت أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه اعمد الى ناقتك فانحرها ففعل ذاك قال قبيصة ولا أذكر الآية من سورة المائدة يحكم به ذوا عدل منكم قال فبلغ عمر مقالتى فلم يفجأنا منه الا ومعه الدرة قال فعلا صاحبى ضربا بالدرة وجعل يقول أقتلت فى الحرم وسفهت الحكم قال ثم أقبل على فقلت يا أمير المؤمنين لا أحل لك اليوم شيأ يحرم عليك منى قال يا قبيصة بن جابر انى أراك شاب السن فسيح الصدر بين اللسان وان الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة فاياك وعثرات الشباب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن مخارق عن طارق قال أوطأ أربد ضبا فقتله وهو محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر احكم معى فحكما فيه جديا قد جمع الماء والشجر ثم قال عمر يحكم به ذوا عدل منكم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أصاب صيدا فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك وعنده عبد الله بن صفوان فقال ابن عمر لابن صفوان اما أن أقول فتصدقنى واما أن تقول فأصدقك فقال ابن صفوان بل أنت فقل فقال ابن عمر ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن شريح أنه قال لو وجدت حكما عدلا لحكمت فى الثعلب جديا وجدى أحب الى من الثعلب **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن بكير قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى مجلز أن رجلا سأل ابن عمر عن رجل أصاب صيدا وهو محرم وعنده ابن صفوان فقال له ابن عمر إما أن تقول فأصدقك أو أقول فتصدقنى قال قل وأصدقك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل قال أخبرنى ابن جرير البجلى قال أصبت ظبيا وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر فقال ائت رجلين من

اخوانك فليحكما عليك فأتيت عبد الرحمن وسعيدا فحكما علي يسأ أعفر «قال أبو جعفر» الأعفر الأبيض حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور باسناده عن عمر مثله حدثنا عبد الحميد قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين قال كان رجل على ناقة وهو محرم فأبصر ظبيا يأوى الى أكمة فقال لأنظرن أنا أسبق الى هذه الأكمة أم هذا الظبي فوقعت عنز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلتها فأتى عمر فذكر ذلك له فحكم عليه هو وابن عوف عنزا عفراء قال وهي البيضاء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد أن رجلا أوطأ ظبيا وهو محرم فأتى عمر فذكر ذلك له والى جنبه عبد الرحمن ابن عوف فأقبل على عبد الرحمن فكلمه ثم أقبل على الرجل فقال أهد عنزا عفراء حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول ما أصاب المحرم من شئ لم يمض فيه حكومة استقبل به فيحكم فيه ذوا عدل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى عن عمرو بن حبشي قال سمعت رجلا سأل عبد الله بن عمر عن رجل أصاب ولد أرنب فقال فيه ولدها عز فيما أرى أنا ثم قال لي أكذلك فقلت أنت أعلم مني فقال قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وسهل بن يوسف عن حميد عن بكر أن رجلين أبصرا ظبيا وهما محرمان فتراهنا وجعل كل واحد منهما لمن سبق اليه فسبق اليه أحدهما فرماه بعصاه فقتله فلما قدما مكة أتيا عمر يختصمان اليه وعنده عبد الرحمن بن عوف فذكرا ذلك له فقال عمر هذا قمار ولا أجيزه ثم نظر الى عبد الرحمن فقال ما ترى قال شاة فقال عمر وأنا أرى ذلك فلما قفى الرجلان من عند عمر قال أحدهما لصاحبه ما درى عمر ما يقول حتى سأل الرجل فردهما عمر فقال ان الله تعالى لم يرض بعمر وحده فقال يحكم به ذوا عدل منكم وأنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف * وقال آخرون بل ينظر العدلان الى الصيد المقتول فيقومانه قيمته دراهم ثم يأمران القاتل أن يشتري بذلك من النعم هديا فالحاكمان يحكمان في قول هؤلاء بالقيمة وانما يحتاج اليهما لتقويم الصيد قيمته في الموضع الذي أصابه فيه وقد ذكرنا عن ابراهيم النخعي فيما مضى قبل أنه كان يقول ما أصاب المحرم من شئ حكم فيه قيمته وهو قول جماعة من متفقهة الكوفيين وأما قوله هديا فانه مصدر على الحال من الهاء التي في قوله يحكم به وقوله بالغ الكعبة من نعت الهدى وصفته وانما جاز أن ينعت وهو مضاف الى معرفة لانه في معنى النكرة وذلك أن معنى قوله بالغ الكعبة يبلغ الكعبة فهو وان كان مضافا فمعناه التنوين لأنه بمعنى الاستقبال وهو نظير قوله هذا عارض ممطرنا فوصف بقوله ممطرنا عارضا لان في ممطرنا معنى التنوين لان تأويله الاستقبال فمعناه هذا عارض يمطرنا فكذلك ذلك في قوله هديا بالغ الكعبة ﴿القول في تأويل قوله ﴿أو كفارة طعام مساكين﴾ يقول تعالى ذكره أو عليه كفارة طعام مساكين والكفارة معطوفة على الجزاء في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم * واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة أو كفارة طعام مساكين بالاضافة وأما قراء أهل العراق فان عامتهم قرؤا ذلك بتنوين الكفارة ورفع الطعام أو كفارة طعام مساكين وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بتنوين الكفارة ورفع الطعام للعلة التي ذكرناها في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم واختلف أهل التأويل في معنى قوله أو كفارة طعام مساكين فقال بعضهم معنى ذلك أن القاتل وهو محرم صيدا عمدا لا يخلو من وجوب بعض هذه الاشياء الثلاثة التي ذكر الله تعالى من مثل المقتول هديا بالغ الكعبة أو طعام مساكين كفارة لما فعل أو عدل ذلك صياما الا أنه مخير في أي ذلك شاء فعل وأنه بأيها كان كفر فقد أدى الواجب عليه وانما ذلك اعلام من الله تعالى عباده أن قاتل ذلك كما وصف لن يخرج حكمه من

الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله (فان توليتم) الآية والمراد ان أعرضتم فالحجة قد قامت عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد أعذر من أنذر وجزاء المخالف الى الله المقتدر عن أنس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت أبي طلحة وما شرابهم الا فضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي ألا ان الخمر قد حرمت قال فخرجت في سكك المدينة فقال أبو طلحة اخرج فأرقها فقالوا قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الطعم خلاف الشرب في الأغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز أن يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل أن يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد تقول العرب اطعم أي ذق ونظير هذه الآية قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في (اذا ما اتقوا) معنى الكلام المتقدم أي لا يأثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد أن أولئك كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لأحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض الجهلة أن هذا الحكم متعلق بالمستقبل والاقبل لم يكن أو ما كان جناح مثل وما كان الله

ليضيع والمعنى لاجناح على من طعمها اذا لم يحصل معه العداوة والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل معه أنواع المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان الى الخلق والجواب أن صيغة طعموا وهى المضى تأباه وأيضا ان سبب نزول الآية يكذبه روى أبو بكر الاصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يارسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا القمار وكيف بالغائبين عنا فى البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل لكن فى حق الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص ثم انه سبحانه شرط فى نفى الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفى الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون الاول فعل الاتقاء والثانى دوامه والثبات عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم وقيل الاول اتقاء جميع المعاصى قبل نزول الآية والثانى اتقاء الخمر والميسر وما فى هذه الآية والثالث اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه الآية وهذا قول الأصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الاول الاتقاء من القدح فى صحة النسخ ليثبت تحريم الخمر بعد أن كانت مباحة والثانى الاتيان بالعمل المطابق للآية والثالث المداومة على التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم انه سبحانه استثنى بعض الصيد من المحللات

احدى الخلال الثلاثة قالوا فحكمه ان كان على المثل قادرا أن يحكم عليه بمثل المقتول من النعم لايجزيه غير ذلك مادام للمثل واجدا قالوا فان لم يكن له واجدا أو لم يكن للمقتول مثل من النعم فكفارته حينئذ اطعام مساكين ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام وان قتل أيلا أو نحوه فعليه بقرة فان لم يجد أطعم عشرين مسكينا فان لم يجد صام عشرين يوما وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فان لم يجد صام ثلاثين يوما والطعام مد مد يشبعهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم الى قوله يحكم به ذوا عدل منكم فالكفارة من قتل ما دون الارنب اطعام **حدثنا** هناد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم فان وجد جزاءه ذبحه فتصدق به وان لم يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ثم قومت الدراهم حنطة ثم صام مكان كل صاع يوما قال انما أريد بالطعام الصوم فاذا وجد طعاما وجد جزاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبدالرحمن عن زهير عن جابر عن عطاء ومجاهد وعامر أو عدل ذلك صياما ليذوق قال انما الطعام لمن لم يجد الهدى **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول اذا أصاب المحرم شيأ من الصيد عليه جزاؤه من النعم فان لم يجد قوم الجزاء دراهم ثم قومت الدراهم طعاما ثم صام لكل نصف صاع يوما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد قال اذا أصاب المحرم الصيد فحكم عليه فان فضل منه مالا يتم نصف صاع صام له يوما ولا يكون الصوم الا على من لم يجد ثمن هدى فيحكم عليه الطعام فان لم يكن عنده طعام يتصدق به حكم عليه الصوم فصام مكان كل نصف صاع يوما كفارة طعام مساكين قال فيما لا يبلغ ثمن هدى أو عدل ذلك صياما من الجزاء اذا لم يجد ما يشترى به هديا أو ما يتصدق به مما لا يبلغ ثمن هدى حكم عليه الصيام مكان كل نصف صاع يوما **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم قال عليه من النعم مثله هديا بالغ الكعبة ومن لم يجد ابتاع بقيمته طعاما فيطعم كل مسكين مدين فان لم يجد صام عن كل مدين يوما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ومن قتله منكم متعمدا الى قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال اذا قتل صيدا فعليه جزاؤه مثل ماقتل من النعم فان لم يجد ما حكم عليه قوم الفداء كم هو درهما وقدر ثمن ذلك بالطعام على المسكين فصام عن كل مسكين يوما ولا يحل طعام المسكين لان من وجد طعام المسكين فهو يجد الفداء **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قال لى الحسن بن مسلم من أصاب الصيد مما جزاؤه شاة فذلك الذى قال الله تعالى فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم وما كان من كفارة طعام مساكين مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هدى أو عدل ذلك صياما ليذوق قال عدل النعامة أو العصفور أو عدل ذلك كله فذكرت ذلك لعطاء فقال كل شئ فى القرآن أو أو فلصاحبه أن يختار ماشاء **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله لاتقتلوا الصيد

وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فان لم يجد جزاء قوم عليه الجزاء طعاما ثم صام لكل صاع يوما ﴿ وقال آخرون معنى ذلك أن القاتل صيدا عمدا وهو محرم الخيار بين احدى الكفارات الثلاث وهى الجزاء بمثله من النعم والطعام والصوم قالوا وانما تأويل قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما فعليه أن يجزى بمثله من النعم أو يكفر باطعام مساكين أو بعدل الطعام من الصيام ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء فى قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال ان أصاب انسان محرم نعامة فان له ان كان ذا يسار أن يهدى ما شاء جزورا أو عدل لها طعاما أو عدلها صياما قال كل شئ فى القرآن أو أو فليختر منه صاحبه ما شاء حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء فى قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قال ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أسباط وعبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال ما كان فى القرآن أو أو فهو فيه بالخيار وما كان فمن لم يجد فالاول ثم الذى يليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن مثله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الليث عن عطاء ومجاهد أنهما قالا فى قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قالا ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو حمزة عن الحسن ﴿ قال وأخبرنا عبيدة عن ابراهيم قالا كل شئ فى القرآن أو أو فهو بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا هناد قال ثنا حفص عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال كل شئ فى القرآن أو أو فصاحبه مخير فيه وكل شئ فمن لم يجد فالاول ثم الذى يليه ﴿ واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة فى صفة اللازم له من التكفير بالاطعام والصوم اذا اختار الكفارة بأحدهما دون الهدى فقال بعضهم اذا اختار التكفير بذلك فان الواجب عليه أن يقوم المثل من النعم طعاما ثم يصوم مكان كل مد يوما ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال أخبرنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما أو عدل ذلك صياما قال ان أصاب ما عدله شاة أقيمت الشاة طعاما ثم جعل مكان كل مد يوما يصومه ﴿ وقال آخرون بل الواجب عليه اذا أراد التكفير بالاطعام أو الصوم أن يقوم الصيد المقتول طعاما ثم يتصدق بالطعام ان اختار الصدقة وان اختار الصوم صام ﴿ ثم اختلفوا أيضا فى الصوم فقال بعضهم يصوم لكل مد يوما وقال آخرون يصوم مكان كل نصف صاع يوما وقال آخرون يصوم مكان كل صاع يوما ذكر من قال المتقوم للاطعام هو الصيد المقتول حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا شعبة عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد الآية قال كان قتادة يقول يحكمان فى النعم فان كان ليس صيده ما يبلغ ذلك نظروا ثمنه فقوموه طعاما ثم صام مكان كل صاع يومين ﴿ وقال آخرون لا معنى للتكفير بالاطعام لان من وجد سبيلا الى التكفير بالاطعام فهو واجد الى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا ومن وجد الى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا لم يجزه التكفير بغيره قالوا وانما ذكر الله تعالى ذكره الكفارة بالاطعام فى هذا الموضع ليدل على صفة التكفير بالصوم لا أنه جعل التكفير بالاطعام احدى الكفارات التى يكفر بها قتل الصيد وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل ﴿ وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم أن يكون

فقال على سبيل التوكيد القسمى (ليبلونكم الله) أى ليعاملنكم معاملة المختبر (بشئ) التنوين للتحقير وفيه أنه ليس من الفتن العظام التى تدحض عندها الأقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال فامتحن الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بصيد البر كما امتحن أصحاب أيلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير يغشاهم فى رحالهم فيقدرون على أخذها بالأيدى وصيدها بالرماح ومارأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدى الذى تناله أيديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذى تناله الرماح الكبار ومن فى من الصيد للبيان أو للتبعيض وهو صيد البر أو صيد الاحرام والمراد به العين لا الحدث بدليل عود الضمير فى تناله اليه (ليعلم الله) ليظهر معلومه وهو خوف الخائف أو ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم أو ليعلم أولياء الله ومحل (بالغيب) النصب على الحال أى يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته أو عن حضور الناس (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) فى الآخرة وقيل فى الدنيا عن ابن عباس هو أن يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه (لا تقتلوا الصيد) قال الشافعى انه البرى المتوحش المأكول اللحم أما الأول فلقوله تعالى بعد ذلك أحل لكم صيد البحر وأما المتوحش

مراده فعلى قاتله متعمدا مثل الذى قتل من النعم لا القيمة ان اختار أن يجزيه بالمثل من النعم وذلك أن القيمة انما هى من الدنانير أو الدراهم والدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل والله تعالى انما أوجب الجزاء مثلا من النعم * وأولى الاقوال بالصواب عندى فى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما أن يكون تخييرا وأن يكون للقاتل الخيار فى تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأى هذه الكفارات الثلاث شاء لان الله تعالى جعل ما أوجب فى قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله وتكفيرا لذنبه فى اتلافه ما أتلف من الصيد الذى كان حراما عليه اتلافه فى حال احرامه وقد كان حلالا له قبل حال احرامه كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال احرامه وقد كان له حلقه قبل حال احرامه ثم منع من حلقه فى حال احرامه نظير الصيد ثم جعل عليه ان حلقه جزاء من حلقه اياه فأجمع الجميع على أنه فى حلقه اياه اذا حلقه من ايذائه مخير فى تكفيره فعليه ذلك بأى الكفارات الثلاث شاء فمثله ان شاء الله قاتل الصيد من المحرمين وأنه مخير فى تكفيره قتله الصيد بأى الكفارات الثلاث شاء لا فرق بين ذلك ومن أبى ما قلنا فيه قيل له حكم الله تعالى على قاتل الصيد بالمثل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدله صياما كما حكم على الحالق بفدية من صيام أو صدقة أو نسك فزعمت أن أحدهما مخير فى تكفير ما جعل منه عوض بأى الثلاث شاء وأنكرت أن يكون ذلك للآخر فهل بينك وبين من عكس عليك الامر فى ذلك فجعل الخيار فيه حيث أبيت وأبى حيث جعلته له فرق من أصل أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله * ثم اختلفوا فى صفة التقويم اذا أراد التكفير بالاطعام فقال بعضهم يقوم الصيد قيمته بالموضع الذى أصابه فيه وهو قول ابراهيم النخعى وحماد وأبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد وقد ذكرت الرواية عن ابراهيم وحماد فيما مضى بما يدل على ذلك وهو نص قول أبى حنيفة وأصحابه * وقال آخرون بل يقوم ذلك بسعر الارض التى يكفر بها ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال فى محرم أصاب صيدا بخراسان قال يكفر بمكة أو بمنى وقال يقوم الطعام بسعر الارض التى يكفر بها

حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى فى رجل أصاب صيدا بخراسان قال يحكم عليه بمكة * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن قاتل الصيد اذا جزاه بمثله من النعم فانما يجزيه بتطيره فى خلق وقدره فى جسمه من أقرب الاشياء به شبها من الانعام فان جزاه بالاطعام قومه قيمته بموضعه الذى أصابه فيه لانه هنالك وجب عليه التكفير بالاطعام ثم ان شاء أطعم بالموضع الذى أصابه فيه وان شاء بمكة وان شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء لان الله تعالى انما شرط بلوغ الكعبة بالهدى فى قتل الصيد دون غيره من جزائه فللجازى بغير الهدى أن يجزيه بالاطعام والصوم حيث شاء من الارض وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل العلم ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا ابن أبى عروبة عن أبى معشر عن ابراهيم قال ما كان من دم فبمكة وما كان من صدقة أو صوم حيث شاء وقد خالف ذلك مخالفون فقالوا لا يجزئ الهدى والاطعام الا بمكة فأما الصوم فان كفر به يصوم حيث شاء من الارض ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن حماد ابن سلمة عن قيس بن سعد عن عطاء قال الدم والطعام بمكة والصيام حيث شاء

حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مالك بن مغول عن عطاء قال كفارة الحج بمكة

حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قلت لعطاء أين يتصدق بالطعام ان بدا له قال بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدى قال جزاء مثل ما قتل من النعم هديا بالغ الكعبة من أجل أنه

فيدخل فيه نحو الظبى وان صار مستأنسا ويخرج الانسى وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل وأما كونه مأكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه أنه مما يحل أكله فى غير الاحرام وقال أبو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم أنه لا يجب الضمان فى قتل الذئب وفى قتل الفواسق الخمس فقال الشافعى لا معنى فى قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع المؤذيات لاسيما وقد جاء خمس يقتلن فى الحل والحرم الغراب والحدأة والحية والعقرب والكلب العقور وفى رواية بزيادة السبع العادى واحتج لأبى حنيفة بقول على رضى الله عنه صيد الملوك أرانب وثعالب *

فاذا ركبت فصيدى الأبطال

وزيف بأن الثعلب عندنا حلال (وأنتم حرم) أى محرمون بالحج والعمرة أيضا على الاصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل هما مرادان بالآية وهو قول الشافعى وقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له أن يتعرض للصيد مادام محرما أو فى الحرم بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل أو صيد الحرم (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل) من قرأ جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول أى فعليه أن يجزى مثل ما قتل قال

أصابه فى حرم يريد البيت جزاؤه عند البيت * فأما الهدى فانه من جزاء ماقتل من الصيد فلن يجزئه من كفارة ماقتل من ذلك الا أن يبلغه الكعبة طيبا ونحره أو يذبحه ويتصدق به على مساكين الحرم ويعنى بالكعبة فى هذا الموضع الحرم كله ولمن قدم بهديه الواجب من جزاء الصيد أن ينحره فى كل وقت شاء قبل يوم النحر وبعده ويطعمه وكذلك ان كفر بالطعام فله أن يكفر به متى أحب وحيث أحب وان كفر بالصوم فكذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل خلاما ذكرنا من اختلافهم فى التكفير بالاطعام على ماقد بينا فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أوعدل ذلك صياما هل لصيامه وقت قال لا اذا شاء وحيث شاء وتعجيله أحب الىّ حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء رجل أصاب صيدا فى الحج أو العمرة فأرسل بجزائه الى الحرم فى المحرم أو غيره من الشهور أيجزئ عنه قال نعم ثم قرأ هديا بالغ الكعبة قال هناد قال يحيى وبه نأخذ حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج وابن أبى سليمن عن عطاء قال اذا قدمت مكة بجزاء صيد فانحره فان الله تعالى يقول هديا بالغ الكعبة الا أن يقدم فى العشر فيؤخر الى يوم النحر حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا ابن جريج عن عطاء قال يتصدق الذى يصيب الصيد بمكة فان الله تعالى يقول هديا بالغ الكعبة ۞ القول فى تاويل قوله ﴿أو عدل ذلك صياما﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك أو على قاتل الصيد محرما عدل الصيد المقتول من الصيام وذلك أن يقوم الصيد حيا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذى قتله فيه المحرم ثم يصوم مكان كل مد يوما وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم عدل المد من الطعام بصوم يوم فى كفارة المواقع فى شهر رمضان فان قال قائل فهلا جعلت مكان كل صاع فى جزاء الصيد صوم يوم قياسا على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى نظيره وذلك حكمه على كعب بن عجرة اذ أمره أن يطعم ان كفر بالاطعام فرقا من طعام وذلك ثلاثة آصع بين ستة مساكين فان كفر بالصيام أن يصوم ثلاثة أيام فجعل الايام الثلاثة فى الصوم عدلا من اطعام ثلاثة آصع (١) فان ذلك بالكفارة فى جزاء الصيد أشبه من الكفارة فى قتل الصيد بكفارة المواقع امرأته فى شهر رمضان قيل ان القياس انما هو رد الفروع المختلف فيها الى نظائرها من الاصول المجمع عليها ولا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ مكفرا كفر فى قتل الصيد بالصوم أن يعدل صوم يوم بصاع طعام فان كان ذلك كذلك وكان غير جائز خلافها فيما حدثت به من الدين مجمعة عليه صح بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعام فى قتل الصيد مخالف حكم معادلته اياه فى كفارة الحلق اذا كان غير جائز (٢) وداخل على آخر قياسا وانما يجوز أن يقاس الفرع على الاصل وسواء قال قائل هلا رددت حكم الصوم فى كفارة قتل الصيد على حكمه فى حلق الاذى فيما يعدل به من الطعام وآخر قال هلا رددت حكم الصوم فى الحلق على حكمه فى كفارة قتل الصيد فيما يعدل به من الطعام فتوجب عليه مكان كل مد أو مكان كل نصف صاع صوم يوم وقد بينا فيما مضى قبل أن العدل فى كلام العرب بالفتح وهو قدر الشئ من غير جنسه وأن العدل هو قدره من جنسه وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول العدل مصدر من قول القائل عدلت هذا بهذا عدلا حسنا قال والعدل أيضا بالفتح المثل ولكنهم فرقوا بين العدل فى هذا وبين عدل المتاع بأن كسروا العين من عدل المتاع وفتحوها من قولهم ولا يقبل منها عدل وقول الله عز وجل أو عدل ذلك صياما كما قالوا امرأة رزان وحجر رزين وقال بعضهم العدل

(١) فى التركيب تشويش ومراده أن الحاق كفارة الصيد بكفارة الحلق أشبه من الحاقها بكفارة المواقع فتأمل كتبه مصححه

بعض العلماء المثل مقحم للتأكيد اذا الواجب عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم أنا أحب مثلك أى أحبك وقيل الاضافة بمعنى من أى جزاء من مثل ماقتل قال سعيد ابن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا يلزمه شئ وهو قول داود لان النهى ورد عن التعمد وهو أن يقتله ذاكرا لاحرامه أو عالما أن مايقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد أو رمى غير صيد فعدل السهم فأصاب صيدا فهو مخطئ لا شئ عليه لفقدان القيد المذكور ويتأكد هذا الرأى بقوله ليذوق وبال أمره وبقوله ومن عاد أى الى ماتقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام أيضا يناسب العمد لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء قتل عمدا أو خطأ قياسا على سائر محظورات الاحرام كحلق الرأس وغيره وكما فى ضمان مال المسلم فانه لما ثبتت الحرمة لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا أو لا وانما وردت الآية بالتعمد لان العمد أصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روى أنه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ قال صلى الله عليه وسلم فى الضبع كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة فى الظبى شاة أطلقوا الضمان

من غير فرق بين العمد والخطائم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد بن الحسن الصيد ضربان منه ماله مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال أبو حنيفة وأبو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمن وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر أنهم حكموا في أمكنة مختلفة وأزمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة ويعني به كل ماعب وهدر كالقمري والدبسي الفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيعه صوته وتغريده وفيه دليل على أنهم نظروا الى أقرب الأشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلف باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال أنثاه والجفرة من أولاد المعز اذا انفصلت من أمها والعناق الأنثى من أولاد المعز وأيضا المقصود من الضمان جبر الهلاك فكلما كانت المماثلة تم كان الجبر أكمل ﴿وههنا مسائل﴾ الاولى جماعة

هو القسط في الحق والعدل بالكسر المثل وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى وأما نصب الصيام فانه على التفسير كما يقال عندي مل ء زق سمنا وقدر رطل عسلا ونحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما عدل ذلك صياما قال عدل الطعام من الصيام قال لكل مد يوما يؤخذ زعم بصيام رمضان وبالظهار وزعم أن ذلك رأي يراه ولم يسمعه من أحد ولم يمض به سنة قال ثم عاودته بعد ذلك بحين قلت ما عدل ذلك صياما قال ان أصاب ما عدله شاة قومت طعاما ثم صام مكان كل مد يوما قال ولم أسأله هذا رأي أو سنة مسنونة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل أو عدل ذلك صياما قال يصوم ثلاثة أيام الى عشرة أيام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد أو عدل ذلك صياما من الجزاء اذا لم يجد ما يشتري به هديا أو ما يتصدق به مما لا يبلغ ثمن هدي حكم عليه الصيام مكان كل نصف صاع يوما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو عدل ذلك صياما قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام وان قتل أيلا أو نحوه فعليه بقرة فان لم يجد ها أطعم عشرين مسكينا فان لم يجد صام عشرين يوما وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فان لم يجد صام ثلاثين يوما والطعام مد مد يشبعهم حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد المحرم يصيب الصيد فيكون عليه الفدية شاة أو البقرة أو البدنة فان لم يجد فاعدل ذلك من الصيام أو الصدقة قال ثمن ذلك فان لم يجد ثمنه قوم ثمنه طعاما يتصدق به لكل مسكين مد ثم يصوم لكل مد يوما ۞ القول في تأويل قوله ﴿ليذوق وبال أمره﴾ يقول جل ثناؤه أوجبت على قاتل الصيد محرما ما أوجبت من الحق أو الكفارة الذي ذكرت في هذه الآية كي يذوق وبال أمره وعذابه يعني بأمره ذنبه وفعله الذي فعله من قتله ما نهاه الله عز وجل عن قتله في حال احرامه يقول فألزمته الكفارة التي ألزمته اياها لأذيقه عقوبة ذنبه بالزامه الغرامة والعمل ببدنه مما يتعبه ويشق عليه وأصل الوبال الشدة في المكروه ومنه قول الله فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا وقد بين تعالى ذكره بقوله ليذوق وبال أمره أن الكفارات اللازمة الاموال والابدان عقوبات منه لخلقه وان كانت تمحيصا لهم وكفارة لذنوبهم التي كفروها بها ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما وبال أمره فعقوبة أمره ۞ القول في تأويل قوله ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه﴾ يقول جل ثناؤه لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله أيها المؤمنون عما سلف منكم في جاهليتكم من اصابتكم الصيد وأنتم حرم وقتلكموه فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه اياه عليكم ولا يلزمكم له كفارة في مال ولا نفس ولكن من عاد منكم لقتله وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذي كان يقتله في حال كفره وقبل تحريمه عليه من استحلاله قتله فينتقم الله منه وقد يحتمل أن يكون ذلك معناه من عاد لقتله بعد تحريمه في الاسلام فينتقم الله منه في الآخرة فأما في الدنيا فان عليه من الجزاء والكفارة فيها ما بينت واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي زائدة هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما عفا الله عما سلف قال عما كان في الجاهلية قال قلت ما

ومن عاد فينتقم الله منه قال من عاد فى الاسلام فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء فذكر نحوه وزاد فيه وقال وان عاد فقتل عليه الكفارة قلت هل فى العود من حد يعلم قال لا قلت فترى حقا على الامام أن يعاقبه قال هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ولكن يفتدى **حدثنا** سفيان قال ثنا محمد بن بكر وأبو خالد عن ابن جريج عن عطاء ومن عاد فينتقم الله منه قال فى الاسلام وعليه مع ذلك الكفارة قلت عليه من الامام عقوبة قال لا **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع و **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء عفا الله عما سلف عما كان فى الجاهلية ومن عاد قال فى الاسلام فينتقم الله منه وعليه الكفارة قال قلت لعطاء فعليه من الامام عقوبة قال لا **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال يحكم عليه فى الخطا والعمد والنسيان وكلما أصاب قال الله عز وجل عفا الله عما سلف قال ما كان فى الجاهلية ومن عاد فينتقم الله منه مع الكفارة قال سفيان قال ابن جريج فقلت أيعاقبه السلطان قال لا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر وأبو خالد عن ابن جريج قال قلت لعطاء عفا الله عما سلف قال عما كان فى الجاهلية **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن عطاء بن أبى رباح أنه قال يحكم عليه كلما عاد **حدثنا** هناد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كلما أصاب المحرم الصيد ناسيا حكم عليه **حدثنى** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم قال كلما أصاب الصيد المحرم حكم عليه **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن عطاء قال من قتل الصيد ثم عاد حكم عليه **حدثنا** عمرو قال ثنا سفيان بن عيينة عن داود بن أبى هند عن سعيد بن جبير قال يحكم عليه فيخلع أو يترك **حدثنا** عمرو قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود بن أبى هند عن سعيد بن جبير الذى يصيب الصيد وهو محرم فيحكم عليه ثم يعود قال يحكم عليه **حدثنا** عمرو قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا الفرات بن سليمان عن عبد الكريم عن عطاء قال يحكم عليه كلما عاد * وقال آخرون معنى ذلك عفا الله عما سلف منكم فى ذلك فى الجاهلية ومن عاد فى الاسلام فينتقم الله منه بالزامه الكفارة ذكر من قال ذلك **حدثنى** ابن البرقى قال ثنا عمرو عن زهير عن سعيد بن جبير وعطاء فى قول الله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه قالا ينتقم الله يعنى بالجزاء عفا الله عما سلف فى الجاهلية * وقال آخرون فى ذلك عفا الله عما سلف من قتل من قتل منكم الصيد حراما فى أول مرة ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراما فالله ولى الانتقام منه دون كفارة تلزمه لقتله اياه ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس من قتل شيأ من الصيد خطأ وهو محرم حكم عليه فيه مرة واحدة فان عاد يقال له ينتقم الله منك كما قال الله عز وجل **حدثنا** يحيى ابن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه فان عاد لم يحكم عليه وكان ذلك الى الله عز وجل ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه ثم قرأ هذه الآية ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام **حدثنا** هناد قال ثنا يحيى بن أبى زائدة قال ثنا داود عن عامر قال جاء رجل الى شريح فقال انى أصبت صيدا وأنا محرم فقال هل أصبت قبل ذلك شيأ قال لا قال لو قلت نعم وكلتك الى الله يكون هو ينتقم منك انه عزيز ذو انتقام قال داود فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال بل يحكم عليه أو يخلع **حدثنى** أبو السائب وعمرو بن على قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال اذا أصاب الرجل الصيد

محرمون قتلوا صيدا فالشافعى وأحمد واسحق لا يجب عليهم الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد وقال أبو حنيفة ومالك والثورى على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم جميعا وكذا لو حلف كل منهم أن لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة وأجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعبدى وتعدد الكفارة لتعدد الايمان * الثانية قال الشافعى المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن كما لا يجب بالدلالة كفارة القتل ولا الدية وكما لو دل على مال المسلم وذلك لان الدلالة ليست بقتل ولا اتلاف وقال أبو حنيفة يضمن لما روى أن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس أوجبوا الجزاء على الدال * الثالثة قال الشافعى اذا جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الأسهل لانه قد لا يجد شريكا فى ذبح شاة ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزنى عليه شاة وقال داود لا ضمان الا بالقتل لظاهر الآية حيث نيط الجزاء بالقتل فقط * الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وأدى جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء آخر خلافا لداود وينقل عن ابن عباس وشريح **حجة الجمهور** أن الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهى طالق فدخلت واحدة مرتين فانه لا يقع الا طلاق

واحد لان تكرار الحكم بتكرر الشرط غير لازم بحجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة * الخامسة قال الشافعي اذا أصاب صيدا أعور أو مكسور اليد أو الرجل فداه بمثله والصحيح أحب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والانثى بالذكر والانثى والاولى أن لا يغير تحقيقا للمثلية فالانثى أفضل لانها تلد والذكر أفضل من حيث ان لحمه أطيب وصورته أحسن قوله سبحانه (يحكم به ذوا عدل منكم) قال ابن عباس أى رجلان صالحان فقيهان من أهل دينكم ينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا احتج من نصر قول أبى حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد وأما الخلقة والصورة فشاهد لا يفتقر الى الاجتهاد ورد بأن وجه المشابهة بين النعم والصيد أيضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر أنه ضرب ظبيا فى الاحرام فمات فسأل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ماترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فاذهب فأهد شاة قال قبيصة فخرجت الى صاحبى وقلت ان أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأنى عمر وعلانى بالدرة وقال أتقتل فى الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روى أنه صلى الله عليه وسلم

وهو محرم قيل له أصبت صيدا مثل هذا فان قال نعم قيل له اذهب فينتقم الله منك وان قال لا حكم عليه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن ابراهيم فى الذى يقتل الصيد ثم يعود قال كانوا يقولون من عاد لا يحكم عليه أمره الى الله عز وجل **حدثنا** عمرو قال ثنا ابن عيينة عن داود بن أبى هند عن الشعبى أن رجلا أتى شريحا فقال أصبت صيدا قال أصبت قبله صيدا قال لا قال أما انك لو قلت نعم لم أحكم عليك **حدثنا** عمرو قال ثنا ابن أبى عدى قال ثنا داود عن الشعبى عن شريح مثله **حدثنا** عمرو قال ثنا أبو عاصم عن الأشعث عن محمد عن شريح فى الذى يصيب الصيد قال يحكم عليه فان عاد انتقم الله منه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم قال يحكم عليه فى العمد مرة واحدة فان عاد لم يحكم عليه وقيل له اذهب ينتقم الله منك ويحكم عليه فى الخطأ أبدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال رخص فى قتل الصيد مرة فمن عاد لم يدعه الله تعالى حتى ينتقم منه **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدى جميعا عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فيمن أصاب صيدا فحكم عليه ثم عاد قال لا يحكم ينتقم الله منه **حدثنا** عمرو قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما قال الله عز وجل ومن قتله منكم متعمدا يقول متعمد القتل ناسيا الاحرام فذلك الذى يحكم عليه فان عاد لا يحكم عليه وقيل له ينتقم الله منك **حدثنا** عمرو قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا الفرات بن سليمن عن عبد الكريم عن مجاهد ان عاد لم يحكم عليه وقيل له ينتقم الله منك **حدثنا** عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا الأشعث عن الحسن فى الذى يصيب الصيد فيحكم عليه ثم يعود قال لا يحكم عليه * وقال آخرون معنى ذلك عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذلك عليكم ومن عاد لقتله بعد تحريم الله اياه عليه عالما بتحريمه ذلك عليه عامدا لقتله ذاكرا لاحرامه فان الله هو المنتقم منه ولا كفارة لذنبه ذلك ولا جزاء يلزمه له فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال من عاد بعد نهى الله بعد أن يعرف أنه محرم وانه ذاكر لحرمه لم ينبغ لأحد أن يحكم عليه وكلوه الى نقمة الله عز وجل فأما الذى يتعمد قتل الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله محرم فهؤلاء الذين يحكم عليهم فأما من قتله متعمدا بعد نهى الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام فذلك يوكل الى نقمة الله فذلك الذى جعل الله عليه النقمة وهذا شبيه بقول مجاهد الذى ذكرناه قبل * وقال آخرون عنى بذلك شخص بعينه ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا معتمر بن سليمن قال ثنا زيد أبو المعلى أن رجلا أصاب صيدا وهو محرم فتجوز له عنه ثم عاد فأرسل الله عليه نارا فأحرقته فذلك قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال فى الاسلام * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا قول من قال معناه ومن عاد فى الاسلام لقتله بعد نهى الله تعالى عنه فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة لان الله عز وجل اذ أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا وقد أوجب عليه فى قتله الصيد عمدا ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم أنه قد أزال عنه الكفارة فى المرة الثانية والثالثة بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمدا ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد ولم يقل ولا كفارة عليه فى الدنيا فان ظن ظان أن الكفارة مزيلة للعقاب ولو كانت الكفارة لازمة له فى الدنيا لبطل العقاب فى الآخرة فقد ظن

خطأ وذلك أن الله عز وجل أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء وأحب فيزيد في عقوبته على بعض معاصيه مما ينقص من بعض وينقص من بعض مما يزيد في بعض كالذي فعل من ذلك في مخالفته بين عقوبته الزاني البكر والزاني الثيب المحصن وبين سارق ربع دينار وبين سارق أقل من ذلك فكذلك خالف بين عقوبته قاتل الصيد من المحرمين عمدا ابتداء وبين عقوبته عودا بعد بدء فأوجب على البادئ المثل من النعم أو الكفارة بالاطعام أو العدل من الصيام وجعل ذلك عقوبة جرمه بقوله ليذوق وبال أمره وجعل على العائد بعد البدء وزاده من عقوبته ما أخبر عباده أنه فاعل به من الانتقام تغليظا منه للعود بعد البدء ولو كانت عقوباته على الاشياء متفقة لوجب أن لا يكون حد في شئ مخالفا حدا في غيره ولا عقاب في الآخرة أغلظ من عقاب وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك ومن عاد في الاسلام بعد نهي الله عن قتله لقتله بالمعنى الذي كان القوم يقتلونه في جاهليتهم فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم وذلك قتله على استحلال قتله قال فأما اذا قتله على غير ذلك الوجه وذلك أن يقتله على وجه الفسوق لا على وجه الاستحلال فعليه الجزاء والكفارة كلما عاد وهذا قول لا نعلم قائلا قاله من أهل التأويل وكفى خطأ بقوله خروجه عن أقوال أهل العلم لو لم يكن على خطئه دلالة سواه فكيف وظاهر التنزيل ينبئ عن فساده وذلك أن الله عم بقوله ومن عاد فينتقم الله منه كل عائد لقتل الصيد بالمعنى الذي تقدم النهي منه به في أول الآية ولم يخص به عائدا منهم دون عائد فمن ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره كلف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له وأما من زعم أن معنى ذلك ومن عاد في قتله متعمدا بعد بدء لقتل تقدم منه في حال احرامه فينتقم الله منه فان معنى قوله عفا الله عما سلف انما هو عفا الله عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدأ فان في قول الله تعالى ليذوق وبال أمره دليلا واضحا على أن القول في ذلك غير ما قال لان العفو عن الجرم ترك المؤاخذة به ومن أذيق وبال جرمه فقد عوقب به وغير جائز أن يقال لمن عوقب قد عفي عنه وخبر الله أصدق من أن يقع فيه تناقض فان قال قائل وما ينكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين في أول مرة قد أذيق وبال أمره بما ألزم من الجزاء والكفارة وعفي له من العقوبة بأكثر من ذلك مما كان لله عز وجل أن يعاقبه به قيل له فان كان ذلك جائزا أن يكون تأويل الآية عندك وان كان مخالفا القول أهل التأويل فما ينكر أن يكون الانتقام الذي أوعده الله على العود بعد البدء هو تلك الزيادة التي عفاها عنه في أول مرة مما كان له فعله به مع الذي أذاقه من وبال أمره فيذيقه في عوده بعد البدء وبال أمره الذي أذاقه المرة الاولى ويترك عفوه عما عفا عنه في البدء فيؤاخذه به فلم يقل في ذلك شيأ ألزم في الآخر مثله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ والله عزيز ذو انتقام ﴾ يقول عز وجل والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ولا من عقوبته من أراد عقوبته مانع لان الخلق خلقه والأمر أمره له العزة والمنعة وأما قوله ذو انتقام فانه يعني به معاقبته لمن عصاه على معصيته اياه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾ يقول تعالى ذكره أحل لكم أيها المؤمنون صيد البحر وهو ما صيد طريا كما حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب في قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده ما صيد منه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر قال فصيده ما أخذ حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر

قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة أو التابعين أو من أهل عصر آخر من النعم أنه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لأن بحثهم أوفى ونظرهم أعلى وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم تحكم وهل يجوز أن يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لأنه يورث الفسق والحكم موصوف بالعدالة وان كان خطأ أو كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روى أن بعض الصحابة أوطأ فرسه ظبيا فسأل عمر فقال احكم فيه فقال أنت خير مني وأعلم يا أمير المؤمنين فقال انما أمرتك أن تحكم فيه ولم آمرك أن تزكيني فقال الرجل أرى فيه جديا فقال عمر فذلك فيه وأيضا فانه حق الله فيجوز أن يكون من عليه أمينا فيه كما أن رب المال أمين في الزكاة ولو حكم عدلان بأن له مثلا وآخران بأنه لا مثل له فالأخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان بمثل وآخران بمثل آخر فأصح الوجهين أنه يتخير والآخر أنه يأخذ بالأغلظ قيل في الآية دلالة على أن العمل بالاجتهاد والقياس جائز وأجيب بأنه لا نزاع في الصور الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات وأروش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع

عام فى حق جميع المكلفين باق على وجه الدهر والانصاف أن تجويز الاجتهاد فى القبلة وفى تعيين مثل الصيد المقتول أمر كلى أيضا وانتصب هديا على انه حال من جزاء عند من وصفه بمثل لانه حينئذ قريب من المعرفة أو بدل من محل مثل عند من أضاف أو حال من الضمير فى به ووصف هديا بيبالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح فى الحرم لان الذبح والنحر لا يقعان فى نفس الكعبة ولا فى غاية القرب والتلاصق منها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعى يجب عليه أن يتصدق به فى الحرم أيضا لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة فى التصدق على فقراء الحرم وقال أبو حنيفة له أن يتصدق به حيث شاء لانها لما وصلت الى الكعبة فقد خرج عن العهدة قوله أو كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن أضاف فللبيان أيضا أى كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة أو عدل ذلك الطعام صياما نصب على التمييز كقولك لى مثله رجلا وعدل الشئ ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل تقول عندى عدل غلامك اذا كان غلاما يعدل غلاما فاذا أردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعى أنه يصوم لكل مد يوما ومذهب

قال صيده ما صيد منه **حدثنا** سليمان بن عمر بن خالد البرقى قال ثنا محمد بن سلمة الحرانى عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده الطرى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الهذيل بن هلال قال ثنا عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس فى قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده ما صيد **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر قال الطرى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا الحسن بن على الجعفى أو الحسين شك أبو جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال كان ابن عباس يقول صيد البحر ما اصطاده **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير أحل لكم صيد البحر قال الطرى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الحجاج عن العلاء بن بدر عن أبى سلمة قال صيد البحر ما صيد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير أحل لكم صيد البحر قال الطرى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير أحل لكم صيد البحر قال السمك الطرى **حدثنا** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أحل لكم صيد البحر أما صيد البحر فهو السمك الطرى هى الحيتان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال صيده ما اصطدته طريا قال معمر وقال قتادة صيده ما اصطدته **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أحل لكم صيد البحر قال حيتانه قال **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا عمر بن أبى سلمة قال سئل سعيد عن صيد البحر فقال قال مكحول قال زيد بن ثابت صيده ما اصطدت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال يصطاد المحرم والمحل من البحر ويأكل من صيده **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قال أبو بكر طعام البحر كل ما فيه وقال جابر بن عبد الله ما حسر عنه فكل وقال كل ما فيه يعنى جميع ما صيد **حدثنا** سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن عمرو سمع عكرمة يقول قال أبو بكر وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال هو كل ما فيه وعنى بالبحر فى هذا الموضع الانهار كلها والعرب تسمى الانهار بحارا كما قال تعالى ذكره ظهر الفساد فى البر والبحر فتأويل الكلام أحل لكم أيها المؤمنون طرى سمك الانهار الذى صدتموه فى حال حلكم وحرمكم ومالم تصيدوه من طعامه الذى قذله ثم رمى به الى ساحله واختلف أهل التأويل فى معنى قوله وطعامه فقال بعضهم عنى بذلك ما قذف به الى ساحله ميتا نحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وطعامه ما قذف **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة قال كنت بالبحرين فسألونى عما قذف البحر قال فأفتيتهم أن يأكلوا فلما قدمت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكرت ذلك له فقال لى بم أفتيتهم قال قلت أفتيتهم أن يأكلوا قال لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدرة قال ثم قال ان الله تعالى قال فى كتابه أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم فصيده ما صيد منه وطعامه ما قذف **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما قذف **حدثنى** يعقوب

قال

قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى مجلز عن ابن عباس فى قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ماقذف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن سليمان التيمى عن أبى مجلز عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين بن على عن زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال طعامه كل ما ألقاه البحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسن بن على أو الحسين بن على الجعفى شك أبو جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال طعامه مالفظ من ميتته حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الهذيل بن هلال قال ثنا عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ماوجد على الساحل ميتا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سليمان التيمى عن أبى مجلز عن ابن عباس قال طعامه ماقذف به حدثنا سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن عمرو سمع عكرمة يقول قال أبو بكر رضى الله عنه وطعامه متاعا لكم قال طعامه هو كل مافيه حدثنى محمد ابن المثنى قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو بكر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ميتته قال عمرو وسمع أبا الشعثاء يقول ما كنت أحسب طعامه الا ماله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى الضحاك بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنى أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وطعامه متاعا لكم قال طعامه ميتته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان عن عكرمة وطعامه متاعا لكم قال طعامه ماقذف حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معمر بن سليمان قال سمعت عبيد الله عن نافع قال جاء عبد الرحمن الى عبد الله فقال البحر قد ألقى حيتانا كثيرة قال فنهاه عن أكلها ثم قال يانافع هات المصحف فأتيته به فقرأ هذه الآية أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال قلت طعامه هو الذى ألقاه قال فالحقه فره بأكله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل ابن عمر فقال ان البحر قذف حيتانا كثيرة ميتة أفنأكلها قال لا تاكلوها فلما رجع عبد الله الى أهله أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى على هذه الآية وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال اذهب فقل له فليأكله فانه طعامه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن نافع عن ابن عمر بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو بكر رضى الله عنه وطعامه متاعا لكم قال ميتته قال عمرو وسمعت أبا الشعثاء يقول ما كنت أحسب طعامه الا ماله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا الضحاك ابن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنا نافع أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة ألقاها البحر أميتة هى قال نعم فنهاه عنها ثم دخل البيت فدعا بالمصحف فقرأ تلك الآية أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه كل شئ أخرج منه فكله فليس به بأس وكل شئ فيه يؤكل ميتا أو بساحله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قتادة طعامه ماقذف منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن ليث عن شهر عن أبى أيوب قال مالفظ البحر فهو طعامه وان كان ميتا حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن ليث عن شهر قال سئل أبو أيوب عن قول الله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا قال هو مالفظ البحر وقال آخرون عنى بقوله وطعامه المليح من السمك فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم أحل لكم سمك البحر ومليحه فى كل حال احلالكم واحرامكم ذكر من قال ذلك حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقى قال ثنا محمد بن سلمة عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس وطعامه قال طعامه المالح منه

أبى حنيفة أنه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك بحسب الاختلاف فى طعام مسكين واحد كما مر فى كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب أبى حنيفة أنه يوجب قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى تخير بين أن يهدى من النعم ماقيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعى أن الصيد قسمان ماله مثل من النعم ومالا فلا كذلك فالاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين أن يذبح مثله فيتصدق به على مساكين الحرم اما بأن يفرق اللحم أو يملك جملته اياهم مذبوحا وبين أن يقوم المثل بدراهم ولا يجوز أن يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها طعاما وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثانى وهو مالا مثل له كالعصافير وغيرها وبالجملة كل مادون الحمام أو فوقه فيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان انكسر مد فى القسمين صام يوما لان الصوم لا يتبعض فالجزاء فى القسم الاول ثلاثة أركان الحيوان والطعام والصيام وفى القسم الثانى ركنان الطعام والصيام وأوهنا على التخيير فى ظاهر المذهب لا على الترتيب ووافق مالك وأبو حنيفة لان أو للتخيير غالبا وخالف أحمد وزفر

حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم يعني بطعامه ماله وما قذف البحر من ماله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وهو المالح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان بن مجمع التيمي عن عكرمة في قوله متاعا لكم قال المليح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سالم الافطس وأبي حصين عن سعيد بن جبير قال المليح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وطعامه متاعا لكم قال المليح ولفظ حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال يأتي الرجل أهل البحر فيقول أطعمونا فان قال غريضا ألقوا شبكتهم فصادوا له وان قال أطعمونا من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد أحل لكم صيد البحر وطعامه قال المنبوذ السمك المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وطعامه قال المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وطعامه قال هو ماله ثم قال ما قذف حدثنا ابن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وطعامه قال مملوح السمك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرني الثوري عن منصور قال كان ابراهيم يقول طعامه السمك المليح ثم قال بعد ما قذف به حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا الثوري عن أبي حصين عن سعيد ابن جبير قال طعامه المليح حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا اسرائيل عن عبد الكريم عن مجاهد قال طعامه السمك المليح حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية وطعامه متاعا لكم قال الصير قال شعبة فقلت لابي بشر ما الصير قال المالح حدثنا ابن المثنى قال ثنا هشام بن الوليد قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير قوله وطعامه متاعا لكم قال الصير قال قلت ما الصير قال المالح حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وطعامه متاعا لكم قال أما طعامه فهو المالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما تزودت مملوحا في سفرك حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازي قالا ثنا سفيان بن عمرو قال قال جابر بن زيد كنا نتحدث أن طعامه مليحه ونكره الطافي منه وقال آخرون طعامه ما فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال طعام البحر ما فيه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حريث عن عكرمة وطعامه متاعا لكم قال ما جاء به البحر بوجه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن ليث عن مجاهد قال طعامه كل ما صيد منه * وأولى هذه الاقوال بالصواب عندنا قول من قال طعامه ما قذفه البحر أو حسر عنه فوجد ميتا على ساحله وذلك أن الله تعالى ذكره قبله صيد الذي يصاد فقال أحل لكم صيد البحر فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يصد منه فقال أحل لكم ما صدتموه من البحر وما لم تصيدوه منه وأما المليح فانه ما كان منه ملح بعد الاصطياد فقد دخل في جملة قوله أحل لكم صيد البحر فلا وجه لتكريره اذ لا فائدة فيه وقد أعلم عباده تعالى احلاله ما صيد من البحر بقوله أحل لكم صيد البحر فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك ومليحه الذي صيد حلال لكم لان ما صيد منه فقد بين تحليله طريا كان أو مليحا بقوله أحل لكم صيد البحر والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا

فقالا انها في الآية للترتيب لان الواجب هنا شرع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال أمره والتخيير بنا في التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على أن الخيار في تعيين هذه الثلاثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الآية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا وأراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام أو الصيام فالعبرة في قيمته بمكة يومئذ لانها محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم بأكل الصيد سواء ذبحه بنفسه أو اصطياده له أو بدلالته لانه ليس بنام بعد الذبح ولا يؤول الى النماء فلا يتعلق باتلافه الجزاء كما لو أتلف بيضة مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك وأحمد يلزمه القيمة بعد ما أكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال الاحرام أظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح أما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله جزاء أي فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق ويحتمل أن يقال يتعلق بمحذوف أي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة

يفيدهم

يفيدهم به فائدة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا خبر وان كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة وذلك ما حدثنا به هناد بن السرى قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما لفظه ميتا فهو طعامه وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبى هريرة حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة فى قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ما لفظه ميتا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿متاعا لكم وللسيارة﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله متاعا لكم منفعة لمن كان منكم مقيما أو حاضرا فى بلده يستمتع بأكله وينتفع به وللسيارة يقول ومنفعة أيضا ومتعة للسائرين من أرض الى أرض ومسافرين يتزودونه فى سفرهم مليحا والسيارة جمع سيار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنى أبو اسحق عن عكرمة أنه قال فى قوله متاعا لكم وللسيارة قال لمن كان بحضرة البحر وللسيارة السفر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله وطعامه متاعا لكم وللسيارة ما قذف البحر وما يتزودون فى أسفارهم من هذا المالح يتأولها على هذا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وطعامه متاعا لكم وللسيارة مملوح السمك ما يتزودون فى أسفارهم حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقى قال ثنا مسكين بن بكير قال ثنا عبد السلام بن حبيب النجارى عن الحسن فى قوله وللسيارة قال هم المحرمون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وطعامه متاعا لكم وللسيارة أما طعامه فهو المالح منه بلاغ يأكل منه السيارة فى الاسفار حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال طعامه مالحه وما قذف البحر منه يتزوده المسافر وقال مرة أخرى مالحه وما قذف البحر فمالحه يتزوده المسافر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وللسيارة يعنى المالح فيتزوده وكان مجاهد يقول فى ذلك بما حدثنى محمد بن عمر قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وطعامه متاعا لكم قال أهل القرى وللسيارة أهل الامصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله متاعا لكم قال لأهل القرى وللسيارة قال أهل الامصار وأجناس الناس كلهم وهذا الذى قاله مجاهد من أن السيارة هم أهل الامصار لا وجه له مفهوم الا أن يكون أراد بقوله هم أهل الامصار هم المسافرون من أهل الامصار فيجب أن يدخل فى ذلك كل سيارة من أهل الامصار كانوا أو من أهل القرى فاما السيارة فلا يشمل المقيمين فى أمصارهم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما﴾ يعنى تعالى ذكره وحرم الله عليكم أيها المؤمنون صيد البر مادمتم حرما يقول ما كنتم محرمين لم تحلوا من احرامكم ثم اختلف أهل العلم فى المعنى الذى عنى الله تعالى ذكره بقوله وحرم عليكم صيد البر فقال بعضهم عنى بذلك أنه حرم علينا كل معانى صيد البر من اصطياد وأكل وقتل وبيع وشراء وامساك وتملك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث عن نوفل عن أبيه قال حج عثمان بن عفان فجئ على معه قال فأتى عثمان بلحم صيد صاده حلال فأكل منه ولم يأكل على فقال عثمان والله ما صدناه ولا أمرنا ولا أشرنا فقال على وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما حدثنا ابن حميد قال ثنا هارون بن المغيرة عن عمرو بن أبى قيس عن سماك عن صبيح بن عبيد الله العبسى قال بعث عثمان بن عفان أبا سفيان

فعله وهو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدور على الثقل يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع والمعدة والامور الثلاثة اثنان منها نقص فى المال فيثقل على الطبع والثالث وهو الصوم ثقيل على البدن أيضا وكل منها نوع عقوبة عفا الله عما سلف فى الجاهلية لانهم متعبدون بشرع من قبلهم أو عما سلف قبل التحريم فى الاسلام وعلى مذهب داود عفا الله عما سلف فى المرة الاولى بسبب أداء الجزاء ومن عاد فانه أعظم من أن يعفى بالجزاء فينتقم الله منه أى فهو ينتقم الله منه والا لم يحتج الى ادخال فاء الجزاء لارتباطه بنفسه أحل لكم صيد البحر أى مصيداته ويعنى بالبحر جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلاثة أجناس الحيتان وجميع أنواعها حلال والضفادع وجميع أنواعها حرام وفيما سوى هذين خلاف فقال أبو حنيفة حرام وقال ابن أبى ليلى والاكثرون حلال قوله وطعامه العطف يقتضى المغايرة وفيه وجوه يروى عن أبى بكر الصديق أن الصيد ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة فى أخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها وأسنانها فالمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصطاد فى البحر وأحل لكم أكل

ابن الحرث على العروض فنزل قديدا فمر به رجل من أهل الشام معه باز وصقر فاستعاره منه فاصطاد به من اليعاقيب فجعلهن فى حظيرة فلما مر به عثمان طبخهن ثم قدمهن اليه فقال عثمان كلوا فقال بعضهم حتى يجىء على بن أبى طالب فلما جاء فرأى ما بين أيديهم قال على انا لن نأكل منه فقال عثمان مالك لا تأكل فقال هو صيد ولا يحل أكله وأنا محرم فقال عثمان بين لنا فقال على يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم فقال عثمان أونحن قتلناه فقر أعليه أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما **حدثنا** تميم بن المنتصر وعبد الحميد بن بيان القناد قالا أخبرنا أبو اسحق الازرق عن شريك عن سماك بن حرب عن صبيح بن عبيد الله العبسى قال استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض ثم ذكر نحوه وزاد فيه قال فمكث عثمان ما شاء الله أن يمكث ثم أتى فقيل له بمكة هل لك فى ابن أبى طالب أهدى له صفيف حمار فهو يأكل منه فارسل اليه عثمان وسأله عن أكل الصفيف فقال أما أنت فتأكل وأما نحن فتهنا نا فقال انه صيد عام أول وأنا حلال فليس على بأكله بأس وصيد ذلك يعنى اليعاقيب وأنا محرم وذبحن وأنا حرام **حدثنا** عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأسا بلحم الصيد للمحرم وكرهه على ابن أبى طالب رضى الله عنه **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عليا كره لحم الصيد للمحرم على كل حال **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث أنه شهد عثمان وعليا أتيا بلحم فاكل عثمان ولم يأكل على فقال عثمان أنحن صدنا أو صيد لنا فقرأ على هذه الآية أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال حج عثمان بن عفان فخرج معه على فأتى بلحم صيد صاده حلال فأكل منه وهو محرم ولم يأكل منه على فقال عثمان انه صيد قبل أن نحرم فقال له على ونحن قد بدا لنا وأهالينا لنا حلال أفيحللن لنا اليوم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو بن عبد الكريم عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث بن نوفل أن عليا أتى بشق عجز حمار وهو محرم فقال انى محرم **حدثنا** ابن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سعيد عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يكره على كل حال ما كان محرما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال أخبرنا نافع أن ابن عمر كان يكره كل شئ من الصيد وهو حرام أخذله أو لم يؤخذله وشيقة وغيرها **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد القطان عن عبد الله قال أخبرنى نافع أن ابن عمر كان لا يأكل الصيد وهو محرم وان صاده الحلال **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى الحسن بن مسلم بن يناق أن طاوسا كان ينهى الحرام عن أكل الصيد وشيقة وغيرها صيد له أو لم يصد له **حدثنا** عبد الاعلى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا الاشعث قال قال الحسن اذا صاد الصيد ثم أحرم لم يأكل من لحمه حتى يحل فان أكل منه وهو محرم لم ير الحسن عليه شيأ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام وهرون عن عنبسة عن سالم قال سألت سعيد بن جبير عن الصيد يصيده الحلال أيأكل منه المحرم فقال سأذكر لك من ذلك ان الله تعالى قال يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم فنهى عن قتله ثم قال ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ثم قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال يأتى الرجل أهل البحر فيقول أطعمونى فان قال غريضا ألقوا شبكتهم فصادوا له وان قال أطعمونى من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح ثم قال وحرم عليكم صيد البر

المأكول منه وعن سعيد بن جبير أن الصيد هو الطرى والطعام هو القديد منه وفى الفرق ضعف قال الشافعى السمكة الطافية فى البحر محللة لانه طعام البحر وقد قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور وماؤه الحل ميتته متاع لكم فى الحضر طريا وللسيارة فى السفر مالحا وانتصب متاعا على أنه مفعول له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج انه مصدر مؤكد لان قوله أحل لكم فى معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما قال العلماء صيد البحر هو الذى لا يعيش الا فى الماء أما الذى لا يعيش الا فى البر والذى يمكنه أن يعيش فى البر تارة وفى البحر أخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد البر ويجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على أن المحرم يحرم عليه الصيد الذى صاده أما الذى صاده الحلال فعن على وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وطاوس والثورى واسحق أن الحكم كذلك لاطلاق الآية ولما روى عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى اليه حمار وحش وهو محرم فأبى أن يأكله وقال مالك والشافعى وأحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى أبو داود فى سننه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صيد البر لكم حلال مالم تصيدوه أو يصاد لكم وعن أبى هريرة

مادمتم حرما وهو عليكم حرام صدتموه أو صاده حلال وقال آخرون انما عنى الله تعالى بقوله وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما ما استحدث المحرم صيده فى حال احرامه أو ذبحه أو استحدث له ذلك فى تلك الحال فأما ما ذبحه حلال وللحلال فلا بأس بأكله للمحرم وكذلك ما كان فى ملكه قبل حال احرامه فغير محرم عليه امساكه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة أن سعيد بن المسيب حدثه عن أبى هريرة أنه سئل عن صيد صاده حلال أيأكله المحرم قال فأفتاه هو بأكله ثم لقى عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره فقال لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال نزل عثمان بن عفان العرج وهو محرم فاهدى صاحب العرج له قطا قال فقال لأصحابه كلوا فانه انما اصطيد على اسمى قال فأكلوا ولم يأكل حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة كان بالربذة فسألوه عن لحم صيد صاده حلال ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع عن بشر حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن عمر نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق عن أبى الشعثاء قال سألت ابن عمر عن لحم صيد يهديه الحلال الى الحرام فقال أكله عمر وكان لا يرى به بأسا قال قلت تأكله قال عمر خير منى حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنا أبو اسحق عن أبى الشعثاء قال سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام قال كان عمر يأكله قال قلت فانت قال كان عمر خيرا منى حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن هشام عن يحيى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال استفتانى رجل من أهل الشام فى لحم صيد أصابه وهو محرم فأمرته أن يأكله فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له ان رجلا من أهل الشام استفتانى فى لحم صيد أصابه وهو محرم قال فما أفتيته قال قلت أفتيته أن يأكله قال فوالذى نفسى بيده لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك بالدرة وقال عمر انما نهيت أن تصطاده حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا خارجة عن زيد بن أسلم عن عطاء عن كعب قال أقبلت فى أناس محرمين فأصبنا لحم حمار وحش فسألنى الناس عن أكله فأفتيتهم بأكله وهم محرمون فقدمنا على عمر فأخبروه أنى أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون فقال عمر قد أمرته عليكم حتى ترجعوا حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال مررت بالربذة فسألنى أهلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال فأفتيتهم أن يأكلوا فلقيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له قال فبم أفتيتهم قال أفتيتهم أن يأكلوا قال لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن يونس عن أبى الشعثاء الكندى قال قلت لابن عمر كيف ترى فى قوم حرام لقوا قوما حلالا ومعهم لحم صيد فاما باعوهم واما أطعموهم فقال حلال حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا محمد بن سعيد قال ثنا هشام يعنى ابن عروة قال ثنا عروة عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب أن عبد الرحمن حدثه أنه اعتمر مع عثمان بن عفان فى ركب فيهم عمرو بن العاص حتى نزلوا بالروحاء فقرب اليهم طير وهم محرمون فقال لهم عثمان كلوا فانى غير آكله فقال عمرو بن العاص أتأمرنا بما لست آكلا فقال عثمان انى لولا أظن أنه صيد من أجلى لا كلت فأكل القوم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير كان يتزود لحوم الوحش وهو محرم حدثنا عبد الحميد بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن سماك ابن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال وما صيد أو ذبح وعطاء ومجاهد أنهم أجازوا للمحرم ما صاده الحلال وان صاده لأجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه لما روى عن أبى قتادة أنه اصطاد حمار وحش وهو حلال فى أصحاب محرمين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أشرتم هل أعنتم فقالوا لا فقال هل بقى من لحمه شئ قالوا معنا رجله فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم فأكلها وهذان القولان مفسران على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال فى الكشاف أخذ أبو حنيفة بالمفهوم فكأنه قيل وحرم عليكم أيها المحرمون ما صدتم فى البر فيخرج عنه مصيد غيرهم ويرد عليه أن المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصى بقوله واتقوا الله الذى اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد فى الحرم وفى الاحرام فقال جعل الله أى حكم وبين بالخطاب والتعريف أو صير بخلق دواعى التعظيم فى القلوب قياما للناس وهم العرب ووجه المجاز أن أهل بلدة اذا قالوا الناس فعلوا كذا أرادوا أهل بلدتهم فنطق القرآن على مجرى عادتهم وبيان القيام أن قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعله بحيث يجبى اليه ثمرات كل شئ واما بدفع المضار وقد صيره حرما آمنا واما بحصول الجاه والرياسة وتوفر الدواعى والرغبات وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام

فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها وشعائرها أكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى وانتصب البيت الحرام على أنه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح اذ الكعبة أوضح من أن توضح ويحتمل أن يراد بالناس عامة الناس لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا وتفسير الشهر الحرام والهدى والقلائد تقدم في أول السورة وانما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم لانه اذا دخل الشهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدرون على الاسفار وتحصيل الاقوات قدر ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمة ذلك لهلكوا من الجوع وأيضا هو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج واقامتها وأما الهدى فانه نسك للهدى وقوام لمعايش الفقراء وكذا القلائد فكان من قلد الهدى أو قلد نفسه من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له أحد وكل ذلك لان الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس أو من حفظ حرمة الاحرام والحرم مشروع لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وذلك أنه علم في الازل أن مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة

وأنت حرام فهو عليك حرام حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال ما صيد من شئ وأنت حرام فهو عليك حرام وما صيد من شئ وأنت حلال فهو لك حلال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فجعل الصيد حراما على المحرم صيده وأكله ما دام حراما وان كان الصيد صيد قبل ان يحرم الرجل فهو حلال وان صاده حرام لحلال فلا يحل له أكله حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده الحلال قال كان سعيد بن جبير ومجاهد يقولان ما صيد قبل أن يحرم أكل منه وما صيد بعد ما أحرم لم يأكل منه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال كان عطاء يقول اذا سئل في العلانية أيأكل الحرام الوشيقة والشئ اليابس يقول بيني وبينه لا أستطيع أن أبين لك في مجلس ان ذبح قبل أن يحرم فكل والا فلا تبع لحمه ولا تبتع وقال آخرون انما عنى الله تعالى بقوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وحرم عليكم اصطياده قالوا فأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله بعد أن يكون ملكه اياه على غير وجه الاصطياد له وبيعه وشراؤه جائز قالوا والنهي من الله تعالى عن صيده في حال الاحرام دون سائر المعاني ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أحمد بن شبوية قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال أخبرني يحيى أن أبا سلمة اشترى قطا وهو بالعرج وهو محرم ومعه محمد بن المنكدر فأكله فعاب عليه ذلك الناس * والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال ان الله تعالى عم تحريم كل معاني صيد البر على المحرم في حال احرامه من غير أن يخص من ذلك شيأ دون شئ فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حراما بيعه وشراؤه واصطياده وقتله وغير ذلك من معانيه الا أن يجده مذبوحا قد ذبحه حلال لحلال فيحل له حينئذ أكله للثابت من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثناه يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج وحدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا عبد الملك بن جريج قال أخبرني محمد بن المنكدر عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان قال كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حرم فأهدي لنا طائر فمنا من أكل ومنا من تورع فلم يأكل فلما استيقظ طلحة وافق من أكل وقال أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قال قائل فما أنت قائل فيما روي عن الصعب بن جثامة أنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل حمار وحش بقطرد ما فرده فقال انا حرم وفيما روي عن عائشة أن وشيقة ظبي أهديت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم فردها وما أشبه ذلك من الاخبار قيل انه ليس في واحد من هذه الاخبار التي جاءت بهذا المعنى بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد من ذلك ما رد وقد ذبحه الذابح اذ ذبحه وهو حلال لحلال ثم أهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حرام فرده وقال انه لا يحل لنا لأنا حرم وانما ذكر فيه أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فرده وقد يجوز أن يكون رده ذلك من أجل أن ذابحه ذبحه أو صائده صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وقد بين خبر جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لحم صيد للمحرم حلال الا ما صاده أو صيد له معنى ذلك كله فاذ كان كلا الخبرين صحيحا مخرجهما فواجب التصديق بهما وتوجيه كل واحد منهما الى الصحيح من وجه وأن يقال رده ما رد من ذلك من أجل أنه كان صيد من أجله واذنه في أكل ما أذن في أكله منه من أجل أنه لم يكن صيد لمحرم ولا صاده محرم فيصح معنى الخبرين كليهما واختلفوا في صفة الصيد الذي عنى الله تعالى بالتحريم في قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فقال بعضهم صيد البر كل ما كان يعيش في البر والبحر وانما صيد البحر ما كان يعيش

في الماء دون البر ويأوي اليه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمران بن حدير عن أبي مجلز وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما قال ما كان يعيش في البر والبحر لا يصيده وما كان حياته في الماء فذاك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الحجاج عن عطاء قال ما كان يعيش في البر فأصابه المحرم فعليه جزاؤه نحو السلحفاة والسرطان والضفادع حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن عطاء قال كل شئ عاش في البر والبحر فأصابه المحرم فعليه الكفارة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال خرجنا حجاجا معنا رجل من أهل السواد معه شصوص طير ماء فقال له أبي حين أحرمنا اعزل هذا عنا وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى قال ثنا ابن ادريس قال سمعت يزيد بن أبي زياد قال ثنا حجاج عن عطاء أنه كره للمحرم أن يذبح الدجاج الزنجي لان له أصلا في البر وقال بعضهم صيد البر ما كان كونه في البر أكثر من كونه في البحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ابن جريج أخبرناه قال سألت عطاء عن ابن الماء أصيد بر أم بحر وعن أشباهه فقال حيث يكون أكثر فهو صيده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى وكيع عن سفيان عن رجل عن عطاء بن أبي رباح قال أكثر ما يكون حيث يفرخ فهو منه

القول في تأويل قوله ﴿واتقوا الله الذي اليه تحشرون﴾ وهذا تقدم من الله تعالى ذكره الى خلقه بالحذر من عقابه على معاصيه يقول تعالى واخشوا الله أيها الناس واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وعن اصابة صيد البر وقتله في حال احرامكم وفي غيرها فان الله مصيركم ومرجعكم فيعاقبكم بمعصيتكم اياه ومجازيكم فثيبكم على طاعتكم له

القول في تأويل قوله ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد﴾ يقول تعالى ذكره صير الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ومسيئهم عن محسنهم وظالمهم عن مظلومهم والشهر الحرام والهدى والقلائد فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض اذ لم يكن لهم قيام غيره وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم والكعبة سميت فيما قيل كعبة لتربيعها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انما سميت الكعبة لانها مربعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبي سعيد المؤدب عن النضر بن عربي عن عكرمة قال انما سميت الكعبة لتربيعها وقيل قياما للناس بالياء وهو من ذوات الواو لكسره القاف وهي فاء الفعل فجعلت العين منه بالكسرة ياء كما قيل في مصدر قمت قياما وصمت صياما فحولت العين من الفعل وهي واو ياء لكسرة فائه وانما هو في الاصل قمت قواما وصمت صواما وكذلك قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس فحولت واوها ياء اذ هي قوام وقد جاء ذلك من كلامهم مقولا على أصله الذي هو أصله قال الراجز * قوام دنيا وقوام دين * فجاءه بالواو على أصله وجعل تعالى ذكره الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد قواما لمن كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر اتباعه وأما الكعبة فالحرم كله وسماها الله تعالى حراما لتحريمه اياها أن يصاد صيدها أو يختلى خلاها أو يعضد شجرها وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل وقوله والشهر الحرام والهدى والقلائد يقول تعالى ذكره وجعل الشهر الحرام والهدى والقلائد أيضا قياما للناس كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياما والناس الذين جعل ذلك لهم قياما مختلف فيهم

وكان ذلك مما يفضي الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سببا للامان في بعض الامكنة وفي بعض الازمان فتستقيم مصالح الانسان ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح الا ممن يعلم الكائنات وأسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها علة لها ومعلولها موجودها ومعدومها وذلك قوله وأن الله بكل شئ عليم فما أحسن هذا الترتيب ثم خوفهم وأطمعهم بقوله اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وأن الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر الوصفين في جانب الرحمة دليل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر أن الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج من العهدة وبقي الأمر من جانبكم وانه تعالى يعلم جهركم وسركم وفيه من الوعيد ما فيه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عباد الاوثان وشرب الخمر والطعن في الانساب ألا وان الخمر لعن الله شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها فقام اليه أعرابي فقال يا رسول الله الى كنت رجلا كانت هذه تجارتي واستفدت من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح

فقال بعضهم جعل الله ذلك فى الجاهلية قياما للناس كلهم وقال بعضهم بل عنى به العرب خاصة وبمثل الذى قلنا فى تأويل القوام قال أهل التأويل ذكر من قال عنى الله تعالى بقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس القوام على نحو ما قلنا حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا من سمع خصيفا يحدث عن مجاهد فى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال قواما للناس حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن خصيف عن سعيد بن جبير قياما للناس قال صلاحا لدينهم حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا داود عن ابن جريج عن مجاهد فى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال حين لا يرجون جنة ولا يخافون نارا فشدد الله ذلك بالاسلام حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن اسرائيل عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال شدة لدينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال قيامها أن يأمن من توجه اليها حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد يعنى قياما لدينهم ومعالم لحجهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد جعل الله هذه الأربعة قياما للناس هو قوام أمرهم وهذه الاقوال وان اختلفت من قائلها ألفاظها فان معانيها آيلة الى ما قلنا فى ذلك من أن القوام للشئ هو الذى به صلاحه كالملك الأعظم قوام رعيته ومن فى سلطانه لانه مدبر أمرهم وحاجز ظالمهم عن مظلومهم والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد قوام أمر العرب الذى كان به صلاحهم فى الجاهلية وهى فى الاسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التى باستقبالها يتم فرضهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قالت جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقى قاتل أبيه فى الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتى أهله حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض قال ولم يكن فى العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض فجعل الله تعالى لهم البيت الحرم قياما يدفع بعضهم عن بعض به والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرام والقلائد قال ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له وهذا كله قد نسخ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والقلائد كان ناس يتقلدون لحاء الشجر فى الجاهلية اذا أرادوا الحج فيعرفون بذلك وقد أتينا على البيان عن ذكر الشهر الحرام والهدى والقلائد فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿القول فى تأويل قوله﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وأن الله بكل شئ عليم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك تصييره

بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وأنزل الله عز وجل تصديقا لقول رسوله قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وهو عام فى حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها وردىء النفوس وجيدها وأخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية وأطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته والبون بين الصنفين فى العالم الروحانى أبعد منه فى العالم الجسمانى لان أثرهما فى عالم الارواح أبقى وأدوم وأجل وأعظم فلا تستبدل الخبيث يا انسان بالطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث لان كثرته فى التحقيق قلة ولذته فى نفس الامر ذلة ونقده زيف وصرف العمر فى طلبه حيف ﴿التأويل﴾ لا تحرموا على أنفسكم بالاستمتاعات النفسانية طيبات ما أحل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله واجتهدوا فى طلب ما خصكم به الله من تجلى جماله وجلاله حلالا طيبا يحل فيكم بريئا من سمات النقائص ﴿باللغو فى أيمانكم﴾ أن تحلفوا بآلائه عن التبرم من ولائه لملالة النفوس وكلالة القوى واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى فى أثناء المجاهدات واعواز المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عزمتم على الهجران وتعرضتم للخذلان فكفارته حينئذ اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة

الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد يقول تعالى ذكره صيرت لكم أيها الناس ذلك قياما كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم علما منه بمنافعكم ومضاركم انه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الارض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم ولتعلموا أنه بكل شئ عليم لا يخفى عليه شئ من أموركم وأعمالكم وهو محصيها عليكم حتى يجازي المحسن منكم باحسانه والمسئ منكم باساءته ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الارض ولا يخفى عليه شئ من سرائر أعمالكم وعلانيتها وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها شديد عقابه من عصاه وتمرد عليه على معصيته اياه وهو غفور لذنوب من أطاعه وأناب اليه فستر عليه وتارك فضيحته بها رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد انابته وتوبته منها ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد يقول تعالى ذكره ليس على رسولنا الذي أرسلناه اليكم أيها الناس بانذاركم عقابنا بين يدي عذاب شديد واعذارنا اليكم بما فيه قطع حجتكم الا أن يؤدي اليكم رسالتنا ثم الينا الثواب على الطاعة وعلينا العقاب على المعصية والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يقول وغير خفي علينا المطيع منكم القابل رسالتنا العامل بما أمرته بالعمل به من العاصي التارك العمل بما أمرته بالعمل به لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به بلسانه وما تكتمون يعني ما تخفونه في أنفسكم من ايمان وكفر أو يقين وشك ونفاق يقول تعالى ذكره فمن كان كذلك لا يخفى عليه شئ من ضمائر الصدور وظواهر أعمال النفوس مما في السموات وما في الارض وبيده الثواب والعقاب فحقيق أن يتقى وأن يطاع فلا يعصى ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا يعتدل الردئ والجيد والصالح والطالح والمطيع والعاصي ولو أعجبك كثرة الخبيث يقول لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وان قلوا دون أهل معصيته وان أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وان كثروا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تعجبن من كثرة من يعصي الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة فان العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث قال الخبيث هم المشركون والطيب هم المؤمنون وهذا الكلام وان كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به بعض أتباعه يدل على ذلك قوله فاتقوا الله يا أولي الالباب لعلكم تفلحون ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان باعجابكم كثرة الخبيث فتصيروا منهم يا أولي الالباب يعني بذلك أهل العقول والحجا الذين عقلوا عن الله آياته وعرفوا مواقع حجته لعلكم تفلحون يقول اتقوا الله لتفلحوا أي كي تنجحوا في طلبتكم ما عنده ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم﴾ ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب مسائل كان يسألها اياه أقوام امتحانا له أحيانا واستهزاء أحيانا فيقول له بعضهم من أبي ويقول له بعضهم اذا ضلت ناقته أين ناقتي فقال لهم تعالى ذكره لا تسألوا عن أشياء من ذلك كمسألة عبد الله بن حذافة اياه من أبوه ان تبد لكم تسؤكم يقول ان أبد ينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ساءكم

والباطنة من أوسط ما تطعمون أهليكم وهم القلب والسر والروح والخفاء طعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف وأوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء يشغل الحواس العشرة بهذه الامور أو يكسوهم لباس التقوى أو يحرر رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد أمسك في اليوم الماضي عما عزم عليه وفي اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العود اليه ومن لغو اليمين عند أرباب اليقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله أن يرزقه شيأ من اقباله ووصاله وذلك في شريعة الرضا لغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذه بعقاله لعلمه بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة

أريد وصاله ويريد هجري
فأترك ما أريد لما يريد

ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد من تجديد العهد وتأكيد العقد كقول بعضهم

وحقك ما نظرت الى سواكا
بعين مودة حتى أراكا

فان هذا ينافي التوحيد وأين في الدار ديار كلا بل هو الله الواحد القهار ليس على الذين آمنوا بالتقليد

وعملوا الصالحات الاعمال البدنية
الشرعية جناح فيما طعموا من
المباحات اذا ما اتقوا الشبهة
والاسراف وآمنوا بالتحقيق بعد
التقليد وعملوا الصالحات الاعمال
القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما
سواه ومن تحليته بالأخلاق المضادة
لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل
والتسليم وماعداه ثم اتقوا شرك
الأنانية وآمنوا بهويته ثم اتقوا
هذا الشرك وهو الفناء فى الفناء
وأحسنوا وهو البقاء به فافهم
جعل الله البلاء لاهل الولاء كاللهب
للذهب فقال يا أيها الذين آمنوا
ايمان المحسنين الذين تجردوا عن
ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال
وأحرموا بحج الوصول وعمرة
الوصال ليبلونكم الله فى أثناء السلوك
بشئ من الصيد وهو المطالب
النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية
تناله أيديكم يعنى اللذات البدنية
ورماحكم يعنى اللذات الخيالية فله
عذاب الردو الصد لا تقتلوا الصيد
وأنتم حرم يعنى من أحرم لزيارة
كعبة الوصال فعليه حسم الاطماع
من الحرام والحلال متعمدا أى
عالما عما فى الالتفات الى غيره من
المضار مثل ما قتل من النعم يجازى
نفسه برياضة ومجاهدة يماثل ألمها
تلك اللذة ذوا عدل هما القلب
والروح يحكمان على مقدار الاسلام
وعلى حسب قوة السالك بتقليل
الطعام والشراب أو ببذل المال
أو بترك الجاه أو بالعزلة وضبط
الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا
عن الخلق لاجل الحق طعام

ابدأوها واظهارها ونحوا الذى قلنا فى ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر الرواية بذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا بعض بنى نفيل قال ثنا زهير بن معاوية قال
ثنا أبو الجويرية قال قال ابن عباس لأعرابى من بنى سليم هل تدرى فيما أنزلت هذه الآية يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الآية فقال كان قوم يسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبى والرجل تضل ناقته فيقول أين ناقتى
فأنزل الله فيهم هذه الآية **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا أبو عامر وأبو داود قالا ثنا هشام
عن قتادة عن أنس قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة فصعد المنبر
ذات يوم فقال لا تسألونى عن شئ الا بينته لكم قال أنس فجعلت أنظر يمينا وشمالا فأرى كل انسان
لافا ثوبه يبكى فأنشأ رجل كان اذا لاحى يدعى الى غير أبيه فقال يا رسول الله من أبى فقال أبوك
حذافة قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وأعوذ
بالله من سوء الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر فى الشر والخير كاليوم قط انه صورت
لى الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا
عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم **حدثنى** محمد بن معمر البحرانى قال ثنا روح بن عبادة قال
ثنا شعبة قال أخبرنى موسى بن أنس قال سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله من أبى قال أبوك
فلان قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم **حدثنا** بشر بن
معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء ان تبد لكم تسؤكم قال فحدثنا أن أنس بن مالك حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال لا تسألونى اليوم عن شئ الا
بينته لكم فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يديه أمر قد حضر فجعلت
لا ألتفت يمينا ولا شمالا الا وجدت كلا لافا رأسه فى ثوبه يبكى فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى الى
غير أبيه فقال يا نبى الله من أبى قال أبوك حذافة قال ثم قال عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا عائذا بالله أو قال أعوذ بالله من سوء الفتن قال
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر فى الخير والشر كاليوم قط صورت لى الجنة والنار حتى رأيتهما
دون الحائط **حدثنا** أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع قالا ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون
قال سألت عكرمة مولى ابن عباس عن قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم
قال ذاك يوم قام فيهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تسألونى عن شئ الا أخبرتكم به قال فقام
رجل فكره المسلمون مقامه يومئذ فقال يا رسول الله من أبى قال أبوك حذافة قال فنزلت هذه
الآية **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه
قال نزلت لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فى رجل قال يا رسول الله من أبى قال أبوك فلان
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى سفيان عن معمر عن قتادة قال سألوا النبى صلى الله
عليه وسلم حتى أكثروا عليه فقام مغضبا خطيبا فقال سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ مادمت
فى مقامى الا حدثتكم فقام رجل فقال من أبى قال أبوك حذافة واشتد غضبه وقال سلونى فلما
رأى الناس ذلك كثر بكاؤهم فجثا عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا قال معمر قال الزهرى قال
أنس مثل ذلك فجثا عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم
رسولا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والذى نفسى بيده لقد صورت لى الجنة والنار آنفا فى
عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير والشر قال الزهرى فقالت أم عبد الله بن حذافة ما رأيت

ولدا أعق منك قط أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس فقال والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الايام فقام خطيبا فقال سلونى فانكم لا تسألونى عن شئ الا أنبأتكم به فقام اليه رجل من قريش من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه قال فقال يا رسول الله من أبى قال أبوك فلان فدعاه لأبيه فقام اليه عمر فقبل رجله وقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضى فيومئذ قال الولد للفراش وللعاهر الحجر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال أين أبى قال فى النار فقام آخر فقال من أبى قال أبوك حذافة فقام عمر بن الخطاب فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله يعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم * وقال آخرون نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل سأله عن شئ فى أمر الحج ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا منصور بن وردان الاسدى قال ثنا على بن عبد الاعلى قال لما نزلت هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله أفى كل عام فسكت ثم قالوا أفى كل عام فسكت ثم قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن ابراهيم بن مسلم الهجرى عن ابن عباض عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم الحج فقال رجل أفى كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال من السائل فقال فلان فقال والذى نفسى بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم حتى ختم الآية **حدثني** محمد بن على بن الحسين بن شقيق قال سمعت أبى قال أخبرنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج فقام محصن الاسدى فقال أفى كل عام يا رسول الله فقال أما انى لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتم لضللتم اسكتوا عنى ما سكت عنكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم الى آخر الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله الا أنه قال فقام عكاشة بن محصن الاسدى **حدثنا** زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبى العمر قال ثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو قال ثنى سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة الباهلى يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال كتب عليكم الحج فقام رجل من الاعراب فقال أفى كل عام قال فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب فمكث طويلا ثم تكلم فقال من السائل فقال الاعرابى أنا ذا فقال ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا انه انما أهلك الذين قبلكم أئمة الحرج والله لو أنى أحللت لكم جميع ما فى الارض وحرمت عليكم منها موضع خف

مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفاء كانوا محرومين عن أغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والفطام عن المألوفات ومن الشكر والرضا وغير ذلك أو عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار لتذوق النفس الامارة وبال أمرها فان كل هذه الامور على خلاف طبعها ذوانتقام ينتقم من أحبائه بنقاب الدلال ومن أعدائه بحجاب الملام والملال أحل لكم صيد بحر المعارف والكشوف تنتفعون بالواردات وتطعمون منها السائرين الى الله من أهل الارادات صيد البر ماسنح للسائرين من مطالب الدنيا مادمتم حرما أى فى حال المحولا فى حال المحو جعل الله الكعبة كعبة الظاهر قياما للعوام والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص ولخواص الخواص يلوذون بها بدوام الذكر ونفى الخواطر حتى يعلموا أن لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام أن يسكن فى كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو أيام الطلب حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ماسوى الحق والهدى هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع قلائد أركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل

العبد الى كعبة القلب شاهد بأنواره
ان الله ما فى السموات وما فى الارض
شديد العقاب يسدل الحجاب لغير
الاحباء غفور رحيم للصادقين فى
الطلب بفتح الابواب الا البلاغ
بالقال يتلو عليهم آياته و بالحال
ويزكيهم ما تبدون باقرار اللسان
وما تكتمون من تصديق الجنان
الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب
ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله
والخبيث ما سوى الله وفى ذلك كثرة
والله أعلم قول الله عز وجل ﴿ يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان
تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبدلكم عفا الله
عنها والله غفور حليم قد سألها قوم
من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب وأكثرهم
لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى
ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيأ ولا يهتدون يا أيها
الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا
حضر أحدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم أو آخران
من غيركم ان أنتم ضربتم فى الارض
فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما
من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان
ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا
قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن

لو قعتم فيه قال فأنزل الله تعالى عند ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء الى آخر الآية **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل من بنى أسد فقال يا رسول الله أفى كل عام فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فقال والذى نفس محمد بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم واذا لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فاذا أمرتكم بشئ فافعلوا واذا نهيتكم عن شئ فانتهوا عنه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم نهاهم أن يسألوا عن مثل الذى سألت النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله تعالى عن ذلك وقال لا تسألوا عن أشياء ان نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فانكم لا تسألون عن شئ الا وجدتم تبيانه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح قال ثنا على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم قال لما أنزلت آية الحج نادى النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال يا أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله أعاما واحدا أم كل عام فقال لا بل عاما واحدا ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم قال سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء فوعظهم فانتهوا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقيل أواجب هو يا رسول الله كل عام قال لا ولو قلتها لوجبت ولو وجبت ما أطقتم ولو لم تطيقوا لكفرتم ثم قال سلونى فلا يسألنى رجل فى مجلسى هذا عن شئ الا أخبرته وان سألنى عن أبيه فقام اليه رجل فقال من أبى قال أبوك حذافة بن قيس فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ونعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى ذكر من قال ذلك **حدثنى** اسحق بن ابراهيم بن حبيب ابن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال هى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ألا ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من كذا ولا كذا قال وأما عكرمة فانه قال انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين قال فقلت قد حدثنى مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس فما لك تقول هذا فقال هيه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن ابن عون عن عكرمة قال هو الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى وقال سعيد بن جبير هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة * وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك قول من قال نزلت هذه الآية من أجل اكثار السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل كمسئلة ابن حذافة اياه من أبوه ومسئلة سائله اذ قال ان الله فرض عليكم الحج أفى كل عام وما أشبه ذلك من المسائل لتظاهر الاخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل وأما القول الذى رواه مجاهد عن ابن عباس فقول غير بعيد من الصواب ولكن الاخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه وكرهنا القول به من أجل ذلك على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التى كره الله لهم السؤال عنها كما

كره

كره الله لهم المسئلة عن الحج أكل عام هو أم عاما واحدا وكما كره لعبد الله بن حذافة مسئلته عن أبيه فنزلت الآية بالنهى عن المسائل كلها فأخبر كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله أو أجل غيره وهذا القول أولى الاقوال فى ذلك عندى بالصحة لان مخارج الاخبار بجميع المعانى التى ذكرت صحاح فتوجيهها الى الصواب من وجوهها أولى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم﴾ يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما نهاهم عن مسألتهم اياه عنه من فرائض لم يفرضها الله عليهم وتحليل أمور لم يحللها لهم وتحريم أشياء لم يحرمها عليهم قبل نزول القرآن بذلك أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولى مما لم أنزل به كتابا ولا وحيا لا تسألوا عنه فانكم ان أظهر ذلك لكم تبيان بوحى وتنزيل ساءكم لان التنزيل بذلك اذا جاءكم انما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم اما بايجاب عمل عليكم ولزوم فرض لكم وفى ذلك عليكم مشقة ولزوم مؤنة وكلفة واما بتحريم ما لم يأتكم بتحريمه وحى كنتم من التقدم عليه فى فسحة وسعة واما بتحليل ما تعتقدون تحريمه وفى ذلك لكم مساءة لنفوسكم مما كنتم ترونه حقا الى ما كنتم ترونه باطلا ولكنكم ان سألتم عنها بعد نزول القرآن بها وبعد ابتدائكم شأن أمرها فى كتابى الى رسولى اليكم بين لكم ما أنزلته اليه من اتيان كتابى وتأويل تنزيلى ووحيى وذلك نظير الخبر الذى روى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثنا به هناد بن السرى قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبى هند عن مكحول عن أبى ثعلبة الخشنى قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال كان عبيد ابن عمير يقول ان الله تعالى أحل وحرم فما أحل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله عفاه ثم يتلو يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم حدثنا ابن المثنى قال ثنا الضحاك قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى عطاء عن عبيد ابن عمير أنه كان يقول ان الله حرم وأحل ثم ذكر نحوه وأما قوله عفا الله عنها فانه يعنى به عفا الله لكم عن مسألتكم عن الاشياء التى سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كره الله لكم مسألتكم اياه عنها أن يؤاخذكم بها أو يعاقبكم عليها ان عرف منها توبتكم وانابتكم والله غفور يقول والله ساتر ذنوب من تاب منها فتارك أن يفضحه فى الآخرة حليم أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه عن عقوبته عليها وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس الذى ذكرناه آنفا وذلك ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء يقول لا تسألوا عن أشياء ان نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فانكم لا تسألون عن شئ الا وجدتم تبيانه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ يقول تعالى ذكره قد سأل الآيات قوم من قبلكم فلما آتاهموها الله أصبحوا بها جاحدين منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتج بها عليهم وبرهانا على صحة ما جعلت برهانا على تصحيحه كقوم صالح الذين سألوا الآية فلما جاءتهم الناقة آية عقروها وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء فلما أعطوها كفروا بها وما أشبه ذلك فحذر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل من قبلهم من الامم التى هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها فقال لهم لا تسألوا الآيات ولا تبحثوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فقد سأل الآيات من قبلكم قوم فلما أوتوها أصبحوا بها

الآثمين فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله انى منزلها

عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير ﴾ القرآت ينزل من الانزال أبو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين آلله بالمد روح وزيد الباقون بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى فى اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين جمع الاول نقيض الآخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى فى اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى الاحق الغيوب بكسر الغين حيث كان حمزة وحماد وأبو بكر غير الشمونى والبرجمى والخزاعى عن ابن فليح فى ساحر وكذلك فى هود والصف

كافرين كالذى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم نهاهم أن يسألوا عن مثل الذى سألت النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قد سألها قوم من قبلكم قد سأل الآيات قوم من قبلكم وذلك حين قيل له غير لنا الصفا ذهبا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ يقول تعالى ذكره ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة ولا وصل وصيلة ولا حمى حاميا ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة فحرمتموه افتراء على ربكم كالذى حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنى أبى وشعيب بن الليث عن الليث عن ابن الهاد وحدثنى يونس قال ثنا عبد الله بن يوسف قال ثنى الليث قال ثنى ابن الهاد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار وكان أول من سيب السائبة حدثنا هناد بن السرى قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث عن أبى صالح عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون يا أكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة ابن خندف يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا به منك فقال أكثم أخشى أن يضرنى شبهه يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انك مؤمن وهو كافر انه أول من غير دين اسمعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامى حدثنا هناد قال ثنا يونس قال ثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيته فى النار يؤذى أهل النار بريح قصبه حدثنا هناد قال ثنا عبيدة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على النار فرأيت فيها عمرو بن فلان بن فلان بن فلان ابن خندف يجر قصبه فى النار وهو أول من غير دين ابراهيم وسيب السائبة وأشبه من رأيت به أكثم بن الجون فقال أكثم يا رسول الله أيضرنى شبهه قال لا لأنك مسلم وانه كافر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار وهو أول من سيب السوائب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف أول من سيب السوائب وأول من غير عهد ابراهيم قالوا من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحى أخو بنى كعب لقد رأيته يجر قصبه فى النار يؤذى ريحه أهل النار وانى لأعرف أول من بحر البحائر قالوا من هو يا رسول الله قال رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما ثم شرب ألبانهما بعد ذلك فلقد رأيته فى النار هو وهما يعضانه بأفواههما ويخبطانه بأخفافهما والبحيرة الفعيلة من قول القائل بحرت أذن هذه الناقة اذا شقها أبحرها بحرا والناقة مبحورة ثم تصرف المفعولة الى فعيلة فيقال هى بحيرة وأما البحر من الابل فهو الذى قد أصابه داء من كثرة شرب الماء يقال منه بحر البعير يبحر بحرا ومنه قول الشاعر

لأعطلنك وسما لا تفارقه * كما يحز بحمى الميسم البحر

وبنحو الذى قلنا فى معنى البحيرة جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن أبيه قال

دخلت

دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ابلك ألست تنتجها مسلمة آذانها فتأخذ الموسى فتجدعها تقول هذه بحيرة وتشق آذانها تقول هذه حرم قال نعم قال فان ساعدك الله أشد وموسى الله أحد كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شئ حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا الاحوص عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تنتج ابل قومك صحاحا آذانها فتعمد الى الموسى فتقطع آذانها فتقول هذه بحر وتشقها أو تشق جلودها فتقول هذه حرم فتحرمها عليك وعلى أهلك قال نعم قال فان ما آتاك الله لك حل وساعدك الله أشد وموسى الله أحد وربما قال ساعدك الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موسى وأما السائبة فانها المسيبة المخلاة وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه فيحرم الانتفاع به على نفسه كما كان بعض أهل الاسلام يعتق عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة كما قيل عيشة راضية بمعنى مرضية وأما الوصيلة فان الانثى من نعمهم في الجاهلية كانت اذا أتأمت بطنا بذكر وأنثى قيل قد وصلت الانثى أخاها بدفعها عنه الذبح فسموها وصيلة وأما الحامى فانه الفحل من النعم يحمى ظهره من الركوب والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته وقد اختلف أهل التأويل في صفات المسميات بهذه الاسماء وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك ذكر الرواية بما قيل في ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن أبي اسحق عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم ابن الجون الخزاعى يا أكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا به منك فقال أكثم أيضرنى شبهه يا نبى الله قال لا لانك مؤمن وهو كافر وانه كان أول من غير دين اسمعيل ونصب الأوثان وسيب السوائب فيهم وذلك أن الناقة اذا تابعت ثنتى عشرة انثا ليس فيها ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا الضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم خلى سبيلها مع أمها في الابل فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا الضيف كما فعل بأمها فهى البحيرة ابنة السائبة والوصيلة ان الشاة اذا نتجت عشرا اناث متتابعات في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة قالوا وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون اناثهم الا أن يموت منها شئ فيشتركون في أكله ذكورهم واناثهم والحامى ان الفحل اذا نتج له عشرا اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره ولم يركب ولم يجز وبره ويخلى في ابله يضرب فيها لا ينتفع به بغير ذلك يقول الله تعالى ذكره ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الى قوله ولا يهتدون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق في هذه الآية ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال أبو جعفر سقط على فيما أظن كلام منه قال فأتيت علقمة فسألته فقال ما تريد الى شئ كانت تصنعه أهل الجاهلية حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مسلم قال أتيت علقمة فسألته عن قول الله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام فقال وما تصنع بهذا انما هذا شئ من فعل الجاهلية قال فأتيت مسروقا فسألته فقال البحيرة كانت الناقة اذا ولدت بطنا خمسا أو سبعا شقوا أذنها وقالوا هذه بحيرة قال ولا سائبة قال كان الرجل يأخذ بعض ماله فيقول هذه سائبة قال ولا وصيلة قال كانوا اذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الاناث واذا ولدت ذكرا وأنثى في بطن قالوا وصلت أخاها فلا يأكلونهما قال فاذا مات الذكر أكله الذكور دون الاناث قال ولا حام قال كان البعير اذا ولد وولد ولده قالوا قد قضى هذا الذى عليه فلم ينتفعوا بظهره

حمرة وعلى وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب على والاعشى في اختياره الباقون بالياء و بالرفع أن ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وأبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالتخفيف فانى أعذبه بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وأحمى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص لى أن بالفتح ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع الباقون بالرفع * الوقوف تسؤكم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف تبدلكم ط عنها ط حليم ٥ كافرين ٥ ولا حام لا للاستدراك الكذب ط لا يعقلون ٥ آبائنا ط ولا يهتدون ٥ أنفسكم ج لاحتمال الاستئناف أو الحال أى احفظوا أنفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم ط تعملون ٥ مصيبة الموت ط قربى ز لأن قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة ط لمن قرأ آتاه بالمد الآثمين ٥ وما اعتدينا ز لظاهران والوصل أجوز لتعلق اذا بقوله وما اعتدينا الظالمين ٥ أيمانهم ط لابتداء الامر واسمعوا ط الفاسقين ٥ أجبتم ط لنا ط الغيوب ٥ والدتك لا لئلا يوهم انه ظرف لاذكر بل عامله محذوف والتقدير واذكر اذ أيدتك وكهلا ج والانجيل ج والابرص باذنى ج الموتى ج لان اذ يجوز تعلقه بتعلق به اذ الاول و يمكن تعلق كل واحد

قالوا هذا حام حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن مسلم بن صبيح قال سألت علقمة عن قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة قال ما تصنع بهذا هذا شئ كان يفعله أهل الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص ما جعل الله من بحيرة قال البحيرة التي قد ولدت خمسة أبطن ثم تركت حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن الشعبي ما جعل الله من بحيرة قال البحيرة المخضرمة ولا سائبة والسائبة ما سيب للهدى والوصيلة اذا ولدت بعد أربعة أبطن فيما يرى جرير ثم ولدت الخامس ذكرا وأنثى وصلت أخاها والحام الذي قد ضرب أولاد أولاده في الابل حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي بنحوه الا أنه قال والوصيلة التي ولدت بعد أربعة أبطن ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها وسائر الحديث مثل حديث ابن حميد حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الازرق عن زكريا عن الشعبي أنه سئل عن البحيرة فقال هي التي تجدع آذانها وسئل عن السائبة فقال كانوا يهدون لآلهتهم الابل والغنم فيتركونها عند آلهتهم لتذبح فتخلط بغنم الناس فلا يشرب ألبانها الا الرجال فاذا مات منها شئ أكله الرجال والنساء جميعا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ما جعل الله من بحيرة وما معها البحيرة من الابل يحرم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها الا على الرجال فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها وان ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها فاذا ضرب الفحل من ولد البحيرة فهو الحامي والسائبة من الغنم على نحو ذلك الا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد كان على هيئتها فاذا ولدت في السابع ذكرا أو أنثى أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وان توأمت أنثى وذكرا فهي وصيلة ترك ذبح الذكر بالانثى وان كانتا أنثيين تركتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة فالبحيرة الناقة كان الرجل اذا ولدت خمسة أبطن فعمد الى الخامسة فلم يكن سقبا فبتك آذانها ولا يجزلها وبرا ولا يذوق لها لبنا فتلك البحيرة ولا سائبة كان الرجل يسيب من ماله ما شاء ولا وصيلة فهي الشاة اذا ولدت سبعا عمد الى السابع فان كان ذكرا ذبح وان كان أنثى تركت وان كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فولدتهما قالوا وصلت أخاها فيتركان جميعا لا يذبحان فتلك الوصيلة وقوله ولا حام كان الرجل يكون له الفحل فاذا قضى عشرا قيل حام فاتركوه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ليسيبوها لاصنامهم ولا وصيلة يقول الشاة ولا حام يقول الفحل من الابل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام تشديد شدده الشيطان على أهل الجاهلية في أموالهم وتغليظ عليهم فكانت البحيرة مثل الابل اذا نتج الرجل خمسا من ابله نظر البطن الخامس فان كانت سقبا ذبح فأكله الرجال دون النساء وان كان ميتة اشتركوا فيه ذكرهم وأنثاهم وان كانت حائلا وهي الانثى تركت فبتكت أذنها فلم يجزلها وبر ولم يشرب لها لبن ولم يركب لها ظهر ولم يذكر الله عليها اسم وكانت السائبة يسيبون ما بدا لهم من أموالهم فلا تمتنع من حوض أن تشرع فيه ولا من حمى أن ترتع فيه وكانت الوصيلة من الشاء من البطن السابع اذا كان جديا ذبح فأكله الرجال دون النساء وان كانت ميتة اشتركوا فيه ذكرهم وأنثاهم وان جاءت بذكر وأنثى قيل وصلت أخاها فمنعته الذبح والحام كان الفحل اذا ركب من بني بنيه عشرة أو ولد ولده قيل حام حمى ظهره فلم يزم ولم يخطم ولم يركب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا

بمحذوف آخر لتفصيل النعم سحر مبين ○ و برسولي ط لاحتمال ان قالوا مستأنف أو عامل في اذ أوحيت مسلمون ○ من السماء الاولى ط مؤمنين ○ الشاهدين ○ وآية منك ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين ○ عليكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين ○ من دون الله ط ماليس لي ط قد قيل وهو تعسف لان المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته ط نفسك ط الغيوب ○ وربكم ج على أن الواو للاستئناف أو الحال أي وقد كنت فيهم ط لان عامل لما متأخر وفاء التعقيب دخلتها عليهم ط لان الواو لا يحتمل الحال للتعميم في كل شئ شهيد ○ عبادك ج لابتداء الشرط مع الواو الحكيم ○ صدقهم ط لاختلاف الجملتين بلا عطف أبدا ط عنه ط العظيم ○ وما فيهن ط قدير ○ ﴿التفسير﴾ عن أنس أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثروا المسألة فقام على المنبر فقال فاسألوني فوالله لا تسألوني عن شئ ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من أبي فقال أبوك حذافة بن قيس وقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك

أسباط عن السدى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام فالبحيرة من الابل كانت الناقة اذا انتجت خمسة أبطن ان كان الخامس سقبا ذبحوه فأهدوه الى آلهتهم وكانت أمه من عرض الابل وان كانت ربعة استحيوها وشقوا أذن أمها وجزوا وبرها وخلوها فى البطحاء فلم يجز لهم فى دية ولم يحلبوا لها لبنا ولم يجز والها وبرا ولم يحملوا على ظهرها وهى من الانعام التى حرمت ظهورها وأما السائبة فهو الرجل يسيب من ماله ما شاء على وجه الشكران كثر ماله أو بر أمن وجع أو ركب ناقة فأنجح فانه يسمى السائبة يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب الا أصابته عقوبة فى الدنيا وأما الوصيلة فمن الغنم هى الشاة اذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة فكان آخر ذلك جديا ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة وان كانت عناقا استحيوها وان كانت جديا وعناقا استحيوا الجدى من أجل العناق فانها وصيلة وصلت أخاها وأما الحام فالفحل يضرب فى الابل عشر سنين ويقال اذا ضرب ولد ولده قيل قد حمى ظهره فيترك كونه لا يمس ولا ينحر أبدا ولا يمنع من كلا يريده وهو من الانعام التى حرمت ظهورها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب فى قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال البحيرة من الابل التى يمنع درها للطواغيت والسائبة من الابل كانوا يسيبونها لطواغيتهم والوصيلة من الابل كانت الناقة تبكر بانثى ثم تثنى بانثى فيسمونها الوصيلة يقولون وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم أو يذبحونها الشك من أبى جعفر والحام الفحل من الابل كان يضرب الضراب المعدود فاذا بلغ ذلك قالوا هذا حام قد حمى ظهره فتركوه فسموه الحام قال معمر قال قتادة اذا ضرب عشرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال البحيرة من الابل كانت الناقة اذا انتجت خمسة أبطن فان كان الخامس ذكرا كان للرجال دون النساء وان كانت أنثى بتكوا آذانها ثم أرسلوها فلم ينحروا لها ولدا ولم يشربوا لها لبنا ولم يركبوا لها ظهرا وأما السائبة فانهم كانوا يسيبون بعض ابلهم فلا تمنع حوضا أن تشرع فيه ولا مرعى أن ترتع فيه والوصيلة الشاة كانت اذا ولدت سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا ذبح وأكله الرجال دون النساء وان كانت أنثى تركت حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سلمان عن الضحاك ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام أما البحيرة فكانت الناقة اذا نتجوها خمسة أبطن نحروا الخامس ان كان سقبا وان كان ربعة شقوا أذنها واستحيوها وهى بحيرة وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه وهو خالص لرجالهم فان ماتت الناقة أو نتجوها ميتا فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه وأما السائبة فكان يسيب الرجل من ماله من الانعام فيهمل فى الحمى فلا ينتفع بظهره ولا بولده ولا بلبنه ولا بشعره ولا بصوفه وأما الوصيلة فكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع اذا كان جديا وان كان عناقا استحيوه وان كان جديا وعناقا استحيوهما كليهما وقالوا ان الجدى وصلته أخته فحرمته علينا وأما الحامى فالفحل اذا ركبوا أولاد ولده قالوا قد حمى هذا ظهره وأحرز أولاد ولده فلا يركبونه ولا يمنعونه من حمى شجر ولا حوض ما شرع فيه وان لم يكن الحوض لصاحبه وكانت من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها فى شئ من شأنهم لا ان ركبوا ولا ان حملوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا فى ذلك أنزل الله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الى قوله وأكثرهم لا يعقلون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال هذا شئ كانت تعمل به أهل الجاهلية وقد ذهب قال البحيرة كان الرجل يجدع أذنى ناقته ثم يعتقها كما يعتق جاريته وغلامه لا تحلب ولا تركب والسائبة يسيبها

أن أقول نعم والله ان قلت نعم لوجبت ولو وجبت لتركتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبى فقال فى النار ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنزل الله هذه الآية فهى عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كأنه قال ما آتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا فى غيره فلعله يحبسكم بما يشق عليكم وأيضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات أخر كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الآية وكان لبعض المسلمين أيضا ميل الى ظهورها فمنعوا ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم أنكرت استحق المنكر العقاب العاجل ويحتمل أن يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن أشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين فى منع صرف أشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه أصلها شيئاء على وزن حمراء فهو اسم جمع لشئ استثقلوا الهمزتين فى آخره فنقلوا الهمزة التى هى لام الفعل الى أول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء أصلها أفعلاء بناء

على أن شيا مخفف شئ كما يقال هين
فى هين وقد يجمع فيعل على أفعلاء
كنبى وأنبياء لكنهم استثقلوا اجتماع
الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقى
أشياء على وزن أفعاء وقال الكسائى
وزنها أفعال ومنع الصرف تشبيها
له بحمراء ولا يلزم منه منع صرف
أبناء وأسماء لان ما ثبت على خلاف
الدليل لا يلزم اطراده ولكنه
يكون مقصورا على المسموع
والحاصل أن السؤال عن الاشياء
ربما يؤدى الى ظهور أحوال مكتومة
يكره ظهورها وربما ترتب عليها
تكاليف شاقة صعبة فالذى سأل
عن أبيه لم يأمن أن يلحق بغير أبيه
فيفتضح والسائل عن الحج كاد أن
يوجبه فى كل عام وقد قال صلى الله عليه
وسلم ان أعظم المسلمين فى المسلمين
جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من
أجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول
ان الله أحل وحرم فما أحل فاستحلوه
وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك
أشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو
من الله تعالى فاقبلوه وقال أبو ثعلبة
ان الله تعالى فرض فرائض فلا
تضيعوها ونهى عن أشياء فلا
تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا
تبحثوا عنها ثم لما رتب المساءة على
السؤال ذكر أن الابداء سيكون
لان الوحى غير منقطع فقال وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن أى
فى زمان الوحى لان الرسول بين
أظهركم تبد لكم تلك الامور أو
التكاليف فالحاصل أنهم ان سألوا
عنها أبديت لهم وان أبديت لهم

بغير تجديع والحام اذا نتج له سبع اناث متواليات قد حمى ظهره ولا يركب ولا يعمل عليه والوصيلة
من الغنم اذا ولدت سبع اناث متواليات ليس بينها ذكر سميت بذلك لانها وصلت أخاها فحرمت
علينا لحمها أن يؤكل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال ثنا عبد الله بن يوسف قال ثنا الليث بن سعد قال ثنى ابن الهاد عن ابن شهاب قال قال سعيد
ابن المسيب السائبة التى كانت تسيب فلا يحمل عليها شئ والبحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا
يحلبها أحد والوصيلة الناقة البكر تبكر أول نتاج الابل بانثى ثم تثنى بعد بانثى وكانوا يسمونها
للطواغيت يدعونها الوصيلة ان وصلت احداهما بالاخرى والحامى فحل الابل يضرب العشر من
الابل فاذا انقضى ضرابه يدعونه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحملوا عليه شيأ وسموه الحامى وهذه
أمور كانت فى الجاهلية فأبطلها الاسلام فلا نعرف قوما يعملون بها اليوم فاذا كان ذلك كذلك
وكان ما كانت الجاهلية تعمل به لا توصل الى عمله اذ لم يكن له فى الاسلام اليوم أثر ولا فى الشرك
نعرفه الا بخبر وكانت الاخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذى ذكرنا فالصواب
من القول فى ذلك أن يقال أما معانى هذه الاسماء فما بينا فى ابتداء القول فى تأويل هذه الآية
وأما كيفية عمل القوم فى ذلك فما لا علم لنا به وقد وردت الاخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا
وغير ضائر الجهل بذلك اذا كان المراد من علمه المحتاج اليه موصلا الى حقيقته وهو أن القوم كانوا
محرمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله اتباعا منهم خطوات الشيطان فوبخهم الله تعالى
بذلك وأخبرهم أن كل ذلك حلال فالحرام من كل شئ عندنا ما حرم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم بنص أو دليل والحلال منه ما أحله الله ورسوله كذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى
بالذين كفروا فى هذا الموضع والمراد بقوله وأكثرهم لا يعقلون فقال بعضهم المعنى بالذين كفروا
اليهود وبالذين لا يعقلون أهل الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة
عن سفيان عن داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
قال أهل الكتاب وأكثرهم لا يعقلون قال أهل الاوثان وقال آخرون بل هم أهل ملة واحدة
ولكن المفترين المتبوعون والذين لا يعقلون الأتباع ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين
ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا خارجة عن داود بن أبى هند عن الشعبى فى قوله ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون هم الأتباع وأما الذين افتروا يعقلون
أنهم افتروا وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان المعنيين بقوله ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وحموا الحوامى
مثل عمرو بن لحى واشكاله ممن سنوا لاهل الشرك السنن الرديئة وغيروا دين الله دين الحق وأضافوا
الى الله تعالى أنه هو الذى حرم ما حرموا وأحل ما أحلوا افتراء على الله الكذب وهم يعلمون
واختلقا عليه الافك وهم يعمهون فكذبهم الله تعالى فى قيلهم ذلك واضافتهم اليه ما أضافوا من
تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا فقال تعالى ذكره ما جعلت من بحيرة ولا سائبة ولكن الكفار
هم الذين يفعلون ذلك ويفترون على الله الكذب وأن يقال ان المعنيين بقوله وأكثرهم
لا يعقلون هم أتباع من سن لهم هذه السنن من جهلة المشركين فهم لا شك أنهم أكثر من الذين
سنوا ذلك لهم فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون لانهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك
السنن وأخبروهم أنها من عند الله كذبة فى اخبارهم أفكة بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقون
فى اخبارهم صادقون وانما معنى الكلام وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذى
حرمه هؤلاء المشركون وأضافوه الى الله تعالى كذب وباطل وهذا القول الذى قلنا فى ذلك

نظير قول الشعبي الذي ذكرناه ولا معنى لقول من قال عنى بالذين كفروا أهل الكتاب وذلك أن النكير في ابتداء الآية من الله تعالى على مشركي العرب فالختم بهم أولى من غيرهم اذ لم يكن عرض في الكلام ما يصرف من أجله عنهم الى غيرهم وبنحو ذلك كان يقول قتادة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأكثرهم لا يعقلون يقول لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرم عليهم انما كان من الشيطان ولا يعقلون ﴿القول في تأويل قوله﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيبون السوائب الذين لا يعقلون أنهم باضافتهم تحريم ذلك الى الله تعالى يفترون على الله الكذب تعالوا الى تنزيل الله وآي كتابه والى رسوله ليتبين لكم كذب قيلكم فيما تضيفونه الى الله تعالى من تحريمكم ما تحرمون من هذه الاشياء أجابوا من دعاهم الى ذلك بأن يقولوا حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به ويقولون نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة قد اكتفينا بما أخذنا عنهم ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيأ يقول لم يكونوا يعلمون أن ما يضيفونه الى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كذب وفرية على الله لا حقيقة لذلك ولا صحة لانهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدؤا تحريم ذلك افتراء على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من اضافتهم الى الله تعالى ما يضيفون ما كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب بل كانوا على ضلالة وخطأ ﴿القول في تأويل قوله﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فأصلحوها واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى وانظروا لها فيما يقربها من ربها فانه لا يضركم من ضل يقول لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق اذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه فحرمتم حرامه وحللتم حلاله ونصب قوله أنفسكم بالاغراء والعرب تغري من الصفات بعليك وعندك ودونك واليك واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا أبي قال ثنا أبو الاشهب عن الحسن أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي الاشهب عن الحسن قال ذكر ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا ثم ذكر نحوه حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قال رجل لابن مسعود ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شبابة ابن سوار قال ثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فان الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا فليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم حدثنا أحمد ابن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم من المسلمين جلوس فقرأ أحدهم هذه الآية عليكم أنفسكم فقال أكثرهم لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا

ساءتهم فيلزم من المقدمتين أنهم ان سألوا عنها ساءتهم وقيل السؤال قسمان أحدهما السؤال عن شئ لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فنهى عنه بقوله لا تسألوا والثاني السؤال عن شئ نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فأشار الى هذا القسم بقوله وان تسألوا رفعا للحرج وتمييزا لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسؤل عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسألوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة أم لا تبد لكم والمراد أن تطلب الرخصة في السؤال أو لا ثم يسأل عفا الله عنها أي عما سلف من مسألتكم واغضابكم الرسول فلا تعودوا اليها أو المراد بالعفو أنه تعالى ما أظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة أخرى للاشياء كما أن الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسألوا عن أشياء أمسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق أي خفف عنكم باسقاطها فاسألها يعني المسئلة التي دل عليها لا تسألوا قوم من قبلكم سأل الناقة قوم صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم موسى عليه السلام فصار وبالا عليهم وسأل المائدة قوم عيسى عليه السلام فكفروا بها ويحتمل أن يعود الضمير في سألها الى الاشياء فكان أمة محمد صلى الله عليه وسلم

المعتمر عن أبيه عن قتادة عن أبي مازن بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالا ثنا عوف عن سوار بن شبيب قال كنت عند ابن عمر اذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن نحن ستة كلهم قد قرؤا القرآن فأسرع فيه وكلهم مجتهد لا يألو وكلهم بغيض اليه أن يأتي دناءة وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك فقال رجل من القوم وأي دناءة تزيد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك قال فقال الرجل اني لست ابالك أسأل أنا أسأل الشيخ فأعاد على عبد الله الحديث فقال عبد الله بن عمر لعلك ترى لا أبالك أني سآمرك أن تذهب فتقتلهم عظهم وانههم فان عصوك فعليك بنفسك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن رجل قال كنت في خلافة عثمان بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيهم شيخ يسندون اليه فقرأ رجل عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال الشيخ انما تأويلها آخر الزمان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أبو مازن رجل من صالحي الازد من بني الحدان قال انطلقت في حياة عثمان الى المدينة فقعدت الى حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ رجل من القوم هذه الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال فقال رجل من أسن القوم دع هذه الآية فانما تأويلها في آخر الزمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لأصغر القوم فتذاكروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت أنا أليس الله يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فأقبلوا علي بلسان واحد وقالوا تنزع بآية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حدث السن وانك نزعت بآية لا تدري ما هي وعسى أن تدرك ذلك الزمان اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت حدثنا هناد قال ثنا الليث بن هرون قال ثنا اسحق الرازي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن عبد الله بن مسعود في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون قال كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فكان بين رجلين ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر الى جنبه عليك بنفسك فان الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال فسمعها ابن مسعود فقال مه لم يجئ تأويل هذه بعد ان القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه ما وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من أمر الساعة ومنه اي يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار فادامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا فاذا

سألوا عن أحوال الاشياء والمتقدمين سألوا نفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسئلة اختلفت العبارة الا أن كل واحد من القسمين يشتركان في وصف هو الخوض في الفضول والشروع فيما لا يعني فتوجه الذم عليهما جميعا ولما منعهم عن أمور تكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام أمور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر ناقته اذا شق أذنها وهي بمعنى المفعول قال أبو عبيدة والزجاج كان أهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا شقوا أذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لآلهتهم لا تنحر ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا ترد عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها المعي لا يركبها تحريجا وأما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب الى حيث شاءت قال أبو عبيدة كان الرجل اذا مرض أو قدم من سفر أو نذر نذرا أو شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في أحكامها وقيل هي أم البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة أبطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها أو الضيف حتى تموت فاذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت أذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة أمها في أنها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام أي تعتق لها

اختلفت القلوب والاهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية عن ابن مسعود أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه ثم ذكر نحوه حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا حرمى قال سمعت الحسن يقول تأول بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال بعض أصحابه دعوا هذه الآية فليست لكم حدثنى اسمعيل ابن اسرائيل الملال الرملى قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا عتبة بن أبى حكيم عن عمرو بن خالد اللخمى عن أبى أمية الشعبانى قال سألت أبا ثعلبة الخشنى عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فقال لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك أرى من بعدكم أيام الصبر للمتمسك يومئذ بمثل الذى أنتم عليه كاجر خمسين عاملا قالوا يا رسول الله كاجر خمسين عاملا منهم قال لا كاجر خمسين عاملا منكم حدثنا على بن سهل قال أخبرنا الوليد بن مسلم عن ابن المبارك وغيره عن عتبة بن أبى حكيم عن أبى أمية الشعبانى قال سألت أبا ثعلبة الخشنى كيف نصنع بهذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال أبو ثعلبة سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم فان وراءكم أياما أجر العامل فيها كاجر خمسين منكم * وقال آخرون معنى ذلك أن العبد اذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضل بعده وهلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل يقول اذا ما العبد أطاعنى فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعد اذا عمل بما أمرته به حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول أطيعوا أمرى واحفظوا وصيتى حدثنا هناد قال ثنا ليث بن هرون قال ثنا اسحق الرازى عن أبى جعفر الرازى عن صفوان بن الجون قال دخل عليه شاب من أصحاب الاهواء فذكر شيأ من أمره فقال صفوان ألا أدلك على خاصة الله التى خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل الآية حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنا أبو المطرف الخزومى قال ثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم مالم يكن سيف أو سوط حدثنا على بن سهل قال ثنا مرة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال الحسن الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقى الا والى جانبه منافق يكره عمله * وقال آخرون بل معنى ذلك يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فاعملوا بطاعة الله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن سعد البقال عن سعيد بن المسيب لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر لا يضرك من ضل اذا اهتديت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن أبى العميس عن أبى البخترى عن حذيفة عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اذا أمرتم ونهيتم حدثنا هناد قال

وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجىء به الى السدنة وهم خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها أبناء السبيل وقيل هى العبد يعتق على أن لا يكون عليه ولاء ولا ميراث وأما الوصيلة فاذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها أو بمعنى الواصلة لانها وصلت أخاها وأما الحامى فيقال حمى يحميه اذا حفظه قال السدى هو الفحل الذى يضرب فى الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى أن يموت فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب أن الانسان خلق لعبادة الله تعالى فاذا أزيل الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله أما العجم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضى تفويت كمالها عليها وأيضا الانسان اذا أعتق قدر على تحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جذب الملائم ودفع المنافى فى الاغلب فاعتاقها يفضى الى ضياعها فظهر الفرق (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) قال ابن عباس يريد عمرو بن لحى وأصحابه كان قد ملك مكة شرفها الله وكان أول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان

ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال أبو بكر تقرؤن هذه الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان الناس اذا رأوا الظالم قال ابن وكيع فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل عن بيان عن قيس قال قال أبو بكر انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان القوم اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يعمهم الله بعقابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن اسمعيل عن قيس عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قال أبو بكر بن أبي خافة يا أيها الناس لا تغتروا بقول الله عليكم أنفسكم فيقول أحدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعوا الله خياركم فلا يستجيب لهم حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا بيان عن قيس بن أبي حازم قال قال أبو بكر وهو على المنبر يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية على غير موضعها لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه عمهم الله بعقابه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنى عيسى بن المسيب البجلي ثنا قيس ابن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه والظالم فلم يأخذوا على يديه فيوشك أن يعمهم الله منه بعقاب حدثنا الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سعيد بن سالم قال ثنا منصور بن دينار عن عبد الملك بن ميسرة عن قيس بن أبي حازم قال صعد أبو بكر المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس انكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدونها رخصة والله ما أنزل الله في كتابه أشد منها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله منه بعقاب حدثنا محمد بن سيار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا مجالد بن سعيد عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية ولا تدرون ما هي يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب * وقال آخرون بل معنى هذه الآية لا يضركم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال يعني من ضل من أهل الكتاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال أنزلت في أهل الكتاب * وقال آخرون عنى بذلك كل من ضل عن دين الله الحق ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وجعلت آباءك كذا وكذا كان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم * وأولى هذه الاقوال وأصح التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روى عن أبي بكر الصديق فيها وهو يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الزموا العمل بطاعة الله وبما أمركم به وانتهوا

وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه لقد رأيته في النار يؤذي أهل النار ريح قصبه والقصب الامعاء هذا حال رؤسائهم (وأكثرهم لا يعقلون) يعني العوام والاتباع ثم رد على أهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الآية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة فنفى العقل عنهم هنالك والعلم ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز الا بالعاقل العالم المهتدي لابتناء قوله على الحجة والدليل لا على التقليد والاضاليل قال أهل البرهان العلم أبلغ درجة من العقل ولهذا يوصف الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل وكان دعواهم ههنا أبلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب أن ينفي عنهم العلم الذي هو أبلغ ثم ذكر أن هؤلاء الجهال مع ما تقدم من أنواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشئ منه بل أصروا على جهالتهم وضلالتهم فلا تبالوا بهم أيها المؤمنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه تقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا يعدونهما الى المفعول كأنه قيل خذ زيدا فقد علاك أي أشرف عليك وحضرك عمرو فخذه وليس المراد في عليك انه حرف جر مع مجروره متعلق بمحذوف بل الجار والمجرور معا منقول الى معنى الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم فعل فان قيل ظاهر الآية يوهم

عما نهاكم الله عنه لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول فانه لا يضركم ضلال من ضل اذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه من فرض الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يركبه أو يحاول ركوبه والاخذ على يديه اذا رام ظلم المسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ولا ضير عليكم فى تماديه فى غيه وضلاله اذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى فيه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالصواب لان الله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البر والتقوى ومن القيام بالقسط الاخذ على يدى الظالم ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف وهذا مع ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان للناس ترك ذلك لم يكن للامر به معنى الا فى الحال التى رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك وهى حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصا له تركه اذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه فى ذلك بقلبه واذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى فبين أنه قد دخل فى معنى قوله اذا اهتديتم ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده عملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به وانتهوا عما نهيتكم عنه ومروا أهل الزيغ والضلال ومن حاد عن سبيلى بالمعروف وانهوهم عن المنكر فان قبلوا فلهم ولكم وان تمادوا فى غيهم وضلالهم فان الى مرجع جميعكم ومصيركم فى الآخرة ومصيرهم وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر فأخبر هنالك كل فريق منكم بما كان يعمله فى الدنيا ثم أجازيه على عمله الذى قدم به على جزاءه حسب استحقاقه فانه لا يخفى على عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يقول ليشهد بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية يقول وقت الوصية اثنان ذوا عدل منكم يقول ذوا رشد وعقل وحجا من المسلمين كما حدثنا محمد بن بشار وعبيد الله بن يوسف الجبيرى قالا ثنا مؤمل ابن اسمعيل قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله وأشهدوا ذوى عدل منكم قال ذوى عقل * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ذوا عدل منكم قال بعضهم عنى به من أهل ملتكم ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال شاهدان ذوا عدل منكم من المسلمين حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله اثنان ذوا عدل منكم قال اثنان من أهل دينكم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال سألته عن قول الله تعالى اثنان ذوا عدل منكم قال من الملة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة مثله الا أنه قال فيه من أهل الملة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية اثنان ذوا عدل منكم قال من أهل الملة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين عن زائدة عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن حماد عن ابن أبى نجيح وقال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد

أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الآية لا تدل الا على أن المطيع لربه غير مؤاخذ بذنب العاصى ولهذا خطب أبو بكر فقال انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأوا المنكر فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله بن المبارك ان هذه الآية آكدية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان معنى عليكم أنفسكم احفظوها والزموا صلاحها بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية مخصوصة عما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه أو على عرضه أو على ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم الله أنه لا ينفعهم الوعظ يؤكده ما روى فى سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقر مجوس هجر بالجزية قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من أهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركى أهل

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ذواعدل منكم قال ذواعدل من أهل الاسلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذواعدل منكم قال من المسلمين حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان سعيد بن المسيب يقول اثنان ذواعدل منكم أي من أهل الاسلام * وقال آخرون عني بذلك ذواعدل من حي الموصي وذلك قول روى عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما واختلفوا في صفة الاثنين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية ماهي وماهما فقال بعضهم هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي * وقال آخرون هما وصيان وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان قوله شهادة بينكم ليشهد شاهدان ذواعدل منكم على وصيتكم وتأويل الذين قالوا هما وصيان لاشاهدان قوله شهادة بينكم بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض من قولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرته * وأولى التأويلين بقوله اثنان ذواعدل منكم تأويل من تأوله بمعنى أنهما من أهل الملة دون من تأوله أنهما من حي الموصي وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله تعالى عم المؤمنين بخطابهم بذلك في قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذواعدل منكم فغير جائز أن يصرف ما عمه الله تعالى الى الخصوص الا بحجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون العائد من ذكرهم على العموم كما كان ذكرهم ابتداء على العموم * وأولى المعنيين بقوله شهادة بينكم اليمين لا الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره لمن هي عنده على من هي عليه عند الحكام لانا لانعلم لله تعالى حكما يجب فيه على الشاهد اليمين فيكون جائزا صرف الشهادة في هذا الموضع الى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والائمة وفي حكم الآية في هذه اليمين على ذوي العدل وعلى من قام مقامهم في اليمين بقوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك من أن الشهادة فيه الأيمان دون الشهادة التي يقضى بها للمشهود له على المشهود عليه وفساد ما خالفه فان قال قائل فهل وجدت في حكم الله تعالى يمينا تجب على المدعى فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع الى اليمين فان قلت لا تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأولت لانه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان في قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما هما المدعيين وان قلت بلى قيل لك وفي أي حكم الله تعالى وجدت ذلك قيل وجدنا ذلك في أكثر المعاني وذلك في حكم الرجل يدعي قبل رجل مالا فيقر به المدعى عليه قبله ذلك ويدعي قضاءه فيكون القول قول رب الدين والرجل يعترف في يد الرجل السلعة فيزعم المعترفة في يده أنه اشتراها من المدعي أو أن المدعي وهبها له وما أشبه ذلك مما يكثر احصاؤه وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى في هذا الموضع اليمين على المدعيين اللذين عثر على الجانيين فيما جنيا فيه * واختلف أهل العربية في الرافع قوله شهادة بينكم وقوله اثنان ذواعدل منكم فقال بعض نحويي البصرة معنى قوله شهادة بينكم شهادة اثنين ذوي عدل ثم ألقيت الشهادة وأقيم الاثنان مقامها فارتفعا بما كانت الشاهدة به مرتفعة لو جعلت في الكلام قال وذلك في حذف ما حذف منه واقامة ما أقيم مقام المحذوف نظير قوله واسأل القرية وانما يريد واسأل أهل القرية وانتصبت القرية بانتصاب الاهل وقامت مقامه ثم عطف قوله أو آخران على الاثنين * وقال بعض نحويي الكوفة رفع الاثنين بالشهادة أي ليشهدكم اثنان من المسلمين أو آخران من غيركم وقال آخرون منهم رفعت الشهادة باذا حضر وقال انما رفعت بذلك لانه قال اذا حضر فجعلها

شهادة

هجر ما رد على مشركي العرب فأنزل الله تعالى الآية أي لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الآية قرئت عنده فقال ان هذا في آخر الزمان ومثله ما روى عن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وان من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما أمر بحفظ النفس في قوله عليكم أنفسكم أمر بحفظ المال عن ابن عباس ان تميما الداري وأخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه وأخفاه بين الاقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى اليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة

شهادة محذوفة مستأنفة ليست بالشهادة التى قد رفعت لكل الخلق لانه قال تعالى ذكره أو آخران من غيركم وهذه شهادة لا تقع الا فى هذا الحال وليست مما ثبت * وأولى هذه الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال الشهادة مرفوعة بقوله اذا حضر لأن قوله اذا حضر بمعنى عند حضور أحدكم الموت والاثنان مرفوع بالمعنى المتوهم وهو أن يشهدا اثنان فاكتفى من قيل أن يشهد بما قد جرى من ذكر الشهادة فى قوله شهادة بينكم وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الشهادة مصدر فى هذا الموضع والاثنان اسم والاسم لا يكون مصدرا غير أن العرب قد تضع الاسماء مواضع الافعال فالامر وان كان كذلك فصرف كل ذلك الى أصح وجوهه ما وجدنا اليه سبيلا أولى بنا من صرفه الى أضعفها * القول فى تأويل قوله ﴿أو آخران من غيركم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين ليشهد بينكم اذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين أو آخران من غير المسلمين * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أو آخران من غيركم فقال بعضهم معناه أو آخران من غير أهل ملتكم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة ويونس بن معاذ قالا ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أو آخران من غيركم من أهل الكتاب حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب أو آخران من غيركم من أهل الكتاب حدثنى أبو حفص الجبيرى عبيد الله بن يوسف قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد مثله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسليمان التيمى عن سعيد بن المسيب أنهما قالا فى قوله أو آخران من غيركم قالا من غير أهل ملتكم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة قال ثنى من سمع سعيد بن جبير يقول مثل ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا التيمى عن أبى مجلز قال من غير أهل ملتكم وحدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ان كان قربه أحد من المسلمين أشهدهم والا أشهد رجلين من المشركين حدثنا عمرو بن على قال ثنا قتيبة قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير فى قوله أو آخران من غيركم قالا من غير أهل ملتكم حدثنا عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد أو آخران من غيركم قال من أهل الكتاب حدثنا عمرو قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين فان لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين حدثنا المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن شريح فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهما جائزة فان جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الاعمش عن ابراهيم عن شريح أنه كان لا يجيز شهادة اليهود والنصارى على مسلم الا فى الوصية ولا يجيز شهادتهما على الوصية الا اذا كانوا فى سفر حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو معاوية ووكيع قالا ثنا الاعمش عن ابراهيم عن شريح قال

مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقى المتاع الى أهله لما قدما فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم أى من التنازع والتشاجر وانما أضيفت الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند النزاع واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى هذا دليل أن الوصية مما لا ينبغى أن يتهاون بها المسلم عند ظهور أمارات الموت فكان وقتيهما واحدوهما متلازمان وارتفع اثنان على أنه قام مقام الخبرية أى شهادة بينكم شهادة اثنين أو على انه فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم أن يشهد اثنان وفى قوله منكم ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهرى وعليه جمهور الفقهاء ان منكم أى من أقاربكم ومن غيركم أى من الاجانب والمعنى ان وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم أحد من أقاربكم فاستشهدوا على الوصية أجنبيين وجعل الاقارب أولى لانهم أعلم بحال الميت وأرأف به وعن ابن عباس وأبى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم أى من أهل ملتكم ومن غيركم أى من كافر كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا أو عابد وثن قال الشافعى مرض رجل من المسلمين فى الغربة فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة وأتيا

لاتجوز شهادة اليهود والنصارى الا فى سفر ولا تجوز فى سفر الا فى وصية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن ابراهيم عن شريح نحوه **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا محمد بن عبد الله ابن الزبير الاسدى قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كتب هشام بن هبيرة لمسلمة عن شهادة المشركين على المسلمين فكتب لاتجوز شهادة المشركين على المسلمين الا فى وصية ولا تجوز فى وصية الا أن يكون الرجل مسافرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال سألته عن قول الله تعالى أو آخران من غيركم قال من غير الملة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة بمثله **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن ذلك فقال من غير أهل الملة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل الصلاة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل دينكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حسين عن زائدة عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل الملة **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا أبو حرة عن محمد بن سيرين عن عبيدة أو آخران من غيركم قال من غير أهل ملتكم **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن عثمان قال ثنا هشام بن محمد قال سألت سعيد بن جبير عن قول الله أو آخران من غيركم قال من غير أهل ملتكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** عمرو قال ثنا أبو داود قال ثنا حماد بن زيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال من غير أهل ملتكم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر ابن عياش قال قال أبو اسحق أو آخران من غيركم قال من اليهود والنصارى قال قال شريح لاتجوز شهادة اليهودى والنصرانى الا فى وصية ولا تجوز فى وصية الا فى سفر **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا الاشعرى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعرى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما وأمضى شهادتهما **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن مغيرة الازرق عن الشعبى أن أبا موسى قضى بهما بدقوقا **حدثنا** عمرو قال ثنا عثمان بن الهيثم قال ثنا عوف عن محمد أنه كان يقول فى قوله اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم شاهدان من المسلمين وغير المسلمين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو حفص عن ليث عن مجاهد قال من غير أهل الاسلام **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عباس قال قال زيد بن أسلم فى هذه الآية شهادة بينكم الآية كلها قال كان ذلك فى رجل توفى وليس عنده أحد من أهل الاسلام وذلك فى أول الاسلام والارض حرب والناس كفار الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل المسلمون بها * وقال آخرون بل معنى ذلك أو آخران من غير حيكم وعشيرتكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله اثنان ذوا عدل منكم

أبا موسى الاشعرى وكان واليا عليها فاخبراه بالواقعة فقال أبو موسى هذا أمر لم يقع بعد النبى صلى الله عليه وسلم فحلفهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا وأجاز شهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب فى منكم لجميع المؤمنين فيلزم أن يكون غيرهم كافرين وبأن هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر لجواز ذلك فى الحضر أيضا بالاتفاق وبانه تعالى أوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين فى سبب النزول كانا نصرانيين وبان أبا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه أحد من الصحابة وبان الضرورات تبيح المحظورات كالتيمم والافطار وأكل الميتة والمسلم اذا قرب أجله ولم يجد مسلما ولا تقبل شهادة الكفار ضاع أكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون ولديه ودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النساء فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين أن يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر السفر ليس لأجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لأجل أن الغالب فى السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روى عن على كرم الله وجهه أنه كان يحلف الشاهد والراوى اذا اتهمهما وبان سبب

أو آخران من غيركم قال شاهدان من قومكم ومن غير قومكم حدثنا عمرو قال ثنا أبو داود قال ثنا صالح بن أبي الاخضر عن الزهري قال مضت السنة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر انما هي في المسلمين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اثنان ذوا عدل منكم أي من عشيرته أو آخران من غيركم قال من غير عشيرته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ثابت بن زيد عن عاصم عن عكرمة أو آخران من غيركم قال من غير أهل حيكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن ثابت بن زيد عن عاصم عن عكرمة أو آخران من غيركم قال من غير حيكم حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو داود قال ثنا ثابت ابن زيد عن عاصم الاحول عن عكرمة في قول الله تعالى أو آخران من غيركم قال من غير أهل حيه يعني من المسلمين حدثني الحرث بن محمد قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن أو آخران من غيركم قال من غير عشيرتك ومن غير قومك كلهم من المسلمين حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قوله أو آخران من غيركم قال مسلمين من غير حيكم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل قال سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين قلت أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصي أهما من المسلمين أم هما من أهل الكتاب وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما أتراهما من أهل المرء الموصي أم هما من غير المسلمين قال ابن شهاب لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها وقد كنا نتذاكرها أناسا من علمائنا أحيانا فلا يذكرون فيها سنة معلومة ولا قضاء من امام عادل ولكنه يختلف فيها رأيهم وكان أعجبهم فيها رأيا الينا الذين كانوا يقولون هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه ويغيب عنه بعضهم ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضر وامن وصية فان سلموا اجازت وصيته وان ارتابوا أن يكونوا بدلوا قول الميت وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوص لهم الميت بشئ حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهي صلاة المسلمين فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فاذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما ما لم يعثر على أنهما استحقا اثما في شئ من ذلك فان عثر قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الاولان المستحلفان أول مرة فيقسمان بالله لشهادتنا على تكذيبكما أو ابطال ما شهدتما به وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم الآية * وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالصواب تأويل من تأوله أو آخران من غير أهل الاسلام وذلك أن الله تعالى عرف عباده المؤمنين عند الوصية شهادة اثنين من عدول المؤمنين أو اثنين من غير المؤمنين ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم أو رجلين من غير عشيرتكم وانما يقال صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين فاذ كان لا وجه لذلك في الكلام فغير جائز صرف مغلق كلام الله تعالى الا الى أحسن وجوهه وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى ذوا عدل منكم انما هو من أهل دينكم وملتكم بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه واذا صح ذلك بما دللنا عليه فمعلوم أن معنى قوله أو آخران من غيركم انما هو أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم واذ كان ذلك كذلك فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل ديننا يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدي وثن أو على أي دين كانا لان الله تعالى

النزول لا يلزم أن ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قصة أبي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في أول الاسلام لقلة المسلمين وتعذرهم في السفر غالبا ومما يصلح أن يكون مؤكدا لهذه الآية وان لم يجز أن يكون ناسخا لها عند من يرى أن المائدة من آخر القرآن نزولا قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولا كذب أعظم من الفرية على الله تعالى وعلى رسله وانما تقبل شهادة أهل البدع والاهواء من هذه الأمة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما أي توقفونهما وتصيرونهما استئناف كانه قيل فكيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلاة قال ابن عباس من بعد صلاة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلاة العصر لان هذا الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بعد صلاة العصر ولان جميع أهل الاديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب وأهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر وبعد العصر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد أي صلاة كانت لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء

والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في أشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعديل كما في القسامة واللعان أو بزيادة الاسماء والصفات وقال أبو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان أو مكان ولا يخفى أن قول الشافعي أوفق للآية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى وقوله ان ارتبتم اعتراض والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من يقسم له قريبا منا أرادوا أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا كقوله شهداء الله ولو على أنفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم أتم والمداهنة بينهم أكمل ولا نكتم شهادة الله التي أمر بحفظها وتعظيمها وأداءها انا اذا لمن الآثمين أي اذا كتمناها كنا من الآثمين ونقل عن الشعبي أنه وقف على قول الله عز وجل شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول آلله لقد كان كذا والمعنى بالله فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على أمر لم يهجم عليه غيره وقريب منه العثار لان العاثر انما يعثر بشئ كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع على أنهما استحقا اثما وهو كناية

لم يخصص آخرين من أهل ملة بعينها دون ملة بعد أن يكونا من أهل الاسلام ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين صفة شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت وقت الوصية أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم أيها المؤمنون أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم ان أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين في الارض وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله قيل للمسافر الضارب في الارض فأصابتكم مصيبة الموت بقول فنزل بكم الموت ووجه أكثر أهل التأويل هذا الموضع الى معنى التعقيب دون التخيير وقالوا معناه شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ان وجدا فان لم يوجدا فآخران من غيركم وانما فعل ذلك من فعله لانه وجه معنى الشهادة في قوله شهادة بينكم الى معنى الشهادة التي توجب للقوم قيام صاحبها عند الحاكم أو يبطلها ذكر بعض من تأول ذلك كذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر في قوله ذوا عدل منكم من المسلمين فان لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اثنان من أهل دينكم أو آخران من غيركم من أهل الكتاب اذا كان ببلاد لا يجد غيرهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن شريح في هذه الآية شهادة بينكم الى قوله أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهم جائزة حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم قال هذا في الحضر أو آخران من غيركم في السفر ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت هذا في الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصي اليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال اذا حضر الرجل الوفاة في سفر فيشهد رجلين من المسلمين فان لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله ذوا عدل منكم فهذا لمن مات وعنده المسلمون فأمره الله أن يشهد على وصيته عدلين من المسلمين ثم قال أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فامره الله تعالى بشهادة رجلين من غير المسلمين ووجه ذلك آخرون الى معنى التخيير وقالوا انما عنى بالشهادة في هذا الموضع الأيمان على الوصية التي أوصى اليهما وائتمان الميت اياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤديا ه الى ورثته بعد وفاته ان ارتيب بهما قالوا وقد يأمن الرجل على ماله من رآه موضعا للامانة من مؤمن وكافر في السفر والحضر وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى وسنذكر بقيته ان شاء الله تعالى بعد ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت ان شهدا اثنان ذوا عدل منكم أو كان أوصى اليهما أو آخران من غيركم ان كنتم في سفر فحضرتكم المنية فأوصيتم اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم فاذا أنتم أوصيتم اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال فأصابتكم مصيبة الموت فأديا الى ورثتكم ما ائتمنتموهما وادعوا عليهما

خيانة خانا هما مما ائتمنا عليه فان الحكم فيهما حينئذ أن تحبسونهما يقول تستوقفونهما بعد الصلاة
وفى الكلام محذوف اجترئ بدلالة ما ظهر منه على ما حذف وهو فأصابتكم مصيبة الموت وقد
أسندتم وصيتكم اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال فانكم تحبسونهما من بعد الصلاة
فيقسمان بالله ان ارتبتم بقول فيحلفان بالله ان اتهمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه من تغيير وصية
أوصى اليهما بها أو تبديلها والارتياب هو الاتهام لا نشترى به ثمنا يقول يحلفان بالله لا نشترى
بأيماننا بالله ثمنا يقول لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه وعلى مال نذهب به أو لحق نجحده
لهؤلاء القوم الذين أوصى الينا واليهم وصيتهم والهاء فى قوله به من ذكر الله والمعنى به الحلف
والقسم ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به فيعرف من معنى الكلام واكتفى به من اعادة
ذكر القسم والحلف ولو كان ذا قربى يقول يقسمان بالله لا نطلب بأقسامنا بالله عوضا فنكذب
فيها لأحد ولو كان الذى نقسم به له ذا قرابة منا وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس
ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على
ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم فى الارض فأصابتكم مصيبة
الموت فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين
فان ارتيب فى شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله لم نشتر بشهادتنا ثمنا قليلا وقوله تحبسونهما من
بعد الصلاة من صلاة الآخرين ومعنى الكلام أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة
ان ارتبتم بهما فيقسمان بالله لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى واختلفوا فى الصلاة التى ذكرها الله
تعالى فى هذه الآية فقال تحبسونهما من بعد الصلاة فقال بعضهم هى صلاة العصر ذكر من قال
ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته
الوفاة بدقوقا فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب قال
فقدما الكوفة فأتيا الاشعرى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعرى هذا أمر لم يكن بعد
الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا
ولا كتما ولا غيرا وانها الوصية الرجل وتركته قال فأمضى شهادتهما **حدثنا** ابن بشار وعمرو بن على
قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أو آخران من غيركم قال اذا كان
الرجل بأرض الشرك فأوصى الى رجلين من أهل الكتاب فانهما يحلفان بعد العصر **حدثنا**
ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم بمثله **حدثنا** بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى فأصابتكم مصيبة
الموت فهذا رجل مات بغربة من الارض وترك تركته وأوصى بوصيته وشهد على وصيته رجلان
فان ارتيب فى شهادتهما استحلفا بعد العصر وكان يقال عندها تصير الايمان **حدثنا** القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا فى هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم قالا اذا احضر الرجل الوفاة فى سفر فليشهد رجلين من المسلمين
فان لم يجد فرجلين من أهل الكتاب فاذا قدما بتركته فان صدقهما الورثة قبل قولهما وان اتهموهما
أحلفا بعد صلاة العصر بالله ما كذبنا ولا كتمنا ولا خنا ولا غيرنا **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا
يحيى القطان قال ثنا زكريا قال ثنا عامر أن رجلا توفى بدقوقا فلم يجد من يشهده على وصيته الا
رجلين نصرانيين من أهلها فأحلفهما أبو موسى دبر صلاة العصر فى مسجد الكوفة بالله ما كتما
ولا غيرا وان هذه الوصية فأجازها * وقال آخرون بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهما
ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط

عن الخيانة والحنث فى الحلف فآخران
خبر مبتدا محذوف أو فاعل فعل
محذوف أو صفة مبتدا محذوف أى
فالشاهدان أو فليشهد أو فشاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم قال فى الكشاف أى
الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم
وهم أهل الميت وعشيرته وفى
التفسير الكبير أنه المال وانما وصف
موالى الميت بذلك لانه أخذ مالهم
وكل من أخذ ماله غيره فقد حاول
ذلك الغير أن يكون تعلقه بذلك
المال مستعليا على تعلق مالكه به
فصح أن يوصف المالك بأنه قد استحق
عليه ذلك المال وارتفع الاوليان
على أنهما خبر مبتدا محذوف فكانه
قيل ومن الآخران فقيل هما
الأوليان ويجوز أن يكون بدلا من
الضمير فى يقومان أو من آخران
ويجوز أن يرتفع باستحق أى من
الذين استحق عليهم انتداب الاوليين
منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة
الحال قاله فى الكشاف ومعنى
الاوليان الاقربان الى الميت أو
الاوليان الأحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما أو الأحقان
باليمين اما على تقدير الرد وذلك عند
الشافعى وكل من يرى رد اليمين على
المدعى واما لانقلاب القضية عند
من لا يرى ذلك كابى حنيفة
وأصحابه فان من أقر لآخر
بدين ثم ادعى أنه قضاه حكم برد اليمين
الى الذى ادعى الدين أولا لأنه صار
مدعى عليه أنه قد استوفاه وفى هذه
القصة ادعى الوصيان أن الميت باع
منهما الاناء والورثة أنكروا فكان

اليمين حقالهم ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى أنه نعت للذين استحق عليهم أو منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب فى الشهادة أو التقدم فى الذكر فى قوله يا أيها الذين آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكرا قبل قوله أو آخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاوليان فقد قال فى الكشاف معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة و يظهروا بهما كذب الكاذبين وفى التفسير الكبير أن الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما أولى من غيرهما بسبب أن الميت عينهما للوصية ولما خانا فى مال الوصية صح أن يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان أى خان فى مالهم الاوليان روى أنه لما نزلت الآية الاولى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انه لم يوجد منا خيانة فى هذا المال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعاه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة أظهراه فبلغ ذلك ورثته فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا ألم نقل لكم هل باع صاحبنا شأ فقلتم لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر وكتمنا فرفعوا القصة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فان عثر على أنهما استحقا الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن وداعة فحلفا بالله بعد

عن السدى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله ذوا عدل منكم قال هذا فى الوصية عند الموت يوصى و يشهد رجلين من المسلمين على ماله وعليه قال هذا فى الحضر أو اخران من غيركم فى السفر ان أنتم ضربتم فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت هذا الرجل يدركه الموت فى سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصى اليهما و يدفع اليهما ميراثه فيقبلان به فان رضى أهل الميت الوصية وعرفوا مال صاحبهم تركوا الرجلين وان ارتابوا رفعوهما الى السلطان فذلك قوله تحبسونهما من بعد الصلاة ان ارتبتم قال عبد الله بن عباس كأنى أنظر الى العلجين حين انتهى بهما الى أبى موسى الاشعرى فى داره ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوفوهما فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر فقلت له انهما لا يباليان صلاة العصر ولكن استحلفهما بعد صلاتهما فى دينهما فيوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما و يحلفان بالله لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ان صاحبهم لبهذا أوصى وان هذه لتركته فيقول لهما الامام قبل أن تحلفا انكما ان كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فاذا قال لهما ذلك فان ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندنا قول من قال تحبسونهما من بعد صلاة العصر لان الله تعالى عرف الصلاة فى هذا الموضع بادخال الالف واللام فيها ولا تدخلهما العرب الا فى معروف اما فى جنس أو فى واحد معهود معروف عند المتخاطبين فاذ كان كذلك وكانت الصلاة فى هذا الموضع مجمعا على أنه لم يعن بها جميع الصلوات لم يجز أن يكون مرادا بها صلاة المستحلف من اليهود والنصارى لأن لهم صلوات ليست واحدة فيكون معلوما أنها المعنية بذلك فاذ كان ذلك كذلك صح أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين واذ كان ذلك كذلك وكان النبى صلى الله عليه وسلم صحيحا عنه أنه اذلا عن بين العجلانيين لا عن بينهما بعد العصر دون غيرها من الصلوات كان معلوما أن التى عنيت بقوله تحبسونهما من بعد الصلاة هى الصلاة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت وذلك لقربه من غروب الشمس وكان ابن زيد يقول فى قوله لا نشترى به ثمنا ما حدثنى به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا نشترى به ثمنا قال نأخذ به رشوة ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار ولا نكتم شهادة الله باضافة الشهادة الى الله وخفض اسم الله تعالى يعنى لا نكتم شهادة الله عندنا وذكر عن الشعبى أنه كان يقرؤه كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عامر أنه كان يقرأ ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين بقطع الالف وخفض اسم الله هكذا حدثنا به ابن وكيع وكان الشعبى وجه معنى الكلام الى أنهما يقسمان بالله لا نشترى به ثمنا ولا نكتم شهادة عندنا ثم ابتدأ يمينا باستفهام بالله انهما ان اشتريا بأيمانهما ثمنا أو كتما شهادته عندهما لمن الآثمين وقد روى عن الشعبى فى قراءة ذلك رواية تخالف هذه الرواية وذلك ما حدثنى أحمد بن يوسف الثعلبى قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن عباد عن ابن عون عن الشعبى أنه قرأ ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين قال أحمد قال أبو عبيد تنون شهادة و يخفض الله على الاتصال قال وقد رأيتها بعضهم بقطع الالف على الاستفهام وخفض الله القراءة الشعبى بترك الاستفهام وقرأها بعضهم ولا نكتم شهادة الله بتنوين الشهادة ونصب اسم الله بمعنى ولا نكتم الله شهادة عندنا * وأولى القراآت فى ذلك عندنا بالصواب قراءة

من

من قرأ ولا نكتم شهادة الله باضافة الشهادة الى اسم الله وخفض اسم الله لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار التي لا يتناكر صحتها الامة وكان ابن زيد يقول في معنى ذلك ولا نكتم شهادة الله وان كان صاحبها بعيدا حدثني بذلك يونس قال أخبرنا ابن زيد عنه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فان عثر فان اطلع فيهما أو ظهر وأصل العثر الوقوع على الشئ والسقوط عليه ومن ذلك قولهم عثرت اصبع فلان بكذا اذا صدمته وأصابته ووقعت عليه ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس

بذات لوث عفرناة اذا عثرت * فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

يعني بقوله عثرت أصاب ميسم خفها حجرا وغيره ثم يستعمل ذلك في كل واقع على شئ كان عنه خفيا كقولهم عثرت على الغزل بأخرة فلم تدع بنجد قردة بمعنى وقعت وأما قوله على أنهما استحقا اثما فانه يقول تعالى ذكره فان اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية بعد حلفهما بالله لا نشتري بأيماننا ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله على أنهما استحقا اثما يقول على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها اثما وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خانا ولا بدلنا ولا غيرنا فان وجد اقد خانا من مال الميت شيأ أو غيرا وصيته أو بدلا فأثما بذلك من حلفهما بر بهما فآخران يقومان مقامهما يقول يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت الأوليان الموصى اليهما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض الشرك فأوصى الى رجلين من أهل الكتاب فانهما يحلفان بعد العصر فاذا اطلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيأ حلف أولياء الميت انه كان كذا وكذا ثم استحقوا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم بمثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله أو آخران من غيركم من غير المسلمين تحبسونهما من بعد الصلاة فان ارتبتم في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله ما اشترينا به ثمنا قليلا فان اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما يقول ان اطلع على أن الكافرين كذبا فآخران يقومان مقامهما يقول من الاولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فترد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الاولياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان عثر على أنهما استحقا اثما أي اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما واختلف أهل التأويل في المعنى الذي له حكم الله تعالى ذكره على الشاهدين بالأيمان فنقلها الى الآخرين بعد أن عثر عليهما أنهما استحقا اثما فقال بعضهم انما ألزمهما اليمين اذا ارتيب في شهادتهما على الميت في وصيته أنه أوصى لغير الذي يجوز في حكم الاسلام وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله أو أوصى أن يفضل بعض ولده ببعض ماله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله ذوا عدل منكم من أهل الاسلام أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام ان أنتم ضربتم في الارض الى فيقسمان بالله يقول فيحلفان بالله بعد الصلاة فان حلفا على شئ يخالف ما أنزل الله تعالى من الفريضة يعني اللذين ليسا من أهل الاسلام فآخران يقومان مقامهما من أولياء الميت العصر لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال وفي نسبتهم الى الكذب والخيانة فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى أولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الاناء فأتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى أن أسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء أنا وصاحبي بألف وقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه خمسمائة أخرى ودفع الالف الى أولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي نهجناه أقرب الى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أي كما هو في الواقع أو يخافوا أن ترد في مثل هذه القضية أيمان على الورثة بعد أيمانهم وهذا تفسير من يرى رد اليمين وأما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده أن تكرر أيمان شهود آخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل أن هذا الحكم يصير باعثا للشهود على أداء حق الشهادة للداعي أو الصارف واتقوا الله في الأيمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرائعه وأحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال المفسرون هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب أن هذه الآية أعضل ما في هذه السورة من الاحكام ولهذا ذهب أكثر الفقهاء الى أن حكم هذه الآية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف

أحوال القيامة وذكر بعض ما سيجرى هنالك من الخطاب والعتاب جريا على عادته فى هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات وأحوال المعاد فقال (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج تقديره واتقوا الله يوم كذا الا على أنه ظرف لانهم غير مأمورين بالتقوى فى ذلك اليوم ولكن على أنه بدل اشتمال من اسم الله ويجوز أن يكون ظرفا لقوله لا يهدى أى لا يهديهم طريق الجنة يومئذ أو منصوبا باضمار اذكر أو ظرفا لما يجىء بعده وهو قالوا وعلى هذين الوجهين تكون الآية منقطعة عما قبلها وماذا منصوب بأجبتم ولكن انتصاب المصدر على معنى أى اجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد ثم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على أن الانبياء لا يشهدون لامهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيامة زلازل وأهوالا تزيل العقول فالانبياء عندها ينسون أكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا فاذا عادت اليهم عقولهم شهدوا للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان مواقف القيامة مختلفة ولان عدم الخوف فى العاقبة لا ينافى الحيرة والدهشة أولا وقال آخرون المراد منه المبالغة فى توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السؤال كما

فيحلفان بالله ما كان صاحبنا ليوصى بهذا أو انهما لكاذبان ولشهادتنا أحق من شهادتهما

حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما يحلفان بالله لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ان صاحبكم لبهذا أوصى وان هذه لتركته فاذا شهدا وأجاز الامام شهادتهما على ما شهدا قال لاولياء الرجل اذهبوا فاضربوا فى الارض واسألوا عنهما فان أنتم وجدتم عليهما خيانة أو أحدا يطعن عليه ما رددنا شهادتهما فينطلق الاولياء فيسألون فان وجدوا أحدا يطعن عليهما أو هما غير مرضيين عندهم أو اطلع على أنهما خانا شيأ من المال وجدوه عندهما فأقبل الاولياء فشهدوا عند الامام وحلفوا بالله لشهادتنا أنهما لخائنان متهمان فى دينهما مطعون عليهما أحق من شهادتهما بما شهدا وما اعتدينا فذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهما الاوليان وقال آخرون بل انما ألزم الشاهدان اليمين لانهما ادعيا أنه أوصى لهما ببعض المال وانما ينقل الى الآخرين من أجل ذلك اذا ارتابوا بدعواهما ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث ابن سعد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله قال زعما انه أوصى لهما بكذا وكذا فان عثر على أنهما استحقا اثما أى بدعواهما لأنفسهما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان ان صاحبنا لم يوص اليكما بشئ مما تقولان * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الشاهدين ألزما اليمين فى ذلك باتهام ورثة الميت اياهما فيما دفع اليهما الميت من ماله ودعواهم قبلهما خيانة مال معلوم المبلغ ونقلت بعد الى الورثة عند ظهور الريبة التى كانت من الورثة فيهما وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما أو على أحدهما انما صح دعواه اذ حقق حقه أو الاقرار يكون من الشهود ببعض ما ادعى عليهما الوارث أو بجميعه ثم دعواهما فى الذى أقر به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما الا ببينة ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بينة فينقل حينئذ اليمين الى أولياء الميت وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى ذلك بالصحة لانا لا نعلم من أحكام الاسلام حكما يجب فيه اليمين على الشهود ارتيب بشهادتهما أو لم يرتب بها فيكون الحكم فى هذه الشهادة نظيرا لذلك ولم نجد ذلك كذلك صح بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا باجماع من الامة لان استحلاف الشهود فى هذا الموضع من حكم الله تعالى فيكون أصلا مسلما والمقول اذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرا لاصل فيما تنازعت فيه الامة كان واضحا فساده واذا فسد هذا القول بما ذكرنا فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم فى أن من حكم الله تعالى أن مدعيا لو ادعى فى مال ميت وصية أن القول قول ورثة المدعى فى ماله الوصية مع أيمانهم دون قول مدعى ذلك مع يمينه وذلك اذا لم يكن للمدعى بينة وقد جعل الله تعالى اليمين فى هذه الآية على الشهود اذا ارتيب بهما وانما نقل الايمان عنهم الى أولياء الميت اذا عثر على أن الشهود استحقوا اثما فى أيمانهم فمعلوم بذلك فساد قول من قال ألزم اليمين الشهود لدعواهم لانفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله على أن ما قلنا فى ذلك عن أهل التأويل هو التأويل الذى وردت به الاخبار عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به حين نزلت هذه الآية بين الذين نزلت فيهم وبسببهم ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن يحيى بن أبى زائدة عن محمد بن أبى القاسم عن

عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى وعدى بن بداء فمات السهمى بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجد الجام بمكة فقالوا اشتريناه من تميم الدارى وعدى بن بداء فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا الشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم أنزلت يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم حدثنا الحسن بن أبى شعيب الحرانى قال ثنا محمد بن سلمة الحرانى قال ثنا محمد بن اسحق عن أبى النضر عن زاذان مولى أم هانئ ابنة أبى طالب عن ابن عباس عن تميم الدارى فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت قال برئ الناس منها غيرى وغير عدى بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام قبل الاسلام فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن أبى مريم بتجارة ومعه جام فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فأوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم فقسمناه أنا وعدى بن بداء فقلنا ما تركنا غير هذا وما دفع الينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عندصاحبى مثلها فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله أن ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدى بن بداء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وابن سيرين وغيره قال وثنا الحجاج عن ابن جريج عن عكرمة دخل حديث بعضهم فى بعض يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال كان عدى وتميم الدارى وهما من لخم نصرانيان يتجران الى مكة فى الجاهلية فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حولا متجرهما الى المدينة فقدم ابن أبى ماريه (١) مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد الشام تاجرا فخرجوا جميعا حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبى ماريه فكتب وصيته بيده ثم دسها فى متاعه ثم أوصى اليهما فلما مات فتحا متاعه فأخذا ما أرادا ثم قدما على أهله فدفعا ما أرادا ففتح أهله متاعه فوجدوا كتابه وعهده وما خرج به وفقدوا شيأ فسألوهما عنه فقالوا هذا الذى قبضناه ودفع الينا قال لهما أهله فباع شيأ أو ابتاعه قالا لا قالوا فهل استهلك من متاعه شيأ قالا لا قالوا فهل تجر تجارة قالا لا قالوا فانا قد فقدنا بعضه فاتهمانا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله انا اذا لمن الآثمين قال فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما فى دبر صلاة العصر بالله الذى لا اله الا هو ما قبضناه ولا كتمنا قال فكثنا ما شاء الله أن نمكث ثم ظهر معهما على اناء من فضة منقوش مموه بذهب فقال أهله هذا من متاعه قالا نعم ولكنا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا فكرهنا أن نكذب أنفسنا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية الاخرى فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيبا ويستحقانه ثم ان تميما الدارى أسلم وبايع النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء حدثنى يونس قال

(١) قوله ابن أبى ماريه ويقال له ابن أبى مريم كما تقدم كذا فى الشهاب كتبه مصححه

يقول الواحد لغيره ما تقول فى فلان فيقول أنت أعلم به منى فكأنك قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار لتشكى الانبياء ممن كذبوهم وعادوهم وقال ابن عباس نفوا العلم عن أنفسهم عند علام الغيوب ليعلم أن علمهم هناك كلا علم وقيل المراد نفى العلم بخاتمة أحوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما الامور بخواتيمها وقال فى التفسير الكبير ان الذى غرفوه منهم فى الدنيا كان مبنيا على ظاهر أحوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا والاحكام فى الآخرة مبنية على حقائق الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به فى القيامة مع أن السكوت وتفويض الامر الى الاعلم الاعدل أقرب الى الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم عند قوله أنت أى أنت الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء ثم عدد أنواع نعمه على عيسى عليه السلام واحدة فواحدة تنبيها على أنه عبد وليس بالله وتوبيخا للمتمردين من الامم وأولى الامم بذلك النصارى الطاعنون فى ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله أو نصب باضمار اذكر أو هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر القول بلفظ الماضى دلالة على قرب القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد أتى اذا قرب

أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم الآية كلها قال هذا شئ حين لم يكن الاسلام الا بالمدينة وكانت الارض كلها كفرا فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام ان أنتم ضربتم فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت قال كان الرجل يخرج مسافرا والعرب أهل كفر فعسى أن يموت فى سفره فيسند وصيته الى رجلين منهم فيقسمان بالله ان ارتبتم فى أمرهما اذا قال الورثة كان مع صاحبنا كذا وكذا فيقسمان بالله ما كان معه الا هذا الذى قلنا فان عثر على أنهما استحقا اثما حلفا على باطل وكذب فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان بالميت فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذكر لنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا قال هؤلاء لم يكن معه قال ثم عثر على بعض المتاع عندهما فلما عثر على ذلك ردت القسامة على وارثه فأقسما ثم ضمن هذان قال الله تعالى ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين الكاذبين الذين يحلفون على الكذب وقال ابن زيد قدم تميم الدارى وصاحب له وكانا نصرانيين مشركين ولم يكونا أسلما فأخبرا أنهما أوصى اليهما رجل وجاءا بتركته فقال أولياء الميت كان مع صاحبنا كذا وكذا وكان معه اناء من فضة وقال الآخران لم يكن معه الا الذى جئنا به فحلفا خلف الصلاة ثم عثر عليهما بعد والاناء معهما فلما عثر عليهما ردت القسامة على أولياء الميت بالذى قالوا مع صاحبهم ثم ضمنهما الذى حلف عليه الأوليان حدثنا الربيع قال ثنا الشافعى قال أخبرنا سعيد بن معاذ بن موسى الجعفرى عن بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان قال بكر قال مقاتل أخذت هذا التفسير عن مجاهد والحسن والضحاك فى قول الله اثنان ذوا عدل منكم أن رجلين نصرانيين من أهل دارين أحدهما تميمى والآخر يمانى صاحبهما مولى لقريش فى تجارة فركبوا البحر ومع القرشى مال معلوم قد علمه أولياؤه من بين آنية وبزورقة فمرض القرشى فجعل وصيته الى الدارين فمات وقبض الداريان المال والوصية فدفعاه الى أولياء الميت وجاءا ببعض ماله وأنكر القوم قلة المال فقالوا للدارين ان صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما أتيتمونا به فهل باع شيأ أو اشترى شيأ فوضع فيه أو هل طال مرضه فأنفق على نفسه قالا لا قالوا فانا نكما نختمانا فقبضوا المال ورفعوا أمرهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى آخر الآية فلما نزل أن يحبسا من بعد الصلاة أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقاما بعد الصلاة فحلفا بالله رب السموات ما تركنا مولاكم من المال الا ما أتيناكم به وانا لا نشترى بأيماننا ثمنا قليلا من الدنيا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فلما حلفا خلى سبيلهما ثم انهم وجدوا بعد ذلك اناء من آنية الميت فأخذ الداريان فقالا اشتريناه منه فى حياته وكذبا فكلفا البينة فلم يقدرا عليها فرفعوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فان عثر يقول فان اطلع على أنهما استحقا اثما يعنى الداريين ان كتما حقا فآخران من أولياء الميت يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله ان مال صاحبنا كان كذا وكذا وان الذى يطلب قبل الداريين لحق وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين هذا قول الشاهدين أولياء الميت ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعنى الداريين والناس أن يعودوا لمثل ذلك * قال أبو جعفر فبما ذكرنا من هذه الاخبار التى رويناها دليل واضح على صحة ما قلنا من أن حكم الله تعالى باليمين

اتيانهم أو ورد على الحكاية كقول الرجل لصاحبه كأنك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا ومحل يا عيسى مضموم على أنه منادى مفرد معرفة أو مفتوح لانه وصف بابن مضاف الى علم وهو المختار للتخفيف وكثرة الاستعمال نعمتى عليك أراد الجمع ووحدت لانه مضاف يصلح للجنس وانما قال وعلى والدتك لان النعمة على الولد نعمة على أبويه ولان مكارم الاخلاق دليل على طيب الاعراق اذ أيدتك بدل من نعمتى أى قويتك بروح القدس أى بجبريل والقدس هو الله كأنه أضافه الى نفسه تعظيما له أو بالروح الطاهرة المقدسة وقد تقدم فى البقرة (تكلم الناس) حكاية حال ماضية فى المهد وكهلا فى هاتين الحالتين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخط أو جنس الكتب والحكمة النظرية والعلمية والتوراة والانجيل يعنى الاحاطة بالاسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا تنفخ فى شئ وكذلك الضمير فى فتكون والكاف مؤنث بحسب المعنى لدلالتها على الهيئة التى هى كهيئة الطير ومذكر فى الظاهر فلهذا عاد الضمير اليه مذكرا تارة كما فى آل عمران ومؤنثا أخرى كما فى هذه السورة وكررت باذنى أى بتسهيلى ليعلم أن الكل باقدار الله تعالى وتمكينه واظهاره الخوارق على يديه والا فهو عبد كسائر عبيده واذ كففت يروى أنه لما أظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى برفعه الى السماء

على الشاهدين فى هذا الموضع انما هو من أجل دعوى ورثته على المسند اليهما الوصية خيانة فيما دفع الميت من ماله اليهما أو غير ذلك مما لا يبرأ فيه المدعى ذلك قبله الا بيمين وان نقل اليمين الى ورثة الميت بما أوجبه الله تعالى بعد أن عثر على الشاهدين فى أيمانهما ثم ظهر على كذبهما فيها ان القوم ادعوا فيما صح انه كان للميت دعوى من انتقال ملك عنه اليهما ببعض ما تزول به الاملاك مما يكون اليمين فيها على ورثة الميت دون المدعى وتكون البينة فيها على المدعى وفساد ما خالف فى هذه الآية مما قلنا من التأويل وفيها أيضا البيان الواضح على أن معنى الشهادة التى ذكرها الله تعالى فى أول هذه القصة انما هى اليمين كما قال الله تعالى فى مواضع أخر والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فالشهادة فى هذا الموضع معناها القسم من قول القائل أشهد بالله انه لمن الصادقين وكذلك معنى قوله شهادة بينكم انما هو قسم بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية أن يقسم اثنان ذوا عدل منكم ان كانا ائتمنا على مال فارتيب بهما أو ائتمن آخران من غير المؤمنين فاتهما وذلك أن الله تعالى لما ذكر نقل اليمين من اللذين ظهر على خيانتهما الى الآخرين قال فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ومعلوم أن أولياء الميت المدعين قبل اللذين ظهر على خيانتهما غير جائز أن يكونا شهداء بمعنى الشهادة التى يؤخذ بها فى الحكم حق مدعى عليه لمدع لانه لا يعلم الله تعالى حكم قضى فيه لاحد بدعواه ويمينه على مدعى عليه بغير بينة ولا اقرار من المدعى عليه ولا برهان فاذ كان معلوما أن قوله لشهادتنا أحق من شهاتهما انما معناه قسمنا أحق من قسمهما وكان قسم اللذين عثر على أنهما أثما هو الشهادة التى ذكر الله تعالى فى قوله أحق من شهادتهما صح أن معنى قوله شهادة بينكم بمعنى الشهادة فى قوله لشهادتنا أحق من شهادتهما وأنها بمعنى القسم واختلفت القراء فى قراءة قوله من الذين استحق عليهم الاوليان فقرأ ذلك قراء الحجاز والعراق والشام من الذين استحق عليهم الاوليان بضم التاء وروى عن على وأبى بن كعب والحسن البصرى أنهم قرؤا ذلك من الذين استحق عليهم بفتح التاء واختلفت أيضا فى قراءة قوله الاوليان فقرأته عامة قراء أهل المدينة والشام والبصرة الاوليان وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة الاولين وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك من الذين استحق عليهم الاولان وأولى القراءتين بالصواب فى قوله من الذين استحق عليهم قراءة من قرأ بضم التاء لاجماع الحجة من القراء عليه مع مساعدة عامة أهل التأويل على صحة تأويله وذلك اجماع عامتهم على أن تأويله فأخران من أهل الميت الذين استحق المؤتمنان على مال الميت الاثم فيهم يقومان مقام المستحق الاثم فيهما بخيانتهما ما خانا من مال الميت وقد ذكرنا قائلى ذلك أو أكثر قائليه فيما مضى قبل ونحن ذاكرو باقيهم ان شاء الله تعالى ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى شهادة بينكم أن يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران لا يحضره غيرا ثنين منهم فان ردى ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك وحلف الشاهدان ان اتهما انهما الصادقان فان عثر وجد لطخ حلف الاثنان الاوليان من الورثة فاستحقا وأبطلا أيمان الشاهدين وأحسب أن الذين قرؤا ذلك بفتح التاء أرادوا أن يوجهوا تأويله الى فاخران يقومان مقامهما مقام المؤتمنين اللذين عثر على خيانتهما فى القسم والاستحقاق به عليهما دعواهما قبلهما من الذين استحق على المؤتمنين على المال على خيانتهما القيام مقامهما فى القسم والاستحقاق فى الاوليان بالميت وكذلك كانت قراءة من رويت هذه القراءة عنه فقرأ ذلك من الذين استحق بفتح التاء على معنى الاوليان بالميت

ان هذا الا سحر مبين من قرأ بغير ألف أشار الى ما جاء به أو أراد أنه ذو سحر فأطلق عليه الحدث مبالغة ومن قرأ بالالف أشار الى الرجل واللام فى البينات يحتمل أن تكون للجنس ويحتمل أن يراد بها المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار فى حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل أن يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن أن يراد بذلك تعداد النعم أيضا لان كل ذى نعمة محسود فطعن الكفار فيه يدل على علو شأنه وسمو مكانه

واذا أنتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى كامل

ولابتهاجه بهذه النعم الجسام والمنن العظام كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيأ لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا) ان كانوا أنبياء فظاهر والا فالوحى بمعنى الالهام كقوله وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى وهذا أيضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول عند الناس محبوبا فى قلوبهم من أعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل يستطيع ربك من قرأ بالتاء وبالنصب فظاهر والمراد هل تستطيع سؤال ربك أى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرأ بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا آمنا فكيف يتصور مع الايمان

شك في اقتدار الله تعالى وأجيب بوجوه منها أن حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ومنها أنهم طلبوا مزيد الايقان والطمأنينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها أنهم أرادوا هل هو جائز في الحكمة أم لا وهذا على أصول المعتزلة من وجوب رعاية الاصلح أو أرادوا هل قضى بذلك وعلم وقوعه أم لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السدى ان السين زائدة وكذا التاء أي هل يطيع ربك ومنها العل المراد بالرب جبريل لانه كان يربيه ومنها أن المراد بالاستفهام التقرير كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا يريد أن ذلك أمر جلي لا يجوز للعاقل أن يشك فيه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكأنها تميد بما عليها وذلك أنها لا تسمى مائدة الا اذا كان عليها طعام فاذا لم يكن عليها طعام فهي خوان وقال ابن الانباري هي من ماده اذا أعطاه كأنها تعطى من تقدم اليه وقال أبو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية أي مرضية كأن صاحبها أعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجزة فانه كالتحكم وأيضا اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات كثيرة تعنت أو أمرهم بالتقوى ليتوسلوا بها الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فأجاب الحواريون

وماله وذلك مذهب صحيح وقراءة غير مدفوعة صحتها غير أنا نختار الاخرى لاجماع الحجة من القراء عليها مع موافقتها التأويل الذي ذكرنا عن الصحابة والتابعين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبد الرحمن وكريب عن علي أنه كان يقرأ من الذين استحق عليهم الاوليان حدثنا ابن وكيع قال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد عن وائل مولى أبي عبيد عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ من الذين استحق عليهم الاوليان وأما أولى القراآت بالصواب في قوله الاوليان عندي فقراءة من قرأ الاوليان بصحة معناها وذلك لان معنى فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الاثم ثم حذف الاثم وأقيم مقامه الاوليان لانهما هما اللذان ظلما وأثما فيهما بما كان من خيانة اللذين استحقا الاثم وعثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتمنهما عليه الميت كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل ومن ذلك ما قد ذكرنا في تأويل هذه القصة وهو قوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ومعناه أن يشهد اثنان وكما قال فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا فقال به فعاد بالهاء على اسم الله وانما المعنى لا نشتري بقسمنا بالله فاجتزئ بالعود على اسم الله بالذكر والمراد به لا نشتري بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم وكذلك اجتزئ بذكر الاولين من ذكر الاثم الذي استحقه الخائنان لخيانتهما اياها اذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه اياه عن اعادته وذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما وأما الذين قرؤا ذلك الاولين فانهم قصدوا في معناه الى الترجمة به عن الذين فأخرجوا ذلك على وجه الجمع اذ كان الذين جمعا وخفضا اذ كان الذين مخفوضا وذلك وجه من التأويل غير أنه انما يقال للشيء أول اذا كان له آخر هو له أول وليس للذين استحق عليهم الاثم آخر هم له أول بل كانت أيمان الذين عثر على أنهما استحقا اثما قبل أيمانهم فهم الى أن يكونوا اذ كانت أيمانهم آخرا أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أولين وأيمانهم آخرة لا أولى قبلها وأما القراءة التي حكيت عن الحسن فقراءة عن قراءة الحجة من القراء شاذة وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب واختلف أهل العربية في الرافع لقوله الاوليان اذا قرئ كذلك فقال بعض نحويي البصرة يزعم أنه رفع ذلك بدلا من آخران في قوله فآخران يقومان مقامهما وقال انما جاز أن يبدل الاوليان وهو معرفة من آخران وهو نكرة لانه حين قال يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم كان كأنه قد حدهما حتى صارا كالمعرفة في المعنى فقال الاوليان فأجرى المعرفة عليهما بدلا قال ومثل هذا مما يجري على المعنى كثير واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز

على يوم يملك الامورا * صوم شهور وجبت نذورا * وبادنا مقلدا منحورا

قال فجعله علي واجب لانه في المعنى قد أوجب * وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك ويقول لا يجوز أن يكون الاوليان بدلا من آخران من أجل أنه قد نسق فيقسمان على يقومان في قوله فآخران يقومان فلم يتم الخبر عند من قال لا يجوز الابدال قبل اتمام الخبر كما قال غير جائز مررت برجل قام زيد وقعد وزيد بدل من رجل والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال الاوليان مرفوعان بما لم يسم فاعله وهو قوله استحق عليهم وانهما موضع الخبر عنهما فعمل فيهما ما كان عاملا في الخبر عنهما وذلك أن معنى الكلام فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاثم بالخيانة فوضع الاوليان موضع الاثم كما قال تعالى في موضع آخر أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ومعناه أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان

من آمن بالله واليوم الآخر وكما قال وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم وكما قال بعض الهذليين

يمشي بيننا حانوت خمر * من الخرس الصراصرة القطاط

وهو يعني صاحب حانوت خمر فأقام الحانوت مقامه لانه معلوم أن الحانوت لا يمشي ولكن لما كان معلوما عنده أنه لا يخفى على سامعه ما قصد اليه من معناه حذف الصاحب واجترأ بذكر الحانوت منه فكذلك قوله من الذين استحق عليهم الأوليان انما هو من الذين استحق فيهم خيانتهما فحذفت الخيانة وأقيم المختانان مقامها فعمل فيهما ما كان يعمل في المحذوف لو ظهر وأما قوله عليهم في هذا الموضع فان معناها فيهم كما قال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان يعني في ملك سليمان وكما قال ولأصلبنكم في جذوع النخل ففي توضع موضع على وعلى في موضع في كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها في الكلام ومنه قول الشاعر

متى ما تنكروها تعرفوها * على أقطارها علق نفيث

وقد تأولت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان أنهما رجلان آخران من المسلمين أو رجلان أعدل من المقسمين الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود بن أبي هند عن عامر عن شريح في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهم جائزة فان جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهم أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان عثر أي اطلع منهما على خيانة على أنهما كذبا أو كتما فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ما قالا أجيزت شهادة الآخرين وأبطلت شهادة الاولين حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء قال كان ابن عباس يقرأ من الذين استحق عليهم الاولين وقال كيف يكون الاوليان أرأيت لو كان الاوليان صغيرين حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا عبدة عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس قال كان يقرأ من الذين استحق عليهم الاولين قال وقال أرأيت لو كان الاوليان صغيرين كيف يقومان مقامهما * قال الامام أبو جعفر فذهب ابن عباس فيما أرى الى نحو القول الذي حكيت عن شريح وقتادة من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام النصرانيين أو عدلان من المسلمين هما أعدل وأجوز شهادة من الشاهدين الاولين أو المقسمين وفي اجماع جميع أهل العلم على أن لا حكم لله تعالى يجب فيه على شاهدين فيما قام به من الشهادة دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذي قاله الحسن ومن قال بقوله في قول الله تعالى فآخران يقومان مقامهما أولى به وأما قوله الاوليان فان معناه عندنا الأولى بالميت من المقسمين الاولين فالاولى وقد يحتمل أن يكون معناه الاولى باليمين منهما فالاولى ثم حذف فيهما والعرب تفعل ذلك فتقول فلان أفضل وهي تريد أفضل منك وذلك اذا وضع أفعل موضع الخبر وان وقع موقع الاسم وأدخلت فيه الالف واللام فعلوا ذلك أيضا اذا كان جوابا للكلام قد مضى فقالوا هذا الافضل وهذا الاشرف يريدون هو الاشرف منك وقال ابن زيد معنى ذلك الاوليان بالميت حدثني يونس عن ابن وهب عنه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره فيقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللذين عثر على أنهما استحقا اثما بخيانتهما مال الميت الاوليان باليمين والميت من الخائنين لشهادتنا أحق من شهادتهما يقول لأيماننا أحق من أيمان المقسمين المستحقين الاثم وأيمانهما

بأنا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكنا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما آخر فقد يروى أنهم سألوها في مفازة على غير ماء ولا طعام وأن نزداد يقينا وعرفانا وطمأنينة فان التي شاهدناها منك معجزات أرضية وهذه سماوية فتكون أعجب وأغرب وأن نعلم صدقك في دعوى النبوة أو فيما وعدتنا وذلك أنه كان قال لهم صوموا ثلاثين يوما واذا تم صومكم فكل ما سألتموه الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بني اسرائيل أو نكون من الشاهدين لله تعالى بالقدرة ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة أو استئناف وقرئ بالجزم جوابا للأمر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود اليك في وقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمقدمين منا والاتباع وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الامة أو الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وأنزل علينا انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله وآية منك اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر

والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس وأخروا الاغراض الدينية وان عيسى بدأ بالاشرف حتى انتهى الى الأخس ثم قال وأنت خير الرازقين وهو عروج مرة أخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من أهل الكمال والاشراق بعميم فضلك وجسيم طولك (منزلها) بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة (عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) قال ابن عباس يدمسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون مؤخرا الى الآخرة وعذابا نصب على المصدر أى تعذيبا والضمير فى لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء فى الموضعين فقيل أعذبه بعذاب لا أعذب به أحدا وأراد بالعالمين عالمى زمانهم واختلف فى ان عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وان كان أضافها الى نفسه فى الظاهر وكلاهما محتمل أما نزولها فقد قال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها وأكدوا هذا القول بأنه وصف المائدة بكونها عيدا لاولهم وآخرهم فلو نزلت لبقى العيد الى يوم القيامة وقال جمهور المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد نازلها بقوله انى منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان

الكاذبة فى أنهما قد خانا فى كذا وكذا من مال ميتنا وكذا فى أيمانهما التى حلفا بها وما اعتدينا يقول وما تجاوزنا الحق فى أيماننا وقد بينا أن معنى الاعتداء المجاوزة فى الشئ حده انا اذا لمن الظالمين يقول انا ان كنا اعتدينا فى أيماننا فحلفنا مبطلين فيها كاذبين لمن الظالمين يقول لمن عدا ومن يأخذ ما ليس له أخذه ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذى قلت لكم فى أمر الاوصياء اذا ارتبتم فى أمرهم واتهمتموهم بخيانة لمال من أوصى اليهم من حبسهم بعد الصلاة واستحلافكم اياهم على ما ادعى قبلهم أولياء الميت أدنى لهم أن يأتوا بالشهادة على وجهها يقول هذا الفعل اذا فعلتم بهم أقرب لهم أن يصدقوا فى أيمانهم ولا يكتموا ويقروا بالحق ولا يخونوا أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم يقول أو يخاف هؤلاء الاوصياء ان عثر عليهم أنهم استحقوا اثما فى أيمانهم بالله أن ترد أيمانهم على أولياء الميت بعد أيمانهم التى عثر عليها أنها كذب فيستحقوا بها ما ادعوا قبلهم من حقوقهم فيصدقوا حينئذ فى أيمانهم وشهادتهم مخافة الفضيحة على أنفسهم وحذرا أن يستحق عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد تقدمت الرواية بذلك عن بعضهم ونحن ذاكروا الرواية فى ذلك عن بعض من بقى منهم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان عثر على أنهما استحقا اثما يقول ان اطلع على أن الكافرين كذبا فآخران يقومان مقامهما يقول من الاولياء فيحلفان بالله أن شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فترد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الاولياء يقول تعالى ذكره ذلك أدنى أن يأتى الكافرون بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم وليس على شهود المسلمين اقسام وانما الاقسام اذا كانوا كافرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة الآية يقول ذلك أحرى أن يصدقوا فى شهادتهم وأن يخافوا العقاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم قال فتبطل أيمانهم وتؤخذ أيمان هؤلاء ۞ وقال آخرون معنى ذلك تحبسونهما من بعد الصلاة ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها وعلى أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما فيحلفان بالله لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ان صاحبكم لبهذا أوصى وان هذه لتركته فيقول لهما الامام قبل أن يحلفا انكما ان كتمتما كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ولم أجز لكما شهادة وعاقبتكما فان قال لهما ذلك فان ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ يقول تعالى ذكره وخافوا الله أيها الناس وراقبوه فى أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبة وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله وأن تخونوا من ائتمنكم واسمعوا يقول اسمعوا ما يقال لكم وما توعظون به فاعملوا به وانتهوا اليه والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق من فسق عن أمر ربه فخالفه وأطاع الشيطان وعصى ربه وكان ابن زيد يقول الفاسق فى هذا الموضع هو الكاذب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والله لا يهدى القوم الفاسقين الكاذبين يحلفون على الكذب وليس الذى قال ابن زيد من ذلك عندى بمدفوع الا أن الله تعالى عم الخبر بأنه لا يهدى جميع الفساق ولم يخصص منهم بعضا دون بعض بخبر ولا عقل فذلك

على معانى الفسق كلها حتى يخصص شيأ منها ما يجب التسليم له فيسلم له ثم اختلف أهل العلم فى حكم هاتين الآيتين هل هو منسوخ أو هو محكم ثابت فقال بعضهم هو منسوخ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن رجل قد سماه عن حماد عن ابراهيم قال هى منسوخة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال هى منسوخة يعنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية وقال جماعة هى محكمة وليست بمنسوخة وقد ذكرنا قول أكثرهم فيما مضى والصواب من القول فى ذلك أن حكم الآية منسوخ وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره الذى عليه أهل الاسلام من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا أن من ادعى عليه دعوى مما يملكه بنو آدم أن المدعى عليه لا يبرئه مما ادعى عليه الا اليمين اذا لم يكن للمدعى بينة تصحح دعواه وانه ان اعترف وفى يدى المدعى سلعة له فادعى أنها له دون الذى فى يده فقال الذى هى فى يده بل هى لى اشتريتها من هذا المدعى أن القول قول من زعم الذى هى فى يده أنه اشتراها منه دون من هى فى يده مع يمينه اذا لم يكن للذى هى فى يده بينة تحقق به دعواه الشراء منه فاذ كان ذلك حكم الله الذى لا خلاف فيه بين أهل العلم وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصى الى عدلين من المسلمين أو الى آخرين من غيرهم انما ألزم النبى صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه الوصيين اليمين حين ادعى عليهما الورثة ما ادعوا ثم لم يلزم المدعى عليهما شيأ اذ حلفا حتى اعترفت الورثة فى أيديهما ما اعترفوا من الجام أو الابريق أو غير ذلك من أموالهم فزعما أنهما اشتريا ه من ميتهم فحينئذ ألزم النبى صلى الله عليه وسلم ورثة الميت اليمين لان الوصيين تحولا مدعيين بدعواهما ما وجدا فى أيديهما من مال الميت أنه لهما اشتريا ذلك منه فصارا مقرين بالمال للميت مدعيين منه الشراء فاحتاجا حينئذ الى بينة تصحح دعواهما وورثة الميت رب السلعة أولى باليمين منهما فذلك قوله تعالى فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما الآية فاذ كان تأويل ذلك كذلك فلا وجه لدعوى مدع أن هذه الآية منسوخة لانه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ الا بخبر يقطع العذر اما من عند الله أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم أو بورود النقل المستفيض بذلك فأما ولا خبر بذلك ولا يدفع صحته عقل فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ * القول فى تأويل قوله ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا الله أيها الناس واسمعوا عظه ايا كم وتذكيره لكم واحذروا يوم يجمع الله الرسل ثم حذف واحذروا واكتفى بقوله واتقوا الله واسمعوا عن اظهاره كما قال الراجز

علفتها تبنا وماء باردا * حتى غدت همالة عيناها

يريد وسقيتها ماء باردا فاستغنى بقوله علفتها تبنا من اظهار سقيتها اذ كان السامع اذا سمعه عرف معناه فكذلك فى قوله يوم يجمع الله الرسل حذف واحذروا لعلم السامع معناه اكتفاء بقوله واتقوا الله واسمعوا اذ كان ذلك تحذيرا من أمر الله تعالى خلقه عقابه على معاصيه وأما قوله ماذا أجبتم فانه يعنى به ما الذى أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم الى توحيدى والاقرار بى والعمل بطاعتى والانتهاء عن معصيتى قالوا لا علم لنا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قولهم لا علم لنا لم يكن ذلك من الرسل انكارا أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعد أن ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على أممهم ذكر من

عيد الهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير

قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا قال ذلك أنهم لما نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول
فلما سئلوا قالوا لا علم لنا ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام
عن عنبسة قال سمعت الحسن يقول فى قوله يوم يجمع الله الرسل الآية قال من هول ذلك اليوم
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن مجاهد فى
قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فيفزعون فيقول ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا
وقال آخرون معنى ذلك لا علم لنا الا ما علمتنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال
ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد فى قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
أجبتم فيقولون لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت علام الغيوب وقال آخرون معنى ذلك قالوا لا علم
لنا لا علم أنت أعلم به منا ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
أجبتم قالوا لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا * وقال آخرون معنى ذلك ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم
وماذا أحدثوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم وماذا أحدثوا بعدكم قالوا لا علم
لنا انك أنت علام الغيوب * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال معناه لا علم لنا الا علم أنت أعلم به
منا لانه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب أى انك لا يخفى عليك
ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفى العلوم وجليها فانما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من
ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا كيف يجوز أن يكون ذلك
كذلك وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم وأنهم سيشهدون على تبليغهم
الرسالة شهداء فقال تعالى ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وأما الذى قاله ابن جريج من أن معناه ماذا عملت الامم بعدكم وماذا أحدثوا
فتأويل لا معنى له لان الانبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها الا ما أعلمها الله من ذلك
واذا سئلت عما عملت الامم بعدها والامر كذلك فانما يقال لها ماذا عرفتنا أنه كائن منهم بعدك
وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسئلته اياهم يدل على غير ذلك ﴿القول فى تأويل قوله ﴿اذ قال الله
ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس﴾ يقول تعالى ذكره لعباده
احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم ماذا أجابتكم أممكم فى الدنيا اذ قال الله ياعيسى بن مريم
اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس فاذ من صلة أجبتم كأن معناها ماذا أجابت
عيسى الامم التى أرسل اليها عيسى فان قال قائل وكيف سئلت الرسل عن اجابة الامم اياها فى عهد
عيسى ولم يكن فى عهد عيسى من الرسل الا أقل من ذلك قيل جائز أن يكون الله تعالى عنى بقوله
فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا فى عهد عيسى فخرج الخبر مخرج الجميع والمراد منهم
من كان فى عهد عيسى كما قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والمراد واحد من
الناس وان كان مخرج الكلام على جميع الناس ومعنى الكلام اذ قال الله حين قال ياعيسى ابن
مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس يقول ياعيسى اذكر أيادى عندك
وعند والدتك اذ قويتك بروح القدس وأعنتك به وقد اختلف أهل العربية فى أيدتك ما هو من
الفعل فقال بعضهم هو فعلتك كما فى قولك قويتك فعلت من القوة وقال آخرون بل هو فاعلتك
من الأيد وروى عن مجاهد أنه قرأ اذ آيدتك بمعنى أفعلتك من القوة والايد وقوله بروح القدس يعنى

بجبريل

وقيل ان عيسى عليه السلام كان
شرط عليهم أن لا يسرفوا فى الاكل
ولا يدخروا فعصوا وادخروا فمسخوا
واذ قال الله معطوف على مثله والصحيح
أن هذا القول أيضا يوم القيامة
لقوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقيل هذا
عند رفع عيسى عليه السلام نظرا
الى أن اذ للماضى وقد مر توجيه ذلك
أأنت قلت استفهام بطريق الانكار
والغرض منه توبيخ النصارى قال
بعض المشككين ان أحدا من
النصارى لم يذهب الى القول بالهية
عيسى عليه السلام وأمه مع القول
بنفى الهية الله تعالى وأجيب بأن
الاله هو الخالق وأنهم يعتقدون
أن خالق المعجزات والكرامات
التى ظهرت على يد عيسى ومريم
هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله
سبحانه فى ذلك مدخل فبهذا
التأويل صح ما حكى عنهم وأقول
يشبه أن يكون المراد بقوله من دون
الله أى بعد الله فيكون التوبيخ
على التثليث أو المراد أنه لما دل
البرهان على نفى تعدد الاله فمن قال
بالهية عيسى أو أمه لزمه القول بنفى
المعبود الحق تعالى عن ذلك ولهذا
قال عيسى سبحانك أى أنزهك
تنزيها من أن يكون لك شريك ثم لم
يجب بأنى قلت أو ما قلت لان ذلك
يجرى مجرى الطهارة والتبرئة بل
أجاب بقوله ما يكون أى ما ينبغى
لى أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله
اظهار الغاية الخضوع والاستكانة
ثم فوض الامر الى علمه المحيط

بجبريل يقول اذ أعنتك بجبريل وقد بينت معنى ذلك وما معنى القدس فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لعيسى اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس فى حال تكليمك الناس فى المهد وكهلا وانما هذا خبر من الله تعالى ذكره انه أيده بروح القدس صغيرا فى المهد وكهلا كبيرا فرد الكهل على قوله فى المهد لان معنى ذلك صغيرا كما قال الله تعالى ذكره دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما وقوله واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل يقول واذ كر أيضا نعمتى عليك اذ علمتك الكتاب وهو الخط والحكمة وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته اليك وهو الانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير يقول كصورة الطير باذنى يعنى بقوله تخلق تعمل وتصلح من الطين كهيئة الطير باذنى يقول بعونى على ذلك وعلم منى به فتنفخ فيها يقول فتنفخ فى الهيئة فتكون الهيئة والصورة طيرا باذنى وتبرئ الاكمه يقول وتشفى الاكمه وهو الاعمى الذى لا يبصر شيأ المطموس البصر والابرص باذنى وقد بينت معانى هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مفسرا بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات يقول واذ كر أيضا نعمتى عليك بكفى عنك بنى اسرائيل اذ كففتهم عنك وقد هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات يقول اذ جئتهم بالأدلة والاعلام المعجزة على نبوتك وحقية ما أرسلتك به اليهم فقال الذين كفروا منهم يقول تعالى ذكره فقال الذين جحدوا نبوتك وكذبوك من بنى اسرائيل ان هذا الا سحر مبين * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة ان هذا الا سحر مبين يعنى يبين عما أتى به لمن رآه ونظر اليه أنه سحر لا حقيقة له وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ان هذا الا ساحر مبين بمعنى ما هذا يعنى به عيسى الا ساحر مبين يقول يبين بأفعاله وما يأتى به من هذه الامور العجيبة عن نفسه أنه ساحر لا نبى صادق والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متفقتان غير مختلفتين وذلك أن كل من كان موصوفا بفعل السحر فهو موصوف بأنه ساحر ومن كان موصوفا بأنه ساحر فانه موصوف بفعل السحر فالفعل دال على فاعله والصفة تدل على موصوفها والموصوف يدل على صفته والفاعل يدل على فعله فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ يقول تعالى ذكره واذ كر أيضا ياعيسى اذ ألقيت الى الحواريين وهم وزراء عيسى على دينه وقد بينا معنى ذلك ولم قيل لهم الحواريون فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل فى تأويل قوله واذ أوحيت وان كانت متفقة المعانى فقال بعضهم بما حدثنى به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ أوحيت الى الحواريين يقول قذفت فى قلوبهم * وقال آخرون معنى ذلك ألهمتهم فتأويل الكلام اذ ألهمت الحواريين أن صدقوا بى وبرسولى عيسى فقالوا آمنا أى صدقنا بما أمرتنا أن نؤمن به ربنا واشهد علينا بأننا مسلمون يقول واشهد علينا بأننا خاضعون لك بالذلة سامعون مطيعون لأمرك * القول فى تأويل قوله ﴿ اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره واذ كر ياعيسى أيضا نعمتى عليك اذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى

بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك وذكر النفس ثانيا لاجل المشاكلة وهو من فصيح الكلام أو تعلم ما أخفى ولا أعلم ما تخفى أو تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك أو تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل عبارات للمفسرين ثم أكد ما ذكر بقوله انك أنت علام الغيوب أن فى قوله أن اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول أو فعل الامر ولا وجه لكليهما أما فعل القول فيحكى بعده الكلام بلا أن فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا أن يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما أمرتنى بقوله فيكون التفسير الصريح القول المقدر وصريح القول المقدر كالفعل المؤول بالقول فى عدم الظهور حتى يجوز توسيط أن وأما فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا من ما أمرتنى والمبدل فى حكم السقوط كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم لان العبادة لا تقال وان جعلته بدلا من الهاء فى به لم يصح أيضا لانه يؤل المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما أمرتنى بأن اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا عائد فاذن الوجه أن يحمل فعل القول على معناه فيكون أصل

المعنى ما أمرتهم الا بما أمرتنى به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربى وربكم الا أنه وضع القول موضع الامر رعاية للادب كيلا يجعل نفسه ورب به آمر بن ودل على الاصل بذكر أن المفسرة قال فى الكشاف ويجوز أن تكون أن مصدرية عطف بيان للهاء لا بدلا وحينئذ يبقى العائد بحاله وكنت عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من التدين بما يوجب التكفير مادمت فيهم مدة دوامى فيما بينهم فلما توفيتنى بالرفع الى السماء كنت أنت الرقيب الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم وأنت على كل شئ شهيد من الشهادة أو من الشهود بمعنى الحضور وان تغفر لهم فيه سؤال وهو أنه كيف جاز لعيسى هذا القول والله تعالى لا يغفر الشرك والجواب أن قوله لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس مبنى على أن قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكى لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا فقط ولو سلم أنه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب وليس فى اسقاطه على الله تعالى مضرة بل كلما كان الجرم أعظم كان العفو أحسن الا أن الدليل السمعى فى شرعنا دل على أنه لا يكون فلعل هذا الدليل السمعى لم يكن موجودا فى شرع عيسى عليه السلام أو لعل عيسى جوز أن يكون بعضهم قد تاب عنه أما من زعم أن هذه

اذ قالوا لعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء فاذ الثانية من صلة أوحيت واختلفت القراء فى قراءة قوله يستطيع ربك فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب بمعنى هل تستطيع أن تسأل ربك وهل تستطيع أن تدعو ربك أو هل تستطيع وترى أن تدعوه وقالوا لم يكن الحواريون شاكين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل عليهم ذلك وانما قالوا لعيسى هل تستطيع أنت ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال قالت عائشة كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة ولكن قالوا يا عيسى هل تستطيع ربك **حدثنى** أحمد بن يوسف الثعلبى قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا ابن مهدى عن جابر بن يزيد بن رفاعة عن حيان بن مخارق عن سعيد ابن جبير أنه قرأها كذلك هل تستطيع ربك وقال تستطيع أن تسأل ربك وقال ألا ترى أنهم مؤمنون وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق هل يستطيع بالياء ربك بمعنى أن ينزل علينا ربك كما يقول الرجل لصاحبه أتستطيع أن تنهض معنا فى كذا وهو يعلم أنه يستطيع ولكنه انما يريد انتهض معنا فيه وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزل علينا * وأولى القراءتين عندى بالصواب قراءة من قرأ ذلك هل يستطيع بالياء ربك برفع الرب بمعنى هل يستجيب لك ان سألته ذلك ويطيعك فيه وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل من أن قوله اذ قال الحواريون من صلة اذ أوحيت وان معنى الكلام واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك فبين اذ كان ذلك كذلك أن الله تعالى ذكره قد ذكره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه وأمرهم بالتوبة ومراجعة الايمان من قيلهم ذلك والاقرار لله بالقدرة على كل شئ وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الاخبار وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاما منه لما قالوا اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ففى استتابة الله اياهم ودعائه لهم الى الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك واستعظام نبى الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة فى ذلك بالياء ورفع الرب اذ كان لا معنى فى قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء أن تستكبر هذا الاستكبار فان ظن ظان أن قولهم ذلك له انما هو استعظام منهم لان ذلك منهم كان مسألة آية فان الآية انما يسألها الانبياء من كان بها مكذبا بالمتقرر عنده حقيقة ثبوتها وصحة أمرها كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهبا و يفجر بفجاج مكة أنهارا من سأله من مشركى قومه وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذبى قومه ومسألة شعيب أن يسقط كسفا من السماء من كفار من أرسل اليهم وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء على هذا الوجه كانت مسألتهم فقد أحلهم الذين قرؤا ذلك بالتاء ونصب الرب محلا أعظم من المحل الذى ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهو موقنون بانه لله نبى مبعوث ورسول مرسل وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادر فان كانوا سألوا ذلك وهم كذلك وانما كانت مسألتهم اياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه اذ كان فقيرا أن يسأل له ربه أن يغنيه وان عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها فأنى ذلك من مسألة الآية فى شئ بل ذلك سؤال ذى حاجة عرضت له الى ربه فسأل نبيه مسئلة ربه أن يقضيها له وخبر الله تعالى عن القوم ينبئ بخلاف ذلك وذلك أنهم قالوا لعيسى اذ قال لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا فقد أنبأ هذا عن قيلهم

أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ولا اطمأنت قلوبهم الى حقيقة نبوته فلا بيان أبين من هذا الكلام فى أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشك فى دينهم وتصديق رسولهم وانهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى صلى الله عليه وسلم أنه قال لبنى اسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم فان أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير قلت لنا ان أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لاحد ثلاثين يوما الا أطعمنا حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين الى قوله لا أعذبه أحدا من العالمين قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قالوا هل يطيعك ربك ان سألته فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام الا اللحم فأكلوا منها وأما المائدة فانها الفاعلة من مادفلان القوم يميدهم ميدا اذا أطعمهم ومارهم ومنه قول رؤبة

تهدى رؤس المترفين الانداد * الى أمير المؤمنين الممتاد

يعنى بقوله الممتاد المستعطى فالمائدة المطعمة سميت الخوان بذلك لانها تطعم الا كل مما عليها والمائد المدار به فى البحر يقال ماد يميد ميدا وأما قوله قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فانه يعنى قال عيسى للحواريين القائلين له هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء راقبوا الله أيها القوم وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا فان الله لا يعجزه شئ أراده وفى شككم فى قدرة الله على انزال مائدة من السماء كفر به فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقى على ما أتوعدكم به من عقوبة الله اياكم على قولكم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء القول فى تأويل قوله ﴿قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك قال الحواريون مجيبى عيسى على قوله لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فى قولكم لى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء انا انما قلنا ذلك وسألنا أن تسأل لنا ربك لنأكل من المائدة فنعلم يقينا قدرته على كل شئ وتطمئن قلوبنا يقول وتستكن قلوبنا وتستقر على وحدانيته وقدرته على كل ماشاء وأراد ونعلم أن قد صدقتنا ونعلم أنك لم تكذبنا فى خبرك أنك لله رسول مرسل ونبى مبعوث ونكون عليها يقول ونكون على المائدة من الشاهدين يقول ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا فى توحيده وقدرته على ماشاء ولك على صدقك فى نبوتك القول فى تأويل قوله ﴿قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه أجاب القوم الى ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا فقال بعضهم معناه نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا يقول نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن

المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال أصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذلك وان أخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك أنت العزيز القادر على ما تريد الحكيم فى كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك وفى مصحف عبد الله فانك أنت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام مقام هذا الاذلال وعن بعضهم أن ذكر الغفور والرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة وأما العزة والحكمة فلا يوجبان الا التعالى عن جميع جهات الاستحقاق فحصول المغفرة بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون أدل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء فى الآية نوع شفاعة من عيسى عليه السلام لفساق أمته فلا أن يثبت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لفساق أمته أولى هذا يوم ينفع من قرأ بالرفع فظاهر وأنه فى تقدير الاضافة أى هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرأ بالنصب فاما على أنه ظرف لقال واما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر أى هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع فى هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت وقال الفراء يوم أضيف الى ما ليس باسم فبنى على الفتح كما فى يومئذ وخطأه البصريون وقالوا انما

بعدنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا قال أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا قال الذين هم أحياء منهم يومئذ وآخرنا من بعدهم منهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال قال سفيان تكون لنا عيدا قالوا نصلى فيه قال نزلت مرتين * وقال آخرون معناه نأكل منها جميعا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه قال أكل منها يعنى من المائدة حين وضعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أولهم * وقال آخرون معنى قوله عيدا عائدة من الله تعالى علينا وحجة وبرهانا * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال معناه تكون لنا عيدا نعبد ربنا فى اليوم الذى تنزل فيه ونصلى له فيه كما يعيد الناس فى أعيادهم لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم فى العيد ما ذكرنا دون القول الذى قاله من قال معناه عائدة من الله علينا وتوجيه معانى كلام الله الى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه الى المجهول منه ما وجد اليه السبيل وأما قوله لاولنا وآخرنا فان الاولى من تأويله بالصواب قول من قال تأويله للاحياء منا اليوم ومن يجىء بعدنا منا للعلة التى ذكرناها فى قوله تكون لنا عيدا الاان ذلك هو الاغلب من معناه وأما قوله وآية منك فان معناه وعلامة وحجة منك يا رب على عبادك فى وحدانيتك وفى صدقى على أنى رسول اليهم بما أرسلتنى به وارزقنا وأنت خير الرازقين وأعطنا من عطائك فانك يا رب خير من يعطى وأجود من تفضل لانه لا يدخل عطاءه منّ ولا تنكد وقد اختلف أهل التأويل فى المائدة هل أنزلت عليهم أم لا وما كانت فقال بعضهم نزلت وكانت حوتا وطعاما فأكل القوم منها ولكنها رفعت بعد ما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن السلمى قال نزلت المائدة خبزا وسمكا حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى عن الفضيل عن عطية قال المائدة سمكة فيها طعم كل طعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن فضيل عن مسروق عن عطية قال المائدة سمك فيه من طعم كل طعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن قال نزلت المائدة خبزا وسمكا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال نزلت على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا اذا شاؤا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان أنه سمع وهب ابن منبه يقول فى قوله أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا قال نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات قال الحسن قال أبو بكر فحدثت به عبد الصمد بن معقل فقال سمعت وهبا وقيل له وما كان ذلك يغنى عنهم فقال لا شئ ولكن الله حثا بين أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجىء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قال هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى مائدة من السماء قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن اسحق بن عبد الله ان المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ما شاؤا

قال

يبنى الظرف اذا أضيف الى المبنى كالماضى فى قول النابغة

* على حين عاتبت المشيب على الصبا *

أو مثل لا فى قوله تعالى يوم لا تملك وأجمعوا على أن هذا اليوم يوم القيامة والمراد أن صدقهم فى الدنيا ينفعهم فى القيامة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه وأما عيسى فكان صادقا فى الدنيا وفى الآخرة فنفعه صدقه وفى هذا الكلام تصديق من الله تعالى لعيسى فى قوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به (رضى الله عنهم ورضوا عنه) هما متلازمان لان رضا الله عن العبد فى رعاية وظائف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم أن العبد لا يكون له ارادة واختيار فتكون ارادته مغمورة فى ارادة ربه (ذلك الفوز العظيم) اشارة الى جميع المذكورات أو الى الجزء الاشرف لا قرب وهو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون أدل على العموم ولينبه على أن عقول ذوى العقول وعلوم أرباب العلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم أنه سبحانه افتتح السورة بقوله أوفوا بالعقود وهو الشريعة والبداية وختم السورة بهذه الآية الدالة على فناء الكل فى جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما أحسن هذا النسق وأيضا فى السورة بيان الشرائع والاحكام

قال فسرق بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سماك بن حرب عن رجل من بنى عجل قال صليت الى جنب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدرى كيف كان شأن مائدة بنى اسرائيل قال فقلت لا قال انهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخبؤا أو تخونوا أو ترفعوا فان فعلتم فانى أعذبكم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال فما تم يومهم حتى خبؤا ورفعوا وخانوا فعذبوا عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين وانكم معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الابل والشاء فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة وأيم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذبكم عذابا أليما **حدثنا** الحسن بن قزعة البصرى قال ثنا سفيان بن حبيب قال ثنا سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت المائدة خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير **حدثنى** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يوسف بن خالد قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس فى المائدة قال كانت طعاما ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا * وقال آخرون كانت المائدة تنزل وعليها ثمر من ثمار الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن عمار قال نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمر الجنة فأمروا أن لا يخبؤا ولا يخونوا ولا يدخروا قال فخان القوم وخبؤا وادخروا فحولهم الله قردة وخنازير **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة وأمروا أن لا يخبؤا ولا يخونوا ولا يدخروا لغد بلاء أبلاهم الله به وكانوا اذا فعلوا شيأ من ذلك أنبأهم به عيسى فخان القوم فيه فخبؤا وادخروا لغد * وقال آخرون كان عليها من كل طعام الا اللحم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال كانت اذا وضعت المائدة لبنى اسرائيل اختلفت عليها الايدى بكل طعام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن ميسرة وزاذان قالا كانت الايدى تختلف عليها بكل طعام **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة فى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قالا رأوا الايدى تختلف عليها بكل شئ الا اللحم * وقال آخرون لم ينزل الله على بنى اسرائيل مائدة ثم اختلف قائلو هذه المقالة فقال بعضهم انما هذا مثل ضرب به الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسألة نبى الله الآيات ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن مجاهد فى قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال مثل ضرب لم ينزل عليهم شئ * وقال آخرون ان القوم لما قيل لهم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين استعفوا منها فلم تنزل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لهم فمن يكفر بعد منكم الى آخر الآية قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال فى المائدة لم تنزل **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم * والصواب من القول عندنا فى ذلك

الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه أنه سبحانه مالك لجميع الممكنات والكائنات موجد لجميع الارواح والاجساد ليصح التكليف على أى وجه أراد وليكون ردا على اليهود بحكم المالكية فى نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وليكون ردا على النصارى فى أن عيسى ومريم عليهما السلام داخلان فى المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وأيضا لما أخبر عن فناء وجودهم المجازى لم يبق هناك مجيب فأجاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل فى هذه الخاتمة من الاسرار أضعاف ما عثرنا عليه والله تعالى أعلم بأسرار كتابه ﴿التأويل﴾ أخبر عن كثرة السؤال أنها تورث الملال وذلك أن علوم القال غير علوم الحال والصنف الاول يحمد فيه السؤال والثانى يذم فيه ذلك اذ يحصل بالعيان لا بالبرهان كما كان حال الانبياء عليهم السلام مع الله وكذلك نرى ابراهيم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال صلى الله عليه وسلم أرنا الاشياء كما هى وقال الخضر لموسى عليه السلام فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ وقال موسى فى الثالثة ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى فان تعلم العلم اللدنى بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم وفى السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسألوا عنها حين

ينزل القرآن أى ان كان لابد لكم من السؤال عن حقائق فاسألوا عنها بعد نزول القرآن ليخبركم عن حقائقها على قدر عقولكم والله غفور لمن تاب من طلب علوم الحقائق بالقال حليم لمن يطلب بالحال فيصدر عنه فى أثناء الطلب سؤال قد سألها قوم من قبلكم كقدماء الفلاسفة أعرضوا عن متابعة الانبياء وأقبلوا على مجرد القيل والقال فوقعوا فى أودية الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية والقلندرية يشقون آذانهم وذكورهم ويجعلون فيها حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون فى الارض خليعى العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون أنهم أهل الحقيقة ولا وصيلة هم أهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المؤاخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاقارب لاجل العصبية والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن أنه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله من الاحكام والى الرسول لمتابعته قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أى مشايخنا وأهل صحبتنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم أنفسكم أى اشتغلوا أولا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان

أن يقال ان الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه وانما قلنا ذلك للخبر الذى روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه وبعد فان الله تعالى لا يخلف وعده ولا يقع فى خبره الخلف وقد قال تعالى مخبرا فى كتابه عن اجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك انى منزلها عليكم وغير جائز أن يقول تعالى ذكره انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها الأن ذلك منه تعالى خبر ولا يكون منه خلاف ما يخبر ولو جاز أن يقول انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول فمن يكفر بعد منكم فانى معذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال كان عليها ما أكول وجائز أن يكون كان سمكا وخبزا وجائز أن يكون كان ثمرا من ثمر الجنة وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به اذا أقر تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من انزاله مائدة عليهم فقال تعالى ذكره انى منزلها عليكم أيها الحواريون فطعمكموها فمن يكفر بعد منكم يقول فمن يجحد بعد انزالها عليكم واطعامكموها منكم رسالتى اليه وينكر نبوة نبيى عيسى صلى الله عليه وسلم ويخالف طاعتى فيما أمرته ونهيته فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من عالمى زمانه ففعل القوم فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم فيما ذكر لنا فعذبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انى منزلها عليكم الآية ذكر لنا أنهم حولوا خنازير حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبى عدى ومحمد ابن جعفر عن عوف عن أبى المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال ان أشد الناس عذابا ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا المعتمر ابن سليمن عن عوف قال سمعت أبا المغيرة القواس يقول قال عبد الله بن عمرو ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة والمنافقون وآل فرعون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فمن يكفر بعد منكم بعد ما جاءته المائدة فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين يقول أعذبه بعذاب لا أعذبه أحدا من العالمين غير أهل المائدة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته﴾ يقول تعالى ذكره يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقيل ان الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه اليه فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال لما رفع الله عيسى بن مريم اليه قالت النصارى ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك فسأله عن قوله فقال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب الى قوله وأنت على كل شئ شهيد * وقال آخرون بل هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك فى القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال والناس يسمعون فراجعه بما قد رأيت وأقر له بالعبودية على نفسه فعلم

من كان يقول فى عيسى ما يقول أنه انما كان يقول باطلا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال قال الله ياعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فأرعدت مفاصله وخشى أن يكون قد قال فقال سبحانك ان كنت قلته فقد علمته الآية حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله متى يكون ذلك قال يوم القيامة ألا ترى أنه يقول هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن جريج يجب أن يكون واذ بمعنى واذا كما قال فى موضع آخر ولو ترى اذ فزعوا بمعنى يفزعون وكما قال أبو النجم

ثم جزاه الله عنا اذ جزى * جنات عدن فى العلالى العلى

والمعنى اذا جزى وكما قال الأسود

فالآن اذ هازلتهن فانما * يقلن ألا لا لم يذهب الشيخ مذهبا

بمعنى اذا هازلتهن وكأن من قال فى ذلك يقول ابن جريج هذا وجه تأويل الآية الى فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فى الدنيا وأعذبه أيضا فى الآخرة اذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله * وأولى القولين عندنا بالصواب فى ذلك قول من قال بقول السدى وهو أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه اليه وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين احداهما أن اذا انما تصاحب فى الاغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضى من الفعل وان كانت قد تدخلها أحيانا فى موضع الخبر عما يحدث اذا عرف السامعون معناها وذلك غير فاش ولا فصيح فى كلامهم فتوجيه معانى كلام الله تعالى الى الأشهر الأعرف ما وجد اليه السبيل أولى من توجيهها الى الأجهل الأنكر والأخرى أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الانبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول فى الآخرة مجيبا لربه تعالى ان تعذب من اتخذنى وأمى الهين من دونك فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم

فان قال قائل وما كان وجه سؤال الله عيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك قيل يحتمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيه كما يقول القائل لآخر أفعلت كذا وكذا مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له أفعلته على وجه النهى عن فعله والتهديد له فيه والآخر اعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده وبدلوا دينهم بعده فيكون بذلك جامعا اعلامه حالهم بعده وتحذيره له قيله وأما تأويل الكلام فانه أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين أى معبودين تعبدونهما من دون الله قال عيسى تنزيها لك يارب وتعظيما أن أفعل ذلك أو أتكلم به ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق يقول ليس لى أن أقول ذلك لأنى عبد مخلوق وأمى أمة لك فهل يكون للعبد والأمة ادعاء ربوبية ان كنت قلته فقد علمته يقول انك لا يخفى عليك شئ وأنت عالم أنى لم أقل ذلك ولم آمرهم به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه يبرأ اليه مما قالت فيه وفى أمه الكفرة من النصارى أن يكون دعاهم اليه أو أمرهم به فقال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته ثم قال تعلم ما فى نفسى يقول انك يارب لا يخفى عليك ما أضمرته نفسى مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحى فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحى يقول لو كنت قد قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله كنت قد علمته لانك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به

الفريق الذى لم يتعلم السباحة اذا تشبث به مثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فالطالبين بجذبات العناية والمضلين بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر أحدكم الموت أى النفس تموت عن صفاتها الذميمة بالرياضة والمجاهدة فتوصى بصفاتها لورثتها وهم القلب وأوصافه والوصيان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات أو آخران من غير الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان الحق وان كان على ذى قرابة من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان أنتم ضربتم فى الارض أى سافرتم فى السفليات فأصابتكم مصيبة الموت أى فتصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم فى بعد من الروحانيات من بعد الصلاة من بعد حضورهما مع الله وتوجيههما الى الحق ومراقبة تامة فيشدد على الشاهدين بالقسم والتخويف بالله أن يؤديا شهادة الحق ويدفعا تركة النفس وهى صفاتها الى ورثتها وهم القلب وصفاته ولا يصرفانها فى شئ من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس كان صفة ذميمة فاذا استعمله القلب صار وصفا محمودا كالحرص اذا استعملته النفس فى طلب الدنيا ولذتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب فى طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فان عثر

على أنهما استحقا اثما بأن مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فآخران من صفات القلب هما التذكر والفكر الصائب يتطران فى عواقب الامور ويشهدان على أن الآخرة خير من الدنيا والباقى خير من الفانى لشهادتنا أحق من شهادتهما لأن الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بكتمان الحقوق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ أن يأتوا بالشهادة على وجهها أى العقل والسر يأتيان فى بدو الأمر باستعمال صفات النفس فى السعادات الاخروية أو يخافان عواقب الامور بأن يشددوا على أنفسهم بالاستهال وتضييع الأعمال وافساد الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر يردّ الأمر الى وجوب رعاية الحقوق فيحتاجان الى كثرة الرياضة ماذا أجبتم قالوا وهم مستغرقون فى بحر الشهود لا علم لنا أى ببواطن الأمور وحقائقها واذ أوحيت الى الحواريين أى فى عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب ذلك التعارف فى عالم الاشباح آمنا ان بعض الحواريين المقلدين فى الايمان قالوا ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك فما راعوا الادب مع نبيهم حيث لم يقولوا يارسول الله أو يا روح الله ولا مع ربهم حيث تشككوا فى كمال قدرته ثم أظهر وادناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى من

فكيف بما قد نطقت به ولا أعلم ما فى نفسك يقول ولا أعلم أنا ما أخفيته عنى فلم تطلعنى عليه لأنى انما أعلم من الاشياء ما أعلمتنيه انك أنت علام الغيوب يقول انك أنت العالم بخفيات الامور التى لا يطلع عليها سواك ولا يعلمها غيرك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى يقول ما قلت لهم الا الذى أمرتنى به من القول أن أقوله لهم وهو أن قلت لهم اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا يقول وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم فلما توفيتنى يقول فلما قبضتنى الىّ كنت أنت الرقيب عليهم يقول كنت أنت الحفيظ عليهم دونى لأنى انما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم وفى هذا تبيان أن الله تعالى انما عرّفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه اليه وتوفاه بقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وأنت على كل شئ شهيد يقول وأنت تشهد على كل شئ لأنه لا يخفى عليك شئ وأما أنا فانما شهدت بعض الأشياء وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم فانما أنا أشهد على ذلك الذى عاينت ورأيت وشهدت وبنحو الذى قلنا فى قوله كنت أنت الرقيب عليهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كنت أنت الرقيب عليهم أما الرقيب فهو الحفيظ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج كنت أنت الرقيب عليهم قال الحفيظ وكانت جماعة من أهل العلم تقول كان جواب عيسى الذى أجاب به ربه من الله تعالى توفيقا منه له فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق قال الله وفقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى قال قرئ على سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه طاوس قال احتج عيسى والله وفقه أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال قال الله تعالى ياعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال فأرعدت مفاصله وخشى أن يكون قد قالها فقال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة باماتتك اياهم عليها فانهم عبادك مستسلمون لك لا يمتنعون مما أردت بهم ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا أمرا تنالهم به وان تغفر لهم بهدايتك اياهم الى التوبة منها فتستر عليهم فانك أنت العزيز فى انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه الحكيم فى هدايته من هدى من خلقه الى التوبة وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب كالذى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فتخرجهم من النصرانية وتهديهم الى الاسلام فانك أنت العزيز الحكيم وهذا قول عيسى فى الدنيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال والله ما كانوا طعانين ولا لعانين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله هذا يوم ينفع الصادقين فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة هذا يوم ينفع الصادقين بنصب

يوم وقرأ بعض أهل الحجاز و بعض أهل المدينة وعامة قراء أهل العراق هذا يوم ينفع الصادقين برفع يوم فمن رفعه رفعه بهذا وجعل يوم اسما وان كانت اضافته غير محضة لانه صار كالمنعوت وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون فى اعراب الاوقات مثل اليوم والليلة عملهم فيما بعدها ان كان ما بعدها رفعا رفعوها كقولهم هذا يوم يركب الامير وليلة يصدر الحاج و يوم أخوك منطلق وان كان ما بعدها نصبا نصبوها وذلك كقولهم هذا يوم خرج الجيش وسار الناس وليلة قتل زيد ونحو ذلك وان كان معناها فى الحالين اذ واذا وكأن من قرأ هذا هكذا رفعا وجه الكلام الى أنه من قيل الله يوم القيامة وكذلك كان السدى يقول فى ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم هذا فصل من كلام عيسى وهذا يوم القيامة يعنى السدى بقوله هذا فصل من كلام عيسى أن قوله سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الى قوله فانك أنت العزيز الحكيم من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله فى الدنيا بعد أن رفعه اليه وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة وأما النصب فى ذلك فانه يتوجه من وجهين أحدهما أن اضافة يوم ما لم تكن الى اسم تجعله نصبا لان الاضافة غير محضة وانما تكون الاضافة محضة اذا أضيف الى اسم صحيح ونظير اليوم فى ذلك الحين والزمان وما أشبههما من الازمنة كما قال النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

والوجه الآخر أن يكون مرادا بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن يوم ينفع الصادقين فيكون اليوم حينئذ منصوبا على الوقت والصفة بمعنى هذا الأمر فى يوم ينفع الصادقين صدقهم * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب هذا يوم ينفع الصادقين بنصب اليوم على أنه منصوب على الوقت والصفة لان معنى الكلام أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته الى قوله فانك أنت العزيز الحكيم فقال له عز وجل هذا القول النافع أو هذا الصدق النافع يوم ينفع الصادقين صدقهم فاليوم وقت القول والصدق النافع فان قال قائل فما موضع هذا قيل رفع فان قال فأين رافعه قيل مضمر وكأنه قال قال الله عز وجل هذا هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم كما قال الشاعر

أما ترى السحاب كيف يجرى * هذا ولا خيلك يا ابن بشر

يريد هذا هذا ولا خيلك فتأويل الكلام اذ كان الأمر على ما وصفنا لما بينا قال الله لعيسى هذا القول النافع فى يوم ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم ذلك فى الآخرة عند الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار يقول للصادقين فى الدنيا جنات تجرى من تحتها الانهار فى الآخرة ثوابا لهم من الله عز وجل على ما كان من صدقهم الذى صدقوا الله فيما وعدوه فوفوا به لله فوفى الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه خالدين فيها أبدا يقول باقين فى الجنات التى أعطاهموها أبدا دائما لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود الدوام والبقاء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره رضى الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا فى الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه و رضوا عنه يقول و رضوا هم عن الله تعالى فى وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم اياه فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ذلك الفوز العظيم يقول هذا الذى أعطاهم الله من الجنات التى تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها مرضيا عنهم و راضين عن ربهم هو الظفر العظيم بالطلبة وادراك الحاجة التى كانوا

واهب المواهب مائدة جسمانيه لا فائدة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الاسرار والحقائق من سماء العناية عليها أطعمة الهداية تكون لنا أى لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لأولنا وآخرنا أى لأول أنفاسنا وآخرها فان أهل الحق يراقبون الانفاس لتصعد مع الله وتهوى مع الله وأنت خير الرازقين لان الذى ترزق رزق منك والذى يرزق ظاهرا من غيرك فهو أيضا منك بالواسطة وما بالذات خير مما بالواسطة فمن يكفر بعد منكم بأن لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فانى أرده من المراتب الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو المسخ الحقيقى ويوم القيامة أيضا بحيث يحشرون على صفاتهم التى ماتوا عليها كما قال صلى الله عليه وسلم يموت المرء على ما عاش فيه و يحشر على ما مات عليه أأنت قلت للناس الخطاب مع الامة الا أن من سنته سبحانه أن لا يكلم الكفار فكلم عيسى بدلا منهم أو المراد بالقول أمر التكوين فالمعنى أأنت خلقت فيهم اتخاذك وأمك الهين أم أنا خلقت ذلك فيهم خذلانا لهم انك أنت علام الغيوب الغيب ما غاب عن الخلق و يحتمل أن سيعلمه الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم أن يعلموه والله حسبى ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

يطلبونها فى الدنيا ولها كانوا يعملون فيها فنالوا ما طلبوا وأدركوا ما أملوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أيها النصارى لله ملك السموات والارض يقول له سلطان السموات والارض ومافيهن دون عيسى الذى تزعمون أنه الهكم ودون أمه ودون جميع من فى السموات ومن فى الارض فان السموات والارض خلق من خلقه ومافيهن وعيسى وأمه من بعض ذلك بالحلول والانتقال بدلان بكونهما فى المكان الذى هما فيه بالحلول فيه والانتقال أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والارض ومافيهن ينبههم وجميع خلقه على موضع حجته عليهم ليدبروه و يعتبروه فيعقلوا عنه وهو على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره والله الذى له ملك السموات والارض ومافيهن قادر على إفنائهن وعلى إهلاكهن واهلاك عيسى وأمه ومن فى الارض جميعا كما ابتدأ خلقهم لا يعجزه ذلك ولا شئ أراده لأن قدرته القدرة التى لا يشبهها قدرة وسلطانه السلطان الذى لا يشبهه سلطان ولا مملكة

﴿تفسير سورة الأنعام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والارض﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله الحمد لله الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة ودون ماسواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ينحى به نحو الامر يقول أخلصوا الحمد والشكر للذى خلقكم أيها الناس وخلق السموات والارض ولا تشركوا معه فى ذلك أحدا شيأ فانه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم لا من تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكا من خلقه وقد بينا الفصل بين معنى الحمد والشكر بشواهده فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ يقول تعالى ذكره الحمد لله الذى خلق السموات والارض وأظلم الليل وأنار النهار كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجعل الظلمات والنور قال الظلمات ظلمة الليل والنور نور النهار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فانه خلق السموات قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فان قال قائل فما معنى قوله اذا جعل قيل ان العرب تجعلها ظرفا للخبر والفعل فتقول جعلت أفعل كذا وجعلت أقوم وأقعد تدل بقولها جعلت على اتصال الفعل كما تقول علقت أفعل كذا الا أنها فى نفسها فعل يدل على ذلك قول القائل جعلت أقوم وانه لا جعل هنالك سوى القيام وانما دل بقوله جعلت على اتصال الفعل ودوامه ومن ذلك قول الشاعر

وزعمت أنك سوف تسلك قادرا * والموت منسع طريق قادر
فاجعل تحلل من يمينك انما * حنث اليمين على الاثيم الفاجر

يقول فاجعل تحلل بمعنى تحلل شيأ بعد شئ لا أن هنالك جعلا من غير التحليل فكذلك كل جعل فى الكلام انما هو دليل على فعل له اتصال لا أن له حظا فى معنى الفعل فقوله وجعل الظلمات والنور انما هو أظلم ليلهما وأنار نهارهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره معجبا خلقه المؤمنين من كفرة عباده ومحتجا على الكافرين ان الاله الذى يجب عليكم

(تفسير سورة الانعام وهى مائة ونحس وستون آية وهى مكية الا ثلاث آيات قل تعالوا الى قوله ثم آتينا موسى الكتاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ۞ القراآت

أيها الناس حمده هو الذى خلق السموات والارض الذى جعل منهما معايشكم وأقواتكم وأقواتكم أنعامكم التى بها حياتكم فمن السموات ينزل عليكم الغيث وفيها تجرى الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم ومن الارض ينبت الحب الذى به غذاؤكم والثمار التى فيها ملاذكم مع غير ذلك من الامور التى فيها مصالحكم ومنافعكم بها والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس بربهم الذى فعل ذلك وأحدثه يعدلون يجعلون له شريكا فى عبادتهم اياه فيعبدون معه الآلهة والأندادو الأصنام والأوثان وليس منها شئ شركه فى خلق شئ من ذلك ولا فى إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم بل هو المنفرد بذلك كله وهم يشركون فى عبادتهم اياه غيره فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها من عظة لمن فكر فيها بعقل وتدبرها بفهم ولقد قيل انها فاتحة التوراة حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب قال فاتحة التوراة فاتحة الانعام الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب مثله وزاد فيه وخاتمة التوراة خاتمة هود يقال من مساواة الشئ بالشئ عدلت هذا بهذا اذا ساويته به عدلا وأما فى الحكم اذا أنصفت فيه فانك تقول عدلت فيه أعدل عدلا وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله يعدلون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعدلون قال يشركون * ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك فقال بعضهم عنى به أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال له أليس الذين كفروا بربهم يعدلون قال بلى قال وانصرف عنه الرجل فقال له رجل من القوم يا ابن أبزى ان هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا انه رجل من الخوارج فقال ردوه على فلما جاءه قال هل تدرى فيمن نزلت هذه الآية قال لا قال انها نزلت فى أهل الكتاب اذهب لا تضعها على غير حدها * وقال آخرون بل عنى بها المشركون من عبدة الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال هؤلاء أهل صراحة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال هم المشركون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال الآلهة التى عبدوها عدلوها بالله قال وليس لله عدل ولا ند وليس معه آلهة ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدلون فعم بذلك جميع الكفار ولم يخصص منهم بعضا دون بعض فجميعهم داخلون فى ذلك يهودهم ونصاراهم ومجوسهم وعبدة الاوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿هو الذى خلقكم من طين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله هو الذى خلقكم من طين ان الله الذى خلق السموات والارض وأظلم ليلهما وأنار نهارها فكفر به مع انعامه عليهم الكافرون وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرهم هو الذى خلقكم أيها الناس من طين وانما يعنى بذلك تعالى ذكره أن الناس ولد من خلقه من طين فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم اذ كانوا ولده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

وأنشانا بغير همز حيث كان أبو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرأ يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف بغير همز الباقون بغير همز مطلقا خفاق بالامالة حيث كان حمزة ۞ الوقوف والنور ط لأن ثم للترتيب الاخبار يعدلون ٥ أجلا ط تمترون ٥ وفى الأرض ج وقيل لا وقف ليصير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض وفيه بعد بل المعنى وهو المستحق للعبودية فى أهل السموات وأهل الأرض تكسبون ٥ معرضين ٥ لما جاءهم ط للابتداء بالتهديد يستهزؤن ٥ مدرارا ص لعطف المتفقين آخرين ٥ سحر مبين ٥ عليه ملك ط لا ينظرون ٥ يلبسون ٥ يستهزؤن ٥ المكذبين ٥ ۞ التفسير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزلت الأنعام جملة واحدة وتنزلت معها من الملائكة سبعون ألف ملك فملؤا ما بين الأخشبين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى آيات معدودات وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد بعث الى بها جبريل مع خمسين ملكا أو خمسين

هو الذى خلقكم من طين بدء الخلق خلق الله آدم من طين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هو الذى خلقكم من طين قال هو آدم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما خلقكم من طين فآدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمن عن الضحاك ابن مزاحم قال خلق آدم من طين وخلق الناس من سلالة من ماء مهين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خلقكم من طين قال خلق آدم من طين ثم خلقنا من آدم حين أخذنا من ظهره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قوله ثم قضى أجلا ثم قضى لكم أيها الناس أجلا وذلك ما بين أن يخلق الى أن يموت وأجل مسمى عنده وذلك ما بين أن يموت الى أن يبعث ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وهناد بن السرى قالا ثنا وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن فى قوله قضى أجلا قال ما بين أن يخلق الى أن يموت وأجل مسمى عنده قال ما بين أن يموت الى أن يبعث حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده كان يقول أجل حياتك الى أن تموت وأجل موتك الى أن تبعث فأنت بين أجلين من الله تعالى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد ابن سليمن عن الضحاك بن مزاحم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال قضى أجل الموت وكل نفس أجلها الموت قال ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأجل مسمى عنده يعنى أجل الساعة ذهاب الدنيا والافضاء الى الله * وقال آخرون بل معنى ذلك ثم قضى الدنيا وعنده الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله أجلا قال الدنيا وأجل مسمى عنده الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو عاصم عن زكريا بن اسحق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قضى أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى الدنيا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى قال الدنيا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى قال الدنيا حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قالا قضى أجل الدنيا من حين خلقك الى أن تموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال قضى أجل الدنيا وأجل مسمى عنده قال هو أجل البعث حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة ثم قضى أجلا قال الموت وأجل مسمى عنده الآخرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله قضى أجلا وأجل مسمى عنده قالا قضى أجل الدنيا منذ يوم خلقت الى أن تموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قضى أجلا قال أجل الدنيا وأجل مسمى عنده قال البعث حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده يعنى أجل الموت والاجل المسمى أجل الساعة والوقوف عند الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قضى أجلا قال أما قضى أجلا فأجل الموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى

ألف ملك تحفها حتى أقروها فى صدرى كما يقر الماء فى الحوض ولقد أعزنى الله تعالى وإياكم بها عز الا يذل لنا بعدها أبدا فبها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ولنزولها جملة ذهب علماء الكلام الى أن علم الاصول مع جلالة قدره يجب تعلمه على الفور لا على التراخى بخلاف الاحكام فانها نزلت كفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل * واعلم أن قوله الحمد لله مذكور فى أوائل سور خمس واختص كل منها بصفة لكن أعمها صدرا فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور تفاصيل لهذه الجملة أثنى الله سبحانه على نفسه بقوله (الحمد لله الذى خلق السموات والارض) والثناء على النفس قبيح فى الشاهد ففيه دليل على أنه لا يمكن قياس الحق على الخلق فكما أنه واحد فى ذاته فهو واحد فى صفاته وأفعاله لا اعتراض لأحد عليه والتحقيق فيه أن استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد فى الممكن صفة كمال الا وهى مشوبة بالنقص والاختلال أدناه الافول فى أفق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا ينبغى أن يمدح الا هو ولا أن يثنى الا عليه ولا أن يشكر ويحمد الا له ثم الاوصاف الجارية

عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال أما قوله قضى أجلا فهو النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع الى صاحبها حين اليقظة وأجل مسمى عنده هو أجل موت الانسان * وقال آخرون بما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب فى قوله هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون قال خلق آدم من طين ثم خلقنا من آدم أخذنا من ظهره ثم أخذ الأجل والميثاق فى أجل واحد مسمى فى هذه الحياة الدنيا * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال معناه ثم قضى أجل الحياة الدنيا وأجل مسمى عنده وهو أجل البعث عنده وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لانه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم فقال لهم أيها الناس ان الذى يعدل به كفاركم الآلهة والانداد هو الذى خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين فجعلكم صورا أجساما أحياء بعد اذ كنتم طينا جمادا ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم ليعيدكم ترابا وطينا كالذى كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم وأجل مسمى عنده لاعادتكم أحياء وأجساما كالذى كنتم قبل مماتكم وذلك نظير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ثم أنتم تمترون ﴾ يقول تعالى ذكره ثم أنتم تشكون فى قدرة من قدر على خلق السموات والارض واظلام الليل وانارة النهار وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التى أنتم بها وعلى انشائه اياكم من بعد مماتكم وفنائكم وايجاده اياكم بعد عدمكم والمرية فى كلام العرب هى الشك وقد بينت ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم أنتم تمترون قال الشك قال وقرأ قول الله فى مرية منه قال فى شك منه . حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم أنتم تمترون بمثله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذى له الالوهة التى لا تنبغى لغيره المستحق عليكم اخلاص الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس الذى يعدل به كفاركم من سواه هو الله الذى هو فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى عليه شئ يقول فربكم الذى يستحق عليكم الحمد ويجب عليكم اخلاص العبادة له هو هذا الذى صفته لا من لا يقدر لكم على ضر ولا نفع ولا يعمل شيأ ولا يدفع عن نفسه سوأ أريد بها وأما قوله ويعلم ما تكسبون يقول ويعلم ما تعملون وتجرحون فيحصى ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم اليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ﴾ يقول تعالى ذكره وما تأتى هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم آية من آيات ربهم يقول حجة وعلامة ودلالة من حجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته وحقيقة نبوتك يا محمد وصدق ما أتيتهم به من عندى الا كانوا عنها معرضين يقول الا أعرضوا عنها يعنى عن الآية فصدوا عن قبولها والاقرار بما شهدت على حقيقته ودلت على صحته جهلا منهم بالله واغترارا بحلمه عنهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحق لما جاءهم وذلك الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم كذبوا به وجحدوا نبوته لما جاءهم قال الله لهم متوعدا على تكذيبهم اياه وجحودهم نبوته سوف يأتى المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يقول سوف يأتيهم أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزؤن من آياتى وأدلتى التى أتيتهم ثم وفى لهم بوعيده لما تمادوا فى غيهم وعتوا على ربهم فقتلهم

عليه سبحانه انما تذكر زيادة فى المدح لاجل التوضيح والكشف أساميا لم تزده معرفة *

وانما لذة ذكرناها وقد تقدم فى الاسماء أن معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد أنه أوجد السموات والارض على حسب علمه الأزلى قال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان أن يحيط بالمركز الواحد دوائر لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع أن ظاهر التنزيل يدل على أن خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد الارض وقد تجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجىء تقرير ذلك فى قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وأن تخصيص حجم الفلك بمقدار معين وتخصيص كل من أجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما فى الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد معين من السرعة والبطء وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله وأيضا ان لحركة كل فلك أولا لأن حقيقة الحركة انتقال من حالة الى حالة فتقتضى المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافى المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت أن لكل حركة أولا فاختصاص

ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوى الكل فى تمام الماهية وأيضا ان خارج العالم الجسمانى خلاء لانهاية له كما ثبت فى الكلام فحصول هذا العالم فى حيزه الذى حصل فيه دون سائر الاحياز أمر ممكن يحتاج الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا فى ذوات هذه الاجرام أما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تأثير الاثيريات وهى الآباء فى العنصريات وهى الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك أيضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبته أعلى وأجل من رتب الممكنات أما قوله (وجعل الظلمات والنور) فمعناه أحدث وأنشأ ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم يقل وخلق لانه أراد التضمين أعنى انشاء شئ من شئ كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كأن كل واحد منهما تولد من الآخر وقيل لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحد وهو منها والظلمة والنور ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل فى الاطلاق الحقيقة والقرينة تذكر السموات والارض وعن ابن عباس

يوم بدر بالسيف ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتى الجاحدون نبوتك كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون وهم الامم الذين وطأت لهم البلاد والارض وطأة لم أوطئها لهم وأعطيتهم فيها مالم أعطهم كما حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم يقول أعطيناهم مالم نعطكم «قال أبو جعفر» أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها وأعطتهم الارض ريع نباتها وجابوا صخور جبالها ودرت عليهم السماء بامطارها وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها باذنى فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم وبغوا حتى حق عليهم قولى فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما كتسبت أيديهم وأهلكت بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصيحة وغير ذلك من أنواع العذاب ومعنى قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا المطر ويعنى بقوله مدرارا غزيرة دائمة وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين يقول وأحدثنا من بعد الذين أهلكناهم قرنا آخرين فابتدأنا سواهم فان قال قائل فما وجه قوله مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم ومن المخاطب بذلك فقد ابتدأ الخبر فى أول الآية عن قوم غيب بقوله ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن قيل ان المخاطب بقوله مالم نمكن لكم هو المخبر عنهم بقوله ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ولكن فى الخبر معنى القول ومعناه قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحق لما جاءهم ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم والعرب اذا أخبرت خبرا عن غائب وأدخلت فيه قولا فعلت ذلك فوجهت الخبر أحيانا الى الخبر عن الغائب وأحيانا الى الخطاب فتقول قلت لعبد الله ما أكرمه وقلت لعبد الله ما أكرمك وتخبر عنه أحيانا على وجه الخبر عن الغائب ثم تعود الى الخطاب وتخبر على وجه الخطاب له ثم تعود الى الخبر عن الغائب وذلك فى كلامها وأشعارها كثير فاش وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد كان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك كأنه أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطبه معهم وقال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فجاء بلفظ الغائب وهو يخاطب لانه المخاطب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾ وهذا اخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام يقول تعالى ذكره وكيف يتفقهون الآيات أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وجحود نبوتك بحجج الله وآياته وأدلته وهم لعنادهم الحق وبعدهم من الرشد لو أنزلت عليك يا محمد الوحى الذى أنزلته عليك مع رسولى فى قرطاس يعاينونه ويمسونه بأيديهم ويتطرون اليه ويقرؤنه منسه معلقا بين السماء والارض بحقيقة ما تدعوهم اليه وصحة ما تأتيهم به من توحيدى وتنزيلى لقال الذين يعدلون بى غيرى فيشركون فى توحيدى سواى ان هذا الا سحر مبين أى ما هذا الذى جئتنا به الا سحر سحرت به أعيننا ليست له حقيقة ولا صحة مبين يقول مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم قال فمسوه ونظروا اليه لم يصدقوا به حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم يقول فعاينوه

معاينة لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم يقول لو نزلنا من السماء صحفا فيها كتاب فلمسوه بأيديهم لزادهم ذلك تكذيبا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الصحف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله في قرطاس يقول في صحيفة فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المكذبون بآياتي العادلون بي الانداد والآلهة يا محمد لذلك لو دعوتهم الى توحيدي والاقرار بربوبيتي واذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم هلا نزل عليك ملك من السماء في صورته يصدقك على ما جئتنا به ويشهد لك بحقيقة ما تدعي من أن الله أرسلك الينا كما قال تعالى مخبرا عن المشركين في قيلهم لنبي الله صلى الله عليه وسلم وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون يقول ولو أنزلنا ملكا على ما سألوا ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي لجاءهم العذاب عاجلا غير آجل ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة كما فعلت بمن قبلهم من الامم التي سألت الآيات ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النقمة وترك الانظار كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون يقول لجاءهم العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون يقول ولو أنهم أنزلنا اليهم ملكا ثم لم يؤمنوا لم ينظروا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لولا أنزل عليه ملك في صورته ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر لقامت الساعة حدثنا ابن وكيع عن أبيه قال ثنا أبو أسامة عن سفيان الثوري عن عكرمة لقضي الامر قال لقامت الساعة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر قال يقول لو أنزل الله ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال أخبرنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون قال لو أتاهم ملك في صورته لما توا ثم لم يؤخروا طرفة عين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ يقول تعالى ذكره ولو جعلنا رسولنا الى هؤلاء العادلين بي القائلين لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ملكا ينزل عليهم من السماء يشهد بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ويأمرهم باتباعه لجعلناه رجلا يقول لجعلناه في صورة رجل من البشر لانهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته يقول واذ كان ذلك كذلك فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكا أو بشرا اذ كنت اذا أنزلت عليهم ملكا انما أنزله بصورة انسي وحجبي في كلتا الحالتين عليهم ثابتة بأنك صادق وأن ما جئتهم به حق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول ما أتاهم الا في صورة رجل لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولو جعلناه

أن الظلمة ظلمة الشرك والنفاق والنور نور الاسلام واليقين وعلى الاول فانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة أو لأنه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل أكثر من أن يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور أو شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم أو على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون أي يسوون به ما لا يقدر على شئ من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم أنتم تمترون تراخي الرتبة واستبعاد مضموني الجملتين أحدهما عن الآخر ثم ذكر دليلا آخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال (هو الذي خلقكم من طين) أي من آدم لانه مخلوق من الطين أو خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا

ملكا لجعلناه رجلا فى صورة رجل فى خلق رجل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول لو بعثنا اليهم ملكا لجعلناه فى صورة آدمى **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول فى صورة آدمى **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال لجعلنا ذلك الملك فى صورة رجل لم نرسله فى صورة الملائكة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وللبسنا عليهم ولو أنزلنا ملكا من السماء مصدقا لك يا محمد شاهدا لك عند هؤلاء العادلين بى الجاحدين آياتك على حقيقة نبوتك فجعلناه فى صورة رجل من بنى آدم اذ كانوا لا يطيقون رؤية الملك بصورته التى خلقته بها التبس عليهم أمره فلم يدروا أملك هو أم إنسى فلم يوقنوا به أنه ملك ولم يصدقوا به وقالوا ليس هذا ملكا وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك وصحة برهانك وشاهدك على نبوتك يقال منه لبست عليهم الامر ألبسه لبسا اذا خلطته عليهم ولبست الثوب ألبسه لبسا واللبوس اسم الثياب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون يقول لشبهنا عليهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وللبسنا عليهم ما يلبسون يقول مالبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم واللبس انما هو من الناس **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وللبسنا عليهم ما يلبسون يقول شبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم * وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول آخر وهو ما **حدثنى** به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم وكذبوا رسلهم وهو تحريف الكلام عن مواضعه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك فى قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون يعنى التحريف هم أهل الكتاب فرقوا كتبهم ودينهم وكذبوا رسلهم فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أول السورة بأن تكون فى أمر المشركين من عبدة الأوثان أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف فى ذات الله هون عليك يا محمد ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك فى وفى طاعتى وامض لما أمرتك به من الدعاء الى توحيدى والاقرار بى والاذعان لطاعتى فانهم ان تمادوا فى غيهم وأصروا على المقام على كفرهم نالك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول المثلات بهم فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم اليهم بمثل الذى أرسلتك به الى قومك وفعلوا مثل فعل قومك بك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن يعنى بقوله فحاق فنزل وأحاط بالذين هزؤا من رسلهم ما كانوا به يستهزؤن يقول العذاب الذى كانوا يهزؤن به وينكرون أن يكون واقعا بهم على ما أنذرتهم رسلهم يقال منه حاق بهم هذا الأمر يحيق بهم حيقا وحيوقا وحيقانا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فحاق بالذين سخروا

منهم

ريب أن خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم توليد النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة فى الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحياة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد أما قوله (ثم قضى أجلا) فاعلم أن لفظ القضاء قد يرد بمعنى الحكم والامر وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بنى اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والأنسب ههنا هو الاول والأجل فى اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الأمد وأصله من التأخير ومنه الآجل نقيض العاجل ثم ان صريح الآية يدل على حصول أجلين لكل انسان فقال أبو مسلم الاول آجال الماضين لانهم لما ماتوا صارت آجالهم معلومة والثانى آجال الباقين لانها غير معلومة بعد وانما هى مسماة عند الله تعالى وقيل الاول أجل الموت والثانى أجل القيامة لانه لا آخر له ولا يعلم أحد كيفية الحال فى هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين أن يخلق

منهم من الرسل ما كانوا به يستهزؤن يقول وقع بهم العذاب الذى استهزؤا به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء العادلين بى الأوثان والأنداد المكذبين بك الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندى سيروا فى الارض يقول جولوا فى بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آياتى من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزى الدنيا وعارها وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفو الآثار فاعتبروا به ان لم تنهكم حلومكم ولم تزجركم حجج الله عليكم عما أنتم مقيمون من التكذيب فاحذروا مثل مصارعهم واتقوا أن يحل بكم مثل الذى حل بهم وكان قتادة يقول فى ذلك بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم الى النار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل لمن ما فى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم لمن ما فى السموات والارض يقول لمن ملك ما فى السموات والارض ثم أخبرهم أن ذلك لله الذى استعبد كل شئ وقهر كل شئ بملكه وسلطانه لا للأوثان والأنداد ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلها من الاصنام التى لا تملك لأنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا وقوله كتب على نفسه الرحمة يقول قضى أنه بعباده رحيم لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الانابة والتوبة وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه الى الاقبال اليه بالتوبة يقول تعالى ذكره ان هؤلاء العادلين بى الجاحدين نبوتك يا محمد إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم وانى قد قضيت فى خلقى أن رحمتى وسعت كل شئ كالذى حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ذكوان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله من الخلق كتب كتابا ان رحمتى سبقت غضبى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبى عثمان عن سلمان قال ان الله تعالى لما خلق السماء والارض خلق مائة رحمة كل رحمة ملء ما بين السماء الى الأرض فعنده تسع وتسعون رحمة وقسم رحمة بين الخلائق فبها يتعاطفون وبها تشرب الوحش والطير الماء فاذا كان يوم القيامة قصرها الله على المتقين وزادهم تسعا وتسعين حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن أبى عثمان عن سلمان نحوه الا أن ابن أبى عدى لم يذكر فى حديثه وبها تشرب الوحش والطير الماء حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عاصم بن سليمن عن أبى عثمان عن سلمان قال نجد فى التوراة عطفتين ان الله خلق السموات والارض ثم خلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فبها يتراحمون وبها يتباذلون وبها يتعاطفون وبها يتزاورون وبها تحن الناقة وبها تنتج البقرة وبها تيعر الشاة وبها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان فى البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة الى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمن عن أبى عثمان النهدى عن سلمان فى قوله كتب على نفسه الرحمة الآية قال انا نجد فى التوراة عطفتين ثم ذكر نحوه الا أنه ما قال وبها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان فى البحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال ابن طاوس عن أبيه ان الله تعالى لما خلق الخلق لم يعطف شيئا على شئ حتى خلق مائة رحمة فوضع بينهم رحمة واحدة فعطف بعض الخلق على بعض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر

الى أن يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل أحد والثانى ما بقى من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعى الذى يمكن بالنسبة الى المزاج الأول لكل شخص لو بقى مصونا عن الآفات الخارجية والثانى الاجل الاختراعى الذى يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى (مسمى) أى مذكور اسمه فى اللوح المحفوظ ومعنى (عنده) أى فى حكمه وعلمه كما تقول هذه المسئلة عند الشافعى كذا وعند أبى حنيفة كذا وارتفع أجل بالابتداء وجاز ذلك مع تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة وانما لم يقل وعنده أجل مسمى تعظيما لشأن هذا الأجل فكأنه قيل وأى أجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم تبعيد الامتراء عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة للتيقن فى أمر المبدا والمعاد ثم قرر أنه سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم أنه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصى ولا تمييز أجزاء بدن زيد عن أجزاء بدن عمرو فقال (وهو الله فى السموات وفى الارض) وزعمت المجسمة بهذا وبنحو قوله أم أمنتم من فى السماء أنه سبحانه مستقر فى السماء قالوا ويؤكده وقف بعض القراء على السموات والابتداء بقوله وفى

عن ابن طاوس عن أبيه بمثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال وأخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة حسبته أسنده قال اذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلا أهل الجنة (٣) ولا أعلمه الا قال مثلا وأما مثل فلا أشك مكتوبا هاهنا وأشار الحكم الى نحره عتقاء الله فقال رجل لعكرمة يا أبا عبد الله فان الله يقول يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قال ويلك أولئك أهلها الذين هم أهلها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة حسبت أنه أسنده قال اذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش ثم ذكر نحوه غير انه قال فقال رجل يا أبا عبد الله أرأيت قوله يريدون أن يخرجوا من النار وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول ان لله مائة رحمة فأهبط رحمة الى أهل الدنيا يتراحم بها الجن والانس وطائر السماء وحيتان الماء ودواب الارض وهوامها وما بين الهواء واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة حتى اذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها الى أهل الدنيا فحواها الى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال عبد الله بن عمرو ان لله مائة رحمة أهبط منها الى الارض رحمة واحدة يتراحم بها الجن والانس والطير والبهائم وهوام الارض حدثنا محمد بن عوف قال أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج قال ثنا صفوان ابن عمرو قال ثني أبو المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب ما أول شئ ابتدأه الله من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد ولكن كتبه باصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت أنا الله لا اله الا أنا سبقت رحمتي غضبي ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ وهذه اللام التي في قوله ليجمعنكم لام قسم ثم اختلف أهل العربية في حالها فكان بعض نحويي الكوفة يقول ان شئت جعلت الرحمة غاية كلام ثم استأنفت بعدها ليجمعنكم قال وان شئت جعلته في موضع نصب يعني كتب ليجمعنكم كما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة يريد كتب أنه من عمل منكم قال والعرب تقول في الحروف التي يصلح معها جواب كلام الأيمان بأن المفتوحة وباللام فيقولون أرسلت اليه أن يقوم وأرسلت اليه ليقومن قال وكذلك قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين قال وهو في القرآن كثير ألا ترى أنك لو قلت بدا لهم أن يسجنوه لكان صوابا وكان بعض نحويي البصرة يقول نصبت لام ليجمعنكم (١) لان معنى كتب كأنه قال والله ليجمعنكم * والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله كتب على نفسه الرحمة غاية وأن يكون قوله ليجمعنكم خبرا مبتدأ أو يكون معنى الكلام حينئذ ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه لينتقم منكم بكفركم به وانما قلت هذا القول أولى بالصواب من إعمال كتب في ليجمعنكم لان قوله كتب قد عمل في الرحمة فغير جائز وقد عمل في الرحمة أن يعمل في ليجمعنكم لانه لا يتعدى الى

(١) لعل الأصل لان معنى كتب القسم كأنه الخ كتبه مصححه

الارض يعلم سركم أي يعلم سرائركم الموجودة في الارض ولو سلم أن لا وقف فالاجماع حاصل على أنه ليس موجودا في الأرض ولا يلزم من ترك العمل بأحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر من غير دليل ونوقض بأنه تعالى قال في مواضع لله ما في السموات فلو كان هو في السماء لزم أن يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شئ قدير وبأنه اما أن يراد كونه في سماء واحدة وهو ترك الظاهر أو في جميع السموات وهو يقتضي كونه ذا أجزاء أو حصول المتحيز الواحد في مكانين وكلاهما محال والحق أنه لا يلزم من استصحاب المكان الافتقار اليه ولا التجسيم والتحيز وهو دقيق يفهمه من وفق له وبأنه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا ويرد عليه انه لم لا يجوز أن يكون في السموات وفوقها الى ما لا يتناهى لاسيما عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبأنه لو كان في السموات فان لم يقدر على عالم آخر فوقها لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم والقوم ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض أنه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غير المجسمة

اثنين فان قال قائل فما أنت قائل فى قراءة من قرأ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه بفتح أن قيل ان ذلك اذا قرئ كذلك فان أن بيان عن الرحمة وترجمة عنها لان معنى الكلام كتب على نفسه الرحمة أن يرحم من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة ويعفو والرحمة يترجم عنها ويبين معناها بصفتها وليس من صفة الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة فيكون مبينا به عنها فان كان ذلك كذلك فلم يبق الا أن ينصب بنية تكرير كتب مرة أخرى معه ولا ضرورة بالكلام الى ذلك فتوجه الى ما ليس بموجود فى ظاهر وأما تأويل قوله لا ريب فيه فانه لا شك فيه يقول فى أن الله يجمعكم الى يوم القيامة فيحشركم اليه جميعا ثم يوفى كل عامل منكم أجر ما عمل من حسن أو سيئ ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله الذين خسروا أنفسهم العادلين به الاوثان والأصنام يقول تعالى ذكره ليجمعن الله الذين خسروا أنفسهم يقول الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الند والعديل فأوبقوها بايجابهم سخط الله وأليم عقابه فى المعاد وأصل الخسار الغبن يقال منه خسر الرجل فى البيع اذا غبن كما قال الاعشى

لا يأخذ الرشوة فى حكمه ۞ ولا يبالى خسر الخاسر

وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وموضع الذين فى قوله الذين خسروا أنفسهم نصب على الرد على الكاف والميم فى قوله ليجمعنكم على وجه البيان عنها وذلك أن الذين خسروا أنفسهم هم الذين خوطبوا بقوله ليجمعنكم وقوله فهم لا يؤمنون يقول فهم لاهلاكهم أنفسهم وغبنهم اياها حظها لا يؤمنون أى لا يوحدون الله ولا يصدقون بوعده ووعيده ولا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان فيخلصوا له التوحيد ويفردوا له الطاعة ويقروا بالالوهية جهلا وله ما سكن فى الليل والنهار يقول وله ملك كل شئ لانه لا شئ من خلق الله الا وهو ساكن فى الليل والنهار فعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه من ادعائهم له شريكا وما يقول غيرهم من خلاف ذلك العليم بما يضمرونه فى أنفسهم وما يظهرونه بجوارحهم لا يخفى عليه شئ من ذلك فهو يحصيه عليهم ليوفى كل انسان ثواب ما اكتسب وجزاء ما عمل وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله سكن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وله ما سكن فى الليل والنهار يقول ما استقر فى الليل والنهار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والاصنام والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك الداعين الى عبادة الآلهة والأوثان أشيأ غير الله تعالى أتخذ وليا أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل أغير الله أتخذ وليا قال أما الولى فالذى يتولونه ويقرون له بالربوبية فاطر السموات والارض يقول أشيأ غير الله فاطر السموات أتخذ وليا ففاطر السموات والارض من نعت الله وصفته ولذلك خفض ويعنى بقوله فاطر السموات والارض مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما كالذى حدثنا به ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد القطان عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول كنت لا أدرى ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها حدثنا محمد

المراد وهو الله فى تدبير السموات والارض كما يقال فلان فى أمر كذا أى فى تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون فى السموات خبرا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعد ذلك ويكون المعنى انه يعلم فى السموات والأرض سرائر الملائكة والانس والجن أو المراد وهو المعبود فيهما أو المعروف بالالهية أو المتوحد بها أو هو الذى يقال له الله فيهما لا شريك له فى هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهى الدواعى والصوارف والجهر من أعمال الجوارح ولان الاول مقدم على الثانى طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة أعنى قوله (يعلم سركم وجهركم) مقررة لما قبلها أو خبر ثالث أو كلام مبتدأ (ويعلم ما تكسبون) الكسب أخص من الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضى الى اجتلاب نفع أو اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بأنه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الأعم للتقرير والتأكيد أو لكونه أهم حسن لا يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد أنه عالم بما يستحقه الانسان على أفعاله من ثواب أو عقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع فى النبوات فرتب أحوال الكفار مع الانبياء فى ثلاث مراتب الاولى كونهم معرضين عن التأمل فى الدلائل وذلك قوله

(وماتاتيهم من آية من آيات ربهم) من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الاوهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم * الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذب فقد أعرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وهو الحق قال أنس هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والأولى الحمل على الكل * المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء كان غاية في الغواية وذلك قوله (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا) أي أخبار الشئ الذي كانوا (به يستهزؤن) وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس المراد نفس الانباء بل العذاب الذي أنبأ الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحكيم اذا توعد فر بما قال ستعرف نبأ هذا اذا نزل بك ما تحذره وذلك أن الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الآية سيعلمون بأي شئ

ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فاطر السموات والارض قال خالق السموات والارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاطر السموات والارض قال خالق السموات والارض يقال من ذلك فطرها الله يفطرها ويفطرها فطرا وفطورا (١) ومنه قوله ترى من فطور يعني شقوقا وصدوعا يقال سيف فطار اذا كثر فيه التشقق وهو عيب فيه ومنه قول عنترة

وسيفي كالعقيقة فهو كمعي * سلاحي لا أفل ولا فطارا

ومنه يقال فطر ناب الجمل اذا تشقق اللحم فخرج ومنه قوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن أي ينشققن وينصدعن وأما قوله وهو يطعم ولا يطعم فانه يعني وهو يرزق خلقه ولا يرزق كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وهو يطعم ولا يطعم قال يرزق ولا يرزق وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ذلك وهو يطعم ولا يطعم أي انه يطعم خلقه ولا يأكل هو ولا معنى لذلك لقلة القراءة به ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين يدعونك الى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ويحثونك على عبادتها أغير الله فاطر السموات والارض وهو يرزقني وغيري ولا يرزقه أحد أتخذ وليا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق وقل لهم أيضا اني أمرني ربي أن أكون أول من أسلم يقول أول من خضع له بالعبودية وتذلل لامره ونهيه وانقاد له من أهل دهري وزماني ولا تكونن من المشركين يقول وقل وقيل لي لا تكونن من المشركين بالله الذين يجعلون الآلهة والانداد شركاء وجعل قوله أمرت بدلا من قيل لي لان قوله أمرت معناه قيل لي فكأنه قيل قل اني قيل لي كن أول من أسلم ولا تكونن من المشركين فاجتزئ بذكر الامر من ذكر القول اذ كان الامر معلوما أنه قول ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله الذين يدعونك الى عبادة أوثانهم ان ربي نهاني عن عبادة شئ سواه واني أخاف ان عصيت ربي فعبدتها عذاب يوم عظيم يعني عذاب يوم القيامة ووصفه تعالى بالعظم لعظم هوله وفظاعة شأنه ۞ القول في تأويل قوله ﴿من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة من يصرف عنه يومئذ بضم الياء وفتح الراء بمعنى من يصرف عنه العذاب يومئذ وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة من يصرف عنه بفتح الياء وكسر الراء بمعنى من يصرف الله عنه العذاب يومئذ وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه يصرف عنه بفتح الياء وكسر الراء لدلالة قوله فقد رحمه على صحة ذلك وأن القراءة فيه بتسمية فاعله ولو كانت القراءة في قوله من يصرف على وجه مالم يسم فاعله كان الوجه في قوله فقد رحمه أن يقال فقد رحم غير مسمى فاعله وفي تسمية الفاعل في قوله فقد رحمه دليل بين على أن ذلك كذلك في قوله من يصرف عنه واذ كان ذلك هو الوجه الاولى بالقراءة فتأويل الكلام من يصرف عنه من خلقه يومئذ عذابه فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين ويعني بقوله وذلك وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة ورحمته اياه الفوز أي النجاة من الهلكة والظفر بالطلبة المبين يعني الذي بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وادراك الطلبة ونحو الذي قلنا في قوله من يصرف عنه يومئذ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قال من يصرف عنه العذاب

(١) قوله ومنه قوله ترى الخ هذا الايلائم ماقبله فلعل فيه سقطا والأصل والفطر أيضا الشق ومنه الخ

* القول

القول فى تأويل قوله ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك الله بضر يقول بشدة فى دنياك وشظف فى عيشك وضيق فيه فلن يكشف ذلك عنك الا الله الذى أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه وأذعن له من أهل زمانك دون ما يدعوك العادلون به الى عبادته من الاوثان والاصنام ودون كل شئ سواها من خلقه وان يمسسك بخير يقول وان يصبك بخير أى برخاء فى عيش وسعة فى الرزق وكثرة فى المال فتقر أنه أصابك بذلك فهو على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره والله الذى أصابك بذلك فهو على كل شئ قدير هو القادر على نفعك وضرك وهو على كل شئ يريده قادر لا يعجزه شئ يريده ولا يمتنع منه شئ طلبه ليس كالآلهة الذليلة المهينة التى لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ولا دفع ضر عنها ولا غيرها يقول تعالى ذكره فكيف تعبد من كان هكذا أم كيف لا تخلص العبادة وتقر لمن كان بيده الضر والنفع والثواب والعقاب وله القدرة الكاملة والعزة الظاهرة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وهو نفسه يقول والله القاهر فوق عباده ويعنى بقوله القاهر المذل المستعبد خلقه العالى عليهم وانما قال فوق عباده لانه وصف نفسه تعالى بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيأ أن يكون مستعليا عليه فعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلهم العالى عليهم بتذليله لهم وخلقه اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وهو الحكيم يقول والله الحكيم فى علوه على عباده وقهره اياهم بقدرته وفى سائر تدبيره الخبير بمصالح الاشياء ومضارها الذى لا يخفى عليه عواقب الامور وبواديها ولا يقع فى تدبيره خلل ولا يدخل حكمه دخل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك أى شئ أعظم شهادة وأكبر ثم أخبرهم بأن أكبر الاشياء شهادة الله الذى لا يجوز أن يقع فى شهادته ما يجوز أن يقع فى غيره من خلقه من السهو والخطا والغلط والكذب ثم قل لهم ان الذى هو أكبر الاشياء شهادة شهيد بينى وبينكم بالحق منا من المبطل والرشيد منا فى فعله وقوله من السفيه وقد رضينا به حكما بيننا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى أى شئ أكبر شهادة قال أمر محمد أن يسأل قريشا ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى وبينكم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به عقابه وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم ان لم يبلغه الى العمل بما فيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والايمان بجميعه نزول نقمة الله به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا أيها الناس بلغوا ولو آية من كتاب الله فانه من بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لأنذركم به ومن بلغ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله حدثنا هناد قال ثنا وكيع

استهزؤا وأنه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند نزول العقاب بهم فى الدنيا كيوم بدر وغيره أو فى الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء وأوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة والنصيحة بتذكيرهم أحوال الأمم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون فى زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان فى الاغلب ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والأقرب أنه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الأكثر من أهل كل عصر فقد انقضى القرن وليس المراد أن يصدق الكفار محمدا فى هذه الأخبار لانهم بصدد التكذيب فسيكذبونه فيها أيضا وانما المراد أن ما يختص بالمتقدمين منهم مشهور بين الناس فيبعد أن يقال انهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفى فى الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلاثة أوصاف الاول تمكينهم فى الارض مكن له فى الارض جعل له مكانا ومكنه فيها أثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما فى الآية والمعنى لم نعط أهل مكة نحوما آتيناعادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال وأسباب الدنيا الثانى ارسال السماء عليهم مدرارا يعنى الغيث أو السحاب أو الخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار كثير الدر در اللبن اذا أقبل على

الحالب منه شئ كثير ومدرارا نعت المطر ويقال أيضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من أبنية المبالغة يستوى فيه المذكر والمؤنث الثالث (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) أى من تحت أمكنتهم والمراد أنهم أصحاب البساتين والقصور والمنتزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم وانما يجرى ذلك على الانبياء والمؤمنين أيضا قلنا لدفع هذا الاشكال كرر فقال (فأهلكناهم بذنوبهم) فان الاهلاك بسبب المعاصى والآثام لا يكون الا بالعذاب والابلام ثم نبه بقوله (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستعلائه كقوله إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده بيده التخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من بالغ فى حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على قانون الخير والعدل فمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور فى الآية وفيه أن لذات الدنيا ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حملته العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء وجعلها من قبيل السحر الذى لا أصل له وهم الذين عنوا بقوله (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) والمعنى أنه

و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قرأ ومن بلغ أئنكم لتشهدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح قال سألت ليثا هل بقى أحد لم تبلغه الدعوة قال كان مجاهد يقول حيثما يأتى القرآن فهو داع وهو نذير ثم قرأ لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن بلغ من أسلم من العجم وغيرهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا خالد بن يزيد قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب فى قوله لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به يعنى أهل مكة ومن بلغ يعنى ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت سفيان الثورى يحدث لا أعلمه الا عن مجاهد أنه قال فى قوله وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به العرب ومن بلغ العجم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لأنذركم به ومن بلغ أما من بلغ فمن بلغه القرآن فهو له نذير حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال يقول من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره وقرأ يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا قال فمن بلغه القرآن فرسول الله صلى الله عليه وسلم نذيره فمعنى هذا الكلام لأنذركم بالقرآن أيها المشركون وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم فمن فى موضع نصب بوقوع أنذر عليه وبلغ فى صلته وأسقطت الهاء العائدة على من فى قوله بلغ لاستعمال العرب ذلك فى صلات من وما والذى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني برىء مما تشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين الجاحدين نبوتك العادلين بالله ربا غيره أئنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى يقول تشهدون أن معه معبودات غيره من الاوثان والاصنام وقال أخرى ولم يقل أخر والآلهة جمع لان الجموع يلحقها التأنيث كما قال تعالى فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ولا الأولين ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا أشهد بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى بل أجحد ذلك وأنكره انما هو اله واحد يقول انما هو معبود واحد لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة وانني برىء مما تشركون يقول قل وانني برىء من كل شريك تدعونه لله وتضيفونه الى شركته وتعبدونه معه لا أعبد سوى الله شيأ ولا أدعو غيره الها وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته وذلك ما حدثنا به هناد بن السرى وأبو كريب قالا ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحرى بن عمير فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله بذلك بعثت والى ذلك أدعو فانزل الله تعالى فيهم وفى قولهم قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم الى قوله لا يؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره الذين آتيناهم الكتاب التوراة والانجيل يعرفون أنما هو اله واحد لا جماعة الآلهة

وأن محمدا نبي مبعوث كما يعرفون أبناءهم وقوله الذين خسروا أنفسهم من نعت الذين الاولى ويعنى بقوله خسروا أنفسهم أهلكوها وألقوها فى نار جهنم بانكارهم محمدا أنه لله رسول مرسل وهم بحقيقة ذلك عارفون فهم لا يؤمنون يقول فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون وقد قيل ان معنى خسارتهم أنفسهم أن كل عبد له منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار فى الجنة وجعل لاهل النار منازل أهل الجنة فى النار فذلك خسران الخاسرين منهم لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار بما فرط منهم فى الدنيا من معصيتهم الله وظلمهم أنفسهم وذلك معنى قول الله تعالى الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وبنحو ما قلنا فى معنى قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون أن الاسلام دين الله وأن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم النصارى واليهود يعرفون رسول الله فى كتابهم كما يعرفون أبناءهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (١) حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قال زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم أنهم قالوا والله لنحن أعرف به من أبنائنا من أجل الصفة والنعت الذى نجده فى الكتاب وأما أبناؤنا فلا ندرى ما أحدث النساء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أشد اعتداء وأخطأ فعلا وأخطل قولا ممن افترى على الله كذبا يعنى ممن اختلق على الله قيل باطل واخترق من نفسه عليه كذبا فزعم أن له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الاوثان أو ادعى له ولدا أو صاحبة كما قالته النصارى أو كذب بآياته يقول أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التى أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم كذبت بها اليهود انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا يفلح القائلون على الله الباطل ولا يدركون البقاء فى الجنان والمفترون عليه الكذب والجاحدون بنبوة أنبيائه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ يقول تعالى ذكره ان هؤلاء المفترين على الله كذبا والمكذبين بآياته لا يفلحون اليوم فى الدنيا ولا يوم نحشرهم جميعا يعنى ولا فى الآخرة ففى الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف وتأويل الكلام انه لا يفلح الظالمون اليوم فى الدنيا ويوم نحشرهم جميعا فقوله ويوم نحشرهم مردود على المراد فى الكلام لانه وان كان محذوفا منه فكأنه فيه لمعرفة السامعين بمعناه ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم يقول ثم نقول اذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب بادعائهم له فى سلطانه شريكا والمكذبين بآياته ورسله جميعهم يوم القيامة أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنهم لكم آلهة من دون الله افتراء وكذبا وتدعونهم من دونه أربابا فأتوا بهم ان كنتم صادقين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ يقول تعالى ذكره ثم لم يكن قولهم اذ قلنا لهم أين شركاؤكم

(١) لم يذكر تفسيرا وعبارة الدر المنثور عن السدى يعنى يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم لأن نعته معهم فى التوراة اه تأمل كتبه مصححه

لو نزل الكتاب جملة واحدة فى صحيفة واحدة فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو أن نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم تكن عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز أن يكون نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين أو من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق وأجيب بان المقصود من الآية ليس بيان الاعجاز ولكن المراد أنهم اذا لمسوه بأيديهم يقوى الادراك البصرى بالادراك اللمسى ويبلغ الغاية فى القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين فى أن ذلك الذى رأوه ولمسوه هل هو موجود أم لا وذلك يدل على أنهم بلغوا فى الجهالة الى حد السفسطة قال القاضى فى الآية دليل على وجوب اللطف لانه بين أنه انما لم ينزل هذا الكتاب من حيث انه لو أنزله لقالوا هذا القول فيفهم منه أنهم لو قبلوه وآمنوا به لأنزله لا محالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبى ان مشركى مكة قالوا يا محمد والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة

يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله وذلك قوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) فأجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون) ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب أن انزال الملك على البشر آية باهرة وحينئذ ربما لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال أو لعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما رأى جبرائيل على صورته الاصلية غشي عليه وأن جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كأضياف ابراهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وأن جبرائيل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم أن عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أفظع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى وهي أنه بشر مثلهم ويقولون لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة أن الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم أقل والحكيم اذا أراد تحصيل مهم اختار ما هو أسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (ولو جعلناه) أي الرسول (ملكا لجعلناه رجلا) لان انزال الملك آية ظاهرة جارية مجرى

الذين كنتم تزعمون اجابة منهم لنا عن سؤالنا اياهم ذلك اذ فتناهم فاختبرناهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين كذبا منهم في أيمانهم على قبلهم ذلك ثم اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ثم لم تكن فتنتهم بالنصب بمعنى لم يكن اختبارنالهم الا قبلهم والله ربنا ما كنا مشركين غير أنهم يقرؤن تكن بالتاء على التأنيث وان كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهي خبر وذلك عند أهل العربية شاذ غير فصيح في الكلام وقد روي بيت للبيد بنحو ذلك وهو قوله

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي (١) عرّدت اقدامها

فقال وكانت بتأنيث الاقدام لمجاورته قوله عادة وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب الا أن قالوا بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم غير أنهم ذكروا يكون لتذكير أن ٢ وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لأن أثبت في المعرفة من الفتنة * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ثم لم تكن فتنتهم فقال بعضهم معناه ثم لم يكن قولهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة في قوله ثم لم تكن فتنتهم قال مقالتهم قال معمر وسمعت غير قتادة يقول معذرتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله ثم لم تكن فتنتهم قال قولهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا الآية فهو كلامهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك ثم لم تكن فتنتهم يعني كلامهم * وقال آخرون معنى ذلك معذرتهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة ثم لم تكن فتنتهم قال معذرتهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يقول اعتذارهم بالباطل والكذب * والصواب من القول في ذلك أن يقال معناه ثم لم يكن قبلهم عند فتنتنا اياهم اعتذار اما سلف منهم من الشرك بالله الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فوضعت الفتنة موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام وانما الفتنة الاختبار والابتلاء ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك الا عند الاختبار وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم * واختلفت القراء أيضا في قراءة قوله والله ربنا ما كنا مشركين فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين والله ربنا خفضا على أن الرب نعت لله وقرأ ذلك جماعة من التابعين والله ربنا بالنصب بمعنى والله يا ربنا وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة * وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ والله ربنا بنصب الرب بمعنى يا ربنا وذلك أن هذا جواب من المسؤلين المقول لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وكان من جواب القوم لربهم والله يا ربنا ما كنا مشركين فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويعني بقوله ما كنا مشركين ما كنا عوالك شريكا

(١) بالعين المهملة يعني تركت القصد وانهزمت اه كتبه مصححه

(٢) سقط من قلم الناسخ قراءة الرفع كما يؤخذ من بقية كلامه ومراده بقوله وهذه القراءة أي قراءة النصب وقوله لأن أن أثبت الخ أي لانه يشبه المضمر اه تأمل كتبه مصححه

ولا ندعو سوالك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الاوثان والأصنام فى الآخرة عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم والله يا ربنا ما كنا مشركين واستعملوا هنالك الاخلاق التى كانوا بها متخلقين فى الدنيا من الكذب والفرية ومعنى النظر فى هذا الموضع النظر بالقلب لا النظر بالبصر وانما معناه تبين فاعلم كيف كذبوا فى الآخرة وقال كذبوا ومعناه يكذبون لأنه لما كان الخبر قد مضى فى الاية قبلها صار كالشئ الذى قد كان ووجد وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وفارقهم الانداد والاصنام وتبرؤا منها فسلكوا غير سبيلها لانها هلكت وأعبد الذين كانوا يعبدونها اجتراء ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله وعبادتهم اياها واشراكهم اياها فى سلطان الله فضلت عنهم وعوقب عابدوها بفريتهم وقد بينا فيما مضى أن معنى الضلال الاخذ على غير الهدى وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذ ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال أتى رجل ابن عباس فقال قال الله والله ربنا ما كنا مشركين وقال فى آية أخرى ولا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس أما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فانه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة الا أهل الاسلام فقالوا تعالوا نجحد قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين قال قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تغفر ولا يغفر الله لمشرك انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله اياهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والله ربنا ما كنا مشركين ثم قال ولا يكتمون الله حديثا بجوارحهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن حمزة الزيات عن رجل يقال له هشام عن سعيد بن جبير ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال حلفوا واعتذروا قالوا والله ربنا حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن سعيد بن جبير قال أقسموا واعتذروا والله ربنا حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن حمزة الزيات عن رجل يقال له هشام عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن سفيان بن زياد العصفرى عن سعيد بن جبير فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قال لما أمر باخراج رجال من النار من أهل التوحيد قال من فيها من المشركين تعالوا نقول لا اله الا الله لعلنا نخرج مع هؤلاء قال فلم يصدقوا قال فحلفوا والله ربنا ما كنا مشركين قال فقال الله انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وضل عنهم ما كانوا يفترون أى يشركون به حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قال لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة الا مسلم قالوا تعالوا اذا سئلنا قلنا والله ربنا ما كنا مشركين فسئلوا فقالوا ذلك فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم فوذ الذين كفروا حين رأوا ذلك لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا مسلم بن خلف عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يأتى على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهل الشرك أهل التوحيد يغفر لهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال انظر كيف كذبوا على

الاخفاء وازالة الاختيار وذلك منافٍ لغرض التكليف ولان الجنس الى الجنس أميل ولان البشر لا يطيق رؤية الملك ولان طاعات الملك كثيرة فيحقرون طاعات البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصى فلا يصبرون معهم ولأن انزال الملك يقوى الشبهة من وجه آخر وذلك أن أى معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال (وللبسنا عليهم ما يلبسون) لبست الامر على القوم ألبسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك فى صورة البشر كان فعلنا نظير الفعلهم فى التلبيس وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع أنه ليس بملك أو يظنونه بشرا مع أنه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على أنفسهم ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال أبدا ويبقى الامر فى حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز أن يراد وخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فيكون مفعولا به يعنى أن القوم اذا رأوا الملك فى صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم انه سبحانه وتعالى سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه

بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة ومنه الحوق بالضم ما استدار بالكمرة (ما كانوا) أى الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أسند الحيق اليه حيث أهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل أن يراد بلفظة ما العذاب الذى كان يخوفهم الرسول بنزوله وهم يستهزؤن بذلك ثم أمر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا فى الارض لتشاهدوا آثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الأسفار تورث الاعتبار وتفيد الاستبصار * واعلم انه سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفى موضع آخر فانظروا فالفاء لمجرد اعتبار ترتيب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب وأيضا شتان بين السير الصورى بقدم الاشباح وبين السير المعنوى بقدم الارواح والله أعلم ۞ التأويل جد نفسه القديم الازلى بكلامه القديم الازلى على أن خلق سموات القلوب وأرض النفوس وجعل الظلمات أى الصفات البهيمية والسبعية فى النفوس والنور فى القلوب وهو صفاتها الملكية والروحانية فخص الجعل بالمعانى التى هى من عالم الامر والخلق بالأعيان لأنها من عالم الصورة ولهذا لما ذكر صورة آدم قال انى

أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن رجل عن سعيد بن جبير أنه كان يقول والله ربنا ما كنا مشركين يخفضها قال أقسموا واعتذروا قال الحرث قال عبد العزيز قال سفيان مرة أخرى ثنى هشام عن سعيد بن جبير ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد من يستمع اليك يقول من يستمع القرآن منك ويستمع ما تدعوه اليه من توحيد ربك وأمره ونهيه ولا يفقه ما تقول ولا يوعيه قلبه ولا يتدبره ولا يصغى له سمعه ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه فى تنزيله الذى أنزله عليك انما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك ولا يعقل عنك ما تقول لأن الله قد جعل على قلبه أكنة وهى جمع كنان وهو الغطاء مثل سنان وأسنة يقال منه أكننت الشئ فى نفسى بالألف وكننت الشئ اذا غطيته ومن ذلك بيض مكنون وهو الغطاء ومنه قول الشاعر

تحت عين كنانتا * ظل بردمرحل

يعنى غطاءهم الذى يكنهم وفى آذانهم وقرا يقول تعالى ذكره وجعل فى آذانهم ثقلا وصمما عن فهم ما تتلو عليهم والاصغاء لما تدعوهم اليه والعرب تفتح الواو من الوقر فى الأذن وهو الثقل فيها وتكسرها فى الحمل فتقول هو وقر الدابة ويقال من الحمل أوقرت الدابة فهى موقرة ومن السمع وقرت سمعه فهو موقور ومنه قول الشاعر

* ولى هامة قد وقر الضرب سمعها * وقد ذكر سماعا منهم وقرت أذنه اذا ثقلت فهى موقورة وأوقرت النخلة فهى موقر كما قيل امرأة طامث وحائض لانه لا حظ فيه للمذكر فاذا أريد أن الله أوقرها قيل موقرة وقال تعالى ذكره وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه بمعنى أن لا يفقهوه كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا الا أن الكن انما جعل على القلب لئلا يفقهه لا ليفقهه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا قال يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيأ كمثل البهيمة التى تسمع النداء ولا تدرى ما يقال لها **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا أما أكنة فالغطاء أكن قلوبهم لا يفقهون الحق وفى اذانهم وقرا قال صمم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومنهم من يستمع اليك قال قريش **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين﴾ يقول تعالى ذكره وان يرهؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك كل آية يقول كل حجة وعلامة تدل أهل الحجا والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبوتك لا يؤمنوا بها يقول لا يصدقون بها ولا يقرون بأنها دالة على ما هى عليه دالة حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول حتى اذا صاروا اليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به يجادلونك يقول يخاصمونك يقول الذين كفروا يعنى بذلك الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها يقولون لنبى الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعوا حجج الله التى احتج بها عليهم وبيانه الذى بينه لهم إن هذا الا أساطير الاولين أى ما هذا الا أساطير الأولين والأساطير جمع إسطارة وأسطورة مثل أفكوهة وأحدوثة وجائز أن يكون الواحد أسطارا مثل

أبيات وأبابيت وأقوال وأقاويل من قول الله تعالى وكتاب مسطور ومن سطر يسطر سطرا فان كان من هذا فان تأويله ماهذا الاما كتبه الأولون وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأولونه بهذا التأويل ويقولون معناه ان هذا الا أحاديث الاولين حدثني بذلك المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما أساطير الاولين فأساجيع الاولين وكان بعض أهل العلم «وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى» يكلام العرب يقول الاسطارة لغة الخرافات والترهات وكان الاخفش يقول قال بعضهم واحده أسطورة وقال بعضهم اسطارة قال ولا أراه الامن الجمع الذى ليس له واحد نحو العبابيد والمذاكير والأبابيل قال وقال بعضهم واحد الأبابيل إبيل وقال بعضهم إبول مثل عجول ولم أجد العرب تعرف له واحدا وانما هو مثل عباديد لا واحد لها وأما الشماطيط فانهم يزعمون أن واحده شمطاط قال وكل هذه لها واحد الا أنه لم يستعمل ولم يتكلم به لان هذا المثال لا يكون الا جمعا قال وسمعت العرب الفصحاء تقول أرسل خيله أبابيل تريد جماعات فلا تتكلم بها موحدة وكانت مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر ما حدثني به محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا جاؤك يجادلونك الآية قال هم المشركون يجادلون المسلمين فى الذبيحة يقولون أما ماذبحتم وقتلتم فتأكلون وأما ما قتل الله فلا تأكلون وأنتم تتبعون أمر الله تعالى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال بعضهم معناه هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والقبول منه وينأون عنه يتباعدون عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث وهانئ بن سعيد عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية وهم ينهون عنه وينأون عنه قال يتخلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجيبونه وينهون الناس عنه حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه يعنى ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به وينأون عنه يعنى يتباعدون عنه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهم ينهون عنه وينأون عنه أن يتبع محمد ويتباعدون هم منه حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه يقول لا يلقونه ولا يدعون أحدا يأتيه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله وهم ينهون عنه يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه جمعوا النهى والنأى والنأى التباعد * وقال بعضهم بل معناه وهم ينهون عنه عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وهم ينهون عنه قال ينهون عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم وينأون عنه ويتباعدون عنه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهم ينهون عنه قال قريش عن الذكر وينأون عنه يقول يتباعدون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ينهون عنه وينأون عنه قريش عن الذكر ينأون عنه يتباعدون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وهم

خالق بشرا من طين وحيث أراد معناه قال انى جاعل فى الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم قضى أجلا للروح المفارق عن حضرته لايام فراقه وأجل مسمى عنده وهو أجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعى الى ربك ثم أنتم تمترون يا أهل الوصال كما يمترى أهل الفراق وهذا محال وهو الله فى سموات القلوب وفى أرض النفوس يعلم سر الخلافة الذى أودع فيكم وجهركم الذى يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السرى والجهرى فى المأمورات والمنهيات فى الخير أو الشر من آية من آيات ربهم فى الآفاق وفى أنفسهم مكناهم فى طلب الحق من قهر النفس وأسباب الخيرات والطاعات وأرسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا أنهار الحكمة تجرى من تحت نظرهم فأهلكنا مع هذه المقدمات أرواحهم بسموم ذنوب طلب الدنيا مالها وجاهها وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين من الطلاب الصادقين التائبين المستقيمين لجعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكون واقفا على الاحوال البشرية فيعاملهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قل سيروا فى أرض النفوس بقدم التقوى ومخالفة

ينهون عنه و ينأون عنه قال ينهون عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم و يتباعدون عنه
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ينأون عنه قال ينأون عنه يبعدون
* وقال آخرون معنى ذلك وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم و ينأون عنه يتباعدون
عن دينه واتباعه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع وقبيصة وحدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس يقول نزلت في أبي
طالب كان ينهى عن محمد أن يؤذى و ينأى عما جاء به أن يؤمن به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد
الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال ثني من سمع ابن عباس يقول وهم ينهون عنه
و ينأون عنه قال نزلت في أبي طالب ينهى عنه أن يؤذى و ينأى عما جاء به حدثنا الحسن بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس وهم
ينهون عنه و ينأون عنه قال نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا محمدا و ينأى عما جاء
به حدثنا هناد قال ثنا عبدة عن اسمعيل بن أبي خالد عن القاسم بن مخيمرة قال كان أبو طالب
ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصدقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ومحمد بن
بشر عن اسمعيل بن أبي خالد عن القاسم بن مخيمرة في قوله وهم ينهون عنه و ينأون عنه قال نزلت
في أبي طالب قال ابن وكيع قال ابن بشر كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذى
ولا يصدق به حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير عن أبي محمد الاسدي عن حبيب بن أبي ثابت
قال ثني من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى وهم ينهون عنه و ينأون عنه نزلت في أبي طالب
كان ينهى عن أذى محمد و ينأى عما جاء به أن يتبعه حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسمعيل
ابن أبي خالد عن القاسم بن مخيمرة في قوله وهم ينهون عنه و ينأون عنه قال نزلت في أبي طالب
حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن موسى عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب قال ذلك
أبو طالب في قوله وهم ينهون عنه و ينأون عنه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سعيد
ابن أبي أيوب قال قال عطاء بن دينار في قول الله وهم ينهون عنه و ينأون عنه انها نزلت في أبي
طالب انه كان ينهى الناس عن ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينأى عما جاء به من الهدى
* وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويله وهم ينهون عنه عن اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم من سواهم من الناس وينأون عن اتباعه وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة
المشركين العادلين به والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عما جاءهم
به من تنزيل الله و وحيه فالواجب أن يكون قوله وهم ينهون عنه خبرا عنهم اذ لم يأت ما يدل على
انصراف الخبر عنهم الى غيرهم بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر
عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يكون خبرا عن خاص منهم واذ كان
ذلك كذلك فتأويل الآية وان يرهؤلاء المشركون يا محمد كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك
يقولون ان هذا الذي جئتنا به الا أحاديث الاولين وأخبارهم وهم ينهون عن استماع التنزيل
و ينأون عنك فيبعدون منك ومن اتباعك وان يهلكون الا أنفسهم يقول وما يهلكون بصدهم
عن سبيل الله واعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم الا أنفسهم لا غيرها وذلك أنهم يكسبونها
بفعلهم ذلك سخط الله وأليم عقابه وما لا قبل لها به وما يشعرون يقول وما يدرون ما هم مكسبوها
من الهلاك والعطب بفعلهم والعرب تقول لكل من بعد عن شئ قد نأى عنه فهو ينأى
نأيا ومسموع منهم نأيت بمعنى نأيت عنك وأما اذا أرادوا أبعدتك عني قالوا أنأيتك ومن
نأيتك بمعنى نأيتك عنك قول الحطيئة

الهوى الى أن تبلغوا سواحل بحار
القلوب فتشاهدوا بأنوار الله المودعة
فيها عاقبة من هلك في بوادي
القطيعة اذ سارعوا بقدم الطبيعة
(قل لمن ما في السموات والارض
قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب
فيه الذين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون وله ما سكن في الليل
والنهار وهو السميع العليم قل أغير
الله أتخذ وليا فاطر السموات
والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني
أمرت أن أكون أول من أسلم ولا
تكونن من المشركين قل اني
أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد
رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير قل أي شئ أكبر شهادة قل
الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الي
هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ
أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة
أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد
وانني بريء مما تشركون الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم الذين خسروا أنفسهم
فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن
افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين أشركوا
أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين أنظر كيف

نأتك أمامة الاسؤالا * وأبصرت منها بطيف خيالا

القول فى تأويل قوله ﴿ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين نبوتك الذين وصفت لك صفتهم اذ وقفوا يقول اذ حبسوا على النار يعنى فى النار فوضعت على موضع فى كما قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن بمعنى فى ملك سليمن وقيل ولو ترى اذ وقفوا ومعناه اذا وقفوا وما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع اذ مكان اذا واذا مكان اذ وان كان حظ اذ أن تصاحب من الاخبار ما قد وجد فقضى وحظ اذا أن تصاحب من الاخبار ما لم يوجد ولكن ذلك كما قال الراجز وهو أبو النجم مدّ لنا فى عمره رب طه

ثم جزاه الله عنا اذ جزى * جنات عدن فى العلالى العلى

فقال ثم جزاه الله عنا اذ جزى فوضع اذ مكان اذا وقيل وقفوا ولم يقل أوقفوا الان ذلك هو الفصيح من كلام العرب يقال وقفت الدابة وغيرها بغير ألف اذا حبستها وكذلك وقفت الارض اذا جعلتها صدقة حبيسا بغير ألف وقد حدثنى الحرث بن أبى عبيد قال أخبرنى اليزيدى والأصمعى كلاهما عن أبى عمرو قال ما سمعت أحدا من العرب يقول أوقفت الشئ بالالف قال الا أنى لو رأيت رجلا بمكان فقلت ما أوقفك ها هنا بالالف لرأيته حسنا فقالوا يا ليتنا نرد يقول فقال هؤلاء المشركون بربهم اذ حبسوا فى النار يا ليتنا نرد الى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله ولا نكذب بآيات ربنا يقول ولا نكذب بحجج ربنا ولا نجحدها ونكون من المؤمنين يقول ونكون من المصدقين بالله وحجته ورسله متبعى أمره ونهيه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراقيين يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بمعنى يا ليتنا نرد ولسنا نكذب بآيات ربنا ولكن نكون من المؤمنين وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بمعنى يا ليتنا نرد وأن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وتأولوا فى ذلك شيأ حدثنيه أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون قال فى حرف ابن مسعود يا ليتنا نرد فلا نكذب بالفاء * وذكر عن بعض قراء أهل الشام أنه قرأ ذلك يا ليتنا نرد ولا نكذب بالرفع ونكون بالنصب كأنه وجه تأويله الى أنهم تمنوا الرد وأن يكونوا من المؤمنين وأخبروا أنهم لا يكذبون بآيات ربهم ان ردوا الى الدنيا * واختلف أهل العربية فى معنى ذلك منصوبا ومرفوعا فقال بعض نحويى البصرة لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين نصب لأنه جواب للتمنى وما بعد الواو كما بعد الفاء قال وان شئت رفعت وجعلته على غير التمنى كأنهم قالوا ولا نكذب والله بآيات ربنا ونكون والله من المؤمنين هذا اذا كان على ذا الوجه كان منقطعا من الاول قال والرفع وجه الكلام لأنه اذا نصب جعلها واو عطف فاذا جعلها واو عطف فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين قال وهذا والله أعلم لا يكون لأنهم لم يتمنوا هذا انما تمنوا الرد وأخبروا أنهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين وكان بعض نحويى الكوفة يقول لو نصب نكذب ونكون على الجواب بالواو لكان صوابا قال والعرب تجيب بالواو وثم كما تجيب بالفاء يقولون ليت لى مالا فأعطيك وليت لى مالا وأعطيك وثم أعطيك قال وقد تكون نصبا على الصرف كقولك لا يسعنى شئ ويعجز عنك * وقال آخر منهم لا أحب النصب فى هذا لأنه ليس بتمن منهم انما هو خبر أخبروا به عن أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى قد كذبهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يكون التكذيب للخبر لا للتمنى وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو ويحرف غير الفاء وكان يقول كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿القراآت انى أمرت بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع انى أخاف بفتح الياء هما وابن كثير وأبو عمرو الباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول أئنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة أينكم بالياء بعد الهمز ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد آينكم بالمد والياء أبو عمرو ويزيد وقالون برئ بغير همز حيث كان يزيد وحمزة فى الوقف يحشرهم ثم يقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التأنيث حمزة وعلى وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل أو البيان

الوقوف والارض ط قل لله ط الرحمة ط لأن قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف وليجمعنكم جواب معنى القسم فى كتب وفيه نظر لأن كتب وعد ناجز وليجمعنكم وعد منتظر لا ريب فيه ط بناء على أن الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون ٥ والنهار ط العليم ٥ ولا يطعم ط من المشركين ٥ عظيم ٥

انما الواو موضع حال لا يسعني شئ ويضيق عنك أي وهو يضيق عنك قال وكذلك الصرف في جميع العربية قال وأما الفاء بجواب جزاء ما قت فا تيك أي لو قت لأتيناك قال فهذا حكم الصرف والفاء قال وأما قوله ولا نكذب ونكون فانما جازلأنهم قالوا يا ليتنا نرد في غير الحال التي وقفنا فيها على النار فكان وقفهم في تلك فتمنوا أن لا يكونوا وقفوا في تلك الحال وكأن معنى صاحب هذه المقالة في قوله هذا ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا قد وقفنا عليها مكذبين بآيات ربنا كفارا فيا ليتنا نرد اليها فنوقف عليها غير مكذبين بآيات ربنا ولا كفارا وهذا تأويل يدفعه ظاهر التنزيل وذلك قول الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فأخبر الله تعالى أنهم في قيلهم ذلك كذبة والتكذيب لا يقع في التمني ولكن صاحب هذه المقالة أظن به أنه لم يتدبر التأويل ولزم سنن العربية والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بالرفع في كليهما بمعنى يا ليتنا نرد ولسنا نكذب بآيات ربنا ان رددنا ولكنا نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون ان هم ردوا الى الدنيا لا على التمني منهم أن لا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم كذبة في قيلهم ذلك ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمني لاستحال تكذيبهم فيه لأن التمني لا يكذب وانما يكون التصديق والتكذيب في الأخبار وأما النصب في ذلك فاني أظن بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التي ذكرناها عنه وذلك قراءته ذلك يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين على وجه الجواب للتمني بالفاء وهو اذا قرئ بالفاء كذلك لا شك في صحة اعرابه ومعناه في ذلك أن تأويله اذا قرئ كذلك لو أنا رددنا الى الدنيا ما كذبنا بآيات ربنا ولكنا من المؤمنين فان يكن الذي حكي عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو وثم كهيئة الجواب بالفاء صحيحا فلا شك في صحة قراءة من قرأ ذلك يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون نصبا على جواب التمني بالواو وعلى تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء والا فان القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحا بل المعروف من كلامها الجواب بالفاء والصرف بالواو ۞ القول في تأويل قوله ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره ما قصد هؤلاء العادلين بربهم الجاحدين نبوتك يا محمد في قيلهم اذا وقفوا على النار يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين الأسى والندم على ترك الايمان بالله والتصديق بك لكن بهم الاشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم فابداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤس الاشهاد ففضحهم بها ثم جازاهم بها جزاءهم يقول بل بدا لهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التي كانوا يخفونها من قبل ذلك في الدنيا فظهرت ولو ردوا يقول ولو ردوا الى الدنيا فأمهلوا لعادوا لما نهوا عنه يقول لرجعوا الى مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قبل ذلك من جحود آيات الله والكفر به والعمل بما يسخط عليهم ربهم وانهم لكاذبون في قيلهم لو ردوا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين لانهم قالوه حين قالوه خشية العذاب لا ايمانا بالله وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يقول بدت لهم أعمالهم في الآخرة التي أخفوها في الدنيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قال من أعمالهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو ردوا لعادوا لما

رحمه ط المبين ٥ الاهو ط قدير ٥ عباده ط الخبير ٥ شهادة ط ومن بلغ ط أخرى ط لانتهاء الاستخبار الى الاخبار قل لأشهد ج لاتساق الكلام بلا عطف يشركون ٥ أبناءهم لئلا يوهم أن ما بعده وصف لا يؤمنون ٥ بآياته ط الظالمون ٥ يزعمون ٥ مشركين ٥ يفترون ٥

۞ التفسير انه سبحانه لما برهن على اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد وانجر الكلام الى الامر باعتبار أحوال الغابرين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام وأخذ الاعتراف وذلك أن آثار الحدوث وسمات الامكان لائحة على صفحات السمويات والارضيات حتى بلغ في ظهوره الى حيث لا يقدر منكر على انكاره فكان في السؤال تبكيت والحام وفي الجواب تقرير والزام أي هو لله بلا مراء وشقاق ولن يتم الملك الا اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابداء ولن تحصل حكمة الاعادة الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين ولن يحسن ايصال الثواب والعقاب الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل فلأجل ذلك قال (كتب على نفسه الرحمة) أي بنصب الأدلة وازاحة العلة ايجاب الفضل والكرم وقيل هذه الرحمة هي أنه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستئصال أو فرض على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب وأناب وصدقهم وقبل شريعتهم أو تلك الرحمة هي أنه

نهوا عنه يقول ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم لعادوا الى أعمالهم أعمال السوء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الاوثان والاصنام الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم يقول تعالى ذكره وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيى خلقه بعد أن يميتهم ويقولون لا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور بعد الفناء فهم بجحودهم ذلك وانكارهم ثواب الله وعقابه فى الدار الآخرة لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من اثم ومعصية لأنهم لا يرجون ثوابا على ايمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله وبرسوله وشئ من عمل يعملونه وكان ابن زيد يقول هذا خبر من الله تعالى عن هؤلاء الكفرة الذين وقفوا على النار أنهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا حين يردون ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ يقول تعالى ذكره ولو ترى يا محمد هؤلاء القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين اذ وقفوا يوم القيامة أى حبسوا على ربهم يعنى على حكم الله وقضائه فيهم قال أليس هذا بالحق يقول فقيل لهم أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا حقا فأجابوا فقالوا بلى والله انه لحق قال فذوقوا العذاب يقول فقال الله تعالى ذكره لهم فذوقوا العذاب الذى كنتم به فى الدنيا تكذبون بما كنتم تكفرون يقول بتكذيبكم به وجحودكموه الذى كان منكم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله قد هلك ووكس فى بيعهم الايمان بالكفر الذين كذبوا بلقاء الله يعنى الذين أنكروا البعث بعد الممات والثواب والعقاب والجنة والنار من مشركى قريش ومن سلك سبيلهم فى ذلك حتى اذا جاءتهم الساعة يقول حتى اذا جاءتهم الساعة التى يبعث الله فيها الموتى من قبورهم وانما أدخلت الالف واللام فى الساعة لانها معروفة المعنى عند المخاطبين بها وأنها مقصود بها قصد الساعة التى وصفت ويعنى بقوله بغتة فجأة من غير علم من تفجؤه بوقت مفاجأتها اياه يقال منه بغته أبغته بغتة اذا أخذته كذلك قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يقول تعالى ذكره وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار فاذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا اذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا وتبينوا خسارة صفقة بيعهم التى سلفت منهم فى الدنيا تندما وتلهفا على عظيم الغبن الذى غبنوه أنفسهم وجليل الخسران الذى لا خسران أجل منه يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يقول يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها يعنى فى صفقتهم تلك والهاء والالف فى قوله فيها من ذكر الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما أن الخسران لا يكون الا فى صفقة بيع قد خسرت وانما معنى الكلام قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذى يستوجبون به من الله رضوانه وجنته بالكفر الذى يستوجبون به منه سخطه وعقوبته ولا يشعرون ما عليهم من الخسران فى ذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة فرأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم قالوا حينئذ تندما يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أما يا حسرتنا فندامتنا على ما فرطنا فيها فضيعنا من عمل الجنة حدثنا محمد بن عمارة

يجمعهم الى يوم القيامة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كأنه قيل لما علمتم أن كل ما فى السموات والارض لله تعالى وأنه مالك الكل فاعلموا أن الله الملك الحكيم لا يهمل أمور عبيده ولا يجوز فى حكمته التسوية بين المطيع والعاصى والعامل والساهى ومعنى ليجمعنكم ليضمنكم وقيل فيه حذف أى ليجمعنكم الى المحشر فى يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل ليجمعنكم فى الدنيا بخلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيامة قال الأخفش (الذين خسروا) بدل من ضمير المخاطبين فى ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون) وذلك لتضمنه معنى الشرط فكأنه قيل ما للمشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فأجيب الذين خسروا أنفسهم أى فى علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون فى طرف الأبد فكان امتناعهم الآن عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال فى الكشاف الذين خسروا نصب أو رفع على الذم بمعنى أريد الذين أو أنتم الذين ثم لما بين أن له المكان والمكانيات ارتقى فى البيان كما هو شأن الترتيب التعليمى الى ما هو أخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال (وله ما سكن فى الليل والنهار) عن ابن عباس أن كفار مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد

الاسدى قال ثنا يزيد بن مهران قال ثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ياحسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون ياحسرتنا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ يقول تعالى ذكره وهؤلاء الذين كذبوا بلقاء الله يحملون أوزارهم على ظهورهم وقوله وهم من ذكرهم يحملون أوزارهم يقول آثامهم وذنوبهم واحدها وزر يقال منه وزر الرجل يزر اذا أثم فان أريد أنهم أثموا قيل قد وزر القوم فهم يوزرون وهم موزرون وقد زعم بعضهم أن الوزر الثقل والحمل ولست أعرف ذلك كذلك فى شاهد ولا من رواية ثقة عن العرب وقال تعالى ذكره على ظهورهم لان الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك فبين موضع حملهم ما يحملون من ذلك وذكر أن حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم نحو الذى حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم ابن بشير بن سليمان قال ثنا عمرو بن قيس الملائى قال ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيبه ريحا فيقول له هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا فاركبنى أنت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وان الكافر يستقبله أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد قبح صورتك وأنتن ريحك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السيئ طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا اليوم أركبك وتلا وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم قال ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره الا جاء رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فاذا رآه قال له ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحا قال ما أنتن ريحك قال كذلك كان عملك منتنا قال ما أدنس ثيابك قال فيقول ان عملك كان دنسا قال من أنت قال أنا عملك قال فيكون معه فى قبره فاذا بعث يوم القيامة قال له انى كنت أحملك فى الدنيا باللذات والشهوات فأنت اليوم تحملنى قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وأما قوله تعالى ألا ساء ما يزرون فانه يعنى ألا ساء الوزر الذى يزرون أى الاثم الذى يأثمونه كفرهم بربهم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ألا ساء ما يزرون قال ساء ما يعملون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات فى قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين يقول تعالى ذكره مكذبا لهم فى قيلهم ذلك ما الحياة الدنيا أيها الناس الا لعب ولهو يقول ما باغى لذات الحياة التى أدنيت لكم وقربت منكم فى داركم هذه ونعيمها وسرورها فيها والمتلذذ بها والمنافس عليها الا فى لعب ولهو لانها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها علاذها أو تأتيه الايام بفجائعها وصروفها فتمر عليه وتكر كاللاعب اللاهى الذى يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه ثم يعقبه منه ندما ويورثه منه ترحا يقول لا تغتروا أيها الناس بها فان المغتر بها عما قليل يندم وللدار الآخرة خير للذين يتقون يقول وللعمل بطاعته والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الاعمال التى تبقى منافعها لأهلها ويدوم سرور أهلها فيها خير من الدار التى تفنى فلا يبقى لعمالها فيها سرور ولا يدوم لهم فيها نعيم للذين يتقون يقول للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه والمسارعة الى رضاه أفلا تعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء المكذبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو وهم يرون من يحترم منهم ومن

اناقد علمنا أنه انما يحملك على ما تدعونا اليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه فنزل وله ماسكن الآية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير كل ماسكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر أى تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر للقرينة والأصوب أن يقال اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان سكن ببلد كذا أى حل فيه والمراد كل ماحل فى الوقت والزمان سواء كان متحركا أو ساكنا وذلك أن الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث فلابد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان (وهو السميع العليم) الذى يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فيوصل كل ممكن الى كمال يليق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم أن يزعم أن الذى يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا فى نفسه كالمفارقات التى يثبتها الفلاسفة فلا جرم قال (قل أغير الله أتخذ) منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه أهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار أولا الى نفس اتخاذ الولى وانه غير مهم (فاطر السموات) عطف بيان من الله أو بدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقال ابن

يهلك فيموت ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع ففى ذلك لمن عقل مذكر ومزدجر عن الركون اليها واستعباد النفس لها ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلق اخلاص العبادة له بغير اشراك شئ سواه معه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذى يقول المشركون وذلك قولهم له انه كذاب فانهم لا يكذبونك * واختلفت القراء فى قراءة ذلك (١) بمعنى أنهم لا يكذبونك فيما أتيتهم به من وحى الله ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحا بل يعلمون صحته ولكنهم يجحدون حقيقته قولا فلا يؤمنون به وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكى عن العرب أنهم يقولون أكذبت الرجل اذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه قال ويقولون كذبته اذا أخبرت أنه كاذب وقرأته جماعة من قراء المدينة والعراقيين والكوفة والبصرة فانهم لا يكذبونك بمعنى أنهم لا يكذبونك علما بل يعلمون أنك صادق ولكنهم يكذبونك قولا عنادا وحسدا * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ولكل واحدة منهما فى الصحة مخرج مفهوم وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوة فكان بعضهم يقول هو شاعر وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول هو مجنون وينفى جميعهم أن يكون الذى أتاهم به من وحى السماء ومن تنزيل رب العالمين قولا وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته وهو فى ذلك يعاند ويجحد نبوته حسدا له وبغيا فالقارئ فانهم لا يكذبونك يعنى به أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك وصدق مقالك فيما تقول يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله قولا وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علما صحيحا مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته وفى قول الله تعالى فى هذه السورة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد فى جحود نبوته صلى الله عليه وسلم مع علم منهم به وبصحة نبوته وكذلك القارئ فانهم لا يكذبونك يعنى أنهم لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عنادا لاجهلا بنبوته وصدق لهجته مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته وقد ذهب الى كل واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل ذكر من قال معنى ذلك فانهم لا يكذبونك ولكنهم يجحدون الحق على علم منهم بأنك نبى لله صادق حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين فقال له ما يحزنك فقال كذبنى هؤلاء قال فقال له جبريل انهم لا يكذبونك هم يعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبى صالح قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين فقال له ما يحزنك فقال كذبنى هؤلاء فقال له جبريل انهم لا يكذبونك انهم ليعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قال يعلمون أنك رسول الله ويجحدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون لما كان يوم بدر قال الاخنس

١ فيه سقط من الناسخ ولعل أصله فقرأته جماعة لا يكذبونك بالتخفيف بمعنى الخ تأمل كتبه مصححه

الانبارى أصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات والارض أى خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذى سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضمه بعض الاشياء الى بعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من فطور اذا السماء انفطرت (وهو يطعم ولا يطعم) أى هو الرازق لغيره ولا يرزقه أحد والرزق والاطعام وان كانا متغايرين والا لم يحسن العطف فى قوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون الا انهما متقاربان فحسن جعل أحدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول على أن الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله وانه يقبض ويبسط أو الثانى بمعنى لا يستطعم وحاصل الآية أنه يجب شغل القلب كله بالله وقطع العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذى يهب لا لعوض ولا انتفاع ثم بين أن النبى أيضا داخل فى تكليف المعرفة بل هو أسبق قدما فى ذلك فقال (قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم وقيل لى (لا تكونن من المشركين) وفيه أن الواعظ يجب أن يتعظ أولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) ولا

ابن شريق لبني زهرة يابني زهرة ان محمدا ابن أختكم فأنتم أحق من كف عنه فانه ان كان نبيا لم تقتلونه اليوم وان كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن أخته فقوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم فان غلب محمد صلى الله عليه وسلم رجعتم سالمين وان غلب محمد فان قومكم لا يصنعون بكم شيأ فيومئذ سمي الأخنس وكان اسمه أبي فالتقى الأخنس وأبو جهل فخلا الأخنس بأبي جهل فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فذلك قوله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فآيات الله محمد صلى الله عليه وسلم حدثني الحرث بن محمد قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فانهم لا يكذبونك قال ليس يكذبون محمدا ولكنهم بآيات الله يجحدون * ذكر من قال ذلك بمعنى فانهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبون ما جئت به حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن ناجية قال قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به فأنزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به فأنزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * وقال آخرون معنى ذلك فانهم لا يبطلون ما جئتهم به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبي معشر عن محمد بن كعب فانهم لا يكذبونك قال لا يبطلون ما في يديك وأما قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فانه يقول ولكن المشركين بالله يحجج الله وآي كتابه ورسوله يجحدون فينكرون صحة ذلك كله وكان السدي يقول الآيات في هذا الموضع معنى بها محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه اياه على ما جاءهم به من الحق من عنده يقول تعالى ذكره ان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك فيجحدوا نبوتك وينكروا آيات الله أنها من عنده فلا يحزنك ذلك واصبر على تكذيبهم اياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله حتى يأتي نصر الله فقد كذبت رسل من قبلك أرسلتهم الى أممهم فنالوهم بمكروه فصبروا على تكذيب قومهم اياهم ولم يثنهم ذلك من المضي لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم اليه حتى حكم الله بينهم وبينهم ولا مبدل لكلمات الله يقول ولا مغير لكلمات الله وكلماته تعالى ما أنزل الله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وعده اياه النصر على من خالفه وضاده والظفر على من تولى عنه وأدبر ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل وخبر أممهم وما صنعت بهم حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم أنباء وترك ذكر أنباء لدلالة من عليها يقول تعالى ذكره فانتظر أنت أيضا من النصرة والظفر مثل الذي كان مني فيمن كان قبلك من الرسل اذ كذبهم قومهم واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم وبنحو ذلك تأول من تأول هذه الآية من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ويخبره أن الرسل قد كذبت قبله فصبروا على

يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الفرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما أو مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز أن تنصب يومئذ على انه مفعول به ليصرف أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم أي هوله ومن قرأ على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب ولم يسم الفاعل وهو الله تعالى للعلم به (فقد رحمه) أي الله الرحمة العظمى كقولك ان أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت اليه يعني كمال الاحسان أو المراد فقد أدخله الجنة فان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا أو استيجابا قالت الاشاعرة في الآية دلالة على أن ايصال الثواب على الطاعة غير واجب وانما هو ابتداء فضل واحسان والا لم يحسن ذكر الرحمة ههنا ألا ترى أن الذي يقبح منه أن يضرب زيدا فاذا لم يضربه لا يقال انه رحمه (وذلك) أي صرف العذاب وايصال الثواب على سبيل التفضل أو الاستيجاب (الفوز المبين لانه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى لكل مكلف ثم أكد المعنى المذكور وهو أنه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من البليات (فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شئ قدير) عمم الحكم

ما كذبوا حتى جاءهم نصرنا ولا مبدل لحكم الله وهو خير الحاكمين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولقد كذبت رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولقد كذبت رسل من قبلك الآية قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله﴿وان كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية﴾ يقول تعالى ذكره ان كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتك به فشق ذلك عليك ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض يقول فان استطعت أن تتخذ سربا في الارض مثل نافقاء اليربوع وهي أحد جحرته فتذهب فيه أو سلما في السماء يقول أو مصعدا تصعد فيه كالدرج وما أشبهها كما قال الشاعر

لا يحزر المرء أحجاء البلاد ولا * يبني له في السموات السلاليم

فتأتيهم بآية منها يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي أتيتك فافعل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان كان كبر عليك اعراضهم فان ستطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء والنفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد عليه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به فافعل حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض قال سربا أو سلما في السماء قال يعني الدرج حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء أما النفق فالسرب وأما السلم فالمصعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله نفقا في الارض قال سربا وترك جواب الجزاء فلم يذكر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامعين بمعناه وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به فيقول الرجل منهم للرجل ان استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا ان قدرت على معونتنا ويحذف الجواب وهو يريد ان قدرت على معونتنا فافعل فأما اذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام الا باظهار الجواب لم يحذفوه لا يقال ان تقم فتسكت وتحذف الجواب لان المقول ذلك له لا يعرف جوابه الا باظهاره حتى يقال ان تقم تصب خيرا أو ان تقم فحسن وما أشبه ذلك ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر

(١) فقحط مما يعش ولا تذهب * بك الترهات في الاهوال

والمعنى فقحط مما يعش فعيشي ﴿القول في تأويل قوله﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار يا محمد فيحزنك تكذيبهم اياك لو شاء أن أجمعهم على استقامة من الدين وصواب من محجة الاسلام حتى تكون كلمة جميعكم واحدة وملتكم وملتهم واحدة لجمعتهم على ذلك ولم يكن بعيدا علي لأني القادر على ذلك بلطفي ولكني لم أفعل ذلك لسابق علمي في خلقي ونافذ قضائي فيهم من قبل أن أخلقهم وأصور أجسامهم فلا تكونن يا محمد من الجاهلين يقول فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه وأن من يكفر به من خلقه انما يكفر به لسابق علم الله فيه ونافذ قضائه بانه كائن

ليندرج تحته كل خير والحاصل أن اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ورأس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الايمان الا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور أنه قد ينفع أو يضر من الجمادات أو المختارات فان ذلك ينتهي الى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع أو الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال (وهو القاهر فوق عباده) وهو اشارة الى كمال القدرة (وهو الحكيم الخبير) وانه اشارة الى كمال العلم فالحكمة أعم من العلم لانها عمل وعلم وكونه خبيرا أخص من العلم لانه العلم ببواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من أثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها أنه لو كان فوق العالم فان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متحيزا والجواب أنه لم لا يجوز أن يكون نورا قائما بذاته غير متناه لا متحيزا ولا متبعضا قاهرا لجميع الانوار غالبا على جميع الاشياء فلا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده وأما إنه

(١) كذا في الاصل محرفا ولم نعثر عليه فحرر كتبه مصححه

من الكافرين به اختيارا لا اضطرارا فانك اذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك اعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه اليه من الحق وتكذيب من كذبك منهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول الله سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين وفى هذا الخبر من الله تعالى الدلالة الواضحة على خطأ ما قال أهل التفويض من القدرية المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه يلطف بها له حتى يهتدى للحق فينقاد له ويتيب الى الرشاد فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء الهداية لجميع من كفر به حتى يجتمعوا على الهدى فعل ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالا وهم لو كانوا مهتدين كان لا شك أن كونهم مهتدين كان خيرا لهم وفى تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ترك منه أن يفعل بهم فى دينهم بعض ما هو خير لهم فيه مما هو قادر على فعله بهم وقد ترك فعله بهم وفى تركه فعل ذلك بهم أوضح الدليل أنه لم يعطهم كل الاسباب التى بها يصلون الى الهداية ويتسببون بها الى الايمان ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يكبرن عليك اعراض هؤلاء المعرضين عنك وعن الاستجابة لدعائك اذا دعوتهم الى توحيد ربهم والاقرار بنبوتك فانه لا يستجيب لدعائك الى ما تدعوه اليه من ذلك الا الذين فتح الله أسماعهم للاصغاء الى الحق وسهل لهم اتباع الرشد دون من ختم الله على سمعه فلا يفقه من دعائك اياه الى الله والى اتباع الحق الا ما تفقه الانعام من أصوات رعاتها فهم كما وصفهم به الله تعالى صم بكم عمى فهم لا يعقلون والموتى يبعثهم الله يقول والكفار يبعثهم الله مع الموتى فجعلهم تعالى ذكره فى عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتا ولا يعقلون دعاء ولا يفقهون قولا اذ كانوا لا يتدبرون حجج الله ولا يعتبرون آياته ولا يتذكرون فينزجروا عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما يستجيب الذين يسمعون المؤمنون للذكر والموتى الكفار حين يبعثهم الله مع الموتى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يستجيب الذين يسمعون قال هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم وهذا مثل الكافر أصم أبكم لا يبصر هدى ولا ينتفع به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان الثورى عن محمد بن جحادة عن الحسن انما يستجيب الذين يسمعون المؤمنون والموتى قال الكفار حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن محمد بن جحادة قال سمعت الحسن يقول فى قوله انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله قال الكفار وأما قوله ثم اليه يرجعون فانه يقول تعالى ثم الى الله يرجعون المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول والكفار الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيأ فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله فى الدنيا مما وعد أهل الايمان به من الثواب ويعاقب هذا الكافر بما أوعد أهل الكفر به من العقاب لا يظلم أحدا منهم مثقال ذرة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء العادلون بربهم المعرضون عن آياته لولا نزل عليه آية من ربه يقول قالوا هلا نزل على محمد آية من ربه كما قال الشاعر

تعدون

كيف يتصور نور بلا نهاية مع أنه لا ينقسم ولا يتبعض فتجرد استبعاد فلا يصلح حجة وادر الشئ من هذا النور محتاج الى نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها أنه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب أن هذا كلام مخيل فلا يستعمل فى البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يمكن حصول ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء فحصوله فى جزء من أجزاء ذلك الخلاء دون سائر أجزائه محتاج الى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب أنا ذكرنا أن نور الانوار لا يتناهى وأنه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيه قط هذا الاعتراض ومنها أنه سبحانه موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء موجودا فيها والا لزم التغير فى ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين الافتقار ومنها أن العالم كرة فاما أن يكون الله تعالى فوق أقوام باعيانهم وحينئذ يلزم أن يكون تحت أقدام من يقابلهم وإما أن يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بسائر الأفلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب الالزامى بعد تسليم كون العالم كرة أنا نختار القسم الاول ولا يلزم التحتية لان التحت من جميع الجوانب هو ما يلى المركز والفوق ما يلى السماء أو القسم الثانى ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمى المقنعا

يعني هلا الكمى والآية العلامة وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقائلي هذه المقالة ان الله قادر على أن ينزل آية يعني حجة على ما يريدون ويسألون ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية لا يعلمون ما عليهم في الآية ان نزلها من البلاء ولا يدرون ما وجه ترك انزال ذلك لمثلك ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها على لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين بآيات الله أيها القوم لا تحسبن الله غافلا عما تعملون أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون وكيف يغفل عن أعمالكم أو يترك مجازاتكم عليها وهو غير غافل عن عمل شئ دب على الارض صغير أو كبير ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء بل جعل ذلك كله أجناسا مجنسة وأصنافا مصنفة تعرف كما تعرفون وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب ثم انه تعالى ذكره يميتها ثم ينشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها يقول فالرب الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب في الارض والطير في الهواء حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها وأثبت ذلك منها في أم الكتاب وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء أحرى أن لا يضيع أعمالكم ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها أيها الناس حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا اذ كان قد خصكم من نعمه وبسط عليكم من فضله ما لم يعم به غيركم في الدنيا وكنتم بشكره أحق وبمعرفة واجبه عليكم أولى لما أعطاكم من العقل الذي به بين الاشياء تميزون والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير الذي به بين مصالحكم ومضاركم تفرقون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أمم أمثالكم أصناف مصنفة تعرف بأسمائها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يقول الطير أمة والانس أمة والجن أمة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله الا أمم أمثالكم يقول الا خلق أمثالكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال الذرة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب وأما قوله ما فرطنا في الكتاب من شئ فان معناه ما ضيعنا اثبات شئ منه كالذي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما فرطنا في الكتاب من شئ ما تركنا شيأ الا قد كتبناه في أم الكتاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما فرطنا في الكتاب من شئ قال لم نغفل من شئ الا وهو في الكتاب وحدثني به يونس مرة أخرى قال في قوله ما فرطنا في الكتاب من شئ قال كلهم مكتوب في أم الكتاب وأما قوله ثم الى ربهم يحشرون فان أهل التأويل اختلفوا في معنى حشرهم الذي عناه الله تعالى في هذا الموضع فقال بعضهم حشرها موتها ذكر من قال ذلك

الأفلاك وأما التحقيق فقد مر ومنها أن لفظ الفوق في الآية مسبوق بالقهر ويراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وأنه مشعر بالملوكية والمقدورية فالمناسب أن يراد بالفوق أيضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد أن القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب أن حمل الوسط على الطرفين أولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهومي القاهرية والفوقية وليس حمل أحدهما على الآخر أولى من غيره ومنها ان الآية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب أن الفوقية بالوجه الذي قررناه في جواب الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب أن يكون التعويل عليه في كل الامور اذ لا وجود ولا ظهور لشئ من الاشياء الا بفيضه ونوره وقد يلوح التأمل في هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد أسرار غامضة شريفة ان كان أهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم فنزلت (قل أي شئ أكبر شهادة) الآية قال العلماء انها دلت على أن أكبر الشهادات وأعظمها

شهادة الله ثم بين أن شهادة الله حاصلة الا أنها لم تدل على أن تلك الشهادة لاثبات أى المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد أى شئ أكبر شهادة حتى يعترفوا بان أكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله شهد لى بالنبوة بان أظهر على وفق دعواى معجزا هو القرآن الذى عجزتم معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل ان حصول هذه الشهادة فى وحدانية الله تعالى وذلك أن الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى (قل الله شهيد بينى وبينكم) فى اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه (وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به) وأبلغكم أن الدين هو التوحيد والشرك مردود واستدل الجمهور بالآية على أنه يصح اطلاق الشئ على الله تعالى وخالف جهم محتجا بقوله تعالى الله خالق كل شئ اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز فى صورة شاذة لا يلتفت اليها لقلة اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الاكثر تنبيها على أن البقية جارية مجرى العدم فلو كان البارى تعالى شيأ لكان أعظم الاشياء وأشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب وأيضا احتج بأن الشئ يطلق على المصدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا

حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبدالله بن موسى عن اسرائيل عن سعيد عن مسروق عن عكرمه عن ابن عباس وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال ابن عباس موت البهائم حشرها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ثم الى ربهم يحشرون قال يعنى بالحشر الموت حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم الى ربهم يحشرون يعنى بالحشر الموت * وقال آخرون الحشر فى هذا الموضع يعنى به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة فى قوله الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون قال يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الاعمش ذكره عن أبى ذر قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انتطحت عنزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون فيما انتطحتا قالوا لا ندرى قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا مطر بن خليفة عن منذر الثورى عن أبى ذر قال انتطحت شاتان عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى يا أبا ذر أتدرى فيم انتطحتا قلت لا قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما قال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائر محشور اليه وجائز أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة وجائز أن يكون معنيا به حشر الموت وجائز أن يكون معنيا به الحشران جميعا ولا دلالة فى ظاهر التنزيل ولا فى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أى ذلك المراد بقوله ثم الى ربهم يحشرون اذ كان الحشر فى كلام العرب الجمع من ذلك قول الله تعالى والطير محشورة كل له أواب يعنى مجموعة فاذ كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعا خلقه اليه يوم القيامة وجامعهم بالموت كان أصوب القول فى ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها وأن يقال كل دابة وكل طائر محشور الى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة اذ كان الله تعالى قد عم بقوله ثم الى ربهم يحشرون ولم يخصص به حشرا دون حشر فان قال قائل فما وجه قوله ولا طائر يطير بجناحيه وهل يطير الطائر الا بجناحيه فما فى الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة قيل قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه فى منطقهم خاطبهم فاذ كان من كلامهم اذا أرادوا المبالغة فى الكلام أن يقولوا كلمت فلانا بفمى ومشيت اليه برجلى وضربته بيدى خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه فى كلامهم ويستعملونه فى خطابهم ومن ذلك قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته صم عن سماع الحق بكم عن القيل به فى الظلمات يعنى فى ظلمة الكفر حائرة فيها يقول هو مرتطم فى ظلمات الكفر لا يبصر آيات الله فيعتبر بها ويعلم أن الذى خلقه وأنشأه فدبره وأحكم تدبيره وقدره أحسن تقدير وأعطاه القوة وصحح له آلة جسمه لم يخلقه عبثا ولم يتركه سدى ولم يعطه ما أعطاه من الآلات الا لاستعمالها فى طاعته وما يرضيه دون

معصيته وما يسخطه فهو لحيرته فى ظلمات الكفر وتردده فى غمراتها غافل عما الله قد أثبت له فى أم الكتاب وما هو به فاعل يوم يحشر اليه مع سائر الامم ثم أخبر تعالى أنه المضل من يشاء اضلاله من خلقه عن الايمان الى الكفر والهادى الى الصراط المستقيم منهم من أحب هدايته فوفقه بفضله وطوله للايمان به وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه وانه لا يهتدى من خلقه أحد الا من سبق له فى أم الكتاب السعادة ولا يضل منهم أحد الا من سبق له فيها الشقاء وأن بيده الخير كله واليه الفضل كله له الخلق والامر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة صم وبكم هذا مثل الكافر أصم أبكم لا يبصر هدى ولا ينتفع به صم عن الحق فى الظلمات لا يستطيع منها خروجا له متمسكا فيها ﴿القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين﴾ اختلف أهل العربية فى معنى قوله أرأيتكم فقال بعض نحويى البصرة الكاف التى بعد التاء من قوله أرأيتكم انما جاءت للمخاطبة وتركت التاء مفتوحة كما كانت للواحد قال وهى مثل كاف رويدك زيدا اذا قلت أرود زيدا هذه الكاف ليس لها موضع مسمى بحرف لا رفع ولا نصب وانما هى فى المخاطبة مثل كاف ذاك ومثل ذلك قول العرب انصرك زيدا يدخلون الكاف للمخاطبة * وقال آخرون منهم معنى أرأيتكم ان أتاكم أرأيتم قال وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد والتاء وحدها هى الاسم كما أدخلت الكاف التى تفرق بين الواحد والاثنين والجميع فى المخاطبة كقولهم هذا وذاك وتلك وأولئك فتدخل الكاف للمخاطبة وليست باسم والتاء هو الاسم للواحد والجميع تركت على حال واحدة ومثل ذلك قولهم ليسك ثم الازيد يرادليس ولا سيك زيد فيراد ولا سيما زيد وبلاك فيراد بلى فى معنى نعم ولبئسك رجلا ولنعمك رجلا وقالوا انظرك زيدا ما أصنع به وأبصرك ما أصنع به بمعنى أبصره وحكى بعضهم أبصركم ما أصنع به يراد أبصر واوانظركم زيدا أى انظروا وحكى عن بعض بنى كلاب اتعلمك كان أحد أشعر من ذى الرمة فأدخل الكاف وقال بعض نحويى الكوفة أرأيتك عمرا أكثر الكلام فيه ترك الهمز قال والكاف من أرأيتك فى موضع نصب كان الاصل أرأيت نفسك على غير هذه الحال قال فهذا يثنى ويجمع ويؤنث فيقال أرأيتما كما وأرأيتموكم وأرأيتن كن أوقع فعله على نفسه وسأله عنها ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع فقالوا أرأيتكم زيدا ما صنع وأرأيتكن زيدا ما صنع فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها فجعلوها بدلا من التاء كما قال هاؤم اقرؤا كتابيه وهاء يا رجل وهاؤما ثم قالوا هاكم اكتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمع فكان الكاف فى موضع رفع اذ كانت بدلا من التاء وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث وهى كقول القائل عليك زيدا الكاف فى موضع خفض والتاء ويل رفع فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الاسماء ثم تأتى بالاستفهام فيقال أرأيتك زيدا هل قام لانها صارت بمعنى أخبرنى عن زيد ثم بين عما يستخبر فهذا أكثر الكلام ولم يأت الاستفهام بعدها لانهم لم يقل أرأيتك هل قمت لانهم أرادوا ان يبينوا عمن يسأل ثم تبين الحالة التى يسأل عنها وربما جاء بالخبر ولم يات بالاسم فقالوا أرأيت زيدا هل يأتينا وأرأيتك أيضا وأرأيت زيدا ان أتيته هل يأتينا اذا كانت بمعنى أخبرنى فيقال باللغات الثلاث وتأويل الكلام قل يا محمد لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام أخبرونى ان جاءكم أيها القوم عذاب الله كالذى جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصاعقة أو جاءتكم الساعة التى تنشرون فيها من قبوركم وتبعثون لموقف القيامة أغير الله هنالك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء أو الى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء ان كنتم صادقين يقول ان

مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول أن اخراج الأكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الأشياء والمخرج بهذا الاعتبار أقل عددا من الباقى وعن الثانى أن لفظ الشئ أعم الألفاظ ومتى صدق الخاص كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم قلنا قل أى شئ سؤال ولا بد له من جواب وهو إما مذكور أى قل الله أكبر الاشياء شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيد أى وهو شهيد بينى وبينكم أو محذوف والمعنى قل هو الله والله شهيد بينى وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سأل عن أكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك أن الله شهيد علم جزما أن أكبر الاشياء شهادة هو الله انتهى قوله (ومن بلغ) فعطوف على ضمير المخاطبين والعائد الى من محذوف أى لأنذركم يا أهل مكة وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ أى من احتلم وبلغ أوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وصف الجمع بصفة الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلاث جمل أولاها (قل لا أشهد) أى بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيتها (قل انما هو اله واحد) وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها (وانني برىء مما تشركون)

ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن أسلم ابتداء أن يأتى بالشهادتين ويضم

كنتم محقين فى دعواكم وزعمكم أن آلهتكم التى تدعونها من دون الله تنفع أو تضر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا لهؤلاء العادلين به الأوثان ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والانداد إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة مستجيرين بشئ غير الله فى حال شدة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم بل تدعون هنالك ربكم الذى خلقكم وبه تستغيثون واليه تفزعون دون كل شئ غيره فيكشف ما تدعون اليه يقول فيفرج عنكم عند استغاثتكم به وتضرعكم اليه عظيم البلاء النازل بكم ان شاء أن يفرج ذلك عنكم لانه القادر على كل شئ ومالك كل شئ دون ما تدعونه إلها من الأوثان والأصنام وتنسون ما تشركون يقول وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ما تشركونه مع الله فى عبادتكم اياه فتجعلونه له ندا من وثن وصنم وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه الها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام ومحذرهم أن يسلك بهم ان هم تمادوا فى ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الامم قبلهم فى تعجيل الله عقوبته لهم فى الدنيا ومخبرا نبيه عن سنته فى الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من تكذيب الرسل لقد أرسلنا يا محمد الى أمم يعنى الى جماعات وقرون من قبلك فأخذناهم بالبأساء يقول فأمرناهم ونهيناهم فكذبوا رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا فامتحناهم بالابتلاء بالبأساء وهى شدة الفقر والضيق فى المعيشة والضراء وهى الاسقام والعلل العارضة فى الاجسام وقد بينا ذلك بشواهده ووجوه اعرابه فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله لعلهم يتضرعون يقول فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا الى ويخلصوا الى العبادة ويفردوا رغبتهم الى دون غيرى بالتذلل منهم لى بالطاعة والاستكانة منهم الى بالانابة وفى الكلام محذوف قد استغنى بما دل عليه الظاهر عن اظهاره من قوله ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم وانما كان سبب أخذه اياهم تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره لا ارسال الرسل اليهم واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى الكلام ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك رسلا فكذبوهم فأخذناهم بالبأساء والتضرع هو التفعل من الضراعة وهى الذلة والاستكانة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ وهذا أيضا من الكلام الذى فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الامم التى كذبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا ثم قال فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه اياهم بالبأساء والضراء ومعنى الكلام ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلم يتضرعوا فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ومعنى فلولا فى هذا الموضع فهلا والعرب اذا أولت لولا اسما مرفوعا جعلت ما بعدها خبرا وتلتها بالامر فقالت فلولا أخولك لزرتك ولولا أبولك لضربتك واذا أولتها فعلا أولم تولها اسما جعلوها استفهاما فقالوا ولا جئتنا فتكرمك ولولا زرت أخالك فنزورك بمعنى هلا كما قال تعالى لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وكذلك تفعل بلو ما مثل فعلها بلولا فتأويل الكلام اذ فهلا اذ جاءهم بأسنا هؤلاء الامم المكذبة رسلها الذين لم يتضرعوا عند أخذنا هم بالبأساء والضراء تضرعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه وقد بينا معنى البأس فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ولكن قست قلوبهم يقول ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم استهانة بعقاب الله واستخفافا بعذابه وقساوة قلب منهم وزين لهم الشيطان ما كانوا

الهما التبرى عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركو مكة أنهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكره كذبهم الله تعالى بقوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أى يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة فى الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون بغير أبنائهم (الذين خسروا أنفسهم) إما بدل أو بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستأنفة شاملة لجميع الجاحدين من أهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذى يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من أحد الا وله منزلة فى الجنة الا أن من كفر صارت منزلته الى من أسلم فيكون قد خسر نفسه وأهله بأن ورث منزلته غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال (ومن أظلم) وذلك أنهم جمعوا بين أمرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول أن المشركين كانوا يقولون للاصنام انهم شركاء الله والله أمرهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون أن التوراة والانجيل ناطقان بعدم النسخ وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن النار لا تمسهم الا أياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثانى قدحهم فى القرآن وفى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله (انه لا يفلح الظالمون) الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم يوم القيامة فقال (ويوم نحشرهم) وناصبه

يعملون يقول وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا كالذي **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فلما نسوا ما ذكروا به يعني تركوا ما ذكروا به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله نسوا ما ذكروا به قال ما دعاهم الله اليه ورسله أبوه وردوه عليهم فتحنا عليهم أبواب كل شئ يقول بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام استدراجا منا لهم كالذي **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فتحنا عليهم أبواب كل شئ قال رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ قال يعني الرخاء وسعة الرزق **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ يقول من الرزق فان قال لنا قائل وكيف قيل فتحنا عليهم أبواب كل شئ وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم وأبواب أخر غيره كثيرة قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه وانما معنى ذلك فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كل ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا اياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا اذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله وذلك كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية ذكرهم بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه اياهم من ضيق العيش الى الرخاء والسعة ومن الضر في الأجسام الى الصحة والعافية وهو فتح أبواب كل شئ كان أغلق بابه عليهم مما جرى ذكره قبل قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ فرد قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ عليه ويعني تعالى بقوله حتى اذا فرحوا بما أوتوا يقول حتى اذا فرح هؤلاء المكذبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة والصحة في الاجسام كالذي **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي حتى اذا فرحوا بما آتوا من الرزق **حدثنا** الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يحدث عن حماد بن زيد قال كان رجل يقول رحم الله رجلا تلا هذه الآية ثم فكر فيها ماذا أريد بها حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة **حدثني** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا ابن أبي رجاء من أهل الثغر عن عبد الله بن المبارك عن محمد بن النضر الحارثي في قوله أخذناهم بغتة قال أمهلوا عشرين سنة ويعني تعالى ذكره بقوله أخذناهم بغتة أتيناهم بالعذاب فجأة وهم غارون لا يشعرون أن ذلك كائن ولا هو بهم حال **كما حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة قال أعجب ما كانت اليهم وأعزها لهم **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أخذناهم بغتة يقول أخذهم العذاب بغتة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا

محذوف أي ويوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو أدخل في الوعيد ويحتمل أن يكون مفعول واذكر أو معطوفا على محذوف أي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر (أين شركاؤكم) آلهتكم التي جعلتموهم شركاء (الذين كنتم تزعمون) هم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز أن يشاهدوهم الا أنهم حيث لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ويجوز أن يحال بينهم وبين آلهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فتزداد حسرتهم ويحتمل أن يقال أين شفاعتهم لكم وانتفاعكم بهم والغرض من جميع الوجوه أن يتقرر في نفوسهم أن الذي يظنونه مأيوسا منه فيصير ذلك تنبيها لهم في الدنيا على فساد هذه الطريقة (ثم لم تكن فتنتهم) من قرأ بالرفع على أنه اسم كان فالخبر (الا أن قالوا) والتقدير شيأ الا أن قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فبعكس ما قلنا والتقدير شئ الا أن قالوا وأما مع تأنيث يكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك أو بتأويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان أن اذا وصلت بالفعل لم توصف فأشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما أن المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك ان كنت القائم كان جعل المضمر اسما أولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تأويل هذه الآية حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك أنه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم تهالكين في حبه فذكر أن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا لم تكن الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على عدم التدين به

ومثاله أن ترى انسانا يحب شخصا مذموما الطريقة فاذا وقع فى محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك أى عاقبة محبتك لفلان الا أن تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هى شركهم فى الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمى فتنة لانه كذب قال القاضى البيضاوى ، وأبو بكر ان أهل القيامة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون أن ذلك لا يروج منهم حينئذ ولا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز أن يقال انهم لما عاينوا القيامة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب أو انهم نسوا كونهم مشركين فى الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى أن يوبخهم ثم يحكى عنهم ما يجرى مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولأن تجويز نسيان أمر كان عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة وأيضا انهم لو كذبوا فى موقف القيامة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد أقدموا على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صارت الآخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى فى ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فاذا الوجه فى الآية أن يقال ان القوم كانوا يعتقدون فى أنفسهم وظنونهم أنهم موحدون فأجابوا بقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) أى فى اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما أخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين عند أنفسهم فيجب تأويل قوله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بأن المراد كذبهم فى دار الدنيا كقولهم انهم كفرهم

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أخذناهم بغتة قال فجأة آمنين وأما قوله فاذا هم مبلسون فانه هالكون منقطعة حجتهم نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم كالذى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاذا هم مبلسون قال فاذا هم مهلكون متغير حالهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيخ عن مجاهد فاذا هم مبلسون قال فاذا هم مهلكون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا هم مبلسون قال المبلس الذى قد نزل به الشر الذى لا يدفعه والمبلس أشد من المستكين وقرأ فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وكان أول مرة فيه معاتبة وتقية وقرأ قول الله أخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا حتى بلغ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ثم جاء أمر ليس فيه تقية وقرأ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فجاء أمر ليس فيه تقية وكان الاول لو انهم تضرعوا كشف عنهم حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن أبى شريح ضبارة بن مالك عن أبى الصلت عن (١) حرملة أبى عبد الرحمن عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى عبده فى دنياه انما هو استدراج ثم تلا هذه الآية فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله والحمد لله رب العالمين وحدث بهذا الحديث عن محمد بن حرب عن ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يسألون على معاصيهم اياه فانما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ الآية وأصل الابلاس فى كلام العرب عند بعضهم الحزن على الشئ والندم عليه وعند بعضهم انقطاع الحجة والسكوت عند انقطاع الحجة وعند بعضهم الخشوع وقالوا هو المخذول المتروك ومنه قول العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

فتأويل قوله وأبلسا عند الذين زعموا أن الابلاس انقطاع الحجة والسكوت عنده بمعنى أنه لم يحر جوابا وتأوله الآخرون بمعنى الخشوع وترك أهله اياه مقيما بمكانه والآخرون بمعنى الحزن والندم يقال منه أبلس الرجل ابلاسا ومنه قيل لابليس ابليس ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم وكذبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم فلم يترك منهم أحد الا أهلك بغتة اذ جاءهم عذاب الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فقطع دابر القوم الذين ظلموا يقول فقطع أصل الذين ظلموا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا قال استؤصلوا ودابر القوم الذى يدبرهم وهو الذى يكون فى أدبارهم وآخرهم يقال فى الكلام قد دبر القوم فلان يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم ومنه قول أمية

فأهلكوا بعذاب حص دابرهم * فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

والحمد لله رب العالمين يقول والثناء الكامل والشكر التام لله رب العالمين على انعامه على رسله وأهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم من أهل الكفر وتحقيق عدتهم ما وعدهم على

(١) هو حرملة بن عمران وكنيته أبو حفص انظر الخلاصة

على صواب وان ماهم عليه ليس بشرك وان لهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال

كفرهم بالله وتكذيبهم رسله من نقم الله وعاجل عذابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بى الأوثان والأصنام المكذبين بك أرأيتم أيها المشركون بالله غيره ان أصمكم الله فذهب بأسماعكم وأعماكم فذهب بأبصاركم وختم على قلوبكم فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولا ولا تبصروا حجة ولا تفهموا مفهوما أى إله غير الله الذى له عبادة كل عابد يأتيكم به يقول يرد عليكم ماذهب الله به منكم من الاسماع والأبصار والأفهام فتعبدوه أو تشركوه فى عبادة ربكم الذى يقدر على ذهابه بذلك منكم وعلى رده عليكم اذا شاء وهذا من الله تعالى تعليم نبيه الحجة على المشركين به يقول له قل لهم ان الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا وانما يستحق العبادة عليكم من كان بيده الضر والنفع والقبض والبسط القادر على كل ما أراد لا العاجز الذى لا يقدر على شئ ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر كيف نصرف الآيات يقول انظر كيف نتابع عليهم الحجج ونضرب لهم الأمثال والعبر ليعتبر واويذكروا فينيبوا ثم هم يصدفون يقول ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج وتنبيهنا اياهم بالعبر عن الادكار والاعتبار يعرضون يقال منه صدف فلان عنى بوجهه فهو يصدف صدوفا وصدفا أى عدل وأعرض ومنه قول ابن الرقاع

اذا ذكرن حديثا قلن أحسنه * وهن عن كل سوء يتقى صدف

﴿وقال لبيد﴾

يروى قواطع قبل الليل صادفة * أشباه جن عليها الريط والأزر

فان قال قائل وكيف قيل من اله غير الله يأتيكم به فوحد الهاء وقد مضى الذكر قبل بالجمع فقال أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم قيل جائز أن تكون الهاء عائدة على السمع فتكون موحدة لتوحيد السمع وجائز أن تكون معنيا بها من اله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة فتكون موحدة لتوحيد ما والعرب تفعل ذلك اذا كنت عن الأفعال وحدت الكناية وان كثر ما يكنى بها عنه من الافاعيل كقولهم إقبالك وإدبارك يعجبنى وقد قيل ان الهاء التى فى به كناية عن الهدى وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله يصدفون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يصدفون قال يعرضون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يصدفون قال يعدلون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله نصرف الآيات ثم هم يصدفون قال يعرضون عنها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم هم يصدفون قال يصدون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان المكذبين بأنك لى رسول اليهم أخبرونى ان أتاكم عذاب الله وعقابه على ما تشركون به ما تشركون من الأوثان والأنداد وتكذيبكم إياى بعد الذى قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولى بغتة يقول فجأة على غرة لا تشعرون أو جهرة يقول أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون اليه هل يهلك الا القوم الظالمون يقول هل يهلك الله منا ومنكم الا من

(وضل عنهم) أى وانظر كيف غاب عنهم فى الآخرة (ما كانوا يفترون) أى يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الآية سيقت لبيان تضاد حالهم فى الدنيا وفى الآخرة بالكذب وبالصدق ولكن حيث لا ينفعهم الصدق لان الصدق فى الآخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق فى الدنيا هذا جملة كلام القاضيين (١) قال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا مشركين فى اعتقادنا وكيف كذبوا على أنفسهم فى الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون فى القيامة لقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله ألا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا أن الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم واختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم فى سائر الأوقات ۞ التأويل ما فى الكون سوى الله لاداع ولا مجيب فلهذا يسأل ويجيب قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله وله ما سكن فى ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية وفى نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع أنين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق اليه قل أغير الله أتخذ اليوم وليا وقد اتخذنى الله فى الأزل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر أرض النفوس على عبوديته وهو يطعم أرواح العارفين طعام المشاهدات ويسقيهم كؤس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من أول من أسلم لانى خلصت من حبس

(١) بمراجعة الفخر فى هذا المقام تعلم ما هنا اه كتبه مصححه غيره فالانوار عنده كالذرات

كان يعبد غير من يستحق علينا العبادة وترك عبادة من يستحق علينا العبادة وقد بينا معنى الجهرة فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وأنها من الاجهار وهو اظهار الشئ للعين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جهرة قال وهم ينظرون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة فجأة آمنين أو جهرة وهم ينظرون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره وما نرسل رسلنا الا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة جزاء منالهم على طاعتنا وبانذار من عصانا وخالف أمرنا عقوبتنا اياه على معصيتنا يوم القيامة جزاء منا على معصيتنا لنعذر اليه فيهلك ان هلك عن بينة فمن آمن وأصلح يقول فمن صدق من أرسلنا اليه من رسلنا انذارهم اياه وقبل منهم ما جاؤه به من عند الله وعمل صالحا فى الدنيا فلا خوف عليهم عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه الذى أعده الله لأعدائه وأهل معاصيه ولا هم يحزنون عند ذلك على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين كذبوا من أرسلنا اليه من رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا ودافعوا حجتنا فانهم يباشرهم عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذبوا به من حججنا بما كانوا يفسقون يقول بما كانوا يكذبون وكان ابن زيد يقول كل فسق فى القرآن فمعناه الكذب حدثنى بذلك يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك إن أتبع الا ما يوحى الىّ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المنكرين نبوتك لست أقول لكم انى الرب الذى له خزائن السموات والأرض وأعلم غيوب الاشياء الخفية التى لا يعلمها الا الرب الذى لا يخفى عليه شئ فتكذبونى فيما أقول من ذلك لانه لا ينبغى أن يكون ربا إلا من له ملك كل شئ وبيده كل شئ ومن لا يخفى عليه خافية وذلك هو الله الذى لا اله غيره ولا أقول لكم انى ملك لانه لا ينبغى لملك أن يكون ظاهرا بصورته لأبصار البشر فى الدنيا فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك ان أتبع الا ما يوحى الىّ يقول قل لهم ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم اليه إلا وحى الله الذى يوحيه الىّ وتنزيله الذى ينزله علىّ فأمضى لوحيه وأمر لأمره وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولى فى ذلك وليس الذى أقول من ذلك بمنكر فى عقول كم ولا مستحيل كونه بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة فما وجه انكاركم ذلك وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على موضع حجته على منكرى نبوته من مشركى قومه قل هل يستوى الأعمى والبصير يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم هل يستوى الأعمى عن الحق والبصير به والأعمى هو الكافر الذى قد عمى عن حجج الله فلا يتبعها فيتبعها والبصير المؤمن الذى قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها واستضاء بضيائها أفلا تتفكرون يقول لهؤلاء الذين كذبوا بآيات الله أفلا تتفكرون فيما أحتج عليكم به أيها القوم من هذه الحجج فتعلموا صحة ما أقول وأدعوكم اليه من فساد ما أنتم عليه مقيمون من اشراك الأوثان والأنداد بالله ربكم وتكذيبكم إياى مع ظهور حجج صدقى لأعينكم فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون الى ما أدعوكم اليه من الايمان الذى به تفوزون وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

الوجود بالكلية وحدى ولهذا يقول هو وقت الاستنزال عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك لأقوام والتوحيد لأقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة أزليته متصلة بدائرة أبديته وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن ينتهى الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب فضلوا فى ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بأنوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلذعات الاشواق الى يوم التلاق وقهر أرواح الصديقين بسطوات الجلال فى أوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهره فلا يخلو من حكمة الخبير بمن يستأهل كل صنف من قهره فيقهره به الله أكبر شهادة لانه محيط بحقائق الأشياء ولا يحيط به شئ من الأشياء ومن بلغ القرآن ووقف على حقائقه ويقول للمشركين أئنكم لتشهدون الذين آتيناهم الكتاب يعنى العلماء بالقرآن يعرفون الله أو النبى وفيه اشارة الى أن الآباء قد تحقق عندهم أنهم مصادر الابناء فكذلك أهل المعرفة قد تحقق عندهم أن الله مصدر جميع الأشياء الذين خسروا أنفسهم بافساد الاستعداد الفطرى ويوم يحشرهم جميعا يعنى أهل المعرفة والنكرة أين شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على أنفسهم فى القيامة لانهم كذبوا فى الدنيا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ﴿ ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا

هذا الا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿القراآت ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص ويعقوب وافق ابن عامر في ونكون الباقون بالرفع ولدار الآخرة بالاضافة ابن عامر بتأويل الساعة الآخرة الباقون بتعريف الدار ورفع الآخرة على الوصفية يكذبونك بالتخفيف من أكذبه اذا

في قول الله تعالى قل هل يستوي الأعمى والبصير قال الضال والمهتدي **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله قل هل يستوي الأعمى والبصير الآية قال الأعمى الكافر الذي قد عمي عن حق الله وأمره ونعمه عليه والبصير العبد المؤمن الذي أبصر بصرا نافعا فوحد الله وحده وعمل بطاعة ربه وانتفع بما آتاه الله ﴿القول في تأويل قوله ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر يا محمد بالقرآن الذي أنزلناه اليك القوم الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم علما منهم بأن ذلك كائن فهم مصدقون بوعد الله ووعيده عاملون بما يرضي الله دائمون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله ليس لهم من دونه ولي أي ليس لهم من عذاب الله ان عذبهم ولي ينصرهم فيستنقذهم منه ولا شفيع يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه لعلهم يتقون يقول أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه وقيل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا ومعناه يعلمون أنهم يحشرون فوضعت المخافة موضع العلم لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه ما أنزل الله اليه من وحيه وتذكيرهم والاقبال عليهم بالانذار وصده عن المشركين به بعد الاعذار اليهم وبعد اقامة الحجة عليهم حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم ﴿القول في تأويل قوله ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين قال المشركون له لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك ذكر الرواية بذلك **حدثنا** هناد بن السري قال ثنا أبو زيد عن أشعث عن كردوس الثعلبي عن ابن مسعود قال مر الملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكذلك فتنا بعضهم ببعض الى آخر الآية **حدثنا** جرير عن أشعث عن كردوس الثعلبي عن عبد الله قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه **حدثني** أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن أشعث عن كردوس عن ابن عباس قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ من قريش ثم ذكر نحوه **حدثني** الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي سعيد الأزدي وكان قارئ الأزد عن أبي الكنود عن خباب في قول الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الى قوله فتكون من الظالمين قال جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا انا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل بهذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الاعراف

يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين ثم قال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه اذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى عن أبي سعيد الأزدى عن أبي الكنود عن خباب بن الأرت بنحو حديث الحسين ابن عمرو الا أنه قال فى حديثه فلما رأوهم حوله نفر وهم فأتوه فخلوا به وقال أيضا فتكون من الظالمين ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية وقال أيضا فدعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه وسائر الحديث نحوه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة و **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والكلبى أن ناسا من كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ناسا من ضعفاء المسلمين فقال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية قال وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إن سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا الأناس كانوا دونهم فى الدنيا ازدراهم المشركون فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها **حدثني** محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بلال وابن أم عبد كانا يجالسان محمدا صلى الله عليه وسلم فقالت قريش محقرتهما لولاهما وأمثالهما لجالسناه فنهى عن طردهم حتى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين قال قل سلام عليكم فيما بين ذلك فى هذا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه قال قال سعيد نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال كنا نسبق الى النبى صلى الله عليه وسلم وندنو منه ونسمع منه فقالت قريش يدنى هؤلاء دوننا فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الآية قال جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحرث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل فى أشراف من بنى عبد مناف من الكفار الى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم فى صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون وإلام يصيرون من قولهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبى حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود

وجده كاذبا على ونافع والأعشى فى اختياره الباقون بتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب أن ينزل بالتخفيف ابن كثير ۞ الوقوف وقرا ط بها ط الأولين ○ ويأوون عنه ج لابتداء النفى مع واو العطف وما يشعرون ○ من المؤمنين ○ من قبل ط لكاذبون ○ يمبعوثين ○ ربهم ط بالحق ط وربنا ط تكفرون ○ بلقاء الله ط لأن حتى للابتداء فيها لا لأن الواو للحال على ظهوره ط يزرون ○ ولهو ط يتقون ○ تعقلون ○ يجحدون ○ نصرنا ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين ○ بآية ط من الجاهلين ○ يسمعون ○ يرجعون ○ من ربه ط لا يعلمون ○ ۞ التفسير لما بين أحوال الكفار فى الآخرة أتبعه بعض أسباب ذلك فقال (ومنهم من يستمع اليك) قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر ابن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبى ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما تقول فى محمد فقال ما أدرى ما يقول الا انى أرى تحرك شفتيه يتكلم بشئ وما يقول الا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الآية والأكنة جمع كنان وهو كل ما وقى شيأ وستره من الأغطية والقفل ومنه أكننت وكننت وأن يفقهوه مفعول لأجله أى كراهة فقههم والوقر الثقل فى الآذان والتركيب يدور على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم وابن

وفى الآية دلالة على أن الله تعالى هو الذى يصرف عن الايمان ويحول بين المرء وبين قلبه وقالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم فى قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التأويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائى ان القوم كانوا يسمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا بسماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقى على قلوبهم النوم والغفلة وعلى آذانهم الثقل وزيف بأن المراد لو كان ذلك لقيل أن يسمعوه بدل أن يفقهوه وبأن

ابن القارى وواقد بن عبد الله الحنظلى وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ومرثد بن أبى مرثد وأبو مرثد من غنى حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا الآية فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته فأنزل الله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم انى أستحيى من الله أن يرانى مع سلمان وبلال وذويهم فاطردهم عنك وجالس فلانا وفلانا قال فنزل القرآن ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقرأ حتى بلغ فتكون من الظالمين مابينك وبين أن تكون من الظالمين الا أن تطردهم ثم قال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم قال وهؤلاء الذين أمرولك أن تطردهم فأبلغهم منى السلام وبشرهم وأخبرهم أنى قد غفرت لهم وقرأ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فقرأ حتى بلغ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قال لتعرفها * واختلف أهل التأويل فى الدعاء الذى كان هؤلاء الرهط الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم يدعون ربهم به فقال بعضهم هى الصلوات الخمس ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى الصلوات المكتوبة **حدثنا** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أبى حمزة عن ابراهيم فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال هى الصلوات الخمس الفرائض ولو كان يقول القصاص هلك من لم يجلس اليهم **حدثنا** هناد بن السرى وابن وكيع قالا ثنا ابن فضيل عن الأعمش عن ابراهيم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال هى الصلاة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الصلاة المفروضة الصبح والعصر **حدثنى** موسى بن عبد الرحمن الكندى قال ثنا حسن الجعفى قال أخبرنى حمزة بن المغيرة عن حمزة بن عيسى قال دخلت على الحسن فسألته فقلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى أهم هؤلاء القصاص قال لا ولكنهم المحافظون على الصلوات فى الجماعة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال الصلاة المكتوبة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال يعبدون ربهم

قوله وان يروا كل آية أى كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه * الثانى أن المكلف الذى علم الله تعالى أنه لا يؤمن وأنه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة لتستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع أنها فى نفسها ليست بمانعة عن الايمان * الثالث يقال انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل * الرابع لما منعهم الالطاف التى تصلح أن تفعل بالمهتدين وفوض أمورهم الى أنفسهم لم يبعد أن يضيف ذلك الى نفسه * الخامس أن هذا حكاية قولهم فى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب * وعورضت هذه الأدلة بالعلم والداعى وذلك أن الله تعالى علم من الكافر أنه لا يؤمن وخلاف علمه محال وأنه سبحانه هو الذى خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو المعنى بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم فى أول سورة البقرة فى قوله ختم الله على قلوبهم والافراد فى يستمع والجمع فى قلوبهم اعتبار اللفظ من تارة ولمعناه أخرى (حتى اذا جاؤك) هى حتى المبتدأة التى يقع بعدها الجمل كقوله * حتى ماء دجلة أشكل * والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء

(١٧ - ابن جرير - سابع) أعنى قوله اذا جاؤك يقول ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون حتى جارة أى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال بحاله ويقول تفسيرله والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بأنهم يقولون (ان هذا الا أساطير الأولين) وأصل السطر هو أن يجعل شيأ ممتدا مؤلفا فى صف ومنه سطر الكتاب وسطر من نخيل وجمعه أسطار وجمع الجمع أساطير وقال الزجاج واحد الاساطير أسطورة كأحاديث وأحدوثة وقال أبو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن عباس معناه أحاديث الاولين

التى كانوا يسطرونها أى يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى أن الأغلب هو أن لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح فى كون القرآن معجزا كما أن الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب أن هذا مقرون بالتحدى وقد عجزوا عن آخرهم دون ذلك فظهر الفرق ثم أكد طعنهم فى القرآن بقوله (وهم ينهون عنه) قال محمد بن الحنفية وابن عباس فى رواية والسدى والضحاك عن القرآن وتدبره والاستماع له (وينأون عنه) والنأى البعد نأيته ونأيت عنه وناء الرجل اذا بعد لغة فى نأى وحملوه على القلب لأن المصدر لم يجئ الا على النأى وقيل الضمير للرسول والمراد النهى عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين قبيحين النأى والنهى فضلوا وأضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس أنها نزلت فى أبى طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عما جاء به روى أن قريشا اجتمعوا الى أبى طالب يريدون سوأ بالنبى صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا
وعرضت دينا لا محالة أنه
من خير أديان البرية دينا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذارى سبة
لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وضعفت هذه الرواية بقوله (ان يهلكون الا أنفسهم) يعنى بما تقدم ذكره ولكن النهى عن أذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن أن يجاب بأن الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهى مع النأى كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولو سلم فلم لا يجوز أن يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين أنه كيف يعود الضرر اليهم فقال (ولو ترى اذ وقفوا على النار) وجواب لو محذوف أى لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما فى الحذف من تفخيم الشأن وهو ذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى أنواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لأضربنك ولمثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضى قال

بالغداة والعشى يعنى الصلاة المفروضة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى هما الصلاتان صلاة الصبح وصلاة العصر **حدثنى** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال ثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله بن عمر فى هذه الآية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية انهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وابراهيم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قالا الصلوات الخمس **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال المصلين المؤمنين بلال وابن أم عبد * قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما أسرعهم الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتأولون ما قال الله تعالى قال وما قال قلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال وفى هذا انما ذاك فى الصلاة التى انصرفنا عنها الآن انما ذاك فى الصلاة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا وكيع عن أبيه عن منصور عن عبد الرحمن بن أبى عمرة قال الصلاة المكتوبة **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال هى الصلاة **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن أبيه عن اسرائيل عن عامر قال هى الصلاة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه يقول صلاة الصبح وصلاة العصر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال صلى عبد الرحمن فى مسجد الرسول فلما صلى قام فاستند الى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فانثال الناس عليه فقال يا أيها الناس اليكم فقيل يرحمك الله انما جاؤا يريدون هذه الآية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فقال وهذا عنى بهذا انما هو فى الصلاة * وقال آخرون هى الصلاة ولكن القوم لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ولا تأخيرهم عن مجلسه وانما سألوه تأخيرهم عن الصف الاول حتى يكونوا وراءهم فى الصف ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية فهم أناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم من الفقراء فقال أناس من أشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا * وقال آخرون بل معنى دعائهم كان ذكرهم الله تعالى ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى **وحدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال أهل الذكر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال هم أهل الذكر **حدثنا** ابن حميد

مع اذا الدال على المضى كأن هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه أن يخبر عنه بلفظ الماضى أى وقفوا على أن يدخلوا النار وهم يعاينونها أو وقفوا عليها وهى تحتهم أو هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقوفا أى عرفوا حقيقتها تعريفا أو المراد أنهم فى جوف النار غائصين فيها فتكون على بمعنى فى وجاز لأن النار دركات بعضها فوق بعض فلا يخلو من معنى الاستعلاء (يا ليتنا نرد) هو داخل فى حكم التمنى أما قوله ولا نكذب ونكون فمن قرأ بالنصب فيهما فبإضمار أن على جواب

التمنى والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان أحدهما أن التمنى يتم عند قوله نرد ثم ابتدؤا ولا نكذب ونكون أى ونحن لا نكذب ونكون كأنهم ضمنوا أن لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد أو لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعنى ولا أعود بمعنى دعنى وأنا لا أعود تركتنى أو لم تتركنى وثانيهما أن يكونا معطوفين على نرد أو حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمنى وأورد على هذا الوجه أن المتمنى لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون وأجيب بأن هذا التمنى قد تضمن معنى الوعد فجاز أن يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقنى مالا فأحسن اليك فهذا متمن فى حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كذب لانه كأنه قال ان رزقنى الله مالا أحسنت اليك وأما قراءة ابن عامر فعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم بأنهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذى شاهدوه وعاينوه فقال (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) وما الذى كانوا يخفونه فى الدنيا قال أكثر المفسرين ان المشركين فى بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقائدهم وأعمالهم وسوء عاقبتها وذلك أن كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيامة وقال الزجاج بدا للاتباع ما أخفاه الرؤساء منهم من أمر البعث والنشور بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا قول الحسن وقيل انها فى المنافقين كانوا

قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال لا تطردهم عن الذكر * وقال آخرون بل كان ذلك تعليمهم القرآن وقراءته ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال كان يقرئهم القرآن النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عنى بدعائهم ربهم عبادتهم اياه ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال يعنى يعبدون ألا ترى أنه قال لا جرم أنما تدعوننى اليه يعنى تعبدونه * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى نهى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يطرد قوما كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلاما وقد يكون بالعمل له بالجوارح الاعمال التى كان عليهم فرضها وغيرها من النوافل التى ترضى والعامل له عابده بما هو عامل له وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعانى كلها فوصفهم الله بذلك بانهم يدعونه بالغداة والعشى لان الله قد سمى العبادة دعاء فقال تعالى ذكره وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى فيعمون بالصفة التى وصفهم بها ربهم ولا يخصون منها بشئ دون شئ فتأويل الكلام اذا يا محمد أنذر بالقرآن الذى أنزلته اليك الذين يعلمون أنهم الى ربهم محشورون فهم من خوف ورودهم على الله الذى لا شفيع لهم من دونه ولا نصير فى العمل له دائمون اذ أعرض عن انذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك استكبارا على الله ولا تطردهم ولا تقصهم فتكون ممن وضع الاقصاء فى غير موضعه فأقصى وطرد من لم يكن له طرده واقصاؤه وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وادناؤه فان الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوعهم وذكرهم اياه بألسنتهم بالغداة والعشى يلتمسون بذلك القربة الى الله والدنو من رضاه ما عليك من حسابهم من شئ يقول ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شئ وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شئ فتطردهم حذار محاسبتى اياك بما خولتهم فى الدنيا من الرزق وقوله فتطردهم جواب لقوله ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب لقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض وكذلك اختبرنا وابتلينا كالذى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكذلك فتنا بعضهم ببعض يقول ابتلينا بعضهم ببعض وقد دللنا فيما مضى من كتابنا

يسرون الكفر فيظهر نفاقهم على رؤس الاشهاد يوم القيامة وقيل هو فى أهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله والاولى حمل الآية على الكل لانه يوم تبلى السرائر فلا جرم تظهر الفضائح والقبائح وتنكشف الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا سيآتنا فى ذلك اليوم ثم قال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) قيل كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى حينئذ بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال وأجاب القاضى بأن المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا تبقى المعرفة ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بأن المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة فى غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم الى حالة التكليف زال التعجب كما هو الآن فاذن لا تحصل العقدة الا بأن يقال المراد توكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم سألوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم ينجع ذلك فيهم (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا فى ضمن التمنى أو فى كل شئ ولهذا قالوا (ان هى الا حياتنا الدنيا) ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحياة المعلومة فى الاذهان ولهذا أضيف الى ضمير جمع المتكلم أى ما الناحياة الا هذه الحياة التى هى أقرب الينا (وما نحن بمبعوثين) بعدها وقيل ان تقدير الآية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولأنكروا البعث ولقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيامة فقال (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) تمسك بعض المشبهة بهذا على أنه تعالى يحضر تارة ويغيب أخرى وردبأن استعلاء شئ على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تأويل الآية بأنه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى مولاه للعتاب أو المضاف محذوف أى على جزاء ربهم أو وعده أو اخباره بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين ان أو هو من قولك وقفته على كذا أى أطلعته عليه ثم كان لسائل أن يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فأجيب (قال أليس هذا) الذى عاينتموه من حديث البعث والجزاء (بالحق) الذى حدثتموه (قالوا بلى وربنا) وفيه دليل على أن حالهم فى الانكار سيؤل الى الاقرار ثم كأنه سئل ماذا قيل لهم بعد الاقرار فأجيب (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم وذلك ليعلم أن الاقرار فى غير دار التكليف

هذا على معنى الفتنة وأنها الاختبار والابتلاء بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وانما فتنة الله تعالى بعض خلقه ببعض مخالفته بينهم فيما قسم لهم من الارزاق والأخلاق فجعل بعضا غنيا وبعضا فقيرا وبعضا قويا وبعضا ضعيفا فأحوج بعضهم الى بعض اختبارا منه لهم بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعنى أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء فقال الاغنياء للفقراء أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا يعنى هداهم الله وانما قالوا ذلك استهزاء وسخرية وأما قوله ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا يقول تعالى اختبرنا الناس بالغنى والفقر والعز والذل والقوة والضعف والهدى والضلال كى يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحق للذين هداهم الله ووفقهم أهؤلاء منّ الله عليهم بالهدى والرشد وهم فقراء ضعفاء أذلاء من بيننا ونحن أغنياء أقوياء استهزاء بهم ومعاداة للاسلام وأهله يقول تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين وهذا منه تعالى اجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق وخذلهم عنه وهم أغنياء وتقرير لهم أنا أعلم بمن كان من خلقى شاكرا نعمتى ممن هو لها كافر فنى على من منننت عليه منهم بالهداية جزاء شكره اياى على نعمتى وتخذيلى من خذلت منهم عن سبيل الرشاد عقوبة كفرانه اياى نعمتى لا الغنى الغنى منهم ولا الفقر الفقير لان الثواب والعقاب لا يستحقه أحد الا جزاء على عمله الذى اكتسبه لا على غناه وفقره لان الغنى والفقر والعجز والقوة ليس من أفعال خلقى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ﴾ اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله تعالى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها الذين نهى الله نبيه عن طردهم وقد مضت الرواية بذلك عن قائليه * وقال آخرون عنى بها قوما استفتوا النبى صلى الله عليه وسلم فى ذنوب أصابوها عظاما فلم يؤيسهم الله من التوبة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن مجمع قال سمعت ماهان قال جاء قوم الى النبى صلى الله عليه وسلم قد أصابوا ذنوبا عظاما قال ماهان فما اخاله رد عليهم شيأ قال فأنزل الله هذه الآية واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن مجمع عن ماهان أن قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا أصبنا ذنوبا عظاما فما اخاله رد عليهم شيأ فانصرفوا فأنزل الله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة قال فدعاهم فقرأها عليهم حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجمع التيمى قال سمعت ماهان يقول فذكر نحوه * وقال آخرون بل عنى بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبى صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم فكان ذلك منهم خطيئة فغفرها الله لهم وعفا عنهم وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم اذا أتوه

لا ينفع وذلك أن جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى هذا العالم الجسماني الكثيف وأعطى الآلات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي تعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى أن ينقضي أجله فقد ضاع رأس المال ولا ربح وذلك قوله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) أي ببلوغ الآخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لأحد هناك الا الله بخلاف (١٣٣) الدنيا فانه قد يظن أن للانسان تصرفا

أن يبشرهم بان قد غفر لهم خطيئتهم التي سلفت منهم بمشورتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد وقد ذكرنا الرواية عنهما بذلك قبل * وأولى الاقوال في ذلك عندي بتأويل الآية قول من قال المعنيون بقوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم غير الذين نهى الله النبي صلى الله عليه وسلم عن طردهم لان قوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا خبر مستأنف بعد تقضي الخبر عن الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم ولو كانوا هم لقيل واذا جاؤك فقل سلام عليكم وفي ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الاولين ما ينبئ عن أنهم غيرهم فتأويل الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا واذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا فيقرون بذلك قولا وعملا مسترشدين عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم هل لهم منها توبة فلا تؤيسهم منها وقل لهم سلام عليكم أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها كتب ربكم على نفسه الرحمة يقول قضى ربكم الرحمة بخلقه أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدنيين أنه من عمل منكم سوأ فيجعلون أن منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم على ائتناف انه بعد الفاء فيكسرونها ويجعلونها أداة لا موضع لها بمعنى فهو له غفور رحيم أو فله المغفرة والرحمة وقرأهما بعض الكوفيين بفتح الالف منهما جميعا بمعنى كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم ترجم بقوله أنه من عمل منكم سوأ بجهالة عن الرحمة فأنه غفور رحيم فيعطف فأنه الثانية على أنه الاولى ويجعلهما اسمين منصوبين على ما بينت وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء أهل العراق من الكوفة والبصرة بكسر الالف من انه وانه على الابتداء وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما * وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأهما بالكسر كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه على ابتداء الكلام وأن الخبر قد انتهى عند قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استؤنف الخبر عما هو فاعل تعالى ذكره بمن عمل سوأ بجهالة ثم تاب وأصلح منه ومعنى قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة انه من اقترف منكم ذنبا بجهل باقترافه اياه ثم تاب وأصلح فانه غفور لذنبه اذا تاب وأناب وراجع العمل بطاعة الله وترك العود الى مثله مع الندم على ما فرط منه رحيم بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر عن عثمان عن مجاهد من عمل منكم سوأ بجهالة قال من جهل انه لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته ركب الامر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد يعملون السوء بجهالة قال من عمل بمعصية الله فذلك منه جهل حتى يرجع حدثني الحرث قال ثنا عبد

واختيارا وملكا وملكا وحمل اللقاء على الرؤية أيضا غير بعيد عند أهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا الخسر لأن خسرانهم لا غاية له أي لم يزل بهم التكذيب الى تحسرهم وقت مجيء الساعة بل وقت موتهم فان أمارات السعادة والشقاوة تلوح على صفحات أحوال المكلف من وقتئذ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيامة الساعة لسرعة الحساب فيه كأنه قيل ما هو الا ساعة الحساب أو لأنها تفجأ الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال (بغتة) أي فجأة وانتصابها على الحال أي باغتة من بغته اذا فاجأه أو على المصدر العام أي بغتتهم الساعة بغتة أو الخاص لان البغت نوع من المجيء (قالوا) عامل اذا (ياحسرتنا) مثل ياويلتى وقد مر مثله في سورة المائدة أي احضري فهذا وقتك (على ما فرطنا) أصله يدل على الترك والهمزة في الافراط لازالة ذلك وقولهم فرطت القوم أي سبقتهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل لي التقدم أما الضمير في (فيها) فقال ابن عباس أي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الآية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن أي في وقت الساعة على معنى قصرنا في شأنها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران وقيل الى ما في مافرطنا أي ياحسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بأنهم لم يحصلوا لأنفسهم مواجب الثواب ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) هي الآثام والخطايا وأصل الوزر الثقل ومنه الوزير لأنه يحمل ثقل صاحبه والوزر الملجأ لانه يدفع عنه ما أصابه فكأنه حماه أما كيفية حملهم الأوزار فقال في

الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت أيديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما ألف الكسب بالايدى وقال الزجاج الثقل قد يذكر فى الحال والصفة تثقل على المخاطب فلان أى كراهته فالمعنى أنهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخصك نصب عينى أى ذكرك ملازم لى وقال جمع من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أحسن الاشياء صورة وأطيبها ريحا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا فاركبنى أنت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أقبح الاشياء صورة وأخبثها ريحا فيقول أنا عملك الفاسد طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا أركبك اليوم قاله قتادة والسدى (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرون وزرهم ثم رغب فى الحياة الباقية وزهد فى الحياة العاجلة فقال (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) قال ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والنفاق لان حياة المؤمن تحصل فيها أعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهوا وقال آخرون هو عام فى حياة المؤمن والكافر وذلك أن مدة اللهو واللعب وكل شئ يلهيك ويشغلك مما لا أصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحياة كذلك وأيضا اللعب واللهو لابد أن ينتاهيا فى أكثر الامر الى شئ من المكاره ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون (وللدار الآخرة) قال ابن عباس هى الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصى وقال الاصم التمسك بعمل الآخرة خير وقال الآخرون نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة باقية مصونة عن شوائب الآفات والمخافات آمنة من نقص الانقضاء والانقراض (للذين يتقون) فيه أن هذه الخيرية انما تحصل لمن اتقى الكفر والمعاصى وأما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (أفلا تعقلون) قال الواحدى من قرأ بتاء الخطاب فالمعنى قل لهم أفلا تعقلون أيها المخاطبون ومن قرأ بالياء فمعناه أفلا يعقل الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التى يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كان أمر تلك الحيوانات فيها أكمل فالجمل أكثر أكلا والديك والعصفور أكثر والانداد

العزيز قال ثنا بكر بن خنيس عن ليث عن مجاهد فى قوله من عمل منكم سوأ بجهالة قال كل من عمل بخطيئة فهو بها جاهل **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا خالد بن دينار أبو خلدة قال كنا اذا دخلنا على أبى العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك نفصل الآيات وكما فصلنا لك فى هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد الى هذا الموضع حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا وميزناها لك وبيناها كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا فى كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم فنبينها لك حتى تبين حقه من باطله وصحيحه من سقيمه * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولتستبين سبيل المجرمين فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين بنصب السبيل على أن تستبين خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم كأن معناه عندهم ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين وكان ابن زيد يتأول ذلك ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين الذين سألوك طرد النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولتستبين سبيل المجرمين قال الذين يأمرونك بطرد هؤلاء وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين برفع السبيل على أن القصد للسبيل ولكنه يؤنثها وكأن معنى الكلام عندهم وكذلك نفصل الآيات ولتتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وليستبين بالياء سبيل المجرمين برفع السبيل على ان الفعل للسبيل ولكنهم يذكرونه ومعنى هؤلاء فى هذا الكلام ومعنى من قرأ ذلك بالتاء فى ولتستبين ورفع السبيل واحد وانما الاختلاف بينهم فى تذكير السبيل وتأنيثها * وأولى القراءتين بالصواب عندى فى السبيل الرفع لان الله تعالى ذكره فصل آياته فى كتابه وتنزيله ليتبين الحق بها من الباطل جميع من خوطب بها لا بعض دون بعض ومن قرأ السبيل بالنصب فانما جعل تبيين ذلك محصورا على النبى صلى الله عليه وسلم وأما القراءة فى قوله ولتستبين فسواء قرئت بالتاء أو بالياء لان من العرب من يذكر السبيل وهى تميم وأهل نجد ومنهم من يؤنث السبيل وهم أهل الحجاز وهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار ولغتان مشهورتان من لغات العرب وليس فى قراءة ذلك باحداهما خلاف لقراءته بالاخرى ولا وجه لاختيار احداهما على الاخرى بعد أن يرفع السبيل للعلة التى ذكرنا وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله نفصل الآيات قال أهل التأويل **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكذلك نفصل الآيات نبين الآيات **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى نفصل الآيات نبين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك العادلين به الاوثان

وقاعا والذئب والنمر والحيات أقوى غضبا وقهرا وكل من وقف عمره على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء قدر وكل من صرف عمره فى تحصيل الكمالات الدائمات والسعادات الباقيات كان له فى العيون مهابة وفى القلوب قبول وذلك دليل على شهادة الفطرة الاصلية بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب أن النوعين تشاركا فى الفضل والمنقبة أليس المعلوم أفضل من المظنون وان خيرات الآخرة معلومة قطعا والوصول الى خيرات الدنيا فى الغد غير معلوم ولا مظنون فكم

والانداد الذين يدعونك الى موافقتهم على دينهم وعبادة الاوثان ان الله نهانى أن أعبد الذين تدعون من دونه فلن أتبعكم على ما تدعونى اليه من ذلك ولا أوافقكم عليه ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه وان فعلت ذلك فقد تركت محجة الحق وسلكت على غير الهدى فصرت ضالا مثلكم على غير استقامة وللعرب فى ضللت لغتان فتح اللام وكسرها واللغة الفصيحة المشهورة هى فتحها وبها قرأ عامة قراء الامصار وبها نقرأ لشهرتها فى العرب وأما الكسر فليس بالغالب فى كلامها والقراء بها قليلون فمن قال ضللت قال أضل ومن قال ضللت قال فى المستقبل أضل وكذلك القراءة عندنا فى سائر القرآن وقالوا أئذا ضللنا بفتح اللام ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك الى الاشراك بربك إنى على بينة من ربى أى انى على بيان قد تبينته وبرهان قد وضح لى من ربى يقول من توحيده وما أنا عليه من اخلاص عبوديته من غير اشراك شئ به وكذلك تقول العرب فلان على بينة من هذا الامر اذا كان على بيان منه ومن ذلك قول الشاعر

أبينة تبغون بعد اعترافه * وقول سويد قد كفيتكم بشرا

وكذبتم به يقول وكذبتم أنتم بربكم والهاء فى قوله به من ذكر الرب جل وعز ما عندى ما تستعجلون به يقول ما الذى تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدى ولا أنا على ذلك بقادر وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتوحيده فدعاهم الى الله وأخبرهم أنه رسوله اليهم هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقالوا للقرآن هو أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو اختلاق اختلقه وقال آخرون بل محمد شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك وانما أنت رسول وليس عليك الا البلاغ لما أرسلت به وان الله يقضى الحق فيهم وفيك ويفصل به بينك وبينهم فيتبين المحق منكم والمبطل وهو خير الفاصلين أى وهو خير من بين وميز بين المحق والمبطل وأعدلهم لانه لا يقع فى حكمه وقضائه حيف الى أحد لوسيلة له اليه ولا لقرابة ولا لمناسبة ولا فى قضائه جور لانه لا يأخذ الرشوة فى الاحكام فيجور فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين وقد ذكرنا فى قراءة عبد الله وهو أسرع الفاصلين

حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى قراءة عبد الله يقضى الحق وهو أسرع الفاصلين * واختلفت القراء فى قراءة قوله يقضى الحق فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء أهل الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقص الحق بالصاد بمعنى القصص وتأولوا فى ذلك قول الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وذكر ذلك عن ابن عباس

حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال يقص الحق وقال نحن نقص عليك أحسن القصص * وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقضى الحق بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء

من سلطان قاهر بكرة صار تحت التراب عشية وكم من متمول متغلب أصبح أميرا كبيرا ثم أمسى فقيرا حقيرا وهب أنه وجد بعد هذا اليوم يوما آخر فلن يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فقلما يخلص من شوائب المكاره والآفات كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل وما هو يا رسول الله قال سرور يوم بتمامه وهب أن الدست له قد تم أليس مآل كل ذلك الى الزوال والانقراض وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال

كمال الغم عندى فى سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا

ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال (قد نعلم) والمراد كثرة العلم والمبالغة كما مر فى قوله قد نرى تقلب وجهك والهاء فى (انه) ضمير الشأن وكسرت بعد العلم لمكان لام الابتداء فى (ليحزنك) وما ذلك المحزن قال الحسن هو قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل تصريحهم بانهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب (فانهم لا يكذبونك) قال أبو على وثعلب أكذبه وكذبه بمعنى وقيل أكذبت الرجل ألفيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائى أكذبته اذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه وكذبته اذا أخبرت انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى أكذبته أن الذى أتى به كذب فى نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك الكذب وأتى به على سبيل الافتعال والقصد فمن قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل تخيل صحة ذلك وانه نبى الا ان تخيله باطل ثم ان ظاهر الآية يقتضى انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم ولكنهم يجحدون بآيات الله وفى الجمع بين الامرين وجوه الاول أن

القوم ما كانوا يكذبونه فى السر ولكنهم كانوا يكذبونه فى العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية السدى ان الاخنس بن شريق وأبا جهل بن هشام التقيا فقال الاخنس لابى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيرى فقال أبو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال أبو ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأبى جهل وأصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت فى الحرث بن عامر بن نوفل كان يكذب النبى صلى الله عليه وسلم فى العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه الا صادقا فاذن هذه الآية نظير قوله تعالى فى قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر الثانى فى تأويل الآية أنهم لا يقولون انك كذاب لانهم حرب لك الدهر الطويل وما وجدوا منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعد انك كاذب ولكن يجحدون صحة نبوتك ورسالتك اما لأنهم اعتقدوا أن محمدا عرض له نوع خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل أنه رسول لا أنه كذب فى نفسه أولانهم زعموا انه أمين فى كل الامور الا فى هذا الواحد الثالث أنه لما ظهرت المعجزات على يده ثم ان القوم أصروا على التكذيب فقال له ان القوم ما كذبوك وانما كذبونى ونحوه قول السيد لغلامه اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانونى ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكأنه قيل له انه عن حزنك لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه الرابع قيل فى التفسير الكبير أى لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق مطلقا ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله (ولكن الظالمين) من اقامة المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فى جحودهم لان من وضع التكذيب مقام التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على أذية القوم فقال (ولقد كذبت رسل) وأى رسل (من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) فأنت أولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلائق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (ولا مبدل لكلمات الله)

واعتبروا صحة ذلك بقوله وهو خير الفاصلين وان الفصل بين المختلفين انما يكون بالقضاء لا بالقصص وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لاهلها من العلة فمعنى الكلام اذا اما الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله وفيما بينى وبينكم الا لله الذى لا يجور فى حكمه وبيده الخلق والامر يقضى الحق بينى وبينكم وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والاوثان المكذبيك فيما جئتهم به السائليك أن تأتيهم بآية استعجالا منهم بالعذاب لو أن بيدى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلى لكم ما تسألونى من ذلك وتستعجلونه ولكن ذلك بيد الله الذى هو أعلم بوقت ارساله على الظالمين الذين يضعون عبادتهم التى لا تنبغى أن تكون الا لله فى غير موضعها فيعبدون من دونه الآلهة والاصنام وهو أعلم بوقت الانتقام منهم وحال القضاء بينى وبينهم وقد قيل معنى قوله لقضى الامر بينى وبينكم الذبح للموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن ابن جريج قال بلغنى فى قوله لقضى الامر قال ذبح الموت وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل فى قضاء الامر وليس قوله لقضى الامر بينى وبينكم من ذلك فى شئ وانما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها لو أن العذاب والآيات بيدى وعندى لعاجلتكم بالذى تسألونى من ذلك ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه منى ومن جميع خلقه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر﴾ يقول وعنده مفاتح الغيب والمفاتح جمع مفتح يقال فيه مفتح ومفتاح فمن قال مفتح جمعه مفاتح ومن قال مفتاح جمعه مفاتيح ويعنى بقوله وعنده مفاتح الغيب خزائن الغيب كالذى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وعنده مفاتح الغيب قال يقول خزائن الغيب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال أعطى نبيكم كل شئ الا مفاتح الغيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وعنده مفاتح الغيب قال هن خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى ان الله عليم خبير فتأويل الكلام اذا والله أعلم بالظالمين من خلقه وما هم مستحقوه وما هو بهم صانع فان عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه ويعلم ما فى البر والبحر يقول وعنده علم ما لم يغب أيضا عنكم لان ما فى البر والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد فكان معنى الكلام وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم لا يخفى عليه

أى لمواعيده فى نحو قوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلى وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبا المرسلين) قال الاخفش من زائدة والأصح أنها للتبعيض لقلة مجىء زيادة من فى الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض أنبائهم وكان يكبر على النبى صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاءه به فنزلت (وان كان كبر) أى شق (عليك اعراضهم) عن الايمان وصحة القرآن (فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية) فافعل يعنى أنك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلاليم التى يرتقى عليها وأصله من السلامة كأنه يسلمك الى مصعدك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن يأتى بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها وبكل ما اقترحوه رجاء ايمانهم ويجوز أن يكون ابتغاء النفق أو السلم هو الآية كأنه قيل لو استطعت ذلك لفعلت كل ذلك ليكون لك آية يؤمنون عندها ثم قال (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال أهل السنة فيه دليل على أنه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشيئة الالجاء المنافى للتكليف والالجاء هو أن يعلمهم أنهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون الى الايمان مثاله أن يحصل شخص بحضرة السلطان وهناك خدمه وحشمه فيعلم أنه لو هم بقتل ذلك السلطان لقتلوه فى الحال فيصير هذا العلم مانعا له من القتل وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا أما قوله (فلا تكونن من الجاهلين) أى من الذين يرومون خلاف مأمور الله فهذا النهى لا يقتضى اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتأكيد الامتناع عن الجزع والاضراب عن الحزن والاسف على ايمان من لم يشأ الله ايمانه ثم بين السبب فى كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد أنه تعالى هو الذى يقدر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الايمان وأنت لا تقدر على ذلك يعنى ان الذين تحرص على حصول ايمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون كقوله انك لا تسمع

عليه شئ لانه لا شئ الا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم فأخبر الله تعالى أن عنده علم كل شئ كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد وذلك هو الغيب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين﴾ يقول تعالى ذكره ولا تسقط ورقة فى الصحارى والبرارى ولا فى الامصار والقرى الا الله يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين يقول ولا شئ أيضا مما هو موجود أو مما سيوجد ولم يوجد بعد الا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذى يوجد فيه والحال التى يفنى فيها ويعنى بقوله مبين أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم فان قال قائل وما وجه اثباته فى اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لا يخفى عليه وهو بجميعه عالم لا يخاف نسيانه قيل له لله تعالى فعل ما شاء وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحانا منه لحفظته واختبارا للمتوكلين بكتابة أعمالهم فانهم فيما ذكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك فى اللوح المحفوظ حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم وقيل ان ذلك معنى قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك مما هو أعلم به اما بحجة يحتج بها على بعض ملائكته واما على بنى آدم وغير ذلك وقد حدثنى زياد بن يحيى الحسانى أبو الخطاب قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الاعمش عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله ابن الحرث قال ما فى الارض من شجرة ولا كغرز ابرة الا عليها ملك موكل بها يأتى الله بعلمه يبسها اذا يبست ورطوبتها اذا رطبت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل لهم يا محمد والله أعلم بالظالمين والله هو الذى يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم ويعلم ما جرحتم بالنهار يقول ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار ومعنى التوفى فى كلام العرب استيفاء العدد كما قال الشاعر

ان بنى الأدم ليسوا من أحد * ولا توفاهم قريش فى العدد

يعنى لم تدخلهم قريش فى العدد وأما الاجتراح عند العرب فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه وهى الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم ثم يقال لكل مكتسب عملا جارح لاستعمال العرب ذلك فى هذه الجوارح ثم كثر ذلك فى الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبا بأى أعضاء جسمه اكتسب مجترح ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أما يتوفاكم بالليل فى النوم وأما يعلم ما جرحتم بالنهار فيقول ما اكتسبتم من الاثم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار يعنى ما اكتسبتم من الاثم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة

الموتى أو المعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم أما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلأن حياة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما أن حياة الجسد بالروح ثم ذكر شبهة أخرى للطاعنين فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أنه ما جاء بآية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم طعنوا فى كون هذا القرآن معجزا على سبيل العناد أو قياسا على سائر الكتب السماوية أو طلبوا معجزات تقرب من حد الالجاء كشق الجبل وفلق البحر فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من تسبيح الحصا وانشقاق القمر وغير ذلك ليست باقل منها أو اقترحوا مزيدا لآيات بطريق التعنت واللجاج كقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فأجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون أن فاعليته ليست الا بحسب محض المشيئة عند أهل السنة أو على وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالباتهم أو أنه لما ظهرت المعجزة الباهرة والدلالة الكافية من القرآن وغيره لم يبق لهم عذر ولا علة فلو أجابهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضى الى أن لا يستقر الليل ولا تتم الحجة وهذا خلاف المقصود أو لا يعلمون أنه لو أعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستئصال أو لا يعلمون أنهم لما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لأجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ونيله لأعطاهم مطلوبهم على أكمل الوجوه ﴿التأويل﴾ ومنهم من يستمع اليك انكارا واختبارا وجعلنا على قلوبهم من شؤم انكارهم حجبا من غير الانكار وفى آذانهم وقرا من فساد الاستعداد الفطرى وان يروا كل آية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب واعوازنور الايمان فيها وهم ينهون الطلاب عن الحق وان يهلكون بتنفير عليهم الخلق عن الحق الا أنفسهم لان التباعد من أهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقى ولو ترى اذ وقفوا على النار أى أرواح الاشقياء بعد الخلاص عن حبس الطبيعة عرفوا ألم عذاب القطيعة فقالوا بالتنازد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطرى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل أى يظهر عليهم آثار الشقاوة التى كتبت لهم وكانوا يتكلفون سترها فى عالم الصورة بلباس البشرية ولو ردوا الى عالم الصورة

ما جرحتم بالنهار قال ما عملتم بالنهار **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذى يتوفاكم بالليل يعنى بذلك نومهم ويعلم ما جرحتم بالنهار أى ما عملتم من ذنب فهو يعلمه لا يخفى عليه شئ من ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال أما وفاته اياهم بالليل فنامهم وأما ما جرحتم بالنهار فيقول ما اكتسبتم بالنهار وهذا الكلام وان كان خبرا من الله تعالى عن قدرته وعلمه فان فيه احتجاجا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على احيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم فقال تعالى محتجا عليهم وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى يقول فالذى يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم فى النهار لتبلغوا أجلا مسمى وأنتم ترون ذلك وتعلمون صحته غير منكر له القدرة على قبض أرواحكم وافنائكم ثم ردها الى أجسادكم وانشائكم بعد مماتكم فان ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك القدرة على ما لم تعاينوه وان الذى لم تروه ولم تعاينوه من ذلك شبيه ما رأيتم وعاينتم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يعنى تعالى ذكره ثم يبعثكم بثيركم ويوقظكم من منامكم فيه يعنى فى النهار والهاء التى فيه راجعة على النهار ليقضى أجل مسمى يقول ليقضى الله الأجل الذى سماه لحياتكم وذلك الموت فيبلغ مدته ونهايته ثم اليه مرجعكم يقول ثم الى الله معادكم ومصيركم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون يقول ثم يخبركم بما كنتم تعملون فى حياتكم الدنيا ثم يجازيكم بذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم يبعثكم فيه قال فى النهار **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ثم يبعثكم فيه فى النهار والبعث اليقظة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن الفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم يبعثكم فيه قال فى النهار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير ثم يبعثكم فيه قال يبعثكم فى المنام ليقضى أجل مسمى وذلك الموت ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليقضى أجل مسمى وهو الموت **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ليقضى أجل مسمى قال هو أجل الحياة الى الموت **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير ليقضى أجل مسمى قال مدتهم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ يقول تعالى ذكره وهو القاهر والله الغالب خلقه العالى

لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعدادهم مرة أخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق ولهذا نسوا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف وقولهم بلى فى جواب خطاب ألست بربكم اذ وقفوا على ربهم عرفوا ربوبية ربهم ولو عرفوها فى الدنيا لم يذوقوا عذاب البعد فى العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة هى الساعة التى يجتذب العبد فيها عن أوصاف البشرية بجذبات المحبة فجأة وهى قيامة أخرى لان فيها تبدل أرض البشرية غير الارض وأشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الساطع الى أيام ضاعت منه فى طلب غير الحق فيتأسف عليها ويقول أيها القانص ما أحسنت صيد الظبيات فاتك السرب وما ازددت غير الحسرات وهم يحملون أثقال التعلقات الزائدة على ظهور وجودهم فان الوجود على السالك ثقيل مانع عن السلوك فكيف ما يزيد عليه الالعب ولهو كلعب الصبيان ولهو أهل العصيان والمدار الآخرة هى السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما سواه خير للذين يتقون غير الله أفلا تعقلون أن الانسان خلق لهذا الشأن لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسى قد نعلم انه ليحزنك من ضيق نطاق البشرية أثر فى حبيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات الله لمقدراته التى قدرها ودبرها من الأزل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم فى عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة فى جعل البعض فى مظاهر اللطف والبعض بمظاهر القهر والنهى فى حقه صلى الله عليه وسلم هو نهى الامتناع عن الكينونة أى خلق فى الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما أنه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على أن ينزل آية فى كل لحظة ولحظة ولكن أكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على الصانع وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد * وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله

عليهم بقدرته لا المقهورين أوثانهم وأصنامهم المذلل المغلوب عليه لذلته ويرسل عليكم حفظة وهى ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارا يحفظون أعمالكم ويحصونها ولا يفرطون فى حفظ ذلك واحصائه ولا يضيعون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ويرسل عليكم حفظة قال هى المعقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون يقول حفظة يا ابن آدم يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك اذا توفيت ذلك قبضت الى ربك حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون يقول تعالى ذكره ان ربكم يحفظكم برسل يعقب بينها يرسلهم اليكم يحفظكم ويحفظ أعمالكم الى أن يحضركم الموت وينزل بكم أمر الله فاذا جاء ذلك أحدكم توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الارواح ورسلنا المرسلون به وهم لا يفرطون فى ذلك فيضيعونه فان قال قائل أوليس الذى يقبض الارواح ملك الموت فكيف قيل توفته رسلنا والرسل جملة وهو واحد أوليس قد قال قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم قيل جائز أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده فيتولون ذلك بأمر ملك الموت فيكون التوفى مضافا وان كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت الى ملك الموت اذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان الى السلطان وان لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وليه بيده وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم فى قوله حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال كان ابن عباس يقول لملك الموت أعوان من الملائكة حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله فى قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال سئل ابن عباس عنها فقال ان لملك الموت أعوانا من الملائكة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحسن ابن عبيد الله عن ابراهيم فى قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال أعوان ملك الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال الرسل توفى الأنفس ويذهب بها ملك الموت حدثنا هناد قال ثنا حفص عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن ابن عباس توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال الرسل توفى الأنفس ويذهب بها ملك الموت حدثنا هناد قال ثنا حفص عن الحسن بن عبيد الله عن ابن عباس توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال أعوان ملك الموت من الملائكة حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم توفته رسلنا قال هم الملائكة أعوان ملك الموت حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة توفته رسلنا قال ان ملك الموت له رسل فيرسل ويرفع ذلك اليه وقال الكلبى ان ملك الموت هو يلى ذلك فيدفعه ان كان مؤمنا الى ملائكة

تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴿القرآن﴾ أرأيتكم وبابه بتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف أريتكم وبابه غيرهم همز على الباقون أرأيتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر به انظر بضم الهاء روى الاصفهاني عن ورش

* (الوقوف) أمثالكم ط يحشرون ○ في الظلمات ط يضلله ط لابتداء شرط اخر مستقيم ○ تدعون ج لان جواب ان منتظر محذوف تقديره ان كنتم صادقين فأجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين ○ تشركون ○ يتضرعون ○ يعملون ○ كل شئ ط مبلسون ○ ظلموا ط العالمين ○ يأتيكم به ط يصدفون ○ الظالمون ○ ومنذرين ج يحزنون ○ يفسقون ○ اني ملك ج للابتداء بالنفي مع اتحاد القائل والمقول الي ط يتفكرون ○ ﴿التفسير﴾ لما بين أن انزال سائر المعجزات لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك أكده بما يؤذن ان آثار فضله فلا

الرحمة وان كان كافرا الى ملائكة العذاب **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة توفته رسلنا قال يلي قبضها الرسل ثم يدفعونها الى ملك الموت **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن ابراهيم في قوله توفته رسلنا قال يتوفاه الرسل ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس قال الثوري وأخبرني الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم قال هم أعوان لملك الموت قال الثوري وأخبرني رجل عن مجاهد قال جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن ابن عباس في قوله توفته رسلنا قال أعوان ملك الموت من الملائكة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم قال الملائكة أعوان ملك الموت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن منصور عن ابراهيم توفته رسلنا قال يتوفونه ثم يدفعونه الى ملك الموت **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه قال سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت أهو وحده الذي يقبض الارواح قال هو الذي يلي أمر الارواح وله أعوان على ذلك ألا تسمع الى قول الله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقال توفته رسلنا وهم لا يفرطون غير أن ملك الموت هو الذي يسير كل خطو منه من المشرق الى المغرب قلت أين تكون أرواح المؤمنين قال عند السدرة في الجنة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة عن مجاهد قال ما من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقد بينا أن معنى التفريط التضييع فيما مضى قبل وكذلك تأوله المتأولون في هذا الموضع **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وهم لا يفرطون يقول لا يضيعون **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وهم لا يفرطون قال لا يضيعون ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ يقول تعالى ذكره ثم رددت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم الى الله سيدهم الحق ألا له الحكم يقول ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه وهو أسرع الحاسبين يقول وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس وأحصاها وعرف مقادرها ومبالغها لانه لا يحسب بعقد يد ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك الى عبادة أوثانهم من الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه فتحيرتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة ومن ظلمات البحر اذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل

واحسانه ولطفه وامتنانه واصلة الى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين في اظهار تلك المعجزات القاهرة الملجئة لم يخل بذلك البتة وفيه أيضا مزيد تقرير لأمر البعث وانه حاصل لجميع الحيوان فضلا عن الانسان فان الحيوان اما أن يكون بحيث يدب أو يكون بحيث يطير وانما خص من الدواب ما في الارض بالذكر دون ما في السماء أو في الماء لان رعاية مصالح الأدون تستلزم رعاية مصالح الأشرف ويمكن أن

يقال ان الماء أيضا من جملة الارض لانهما جميعا كنكرة واحدة قال علماء المعانى انما وصف الدابة بكونها فى الارض والطائر بانه يطير بجناحيه ليعلم أنهما باقيان على عمومهما اذ بينهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل أن يقدر فيهما صفة نحو ترتع أو تصيد فيتخصصا أولا وهم أن المراد بهما غير الجنسين المتعارفين لقوله بعده الا أمم أمثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر فى حاجتى والمراد الاسراع قال الحماسى

* طاروا اليه زرافات ووحدانا * وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذوو الاجنحة فان المراد ذكر من هو أدون حالا وقيل ان الوصف للتأكيد كقولهم نعجة أنثى وكما يقال مشيت اليه برجلى وانما جمع الامم مع أنه أفرد الدابة والطائر لان النكرة المستغرقة فى معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم أمة وفى الحديث لولا أن الكلاب أمة من الامم لأمرت بقتلها ثم ما وجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر نقل الواحدى عن ابن عباس أنه قال يعرفونى ويوحدوننى ويسبحوننى كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن أبى الدرداء أبهمت عقول البهائم الا عن معرفة الاله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة كونها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا ويأنس بعضها ببعض ويتوالد بعضها من بعض وضعف بأن هذا أمر معلوم مشاهد لا فائدة فى الاخبار عنه وقيل هو أنه دبرها وخلقها وتكفل برزقها وأحصى أحوالها وما يجرى عليها من العمر والرزق والأجل والسعادة والشقاوة دليله قوله عقيبه ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقيل هو أنها تحشر يوم القيامة ويوصل اليها حقوقها وقد جاء فى الحديث يقتص للجماء من القرناء

فلا تهتدون له غير الله الذى مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يقول واخفاء للدعاء أحيانا واعلانا واظهارا تقولون لئن أنجيتنا من هذه يارب أى من هذه الظلمات التى نحن فيها لنكونن من الشاكرين يقول لنكونن ممن يوحدك بالشكر ويخلص لك العبادة دون من كنا نشركه معك فى عبادتك وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية يقول اذا أضل الرجل الطريق دعا الله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يقول من كرب البر والبحر القول فى تأويل قوله ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة اذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم فى البر والبحر الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم ينجيكم من عظيم النازل بكم فى البر والبحر من هم الضلال وخوف الهلاك ومن كل كرب سوى ذلك وهم لا آلهتكم التى تشركون بها فى عبادته ولا أوثانكم التى تعبدونها من دونه التى لا تقدر لكم على نفع ولا ضر ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ودفع الحال بكم من جسيم الهم تعدلون به آلهتكم وأصنامكم فتشركونها فى عبادتكم اياه وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم وكفر لأياديه عندكم وتعرض منكم لانزال عقوبته عاجلا بكم القول فى تأويل قوله ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الاصنام والاوثان يا محمد ان الذى ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثم تعودون للاشراك به هو القادر على أن يرسل عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم لشركتكم به وادعائكم معه الها آخر غيره وكفرانكم نعمه مع اسباغه عليكم آلاءه ومننه وقد اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الذى توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم فقال بعضهم أما العذاب الذى توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم فالرجم وأما الذى توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم فالخسف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال الخسف حدثنا سفيان قال ثنا يحيى بن آدم عن الاشجعى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك وسعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال الخسف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم فعذاب السماء أو من تحت أرجلكم فيخسف بكم الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

ولكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفيان بن عيينة ما فى الارض من آدمى الا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعال الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير لو ألقى اليه الطعام الطيب تركه واذا قام عن رجيعه لعب فيه وكذلك نجد من الآدميين من يسمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة وان أخطأت مرة واحدة حفظها ولم يجلس مجلسا الا زاد فيه واعلم يا أخى أنك تعاشر البهائم والسباع فبالغ فى الحذر والاحتراز وذهب أهل التناسخ

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أومن تحت أرجلكم قال كان ابن مسعود يصيح وهو فى المجلس أوعلى المنبر ألا أيها الناس انه نزل بكم ان الله يقول قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا أومن تحت أرجلكم لو خسف بكم الارض أهلككم ولم يبق منكم أحدا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ألا انه نزل بكم أسوأ الثلاث * وقال آخرون عنى بالعذاب من فوقكم أئمة السوء أومن تحت أرجلكم الخدم وسفلة الناس ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت خلادا يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول ان ابن عباس كان يقول فى هذه قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أومن تحت أرجلكم فأما العذاب من فوقكم فائمة السوء وأما العذاب من تحت أرجلكم فخدم السوء **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعنى من أمرائكم أومن تحت أرجلكم يعنى سفلتكم * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى قول من قال عنى بالعذاب من فوقهم الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤسهم ومن تحت أرجلهم الخسف وما أشبهه وذلك أن المعروف فى كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك دون غيره وان كان لما روى عن ابن عباس فى ذلك وجه صحيح غير أن الكلام اذا تنوزع فى تأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره مام تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ يقول تعالى ذكره أو يخلطكم شيعا فرقا واحدتها شيعة وأما قوله يلبسكم فهو من قولك لبست عليه الامر اذا خلطت فأنا ألبسه وانما قلت ان ذلك كذلك لانه لا خلاف بين القراء فى ذلك بكسر الباء ففى ذلك دليل بين على أنه من لبس يلبس وذلك هو معنى الخلط وانما عنى بذلك أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابا مفترقة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يلبسكم شيعا الأهواء المفترقة **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو يلبسكم شيعا قال يفرق بينكم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يلبسكم شيعا قال ما كان منكم من التفرق والاختلاف **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يلبسكم شيعا قال الذى فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك دماء بعضهم بعضا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعا قال الاهواء والاختلاف **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو يلبسكم شيعا يعنى بالشيع الاهواء المختلفة وأما قوله ويذيق بعضكم بأس بعض فانه يعنى يقتل بعضكم بيد بعض والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح فيقتله

الى أن الارواح البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالأخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى أبدان الملوك وربما قالوا انها تصل الى مخالطة عالم الملائكة وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى أبدان الحيوانات وكلما كانت أكثر شقاء فانها تنتقل الى بدن حيوان أخس وأكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضى حصول المساواة فى جميع الصفات الذاتية ثم زعموا أن الله تعالى أرسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها لقوله وان من أمة الا خلا فيها نذير واستشهدوا بقصة النمل وحديث الهدهد ونحو ذلك وفى تعداد مذاهب أرباب التناسخ طول والله تعالى أعلم بحقيقة الحال

(ما فرطنا فى الكتاب من شئ) من مزيدة للاستغراق أى ما تركنا وما أغفلنا شيأ قط وقيل للتبعيض أى ما أهملنا فيه بعض شئ يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع أحوال العالم على التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذى تسبق اليه الاذهان فيما بين أهل الايمان وأورد عليه أنه ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا حاصل مذاهب الناس ودلائلهم فى علم الاصول والفروع وأجيب بأن لفظ التفريط لا يستعمل الا فيما يجب أن يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التى لا تضبط ولا تتناهى ومامن علم الا وفى القرآن أصله ومنه شرفه وفضله كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين للطب وقوله وهو أسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين للاخلاق وأما تفاصيل علم الفروع فذكر العلماء أن السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل به براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لابد فيه من دليل منفصل وكل حكم لم يكن مذكورا فى القرآن بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام لم يكن ذلك تكليفا أو يكون باقيا على أصل الاباحة والله تعالى أعلم أما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول قول الاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب والطيور لا لأن ايصال العوض اليهن واجب بل مجرد الارادة والمشيئة ومقتضى الالهية الثانى قول المعتزلة لئن يحشر الطيور

والبهائم الا ايصال الاعواض اليها لان ايصال الآلام اليها من غير سبق جناية لا يحسن الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الآلام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره في الآخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا أن السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك * فرع آخر كل حيوان أذن الله تعالى في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي أذن في قتله في كونه مؤذيا أو الم به مرض أو سخره للانسان لاجل حمل الاثقال وأما اذا ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير مأكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير مأكله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت أنه لا سبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به * فرع آخر مذهب القاضي وأكثر المعتزلة أن العوض منقطع وبعد ذلك تصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال أبو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب الالم وذلك الالم يوجب عوضا آخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له وأجيب بالمنع من أن الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام * فرع آخر البهيمة اذا استحقت عوضا على بهيمة أخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه تعالى يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى يتكفل بذلك العوض وهذا القدر يكفي في أحكام الاعواض بحسب المقام وهو سبحانه أعلم ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما ينادي على عظمته ويشهد لربوبيته

به قد أذاق فلانا الموت وأذاقه بأسه وأصل ذلك من ذوق الطعام وهو يطعمه ثم استعمل ذلك في كل ما وصل الى الرجل من لذة وحلاوة أو مرارة ومكروه وألم وقد بينت معنى البأس في كلام العرب فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي و يذيق بعضكم بأس بعض بالسيوف حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد عن أبي هرون العبدي عن نوف البكالي أنه قال في قوله و يذيق بعضكم بأس بعض قال هي والله الرجال في أيديهم الحراب يطعنون في خواصركم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس و يذيق بعضكم بأس بعض قال يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عذاب هذه الامة أهل الاقرار بالسيف أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض وعذاب أهل التكذيب الصيحة والزلزلة ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عيسى الدامغاني قال أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال فهن أربع وكلهن عذاب فجاء منهن اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض و بقيت اثنتان فهما لابد واقعتان يعني الخسف والمسخ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد صلى الله عليه وسلم وأعفاكم منه أو يلبسكم شيعا قال ما كان فيكم من الفتن والاختلاف حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا الآية ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات يوم الصبح فأطالها فقال له بعض أهله يا نبي الله لقد صليت صلاة ما كنت تصليها قال انها صلاة رغبة ورهبة واني سألت ربي فيها ثلاثا سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فيهلكهم فاعطانيها وسألته أن لا يسلط على أمتي السنة فأعطانيها وسألته أن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله حدثنا أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع الرازي قالا ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابرا يقول لما أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض قال هاتان أيسر أو أهون حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم

و ينبه على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون كلام الله البتة و بكم لا ينطقون بالحق خابطون في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة السكوك وظلمة الحيرة والضلالة ثم بين أن الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئته وارادته وتسخيره وتدبيره فقال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم والحمد لله أول الآية بأن المراد انهم كذلك في الآخرة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و بكما وصما أو انهم شبهوا بمن حاله كذا أو هو محمول على الشتم والاهانة وأما قوله من يشأ الله يضلله أي عن طريق

الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما أنه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين أو المراد بالاضلال منع الألطاف لانهم ليسوا من أهلها وبالهداية منحها لانهم من أهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وأنهم مع جحودهم يفزعون الى الله في الليات فقال قل أرأيتكم هو منقول من رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت كأنه قيل أبصرته وشاهدت حاله العجيبة أو أعرفتها أخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة بشيء فهذا من باب ايقاع السبب على المسبب

لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة أو العرفان أما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتأنيث وتختلف هذه المعاني على الكاف نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم أرأيتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف خطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار وامامرفوعة وليست الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع أيضا لان التاء فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه أحدها أن هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين نحو أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض أرأيت نفسك بل أرأيت غيرك ولذلك قلت أرأيتك زيدا وزيد غير المخاطب ولا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على أنه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتانيث في التاء نحو أرأيتما كما وأرأيتموكم وأرأيتموكن وقد ذهب الفراء الى أنه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريف التاء فأما مفعولا أرأيت في الآية فقيل هما محذوفان تقديره أرأيتكم عبادتكم الاصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله أغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصلا معنى المفعول وأما جواب الشرط فمادل عليه الاستفهام في قوله أغير الله تقديره أرأيتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار أرأيتكم ان أتاكم العذاب في الدنيا أو عند قيام الساعة أتخصون آلهتكم بالدعوة أم تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعونه الى كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا تكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني أستجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا ولو علقت المشيئة

عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال نعوذ بك نعوذ بك أو يلبسكم شيعا قال هو أهون

حدثني زياد بن عبيد الله المزني قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري قال ثنا أبو مالك قال ثنى نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال قد كانت صلاة رغبة ورهبة فسألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين وبقي واحدة سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله زوى لي الارض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها واني أعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي أن لا يهلك قومي بسنة عامة وأن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ولا أسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني أخاف على أمتي الائمة المضلين فاذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم الى يوم القيامة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا أخاف على أمتي الا الائمة المضلين **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن الزهري قال راقب خباب بن الارت وكان بدريا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي حتى اذا فرغ وكان في الصبح قال له يا رسول الله لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها قال أجل انها صلاة رغب ورهب سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الامم فأعطانيها وسألته أن لا يسلط علينا عدوا فأعطانيها وسألته أن لا يلبسنا شيعا فمنعنيها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله أو يلبسكم شيعا قال راقب خباب بن الارت وكان بدريا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال ثلاث خصلات **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا قال هذه أهون **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي أربعا فأعطيت ثلاثا ومنعت واحدة سألته

بكشف العذاب فى الدنيا كان قوله ادعونى أستجب أيضا مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونها لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع ويجوز أن يراد لا تذكرون الاصنام فى ذلك الوقت لان أذهانكم مغمورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون عبادتها وفيه أن مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض التقليد ثم سلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن أعلمه أنه قد أرسل قبله الى أقوام بلغوا فى القسوة الى أن

سألته أن لا يسلط على أمتى عدوا من غيرهم يستبيح بيضتهم ولا يسلط عليهم جوعا ولا يجمعهم على ضلالة فأعطيتهن وسألته أن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فنعت حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سألت ربى خصالا فأعطانى ثلاثا ومنعنى واحدة سألته أن لا تكفر أمتى صفقة واحدة فأعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الامم من قبلهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية قوله ويذيق بعضكم بأس بعض قال الحسن ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يشهده عليهم انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولا يلبس أمته شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض كما أذاق بنى اسرائيل فهبط اليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك سألت ربك أربعا فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم فانهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها وردت كتاب ربها ولكنهم يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وهذان عذابان لاهل الاقرار بالكتاب والتصديق بالانبياء ولكن يعذبون بذنوبهم وأوحى اليه فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون يقول من أمتك أو نرينك الذى وعدناهم من العذاب وأنت حى فانا عليهم مقتدرون فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم فراجع ربه فقال أى مصيبة أشد من أن أرى أمتى يعذب بعضها بعضا وأوحى اليه ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فأعلمه أن أمته لم تخص دون الامم بالفتن وأنها ستبتلى كما ابتليت الامم ثم أنزل عليه قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين فتعوذ نبى الله فأعاذه الله لم يرمن أمته الا الجماعة والالفة والطاعة ثم أنزل عليه آية حذر فيها أصحابه الفتنة فأخبره أنه انما يخص بها ناسا منهم دون ناس فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب فخص بها أقواما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده وعصم بها أقواما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال لما جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يكون فى أمته من الفرقة والاختلاف فشق ذلك عليه ثم دعا فقال اللهم أظهر عليهم أفضلهم تقية حدثنى المثنى قال ثنا أبو الاسود قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبى الزبير قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من ذلك قال أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بالله من ذلك قال أو يلبسكم شيعا قال هذه أيسر ولم يستعذه لأعاذه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا المؤمل البصرى قال أخبرنا يعقوب ابن اسمعيل بن يسار المدينى قال ثنا زيد بن أسلم قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم

أخذوا بالشدة فى أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا وأصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله فى الشدائد ويحتمل أن يقال ان حكم الطائفتين واحد لان التضرع واللجأ الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفى الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك رسلا فخالفوهم فأخذناهم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء والضراء البؤس والضر أو البأساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا بالعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون وأصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة فهو ضارع أى ذليل ضعيف احتج الجبائى بالآية على أنه تعالى انما أرسل الرسل اليهم وسلط هذه البأساء والضراء عليهم ارادة أن يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل وأجيب بأن الترجى فى حقه تعالى محال فانهم يحملونه على الارادة ونحن نحمله على أنه تعالى يعاملهم معاملة المترجى فى الترجيح على أن الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفرضونه لا بد أن ينتهى الى خلق الله وتكوينه أما قوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فمعناه نفى التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين أنه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من الباساء والضراء الى الراحة والرخاء ففتح أبواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه أخرى ومعنى كل شئ أى كل شئ كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما أوتوا أى ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفها أخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال

صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله تعالى يعطى العاصى فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما أخذوا فى حال الراحة والرخاء ليكون أشد لتحسرهم على مافات من السلامة والعطاء فاذاهم مبلسون آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذى انقطع رجاؤه ويقال للذى سكت عندا نقطاع حجته قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا ههنا للمفاجأة وهى ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل فى اذا فقطع دابر القوم الدابر للشئ من خلفه كالولد للوالد دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان آخرهم أبو عبيدة دابر القوم آخرهم الذى يدبرهم الاصمعى الدابر الاصل قطع الله دابره أى أصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على أن لم يترك منهم أحدا واستأصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على أولئك الرسل أو على أولئك الهالكين كيلا يزيدوا كفرا وعنادا فيزدادوا عذابا وعقابا أو حمد على ما أنعم عليهم قبل ذلك وهو أن كلفهم وأزال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل وأخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى الآلاء والنعماء الا أنهم لم يزدادوا الا انهماكا فى الغى والضلال فطهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة آلاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل أرأيتم ان أخذ الله وتقرير ذلك أن أشرف أعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها فى أوائل الكتاب ولا ريب أن القادر على تحصيل قواها فيه وصرفها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى أخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع أو الاماتة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به أى بذلك الذى أخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة القادر بناء على أن الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم أن يكون لذى عقل ولو فرضا والأحسن أن يقال انه ذكر أشياء متعددة فوجب أن يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم أنه أراد المذكور مطلقا فتعين أن يشار اليه بذلك ثم انه أقام الضمير المذكور مقامه أو يعود الى ما أخذ وختم عليه وصح من غير التكلف المذكور بحكم التغليب أنظر يا محمد أو كل من له أهلية النظر كيف نصرف

عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف فقالوا ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله قال نعم فقال بعض الناس لا يكون هذا أبدا فأنزل الله أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون وقال آخرون عنى ببعضها أهل الشرك وببعضها أهل الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن هرون بن موسى عن حفص بن سليمان عن الحسن فى قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال هذا للمشركين أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا للمسلمين * والصواب من القول عندى أن يقال ان الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الاوثان واياهم خاطب بها لأنها بين اخبار عنهم وخطاب لهم وذلك أنها تتلو قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ويتلوها قوله وكذب به قومك وهو الحق وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين فاذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين كان بينا أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله اياه بالشرك وتأخر الخبر عنه بالتكذيب لا لمن لم يجر له ذكر غير أن ذلك وان كان كذلك فانه قد عم وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها وأما الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة فجائز أن هذه الآية نزلت فى ذلك الوقت وعيد لمن ذكرت من المشركين ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الامم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم اياه هذه العقوبات فأعاذهم بدعائه اياه ورغبته اليه من المعاصى التى يستحقون بها من هذه الخلال الاربع من العقوبات أغلظها ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها وأما الذين تأولوا أنه عنى بجميع ما فى هذه الآية هذه الامة فانى أراهم تأولوا أن فى هذه الامة من سيأتى من معاصى الله وركوب ما سخط الله نحو الذى ركب من قبلهم من الامم السالفة من خلافه والكفر به فيحل بهم مثل الذى حل بمن قبلهم من المثلات والنقمات وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله جاء منهن اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة وبقيت اثنتان الخسف والمسخ وذلك أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون فى هذه الامة خسف ومسخ وقذف وان قوما من أمته سيبيتون على لهو ولعب ثم يصبحون قردة وخنازير وذلك اذا كان فلا شك أنه نظير الذى فى الامم الذين عتوا على ربهم فى التكذيب وجحدوا آياته وقد روى نحو الذى روى عن أبى العالية عن أبى حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا سفيان قال أخبرنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قل هو

القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال أربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة فمضت اثنتان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض واثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم ۞ القول في تأويل قوله ﴿أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا الحجج على هؤلاء المكذبين بربهم الجاحدين نعمه وتصريفنا إياها فيهم لعلهم يفقهون يقول ليفقهوا ذلك ويعتبروه فيذكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم من عبادة الأوثان والأصنام والتكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وكذب يا محمد قومك بما تقول وتخبرهم وتوعدهم من الوعيد وهو الحق يقول والوعيد الذي أوعدناهم على مقامهم على شركهم من بعث العذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو يلبسهم شيعا وإذاقة بعضهم بأس بعض الحق الذي لا شك فيه أنه واقع إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به إلى طاعة الله والإيمان به قل لست عليكم بوكيل يقول قل لهم يا محمد لست عليكم بحفيظ ولا رقيب وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم لكل نبأ مستقر يقول لكل خبر مستقر يعني قرار يستقر عنده وينتهي إليه فيتبين حقه وصدقه من كذبه وباطله وسوف تعلمون يقول وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم أيها المشركون وحقيقته عند حلول عذابه بكم فرأوا ذلك وعاينوه فقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه من المؤمنين وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكذب به قومك وهو الحق يقول كذبت قريش بالقرآن وهو الحق وأما الوكيل فالحفيظ وأما لكل نبأ مستقر فكان نبأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يعدهم من العذاب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لكل نبأ مستقر لكل نبأ حقيقة أما في الدنيا وأما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فسوف ترونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله لكل نبأ مستقر يقول حقيقة حدثني محمد بن سعد قال ثنا أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون يقول فعل وحقيقة ما كان منه في الدنيا وما كان منه في الآخرة وكان الحسن يتأول في ذلك أنه الفتنة التي كانت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد ابن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حيان عن الحسن أنه قرأ لكل نبأ مستقر قال حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها أرسلت عقوبتها ۞ القول في تأويل قوله ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان

العذاب الا الله سبحانه فوجب أن لا يكون معبودا الا هو ثم العذاب المفروض اما أن يجيء من غير سبق أمارة تدل على ذلك وهو البغتة وأكثر ما يكون ذلك بالليل أو مع سبق أمارة وهو الجهرة وأكثره بالنهار ولهذا قال الحسن معناه ليلا أو نهارا أما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون أي لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه أن الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا أنهم يستفيدون بذلك ثوابا جزيلا فهو لهم بلاء في الظاهر وآلاء في الحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والآخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان أمر المؤمن خير كله ان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان أصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم أنه ذكر ههنا أرأيتكم مرتين فزاد خطابا واحدا لان عذاب الاستئصال ما عليه من مزيد فناسب زيادة الخطاب لاجل التأكيد وفيما بينهما قال أرأيتم حيث لم يكن كذلك وكذلك في يونس ثم ذكر أن الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الآيات وانزال المعجزات التي اقترحوها في قوله وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصي فمن قبل قولهم وأتى بالايمان الذي هو من أفعال القلب والعمل الصالح الذي هو من أفعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال في الكشاف جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام وفيه نظر لان المس ليس من خواص الاحياء نعم انه من خواص الاجسام فلو ادعيت المبالغة

من هذا الوجه لم يكن بعيدا قال القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا وأقول هذا من باب ايهام العكس ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينفي عن نفسه أمورا ثلاثة فقال (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) وهي جمع خزانة للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الأيدي (ولا أعلم الغيب) قال في الكشاف محله النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول أي لا أقول لكم ذلك ولا هذا قلت ويحتمل أن يكون عطفا على لا أقول أي قل لا أعلم الغيب فيكون فيه دلالة على أن الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وأنه لا يستقل بايجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل أي لا أدعي سوى النبوة والرسالة ولا أدعي الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف سورة هود حيث قال ولا أقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في الآية دلالة على أن الملك أفضل اذ المراد لا أدعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب أن ذلك يدل على أن الملك أفضل وان كان المراد نفي قدرته عن أفعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على أفضلية الملائكة (ان أتبع الا ما يوحى الي) قيل هذا النص يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يحكم من تلقاء نفسه بالاجتهاد في شيء من الاحكام ابن ولا يجوز لأحد من أمته أن يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس وأكد هذا الحكم بقوله (قل هل يستوي الاعمى والبصير) وذلك أن العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال (أفلا تتفكرون) تنبيها على أنه يجب على العاقل أن يعرف الفرق بين هذين وأجيب بأن أصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلالة والآية مثل للضال

فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رأيت يا محمد المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها اليك ووحينا الذي أوحيناه اليك وخوضهم فيها كان استهزاءهم بها وسبهم من أنزلها وتكلم بها وتكذيبهم بها فأعرض عنهم يقول فصد عنهم بوجهك وقم عنهم ولا تجلس معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يقول حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم وإما ينسينك الشيطان يقول وان أنساك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم والاعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك فقم عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قال نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها فان نسي فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك وسعيد ابن جبير في قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال الذين يكذبون بآياتنا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال كان المشركون اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فسبوه واستهزؤا به فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما قوله وإما ينسينك الشيطان يقول نسيت فتقعد معهم فاذا ذكرت فقم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يخوضون في آياتنا قال يكذبون بآياتنا حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن ليث عن أبي جعفر قال لا تجالسوا أهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في آيات الله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وقوله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال يستهزؤن بها قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم الا أن ينسى فاذا ذكر فليقم فذلك قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال

والمهتدى أولمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين كالعميان أوفتعلموا أنى ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى أعلم وأحكم ۞ التأويل ومامن دابة تدب فى أرض البشرية وتتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا أمم أمثالكم فى السؤال عن أقوالهم وأحوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا مافرطنا ماتركنا فى القرآن من شئ يحتاج اليه الانسان ظاهره وباطنه ذاته وصفاته فى السير الى الله من الاوامر والنواهى والندب والآداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية أو هناك بالسلاسل والاغلال يسحبون فى النار فى نار القطيعة على وجوههم لان من شأنهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بآياتنا بدلائلنا الموصلة الى ناصم آذان قلوبهم عن استماع الحق بكم ألسنة أحوالهم عن اجابة دعوة الحق فى ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعه الى ربه مركوز فى روحانيته ولقد أرسلنا الى أمم أى أرسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فأرسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة ندعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالبأساء والضراء التى هى موجبة للالجاء فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا وعلموا أن حقائق ألطافنا مدرجة فى دقائق صور قهرنا وتحققوا أن درر محبتنا مستودعة فى أصداف شدائد بأسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع فى الدعاء فلما نسوا بسبب القساوة ماذكروا به من معارضة البأساء والضراء فانها تذكر أيام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وتؤدى الى رؤية المنعم فتحنا عليهم أبواب كل شئ من البلاء فى صورة النعماء لارباب الظاهر بالنعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وأمثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب وأشباهها حتى اذا فرحوا بما أوتوا وظنوا أنهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته فشرعوا فى الطلب على وفق هواهم أخذناهم بغتة بفقد الاحوال والاشتغال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون فى تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لاربابه والقهر لأصحابه ليعلم أن الكل بقدر كما قال قل أرأيتم الآية الا القوم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم بصرف استعداد عبودية المولى فى عبادة الهوى فأما من ابتلى بعذاب الله من الآفات والمخافات

ابن جريج كان المشركون يجلسون الى النبى صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه فاذا سمعوا استهزؤا فنزلت واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا قال يكذبون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدالله عن اسرائيل عن السدى عن ابى مالك قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره يعنى المشركين وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ان نسيت فذكرت فلا تجلس معهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ومن اتقى الله فخافه فأطاعه فيما أمره به واجتنب ما نهاه عنه فليس عليه بترك الاعراض عن هؤلاء الخائضين فى آيات الله فى حال خوضهم فى آيات الله شئ من تبعة فيما بينه وبين الله اذا لم يكن تركه الاعراض عنهم رضا بما هم فيه وكان لله بحقوقه متقيا ولا عليه من اثمهم بذلك حرج ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون يقول ليتقوا ومعنى الذكرى الذكر (١) والذكر والذكرى بمعنى وقد يجوز أن يكون ذكرى فى موضع نصب ورفع فأما النصب فعلى ما وصفت من تأويل ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى وأما الرفع فعلى تأويل وما على الذين يتقون من حسابهم شئ بترك الاعراض ولكن اعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون وقد ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أمر بالقيام عن المشركين اذا خاضوا فى آيات الله لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه فقال الله له اذا خاضوا فى آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ويتركوا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كان المشركون يجلسون الى النبى صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه فاذا سمعوا استهزؤا فنزلت واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الآية قال فجعل اذا استهزؤا قام فحذروا وقالوا لا تستهزؤا فيقوم فذلك قوله لعلهم يتقون أن يخوضوا فيقوم ونزل وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ان قعدوا معهم ولكن لا تقعدوا ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم فنسخ قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ الآية حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ يقول من حساب الكفار من شئ ولكن ذكرى يقول اذا ذكرت فقم لعلهم يتقون مساءتكم اذا رأوكم لا تجالسونهم استحيوا منكم فكفوا عنكم ثم نسخها الله بعد فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا قال وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها الآية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ان قعدوا ولكن لا تقعد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا

---

(١) هذا تكرار لما قبله فلعلهما نسختان جمع بينهما تأمل كتبه مصححه

والامراض ونحوها ابتلاء فتاب ورجع فهو غيرها لك على الحقيقة قل لا أقول لكم يقل ليس عندى خزائن الله ليعلم أن خزائن الله وهى العلم بحقائق الاشياء وماهياتها عنده باراءة سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم وباستجابة دعائه فى قوله أرنا الاشياء كما هى ولكنه يكلم الناس على قدر عقولهم ولا أعلم الغيب أى لا أقول لكم هذا مع أنه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وآله فى قصة ليلة المعراج نظرت خلفى نظرة علمت ما كان وما سيكون ولا أقول لكم انى ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبريل تقدم فقال لو دنوت أنملة لاحترقت ان أتبع الا ما يوحى الى أن أخبرهم وقل معهم قل هل يستوى الاعمى والبصير فلا يستوى مع الاعمى كلام البصير فكيف أخبركم عما أعمى الله بصائركم عنه وأنا به بصير * قوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) ﴿ القراآت بالغدوة مضموم الغين ساكن الدال مفتوح الواو وكذا فى الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف أنه بالفتح فانه بالكسر أبو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين

ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى قال وما عليك أن يخوضوا فى آيات الله اذا فعلت ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم اياه لعبا ولهوا فجعلوا حظوظهم من طاعتهم اياه اللعب بآياته واللهو والاستهزاء بها اذا سمعوها وتليت عليهم فأعرض عنهم فانى لهم بالمرصاد وانى لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ونسيانهم المعاد الى الله تعالى والمصير اليه بعد الممات كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا قال كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموه وكذلك قال عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا همام ابن يحيى عن قتادة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ثم أنزل فى سورة براءة فأمر بقتالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن قال قرأت على ابن أبى عروبة فقال هكذا سمعته من قتادة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ثم أنزل الله تعالى ذكره براءة وأمر بقتالهم فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأما قوله وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت فانه يعنى به وذكر يا محمد بهذا القرآن هؤلاء المولين عنك وعنه أن تبسل نفس بعنى أن لا تبسل كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بعنى أن لا تضلوا وانما معنى الكلام وذكر به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق فلا تبسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار ولكن حذفت لان الدلالة الكلام عليها * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أن تبسل نفس فقال بعضهم معنى ذلك أن تسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة قوله أن تبسل نفس بما كسبت قال تسلم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن أن تبسل نفس قال أن تسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره أن تبسل قال تسلم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تبسل نفس قال تسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد أولئك الذين أبسلوا أسلموا * وقال آخرون بل معنى ذلك تحبس ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن تبسل نفس قال تؤخذ فتحبس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن تبسل

بياء الغيبة زيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب أبو جعفر ونافع وزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وأبو جعفر ونافع وعاصم الباقون يقضى الحق ۞ الوقوف يتقون ○ وجهه ط الظالمين ○ من بيننا ط الشاكرين ○ الرحمة ط لمن قرأ انه بكسر الالف رحيم ○ المجرمين ○ من دون الله ط أهواءكم لا لتعيين اذا بما قبله أى قد ضللت اذا اتبعت المهتدين ○ وكذبتم به ط تستعجلون به ط (١٥١) لله ط الفاصلين ○ وبينكم ط بالظالمين ○ الاهو ط والبحر ط مبين ○ مسمى ط لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تعملون ○

۞ التفسير لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال له (وأنذر به) قال ابن عباس والزجاج أى بالقرآن وهو المذكور هنا فى قوله ان أتبع الا ما يوحى الىّ وقال الضحاك أى بالله قيل والاول أولى لأن الانذار والتخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لأن الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا لقوله وأنذرهم يوم الآزفة فأنذرتكم نارا تلظى ولو زعم أن المراد وأنذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا فقد رمثله ههنا والمعنى أنذرهم العذاب بقول نبئ عن شدة سخط الله وعقوبته أما (الذين يخافون أن يحشروا) فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الانذار فأمر أن ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون أنهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بأن الخوف شامل للناس كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر أن الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد أن يخاف الحشر سواء كان جازما به أو شاكا فيه وأيضا انه مأمور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى اليه لعلهم يدخلون فى زمرة أهل التقوى من المسلمين وقيل هم أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الحشر بهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة أما قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة فى موضع الحال من ضمير

تبسل نفس بما كسبت أن تؤخذ نفس بما كسبت * وقال آخرون معناه تفضح ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت يقول تفضح * وقال آخرون معناه أن تجزى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد قال قال الكلبى أن تبسل أن تجزى وأصل الابسال التحريم يقال منه أبسلت المكان اذا حرمته فلم تقربه ومنه قول الشاعر

بكرت تلومك بعد وهن فى الندى * بسل عليك ملامتى وعتابى

أى حرام ومنه قولهم (١) وعتابى أسد آسد يراد به لا يقرب به شئ فكأنه قد حرم نفسه ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يتحامى لشدته ويقال أعط الراقى بسيلته يراد بذلك أجرته وشراب بسيل بمعنى مترول وكذلك المبسل بالجريرة وهو المرتهن بها قيل له مبسل لانه محرم من كل شئ الا مما رهن فيه وأسلم به ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابى

وإبسالى بنى بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق

(وقال الشنفرى)

هنالك لا أرجو حياة تسرنى * سميرا لليالى مبسلا بالجرائر

فتأويل الكلام اذا وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون فى آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين كيلا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها وترتهن فتغلق بما كسبت من اجرامها فى عذاب الله ليس لها من دون الله يقول ليس لها حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها أحد ينصرها فينقذها من الله الذى جازاها بذنوبها جزاءها ولا شفيع يشفع لها لوسيلة له عنده ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ يقول تعالى ذكره وان تعدل النفس التى أبسلت بما كسبت يعنى وان تعدل كل عدل يعنى كل فداء يقال منه عدل يعدل اذا فدى عدلا ومنه قول الله تعالى ذكره أو عدل ذلك صياما وهو ما عادله من غير نوعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها قال لو جاءت بملء الارض ذهبا لم يقبل منها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها فما يعدلها لو جاءت بملء الارض ذهبا لتفتدى به ما قبل منها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها قال وان تعدل وان تفتد يكون له الدنيا وما فيها يفتدى بها لا يؤخذ منه عدلا عن نفسه لا يقبل منه وقد تأول ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى وان تقسط كل قسط لا يقبل منها وقال انها التوبة فى الحياة وليس لما قال من ذلك معنى وذلك أن كل تائب فى الدنيا فان الله تعالى يقبل توبته ۞ القول

---

(١) كذا فى الاصل ولعله وعتابى أسد باسل يراد به الخ تأمل كتبه مصححه

يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها تكون بالحقيقة من الله تعالى فصح أنه ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ولا بد من هذه الحال لأن الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا أن لا ناصر ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا وشفيعا لزم أن لا يكون ناصرا أصلا (لعلهم يتقون) قال ابن عباس لكى يخافوا فى الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصى قالت المعتزلة فيه دلالة على أنه أراد من الكفار التقوى والطاعة وأجيب بأن الترجى راجع الى العباد ولما أمر بانذار عموم المكلفين ليتقوا أردفهم بذكر المتقين وأمر بتقريبهم واكرامهم روى عن ابن مسعود أن الملأ من قريش مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء أترى أن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فأقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا فى ايمانهم وروى أن عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم انهم قالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات أثنى الله عليهم بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشى قال ابن عباس من والحسن ومجاهد أى يصلون صلاة الصبح والعصر وقيل أى يذكرون ربهم طرفى النهار والمراد بالغداة والعشى الدوام والغداة لغة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والعشى ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهرى غدوة بالتنوين نكرة وبدونه معرفة غير مصروفة كسحر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال أو على الاستئناف كأنه قيل ما أرادوا بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله

فى تأويل قوله ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره وهؤلاء الذين ان فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كل فداء لم يؤخذ منهم هم الذين أبسلوا بما كسبوا يقول أسلموا لعذاب الله فرهنوا به جزاء بما كسبوا فى الدنيا من الآثام والأوزار لهم شراب من حميم والحميم هو الحار فى كلام العرب وانما هو محموم صرف الى فعيل ومنه قيل للحمام حمام لاسخانة الجسم ومنه قول مرقش

فى كل ممسى لها مقطرة * فيها كباء معد وحميم

يعنى بذلك ماء حارا ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى فى صفة فرس

تأبى بدرتها اذا ما استضغبت * الا الحميم فانه يتبضع

يعنى بالحميم عرق الفرس وانما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية شرابا من حميم لان الحار من الماء لا يروى من عطش فأخبر أنهم اذا عطشوا فى جهنم لم يغاثوا بماء يروى بهم ولكن بما يزيدون به عطشا على ما بهم من العطش وعذاب أليم يقول ولهم أيضا مع الشراب الحميم من الله العذاب الاليم والهوان المقيم بما كانوا يكفرون يقول بما كان من كفرهم فى الدنيا بالله وانكارهم توحيده وعبادتهم معه آلهة دونه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا قال يقول أسلموا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أولئك الذين أبسلوا قال فضحوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا قال أخذوا بما كسبوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا﴾ وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حجته على مشركى قومه من عبدة الأوثان يقول له تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأندادوالآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الاصنام معهم أندعو من دون الله حجرا أو خشبا لا يقدر على نفعنا أو ضرنا فنخصه بالعبادة دون الله وندع عبادة الذى بيده الضر والنفع والحياة والموت ان كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضره أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره ونرد على أعقابنا يقول ونرد الى أدبارنا فنرجع القهقرى خلفنا لم نظفر بحاجتنا وقد بينا معنى الرد على العقب وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها رد على عقبيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وانما يراد به فى هذا الموضع ونرد من الاسلام الى الكفر بعد اذ هدانا الله فوفقنا له فيكون مثلنا فى ذلك مثل الرجل الذى استتبعه الشيطان يهوى فى الارض حيران وقوله استهوته استفعلته من قول القائل هوى فلان الى كذا يهوى اليه ومن قول الله تعالى ذكره فاجعل أفئدة

تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشئ أو حقيقته كما يقال هذا وجه الرأى وذاك وجه الدليل وأيضا المحبة تستلزم طلب رؤية الوجه فلهذا السبب جعل الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضائم علل النهى بقوله (ماعليك من حسابهم من شئ) قيل الضمير عائد الى المشركين أى لا تؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى أن تطرد المؤمنين والاولى أن يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما فى قصة نوح ان حسابهم الا على ربى وذلك أنهم طعنوا

من الناس تهوى اليهم يعنى تنزع اليهم وتريدهم وأما حيران فانه فعلان من قول القائل قد حار فلان فى الطريق فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة وذلك اذا ضل فلم يهتد للمحجة له أصحاب يدعونه الى الهدى يقول لهذا الحيران الذى قد استهوته الشياطين فى الارض أصحاب على المحجة واستقامة السبيل يدعونه الى المحجة لطريق الهدى الذى هم عليه يقولون له ائتنا وترك اجراء حيران لانه فعلان وكل اسم كان على فعلان مما أنثاه فعلى فانه لا يجرى فى كلام العرب فى معرفة ولا نكرة وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد ايمانه فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه فى حال اسلامه المقيمون على الدين الحق يدعونه الى الهدى الذى هم عليه مقيمون والصواب الذى هم به متمسكون وهوله مفارق وعنه زائل يقولون له ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى وهو يأبى ذلك ويتبع دواعى الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان ومثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل وخالف فى ذلك جماعة ذكر من قال فى ذلك مثل ماقلنا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قال قال المشركون للمؤمنين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ذكره قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا هذه الآلهة ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله فيكون مثلنا كمثل الذى استهوته الشياطين فى الارض يقول مثلكم ان كفرتم بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته فى الارض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ومحمد الذى يدعو الى الطريق والطريق هو الاسلام **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا قال هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو اليها وللدعاة الذين يدعون الى الله كمثل رجل ضل عن الطريق اذ ناداه مناد يا فلان بن فلان هلم الى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم الى الطريق فان اتبع الداعى الاول انطلق به حتى يلقيه فى الهلكة وان أجاب من يدعوه الى الهدى اهتدى الى الطريق وهذه الداعية التى تدعو فى البرية من الغيلان يقول مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله فانه يرى انه فى شئ حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة وقوله كالذى استهوته الشياطين فى الارض وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جده فيتبعها فيرى أنه فى شئ فيصبح وقد ألقته فى الهلكة وربما أكلته أو تلقيه فى مضلة من الارض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الآلهة التى تعبد من دون الله عز وجل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة استهوته الشياطين فى الارض قال أضلته فى الارض حيران **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مالا ينفعنا ولا يضرنا

فى دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل المأكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الأمر على مازعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر ان كان لهم باطن غير مرضى فحسابهم لا يتعدى اليك كما أن حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ماعليك من حساب رزقهم من شئ ولا من حساب رزقك عليهم من شئ وانما الرازق لك ولهم هو الله سبحانه فدعهم يكونوا عندك أما قوله (فتطردهم) فهو جواب النفى فى ماعليك وفى انتصاب فتكون وجهان أحدهما أنه جواب النهى والثانى انه عطف على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشئ فى غير موضعه ومن هنا طعن بعض الناس فى عصمة النبى صلى الله عليه وآله قالوا كان يقول كلما دخل أولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبنى ربى فيهم أو لفظ هذا معناه والجواب أنه ماطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما أفرد لهم مجلسا تألفا لقلوب المشركين وتكثيرا لسواد الاسلام مع علمه بأنه لا يفوت

الفقراء بهذه المصالحة أمرهم فى الدنيا ولا فى الدين فغاية ذلك انه يكون من باب ترك الاولى والافضل (وكذلك) أى مثل ذلك الفتن العظيم (فتنا) ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين وهم الكفار يرى الآخر مقدما عليه فى المناصب الدنية فيقول (أهؤلاء) المسترذلون (من الله عليهم من بيننا) كقوله ألقى الذكر عليه من بيننا والفريق الآخر يرى الاول مقدما عليه فى الخيرات العاجلة والخصب والسعة

والراحة والدعة فيقول أهذا هو الذى فضله الله علينا وأما المحققون فهم الذين يعلمون أن كل ما فعله الله فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الأصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع فى انسان واحد البتة بل هى موزعة على الخلائق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما آتاه الله تعالى من صفة الكمال فمن عرف سر القدر رضى بنصيب نفسه وسكت عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا فى الدنيا والآخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على أنه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند حدوثها والجواب أنه يعامل المكلف معاملة المختبر وقدمر مرارا وقالت الأشاعرة فى الآية دلالة على مسئلة خلق الأعمال لان تلك الفتنة التى ألقاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق للكفر وأيضا منة الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد كان العبد هو المان على نفسه أجاب المعتزلة بأن معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل أمرهم الى أن قالوا فتكون اللام لام العاقبة وزيف بأنه عدول عن الظاهر مع أنا ننقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يصرف كل ما أنعم به عليه فيما أعطاه لاجله فيظهر أفعاله على حسب معلوم الله تعالى وقال فى الكشاف أى الله أعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أبدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفى أتى قوم النبى صلى الله عليه وآله فقالوا انا أصبنا ذنوبا عظاما وأظهروا الندامة والأسف لاصحابك فما اخاله رد عليهم شيئا فلما ذهبوا وتولوا نزلت الآية قال فى التفسير الكبير الأقرب أن تحمل الآية على عمومها فكل من آمن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم أبدى إشكالا وهو أن المفسرين اتفقوا على أن هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يقال فى كل واحدة من جميع آى هذه السورة انها نزلت بسبب الأمر الفلانى قلت لا استبعاد

قال الأوثان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى استهوته الشياطين فى الارض حيران قال رجل حيران يدعوه أصحابه الى الطريق كذلك مثل من يضل بعد اذ هدى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال ثنا رجل عن مجاهد قال حيران هذا مثل ضربه الله للكافر يقول الكافر حيران يدعوه المسلم الى الهدى فلا يجيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا حتى بلغ لنسلم لرب العالمين علمها الله محمدا وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة * وقال آخرون فى تأويل ذلك بما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى فهو الرجل الذى لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل فى الارض بالمعصية وحار عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه الى الهدى ويزعمون أن الذى يأمرونه هدى يقول الله ذلك لاوليائهم من الانس ان الهدى هدى الله والضلالة ما تدعوا اليه الجن فكأن ابن عباس على هذه الرواية يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه انما يدعونه الى الضلال ويزعمون أن ذلك هدى وان الله أكذبهم بقوله قل ان هدى الله هو الهدى لا ما يدعوه اليه أصحابه وهذا تأويل له وجه لو لم يكن الله سمى الذى دعا الحيران اليه أصحابه هدى وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة له الى ما دعوه اليه انهم هم الذين سموه ولكن الله سماه هدى وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه اليه وغير جائز أن يسمى الله الضلال هدى لأن ذلك كذب وغير جائز وصف الله بالكذب لان ذلك وصفه بما ليس من صفته وانما كان يجوز توجيه ذلك الى الصواب لو كان ذلك خبرا من الله عن الداعى الحيران انهم قالوا له تعال الى الهدى فأما وهو قائل يدعونه الى الهدى فغير جائز أن يكون ذلك وهم كانوا يدعونه الى الضلال وأما قوله ائتنا فان معناه يقولون ائتنا هلم الينا فحذف القول لدلالة الكلام عليه وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك يدعونه الى الهدى بينا حدثنا بذلك ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن أبى اسحق قال فى قراءة عبد الله يدعونه الى الهدى بينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول فى قراءة ابن مسعود له أصحاب يدعونه الى الهدى بينا قال الهدى الطريق انه بين واذا قرئ ذلك كذلك كان البين من صفة الهدى ويكون نصب البين على القطع من الهدى كأنه قيل يدعونه الى الهدى البين ثم نصب البين لما حذفت الألف واللام وصار نكرة من صفة المعرفة وهذه القراءة التى ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال الهدى فى هذا الموضع هو الهدى على الحقيقة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان القائلين

فى أن تنزل السورة دفعة وينزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم أعرف بحقائق التنزيل وأعلم بدقائق التاويل لانهم أهل مشاهدة الوحى وأرباب مزاولة الامر والنهى * واعلم ان ماسوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وانها لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف أن يكون مدة حياته كالسابح فى تلك البحار والسائح فى هذه القفار ليكون دائما مترقيا فى معارجها مترقبا أن تفيض عليه الانوار من مدارجها فيستعد لبشارة سلام عليكم ويستأهل لكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة (فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بأن يسلم من الآفات فى نفسه ودينه وإما أن يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله أى الله عليكم أى على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يتأتى فى المعرف لا فى المنكر (كتب ربكم) من جملة المقول لهم تبشيرا بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه أوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظلما وايجاب الرحمة ينافى القول بأنه منع الكافر من الايمان ثم أمره حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان وأجيب بأنه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه (أنه من عمل) من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل (منكم سوأ بجهالة) وهو فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل والمراد أنه فاعل فعل الجهال لأن من عمل ما يضره فى العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه لا من أهل الحكمة والتدبير أو انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم أن لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله (ثم تاب من بعده) بأن يندم على ما فعله (وأصلح) العمل فى المستقبل (فأنه غفور) يزيل العقاب عنه (رحيم) يوصل الثواب اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح فعلى أن الخبر أو المبتدأ محذوف أى فغفرانه كائن أو فأمره انه غفور قيل ان الآية نزلت فى عمر حين أشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم أنها مفسدة (وكذلك) أى كما فصلنا فى هذه السورة دلائلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر (نفصل الآيات) ونميزها لك

لأصحابك اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فانا على هدى ليس الامر كما زعمتم ان هدى الله هو الهدى يقول ان طريق الله الذى بينه لنا وأوضحه وسبيله الذى أمرنا بلزومه ودينه الذى شرعه لنا فبينه هو الهدى والاستقامة التى لا شك فيها لا عبادة الاوثان والاصنام التى لا تضر ولا تنفع فلا نترك الحق ونتبع الباطل وأمرنا ان نسلم لرب العالمين يقول وأمرنا بذا ورب كل شئ تعالى وجهه لنسلم له لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية فنخلص ذلك له دون ماسواه من الأنداد والآلهة وقد بينا معنى الاسلام بشواهده فيما مضى من كتابنا بما أغنى عن اعادته وقيل وأمرنا ان نسلم بمعنى وأمرنا كى نسلم وأن نسلم لرب العالمين لان العرب تضع كى واللام التى بمعنى كى مكان أن وأن مكانها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون﴾ يقول تعالى ذكره وأمرنا أن أقيموا الصلاة وانما قيل وأن أقيموا الصلاة فعطف بأن على اللام من لنسلم لان قوله لنسلم معناه أن نسلم فرد قوله وأن أقيموا على معنى لنسلم اذ كانت اللام التى فى قوله لنسلم لا ما لا تحب الا المستقبل من الافعال وكانت أن من الحروف التى تدل على الاستقبال دلالة اللام التى فى لنسلم فعطف بها عليها لاتفاق معنييهما فيما ذكرت فأن فى موضع نصب بالرد على اللام وكان بعض نحويى البصرة يقول اما أن يكون ذلك أمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة يقول أمرنا كى نسلم كما قال وأمرت لأن أكون من المؤمنين أى انما أمرت لذلك ثم قال وأن أقيموا الصلاة واتقوه أى أمرنا أن أقيموا الصلاة أو يكون أوصل الفعل باللام والمعنى أمرت أن أكون كما أوصل الفعل باللام فى قوله هم لربهم يرهبون فتأويل الكلام وأمرنا باقامة الصلاة وذلك أداؤها بحدودها التى فرضت علينا واتقوه يقول واتقوا رب العالمين الذى أمرنا أن نسلم له نخافوه واحذروا سخطه بأداء الصلاة المفروضة عليكم والاذعان له بالطاعة واخلاص العبادة له وهو الذى اليه تحشرون يقول وربكم رب العالمين هو الذى اليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة فيجازى كل عامل منكم بعمله وتوفى كل نفس ما كسبت ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد الداعيك الى عبادة الأوثان أمرنا ان نسلم لرب العالمين الذى خلق السموات والأرض بالحق لا من لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله بالحق فقال بعضهم معنى ذلك وهو الذى خلق السموات والأرض حقا وصوابا لا باطلا وخطأ كما قال تعالى ذكره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا قالوا وأدخلت فيه الباء والألف واللام كما تفعل العرب فى نظائر ذلك فتقول فلان يقول بالحق بمعنى أنه يقول الحق قالوا ولا شئ فى قوله بالحق غير اصابته الصواب فيه لا أن الحق معنى غير القول وانما هو صفة للقول اذا كان بها القول كان القائل موصوفا بالقول بالحق وبقول الحق قالوا وكذلك خلق السموات والأرض حكمة من حكم الله فالله موصوف بالحكمة فى خلقهما وخلق ماسواهما من سائر خلقه لا أن ذلك حق سوى خلقهما به

في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (وليستبين) معطوف على محذوف كأنه قيل ليظهر الحق وليستبين أو معلق بمحذوف أي وليستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل البين من رفع السبيل قرأ ليستبين بالياء أو بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته واستبانة سبيل المجرمين تستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على أحدهما كقول سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون أصناف يشتبه أمرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم قبول الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا أنه لا يحفظ حدوده فينبغي أن يستوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك أنه نهى عن عبادة معبوداتهم وذلك قوله (قل اني نهيت) أي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية (أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله قل لا أتبع أهواءكم) لان عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى (قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) أثبت الضلال اذ ذاك ونفى الهدى مع انهما متلازمان للتقرير والتأكيد وفيه تعريض بهم أنهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه وكذبتم أنتم به حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الامر وأنا على يقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل وقيل أي على حجة من جهة ربي وهي القرآن (وكذبتم به) أي بالبينة وذكر الضمير على تأويل القرآن أو البيان (ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم (ان الحكم الا لله) مطلق يتناول الكل يقدر فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على أمر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع منه فعل الكفر الا باراده الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضي الحق أي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي أن لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن أن يقال ان جميع أحكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم الملكية وانتصاب الحق على أنه صفة مصدر أي يقضي القضاء الحق أو مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله من قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي يقول الحق

* وقال آخرون معنى ذلك خلق السموات والأرض بكلامه وقوله لهما ائتيا طوعا أو كرها قالوا فالحق في هذا الموضع معنى به كلامه واستشهدوا لقيلهم ذلك بقوله ويوم يقول كن فيكون قوله الحق الحق هو قوله وكلامه قالوا والله خلق (١) الأشياء بكلامه وقيله كما خلق به الاشياء غير المخلوقة قالوا فاذ كان ذلك كذلك وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق وأما قوله ويوم يقول كن فيكون فان أهل العربية اختلفوا في العامل في يوم يقول وفي معنى ذلك فقال بعض نحويي البصرة اليوم مضاف الى يقول كن فيكون قال وهو نصب وليس له خبر ظاهر والله أعلم وهو على ما فسرت لك كانه يعني بذلك أن نصبه على واذكر يوم يقول كن فيكون قال وكذلك يوم ينفخ في الصور قال وقال بعضهم يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وقال بعضهم يقول كن فيكون للصور خاصة فمعنى الكلام على تأويلهم يوم يقول للصور كن فيكون قوله الحق يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة فيكون القول حينئذ مرفوعا بالحق والحق بالقول وقوله يوم يقول كن فيكون ويوم ينفخ في الصور صلة الحق * وقال آخرون بل قوله كن فيكون معنى به كل ما كان الله معيده في الآخرة بعد افنائه ومنشئه بعد اعدامه فالكلام على مذهب هؤلاء متناه عند قوله كن فيكون وقوله قوله الحق خبر مبتدأ وتأويله وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول للاشياء كن فيكون خلقهما بالحق بعد فنائهما ثم ابتدأ الخبر عن قوله ووعده خلقه أنه معيدهما بعد فنائهما عن أنه حق فقال قوله هذا الحق الذي لا شك فيه وأخبر أن له الملك يوم ينفخ في الصور فيوم ينفخ في الصور يكون على هذا التأويل من صلة الملك وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله يوم ينفخ في الصور من صلة الحق * وقال آخرون بل معنى الكلام ويوم يقول لما فني كن فيكون قوله الحق بجعل القول مرفوعا بقوله ويوم يقول كن فيكون وجعل قوله (٢) كن فيكون للقول محلا وقوله يوم ينفخ في الصور من صلة الحق كأنه وجه تأويل ذلك الى ويومئذ قوله الحق يوم ينفخ في الصور وان جعل على هذا التأويل يوم ينفخ في الصور بيانا عن اليوم الاول كان وجها صحيحا ولو جعل قوله قوله الحق مرفوعا بقوله يوم ينفخ في الصور وقوله يوم ينفخ في الصور محلا وقوله ويوم يقول كن فيكون من صلته كان جائزا * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه المنفرد بخلق السموات والارض دون كل ما سواه معرفا من أشرك به من خلقه جهله في عبادة الاوثان والاصنام وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع ولا يقدر على اجتلاب نفع الى نفسه ولا دفع ضر عنها ومحتجا عليهم في انكارهم البعث بعد الممات والثواب والعقاب بقدرته على ابتداع ذلك ابتداء وأن الذي ابتدع ذلك غير متعذر عليه افناؤه ثم اعادته بعد افنائه فقال وهو الذي خلق أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا

(١) فيه تحريف من النساخ ولعل الأصل والله خلق السماء والأرض بكلامه كما خلق به غيرهما من الأشياء المخلوقة تأمل (٢) لعله ويوم يقول كن كما هو ظاهر وحرر كتبه مصححه

أو يتبعه من قص أثره وهو خير الفاصلين أى القاضين وانما كتب بقص فى المصاحف بغير ياء لانها سقطت فى اللفظ لالتقاء الساكنين وليوافق قراءة يقص قل لو أن عندى أى فى قدرتى وامكانى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر أمر الاهلاك بينى وبينكم عاجلا غضبا لربى والله أعلم بالظالمين فيؤخر عقابهم الى وقته وأنا لا أعلم ما يجب فى الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت أما يناقض هذا قوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافى الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان أحد حرص على طول حياته طمعا فى ايمانه قلت لا بل يؤكده لاشتراك كل من الحكمين فى الاستعجال اللازم للبشرية فى قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه أعلميته بقوله على سبيل الاستعارة وعنده مفاتح الغيب أراد أنه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتيح جمع مفتح وهو المفتاح أو جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن قال الحكيم فى بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ماسوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة أو بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم بجميع آثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت أو جزئيات وعلمه بذاته لم يحصل الا لذاته فصح أن يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وفيه أنه لا ضده ولا ندا له لو كان فى الوجود واجب آخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة أيضا عنده فيبطل هذا الحصر ولا يمكن أن تكون هذه المفاتيح عند شئ من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذى يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية أمثالا لها ليعين الحس العقل فقال ويعلم ما فى البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول وقدم ذكر البر لأن الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان وأما البحر فاحاطة الحس بأحواله أقل مع كثرة ما فيها من العجائب والغرائب أيضا ثم أفرد من هذه المحسوسات قسما فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها أى لا يتغير حال ورقة الا والحق

يقدر على شئ السموات والارض بالحق حجة على خلقه ليعرفوا بها صانعها وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه فيخلصوا له العبادة ويوم يقول كن فيكون يقول ويوم يقول حين تبدل الارض غير الارض والسموات كذلك كن فيكون كما شاء تعالى ذكره فتكون الارض غير الارض عند قوله كن فيكون متناهيا واذا كان كذلك معناه وجب أن يكون فى الكلام محذوف يدل عليه الظاهر ويكون معنى الكلام ويوم يقول لذلك كن فيكون تبدل غير السموات والارض ويدل على ذلك قوله وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال قوله الحق بمعنى وعده هذا الذى وعد تعالى ذكره من تبديله السموات والارض غير الارض والسموات الحق الذى لا شك فيه وله الملك يوم ينفخ فى الصور فيكون قوله يوم ينفخ فى الصور من صلة الملك ويكون معنى الكلام ولله الملك يومئذ لان النفخة الثانية فى الصور حال تبديل الله السموات والارض غيرهما وجائز أن يكون القول أعنى قوله الحق مرفوعا بقوله ويوم يقول كن فيكون ويكون قوله كن فيكون محلا للقول مرافعا فيكون تأويل الكلام وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يبدلها غير السموات والارض فيقول لذلك كن فيكون قوله الحق وأما قوله وله الملك يوم ينفخ فى الصور فانه خص بالخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له خالصا فى كل وقت فى الدنيا والآخرة لانه عنى تعالى ذكره أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدعى له وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه فى الدنيا من الجبابرة فأذعن جميعهم يومئذ له وعلموا أنهم كانوا من دعواهم فى الدنيا فى باطل * واختلف فى معنى الصور فى هذا الموضع فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه نفختان احداهما للفناء من كان حيا على الأرض والثانية لنشر كل ميت واعتلوا لقولهم ذلك بقوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وبالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذ سئل عن الصور هو قرن ينفخ فيه وقال آخرون الصور فى هذا الموضع جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا لقولهم سور لسور المدينة وهو جمع سورة كما قال جرير * سور المدينة والجبال الخشع * والعرب تقول نفخ فى الصور ونفخ الصور ومن قولهم نفخ الصور قول الشاعر

لولا ابن جعدة لم تفتح قهندزكم * ولا خراسان حتى ينفخ الصور

والصواب من القول فى ذلك عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان اسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وأنه قال الصور قرن ينفخ فيه وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة يعنى أن عالم الغيب والشهادة هو الذى ينفخ فى الصور حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله عالم الغيب والشهادة يعنى أن عالم الغيب والشهادة هو الذى ينفخ فى الصور فكأن ابن عباس تأول فى ذلك أن قوله عالم الغيب والشهادة اسم الفاعل الذى لم يسم فى قوله يوم ينفخ فى الصور وأن معنى الكلام يوم ينفخ الله فى الصور عالم الغيب الشهادة

يعلمها ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدركات الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة فى ظلمات الارض وفى تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على أمر الحساب لانه اذا كان بحيث لا يهمل أمر الاشياء التى ليس لها ثواب ولا عقاب فلأن لا يهمل أمر المكلفين أولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة أخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين قال فى الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل فى حكمها كأنه قيل وما يسقط شئ من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا فى كتاب

مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها الا ان معنى الا يعلمها ومعنى الا فى كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله أو اللوح قال علماء التفسير يجوز أن يكون الله جل شأنه أثبت كيفية المعلومات فى كتاب من قبل أن يخلق الخلق لتقف الملائكة على نفاذ علمه فى المعلومات وأنه لا يغيب عنه شئ فيكون فى ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث فى العالم فيجدونه موافقا له أولا أنه اذا كتب أحوال جميع الموجودات فى ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب أو الجهل فتصير كتبة جملة الاحوال فى ذلك الكتاب سببا تاما فى أنه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه أردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذى يتوفاكم أى يتوفى أنفسكم التى بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك أن الارواح الجسمانية تغور حالة النوم من الظاهر الى الباطن فتتعطل الحواس عن بعض الاعمال وأما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم أخا الموت فصح اطلاق لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم أى ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء والسباع ثم يبعثكم فيه أى يرد اليكم أرواحكم بالنهار ليقضى أجل مسمى أى أعماركم المكتوبة وقضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت ثم لما ذكر أنه يتوفاهم أولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث فى القيامة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون فى ليلكم ونهاركم وجميع أحوالكم وأوقاتكم واعلم أن فى هذه الاية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغى أن يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث فى النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن

كما تقول العرب أكل طعامك عبد الله فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسم آكله وذلك وان كان وجها غير مدفوع فان أحسن من ذلك أن يكون قوله عالم الغيب والشهادة مرفوعا على أنه نعت للذى فى قوله وهو الذى خلق السموات والارض بالحق وروى عنه أيضا أنه كان يقول الصور فى هذا الموضع النفخة الاولى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة يعنى بالصور النفخة الاولى ألم تسمع أنه يقول ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى يعنى الثانية فاذا هم قيام ينظرون ويعنى بقوله عالم الغيب والشهادة عالم ما تعاينون أيها الناس فتشاهدونه وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه وهو الحكيم فى تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود الى العدم ثم من حال العدم والفناء الى الوجود ثم فى مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب خبير بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ حافظ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك يقول تعالى ذكره فاحذروا أيها العاملون بربكم عقابه فانه عليم بكل ما تأتون وتذرون وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قال ابراهيم لأبيه آزر﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد لحاجك الذى تحاج به قومك وخصومتك اياهم فى آلهتهم وما تراجعهم فيها مما نلقيه اليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين وحقيقة ما أنت عليهم محتج حجاج ابراهيم خليلى قومه ومراجعته اياهم فى باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الاوثان وانقطاعه الى الله والرضا به والياءا وناصرا دون الاصنام فاتخذه اماما واقتدبه واجعل سيرته فى قومه لنفسك مثالا اذ قال لابيه مفارقا لدينه وعائبا عبادته الاصنام دون بارئه وخالقه يا آزر ثم اختلف أهل العلم فى المعنى بآزر وما هو اسم أم صفة وان كان اسما فمن المسمى به فقال بعضهم هو اسم أبيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال اسم أبيه آزر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد بن اسحق قال آزر أبو ابراهيم وكان فيما ذكر لنا والله أعلم رجلا من أهل كوثى من قرية بالسواد سواد الكوفة حدثنى ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر قال هو آزر وهو تارح مثل اسرائيل ويعقوب وقال آخرون انه ليس أبا ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد وسفيان ابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال ليس آزر أبا ابراهيم حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا النورى قال أخبرنى رجل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال آزر لم يكن بأبيه انما هو صنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال زار اسم صنم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال اسم أبيه وبقال لابل اسمه

أن يجاب بان المراد و يعلم ما جرحتم فى النهار الماضى بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم فى النهار الآتى والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف لمكان هذا الاشكال عدل عن هذا التفسير الى أن قال وهو الذى يتوفاكم بالليل والخطاب للكفرة أى أنتم مندحون الليل كالحيف والانسداح الانبطاح أو الاستلقاء و يعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه أى فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام فى النهار ومن أجله

اسمه تارح واسم الصنم آزر يقول أتتخذ آزر أصناما آلهة * وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج كانه تأول أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحق واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار واذ قال ابراهيم لابيه آزر بفتح آزر على اتباعه الاب فى الخفض ولكنه لما كان اسما أعجميا فتحوه اذ لم يجروه وان كان فى موضع خفض وذكر عن أبى يزيد المدينى والحسن البصرى أنهما كانا يقرآن ذلك آزر بالرفع على النداء بمعنى يا آزر فأما الذى ذكر عن السدى من حكايته أن آزر اسم صنم وانما نصبه بمعنى أتتخذ آزر أصناما آلهة فقول من الصواب من جهة العربية بعيد وذلك أن العرب لا تنصب اسما بفعل بعد حرف الاستفهام لا تقول أخالدا أكلمت وهى تريد أكلمت أخالدا والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ بفتح الراء من آزر على اتباعه اعراب الاب وأنه فى موضع خفض ففتح اذ لم يكن جاريا لأنه اسم عجمى وانما أجيزت قراءة ذلك كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه واذ كان ذلك هو الصواب من القراءة وكان غير جائز أن يكون منصوبا بالفعل الذى بعد حرف الاستفهام صح لك فتحه من أحد وجهين اما أن يكون اسما لابى ابراهيم صلوات الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله فيكون فى موضع خفض ردا على الاب ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لما كان اسما أعجميا ترك اجراؤه ففتح كما فتح العرب فى أسماء العجم أو يكون نعتا له فيكون أيضا خفضا بمعنى تكرير اللام عليه ولكنه لما خرج مخرج أحمر وأسود ترك اجراؤه وفعل به كما يفعل بأشكاله فيكون تأويل الكلام حينئذ واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة وان لم يكن له وجهة فى الصواب الا أحد هذين الوجهين فأولى القولين بالصواب منهما عندى قول من قال هو اسم أبيه لان الله تعالى أخبر أنه أبوه وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر الذى زعم قائله أنه نعت فان قال قائل فان أهل الانساب انما ينسبون ابراهيم الى تارح فكيف يكون آزر اسما له والمعروف به من الاسم تارح قيل له غير محال أن يكون كان له اسمان كما الكثير من الناس فى دهرنا هذا وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم وجائز أن يكون لقبا والله تعالى أعلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل ابراهيم لابيه آزر أنه قال أتتخذ أصناما آلهة تعبدها وتتخذها ربا دون الله الذى خلقك فسواك ورزقك والاصنام جمع صنم والصنم التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك فى صورة انسان وهو الوثن وقد يقال للصورة المصورة على صورة الانسان فى الحائط وغيره صنم ووثن انى أراك وقومك فى ضلال مبين يقول انى أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الاصنام و يتخذونها آلهة فى ضلال يقول فى زوال عن محجة الحق وعدول عن سبيل الصواب مبين يقول يتبين لمن أبصره انه جور عن قصد السبيل وزوال عن محجة الطريق القويم يعنى بذلك أنه قد ضل هو وهم عن توحيد الله وعبادته الذى استوجب عليهم اخلاص العبادة له بالالهية عندهم دون غيره من الآلهة والاوثان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض

كقولك فيم دعوتنى فيقول فى أمر كذا ليقضى أجل مسمى وهو الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب والأصوب عندى أن يقال الخطاب عام وكذا الكسب فى النهار فينبغى أن لا يقيد بالآثام أما الضمير فى فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب والبعث هو البعث من القبور الى آخر ما قال والله أعلم ﴿التأويل﴾ وأنذر به أى بهذه الحقائق والمعانى الذين يخافون أى يرجون أن يحشروا الى ربهم بجذبات العناية و يتحقق لهم أن ليس لهم فى الوصول الى الله من دونه ولى من الاولياء ولا شفيع يعنى من الانبياء لان الوصول لا يمكن الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون أخبر عن الفقراء أنهم جلساؤه بالغداة والعشى كما قال أنا جليس من ذكرنى فلا تطردهم عن مجالستك فانهم يطلبونى فى متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الآخرة ولكن يريدون وجهه وكل له سؤل ودين ومذهب *

ووصلكم سؤلى ودينى رضاكم

قال المحققون الارادة اهتياج يحصل فى القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول الى الله سبحانه

سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شئ يعنى الذى لنا معك فى الحساب من المواصلة والتوحيد فى الخلوة فانهم ليسوا فى شئ من ذلك ليكون عليك ثقلا ومأمن حسابك عليهم من شئ أى الذى لنا معهم فى الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة لينقل عليهم فتطردهم فتكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ليشكر الفاضل وليصبر المفضول فيستويان فى الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كليهما نعم

العبد مع قدرة سليمان على أسباب الطاعة وعجز أيوب عنها ومن فتنة الفاضل فى المفضول رؤية فضله على المفضول أو تحقيره ومنع حقه عنه فى فضله ومن فتنة المفضول فى الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه فى منع حقه من فضله عنه فان المعطى والمانع هو الله ومنها أن لا يرى الفاضل مستحقا للفضل ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء حلهم محمل الاكابر والملوك فى الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم كن مبتدئا بالسلام عليهم وفى الآخرة فألهم الملائكة أن يسلموا عليهم فى الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة الخلقة باصابة رشاش النور فى الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة أى الرحمة الخاصة كما خص الخضر فى قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة العامة كما فى الحديث الربانى للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى أنه من عمل منكم أى من المؤمنين سوأ بجهالة أى بجهالة الجهولية التى جبل الانسان عليها لا بجهالة الضلالة التى هى نتيجة اخطاء النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده أى رجع الى الله بقدم السير من بعد افساد الاستعداد الفطرى وأصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل انى نهيت فى الازل باصابة النور المرشش ما عندى ما تستعجلون به من عبادة الهوى لقضى الامر يعنى أمر القتال والخصومات ولاسترحت من أذيتكم لان الشئ انما ينفعل عن ضده لا عن شبهه وعنده مفاتح الغيب يعنى العلوم العقلية التى هى سبب فتح باب صور عالم الشهادة كالنقاش ينشئ الصور فى ذهنه ثم يصورها فى الخارج وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد فى جميع الاشياء وفى الملكوت كثرة يعلم التكوين ويعلم ما فى البر وهو عالم الشهادة والبحر وهو عالم الغيب وبهذا العلم ما تسقط من ورقة والحوت عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها ومسقطها ولا حبة هى حبة الروح فى ظلمات صفات أرض النفس أو حبة المحبة فى ظلمات أرض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما سيصير موجودا وما قد صار أو الرطب الروحانيات واليابس الجمادات أو الرطب المؤمن واليابس الكافر أو الرطب العالم واليابس الجاهل أو الرطب العارف واليابس الزاهد أو الرطب أهل المحبة واليابس أهل السلوة أو الرطب

وليكون من الموقنين يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك وكما أريناه البصيرة فى دينه والحق فى خلاف ما كانوا عليه من الضلال نريه ملكوت السموات والارض يعنى ملكه وزيدت فيه التاء كما زيدت فى الجبروت من الجبر وكما قيل رهبوت خير من رحموت بمعنى رهبة خير من رحمة وحكى عن العرب سماعا له ملكوت اليمن والعراق بمعنى له ملك ذلك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فقال بعضهم معنى ذلك نريه خلق السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أى خلق السموات والارض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أى خلق السموات والارض وليكون من الموقنين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يعنى بملكوت السموات والارض خلق السموات والارض * وقال آخرون معنى الملكوت الملك بنحو التأويل الذى أولناه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمر بن أبى زائدة قال سمعت عكرمة وسأله رجل عن قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال هو الملك غير أنه بكلام النبط ملكوتا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى زائدة عن عكرمة قال هى بالنبطية ملكوتا * وقال آخرون معنى ذلك آيات السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال آيات السموات والارض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال آيات حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال تفرجت لابراهيم السموات السبع حتى العرش فنظر فيهن وتفرجت له الارضون السبع فنظر فيهن حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين قال أقيم على صخرة وفتحت له السموات فنظر الى ملك الله فيها حتى نظر الى مكانه فى الجنة وفتحت له الارضون حتى نظر الى أسفل الارض فذلك قوله وآتيناه أجره فى الدنيا يقول آتيناه مكانه فى الجنة ويقال أجره الثناء الحسن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر ما فيهن حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال كشف له عن أديم السموات والارض حتى نظر اليهن على صخرة والصخرة على حوت

صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود أو الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنصيبه وهو الذي يتوفاكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر أو الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق

والحوت على خاتم رب العزة لا اله الا الله حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك فقال أنزلوا عبدي لا يهلك عبادي حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال لما رفع الله ابراهيم في الملكوت في السموات أشرف فرأى عبدا يزني فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزني فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزني فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزني فدعا عليه فنودي على رسلك يا ابراهيم فانك عبد مستجاب لك وانى من عبدي على ثلاث اما أن يتوب الي فأتوب عليه واما أن أخرج منه ذرية طيبة واما أن يتمادى فيما هو فيه فأنا من ورائه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب عن عوف عن أسامة أن ابراهيم خليل الرحمن حدث نفسه أنه أرحم الخلق وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الارض فأبصر أعمالهم فلما رآهم يعملون بالمعاصي قال اللهم دمر عليهم فقال له ربه أنا أرحم بعبادي منك اهبط فلعلهم أن يتوبوا الي ويرجعوا * وقال آخرون بل معنى ذلك ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال الشمس والقمر والنجوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال الشمس والقمر حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يعني به نريه الشمس والقمر والنجوم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال خبئ ابراهيم عليه السلام من جبار من الجبابرة فجعل له رزقه في أصابعه فاذا مص اصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والارض فكان ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله ابراهيم عليه السلام قربه من جبار مترف فجعل في سرب وجعل رزقه في أطرافه فجعل لا يمص أصبعا من أصابعه الا وجد فيها رزقا فلما خرج من ذلك السرب أراه الله ملكوت السموات فأراه شمسا وقمرا ونجوما وسحابا وخلقا عظيما وأراه ملكوت الارض فأراه جبالا وبحورا وأنهارا وشجرا ومن كل الدواب وخلقا عظيما * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال عني الله تعالى بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أنه أراه ملك السموات والارض وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما وجلي له بواطن الامور وظواهرها لما ذكرنا قبل من معنى الملكوت في كلام العرب فيما مضى قبل وأما قوله وليكون من الموقنين فانه يعني أنه أراه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يتوحد بتوحيد الله ويعلم حقيقة ما هداه له وبصره اياه من معرفة وحدانيته وما عليه قومه من الضلالة من

ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ القراآت توفته واستهوته مما لة حمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفية بالكسر حيث كان أبو بكر وحماد الباقون بالضم أنجانا مما لة حمزة وعلي وخلف أنجانا بدون الامالة عاصم الباقون أنجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض انظر وأشباهه ذلك بكسر التنوين

أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن أهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر * الوقوف حفظة ط لا يفرطون ○ الحق ط الحاسبين ○ وخفية ط لاحتمال الاضمار أي يقولون لئن أنجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه أصح الشاكرين ○ تشركون ○ بأس بعض ط يفقهون ○ وهو الحق ط بوكيل ○ مستقر ط للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى يعلمون ○ غيره ج الظالمين ○ يتقون ○ ولا شفيع (١٦٢) ط للشرط مع العطف بما كسبوا لانقطاع النظم مع اتصال المعنى أو لاحتمال

أن يكون الذين صفة أولئك وقوله لهم شراب خبر الهدى ائتنا ج هو الهدى ط العالمين لا لان التقدير وأمرنا بأن أقيموا الصلاة واتقوه ط تحشرون ○ بالحق ط فيكون ط في الصور ط والشهادة ط الخبير ○ ﴿التفسير﴾ من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان أي أنه أعلى وأنفذ منه ولا ريب أن الممكنات بأسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كن أو سفليات ذوات أو صفات نفوسا أو أبدانا أخلاطا وأركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده بضبط أعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على أقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى أفعالهم بقوله يعلمون ما تفعلون وأما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة أن المكلف وأي

اذا علم أن الملائكة الموكلين عليه يكتبون أعماله في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك زجرا له عن القبائح ومنها أن توزن تلك الصحائف يوم القيامة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف أن يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبائعها المتضادة على امتزاجها

عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها آلهة دون الله تعالى وكان ابن عباس يقول في تأويل ذلك ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وليكون من الموقنين أنه جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شئ من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فتأويل ذلك على هذا التأويل أريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شئ حسا لا خبرا حدثني العباس بن الوليد قال أخبرني أبي قال ثنا أبو جابر قال وحدثنا الاوزاعي أيضا قال ثني خالد الحلاج قال سمعت عبد الرحمن بن عياش يقول صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة فقال له قائل ما رأيت أسعد منك الغداة قال ومالي وقد أتاني ربي في أحسن صورة فقال ففيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم فوضع يده بين كتفي فعلمت ما في السموات والارض ثم تلا هذه الآية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ يقول تعالى ذكره فلما وارى الليل وجنه يقال منه جن عليه الليل وجنه الليل وأجنه وأجن عليه واذا ألقيت على كان الكلام بالألف أفصح منه بغير الالف أجنه الليل أفصح من أجن عليه وجن عليه الليل أفصح من جنه وكل ذلك مقبول مسموع من العرب وجنه الليل في أسد وأجنه وجنه في تميم والمصدر من جن عليه جنا وجنونا وجنانا ومن أجن اجنانا ويقال أتى فلان في جن الليل والجن من ذلك لانهم استجنوا عن أعين بني آدم فلا يرون وكل ما توارى عن أبصار الناس فان العرب تقول فيه قد جن ومنه قول الهذلي

وماء وردت قبيل الكرى * وقد جنه السدف الادهم

وقال عبيد

وخرق يصيح البوم فيه مع الصدى * مخوف اذا ما جنه الليل مرهب

ومنه أجنت الميت اذا واريته في اللحد وجننته وهو نظير جنون الليل في معنى غطيته ومنه قيل للترس مجن لانه يجن من استجن به فيغطيه ويواريه وقوله رأى كوكبا يقول أبصر كوكبا حين طلع قال هذا ربي فروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني به المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين يعني به الشمس والقمر والنجوم فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فعبده حتى غاب فلما غاب قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فعبده حتى غاب فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فعبدها حتى غابت فلما غابت قال يا قوم اني بري ء مما تشركون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين علم أن ربه دائم لا يزول فقر أحتى بلغ هذا ربي هذا أكبر

وقال بعض القدماء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات أخرى فالارواح الخيرة لها مبادئ من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى بالطباع التام (١٦٣) لان تلك الارواح في تلك الطبائع والاخلاق تامة كلها وهذه الارواح السفلية المتولدة منها أضعف منها لان المعلول في كل باب أضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يناسبها ويساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فتحفظها وتعينها (حتى اذا جاء أحدكم الموت) أي وقته أو أماراته توفته رسلنا أي باذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل أتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهل هم الحفظة بأعيانهم أم غيرهم فيه قولان أشهرهما الثاني لكون ملائكة الروح والريحان وهم الريحانيون غير ملائكة الكرب والاحزان وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله ومامن أهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين (وهم لا يفرطون) لا يقصرون فيما أمرهم الله تعالى به وفيه مدح لهم بالعصمة (ثم ردوا الى الله) أي الى حكمه وجزائه (مولاهم الحق) صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت أولئك الملائكة أو الى البشر أي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فاذا ماتوا انتقلوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بأن الانسان شئ آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان هذا الهيكل يبقى ميتا والانسان مردود اليه تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى أن الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح بجذبة ارجعي الى ربك (ألا له الحكم) كقوله ان الحكم الا لله (وهو أسرع الحاسبين) حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملائكة باذن الله تعالى

وأي خلق هو أكبر من الخلقين الاولين وأنور وكان سبب قيل ابراهيم ذلك ما حدثني به محمد ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق فيما ذكر لنا والله أعلم ان آزر كان رجلا من أهل كوثى من قرية بالسواد سواد الكوفة وكان اذ ذاك ملك المشرق لنمرود بن كنعان فلما أراد الله أن يبعث ابراهيم حجة على قومه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بين نوح وابراهيم نبي الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم الذي أراد الله ما أراد أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم أبراهيم امرأة آزر فانه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت امرأة حديدة فيما يذكر لم يعرف الحبل في بطنها ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة حذرا على ملكه فجعل لا تلد امرأة غلاما في ذلك الشهر من تلك السنة الا أمر به فذبح فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع مع المولود ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه يزعمون والله أعلم أن الله جعل رزق ابراهيم فيها وما يجيئه من مصه وكان آزر فيما يزعمون سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها وكان اليوم فيما يذكرون على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يلبث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه أخرجيني أنظر فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ما لي اله غيره ثم نظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بنظره اليه ببصره حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم طلع القمر فرآه بازغا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره حتى غاب فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس أعظم أعظم الشمس ورأى شيأ هو أعظم نورا من كل شئ رآه قبل ذلك فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ثم رجع ابراهيم الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم يبادئهم بذلك وأخبر أنه ابنه وأخبرته أم ابراهيم أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه فسر بذلك آزر وفرح فرحا شديدا وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدونها ثم يعطيها ابراهيم يبيعها فيذهب بها ابراهيم فيما يذكرون فيقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها منه أحد وادا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وما هم عليه من الضلالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس وعمن روى عنه من أن ابراهيم قال للكوكب أو للقمر هذا ربي وقالوا غير جائز أن يكون لله نبي ابتعثه بالرسالة أتى

لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات فى الهيآت على النفس فى آن قطع التعلق قليلة كانت أو كثيرة جمدة أو ذميمة وبعد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو أغلب و بحسب ذلك يكون الثواب أو ضده وذلك أنه لا يحصل للانسان لحظة ولا لمحة ولا حركة ولا سكون الا و يظهر منها فى جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو ضدها قل أو كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائى ههنا لو كان كلامه قديما لوجب أن يكون متكلما بالمحاسبة الآن

وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة تقتضى حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بأنه سيوجد و بعد وجوده صار عالما بأنه وجد ولا يلزم منه تغير العلم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجازا عن مخاوفهما وأهوالهما يقال ليوم الكربة يوم مظلم وذو كواكب كأنه أظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل أن تكون الظلمات بالحقيقة وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه فى موضع الحال تضرعا وخفية مفعول لاجلهما أو تمييز أو مصدر خاص والمراد أن الانسان عند حصول هذه الشدائد يأتى بأمور أحدها الدعاء الثانى التضرع والثالث الاخلاص بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر هو المراد من قوله (لئن أنجيتنا من هذه) الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين الله سبحانه أنه اذا شهدت الفطرة السليمة فى هذه الحالة بأنه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه وجب أن يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على الشرك الجلى وهو عبادة الاوثان أو الخفى وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة أكثر الخلق ربى ذلك اذا شاهدوا الخوف أخلصوا واذا انتقلوا الى الامن والرفاهية أشركوا ثم ذكر نوعا آخر من دلائل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد أو للجنس فيفيد أنه هو الذى عرفتموه قادر وهو الكامل القدرة على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر أو الحجارة مثل ما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل

عليه وقت من الاوقات وهو بالغ الاوهو لله موحد وبه عارف ومن كل ما يعبد من دونه برىء قالوا ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الاوقات وهو به كافر لم يجز أن يختصه بالرسالة لانه لا معنى فيه الا وفى غيره من أهل الكفر به مثله وليس بين الله و بين أحد من خلقه مناسبة فيحابيه باختصاصه بالكرامة قالوا وانما أكرم من أكرم منهم لفضله فى نفسه فأثابه لاستحقاقه الثواب بما أثابه من الكرامة وزعموا أن خبر الله عن قيل ابراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس هذا ربى لم يكن لجهله بان ذلك غير جائز أن يكون ربه وانما قال ذلك على وجه الانكار منه أن يكون ذلك ربه وعلى العيب لقومه فى عبادتهم الاصنام اذ كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الاصنام ولم تكن مع ذلك معبودة وكانت آفلة زائلة غير دائمة والاصنام التى دونها فى الحسن وأصغر منها فى الجسم أحق أن لا تكون معبودة ولا آلهة قالوا وانما قال ذلك لهم معارضة كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضا له فى قول باطل قال به بباطل من القول على وجه مطالبته اياه بالفرق بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدعى فساد الآخر وقال آخرون منهم بل ذلك كان منه فى حال طفوليته وقبل قيام الحجة عليه وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا ايمان وقال آخرون منهم وانما معنى الكلام أهذا ربى على وجه الانكار والتوبيخ أى ليس هذا ربى وقالوا قد تفعل العرب مثل ذلك فتحذف الالف التى تدل على معنى الاستفهام وزعموا أن من ذلك قول الشاعر

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع * فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يعنى أهم هم قالوا ومن ذلك قول أوس

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا * شعيب بن سهم أو شعيب بن منقر

يعنى أشعيب بن سهم فحذف الالف ونظائر ذلك وأما تذكيره هذا فى قوله فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى فانما هو على معنى هذا الشئ الطالع ربى وفى خبر الله تعالى عن قيل ابراهيم حين أفل القمر لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين الدليل على خطأ هذه الاقوال التى قالها هؤلاء القوم وأن الصواب من القول فى ذلك الاقرار بخبر الله تعالى الذى أخبر به عنه والاعراض عما عداه وأما قوله فلما أفل فان معناه فلما غاب وذهب كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال قال ابن اسحق الافول الذهاب يقال منه أفل النجم يأفل و يافل أفولا وأفلا اذا غاب ومنه قول ذى الرمة

مصابيح ليست باللواتى يقودها * نجوم ولا بالآفلات الدوالك

و يقال أبن أفلت عنا بمعنى أين غبت عنا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين﴾ يقول تعالى ذكره فلما طلع القمر فرآه ابراهيم طالعا وهو بزوغه يقال منه بزغت الشمس تبزغ بزوغا اذا طلعت وكذلك القمر قال هذا

أكابركم وسلاطينكم أومن جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) هي جمع شيعة أي يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم أن يوقع القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال عن رسول الله صلى الله عليه وعليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل ان فناء أمتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله أو يلبسكم شيعا دلالة على أن الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى أن المعاصي وأنواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على أنه تعالى قادر على القبيح والنزاع في أنه هل يفعل ذلك أم لا وأجيب بأن الآية دلت على أن القدرة على هذه الامور تختص به وهذه الامور واقعة فيكون هو فاعلها بالضرورة (انظر كيف نصرف الآيات) نقرر الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به أي بالعذاب المذكور في الآية السابقة قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم وقيل أي بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند الله وقيل أي بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل أي بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذر (لكل نبأ لكل) خبر يخبره الله تعالى (مستقر) أي استقرار أو موضع استقرار والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمقصود أن لعذاب الله أو لاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير (وسوف تعلمون) فيه من التهديد ما فيه ثم بين أن أولئك المكذبين ان ضموا الى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال (واذا رأيت) أيها السامع (الذين يخوضون في آياتنا) والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه

ربي فلما أفل يقول فلما غاب قال ابراهيم لئن لم يهدني ربي ويوفقني لاصابة الحق في توحيده لا كونن من القوم الضالين أي من القوم الذين أخطؤا الحق في ذلك فلم يصيبوا الهدى وعبدوا غير الله وقد بينا معنى الضلال في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون﴾ يعني تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة فلما رأى ابراهيم الشمس طالعة قال هذا الطالع ربي هذا أكبر يعني هذا أكبر من الكوكب والقمر فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه فلما أفلت يقول فلما غابت قال ابراهيم لقومه ياقوم اني بريء مما تشركون أي من عبادة الآلهة والاصنام ودعائه الها مع الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله ﴿اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه لما تبين له الحق وعرفه شهد شهادة الحق وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله ولم يأخذه في الله لومة لائم ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه مع خلاف جميع قومه لقوله وانكارهم اياه عليه وقال لهم ياقوم اني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم اني وجهت وجهي في عبادتي الى الذي خلق السموات والارض الدائم الذي يبقى ولا يفنى ويحيي ويميت لا الى الذي يفنى ولا يبقى ويزول ولا يدوم ولا يضر ولا ينفع ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته باخلاص العبادة له والاستقامة في ذلك له به على ما يحب من التوحيد لا على الوجه الذي يوجهه وجهه من ليس بحنيف ولكنه به مشرك اذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف غير نافع موجهه بل ضاره ومهلكه وما أنا من المشركين يقول ولست منكم أي لست ممن يدين دينكم ويتبع ملتكم أيها المشركون وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول قوم ابراهيم لابراهيم تركت عبادة هذه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقالوا ما جئت بشيء ونحن نعبده ونتوجهه فقال لا حنيفا قال مخلصا لا أشركه كما تشركون ۞ القول في تأويل قوله ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون﴾ يقول تعالى ذكره وجادل ابراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الاصنام وكان جدالهم اياه قولهم ان آلهتهم التي يعبدونها خير من الهه قال ابراهيم أتحاجوني في الله يقول أتجادلونني في توحيدي الله واخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة وقد هدان يقول وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته وبصرني طريق الحق حتى ألفت أن لا شيء يستحق أن يعبد سواه ولا أخاف ما تشركون به يقول ولا أرهب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيأ ينالني في نفسي من سوء ومكروه وذلك أنهم قالوا له انا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل لذكرك اياها بسوء فقال لهم ابراهيم لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني

اللغو والعبث ويقرب منه قول المفسرين انه فى الآية الشروع فى آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد بعد الذكرى وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق أفاد هذا الغرض وان كان غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف أما مع الخوف فهذا الفرض ساقط والتقية واجبة نعم كل ما أوجب على الرسول صلى الله عليه وسلم فعله وجب عليه سواء ظهر أثر الخوف أو لم يظهر والا لم يبق الاعتماد على التكاليف التى يبلغها (وإما ينسينك الشيطان) أى يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهى (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هى الذكر قال فى الكشاف بناء على مذهبه يجوز أن يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهى فبيح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونهيناك عليه معهم قال الجبائى اذا كان عدم العلم بالشئ يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشئ أولى بأن يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على أن تكليف ما لا يطاق لا يقع ويدل على أن الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر قادرا على الايمان فوجب أن لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قناعنهم لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت الرخصة أن يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله (وما على الذين يتقون) أى الشرك والكبائر والفواحش (من حسابهم) من ذنوبهم التى يحاسبون عليها (من شئ ولكن ذكرى) أى ولكن يذكرونهم تذكيرا أو ولكن عليهم أن يذكروهم حجتنا أو ولكن الذى تأمرونهم به ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شئ كقول القائل ما فى الدار من أحد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم أكد الاعراض عنهم بقوله (وذروا الذين) والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فأعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول أنهم (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) وفيه وجوه اتخذوا دينهم الذى

بضر ولا مكروه لانها لا تنفع ولا تضر الا أن يشاء ربى شيأ يقول ولكن خوفى من الله الذى خلقنى وخلق السموات والارض فانه ان شاء أن ينالنى فى نفسى أو مالى بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك نالنى به لانه القادر على ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن جريج يقول **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان قال دعاقومه مع الله آلهة وخوفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبل فقال ابراهيم أتحاجونى فى الله وقد هدان قال قد عرفت ربى لا أخاف ما تشركون به وسع ربى كل شئ علما يقول وعلم ربى كل شئ فلا يخفى عليه شئ لانه خالق كل شئ ليس كالآلهة التى لا تضر ولا تنفع ولا تفهم شيأ وانما هى خشبة منحوتة وصورة ممثلة أفلا تتذكرون يقول أفلا تعتبرون أيها الجهلة فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكم صورة مصورة وخشبة منحوتة لا تقدر على ضر ولا على نفع ولا تفقه شيأ ولا تعقله وتركككم عبادة من خلقكم وخلق كل شئ وبيده الخير وله القدرة على كل شئ والعالم بكل شئ ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون﴾ وهذا جواب ابراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه لاذكره اياها بسوء فى نفسه بمكروه فقال لهم وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه فى عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضر ولا ينفع ولو كانت تنفع أو تضر لدفعت عن أنفسها كسرى اياها وضربى لها بالفأس وأنتم لا تخافون الله الذى خلقكم ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضركم فى اشراككم فى عبادتكم اياه مالم ينزل به عليكم سلطانا يعنى مالم يعطكم على اشراككم اياه فى عبادته حجة ولم يضع لكم عليه برهانا ولم يجعل لكم به عذرا فأى الفريقين أحق بالأمن يقول أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتى ربى مخلصا له العبادة حنيفا له دينى بريئا من عبادة الاوثان والاصنام أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما لم يجعل الله لكم بعبادتكم اياها برهانا ولا حجة ان كنتم تعلمون يقول ان كنتم تعلمون صدق ما أقول وحقيقة ما أحتج به عليكم فقولوا وأخبرونى أى الفريقين أحق بالأمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان محمد بن اسحق يقول فيما **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق فى قوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله يقول كيف أخاف وثنا تعبدون من دون الله لا يضر ولا ينفع ولا تخافون أنتم الذى يضر وينفع وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون أى بالامن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ألذى يعبد الذى بيده الضر والنفع أم الذى يعبد ما لا يضر ولا ينفع يضرب لهم الأمثال ويصرف لهم العبر ليعلموا أن الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبدون من دونه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال أفلج الله ابراهيم عليه السلام حين خاصمهم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ثم قال وتلك

كالفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا أو اتخذوا ما هو لعب ولهو يعنى عبادة الأوثان وغيرها دينا لهم أو المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر والسوائب أو المراد أن المشركين وأهل الكتاب اتخذوا أعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى قال ابن عباس أو هو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة والجلال لا لأنه حق وصدق فى نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثانى وهو قوله (وغرتهم الحياة الدنيا) كأنهم أعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا (وذكر به) أى بالقرآن أو بالدين القويم مخافة (أن تبسل نفس) قال الحسن ومجاهد أن تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء فعلها وأصله المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس فى جهنم وعن ابن عباس تفتضح (ليس لها) أى للنفس (من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل) ان تفد كل فداء لان الفادى يعدل المفدى بمثله (لا يؤخذ منها) قال فى الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الأخذ بالقبول كما فى قوله ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق (أولئك) المتخذون (هم الذين أبسلوا بما كسبوا) ثم بين ما به صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله (لهم شراب من حميم) ثم رد على عبدة الاصنام بقوله (قل أندعو من دون الله) النافع الضار (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) أى لا يقدر على النفع والضر (ونرد) داخل فى الاستفهام أى أنرجع الى الشرك بعد اذ أنقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام فان الردة عود الى الحالة الاولى التى كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ (كالذى استهوته) محله النصب على الحال من الضمير فى نرد أى أننكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه أى سقوطه من الموضع العالى الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى و(حيران) حال أخرى لكن من الضمير فى استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد فى الامر بحيث لا يهتدى الى مخرجه منه ومنه تحيرت

حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قول ابراهيم حين سألهم أى الفريقين أحق بالامن هى حجة ابراهيم عليه السلام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى عن ابراهيم حين سألهم فأى الفريقين أحق بالأمن قال وهى حجة ابراهيم عليه السلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أمن يعبد رباواحدا أم من يعبد أربابا كثيرة يقول قومه الذين آمنوا برب واحد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أمن خاف غير الله ولم يخفه أم من خاف الله ولم يخف غيره فقال الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول أعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية فقال بعضهم هذا فصل القضاء من الله بين ابراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله اذ قال لهم ابراهيم وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة ولم يخلطوا عبادتهم اياه وتصديقهم له بظلم يعنى بشرك ولم يشركوا فى عبادته شيأ ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته من الذين يشركون فى عبادتهم اياه الأوثان والأصنام فانهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم أما فى عاجل الدنيا فانهم وجلون من حلول سخط الله بهم وأما فى الآخرة فانهم الموقنون بأليم عذاب الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنا أحمد ابن اسحق قال يقول الله تعالى ذكره الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى الذين أخلصوا كاخلاص ابراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون الأمن من العذاب والهدى فى الحجة بالمعرفة والاستقامة يقول الله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون قال فقال الله وقضى بينهم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون فأما الذنوب فليس يبرأ منها أحد * وقال آخرون هذا جواب من قوم ابراهيم صلى الله عليه وسلم لابراهيم حين قال لهم أى الفريقين أحق بالأمن فقالوا له الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالامن اذ لم يلبسوا ايمانهم بظلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون أمن يعبد رباواحدا أم من يعبد أربابا كثيرة يقول قومه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم

الروضة بالماء اذا امتلات فتردد فيها الماء (له) أى لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) أى ان يهدوه الطريق المستوى فيكون مصدرا، وسمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (ائتنا) أو الدعاء فى معنى القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من أن الجن والغيلان تستهوى الانسان وتستولى عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمه تابعا الجن غير ملتفت اليهم وقيل ان ذلك الكافر أصحابا يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بأنه هو الهدى

و روى أن الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فانه كان يدعو باه الى عبادة الاوثان (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو) الذى يحق أن يسمى هدى وما وراءه غى وضلال (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن اقيموا) قال الزجاج لا بد من تاويل ليستقيم العطف فالتقدير وأمرنا لنسلم ولنقيم أو أمرنا أن أسلموا وأن أقيموا قيل والسر فى العدول عن الظاهر أن المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا أسلم صار كالحاضر وتقرير الآية أن متعلق الامر اما أن يكون من باب الأفعال أو من باب التروك والاول اما أن يكون من أفعال القلوب أو من أفعال الجوارح ورئيس أفعال القلوب الايمان بالله والاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس أعمال الجوارح الصلاة وهو قوله وأن أقيموا ثم أشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه ثم قال (وهو الذى اليه تحشرون) ليعلم أن منافع هذه الاعمال انما تظهر فى يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر بقوله (وهو الذى خلق السموات والارض) قائما أو ملتبسا (بالحق) بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك أنه أودع فى هذه الاجرام قوى وخواص وآثار تتضمن مصالح الأبدان ومباهج نوع الانسان وهكذا خلق (يوم يقول كن فيكون قوله الحق) فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق والمعنى أنه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبائع والعناصر والموالد وخلق يوم القيامة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز أن يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا مستأنفا أو قوله الحق مبتدأ ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال أى القتال واقع يوم الجمعة والمراد أن قضاءه فى ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعبث (ويوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود أنه لا ملك فى ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع

بظلم بعبادة الأوثان وهى حجة ابراهيم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن وفصل قضاء منه بين ابراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم ابراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها فى عبادة الله لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا ابراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد ولكنه كما ذكرت من تأويله بدأ * واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله تعالى بقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال بعضهم بشرك ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترون الى قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم قال أبو كريب قال ابن ادريس حدثنيه أولا أبى عن أبان بن تغلب عن الأعمش ثم سمعته قيل له من الأعمش قال نعم حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنى عمى يحيى بن عيسى عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله ما منا أحد الا وهو يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألا تسمعون الى قول لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما تظنون وانما هو ما قال لقمان لابنه لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه فقال انه ليس كما تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة فى قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن ابراهيم فى قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألم تسمعوا قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن ادريس عن الشيبانى عن أبى بكر بن أبى موسى عن الاسود ابن هلال عن أبى بكر الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن يونس بن أبى اسحق عن أبى بكر الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك

والصور باتفاق أكثر أهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن ونفخ في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطأه الأئمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد سبق جمعه واحده فواحده بزيادة هاء فيه كالصوف أما اذا سبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فأحسن صوركم ومن أسكن فقد أخطأ ومما يدل على أن الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان أنه تعالى لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم أنشأناه خلقا آخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله (عالم الغيب والشهادة) أي هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات (وهو الحكيم) المصيب في أقواله وأفعاله (الخبير) النافذ علمه في بواطن الحقائق من غير اشتباه والتباس فان أمر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق ﴿التأويل﴾ وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء قهار بوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو أرادت نفسه الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها الى بذل الجهد وان أراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع البهجة ولو أراد روحه استراحا من الخرقات قهرته بوارق التجلي فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء أحدكم الموت يعني الفناء عن أوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرناوهم لا يقصرون في افناء الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب آفة وفتنة ثم

حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سعيد بن عبيد الطائي عن أبي الاشعر العبدي عن أبيه أن زيد بن صوحان سأل سلمان فقال يا أبا عبد الله آية من كتاب الله قد بلغت مني كل مبلغ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال سلمان هو الشرك بالله تعالى فقال زيد ما يسرني بها أني لم أسمعها منك وان لي مثل كل شئ أمسيت أملكه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد ابن عبيد عن أبي الاشعر عن أبيه عن سلمان قال بشرك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان قال ثنا نسير بن ذعلوق عن درسب عن حذيفة في قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن رجل عن عيسى عن حذيفة في قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عارم أبو النعمان قال ثنا حماد ابن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وغيره أن ابن عباس كان يقول الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يقول بكفر حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يقول لم يلبسوا ايمانهم بالشرك وقال ان الشرك لظلم عظيم حدثنا نصر ابن علي الجهضمي قال ثني أبي قال ثنا جرير بن حازم عن علي بن زيد عن المسيب أن عمر بن الخطاب قرأ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فلما قرأها فزع فأتى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر قرأت آية من كتاب الله من يسلم فقال ما هي فقرأها عليه فأتيا لا يظلم نفسه فقال غفر الله لك أما سمعت الله تعالى يقول ان الشرك لظلم عظيم انما هو ولم يلبسوا ايمانهم بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر دخل منزله فقرأ في المصحف فر بهذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فأتى أبيا فاخبره فقال يا أمير المؤمنين انما هو الشرك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن مهران أن عمر بن الخطاب كان اذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون فاشتغل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر فتلا هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقد ترى أنا نظلم ونفعل ونفعل فقال يا أمير المؤمنين ان هذا ليس بذاك يقول الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم انما ذاك الشرك حدثنا هناد قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن أبي عثمان عمرو بن سالم قال قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال عمر قد أفلح من لم يلبس ايمانه بظلم فقال أبي يا أمير المؤمنين ذاك الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أسباط عن محمد بن مطرف عن ابن سالم قال قرأ عمر بن الخطاب فذكر نحوه حدثنا محمد بن بشار قال

 أنتم تشركون حين يتجلى لكم نور من أنوار صفاته فبعضكم يقول أنا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما أعظم شاني عذابا من فوقكم بسدل حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم أو من تحت أرجلكم حجابا من أوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم أو يلبسكم شيعا بجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هم الصديقون ومن قائل هم الزنديقون ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف آيات المعارف للسائرين الى الله لعلهم يفقهون لشرائط السير ولا يقفهون في مقام دون الفناء عن كلية

الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لا أسلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبا مستقر أى لكل سائر وواقف مستقر من درجات القرب أو دركات البعد واذا رأيت الذين يخوضون فى أحوال الرجال ولاحظلهم منها فأعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا فى حديث غير تلك الطامات التى هى ريح فى شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الان همهم من لبس الخرقة والتزيى بزى الطالبين انما هو الدنيا وقبول الحق أن تبسل نفس

أى كراهة أن يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل أندعو من دون الله أنطلب غير الله الذى هو النافع الضار والنفع الحقيقى هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقى هو الانقطاع عنه ونرد على أعقابنا الى مقام الاثنينية التى كنا فيها بعد أن هدانا الله الى الوحدة كالذى أضلته شياطين الجن والانس فى أرض البشرية باتباع الهوى حيران من اغوائهم وأمر نا لنسلم بتركه الوجود كالكرة فى ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وأن أقيموا الصلاة بمحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء به عن غيره ليحشر اليه لا الى الجنة أو النار كما قال ألا من طلبنى وجدنى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق أى لاظهار صفاته بجعل المخلوقات مرآة لجماله وجلاله واذا أراد أن يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون ولن يصير رائيا بمجرد سعيه لان قوله فى حق الانسان كن رائيا هو الحق وله ملك الاراءة وملك الرؤية ينفخ الاراءة فى صور القلب وهو الحكيم فيما اختص الانسان باراءة الآيات الخبير بمن يخصه من بين الناس بالاراءة واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين عن على عن زائدة عن الحسن بن عبد الله عن ابراهيم ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد عن أبيه عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بعبادة الأوثان حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش أن ابن مسعود قال لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم بظلم كبر ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله ما منا أحد الا وهو يظلم نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما سمعتم قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال عبادة الاوثان حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن قال بشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك * وقال آخرون بل معنى ذلك ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك فعل ما نهى الله عن فعله أو ترك ما أمر الله بفعله وقالوا الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معانى الظلم قالوا فان قال لنا قائل أفلا أمن فى الآخرة الا لمن لم يعص الله فى صغيرة ولا كبيرة والا لمن لقى الله ولا ذنب له قلنا ان الله عنى بهذه الآية خاصا من خلقه دون الجميع منهم والذى عنى بها وأراده بها خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأما غيره فانه اذا لقى الله لا يشرك به شيأ فهو فى مشيئته اذا كان قد أتى بعض معاصيه التى لا تبلغ أن تكون كفرا فان شاء لم يؤمنه من عذابه وان شاء تفضل عليه فعفا عنه قالوا وذلك قول جماعة من السلف وان كانوا مختلفين فى المعنى بالآية فقال بعضهم عنى بها ابراهيم وقال بعضهم عنى بها المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنى بهذه الآية ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن عن قيس بن الربيع عن زياد بن علاقة عن زياد بن حرملة عن على قال هذه الآية لابراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لهذه الامة منها شئ * ذكر من قال عنى بها المهاجرون خاصة حدثنا ابن وكيع قال ثنا

وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ﴿القراآت﴾ انى أرالك بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب رأى كوكبا بامالة الهمزة أبو عمرو وغير عباس والنجارى عن ورش وكذلك رآه ورآك وقرأ حمزة وعلى وخلف ويحيى وعباس وهبيرة من طريق الخراز بكسر الراء والهمزة

يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن عن قيس بن الربيع عن سماك عن عكرمة الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال هى لمن هاجر الى المدينة * وأولى القولين بالصحة فى ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخبر الذى رواه ابن مسعود عنه أنه قال الظلم الذى ذكره الله تعالى فى هذا الموضع هو الشرك وأما قوله أولئك لهم الامن وهم مهتدون فانه يعنى هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله وهم مهتدون يقول وهم المصيبون سبيل الرشاد والسالكون طريق النجاة ﴿القول فى تأويل قوله﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وتلك حجتنا قول ابراهيم لخاصميه من قومه المشركين أى الفريقين أحق بالأمن أمن يعبد ربا واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة واجابتهم اياه بقولهم بل من يعبد ربا واحدا أحق بالامن وقضاؤهم له على أنفسهم فكان فى ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم واستعلاء حجة ابراهيم عليهم فهى الحجة التى آتاها الله ابراهيم على قومه كالذى حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن رجل عن مجاهد وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه قال هى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابراهيم حين سأل أى الفريقين أحق بالامن قال هى حجة ابراهيم وقوله آتيناها ابراهيم على قومه يقول لقناها ابراهيم وبصرناه اياها وعرفناه على قومه نرفع درجات من نشاء * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة نرفع درجات من نشاء باضافة الدرجات الى من بمعنى نرفع الدرجات لمن نشاء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة نرفع درجات من نشاء بتنوين الدرجات بمعنى نرفع من نشاء درجات والدرجات جمع درجة وهى المرتبة وأصل ذلك مراقى السلم ودرجه ثم تستعمل فى ارتفاع المنازل والمراتب * والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربا معناهما وذلك أن من رفعت درجته فقد رفع فى الدرج ومن رفع فى الدرج فقد رفعت درجته فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك فمعنى الكلام اذا وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فرفعنا بها درجته عليهم وشرفناه بها عليهم فى الدنيا والآخرة فأما فى الدنيا فآتيناه فيها أجره وأما فى الآخرة فهو من الصالحين نرفع درجات من نشاء أى بما فعل من ذلك وغيره وأما قوله ان ربك حكيم عليم فانه يعنى ان ربك يا محمد حكيم فى سياسته خلقه وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة لهم الجاحدة توحيد ربهم وفى غير ذلك من تدبيره عليم بما يؤول اليه أمر رسله والمرسل اليهم من ثبات الامم على تكذيبهم اياهم وهلاكهم على ذلك أو انابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع الى طاعته يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم تأس يا محمد فى نفسك وقومك المكذبيك والمشركين بأبيك خليلى ابراهيم صلى الله عليه وسلم واصبر على ما ينوبك منهم صبره فانى بالذى يؤل اليه أمرك وأمرهم عالم بالتدبير فيك

وافق ابن ذكوان فى رأى فقط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف والهاء فى سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء فى سورة اقرأ باسم رأى القمر ورأى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصر وعباس ويحيى والخراز وروى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة أتحاجونى بتخفيف النون أبو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب فى نون الوقاية وقد هدان بالامالة على وقرأ سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل بالياء فى الحالين وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل درجات بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف ويعقوب ﴿الوقوف﴾ آلهة ج للابتداء بان مع اتحاد القول مبين ٥ الموقنين ٥ رأى كوكبا ج لان جواب لما قوله رأى مع اتحاد الكلام بلا عطف ربى ج لان جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الآفلين ٥ هذا ربى ج لذلك الضالين ٥ هذا أكبر ج لذلك يشركون ٥ المشركين ج لاحتمال الواو الحال أى وقد حاجه قومه ط هدان ط لانتهاء الاستفهام شيأ ط علما ط تتذكرون ٥ سلطانا ط للاستفهام بعد تمام الاستفهام بالامن ج لان جواب ان منتظر محذوف التقدير ان كنتم تعلمون فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون ٥ لتناهى الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله يهتدون ٥ على قومه ط من نشاء ط عليم ٥

﴿التفسير﴾ انه سبحانه كثيرا ما يحتج على مشركى العرب باحوال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعرف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف وذلك أنه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الآية يدل على أن اسم والد ابراهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارح قال الزجاج لا خلاف بين النسابين أن اسمه تارح فمن الملحدة من طعن فى هذا النسب لهذا السبب والجواب

أن اجماع النسابة لا عبرة به لان ذلك ينتهي الى قول الواحد أو الاثنين مثل وهب وكعب أو غيرهما سلمنا أن اسمه كان تارح لكنه من المحتمل أن يكون أحدهما لقبا والآخر اسما أصليا أو يكون آزر صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطئ والمخذول وقيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على ألفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم يجوز أن ينبز به للزومه عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم وقال الشاعر

أدعى باسماء نبزا في قبائلها * كأن اسماء أضحت بعض أسمائي

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابراهيم كان تارح وكان آزر عمه والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعلوم أن اسمعيل كان عما ليعقوب ومما يدل على صحة ظاهر الآية أن اليهود والنصارى والمشركين كانوا حراصا متهالكين على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا أن النسب صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان أحدا من آباء الرسول صلى الله عليه وآله ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانتقاله من ساجد الى ساجد وأكدوه بما روي أنه صلى الله عليه وآله قال لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وان آزر كان عم ابراهيم وما كان والده لان ابراهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله انى أراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرأ آزر بالضم والنداء بالاسم دليل الاستخفاف ولهذا لم يقرأ بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني وأجيب بأن قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها أخر ونوح سوف يجيء ذكرها وبأن قوله لم أزل أنتقل محمول على أنه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابراهيم انما كان لاجل اصرار أبيه على الكفر كما قال فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه لا لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب ثم ان ابراهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منكرا على آزر وقومه (أتتخذ أصناما آلهة) أي معبودين وذلك أن الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم

وفيهم حكيم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره فجزينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته ايانا واخلاصه توحيدنا به ومفارقته دين قومه المشركين بالله بان رفعنا درجته في عليين وآتيناه أجره في الدنيا ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوة وذرية شرفناهم منا بالكرامة وفضلناهم على العالمين منهم ابنه اسحق وابن ابنه يعقوب كلا هدينا يقول هدينا جميعهم لسبيل الرشاد فوفقناهم للحق والصواب من الاديان ونوحا هدينا من قبل يقول وهدينا للمثل الذي هدينا ابراهيم واسحق ويعقوب من الحق والصواب فوفقناه له نوحا من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب ومن ذريته داود والهاء التي في قوله ومن ذريته من ذكر نوح وذلك أن الله تعالى ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطا فقال واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومعلوم أن لوطا لم يكن من ذرية ابراهيم صلى الله عليهم أجمعين فاذ كان ذلك كذلك وكان معطوفا على اسماء من سمينا من ذريته كان لاشك انه لو أريد بالذرية ذرية ابراهيم لما دخل يونس ولوط فيهم ولاشك أن لوطا ليس من ذرية ابراهيم ولكنه من ذرية نوح فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية من ذكر نوح فتأويل الكلام ونوحا وفقنا للحق والصواب من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب وهدينا أيضا من ذرية نوح داود وسليمن وداود هو داود بن ايشا وسليمن هو ابنه سليمن بن داود وأيوب هو أيوب بن موص بن روح بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم ويوسف هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهرون أخو موسى وكذلك نجزي المحسنين يقول تعالى ذكره جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لاصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هدينا له وكما جزيناهؤلاء بحسن طاعتهم اياناوصبرهم على المحن فينا كذلك نجزي بالاحسان كل محسن ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا لمثل الذي هدينا له نوحا من الهدى والرشاد من ذريته زكريا بن آزن بن بركيا ويحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حزقيا وإلياس واختلفوا في الياس فكان ابن اسحق يقول هو إلياس بن يسى بن فنحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران ابن أخي موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم وكان غيره يقول هو ادريس وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود قال ادريس هو الياس واسرائيل هو يعقوب وأما أهل الانساب فانهم يقولون ادريس جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ هو ادريس بن يرد بن مهلائيل وكذلك روى عن وهب بن منبه والذي يقول أهل الانساب أشبه بالصواب وذلك أن الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته

الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت واحتج بعضهم بالآية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى أن وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابراهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال وأجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين عليه (وكذلك) أى مثل ما أريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) والنكتة فيه أن التخلى عن غير الله يوجب رفع الحجاب وبقدر ذلك يكون حصول التجلى والتحلى بالله وانما لم يقل أريناه بلفظ الماضى لانه أراد الحكاية كانه قيل كيف بلغ ابراهيم هذا المبلغ فى قوة الدين والذب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لاجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه أو المقصود بيان ارتفاعه فى معارج الكمال وازديادة فى ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية فى الذات وفى الصفات الا أن جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته فى تلك المعلومات أيضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه فى أحياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال التقديرية معلومة لله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية فأما السفر فى الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة قال بعضهم انه سبحانه أراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى رأى العرش والكرسى الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب عن ابن عباس أنه قال لما أرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وأرى ما فيها وما فى الارض من العجائب رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادى فهم بين خلال ثلاث اما أن أجعل منهم ذرية طيبة أو يتوبون فأغفر لهم أو النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو أريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضائعا وأيضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك

ونوح ابن ادريس عند أهل العلم فمحال أن يكون جد أبيه منسوبا الى أنه من ذريته وقوله كل من الصالحين يقول من ذكرنا من هؤلاء الذين سميناهم من الصالحين يعنى زكريا ويحيى وعيسى والياس صلى الله عليهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا من ذرية نوح اسمعيل وهو اسمعيل ابن ابراهيم واليسع هو اليسع بن أخطوب ابن العجوز * واختلف القراء فى قراءة اسمه فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق واليسع بلام واحدة مخففة وقد زعم قوم أنه يفعل من قول القائل وسع يسع ولا تكاد العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة أعنى على يفعل لا يقولون رأيت اليزيد ولا أتانى التجيب ولا مررت بالشكر الا فى ضرورة شعر وذلك أيضا اذا تحرى به المدح كما قال بعضهم

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله

فأدخل اليزيد الالف واللام وذلك لادخاله اياهما فى الوليد فأتبعه اليزيد بمثل لفظه وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين واليسع بلامين وبالتشديد وقالوا اذا قرئ كذلك كان أشبه بأسماء العجم وأنكروا التخفيف وقالوا لا نعرف فى كلام العرب اسما على يفعل فيه ألف ولام والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة لاجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد مع انه اسم أعجمى فينطق به على ما هو به وانما الا يستقيم دخول الالف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل وأما الاسم الذى يكون أعجميا فانما ينطق به على ما سموا به فان غير منه شئ اذا تكلمت العرب به فانما غير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان واليسع اذا شدد لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمناه أنه قال اسمه ليسع فيكون مشددا عند دخول الالف واللام اللتين يدخلان للتعريف ويونس هو يونس بن متى ولوطا وكلا فضلنا من ذرية نوح ونوح لهم بينا الحق ووفقناهم له وفضلنا جميعهم على العالمين يعنى على عالم أزمانهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ومن ذرياتهم واخوانهم آخرين سواهم لم يسمهم للحق والدين الخالص الذى لا شرك فيه فوفقناهم له واجتبيناهم يقول واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا الى من أرسلناهم اليه كالذى اخترنا ممن سمينا يقال منه اجتبى فلان لنفسه كذا اذا اختاره واصطفاه يجتبيه اجتباء وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره واجتبيناهم قال أخلصناهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وهديناهم الى صراط مستقيم يقول وسددناهم فأرشدناهم الى طريق غير معوج وذلك دين الله الذى لا عوج

الاراءة فثبت أنه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالآخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه وأيضا الاراءة بالعين تفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا توجب المدح والثواب كما للكفار في الآخرة وأيضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نرى ابراهيم ليستدل بها وليكون من الموقنين أو ليكون من الموقنين نريه أو فعلنا ذلك وذلك أن الاراءة قد تصير سببا للجحود لا الايقان كما في حق فرعون ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى وأيضا الانسان لا يمكنه أن يرى بالعين أشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير البقاء تكون شاغلة للرائي عن الله أما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف أن كل ممكن يحتاج الى الصانع الحق الواجب فكأنه بهاتين المقدمتين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زائلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الا أن الاطلاع على تفاصيل آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذه العوالم بحسب أجناسها وأنواعها وأصنافها وأشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في دعائه أرنى الاشياء كما هي ثم ان الانسان في أول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تأثير وقوة ويكون جار يا مجرى تكرار الدرس الواحد وتزداد النفس بكل منها نورا واشراقا وانبساطا الى أن يحصل الجزم ويكمل الايقان وتطلع شمس العلم والعرفان الى حيث أتيح لها من الارتقاء والتصاعد وذلك

فيه وهو الاسلام الذي ارتضاه الله ربنا لانبيائه وأمر به عباده ۞ القول في تأويل قوله ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هدى الله هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الانبياء والرسل فوفقتهم به لاصابة الدين الحق الذي نالوا باصابتهم اياه رضا ربهم وشرف الدنيا وكرامة الآخرة هو هدى الله يقول هو توفيق الله ولطفه الذي يوفق به من يشاء ويلطف به لمن أحب من خلقه حتى ينيب الى طاعة الله واخلاص العمل له واقراره بالتوحيد ورفض الاوثان والاصنام ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يقول ولو أشرك هؤلاء الانبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكره فعبدوا معه غيره لحبط عنهم يقول لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملا ۞ القول في تأويل قوله ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾ يعني تعالى ذكره بقوله أولئك هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله نوحا وذريته الذين هداهم لدين الاسلام واختارهم لرسالته الى خلقه هم الذين آتيناهم الكتاب يعني بذلك صحف ابراهيم وموسى وزبور داود وانجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين والحكم يعني الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الاحكام وروى عن مجاهد في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا أبان قال ثنا مالك بن شداد عن مجاهد والحكم والنبوة قال الحكم هو اللب وعنى بذلك مجاهد ان شاء الله ما قلت لأن اللب هو العقل فكأنه أراد أن الله آتاهم العقل بالكتاب وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به وقد بينا معنى النبوة والحكم فيما مضى بشواهدهما فاغنى ذلك عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله ﴿فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ يقول تعالى ذكره فان يكفر يا محمد بآيات كتابي الذي أنزلته اليك فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم كالذي حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان يكفر بها هؤلاء يقول ان يكفروا بالقرآن ثم اختلف أهل التأويل في المعني بهؤلاء فقال بعضهم عنى بهم كفار قريش وعنى بقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين الانصار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله تعالى فان يكفر بها هؤلاء قال أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن جويبر عن الضحاك فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال الانصار حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فان يكفر بها هؤلاء قال ان يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة الأنصار ليسوا بها بكافرين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فان يكفر بها هؤلاء يقول ان يكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان يكفر بها هؤلاء أهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أهل المدينة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن

قوله (فلما جن عليه الليل) قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابراهيم وقوله وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل وأجنه الليل والتركيب يدور على الستة ومنه الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليه الليل أي أظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى وأما أجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى أظلم واعلم أن كثيرا من المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان رأى رؤيا وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام ينازعه في ملكه فأمر بذبح كل غلام يولد فحملت أم ابراهيم عليه السلام به وما

عباس

أظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف فى جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام فوضع اصبعه فى فيه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبريل عليه السلام وكانت الام تأتيه أحيانا وترضعه وبقى فى الغار حتى كبر وعرف أن له ربا فسأل الام فقال لها من ربى فقالت أنا فقال من ربك فقالت أبوك فقال لا بيه من ربك فقال ملك البلد فعرف ابراهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فرأى النجم الذى كان أصغر النجوم فى السماء

عباس قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال كان أهل المدينة قد تبوؤا الدار والايمان قبل أن يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله عليهم الآيات جحد بها أهل مكة فقال الله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال عطية ولم أسمع هذا من ابن عباس ولكن سمعته من غيره **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان يكفر بها هؤلاء يعنى أهل مكة يقول ان يكفروا بالقرآن فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعنى أهل المدينة والانصار * وقال آخرون معنى ذلك فان يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها الملائكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن أبى رجاء فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال هم الملائكة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبى عدى وعبد الوهاب عن عوف عن أبى رجاء مثله * وقال آخرون عنى بقوله فان يكفر بها هؤلاء يعنى قريشا وبقوله فقد وكلنا بها قوما الانبياء الذين سماهم فى الآيات التى مضت قبل هذه الآية ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان يكفر بها هؤلاء يعنى أهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء الثمانية عشر الذين قال الله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة فان يكفر بها هؤلاء قال يعنى قوم محمد ثم قال فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعنى النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم ثم قال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * وأولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى بقوله فان يكفر بها هؤلاء كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعنى به الانبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره فى الآيات قبل هذه الآية وذلك أن الخبر فى الآيات قبلها عنهم مضى وفى التى بعدها عنهم ذكر فقضا بينها بأن يكون خبرا عنهم أولى وأحق من أن يكون خبرا عن غيرهم فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك فان يكفر قومك من قريش يا محمد بآياتنا وكذبوا وجحدوا حقيقتها فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك الذين لا يجحدون حقيقتها ولا يكذبون بها ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها وقد قال بعضهم معنى قوله فقد وكلنا بها قوما رزقناها قوما ﴿القول فى تأويل قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ يقول تعالى ذكره أولئك هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين هم الذين هداهم الله لدينه الحق وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه والقيام بحدوده واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من أمر الله والانتهاء عما فيه من نهيه فوفقهم جل ثناؤه لذلك فبهداهم اقتده يقول تعالى ذكره فبالعمل الذى عملوا والمنهاج الذى سلكوا وبالهدى الذى هدينا هم والتوفيق الذى وفقناهم اقتده يا محمد أى فاعمل وخذ به واسلكه فانه عمل لله فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها

فقال هذا ربى الى آخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ وأوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ وأكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها أن القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها أن ابراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى أخبر عنه أنه دعا أباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات وفى هذا الموضع دعا أباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها أن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب فى قوله فلما جن ومنها أنه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل أى من أول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها أنه قال بعد القصة يا قوم انى برىء مما تشركون مع أنه ما كان فى الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر فى الكواكب بعد أن خالط قومه ورآهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا أحب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده قوله وكيف أخاف ما أشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما فى قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومنها أن تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغى أن يستدل أولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا أن المقصود الزام القوم وافحامهم والابتداء بأفول الكوكب لانه اتفقت مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى أن طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا

كلام ابراهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله أن يقول فى مناظرة من يزعم قدم الجسم الجسم قديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه متركبا متغيرا فقولك الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة عليه أو المراد هذا ربى فى زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للجسم الاله جسم محدود أى فى زعمه واعتقاده قال تعالى ويوم يناديهم فيقول أين شركائى وقال ذق انك أنت العزيز الكريم أى عند نفسك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا اله الآلهة فى زعمهم أو المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا أنه أسقط حرف الاستفهام لدلالة الكلام أو أضمر القول أى يقولون هذا ربى واضمار القول كثير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا أى يقولان ربنا والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم أى يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا أو ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء أو أنه عليه السلام قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا قوله فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع أن ابراهيم كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المأمور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص واحد لقوله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فلأن يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدى أولى قالت العلماء ان المكره على ترك الصلاة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم أنه لو اشتغل بالصلاة انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلاة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال أثم وان من كان فى الصلاة فرأى طفلا أو أعمى أشرف على غرق أو حرق وجب عليه قطع الصلاة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم وذلك أنهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابراهيم على هذا الطريق فى الظاهر مع أنه كان بريئا عنه فى الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح من الله تعالى اظهار خوارق العادات على يد من يدعى الالهية لان صورة هذا المدعى وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها على يد من يدعى النبوة كاذبا لان التلبيس يروج حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربى لا يوجب

بكافرين أنهم الانبياء المسمون فى الآيات المتقدمة وهو القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك وأما على تأويل من تأول ذلك أن القوم الذين وكلوا بهاهم أهل المدينة أو أنهم هم الملائكة فانهم جعلوا قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اعتراضا بين الكلامين ثم ردوا قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده على قوله أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب الى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده يا محمد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك الذين هدى الله يا محمد فبهداهم اقتده ولا تقتد بهؤلاء حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال ثم قال فى الانبياء الذين سماهم فى هذه الآية فبهداهم اقتده ومعنى الاقتداء فى كلام العرب بالرجل اتباع أثره والأخذ بهديه يقال فلان يقد وفلانا اذا نحا نحوه واتبع أثره قده وقدوة وقدوة وقدوة ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم يا آياتى أن تبسل نفس بما كسبت من مشركى قومك يا محمد لا أسألكم على تذكيرى اياكم والهدى الذى أدعوكم اليه والقرآن الذى جئتكم به عوضا أعتاضه منكم عليه وأجرا آخذه منكم وما ذلك منى الا تذكير لكم ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل بأس الله أن يحل بكم وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم وانذار لجميعكم بين يدى عذاب شديد لتذكروا وتنزجروا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ﴾ يقول تعالى ذكره وما قدروا الله حق قدره وما أجلوا الله حق اجلاله ولا عظموه حق تعظيمه اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ يقول حين قالوا لم ينزل الله على آدمى كتابا ولا وحيا واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ وفى تأويل ذلك فقال بعضهم كان قائل ذلك رجلا من اليهود ثم اختلفوا فى اسم ذلك الرجل فقال بعضهم كان اسمه مالك بن الصيف وقال بعضهم كان اسمه فنحاص واختلفوا أيضا فى السبب الذى من أجله قال ذلك ذكر من قال كان قائل ذلك مالك بن الصيف حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجد فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفى ذلك استدراج لهم لقبول الدليل فكان جائزا * الاحتمال الثانى أنه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم انه تعالى أكمل بلوغه فى أثناء هذا الفكر فقال عند أفول الشمس انى برىء مما تشركون واعلم أن القصة التى ذكرناها من ان ابراهيم عليه السلام ولد فى الغار وتركته أمه وكان جبريل يربيه محتملة فى الجملة لان الارهاص وهو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز عندنا ولم يجوزه القاضى الا اذا حضر فى ذلك الزمان رسول من الله تعالى فتكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال فى الكشاف فان قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وأنا أقول الاحتجاج بالبزوغ فى الآية لا يصح لانه تعالى بين أنه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس دليله أنه لم يقل رأى القمر يبزغ بل بازغا ولو سلم فان أحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والأوساط والعوام فالخواص يفهمون من الأفول الامكان فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز أن يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات وأما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم وأما العوام فانهم يفهمون من الأفول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية أقصى ما فى الباب أن يقال ان لها تأثيرات فى أحوال العالم السفلى ولكن تلك التأثيرات لما لم تكن لها بذاتها لزم استناد الكل الى الواجب سبحانه

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قال نزلت فى مالك بن الصيف كان من قريظة من أحبار يهود قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الآية ذكر من قال نزلت فى فنحاص اليهودى **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قال قال فنحاص اليهودى ما أنزل الله على محمد من شئ وقال آخرون بل عنى بذلك جماعة من اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا يونس قال ثنا أبو معشر المدنى عن محمد بن كعب القرظى قال جاء ناس من يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحا يحملها من عند الله فأنزل الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة الآية فخنا رجل من يهود فقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيأ فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره قال محمد بن كعب ما علموا كيف الله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا فخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته وجعل يقول ولا على أحد **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ الى قوله فى خوضهم يلعبون هم اليهود والنصارى قوم آتاهم الله علما فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به فذمهم الله فى عملهم ذلك ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول ان من أكثر ما أنا مخاصم به غدا أن يقال يا أبا الدرداء قد علمت فماذا عملت فيما علمت **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ يعنى من بنى اسرائيل قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا قال فأنزل الله قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الى قوله ولا آباؤكم قال الله أنزله وقال آخرون هذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشركى قريش أنهم قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قالها مشركو قريش قال وقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا قال هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا قال وقوله وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قال هذه للمسلمين **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره قال هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن

(٢٣ - ابن جرير سابع) وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم النيرات فيجب أن يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدا بحال ويعلم من قوله لا أحب الآفلين أنه تعالى ليس بجسم والا كان غائبا عنا فيكان آفلا وانه لا يصح عليه المجىء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه أن معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل الى معرفته تعالى الا النظر والاستدلال أما قوله فلما رأى القمر بازغا يقال بزغ القمر أو الشمس اذا ابتدأ بالطلوع وأصل البزغ الشق

كانه بنوره يشق الظلمة شقا قاله الازهرى وفى قوله ان لم يهدنى ربى اشارة الى أن الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة حملوها على التمكين وازاحة الاعذار ونصب الدلائل وزيف بأن كل ذلك كان حاصلا فالهداية التى كان يطلبها بعد ذلك لابد أن تكون زائدة عليها فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى أراد هذا الطالع أو هذا المرئى أو ذكر بتأويل الضياء والنور أو باعتبار الخبر وهو رب مع رعاية الادب وهو ترك التأنيث عند اللفظ الدال على الربوبية كما لم يقولوا فى صفة الله علامة وان كانت بتاء مبالغة هذا أكبر أى أكبر الكواكب

جرما ونورا وقد برهن فى الهيئة على أنها مائة وستة وستون مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس أولا مع أنه يلزم منه عدم ربوبية مادونها من القمر والكواكب لانه أراد الاخذ من الأدون الى الأعلى لمزيد التقرير والتصوير ياقوم انى برىء مما تشركون قيل لا يلزم من نفى ربوبية النجوم نفى الشريك مطلقا والجواب أن القوم لم ينازعوه الا فى الصور المذكورة فلما أثبت أنها ليست أربابا ثبت بالاتفاق نفى الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهى للذى فطر وجهت عبادتى لاجله فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة وأصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق والورد اذا أظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال أبو العالية الذى يستقبل البيت فى صلاته ثم ان قومه حاجوه متمسكين بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا آباءنا على أمة وكقولهم للرسول صلى الله عليه وسلم أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب ومخوفين اياه بالأصنام أخرى فأجابهم بقوله أتحاجونى فى الله وقد هدان أى لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قولى فكيف ألتفت الى حجتكم الواهية ولا أخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا أن يشاء الا وقت مشيئة ربى يبدونها شيأ يخاف فحذف المضاف أى الا ان أذنبت فيشاء انزال العقوبة بى أو الا أن يريد ابتلائى بمحنة أو الا أن يمكن بعض تلك الاصنام من ضرى مثل أن يرجمنى بكوكب أو كان قد أودع فيها طلسم فيصيبنى مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شئ من المكاره فى الايام المستقبلة لم يحمله الحمق والجهالة على قدرة الاصنام وسع ربى كل شئ علما فلا يفعل الا الخير والصلاح أفلا تتذكرون أن نفى الانداد

مجاهد وما قدروا الله حق قدره يقول مشركو قريش وأولى هذه الاقوال بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال عنى بذلك وما قدروا الله حق قدره مشركو قريش وذلك أن ذلك فى سياق الخبر عنهم أولا فأن يكون ذلك أيضا خبرا عنهم أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا مع ما فى الخبر عمن أخبر الله عنه فى هذه الآية من انكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيأ من الكتب وليس ذلك مما تدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود الاقرار بصحف ابراهيم وموسى وزبور داود واذا لم يكن مما روى من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود خبر صحيح متصل السند ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل اجماع وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها الى هذا الموضع خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعى أن ذلك مصروف عما هو به موصول الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ولكنى أظن أن الذين تأولوا ذلك خبرا عن اليهود وجدوا قوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فوجهوا تأويل ذلك الى أنه لاهل التوراة فقرؤه على وجه الخطاب لهم يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فجعلوا ابتداء الآية خبرا عنهم اذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل لما وصفت قبل من أن قوله وما قدروا الله حق قدره فى سياق الخبر عن مشركى العرب وعبدة الاوثان وهو به متصل فالأولى أن يكون ذلك خبرا عنهم والأصوب من القراءة فى قوله يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا أن يكون بالياء لا بالتاء على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ويكون الخطاب بقوله قل من أنزل الكتاب لمشركى قريش وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد ان شاء الله فى تأويل ذلك وكذلك كان يقرأ حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا القول فى تأويل قوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك القائلين لك ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا يعنى جلاء وضياء من ظلمة الضلالة وهدى للناس يقول بيانا للناس يبين لهم به الحق من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم يجعلونه قراطيس يبدونها فمن قرأ ذلك تجعلونه جعله خطابا لليهود على ما بينت من تأويل ذلك كذلك ومن قرأه بالياء يجعلونه فتأويله فى قراءته يجعله أهله قراطيس وجرى الكلام فى يبدونها بذكر القراطيس والمراد منه المكتوب فى القراطيس يراد يبدون كثيرا مما يكتبون فى القراطيس فيظهرونه للناس ويخفون كثيرا مما يثبتونه فى القراطيس فيسرونه ويكتمونه الناس ومما كانوا يكتمونه اياهم ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته كالذى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قراطيس

عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان الصحيح لا يساوى الفاسد والعاجز لا يساوى القادر ثم أكد ذلك بقوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا اذ لا سلطان فينزل وقيل انه لا يمتنع عقلا أن يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلاة والدعاء ولكنه لم يؤمر به والمعنى مالكم تنكرون على الأمن فى موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف ثم قال فأى الفريقين يعنى فريق المشركين والموحدين ولم يقل فاينا أحق بالامن أنا أم أنتم اجتنابا عن تزكية نفسه والغرض انى أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الآية والمعنى أن الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وسنامه الايمان ولكمال القوة العلمية وهو وضع الاشياء فى موضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا أى لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط فى الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا فى الايمان لم يكن لهذا التقييد فائدة فثبت أن الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط فى حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب أن لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له أبدا وأجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجماعه مع الاقرار بالصانع ممكن وحينئذ يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا فى المعبودية ويؤيده أن القصة وردت فى نفى الاضداد والانداد وأيضا لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدى واعلم أن المحاجة فى الله تارة تكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابراهيم وتارة تكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابراهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا والها الاشارة بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم أرشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات وقد تقدم فى البقرة واختلف فى تلك الدرجات فقيل أعماله فى الآخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة لانها تقتضى ارتفاع الروح من حضيض العالم الجسمانى الى أعلى العالم الروحانى وقيل نرفع من نشاء فى الدنيا بالنبوة والحكمة

يبدونها ويخفون كثيرا اليهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها يعنى يهود لما أظهروا من التوراة ويخفون كثيرا مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا قال هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾ يقول تعالى ذكره وعلمكم الله جل ثناؤه الكتاب الذى أنزله اليكم مالم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم ومن أنباء من بعدكم وما هو كائن فى معادكم يوم القيامة ولا آباؤكم يقول ولم يعلمه آباؤكم أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله صلى الله عليه وسلم كالذى حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد وعلمتم معشر العرب مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول فى قوله وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قال هذه للمسلمين وأما قوله قل الله فانه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا بقيل الله كامره اياه فى موضع آخر فى هذه السورة بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فأمره باستفهام المشركين عن ذلك كما أمره باستفهامهم اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ عمن أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ثم أمره بالاجابة عنه هنالك بقيله قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون كما أمره بالاجابة ههنا عن ذلك بقيله الله أنزله على موسى كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس قال الله أنزله ولو قيل معناه قل هو الله على وجه الامر من الله له بالخبر عن ذلك لا على وجه الجواب اذ لم يكن قوله قل من أنزل الكتاب مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون قوله قل الله جوابا لهم عن مسألتهم فانما هو أمر من الله لمحمد بمسألة القوم من أنزل الكتاب فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذى قاله ابن عباس من تأويله كان جائزا من أجل أنه استفهام ولا يكون للاستفهام جواب وهو الذى اخترنا من القول فى ذلك لما بينا وأما قوله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فانه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام بعد احتجاجك عليهم فى قيلهم ما أنزل الله على بشر من شئ بقولك من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس واجابتك ذلك بأن الذى أنزله الله الذى أنزل عليك كتابه فى خوضهم يعنى فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته يلعبون يقول يستهزؤن ويسخرون وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم يقول الله جل ثناؤه ثم دعهم لاعبين يا محمد فانى من وراء

وفى الآخرة بالجنة والثواب أو ترفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا الموجب النشهى والشهوة * ﴿التأويل﴾ رأى ابراهيم ملكوت الاشياء أى بواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع فى آزر وقومه فلما جن عليه ظلمة ليل البشرية أمطر سحاب العناية غيث الهداية على أرض قلبه فأنبت بذر الخلة المودعة فى ملكوت قلبه فرأى نور الرشد فى صورة الكوكب طالعا من أفق سماء روحانيته فقال هذا ربى أراد به سره المكوكب لا الكوكب وان لم يشعر به نفسه كما قيل

هوى فؤادى ولم يعلم به بدنى *

فالجسم فى غربة والروح فى وطن
فان كذبت النفس فيما قالت

للكوكب هذا ربى ما كذب الفؤاد ما رأى من الكوكب فقال هذا ربى فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخلقية عند رجوعه الى أوصافه ووافقه كوكب السماء بالغروب قال سره لا أحب الآفلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية فى مرآة القمر قال هذا ربى فلما أفل عند رجوعه الى أوصافه ازداد الشوق قال ان لم يهدنى ربى برفع حجب الاوصاف ويبقنى على وجود الخليقة لاكونن من القوم الضالين عن الحق كآزر وقومه فلما انخرقت حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية وأشرقت أرض القلب بنور ربها قال هذا ربى فلما أفلت شمس الهداية تعززا وتعظما لمغرب ابراهيم عليه السلام عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل

وشمس القلوب ليست تغيب
تبرأ عن الاضداد والانداد ونزعته همة الخلة عن الجهات وخلصه تجلى صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال ياقوم انى برىء مما تشركون وقد يدور فى الخلد أن ابراهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر أولا فى عالم الاجسام فوجدها آفلة فى أفق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى أو منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها آفلة فى أفق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها آفلة فى أفق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده أن هذه القوى المدركة الثلاثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهرلها مستول عليها وحاجه قومه ليسبلوا ستور شبههم على شموس

ماهم فيه من استهزائهم بآياتى بالمرصاد وأذيقهم بأسى وأحل بهم ان تمادوا فى غيهم سخطى

﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾ يقول تعالى ذكره وهذا القرآن يا محمد كتاب وهو اسم من أسماء القرآن قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ومعناه مكتوب فوضع الكتاب مكان المكتوب أنزلناه يقول أوحيناه اليك مبارك وهو مفاعل من البركة مصدق الذى بين يديه يقول صدق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه قبلك لم يخالفها ولا ينبأ وهو معنى نورا وهدى للناس يقول هو الذى أنزل اليك يا محمد هذا الكتاب مباركا مصدقا كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله ولكنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عنه اذ كان قد تقدم الخبر عن ذلك ما يدل على أنه به متصل فقال وهذا كتاب أنزلناه اليك مبارك ومعناه وكذلك أنزلت اليك كتابى هذا مباركا كالذى أنزلت من التوراة الى موسى هدى ونورا وأما قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها فانه يقول أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب مصدقا ما قبله من الكتب ولتنذر به عذاب الله وبأسه من فى أم القرى وهى مكة ومن حولها شرقا وغربا من العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها يعنى بأم القرى مكة ومن حولها من القرى الى المشرق والمغرب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها وأم القرى مكة ومن حولها الارض كلها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولتنذر أم القرى قال هى مكة وبه عن معمر عن قتادة قال بلغنى أن الارض دحيت من مكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها كنا نحدث أن أم القرى مكة وكنا نحدث أن منها دحيت الارض حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولتنذر أم القرى ومن حولها أما أم القرى فهى مكة وانما سميت أم القرى لأنها أول بيت وضع بها وقد بينا فيما مضى العلة التى من أجلها سميت مكة أم القرى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ يقول تعالى ذكره ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد فى الآخرة الى الله ويصدق بالثواب والعقاب فانه يؤمن بهذا الكتاب الذى أنزلناه اليك يا محمد ويصدق به ويقر بأن الله أنزله ويحافظ على الصلوات المكتوبات التى أمره الله باقامتها لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به وعلى معاصيه وانما يجحد به ويعانده ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجحود لقيام الساعة لانه لا يرجو من الله ان عمل بما فيه ثوابا ولا يخاف ان لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا

عرفانه وقد هدانا اليه بالعيان بعد توالي البرهان الا أن يشاء ربي شيأ من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربي كل شئ علما فهو أعلم بأهل العرفان وبأصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبريل أما اليك فلا وتلك يعني اراءة الملكوت وشواهد الربوبية في مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتبرى عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقي بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات آتيناها ابراهيم بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبي ﴿ ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ﴾

القرآت آتيناهم والبسع بتشديد اللام حمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلواني عن هشام مختلسة وبحذف الهاء في الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل * الوقوف ويعقوب ط كلا هدينا ج لأن ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس بأنه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون ط المحسنين ٥ لا

أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ يعني جل ذكره بقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ومن أخطأ قولا وأجهل فعلا ممن افترى على الله كذبا يعني ممن اختلق على الله كذبا فادعى عليه أنه بعثه نبيا وأرسله نذيرا وهو في دعواه مبطل وفي قيله كاذب وهذا تسفيه من الله لمشركي العرب وتجهيل منه لهم في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سرح والحنفي مسيلمة لنبي الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أحدهما النبوة ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفى منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق الكذب عليه ودعوى الباطل * وقد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ قال نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن به ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي بني عامر بن لؤي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وكان فيما يملي عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم فيغيره ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل فيقول نعم سواء فرجع عن الاسلام ولحق بقريش وقال لهم لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم فأحوّله ثم أقول لما أكتب فيقول نعم سواء ثم رجع الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمر وقال بعضهم بل نزل ذلك في عبد الله بن سعد خاصة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ الى قوله تجزون عذاب الهون قال نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب سميعا عليما فشك وكفر وقال ان كان محمد يوحى اليه فقد أوحي الي وان كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله قال محمد سميعا عليما فقلت أنا عليما حكيما فلحق بالمشركين ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي أولبني عبد الدار فأخذوهم فعذبوا حتى كفروا وجدع أذن عمار يومئذ فانطلق عمار الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما لقي والذي أعطاهم من الكفر فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولاه فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمار وأصحابه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فالذي أكره عمار وأصحابه والذي شرح بالكفر صدرا فهو ابن أبي سرح وقال آخرون بل القائل أوحي الي ولم يوح اليه شئ مسيلمة الكذاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في مسيلمة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحي الي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما في منامي الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة

للعطف والياس ط من الصالحين ٥ لا للعطف ولوطا ط العالمين ٥ لا للعطف واخوانهم ج لبيان أن قوله واجتبيناهم يعود الى قوله كلا هدينا كقوله وممن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو الحال أي وقد اجتبيناهم وذكر هدينا هم بعده مستقيم ٥ من عباده ط يعملون ٥ والنبوة ج بكافرين ٥ اقتده ط أجرا ط للعالمين ٥ * (التفسير) لما حكى حجج ابراهيم صلوات الرحمن عليه في التوحيد والذب عن الدين الحنيفي عدد وجوه نعمه واحسانه عليه بعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا له باللفظ الدال على العظمة

كما يقوله عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك أنه جعل أشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو أيضا ابنه لصلبه لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني اسرائيل وهم بأسرهم أولاد اسحق ويعقوب وأما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه أحد من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وآله ولا يجوز ذكر محمد صلى الله عليه وآله في هذا المقام لانه أمر محمدا أن يحتج على العرب بأن ابراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد شرفه الله بالنعم الجسام في الدين والدنيا ومن جملة ذلك أن آتاه أولادا كانوا ملوكا وأنبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمدا متنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق أما قوله (ونوحا هدينا من قبل) فالمقصود منه بيان كرامة ابراهيم بحسب الآباء أيضا مثل نوح وادريس وشيث وأما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لأنه أقرب ولأنه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن أخي ابراهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولأن ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل ما كان من ذرية ابراهيم وكان من ذرية نوح ولأن يونس عليه السلام لم يكن من ذرية ابراهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابراهيم لأنه هو المقصود بالذكر في هذا المقام * واعلم أن الله تعالى ذكر أربعة من الانبياء وهم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر نبيا داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا فالمجموع ثمانية عشر وأنه لم يراع الترتيب بينهم في الآية لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلك على أن الواو لا تفيد الترتيب وقال في التفسير الكبير ان وجه الترتيب أنه تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد أعطى داود وسليمان من ذلك نصيبا عظيما والمرتبة الثانية البلاء والمحنة وقد خص أيوب بذلك والثالثة اجتماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي أولا ثم أوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى

وكذاب صنعاء العنسي وكان يقال له الاسود حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ قال نزلت في مسيلمة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وزاد فيه وأخبرني الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فكبر ذلك علي فأوحى الي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولت ذلك كذابي اليمامة وكذاب صنعاء العنسي * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله قال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ولا تمانع بين علماء الامة أن ابن أبي سرح كان ممن قال اني قد قلت مثل ما قال محمد وانه ارتد عن اسلامه ولحق بالمشركين فكان لاشك بذلك من قيله مفتريا كذبا وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذبا أنه بعثهما نبيين وقال كل واحد منهما ان الله أوحى اليه وهو كاذب في قيله فاذا كان ذلك كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقا على الله كذبا وقائلا في ذلك الزمان وفي غيره أوحى الله الي وهو في قيله كاذب لم يوح الله اليه شيأ فأما التنزيل فانه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب اذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيروه فغيرهم الله بذلك وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك ومع تركهم نكيره هم بتبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكذبون ولنبوته جاحدون ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون فقال لهم جل ثناؤه ومن أظلم ممن ادعى على النبوة كاذبا وقال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ومع ذلك يقول ما أنزل الله على بشر من شئ فينقض قوله بقوله ويكذب بالذي تحققه وينفي ما يثبته وذلك اذا تدبره العاقل الاريب علم أن فاعله من عقله عديم وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ما حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله قال زعم أنه لو شاء قال مثله يعني الشعر فكان ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوله بوجه معنى قول قائل سأنزل مثل ما أنزل الله الى سأنزل مثل ما قال الله من الشعر وكذلك تأوله السدي وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد والقائلين ما أنزل الله على بشر من شئ والمفترين على الله كذبا الزاعمين أن الله أوحى اليه ولم يوح اليه شئ والقائلين سأنزل مثل ما أنزل الله فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت ونزل بهم أمر الله وحان فناء آجالهم والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم كما قال جل ثناؤه فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم والغمرات جمع غمرة وغمرة كل شئ كثرته ومعظمه وأصله الشئ الذي يغمر الاشياء فيغطيها ومنه قول الشاعر

والياس ولهذا وصفهم بأنهم من الصالحين السادسة الانبياء الذين ليس لهم فى الخلق أتباع ولا أشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط وأما المراد بقوله (كلا هدينا ونوحا هدينا) قيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله (وكذلك نجزى المحسنين) فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد أن يقال المراد الهداية الى الدين والمعرفة لأنهم اجتهدوا فى طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لأن الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز أن تكون الرسالة جزاء على عمل واستدل بعضهم بقوله (وكلا فضلنا على العالمين) على أن الانبياء أفضل من الملائكة وذلك أن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة وكذا الأولياء وقيل فضلناهم على عالمى زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضى ويمكن أن يقال المراد وكل من الانبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام فى ان أى الانبياء أفضل من بعض كلام آخرا تعلق له بالاول ثم قال (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) معطوف على كلا أى فضلنا بعض آبائهم فالآباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على أنه تعالى خص كل من تعلق بهولاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فقوله من آبائهم وكلمة من للتبعيض يدل على أنه قد كان فى آباء هؤلاء الانبياء من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا أنه يفيد أن لا تكون المرأة رسولا ولا نبيا (واجتبيناهم) أى اصطفيناهم من جبيت الماء فى الحوض وجبوته أى جمعته (ذلك هدى الله) اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو أشركوا لحبط وفيه دليل على أن الهداية من الله تعالى وليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة (أولئك) يعنى الانبياء الثمانية عشر (الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) ولا بد بحكم العطف من تغاير الأمور الثلاثة ووجه بأن الحكام على الخلق ثلاث طوائف الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الأمرين وهم

وهل ينجى من الغمرات الا * ترائك للقتال أو الفرار

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت قال سكرات الموت حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى غمرات الموت يعنى سكرات الموت وأما بسط الملائكة أيديهم فانه مدها ثم اختلف أهل التأويل فى سبب بسطها أيديها عند ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم قال هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم يقول الملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم والظالمون فى غمرات الموت وملك الموت يترفاهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والملائكة باسطو أيديهم يضربونهم وقال آخرون بل بسطها أيديها بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك والملائكة باسطو أيديهم قال بالعذاب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح والملائكة باسطو أيديهم بالعذاب وكان بعض نحويى الكوفيين يتأول ذلك بمعنى باسطو أيديهم باخراج أنفسهم فان قال قائل ما وجه قوله أخرجوا أنفسكم ونفوس بنى آدم انما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين فكيف خوطب هؤلاء الكفار وأمروا فى حال الموت باخراج أنفسهم فان كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم قيل ان معنى ذلك بخلاف الذى ذهبت وانما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم بأداء ما أسكنها بها من الارواح اليه وتسليمها الى رسله الذين يتوفونها القول فى تأويل قوله (اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رسل الله التى تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها يخبر عنها أنها تقول لاجسامها ولأصحابها أخرجوا أنفسكم الى سخط الله ولعنته فانكم اليوم تثابون على كفركم بالله وقيلكم عليه الباطل وزعمكم أن الله أوحى اليكم ولم يوح اليكم شيأ وانذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيأ واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله والانقياد لطاعته عذاب الهون وهو عذاب جهنم الذى يهينهم فيذلهم حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلتها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما عذاب الهون فالذى يهينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج اليوم تجزون عذاب الهون قال عذاب الهون فى الآخرة بما كنتم تعملون والعرب اذا أرادت بالهون معنى الهوان ضمت الهاء واذا أرادت

الانبياء فالامور الثلاثة اشارة الى هذه الاصناف الثلاثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما فى هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه وأسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحى والتنزيل كصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما أنزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين (فان يكفر بها) أى بالامور الثلاثة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أى ليسوا كافرين بها ومن توكيلهم بها أنهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل أهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك أولئك الذين هدى الله وقال أبو رجاء يعنى الملائكة وضعف بأن اسم القوم قلما يقع على غير بنى آدم وفى الآية دلالة على أنه تعالى سينصر نبيه ويظاهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد وكان اخبارا بالغيب فصح إعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على أنه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشتركا بين الكل لم يصح هذا التخصيص أجاب الكعبى بأنه زاد المؤمنين من الألطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير أن يستوى فاذا لم ينتفع به الكافر صح بحسب الظاهر أن يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف وردبأن الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبأن الوالد لما سوى بين الولدين فى العطية ثم ان أحدهما ضيع نصيبه فأى عاقل يجوز أن يقول أحد ان الأب ما أنعم عليه وما أعطاه شيأ (فبهداهم اقتده) من حذف الهاء فى الوصل فعلى الاصل ومن أثبتها فى الوصل كما فى الوقف أراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة فى الخط فكره مخالفة الخط فى الحالين وأما قراءة ابن عامر يخال بكسر الهاء بغير اشباع فقال أبو بكر بن مجاهد انها غلط وقال أبو على الفارسى ليست بغلط ووجهها أن يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم اقتداهم اقتداء وتقديم المفعول للاختصاص أى لا تقتد الا بهم ولا خلاف فى أنه أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام فى تفسير الهدى فمن الناس من قال المراد الذى أجمعوا عليه وهو القول بالتوحيد والتنزيه

به الرفق والدعة وخفة المؤنة فتحت الهاء فقالوا هو قليل هون المؤنة ومنه قول الله الذين يمشون على الارض هونا يعنى بالرفق والسكينة والوقار ومنه قول المثنى بن جندل الطهوى

ونقض أيام نقضن أسره * هونا وألقى كل شيخ خفره

* (ومنه قول الآخر) *

هونك لا يردك الدهر ما فاتا * لا تهلكا أسفا فى إثر من ماتا

يريد رودا وقد حكى فتح الهاء فى ذلك بمعنى الهوان واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جوين

نهين النفوس وهون النفـ * ـوس عند الكريهة أعلى لها

والمعروف من كلامهم ضم الهاء منه اذا كان بمعنى الهوان والذل كما قال ذو الاصبع العدوانى

اذهب اليك فما أمى براعية * ترعى المخاض ولا أغضى على الهون

يعنى على الهوان واذا كان بمعنى الرفق ففتحها ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والانداد يخبر عباده أنه يقول لهم عند ورودهم عليه لقد جئتمونا فرادى ويعنى بقوله فرادى وحدانا لا مال معهم ولا أثاث ولا رفيق ولا شئ مما كان الله خولهم فى الدنيا كما خلقناكم أول مرة عراة غلفا غرلا حفاة كما ولدتهم أمهاتهم وكما خلقهم جل ثناؤه فى بطون أمهاتهم لا شئ عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهون به فى الدنيا وفرادى جمع يقال لواحدها فرد كما قال نابغة بنى ذبيان

من وحش وجرة موشى أكارعه * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

وفرد وفريد كما يقال وحد ووحد ووحيد فى واحد الأوحاد وقد يجمع الفرد الفراد كما يجمع الوحد الوحاد ومنه قول الشاعر

ترى النعرات الزرق فوق لبانه * فرادى ومثنى أصعقتها صواهله

وكان يونس الجرمى فيما ذكر عنه يقول فراد جمع فرد كما قيل قوم وتوام للجميع ومنه الفرادى والردافى والعوانى ٣ ويقال رجل فرد وامرأة فرد اذا لم يكن لها أخ وقد فرد الرجل فهو يفرد فرودا يراد به تفرد فهو وفارد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرنى عمرو أن ابن أبى هلال حدثه أنه سمع القرظى يقول قرأت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قول الله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوأة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وأما قوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم فانه يقول خلفتم أيها القوم ما ملكنا كم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم فى الدنيا فلم تحملوه معكم وهذا تعيير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بما هاتهم التى كانوا يتباهون بها فى الدنيا بأموالهم وكل من ملكته غيرك وأعطيته فقد خولته يقال منه خال الرجل

عن كل مالا يليق به فى الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد به الاقتداء بهم فى شرائعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزمنا شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المفصل وقال القاضى هذا بعيد لأن شرائعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالأمور المتناقضة معا ولأن الهدى عبارة عن الدليل دون نفس العمل ودليل اثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولأن منصبهم يلزم أن يكون أجل من منصبه وأنه باطل بالاجماع وأجيب بأن العام

يجب تخصيصه فى الصورة المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبأن المستدل بالدليل فصل فى ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا لوجوب الفعل على الثانى وبأنه يلزم أن يكون منصبه أجل من منصبهم لأنه أمر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التى كانت متفرقة فيهم كالشكر فى داود وسليمان والصبر فى أيوب والزهد فى زكريا ويحيى وعيسى والصدق فى اسمعيل والتضرع فى يونس والمعجزات الباهرة فى موسى وهرون ولهذا قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى ولما أمره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم أن لا يطلبوا الأجر أى المال والجعل فى ايصال الدين وابلاغ الشريعة قيل له (قل لا أسئلكم) أيها الأمة (عليه) على البلاغ (أجرا ان هو) يعنى القرآن (الا ذكرى للعالمين) يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه فى المعاش والمعاد وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم ۞ التأويل ومما رفعنا به درجات ابراهيم أنا وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله أفرد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره تبعا لموهبة ابراهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله عليه وآله ومن

يخال أشد الخيال بكسر الخاء وهو خائل ومنه قول أبى النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير

هنالك ان تستخولوا المال تخولوا * وان تسألوا تعطوا وان تيسروا تعلوا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وتركتم ما خولناكم من المال والخدم وراء ظهوركم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الانداد يوم القيامة مانرى معكم شفعاءكم الذين كنتم فى الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عندربكم يوم القيامة وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث لقيله ان اللات والعزى يشفعان له عند الله يوم القيامة وقيل ان ذلك كان قول كافة عبدة الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء فان المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة لانهم شفعاء يشفعون لهم عند الله وان هذه الآلهة شركاء لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال النضر بن الحرث سوف تشفع لى اللات والعزى فنزلت هذه الآية ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الى قوله شركاء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ يقول تعالى مخبرا عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد لقد تقطع بينكم يعنى تواصلهم الذى كان بينهم فى الدنيا فذهب ذلك اليوم فلا تواصل بينهم ولا توادد ولا تناصر وقد كانوا فى الدنيا يتواصلون ويتناصرون فاضمحل ذلك كله فى الآخرة فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لقد تقطع بينكم البين تواصلهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لقد تقطع بينكم قال تواصلهم فى الدنيا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لقد تقطع بينكم قال وصلكم وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لقد تقطع بينكم قال ما كان بينكم من الوصل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعنى الارحام والمنازل حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد تقطع بينكم يقول تقطع ما بينكم حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر ابن عياش لقد تقطع بينكم التواصل فى الدنيا واختلفت القراء فى قوله بينكم فقرأته عامة قراء أهل المدينة نصبا بمعنى لقد تقطع ما بينكم وقرأ ذلك عامة قراء مكة والعراقيين لقد تقطع بينكم

(٢٤ - ابن جرير سابع) آبائهم الى آدم ومن ذرياتهم الى محمد واجتبيناهم فى الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الأبد ولو أشركوا بان لاحظوا غيرنا فأثبتوا شيأ من دوننا ونسبوا شيأ من الحوادث الى غير قدرتنا أو لم يبدلوا أو أنانيتهم فى هويتنا لحبط عنهم ما كانوا يعملون لتلاشى عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى مسير كل منهم الى ما قدر له آدم فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى الثانية ويوسف فى الثالثة وادريس فى الرابعة وهرون فى الخامسة وموسى فى السادسة وابراهيم فى السابعة وجميع الملائكة المقربين الى

سدرة المنتهى وأنت محمد الى مقام قاب قوسين أو أدنى قل لا أسألكم أيها الانبياء على الاقتداء أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ليعلموا أن الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء أولا أسألكم أيها الامة على دعوتكم الى الحق أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين من الله وبه واليه وهو المستعان ﴿وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ القراآت يجعلونه يبدونها ويخفون بيا آت الغيبة أبو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة أبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون أبو جعفر ونافع وعلى وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ

رفعا بمعنى لقد تقطع وصلكم * والصواب من القول عندى فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب وذلك أن العرب قد تنصب بين فى موضع الاسم ذكر سماعا منها ايابى يحول ودونك وسواءك نصبا فى موضع الرفع وقد ذكر عنها سماعا الرفع فى بين اذا كان الفعل لها وجعلت اسما وينشد بيت مهلهل

كأن رماحهم أشطان بئر * بعيد بين جاليها جرور

برفع بين اذا كانت اسما غير أن الاغلب عليهم فى كلامهم النصب فيها فى حال كونها صفة وفى حال كونها اسما وأما قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون فانه يقول وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك لكم وأنه لكم شفيع عند ربكم فلا يشفع لكم اليوم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ان الله فالق الحب والنوى﴾ وهذا تنبيه من الله جل ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والاوثان على موضع حجته عليهم وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من اشراكه الاصنام فى عبادتهم اياه يقول تعالى ذكره ان الذى له العبادة أيها الناس دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان هو الله الذى فلق الحب يعنى شق الحب من كل ما ينبت من النبات فأخرج منه الزرع والنوى من كل ما يغرس مما له نواة فأخرج منه الشجر والحب جمع الحبة والنوى جمع النواة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان الله فالق الحب والنوى أما فالق الحب والنوى ففالق الحب عن السنبلة وفالق النواة عن النخلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فالق الحب والنوى قال يفلق الحب والنوى عن النبات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فالق الحب والنوى قال الله فالق ذلك فلقه فأنبت منه ما أنبت فلق النواة فأخرج منها نبات نخلة وفلق الحبة فأخرج نبات الذى خلق وقال آخرون معنى فالق خالق ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قوله ان الله فالق الحب والنوى قال خالق الحب والنوى حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الله فالق الحب والنوى قال خالق الحب والنوى وقال آخرون معنى ذلك انه فلق الشق الذى فى الحبة والنواة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فالق الحب والنوى قال الشقان اللذان فيهما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد عن حصين عن أبى مالك فى قول الله ان الله فالق الحب والنوى قال الشق الذى يكون فى النواة وفى الحنطة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فالق الحب والنوى قال الشقان اللذان فيهما حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك

المضى ونصب الليل عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون وجاعل الليل على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمى الباقون بالنصب فستقر بكسر القاف أبو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلى وخلف وكذلك فى آخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد أبو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف ﴿الوقوف من شئ ط كثيرا ط لمن قرأ يجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم آباؤكم ط قل الله ط لأن قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ○ ومن حولها ط يحافظون ○ أنزل الله ط أيديهم ج لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف أى يقولون أخرجوا أنفسكم ط لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ○ ظهوركم ج لاتحاد القول والوقف أوضح لابتداء النفى وانقطاع النظم شركاء ط تزعمون ○ والنوى ط من الحى ط تؤفكون ○ فالق الاصباح ج لمن قرأ وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فلق وجعل أو وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل فى فالق حسبانا ط العليم ○ والبحر ط يعلمون ○ ومستودع ط يفقهون ○ ماء ج للعدول مع اتحاد المقصود مترا كبا ط ومن قرأ وجنات بالرفع فللعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقفه على دانية والا فليعطف ويفهم ان جنات من جملة النخل ومن خفض فوقفه على مترا كبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه ط وينعه ط يؤمنون ○ بغير علم ط يصفون ○

﴿التفسير اعلم أن مدار القرآن على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعد ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع فى تقرير أمر النبوة فقال (وما قدروا الله حق قدره) قال ابن عباس أى ما عظموا الله حق تعظيمه حيث أنكروا النبوة والرسالة وقال أيضا فى رواية ما آمنوا بان الله على كل شئ قدير وقال أبو العالية ما وصفوه حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته أى فى اللطف بأوليائه أو فى القهر لأعدائه وقال الجوهرى قدر الشئ مبلغه وقدرت الشئ أقدره وأقدره قدرا من التقدير أى حرره وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما أن

الضحاك يقول فى قوله فالق الحب والنوى يقول خالق الحب والنوى يعنى كل حبة * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى ما قدمنا القول به وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك باخباره عن اخراجه الحى من الميت والميت من الحى فكان معلوما بذلك أنه انما عنى باخباره عن نفسه أنه فالق الحب عن النبات والنوى عن الغروس والاشجار كما هو مخرج الحى من الميت والميت من الحى وأما القول الذى حكى عن الضحاك فى معنى فالق أنه خالق فقول ان لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقه اياه لا أعرف له وجها لانه لا يعرف فى كلام العرب فلق الله الشئ بمعنى خلق ﴿القول فى تأويل قوله ﴿يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره يخرج السنبل الحى من الحب الميت ومخرج الحب الميت من السنبل الحى والشجر الحى من النوى الميت والنوى الميت من الشجر الحى والشجر مادام قائما على أصوله لم يجف والنبات على ساقه لم ييبس فان العرب تسميه حيا فاذا يبس وجف أو قطع من أصله سموه ميتا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما يخرج الحى من الميت فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى قال النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى قال يخرج النطفة الميتة من الحى ثم يخرج من النطفة بشرا حيا وانما اخترنا التأويل الذى اخترنا فى ذلك لانه عقيب قوله ان الله فالق الحب والنوى على أن قوله يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى وان كان خبرا من الله عن اخراجه من الحب السنبل ومن السنبل الحب فانه داخل فى عمومه ما روى عن ابن عباس فى تأويل ذلك وكل ميت أخرجه الله من جسم حى وكل حى أخرجه الله من جسم ميت وأما قوله ذلكم الله فانه يقول فاعل ذلك كله الله جل جلاله فأنى تؤفكون يقول فأى وجوه الصدف عن الحق أيها الجاهلون تصدون عن الصواب وتصرفون أفلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغى أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعا وحروثا وثمارا تتغذون ببعضه وتفكهون ببعضه شريكا فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فالق الاصباح وجعل الليل سكنا﴾ يعنى بقوله فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر من قول القائل أصبحنا اصباحا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك فالق الاصباح قال اضاءة الصبح حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فالق الاصباح قال اضاءة

يدعى أنه تعالى ما كلف أحدا من الخلائق تكليفا أصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح بأسرها واما أن يسلم أنه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على ألسنة الرسل وهذا أيضا جهل فان قيل لم لا يجوز أن يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب هب أن الامر كذلك الا أنه لا يمتنع تأكيد التصريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على ألسنة الرسل لان أكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما أن نور البصر قاصر

عن ادراك المبصرات الا اذا أعين بنور من خارج كنور الشمس أو السراج وأيضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الآراء فلا بد من أن يتفقوا على واحد يصدرون عن رأيه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطأ في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم أن يكون التعيين من الله سبحانه بكونه أعرف بالبواطن كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن أنكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الآية بأن هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش أو البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) على أن قوله تجعلونه قراطيس بتاء الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا أهل الكتاب فهم لا يقولون ما أنزل الله على بشر من شئ بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى وأيضا الاكثرون اتفقوا على أن السورة مكية وأنها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مدنية فكيف يمكن حمل الآية على تلك المناظرة والجواب أنهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على يد موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما أنزل الله على بشر

حدثني

الفجر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فالق الاصباح قال فالق الصبح حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فالق الاصباح يعني بالاصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن القاسم ابن أبي بزة عن مجاهد فالق الاصباح قال فالق الصبح حدثنا به ابن حميد مرة بهذا الاسناد عن مجاهد فقال في قوله فالق الاصباح قال اضاءة الصبح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فالق الاصباح قال فلق الاصباح عن الليل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فالق الاصباح يقول خالق النور نور النهار وقال آخرون معنى ذلك خالق الليل والنهار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا يقول خلق الليل والنهار وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ فالق الأصباح بفتح الالف كأنه تأول ذلك بمعنى جمع صبح كأنه أراد صبح كل يوم فجعله أصباحا ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك والقراءة التي لا نستجيز غيرها بكسر الالف فالق الاصباح لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحة ذلك ورفض خلافه وأما قوله وجاعل الليل سكنا فان القراء اختلفت في قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض البصريين وجاعل الليل بالالف على لفظ الاسم ورفعه عطفا على فالق وخفض الليل باضافة جاعل اليه ونصب الشمس والقمر عطفا على موضع الليل لان الليل وان كان مخفوضا في اللفظ فانه في موضع النصب لانه مفعول جاعل وحسن عطف ذلك على معنى الليل لا على لفظه لدخول قوله سكنا بينه وبين الليل قال الشاعر

قعودا لدى الابواب طلاب حاجة * عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

فنصب الحاجة الثانية عطفا بها على معنى الحاجة الاولى لا على لفظها لأن معناها النصب وان كانت في اللفظ خفضا وقد يجيء مثل هذا أيضا معطوفا بالثاني على معنى الذي قبله لا على لفظه وان لم يكن بينهما حائل كما قال بعضهم

فبينا نحن ننظره أتانا * معلق شاوه وزنا دراع

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وجعل الليل سكنا والشمس على فعل بمعنى الفعل الماضي ونصب الليل * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار متفقتا المعنى غير مختلفتيه فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الاعراب والمعنى وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكنا لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار ويهدأ فيه فيستقر في مسكنه ومأواه * القول في تأويل قوله ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب ذكر من قال ذلك

من شئ ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين فى انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله لم يبعد أن يكون الكلام الواحد خطابا للكفار قريش أولا ولاهل الكتاب آخرا وأما ان كانوا أهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فالوجه ما روى عن ابن عباس أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك

اليهود فنحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شئ فقال له قومه ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه أغضبنى ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما تأذى من الكلام المذكور طعن فى نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانه ما أنزل عليه من شئ البتة فامر بان يقول فى جوابه من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى أى لما سلمت أن الله تعالى أنزل الوحى والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك أن تقطع بأنه ما أنزل على شيأ غاية ما فى الباب أن تطالبنى بالمعجز والحاصل أنهم قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لابد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وأدرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا أنه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكأنه قال ما أنزل الله على بشر من شئ فى أنه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا أرادت المرأة أن تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فأنت طالق فان كثيرا من

حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس والشمس والقمر حسبانا يعنى عدد الايام والشهور والسنين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والشمس والقمر حسبانا قال يجريان الى أجل جعل لهما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والشمس والقمر حسبانا يقول بحساب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله والشمس والقمر حسبانا قال الشمس والقمر فى حساب فاذا خلت أيامهما فذلك آخر الدهر وأول الفزع الاكبر ذلك تقدير العزيز العليم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والشمس والقمر حسبانا قال يدوران فى حساب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والشمس والقمر حسبانا قال هو مثل قوله كل فى فلك يسبحون ومثل قوله والشمس والقمر بحسبان وقال آخرون معنى ذلك وجعل الشمس والقمر ضياء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والشمس والقمر حسبانا أى ضياء * وأولى القولين فى تأويل ذلك عندى بالصواب تأويل من تأوله وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعدد لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ويدوران لمصالح الخلق التى جعلا لها وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله تعالى ذكره ذكر قبله أياديه عند خلقه وعظم سلطانه بفلقه الاصباح لهم واخراج النبات والغراس من الحب والنوى وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم فى البر والبحر فكان وصفه اجراءه الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر اضاءتهما لانه قد وصف ذلك قبل بقوله فالق الاصباح فلا معنى لتكريره مرة أخرى فى آية واحدة لغير معنى والحسبان فى كلام العرب جمع حساب كما الشهبان جمع شهاب وقد قيل ان الحسبان فى هذا الموضع مصدر من قول القائل حسبت الحساب أحسبه حسابا وحسبانا وحكى عن العرب على الله حسبان فلان وحسبته أى حسابه وأحسب أن قتادة فى تأويل ذلك بمعنى الضياء ذهب الى شئ يروى عن ابن عباس فى قوله أو يرسل عليها حسبانا من السماء قال نارا فوجه تأويل قوله والشمس والقمر حسبانا الى ذلك التأويل وليس هذا من ذلك المعنى فى شئ وأما الحسبان بكسر الحاء فانه جمع الحسبانة وهى الوسادة الصغيرة وليست من الاولين أيضا فى شئ يقال حسبته أجلسته عليها ونصب قوله حسبانا بقوله وجعل وكان بعض البصريين يقول معناه والشمس والقمر حسبانا أى بحساب فحذف الباء كما حذف فى من قوله الله أعلم من يضل عن سبيله أى أعلم بمن يضل عن سبيله * القول فى تأويل قوله ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الفعل الذى وصفه أنه فعله وهو فلقه الاصباح وجعله الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير الذى عز سلطانه فلا يقدر أحد أراده بسوء وعقاب أو انتقام من الامتناع منه العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم لا تقدير الاصنام والأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه شيأ ولا تعقله ولا تضر ولا تنفع وان أريدت بسوء لم تقدر

الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة أخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه أن قوله من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى لا يكون مطلقا لكلام الخصم أما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فأجيب عنه بأن السورة مكية الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة فى هذه الواقعة والله أعلم * ومن الاحكام المستنبطة من الآية أن قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد أن عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله فى موضع آخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة فى سياق

النفي تم والالم يكن قوله من أنزل مبطلا لقوله ما أنزل الله على بشر من شئ ومنها أن النقض يقدح في صحة الكلام والالم يكن في قوله من أنزل
صحة و يعلم منه أن قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الآية فان
لليهود حينئذ أن تقول معجزات موسى كانت أظهر وأبهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك ومنها أن الغزالي رحمه الله تكلف وقال حاصل الآية
يرجع الى أن موسى أنزل الله عليه شيأ وأحد من البشر ما أنزل الله عليه شيأ فينتج من الشكل الثاني ان

موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا أنه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما أنزل الله على بشر من شئ فوجب القول بكونها كاذبة فثبت أن دلالة هذه الآية على المطلوب انما تصح عند الاعتراف بصحة الشكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم اعلم أنه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه و بالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال أبو علي الفارسي (يجعلونه قراطيس) أي ذات قراطيس أي يودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وآله أو شئ من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره (وعلمتم) أيها اليهود على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن الآيات أو المشتملة على نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يفقهون معانيها الى أن بعث الله محمدا فظهر أن المراد منها هو البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قل الله) أي أنزله الله فانهم لا يقدرون على أن ينكروا ذلك فان العقل السليم والطبع المستقيم يشهد بأن الكتاب الموصوف المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل أي شئ

على الامتناع منه ممن أرادها به يقول جل ثناؤه وأخلصوا أيها الجهلة عبادتكم لفاعل هذه الاشياء ولا تشركوا في عبادته شيأ غيره ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البر والبحر اذا ضللتم الطريق أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة فتهتدون بها الى الطريق والمحجة فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك كما قال جل ثناؤه وعلامات و بالنجم هم يهتدون أي من ضلال الطريق في البر والبحر وعنى بالظلمات ظلمة الليل وظلمة الخطا والضلال وظلمة الارض أو الماء وقوله قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون يقول قد ميزنا الادلة وفرقنا الحجج فبكم و بينا ها أيها الناس ليتدبرها أولو العلم بالله منكم و يفهمها أولو الحجا منكم فينيبوا من جهلهم الذي هم عليه مقيمون و ينزجروا عن خطا فعلهم الذي هم عليه ثابتون ولا يتمادوا في عناد الله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غيهم و بنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قال يضل الرجل وهو في الظلمة والخور عن الطريق ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ يقول تعالى ذكره والهكم أيها العادلون بالله غيره الذي أنشأكم يعني الذي ابتدأ خلقكم من غير شئ فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيأ من نفس واحدة يعني من آدم عليه السلام كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط عن السدي من نفس واحدة قال آدم عليه السلام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة من آدم عليه السلام وأما قوله فمستقر ومستودع فان أهل التأويل في تأويله مختلفون فقال بعضهم معنى ذلك وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمنكم مستقر في الرحم ومنكم مستودع في القبر حتى يبعثه الله لنشر القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم عن عبد الله يعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها في الارحام ومستودعها حيث تموت حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل عن ابراهيم عن عبد الله أنه قال المستودع حيث تموت والمستقر ما في الرحم حدثت عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال المستقر الرحم والمستودع المكان الذي تموت فيه حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا محمد بن فضيل وعلي ابن هاشم عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم يعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها في الارحام ومستودعها في الارض حيث تموت فيها حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مقسم قال مستقرها في الصلب حيث تأوي اليه ومستودعها حيث تموت * وقال آخرون المستودع ما كان في أصلاب الآباء والمستقر ما كان في بطون النساء و بطون الارض

أكبر شهادة قل الله والمقصود أنه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل أن يعترف بها فسواء أقر الخصم به أو لم يقر فالغرض حاصل (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما أنت لاعب و يلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة له أو لذرهم والمعنى أنك اذا أقمت الحجة عليهم و بالغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ قيل انها منسوخة بآية السيف وفيه نظر لانه مذكور لأجل التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا لشئ من مدلولات هذه الآية ثم لما ذكر حال التوراة أعقبه بذكر القرآن فقال (وهذا كتاب أنزلناه) وفائدة هذا الوصف أنه كان من الممكن أن يظن أن محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القرآن على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم و بين أن الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل عليه السلام (مبارك) كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المنكرات لما فيه من أصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز في الدنيا وسعادة في الآخرة وقد جرب فوجد كذلك (مصدق الذي بين يديه) أي موافق لما قبله من الكتب الالهية أما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيها بحسب الازمنة والامكنة وأما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وآله ويحصل منه أن التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره ثم تصير منسوخة (ولتنذر) من قرأ بتاء الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه أسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما

أو على ظهورها ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير في قوله فمستقر ومستودع قال مستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فاذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الارض أو في بطنها فقد استقروا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن علية عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير فمستقر ومستودع قال المستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فاذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الارض فقد استقروا **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يعلم مستقرها ومستودعها قال المستودع في الصلب والمستقر ما كان على وجه الارض أو في الارض * وقال آخرون بل معنى ذلك فمستقر في الارض على ظهورها ومستودع عند الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن المغيرة عن أبي الخير تميم بن حذلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال المستقر الارض والمستودع عند رب **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم قال قال عبد الله مستقرها في الدنيا ومستودعها في الآخرة يعني فمستقر ومستودع **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال المستودع في الصلب والمستقر في الآخرة وعلى وجه الارض * وقال آخرون معنى ذلك فمستقر في الرحم ومستودع في الصلب ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن أبي الحرث عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله فمستقر ومستودع قال مستقر في الرحم ومستودع في صلب لم يخلق وسيخلق **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن يحيى الجابري عن عكرمة فمستقر ومستودع قال المستقر الذي قد استقر في الرحم والمستودع الذي قد استودع في الصلب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي الخير تميم عن سعيد بن جبير قال ابن عباس سل فقلت مستقر ومستودع قال المستقر في الرحم والمستودع ما استودع في الصلب **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله فمستقر ومستودع قال المستقر الرحم والمستودع ما كان عند رب العالمين مما هو خالقه ولم يخلق **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله يعلم مستقرها ومستودعها قال المستقر ما كان في الرحم مما هو حي ومما قد مات والمستودع ما في الصلب **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس وذلك قبل أن يخرج وجهي أتزوجت يا ابن جبير قال قلت لا وما أريد ذلك اليوم هذا قال فقال أما انه مع ذلك سيخرج ما كان في صلبك من المستودعين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال **حدثنا** شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس تزوجت قلت لا قال فضرب ظهري وقال ما كان من مستودع في ظهرك سيخرج **حدثني**

أنذركم بالوحي وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كأنه قيل أنزلناه للبركة وللتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة أم القرى لان الأرضين دحيت من تحتها وقال أبو بكر الاصم لانها قبلة أهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وأيضا الناس يجتمعون اليها للحج وللتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة أول بيت وضع للناس وقيل ان مكة أول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي أهل أم القرى ومن حولها قيل المراد أهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على أنه مبعوث الى العرب

فقط وأجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لايدل على نفي ماعداها لاسيما وقد ثبت بالتواتر أنه كان يدعى أنه رسول الى العالمين ويحتمل أن يقال ماحوالى مكة يتناول جميع البلاد (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أى بهذا الكتاب لان أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة فى تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه أن كفار مكة بعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لايعتقدون البعث والحشر (وهم على صلاتهم يحافظون) يعنى أن الايمان بالآخرة كما أنه يحمل المكلف على الايمان بالنبى وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين وسنام الطاعات كاد المحافظ عليها أن يأتى باخواتها كلها ويجتنب المنكرات بأسرها ثم ذكر مايدل على وعيد من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرية وامتراء فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) قال المفسرون نزلت فى الكذابين مسيلمة الحنفى والاسود العنسى عن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على وأهمانى فاوحى الله الى أن انفخهما فنفختهما فطارا عنى فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسى (أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه وآله رسول الله فى بنى قريش وأنا رسول الله فى بنى حنيفة * واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ماهو برىء منه اما فى الذات واما فى الصفات واما فى الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعى معارضة القرآن وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروى أيضا أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا تلا عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أملاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما وصل الى قوله أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وسلم

محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فمستقر ومستودع قال المستقر فى الارحام والمستودع فى الصلب لم يخلق وهو خالقه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فمستقر ومستودع قال المستقر فى الرحم والمستودع ما استودع فى أصلاب الرجال والدواب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال المستقر ما استقر فى الرحم والمستودع ما استودع فى الصلب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبى الخير تميم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه **حدثنا** هناد قال ثنا عبيدة بن حميد عن عمار الدهنى عن رجل عن كريب قال دعانى ابن عباس فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن عباس الى فلان حبر تيماء سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد قال فقلت تبدؤه تقول السلام عليك فقال ان الله هو السلام ثم قال اكتب سلام عليك أما بعد فحدثنى عن مستقر ومستودع قال ثم بعثنى بالكتاب الى اليهودى فأعطيته اياه فلما نظر اليه قال مرحبا بكتاب خليلى من المسلمين فذهب بى الى بيته ففتح أسفاطا له كثيرة فجعل يطرح تلك الاشياء لايلتفت اليها قال قلت ماشأنك قال هذه أشياء كتبها اليهود حتى أخرج سفر موسى عليه السلام قال فنظر اليه مرتين فقال المستقر الرحم قال ثم قرأ ونقر فى الارحام مانشاء وقر أولكم فى الارض مستقر ومتاع قال مستقره فوق الارض ومستقره فى الرحم ومستقره تحت الارض حتى يصير الى الجنة أو الى النار **حدثنا** هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء فمستقر ومستودع قال المستقر ما استقر فى أرحام النساء والمستودع ما استودع فى أصلاب الرجال **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال المستقر الرحم والمستودع فى أصلاب الرجال **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا روح بن عبادة عن ابن جريج عن عطاء وعن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال المستقر الرحم والمستودع فى الاصلاب **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمستقر ما استقر فى أرحام النساء ومستودع ما كان فى أصلاب الرجال **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال المستقر ما استقر فى الرحم والمستودع ما استودع فى الصلب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال المستقر الرحم والمستودع الصلب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا معاذ بن معاذ عن ابن عون قال أتينا ابراهيم عند المساء فاخبرونا أنه قدمات فقلنا هل سأله أحد عن شئ قالوا عبد الرحمن ابن الاسود عن المستقر والمستودع فقال المستقر فى الرحم والمستودع فى الصلب **حدثنا** حميد ابن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا ابن عون قال أتينا ابراهيم وقدمات قال فحدثنى بعضهم أن عبد الرحمن بن الاسود سأله قبل أن يموت عن المستقر والمستودع فقال المستقر فى الرحم والمستودع فى الصلب **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا بن علية عن ابن عون

صادقا لقد أوحى الىّ كما أوحى اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمأن أهل مكة ثم أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن له ثم فصل ما أجمل من الوعيد فقال (ولو ترى) الآية وجوابه محذوف أى لرأيت يا انسان أمرا عظيما (اذ الظالمون) يعنى الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل أن تكون للجنس فيندرج هؤلاء فيه وغمرات الموت شدائده وسكراته (١٩٣) وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) قيل انه لا قدرة لهم على اخراج أرواحهم من أجسادهم فما الفائدة فى هذا الخطاب وأجيب بوجوه منها أن المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت فى الآخرة اذا مادخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من أنواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطو أيديهم بالعذاب يكلمونهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت عند نزول الموت بهم فى الدنيا والملائكة باسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآفات والآلام ومنها هاتوا أرواحكم وأخرجوها الينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد فى ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول أخرج الى ما لى عليك ولا أريم مكانى حتى أنزعه من أحداقك ومنها أنه ليس بأمر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الآن لترى ما يحل بك والتحقيق أن نفس المؤمن حال النزع تنبسط فى الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر

أتينا منزل ابراهيم فسألنا عنه فقالوا قد توفى وسأله عبد الرحمن بن الأسود فذكر نحوه **حدثنى** به يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون أنه بلغه أن عبد الرحمن بن الأسود سأل ابراهيم عن ذلك فذكر نحوه **حدثنا** عبيد الله بن محمد الفريابى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن العلاء بن هرون قال انتهيت الى منزل ابراهيم حين قبض فقلت لهم هل سأله أحد عن شئ قالوا سأله عبد الرحمن ابن الاسود عن مستقر ومستودع فقال أما المستقر فما استقر فى أرحام النساء والمستودع ما فى أصلاب الرجال **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد فى فمستقر ومستودع قال المستقر الرحم والمستودع الصلب **حدثنى** يونس قال ثنى سفيان عن رجل حدثه عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس ألا تنكح ثم قال أما انى أقول لك هذا وانى لأعلم أن الله مخرج من صلبك ما كان فيه مستودعا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال المستقر فى الرحم والمستودع فى الصلب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس فمستقر ومستودع قال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فمستقر ومستودع قال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فمستقر ومستودع أما مستقر فما استقر فى الرحم وأما مستودع فما استودع فى الصلب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فمستقر ومستودع قال مستقر فى الارحام ومستودع فى الاصلاب **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأبى حمزة عن ابراهيم قالا مستقر ومستودع المستقر فى الرحم والمستودع فى الصلب * وقال آخرون المستقر فى القبر والمستودع فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول مستقر فى القبر ومستودع فى الدنيا وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه عم بقوله فمستقر ومستودع كل خلقه الذى أنشأ من نفس واحدة مستقرا ومستودعا ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى ولا شك أن من بنى آدم مستقرا فى الرحم ومستودعا فى الصلب ومنهم من هو مستقر على ظهر الارض أو بطنها ومستودع فى أصلاب الرجال ومنهم مستقر فى القبر مستودع على ظهر الارض فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعانى فداخل فى عموم قوله فمستقر ومستودع ومراد به الا أن يأتى خبر يجب التسليم له بأنه معنى به معنى دون معنى وخاص دون عام * واختلف القراء فى قراءة قوله فمستقر ومستودع فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مستقر ومستودع بمعنى فمنهم من استقره الله فى مقره فهو مستقر ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه فهو مستودع فيه وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة فمستقر بكسر القاف بمعنى فمنهم من استقر فى مقره فهو مستقر به

(٢٥ - ابن جرير - سابع) تكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لانها تصير الى العذاب واليه الاشارة فى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المألوف وفى الآية دلالة على أن النفس الانسانية شئ غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب أن يكون مغايرا للمخرج منه (اليوم) يريد وقت الاماتة أو الوقت الممتد الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة (تجزون عذاب الهون) كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه أن يكون

مضرة مقرونة بالاهانة كما أن الثواب شرطه أن يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشئ ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشئ أى حقر وأهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل أنه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) يعنى أن هذا العذاب الشديد انما حصل بمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله (١٩٤) وهو عدم الايمان بها قال الواحدى وكنتم عن آياته تستكبرون أى لا تصلون له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر (ولقد جئتمونا) يحتمل أن يكون معطوفا على قول الملائكة أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا أنه يتكلم مع الكفار (فرادى) جمع فرد ولا يثنون واحده قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة وقيل فريد كرديف ورداف وهم الحداة والاعوان لانه اذا أعيا أحدهم خلفه الآخر (كما خلقناكم) أى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد أو مجيئا مثل خلقنا لكم (أول مرة) والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم فى الدنيا الى تحصيل أمرين أحدهما المال والجاه والثانى أنهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء الله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك أن النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة لها فى اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل لها هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى أى منفردين عما يحب من الاعمال والعقائد ثم انهم مع ذلك اكتسبت أشياء قد علق الرجاء بها وقنيان لانه أفنى العمر فى تحصيلها وانها ليست مما يبقى معها فلاجرم استحق التقريع بقوله (وتركتم ما خولناكم) أى أعطيناكم وتفضلنا به عليكم (وراء ظهوركم) يعنى أنها كالشئ الذى يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقى معوج الرأس بسبب التفاته اليه (ومانرى معكم شفعاءكم) أى ليسوا معكم حتى يروا أو ليسوا معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله (لقد تقطع بينكم) الآية من قرأ بالنصب على الظرف

وأولى القراءتين بالصواب عندى وان كان لكليهما معنى وجه صحيح فستقر بمعنى استقره الله فى مستقره لما تلف المعنى فيه وفى المستودع فى أن كل واحد منهما لم يسم فاعله وفى اضافة الخبر بذلك الى الله فى أنه المستقر هذا والمستودع هذا وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله ومستودع بفتح الدال على وجه ما لم يسم فاعله فاجراء الاول أعنى قوله فمستقر عليه أشبه من عدوله عنه وأما قوله قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون يقول تعالى قد بينا الحجج وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبر ويفهمون الآيات والذكر فانهم اذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من انشائى من نفس واحدة ما عاينوا من البشر وخلقى ما خلقت منها من عجائب الالوان والصور علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه فى عبادتهم اياه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون يقول قد بينا الآيات لقوم يفقهون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى له العبادة خالصة لا شركة فيها لشئ سواه هو الاله الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا بالماء الذى أنزلناه من السماء من غذاء الانعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بنى آدم وأقواتهم ما يتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون وانما معنى قوله فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا به ما ينبت به كل شئ وينمو عليه ويصلح ولو قيل معناه فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات فيكون كل شئ هو أصناف النبات كان مذهبا وان كان الوجه الصحيح هو القول الاول وقوله فأخرجنا منه خضرا يقول فأخرجنا منه يعنى من الماء الذى أنزلناه من السماء خضرا رطبا من الزرع والخضر هو الأخضر كقول العرب أرنبها نمرة أركبها مطرة يقال خضرت الارض خضرا وخضارة والخضر رطب البقول ويقال نخلة خضيرة اذا كانت ترمى ببسرها أخضر قبل أن ينضج وقد اختضر الرجل واغتضر اذا مات شابا صحيحا ويقال هو لك خضرا مضرا أى هنيأ مريئا قوله نخرج منه حبا متراكبا يقول نخرج من الخضر حبا يعنى ما فى السنبل سنبل الحنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك من السنابل التى حبها يركب بعضه بعضا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا فهذا السنبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾ يقول تعالى ذكره ومن (٣) النخل من طلعها قنوان دانية ولذلك رفعت القنوان والقنوان جمع قنو كما الصنوان جمع صنو وهو العذق يقال للواحد هو قنو وقنو وقنا يثنى قنوان ويجمع قنوان وقنوان قالوا فى جمع قليله ثلاثة أقناء والقنوان من لغة الحجاز والقنوان من لغة قيس وقال امرؤ القيس

فأثت أعاليه وآدت أصوله * ومال بقنوان من البسر أحمرا

فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب يقال جمع بين الشيئين أى وقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان غدا فأتنى أى اذا كان الرجاء أو البلاء غدا فأتنى فأضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه أسند الفعل الى الظرف اتساعا كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم أولان المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله فى معنى الوصلة مع أن أصله الافتراق والتباين لانه يستعمل فى الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه كقولهم بينى وبينه مشاركة وبينى وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل أن يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد جده فاذن العاقل من يكسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال فى وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا تطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد وصله ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله فقال (إن الله فالق الحب والنوى) أى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجه بأن العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فاخراج الشئ من العدم الى الوجود شق لذلك العدم وفلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة فى الارض الرطبة ثم مر بها قدر من المدة أظهر الله فى أعلاها شقا ومن أسفلها شقا أما العالى فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء وأما السافل فانه يخرج منه الشجرة الهابطة فى الارض وهى المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة ان كانت تقتضى الهوى فى الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء وبالعكس فاتصال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا تنفذ فيه المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد أطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص فى رزم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم الضعيف

(٣) وقنيان جميعا وقال آخر

لهاذنب كالقنو قد مذلت به * وأسحم للتخطار بعد التشذر

وتميم تقول قنيان بالياء ويعنى بقوله دانية قريبة متهدلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قنوان دانية يعنى بالقنوان الدانية قصار النخل لا صفة عذوقها بالارض **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من طلعها قنوان دانية قال عذوق متهدلة **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قنوان دانية يقول متهدلة **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع و**حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن البراء فى قوله قنوان دانية قال قريبة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قنوان دانية قال قريبة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن النخل من طلعها قنوان دانية قال الدانية لتهدل العذوق من الطلع **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعنى النخل القصار الملتزقة بالارض والقنوان طلعه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه﴾ يقول تعالى ذكره وأخرجنا أيضا جنات من أعناب يعنى بساتين من أعناب واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة القراء وجنات نصبا غير أن التاء كسرت لانها تاء جمع المؤنث وهى تخفض موضع النصب وقد **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم بن سلام عن الكسائى قال أخبرنا حمزة عن الاعمش انه قرأ وجنات من أعناب بالرفع فرفع جنات على اتباعها القنوان فى الاعراب وان لم تكن من جنسها كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ ذلك الا بها النصب وجنات من أعناب لاجماع الحجة من القراء على تصويبها والقراءة بها ورفضهم ما عداها وبعد معنى ذلك من الصواب اذا قرئ رفعا وقوله والزيتون والرمان عطف بالزيتون على الجنات بمعنى وأخرجنا الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه وكان قتادة يقول فى معنى مشتبها وغير متشابه ما **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال مشتبها ورقه مختلفا ثمره وجائز أن يكون مراد به مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم ومعنى الكلام وشجر الزيتون والرمان فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمره كما قيل واسأل القرية فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه﴾ اختلفت

(٣) يعنى أنه روى بالوجهين تأمل وانظر البيت بعده فانا لم نعثر عليه اه كتبه مصححه

ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة أغصان وأوراق وأزهار وأثمار وللثمر قشر أعلى وقشر أسفل وفيه اللب وفى اللب الدهن الذى هو المقصود الأصلى فتولد هذه الاجرام المختلفة فى طبائعها وصفاتها وألوانها وطعومها وأشكالها مع تساوى تأثيرات النجوم والطبائع فى المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها أنك قد تجد الطبائع الأربع حاصلة فى الفاكهة الواحدة فالأترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها أنك تجد أحوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه فى الداخل وقشره فى الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة فى الخارج والخشبة فى الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون لنواها لب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون كله مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المتخالفة تتضمن حكما وفوائد لا يعلمها الا مبدعها ومنها أنك اذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة وجدت فى وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع فى بدن الانسان ولا يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق أصغر من الاول فكانه سبحانه أوجد ذلك لتقوى به الجاذبة المركوزة فى جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية فى تلك المجارى الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق فى ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت أن عنايته فى ايجاد جملة تلك الشجرة أكثر وعلمت أن عنايته بتخليق الحيوان الذى خلق النبات لاجله يكون أكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذى خلق لاجله النبات والحيوان ويصير ذلك مرقاة لك الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله (يخرج الحى من الميت) لان فلق الحب يقول والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان ولهذا قال يحيى الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله (ومخرج الميت من الحى) قال ابن عباس أخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحى نطفة أو يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا أو يخرج المؤمن من الكافر كما فى حق ابراهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه أو المطيع من

القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة انظروا الى ثمره بفتح الثاء والميم وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قراء الكوفيين الى ثمره بضم الثاء والميم فكأن من فتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى الكلام انظروا الى ثمر هذه الاشجار التى سميناها من النخل والاعناب والزيتون والرمان اذا أثمر وان الثمر جمع ثمرة كما القصب جمع قصبة والخشب جمع خشبة وكأن من ضم الثاء والميم وجه ذلك الى أنه جمع ثمار كما الحمر جمع حمار والجرب جمع جراب وقد **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد عن ابن ادريس عن الأعمش عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ الى ثمره يقول هو أصناف المال **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا محمد بن عبيد الله عن قيس بن سعد عن مجاهد قال الثمر هو المال والثمر ثمر النخل * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ انظروا الى ثمره بضم الثاء والميم لان الله جل ثناؤه وصف أصنافا من المال كما قال يحيى بن وثاب وكذلك حب الزرع المتراكب وقنوان النخل الدانية والجنات من الاعناب والزيتون والرمان فكان ذلك أنواعا من الثمر فجمعت الثمرة ثمرا ثم جمع الثمر ثمارا ثم جمع ذلك فقيل انظروا الى ثمره فكان ذلك جمع الثمار والثمار جمع الثمرة واثماره عقد الثمر وأما قوله وينعه فانه نضجه وبلوغه حين يبلغ وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى ينعه اذا فتحت ياؤه هو جمع يانع كما التجر جمع تاجر والصحب جمع صاحب وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك ويرى أنه مصدر من قولهم ينع الثمر فهو ينع ينعا ويحكى فى مصدره عن العرب لغات ثلاثا ينع وينع وينع وكذلك فى النضج النضج والنضج وأما فى قراءة من قرأ ذلك وبانعه فانه يعنى به وناضجه وبالغه وقد يجوز فى مصدره ينوعا ومسموع من العرب أينعت الثمرة تونع اينانا ومن لغة الذين قالوا ينع قول الشاعر

فى قباب عند دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وينعه يعنى اذا نضج **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه قال ينعه نضجه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه أى نضجه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وينعه قال نضجه **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وينعه يقول ونضجه **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وينعه قال يعنى نضجه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وينعه قال نضجه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾

العاصى والعاصى من المطيع أو العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى أن انسانا ساق الافيون فى الشراب ليموت فلما تناوله ظن القوم انه سيموت فرفعوه وجعلوه فى بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجانى أن قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل

على اعتناء الفاعل بذلك الفعل فى كل وقت بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد أنه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحى أشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحى من الميت أكثر من العكس (ذلكم الله) المدبر الخالق النافع الضار المحيى المميت (فانى تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره أم كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة أهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهى الاحوال الفلكية فقال (فالق الاصباح) وهو مصدر سمى به الصبح المراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش فى آخر الليل وكأن الافق كان بحرا مملوأ من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به أو المراد فالق الاصباح بياض النهار وإسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر أو المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب وأراد المسبب أو الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح فى البقرة فى تفسير قوله عز من قائل ان فى خلق

يقول تعالى ذكره ان فى انزال الله تعالى من السماء الماء الذى أخرج به نبات كل شئ والخضر الذى أخرج منه الحب المتراكب وسائر ما عدد فى هذه الآية من صنوف خلقه لآيات يقول فى ذلكم أيها الناس اذا أنتم نظرتم الى ثمره عند عقد ثمره وعند ينعه وانتهائه فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه فى زيادته ونموه علمتم أن له مدبرا ليس كمثله شئ ولا تصلح العبادة الا له دون الآلهة والأنداد وكان فيه حجج وبرهان وبيان لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء وخص بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون لانهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها دون من قد طبع الله على قلبه فلا يعرف حقا من باطل ولا يتبين هدى من ضلالة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهة والانداد لله شركاء الجن كما قال جل ثناؤه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وفى الجن وجهان من النصب أحدهما أن يكون تفسيرا للشركاء والآخر أن يكون معنى الكلام وجعلوا لله الجن شركاء وهو خالقهم واختلفوا فى قراءة قوله وخلقهم فقرأته قراء الأمصار وخلقهم على معنى أن الله خلقهم منفردا بخلقها اياهم وذكر عن يحيى بن يعمر ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن واصل مولى أبى عيينة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر انه قال شركاء الجن وخلقهم بجزم اللام بمعنى أنهم قالوا ان الجن شركاء لله فى خلقه ايانا * وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وخلقهم لاجماع الحجة من القراء عليها وأما قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم فانه يعنى بقوله خرقوا اختلقوا يقال اختلق فلان على فلان كذبا واخترقه اذا افتعله وافتراه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وجعلوا لله شركاء الجن والله خلقهم وخرقوا له بنين وبنات يعنى أنهم تخرصوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال جعلوا له بنين وبنات بغير علم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال كذبوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله شركاء الجن كذبوا سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذبون أما العرب فجعلوا له البنات ولهم ما يشتهون من الغلمان وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال خرصوا له بنين وبنات حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم

السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض فى جانبه الشرقى لا ينافى كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما أن وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافى ذلك والامام فخر الدين الرازى أراد أن يبين أن ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك أسقطناها عن درجة الاعتبار * النوع الثانى من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله (وجاعل الليل سكنا) حجة من

قرأ باسم الفاعل أن المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرأ بصيغة الفعل أن قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبان ولا بد من عامل وما ذلك الا أن يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانها يستأنس بها والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه كما قال لتسكنوا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعالى وآيتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله

(والشمس والقمر حسبانا) أي سببي حسبان لان حساب الأوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل أو يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل أريد به ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل قلت وهذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من أنه يجوز أن يراد به زمان مستمر حتى تكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة وأما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوفي الخبر أي والشمس والقمر مجعولان أو محسوبان حسبانا (وذلك) الجعل (تقدير العزيز) الذي قهرهما (العليم) الذي دبرهما وذلك أن تقدير أجرام الأفلاك بصفاتها المخصوصة وهيآتها المحدودة وأوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات * النوع الرابع قوله (وهو الذي جعل لكم النجوم) عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير والله في ظلمات الليل بالبر والبحر فأضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات البر تغليب وبحر تشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بحال وصفة أخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وأيضا اتصافها بالاعضاء والابعاض والحدود والاحياز مع أنها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) فيستدلون بالمحسوس على

يقول قطعوا له بنين وبنات قالت العرب الملائكة بنات الله وقالت اليهود والنصارى المسيح وعزير ابنا الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال خرقوا كذبوا لم يكن لله بنون ولا بنات قالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملائكة بنات الله فكل خرقوا الكذب وخرقوا اخترقوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال قول الزنادقة وخرقوا له قال ابن جريج قال مجاهد خرقوا كذبوا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن جويبر عن الضحاك وخرقوا له بنين وبنات قال وصفوا له **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن أبي عمر وخرقوا له بنين وبنات قال تفسيرها وكذبوا فتأويل الكلام اذا وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم اياه وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير وخرقوا له بنين وبنات يقول وتخرصوا لله كذبا فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته وأنه لا ينبغي لمن كان الها أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك ۞ القول في تأويل قوله ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ يقول تعالى ذكره تنزه الله وعلا فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه في ادعائهم له شركاء من الجن واختراقهم له بنين وبنات وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته لان ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الاولاد والذين تضطرهم لضعفهم الشهوات الى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شئ الى شئ ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته الى النساء الى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة وقوله تعالى تفاعل من العلو والارتفاع وروى عن قتادة في تأويل قوله عما يصفون انه يكذبون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذبون وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه من ادعائهم له بنين وبنات لا انه وجه تأويل الوصف الى الكذب ۞ القول في تأويل قوله ﴿بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجن شركاء وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بديع السموات والارض يعني مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بديع السموات والارض قال هو الذي ابتدع خلقهما جل جلاله فخلقهما ولم يكونا شيأ قبله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة والولد انما يكون من الذكر من الأنثى ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة فيكون له ولد وذلك انه هو الذي خلق كل شئ يقول فاذا كان لا شئ الا الله خلقه فأنى يكون لله ولد ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد ۞ القول في تأويل قوله ﴿وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم﴾ يقول تعالى ذكره والله خلق كل شئ ولا خالق سواه وكل ما تدعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه خلقه وعبيده ملكا كان الذي تدعونه ربا وتزعمون أنه له ولدا أو جنيا أو انسيا وهو بكل شئ عليم يقول

المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب * ثم عدل عن الآيات الآفاقية الى آيات الانفس فقال (وهو الذى أنشأكم) أى خلقكم بطريق النشو والنماء (من نفس واحدة) هى آدم وحواء مخلوقة من ضلع من أضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن أو بالنفخ وهى من آدم (فمستقر) من قرأ بكسر القاف فالتقدير فمنكم مستقر (و) منكم (مستودع) الاول اسم فاعل والثانى اسم مفعول ومن قرأ بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمى مكان أو مصدرا وذلك أن استقر لازم فلا يجىء منه المفعول به بلا واسطة فينبغى تفسير مستودع أيضا بما يشاكله استحسانا وعن ابن عباس أن المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر فى الارحام ما نشاء ولان اللبث فى الرحم أكثر فيكون لفظ القرار بذلك أنسب بخلاف المستودع فانه فى معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شأن المنى فى الاصلاب فانه بصدد الاراقة فى كل حين وأوان وقيل المستقر صلب الأب والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت فى صلب الاب أولا واستقرت هنالك ثم حصلت فى الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذى خلق من النفس الاولى وحصل فى الوجود والمستودع الذى لم يخلق بعد وسيخلق وعنه أيضا المستقر من فى قرار الدنيا والمستودع من فى القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن أبى مسلم الاصفهانى المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر فى صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام أن الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب فى الاطوار ويتردد فى الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والاتساوى الكل فى الأخلاق والامزجة فذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال (قد فصلنا الآيات) ميزنا بعضها عن بعض (لقوم يفقهون) لان الفائدة تعود اليهم وان كان الارشاد عاما ولأن آيات الانفس أقرب الى الاعتبار وأهون لدى الاستبصار ختم هذه الآية بالفقه وخصص خاتمة الآية الاولى بالعلم ليعلم أن الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء أصلا فضلا

والله الذى خلق كل شئ لا يخفى عليه ما خلق ولا شئ منه ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء عالم بعددكم وأعمالكم وأعمال من دعوتموه ربا أو لله ولدا وهو محصيها عليكم وعليهم حتى يجازى كلا بعمله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل﴾ يقول تعالى ذكره الذى خلق كل شئ وهو بكل شئ عليم هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان والجاعلون له الجن شركاء وآلهتكم التى لا تملك نفعا ولا ضرا ولا تفعل خيرا ولا شرا لا اله الا هو وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله يقول جل ثناؤه لهم أيها الجاهلون انه لا شئ له الالوهية والعبادة الا الذى خلق كل شئ وهو بكل شئ عليم فانه لا ينبغى أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من فى السموات والارض الا الله خالصة بغير شريك تشركونه فيها فانه خالق كل شئ وبارئه وصانعه وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة فاعبدوه يقول فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة واخضعوا له بذلك وهو على كل شئ وكيل يقول والله على كل ما خلق من شئ رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار فقال بعضهم معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار يقول لا يحيط بصر أحد بالملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو أعظم من أن تدركه الابصار حدثنى يونس بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن عبد الرحمن قال ثنا أبو عرفجة عن عطية العوفى فى قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال هم ينظرون الى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله لا تدركه الابصار الآية واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا ان الله قال فلما أدركه الغرق قال آمنت قالوا فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ولا شك ان الغرق غير موصوف بأنه رآه ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيأ قالوا فمعنى قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه بعيد لان الشئ قد يدرك الشئ ولا يراه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم لموسى حين قرب منهم أصحاب فرعون فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون لان الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم انهم لا يدركون لقوله ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قالوا فان كان الشئ قد يرى الشئ ولا يدركه ويدركه ولا يراه فكان معلوما بذلك ان قوله لا تدركه الابصار من معنى لا تراه الابصار بمعزل وان معنى ذلك لا تحيط به الابصار لان الاحاطة به غير جائزة قالوا فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم بمعنى انهم لا تحيط به اذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيأ

يحيط به قالوا ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط به وكما قال جل ثناؤه ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء قالوا فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء قالوا ومعنى العلم فى هذا الموضع المعلوم قالوا فلم يكن فى نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشئ من علمه الا بما شاء نفى عن أن يعلموه قالوا فاذا لم يكن فى نفى الاحاطة بالشئ علما نفى للعلم به كان كذلك لم يكن فى نفى ادراك الله عن البصر نفى رؤيته له قالوا وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علما كذلك جائز أن يرى وارهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم اذ كان معنى الرؤية غير معنى الادراك ومعنى الادراك غير معنى الرؤية وان معنى الادراك انما هو الاحاطة كما قال ابن عباس فى الخبر الذى ذكرناه قبل قالوا فان قال لنا قائل وما أنكرتم أن يكون معنى قوله لا تدركه الابصار لا تراه الابصار قلنا له أنكرنا ذلك لان الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه ان وجوها فى القيامة اليه ناظرة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب قالوا فاذ كان الله قد أخبر فى كتابه بما أخبر وحققت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا عنه من قيله صلى الله عليه وسلم أن تأويل قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة انه نظر أبصار العيون لله جل جلاله وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضا وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخا للآخر اذ كان غير جائز فى الاخبار لما قد بينا فى كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الاحكام وغيره علم أن معنى قوله لا تدركه الابصار غير معنى قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة الى الله ولا يدركونه بها تصديقا لله فى كلا الخبرين وتسليما لما جاء به تنزيله على ما جاء به فى السورتين * وقال آخرون معنى ذلك لا تراه الأبصار وهو يرى الابصار ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تدركه الابصار لا يراه شئ وهو يرى الخلائق **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ولكن قد رأى جبريل فى صورته مرتين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت سبحان الله لقد قف شعرى مما قلت ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى وابن علية عن داود عن الشعبى عن مسروق عن عائشة بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال قالت عائشة من قال ان أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فقال قائلو هذه المقالة معنى الادراك فى هذا الموضع الرؤية وأنكروا

من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها (فأخرجنا به) أى بواسطة ذلك الماء وذلك يوجب الطبع والمتكلمون ينكرونه (نبات كل شئ) قال الفراء أى نبات كل شئ له نبات فيخصص بنبت كل صنف من أصناف النامى ويخرج ما عدا ذلك وفى الآية التفاتان الأول من الحكاية الى الغيبة حيث لم يقل نحن الذين أنزلنا والثانى من الغيبة الى الحكاية وأنت خبير أن نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب باب من أبواب البلاغة وصيغة الجمع لأجل التعظيم كما هو دين الملوك ثم لما بين أن السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر فى قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال (فأخرجنا منه) أى من النبات (خضرا) شيأ أخضر طريا وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) أى من ذلك الخضر (حبا متراكبا) بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فأصل ذلك هو العود الأخضر وتكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة أجسام دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها أن تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما نبت من الحب أتبعه ذكر ما ينبت من النوى فقال (ومن النخل) وهو خبر أن وقوله (من طلعها) بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل (قنوان) أو الخبر محذوف لدلالة أخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب والطلع أول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التى قد تدلت من الطلع دانية من تحتها وعنه أيضا انه أراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل

ومنها قنوان بعيدة لان أحد القسمين يغنى عن الآخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل أن يقال ترك البعيدة لان النعمة فى القريبة أكمل وأتم وقيل أراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى متعرضة للقاطف كالشئ الدانى القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتى بالثمر لا تنتظر الطول (وجنات من أعناب) بالنصب عطفا على خضرا أى وأخرجنا به جنات من أعناب ومن قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر أى وثم جنات من أعناب أو وجنات من أعناب مخرجة ولا يجوز أن يكون عطفا

على قنوان وان جوزه فى الكشاف اذ يصير المعنى وحاصلة أو مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من أعناب أما قوله (والزيتون والرمان) بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها أو للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء أراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم أنه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولاسيما للعرب ومن فضائلها أن الحكماء بينوا أن بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه أشرف أنواع الفواكه وانه ينتفع به من أول ظهوره الى آخر حاله فأوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من أصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا أن الخمر حرمها الشرع لاسكارها وأخس ما فى العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات نافعة للمعدة الضعيفة

أن يكون الله يرى بالابصار فى الدنيا والآخرة وتأولوا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بمعنى انتظار هار حمة الله وثوابه وتأول بعضهم فى الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات وأنكر بعضهم مجيئها ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا القول فيه الى عقولهم فزعموا أن عقولهم تحيل جواز الرؤية على الله عز وجل بالأبصار وأتوا فى ذلك بضروب من التمويهات وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات وكان من أجل ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيأ الا ما باينها دون ما لاصقها فانها لا ترى ما لاصقها قالوا فما كان للابصار مباينا مما عاينته فان بينه وبينها فضاء وفرجة قالوا فان كانت الابصار ترى ربها يوم القيامة على نحو ما ترى الاشخاص اليوم فقد وجب أن يكون الصانع محدودا قالوا ومن وصفه بذلك فقد وصفه بصفات الاجسام التى يجوز عليها الزيادة والنقصان قالوا وأخرى أن من شأن الابصار أن تدرك الالوان كما من شأن الاسماع أن تدرك الاصوات ومن شأن المتنشم أن يدرك الاعراف قالوا فمن الوجه الذى فسد أن يكون جائزا أن يقضى للسمع بغير ادراك الاصوات وللمتنشم الا بادراك الاعراف فسد أن يكون جائزا القضاء للبصر الا بادراك الالوان قالوا ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفا بأنه ذو لون صح أنه غير جائز أن يكون موصوفا بأنه مرئى * وقال آخرون معنى ذلك لا تدركه أبصار الخلائق فى الدنيا وأما فى الآخرة فانها تدركه وقال أهل هذه المقالة الادراك فى هذا الموضع الرؤية واعتل أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا الادراك وان كان قد يكون فى بعض الاحوال بغير معنى الرؤية فان الرؤية من أحد معانيه وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيأ فيراه وهو لما أبصره وعاينه غير مدرك وان لم يحط بأجزائه كلها رؤية قالوا فرؤية ما عاينه الرائى ادراك له دون ما لم يره قالوا وقد أخبر الله أن وجوها يوم القيامة اليه ناظرة قالوا فمحال أن تكون اليه ناظرة وهى له غير مدركة رؤية قالوا واذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون فى أخبار الله تضاد وتعارض وجب وصح أن قوله لا تدركه الأبصار على الخصوص لا على العموم وان معناه لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يدرك الابصار فى الدنيا والآخرة اذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * وقال آخرون من أهل هذه المقالة الآية على الخصوص الا أنه جائز أن يكون معنى الآية لا تدركه أبصار الظالمين فى الدنيا والآخرة وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الابصار بالنهاية والاحاطة وأما بالرؤية فبلى قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الابصار فى الدنيا وتدركه فى الآخرة وجائز أن يكون معناها لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذى يدرك به القديم أبصار خلقه فيكون الذى نفى عن خلقه من ادراك أبصارهم اياه هو الذى أثبته لنفسه اذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ الا فيما قواها جل ثناؤه على النفوذ فيه وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شئ قالوا ولا شك فى خصوص قوله لا تدركه الابصار وأن

الرطبة ويتلو العنب فى المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذى يعظم غناؤه وأما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة أرضية كثيفة قابضة عفصة وأما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه ألذ الاشربة وألطفها وأقربها الى الاعتدال وأشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكأنه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه أكمل وأنواع النبات أكثر من أن ينبغى

بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقى وأما قوله (مشتبها وغير متشابه) ففى تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه تكون متشابهة فى اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة فى الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد تكون متشابهة فى الصورة واللون والشكل ثم انها تكون مختلفة فى الحلاوة والحموضة وبالعكس الثانى ان أكثر الفواكه يكون مافيها من القشر والعجم متشابها فى الطعم والخاصية وأما مافيها من اللحم والرطوبة فانها تكون (٢٠٢) مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وبعضها غير متشابه وذلك أنك قد تأخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة فانها بقيت على أول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف أحدهما أو على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله

رمانى بأمر كنت منه ووالدى ... بريئا ومن أجل الطوى رمانى

(انظروا الى ثمره) من قرأ بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة أيضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كأنهم خشب مسندة أو على أن ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر (اذا أثمر) اذا أخرج ثمره (وينعه) يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا أدركت ونضجت أمر بالنظر فى حال ثمر كل شجرة أول حدوثها وفى آخر حالها فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت أول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم تصير حارة الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لابد له من سبب مستقل فى التأثير سوى الطبائع أن والفصول والافلاك والنجوم وماذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) قال القاضى المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه آية لمن آمن ولمن لم يؤمن ويحتمل أن يقال خص المؤمنين لانهم المنتفعون بذلك دون غيرهم أو المراد ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى فى حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال فى حقهم

أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم غير أنا لا ندرى أى معانى الخصوص الاربعة أريد بالآية واعتلوا للتصحيح القول بأن الله يرى فى الآخرة بنحو علل الذين ذكرنا قبل * وقال آخرون الآية على العموم ولن يدرك الله بصر أحد فى الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لاوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها واعتلوا لقولهم هذا بأن الله تعالى ذكره نفى عن الابصار أن تدركه من غير أن يدل فيها أو بآية غيرها على خصوصها قالوا وكذلك أخبر فى آية أخرى أن وجوها اليه يوم القيامة ناظرة قالوا فأخبار الله لا تتباين ولا تتعارض وكلا الخبرين صحيح معناه على ماجاء به التنزيل واعتلوا أيضا من جهة العقل بأن قالوا ان كان جائزا أن نراه فى الآخرة بأبصارنا هذه وان زيد فى قواها وجب أن نراه فى الدنيا وان ضعفت لان كل حاسة خلقت لادراك معنى من المعانى فهى وان ضعفت كل الضعف فقد تدرك مع ضعفها ما خلقت لادراكه وان ضعف ادراكها اياه مالم تعدم قالوا فلو كان فى البصر أن يدرك صانعه فى حال من الاحوال أو وقت من الاوقات ويراه وجب أن يكون يدركه فى الدنيا ويراه فيها وان ضعف ادراكه اياه قالوا فلما كان ذلك غير موجود من أبصارنا فى الدنيا كان غير جائز أن تكون فى الآخرة الا بهيئتها فى الدنيا فى أنها لا تدرك الا ما كان من شأنها ادراكه فى الدنيا قالوا فلما كان ذلك وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أن وجوها فى الآخرة تراه علم أنها تراه بغير حاسة البصر اذ كان غير جائز أن يكون خبره الا حقا * والصواب من القول فى ذلك عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب فالمؤمنون يرونه والكافرون عنه يومئذ محجوبون كما قال جل ثناؤه كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فأما ما اعتل به منكر وروية الله يوم القيامة بالابصار لما كانت لا ترى الا ما بانها وكان بينها وبينه فضاء وفرجة وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله بالابصار كذلك لان فى ذلك اثبات حده ونهايته فيطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه وأنه يقال لهم هل علمتم موصوفا بالتدبير سوى صانعكم الا مما سالكم أو مباينا فان زعموا أنهم يعلمون ذلك كلفوا تبيينه ولا سبيل الى ذلك وان قالوا لا نعلم ذلك قيل لهم أوليس قد علمتموه لا مما سالكم ولا مباينا وهو موصوف بالتدبير والفعل ولم يجب عندكم اذ كنتم لم تعلموا موصوفا بالتدبير والفعل غيره الا مما سالكم أو مباينا أن يكون مستحيلا العلم به وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مماس ولا مباين فان قالوا ذلك كذلك قيل لهم فما تنكرون أن تكون الابصار كذلك لا ترى الا ما بانها وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء كما لا تعلم القلوب موصوفا بالتدبير الا مما سالها أو مباينا وقد علمتموه عندكم لا كذلك وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفا بالتدبير والفعل معلوما الا مما سالعالم به أو مباينا وأجاز أن يكون موصوفا برؤية الابصار لا مما سالها ولا مباينا فرق ثم يسألون الفرق بين ذلك فلن يقولوا فى شئ من ذلك قولا الا ألزموا فى الآخر مثله وكذلك يسألون فيما اعتلوا به فى ذلك ان من شأن الابصار ادراك الالوان كما

(وجعلوا لله شركاء الجن) قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس أخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس فانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت أنه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشر ورفهو من أهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على أن أهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكة نفسه واستعظمها ففعل نوعا من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم أزلي والحاصل أنهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم أرواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم أيضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم أنهم أثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو أهرمن وانتصاب الجن على انه بدل أو بيان لشركاء أو على انه مفعول أول لجعلوا وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام أن يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا أو جنيا أو انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الآية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونهم شركاء أنهم مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن وطائفة من المفسرين ان المراد أن الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فأطاعوهم كما يطاع الله أما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشريك والضمير فيه اما أن يعود الى الجن أو الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الآية نزلت في المجوس فتقريره أن الاكثرين منهم

أن من شأن الاسماع ادراك الاصوات ومن شأن المتنسم درك الاعراف فمن الوجه الذي فسد أن يقتضي السمع لغير درك الاصوات فسد أن تقتضي الابصار لغير درك الالوان فيقال لهم ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفا بالتدبير والفعل الا ذا لون وقد علمتموه موصوفا بالتدبير لا ذا لون فان قالوا نعم لا يجحدون من الاقرار بذلك بدا الا أن يكذبوا فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفا بالتدبير والفعل غير ذي لون فيكلفوا بيان ذلك ولا سبيل اليه فيقال لهم فاذ كان ذلك كذلك فما أنكرتم أن تكون الابصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك الا الالوان كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفا بالتدبير الا ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفا بالتدبير غير ذي لون ثم يسألون الفرق بين ذلك فلن يقولوا في أحدهما شيأ الا ألزموا في الآخر مثله ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها واطالة الكتاب بها وبالجواب عنها اذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آي الفرقان ولكنا ذكرنا القدر الذي ذكرنا ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم الا الى ما لبس عليهم الشيطان مما يسهل على أهل الحق البيان عن فساده وأنهم لا يرجعون في قولهم الى آية من التنزيل محكمة ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة فهم في الظلمات يخبطون وفي العمياء يترددون نعوذ بالله من الحيرة والضلالة وأما قوله وهو اللطيف الخبير فانه يقول والله تعالى ذكره الميسر له من ادراك الابصار والمتأتي له من الاحاطة بها رؤية ما يعسر على الابصار من ادراكها اياه واحاطتها به ويتعذر عليها الخبير يقول العليم بخلقه وأبصارهم والسبب الذي له تعذر عليها ادراكه فلطف بقدرته فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشؤنها وما هو أصلح بخلقه كالذي حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله اللطيف الخبير قال اللطيف باستخراجها الخبير بمكانها ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴿ وهذا أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبههم لهذه الآيات من قوله ان الله فالق الحب والنوى الى قوله وهو اللطيف الخبير على حجته عليهم وعلى تبيين خلقه معهم العادلين به الأوثان والانداد والمكذبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله قل لهم يا محمد قد جاءكم أيها العادلون بالله والمكذبون رسوله بصائر من ربكم أي ما تبصرون به الهدى من الضلال والايمان من الكفر وهي جمع بصيرة ومنه قول الشاعر

حملوا بصائرهم على أكتافهم * و بصيرتي يعدو بها عتدوأى

يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد جاءكم بصائر من ربكم قال البصائر الهدى بصائر في قلوبهم لدينهم وليست ببصائر الرؤس وقرأ فانها

معترفون بأن ابليس محدث ولو لم يعترفوا بذلك والبرهان العقلى قائم على أن ماسوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول حينئذ كل محدث مخلوق وله خالق وماذا الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت أن اله الخير قد فعل أعظم الشر وروهو خلق ابليس الذى هو مادة كل شر وان قلنا انها نزلت فى كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لأنهم يسلمون أن الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا منه تولد الولد من الوالد وان عاد (٢٠٤) الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعاموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله

ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لايخلق شريكا للخالق والجملة فى موضع الحال أى وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام أى اختلاقهم للافك يعنى جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله فى قولهم والله أمرنا بها ثم حكى عن قوم آخرين نوعا آخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول أهل الكتابين فى المسيح وعزير وقول قريش فى الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل فى كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة فى نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله أعلم ويجوز أن يكون من خرق الثوب اذا شقه أى اشتقوا له بنين وبنات أما قوله بغير علم فكالتنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال أن يثبت له ولدا لأن ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لاتعلق له فى وجوده بالآخر تعلق الفرعية وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب وكان عبد الله لا ولدا وأيضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفناء لم يحتج الى الولد وأيضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال أن ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال (سبحانه) وهذا على لسان المسبحين (وتعالى عما يصفون) وهذا له فى نفسه سواء سبحه مسبح أم لا والمراد بالتعالى العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون ﴿التأويل﴾ وما قدروا الله حق قدره حين أنكروا انزال الكتب والبعثة على أنهم لو اعترفوا بذلك أيضا لم يعرفوه حق معرفته لان المحاط لايحيط بالمحيط

لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال انما الدين بصره وسمعه فى هذا القلب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد جاءكم بصائر من ربكم أى بينة وقوله فمن أبصر فلنفسه يقول فمن تبين حجج الله وعرفها وأقر بها وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به فانما أصاب حظ نفسه ولنفسه عمل وايا ها بغى الخير ومن عمى فعليها يقول ومن لم يستدل بها ولم يصدق بما دلته عليه من الايمان بالله ورسوله وتنزيله ولكنه عمى عن دلالتها التى تدل عليها يقول فنفسه ضر واليها أساء لا الى غيرها وأما قوله وما أنا عليكم بحفيظ يقول وما أنا عليكم برقيب أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم وانما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله الحفيظ عليكم الذى لايخفى عليه شئ من أعمالكم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره كما صرفت لكم أيها الناس الآيات والحجج فى هذه السورة وبينتها فعرفتكموها فى توحيدى وتصديق رسولى وكتابى ووصيتكم عليها فكذلك أبين لكم آياتى وحججى فى كل ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمرى ونهيى كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذلك نصرف الآيات لهؤلاء العادلين بربهم كما صرفتها فى هذه السورة ولئلا يقولوا درست واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة وليقولوا درست يعنى قرأت أنت يا محمد بغير ألف وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين منهم ابن عباس على اختلاف عنه فيه وغيره وجماعة من التابعين وهو قراءة بعض قراء أهل البصرة وليقولوا دارست بألف بمعنى قارأت وتعلمت من أهل الكتاب وروى عن قتادة انه كان يقرؤه درست بمعنى قرأت وتليت وعن الحسن أنه كان يقرؤه درست بمعنى امحت * وأولى القراآت فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه وليقولوا درست بتأويل قرأت وتعلمت لان المشركين كذلك كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين فهذا خبر من الله ينبئ عنهم أنهم كانوا يقولون انما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره فاذ كان ذلك كذلك فقراءة وليقولوا درست يا محمد بمعنى تعلمت من أهل الكتاب أشبه بالحق وأولى بالصواب من قراءة من قرأه دارست بمعنى قارأتهم وخاصمتهم وغير ذلك من القراآت واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على قدر اختلاف القراءة فى قراءته ذكر من قرأ ذلك وليقولوا درست من المتقدمين وتأوله بمعنى تعلمت وقرأت **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح قال ثنى على بن أبى طلحة عن ابن عباس وليقولوا درست قالوا قرأت وتعلمت تقول ذلك قريش **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد وليقولوا درست قال قرأت وتعلمت **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل وافقه عن أبى اسحق عن التميمى

نعم تزداد معرفته بازدياد معرفة أوصافه تجعلونه قراطيس أى فى القراطيس ومايجعلونه فى قلوبهم بالتخلق باخلاقه وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ماهو سره الذى يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسر واضمارا باضمار والذى علم النبى هو الله فى خلوة ماسوى الله ولهذا قال قل الله (مبارك) على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بأن يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب مصدق الذى بين يديه لانه يصدق حقائق جميع ما فى الكتب ولتنذر أم القرى وهى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دحيت جميع أرض القلب من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بأن يتنوروا بأنواره وينتفعوا بأسراره ويتخلقوا باخلاقه والذين يؤمنون بالآخرة فيستعملون الأدوات والآلات فى أمور الدنيا والآخرة لا فى الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقرآن وهم على صلاتهم يحافظون بالترقى من صفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن يداومون فان الصلاة معراج المؤمن ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجد والحالات رياء ومراءاة من غير أن يكون له منها نصيب أو قال أوحى الى الاشارات ولم يلهم نفسه شيأ منها ومن قال متشدقا متفيهقا سأتكلم بمثل كلام الله من الحقائق والاسرار فتظهر مضرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها أو فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم أول مرة فى أول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا وبالتفريد عن الدنيا والآخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم ومانرى معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها توصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبريل عند سدرة المنتهى وحينئذ لا يصل الى الوحدة الا بجذبة ارجعى الى ربك ولولم تدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير فى الله بالله ونفى السدرة وهو يقول ومامنا الا له مقام

التميمى عن ابن عباس وليقولوا درست قال قرأت وتعلمت **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليقولوا درست يقول قرأت الكتب **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنى عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله درست يقول تعلمت وقرأت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى قال قلت لابن عباس أرأيت قوله درست قال قرأت وتعلمت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس مثله ذكر من قرأ ذلك دارست وتأوله بمعنى جادلت من المتقدمين **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد عن ابن عباس دارست يقول قارأت **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وليقولوا دارست أحسبه قال قارأت أهل الكتاب **حدثنى** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس وليقولوا دارست قال قارأت وتعلمت **حدثنا** محمد ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت التميمى يقول سألت ابن عباس عن قوله وليقولوا دارست قال قارأت وتعلمت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير قال كان ابن عباس يقرؤها دارست **حدثنا** المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال ثنا أبو المعلى قال سمعت سعيد بن جبير يقول كان ابن عباس يقرأ دارست بالالف بجزم السين ونصب التاء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال أخبرنى عمرو بن كيسان أن ابن عباس كان يقرأ دارست تلوت خاصمت جادلت **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال ابن عباس فى دارست قال تلوت خاصمت جادلت **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية وليقولوا دارست قال قارأت **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ دارست بالالف أيضا منتصبة التاء وقال قارأت **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ دارست أى ناسخت **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله دارست قال فاقهت قرأت على يهود وقرؤا عليك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وليقولوا دارست قال قارأت قرأت على يهود وقرؤا عليك **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله دارست يعنى أهل الكتاب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد دارست قال قرأت على يهود وقرؤا عليك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

معلوم ان الله فالق حبة الذرة التى أخذ منها الميثاق المودعة فى حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله فى أرض القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة يخرج نبات المحبة التى هى من صفات الحى القيوم من الذرة الميتة الانسانية ومخرج الافعال الطبيعية التى هى من صفات الكفار الموتى من المؤمن الحق فى الدارين وأيضا يخرج نخل الايمان الحق من نوى الحروف الميتة فى كلمة لا اله الا الله ومخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهى لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحياة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسمانى بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق فى معرفة مدبر المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق أنوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية ستراً عن ضياء شمس الروح لتسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعنى تجلى شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا يفسد أمر القلب والقالب وأيضا تجلى شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا يفسد أمر الدين والدنيا على العمد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شموس المعارف والشهود آفة أنا الحق وسبحانى وفى تفريطه آفة أنا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذى لا يهتدى اليه الا به العليم بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذى جعل لكم النجوم نجوم أنوار الغيوب فى سموات القلوب لتهتدوا بها فى ظلمات بر البشرية و بحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذى أنشأ أرواحكم من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه وآله أول ما خلق الله روحى كما خلق أجسادكم من جسد واحد هو جسد آدم أبى البشر فمن الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر وما هو بعد مستودع فى عالم الارواح عن

وأيضا من الارواح ما هو مستقر فيه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر فى أنانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع أنانيته بالفناء وما هو مستقر ببقاء الحق باق وما هو مستودع فى بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول فى الوصال لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذى أنزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شئ من أنواع المعارف فأخرجنا منه خضرا

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وليقولوا دارست قال قالوا دارست أهل الكتاب وقرأت الكتب وتعلمتها ذكر من قرأ ذلك درست بمعنى نبئت وقرئت على وجه ما لم يسم فاعله **حدثنا** عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا الحسين المعلم وسعيد عن قتادة وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست أى قرئت وتعلمت **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة درست قرئت وفى حرف ابن مسعود درس ذكر من قرأ ذلك درست بمعنى انمحت وتقادمت أى هذا الذى تتلوه علينا قد مر بنا قديما وتطاولت مدته **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقرأ وليقولوا درست أى انمحت **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اسحق الهمدانى قال فى قراءة ابن مسعود درست بغير ألف بنصب السين ووقف التاء **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن الزبير يقول ان صبيانا ههنا يقرؤن دارست وانما هى درست **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن وليقولوا درست يقول تقادمت وانمحت وقرأ ذلك آخرون درس من درس الشئ تلاه **حدثنى** أحمد بن يوسف الثعلبى قال ثنا أبو عبيدة قال ثنا حجاج عن هرون قال هى فى حرف أبى بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قرأ وانما جاز أن يقال مرة درست ومرة درس فيخاطب مرة ويخبر مرة من أجل القول وقد بينا أولى هذه القراآت فى ذلك بالصواب عندنا والدلالة على صحة ما اخترنا منها وأما تأويل قوله ولنبينه لقوم يعلمون يقول تعالى ذكره كما صرفنا الآيات والعبر والحجج فى هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والانداد كذلك نصرف لهم الآيات فى غيرها كيلا يقولوا لرسولنا الذى أرسلناه اليهم انما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب فينزجروا عن تكذيبهم اياه وتقولهم عليه الافك والزور ولنبين تصريفنا الآيات الحق لقوم يعلمون الحق اذا تبين لهم فيتبعوه ويقبلوه وليسوا كمن اذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه وازدادوا من الفهم به بعدا القول فى تأويل قوله ﴿اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اتبع يا محمد ما أمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه اليك فاعمل به وانزجر عما زجرك عنه فيه ودع ما يدعوك اليه مشركو قومك من عبادة الاوثان والاصنام فانه لا اله الا هو يقول لا معبود يستحق عليك اخلاص العبادة له الا الله الذى هو فالق الحب والنوى وفالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا وأعرض عن المشركين يقول ودع عنك جدالهم وخصومتهم ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله فى براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على ابن أبى طلحة عن ابن أبى عباس أما قوله وأعرض عن المشركين ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو

طريا من المعانى والاسرار نخرج به من الحقائق ما تركب بعضها بعضها فترتب بعضها على بعض ومن النخل يعنى أصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين أى منهم من يكون مرئيا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد أرباب الزهد والتقوى والفتوة الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من أعناب الاجتهاد وزيتون الاصول ورمان الفروع مشتبها أى متفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه أى مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه أى الكامل منها ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون بأحوالهم وينتفعون بأقوالهم وأحوالهم وجعلوا لله اشارة الى أنه كما يخرج بماء اللطف من أرض القلوب لاربابها أنواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من أرض النفوس لاصحابها أنواع الضلالات (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) ۞ القراآت ولم يكن بياء الغيبة قتيبة درست بتاء التأنيث ابن عامر وسهل ويعقوب درست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة * (الوقوف) والارض ط صاحبة ط كل شئ ط لاحتمال الواو والحال والاستئناف عليهم ط ربكم ط لاحتمال الجملة

عن المشركين فانه نسخ ذلك قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أعرض عن هؤلاء المشركين بالله ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابتهم ولو شاء الله ما أشركوا يقول لو أراد ربك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم للطف لهم بتوفيقه اياهم فلم يشركوا به شيأ ولآمنوا بك فاتبعوك وصدقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك وما جعلناك عليهم حفيظا يقول جل ثناؤه وانما بعثتك اليهم رسولا مبلغا ولم نبعثك حافظا عليهم ما هم عاملوه وتحصى ذلك عليهم فان ذلك اليناد ونك وما أنت عليهم بوكيل يقول ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحافظهم فيما لم يجعل اليك حفظه من أمرهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ولا تسبوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد فيسب المشركون الله جهلا منهم بربهم واعتداء بغير علم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحى أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن على أبى طالب فأتى أبا طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك قال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان

الاستئناف والحال والعامل معنى الاشارة الاهو طلان قوله خالق بدل من الضمير المستتر أو خبر ضمير محذوف فاعبدوه ط لاحتمال الواو والحال والاستئناف وكيل ٥ لاتدركه الابصار ج لاختلاف الجملتين مع أن الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ط لاحتمال الواو الاستئناف والحال أى يدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير ٥ من ربكم ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ط كذلك مع الواو فعليها ط بحفيظ ٥ يعلمون ٥ من ربك ط لاحتمال الجملة الحال والاستئناف على أنها جملة معترضة الاهو ط للعطف مع العارض المشركين ٥ ما أشركوا ط حفيظا ط للابتداء بالنفى مع اتحاد المعنى بوكيل ٥ بغير علم ط يعلمون ٥ ليؤمنن بها ط ومايشعركم ط لمن قرأ انها بكسر الالف لايؤمنون ٥ يعمهون ٥ ﴿التفسير﴾ لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال قول من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الآية والمراد هو بديع السموات ويجوز أن يكون بديع السموات مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما أن تريدوا بكون عيسى ولدا له أنه أحدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا أب وحينئذ يلزمكم القول بأنه والد السموات والارض بكونه مبدعا لهما وهذا باطل بالاتفاق واما أن تريدوا به الولادة كما هو المألوف فى الحيوانات وهذا أيضا محال لان تلك الولادة لاتصح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس فى رحمها وهذه الاحوال انما تثبت فى حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال وأشار الى هذا بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وأيضا الولد بهذا الطريق انما يتصور فى حق من لايقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة أما الذى اذا أراد شيأ فانما يقول له كن فيكون فذلك فى حقه لايؤمنون مستحيل والى هذا أشار بقوله خلق كل شئ وأيضا هذا الولد لايكون أزليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقى أن يكون حادثا فنقول انه تعالى عالم بكل المعلومات أزلا وأبدا كما قال وهو بكل شئ عليم فان كان قد علم أن له فى تحصيل ذلك الولد كمالا أو نفعا أو لذة لتعلقت ارادته بايجاده فى الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد أزليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين أن اله العالم فرد واحد صمد

أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم بالخراج قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرا أمثالها فما هى قال قولوا لا اله الا الله فأبوا واستمروا قال أبو طالب يا ابن أخى قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال ياعم ما أنا بالذى أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها فى يدى ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها ارادة أن يؤيسهم فغضبوا وقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فذلك قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال اذا سببت الهه سب الهك فلا تسبوا آلهتهم وأجمعت الامة من قراء الامصار على قراءة ذلك فيسبوا الله عدوا بغير علم بفتح العين وتسكين الدال وتخفيف الواو ومن قوله عدوا على أنه مصدر من قول القائل عدا فلان على فلان اذا ظلمه واعتدى عليه يعدو عدوا وعدوا وعدوانا والاعتداء انما هو افتعال من ذلك روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك عدوا مشددة الواو حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن عثمان بن سعد فيسبوا الله عدوا مضمومة العين مثقلة وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك فيسبوا الله عدوا بوجه تأويله الى أنهم جماعة كما قال جل ثناؤه فانهم عدو لى الا رب العالمين وكما قال لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ويجعل نصب العدو حينئذ على الحال من ذكر المشركين فى قوله فيسبوا فيكون تأويل الكلام ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين يدعو المشركون من دون الله فيسب المشركون الله أعداء الله بغير علم واذا كان التأويل هكذا كان العدو من صفة المشركين ونعتهم كأنه قيل فيسب المشركون أعداء الله بغير علم ولكن العدو لما خرج مخرج النكرة وهو نعت للمعرفة نصب على الحال * والصواب من القراءة عندى فى ذلك قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو لاجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك وغير جائز خلافها فيما جاءت مجمعة عليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره كما زينا لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام عبادة الاوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا اياهم عن طاعة الرحمن كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على عمل من الاعمال من طاعة الله ومعصيته عملهم الذى هم عليه مجتمعون ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم الى ربهم فينبئهم بما كانوا يعملون يقول فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التى كانوا يعملون بها فى الدنيا ثم يجازيهم بها ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر أو يعفو بفضله ما لم يكن شركا أو كفرا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت

منزه عن الشريك والنظير والاضداد والانداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال (ذلكم الله) فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شئ وفى المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان رفع الشرك أهم وهناك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية أهم ثم قال (فاعبدوه) وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعنى أن من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة (وهو) مع تلك الصفات (على كل شئ وكيل) يحفظه ويرزقه ويراقبه قال فى التفسير الكبير انه سبحانه أقام الدليل على وجود الخالق ثم زيف طريق من أثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء فى اثبات التوحيد طرق منها أن الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد أولى من عدد آخر فيلزم آلهة لا نهاية لها أو القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها أنا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله أحدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب أن يكون كل واحد يعجز الآخر وهو محال وان كان فى أحدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها أنا لو فرضنا الها ثانيا فكان اما أن يكون الثانى مشاركا للاول فى جميع صفات الكمال أولا وعلى الاول لا بد أن يحصل الامتياز بأمر والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال لم يكن جميع صفات الكمال مشتركة بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثانى مشاركا للاول فى جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع أن الدليل النقلى فى التوحيد كاف والله أعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق (٢٠٩) كل شئ يدل على أنه خالق أفعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام فى معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنا والكفر واللواط وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا وأيضا احتج كثير من المعتزلة به على نفى الصفات وعلى أن القرآن مخلوق أما الثانى فلان القرآن شئ فيدخل تحت العموم وأما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم أن تكون مخلوقة له وأجيب بأنكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة أنه يمتنع

﴿ لا يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره وحلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم وذلك أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدها لئن جاءتهم آية يقول قالوا نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدق ما تقول يا محمد مثل الذى جاء من قبلنا من الامم ليؤمنن بها يقول قالوا لنصدقن بمجيئها بك وأنك لله رسول مرسل وأن ما جئتنا به حق من عند الله وقيل ليؤمنن بها فأخرج الخبر عن الآية والمعنى لمجىء الآية يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل انما الآيات عند الله وهو القادر على اتيانكم بها دون كل أحد من خلقه وما يشعركم يقول وما يدريكم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه هم الذين آيس الله نبيه من ايمانهم من مشركى قومه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها الى قوله يجهلون سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية واستحلفهم ليؤمنن بها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم ذكر مثله

(٢٧ - ابن جرير سابع) أن يكون خالقا لنفسه وبحسب أفعال العباد فنحن أيضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن وأما الفرق بين قوله وخلق كل شئ وقوله خالق كل شئ فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضى والثانى يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين أن شيأ من القوى المدركة لا يحيط بحقيقته وأن عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال (لا تدركه الابصار) هذه الآية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفى رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل أن قول القائل أدركته ببصرى وما رأيته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضى أنه لا يراه شئ من الابصار فى شئ من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وأيضا أنه ذكر الآية فى معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا فى حقه تعالى وانما قيدوا بما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يتمدح بنفى الظلم عن نفسه فى قوله وما ربك بظلام للعبيد مع أنه تعالى قادر على الظلم عندهم وأجيب بالمنع من أن ادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه فى أصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال أصحاب موسى انا لمدركون أى لملحقون وقوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق أى لحقه وأدرك الغلام أى بلغ وأدركت الثمرة اذا نضجت واذا قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك أى ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا يلزم من نفى الخاص نفى العام فلا يلزم من نفى ادراك البصر نفى الرؤية سلمنا أن ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفى العموم وأنتم تدعون عموم النفى فأين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفى العموم لان صيغة الجمع كما تحمل على الاستغراق فقد تحمل على المعهود السابق أيضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد أنها لا تدركه فى الدنيا وأنها تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت أحوالها فى الآخرة أو نقول قول القائل لا يدركه جميع

الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز أن يفيد أنه يدركه بعض الابصار كما لو قيل ان محمدا ما آمن به كل الناس فانه يفيد أنه آمن به بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب ضرار بن عمرو والكوفي أو نقول سلمنا أن الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه أما قولهم ان الآية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث تصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله ونهاية جماله والتحقيق فيه أن النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد أيضا لا تأخذه سنة ولا نوم الا أن هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع أن يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية عليكم لا لكم لانها أفادت أنه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة لان القائل قائلان قائل بجواز الرؤية مع أن المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا تجوز رؤيته واذا بطل هذا القول يبقى الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع أنه لا يراه أحد قول لم يقل به أحد وهذا استدلال لطيف ثم ان القاضي استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه أخر خارجة عن التفسير لائقة بالاصول فأولها أن الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو أن لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا أو في حكم المقابل فانه يجب حصول

الرؤية والا لجاز أن يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب أن تحصل رؤيته وحيث لم تحصل علمنا أن رؤيته ممتنعة في نفسها وأجيب بأن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه وثانيها الوصحت مجيئها رؤيته لأهل الجنة لرآه أهل النار أيضا لأن القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى وأجيب بأنه لم لا يجوز أن يخلق الله تعالى الرؤية في عيون أهل الجنة ولا يخلقها في عيون أهل النار وثالثها أن كل ما كان مرئيا كان مقابلا أو في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب بمنع الكلية وبأنه اعادة لعين الدعوى لأن النزاع واقع في أن الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته أم لا ورابعها أن أهل الجنة يلزم أن يروه في كل حال حتى عند الجماع لأن القرب والبعد عليه تعالى محال ولأن رؤيته أعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق بحال أهل الجنة وأجيب بأنهم لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع ﴿في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية﴾ منها هذه الآية كما بينا ومنها أن موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قد اتفق الجمهور على أن النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الآيات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا يجوز فالزائد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة أخرى وسوف يأتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهيه الأنفس ولا شك أن القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على أكمل الوجوه وأكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فمن

حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا **أبو معشر** عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون أن آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا فقال لهم فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ما شئت ان شئت أصبح ذهبا ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم وان شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فقال بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى وأقسموا بالله الى قوله يجهلون ﴿القول في تأويل قوله ﴿وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون﴾ اختلف أهل التأويل في المخاطبين بقوله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون فقال بعضهم خوطب بقوله وما يشعركم المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن وانتهى الخبر عند قوله وما يشعركم ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند

قرأ بفتح الميم وكسر اللام وأما الأخبار فكثيرة منها الحديث المشهور انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية فى الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئى بالمرئى ومنها أن الصحابة اختلفوا فى أن النبى صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب فدل ذلك على أنهم كانوا يجمعون على امكان الرؤية أما قوله تعالى (وهو يدرك الابصار) ففيه دليل على أنه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع على ماهياتها عليم بعوارضها وذاتياتها ثم قال (وهو اللطيف الخبير) وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام بل المراد لطف صنعه فى تركيب أبدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والأغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التى لا يعلمها الا مبدعها أو المراد أنه لطيف فى الانعام والرحمة لا يأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم أو الغرض أنه يثنى عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية أو المراد أنه يلطف عن أن يدركه الأبصار الخبير بكل لطيف ولا يلطف شئ عن ادراكه ثم عاد الى تقرير أمر الدعوة والرسالة فقال (قد جاءكم بصائر) أى موجبات الابصار والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وايا ها نفع (ومن عمى) عنه فعلى نفسه عمى وايا ها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بأن العبد يتمكن من الامرين الفعل والترك وعورض بالعلم والداعى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله (وكذلك) أى مثل ذلك التقرير البليغ (نصرف الآيات) نأتى بها متواترة حالا بعد حال (وليقولوا) عطف على محذوف أى لتلزمهم الحجة وليقولوا أو متعلق (٣) بما بعده أى وليقولوا درست نصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ درارست أى قرأت على اليهود

مجيئها استئنافا مبتدأ ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وما يشعركم قال ما يدريكم قال ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما يشعركم وما يدريكم انها اذا جاءت قال أوجب عليهم أنها اذا جاءت لا يؤمنون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال سمعت عبد الله بن يزيد يقول انما الآيات عند الله ثم يستأنف فيقول انها اذا جاءت لا يؤمنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انما الآيات عند الله وما يشعركم وما يدريكم أنكم تؤمنون اذا جاءت ثم استقبل يخبر عنهم فقال اذا جاءت لا يؤمنون وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف انها على أن قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون خبر مبتدأ منقطع عن الاول وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين * وقال آخرون منهم بل ذلك خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا وذلك أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بآية المؤمنون به قالوا وانما كان سبب مسألتهم اياه ذلك أن المشركين

وقرؤا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة وأما قراءة ابن عامر درست فهى من الدروس بمعنى أن هذه الآيات قد درست وعفت أى هذه الاخبار التى تلوتها علينا من جملة أساطير القرون الخالية قالت العلماء التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق درين لانه قد لان فكأنه تعالى ذكر الوجه الذى لاجله صرف الآيات وهو أمران أحدهما قوله وليقولوا درارست والثانى قوله ولنبينه أما الثانى فلا اشكال فيه لانه بين أن الحكمة فى هذا التصريف أن يظهر منه البيان والعلم والضمير فى لنبينه للآيات لانها فى معنى القرآن أو يعود الى القرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به أو الى التبيين الذى هو مصدر الفعل نحو ضربته زيدا أى ضربت الضرب زيدا وأما الاول فقد أورد عليه ان قولهم للرسول دارست كفر منهم بالقرآن والرسول وعلى هذا فتعود مسئلة الجبر والقدر أما الاشاعرة فأجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفر ونبينه لبعض فيزدادوا ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وأما المعتزلة فقال الجبائى منهم والقاضى ان هذا الاثبات محمول على النفى والتقدير نصرف الآيات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أى لئلا تضلوا أو المراد لام العاقبة وزيف بأن حمل الاثبات على النفى تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب يخرج الكتاب عن أن يكون حجة وأيضا انه مناف للمقصود لان انزال الآيات نجما فنجما هو الذى أوقع الشبهة للقوم فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما أتى بالقرآن على سبيل المدارسة والمذاكرة مع أقوام آخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذى ذكره انما يصح لو كان التصريف علة لأن يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وأيضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة أولى ثم انه لما حكى عن الكفار أنهم نسبوه فى شأن القرآن الى الافتراء والى انه دارس أقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى انه نزل عليه من الله أتبعه قوله (اتبع ما أوحى اليك من ربك) لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره فى تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذى يعتريه بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة أو الحال المؤكدة وهى قوله (لا اله الا هو) على انه سبحانه لما كان واحدا فى الالهية فانه يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الآية بقوله (وأعرض عن المشركين) وحمله

بعضهم على أنها منسوخة بآية القتال وضعف بأن المراد واترك مقابلتهم فيما يأتونه من سفه وأن يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذى يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التنفير والتغيظ (ولو شاء الله ما أشركوا) مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر وأجيب بعد المعارضة بالعلم والداعى بأن الايمان الاختيارى هب أنه أنفع وأفضل من الايمان القهرى الا انه تعالى لما علم أن ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب فى حكمته ان يخلق الله فيه الايمان القهرى كى يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص فى البحر ولا تطلب اللآلئ فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فأما أن يأمره بالغوص فى البحر مع اليقين التام بأنه لا يستفيد منه الا الهلاك فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك أنه بين له قدر ما جعل اليه فذكر أنه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلى الله عليه وسلم الى أنه جمع القرآن بطريق المدارسة وكان لا يبعد أن يغضب له المسلمون لسبب ذلك فيسبوا آلهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) وذلك ان المسلمين اذا شتموا آلهتهم فربما غضبوا وذكروا الله بما لا ينبغى من القول وفيه تنبيه على أن خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته بما يجرى مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب آلهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدى لما حضر أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحيى أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق

أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة ابن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البخترى الى أبى طالب فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وآله فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أبو طالب قد أنصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ذر بنى ملككم العرب ودانت لكم بها العجم قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرا أمثالها فما هى قال قولوا لا اله الا الله فأبوا واشمأزوا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخى فان قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فأنزل الله تعالى هذه الآية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله وأجيب بأنه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفى الصانع فما كان يبالى هذا النوع من السفاهة أو لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه وآله فأجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما فى قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله أو لعلهم من جهالتهم اعتقدوا أن الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بأنه اله محمد صلى الله عليه وآله وههنا سؤال وهو أن شتم الاصنام من أصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى أن ينهى عنه والجواب أن هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة ويقتضى تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب فى قلوبهم وفيه أن الامر بالمعروف قد يقبح اذا أدى الى ارتكاب منكر والنهى عن المنكر يقبح اذا أدى الى زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين فى هذا الباب وفيه تأديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد فى المطلوب فان وصف الاوثان بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفى فى القدح فى الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما يتجاوز القدر قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدو عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد أى فى حال كونهم

حلفوا أن الآية اذا جاءت آمنوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سل يا رسول الله ربك ذلك فسأل فأنزل الله فيهم وفى مسألتهم اياه ذلك قل للمؤمنين بك يا محمد انما الآيات عند الله وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به ففتحوا الالف من أن وممن قرأ ذلك كذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة وقالوا أدخلت لا فى قوله لا يؤمنون صلة كما أدخلت فى قوله ما منعك ألا تسجد وفى قوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وانما المعنى وحرام عليهم أن يرجعوا وما منعك أن تسجد وقد تأول قوم قرؤا ذلك بفتح الالف من أنها بمعنى لعلها وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب وقد ذكر عن العرب سماعا منها اذهب الى السوق أنك تشترى لى شيأ بمعنى لعلك تشترى وقد قيل ان قول عدى بن زيد العبادى

أعاذل ما يدريك أن منيتى * الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

بمعنى لعل منيتى وقد أنشدونى بيت دريد بن الصمة

أعداء ومعنى (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (زينا لكل أمة عملهم) قالت الاشاعرة فيه دلالة على أنه تعالى هو الذى زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصى المعصية وزيفه الكعبى بقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم وبقوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت فاذا المراد أنه تعالى زين لهم أن يعملوا وهم لا يفقهون أو المراد زينا لكل أمة من أمم الكفار عملهم أى خلينا هم وشأنهم وأمهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زينا فى زعمهم وقولهم ان الله أمرنا بهذا وزينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم وخلق الداعى بأن قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله فيسبوا الله مشعر بأن اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وأيضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضرورى بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول لما اختار الجهل الثانى ولا تذهب الجهالات الى غير النهاية فلا بد أن ينتهى الى جهل أول يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) والغرض حكاية شبهة أخرى لهم وهى أن هذا القرآن كيفما كان أمره فليس من جنس المعجزات البتة ولو أنك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لآمنا بك وأكدوا هذا المعنى بالأيمان والأقسام قال الواحدى انما سمى اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب فمعنى الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد بن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأن عيسى كان يحيى الموتى وأن صالحا كانت له ناقة فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تحبون أن آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقونى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال ان شئت أصبح الصفا ذهبا ولكن لم أرسل بآية فلم يصدق بها الا أنزلت العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتركهم حتى يتوب تائبهم وأنزل الله

ذرينى أطوف فى البلاد لأننى * أرى ماترين أو بخيلا مخلدا

يعنى لعلنى والذى أنشدنى أصحابنا عن الفراء لعلنى أرى ماترين وقد أنشد أيضا بيت توبة ابن الحمير

لعلك يا تيسا نزانى مريرة * معذب ليلى أن ترانى أزورها

لهنك يا تيسا بمعنى لأنك التى فى معنى لعلك وأنشد بيت أبى النجم العجلى

(١) قلت لسينان ادن من لقائه * أنا نغدى القوم من سرائه

يعنى لعلنا نغدى القوم وأولى التأويلات فى ذلك بتأويل الآية قول من قال ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله أعنى قوله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وأن قوله أنها بمعنى لعلها وانما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب لاستفاضة القراءة فى قراءة الامصار بالياء من قوله لا يؤمنون ولو كان قوله وما يشعركم خطابا للمشركين لكانت القراءة فى قوله لا يؤمنون بالتاء وذلك وان كان قد قرأه بعض قراء المكيين كذلك فقراءة خارجة عما عليه قراء الامصار وكفى

(١) لم نعثر على هذا البيت ولعل سرائه محرف عن شوائه وحرر

الآيات الى قوله ولكن أكثرهم يجهلون قال الكلبى ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا فى الأيمان والمراد بقوله (بمن جاءتهم آية) ما رويناه من جعل الصفا ذهبا وقيل هى الاشياء المذكورة فى قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبى صلى الله عليه وآله يخبرهم بأن عذاب الاستئصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا مثلها (قل انما الآيات عند الله) أى هو مختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات لان المعجزات لا تحصل الا بتخليق الله تعالى أو المراد بالعندية هو العلم بأن احداث هذه المعجزات هل يقتضى ايمانهم أم لا كقوله وعنده مفاتح الغيب أو المراد انها وان كانت معدومة فى الحال الا أنه تعالى متى شاء أحدثها وليس لكم أن تتحكموا فى طلبها كقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وما يشعركم) ما استفهام والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهى القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال (انها اذا جاءت لا يؤمنون) وأما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا تحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قول القائل ما يدريك أنه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الآية أنها اذا جاءت آمنوا وذلك يوجب مجىء هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذرا لهم فى طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل أن بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق أنك تشترى لنا شيأ أى لعلك ويقوى هذا الوجه قراءة أبى لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها أن تجعل لا صلة كما فى قوله ما منعك أن لا تسجد وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وثالثها أن المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم أيها المؤمنون أنهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق به علمى من أنهم لا يؤمنون وأما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم أيها الكفار قال القاضى والجبائى

فى الآية دلالة على أنه تعالى يجب أن يفعل كل ما فى مقدوره من الألطاف اذ لو كان فى المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بأنهم لا يؤمنون وجه وأيضا لو كان الايمان بخلق الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف أثر فى حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات أثر وأجيب بأن تأثير المعجزات عندهم مبنى على وجوب اللطف فلو أثبت اللطف به لزم الدور وبأن الآية التى بعد هذه وهى قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم تدل على أن الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة والابصار هو أنهم اذا جاءتهم الآيات القاهرة التى اقترحوها عرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا أنه تعالى اذا قلب قلوبهم وأبصارهم عن ذلك الوجه الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الآيات والتقليب تحريك الشئ عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبى على دينك والمراد أنه تعالى يقلب القلوب تارة من داعى الخير الى داعى الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعى والصوارف هو (٢١٤) القلب فاذا حصلت الداعية فى القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر آلتان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب القلب قال الجبائى المراد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم فى جهنم على لهب النار وحرها التعذيب بهم وزيف بأن قوله ونذرهم انما يحصل فى الدنيا وهذا يستلزم سوء النظم وقال الكعبى المراد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم بأنا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث أخرجوا أنفسهم عن هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بأنه انما استحق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر وهو الذى أوقع نفسه فى ذلك الحرمان فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى فى قوله ونقلب وقال القاضى القلب باق على حالة واحدة الا أنه تعالى أدخل التقليب والتبديل فى الدلائل واعترض بأن تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة أما قوله (كما لم يؤمنوا به أول مرة) فقال الواحدى فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الآيات كما لم يؤمنوا بظهور الآيات أول مرة يعنى أول مرة أتتهم الآيات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية فى به أما عائدة الى القرآن أو الى محمد صلى الله عليه وآله أو الى ما طلبوا من الآيات وقيل الكاف للجزاء أى كما لم يؤمنوا أول مرة فكذلك نقلب أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم قال الجبائى ونذرهم أى لا نحول بينهم وبين اختيارهم ولا نمنعهم بعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان أقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تأكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة نقلب أفئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم فى ذلك الطغيان والضلال والعمى ۞ التأويل قد جاءكم بصائر دلالات السعادات الباقية فمن أبصرها بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها وأقبل على الله لسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غنى عن العالمين ومن عمى فبالعكس ولا تسبوا الذين يدعون لا تخاطبوا أهل الضلال على

بخلاف جميعهم لها دليلا على ذهابها وشذوذها وانما معنى الكلام وما يدريكم أيها المؤمنون لعل الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ولا يؤخروا به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة لان الله حال بينهم وبين ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية قال لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شئ وردت عن كل أمر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قال نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة وقرأ كما لم يؤمنوا به أول مرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قال نحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الايمان أول مرة ۞ وقال آخرون معنى ذلك ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو ردوا من الآخرة الى الدنيا فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك فلم يؤمنوا فى الدنيا قالوا وذلك نظير قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه قال ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين يقول من المهتدين فاخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال لو ردوا الى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم فى الدنيا ۞ وأولى التأويلات فى ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرفها كيف شاء وأن ذلك بيده يقيمه اذا شاء ويزيغه اذا أراد وان قوله كما لم يؤمنوا

به أول مرة دليل على محذوف من الكلام وأن قوله كما تشبيه ما بعده بشئ قبله واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون معنى الكلام ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الايمان وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة وان جاءتهم الآية التى سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله كما لم يؤمنوا بتقليبنا اياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك واذا كان ذلك تأويله كانت الهاء من قوله كما لم يؤمنوا به كناية ذكر التقليب ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ يقول تعالى ذكره ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها عند مجيئها فى تمردهم على الله واعتدائهم فى حدوده يترددون لا يهتدون لحق ولا يبصرون صوابا قد غلب عليهم الخذلان واستحوذ عليهم الشيطان

﴿ تم الجزء السابع من ﴿ جامع البيان فى تفسير القرآن ﴾ للامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ويليه الجزء الثامن أوله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة ﴾ ﴾

مواجب نوازع النفس والطبيعة فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والتزام المحجة ونفى الشبهة وأقسموا بالله حسبوا أن البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغنى وضوح الأدلة لمن لم تدركه سوابق الرحمة ونقلب أفئدتهم عن الآخرة الى الدنيا وأبصارهم عن شواهد المولى الى مشاهدة النفس والهوى كأنهم لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت ألست بربكم قالوا بلى

(فهرست الجزء السابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة	
٢	تأويل قوله لتجدن أشد الناس عداوة الآية وبيان ما حصل من اسلام وفد نصارى نجران ووفد الحبشة وأن ذلك مما قيل انه من أسباب النزول
٤	بيان الشاهد على أن رهبانا جمع راهب ويكون للواحد
٤	تأويل قوله واذا سمعوا الآية وبيان معنى مسألتهم أن يكتبوا مع الشاهدين
٦	بيان معنى طمع القوم أن يدخلهم ربهم مع القوم الصالحين
٦	بيان ما نهى الله عنه من تعدى حدوده الذى منه أن يمنع الانسان نفسه من الملاذ كما فعل الرهبان بأنفسهم
١٠	بيان أن الأيمان يكون فيها اللغو ويكون فيها معقد وأن المؤاخذ به المعقد
١١	بيان أن كفارة اليمين تكون على ما عقد من الأيمان
١٢	بيان أن كفارة اليمين تكون من أعدل ما يطعم
١٣	بيان مبلغ ما يخرج فى كفارة اليمين والخلاف فيه
١٨	بيان معنى التحرير فى الاصل والشاهد عليه
١٨	بيان أن الرقبة المحررة فى كفارة اليمين تجزئ من أى صنف كان صغيرا أو كبيرا
١٩	بيان أن العلماء مجمعون على أنه يجوز للموسر التكفير بغير الاعتاق
١٩	بيان العجز الذى يجوز التكفير بالصوم
٢١	بيان ما نزل من الايات فى الخمر وذكر سبب تحريمها
٢٧	بيان أن جزاء الصيد واجب على العامد والمخطئ

صحيفة	
٣١	بيان أن الدراهم لا تجزئ فى جزاء الصيد
٣٥	بيان أن المرء مخير فى جزاء الصيد بين الخصال التى فى الآية
٣٩	بيان معنى العود الذى يستوجب الانتقام من الله
٤٤	بيان أن الطافى على وجه البحر من حيوانه حلال
٤٦	بيان أن المحرم يجوز له الاكل من لحم صيد صاده الحلال لا لأجله
٥٠	بيان ما كانت العرب تفعله اذا أرادت الحج
٥٦	بيان أول من غير عهد ابراهيم من العرب ومعنى البحيرة والسائبة
٦٥	بيان أن الانسان يلزمه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يضره بعد ذلك تمادى المأمور فى الضلال
٦٧	بيان أن الموصى فى الغربة اذا لم يحضره مسلمان يجوز له أن يشهد يهوديين أو نصرانيين
٧٤	بيان أنه لا خلاف بين أهل العلم أن القول لمنكر الوصية اذا لم تكن بينة
٨١	بيان أن قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم منسوخ الحكم وسوق الدليل لذلك
٨٦	بيان الخلاف فى أن المائدة نزلت أم لا وما هى
٩٢	(تفسير سورة الانعام) وبيان أن فاتحتها فاتحة التوراة
٩٤	بيان أن الاجل المسمى فى قول الله وأجل مسمى عنده هو أجل البعث وسوق الدليل على ذلك
٩٩	بيان ما ورد فى سعة رحمة الله
١٠٤	بيان أن من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى

صحيفة	
١٠٩	بيان ما كانت تفعله المشركون من نهى الناس عن اتباع رسول الله وبعدهم أنفسهم عنه
١١٤	بيان أن الانسان يستقبله عمله بعد موته فى صورة حسنة أو قبيحة
١١٨	بيان الرد على من ذهب الى وجوب الصلاح والأصلح
١٢٠	بيان أن كل دابة وكل طائر محشور الى الله بالفناء ومحشور اليه بالجمع يوم القيامة
١٢٤	بيان أن العبد اذا أعطى ما سأل وهو عاص يكون مستدرجا به
١٢٨	ذكر ما كانت تقوله المشركون لرسول الله فى حق ضعفاء المؤمنين
١٣٣	ذكر ما أمر الله رسوله أن يقوله لمن كان تائبا
١٣٩	بيان أن لملك الموت أعوانا يعالجون اخراج النفس وهو يقبضها ومالها من القوة التى وهبها
١٤٣	بيان ما سأله النبى لامته فأعطى بعضه ومنع بعضه
١٤٦	بيان أنه يكون فى هذه الامة قذف ومسخ وخسف
١٥٩	بيان أن لأبى ابراهيم اسمين
١٦٨	بيان أن الشرك ظلم
١٧٢	بيان أن يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم
١٧٢	بيان نسب ادريس
١٧٧	ذكر ما قالته اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٤	بيان ما يكون يوم القيامة من شدة الاحوال
١٩٠	بيان المستقر والمستودع
١٩٩	بيان ما استدل به منكر والرؤية وبيان فساده
٢٠٠	بيان ما طلبته قريش من رسول الله من المعجزات

(تم فهرست الجزء السابع من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السابع من تفسير ابن جرير)

صحيفة	
٢	تفسير قوله تعالى لتجدن أشد الناس الآيات وبيان القرا آت والوقوف
٦	ذكر ما قالته اليعقوبية من النصارى وبيان فساده
١٥	ذكر هجرة المسلمين الى الحبشة وما تم لهم مع النجاشى
١٨	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا الآيات وبيان القرا آت والوقوف
٢٢	بيان أن الرهبانية تستوجب ضعف الاعضاء الرئيسة وتقل التأمل
٢٤	بيان كفارة اليمين واختلاف الائمة فيها
٢٩	ذكر بعض ما كان يحدث من الخمرة قبل تحريمها
٣٨	بيان المثل الذى يجب فى قتل الصيد واختلاف الائمة فيه وطرف من أحكام الصيد
٤٥	بيان ما يصاد من البحر
٥٠	تأويل تلك الآيات
٥٤	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا الآيات وبيان القرا آت والوقوف
٦٢	بيان ما كانت العرب تفعله من البحيرة والسائبة
٦٥	بيان ما يتعلق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر
٨١	بيان المائدة التى سألها عيسى عليه السلام
٨٧	تأويل تلك الآيات
٩٢	(تفسير سورة الانعام) وبيان القرا آت والوقوف
١٠٠	بيان أنه لا يلزم من استحباب المكان الافتقار اليه وسوق دلائل على من نفى ذلك

صحيفة	
١٠٨	تأويل تلك الآيات
١١٠	تفسير قوله قل لمن ما فى السموات الآيات وبيان القرا آت والوقوف
١١٧	بيان الوجوه التى عارض بها من لم يثبت الفوقية لله والتكلم معه فيها وهو من أبحاث المؤلف التى انفرد بها
١٢٠	بيان أنه هل يجوز اطلاق الشئ على الله أم لا وسوق أدلة القولين
١٢٥	بيان أن الكفار هل يجوز منهم الكذب يوم القيامة أم لا والدليل لكلا القولين
١٢٥	تأويل تلك الآيات
١٢٦	تفسير قوله ومنهم من يستمع اليك الآيات وبيان القرا آت والوقوف
١٢٩	بيان شبه المعتزلة فى أنه تعالى لا يصرف عن الايمان وبيان فسادها
١٣٢	بيان السبب فى كون الاقرار بالحق فى غير دار التكليف لا ينفع
١٣٥	بيان شهادة الفطرة لخساسة اللذات الجسمانية
١٣٨	تأويل تلك الآيات
١٣٩	تفسير قوله وما من دابة فى الارض الآيات وذكر القرا آت والوقوف
١٤٢	بيان أن البهائم والطيور تحشر وما قالته المعتزلة فى حشرها
١٤٩	تأويل تلك الآيات
١٥٠	تفسير قوله وأنذر به الذين يخافون الآيات وذكر القرا آت والوقوف
١٥٥	بيان ما استدلت به المعتزلة على القول بالايجاب ورده
١٥٩	تأويل تلك الآيات

صحيفة		صحيفة	
١٦١	تفسير قوله وهو القاهر الآيات وذكر القراآت والوقوف	١٨٩	بيان الاحكام المستنبطة من آية وما قدروا الله
١٦٣	بيان أن بعض النفوس مختلفة بجواهرها	١٩٤	بيان أن النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد لأمرين
١٦٩	تأويل تلك الآيات	١٩٥	بيان بعض ما في خلق الشجر من العجائب
١٧٠	تفسير قوله واذ قال ابراهيم لابيه الآيات وبيان القراآت والوقوف	٢٠٢	بيان أن المجوس يسمون زنادقة وبيان أصل هذا الاسم
١٧١	بيان اسم أبي ابراهيم وما قيل فيه	٢٠٤	تأويل تلك الآيات
١٧٥	بيان قصة ولادة ابراهيم ووضعه في الغار	٢٠٧	تفسير قوله بديع السموات الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٨٠	تأويل تلك الآيات	٢٠٩	بيان الأدلة على الوحدانية
١٨١	تفسير قوله ووهبنا له اسحق الآيات وبيان القراآت والوقوف	٢١٠	بيان الادلة على جواز الرؤية وشبه من نفاها
١٨٤	بيان أنه تعالى خلق قوما للايمان وقوما لغيره	٢١٤	تأويل تلك الآيات
١٨٥	تأويل تلك الآيات وتفسير قوله وما قدروا الله الآيات وبيان القراآت والوقوف		

﴿ تم فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابوري ﴾

الجـــزء الثـــامن

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٧ هجريه

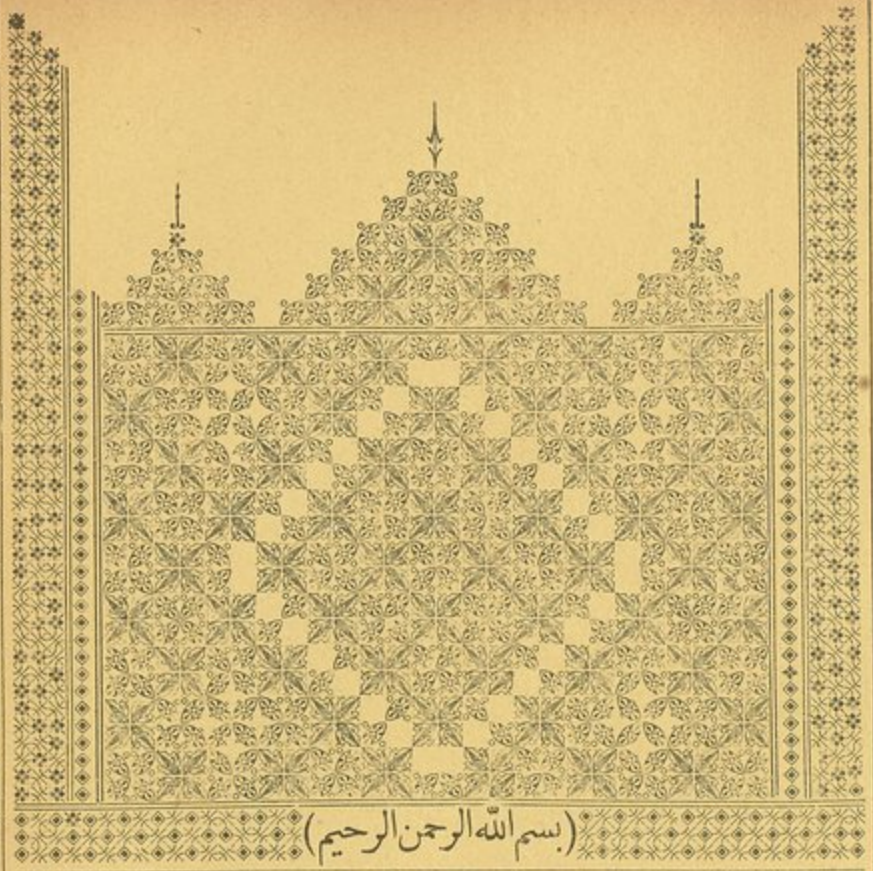

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون﴾ القرا آت قبلا بكسر القاف وفتح الباء أبو جعفر

القول في تأويل قوله ﴿ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ايئس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام القائلين لك لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك فاننا لو نزلنا اليهم الملائكة حتى يروها عيانا وكلمهم الموتى باحيائنا اياهم حجة لك ودلالة على نبوتك وأخبروهم أنك محق فيما تقول وأن ما جئتهم به حق من عند الله وحشرنا عليهم كل شئ فجعلناهم لك قبلا ما آمنوا ولا صدقوك ولا اتبعوك الا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم ولكن أكثرهم يجهلون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك يحسبون أن الايمان اليهم والكفر بأيديهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس ذلك كذلك بيدي لا يؤمن منهم الا من هديته له فوفقته ولا يكفر الا من خذلته عن الرشد فأضللته وقيل ان ذلك نزل في المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاءه به من عند الله من مشركي قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الآية فقال قل يا محمد انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونزل فيهم ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا

وقال آخرون انما قيل ما كانوا ليؤمنوا يراد به أهل الشقاء وقيل الا أن يشاء الله فاستثنى ذلك من قوله ليؤمنوا يراد به أهل الايمان والسعادة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا وهم أهل

الشقاء ثم قال الا أن يشاء الله وهم أهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه أن يدخلوا فى الايمان * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول ابن عباس لأن الله جل ثناؤه عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج انهم عنوا بهذه الآية ولكن لا دلالة فى ظاهر التنزيل على ذلك ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك والخبر من الله خارج مخرج العموم فالقول بان ذلك عنى به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا * واختلفت القراء فى قراءة قوله وحشرنا عليهم كل شئ قبلا فقرأته قراء أهل المدينة قبلا بكسر القاف وفتح الباء بمعنى معاينة من قول القائل لقيته قبلا أى معاينة ومجاهرة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وحشرنا عليهم كل شئ قبلا بضم القاف والباء واذا قرئ كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون القبل جمع قبيل كالرغف التى هى جمع رغيف والقضب التى هى جمع قضيب ويكون القبل الضمناء والكفلاء واذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام وحشرنا عليهم كل شئ كفلاء يكفلون لهم بان الذى نعدهم على ايمانهم بالله ان آمنوا أو نوعدهم على كفرهم بالله ان هلكوا على كفرهم ما آمنوا الا أن يشاء الله * والوجه الآخر أن يكون القبل بمعنى المقابلة والمواجهة من قول القائل أتيتك قبلا لا دبرا اذا أتاه من قبل وجهه * والوجه الثالث أن يكون معناه وحشرنا عليهم كل شئ قبيلة قبيلة صنفا صنفا وجماعة جماعة فيكون القبل حينئذ جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة فيكون القبل جمع الجمع وبكل ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل ذكر من قال معنى ذلك معاينة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وحشرنا عليهم كل شئ قبلا يقول معاينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحشرنا عليهم كل شئ قبلا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله * ذكر من قال معنى ذلك قبيلة قبيلة صنفا صنفا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن يزيد من قرأ قبلا معناه قبيلا قبيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قبلا أفواجا قبيلا قبيلا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن يونس عن أبى خيثمة قال ثنا أبان بن تغلب قال ثنى طلحة ان مجاهدا قرأ فى الانعام كل شئ قبلا قال قبائل قبيلا وقبيلا وقبيلا * ذكر من قال معناه مقابلة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا يقول لو استقبلهم ذلك كله لم يؤمنوا الا أن يشاء الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحشرنا عليهم كل شئ قبلا قال حشروا اليهم جميعا فقابلوهم وواجهوهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن يزيد قرأ عيسى قبلا ومعناه عيانا * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ وحشرنا عليهم كل شئ قبلا بضم القاف والباء لما ذكرنا من احتمال ذلك الاوجه التى بينا من المعانى وأن معنى القبل داخل فيه وغير داخل فى القبل معانى القبل وأما قوله وحشرنا عليهم فان معناه وجمعنا عليهم وسقنا اليهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا﴾ «قال أبو جعفر» يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه بذلك عما لقى من كفرة قومه فى ذات الله وحاثه على الصبر على ما نال فيه وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا يقول وكما ابتلينا لك يا محمد بأن جعلنا لك من

ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصبهانى عن نصير فصل على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرأ أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما يضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالفتح ۞ الوقوف يجهلون ○ غرورا ط يفترون ○ مفصلا ط لممترين ○ وعدلا ط لكلماته ج لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال أى لا تبديل لكلماته وهو يسمع ويعلم العليم ○ عن سبيل الله ط يخرصون ○ عن سبيله ج بالمهتدين ○ مؤمنين ○ اليه ط بغير علم ط بالمعتدين ○ وباطنه ط يقترفون ○ لفسق ط ليجادلوكم ج لمشركون ○ ۞ التفسير هذا شروع فى تفصيل ما أجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومى والعاصى ابن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن المطلب والحرث بن حنظلة أتوا الرسول صلى الله عليه وآله فى رهط من أهل مكة فقالوا أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا أى كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان أوتوا هذه المقترحات

قال أبو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدى وقال أبو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روى عن أبى ذر قال قلت للنبى صلى الله عليه وآله أكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا وأما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش فى تفسيره أى قبيلا قبيلا أو معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل (٤) قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شئ فكفلوا بصحة ما يقول ما آمنوا وموضع الاعجاز فيه أن الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حى ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبائعها مجتمعة فى موقف واحد ثم أنطقها وأطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من أعظم المعجزات أما قوله تعالى (ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان كما لو لم يأمرهم به لم يجب ولو أراد الكفر من الكافر لكان الكافر فى كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى أن يريد الكفر لجاز أن يأمر به ولجاز أن يأمرنا بأن نريد الكفر فالمراد من الآية أنه شاء من الكل الايمان الاختيارى وما شاء الايمان القهرى والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا أن يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون وزيف بأن الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها أحد طرفى الممكن ولا تحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكأنه لا اختيار قال الجبائى قوله الا أن يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهى الشرط لزم من حصولها حصول المشروط وأجيب بأنها قديمة الا أن تعلقها باحداث ذر

مشركى قومك أعداء شياطين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليصدوهم عن عبادتهم اياك بذلك عن اتباعك والايمان بك وبما جئتهم به من عند ربك كذلك ابتلينا من قبلك من الانبياء والرسل بان جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات يقول فهذا الذى امتحنتك به لم تخصص به من بينهم وحدك بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم مع قدرتى على منع من آذاهم من ايذائهم فلم أفعل ذلك الا لأعرف أولى العزم منهم من غيرهم يقول فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل وأما شياطين الانس والجن فانهم مردتهم وقد بينا الفعل الذى منه بنى هذا الاسم بما أغنى عن اعادته ونصب العدو والشياطين بقوله جعلنا وأما قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فانه يعنى أنه يلقى الملقى منهم القول الذى زينه وحسنه بالباطل الى صاحبه ليغتر به من سمعه فيضل عن سبيل الله ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله شياطين الانس والجن فقال بعضهم معناه شياطين الانس التى مع الانس وشياطين الجن التى مع الجن وليس للانس شياطين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه أما شياطين الانس فالشياطين التى تضل الانس وشياطين الجن الذين يضلون الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما انى أضللت صاحبى بكذا وكذا وأضلت أنت صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة شياطين الانس والجن قال ليس فى الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون الى شياطين الجن حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدى فى قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا قال للانسان شيطان وللجنى شيطان فيلقى شيطان الانس شيطان الجن فيوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * قال أبو جعفر جعل عكرمة والسدى فى تأويلهما هذا الذى ذكرت عنهما عدوا الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا أولادا بليس دون أولاد آدم ودون الجن وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحى الى بعض زخرف القول غرورا ولد ابليس وأن من مع ابن آدم من ولد ابليس يوحى الى من مع الجن من ولده زخرف القول غرورا وليس لهذا التأويل وجه مفهوم لان الله جعل ابليس وولده أعداء ابن آدم فكل ولده لكل ولده عدو وقد خص الله فى هذه الآية الخبر عن الانبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداء فلو كان معنيا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدى الذين هم ولد ابليس لم يكن لخصوص الانبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداء وجه وقد جعل من ذلك لاعدى أعدائه مثل الذى جعل لهم ولكن ذلك كالذى قلنا من أنه معنى به انه جعل مردة الانس والجن لكل نبى عدوا يوحى بعضهم الى بعض من القول ما يؤذيهم به ونحو الذى قلنا فى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن حميد بن هلال قال ثنى رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبى

المحدث فى الحال اضافة حادثة ثم ختم الآية بقوله (ولكن أكثرهم يجهلون) قالت الأشاعرة أى لا يعلمون أن الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون أنهم يبقون كفارا عند ظهور الآية التى طلبوها والمعجزات التى اقترحوها فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون فى ايمانهم الاختيارى بمجىء

الآيات المقترحات ثم قال (وكذلك) قيل انه منسوق على قوله وكذلك زينا أى وكما زينا لكل أمة عملهم (جعلنا) وقيل ان المشار اليه محذوف أى وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا عن قبلك من الانبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لاشك أن تلك العداوة معصية وكفر وأن جعلها شرفا لآية تدل على أن خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائى المراد بهذا الجعل أنه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه

ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أباذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله هل للانس من شياطين قال نعم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن أبى عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبى ذر أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس قد أطال فيه الجلوس قال فقال يا أباذر هل صليت قال قلت لا يا رسول الله قال قم فاركع ركعتين قال ثم جئت فجلست اليه فقال يا أباذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم شر من شياطين الجن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغنى أن أباذر قام يوما يصلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أباذر من شياطين الانس والجن فقال يا رسول الله أو ان من الانس شياطين قال نعم * وقال آخرون فى ذلك بنحو الذى قلنا من ان ذلك اخبار من الله ان شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله شياطين الانس والجن قال من الجن شياطين ومن الانس شياطين يوحى بعضهم الى بعض قال قتادة بلغنى أن أباذر كان يوما يصلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أباذر من شياطين الانس والجن فقال يا نبى الله أو ان من الانس شياطين فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن الآية ذكر لنا أن أباذر قام ذات يوم يصلى فقال له نبى الله تعوذ بالله من شياطين الجن والانس فقال يا نبى الله أو للانس شياطين كشياطين الجن قال نعم أو كذبت عليه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن فقال كفار الجن شياطين يوحون الى شياطين الانس كفار الانس زخرف القول غرورا وأما قوله زخرف القول غرورا فانه المزين بالباطل كما وصفت قبل يقال منه زخرف كلامه وشهادته اذا حسن ذلك بالباطل ووشاه كما **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة قوله زخرف القول غرورا قال تزيين الباطل بالألسنة **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما الزخرف فزخرفوه زينوه **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد زخرف القول غرورا قال تزيين الباطل بالألسنة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله زخرف القول غرورا يقول حسن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم فى فتنتهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زخرف القول غرورا قال الزخرف المزين حيث زين لهم هذا الغرور كما زين ابليس لادم ما جاءه به وقاسمه انه له لمن الناصحين وقرأ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم قال ذلك الزخرف وأما الغرور فانه

كفره واذا أخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبى انه أمر الانبياء بعداوتهم وأعلمهم بكونهم أعداء لهم فاقتضى ذلك أنهم صاروا أعداء للانبياء لان العداوة تكون من الجانبين أجاب أبو بكر الاصم بأنه لما أرسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة أو للبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم أعداء له وزيف بأن الافعال مستندة الى الدواعى وهى من الله تعالى وبأن العداوة والمحبة متعلقة بالطبع لا بالارادة والتكليف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب الشياطين كما مر فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانبارى عدوا فى معنى الجمع ولقائل أن يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا واحدا اذ ليس يجب أن يحصل لكل واحد من الانبياء أكثر من عدو واحد

* عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شيطان الجن اذا أعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فأغراه بالمؤمن

لعينه عليه روى أن النبى صلى الله عليه وآله قال لأبى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا أن الذى يوسوس للانس يسمى شيطان الانس والذى يوسوس للجن يسمى شيطان الجن وزيف بأن المقصود من الآية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لأنى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا ومعنى

الايحاء الاعماء أو القول السريع أى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وكأنه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير و(زخرف القول) مايزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى والتحقيق فيه أن الانسان مالم يعتقد فى أمر من الأمور خيريته أو نفعه لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق والالهام وكان صادرا من الملك والا كان مزخرفا أى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدى (غرورا) نصب على المصدر لأن ايحاء الزخرف من القول فى معنى الغرور (ولو شاء ربك مافعلوه) استدلال الاشاعرة به ظاهر والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء (فذرهم وما يفترون) منصوب على أنه مفعول معه أو مفعول به أى وافتراءهم أو ما يفترونه قال ابن عباس يريد مازين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب فى الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما أعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو فى اللغة الميل يقال فى المستمع انه مصغ اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت وأصغى الاناء اذا أماله حتى انصب بعضه فى بعض و يقال للقمر اذا مال الى الغروب صغا وأصغى قال الجوهرى صغا يصغو و يصغى صغوا أى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام فى (ولتصغى) لا بد لها من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبى لتميل (اليه) أو الى قوله المزخرف (أفئدة) الكفار فيبعدوا بذلك السبب عن قبول دعوة النبى (وليرضوه) وليختاروه على أنفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا من الآثام (ماهم مقترفون) وقال الجبائى ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك اى وزيف بأن حمل لام كى على لام الامر تحريف وقال الكعبى هى لام العاقبة تقديره ولتميل الى ماذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار جعلنا لكل نبى عدوا وعن أبى مسلم أنها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغتروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة وأورد عليه أن ميل القلوب الى الآراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشئ على نفسه * وههنا بحث وهو

ماغر الانسان فخدعه فصده عن الصواب الى الخطا ومن الحق الى الباطل وهو مصدر من قول القائل غررت فلانا بكذا وكذا فأنا أغره غرورا وغرا كالذى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى غرورا قال يغرون به الناس والجن ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائى أعداء من شياطين الانس والجن فلا ينالهم مكرهم و يأمنوا غوائلهم وأذاهم فعلت ذلك ولكنى لم أشأ ذلك لأبتلى بعضهم ببعض فيستحق كل فريق منهم ماسبق له فى الكتاب السابق فذرهم يقول فدعهم يعنى الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركى قومك ويخاصمونك بما يوحى اليهم أولياؤهم من شياطين الانس والجن ومايفترون يعنى ومايختلقون من افك وزور يقول له صلى الله عليه وسلم اصبر عليهم فانى من وراء عقابهم على افترائهم على الله واختلاقهم عليه الكذب والزور ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولير ضوه﴾ يقول تعالى ذكره وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولتصغى اليه يقول جل ثناؤه يوحى بعض هؤلاء الشياطين الى بعض المزين من القول بالباطل ليغتروا به المؤمنين من أتباع الانبياء فيفتنوهم عن دينهم ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولتميل اليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو من صغوت تصغى وتصغو والتنزيل جاء بتصغى صغوا وصغوا و بعض العرب يقول صغيت بالياء حكى عن بعض بنى أسد صغيت الى حديثه فأنا أصغى صغيا بالياء وذلك اذا ملت يقال صغوى معك اذا كان هواك معه وميلك مثل قولهم ضلعى معك و يقال أصغيت الاناء اذا أملته ليجتمع مافيه ومنه قول الشاعر

ترى السفيه به عن كل محكمة * زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء

و يقال للقمر اذا مال للغيوب صغا وأصغى و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ولتصغى اليه أفئدة يقول تزيغ اليه أفئدة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال لتميل حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول تميل اليه قلوب الكفار و يحبونه و يرضون به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ولتصغى ولهو واذلك ولير ضوه قال يقول الرجل للمرأة صغيت اليها هو يتها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وليقترفوا ماهم مقترفون﴾ يقول تعالى ذكره وليكتسبوا من الاعمال ماهم مكتسبون حكى عن العرب سماعا منها خرج يقترف لأهله بمعنى يكسب لهم ومنه قيل قارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وكان بعضهم يقول هو التهمة والادعاء يقال للرجل أنت قرفتنى

أن الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحياة فالحى هو الجزء الذى قامت الحياة به والعالم هو الجزء الذى قام العلم به وقالت المعتزلة الحى والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة أنه جعل الموصوف بالميل والرغبة فى الآية هو القلب لا جملة الحى و بمثله استدل من جعل المتعلق الأول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر أنه لا فائدة لهم فى اظهار الآيات التى اقترحوها بين بقوله (أفغير الله أبتغى حكما) الآية أن الدليل الدال على نبوته قد حصل وكل والزائد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان (٧) الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول أن

أى اتهمتنى ويقال بئسما اقترفت لنفسك وقال رؤبة

أعيا اقتراف الكذب المقروف * تقوى التقى وعفة العفيف

ونحو الذى قلنا فى تأويل قوله وليقترفوا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وليقترفوا ما هم مقترفون وليكتسبوا ما هم مكتسبون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بالله الاوثان والاصنام القائلين لك كف عن آلهتنا وتكف عن الهك ان الله قد حكم على بذكر آلهتكم بما يكون صدا عن عبادتها أفغير الله أبتغى حكما أى قل فليس لى أن أتعدى حكمه وأتجاوزه لأنه لا حكم أعدل منه ولا قائل أصدق منه وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا يعنى القرآن مفصلا يعنى مبينا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ يقول تعالى ذكره ان أنكر هؤلاء العادلون بالله الاوثان من قومك توحيد الله وأشركوا معه الأنداد وجحدوا ما أنزلته اليك وأنكروا أن يكون حقا وكذبوا به فالذين آتيناهم الكتاب وهو التوراة والانجيل من بنى اسرائيل يعلمون أنه منزل من ربك يعنى القرآن وما فيه بالحق يقول فصلا بين أهل الحق والباطل يدل على صدق الصادق فى علم الله وكذب الكاذب المفترى عليه فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن يا محمد من الشاكين فى حقية الأنباء التى جاءتك من الله فى هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمنه لان الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله فلا تكونن من الممترين بما أغنى عن اعادته مع الرواية المروية فيه وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فلا تكونن من الممترين يقول لا تكونن فى شك مما قصصنا عليك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره وكملت كلمة ربك يعنى القرآن سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر هذه كلمة فلان صدقا وعدلا يقول كملت كلمة ربك من الصدق والعدل والصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة كما يقال عندى عشرون درهما لا مبدل لكلماته يقول لا مغير لما أخبر فى كتبه أنه كائن من وقوعه فى حينه وأجله الذى أخبر الله أنه واقع فيه وذلك نظير قوله جل ثناؤه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكانت ارادتهم تبديل كلام الله مسألتهم نبى الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه وقولهم له ولمن معه من المؤمنين ذرونا نتبعكم بعد الخبر الذى كان الله أخبرهم تعالى ذكره فى كتابه بقوله فان رجعك الله الى طائفة

الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه أنزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته وأشار الى هذا الوجه بقوله أفغير الله أبتغى حكما يعنى قل يا محمد انكم تتحكمون فى طلب سائر المعجزات فهل يجوز فى العقل أن يطلب غير الله حكما فان كل أحد يقول ان ذلك غير جائز * الوجه الثانى اشتمال التوراة والانجيل على أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حقا وعلى أن القرآن كتاب حق من عند الله وأشار اليه بقوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) ثم قال (فلا تكونن من الممترين) والخطاب لكل أحد أى اذا ظهرت الدلائل فلا ينبغى أن يمترى فيه أحد وقيل الخطاب للرسول فى الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول فى الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم قال الواحدى الحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة وقال بعض أهل التأويل الحكم أكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذى لا يحكم الا بالحق

ثم لما بين أن القرآن معجز قال (وتمت كلمة ربك) أى القرآن وقوله (صدقا وعدلا) مصدران منتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها أنها وافية كافية فى كونها معجزة دالة على صدق محمد أو كافية فى بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا أو المراد بالتمام أنها أزلية ولا يحدث بعد ذلك شئ واعلم أن كل ما حصل فى القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما أخبر الله تعالى عن وجوده أو عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته أعنى كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن أقسام أفعال الله تعالى وكيفية تدبيره لملكوته فى السموات والارض وفى عالم الأرواح والاجسام ويدخل

فيه الخبر عن أحكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن أقسام أسماء الله تعالى والخبر عن النبوات وأقسام المعجزات والخبر عن أحوال النشر والقيامة وصفات أهل الجنة والنار والخبر عن أحوال المتقدمين والخبر عن المغيبات وأما التكليف فيدخل فيه كل أمر ونهى توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا أو بشرا أو شيطانا وسواء كان ذلك فى شرعنا أو فى شرائع الانبياء المتقدمين أو فى مراسيم الملائكة المقربين الذين هم (٨) سكان السموات والجنة والنار والعرش وماوراءه مما لا يعلم أحوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقيل ان كل ما أخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لأنه لابد أن يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لأن أفعاله منزهة عن أن تكون بصفة الظلم ثم قال (لا مبدل لكلماته) والمعنى أن هؤلاء الكفار يلقون الشبه فى كون القرآن دالا على صدق محمد الا أن تلك الشبهات لا تأثير لها فى هذه الدلالة البتة لجلاء الدلالة ووضوحها أو المراد أن كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون أو الغرض أنها بريئة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أو المعنى أن أحكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها أزلية والأزلى لا يزول وهذا الوجه أحد الاصول القوية فى اثبات الجبر ازاذ يلزم منه أن لا ينقلب السعيد شقيا وبالضد ثم لما أجاب عن شبه الكفار بين أن عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغى للعاقل أن يلتفت الى كلمات الجهال فقال (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) والمضل لابد أن يكون ضالا ويعنى بهم الذين ينازعون النبى فى الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بأنه حق ثم قال (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) يقدرون أنهم على شئ أو يكذبون فى أن الله أحل كذا وحرم كذا وأصل الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذى لا يستند الى أمارة كظن الكفار المستند الى تقليد أسلافهم فقط أما اذا كان الاعتقاد الراجح

منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا الآية فاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبى الله فى غزاة ولن يقاتلوا معه عدوا بقولهم لهم ذرونا نتبعكم فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون أن يبدلوا بمسألتهم اياهم ذلك كلام الله وخبره قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكذلك معنى قوله لا مبدل لكلماته انما هو لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه على ما أخبر جل ثناؤه لأنه لا يزيد المفترون فى كتب الله ولا ينقصون منها وذلك ان اليهود والنصارى لا شك أنهم أهل كتب الله التى أنزلها على أنبيائه وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرفون غير الذى أخبر أنه لا مبدل له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته يقول صدقا وعدلا فيما حكم وأما قوله وهو السميع العليم فان معناه والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله المقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وغير ذلك من كلام خلقه العليم بما تؤول اليه أيمانهم من بر وصدق وكذب وحنث وغير ذلك من أمور عباده ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تطع هؤلاء العادلين بالله الانداد يا محمد فيما دعوك اليه من أكل ما ذبحوا لالهتهم وأهلوا به لغيرهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال فانك ان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن دين الله ومحجة الحق والصواب فيصدوك عن ذلك وانما قال الله لنبيه وان تطع أكثر من فى الارض من بنى آدم لانهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا فقال له جل ثناؤه لا تطعهم فيما دعوك اليه فانك ان تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم لانهم لا يدعونك الى الهدى وقد أخطؤه ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه اليه فى أنفسهم فقال ان يتبعون الا الظن فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم وحسبان على صحة عزم عليه وان كان خطأ فى الحقيقة وان هم الا يخرصون يقول ما هم الا متخرصون يظنون ويوقعون حزرا لا يقين علم يقال منه خرص يخرص خرصا وخرصا أى كذب وتخرص بظن وتخرص بكذب وخرصت النخل أخرصه وخرصت ابلك أصابها البرد والجوع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك الذى نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان لئلا يضلوك عن سبيله هو أعلم منك ومن جميع خلقه أى خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذى يوحى الشياطين بعضهم الى بعض فيصدوا عن طاعته واتباع ما أمر به وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد لا يخفى عليه منهم أحد يقول واتبع يا محمد ما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته فانى أعلم بالهادى والمضل من خلقى منك * واختلف أهل العربية فى موضع من فى قوله ان ربك هو أعلم من يضل فقال بعض نحويى البصرة موضعه

مستندا الى امارة فلم يتم أنه كذلك ثم قال (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) والمراد انك بعد ما عرفت أن الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيدهم بل فوض أمرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بأن المهتدي من هو والضال من هو فيجازي كل أحد بما يليق بعمله أو المراد أن هؤلاء الكفار وان أظهر وا من أنفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم بأحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم في أودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان أفعل التفضيل لا يعمل في مظهر فيّ (٩) الكلام محذوف أي يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوى بالباء كما في القلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان أكثر ما يستعمل أفعل من يستعمل مع الماضي نحو أعلم من دب ودرج وأحسن من قام وقعد وأفضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم أن يكون من للاستفهام كقوله لنعلم أي الحزبين أحصى ثم قال (فكلوا) والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع في أكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون أكل المذكاة ويبيحون أكل الميتة فرد الله تعالى

خفض بنية الباء قال ومعنى الكلام ان ربك هو أعلم بمن يضل وقال بعض نحويي الكوفة موضعه رفع لانه بمعنى أيّ والرافع له يضل والصواب من القول في ذلك أنه رفع بيضل وهو في معنى أيّ وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض فيكون هذا له نظيرا وقد زعم بعضهم أن قوله أعلم في هذا الموضع بمعنى يعلم واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائي

فخالفت طيئ من دوننا حلفا * والله أعلم ما كنا لهم خذلا

﴿ وبقول خنساء ﴾

القوم أعلم ان جفنتـــــه * تغدو غداة الريح أو تسري

وهذا الذي قاله قائل هذا التأويل وان كان جائزا في كلام العرب فليس قول الله تعالى ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله منه وذلك انه عطف عليه بقوله وهو أعلم بالمهتدين فأبان بدخول الباء في المهتدين أن أعلم ليس بمعنى يعلم لأن ذلك اذا كان بمعنى يفعل لم يوصل بالباء كما لا يقال هو يعلم بزيد بمعنى يعلم زيدا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته فكلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذي بينت لكم أنه تحل به الذبيحة لكم وذلك ما ذبحه المؤمنون بي من أهل دينكم دين الحق أو ذبحه من دان بتوحيدي من أهل الكتاب دون ما ذبحه أهل الاوثان ومن لا كتاب له من المجوس ان كنتم بآياته مؤمنين يقول ان كنتم بحجج الله التي أتتكم وأعلامه باحلال ما أحللت لكم وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدقين ودعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها الى بعض من زخرف القول لكم وتلبيس دينكم عليكم غرورا وكان عطاء يقول في ذلك ما حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح وكل شئ يدل على ذكره يأمر به ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ﴾ اختلف أهل العلم بكلام العرب في تأويل قوله ومالكم أن لا تأكلوا فقال بعض نحويي البصريين معنى ذلك وأي شئ لكم في أن لا تأكلوا قال وذلك نظير قوله ومالنا أن لا نقاتل يقول أي شئ لنا في ترك القتال قال ولو كانت لا زائدة لا يقع الفعل ولو كانت في معنى ومالنا وكذا لكانت ومالنا وأن لا نقاتل وقال غيره انما دخلت لا للمنع لان تأويل مالك ومامنعك واحد ما منعك لا تفعل ذلك ومالك لا تفعل واحد فلذلك دخلت لا قال وهذا الموضع تكون فيه لا وتكون فيه أن مثل قوله يبين الله لكم أن تضلوا وأن لا تضلوا يمنعكم من الضلال بالبيان * وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال معنى قوله ومالكم في هذا الموضع وأي شئ يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وذلك أن الله تعالى ذكره تقدم الى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه واباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة وتحريم ما أهل به لغيره من الحيوان وزجرهم

(٢ - ابن جرير - ثامن) عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه أو نقول المراد اجعلوا أكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله أعلم أما قوله (وقد فصل لكم) فأكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في أول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من آخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي أن يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى أن يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحي الي محرما

الى آخرها فان هذا القدر من التأخير غير ضائر وقوله (الا ما اضطررتم) أى دعتكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة (وان كثيرا ليضلون) المبالغة فى قراءة ضم الياء أكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحى فمن دونه من المشركين لانه أول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب وأكل الميتة وقوله (بأهوائهم بغير علم) يريد أن عمرو بن لحى أقدم على هذه المذاهب عن الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون (١٠) الميتة ويناظرون فى احلالها أو يحتجون عليها بقولهم اذا حل ما تذبحونه أنتم فلأن يحل ما يذبحه الله تعالى أولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن فى نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفى الآية دلالة على أن النزاع فى الدين بمجرد التقليد حرام (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر آية جامعة فقال (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) فقيل ظاهره الزنا فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر قال الضحاك كان أهل الجاهلية يرون الزنا حلالا ما كان سرا والأصح أن النهى عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما أعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانبارى يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما أخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا أى ما أخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهى عن الاثم مع بيان أنه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهى عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك أن الداعى له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمنى والندم على أفعال الخيرات ومنه يعلم أن ما يوجد فى القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أى يكتسبون من الآثام ومنه الاعتراف يمحو الاقتراف كما يقال التوبة انهم تمحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا أن المسلمين أجمعوا على أنه اذا تاب لم يعاقب وأهل السنة على أنه اذا لم يتب احتمل العفو (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام أو شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية وأجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فما لك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه فهو حرام ترك الذكر عمدا

عن الاصغاء لما يوحى الشياطين بعضهم الى بعض من زخرف القول فى الميتة والمنخنقة والمتردية وسائر ما حرم الله من المطاعم ثم قال وما يمنعكم من أكل ما ذبح بدينى الذى ارتضيته وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وبينته لكم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الى قوله فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فلا لبس عليكم فى حرام ذلك من حلاله فتمتنعوا من أكل حلاله حذرا من مواقعة حرامه فاذ كان ذلك معناه فلا وجه لقول متأول ذلك وأى شئ لكم فى أن لا تأكلوا الان ذلك انما يقال كذلك لمن كان كف عن أكله رجاء ثواب بالكف عن أكله وذلك يكون ممن آمن بالكف فكف اتباعا لامر الله وتسليما لحكمه ولا نعلم أحدا من سلف هذه الامة كف عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك واعتقادا منه أن الله حرمه عليه فبين بذلك اذ كان الامر كما وصفنا أن أولى التأويلين فى ذلك بالصواب ما قلنا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله فصل وفصلنا وفصل بين أو بين بما يغنى عن اعادته فى هذا الموضع كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقد فصل لكم ما حرم عليكم يقول قد بين لكم ما حرم عليكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد مثله * واختلفت القراء فى قول الله جل ثناؤه وقد فصل لكم ما حرم عليكم فقرأه بعضهم بفتح أول الحرفين من فصل وحرم أى فصل ما حرمه من مطاعمكم فبينه لكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقد فصل بفتح فاء فصل وتشديد صاده ما حرم بضم حائه وتشديد رائه بمعنى وقد فصل الله لكم المحرم عليكم من مطاعمكم وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وقد فصل لكم بضم فائه وتشديد صاده ما حرم عليكم بضم حائه وتشديد رائه على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما وروى عن عطية العوفى انه كان يقرأ ذلك وقد فصل بتخفيف الصاد وفتح الفاء بمعنى وقد أتاكم حكم الله فيما حرم عليكم * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان كل هذه القرا آت الثلاث التى ذكرناها سوى القراءة التى ذكرنا عن عطية قرا آت معروفات مستفيضة القراءة بها فى قراء الامصار وهن متفقات المعانى غير مختلفات فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب فيه الصواب وأما قوله الا ما اضطررتم اليه فانه يعنى تعالى ذكره أن ما اضطررنا اليه من المطاعم المحرمة التى بين تحريمها لنا فى غير حال الضرورة لنا حلال ما كنا اليه مضطرين حتى تزول الضرورة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا ما اضطررتم اليه من الميتة ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس يجادلونكم فى أكل ما حرم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة ليضلون أتباعهم باهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون الا ركونا منهم لاهوائهم واتباعا منهم لدواعى نفوسهم اعتداء وخلافا لامر الله ونهيه وطاعة للشياطين ان ربك هو أعلم بالمعتدين يقول ان ربك يا محمد الذى أحل لك ما أحل وحرم عليك ما حرم هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها الى خلافها وهو لهم بالمرصاد * واختلفت القراء فى قراءة قوله ليضلون فقرأته عامة أهل الكوفة ليضلون بمعنى

أونسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين أبو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا وسهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى (وانه لفسق) والضمير عائد الى الاكل الذى دل عليه الفعل أو الى الموصول على أنه فى نفسه فسق مثل رجل عدل أو على تقدير حذف المضاف أى وان أكله لفسق وقد أجمع المسلمون على أنه لا يفسق بأكل ذبيحة المسلم الذى ترك التسمية ولقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) وهذه المناظرة كانت فى مسئلة الميتة (١١) وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فأنزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى أوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا وأصحابه فى أكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعنى مردة المجوس ليوحون الى أوليائهم من مشركى قريش وذلك أنه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من أهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا وأصحابه يزعمون أن ما يذبحونه حلال وأن ما يذبحه الله حرام فوقع فى أنفس ناس من المسلمين شئ فنزلت الآية ثم قال (وان أطعتموهم) يعنى فى استحلال الميتة (انكم لمشركون) قال الزجاج وفيه دليل على أن كل من أحل شيأ مما حرم الله تعالى أو حرم شيأ مما أحل الله فهو مشرك لانه أثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعى الفسق فى آية أخرى وهى قوله قل لا أجد فيما أوحى الى محرما الى قوله أو فسقا أهل لغير الله به مفسر بما أهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق فى هذه الآية أيضا مفسر به نزلنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه لم يوجد ذكر الله ههنا لما روى انه صلى الله عليه وآله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب أو نقول هب أن هذا الدليل يوجب الحرمة الا أن معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل فى الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم ما فى الارض جميعا كلوا واشربوا ولانه مستطاب وقد قال أحل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعى ومع ذلك فالاولى بالمسلم أن يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبى فى الآية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا وأجيب بأنه لم يجز أن يراد بالشرك ههنا اعتقاد

أنهم يضلون غيرهم وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين ليضلون بمعنى انهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بمعنى أنهم يضلون غيرهم وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن اضلالهم من تبعهم ونهاه عن طاعتهم واتباعهم الى ما يدعونه اليه فقال وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذى أخبره عنهم ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذى نهاه عنه فقال لهم وان كثيرا منهم ليضلونكم بأهوائهم بغير علم نظير الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ يقول تعالى ذكره وودعوا أيها الناس علانية الاثم وذلك ظاهره وسره وذلك باطنه كذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه أى قليله وكثيره وسره وعلانيته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال سره وعلانيته حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع ابن أنس فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه يقول سره وعلانيته وقوله ما ظهر منها وما بطن قال سره وعلانيته حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه أن يعمل به سرا أو علانية وذلك ظاهره وباطنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه معصية الله فى السر والعلانية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال هو ما ينوى مما هو عامل * ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى بالظاهر من الاثم والباطن منه فى هذا الموضع فقال بعضهم الظاهر منه ما حرم جل ثناؤه بقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية والباطن منه الزنا ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال الظاهر منه لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف والامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا * وقال آخرون الظاهر أولات الرايات من الزوانى والباطن ذوات الاخدان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وذروا ظاهر الاثم وباطنه أما ظاهره فالزوانى فى الحوانيت وأما باطنه فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ما ظهر منها يعنى العلانية وما بطن يعنى السر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين وأبيه عن خصيف عن مجاهد لا تقربوا الفواحش ما ظهر

ان الله شريكا في الحكم ۞ التاويل وكلمهم الموتى أي قلوبهم الميتة وحشرنا أي أريناهم جميع الآيات المودعة في المكونات الا أن يشاء الله فان المشيئة تغير السجية والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن أكثرهم يجهلون أن الهدى ليس بالمنى وانه بمشيئة المولى ثم أخبر ان البلايا للسائرين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس هي النفس الامارة التي هي أعدى الاعداء والذين آتيناهم الكتاب هديناهم بنور الكتاب الى حضرة الجلال فلا تكونن نهي التكوين في الازل وتمت كلمة ربك كلامه وقضاؤه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر والحسن والقبح والايمان والكفر وأحسن شيء خلقه هو الانسان لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وكذلك شر شيء هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه أسفل سافلين ولاهل الكمال ترق في كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تسفل في القبح الى الابد أيضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم بما يستأهله كل موجود وان تطع أكثر من في الارض وهم أهل الاهواء وأقلهم أهل الحق وان هم الا يخرصون في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا يسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فمن أمارات الايمان أن يأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذبحوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله أذبحوا طعامكم بذكر الله فالاكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان من الجنان وقد فصل لكم يا أهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والآخرة ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضروريات البشر في الدارين بأمر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو أعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم يعني الاعمال الطبيعية وباطنه يعني الاخلاق الآية الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لان الاخلاق الظلمانية توجب صدأ مرآة القلب وتزيد هارينا الى أن يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تأكلوا طعاما الا بأمر الله وعلى ذكر الله وفي طلب الله لينتفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الكلمة النفسانية وان الشياطين ليوحون فان للشيطان مجالا في الوسوسة اذا كانت النفوس

منها وما بطن قال ما ظهر منها الجمع بين الاختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن الزنا * وقال آخرون الظاهر التعري والتجرد من الثياب وما يستر العورة في الطواف والباطن الزنا ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ظاهره العرية التي كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت وباطنه الزنا * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره تقدم الى خلقه بترك ظاهر الاثم وباطنه وذلك سره وعلانيته والاثم كل ما عصى الله به من محارمه وقد يدخل في ذلك سر الزنا وعلانيته ومعاهرة أهل الرايات وأولات الاخدان منهن ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات والطواف بالبيت عريانا وكل معصية لله ظهرت أو بطنت واذ كان ذلك كذلك وكان جميع ذلك اثما وكان الله عم بقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه جميع ما ظهر من الاثم وجميع ما بطن لم يكن لاحد أن يخص من ذلك شيأ دون شيء الا بحجة للعذر قاطعة غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك الى الخصوص بغير برهان كان توجيهه الى أنه عنى بظاهر الاثم وباطنه في هذا الموضع ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم وما بين الله تحريمه في قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية أولى اذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى وهذه في سياقها ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك وأدخل فيها الامر باجتناب كل ما جانسه من معاصي الله فخرج الامر عاما بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن من الاثم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويركبون معاصي الله ويأتون ما حرم الله سيجزون يقول سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعها له في كتاب منزل فانه حرام عليكم ولا ما أهل به لغير الله مما ذبحه المشركون لاوثانهم فان أكل ذلك فسق يعني معصية كفر فكنى بقوله وانه عن الاكل وانما ذكر الفعل كما قال الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا يراد به فزاد قولهم ذلك ايمانا فكنى عن القول وانما جرى ذكره بفعل وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فقال بعضهم عنى بذلك شياطين فارس ومن على دينهم من المجوس الى أوليائهم من مردة مشركي قريش يوحون اليهم زخرف القول ليصدوا النبي الله وأصحابه في أكل الميتة ذكر من قال ذلك **حدثني** عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري قال ثنا موسى بن عبد العزيز القنباري قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة لما نزلت هذه الآية تحريم الميتة قال أوحت فارس الى أوليائها من قريش أن خاصموا محمدا وكانت أولياؤهم في الجاهلية وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله قال ابن عباس بشمشار من ذهب فهو حرام فأنزل الله هذه

في المجادلة مع القلوب لتدعوها الى متابعة الهوى الله حسبي (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء

الآية وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال الشياطين فارس وأولياؤهم قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عمرو بن دينار عن عكرمة ان مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس وكتبت فارس الى مشركي قريش ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله فاذبح الله بسكين من ذهب فلا بأكله محمد وأصحابه للميتة وأما ما ذبحوا هم يأكلون وكتب بذلك المشركون الى أصحاب محمد عليه السلام فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فنزلت وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الآية ونزلت يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال آخرون انما عنى بالشياطين الذين يغرون بني آدم انهم أوحوا الى أوليائهم من قريش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة قال كان مما أوحى الشياطين الى أوليائهم من الانس كيف تعبدون شيأ لا تأكلون مما قتل وتأكلون أنتم ما قتلتم فروى الحديث حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال ابليس الذي يوحي الى مشركي قريش قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس يوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال سمعت أن الشياطين يوحون الى أهل الشرك يأمرونهم أن يقولوا ما الذي يموت وما الذي تذبحون الاسواء يأمرونهم أن يخاصموا بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وان أطعتموهم انكم لمشركون قال قول المشركين اما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون وأما ما ذبحتم بأيديكم فحلال حدثنا محمد بن عمار الرازي قال ثنا سعيد بن سليمان قال ثنا شريك عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ان المشركين قالوا للمسلمين ما قتل ربكم فلا تأكلون وما قتلتم أنتم تأكلونه فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما حرم الله الميتة أمر الشيطان أولياءه فقال لهم ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم فقال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا يحيى بن داود الواسطي قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال جادل المشركون المسلمين فقالوا ما بال ما قتل الله لا تأكلونه وما قتلتم أنتم أكلتموه وأنتم تتبعون أمر الله فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة ان ناسا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الله حرام فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم

كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ۞ القرا آت ميتا بالتشديد أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب والتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء أبو جعفر ونافع وسهل وأبو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء في الصاد أبو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون ۞ الوقوف بخارج منها ط يعملون ○ فيها ط وما يشعرون ○ رسل الله ط رسالاته ط يمكرون ○ للاسلام ج لابتداء شرط آخر مع العطف في السماء ج لا يؤمنون ○ مستقيما ط يذكرون ○ يعملون ○ جميعا ج للحذف أي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس الاول ج لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين أجلت لنا ط قال النار يغلظ الصوت على النار اشارة الى أن النار مبتدأ بعد القول وليست فاعله يشاء الله ط عليم ○ يكسبون ○ يومكم هذا ط كافرين ○ ۞ التفسير انه سبحانه بعد أن ذكر أن المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا وأعطاه نورا يهتدي به في مصالحه

وأن الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان أو عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن (١٤) أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأنزلت الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وأبي جهل وذلك أنه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وأبي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وأيضا الميت لا يهتدي الى شئ وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحياة والنور قال بعض العلماء قوله أو من كان ميتا اشارة الى أول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فأحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي أن يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله (وجعلنا له نورا) اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل أي الفعل القريب وقوله (يمشي به في الناس) اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن أن يقال الحياة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من أمرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين أو نور

الله عليه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن الحضرمي أن ناسا من المشركين قالوا أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين قال قالوا يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه وأما ما قتل ربكم فتحرمونه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وان أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه انكم اذا لمشركون حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال قال المشركون ما قتلتم فتأكلونه وما قتل ربكم لا تأكلونه فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان أطعتموهم انكم لمشركون قول المشركين أما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون منه وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال جادلهم المشركون في الذبيحة فقالوا أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه يعنون الميتة فكانت هذه مجادلتهم اياهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية يعني عدو الله ابليس أوحى الى أوليائه من أهل الضلالة فقال لهم خاصموا أصحاب محمد في الميتة فقولوا اما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون وأما ما قتل الله فلا تأكلون وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله فأنزل الله على نبيه وان أطعتموهم انكم لمشركون وانا والله ما نعلمه كان شرك قط الا باحدى ثلاث ان يدعو مع الله الها آخر أو يسجد لغير الله أو يسمي الذبائح لغير الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ان المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه فقال الله لئن أطعتموهم فأكلتم الميتة انكم لمشركون حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال كانوا يقولون ما ذكر الله عليه وما ذبحتم فكلوا فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله ليجادلوكم قال يقول يوحي الشياطين الى أوليائهم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله فقال ان الذي قتلتم يذكر اسم الله عليه وان الذي مات لم يذكر اسم الله عليه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت

الحكمة والاقوال متقاربة وأما مثل الكافر فهو (كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لاتكاد تزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة أى كمن صفته هذه والمراد كمن هو فى الظلمات ثم قال (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة أو الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة أو المجاز أولى بدليل قوله (وكذلك جعلنا) أى وكما جعلنا فى مكة (١٥) صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا أو وكما زينا للكافرين أعمالهم كذلك جعلنا (فى كل قرية أكابر) وهى جمع الاكبر و (مجرميها) مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها أكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين أكابر لانهم لاجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولأن كثرة المال وقوة الجاه تحمل الناس على المبالغة فى حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والأيمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام فى (ليمكروا) على أصله عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل فى قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال فى معرض التهديد (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان وباله يعود عليهم (وما يشعرون) وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول أبى جهل وأضرابه زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لانى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فقال (واذا جاءتهم آية) أى معجزة قاهرة أو وحى (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) قال الضحاك أراد كل واحد منهم ذلك كما فى الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه أن يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور فى الآية المتقدمة وللمفسرين فى مقترحهم قولان أحدهما وهو الاشهر أنهم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبى صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبوعين لا تابعين ومخدومين لا خادمين وثانيهما عن ابن عباس والحسن أن المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله قالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من

سمعت الضحاك فى قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم هذا فى شأن الذبيحة قال قال المشركون للمسلمين تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم وحرم عليكم ما ذبح هو لكم وكيف هذا وأنتم تعبدونه فأنزل الله هذه الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله لمشركون * وقال آخرون كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوما من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع قالا ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عبد الأعلى خاصمت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن وكيع جاءت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أنأكل ما قتلنا ولا تأكل ما قتل الله فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أن الشياطين يوحون الى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم اياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الانس يوحون الى أوليائهم منهم وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا الى أوليائهم من الانس وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك كما أخبر الله عنهما فى الآية الاخرى التى يقول فيها وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بل ذلك الاغلب من تأويله عندى لان الله أخبر نبيه انه جعل له أعداء من شياطين الجن والانس كما جعل لانبيائه من قبله يوحى بعضهم الى بعض المزين من الاقوال الباطلة ثم أعلمه ان أولئك الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه فقال بعضهم هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح قلت لعطاء فما قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش * وقال آخرون هى الميتة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميتة * وقال آخرون بل عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حميد بن يزيد قال سئل الحسن سأله رجل قال له أتيت بطير كذا فمنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن أشعث

الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى أبي جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا آيات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستئناف (الله أعلم حيث يجعل رسالته) على القول الاول ظاهر وأما على القول الثاني فوجهه أن القوم اذ اقترحوا تلك الآيات فلو أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة من علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية منورة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين أو أكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من آمن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار أمره على التغليظ والتشديد وفي الآية تعريض بأن حصول النبوة والرسالة لا بد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب أخلاقهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار) ذل وهوان (عند الله) أي في الآخرة أو في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل أو المراد من عند الله فحذف من أو قوله عند الله مستأنف أي معدلهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لا بد فيه من أمرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين أنه يقابلهم بضد مقصودهم فأول ما يصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد جميع ذلك بسبب مكرهم ونكرهم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يقال شرح فلان أمره اذا أظهره وأوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح أي وسعه لقبول ذلك الاثر ولا شك أن توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوى طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان

عن ابن سيرين عن عبد الله بن يزيد قال كنت أجلس اليه في حلقة فكان يجلس فيها ناس من الانصار هو رأسهم فاذا جاء سائل فانما يسأله ويسكتون قال فجاءه رجل فسأله فقال رجل ذبح فنسي أن يسمي فتلا هذه الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حتى فرغ منها * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله عنى بذلك ما ذبح للاصنام والآلهة وما مات أو ذبحه من لا تحل ذبيحته وأما من قال عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله فقول بعيد من الصواب لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله وكفى بذلك شاهدا على فساده وقد بينا فساده من جهة القياس في كتابنا المسمى لطيف القول في أحكام شرائع الدين فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله لفسق فانه يعني وان أكل مما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة وما أهل به لغير الله لفسق واختلف أهل التأويل في معنى الفسق في هذا الموضع فقال بعضهم معناه المعصية فتأويل الكلام على هذا وان أكل مما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية الله وائم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وانه لفسق قال الفسق المعصية * وقال آخرون معنى ذلك الكفر وأما قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فقد ذكرنا اختلاف المختلفين في المعنى بقوله وان الشياطين ليوحون والصواب من القول فيه وأما ايحاؤهم الى أوليائهم فهو اشارتهم الى ما أشار والهم اليه اما بقول واما برسالة واما بكتاب وقد بينا معنى الوحي فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبي زميل قال كنت قاعدا عند ابن عباس فجاءه رجل من أصحابه فقال يا أبا عباس زعم أبو اسحق أنه أوحي اليه الليلة يعني المختار بن أبي عبيد فقال ابن عباس صدق فنفرت فقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحي الله ووحي الشيطان فوحي الله الى محمد ووحي الشياطين الى أوليائهم ثم قرأ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وأما الأولياء فهم النصراء والظهراء في هذا الموضع ويعني بقوله ليجادلوكم ليخاصموكم بالمعنى الذي قد ذكرت قبل وأما قوله وان أطعتموهم انكم لمشركون فانه يعني وان أطعتموهم في أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وان أطعتموهم يقول وان أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان أطعتموهم فأكلتم الميتة وأما قوله انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم اذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا فاذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين

* واختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنيت به وعلى هذا قول عامة أهل العلم وروى عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا مما

حصل فى القلب علم أو اعتقاد أو ظن يكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل فى النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لأن المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه وأكثر استعمال شرح الصدر فى جانب الحق والاسلام وقد ورد فى الكفر أيضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا * قال المفسرون لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه (١٧) وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من أمارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لابد أن تترتب على اعتقاد أن عمل الآخرة زائد النفع والخير والتجافى عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة أما قوله (حرجا) فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج فى اللغة أضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذى لا تناله الراعية حكى الواحدى باسناده عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية وقال هل ههنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الاشجار المشتبك الذى لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى (يصعد فى السماء) كأنما يزاول أمرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكأن الكافر فى نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد أن قلبه يتباعد عن الاسلام

مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق فنسخ واستثنى من ذلك فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والصواب من القول فى ذلك عندنا أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شئ وأن طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية وذلك مما حرم الله على المؤمنين أكله بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه بمعزل لأن الله انما حرم علينا بهذه الآية الميتة وما أهل به للطواغيت وذبائح أهل الكتاب ذكية سموا عليها أو لم يسموا لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب الله يدينون بأحكامها يذبحون الذبائح بأديانهم كما يذبح المسلم بدينه سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه الا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل أو بعبادة شئ سوى الله فيحرم حينئذ أكل ذبيحته سمى الله عليها أو لم يسم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ وهذا الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة بما ذكرنا عنهم من جدالهم اياهم به وأمره اياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرا فهداه جل ثناؤه لرشده ووفقه للايمان فقال لهم أطاعة من كان ميتا يقول من كان كافرا فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده وشرائع دينه وتركه الاخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه الى نجاته بمنزلة الميت الذى لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها من مكروه نازلة فأحييناه يقول فهديناه للاسلام فأنعشناه فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ويعمل فى خلاصها من سخط الله وعقابه فى معاده فجعل ابصاره الحق تعالى ذكره بعد عماه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضيء به فيمشى على قصد السبيل ومنهج الطريق فى الناس كمن مثله فى الظلمات لا يدرى كيف يتوجه وأى طريق يأخذ لشدة ظلمة الليل واضلاله الطريق فكذلك هذا الكافر الضال فى ظلمات الكفر لا يبصر رشدا ولا يعرف حقا يعنى فى ظلمات الكفر يقول أفطاعة هذا الذى هديناه للحق وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو فى الظلمات متردد لا يعرف المخرج منها فى دعاء هذا الى تحريم ما حرم الله وتحليل ما أحل وتحليل هذا ما حرم الله وتحريمه ما أحل وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين بأعيانهما معروفين أحدهما مؤمن والآخر كافر ثم اختلف أهل التأويل فيهما فقال بعضهم أما الذى كان ميتا فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فأبو جهل بن هشام ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا سليمان ابن أبى هوذة عن شعيب السراج عن أبى سنان عن الضحاك فى قوله أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كمن مثله فى الظلمات قال أبو جهل بن هشام * وقال آخرون بل الميت الذى أحياه الله عمار بن ياسر رضى الله عنه وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فأبو جهل بن هشام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سفيان بن عيينة عن بشر بن تيم عن رجل عن عكرمة أومن كان ميتا فأحييناه

وقوله تباعدما بين الارض والسماء (كذلك يجعل) أى كما جعل ضيق الصدر فى قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج أى مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان يسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على أن الهداية والضلال من الله تعالى بيانه أن العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح الا لداعية ولا معنى

للداعية الا علمه أواعتقاده أوظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولابد أن تنتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد أن الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقاد أن الايمان بحمد سبب للمفسدة الدينية والدنيوية تباطبعه عنه وبقي على الكفر فحاصل الآية أن من أراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن أراد منه (١٨) الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لادلالة في الآية على قولكم لانه ليس فيها أكثر من أنه اذا أراد أن يهدي انسانا أو يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها أنه أراد ذلك أولم يرده نظيره قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين أنه كيف يفعل اللهو لو أراده ثم أنه لم يرد ذلك بالاتفاق وأيضا لم قلتم انه أراد ومن يرد أن يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله أن يهديه يوم القيامة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو أنه يفعل به ألطافا تدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد أن يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقى في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وأيضا لم لا يجوز أن يقال المعنى فمن يرد الله أن يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام في ذلك الوقت الذي يهديه فيه الى الجنة لما رأى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فتزداد رغبته فيه ومن يرد أن يضله يوم القيامة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد الذي ناله عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف فمن يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولا يريد أن يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أي يخذله فعلهم

وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال نزلت في عمار بن ياسر **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن بشر بن تيم عن عكرمة أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس عمار بن ياسر كمن مثله في الظلمات أبو جهل بن هشام وبنحو الذي قلنا في الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أو من كان ميتا فأحييناه قال ضالا فهديناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال هدى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها قال في الضلالة أبدا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو من كان ميتا فأحييناه هديناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات في الضلالة أبدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد أو من كان ميتا فأحييناه قال ضالا فهديناه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو من كان ميتا فأحييناه يعني من كان كافرا فهديناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني بالنور القرآن من صدق به وعمل به كمن مثله في الظلمات يعني بالظلمات الكفر والضلالة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يقول الهدى يمشي به في الناس يقول فهو الكافر يهديه الله للاسلام يقول كان مشركا فهديناه كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو من كان ميتا فأحييناه هذا المؤمن معه من الله نور وبينة يعمل بها ويأخذ واليها ينتهي كتاب الله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وهذا مثل الكافر في الضلالة متحير فيها متسكع لا يجد مخرجا ولا منفذا **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يقول من كان كافرا فجعلناه مسلما وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وهو الاسلام يقول هذا كمن هو في الظلمات يعني الشرك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال الاسلام الذي هداه الله اليه كمن مثله في الظلمات ليس من أهل الاسلام وقرأ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور قال والنور يستضيء به ما في بيته ويبصره وكذلك الذي آتاه الله هذا النور يستضيء به في دينه ويعمل به في فوره كما يستضيء صاحب هذا السراج قال كمن مثله في الظلمات لا يدري ما يأتي ولا ما يقع عليه ۞ القول في تأويل قوله ﴿كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله في أكل ما حرمت عليكم من المطاعم عن الحق فزينت له سوء عمله فرآه حسنا يستحق به ما أعددت له من أليم العقاب كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصي الله ليستوجبوا بذلك من

ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا عن قبول الالطاف حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وأجيب عن قولهم ليس في الآية أنه أراد ذلك أولم يرده بأن قوله في آخر الآية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بأنه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك يجعل وفيه أيضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد أن يضله هو أنه

يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان أكثر من يعتريه الحزن فى الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالآخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل أحد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه فى ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف مما مر من أن فعل الايمان يتوقف على أن تحصل فى القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذا القول فى جانب الكفر فان سمى الداعيتين أحد

فعلهم مالهم عندربهم من النكال وفى هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوض الامور الى خلقه فى أعمالهم فلاصنع له فى أفعالهم وأنه قد سوى بين جميعهم فى الاسباب التى بها يصلون الى الطاعة والمعصية لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان قد زين لانبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير مازين من ذلك لاعدائه وأهل الكفر به وزين لاهل الكفر به من الايمان به نظير الذى زين منه لانبيائه وأوليائه وفى اخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان وخص أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان وكره اليهم الايمان به والطاعة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون﴾ يقول جل ثناؤه وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا بكل قرية عظماءها مجرميها يعنى أهل الشرك بالله والمعصية له ليمكروا فيها بغرور من القول أو بباطل من الفعل بدين الله وأنبيائه وما يمكرون أى ما يحيق مكرهم ذلك الا بأنفسهم لان الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدهم عن سبيله وهم لا يشعرون يقول لا يدرون ما قد أعد الله لهم من أليم عذابه فهم فى غيهم وعتوهم على الله يتمادون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة نزلت فى المستهزئين قال ابن جريج عن عمرو عن عطاء عن عكرمة أكابر مجرميها الى قوله بما كانوا يمكرون بدين الله وبنبيه عليه السلام وعباده المؤمنين والأكابر جمع أكبر كما الأفاضل جمع أفضل ولو قيل هو جمع كبير جمع أكابر لأنه قد يقال أكبر كما قيل قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا واحدهم الخاسر لكان صوابا وحكى عن العرب سماعا الاكابرة والاصاغرة والاكابر والاصاغر بغير الهاء على نية النعت كما يقال هو أفضل منك وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على أفعل اذا أخرجوها الى الاسماء مثل جمعهم الاحمر والاسود الاحامر والاحامرة والاساود والاساودة ومنه قول الشاعر

ان الأحامرة الثلاثة أهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين أديمه * والزعفران فلن أزال مبقعا

وأما المكر فانه الخديعة والاحتيال للمكور به بالغدر ليورطه المكر به مكروها من الامر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ يقول تعالى ذكره واذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بتحريف القول فيما حرم الله عليهم ليصدوا عن سبيل الله آية يعنى حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته قالوا لنبى الله وأصحابه لن نؤمن بما يقول يقولون

باللطف والخذلان فلا مشاحة فى الاسامى * قال القاضى فى تفسيره روى عن محمد بن كعب القرظى أنه قال تذاكرنا أمر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيامة نادى منادٍ وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل أين خصماء الله فتقوم القدرية قال ولا يخفى أنهم الذين ينسبون أفعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فأى ذنب لنا حتى تعاقبنا أنت الذى خلقته فينا وأردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسرت لنا غيره فهؤلاء لا بد أن يكونوا خصماء الله أما الذين قالوا ان الله تعالى مكن وأزاح العلة وانما أتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماؤه هذا كلام القاضى وتعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب فى العبد فهو حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعى عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطنى ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية

وكنت من السفهاء (١) وان من واظب على الكفر سبعين سنة ثم انه فى آخر زمن حياته قال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين أعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى أن الشيخ أبا الحسن الاشعرى لما فارق مجلس أستاذه أبى على الجبائى وترك مذهبه وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق أن أبا على عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ أبو الحسن الى ذلك المجلس مختفيا عن الجبائى وقال لبعض من حضر هناك من العجائز انى أعلمك

(١) بمراجعة الفخر فى هذا المقام تعلم ما سقط من الكلام اه

مسئلة فاذكر يها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلاثة من البنين واحد في غاية الزهد وآخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فأخبرني أيها الشيخ عن أحوالهم فقال الجبائي أما الزاهد ففي درجات الجنة وأما الكافر ففي دركات النار وأما الصبي فمن أهل السلامة فقال قولي له ان الصبي لو أراد أن يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل فيها أخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لأن الله تعالى يقول له انما أخولك وصل الى تلك الدرجات لأنه أتعب نفسه في العلم والعمل وأنت فليس معك ذلك فقال أبو الحسن قولي له لو أن الصبي يقول يارب العالمين ليس الذنب لي لانك أمتني قبل بلوغي ولو أبلغتني فربما زدت على أخي الزاهد في الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال لها أبو الحسن قولي له لو أن الاخ الكافر الفاسق رفع رأسه من الدرك الاسفل من النار وقال يارب العالمين ويا أحكم الحاكمين ويا أرحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فرأى أبا الحسن فعلم أن المسئلة منه لا من العجوز ثم ان أبا الحسين البصري جاء بعد أربعة أدوار وأكثر مجيبا عن الجبائي قائلا نحن لا نرضى بهذا الجواب وانما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي أنه هل يجب على الله تعالى أن يكلف العبد أم لا فقال البصريون انه غير واجب ولكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب وعلى الاول لله تعالى أن يقول لذلك الصبي انى طولت عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على أحد بشيء أن أتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطالة عمر أخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته أما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته وظهر الفرق وأورد على القسم الاول بها انه تعالى لما أوصل التفضل الى أحدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لأنه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر في مرآته المنصوبة على الجواد لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا أيضا مقبولا والا فلا يقبل في شيء من الصور وتبطل كلية مذهبكم وأورد على الشق الثاني أن

لن نصدق بما دعانا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان به وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرمه علينا حتى نؤتى بعنون حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر وعيسى من إحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص يقول تعالى ذكره الله أعلم حيث يجعل رسالته يعني بذلك جل ثناؤه ان آيات الانبياء والرسل لم يعطها من البشر الا رسول مرسل وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها يقول جل ثناؤه فأنا أعلم بمواضع رسالاتي ومن هو لها أهل فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم لان تخير الرسول الى المرسل دون المرسل اليه والله أعلم اذا أرسل رسالة بموضع رسالاته ۞ القول في تأويل قوله ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه سيصيب يا محمد الذين اكتسبوا الاثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره صغار يعني ذلة وهوان كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله قال الصغار الذلة وهو مصدر من قول القائل صغر يصغر صغارا وصغرا وهو أشد الذل وأما قوله صغار عند الله فان معناه سيصيبهم صغار من عند الله كقول القائل سيأتيني رزقي عند الله بمعنى من عند الله يراد بذلك سيأتيني الذي لي عند الله وغير جائز لمن قال سيصيبهم صغار عند الله أن يقول جئت عند عبد الله بمعنى جئت من عند عبد الله لان معنى سيصيبهم صغار عند الله سيصيبهم الذي عند الله من الذل بتكذيبهم رسوله فليس ذلك بنظير جئت من عند عبد الله وقوله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون يقول يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله المستحلين ما حرم الله عليهم من الميتة مع الصغار عذاب شديد بما كانوا يكيدون للاسلام وأهله بالجدال بالباطل والزخرف من القول غرورا لأهل دين الله وطاعته ۞ القول في تأويل قوله ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾ يقول تعالى ذكره فمن يرد الله أن يهديه للايمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه فيوفقه له يشرح صدره للاسلام يقول فسح صدره لذلك وهوّنه عليه وسهله له بلطفه ومعونته حتى يستنير الاسلام في قلبه فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول كالذي جاء الاثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر قال لما نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا فهل لذلك آية يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف

قولنا تكليفه يتضمن مفسدة ليس معناه ان ذات التكليف تتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه اذا انه تعالى علم أنه اذا كلف هذا الشخص فان انسانا آخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر أن يترك الله تعالى تكليفه وجب أن يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال (وهذا صراط ربك) في المشار اليه وجوه منها أنه المذكور في الآية المتقدمة أما (٢١) على مذهب الاشاعرة وهو أن الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره وأما على مذهب المعتزلة فالمراد هذا الذي قررنا طريقته التي اقتضتها الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى (مستقيما) عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل أو هو محذوف أي أحقه وعن ابن عباس يريد هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن (قد فصلنا الآيات) ذكرناها فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله (لقوم يذكرون) لانه تقرر في عقل كل واحد أن أحد طرفي الممكن لا يترجح عن الآخر الا لمرجح فكأنه يقول للمعتزلي تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح أحد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي مع تساوي طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفي الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتأثير والمؤثر ثم لما بين عظمة نعمته في الصراط المستقيم بين ما أعد وهي للمتذكرين فقال (لهم دار السلام) أي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله أو دار السلامة من كل آفة وكرب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان أنواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى (عند ربهم) أنها معدة عنده وفي ضمانه كما يقال لفلان عندي حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها (وهو وليهم) أي قريب منهم بالرحمة والرضوان أو

بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت **حدثنا** هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال نور يقذف في القلب فينشرح وينفسح قالوا يا رسول الله هل له من أمارة يعرف بها ثم ذكر باقي الحديث مثله **حدثني** محمد بن العلاء قال ثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني قال ثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت **حدثني** سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة تعرف قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت **حدثني** ابن سنان القزاز قال ثنا محبوب بن الحسن الهاشمي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا يا رسول الله وكيف يشرح صدره قال يدخل فيه النور فينفسح قالوا وهل لذلك من علامة يا رسول الله قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام أما يشرح صدره للاسلام فيوسع صدره للاسلام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله يجعل لها في صدره متسعا ﴿القول في تأويل قوله ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ يقول تعالى ذكره ومن أراد الله اضلاله عن سبيل الهدى لشغله بكفره وصده عن سبيله يجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجا والحرج أشد الضيق وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه وهو ههنا الصدر الذي لا تصل اليه الموعظة ولا يدخله نور الايمان لرين الشرك عليه وأصله من الحرج والحرج جمع حرجة وهي الشجرة الملتف بها الاشجار لا يدخل بينها وبينها شئ لشدة التفافها بها كما **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن عن أبي الصلت الثقفي أن عمر بن الخطاب رحمة الله

مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم وذلك أن القوم قد عرفوا أن المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وأن النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يقطعوا العمل ولا يتكلوا وذلك أن بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيآت النفسانية قد تؤثر فى البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيآت البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على أعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها فى جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم أردفها بذكر من تعلق بضده فقال (ويوم نحشرهم) والمراد واذكر يوم كذا أو يوم نحشرهم قلنا أو متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يامعشر الجن كان مالا يوصف لفظاعته والضمير اما أن يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم فى قوله شياطين الانس والجن أو يعود الى جميع المكلفين الذين علموا أن الله تعالى يبعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا فى الدنيا انتهى حالهم فى الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم (يامعشر الجن) لانه بعد أن يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله (قد استكثرتم من الانس) لابد فيه من اضمار لان الجن أى الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود أما قوله (وقال أولياؤهم من الانس) فان فالأقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس أيضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض) وفيه قولان الاول أن المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففى الاستمتاع وجهان أحدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بأرض منفردا وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا

عليه قرأ هذه الآية ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بنصب الراء قال وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيقا حرجا قال صفوان فقال عمر ابغونى رجلا من كنانة واجعلوه راعيا وليكن مدلجيا قال فأتوه به فقال له عمر يا فتى ما الحرجة قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شئ قال فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الاسلام عليه ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول وما جعل عليكم فى الدين من حرج يقول ما جعل عليكم فى الاسلام من ضيق * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه شاكا ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث ابن سعيد قال ثنا حميد عن مجاهد ضيقا حرجا قال شاكا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ضيقا حرجا أما حرجا فشاكا * وقال آخرون معناه ملتبسا ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يجعل صدره ضيقا حرجا قال ضيقا ملتبسا **حدثنا** عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن الحسن عن قتادة انه كان يقرأ ضيقا حرجا يقول ملتبسا * وقال آخرون معناه أنه من شدة الضيق لا يصل اليه الايمان ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لا يجد مسلكا الا صعدا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى ضيقا حرجا قال ليس للخير فيه منفذ **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله لا يجد لها فى صدره مساغا **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فى قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا بلا اله الا الله حتى لا يستطيع أن تدخله * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم ضيقا حرجا بفتح الحاء والراء من حرجا وهى قراءة عامة المكيين والعراقيين بمعنى جمع حرجة على ما وصفت وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ضيقا حرجا بفتح الحاء وكسر الراء ثم اختلف الذين قرؤا ذلك فى معناه فقال بعضهم هو بمعنى الحرج وقالوا الحرج بفتح الحاء والراء والحرج بفتح الحاء وكسر الراء بمعنى واحد وهما لغتان مشهورتان مثل الدنف والدنف والوحد والوحد والفرد والفرد * وقال آخرون منهم بل هو بمعنى الاثم من قولهم فلان آثم حرج وذكر عن العرب سماعا منها حرج عليك ظلمى بمعنى ضيق وإثم * والقول عندى فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لاتفاق معنييهما وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب فى الوحد والفرد بفتح الحاء من الوحد والراء من الفرد وكسرهما بمعنى واحد وأما الضيق

الوادى من سفهاء قومه فبيت آمنا فى نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن وأما استمتاع الجن بالانس فهو أن الانسى اذا عاذ بالجنى كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجنى يقول قد سدت الجن والانس لان الانسى قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبى وابن جريج وبعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثانى الوجهين أن الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالأتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس (٢٣) بالخادم وأما انتفاع الانس بالجن فهو أن دلوهم على الشهوات واللذات الى أن بلغوا هذا المبلغ الذى أيقنوا أنه يسوء عاقبتهم وهذا اختيار الزجاج والقول الثانى أن البعضين كليهما من الانس لأن استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر قليل نادر (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) أى ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت بأجله لأنهم أقروا بأنهم بلغوا أجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة فى القيامة (قال) الله تعالى فى جوابهم (النار مثواكم) مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوى ثويا اذا أقام به قال أبو على الفارسى المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى (خالدين فيها) حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار أهل أن يقيموا فيها خالدين (الا ما شاء الله) قيل المراد منه أوقات المحاسبة ووقت كونهم فى المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم فى محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق فى علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبى صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم أن يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو أن الاستثناء انما هو من يوم القيامة الذى يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التى ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير روى أنهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال فى الكشاف أو يكون هذا من قول الموتور الذى ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه أن ينفس عن خناقه أهلكنى الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم لانه اطماع محض ويأس كلى وقال أبو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كأنهم قالوا وبلغنا

فان عامة القراء على فتح ضاده وتشديد يائه خلا بعض المكيين فانه قرأه ضيقا بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان أحدهما أن يكون سكنه وهو ينوى معنى التحريك والتشديد كما قيل هين لين بمعنى هين لين والآخر أن يكون سكنه بنية المصدر من قولهم ضاق هذا الامر يضيق ضيقا كما قال رؤبة

وقد علمنا عند كل مأزق * ضيق بوجه الامر أى مضيق

ومنه قول الله ولا تك فى ضيق مما يمكرون وقال رؤبة أيضا * وشفها اللوح بمأزول ضيق * بمعنى ضيق وحكى عن الكسائى أنه كان يقول الضيق بالكسر فى المعاش والموضع وفى الامر الضيق وفى هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها عن أن السبب الذى به توصل الى الايمان والطاعة غير السبب الذى به توصل الى الكفر والمعصية وأن كلا السببين من عند الله وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للاسلام ويجعل صدر من أراد اضلاله ضيقا عن الاسلام حرجا كأنما يصعد فى السماء ومعلوم أن شرح الصدر للايمان خلاف تضييقه له وانه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الايمان اليه لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق ولكان من ضيق صدره عن الايمان قد شرح صدره له ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه اذ كان موصولا بكل واحد منهما أعنى من التضييق والشرح (٣) الى ما يوصل به الى الآخر ولو كان ذلك كذلك وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبى جهل للايمان به وضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وهذا القول من أعظم الكفر بالله وفى فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذى به آمن المؤمنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون وأن كلا السببين من عند الله وبيده لانه أخبر جل ثناؤه أنه هو الذى يشرح صدر هذا المؤمن به للايمان اذا أراد هدايته ويضيق صدر هذا الكافر عنه اذا أراد اضلاله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ كأنما يصعد فى السماء ﴾ وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر فى شدة تضييقه اياه عن وصوله اليه مثل امتناعه من الصعود الى السماء وعجزه عنه لان ذلك ليس فى وسعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى كأنما يصعد فى السماء يقول مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد فى السماء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله * وبه قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله حتى لا يستطيع أن تدخله كأنما يصعد فى السماء من شدة ذلك عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كأنما يصعد فى السماء من ضيق صدره * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق كأنما يصعد بمعنى يتصعد فأدغموا التاء فى الصاد فلذلك شددوا الصاد وقرأ ذلك بعض الكوفيين يصاعد بمعنى يتصاعد فادغم التاء فى الصاد وجعلها

(٣) لعله الى ما يوصل له بالآخر فتنبه

أجلنا الذى سميته لنا الا من أهلكته قبل الاجل المسمى يعنى الآجال الاختر امية (ان ربك حكيم) فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة (عليم) بما يستأهله كل طائفة فكأنه تعالى يقول انما حكمت لهؤلاء بعذاب الأبد لعلمى أنهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن أن بعضهم يتولى بعضا بين أن ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) وذلك أن القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح أحد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله (٢٤) قطعا للتسلسل وأيضا لما بين أنه سبحانه ولى أهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر أن أولياء أهل النار من يشبههم فى الظلم والخزى والنكال وأشار اليه بقوله (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذه مناسبة فى غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفى الآية دلالة على أن الرعية متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان أرادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء فى بعض الكتب السموية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليهم رحمة ومن عصانى جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى أعطفهم عليكم ثم بين أن كفار الثقلين لا يكون لهم الى الجحود يوم القيامة سبيل وأنهم لا يعذبون الا بالحجة فقال (يا معشر الجن والانس) قال أهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم أمير واحد (ألم يأتكم رسل منكم) استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالآية وبقوله وان من أمة الا خلا فيها نذير على أن من الجن رسلا كالانس ولان استئناس الجنس بالجنس أكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والأكثرون على أنه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بنى آدم وزعموا أن ذلك مجمع عليه ورد بأنه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع وأجيب عن قول الضحاك بأن الآية تقتضى أن رسل الجن والانس تكون بعضا من أبعاض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا فى حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وأيضا لا يبعد أن يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس

صادا مشددة وقرأ ذلك بعض قراء المكيين كانما يصعد من صعد يصعد وكل هذه القراآت متقاربات المعانى وبايها قرأ القارئ فهو مصيب غير أنى أختار القراءة فى ذلك بقراءة من قرأه كانما يصعد بتشديد الصاد بغير ألف بمعنى يتصعد لكثرة القراء بها ولقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما تصعدنى شئ ما تصعدتنى خطبة النكاح ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره كما يجعل الله صدر من أراد اضلاله ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء من ضيقه عن الايمان فيجزيه بذلك كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الحق وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الرجس فقال بعضهم هو كل ما لا خير فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الرجس ما لا خير فيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال ما لا خير فيه * وقال آخرون الرجس العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال الرجس عذاب الله * وقال آخرون الرجس الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله الرجس قال الشيطان * وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول الرجس والنجس لغتان ويحكى عن العرب انها تقول ما كان رجسا ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة وكان بعض نحويى البصريين يقول الرجس والرجز سواء وهما العذاب * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس ومن قال ان الرجس والنجس واحد للخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا دخل الخلاء اللهم انى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم حدثنى بذلك عبد الرحمن بن البحترى الطائى قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد بين هذا الخبر أن الرجس هو النجس القذر الذى لا خير فيه وأنه من صفة الشيطان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى بينا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يقول طريق ربك ودينه الذى ارتضاه لنفسه دينا وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه فأثبت عليه وحرم ما حرمته عليك وأحل ما أحللته لك فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذكرون يقول لمن يتذكر مما احتج الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها وخص بها الذين يتذكرون لانهم هم أهل التمييز والفهم وأولوا الحجا والفضل فقيل يذكرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى

وينذرون قومهم بذلك قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ أرسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الآية لانه أزال العذر وأزاح العلة بسبب أنه أرسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدى أراد رسل من أحدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ أى من أحدهما وهو الملح الذى ليس بعذب وعن الكلبى كانت الرسل قبل أن يبعث محمد (٢٥) يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وآله بعث الى الجن والانس أما قوله (يقصون عليكم آياتى) فالمراد منه التنبيه على الأدلة بالتأويل وبالتلاوة (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يخوفونكم عذاب هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك (قالوا شهدنا على أنفسنا) والسبب فى أنهم أقروا فى هذه الآية وجحدوا فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو أنهم مختلفو الأحوال فى يوم القيامة مضطربون فتارة يقرون وأخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فى الدنيا بقوله (وغرتهم الحياة الدنيا) وعن حالهم فى الآخرة بقوله (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) والمقصود من شرح أحوالهم فى القيامة زجر أمثالهم فى الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على أن لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة ﴿ التأويل أو من كان ميتا فى حالة العدم فأحييناه بالحياة الحقيقية أى بالحى الذى لا يموت وجعلنا له نورا الوجود الحقيقى الذى يمشى به فى الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس فى ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا فى كل قرية أى كل قالب أكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع ما أوتى رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره أى ينظر الى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع فى القلب وهذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاشتداد الى أن يصير الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عينا ضيقا تزاحم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كأنما يصعد فى السماء لانه سفلى بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذى بينا من الهداية والضلالة صراط

به الاسلام ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله لهم للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ومن نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك فيصدقون بما وصلوا بها الى علمه من ذلك وأما دار السلام فهى دار الله التى أعدها لأوليائه فى الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا فى الدنيا فى ذات الله وهى جنته والسلام اسم من أسماء الله تعالى كما قال السدى **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم دار السلام عند ربهم الله هو السلام والدار الجنة وأما قوله وهو وليهم فانه يقول والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله بما كانوا يعملون يعنى جزاء بما كانوا يعملون من طاعة الله ويتبعون رضوانه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ويوم يحشرهم جميعا ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون اليهم زخرف القول غرورا ليجادلوا به المؤمنين فيجمعهم جميعا فى موقف القيامة يقول للجن يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وحذف يقول للجن من الكلام اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه وعنى بقوله قد استكثرتم من الانس استكثرتم من اضلالهم واغوائهم كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس يعنى أضللتم منهم كثيرا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس قال قد أضللتم كثيرا من الانس **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله قد استكثرتم من الانس قال كثر من أغويتم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قد استكثرتم من الانس يقول أضللتم كثيرا من الانس ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ يقول تعالى ذكره فيجيب أولياء الجن من الانس فيقولون ربنا استمتع بعضنا ببعض فى الدنيا فاما استمتاع الانس بالجن فكان كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض قال كان الرجل فى الجاهلية ينزل الارض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادى فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم اياهم فى استعاذتهم بهم فيقولون قد سدنا الجن والانس ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا﴾ يقول تعالى ذكره قالوا وبلغنا الوقت الذى وقت لموتنا وانما يعنى جل ثناؤه بذلك أنهم قالوا استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا الى حال موتنا كما **حدثنى** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله وبلغنا أجلنا الذى

أجلت لنا فالموت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به فى الدنيا الأوثان ولقرنائهم من الجن فأخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان لتقدم الكلام قبله بمعناه والمراد منه فقال قال الله لأولياء الجن من الانس الذين قد تقدم خبره عنهم النار مثواكم يعنى نار جهنم مثواكم الذى تثوون فيه أى تقيمون فيه والمثوى هو المفعل من قولهم ثوى فلان بمكان كذا اذا أقام فيه خالدين فيها يقول لابثين فيها الا ماشاء الله يعنى الا ماشاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم الى مصيرهم الى جهنم فتلك المدة التى استثناها الله من خلودهم فى النار ان ربك حكيم فى تدبيره فى خلقه وفى تصريفه اياهم فى مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله عليم بعواقب تدبيره اياهم وما اليه صائر أمرهم من خير وشر وروى عن ابن عباس انه كان يتأول فى هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم فى مبلغ عذابه اياهم الى مشيئته حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم قال ان هذه الآية آية لا ينبغى لاحد أن يحكم على الله فى خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل نولى فقال بعضهم معناه نجعل بعضهم لبعض وليا على الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال ثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وانما يولى الله بين الناس بأعمالهم فالمؤمن ولى المؤمن أين كان وحيث كان والكافر ولى الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى * وقال آخرون معناه نتبع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة وهو المتابعة بين الشئ والشئ من قول القائل واليت بين كذا وكذا اذا تابعت بينهما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا فى النار يتبع بعضهم بعضا * وقال آخرون معنى ذلك نسلط بعض الظلمة على بعض ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا قال ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال نسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس * وأولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال معناه وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء لان الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين فقال جل ثناؤه وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وأخبر جل ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولايته بعضهم بعضا بتوليتها اياهم فقال وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والانس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض فى كل الامور بما كانوا يكسبون من معاصى الله ويعملونه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا معشر

ربك باللطف والقهر فبجذبات اللطف يهدى السعيد وبسطوات القهر يضل الشقى لهم دار السلام أى السلامة عن القطيعة فى مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم يحشرهم فى موقف القالب البشرى بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن أى الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس أى غلبتم على الصفات الانسانية وقال أولياؤهم من الانس يعنى النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو أن يستعين بصفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو أن يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء آدم وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا يعنى أن مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بأن الثوى فى النار أيضا بقضاء الله الا أن يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم فى تقدير الاستمتاع عليم بأهل الجنة وبأهل النار وكذلك أى كما جعلنا مردة الجن والانس بعضهم أولياء بعض فكذلك نجعل بعض الظالمين أولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطرى ألم يأتكم رسل منكم يعنى الالهامات الربانية وشهدوا على أنفسهم أقروا وعند الحرمان عن السعادة العظمى أنهم بذواتهم كانوا صدأ مرآة قلوبهم وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وما التوفيق الا منه ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا

الجن

وان لم يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ۞ القراآت عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان أبو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء التأنيث بزعمهم بضم الزاى على وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الآخرون زين على (٢٧) البناء للفاعل قتل بالنصب أولادهم بالجر

الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركى الانس والجن يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى يقول يخبرونكم بما أوحى اليهم من تنبيهى اياكم على مواضع حججى وتعريفى لكم أدلتى على توحيدى وتصديق أنبيائى والعمل بأمرى والانتهاء الى حدودى وينذرونكم لقاء يومكم هذا يقول يحذرونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وعقابى على معصيتكم اياى فتنتهوا عن معاصى وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم فى الدنيا من الفسوق والمعاصى ومعناه قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطاما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين فلم تقبلوا ذلك ولم تتذكروا ولم تعتبروا * واختلف أهل التأويل فى الجن هل أرسل منهم اليهم أم لا فقال بعضهم قد أرسل اليهم رسل كما أرسل الى الانس منهم رسل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن قال سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم نبى قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع الى قول الله يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى يعنى بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن فقالوا بلى * وقال آخرون لم يرسل منهم اليهم رسول ولم يكن له من الجن قط رسول مرسل وانما الرسل من الانس خاصة فأما من الجن فالنذر قالوا وانما قال الله ألم يأتكم رسل منكم والرسل من أحد الفريقين كما قال مرج البحرين يلتقيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما وانما معنى ذلك يخرج من بعضهما أو من أحدهما قال وذلك كقول القائل لجماعة أدور إن فى هذه الدور لشرا وان كان الشر فى واحدة منهن فيخرج الخبر عن جميعهن والمراد به الخبر عن بعضهن وكما يقال أكلت خبزا ولبنا اذا اختلطا ولو قيل أكلت لبنا كان الكلام خطأ لان اللبن يشرب ولا يؤكل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم قال جمعهم كما جمع قوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ولا يخرج من الانهار حلية قال ابن جريج قال ابن عباس هم الجن الذين لقوا قومهم وهم رسل الى قومهم فعلى قول ابن عباس هذا ان من الجن رسلا للانس الى قومهم فتأويل الآية على هذا التأويل الذى تأوله ابن عباس ألم يأتكم أيها الجن والانس رسل منكم فأما رسل الانس فرسل من الله اليهم وأما رسل الجن فرسل رسل الله من بنى آدم وهم الذين اذ سمعوا القرآن ولوا الى قومهم منذرين وأما الذين قالوا بقول الضحاك فانهم قالوا ان الله تعالى ذكره أخبر أن من الجن رسلا أرسلوا اليهم كما أخبر أن من الانس رسلا أرسلوا اليهم قالوا ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الانس جاز أن يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن قالوا وفى فساد هذا المعنى ما يدل على ان الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل

شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التأنيث ابن عامر ويزيد وأبو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر ويزيد وقرأ ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف ۞ الوقوف غافلون ٥ مما عملوا ط يعملون ٥ ذو الرحمة ط آخرين ٥ لآت لا لان الواو بعده للحال يعجزين ٥ عامل ج لابتداء التقرير مع فاء التعقيب تعلمون ٥ لا لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية أو موصولة عاقبة الدار ط الظالمون ٥ لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله ج للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق حكما شركائهم ط يحكمون ٥ دينهم ط يفترون ٥ افتراء عليه ط يفترون ٥ أزواجنا ج للشرط مع العطف شركاء ط وصفهم ط عليم ٥ على الله ط مهتدين ٥ ۞ التفسير (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف أى الأمر ذلك ويحتمل أن يكون مبتدأ خبره (أن لم يكن) وهو للتعليل والمعنى الأمر ما قصصنا عليك أو ذلك الذى ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القرى وأن هى الناصبة للافعال أو مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشأن محذوفا أى أن الحديث كذا ويجوز أن يكون أن لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ومعنى قوله (بظلم) أى بسبب ظلم أقدموا عليه وهذا أليق باصول الاشاعرة أو المراد ظالما لكم فيكون من فعل الله وهذا أنسب بأصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو أهلكهم قبل بعثة الرسل ولم ينبهوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة أن يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظلما ولكنه يكون فى صورة الظلم فأطلق الظلم على نفسه مجازا والافهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لأحد فى شئ من أفعاله وأما قوله (وأهلها غافلون) فليس المراد من هذه الغفلة أن يتغافل المرء

عما يوعظ به وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وأن لا يزيل عذرهم وعلتهم قالت الأشاعرة في الآية دلالة على أنه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان العقل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب أحدا على أمر من الأمور قبل بعثة الرسل لكن بعدها والمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن أن يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح أحوال أهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال (ولكل درجات) أي ولكل عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى (مما عملوا) أي من جزاء أعمالهم وقيل ان أول الآية مختصة بأهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولأهل المعصية تكون الدركات واليه الاشارة بقوله (ومار بك بغافل عما يعملون) قالت الاشاعرة في الآية دليل على مسألة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبحسب فعل معين وأثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ وأشهد عليها الملائكة وخلاف علمه وإثباته واشهاده محال ثم بين أنه ليس يحتاج الى طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال (وربك الغني ذو الرحمة) اما انه غني في ذاته وصفاته وأفعاله وفي أحكامه عن كل ماسواه فلوجوب وجوده وأن ماسواه ممكن لذاته مفتقر في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غنى الا هو وأما انه ذو الرحمة فلأن كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على أن الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا لرحمته الكاملة ورأفته الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكن الشخص من الغنى الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ومن هذا يعلم تنزهه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بأنه ذو الرحمة كان لقائل أن يظن أن للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله تعالى (ان يشأ يذهبكم) أنه قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر على أن يخلق قوما آخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن

الله لان ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركي الجن والانس عند تقريعه اياهم بقوله لهم ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا أنهم يقولون شهدنا على أنفسنا بأن رسلك قد أتتنا بآياتك وأنذرتنا لقاء يومنا هذا فكذبناها وجحدنا رسالتها ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها قال الله خبرا مبتدأ وغرت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وأولياءهم من الجن الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وطلب الرياسة فيها والمنافسة عليها أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعاني التي غرتهم وخدعتهم فيها اذ كان في ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ما ترك ذكره يقول الله تعالى وشهدوا على أنفسهم يعني هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله لتتم حجة الله عليهم باقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ يقول تعالى ذكره ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي انما أرسلنا الرسل يا محمد الى من وصفت أمره وأعلمتك خبره من مشركي الانس والجن يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم الى من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم وقد يتجه من التأويل في قوله بظلم وجهان أحدهما ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي بشرك من أشرك وكفر من كفر من أهلها كما قال لقمان ان الشرك لظلم عظيم وأهلها غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم اليه ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير * والآخر ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يقول لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام للعبيد * وأولى القولين بالصواب عندي القول الأول أن يكون معناه أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون ارسال الرسل اليهم والاعذار بينه وبينهم وذلك أن قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم عقيب قوله ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نصب قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم انما هو انما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبيه وأما قوله ذلك فانه يجوز أن يكون نصبا بمعنى فعلنا ذلك ويجوز أن يكون رفعا بمعنى الابتداء كأنه قال ذلك كذلك وأما أن فانها في موضع نصب بمعنى فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى فاذا حذف ما كان يخفضها تعلق بها الفعل فنصب ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولكل درجات مما عملوا ومار بك بغافل عما يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله اياها ويثيبه بها ان خيرا فخير وان شرا فشر ومار بك بغافل عما يعملون يقول جل ثناؤه وكل ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم اياه ومعادهم اليه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وربك

العالمين أكمل وأتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف (ويستخلف من بعدكم) أى من بعد ذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله (ما يشاء) أى خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا آخرين من أمثال الجن والانس لكن أطوع وقال أبو مسلم يعنى خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون أقوى فى دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة قدر (٢٩) على تصويرها بصور أخرى مخالفة لها وقال فى الكشاف المعنى كما أنشأكم من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ثم ذكر حال المعاد فقال (انما توعدون لآت) قال الحسن أى من مجىء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيامة ويحتمل أن يقال انما توعدون لآت اشارة الى لطفه أى ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله (وما أنتم بمعجزين) أى خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره يقال أعجزه الشئ أى فاته فالجزم فى جانب الوعد والتعريض فى جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان أغلب ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله بتهديد منكرى البعث فقال (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) قال الواحدى قراءة الافراد أو جه لان المصدر لا يجمع فى أغلب الاحوال وقال فى الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الآية اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها يقال للرجل على مكانتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه (انى عامل) على مكانتى التى أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على

الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ يقول جل ثناؤه وربك يا محمد الذى أمر عباده بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه وأثابهم على الطاعة وعاقبهم على المعصية الغنى عن عباده الذين أمرهم بما أمرهم ونهاهم عما نهى وعن أعمالهم وعبادتهم اياه وهم المحتاجون اليه لانه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ونفعهم وضرهم يقول عز ذكره فلم أخلقهم يا محمد ولم آمرهم بما أمرتهم به وأنهيهم عما نهيتهم عنه لحاجة لى اليهم ولا الى أعمالهم ولكن لأتفضل عليهم برحمتى وأثيبهم على احسانهم ان أحسنوا فانى ذو الرأفة والرحمة وأما قوله ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء فانه يقول ان يشأ ربك يا محمد الذى خلق خلقه لغير حاجة منه اليهم والى طاعتهم اياه يذهبكم يقول يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ويستخلف من بعدكم ما يشاء يقول ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم يخلفونكم فى الارض من بعدكم يعنى من بعد فنائكم وهلاككم كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينار ثوبا بمعنى مكان الدينار ثوبا لا أن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشؤا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشؤا مكان خلق خلف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم والذرية الفعلية من قول القائل ذرأ الله الخلق بمعنى خلقهم فهو يذرؤهم ثم ترك الهمزة فقيل ذرا الله ثم أخرج الفعلية بغير همز على مثال العلية وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ من ذريئة قوم آخرين على مثال فعيلة وعن آخر انه كان يقرأ ومن ذرية على مثال علية والقراءة التى عليها القراء فى الامصار ذرية بضم الذال وتشديد الياء على مثال علية وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ههنا وأصل الانشاء الاحداث يقال قد أنشأ فلان يحدث القوم بمعنى ابتدأ وأخذ فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به أيها العادلون بالله الاوثان والاصنام ان الذى يوعدكم به ربكم من عقابه على اصراركم على كفركم واقع بكم وما أنتم بمعجزين يقول لن تعجزوا ربكم هربا منه فى الارض فتفوتوه لانكم حيث كنتم فى قبضته وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم اياه قادر يقول فاحذروه وأنيبوا الى طاعته قبل نزول البلاء بكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش الذين يجعلون مع الله الها آخر اعملوا على مكانتكم يقول اعملوا على حيالكم وناحيتكم كما حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ياقوم اعملوا على مكانتكم يعنى على ناحيتكم يقال منه هو يعمل على مكانته ومكينته وقرأ ذلك بعض الكوفيين على مكاناتكم على جمع المكانة والذى عليه قراء الأمصار على مكانتكم على التوحيد انى عامل يقول جل ثناؤه لنبيه قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون فانى عامل ما أنا عامله مما أمرنى به ربى فسوف تعلمون يقول فسوف تعلمون عند نزول

الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليهم على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون) أينا تكون له العاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الا بعادى أى قل اعملوا فستجزون وهكذا فى سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فصار استئنافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذى أو رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى أى و (عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التى خلق الله هذه الدار لها وهى مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وأدب ووثوق بأن المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة عليه

لاله ثم حكى أنواعا من جهالاتهم وركاكات أقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفير العقلاء عن الالتفات الى أقوال أمثالهم فقال (وجعلوا لله) قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونها عليها ثم قال (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) وفى تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله (٣٠) تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم أنفقوه عليه وما كان لله أطعموه الضيفان والمساكين ولا يأكلون منه البتة ثم ان سقط شئ مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ مما جعلوا للاوثان فى نصيب الله تعالى أخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لجهلهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدى كان اذا هلك لاوثانهم شئ أخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه وقال قتادة اذا أصابهم شدة استعانوا بالله واذا أصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم وقال مقاتل ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الآلهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه وأما ان زكا نصيب الله ولم يزك نصيب الالهة قالوا لا بد لآلهتنا من نفقة وأخذوا نصيب الاله تعالى فأعطوه السدنة فمعنى (فلا يصل الى الله) أنه لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم أنهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان أولى بأن يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه أى خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال (ساء ما يحكمون) وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا من جانب الاصنام فى الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثانى جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم أحدثوه من قبل أنفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع وأشار اليه بقوله بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الأصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر ومدر الخامس لا تأثير للاصنام فى حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث

نقمة الله بكم أينا كان المحق فى عمله والمصيب سبيل الرشاد أنا أم أنتم وقوله تعالى ذكره لنبيه قل لقومك يا قوم اعملوا على مكانتكم أمر منه له بوعيدهم وتهددهم لا اطلاق لهم فى عمل ما أرادوا من معاصى الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه من تكون له عاقبة الدار فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب من الذى تكون له عاقبة الدار منا ومنكم يقول من الذى يعقب دنياه ما هو خير له منها أو شر منها بما قدم فيها من صالح أعماله أو سيئها ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل فى الدنيا وذلك معنى ظلم الظالم فى هذا الموضع وفى من التى فى قوله من تكون له وجهان من الاعراب الرفع على الابتداء والنصب بقوله تعلمون لاعمال العلم فيه والرفع فيه أجود لان معناه فسوف تعلمون أينا له عاقبة الدار فالابتداء فى من أصح وأفصح من اعمال العلم فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام لربهم مما ذرأ خالقهم يعنى مما خلق من الحرث والانعام يقال منه ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرأ وذروا اذا خلقهم نصيبا يعنى قسما وجزأ ثم اختلف أهل التأويل فى صفة النصيب الذى جعلوا لله والذى جعلوه لشركائهم من الاوثان والشيطان فقال بعضهم كان ذلك جزأ من حروثهم وأنعامهم يقررونه لهذا وجزأ آخر لهذا ذكر من قال ذلك **حدثنى** اسحق ابن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله الآية قال كانوا اذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما جعلوا منها لله سهما وسهما لآلهتهم وكان اذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لآلهتهم الى الذى جعلوه لله ردوه الى الذى جعلوه لآلهتهم واذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لله الى الذى جعلوه لآلهتهم أقروه ولم يردوه فذلك قوله ساء ما يحكمون **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا قال جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبا وللشيطان والاوثان نصيبا فان سقط من ثمرة ما جعلوا لله فى نصيب الشيطان تركوه وان سقط مما جعلوه للشيطان فى نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه الى نصيب الشيطان وان انفجر من سقى ما جعلوه لله فى نصيب الشيطان تركوه وان انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله سدوه فهذا ما جعلوا من الحروث وسقى الماء وأما ما جعلوا للشيطان من الانعام فهو قول الله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم الآية وذلك أن أعداء الله كانوا اذا احترثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منها جزأ وللوثن جزأ فما كان من حرث أو ثمرة أو شئ

*النوع الثانى من أحكامهم الفاسدة قوله (وكذلك زين) كان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياء خوفا من الفقر أو من التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين أطاعوهم فى معصية الله تعالى وعلى الثانى هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثانى للكلبى وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله والآلهة أو مثل ذلك التزيين البليغ الذى علم من الشياطين زين (٣١) لهم شركاؤهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام (قتل أولادهم) بالوأد أو بالنحر ثم ان وجه القراءة الاكثرى ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به وأما قراءة ابن عامر فخطأها الزمخشرى من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد جوز بالظرف كقوله

* لله در اليوم من لامها *

وضعف بغير الظرف كقوله

فزججتها بمزجة *
زج القلوص أبى مزاده

وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندى فى هذا المقام أن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراآت السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد فى القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير فى أشعار العرب وتراكيبهم أم لا وان ورد فكثير أم لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله * بين ذراعى وجبهة الاسد * والمضاف مضمر مع الثانى كقراءة من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على تقدير عرض الآخرة فتقدير الآية قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم ومعنى (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم فى النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان كان من الشيطان (وليلبسوا عليهم دينهم) ليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذى أتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذى وجب أن يكونوا عليه وقيل وليوقعوهم فى دين ملتبس (ولو شاء الله ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم أو لما فعل الشياطين والسدنة التزيين أو الارداء أو اللبس أو جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر ثم قال (فذرهم وما يفترون) على قانون قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على

من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه فان سقط منه شئ فيما سمى لله ردوه الى ما جعلوا للوثن وان سبقهم الماء الى الذى جعلوه للوثن فسقى شيأ جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وان سقط شئ من الحرث والثمرة التى جعلوا لله فاختلط بالذى جعلوا للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوا لله وان سبقهم الماء الذى جعلوا لله فسقى ما سمى للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من انعامهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للاوثان ويزعمون انهم يحرمونه لله فقال الله فى ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال يسمون لله جزأ من الحرث ولشركائهم وأوثانهم جزأ فما ذهبت به الريح مما سموا لله الى جزء أوثانهم تركوه وما ذهب من جزء أوثانهم الى جزء الله ردوه وقالوا الله عن هذا غنى والانعام السائبة والبحيرة التى سموا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية عمد ناس من أهل الضلالة فجزؤا من حروثهم ومواشيهم جزأ لله وجزأ لشركائهم وكانوا اذا خالط شئ مما جزؤا لله مما جزؤا لشركائهم خلوه فاذا خالط شئ مما جزؤا لشركائهم فيما جزؤا لله ردوه على شركائهم وكانوا اذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزؤا لله وأقروا ما جزؤا لشركائهم قال الله ساء ما يحكمون **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال كانوا يجزؤن من أموالهم شيأ فيقولون هذا لله وهذا للاصنام التى يعبدون فاذا ذهب مما جعلوا لشركائهم فخالط ما جعلوا لله ردوه وان ذهب مما جعلوه لله فخالط شيأ مما جعلوه لشركائهم تركوه وان أصابتهم سنة أكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم فقال الله ساء ما يحكمون **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى يحكمون قال كانوا يقسمون من أموالهم قسما فيجعلونه لله ويزرعون زرعا فيجعلونه لله ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك فما خرج للآلهة أنفقوه عليها وما خرج لله تصدقوا به فاذا هلك الذى يصنعون لشركائهم وكثر الذى لله قالوا ليس بد لآلهتنا من نفقة وأخذوا الذى لله فانفقوه على آلهتهم واذا أجدب الذى لله وكثر الذى لآلهتهم قالوا الوشاء أزكى الذى له فلا يردون عليه شيأ مما للآلهة قال الله لو كانوا صادقين فيما قسموا البئس اذا ما حكموا أن يأخذوا منى ولا يعطونى فذلك حين يقول ساء ما يحكمون * وقال آخرون النصيب الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه الى شركائهم أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا حتى بلغ وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قال كل شئ جعلوه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية

المأمور بأنه لا يأتى منه الا الشر والشر لا قيل انما قال فى هذه الآية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآيات * النوع الثالث من أحكامهم الباطلة أنهم قسموا أنعامهم أقساما فأولها أن قالوا (هذه أنعام وحرث حجر) وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وأصل (٣٢) الحجر المنع وسمى العقل الحجر لمنعه من القبائح وفلان فى حجر القاضى أى فى منعه كانوا اذا عينوا شيأ من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء (و) ثانيها أن قالوا (هذه أنعام حرمت ظهورها) وهى البحائر والسوائب والحوامى وقد سبق فى المائدة (و) ثالثها (أنعام لا يذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل هى أنعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل (افتراء عليه) وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك فى معنى الافتراء ثم قال (سيجزيهم بما كانوا يفترون) والمقصود منه الوعيد * (و) النوع الرابع من قضاياهم الفاسدة أن (قالوا ما فى بطون هذه الانعام) يعنون أجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) هذا ان ولد حيا (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أى اشتركوا فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقديره وان يكن ما فى بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى أن كان تامة أولان التقدير وان يكن لهم أو هنالك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتأنيثه لان تأنيث الميتة غير حقيقى أولان الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا فى قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير فى قوله فهم للتغليب (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم على الله الكذب فى التحليل والتحريم (انه حكيم عليم)

حتى بلغ ساء ما يحكمون * وأولى التأويلين بالآية ما قال ابن عباس ومن قال بمثل قوله فى ذلك لان الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسما مقدرا فقالوا هذا لله وجعلوا مثله لشركائهم وهم أوثانهم باجماع من أهل التأويل عليه فقالوا هذا لشركائنا وان نصيب شركائهم لا يصل منه الى الله بمعنى لا يصل الى نصيب الله وما كان لله وصل الى نصيب شركائهم فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل جائزا أن تكون قد وصلت وما أخبر عنه انه قد وصل لم يصل وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر الكلام لان الذبيحتين تذبح احداهما لله والاخرى للآلهة جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوها اذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحا للآلهة دون اختلاط الاعيان واتصال بعضها ببعض وأما قوله ساء ما يحكمون فانه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم يقول جل ثناؤه وقد أساؤا فى حكمهم اذ أخذوا من نصيبى لشركائهم ولم يعطونى من نصيب شركائهم وانما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم وذهابهم عن سبيل الحق بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم وأنعم عليهم بالنعم التى لا تحصى ما لا يضرهم ولا ينفعهم حتى فضلوه فى اقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ يقول تعالى ذكره وكما زين شركاء هؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام لهم ما زينوا لهم من تصييرهم لربهم من أموالهم قسما بزعمهم وتركهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لله الى قسم شركائهم فى قسمهم وردهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لشركائهم الى قسم نصيب الله الى قسم شركائهم كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين فحسنوا لهم وأد البنات ليردوهم يقول ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرم الله عليهم ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه بأن كان يهديهم للحق ويوفقهم للسداد فكانوا لا يقتلونهم ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم وأطاعوا الشياطين التى أغوتهم يقول الله لنبيه متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون فى الأنصباء التى يقسمونها هذا لله وهذا لشركائنا وفى قتلهم أولادهم ذرهم يا محمد وما يفترون وما يتقولون على من الكذب والزور فانى لهم بالمرصاد ومن وراء العذاب والعقاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم زينوا لهم من قتل أولادهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله قتل أولادهم شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة حدثنى المثنى قال

ثنا

ليكون الزجر واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف أنث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حمل على المعنى لان ما فى بطون الانعام فى معنى الأجنة والثانى حمل على اللفظ وفى الاول وجهان آخران أن تكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وأن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية أى ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح أحكامهم وأفعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم والضلال وعدم الاهتداء

فقال (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) الآية وذلك أن الولد نعمة عظيمة من الله تبقى ذكره ونسله فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر أو نحوه أو لفائدة موهومة هي القربة الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما أحل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا جعل عليهم آخرا بالضلال ثم بعدم الاهتداء ليحصل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن (٣٣) والله أعلم ﴿ التأويل مهلك القرى أي قرى أشخاص

ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم الآية قال شركاؤهم زينوا لهم ذلك ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم قال شياطينهم التي عبدوها زينوا لهم قتل أولادهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات وأما ليردوهم فيهلكوهم وأما ليلبسوا عليهم دينهم فيخلطوا عليهم دينهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء الحجاز والعراق وكذلك زين بفتح الزاي من زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بنصب القتل شركاؤهم بالرفع بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم فيرفعون الشركاء بفعلهم وينصبون القتل لانه مفعول به وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وكذلك زين بضم الزاي لكثير من المشركين قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالخفض بمعنى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشام رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه وذلك قول قائلهم

فزججته متمكنا * زج القلوص أبي مزاده

والقراءة التي لا أستجيز غيرها وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم بفتح الزاي من زين ونصب القتل بوقوع زين عليه وخفض أولادهم باضافة القتل اليهم ورفع الشركاء بفعلهم لانهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل وانما قلت لا أستجيز القراءة بغيرها لاجماع الحجة من القراء عليه وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد في ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ثم قرأ قارئ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم بضم الزاي من زين ورفع القتل وخفض الاولاد والشركاء على أن الشركاء مخفوضون بالرد على الاولاد بأن الاولاد شركاء آبائهم في النسب والميراث كان جائزا ولو قرأه كذلك قارئ غير أنه رفع الشركاء وخفض الاولاد كما يقال ضرب عبد الله أخوك فيظهر الفاعل بعد ان جرى الخبر عما لم يسم فاعله كان ذلك صحيحا في العربية جائزا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك يقول تعالى ذكره وقال

(٥ - ابن جرير ثامن)

الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية وأهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وربك الغني عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة ذو الرحمة خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم أي على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور اذا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا أولادهم لان ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب أهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال أهل التحقيق من أمارات اليقين وحقائقه كثرة العيال على بساط التوكل ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات

الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا

عادفان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما
اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون
الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة (٣٤) فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا
فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ۞ القراآت
حصاده بفتح الحاء أبو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضان
بغير همزة أبو عمرو غير شجاع وأوقية والأعشى والاصبهانى عن ورش ويزيد وحمزة فى الوقف ومن المعز
ساكن العين عاصم وحمزة وعلى وخلف ونافع وأبو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعى عن البزى والقواس
غير ابن مجاهد وأبى عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا أن تكون بتاء التأنيث ابن كثير وابن عامر
ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن رومى عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر وزاذ يزيد التشديد
الباقون بالياء وبالنصب الحوايا عمالة على وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهرا الحلوانى عن قالون
والبرجمى ۞ الوقوف متشابه ط ولا تسرفوا ط المسرفين ○ لا لأن قوله حمولة منصوب بأنشأ وفرشا
ط الشيطان ط مبين ○ لا لأن ثمانية منصوب بانشأ جنات أزواج ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين
ط أرحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين ○ لا لأن اثنين منصوب بأنشأ أيضا ومن البقر
اثنين ط أرحام الانثيين ط لأن أم فى قوله أم كنتم بمعنى ألف استفهام توبيخ بهذا ج للاستفهام مع الفرج
الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم ط الظالمين ○ لغير الله ج رحيم ○ ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ط ببغيهم
ز للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا وللوصل وجه لان المعنى وانا الصادقون فيما أخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة ط لاختلاف
الجملتين المجرمين ○ من شئ ط بأسنا ط لنا ط تخرصون ○ البالغة ج للشرط مع الفاء أجمعين ○ حرم هذا ج لذلك معهم ج

هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلا منهم لأن نعام لهم وحرث هذه أنعام وهذا حرث حجر يعنى
بالانعام والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التى قد مضى ذكرها فى الآية قبل هذه وقيل ان
الانعام السائبة والوصيلة والبحيرة التى سموا حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الانعام السائبة والبحيرة التى سموا والحجر فى كلام
العرب الحرام يقال حجرت على فلان كذا أى حرمت عليه ومنه قول الله ويقولون حجرا محجورا
ومنه قول المتلمس

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلمين الدهاريس

وقول رؤبة

* وجارة البيت لها (٣) حجرى * يعنى المحرم ومنه قول الآخر

فبت مرتفقا والعين ساهرة * كأن نومى على الليل محجور

أى حرام يقال حجر وحجر بكسر الحاء وضمها وبضمها كان يقرأ فيما ذكر الحسين وقتادة حدثنى
عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن الحسين عن قتادة
انه كان يقرؤها وحرث حجر يقول حرام مضمومة الحاء وأما القراء من الحجاز والعراق والشام
فعلى كسرها وهى القراءة التى لا أستجيز خلافها لاجماع الحجة من القراء عليها وأنها اللغة الجودى
من لغات العرب وروى عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وحرث حرج بالراء قبل الجيم حدثنى
بذلك الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه كان يقرؤها
كذلك وهى لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد وهذا كما قالوا جذب وجبذ وناء ونأى ففى الحجر اذا لغات
ثلاث حجر بكسر الحاء والجيم قبل الراء وحجر بضم الحاء والجيم قبل الراء وحرج بكسر الحاء والراء قبل
الجيم وبنحو الذى قلنا فى تأويل الحجر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عمران بن
موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد وأبى عمرو وحرث حجر يقول حرام
حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن
عباس قوله وحرث حجر فالحجر ما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا حدثنا محمد بن عبد الاعلى
قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وحرث حجر قال حرام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله هذه أنعام وحرث حجر الآية تحريم كان عليهم من الشياطين فى أموالهم
وتغليظ وتشديد وكان ذلك من الشياطين ولم يكن من الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد
ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله وقالوا هذه أنعام وحرث حجر فيقولون حرام أن نطعم
الا من شئنا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذه أنعام وحرث حجر
نحتجرها على من نريد وعمن نريد لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال انما احتجروا ذلك لآلهتهم وقالوا
لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قالوا نحتجرها عن النساء ونجعلها للرجال حدثت عن الحسين بن

لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون ۞ التفسير إنه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وإنه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح أحوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم أتبعه حكاية أقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته و وجوب توحيده فقال (وهو الذي أنشأ) الآية نشأ الشيء ينشأ نشأ (٣٥) اذا ظهر وارتفع وأنشأه الله ينشئه انشاء أظهره ورفعه (جنات معروشات وغير معروشات) يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى أن يتخذ له عروش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما أنبته الله وحشيا في البراري والجبال فيبقى غير معروش (والنخل والزرع) فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي تقتات (مختلفا أكله) والاكل كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على أحدهما كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أي اليهما والمراد أن لكل شيء منهما طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة أي أنشأه مقدرا اختلاف أكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك (متشابها وغير متشابه) في القدر واللون والطعم ثم قال (كلوا من ثمره) وقد قال في الآية المتقدمة أعني نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء الآية الى قوله انظروا

الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أنعام وحرث حجر أما حجر يقول محرم وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها كانوا يحرمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ويعزلون من حرثهم شيأ معلوما لآلهتهم ويقولون لا يحل لنا ما سميناه لآلهتنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنعام وحرث حجر ما جعلوه لله ولشركائهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره وحرم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهور بعض أنعامهم فلا يركبون ظهورها وهم ينتفعون برسلها ونتاجها وسائر الاشياء منها غير ظهورها للركوب وحرموا من أنعامهم أنعاما أخر فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها ان ركبوها بحال ولا ان حلبوها ولا ان حملوا عليها وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لي أبو وائل أتدري ما أنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال أنعام لا يحجون عليها حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال ثنا شاذان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لي أبو وائل أتدري ما قوله حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال ثنا محمد بن سعيد الشهيد قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال لا يحجون عليها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما أنعام حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والحام وأما الانعام التي لا يذكرون اسم الله عليها قال اذا ولدوها ولا ان نحروها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال كان من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها الا ان ركبوها ولا ان حلبوا ولا ان حملوا ولا ان منحوا ولا ان عملوا شيأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنعام حرمت ظهورها قال لا يركبها أحد وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها وأما قوله افتراء على الله فانه يقول فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا وقالوا ما قالوا من ذلك كذبا على الله وتخرصا الباطل عليه لانهم أضافوا ما كانوا يحرمون من ذلك على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه الى أن الله هو الذي حرمه فنفى الله ذلك عن نفسه وأكذبهم وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدعون ثم قال عز ذكره سيجزيهم يقول سيثيبهم ربهم بما كانوا يفترون على الله الكذب ثوابهم ويجزيهم بذلك جزاءهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ما في بطون هذه الانعام فقال بعضهم عنى بذلك اللبن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل

الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية أبدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة وقدم اباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن أنه يحرم على المالك تناوله لامكان شركة المشار كين فيه وفي الآية اشارة الى ان خلق هذه النعم إما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن أن يستدل به على ان الاصل عدم وجوب

الصوم وأن من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وأن المجنون اذا أفاق فى أثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وأن الشارع فى صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب أن صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة أو الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة قوله (اذا أثمر) وقد علم أنه اذا لم يثمر لم يؤكل منه هى أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك وأينع أما قوله (وآتو (٣٦) حقه يوم حصاده) فعن ابن عباس فى رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك أن الآية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب فى السنبل والجواب أن المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق فى المال سوى الزكاة وكان يقول اذا حصدت فضرك المساكين فاطرح لهم منه وكذا اذا دسته واذا عرفت كيله فاعزل زكاته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس فى المال حق سوى الزكاة وبأن قوله وآتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الآية والالزم الاجمال وعن سعيد بن جبير أن هذا كان قبل وجوب الزكاة فلما فرض العشر أو نصف العشر فيما سقى بالسواقى نسخ والقول الاول أصح ثم ان أبا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكاة فى الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهى العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بأن لفظ الحصاد مخصوص بالزرع وأجيب بأن الحصد فى اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو أيضا بها على أن العشر واجب فى القليل والكثير للاطلاق والجواب أن بيانه فى الحديث ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ثم قال تعالى (ولا تسرفوا) ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابى السرف تجاوز ما حد لك دون فعلى هذا اذا أعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيأ فقد أسرف كما جاء فى الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وروى أن ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فجذها فقسمها فى يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيأ فنزلت الآية ولا تسرفوا أى لا تعطوا كله واذا منع الصدقة فقد أسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد تكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه فى غير منفعة وعلى

عن أبى اسحق عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا قال اللبن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن ابن أبى الهذيل عن ابن عباس مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء وان كانت ميتة اشتركوا فيها ذكورهم واناثهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال ما فى بطون البحائر يعنى ألبانها كانوا يجعلونه للرجال دون النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى ابن يونس عن زكريا عن عامر قال البحيرة لا يأكل من لبنها الا الرجال وان مات منها شئ أكله الرجال والنساء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية فهو اللبن كانوا يحرمونه على اناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت أنثى تركب فلم تذبح وان كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك * وقال آخرون بل عنى بذلك ما فى بطون البحائر والسوائب من الأجنة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فهذه الانعام ما ولد منها من حى فهو خالص للرجال دون النساء وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن مجاهد ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا السائبة والبحيرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا فى أنعام بأعيانها ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون اناثنا واللبن مما فى بطونها وكذلك أجنتها ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهن دون بعض واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يقال انهم قالوا ما فى بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حل لذكورهم خالصة دون إناثهم وانهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم الا أن يكون الذى فى بطونها من الاجنة ميتا فيشتركوا حينئذ فى أكله الرجال والنساء * واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أنثت الخالصة فقال بعض نحويى البصرة وبعض الكوفيين أنثت لتحقيق الخلوص كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة فجرى مجرى راوية ونسابة وقال بعض نحويى الكوفة أنثت لتأنيث الانعام لان ما فى بطونها مثلها فأنثت لتأنيثها ومن ذكره فلتذكيرها قال وهى فى قراءة عبد الله خالص قال وقد تكون الخالصة فى تأنيثها مصدرا كما تقول العافية والعاقبة وهو مثل قوله إنا أخلصناهم بخالصة * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال أريد بذلك المبالغة فى خلوص ما فى بطون الانعام التى كانوا حرموا ما فى بطونها على أزواجهم لذكورهم

هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام فى الانعام والحرث وقال الزهرى ولا تنفقوا فى معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان أبو قبيس ذهبا فأنفقه رجل فى طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو أنفق درهما فى معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى أراد حاتم الطائى حين قيل له لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير ثم ختم الآية بقوله (انه لا يحب المسرفين) والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من أهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله (حمولة وفرشا) معطوف على (٣٧) جنات أى وأنشأ من الانعام هذين الجنسين

دون اناثهم كما فعل ذلك بالراوية والنسابة والعلامة اذا أريد بها المبالغة فى وصف من كان ذلك من صفته كما يقال فلان خالصة فلان وخلصانه وأما قوله ومحرم على أزواجنا فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنى بالأزواج فقال بعضهم عنى بها النساء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومحرم على أزواجنا قال النساء * وقال آخرون بل عنى بالازواج البنات ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومحرم على أزواجنا قال الازواج البنات وقالوا ليس للبنات منه شئ * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما فى بطون هذه الانعام يعنى أنعامهم هذا محرم على أزواجنا والازواج انما هى نساؤهم فى كلامهم وهن لا شك بنات من هن أولاده وحلائل من هن أزواجه وفى قول الله عز وجل ومحرم على أزواجنا الدليل الواضح على أن تأنيث الخالصة كان لما وصفت من المبالغة فى وصف ما فى بطون الانعام بالخلوصة للذكور لأنه لو كان لتأنيث الانعام لقيل ومحرمة على أزواجنا ولكن لما كان التأنيث فى الخالصة لما ذكرت ثم لم يقصد فى المحرم ما قصد فى الخالصة من المبالغة رجع فيها الى تذكيرها واستعمال ما هو أولى به من صفته وأما قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فاختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه يزيد بن القعقاع وطلحة بن مصرف فى آخرين وان تكن ميتة بالتاء فى تكن ورفع ميتة غير أن يزيد كان يشدد الياء من ميتة ويخففها طلحة حدثنى بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا عيسى عن طلحة بن مصرف وحدثنا أحمد بن يوسف عن القاسم واسمعيل بن جعفر عن يزيد وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة والبصرة وان يكن ميتة بالياء وميتة بالنصب وتخفيف الياء وكأن من قرأ وان يكن بالياء ميتة بالنصب أراد وان يكن ما فى بطون تلك الانعام فذكر يكن لتذكيرها ونصب الميتة لانه خبر يكن وأما من قرأه وان تكن ميتة فانه ان شاء الله أراد وان يكن ما فى بطونها ميتة فأنث تكن لتأنيث ميتة وقوله فهم فيه شركاء فانه يعنى أن الرجال وأزواجهم شركاء فى أكله لا يحرمونه على أحد منهم كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان يكن ميتة فهم فيه شركاء قال تأكل النساء مع الرجال ان كان الذى يخرج من بطونها ميتة فهم فيه شركاء وقالوا ان شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا وان شئنا لم نجعل وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوله ابن زيد لان ظاهرها يدل على أنهم قالوا ان يكن ما فى بطونها ميتة فنحن فيه شركاء بغير شرط مشيئة وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك الى مشيئتهم * القول فى تأويل قوله ﴿سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم﴾ يقول جل ثناؤه سيجزى أى سيثيب ويكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب فى تحريمهم ما لم يحرمه الله وتحليلهم ما لم يحلله الله واضافتهم كذبهم فى ذلك الى الله وقوله وصفهم يعنى بوصفهم الكذب على الله وذلك كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر من كتابه وتصف ألسنتهم الكذب والوصف والصفة فى كلام العرب واحد وهما مصدران مثل الوزن والزنة وبنحو الذى قلنا فى معنى الوصف

فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) قالت المعتزلة أى مما أحلها لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) لا تسلكوا طريقه الذى يدعوكم اليه فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) بين العداوة وفى انتصاب (ثمانية أزواج) وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره أن يكون مفعول كلوا والعرب تسمى الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وجاوهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والأنثى وقال ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله (من الضأن اثنين) أى زوجين اثنين (ومن المعز اثنين) وفى الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهرى الضائن خلاف الماعز والجمع يعنى اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن أيضا مثل حارس وحرس وقال فى الكشاف انه قرئ بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الأنثى من الضأن وهى النعجة والأنثى من المعز وهى العنز وذلك على طريق الجنسة والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعى ذكورها واناثها ولا مما يشتمل عليه أرحام الانثيين أى مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسى الابل والبقر يعنى الجمل والثور والانثيان منهما الناقة والبقرة وما يحمل اناثهما وذلك

أنهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة وإناثها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكورا أو إناثا أو من خلط تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم وأكد ذلك بقوله (نبئوني بعلم) أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) في أن الله حرمه * واعلم أنه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم وإباحتها لهم الا أنه فصل بين بعض (٣٨) المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك بأجنبي وانما هي جملة معترضة جيء بها تأكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد أما قوله (أم كنتم شهداء) فأم منقطعة أي بل أكنتم شهداء ومعناه الانكار وفحواه أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فقهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى أمثالهم بالظلم بقوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل عليه السلام وبحر البحائر وسيب السوائب والاقرب أن اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الآية دلالة على أن الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز أن ينسب الى الله تعالى وأجيب بأنه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبيد من أسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا ودونه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي يختص المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه أنه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم أتبعه هؤلاء البيان التصحيح في الباب فقال (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما) أي طعاما محرما (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون) ذلك المأكول أو الموجود أو الطعام (ميتة أو دما مسفوحا) مصبوبا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي أحياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما وما يختلط باللحم من الدم فانه غير سائل وسئل أبو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي ترى فيها

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سيجزيهم وصفهم قال قولهم الكذب في ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية سيجزيهم وصفهم قال كذبهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيجزيهم وصفهم أي كذبهم وأما قوله انه حكيم عليم فانه يقول جل ثناؤه ان الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه حكيم في سائر تدبيره في خلقه عليم بما يصلحهم وبغير ذلك من أمورهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ يقول تعالى ذكره قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب العادلون به الاوثان والاصنام الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم فقتلوا طاعة لها أولادهم وحرموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقا من أنعامهم سفها منهم يقول فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم ونقص عقول وضعف أحلام منهم وقلة فهم بعاجل ضره وآجل مكروهه من عظيم عقاب الله عليه لهم افتراء على الله يقول تكذيبا على الله وتخرصا عليه الباطل قد ضلوا يقول قد تركوا محجة الحق في فعلهم ذلك وزالوا عن سواء السبيل وما كانوا مهتدين يقول ولم يكن فاء لوذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك ولا كانوا مهتدين للصواب فيها ولا موفقين له ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات من قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الذين كانوا يحرمون البحائر ويسيبون السوائب ويئدون البنات كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم قال نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحي جارية وتئد أخرى فاذا كانت الجارية التي تؤأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها أنت علي كظهر أمي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخذ لها في الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى اذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم ذكر ما صنعوا في أولادهم وأموالهم فقال قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم فقال هذا صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويغذو كلبه وقوله وحرموا ما رزقهم الله الآية وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا تحكما من الشياطين في أموالهم **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الآية وكان أبو رزين يتأول قوله قد ضلوا أنه معنيّ به قد ضلوا قبل

حرمة الدم فقال لا بأس به انما النهى عن الدم المسفوح وباقى الآية ظاهر مما سلف فى أمثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوبات قبله وأهل صفة له منصوبة المحل سمى ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله فى باب الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وعلى هذا فقد عطف أهل على يكون والضمير فى به يعود الى ما يرجع اليه المستكن فى يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين فى الآية أنه لم يجد فيما أوحى اليه قرآنا أو غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد أكد هذا بما فى النحل وفى البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة

هؤلاء الافعال من قتل الاولاد وتحريم الرزق الذى رزقهم الله بأمور غير ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن سفيان عن الاعمش عن أبى رزين فى قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم الى قوله قد ضلوا قال قد ضلوا قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ وهذا اعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله وتنبيه منه لهم على موضع احسانه وتعريف منه لهم ما أحل وحرم وقسم فى أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقا يقول تعالى ذكره وربكم أيها الناس أنشأ أى أحدث وابتدع خلق الا الآلهة والاصنام جنات يعنى بساتين معروشات وهى ما عرش الناس من الكروم وغير معروشات غير مرفوعات مبنيات لا ينبته الناس ولا يرفعونه ولكن الله يرفعه وينبته وينميه كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله معروشات يقول مسموكات * وبه عن ابن عباس وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات فالمعروشات ما عرش الناس وغير معروشات ما خرج فى البر والجبال من الثمرات حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما جنات فالبساتين وأما المعروشات فما عرش كهيئة الكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات قال ما يعرش من الكروم وغير معروشات قال ما لا يعرش من الكرم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر﴾ يقول جل ثناؤه وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله يعنى بالاكل الثمر يقول وخلق النخل والزرع مختلفا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه فى الطعم منه الحلو والحامض والمز كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله متشابها وغير متشابه قال متشابها فى المنظر وغير متشابه فى الطعم وأما قوله كلوا من ثمره اذا أثمر فانه يقول كلوا من رطبه ما كان رطبا ثمره كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازى قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا موسى بن عبيدة فى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم هذا أمر من الله بايتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثنا عمرو قال ثنا عبد الصمد قال ثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة المفروضة حدثنا عمرو قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن محمد بن عبيد الله عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس وآتوا

على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذى جاء فى المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما أكل السبع الا ما ذكيتم من أقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من أولها الى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقى الكلام فى الخمر وفى سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا أن النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم أكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات وان جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روى انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بأن تحريم شئ ما مس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه أنه حرم على اليهود أشياء أخر سوى هذه الاربعة فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا) وذلك نوعان الاول أنه حرم عليهم (كل ذى ظفر) وفيه لغات ضم الفاء والعين وهى الفصحى وكسرهما وهى قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهى قراءة الحسن واختلف فى ذى الظفر فعن ابن عباس فى رواية عطاء انه الابل فقط وعنه فى رواية أخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة وزيف بأن الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبأن البقر والغنم مباحان لهم كما يجئ مع أن لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا قدم الجار فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل

بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ماسوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر مبينا للآية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير

* النوع الثانى قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال فى الكشاف هو كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالاضافة يعنى اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذى ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما وذلك شحومهما فقط وهذا أيضا ليس على الاطلاق لقوله (الا ما حملت ظهورهما) قال (٤٠) ابن عباس الا ما علق بالظهر من الشحم فانى لم أحرمه وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهى الشحمة التى على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الورکين وهى بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزال ولهذا لو حلف لا يأكل الشحم فأكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثانى قوله (أو الحوايا) قال الجوهرى الحوايا الامعاء واحدها حوية وفى معناها حاوية البطن وحاوياء البطن وقال الواحدى هى المباعر والمصارين والفحوى أو ما اشتمل على الامعاء يعنى أن الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث (أو ما اختلط بعظم) قال جمهور المفسرين يعنى شحم الأليه وقال ابن جريج كل شحم فى القوائم والجنب والرأس وفى العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذى حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة أو كدخولها فى قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا والمعنى كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا (ذلك) الجزاء وهو تحريم الطيبات (جزيناهم ببغيهم) بسبب قتلهم الانبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح أفعالهم (وانا لصادقون) فى هذه الاخبار أو فيما يوعد به العصاة قال القاضى نفس التحريم لا يجوز أن يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان وأجيب بأن المنع من الانتفاع يمكن أن يكون لمزيد الثواب ويمكن أن يكون بشؤم الجرم المتقدم (فان كذبوك) فى ادعاء النبوة والرسالة أو فى تبليغ الاحكام وعلى أصول المعتزلة فان كذبوك فى انجاز ما يعاد لعصاة وزعموا أن

حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنا** عمرو بن على وابن وكيع وابن بشار قالوا ثنا عبد الرحمن قال ثنا ابراهيم بن نافع المكى عن ابن عباس عن أبيه فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة **حدثنا** عمرو قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو هلال عن حيان الاعرج عن جابر بن زيد وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هى الصدقة قال ثم سئل عنها مرة أخرى فقال هى الصدقة من الحب والثمار **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليمن وغيره عن سعيد بن المسيب أنه قال وآتوا حقه يوم حصاده قال الصدقة المفروضة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هى الصدقة من الحب والثمار **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعنى بحقه زكاته المفروضة يوم يكال أو يعلم كيله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده وذلك أن الرجل كان اذا زرع فكان يوم حصاده وهو أن يعلم ما كيله وحقه فيخرج من كل عشرة واحدا وما يلتقط الناس من سنبله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا حقه يوم حصاده وحقه يوم حصاده الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء أو العين السائحة أو سقاه الطل والطل الندى أو كان بعلا العشر كاملا وان سقى برشاء نصف العشر قال قتادة وهذا فيما يكال من الثمرة وكان هذا اذا بلغت الثمرة خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد حق فيها الزكاة وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وطاوس وآتوا حقه يوم حصاده قالا هو الزكاة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا شريك عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه وعن قتادة وآتوا حقه يوم حصاده قالا الزكاة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس مثله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعنى يوم كيله ما كان من بر أو تمر أو زبيب وحقه زكاته **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده قال كل

الله واسع الرحمة وأنه يخلف الوعيد جودا وكرما (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) فلذلك لا يعجل بالعقوبة (ولا يرد بأسه) اذا جاء وقت عذابه (عن القوم المجرمين) يعنى المكذبين وعلى أصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فما توا قبل التوبة ثم حكى أعذار الكفار الواهية فقال (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان أكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلا الزائدة لتأكيد النفى أخبر الله (٤١) تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه قال فى

منه واذا حصدته فآت حقه وحقه عشوره حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يونس بن عبيد عن الحسن أنه قال فى هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة اذا كلته حدثنا عمرو قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثنى ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله وآتوا حقه يوم حصاده فقلت له هو العشور قال نعم فقلت له عن أبيك قال عن أبى وغيره * وقال آخرون بل ذلك حق أوجبه الله فى أموال أهل الاموال غير الصدقة المفروضة ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا محمد بن جعفر عن أبيه وآتوا حقه يوم حصاده قال شيأ سوى الحق الواجب قال وكان فى كتابه عن على بن الحسين حدثنا عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال القبضة من الطعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال من النخل والعنب والحب كله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء أرأيت ما حصدت من الفواكه قال ومنها أيضا تؤتى وقال من كل شئ حصدت تؤتى منه حقه يوم حصاده من نخل أو عنب أو حب أو فواكه أو خضر أو قصب من كل شئ من ذلك قلت لعطاء أواجب على الناس ذلك كله قال نعم ثم تلا وآتوا حقه يوم حصاده قال قلت لعطاء وآتوا حقه يوم حصاده هل فى ذلك شئ مؤقت معلوم قال لا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يعطى من حصاده يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عيسى بن يونس عن عبد الملك عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال ليس بالزكاة ولكن يطعم من حضره ساعتئذ حصده حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن حماد وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون رطبا حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حضرك المساكين طرحت لهم منه واذا أنقيته وأخذت فى كيله حثوت لهم منه واذا علمت كيله عزلت زكاته واذا أخذت فى جذاذ النخل طرحت لهم من الثفاريق واذا أخذت فى كيله حثوت لهم منه واذا علمت كيله عزلت زكاته حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال سوى الفريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال يلقى الى السؤال عند الحصاد من السنبل فاذا طبن(٣) أوطين «الشك من أبى جعفر» ألقى اليهم فاذا حمله فأراد أن يجعله كدسا ألقى اليهم واذا داس أطعم منه واذا فرغ وعلم كم كيله عزل زكاته وقال فى النخل عند الجذاذ يطعم من الثمرة والشماريخ فاذا كان عند كيله أطعم من التمر فاذا فرغ عزل زكاته حدثنا عمرو بن على ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد الزرع ألقى من السنبل واذا جذ النخل ألقى من الشماريخ

(٣) كذا فى أصله وحرر

سورة النحل وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وانما قال فى سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل أشياء وتحريم أشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه وأما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شئ مع الله سبحانه ولا تدل على تحريم شئ فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الآية لفظة من دونه مرتين حذف معه نحن لتطرد الآية فى حكم التخفيف أما تفسير الآية فزعمت المعتزلة أنها تدل على قولهم فى مسئلة ارادة الكائنات من سبعة أوجه * الاول أن الذى حكى عن الكفار فى معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما * الثانى قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على أنهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب فى العقول وأنزل فى الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصى بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو

(٦ - ابن جرير - ثامن) تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ أدلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتأخرين فى تكذيب الانبياء وفى دفع دعوتهم عن أنفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى * الثالث قوله حتى ذاقوا بأسنا وذلك يدل على أنهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى فى هذا المذهب * الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار أى لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة * الخامس ان تتبعون الا الظن * السادس وان أنتم الا تخرصون * السابع قل فلله الحجة البالغة

لانه أزال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك أنكم تقولون لو أتينا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم أن يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على أن يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا أن ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف وهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم أجمعين * وبوجه آخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان (٤٢) تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضى أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوا جميع أهل الاديان ولا تعادوهم * أجابت الاشاعرة بأنا قد بينا بالدلائل القاطعة من أول القرآن الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تأويل هذه الآية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى فى ابطال دعوة الانبياء وفى ان التكليف عبث فبين الله تعالى أن ذلك من تكاذيبهم وآكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وأمر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس أول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر آخر الآية معناه وهو قوله فلو شاء لهداكم أجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر تعسف والله أعلم ثم لما أبطل جميع حجج الكفار بين أنه ليس لهم على قولهم شهود فقال (قل هلم) ومعناه اذا كان لازما أقبل واذا كان متعديا أحضر قال الخليل أصله هالم من قولهم لم الله شعثه أى جمعه كأنه قال لم نفسك الينا أى اقرب والهاء للتنبيه واستعطاف المأمور ثم حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث فى لغة أهل الحجاز وأهل نجد يصرفونها هلما هلموا وآتوا هلمى هلممن والاول أفصح وقد يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء أصلها هل أم أرادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى أم اقصد وقيل ان أصل استعماله أن قالوا هل لك فى الطعام أم أى اقصد ثم شاع فى الكل أمر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر أن لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهداء يشهدون لانه ليس الغرض احضار أناس يشهدون بالتحريم وانما

فاذا كاله زكاه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال عند الحصاد وعند الدياس وعند الصرام يقبض لهم منه فاذا كاله عزل زكاته * وبه عن سفيان عن مجاهد مثله الا أنه قال سوى الزكاة حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال شئ سوى الزكاة فى الحصاد والجذاذ اذا حصدوا واذا جذوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح فى قول الله وآتوا حقه يوم حصاده قال واجب حين يصرم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد أطعم واذا أدخله البيدر واذا داسه أطعم منه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أشعث عن ابن عمر قال يطعم المعترسوى ما يعطى من العشر ونصف العشر * وبه عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال قبضة عند الحصاد وقبضة عند الجذاذ حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن ابن سيرين قال كانوا يعطون من اعتر بهم الشئ حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال الضغث حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى مثل الضغث حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا حماد عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال مثل هذا من الضغث ووضع يحيى اصبعه الابهام على المفصل الثانى من السبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال نحو الضغث حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى ضغثا حدثنا عمرو بن على قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم قال كان النخل اذا صرم يجىء الرجل بالعذق من نخله فيعلقه فى جانب المسجد فيجىء المسكين فيضربه بعصاه فاذا تناثر أكل منه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن أو حسين فتناول تمرة فانتزعها من فيه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصدقة ولا أهل بيته فذلك قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران ويزيد بن الاصم قالا كان أهل المدينة اذا صرموا يجيئون بالعذق فيضعونه فى المسجد ثم يجىء السائل فيضربه بعصاه فيسقط منه وهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن جعفر عن زيد وميمون فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قالا كان الرجل اذا جذ النخل يجىء بالعذق فيعلقه فى جانب المسجد فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه فيأكل ما يتناثر منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس وآتوا حقه يوم حصاده قال لقط السنبل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد قال كانوا يعلقون العذق فى المسجد عند الصرام فيأكل منه الضعيف * وبه عن معمر قال قال مجاهد

المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال (فان شهدوا) أى فان وقعت شهادتهم (فلا تشهد معهم) أى لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب ولاجل ذلك قال أيضا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقى الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة

التأويل وهو الذى أنشأ جنات فى القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان (٤٣) والاحسان وغير معروشات هى الصفات

وآتوا حقه يوم حصاده يطعم الشئ عند صرامه **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال الضغث وما يقع من السنبل * وبه عن سالم عن سعيد وآتوا حقه يوم حصاده قال العلف **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال ما قل منه أو كثر **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح وآتوا حقه يوم حصاده قال عند الزرع يعطى القبض وعند الصرام يعطى القبض ويتركهم فيتتبعون آثار الصرام * وقال آخرون كان هذا شيأ أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة ثم نسخته الصدقة المعلومة فلا فرض فى مال كائنا ما كان زرعا كان أو غرسا الا الصدقة التى فرضها الله فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال نسخها العشر ونصف العشر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص عن الحجاج عن الحكم عن ابن عباس قال نسخها العشر ونصف العشر * وبه عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية قال نسخها العشر ونصف العشر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال هذا قبل الزكاة فلما نزلت الزكاة نسختها فكانوا يعطون الضغث **حدثنا** ابن حميد وأبو وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يفعلون ذلك حتى سن العشر ونصف العشر فلما سن العشر ونصف العشر ترك **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال هى منسوخة نسختها العشر ونصف العشر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال نسختها العشر ونصف العشر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر * وبه عن سفيان عن يونس عن الحسن قال نسختها الزكاة * وبه عن سفيان عن السدى قال نسختها الزكاة وآتوا حقه يوم حصاده **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن شبالك عن ابراهيم فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر قلت عمن قال عن العلماء * وبه عن سفيان عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما وآتوا حقه يوم حصاده فكانوا اذا مر بهم أحد يوم الحصاد أو الجذاذ أطعموه منه فنسخها الله عنهم بالزكاة وكان فيما أنبتت الأرض العشر ونصف العشر **حدثنا**

الروحانية التى جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص بالشواهد والاحوال متشابها أعمالها وغير متشابه أحوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوى والقيل والقال وآتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويوم حصاده أوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذى يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع فى الكلام فى غير وقته والحرص على الدعوة قبل أوانها ومن الانعام أى ومن الصفات الحيوانية التى هى مركوزة فى الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد للاكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التحرز عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر

ما ينبغى انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات أخر كلها محمودة اذا استعملت فى محالها وبمقدار ما ينبغى من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والضأن والمعز من جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحولية والذكر من الضأن والمعز هما صفة شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية والجهولية وأنثاهما الحولية والاستسلام للاستعمال فبهذه الصفات

ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن يونس عن الحسن قال كانوا يرضخون لقرابتهم من المشركين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية وآتوا حقه يوم حصاده قال نسخه العشر ونصف العشر كانوا يعطون اذا حصدوا واذا ذروا فنسختها العشر ونصف العشر

* وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرج جهاز روعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ الا بعد الدياس والتنقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ الا بعد الجفاف فاذا كان ذلك كذلك وكان قوله جل ثناؤه وآتوا حقه يوم حصاده بنبئ عن أنه أمر من الله جل ثناؤه بايتاء حقه يوم حصاده وكان يوم حصاده هو يوم جذه وقطعه والحب لا شك أنه في ذلك اليوم في سنبله والثمر وان كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه وكانت الصدقة من الحب انما تؤخذ بعد دياسه وتذريته وتنقيته كيلا والتمر انما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلا علم ان ما يؤخذ صدقة بعد حين حصده غير الذي يجب ايتاؤه المساكين يوم حصاده فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك ايجابا من الله في المال حقا سوى الصدقة المفروضة قيل لانه لا يخلو أن يكون ذلك فرضا واجبا أو نفلا فان يكن فرضا واجبا فقد وجب أن يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التي من فرط في أدائها الى أهلها كان بربه آثما ولأمره مخالفا وفي قيام الحجة بأن لا فرض لله في المال بعد الزكاة يجب وجوب الزكاة سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبئ عن أن ذلك ليس كذلك أو يكون ذلك نفلا فان يكن ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الخيار في اعطاء ذلك الى رب الحرث والثمر وفي ايجاب القائلين بوجوب ذلك ما ينبئ عن ان ذلك ليس كذلك واذا خرجت الآية من أن يكون مرادا بها الندب وكان غير جائز أن يكون لها مخرج في وجوب الفرض بها في هذا الوقت علم أنها منسوخة ومما يؤيد ما قلنا في ذلك من القول دليلا على صحته انه جل ثناؤه أتبع قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومعلوم أن من حكم الله في عباده مذ فرض في أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم واذا كان ذلك كذلك فما وجه نهي رب المال عن الاسراف في ايتاء ذلك والآخذ مجبر وانما يأخذ الحق الذي فرض الله فيه فان ظن ظان أن ذلك انما هو نهي من الله القيم بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدي في مال رب المال والتجاوز الى أخذ ما لم يجعل له أخذه فان آخر الآية وهو قوله ولا تسرفوا معطوف على أوله وهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده فان كان المنهي عن الاسراف القيم بقبض ذلك فقد يجب أن يكون المأمور باتيانه المنهي عن الاسراف فيه وهو السلطان وذلك قول ان قاله قائل كان خارجا من قول جميع أهل التأويل ومخالفا المعهود من الخطاب وكفى بذلك شاهدا على خطئه فان قال قائل وما تنكر أن يكون معنى قوله وآتوا حقه يوم حصاده وآتوا حقه يوم كيله لا يوم فصله وقطعه ولا يوم جذاذه وقطافه فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل وذلك ما حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال

ثنا

ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ﴿القرا آت تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد فخذفوا احدى التاءين الباقون بالتشديد لأجل ادغام تاء التفعل فى الذال وأن هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلى وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطى بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمى فتفرق بتشديد التاء البزى وابن فليح أن يأتيهم بالياء التحتانية وكذلك فى النحل (٤٥) على وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية

ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله وحدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله يعطى العشر ونصف العشر مع آخرين قد ذكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك قيل لان يوم كيله غير يوم حصاده ولن يخلو معنى قائلى هذا القول من أحد أمرين اما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد الى معنى الكيل فذلك ما لا يعقل فى كلام العرب لان الحصاد والحصد فى كلامهم الجذ والقطع لا الكيل أو يكونوا وجهوا تأويل قوله وآتوا حقه يوم حصاده الى وآتوا حقه بعد يوم حصاده اذا كلتموه فذلك خلاف ظاهر التنزيل وذلك ان الامر فى ظاهر التنزيل بايتاء الحق منه يوم حصاده لا بعد يوم حصاده ولا فرق بين قائل انما عنى الله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده بعد يوم حصاده وآخر قال عنى بذلك قبل يوم حصاده لانهما جميعا قائلان قولا دليل ظاهر التنزيل بخلافه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين﴾ اختلف أهل التأويل فى الاسراف الذى نهى الله عنه بهذه الآية ومن المنهى عنه فقال بعضهم المنهى عنه رب النخل والزرع والثمر والسرف الذى نهى الله عنه فى هذه الآية مجاوزة القدر فى العطية الى ما يجحف برب المال ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنا عاصم عن أبى العالية فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا الآية قال كانوا يعطون شيأ سوى الزكاة ثم تسارفوا فأنزل الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عاصم الأحول عن أبى العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون يوم الحصاد شيأ سوى الزكاة ثم تبار وا فيه وأسرفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عاصم الأحول عن أبى العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون يوم الحصاد شيأ ثم تسارفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلا فقال لا يأتين اليوم أحدا الا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا تسرفوا يقول لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد أم فى كل شئ قال بلى فى كل شئ ينهى عن السرف قال ثم عاودته بعد حين فقلت ما قوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قال ينهى عن السرف فى كل شئ ثم تلا ولم يسرفوا ولم يقتروا حدثنا عمرو بن على قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن أبى بشر قال أطاف الناس بأياس بن معاوية بالكوفة فسألوه ما السرف فقال ما تجاوز أمر الله فهو سرف حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تسرفوا لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء * وقال آخرون الاسراف الذى نهى الله عنه فى هذا الموضع منع الصدقة والحق الذى أمر الله رب المال بايتائه أهله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

فارقوا وكذلك فى الروم حمزة وعلى الباقون فرقوا بالتشديد عشير بالتنوين أمثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربى الى بفتح ياء المتكلم أبو عمرو وأبو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياى بالسكون نماتى بالفتح أبو جعفر ونافع الباقون بالعكس وأنا أول بالمد نافع وأبو جعفر

﴿الوقوف شيأ ط للحذف أى وأحسنوا بالوالدين احسانا ج لابتداء النهى مع احتمال العطف أى وأن لا تقتلوا من املاق ط واياهم ج للعطف مع العارض وما بطن ط للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد الايصاء للاحكام تعقلون ٥ أشده ج للفصل بين الحكمين بالقسط ط لاحتمال ما بعده الحال أو الاستئناف ذا قربى ج لتناهى جواب اذا وتقدم مفعول أوفوا تذكرون ٥ لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون ٥ يؤمنون ٥ ترجعون ٥ لا لأن التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا من قبلنا ص لغافلين ٥ لا للعطف أهدى منهم ج للفاء مع أن قد لتوكيد الابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها ط يصدفون ٥ بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون ٥ فى شئ ط يفعلون ٥ أمثالها ج لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون ٥ مستقيم ج لاحتمال أن دينا نصب على البدل من محل الى صراط أو على الاغراء أى الزموا حنيفا ج لابتداء النفى مع اتحاد المعنى المشركين ٥ العالمين ٥ لا شريك له ج المسلمين ٥ كل شئ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار الاعليها ج لتفصيل الأمرين على التهويل مع اتفاق الجملتين أخرى ج لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ٥

آتاكم ط العقاب ز للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف أوضح رحيم ٥ ﴿التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم أتبعه البيان الشافي في الباب فقال (قل تعالوا) وهو من الخاص الذي صار عاما لان أصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم فالعائد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا بأتل أو بحرم واما منصوب بحرم على أن ما استفهامية فلا راجع والمعنى أقل (٤٦) أي شئ حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما أجمله في قوله ما حرم فيلزم أن يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب أن المراد من التحريم البيان المضبوط أو الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتدأ فقال عليكم أن لا تشركوا أو أن مفسرة أي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح وأما الاوامر فيعلم بالقرينة أن التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز أن يجعل أن ناصبة والا لزم عطف الطلب أعني الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة أحسن بيان وذلك أن منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فأشار اليهم بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين أبطل قولهم بقوله لا أحب الآفلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي بقوله لا تشركوا به شيأ ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة أن جعله تاليا لتوحيده ثم أوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى (من املاق) أي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الآية الاخرى ولا تقتلوا أبو أولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك أزيل ذلك الوهم بقوله (نحن نرزقكم واياهم) فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال شمر أملق لازم ومتعد أملق الرجل اذا افتقر وأملق الدهر ما عنده اذا أفسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الآية من املاق بكم نحن

قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرني أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليم وغيره عن سعيد بن المسيب في قوله ولا تسرفوا قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا محمد بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والسرف أن لا يعطي في حق * وقال آخرون انما خوطب بهذا السلطان نهي أن يأخذ من رب المال فوق الذي ألزم الله ماله ذكر من قال ذلك **حدثنا** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تسرفوا قال قال للسلطان لا تسرفوا لا تأخذوا بغير حق فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس يعني قوله كلوا من ثمره اذا أثمر الآية * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى بقوله ولا تسرفوا عن جميع معاني الاسراف ولم يخصص منها معنى دون معنى واذ كان ذلك كذلك وكان الاسراف في كلام العرب الاخطاء باصابة الحق في العطية اما بتجاوز حده في الزيادة واما بتقصير عن حده الواجب كان معلوما ان المفرق ماله مباراة والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته مسرف بتجاوزه حد الله الى ما كيفته له وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه وذلك كمنعه ما ألزمه ايتاءه منه أهل سهمان الصدقة اذا وجبت فيه أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها وكذلك السلطان في أخذه من رعيته مالم يأذن الله بأخذه كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الاسراف بقوله ولا تسرفوا في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم اذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بايتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده فان الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الامور والحكم بها على العام بل عامة آي القرآن كذلك فكذلك قوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى الاسراف أنه على ما قلنا قول الشاعر

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما في عطائهم من ولا سرف

يعني بالسرف الخطأ في العطية ﴿القول في تأويل قوله ﴿ومن الانعام حمولة وفرشا﴾ يقول تعالى ذكره وأنشأ من الانعام حمولة وفرشا مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات والحمولة ما حمل عليه من الابل وغيرها والفرش صغار الابل التي لم تدرك أن يحمل عليها * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم الحمولة ما حمل عليه من كبار الابل ومسانها والفرش صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار من الابل وفرشا الصغار من الابل * وقال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الابل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد قال الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل * وبه عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا

نرزقكم وإياهم وهنالك زيدت الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم وإياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ماظهر منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال أمره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم أفرز من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق (٤٧) وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم صدر عنها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق وينخرط في سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل أن الأصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا لأمر منفصل ثم لما بين النواهي الخمسة أتبعه الكلام الذي يقرب الى القلوب القبول فقال (ذلكم وصاكم) لما في لفظ التوصية من الرأفة والاستعطاف ومعنى (لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا ثم ذكر أربعة أنواع أخر من التكاليف وذلك قوله (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي) أي بالخصلة أو الطريقة التي (هي أحسن) وهي السعي في تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله كما مر في أول سورة النساء (حتى يبلغ أشده) أي احفظوا ماله الى هذه الغاية أي أوان الاحتلام ولكن بشرط أن يؤنس منه الرشد قال الفراء واحد الأشد شد في القياس ولم يسمع وقال أبو الهيثم الواحد شدة كنعمة والشدة القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نظير لهما (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والسوية وايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان أي الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا أمر الله المعطي بايفاء ايتاء ذي الحق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال (لا نكلف نفسا الا وسعها) ليعلم أن الواجب هو القدر الممكن من العدالة والسوية لا التحقيق المؤدي الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حيث لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع انه لا قدرة له عليه أو يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه ويعرض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان) المقول له أو عليه

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وفرشا قال صغار الابل
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص
عن عبد الله في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار والفرش الصغار حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود في قوله حمولة
وفرشا الحمولة ما حمل من الابل والفرش هن الصغار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن
جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله أنه قال في هذه الآية حمولة
وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه من الابل والفرش الصغار * قال ابن المثنى قال محمد قال شعبة انما
كان حدثني سفيان عن أبي اسحق حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن
أبيه قال قال الحسن الحمولة من الابل والبقر وقال بعضهم الحمولة من الابل ومالم يكن من الحمولة
فهو الفرش حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن
حمولة وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه والفرش حواشيها يعني صغارها حدثني محمد بن سعد قال
ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا
فالحمولة ما حمل من الابل والفرش صغار الابل الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل ويقال الحمولة من
البقر والابل والفرش الغنم * وقال آخرون الحمولة ما حمل عليه من الابل والخيل والبغال وغير ذلك
والفرش الغنم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية
عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا فأما الحمولة فالابل والخيل والبغال
والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبي
جعفر عن الربيع بن أنس الحمولة من الابل والبقر وفرشا المعز والضأن حدثنا بشر بن معاذ قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الانعام حمولة وفرشا قال أما الحمولة فالابل والبقر
قال وأما الفرش فالغنم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كان
غير الحسن يقول الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد
ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن الانعام حمولة وفرشا اما الحمولة فالابل وأما الفرش
فالفصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت
أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله حمولة وفرشا الحمولة الابل والفرش
الغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن الحسن وفرشا قال الفرش الغنم
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة ما تركبون
والفرش ما تأكلون وتحلبون شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من أصوافها لحافا وفرشا *
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الحمولة هي ما حمل من الانعام لان ذلك من صفتها
اذا حملت لا أنه اسم لها كالابل والخيل والبغال واذا كانت انما سميت حمولة لانها تحمل فالواجب
أن يكون كل ما حمل على ظهره من الانعام فحمولة وهي جمع لا واحد لها من لفظها كالركوبة

(ذا قربى) حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهى والاولى أن يحمل على الأقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل فى الدعاء الى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهى وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوى فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا الى رضا الله وختم الاوامر بقوله (وبعهد الله أوفوا) كما قال (٤٨) أوفوا بالعقود ويندرج فى هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة (وان هذا صراطى) من قرأ بالفتح والتخفيف فبا عماله فى ضمير الشأن والتقدير تعالوا اتل ما حرم وأتل انه هذا صراطى وكذا فيمن قرأ بالتشديد وبالفتح الا أن ضمير الشأن لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله أى ذلكم وصاكم به وبان هذا أو بما بعده والتقدير وبان هذا صراطى مستقيما (فاتبعوه) ومن كسر فلأن التلاوة فى معنى القول أو على الاستئناف والمعنى اتبعوا صراطى انه مستقيم (ولا تتبعوا السبل) المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم) الباء للتعدية أى فيفرقكم ذلك الاتباع (عن سبيله) المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية فهذه الآية بالحقيقة اجمال لما فى الآيتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد وختم الأولى بقوله لعلكم تعقلون لانها أمور ظاهرة جلية يكفى فى تعقلها أدنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكور فيها أمور خفية تحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال أو نقول الأمور الخمسة المذكورة فى الآية الاولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا فختم الآية بأن عاقل الانسان من أشرف السجايا وهو العقل الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة فى الثانية فأشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون أى تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله (ثم آتينا موسى الكتاب) معطوف على وصاكم فسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل وأجيب بأن التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف

والجزورة وكذلك الفرش انما هو صفة لما لطف فقرب من الارض جسمه ويقال له الفرش وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها فى استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الارض وهى الارض المستوية التى يتوطؤها الناس فأما الحمولة بضم الحاء فانها الاحمال وهى الحمول أيضا بضم الحاء

القول فى تأويل قوله ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين﴾ يقول جل ثناؤه كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون فأحل لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ولحوم أنعامكم اذ حرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللشيطان مثله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ولا تتبعوا خطوات الشيطان كما اتبعها بالحرو البحيرة وسيبوا السوائب فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذى رزقكم ما حرموه فتطيعوا بذلك الشيطان وتعصوا به الرحمن كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تتبعوا طاعته هى ذنوب لكم وهى طاعة للخبيث ان الشيطان لكم عدو يبغى هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم مبين قد أبان لكم عداوته بمناصبته أباكم بالعداوة حتى أخرجه من الجنة بكيده وخدعه وحسده منه له وبغيا عليه

القول فى تأويل قوله ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين﴾ وهذا تقريع من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وتعليم منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به الحجة عليهم فى تحريمهم ما حرموا من ذلك فقال للمؤمنين به وبرسوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ومن الانعام أنشأ حمولة وفرشا ثم بين جل ثناؤه الحمولة والفرش فقال ثمانية أزواج وانما نصب الثمانية لانها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها كأن معنى الكلام ومن الانعام أنشأ ثمانية أزواج فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد فقال ثمانية أزواج على ذلك المعنى من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فذلك أربعة لان كل واحد من الاثنين من الضأن زوج فالأنثى منه زوج الذكر والذكر منه زوج الانثى وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان فلذلك قال جل ثناؤه ثمانية أزواج كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين لان الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر فهما وان كانا اثنين فهما زوجان كما قال جل ثناؤه وجعل منها زوجها ليسكن اليها وكما قال أمسك عليك زوجك وكما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك من الضأن اثنين ذكر وأنثى ومن البقر اثنين ذكر وأنثى ومن الابل اثنين ذكر وأنثى ويقال للاثنين هما زوج كما قال لبيد

من كل محفوف يظل عصيه ✻ زوج عليه كلة وقرامها

ثم قال لهم كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون فلا تتبعوا خطوات الشيطان فى تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمر يأتيهم بذلك قل يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما حرموا من الحرث والانعام اتباعا للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا

بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس أن هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لأول شئ فى التوراة وأما الشرائع التى كانت التوراة مختصة بها فهى انما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان فى الآية حذفا تقديره (٤٩) ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى اتل ما أوحى اليك ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله (تماما على الذى أحسن) مفعول له أى لتتم نعمتنا على الذى أحسن أى على من كان محسنا صالحا أو المراد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ وكل ما أمر به أو تماما على الذى أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشئ اذا أجاد معرفته أى زيادة على علمه وقرئ أحسن بالرفع أى على الذى هو أحسن دين وأرضاه (وتفصيلا لكل شئ) فيدخل فى ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه (وهدى) دلالة (ورحمة) لكى يؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب (وهذا كتاب أنزلناه) لاشك أنه القرآن (مبارك) كثير الخير والنفع أو ثابت لا يتطرق اليه النسخ كما فى الكتابين (فاتبعوه واتقوا) لكى ترحموا الان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى أو اتقوا الترجو جزاء على التقوى أو اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة قال الفراء قوله (أن تقولوا) مفعول واتقوا وقال الكسائى التقدير انا أنزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا أنزلناه كراهة أن تقولوا والخطاب لاهل مكة (انما أنزل الكتاب)

أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من ذلك آلذكرين حرم ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز فانهم ان ادعوا ذلك وأقروا به كذبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم لانهم اذا قالوا يحرم الذكرين من ذلك أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمعز وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها وفى ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم أم الأنثيين فانهم ان قالوا حرم ربنا الأنثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها وفى ذلك أيضا تكذيب لهم ودحض دعواهم أن ربهم حرم ذلك عليهم اذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يقول أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يعنى أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز فلذلك قال أرحام الأنثيين وفى ذلك أيضا لو أقروا به فقالوا حرم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين بطول قولهم وبيان كذبهم لانهم كانوا يقرون باقرارهم بذلك أن الله حرم عليهم ذكور الضأن والمعز واناثها أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها واناثها وما التى فى قوله أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نصب عطفا بها على الأنثيين نبؤنى بعلم يقول قل لهم خبرونى بعلم ذلك على صحته أى ذلك حرم ربكم عليكم وكيف حرم ان كنتم صادقين فيما تحلونه ربكم من دعواكم وتضيفونه اليه من تحريمكم وانما هذا اعلام من الله جل ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيأ من ذلك وأنهم انما اتبعوا فى ذلك خطوات الشيطان وخالفوا أمره وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الآية ان كل هذا لم أحرم منه قليلا ولا كثيرا ذكرا ولا أنثى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال سلهم آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أى لم أحرم من هذا شيأ بعلم ان كنتم صادقين فذكر من الابل والبقر نحو ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ثمانية أزواج فى شأن ما نهى الله عنه من البحيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثمانية أزواج قال هذا فى شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسيب قال ابن جريج يقول من أين حرمت هذا من قبل الذكرين أم من قبل الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين وانها لا تشتمل الا على ذكر أو أنثى فمن أين جاء التحريم فأجابوا هم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين يقول أنزل لكم ثمانية أزواج من هذا الذى عددت ذكر وأنثى فالذكرين حرمت عليكم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يقول أى ما اشتملت عليه أرحام الانثيين ما تشتمل الا على ذكر أو أنثى فما حرمت عليكم ذكرا ولا أنثى من الثمانية انما ذكر هذا من أجل ما حرموا من الانعام حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال

(٧ - ابن جرير - ثامن) أى التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى (وان كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام فى (لغافلين) هى الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا (لكنا أهدى منهم) لحدة أذهانهم وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأمثالها مع كونهم أميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال (فقد جاءكم) أى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو أنزل عليكم الكتاب لكنتم أهدى منهم فقد جاءكم (بينة من ربكم) فيما يعلم سمعا (وهدى) فيما يعلم سمعا وعقلا (ورحمة

من الله فى صلاح المعاش والمعاد (فمن أظلم) بعد هذه المعجزات والبينات (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أى منع غيره منها لان الاول ضلال والثانى اضلال ثم ختم الآية بأشد الوعيد وأبلغ التهديد ثم ذكرانهم بعد نصب الأدلة وازاحة العذر لا يؤمنون البتة وشرح أحوالا توجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال (هل ينظرون) أى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفى وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجىء أحد هذه الامور مجىء الملائكة أو مجىء الرب ويعنى به عذابه (٥٠) وبأسه كما سلف فى البقرة أو مجىء المعجزات القاهرة قال فى الكشاف الملائكة ملائكة الموت أو ملائكة العذاب ومجىء الرب مجىء كل آية ثم قال (يوم يأتى بعض آيات ربك) وأجمعوا على ان المراد بهذه الآيات علامات القيامة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر أمر الساعة اذ أشرف النبى صلى الله عليه وآله فقال أتتذاكرون الساعة انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن والمراد أنه اذا بدت أشراط الساعة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفسا ما كسبت فى ايمانها خيرا ثم أوعدهم بقوله (قل انتظروا انا منتظرون) ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله (ان الذين فارقوا دينهم) أو فرقوا ومعنى القراءتين فى الحقيقة واحد لان الذى فرق دينه بعضا أنه أقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه أى تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا أى فرقا واخوانا فى الضلالة والشيعة كل فرقة تشيع امامالها وقال مجاهد وقتادة هم اليهود والنصارى تفرقوا فرقا وكفر بعضهم ببعض وأخذوا ببعضا وتركوا بعضا كقوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وعن مجاهد أيضا أنهم من هذه الامة وهم أهل البدع والشبهات وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة (لست منهم فى شئ) أى انك بعيد من أقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل

ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن أما اشتملت عليه أرحام الانثيين قال ما حملت الرحم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل آلذكرين حرم أم الانثيين قال هذا القول لهم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال وقال ابن زيد فى قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال الانعام هى الابل والبقر والضأن والمعز هذه الانعام التى قال الله ثمانية أزواج قال وقال فى قوله هذه أنعام وحرث حجر تحتجرها على من تريد وعمن تريد وقوله وأنعام حرمت ظهورها قال لا يركبها أحد وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها فقال آلذكرين حرم أم الأنثيين أى هذين حرم على هؤلاء أى ان تكون لهؤلاء حل وعلى هؤلاء حرام **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يعنى هل تشتمل الرحم الا على ذكر أو أنثى فهل يحرمون بعضا ويحلون بعضا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فهذه أربعة أزواج ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين يقول لم أحرم شيأ من ذلك نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين يقول كله حلال والضأن جمع لا واحد له من لفظه وقد يجمع الضأن الضئين والضئين مثل الشعير والشعير كما يجمع العبد على عبيد وعبيد وأما الواحد من ذكوره فضائن والانثى ضائنة وجمع الضائنة ضوائن وكذلك المعز جمع على غير واحد وكذلك المعزى وأما الماعز فجمعه مواعز ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ وتأويل قوله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نحو تأويل قوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وهذه أربعة أزواج على نحو ما بينا من الازواج الاربعة قبل من الضأن والمعز فذلك ثمانية أزواج كما وصف جل ثناؤه وأما قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم فانه أمر من الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم فى هذه الآيات التى مضت يقول له عز ذكره قل لهم يا محمد أى هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الازواج الثمانية فان أجابوك عن شئ مما سألتهم عنه من ذلك فقل لهم أخبرا قالتم ان الله حرم هذا عليكم أخبركم به رسول عن ربكم أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذى تقولون وتردون على الله فان هذا الذى تقولون من اخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون لا يعلم الا بوحى من عنده مع رسول يرسله الى خلقه أو بسماع منه فبأى هذين الوجهين علمتم أن الله حرم ذلك كذلك برسول أرسله اليكم فأنبؤنى بعلم ان كنتم صادقين أم شهدتم ربكم فأوصاكم بذلك وقال لكم حرمت ذلك عليكم فسمعتم تحريمه منه وعهده اليكم بذلك فانه لم يكن

واحد

مقصور عليهم لا يتعداهم اليك وقال السدى معناه لم تؤمر بقتالهم فلما أمر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهى عن القتال فى وقت لا ينافى الامر فى وقت آخر فلا نسخ (انما أمرهم الى الله) بالاستئصال والاهلاك (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) وفيه من الوعيد ما فيه وفى الآية حث على أن كلمة المسلمين يجب أن تكون واحدة ليستأهلوا الثواب الجزيل كما قال (من جاء بالحسنة) هى لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم (فله عشر أمثالها) أقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره (٥١) عشر حسنات أمثالها كقراءة من قرأ عشر أمثالها بالرفع والتنوين قيل هذا أقل الموعود وقد وعد سبعمائة وبغير حساب وقيل ليس المراد التحديد بل أراد الاضعاف مطلقا كقول القائل لئن أسديت الىّ معروفا لأكافئنك بعشرة أمثاله وفى الوعيد لئن كلمتنى واحدة لأكلمنك عشرا روى أبو ذر أن النبى صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أغفر فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة وان لم يعملها فان عملها فعشر أمثالها وان هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فسيئة (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سياتهم * أسئلة * ما الحكمة فى الاضعاف جوابه كان للامم أعمار طويلة وطاعات كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خيرا من ألف شهر وأضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأيضا لو أن الخصماء يتعلقون بهم يوم القيامة فيذهبون بأعمالهم الى أن تبقى الأضعاف فيقول الله أضعافهم ليست من فعلهم هى من رحمتى فلا أقتص منهم أبدا * آخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه أن الكافر كان على عزم الكفر لو عاش أبدا فاستحق العقاب الابدى بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم تكون عقوبته منقطعة وأيضا الذى جهله الكافر وهو ذات القديم سبحانه وصفاته شئ لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه * آخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو فى كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام أيام قلائل * آخر أحدث فى رأس انسان موضحتين فوجب أرشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب أرش موضحة واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب * آخر قد يجتمع بسبب أطراف تبان ولطائف تزال

واحد من هذين الامرين يقول جل ثناؤه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يقول فمن أشد ظلما لنفسه وأبعد عن الحق ممن تخرص على الله قيل الكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم وتحليل ما لم يحلل ليضل الناس بغير علم يقول ليصدهم عن سبيله ان الله لا يهدى القوم الظالمين يقول لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم كفرا بالله وجحودا لنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الذى تقولون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كانوا يقولون يعنى الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب ان الله أمر بهذا فقال الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ولشركائهم من الآلهة والانداد مثله والقائلين هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم والمحرمين من أنعام أخر ظهورها والتاركين ذكر اسم الله على أخر منها والمحرمين بعض ما فى بطون بعض أنعامهم على اناثهم وأزواجهم ومحلليه لذكورهم المحرمين ما رزقهم الله افتراء على الله واضافة منهم ما يحرمون من ذلك الى أن الله هو الذى حرمه عليهم أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم فأنبؤنا به أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه فانكم كذبة ان ادعيتم ذلك ولا يمكنكم دعواه لأنكم اذا ادعيتموه علم الناس كذبكم فانى لا أجد فيما أوحى الىّ من كتابه وآى تنزيله شيأ محرما على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرمه من هذه الانعام التى تصفون تحريم ما حرم عليكم منها بزعمكم الا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية أو دما مسفوحا وهو المنصب أو الا أن يكون لحم خنزير فانه رجس أو فسقا يقول أو الا أن يكون فسقا يعنى بذلك أو الا أن يكون مذبوحا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الاوثان لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثنه فان ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرمه ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك لانه ميتة وهذا اعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبى الله وأصحابه فى تحريم الميتة بما جادلوهم به أن الذى جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذى حرمه الله وأن الذى زعموا أن الله حرمه حلال قد أحله الله وأنهم كذبة فى اضافتهم تحريمه الى الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما قال كان أهل الجاهلية يحرمون أشياء ويحللون أشياء فقال قل لا أجد مما كنتم تحرمون وتستحلون الا هذا الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما الآية قال كان

ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد ترتقى الى نيف وعشرين الاذنان أو ابطال حسهما العينان أو البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان أو النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر والانثيان الحلمتان الشفران الاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء أو الاحبال ابطال لذة الطعام الافضاء البطش المشى وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجات فان عاد الجانى قبل الاندمال وحز الرقبة أو قده بنصفين لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على أن رعاية المماثلة غير معتبرة فى الشرع

والجواب عن الاسئلة الثلاثة أن هذه الامور من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن أن يجاب عن الثالث بأن بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل فى دية النفس لعسر ضبط ذلك والجزاء الحقيقى موكول الى يوم الجزاء والله أعلم قال أهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لأن الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التى لا تكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائى العشرة تفضل والثواب غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم أن يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال آخرون لا يبعد أن يكون الواحد ثوابا الا أنه يكون أعلى شأنا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه وآله أنواع الدلائل والرد على أصناف المشركين وبالغ فى تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على أهل الجاهلية أباطيلهم أمره بأن يقول (انني هدانى ربى) ليعلم أن الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل وقيما فيعل من قام كسيد من ساد ومن قرأ قيما فعلى أنه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة و(ملة ابراهيم) عطف بيان و(حنيفا) حال من ابراهيم أو من الملة والمعنى هدانى وعرفنى ملة ابراهيم حال كونه أو كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال فى صفة ابراهيم قالت (وما كان من المشركين) ردا على من زعم عليه شيأ من ذلك ثم كما عرفه الدين القويم والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤديه فقال (قل ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى وتقربى اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابى أنه قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك ههنا الذبائح جمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله فصل لربك

أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرمون أشياء فقال الله لنبيه قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما مما كنتم تستحلون الا هذا وكانت أشياء يحرمونها فهى حرام الآن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه قال ما يؤكل قلت فى الجاهلية قال نعم وكذلك كان يقول الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا * قال ابن جريج وأخبرنى ابراهيم بن أبى بكر عن مجاهد قل لا أجد فيما أوحى الى محرما قال مما كان فى الجاهلية يأكلون لا أجد محرما من ذلك على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وأما قوله أو دما مسفوحا فان معناه أو دما مسالا مهراقا يقال منه سفحت دمه اذا أرقته أسفحه سفحا فهو دم مسفوح كما قال طرفة بن العبد

إنى وجدك ما هجوتك والأنصاب يسفح فوقهن دم

وكما قال عبيد بن الابرص

اذا ما عاده منا نساء * سفحن الدمع من بعد الرنين

يعنى صببن وأسلن الدمع وفى اشتراطه جل ثناؤه فى الدم عند اعلامه عباده تحريمه اياه المسفوح منه دون غيره الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحا فحلال غير نجس وذلك كالذى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة أو دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه الا أنه قال لاتبع المسلمون **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه **حدثنا** أبو كريب قال أخبرنا وكيع عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى القدر يعلوها الحمرة من الدم قال انما حرم الله الدم المسفوح **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز قال سألته عن الدم وما يتلطخ بالمذبح من الرأس وعن القدر يرى فيها الحمرة قال انما نهى الله عن الدم المسفوح **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو دما مسفوحا قال حرم الدم ما كان مسفوحا وأما الحم خالطه دم فلا بأس به **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا يعنى مهراقا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أخبرنى ابن دينار عن عكرمة او دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا وقرأت هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يحيى بن سعيد قال ثنى القاسم بن محمد عن عائشة

والنحر وقيل صلاتي وحجي أخذا من مناسك الحج (ومحياي ومماتي) أي حياتي وموتي مصدران ميميان وقال في الكشاف المراد وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه أنه لا يكفي في العبادات أن يؤتى بها كيف كانت بل لا بد أن يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين (وبذلك) من الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام أمته وقال في التفسير الكبير انه تعالى أمر رسوله أن يبين أن صلاته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك أن المحيا والممات بخلق الله فكذا الصلاة والنسك وبذلك من التوحيد أمرت ثم لما أمر نبيه بالتوحيد المحض أمره أن يذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال (قل أغير الله أبغي ربا) وتقريره أن طوائف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب ومن اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بأن الله تعالى خالق الكل فكأنه سبحانه قال قل يا محمد منكرا أغير الله أطلب ربا مع أن هؤلاء الذين اتخذوا من دونه آلهة مقرون بأنه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى وبوجه آخر الموجود اما واجب لذاته أو ممكن لذاته وقد ثبت أن الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو اذن رب كل شئ وصريح العقل شاهد بأن المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل القاطع على التوحيد ذكر أنه لا يرجع اليه من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال (ولا تكسب كل نفس الا عليها) ومعناه أن اثم الجاني عليه لا على غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تؤخذ نفس آثمة باثم نفس أخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين أن رجوع هؤلاء المشركين الى موضع لا حاكم هناك الا الله تعالى فقال (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط والمعاد على سبيل الاجمال فقال (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) قيل الخطاب لبني آدم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة محمد صلى الله عليه وآله لأنه خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الشرف

قالت (٣) وذكرت هذه الآية أو دما مسفوحا قلت وان البرمة ليرى في مائها الصفرة وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا وأنه النجس والنتن وما يعصى الله به بشواهده فاغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك القول في معنى الفسق وفي قوله أهل لغير الله به قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفق لفهمه عن تكراره واعادته * واختلفت القراء في قراءة قوله الا أن يكون ميتة فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة الا أن يكون بالياء ميتة مخففة الياء منصوبة على أن في يكون مجهولا والميتة فعل له فنصبت على انها فعل يكون وذكروا يكون لتذكير المضمر في يكون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والكوفة الا أن تكون بالتاء ميتة بتخفيف الياء من الميتة ونصبها وكأن معنى نصبهم الميتة معنى الاولين وأنثوا تكون لتأنيث الميتة كما يقال انها قائمة جاريتك وانه قائم جاريتك فيذكر المجهول مرة ويؤنث أخرى لتأنيث الاسم الذي بعده وقرأ ذلك بعض المدنيين الا أن تكون ميتة بالتاء في تكون وتشديد الياء من ميتة ورفعها لجعل الميتة اسم تكون وأنث تكون لتأنيث الميتة وجعل تكون مكتفية بالاسم دون الفعل لان قوله الا أن تكون ميتة استثناء والعرب تكتفي في الاستثناء بالاسماء عن الافعال فيقولون قام الناس الا أن يكون أخاك والا أن يكون أخوك فلا تأتي ليكون بفعل وتجعلها مستغنية بالاسم كما يقال قام القوم الا أخاك والا أخوك فلا يعتد الاسم الذي بعد حرف الاستثناء نفلا * والصواب من القراءة في ذلك عندي الا أن يكون بالياء ميتة بتخفيف الياء ونصب الميتة لان الذي في يكون من المكنى من ذكر المذكر وانما هو فعل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ذلك ميتة أو دما مسفوحا فأما قراءة ميتة بالرفع فانه وان كان في العربية غير خطا فانه في القراءة في هذا الموضع غير صواب لأن الله يقول أو دما مسفوحا فلا خلاف بين الجميع في قراءة الدم بالنصب وكذلك هو في مصاحف المسلمين وهو عطف على الميتة فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله أو فسقا مرفوعين ولكنهما منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب ۞ القول في تأويل قوله ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم﴾ وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأن معناه فمن اضطر الى أكل ما حرم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير أو ما أهل لغير الله به غير باغ في أكله اياه تلذذا الا ضرورة حالة من الجوع ولا عاد في أكله بتجاوزه ما حده الله وأباحه له من أكله وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك الى أكثر منه فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك فان الله غفور فيما فعل من ذلك فساتر عليه بتركه عقوبته عليه ولو شاء عاقبه عليه رحيم بأباحته اياه أكل ذلك عند حاجته اليه ولو شاء حرمه عليه ومنعه منه ۞ القول في تأويل قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ يقول تعالى ذكره وحرمنا على اليهود

---

(٣) فيه اختصار يعلم مما قبله

والعقل والجاه والمال والرزق لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتميز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) فأدخل اللام في قرينة الترغيب وأسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر والتعذيب يصدر عنه بالعرض (٥٤) لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت قريب وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة أصحاب السبت لان ذلك قد ورد عقيب ذكر المسخ فناسب التأكيد باللام وانما أخر قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون أدل على كمال رأفته ووفور احسانه ۞ التأويل من املاق فيه ترك التوكل على الله وعدم الثقة بالله وأوفوا الكيل أوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله أوفوا بأن لا تعبدوا ولا تحجبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى أن الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وسلم تماما على الذي أحسن أي على من أحسن من أمتك اسلامه وفيه أن الكتب المنزلة كلها وشرائع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام ولهذا أمر بأن يقتدى بالانبياء ليجمع بين هداه وهداهم ويحتمل أن يراد بالذي أحسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه أنزلناه مباركا وبركته أنه أنزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة ما بين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله أتم وأكمل مما جاء في الكتابين ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا أن تأتيهم داخل الملائكة عيانا وتسوقهم الى الله قهرا والحاء أو يأتي ربك الهم اذلم يأتوا اليه في متابعتك قل انتظروا للمستحيلات انا منتظرون للمعاد في المعادان الذين فارقوا الدين الحقيقي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المبتدعة والزنادقة والمتزندة رياء وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شئ لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما أمرهم الى الله في بدء الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم

كل ذي ظفر وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وهو البعير والنعامة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال هو الذي ليس بمنفرج الأصابع **حدثني** علي بن الحسين الأزدي قال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال كل شئ (١) متفرق الأصابع ومنه الديك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل ذي ظفر النعامة والبعير **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر فكان يقال البعير والنعامة وأشباههما من الطير والحيتان **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة كل ذي ظفر قال الابل والنعام ظفر يد البعير ورجله والنعام أيضا كذلك وحرم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه وكل شئ ليس بمشقوق الأصابع **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما كل ذي ظفر فالابل والنعام **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيخ عن مجاهد في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قال قلت ما شقا شقا قال كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود البعير والنعامة والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لانها قد فرجت **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قلت للقاسم بن أبي برة وحدثنيه ما شقا شقا قال كل شئ لم يفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكلته اليهود قال انفرجت قوائم الدجاج والعصافير فيهود تأكلها قال ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خف النعامة ولا قائمة الوزين فلا تأكل اليهود الابل ولا النعام ولا الوزين ولا كل شئ لم تنفرج قائمته وكذلك لا تأكل حمار وحش وكان ابن زيد يقول في ذلك بما **حدثني** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الابل فقط ۞ وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه حرم على اليهود كل ذي ظفر فغير جائز اخراج شئ من عموم هذا الخبر الا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه واذا كان ذلك كذلك وكان النعام وكل ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلا في ظاهر التنزيل وجب أن يحكم له بأنه داخل في الخبر اذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخل في الآية خبر عن الله ولا عن رسوله وكانت الامة أكثرها مجمع على أنه فيه

---

(١) لعله غير متفرق ليوافق ما قبله تامل كتبه مصححه

يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قبل ذلك حتى يقدر على الاتيان بتلك الحسنة وهى حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه فى أحسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيآت وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص فى الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع فى أرض النفس والنفس خبيثة لانها أمارة بالسوء والحسنة بذر يزرع فى أرض القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق أنه كما للاعداد ثلاث مراتب الآحاد والعشرات والمئات وبعد ذلك تكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان أربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد فى مرتبة النفس أى اذا صدر عنها يكون واحدا وفى مرتبة القلب يكون بعشر أمثالها وفى مرتبة الروح يكون بمائة وفى مرتبة السر يكون بألف الى أضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء فى القرآن والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى أعلم ورسوله قل انني هداني ربي من أسفل سافلين القالب بجذبة العناية الأزلية ونسكي أي سيري على منهاج الصلاة معراج المؤمن ومحياي أي حياة قلبي وروحي ومماتي أي موت نفسي لطلب رب العالمين والوصول اليه وأنا أول المستسلمين عند الايجاد لأمر كن كما قال أول ما خلق الله نوري قل أغير الله كيف أطلب غير الله وهو حبيبي والمحب لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب كل شئ فيكون ماله لى وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير على لا الى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس أمارة بالسوء

داخل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما ﴾ اختلف أهل التأويل فى الشحوم التى أخبر الله تعالى أنه حرمها على اليهود من البقر والغنم فقال بعضهم هى شحوم الثروب خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قاتل الله اليهود حرم الله عليهم الثروب ثم أكلوا أثمانها * وقال آخرون بل ذلك كان كل شحم لم يكن مختلطا بعظم ولا على عظم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثرب وكل شحم كان كذلك ليس فى عظم * وقال آخرون بل ذلك شحم الثرب والكلى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله حرمنا عليهم شحومهما قال الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول انما حرمه اسرائيل فنحن نحرمه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثروب والكليتين هكذا هو فى كتابى عن يونس وأنا أحسب انه الكلى * والصواب فى ذلك من القول أن يقال ان الله أخبر أنه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما الا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم فكل شحم سوى ما استثناه الله فى كتابه من البقر والغنم فانه كان محرما عليهم وبنحو ذلك من القول تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها وأما قوله الا ما حملت ظهورهما فانه يعنى الاشحوم الجنب وما علق بالظهر فانها لم تحرم عليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا ما حملت ظهورهما يعنى ما علق بالظهر من الشحوم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما ما حملت ظهورهما فالأليات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح قال الأليات مما حملت ظهورهما ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ أو الحوايا ﴾ «قال أبو جعفر» والحوايا جمع واحدها حاوياء وحاوية وحوية وهى ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار وهى بنات اللبن وهى المباعر وتسمى المرابض وفيها الامعاء ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا فالحوايا رفع عطفا على الظهور وما التى بعد الا نصب على الاستثناء من الشحوم وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهى المبعر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أو الحوايا قال المبعر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الحوايا المبعر والمربض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح

والسوء عليها لا لها ولا تزر وازرة وزر أخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا يتألم بعذابها وانما تكون النفس فقط مأخوذة بوزرها معاقبة بما هى أهله وان كان القلب منقلب الحال وأزاغه الله تعالى باصبع القهر الى محاذاة النفس فتصدأ مرآة القلب بصفات النفس وأخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزول عنه الصفاء والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظائف العبودية فيكون مأخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو

الذى جعل كل واحد من بنى آدم وقته خليفة ربه فى الارض وسر الخلافة أن صوره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق بأخلاقه منكم القائم به وبأوامره فى العباد والبلاد ومن الذى رجع القهقرى الى صفات البهائم وأبطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس فى سجين الطبيعة لغفور رحيم لمن وفقه لمرضاته ورفع درجاته الله حسبى

سورة الاعراف مكية ۞ الا خمس آيات واسألهم عن القرية الى قوله وقطعناهم حروفها ١٤٢١٠ كلمها ٣٣٢٥ آياتها مائتان وست

﴿تفسير سورة الاعراف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ ۞ القرا آت يتذكرون بياء الغيبة ثم تاء التفعل ابن عامر والباقون كما مر فى آخر الانعام ۞ الوقوف المص ○ كوفى للمؤمنين ○ أولياء ط تذكرون ○ قائلون ○ ظالمين ○ المرسلين ○ لا للعطف غائبين ○ الحق ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون ○ يظلمون ○ معايش ط تشكرون ○ ۞ التفسير قد تقدم فى أول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص أنا الله أعلم وأفصل وقال السدى معناه أنا المصور وقيل معناه ألم نشرح لك صدرك هؤلاء بدليل فلا يكن فى صدرك حرج منه كما زاد فى الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز أن يكون المص مبتدأ وكتاب يعنى به السورة خبره والجملة بعده صفته له وجاز أن يكون المص خبر مبتدا محذوف وكذا كتاب أى هذه المص هو كتاب أنزل اليك والدليل على أنه منزل من الله تعالى هو أنه ما تلمذ لأستاذ ولا تعلم من معلم ولا طالع

عن مجاهد أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير أو الحوايا قال المباعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير أو الحوايا قال المباعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة والمحاربى عن جويبر عن الضحاك قال المبعر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو الحوايا يعنى البطون غير الثروب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو الحوايا هو المبعر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أو الحوايا قال المباعر وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو الحوايا قال الحوايا المرابض التى تكون فيها الامعاء تكون وسطها وهى بنات اللبن وهى فى كلام العرب تدعى المرابض ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ يقول تعالى ذكره ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما سوى ما حملت ظهورهما أو ما حملت حواياهما فانا أحللنا ذلك لهم والا ما اختلط بعظم فهو لهم أيضا حلال فرد قوله أو ما اختلط بعظم على قوله الا ما حملت ظهورهما فما التى فى قوله أو ما اختلط بعظم فى موضع نصب عطفا على ما التى فى قوله الا ما حملت ظهورهما وعنى بقوله أو ما اختلط بعظم شحم الأليه والجنب وما أشبه ذلك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو ما اختلط بعظم قال شحم الأليه بالعصعص فهو حلال وكل شئ فى القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم فهو حلال حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو ما اختلط بعظم مما كان من شحم على عظم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون﴾ يقول تعالى ذكره فهذا الذى حرمنا على الذين هادوا من الانعام والطير ذوات الاظافير غير المنفرجة ومن البقر والغنم ما حرمنا عليهم من شحومهما الذى ذكرنا فى هذه الآية حرمناه عليهم عقوبة منالهم وثوابا على أعمالهم السيئة وبغيهم على ربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون انما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم فعلنا ذلك بهم ببغيهم وقوله وانا لصادقون يقول وانا لصادقون فى خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود مما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الانعام والطير التى ذكرنا أنا حرمنا عليهم وفى غير ذلك من أخبارنا وهم الكاذبون فى زعمهم أن ذلك انما حرمه اسرائيل على نفسه وأنهم انما حرموه لتحريم اسرائيل اياه على نفسه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يا محمد

كتابا لم يخالط أهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك أربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الاولين والآخرين فان تبقى شبهة فى أنه مستفاد بطريق الوحى القائلون بخلق القرآن زعموا أن الانزال يقتضى الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات وأجيب بأن الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع فى كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف أعراض غير باقية بدليل أنه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالى وعدم الاستقرار فكيف يعقل (٥٧) وصفها بالنزول أجيب بأنه تعالى أحدث هذه

هؤلاء اليهود فيما اخبرنا أنا حرمنا عليهم وحللناه لهم كما بينا فى هذه الآية فقل ربكم ذو رحمة بنا وبمن كان به مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه واسعة تسع جميع خلقه المحسن والمسىء لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ولا من عصاه بالنقمة ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ولا يحرمه ثواب عمله رحمة منه بكلا الفريقين ولكن بأسه وذلك سطوته وعذابه لا يرده اذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شئ والمجرمون هم الذين أجرموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود فقل ربكم ذو رحمة واسعة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كانت اليهود يقولون انما حرمه اسرائيل يعنى الترب وشحم الكليتين فنحن نحرمه فذلك قوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (القول فى تأويل قوله) ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾ يقول جل ثناؤه سيقول الذين أشركوا وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركى قريش لو شاء الله ما أشركنا يقول قالوا احتجارا من الاذعان للحق بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحق وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون من الحروث والانعام على ما قد بين تعالى ذكره فى الآيات الماضية قبل ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وما بعد ذلك لو أراد الله منا الايمان به وافراده بالعبادة دون الاوثان والآلهة وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ما جعلنا لله شريكا ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الاشياء التى نحن على تحريمها مقيمون لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك حتى لا يكون لنا الى فعل شئ من ذلك سبيل اما بأن يضطرنا الى الايمان وترك الشرك به والى القول بتحليل ما حرمنا واما بأن يلطف بنا بتوفيقه فنصير الى الاقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الانداد والاصنام والى تحليل ما حرمنا ولكنه رضى منا ما نحن عليه من عبادة الاوثان والاصنام واتخاذ الشريك له فى العبادة والانداد وأراد ما نحرم من الحروث والانعام فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك قال الله مكذبا لهم فى قيلهم ان الله رضى منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم وراد اعليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم فى ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم يقول كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحق والبيان كذب من قبلهم من فسقة الامم الذين طغوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه وردوا عليهم نصائحهم حتى ذاقوا بأسنا يقول حتى أحطوا فغضبنا عليهم فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه فعطبوا بذوقهم اياه فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة يقول وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم ان هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال

الرقوم فى اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال (فلا يكن فى صدرك حرج) أى شك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما أن المتيقن منفسح الصدر منشرح ومعنى (منه) أى من شأن الكتاب أى لا تشك فى أنه منزل من عند الله أو من تبليغه أى لا يضق صدرك من الأداء وتوجه النهى الى الحرج كقولهم لا أرينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثله قوله تعالى ولا يحدوا فيكم غلظة ظاهره أمر للمشركين وأنه فى الحقيقة أمر للمؤمنين بأن يغلظوا على المشركين وفى متعلق قوله (لتنذر) أقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفى الكلام تقديم وتأخير أى أنزل اليك لتنذر به فلا يكن فى صدرك حرج وفائدة التقديم والتأخير أن الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الأنبارى انه متعلق بالنهى واللام بمعنى كى والتقدير فلا يكن فى صدرك شك كى تقدر على انذار غيرك لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لأن صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب

النظم اللام بمعنى أن كقوله يريدون أن يطفئوا وفى موضع آخر ليطفئوا والتقدير لا يضق صدرك ولا تضعف عن أن تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب أنزله الله عليك واذا علمت أنه تنزيل الله تعالى فاعلم أن عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن فى صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف أحدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالابلاغ والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا تبال بأحد من أهل الضلال والابطال ثم قال (وذكرى للمؤمنين) قال ابن عباس يريد مواعظ

للمصدقين وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم التذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أى للانذار وللذكرى وانما لم نقل على محل لتنذر لان المفعول له يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين (٥٨) والتحقيق فيه أن النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوى ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا أنها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف وأما الصنف الثانى فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها أنوار أرواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وأبصرت مركزها واشتاقت الى ماهنالك من الروح والراحة والريحان فلم تحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت أنه سبحانه أنزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة وذكرى في شأن طائفة ثم كما أمر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوى وعزم صحيح أمر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) ومعنى كونه منزلا اليهم أنهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقرآن والسنة جميعا عن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الآية دلالة على أن تخصيص عموم القرآن بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل واجبة فلو عمل بالقياس لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس لكونه مستفادا من القرآن وهو قوله فاعتبروا تعميل بالقرآن أيضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء أولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم أكد الامر المذكور بقوله (ولا تتبعوا من دونه) أى لا تتخذوا من دون الله (أولياء) من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل أى لا تتبعوا من دون دين الله أولياء احتج نفاة القياس بأن الآية دلت على أنه لا يجوز متابعة غير ما أنزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما أنزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقال كذلك كذب الذين من قبلهم ثم قال ولو شاء الله ما أشركوا فانهم قالوا ما عبدناهم الا لتقربنا الى الله زلفى فأخبرهم الله أنها لا تقربهم وقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول الله سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا حرمنا من شئ قال قول قريش يعني أن الله حرم هذه البحيرة والسائبة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا حرمنا من شئ قول قريش بغير يقين ان الله حرم هذه البحيرة والسائبة فان قال قائل وما برهانك على أن الله تعالى انما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم رضى الله منا عبادة الاوثان وأرادمنا تحريم ما حرمنا من الحروث والانعام دون أن يكون تكذيبه اياهم كان على قولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ وعلى وصفهم اياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون قيل له الدلالة على ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله من النهى عن عبادة شئ غير الله تعالى وتحريم غير ما حرم الله في كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الامم الخالية المكذبة الله ورسوله والتكذيب منهم انما كان لمكذب ولو كان ذلك خبرا من الله عن كذبهم في قيلهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بتخفيف الذال وكان ينسبهم في قيلهم ذلك الى الكذب على الله لا الى التكذيب مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام المحرمين ما هم له محرمون من الحروث والانعام القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم هل عندكم بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه باشراككم في عبادته ما تشركون وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر أو حجة توجب لنا اليقين من العلم فتخرجوه لنا يقول فتظهروا ذلك لنا وتبينوه كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع ان تتبعون الا الظن يقول له قل لهم ان تقولون ما تقولون أيها المشركون وتعبدون من الاوثان والاصنام ما تعبدون وتحرمون من الحروث والانعام ما تحرمون الا ظنا وحسبانا أنه حق وأنكم على حق وهو باطل وأنتم على باطل وان أنتم إلا تخرصون يقول وان أنتم وما أنتم في ذلك كله إلا تخرصون يقول الا تتقولون الباطل على الله ظنا بغير يقين علم ولا برهان واضح ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء

العمل بمقتضى القياس كافر لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقد أجمعت الامة على عدم تكفيره أجاب مثبتو القياس بأن كون القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف بأنكم أثبتم أن الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع أمتي على الضلالة والفرع لا يكون أقوى من الاصل أجاب المثبتون بأن الآيات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوى الظن وحصل الترجيح * ومن الحشوية من أنكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالآية وأجيب بأن العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل العقلية فكيف تذكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال (قليلا ما تذكرون) أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال (وكم من قرية) فوضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتأكيد والبيان أي كثير من القرى (أهلكناها) مثل زيد ضربته وتقدير النصب أيضا عربي جيد وفي الآية حذف لا لقرينة الاهلاك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك أهلها ولكنه يقال التقدير وكم من أهل قرية لقوله (فجاءها بأسنا) والبأس بالأهل أنسب ولقوله (أو هم قائلون) ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا بهلاكهم ولأن معنى البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ردا الى الكلام على اللفظ أو كما يقال الرجال فعلت * وهنا سؤال وهو أن قوله فجاءها بأسنا يقتضي أن يكون الهلاك مقدما على مجيء البأس ولكن الامر بالعكس والعلماء أجابوا بوجوه منها أن المراد حكمنا بهلاكها أو أردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا

لهداكم أجمعين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام القائلين على ربهم الكذب في تحريمهم ما حرموا من الحروث والانعام ان عجزوا عن اقامة الحجة عند قيلك لهم هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا وعن اخراج علم ذلك لك واظهاره وهم لا شك عن ذلك عجزة وعن اظهاره مقصرون لانه باطل لا حقيقة له فالله الذي حرم عليكم أن تشركوا به شيأ وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والانعام الحجة البالغة دونكم أيها المشركون ويعني بالبالغة أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه وقطع عذره اذا انتهت اليه فيما جعلت حجة فيه فلو شاء لهداكم أجمعين يقول فلو شاء ربكم لوفقكم أجمعين للاجماع على افراده بالعبادة والبراءة من الانداد والآلهة والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما احله الله وترك اتباع خطوات الشيطان وغير ذلك من طاعاته ولكنه لم يشأ ذلك فخالف بين خلقه فيما شاء منهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لا حجة لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده وقال فلو شاء لهداكم أجمعين قال لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ۞ القول في تأويل قوله ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الاوثان الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم هلم شهداءكم يقول هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم وأهل العالية من تهامة توحد هلم في الواحد والاثنين والجمع وتذكر في المؤنث والمذكر فتقول للواحد هلم يا فلان وللاثنين والجمع كذلك وللانثى مثله ومنه قول الاعشى

وكان دعا قومه دعوة * هلم الى أمركم قد صرم

ينشدهلم وهلموا وأما أهل السافلة من نجد فانهم يوحدون للواحد ويثنون للاثنين ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال هلم وللواحدة من النساء هلمي وللاثنين هلما وللجماعة من الرجال هلموا وللنساء هلممن قال الله لنبيه فان شهدوا يقول يا محمد فان جاؤك بشهداء يشهدون أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم فلا تشهد معهم فانهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم والمراد به أصحابه والمؤمنون به ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا يقول ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله في تحريم ما حرم وتحليل ما أحل لهم ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة فتكذب بما هم به مكذبون من احياء الله خلقه بعد مماتهم ونشره اياهم بعد فنائهم وهم بربهم يعدلون يقول وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات وجحودهم قيام الساعة

ومنها أن معنى الاهلاك ومعنى مجيء البأس واحد فكأنه قيل وكم من قرية أهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح العطف يوجب المغايرة فالجواب أن الماء قد تجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء البأس جار مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد أن يقال البأس والهلاك يقعان معا

كما يقال أعطيتني فأحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها أن ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير أهلكناهم فجاءهم بأسنا فجاءهم بأسنا فجيء البأس لأن الاهلاك أمارة للحكم بوصول مجيء البأس ومنها أنه من باب القلب الذي يشجع عليه أمن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض وقوله (بياتا) قال الجوهري بيت العدو أي أوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين أو (٦٠) مبيتين ثم قال (أوهم قائلون) والجملة حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءها بأسنا مبيتين أو بائتين أو قائلين وانما حسن ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريب من واو العطف لانها استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرف العطف وبينه جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا أما معنى القيلولة فالمشهور أنها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وكأنه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرفاه والأمن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق أمارة

أيا راقد الليل مسرورا بأوله
ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

فقوم لوط أهلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجيء البأس فقال (فما كان دعواهم) أي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على أنفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على أنفسهم بالشرك وقال أهل اللغة الدعوى ابن اسم يقوم مقام الدعاء حكى سيبويه اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين أي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعواهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز أن يكون نصبا أو رفعا كما سبق في اعراب قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا آجلا فقال (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) نسأل

بالله يعدلون الاوثان والاصنام فيجعلونها له عدلا ويتخذونها له ندا يعبدونها من دونه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا يقول قل أروني الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب وقالوا أمرنا الله به قال الله لرسوله فان شهدوا فلا تشهد معهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا قال البحائر والسيب ﴿القول في تأويل قوله ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والاصنام الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقا يقينا لا الباطل تخرصا تكرصكم على الله الكذب والفرية ظنا ولكن وحيا من الله أوحاه الي وتنزيلا أنزله علي أن لا تشركوا بالله شيأ من خلقه ولا تعدلوا به الأوثان والاصنام ولا تعبدوا شيأ سواه وبالوالدين احسانا يقول وأوصى بالوالدين احسانا وحذف أوصى وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب وأما أن في قوله أن لا تشركوا به شيأ فرفع لان معنى الكلام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم هو أن لا تشركوا به شيأ واذا كان ذلك معناه كان في قوله تشركوا وجهان الجزم بالنهي وتوجيهه لا الى معنى النهي والنصب على توجيه الكلام الى الخبر ونصب تشركوا بأن لا كما يقال أمرتك أن لا تقوم وان شئت جعلت أن في موضع نصب ردا على ما وبيانا عنها ويكون في قوله تشركوا أيضا من وجهي الاعراب نحوما كان فيه منه وأن في موضع رفع ويكون تأويل الكلام حينئذ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أتل أن لا تشركوا به شيأ فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون قوله تشركوا نصبا بأن لا أم كيف يجوز توجيه قوله أن لا تشركوا به على معنى الخبر وقد عطف عليه بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق وما بعد ذلك من جزم النهي قيل جاز ذلك كما قال تعالى ذكره قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم فجعل أن أكون خبرا وأن أسلم ثم عطف عليه وكما قال الشاعر

حج وأوصى بسليمى الأعبدا * أن لا ترى ولا تكلم أحدا * ولا يزل شرابها مبردا

فجعل قوله أن لا ترى خبرا ثم عطف بالنهي فقال ولا تكلم ولا يزل ﴿القول في تأويل قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم فان الله هو رازقكم وإياهم ليس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم والاملاق مصدر من قول القائل أملقت من الزاد فأنا أملق املاقا وذلك اذا فنى زاده وذهب ماله وأفلس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله

المرسل اليهم عما أجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (ولنسئلن المرسلين) عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ثم قال (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة فى سؤال المرسل اليهم بعد ما أخبر عنهم أنهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب أنهم لما أقروا بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم أو التقصير تقريعا وتوبيخا (٦١) فان قيل ما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلتحق كل التقصير بالأمة فيتضاعف اكرام الله تعالى فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع مواجب التقصير ويتضاعف أسباب الخزى والاهانة فى حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان أن القوم لعلهم لا يسئلون عن الأعمال لان الكتب مشتملة عليها ولكنهم يسئلون عن الدواعى التى دعتهم اليها وعن الصوارف التى صرفتهم عنها أو المراد نفى سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة فلا تناقض وفى الآية ابطال قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء ولا على الكفار وفيها أنه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ فى الأرض ولا فى السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها أنه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائبا عن غيره ثم بين أن من جملة أحوال يوم القيامة وزن الأعمال فقال (والوزن) وهو مبتدأ خبره (يومئذ) وقوله (الحق) صفة المبتدأ أى الوزن العدل يوم يسأل الله الأمم ورسلهم وقيل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا أن يكون الحق خبرا و يومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق أنه كائن لا محالة وفى كيفية الميزان قولان الأول ما جاء فى الخبر أنه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرها وكيف توزن فيه وجهان أحدهما أن المؤمن تتصور أعماله بصور حسنة وأعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما أن الوزن يعود الى الصحف التى تكون فيها أعمال العباد يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيامة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام أن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش أحدى كفتى الميزان

ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق الاملاق الفقر قتلوا أولادهم خشية الفقر **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق أى خشية الفاقة **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقتلوا أولادكم من املاق قال الاملاق الفقر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله من املاق قال شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فى قوله من املاق يعنى من خشية فقر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ يقول تعالى ذكره ولا تقربوا الظاهر من الاشياء المحرمة عليكم التى هى علانية بينكم لا تتناكرون ركوبها والباطن منها الذى تأتونه سرا فى خفاء لا تجاهرون به فان كل ذلك حرام وقد قيل انما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن لانهم كانوا يستقبحون من معانى الزنا بعضا وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهى عن ظاهر كل فاحشة و باطنها ولا خبر يقطع العذر بأنه عنى به بعض دون جميع وغير جائز احالة ظاهر كتاب الله الى باطن الا بحجة يجب التسليم لها ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال الآية خاص المعنى **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن أما ما ظهر منها فزوانى الحوانيت وأما ما بطن فما خفى **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا و يرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ما ظهر منها يعنى العلانية وما بطن يعنى السر **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال كانوا فى الجاهلية لا يرون بالزنا بأسا فى السر و يستقبحونه فى العلانية فحرم الله الزنا فى السر والعلانية * وقال آخرون فى ذلك بمثل الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن سرها وعلانيتها **حدثنى** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نحوه * وقال آخرون ما ظهر نكاح الأمهات وحلائل الآباء وما بطن الزنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر جمع بين الأختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن الزنا * وقال آخرون فى ذلك بما **حدثنى** اسحق بن زياد العطار البصرى قال ثنا محمد بن اسحق البلخى قال ثنا تميم بن شاكر الباهلى عن عيسى بن أبى حفصة قال سمعت الضحاك يقول

على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احداهما لوسعتهن وجبريل آخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيامة الى الميزان و يؤتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيه شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله فيوضع فى الآخرة فترجح قال القاضى يجب أن يحمل هذا على أنه يأتى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية ورد بأنه خلاف الظاهر و بأنه لا يبعد أن يكون ثواب كلمة الشهادة أوفى وأوفر من سائر الأعمال لأن معرفة الله تعالى أشرف العقائد والاعمال وروى الواحدى فى البسيط أنه اذا خف حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجزته بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وخلقك فمن أنت فيقول أنا نبيك وهذه صلواتك التى كنت تصلها علىّ قد وافتك أحوج ما تكون اليها القول الثانى قول مجاهد والضحاك والأعمش وكثير من المتأخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل فى الأخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يؤكد ذلك أن أعمال العباد أعراض وأنها قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا الوقدر بقاؤها وأما قولهم الموزون صحائف الاعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال فنقول المكلف يوم القيامة اما أن يكون مقرا بأنه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى علمه بأنه عدل وصواب واما أن لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان أجاب الأولون بأن جميع المكلفين يعترفون يوم القيامة أنه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لأهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن و بالضد للكافر * واختلف العلماء أيضا فى كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيآت وقال آخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة واختلف أيضا فى الموازين فقيل انها جمع موزون وأراد الأعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم أنها جمع الميزان فالعرب

فى قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر الخمر وما بطن الزنا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق يعنى بالنفس التى حرم الله قتلها نفس مؤمن أو معاهد وقوله الا بالحق يعنى بما أباح قتلها به من أن تقتل نفسا فتقتل قودا بها أو تزنى وهى محصنة فترجم أو ترتد عن دينها الحق فتقتل فذلك الحق الذى أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التى حرم على المؤمنين قتلها به ذلكم يعنى هذه الأمور التى عهد الينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه هى الأمور التى وصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به لعلكم تعقلون يقول وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن ولا تقربوا ماله الا بما فيه صلاحه وتثميره كما حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال التجارة فيه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن فليثمر ماله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا فضيل بن مرزوق العنزى عن سليط بن بلال عن الضحاك بن مزاحم فى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال يبتغى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال التى هى أحسن أن يأكل بالمعروف ان افتقر وان استغنى فلا يأكل قال الله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال وسئل عن الكسوة فقال لم يذكر الله الكسوة انما ذكر الأكل وأما قوله حتى يبلغ أشده فان الأشد جمع شد كما الأضر جمع ضر وكما الأشر جمع شر والشدة القوة وهو استحكام قوة شبابه وسنه كما شد النهار ارتفاعه وامتداده يقال أتيته شد النهار ومد النهار وذلك حين امتداده وارتفاعه وكان المفضل فيما بلغنى ينشد بيت عنترة

عهدى به شد النهار كأنما * خضب اللبان ورأسه بالعظلم

ومنه قول الآخر

يطيف به شد النهار ظعينة * طويلة أنقاء اليدين سحوق

وكان بعض البصريين يزعم أن الأشد اسم مثل الآنك فأما أهل التأويل فانهم مختلفون فى الحين الذى اذا بلغه الانسان قيل بلغ أشده فقال بعضهم يقال ذلك له اذا بلغ الحلم ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمى قال أخبرنى يحيى بن أيوب عن عمرو بن الحرث عن ربيعة فى قوله حتى يبلغ أشده قال الحلم حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمى قال ثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه مثله * قال ابن وهب وقال لى مالك مثله حدثت عن

الحمانى

قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الأفراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب لترك الظاهر والمصير الى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وأيضا لا يبعد أن يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم ان المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر أهل الموقف في قسمين منهم من تزيد حسناته (٦٣) على سيآته ومنهم من على العكس ولا ريب أن هذا القسم أهل الكفر لانه حكم عليهم بأنهم الذين خسروا أنفسهم بسبب الظلم بآيات الله أي التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن سلم أن العاصي معاقب لكنه يعاقب أياما ثم يعفى عنه ويتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله أبد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل في الآية دلالة على أن الذي تكون حسناته وسيآته متعادلتين متساويتين غير موجود والله أعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب الآجل رغب الخلائق في قبول دعوة الانبياء بطريق آخر وهو تذكير النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال (ولقد مكناكم في الأرض) أقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) هي جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التي تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالأثمار أو بواسطة كالاكتساب والوجه في معايش تصريح الياء لانها أصلية لا زائدة كصحائف بالهمز في صحيفة وعن ابن عامر أو نافع في بعض الروايات الهمز تشبيها بصحائف واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بأنهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغي فقال (قليلا ما تشكرون)

الحماني قال ثنا هشيم عن مجاهد عن عامر حتى يبلغ أشده قال الأشد الحلم حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيآت * وقال آخرون انما يقال ذلك له اذا بلغ ثلاثين سنة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي حتى يبلغ أشده قال أما أشده فثلاثون سنة ثم جاء بعدها حتى اذا بلغوا النكاح وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف وذلك أن معنى الكلام ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فآنستم منه رشدا فادفعوا اليه ماله لأنه جل ثناؤه لم ينه أن يقرب مال اليتيم في حال يتمه الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ويحل له ليه بعد بلوغه أشده أن يقرب به بالتي هي أسوأ ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له وحفظا عليه ليسلموه اليه اذا بلغ أشده ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها﴾ يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن أوفوا الكيل والميزان يقول لا تبخسوا الناس الكيل اذا كلتموهم والوزن اذا وزنتموهم ولكن أوفوهم حقوقهم وايفاؤهم ذلك اعطاؤهم حقوقهم تامة بالقسط يعني بالعدل كما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقد بينا معنى القسط بشواهده فيما مضى وكرهنا اعادته وأما قوله لا نكلف نفسا الا وسعها فانه يقول لا نكلف نفسا من ايفاء الكيل والوزن الا ما يسعها فيحل لها ولا تخرج فيه ردا ذلك أن الله جل ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له فأمر المعطي بايفاء رب الحق حقه الذي هو له ولم يكلفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها وأمر الذي له الحق بأخذ حقه ولم يكلفه الرضا بأقل منه لما في النقصان عنه من ضيق نفسه فلم يكلف نفسا منهما الا ما لا حرج فيه ولا ضيق فلذلك قال لا نكلف نفسا الا وسعها وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده في موضع غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله واذا قلتم فاعدلوا واذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره أن تقولوا غير الحق فيما احتكم اليكم فيه وبعهد الله أوفوا يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وايفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الوفاء بعهد الله وأما قوله ذلكم وصاكم به يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين هي الأشياء التي عهد النار بناووصاكم بها رباركم وأمركم بالعمل بها لا بالبحائر والسوائب والوصائل والحام وقتل الأولاد وأد البنات واتباع خطوات الشيطان لعلكم تذكرون يقول أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين ووصاكم بها وعهد اليكم فيها لتتذكروا عواقب

وفيه اشارة الى أنهم قد يشكرون وقليل من عبادي الشكور ۞ التأويل المص هو الله من لطفه أفرد عباده للمحبة وللمعرفة وأنعم عليهم بالصدق والصبر لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب أنزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما أنزل من الكتب في الالواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطن فألقى الألواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن شرف أمته بأن أمرهم باتباع ما أنزل اليهم ليتخلقوا بأخلاق الله وكم من قرية قلب أفسدنا استعدادها فجاءها بأسنا أي ازاغة قلوبهم باصبع

الفهارية وأهلها نائمون على فراش الحسبان قائلون فى نهار الخذلان فما كان ادعاؤهم الا ان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الأدب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف الى أنفسهم ولم يعلموا أن الله تعالى مقلب أفئدتهم وأبصارهم فلنسئلن الذين أرسل اليهم وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما أمرتم أم لا فيكون السؤال سؤال تعنيف وتعذيب أو هم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسئلن المرسلين سؤال انعام واكرام هل بلغتم (٦٤) وهل وجدتم أممكم قابلين الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فليعلمن أنا ما أرسلنا الرسل اليهم عبثا وانما أرسلناهم لأمر عظيم وخطب جسيم وما كنا غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لأهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى أنه يوم القيامة يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والأحوال الكاملة فأولئك هم المفلحون من شرأنانيتهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به أعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به أوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به أحواله ولخفيه ميزانا يوزن به أخلاقه وللخفى لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وآله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق وذلك أنه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو خلق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق بأخلاقه خسروا أنفسهم أفسدوا استعدادها ولقد مكناكم فيها أنالكم خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش ولكل صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك أن الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان ابن هى معيشة نفسه الأمارة بالسوء وقد حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم تكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهى القلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى

أمركم وخطأ ما أنتم عليه مقيمون فتنزجروا عنها وترتدعوا وتنيبوا الى طاعة ربكم وكان ابن عباس يقول هذه الآيات هن الآيات المحكمات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن على بن أبى صالح عن أبى اسحق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس قال هن الآيات المحكمات قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ **حدثنا** محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا وهب ابن جرير قال ثنا أبى قال سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال سمع كعب الاحبار رجلا يقرأ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فقال والذى نفس كعب بيده ان هذا لأول شئ فى التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن رجل عن الربيع بن خيثم أنه قال لرجل هل لك فى صحيفة عليها خاتم محمد ثم قرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن عمرو بن مرة قال قال الربيع ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفل خاتمها فقرأ هذه الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال جاء اليه نفر فقالوا قد جالست أصحاب محمد فحدثنا عن الوحى فقرأ عليهم هذه الآيات من الانعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ قالوا ليس عن هذا نسألك قال فما عندنا وحى غيره **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال هؤلاء الآيات التى أوصى بها من محكم القرآن **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا قلتم فاعدلوا قال قولوا الحق

﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى وصاكم به ربكم أيها الناس فى هاتين الآيتين من قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعنى طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده مستقيما يعنى قويما لا اعوجاج به عن الحق فاتبعوه يقول فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه ولا تتبعوا السبل يقول ولا تسلكوا طريقا سواه ولا تركبوا منهجا غيره ولا تبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فانها بدع وضلالات فتفرق بكم عن سبيله يقول فيشتت بكم ان اتبعتم السبل المحدثة التى ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان اتباعكم اياها عن سبيله يعنى عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه وهو الاسلام الذى وصى به الانبياء وأمر به الأمم قبلكم ذلكم وصاكم به يقول تعالى ذكره هذا الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وصاكم به لعلكم تتقون يقول لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها وتحذروا بكم فيها فلا تسخطوه عليها فيحل بكم نقمته وعذابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن

من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم
شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما (٦٥) ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما

ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال البدع والشبهات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتبعوا السبل البدع والشبهات حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يقول لا تتبعوا الضلالات حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حماد عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال سبيله الاسلام وصراطه الاسلام نهاهم أن يتبعوا السبل سواه فتفرق بكم عن سبيله عن الاسلام حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان أن رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود وان هذا صراطي مستقيما الآية ۞ واختلفت القراء في قراءة قوله وان هذا صراطي مستقيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وأن بفتح الالف من أن وتشديد النون ردا على قوله أن لا تشركوا به شيأ بمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن هذا صراطي مستقيما وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وان بكسر الالف من ان وتشديد النون منها على الابتداء وانقطاعها عن الاول اذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونه عندهم والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار وعوام المسلمين صحيح معناهما فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله كما أمر عباده بالاشياء وان أدخل ذلك مدخل فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به ففتح على ذلك أن فصيب وان كسرها اذ كانت التلاوة قولا وان كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله أتل وهو يريد اعمال ذلك فيه فصيب وان كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الاول والتلاوة وأن ما أمر النبي

ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ۞ القرآت لأملأن بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله أعلم ۞ الوقوف الا ابليس ط لانه معرفة فلا تصلح الجملة صفة له الساجدين ○ اذ أمرتك ط منه ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول طين ○ الصاغرين ○ يبعثون ○ المنظرين ○ المستقيم ○ لا للعطف شمائلهم ط شاكرين ○ مدحورا ط لان ما بعده ابتداء قسم محذوف أجمعين ○ الظالمين ○ الخالدين ○ الناصحين ○ بغرور ج لأن جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة ط لان الواو للاستئناف مبين ○ أنفسنا سكتة للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين ○ عدو ط لعطف المختلفين الى حين ○ تخرجون ○ ۞ التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا أن خلق أبانا آدم فجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكير النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا

من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة فى الارض مسجود الملائكة والغرض من الكل أن التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله فى سبعة مواضع فى البقرة وههنا وفى الحجر وفى سبحان وفى الكهف وفى طه وفى ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى * وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضى أن أمر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر فى الواقع بالعكس وأجاب المفسرون بوجوه منها أن المضاف محذوف أى خلقنا

أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عليه السلام أصل البشر نظير قوله لبنى اسرائيل المعاصرين واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور أى ميثاق أسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل وانما قتله أحدهم ومنها ان المراد من خلقنا كم آدم ثم صورناكم أى صورنا ذرية آدم فى ظهره فى صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم أنا قلنا للملائكة ومنها أن الخلق فى اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيئته بتخصيص كل شئ بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر فى هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى أثبت فى اللوح المحفوظ صورهم كما أنه أثبت صور كل كائن كما جاء فى الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثم بعد هذين الامرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رضى الله عنه وهذا التأويل عندى أقرب الوجوه فى تأويل هذه الآية وأما أن ابليس هل هو من الملائكة أم لا فقد تقدم فى أوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته أما قوله سبحانه (ما منعك أن لا تسجد) فظاهره يقتضى أنه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال فى سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رضى الله عنهم أقوال أولها وهو الاشهر أن لا صلة زائدة كما فى لا أقسم وكما فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين قال فى الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل فى لئلا يعلم ليتحقق علم أهل الكتاب وفى ما منعك أن لا تسجد ما منعك أن

صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك فصيب وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبى اسحق البصرى وأن بفتح الألف من أن وتخفيف النون منها بمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن هذا صراطى نخففها اذ كانت أن فى قوله أن لا تشركوا به شيأ مخففة وكانت أن من قوله وأن هذا صراطى معطوفة عليها فجعلها نظيرة ما عطفت عليه وذلك وان كان مذهبا فلا أحب القراءة به لشذوذها عن قراءة قراء الامصار وخلاف ما هم عليه فى أمصارهم (القول فى تأويل قوله) ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ثم آتينا موسى الكتاب ثم قل بعد ذلك يا محمد آتى ربك موسى الكتاب فترك ذكر قل اذ كان قد تقدم فى أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها ذلك قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فقص ما حرم عليهم وأحل ثم قال ثم قل آتينا موسى فحذف قل لدلالة قوله قل عليه وانه مراد فى الكلام وانما قلنا ذلك مراد فى الكلام لان محمدا صلى الله عليه وسلم لا شك أنه بعث بعد موسى بدهر طويل وأنه انما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه ومعلوم أن موسى أوتى الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه وثم فى كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام والخبر بعد الذى قبلها ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله تماما على الذى أحسن فقال بعضهم معناه تماما على المحسنين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تماما على الذى أحسن قال على المؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تماما على الذى أحسن المؤمنين والمحسنين وكأن مجاهدا وجه تأويل الكلام ومعناه الى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده فان قال قائل فكيف جاز أن يقال على الذى أحسن فيوحد الذى والتأويل على الذين أحسنوا قيل ان العرب تفعل ذلك خاصة فى الذى وفى الألف واللام اذا أرادت به الكل والجميع كما قال جل ثناؤه والعصر ان الانسان لفى خسر وكما قالوا أكثر الذى هم فيه فى أيدى الناس وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك تماما على الذين أحسنوا وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد واذا كان المعنى كذلك كان قوله أحسن فعلا ماضيا فيكون نصبه لذلك وقد يجوز أن يكون أحسن فى موضع خفض غير أنه نصب اذ كان أفعل وأفعل لا يجرى فى كلامها فان قيل فبأى شئ خفض قيل رد اعلى الذى اذ لم يظهر له ما يرفعه فيكون تأويل الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى هو أحسن ثم حذف هو وجاور أحسن الذى فعرف بتعريفه اذ كان كالمعرفة من أجل أن الألف واللام لا يدخلانه والذى مثله كما تقول العرب مررت بالذى خير منك وشر منك وكما قال الراجز

تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله أراد أن زيادة لا اشارة الى نفي ماعدا المذكور ليلزم منه تحقق المذكور وثانيها أن اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار أي لم يمنعك من ترك السجود شئ كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك والمعنى أنه لم يوجد أحد هذه فما امتنعت من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه قال ما دعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة أمر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسئل عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد وأقول يمكن ان لا يعلق قوله أن لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا التقدير ما منعك من السجود أن لا تسجد أي لئلا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ماسببه (اذ أمرتك) أمر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء معاندته وجحوده واستدل العلماء بالآية على أن مجرد الامر يقتضي الوجوب والالم يترتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والالم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استأنف اللعين قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم زعما منه أن مثله مستبعد أن يؤمر بما أمر به وتلك الخيرية هي التي منعته عن السجود فقال (أنا خير منه) ثم بين هذه المقدمة بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الأجرام اللطيفة كلها وأيضا النار قوية التأثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل أشرف من الانفعال وأيضا النار مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحياة والنضج وأما الارضية فالبرد واليبس تناسب الموت والحياة أشرف من الموت وأيضا فما بين التميز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كانت أفضل أوقات عمر الحيوان بخلاف وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية والمخلوق من الافضل أفضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع وأما أن الأشرف لا يجوز أن يؤمر بخدمة الادون فما قد تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمات بأسرها ممنوعة أما أن النار أفضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود وفي

ان الزبيري الذي مثل الحلم * مسى (١) بأسلابكم أهل العلم

فأتبع مثل الذي في الاعراب ومن قال ذلك لم يقل مررت بالذي عالم لان عالما نكرة والذي معرفة ولا تتبع نكرة معرفة * وقال آخرون معنى ذلك تماما على الذي أحسن موسى فيما امتحنه الله به في الدنيا من أمره ونهيه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن فيما أعطاه الله حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن قال من أحسن في الدنيا تم له ذلك في الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن يقول من أحسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة وعلى هذا التأويل الذي تأوله الربيع يكون أحسن نصبا لأنه فعل ماض والذي بمعنى ما وكان الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على ما أحسن موسى أي آتيناه الكتاب لاتمم له كرامتي في الآخرة تماما على احسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته * وقال آخرون في ذلك معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما على احسان الله الى أنبيائه وأياديه عندهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن قال تماما من الله واحسانه الذي أحسن اليهم وهداهم للاسلام وآتاهم ذلك الكتاب تماما لنعمته عليهم واحسانه وأحسن على هذا التأويل أيضا في موضع نصب على أنه فعل ماض والذي على هذا القول والقول الذي قاله الربيع بمعنى ما وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك تماما على الذي أحسن رفعا بتأويل على الذي هو أحسن حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا الحجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر «قال أبو جعفر» وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وان كان لها في العربية وجه صحيح لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الامصار * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما لنعمنا عنده على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام وأن ايتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسنا أو ثم آتى الله موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وفي وصفه جل ثناؤه نفسه بايتائه الكتاب ثم صرفه الخبر بقوله أحسن الى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين الدليل الواضح على أن القول غير القول الذي قاله ابن زيد وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه الذي الى معنى الجميع فلا دليل في الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه واذا تنوزع في تأويل الكلام كان

(١) في نسخة بأسلافكم بالفاء ولم نعثر على البيت لغيره كتبه مصححه

التركيب فلكل فضيلة فى مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تأمل ماذكرناه فى تفسير قوله سبحانه وتعالى الذى جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم أن طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن فى النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفى الارض الا الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به ردا لكلامه وأما ان المخلوق من الافضل أفضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان من النار والتكليف يتناول الحى بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال صلى الله عليه وسلم ائتونى باعمالكم ولا تأتونى بانسابكم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفى كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت أن دعوى اللعين فى قوله أنا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال أو لتشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس أخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول فى جملة المتكبرين على الله فدل ذلك على أنه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس انه كانت الطاعة بابليس أولى من القياس فعصى ربه وقاس وأول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن أن يجاب بأنه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح أمر من كان مخلوقا من النار بسجود من كان مخلوقا من الارض لكان قبح أمر من كان مخلوقا من النور المحض بسجوده لمن هو مخلوق من الارض أولى ويحتمل أن يزيف هذا الجواب بأن الشريف على اذا رضى بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح أمره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا بأس وأما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح أمره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا (قال) أى الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف أو قال على لسان بعض ملائكته (فاهبط) يعنى اذا لم تمتثل أمرى فاهبط (منها)

أولى معانيه به أغلبه على الظاهر الا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنى به غير ذلك وأما قوله وتفصيلا لكل شئ فانه يعنى وتبيينا لكل شئ من أمر الدين الذى أمر وابه فتأويل الكلام اذا ثم آتينا موسى التوراة تماما للنعمنا عنده وأيادينا قبله تتم به كرامتنا عليه على احسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه وتبيينا لكل ما لقومه وأتباعه اليه الحاجة من أمر دينهم كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتفصيلا لكل شئ فيه حلاله وحرامه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره آتينا موسى الكتاب تماما وتفصيلا لكل شئ وهدى يعنى بقوله وهدى تقويما لهم على الطريق المستقيم وبيانا لهم سبل الرشاد لئلا يضلوا ورحمة يقول ورحمة منا بهم ورأفة لتنجيهم من الضلالة وعمى الحيرة وأما قوله لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون فانه يعنى ايتائى موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى على احسان موسى وتفصيلا لشرائع دينه وهدى لمن اتبعه ورحمة لمن كان منهم ضالا لينجيه الله به من الضلالة وليؤمن بلقاء ربه اذا سمع مواعظ الله التى وعظ بها خلقه فيه فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به وبلقائه بعد مماته فيطيع ربه ويصدق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهذا القرآن الذى أنزلناه الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه يقول فاجعلوه اماما تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس واتقوا يقول واحذروا الله فى أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه وتتعدوا حدوده وتستحلوا محارمه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهو القرآن الذى أنزله الله على محمد عليه السلام فاتبعوه يقول فاتبعوا حلاله وحرموا حرامه وقوله لعلكم ترحمون يقول لترحموا فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين﴾ اختلف أهل العربية فى العامل فى أن التى فى قوله أن تقولوا وفى معنى هذا الكلام فقال بعض نحويى البصرة (١) معنى ذلك ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن كراهية أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا * وقال بعض نحويى الكوفة بل ذلك فى موضع نصب بفعل مضمر قال ومعنى الكلام فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اتقوا ان تقولوا قال ومثله بقول الله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * وقال آخرون منهم هو فى موضع نصب قال ونصبه من مكانين أحدهما أنزلناه لئلا يقولوا انما أنزل الكتاب على والآخر من قوله اتقوا قال ولا يصلح فى موضع أن كقوله يبين الله لكم أن تضلوا * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال نصب ان لتعلقها بالانزال لان معنى الكلام وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا انما أنزل الكتاب

(١) الذى فى الفخر أنزلناه «أى القرآن» كراهة أن تقولوا اه وهو الظاهر من المقام تأمل

قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المعتزلة أمر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون) فما يصح (لك أن تتكبر فيها) وتعصي (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا أهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار كما قال النبي صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال أنظرني الى يوم (٦٩) يبعثون) طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده أنه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل (قال) مطلقا (انك من المنظرين) قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم أي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال آخرون لم يوقت الله تعالى له أجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز أن يعلم أجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب أجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا أجاب الاولون بأن من علم الله تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء أو على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت أجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام (قال فبما أغويتني) الاغواء ضد الارشاد وأصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن أن يتعلق الباء بقوله لأقعدن لان لام القسم تأبى ذلك لا يقال والله بزيد لأمرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فكأنها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شئ من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما أغويتني أي فبسبب اغوائك اياي أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أي فأقسم باغوائك لأقعدن ومعنى القسم بالاغواء انه من جملة آثار القدرة أي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لأقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الأبد فكان جديرا بأن يقسم به وهذا يناسب أصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات

على طائفتين من قبلنا فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله وأخبر أنه انما أنزل كتابه على نبيه محمد لئلا يقول المشركون لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ولم نؤمر ولم ننه فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر اذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول وانما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا فانهما اليهود والنصارى وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى نخاف ان تقوله قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا قال اليهود والنصارى قال ان تقول قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أما الطائفتان فاليهود والنصارى وأما وان كنا عن دراستهم لغافلين فانه يعني أن تقولوا وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي أنزلت عليهم غافلين لا ندري ما هي ولا نعلم ما يقرؤن وما يقولون وما أنزل اليهم في كتابهم لانهم كانوا أهله دوننا ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه ولا هو بلساننا فيتخذوا ذلك حجة فقطع الله بانزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول وان كنا عن تلاوتهم لغافلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كنا عن دراستهم لغافلين أي عن قراءتهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كنا عن دراستهم لغافلين قال الدراسة القراءة والعلم وقرأ ودرسوا ما فيه قال علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول وان كنا عن قراءتهم لغافلين لا نعلم ما هي ﴿ القول في تأويل قوله ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ يقول تعالى ذكره وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا يقول المشركون من عبدة الاوثان من قريش انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أو لئلا يقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا فأمر نافيه ونهينا وبين لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه لكنا أهدى منهم أي لكنا أشد استقامة على طريق الحق واتباعا للكتاب وأحسن عملا بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا يقول الله فقد جاءكم بينة من ربكم يقول فقد جاءكم كتاب بلساننا كم

كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز أن يوصف بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كأنه قيل بأي شئ أغويتني ثم ابتدأ فقال لأقعدن ورد على هذا القول أن اثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس أضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم أضاف الاغواء الى نفسه والاول يدل على (٧٠) الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة أجابت المعتزلة عن قوله فبما أغويتني بأن قول ابليس واعتقاده ليس بحجة أو المراد انه تعالى لما أمره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى أضاف الغي الى الله وقد يقال لا تحملني على ضر بك أي لا تفعل ما أضر بك عنده أو المراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقالت الأشاعرة نحن لا نبالغ في أن المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيفما كان يرجع الى حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا أنا نقطع بأن الغاوي لا بد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور أو التسلسل محال فلا بد أن ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود أما قوله (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) فانتصابه على الظرف كقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه ٭

فيه كما عسل الطريق الثعلب

قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيدا الظهر والبطن أي على الظهر والبطن والمراد لأعترضن لهم أي لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل أنه يواظب على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من أراد المبالغة في تكميل أمر من الأمور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود ٭ واعلم ان العلماء اختلفوا في أن كفر ابليس كفر عناد أو كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله

عربي مبين حجة عليكم واضحة بينة من ربكم وهدى يقول وبيان للحق وفرقان بين الصواب والخطا ورحمة لمن عمل به واتبعه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم يقول قد جاءكم بينة لسان عربي مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين وحين قلتم لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فهذا قول كفار العرب فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ۞ القول في تأويل قوله ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ يقول جل ثناؤه فمن أخطأ فعلا وأشد عدوانا منكم أيها المشركون المكذبون بحجج الله وأدلته وهي آياته وصدف عنها يقول وأعرض عنها بعدما أتته فلم يؤمن بها ولم يصدق بحقيقتها وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله فمن أظلم ممن كذب بآيات الله مخرج الخبر عن الغائب والمعني به المخاطبون به من مشركي قريش وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وصدف عنها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وصدف عنها يقول أعرض عنها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يصدفون عن آياتنا يعرضون عنها والصدف الاعراض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وصدف عنها أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون أي يعرضون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وصدف عنها فصد عنها وقوله سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب يقول سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله وحقية نبوة نبيه وصدق ما جاءهم به من عند ربهم سوء العذاب يقول شديد العقاب وذلك عذاب النار التي أعدها الله لكفرة خلقه به بما كانوا يصدفون يقول يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله ﴿هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ يقول جل ثناؤه هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام الا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة أو يأتي بعض آيات ربك يقول أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من مغربها ذكر من قال ذلك من أهل التأويل ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تأتيهم الملائكة يقول عند الموت حين توفاهم أو يأتي ربك ذلك يوم القيامة أو يأتي بعض آيات ربك طلوع الشمس من مغربها

حدثنا

صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن قائل بالثاني اقوله فبما أغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده ورد بأنه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب وهو المعني بكفر العناد ويمكن ان يجاب بأنه أراد بالاغواء أيضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الآية دلالة

على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد فى دينه ولا فى دنياه والا لم يهمل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الأنبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعوا الا الى الكفر والضلال ثم انه أمات الأنبياء وأبقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك قال الجبائى فى دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله أحد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل أيضا بدليل قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالى الجحيم

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا أن تأتيهم الملائكة بالموت أو يأتى ربك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك قال آية موجبة طلوع الشمس من مغربها أو ماشاء الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة يقول بالموت أو يأتى ربك وذلك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة عند الموت أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يقول طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله فى قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك قال يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد ابن حميد فى حديثه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا وقال كالبعيرين المقترنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة تقبض الانفس بالموت أو يأتى ربك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك

القول فى تأويل قوله ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا﴾ يقول تعالى ذكره يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع من كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن بعد مجىء تلك الآية وقيل ان تلك الآية التى أخبر الله جل ثناؤه أن الكافر لا ينفعه ايمانه عند مجيئها طلوع الشمس من مغربها ذكر من قال ذلك وماذكر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى عيسى بن عثمان الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل وجرير عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها قال فاذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى واسحق بن شاهين قالا أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان عن يونس عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى الى أن تنتهى الى مستقر لها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا ينكر الناس منها شيأ حتى تنتهى فتخر ساجدة فى مستقر لها تحت العرش فيصبح الناس لا ينكرون منها شيأ فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة

ولانه لو ضل به أحد لكان بقاؤه مفسدة وقال أبو هاشم يجوز أن يضل به قوم ويكون خلقه جاريا مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة توجب الزيادة فى الثواب وضعف قول الجبائى بأنا نعلم بالضرورة أن الانسان اذا جلس عنده جلساء السوء وحسنوا فى عينه أمرا من الأمور مرة بعد أخرى فانه لا يكون حاله فى الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا الشيطان المزين للقبائح فى قلوب الكفار والفساق وزيف قول أبى هاشم بأن خلق الزيادة فى الشهوة حجة أخرى لنا فى أنه تعالى لا يراعى المصلحة وتقرير الحجة أن خلق تلك الزيادة يوقع فى الكفر وعقاب الأبد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته أن يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة شئ لا حاجة اليه والأهم رفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان الله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الأهم لطلب الزيادة التى لا ضرورة اليها أما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه أحدها (من بين أيديهم) أى أشككهم فى صحة البعث والقيامة (ومن خلفهم) ألقى اليهم أن الدنيا قديمة أزلية وثانيها من بين أيديهم أنفرهم عن الرغبة فى سعادات الآخرة ومن خلفهم أقوى رغبتهم فى لذات الدنيا وطيباتها فالآخرة بين أيديهم لانهم يردون عليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدى من بين أيديهم يعنى الدنيا لانها بين يدى الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الآخرة لانها تأتى بعد ذلك وأما قوله (وعن ايمانهم وعن شمائلهم) فقيل عن أيمانهم فى الكفر والبدعة وعن شمائلهم فى أنواع المعاصى وقيل عن ايمانهم فى الصرف عن الحق وعن شمائلهم فى الترغيب فى الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم أقوى دواعيهم الى السيآت قال ابن الانبارى وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلنى عن يمينك أى من المقدمين

ولا تجعلنى عن شمالك أى من المؤخرين وعن الاصمعى هو عندنا باليمين أى بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان فى البدن قوى أربعا هى الموجبة لقوات السعادات الروحانية احداها القوة الخيالية التى يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين أيديهم وثانيتها القوة الوهمية التى تحكم فى غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثتها الشهوة ومحلها الكبد التى عن يمين البدن ورابعتها الغضب ومنشؤه القلب الذى هو فى الشق الايسر

فالشياطين الخارجة مالم تستعن بشئ من هذه القوى الاربع لم تقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين أيديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما فى الذات أو فى الصفات كشبه المجسمة واما فى الافعال كشبه المعتزلة فى التعديل والتجويز والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهى بين يديه ويحضر منه فيعتقد أن الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات أهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب فى ترك المأمورات وعن شمائلهم الترغيب فى فعل المنهيات وعن شقيق رضى الله عنه مامن صباح الا ويأتينى الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدى فيقول لاتخف ان الله غفور رحيم فأقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفى فيخوفنى من وقوع أولادى فى الفقر فاقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وأما من يمينى فيأتينى من قبل النساء فأقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود قريبا فى الطريق والرصد من الجهات مثل الوسوسة اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك * بقى ههنا بحث وهو انه تعالى كيف قال من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال فى الكشاف وقد تختلف حروف الظروف كما تختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فعنى على

من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا **حدثنا** مؤمل بن هشام ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية عن يونس عن ابراهيم بن يزيد التيمى عن أبيه عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فاذا طلعت الشمس من نحوه لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا **حدثنا** المفضل بن اسحق قال ثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد اليامى عن أبيه عن زبيد عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادى قال ذكرت التوبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم للتوبة باب بالمغرب مسيرة سبعين عاما أو أربعين عاما فلا يزال كذلك حتى يأتى بعض آيات ربك **حدثنى** محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال أنه قال ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما فاذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فيومئذ يؤمن الناس كلهم أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى عون عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال التوبة مقبولة مالم تطلع الشمس من مغربها **حدثنا** أحمد بن الحسن الترمذى قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن قال ثنا ابن عياش قال ثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن مالك بن يخامر عن معاوية بن أبى سفيان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة وجعفر بن عون بنحوه **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى حيان التيمى عن أبى زرعة قال جلس ثلاثة من المسلمين الى مروان بن الحكم بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات ان أولها خروجا الدجال فانصرف القوم الى عبد الله ابن عمرو فحدثوه بذلك فقال لم يقل مروان شيأ قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيأ لم أنسه لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة على الناس ضحى أيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها

انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن أنه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره ونظيره فى المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمى ويبتدئ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانهما طرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقال بعض المفسرين (٧٣) خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد والمباينة وعلى جهتى اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا بد أن يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت الحكماء من بين أيديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن أيمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب والناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصى مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على أنهما فى اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التى منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هى هذه الموضوعة فى الحوانب الاربعة من البدن وأما فى الظاهر فقد روى ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليه من الجهات فأوحى الله تعالى اليهم انه قد بقى للانسان جهتا الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة * قال القاضى هذا

قريبا ثم قال عبد الله بن عمرو وكان يقرأ الكتب أظن أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع فيؤذن لها فى الرجوع حتى اذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع فلم يرد عليها شيأ فتفعل ذلك ثلاث مرات لا يرد عليها بشئ حتى اذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق قالت ما أبعد المشرق رب من لى بالناس حتى اذا صار الافق كأنه طوق استأذنت فى الرجوع فقيل لها اطلعى من مكانك فتطلع من مغربها ثم قرأ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الى آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد أبى حيان عن الشعبى ان ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم فذكر نحوه عن عبد الله بن عمرو **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت عاصم بن أبى النجود يحدث عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن حجاج عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان ابن عسال قال اذا طلعت الشمس من مغربها فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال غدونا الى صفوان بن عسال فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان باب التوبة مفتوح من قبل المغرب عرضه مسيرة سبعين عاما فلا يزال مفتوحا حتى تطلع من قبله الشمس ثم قرأ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك الى خيرا **حدثنى** الربيع بن سليمن قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب قال فاذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه **حدثنى** المثنى قال ثنا فهد قال ثنا حماد عن يونس بن عبيد عن ابراهيم بن يزيد التيمى عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت أتت تحت العرش فسجدت فيقال لها اطلعى من حيث غربت ثم قرأ هذه الآية هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة الى آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحكم عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب فى عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن

(١٠ - ابن جرير - ثامن) القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه أن يدخل فى بدن ابن آدم ويخالطه لانه لو أمكنه ذلك لكان بأن يذكره فى باب المغالبة أحق قلت هذا مناف لما فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم أما قوله (ولا تجد أكثرهم شاكرين) فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف وأجاب بعضهم بأنه كان قد رآه فى اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال آخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة فى تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدقه الله

تعالى فى ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادى الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع الكامنة وهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهى بأسرها تدعو النفس الى عالم الجسم وأما التى تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهى العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة أكثر من استيلاء واحدة لاسيما وهى فى أول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهى بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا

آمنت من قبل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن موسى بن المسيب عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال نظر النبى صلى الله عليه وسلم يوما الى الشمس فقال يوشك أن تجىء حتى تقف بين يدى الله فيقول ارجعى من حيث جئت فعند ذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فهو انه لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع أهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم يا عباد الله توبوا الى الله فانكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم الايمان فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم فاذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس فبينا هم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة أنه سمعه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها الآية * وبه قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى بن أبى عتيق انه سمع عبيد بن عمير يتلو يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال يقول نتحدث والله أعلم أنها الشمس تطلع من مغربها * قال ابن جريج وأخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك * قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن أبى مليكة أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الآية التى لا ينفع نفسا ايمانها اذا طلعت الشمس من مغربها * قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب ابن عوف عن ابن سيرين قال ثنى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال كان عبد الله بن مسعود يقول ماذكر من الآيات فقد مضين غير أربع طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض والدجال وخروج يأجوج ومأجوج والآية التى تختم بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله قال يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها

ولا تجدا كثرهم شاكرين (قال) الله تعالى فى جوابه اذا كان هذا عزمك فـ(اخرج منها مذؤما مدحورا) الذام العيب والذأم يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفى المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملأن) جوابه وهو سادمسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون أى انكم وانهم على هذا فقوله لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره * قال القاضى كما أن الكافر يتبعه كذلك الفاسق يتبعه فلذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار وأجيب بشرط عدم العفو قوله (و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) الآية فيها من المسائل ان قوله اسكن امر تعبد أو أمر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف وأن زوج آدم هى حواء وأن تلك الجنة كانت جنة الخلد أو جنة من جنان السماء أو جنة من جنان الارض وان قوله وكلا أمر اباحة لا أمر تكليف وأن قوله ولا تقربا نهى تنزيه أو نهى تحريم وأن الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص أو بالنوع وانها أى شجرة كانت وأن ذلك الذنب كان صغيرا أو كبيرا وأن الظلم فى قوله فتكونا من الظالمين بأى معنى هو وأن هذه الواقعة وقعت قبل نبوة آدم أو بعدها ونحن قد قضينا الوطر

خيرا

عن جميعها فى سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة (فوسوس لهما الشيطان) الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب والمصدر الوسواس أيضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ومعنى وسوس اليه ألقاها اليه أى تكلم معه كلاما خفيا يكرره (ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) قيل اللام لام العاقبة

لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما آل أمرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذى كان غرضه أو لعله رأى فى اللوح المحفوظ أو سمع من الملائكة انه اذا أكل من الشجرة بدت عورته وفى ذلك سقوط حشمته وقوله ووري مجهول وارى أى ستر والسوءة فرج الرجل والمرأة ثم بين وسوسة ابليس بانه (قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) أى الا كراهة أن تكونا ملكين الى قوله انى لكما لمن الناصحين * سؤال كيف يطمع (٧٥) ابليس آدم فى أن يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وبعد سجود الملائكة له ان هذا أحد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لآدم هم ملائكة الارض أما ملائكة السموات وملائكة العرش والكرسى والملائكة المقربون فما سجدوا البتة لآدم والا كان هذا التطميع فاسدا ورعا يجاب بأنه أراد انه يصير مثل الملك فى البقاء والدوام وزيف بلزوم التكرار من قوله أو تكونا من الخالدين قال الواحدى كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كأن الملعون أتاهما من جهة الملك كقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى واعترض بأنه لا نزاع فى هذه القراءة الشاذة وانما النزاع فى القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بأن آدم لعله رغب فى أن يصير من الملائكة فى القدرة والقوة والبطش والخلقة بأن يصير جوهرا نوريا مقره العرش والكرسى نقل أن عمرو بن عبيد قال للحسن ان آدم وحواء هل صدقاه فى قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين أراد الحسن ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيامة وانه كفر ويمكن أن يقال لو أراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم أن الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعى لم يصل الى آدم وقتئذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من آدم لا قطعا ولا ظنا وانما أقدم ما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من أنفسنا عند الشهوة أن نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم أن الترغيب كان فى مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير * سؤال المقاسمة من الجانبين فكيف يتصور التقاسم بين آدم وابليس والجواب كأنه قال لهما اقسم بالله انى لكما ناصح

خيرا قال فهى طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كأنهما بعيران مقرونان * قال شعبة وحدثنا قتادة عن زرارة عن عبد الله بن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور والاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين القرينين * وقال ثنا أبى عن اسرائيل وأبيه عن أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه عن عبد الله قال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول لا يزال باب التوبة مفتوحا حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رأى الناس ذلك آمنوا وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا بشر قال ثنا عبد الله بن جعفر قال ثنا العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت آمن الناس كلهم فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها * وقال حدثنا أبى عن الحسن بن عقبة أبى ٣ كبران عن الضحاك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنى أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه عن ابن مسعود فى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه كان يقول فى هذه الآية يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل يقول اذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا ايمانها يقول طلوع الشمس من مغربها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن وهب ابن جابر عن عبد الله بن عمرو يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها * وقال آخرون بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها

وقالا له نقسم بالله انك ان صدقت ناصح أو اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها أو أخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم (فدلاهما بغرور) أى أوقعهما فيما أراد من تغرير وأصله ان الرجل العطشان يدلى رجليه فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه وقيل أى جرأهما على أكل الشجرة من قولهم فلان يدل على أقرانه فى الحرب كالبازى يدل على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين

وكان آدم يظن ان لا يحلف أحد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من بعض عبيده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدع له (فلما ذاقا الشجرة) فيه دلالة على انهما تناولا اليسير قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر فى آية أخرى فأكلا منها لم يدل على الأكل لان الذوق قد يكون من غير أكل (بدت لهما سوآتهما) ظهرت عوراتهما أى عوراتاهما مثل صغت قلوبكما مكان قلبا كما (وطفقا يخصفان) أخذا فى الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج أى يجعلان ورقة على ورقة ليستترا بهما كما تخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم ألا ترى أنهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر فى عقلهما من قبح كشف العورة (ألم أنهكما) عتاب من الله وتوبيخ وباقى الآيات مفسر فى سورة البقرة عن ثابت البنانى لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما أصابنى الذى أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقى علينا من التفسير أسرار المتشابهات الواقعة فى هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفى ص يا ابليس ما منعك وفى الحجر يا ابليس مالك حذف المنادى فى هذه أن السورة لان مضى ذكره هنا أقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك أن لا تسجد وفى ص ما منعك أن تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا فى هذه السورة لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة فى النفى واعلاما بأن المخاطب به ابليس وان شئت قلت جمع فى السورة بين ما فى ص وما فى الحجر فقال ما منعك أن لا تسجد ومالك أن لا تسجد وحذف أن وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقى

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جعفر بن عون عن المسعودى عن القاسم قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث ما لم تطلع الشمس من مغربها أو الدابة أو فتح يأجوج ومأجوج حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت الاقلام وحبس الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجت لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا معاوية بن عبد الكريم قال ثنا الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة أحدكم وأمر العامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فذكر نحوه *

وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها وأما قوله أو كسبت فى ايمانها خيرا فانه يعنى أو عملت فى تصديقها بالله خيرا من عمل صالح تصدق قيله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها لا ينفع كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك ايمانه بالله ان آمن وصدق بالله ورسله لانها حالة لا تمتنع نفس من الاقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم ايمانهم لحكم ايمانهم عند قيام الساعة وتلك حال لا يمتنع الخلق من الاقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم الى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقا ولفرائض الله مضيعا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة اذا هى طلعت من مغربها أعماله ان عمل وكسبه ان اكتسب لتفريطه الذى سلف قبل طلوعها فى ذلك كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا يقول كسبت فى تصديقها خيرا عملا صالحا فهؤلاء أهل القبلة وان كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها وان عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انتظروا إنا منتظرون﴾ يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام انتظروا

ما منعك أن لا تسجد قوله أنا خير منه الآية في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا أنه زاد في الحجر لفظ لكون فقال لم أكن لأسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل مالك أن لا تكون مع الساجدين قوله أنظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر رب فأنظرني لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا أيضا على الخطاب دون ذكر المنادى بخلاف السورتين وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلأن داعية الفاء ما تضمنه النداء من أدعو وأنادي نحو قوله ربنا فاغفر أي (٧٧) أدعوك فاغفر فلما حذف النداء في هذه السورة تركت الفاء وكذلك من قوله انك من المنظرين ليطابق الجواب السؤال قوله فبما أغويتني وفي الحجر رب بما أغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه السورة الفاء وكذا في ص فبعزتك لأغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذؤما ليس في القرآن غيره وانما اختص هذا الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لأقعدن لهم الى آخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه اذا الذام أشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى اجمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تأخير الأكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل في الجواب عن هذه المسائل ان اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد به أداء الالفاظ بأعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا أدى المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة السهر الى السحر والله أعلم ﴿ التأويل ولقد خلقناكم أرواحكم ثم صورناكم أي خلقنا الارواح كم أجسادا كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بألفي ألف عام ولتصوير الاجساد بداية وهي قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهاية هي حالة الكهولية في الاغلب ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وأنتم في صلبه وهذا من التمكين أيضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود ولائتمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود لما فيه من الاستكبار النارى قال ما منعك خطاب

أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم أو أن يأتي ربك لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها فتطوى صحف الاعمال ولا ينفعكم ايمانكم حينئذ ان آمنتم حتى تعلموا حينئذ المحق منا من المبطل والمسيء من المحسن والصادق من الكاذب وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله ومن الناجي منا ومنكم ومن الهالك انا منتظرو ذلك ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا اياه واخلاصنا العبادة له وافرادناه بالربوبية دون ماسواه ويفصل بيننا وبينكم بالحق وهو خير الفاصلين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ اختلف القراء في قراءة قوله فرقوا فروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن دينار أن عليا رضي الله عنه قرأ ان الذين فارقوا دينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير قال قال حمزة الزيات قرأها علي رضي الله عنه فارقوا دينهم * وقال ثنا الحسن بن علي عن سفيان عن قتادة فارقوا دينهم وكأن عليا ذهب بقوله فارقوا دينهم خرجوا فارتدوا عنه من المفارقة وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن رافع عن زهير قال ثنا أبو اسحق أن عبد الله كان يقرؤها فرقوا دينهم وعلى هذه القراءة أعني قراءة عبد الله قراء المدينة والبصرة وعامة قراء الكوفيين وكأن عبد الله تأول بقراءته ذلك كذلك أن دين الله واحد وهو دين ابراهيم الحنيفية المسلمة ففرق ذلك اليهود والنصارى فتهود قوم وتنصر آخرون فجعلوه شيعا متفرقة * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك ان كل ضال فلدينه مفارق وقد فرق الاحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده فتهود بعض وتنصر آخرون وتمجس بعض وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعا متفرقين غير مجتمعين فهم لدين الله الحق مفارقون وله مفرقون فبأي ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب غير أني أختار القراءة بالذي عليه عظم القراء وذلك تشديد الراء من فرقوا ثم اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله ان الذين فارقوا دينهم فقال بعضهم عنى بذلك اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وكانوا شيعا قال يهود حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فرقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من اليهود والنصارى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ هؤلاء اليهود والنصارى وأما قوله فرقوا دينهم فيقول تركوا دينهم وكانوا شيعا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وذلك أن

الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تقديرك وقضاؤك ولكنه كان أعور العين اليمنى بصيرا بالعين التي رأى بها أنانيته فقال أنا خير منه أي منعني خيريتي منه أن أسجد لمن هو دوني واستدل على خيريته بأنه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وآدم خلق من طين وهو سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بأن النار من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من خواصه النشوء والانماء والاستمساك الذي (٧٨) بقوته يصير الانسان مستمسكا للفيض الالهي ونفخ الروح فيه فاستحق سجود الملائكة لانه صار كعبة حقيقية فلما ابتلى ابليس بالصغار وطرد من الجوار أخذ في النوح وأيس من الروح ورضي بالبعاد واطمأن بالحياة فقال أنظرني فأجيب الى ما سأل ليكون وبالا عليه ويزيد في شقوته ولكن لم يجبه بأن لا يذيقه ألم الموت لقوله في موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما أغويتني لم تكن حوالته الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لأغوينهم لأقعدن ثم لآتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس من بين أيديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل الطعن في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن أيمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع أهاليهم وأقاربهم وترك الأمر بالمعروف مع عامة المسلمين أو المراد من بين أيديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل الصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على أنفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال أو من بين أيديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول أن أو من بين أيديهم أثور عليهم أهاليهم وأولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم أثور عليهم آباءهم وأمهاتهم وعن ايمانهم أثور عليهم أحباءهم وعن شمائلهم أثور عليهم أعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين على أنفسكما لأن للمحبة نارا ونورا فمن لم يرد نارها لم يجد نورها ومن يرد نارها احترقت أنانيته فيبقى بلا هوية نفسه مع هوية ربه فههنا يجد نور المحبة

اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرقوا فلما بعث محمد أنزل الله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني اليهود والنصارى حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين بن علي عن شيبان عن قتادة فارقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى * وقال آخرون عني بذلك أهل البدع من هذه الأمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة قال ان الذين فرقوا دينهم قال نزلت هذه الآية في هذه الأمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال هم أهل الضلالة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية ابن الوليد قال كتب الي عباد بن كثير قال ثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا وأنه ليس منهم ولا هم منه لأن دينه الذي بعثه الله به هو الاسلام دين ابراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره أن يقول قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثني ويهودي ونصراني ومتحنف مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة ابراهيم المسلم فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه بريء وهو داخل في عموم قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ وأما قوله لست منهم في شئ انما أمرهم الى الله فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم نزلت هذه الآية على نبي الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم ثم نسخها الأمر بقتالهم في سورة براءة وذلك قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله لست منهم في شئ انما أمرهم الى الله لم يؤمر بقتالهم ثم نسخت فأمر بقتالهم في سورة براءة * وقال آخرون بل نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اعلاما من الله له أن من أمته من يحدث بعده في دينه وليست بمنسوخة لانها خبر لا أمر والنسخ انما يكون في الامر والنهي ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مالك بن مغول عن علي بن الأقمر عن أبي الاحوص أنه تلا هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ ثم يقول برئ نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وابن ادريس وأبو أسامة ويحيى بن آدم عن مالك بن مغول بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا شجاع أبو بدر عن عمرو بن قيس الملائي قال قالت أم سلمة ليتق امرؤ

ويتنورا به كقوله يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل آدم كما خمر طينة ادم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم وأولاده الا أن تكونا ملكين أى من أهل السلوكملكين فى زوايا الجنة أو تكونا من الخالدين فى الجنة كالحور والرضوان فسقاهما ابليس فى كأس القسم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما فلما غرقا فى لجة المحنة وذاقا من شجرة المحبة بدت لهما سوآتهما أى سوآت نار المحبة قبل نورها (٧٩) وهى نار فرقة الأحبة فى البداية وطفقا لاشتعال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهبت احترقت بلظى نارها حبة الوصلة ونعب غراب البين بالفرقة

فبينما نحن فى لهو وفى طرب
بدا سحاب فراق صوبه هطل
وان من كنت مشغوفا بطلعته
مضى وأقفر منه الرسم والطلل
فالصبر مرتحل والوجد متصل
والدمع منهمل والقلب مشتعل

وناداهما ربهما نداء العزة والكبرياء ألم أنهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن فى عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين

واخجلتا من وقوفى باب دارهم
لو قيل لى مغضبا من أنت يا رجل

فانغسل بماء الخجل منهما رعونات البشرية ولوث العجب والانانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لديه وعلما ان لا منجا ولا ملجأ منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا أنفسنا بأن أوقعناها فى شبكة المحبة لا المحبة تبقينا بالوصال ولا المحنة تفتينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا بتجلى الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو النفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح فى أرض البدن مقام وتمتع فى الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة تستحق الخطاب ارجعى من الهبوط وارقى بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

قال فيها أى فى المحبة تحيون بصدق الهمة وقرع باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى

أن لا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ ثم قرأت ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ قال عمرو بن قيس قالها مرة الطيب وتلا هذه الآية * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قوله لست منهم فى شئ اعلام من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة فى دينه برىء ومن الأحزاب من مشركى قومه ومن اليهود والنصارى وليس فى اعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم لانه غير محال أن يقال فى الكلام لست من دين اليهود والنصارى فى شئ فقاتلهم فان أمرهم الى الله فى أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه ويهلك من أراد اهلاكه منهم كافرا فيقبض روحه أو يقتله بيدك على كفره ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه واذ كان غير مستحيل اجتماع الامر بقتالهم وقوله لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله ولم يكن فى الآية دليل واضح على أنها منسوخة ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبر كان غير جائز أن يقضى عليها بأنها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك لما قد بينا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه فى حال واحدة فى كتابنا كتاب اللطيف عن أصول الاحكام وأما قوله انما أمرهم الى الله فانه يقول أنا الذى الى أمرهؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ودون كل أحد إما بالعقوبة ان أقاموا على ضلالتهم وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل منى عليهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يقول ثم أخبرهم فى الآخرة عند ورودهم على يوم القيامة بما كانوا يفعلون فأجازى كلا منهم بما كانوا فى الدنيا يفعلون المحسن منهم بالاحسان والمسىء بالاساءة ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالاحسان أو بالاساءة فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره من وافى ربه يوم القيامة فى موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا بالتوبة والايمان والاقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته وذلك هو الحسنة التى ذكرها الله فقال من جاء بها فله عشر أمثالها ويعنى بقوله فله عشر أمثالها فله عشر حسنات أمثال حسنته التى جاء بها ومن جاء بالسيئة يقول ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله فلا يجزى الا ما ساءه من الجزاء كما وافى الله به من عمله السئ وهم لا يظلمون يقول ولا يظلم الله الفريقين لا فريق الاحسان ولا فريق الاساءة بأن يجازى المحسن بالاساءة والمسىء بالاحسان ولكنه يجازى كلا الفريقين من الجزاء ما هو له لانه جل ثناؤه حكيم لا يضع شيأ الا فى موضعه الذى يستحق أن يضعه فيه ولا يجازى أحدا الا بما يستحق من الجزاء وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الظلم وضع الشئ فى غير موضعه بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع فان قال قائل فان كان الأمر كما ذكرت من أن معنى الحسنة فى هذا الموضع الايمان بالله والاقرار بوحدانيته والتصديق برسوله والسيئة فيه الشرك به والتكذيب لرسوله فلا يمان أمثال فيجازى

عالم الحقيقة (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم (٨٠) عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ۞ القراآت ورياشا أبو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب أبو جعفر ونافع وابن عامر وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الآخرون بالنصب ربى الفواحش مرسلة الياء حمزة ۞ الوقوف وريشا ط لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ بالنصب وقف على التقوى خير ط يذكرون ٥ سوآتهما ط لا يؤمنون ٥ أمرنا بها ط بالفحشاء ط مالا تعلمون ٥ الدين ط تعودون ٥ على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة ج مهتدون ٥ ولا تسرفوا ج لاحتمال الفاء أو اللام المسرفين ٥ من الرزق ط يوم القيامة ط يعلمون ٥ مالا تعلمون ٥ أجل ج لأن جواب اذا منتظر مع دخول الفاء فيها ولا يستقدمون ٥ ۞ التفسير لما ذكر أن الارض مستقر قال لبنى آدم ذكرانه أنزل كل ما يحتاجون اليه فى الدين والدنيا فقال (يابنى آدم قد أنزلنا) وأيضا لما ذكر واقعة آدم فى انكشاف العورة وانه كان يخصف عليها أتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بأن التستر باب من أبواب التقوى ومعنى انزال اللباس أنه قضى ثمة وكتب أو أنه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال

بها المؤمن وان كان له مثل فكيف يجازى به والايمان انما هو عنده قول وعمل والجزاء من الله لعباده عليه الكرامة فى الآخرة والانعام عليه بما أعد لأهل كرامته من النعيم فى دار الخلود وذلك أعيان ترى وتعاين وتحس ويلتذ بها لا قول يسمع ولا كسب جوارح قيل ان معنى ذلك غير الذى ذهبت اليه وانما معناه من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعا فان له من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها فان قلت فهل لقول لا اله الا الله من الحسنات مثل قيل له مثل هو غيره وليس له مثل هو قول لا اله الا الله وذلك هو الذى وعد الله جل ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التى هى الشرك الا أنه لا يجازى صاحبها عليها الا ما يستحقه عليها من غير اضعافه عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد ابن جبير قال لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال رجل من القوم فان لا اله الا الله حسنة قال نعم أفضل الحسنات حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن الأعمش والحسن ابن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة لا اله الا الله حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص قال ثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله قال من جاء بالحسنة قال من جاء بلا اله الا الله قال ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية بن عمرو المعنى عن زائدة عن عاصم عن شقيق من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد وعن عثمان بن الاسود عن مجاهد والقاسم بن أبى بزة من جاء بالحسنة قالوا لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قالوا بالشرك و بالكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال لا اله الا الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى المحجل عن ابراهيم من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن أبى المحجل عن أبى معشر عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى المحجل عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أبى المحجل عن أبى معشر قال كان ابراهيم يحلف بالله ما يستثنى أن من جاء بالحسنة لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة من جاء بالشرك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء فى قوله من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثنا ابن وكيع

ومن قرأ رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهرى الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شئ يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا أصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال أما قوله (ولباس التقوى) فمن قرأ بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء وخبره اما الجملة التى هى ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء (٨١) الاشارة كالضمائر فى صلاح العود بسببها واما المفرد الذى هو خير وذلك بدل أو عطف بيان أو صفة بتأويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما التعظيم لباس التقوى واما أن يكون المراد بلباس التقوى هو اللباس الموارى للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس أى اللباس الذى أنزله الله تعالى ليوارى به السوأة هو لباس التقوى لأن قوما من أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفت الصدق فى أبواب البر والصدق خير لك من غيره فيعيده أو المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها فى الحروب أو يراد الملبوسات المعدة لأجل اقامة الصلاة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدى وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما يظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الآية ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به وأقرب الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذى يتجمل به فأضاف اللباس الى التقوى كما أضيف الى الجوع والخوف فى قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده (لعلهم يذكرون) فيعرفون عظيم النعمة فيه ثم حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام أن تكون عبرة لمن يسمعها فقال (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان) الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا أدخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق وورق فتين

قال ثنا أبى وحدثنا المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو نعيم جميعا عن سفيان عن الأعمش عن أبى صالح من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عثمان بن الاسود عن القاسم بن أبى بزة من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة عن الضحاك من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر عن أشعث عن الحسن من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة يقول من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الاعمال ستة موجبة وموجبة ومضعفة ومضعفة ومثل ومثل فاما الموجبتان فمن لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة ومن لقى الله مشركا به دخل النار وأما المضعف والمضعف فنفقة المؤمن فى سبيل الله سبعمائة ضعف ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها وأما مثل ومثل فاذا هم العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا الأعمش عن شمر بن عطية عن شيخ من التيم عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله علمنى عملا يقربنى الى الجنة ويباعدنى من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها قال قلت يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال هى أحسن الحسنات * وقال قوم عنى بهذه الآية الأعراب فأما المهاجرون فان حسناتهم سبعمائة ضعف أو أكثر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى فى قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال هذه للأعراب وللمهاجرين سبعمائة حدثنا محمد بن نشيط بن هرون الحربى قال ثنا يحيى بن أبى بكر قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى عن عبد الله بن عمر قال نزلت هذه الآية فى الأعراب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال رجل فما للمهاجرين قال ما هو أعظم من ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما واذا قال الله لشئ عظيم فهو عظيم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع قال نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدون عشر أموالهم ثم نزلت الفرائض بعد ذلك صوم رمضان والزكاة فان قال قائل وكيف قيل عشر أمثالها فأضيف العشر الى الامثال وهى الامثال وهل يضاف الشئ الى نفسه قيل أضيفت اليها لانه مراد بها فله عشر حسنات أمثالها فالامثال حلت محل المفسر وأضيف العشر اليها كما يقال عندى

(١١ - (ابن جرير) - ثامن)

أى فضة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على منع أولاده عن ان يدخلوا الجنة أقدر ومحل كما أخرج نصب على المصدر أى فتنة مثل اخراج أبويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة ومحل (ينزع عنهما لباسهما) حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا فى ان نزع عنهما واللام فى (ليريهما سوآتهما) لام العاقبة أو لام الغرض كما تقدم فى قوله ليبدى لهما قال ابن عباس يرى آدم (٨٣) سوأة حواء ويرى حواء سوأة آدم وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر

وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى وحمله العلماء على الكراهية لا على التحريم واختلفوا فى اللباس الذى نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الأظفار وقيل اللباس الذى هو ثياب الجنة قال الكعبى فى الآية دلالة على ان المعاصى والفتن كلها منسوبة الى الشيطان وأجيب بأنه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعى ثم علل النهى وأكد التحذير بقوله (انه يراكم هو وقبيله) أى جماعته من الثلاثة فصاعدا والقبيل بنو أب واحد وقال ابن قتيبة أى أصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله أى وجماعته (من حيث لا ترونهم) أى يكيدون ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه فى أن الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن الانس كثافة أجسام الانس والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوى شعاع أبصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله فى قوة أبصارنا لرأيناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو أنه تعالى كثف أجسامهم وبقيت أبصارنا على هذه الحالة لرأيناهم وقال أهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق فى عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك فى عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول أوقات الاستقبال من غير تخصيص ذلك ففيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم أنفسهم ليس فى استطاعتهم وأن زعم من يدعى رؤيتهم زور ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صور أنفسهم بأى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط الناس وازالة العقل عنهم لكان أولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس أشد وعن مجاهد قال ابليس أعطينا

عشر نسوة (١) فلانه أريد بالامثال مقامها فقيل عشر أمثالها فأخرج العشر مخرج عدد الآيات والمثل مذكر لا مؤنث ولكنها لما وضعت موضع الآيات وكان المثل يقع للمذكر والمؤنث فجعلت خلفا منها فعل بها ما ذكرت ومن قال عندى عشر أمثالها لم يقل عندى عشر صالحات لان الصالحات فعل لا يعد وانما تعد الاسماء والمثل اسم ولذلك جاز العدد به وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك فله عشر بالتنوين أمثالها بالرفع وذلك وجه صحيح فى العربية غير أن القراء فى الامصار على خلافها فلا نستجيز خلافها فيما هى عليه مجتمعة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام انى هدانى ربى الى صراط مستقيم يقول قل لهم انى أرشدنى ربى الى الطريق القويم هو دين الله الذى ابتعثه به وذلك الحنيفية المسلمة فوفقنى له دينا قيما يقول مستقيما ملة ابراهيم يقول دين ابراهيم حنيفا يقول مستقيما وما كان من المشركين يقول وما كان من المشركين بالله يعنى ابراهيم صلوات الله عليه لأنه لم يكن ممن يعبد الاصنام واختلفت القراء فى قراءة قوله دينا قيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض البصريين دينا قيما بفتح القاف وتشديد الياء الحاقا منهم ذلك بقول الله ذلك الدين القيم وبقوله ذلك دين القيمة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين دينا قيما بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها وقالوا القيم والقيم بمعنى واحد وهما لغتان معناهما الدين المستقيم * والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب الى لانه أفصح اللغتين وأشهرهما ونصب قوله دينا على المصدر من معنى قوله انى هدانى ربى الى صراط مستقيم وذلك ان المعنى هدانى ربى الى دين قويم فاهتديت له دينا قيما فالدين منصوب من المحذوف الذى هو اهتديت الذى ناب عنه قوله انى هدانى ربى الى صراط مستقيم * وقال بعض نحويى البصرة انما نصب ذلك لانه لما قال هدانى ربى الى صراط مستقيم قد أخبر أنه عرف شيأ فقال دينا قيما كأنه قال عرفت دينا قيما ملة ابراهيم وأما معنى الحنيف فقد بينته فى مكانه فى سورة البقرة بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والاصنام الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والاوثان ان صلاتى ونسكى يقول وذبحى ومحياى يقول وحياتى ومماتى يقول ووفاتى لله رب العالمين يعنى أن ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به أيها المشركون من الاوثان لا شريك له فى شئ من ذلك من خلقه ولا لشئ منهم فيه نصيب لانه لا ينبغى أن يكون

---

(١) لا يخفى ما فيه ولعل الأصل ولأنه أريد بالأمثال الآيات وأقيمت الأمثال مقامها قيل الخ تأمل

أربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وعن مالك بن دينار ان عدو ابراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله والضمير في انه للشأن وهو تأكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل ثم قال (انا جعلنا الشياطين) الآية واحتج أهل السنة على انه تعالى هو الذي سلط الشيطان عليهم حتى أضلهم وأغواهم ويتأكد هذا النص بقوله انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا اعتذر القاضي بأن المراد من الجعل الحكم بأن الشيطان ولي لمن لا يؤمن أو المراد التخلية بينهم وبينهم (٨٣) كمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل وأجيب بأن حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب أنه حكم بذلك فهل يمكن مخالفة حكم الله وبأن الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله (واذا فعلوا فاحشة) قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحائر والسوائب وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزايدة في القبح أعني الكبيرة والمراد أنهم كانوا يفعلون أشياء هي في أنفسها فواحش ويعتقدون أنها طاعات فوبخوا على ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند كل عاقل والثانية ان الله أمرهم بذلك فأجاب عنها بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) فالمعتزلة أن يحتجوا به على أن الشئ انما يقبح لوجه عائد اليه وأن كونه في نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهي ولهذا أكد هذا المعنى بقوله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) والجواب أن عدم الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء ومشيئتها ونحن لا ندعي الا أنه تعالى مريد لجميع الكائنات وأن شيأ منها لا يخرج عن حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال (قل امر ربي بالقسط) قال عطاء والسدي أي بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وأفعاله وأحكامه أما قوله (وأقيموا) فليس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل أقيموا (وجوهكم) أي استقبلوا القبلة واستقيموا وأخلصوا (عند كل مسجد) في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود كأن المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدا ني لا أصلي الا في مسجد قومي ثم لما أمر بالتوجه الى القبلة أمر بعده بالدعاء والأظهر أن المراد به أعمال الصلاة سميت دعاء لان أشرف أجزاء الصلاة هو الدعاء والذكر ويمكن أن يقال الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله

ذلك الا له خالصا وبذلك أمرت يقول وبذلك أمرني ربي وأنا أول المسلمين يقول وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الامة لربه بأن ذلك كذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال النسك في هذا الموضع الذبح **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ان صلاتي ونسكي قال النسك الذبائح في الحج والعمرة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ونسكي ذبيحتي في الحج والعمرة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ونسكي ذبيحتي في الحج والعمرة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل وليس بابن أبي خالد عن سعيد بن جبير في قوله صلاتي ونسكي قال ذبحي **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن اسمعيل عن سعيد بن جبير في قوله صلاتي ونسكي قال ذبيحتي **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن سفيان عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال ابن مهدي لا أدري من اسمعيل هذا صلاتي ونسكي قال صلاتي وذبيحتي **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير في قوله صلاتي ونسكي قال وذبيحتي **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ونسكي قال ذبحي **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ونسكي قال ذبيحتي **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك صلاتي ونسكي قال الصلاة الصلاة والنسك الذبح * وأما قوله وأنا أول المسلمين فان محمد بن عبد الأعلى **حدثنا** قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنا أول المسلمين قال أول المسلمين من هذه الأمة ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان الداعيك الى عبادة الاصنام واتباع خطوات الشيطان أغير الله أبغي ربا يقول أسوى الله أطلب سيدا يسودني وهو رب كل شئ يقول وهو سيد كل شئ دونه ومدبره ومصلحه ولا تكسب كل نفس الا عليها يقول ولا تجترح نفس اثما الا عليها أي لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى وركبت من الخطيئة سواها بل كل ذي اثم فهو المعاقب باثمه والمأخوذ بذنبه ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول ولا تأثم نفس آثمة باثم نفس أخرى غيرها ولكنها تأثم باثمها وعليه تعاقب دون اثم أخرى غيرها وانما يعني بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم يقول قل لهم انا لسنا مأخوذين بآثامكم وعليكم عقوبة اجرامكم ولنا جزاء أعمالنا وهذا كما أمره الله جل ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم لكم دينكم ولي دين وذلك كما **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال كان في ذلك الزمان لا مخرج للعلماء

وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء فقال (كما بدأكم تعودون) قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون أحياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم مؤمنا وكافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في أول الامر للشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل أهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك (٨٤) (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) وانتصاب فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره

العابدين الا احدى خلتين احداهما أفضل من صاحبتها اما أمر ودعاء الى الحق أو الاعتزال فلا تشارك أهل الباطل في عملهم وتؤدي الفرائض فيما بينك وبين ربك وتحب لله وتبغض لله ولا تشارك أحدا في اثم قال وقد أنزل في ذلك آية محكمة قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شئ الى قوله فيه تختلفون وفي ذلك قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقال من الوزر وزر يوزر فهو وزير ووزر يوزر فهو موزور ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله وعليه وزره فاعملوا ما أنتم عاملوه ثم الى ربكم أيها الناس مرجعكم يقول ثم اليه مصيركم ومنقلبكم فينبئكم بما كنتم فيه في الدنيا تختلفون من الاديان والملل اذ كان بعضكم يدين باليهودية وبعض بالنصرانية وبعض بالمجوسية وبعض بعبادة الاصنام وادعاء الشركاء مع الله والانداد ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر فتعلموا حينئذ من المحسن منا والمسيء ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته والله الذي جعلكم أيها الناس خلائف الارض بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كما الوصائف جمع وصيفة وهي من قول القائل خلف فلان فلانا في داره يخلفه خلافة فهو خليفة فيها كما قال الشماخ

تصيبهم وتخطيني المنايا ۞ وأخلف في ربوع عن ربوع

وذلك كما حدثني الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وهو الذي جعلكم خلائف الارض قال أما خلائف الأرض فأهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم وأما قوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات فانه يقول وخالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض بأن رفع هذا على هذا بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوله من أسباب الدنيا وهذا على هذا بما أعطاه من الايد والقوة على هذا الضعيف الواهن القوى فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا وخفض من درجة هذا عن درجة هذا وذلك كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ورفع بعضكم فوق بعض درجات يقول في الرزق وأما قوله ليبلوكم فيما آتاكم فانه يعني ليختبركم فيما خولكم من فضله ومنحكم من رزقه فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي ومن المؤدي مما آتاه الحق الذي أمره بأدائه منه والمفرط في أدائه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه وخلافه أمره فيما أمره به

ما بعده أي وخذل أو أضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت به قال القاضي المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة أي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق أن يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز أن يأمر أنبياءه باضلالهم عن الدين كما أمرهم باقامة الحدود المستحقة وأجيب بأن قوله هدى وحق ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبأن الهدى الى الجنة أو الضلال عنها لا بد أن يكون محكوما به في الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ما لأجله حقت على هذه الفرقة الضلالة أعني السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم بين أن جهلهم مركب لا بسيط فقال (ويحسبون أنهم مهتدون) وفيه أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في أصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما أمر بالقسط وكان من جملته أمر اللباس والمأكول والمشروب وأيضا أمر باقامة الصلاة وكان ستر العورة شرط صحتها فلا جرم قال (يا بني آدم خذوا زينتكم) عن ابن عباس قال كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفليها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر تقيها من الذباب وهي تقول ونهاه اليوم يبدو بعضه أو كله ۞ وما بدا منه فلا أحله وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقال الكلبي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم

يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يارسول الله نحن أحق بذلك فأنزل الله الآية قال أكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعنى الثياب وأيضا الزينة لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر الوجوب وكل ماسوى اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة فيه أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية تقتضى وجوب اللبس التام عند كل صلاة ترك العمل به فى القدر الذى لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقى الباقى داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب فى الصلاة والا فسدت صلاته قال أصحاب أبى حنيفة نبس الثوب المغسول بماء الورد على أقصى وجوه النظافة أخذ للزينة فيكفى فى صحة الصلاة وأجيب بأن اللام فى قوله وأقيموا الصلاة تنصرف الى المعهود السابق وهو صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه يصلى فى الثوب المغسول بماء الورد أما قوله (وكلوا) أى اللحم والدسم (واشربوا) فقد قيل انهما أمر اباحة بالاتفاق فوجب أن يكون أخذ الزينة أيضا على الاباحة وأجيب بأنه لا يلزم من ترك الظاهر فى المعطوف تركه فى المعطوف عليه مع أن الاكل والشرب قد يكونان واجبين أيضا فى الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات و يتناولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل أيضا مؤكد لهذا المعنى لان الاصل فى المنافع الحل والاباحة وفى قوله (ولا تسرفوا) وجهان الاول انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثانى وهو قول أبى بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم أخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وأيضا انهم حرموا على أنفسهم فى وقت الحج ما أحله الله تعالى لهم قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغى أولى من حمله على المنع مما يجوز و ينبغى وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد صاحب المغازى ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم أبدان وعلم أديان فقال له قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه قال وما هى قال قوله

ونهاه ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوله توليا وادبارا عنه مع انعامه عليه وتمكينه إياه فى الارض كما فعل بالقرون السالفة وانه لغفور يقول وانه لساتر ذنوب من ابتلى منه اقبالا اليه بالطاعة عند ابتلائه اياه بنعمته واختباره اياه بأمره ونهيه فغط عليه فيها وتاركه فضيحته بها فى موقف الحساب رحيم بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التى سلفت بينه وبينه اذ تاب وأناب اليه قبل لقائه ومصيره اليه

(تفسير السورة التى يذكر فيها الاعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿المص﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل قول الله تعالى المص فقال بعضهم معناه أنا الله أفصل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس المص أنا الله أفصل حدثنى الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عمار بن محمد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله المص أنا الله أفصل * وقال آخرون هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذى هو المصور ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى المص قال هى هجاء المصور * وقال آخرون هى اسم من أسماء الله أقسم ربنا به ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله المص قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة المص قال اسم من أسماء القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون هى حروف هجاء مقطعة * وقال آخرون هى من حساب الجمل * وقال آخرون هى حروف تحوى معانى كثيرة دل الله بها خلقه على مراده من كل ذلك * وقال آخرون هى حروف اسم الله الأعظم وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه وتعليل كل فريق قال فيه قولا وما الصواب من القول عندنا فى ذلك بشواهده وأدلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع القول فى تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿كتاب أنزل اليك﴾ « قال أبو جعفر » يعنى تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد كتاب أنزله الله اليك ورفع الكتاب بتأويل هذا كتاب القول فى تأويل قوله ﴿فلا يكن فى صدرك حرج منه﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يضق صدرك يا محمد من الانذار به من أرسلتك لانذاره به وابلاغه من أمرتك بابلاغه اياه ولا تشك فى انه من عندى واصبر بالمضى لامر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة كما صبر أولو العزم من الرسل فان الله معك والحرج هو الضيق

كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن رسولكم شئ فى الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة قال وماهى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماعودته فقال النصرانى ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة ومايخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله (قل من حرم زينة الله) قال ابن عباس وأكثر المفسرين هى اللباس الساتر للعورة وقال (٨٦) آخرون انها تتناول جميع أنواع الزينة من الملابس والمراكب والحلى وكذا كل مايستطاب ويستلذ من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غلبنى حديث النفس عزمت على ان اختصى فقال مهلا ياعثمان فان خصاء أمتى الصيام قال فان نفسى تحدثنى بالترهب فقال ان ترهب أمتى القعود فى المساجد لانتظار الصلوات فقال تحدثنى نفسى بالسياحة قال سياحة أمتى الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسى تحدثنى أن أخرج مما أملك فقال الاولى أن تكفى نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتعطيه مافضل من ذلك فقال نفسى تحدثنى ان أطلق خولة فقال ان الهجرة فى أمتى هجرة ماحرم الله تعالى قال فان نفسى تحدثنى ان لا أغشاها فقال ان المسلم اذا غشى أهله وما ملكت يمينه فان لم يصب من وقعته تلك ولدا كان له وصيف فى الجنة وان كان له ولد مات قبله أو بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وان مات قبل أن يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيامة قال فان نفسى تحدثنى ان لا آكل اللحم قال مهلا انى آكل اللحم اذا وجدته ولو سألت الله أن يطعمنيه كل يوم فعله قال فان نفسى تحدثنى ان لا أمس الطيب قال مهلا فان جبريل يأمرنى بالطيب غسلا وقال لاتتركه يوم الجمعة ثم قال ياعثمان لا ترغب عن سنتى فانه من رغب عن سنتى ومات فليس منى ولو مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى

فى كلام العرب وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته فى قوله ضيقا حرجا مما أغنى عن اعادته وقال أهل التأويل فى ذلك ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال لا تكن فى شك منه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال شك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة فلا يكن فى صدرك حرج منه شك منه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فلا يكن فى صدرك حرج منه قال أما الحرج فشك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا فى قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال شك من القرآن * قال أبو جعفر وهذا الذى ذكرته من التأويل عن أهل التأويل هو معنى ماقلنا فى الحرج لان الشك فيه لا يكون الا من ضيق الصدر به وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التى هى وجهته الصحيحة وانما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق لان ذلك هو الغالب عليه من معناه فى كلام العرب كما قد بيناه قبل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره وذكرى للمؤمنين وهو من المؤخر الذى معناه التقديم ومعناه كتاب أنزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه واذا كان ذلك معناه كان موضع قوله وذكرى نصبا بمعنى أنزلنا اليك هذا الكتاب لتنذر به وتذكر به المؤمنين ولو قيل معنى ذلك هذا كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه أن تنذر به وتذكر به المؤمنين كان قولا غير مدفوعة صحته واذا وجه معنى الكلام الى هذا الوجه كان فى قوله وذكرى من الاعراب وجهان أحدهما النصب بالرد على موضع لتنذر به والآخر الرفع عطفا على الكتاب كأنه قيل المص كتاب أنزل اليك وذكرى للمؤمنين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الاوثان والاصنام اتبعوا أيها الناس ماجاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى واعملوا بما أمركم به ربكم ولا تتبعوا شيأ من دونه يعنى شيأ غير ما أنزل اليكم ربكم يقول لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الاوثان فانهم يضلونكم ولا يهدونكم فان قال قائل وكيف قلت معنى الكلام قل اتبعوا وليس فى الكلام موجودا ذكر القول قيل انه وان لم يكن مذكورا صريحا فان فى الكلام دلالة عليه وذلك قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به ففى قوله لتنذر به الامر بالانذار وفى الامر بالانذار الامر بالقول لان الانذار قول فكان معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولو قيل معناه لتنذر به

واعلم ان كل واقعة تقع فاما أن لا يكون فيها نفع ولا ضر أو يتساوى ضرها ونفعها فوجب وتذكر الحكم فى القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وجب لا طلاق الآية وان كان الضرر خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا تقابل المثل بالمثل وبقى القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقى القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الآية دالة على الاحكام التى لا نهاية لها فى الحل والحرمة الا أن نجد نصا خاصا

فى الواقعة فنقضى به تقديما للخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما أن يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضائعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص أولى من العمل بالقياس فاذن القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى أعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت فى الحياة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة وللكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا (٨٧) واما فى الآخرة فانها خالصة لهم فقال (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة) من قرأ بالرفع فلانه خبر بعد خبر فقال أبو على أو على الخبر وللذين آمنوا متعلق به والتقدير هى خالصة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا (يوم القيامة) وعلى هذا يكون فى الحياة ظرفا لآمنوا ويوم القيامة ظرفا للخالصة فيفهم من ذلك انها فى غير يوم القيامة غير خالصة لهم بل تكون مشوبة بزجمة الكفار وعلى الاول يكون فى الحياة ظرفا للمحذوف أى هى للذين آمنوا غير خالصة فى الحياة الدنيا وهى لهم خالصة يوم القيامة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال وباقى التقدير كما ذكرنا آنفا (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أى لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين أصول الافعال المحرمة وحصرها فى ستة أنواع لان الجناية اما على الفروج وأشار اليها بقوله (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) واما أن تكون على العقول وهى شرب الخمر واليها الاشارة بقوله (والاثم) وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كأنه خصص أولا الاثم عم واما أن تكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض والدين الاشارة بقوله (والبغى بغير الحق) ومعنى بغير الحق أن لا يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا أن يكون لهم فيه

وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم كان غير مدفوع وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله اتبعوا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه اتبع ما أنزل اليك من ربك ويرى أن ذلك نظير قول الله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن اذ ابتدأ خطاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جعل الفعل للجميع اذ كان أمر الله نبيه بأمر أمرا منه لجميع أمته كما يقال للرجل يفرد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته أما تتقون الله أما تستحيون من الله ونحو ذلك من الكلام وذلك وان كان وجها غير مدفوع فالقول الذى اخترناه أولى بمعنى الكلام لدلالة الظاهر الذى وصفنا عليه وقوله قليلا ما تذكرون يقول قليلا ما تتعظون وتعتبرون فتراجعون الحق ﴿القول فى تأويل قوله﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حذر هؤلاء العابدين غيرى والعادلين بى الآلهة والاوثان سخطى لأحل بهم عقوبتى فأهلكهم كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم فكثيرا ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصونى وكذبوا رسلى وعبدوا غيرى فجاءها بأسنا بياتا يقول فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا أو جاءتهم قائلين يعنى نهارا فى وقت القائلة وقيل وكم لان المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عن كثرة ما قد أصاب الامم السالفة من المثلات بتكذيبهم رسله وخلافهم عليه وكذلك تفعل العرب اذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد كما قال الفرزدق

كم عمة لك يا جرير وخالة ✻ فدعاء قد حلبت على عشارى

فان قال قائل فان الله تعالى ذكره انما أخبر أنه أهلك قرى فما فى خبره عن اهلاكه القرى من الدليل على اهلاكه أهلها قيل ان القرى لا تسمى قرى ولا القرية قرية الا وفيها مساكن لاهلها وسكان منهم ففى اهلاكها اهلاك من فيها من أهلها وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية والمراد به أهلها والذى قلنا فى ذلك أولى بالحق لموافقته ظاهر التنزيل المتلو فان قال قائل وكيف قيل وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وهل هلكت قرية الا بمجىء بأس الله وحلول نقمته وسخطه بها فكيف قيل أهلكناها فجاءها وان كان مجىء بأس الله اياها بعد هلاكها فما وجه مجىء ذلك قوما قد هلكوا وبادوا ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم قيل ان لذلك من التأويل وجهين كلاهما صحيح واضح منهجه أحدهما أن يكون معناه وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا اياها عن اتباع ما أنزلنا اليها من البينات والهدى واختيارها اتباع أمر أوليائها المغوين لها عن طاعة ربها فجاءها بأسنا اذ فعلت ذلك بياتا أو هم قائلون فيكون اهلاك الله اياها خذلانه لها عن طاعته ويكون مجىء بأس الله اياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه اياهم والآخر منهما أن يكون الاهلاك هو البأس بعينه فيكون فى ذكر الاهلاك الدلالة على ذكر مجىء البأس وفى ذكر مجىء البأس الدلالة على ذكر الاهلاك واذا كان ذلك كذلك كان سواء عند العرب بدئ بالاهلاك ثم عطف عليه بالبأس أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالاهلاك وذلك

حق فحينئذ يخرج عن أن يكون بغيا واما أن تكون الجناية على الاديان اما بالطعن فى التوحيد واليه أشار بقوله (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أى لا سلطان حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فان قيل الفاحشة وغيرها هى التى نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الآية انما حرم ربى المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله فى ذاته على أمور باعتبارها يجب النهى عنه فيزول الاشكال ثم شدد أمر التكاليف بالآجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال (ولكل أمة أجل) عن

ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى أمهل كل أمة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم قبل ذلك ولا يؤخرهم عنه والمقصود وعيد أهل مكة وقيل معناه ان أجل العمر لا يتقدم ولا يتأخر سواء الهالك والمقتول وأورد على القول الاول أنه ليس لكل أمة من الامم وقت معين فى نزول عذاب الاستئصال وعلى الثانى انه كان ينبغى أن يقال ولكل انسان أو أحد أجل ويمكن أن يقال الامة هى الجماعة فى كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت فى الآجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته أزيد من ذلك ولا أنقص ولا يقدر على أن يميته الا فى ذلك الوقت لان هذا يقتضى خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا أو صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اختار أن الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان أقل ما يستعمل فى تقليل الاوقات عرفا والساعة فى اصطلاح أهل النجوم جزء من أربعة وعشرين جزأ من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا وقوع ذلك الاجل فى الوقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون وأجيب بأن مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل كقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتأخر عنه أخرى ۞ التأويل قد أنزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يوارى سوآت الافعال القبيحة فى الظاهر وسوآت الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية بآداب الطريقة فى الباطن وريشا زينة وجمالا فى الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو لباس القلب والروح والسر والخفى فلباس القلب من التقوى هو الصدق فى طلب المولى فيوارى به سوآت الطمع فى الدنيا ومافيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى فيوارى به سوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى فيوارى بها رؤية غير المولى ولباس الخفى من التقوى بقاؤه بهوية المولى فيوارى بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالفتوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك من آيات الله أى انزال الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا ومافيها ومتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق فى طلب الحق كما أخرج أبويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوآتهما من مخالفة

كقولهم زرتنى فأكرمتنى اذا كانت الزيارة هى الكرامة فسواء عندهم قدم الزيارة وأخر الكرامة أو قدم الكرامة وأخر الزيارة فقال أكرمتنى فزرتنى وكان بعض أهل العربية يزعم أن فى الكلام محذوفا ولولا ذلك لم يكن الكلام صحيحا وأن معنى ذلك وكم من قرية أهلكناها فكان مجىء بأسنا اياها قبل اهلاكنا وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل ولا من خبر يجب التسليم له واذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التى يجب التسليم لها كان بينا فساده * وقال آخرون منهم أيضا معنى الفاء فى هذا الموضع معنى الواو وقال تأويل الكلام وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتا او هذا قول لا معنى له اذ كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو فى الكلام فصرفها الى الأغلب من معناها عندهم ما وجد الى ذلك سبيل أولى من صرفها الى غيره فان قال وكيف قيل فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون وقد علمت أن الأغلب من شأن أو فى الكلام اجتلاب الشك وغير جائز أن يكون فى خبر الله شك قيل ان تأويل ذلك خلاف ما اليه ذهبت وانما معنى الكلام وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتا او بعضها وهم قائلون ولو جعل مكان أو فى هذا الموضع الواو لكان الكلام كالمحال ولصار الأغلب من معنى الكلام ان القرية التى أهلكها الله جاءها بأسه بياتا وفى وقت القائلة وذلك خبر عن البأس انه أهلك من قد هلك وأفنى من قد فنى وذلك من الكلام خلف ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل اذ لم يفصل القرى التى جاءها البأس بياتا من القرى التى جاءها ذلك قائلة ولو فصلت لم يخبر عنها الا بالواو وقيل فجاءها بأسنا خبرا عن القرية أن البأس أتاها وأجرى الكلام على ما ابتدئ به فى أول الآية ولو قيل فجاءهم بأسنا بياتا لكان صحيحا فصيحا راجعا بالكلام الى معناه اذ كان البأس انما قصد به سكان القرية دون بنيانها وان كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب نحو من الذى نال سكانها وقد رجع فى قوله أوهم قائلون الى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان وان كان فى هلاك هلاك مساكنهم وخرابها ولو قيل أو هى قائلة كان صحيحا اذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام فان قال قائل أوليس قوله أوهم قائلون خبرا عن الوقت الذى أتاهم فيه بأس الله من النهار قيل بلى فان قال أوليس المواقيت فى مثل هذا تكون فى كلام العرب بالواو الدال على الوقت قيل ان ذلك وان كان كذلك فانهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استثقالا للجمع بين حرفى عطف اذ كان أو عندهم من حروف العطف وكذلك الواو فيقولون لقيتنى مملقا أو أنا مسافر بمعنى أو وأنا مسافر فيحذفون الواو وهم مريدوها فى الكلام لما وصفت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن دعوى أهل القرية التى أهلكناها اذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بياتا أوهم قائلون الا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا الى أنفسهم مسيئين وربهم آثمين ولأمره ونهيه مخالفين وعنى بقوله جل ثناؤه دعواهم فى هذا الموضع دعاءهم والدعوى فى كلام العرب وجهان أحدهما الدعاء والآخر الادعاء للحق ومن الدعوى التى معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى

الحق وما علما أن فيها هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فأراهما بعد تناول الشجرة إنه يراكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما رأوا في آدم وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم أي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشؤها الصفات الحيوانية وانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وأنتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور الرباني انا جعلنا الشياطين أولياء خلقناهم مستعدين لتولية أمور أهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وحبها قالوا انا وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها والله أمرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل أمر ربي بالقسط كما بدأكم لطفا أو قهرا تعودون اليه فأهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة وأهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العندية كما قال أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث تضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرائع

فما زالت تلك دعواهم ومنه قول الشاعر

وان مذلت رجلي دعوتك أشتفي * بدعوالك من مذل بها فيهون

وقد بينا فيما مضى قبل أن البأس والبأساء الشدة بشواهد ذلك الدالة على صحته بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم وقد تأول ذلك كذلك بعضهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك قال فقرأ هذه الآية فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الآية فان قال قائل وكيف قيل فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك وقد جاءهم بأس الله بالهلاك أقالوا ذلك قبل الهلاك فان كانوا قالوه قبل الهلاك فانهم قالوا قبل مجيء البأس والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم لا قبل ذلك أو قالوه بعد ما جاءهم فتلك حالة قد هلكوا فيها فكيف يجوز وصفهم بقبول ذلك اذا عاينوا بأس الله وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله قيل ليس كل الأمم كان هلاكها في لحظة ليس بين أوله وآخره مهل بل كان منهم من غرق بالطوفان فكان بين أول ظهور السبب الذي علموا أنهم به هالكون وبين آخره الذي عم جميعهم هلاكه المدة التي لا اخفاء بها على ذي عقل ومنهم من متع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياما ثلاثة كقوم صالح وأشباههم فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذي كانت رسل الله تتوعدهم به وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم دعوا ياويلنا انا كنا ظالمين فلم يك ينفعهم ايمانهم مع مجيء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم فحذر ربنا جل ثناؤه الذين أرسل اليهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله ما حل بمن كان قبلهم من الأمم اذ عصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴿القول في تأويل قوله ﴿فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره لنسألن الأمم الذين أرسلت اليهم رسلي ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي هل عملوا بما أمرتهم به وانتهوا عما نهيتهم عنه وأطاعوا أمري أم عصوني فخالفوا ذلك ولنسألن المرسلين يقول ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم الى الامم هل بلغتهم رسالاتي وأديت اليهم ما أمرتهم بأدائه اليهم أم قصروا في ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين قال يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم الى قوله غائبين قال يوضع الكتاب يوم القيامة فتكلم بما كانوا يعملون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن

 وآثارها وزين النفوس بالآداب واقدارها وزين القلوب بالشواهد وأنوارها وزين الارواح بالمعارف وأسرارها وزين الاسرار بالطوالع وآثارها فمن تصدى لطلب هذه المقامات فهي مباحة له من غير تأخير وقصور وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشواهد الآفات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل . الفواحش ما يقطع على

العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ماظهر منها ارتكاب المناهى وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ماظهر منها تتبع مالانفسهم نصيب منه ولو بذرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ماظهر منها ترك أدب من الآداب أو التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون الى شئ فى الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغى وهو حب غير الله فانه وضع فى غير موضعه وأن يستغيثوا (٩٠) بغير الله مالم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وأن تقولوا بفتوى النفس وهواها

أو بنظر العقل على الله مالا تعلمون حقيقتها أو تقولوا فى معرفة الله وبيان أحوال السائرين مالستم به عارفين ولكل أمة من السائرين الى الله أو الى الجنة مدة مضروبة فى الازل وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم ﴿يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادارکوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ القراآت حتى اذا ادارکوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تدارکوا بالتاء سهل مخير وكذلك قوله تعالى قلتم وقالوا انا طيرنا وافق الكسائى

السدى فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين يقول فلنسألن الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ولنسألن الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال قال مجاهد فلنسألن الذين أرسل اليهم الامم ولنسألن الذين أرسلنا اليهم عما ائتمناهم عليه هل بلغوا ﴿القول فى تأويل قوله﴿فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ يقول تعالى ذكره فلنخبرن الرسل ومن أرسلتهم اليه بيقين علم بما عملوا فى الدنيا فيما كنت أمرتهم به وما كنت نهيتهم عنه وما كنا غائبين عنهم وعن أفعالهم التى كانوا يفعلونها فان قال قائل وكيف يسأل الرسل والمرسل اليهم وهو يخبر أنه يقص عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم فى ذلك قيل ان ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسئلة استرشاد ولا مسئلة تعرف منهم ما هو به غير عالم وانما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر كما يقول الرجل للرجل ألم أحسن اليك فأسأت وألم أصلك فقطعت فكذلك مسئلة الله المرسل اليهم بأن يقول لهم ألم يأتكم رسلى بالبينات ألم أبعث اليكم النذر فتنذركم عذابى وعقابى فى هذا اليوم من كفر بى وعبد غيرى كما أخبر جل ثناؤه أنه قائل لهم يومئذ ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ونحو ذلك من القول الذى ظاهره ظاهر مسألة ومعناه الخبر والقصص وهو بعد توبيخ وتقرير وأما مسألة الرسل الذى هو قصص وخبر فان الامم المشركة لما سئلت فى القيامة قيل لها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم أنكر ذلك كثير منهم وقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقيل للرسل هل بلغتم ما أرسلتم به أو قيل لهم ألم تبلغوا الى هؤلاء ما أرسلتم به كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قال جل ثناؤه لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا اليه من الامم وللمرسل اليهم على وجه التقرير والتوبيخ وكل ذلك بمعنى القصص والخبر فأما الذى هو عن الله منفى من مسألته خلقه فالمسألة التى هى مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسؤل ليعلم السائل علم ذلك من قبله فذلك غير جائز أن يوصف الله به لانه العالم بالاشياء قبل كونها وفى حال كونها وبعد كونها وهى المسألة التى نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وبقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون يعنى لا يسأل عن ذلك أحدا منهم علم مستثبت ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه لانه العالم بذلك كله وبكل شئ غيره وقد ذكرنا ما روى فى معنى ذلك من الخبر فى غير هذا الموضع فكرهنا اعادته وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم وهذا قول غير بعيد من الحق غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فيقول له أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا حتى يذكره ما فعل فى الدنيا والتسليم لخبر رسول الله صلى الله

فى ثقلت أخراهم لأولاهم بالامالة الشديدة ابراهيم بن حماد وحمزة وعلى وخلف وقرأ أبو عمرو غير ابراهيم بن حماد أولاهم بالامالة اللطيفة أخراهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق النجارى والخزاز عن هبيرة فى أخراهم بالامالة الشديدة فاتهم بضم الهاء رويس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة الا قوله ومن يولهم لا يعلمون بياء الغيبة أبو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التأنيث والتخفيف أبو عمرو وقرأ حمزة وعلى وخلف بفتح ياء تحتانية وبالتخفيف الباقون بتاء التأنيث والتشديد (٩١) غواشى بالياء فى الوقف يعقوب وكذلك كل

عليه وسلم أولى من التسليم لغيره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ الوزن مصدر من قول القائل وزنت كذا وكذا أزنه وزنا ووزنة مثل وعدته أعده وعدا وعدة وهو مرفوع بالحق والحق به ومعنى الكلام والوزن يوم نسأل الذين أرسل اليهم والمرسلين الحق ويعنى بالحق العدل وكان مجاهد يقول الوزن فى هذا الموضع القضاء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ القضاء وكان يقول أيضا معنى الحق ههنا العدل ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال العدل * وقال آخرون معنى قوله والوزن يومئذ الحق وزن الاعمال ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله والوزن يومئذ الحق توزن الاعمال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يوسف بن صهيب عن موسى عن بلال بن يحيى عن حذيفة قال صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام قال يا جبريل زن بينهم فرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات حمل عليه من سيآت صاحبه فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال فذلك قوله والوزن يومئذ الحق * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فمن ثقلت موازينه فقال بعضهم معناه فمن كثرت حسناته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد فمن ثقلت موازينه قال حسناته * وقال آخرون معنى ذلك فمن ثقلت موازينه التى توزن بها حسناته وسيآته قالوا وذلك هو الميزان الذى يعرفه الناس له لسان وكفتان ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال لى عمرو ابن دينار قوله والوزن يومئذ الحق قال انا نرى ميزانا وكفتين سمعت عبيد بن عمير يقول يجعل الرجل العظيم الطويل فى الميزان ثم لا يقوم بجناح ذباب * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى القول الذى ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك هو الميزان المعروف الذى يوزن به وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيآت كما قال جل ثناؤه فمن ثقلت موازينه موازين عمله الصالح فأولئك هم المفلحون يقول فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات والخلود والبقاء فى الجنات لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق ونحو ذلك من الاخبار التى تحقق أن

كلمة سقطت الياء لاجل التنوين أو لاجتماع الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد ما كنا بغيروا والعطف ابن عامر الآخرون بالواو أورثتموها وبابه باد غام الثاء أبو عمرو وحمزة وعلى وهشام ۞ الوقوف آياتى لا لان الفاء بعده لجواب الشرط ولاهم يحزنون ○ النار ط خالدون ○ بآياته ط من الكتاب ط يتوفونهم لا لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين ○ فى النار ط أختها ط جميعا لا لما قلنا من النار ط لا يعلمون ○ يكسبون ○ الخياط ط المجرمين ○ غواش ج الظالمين ○ وسعها ط وجعل أولئك خبر الموصول أوجه بناء على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة الجنة ط خالدون ○ الأنهار ط للعطف مع العارض هدانا الله ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق ط لابتداء النداء بانها جزاء بعد انتهاء الحمد والثناء على أنها عطاء تعملون ○ ۞ التفسير لما بين أحوال التكليف وأن لكل أحد أجلا معينا لا يتقدم ولا يتأخر بين أنهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن وان كانوا متمردين وقعوا فى أشد العذاب فقال (يا بنى آدم اما يأتينكم) واعرابه مثل ما مر فى سورة البقرة فاما يأتينكم

منى هدى والراجع محذوف أى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون أقطع لعذرهم وأقرب الى الفهم والانس ومعنى آياتى أحكامى وشرائعى الدالة على صحة المبدا والمعاد ثم قطع شأن الجاحدين بقوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كأقوال أصناف المشركين وطوائف المبتدعة والثانى انكار حكم وجد من نبى أو كتاب ثم أخبر عن عاقبة أمرهم فقال (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قيل أى العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج أى أنواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من

السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا فى ذمتنا أن ننصفهم ولا نتعدى عليهم وأن نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير أن النصيب هو ما سبق لهم فى حكم الله تعالى ومشيئته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك أو على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعنى ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كأنه سبحانه بين أنهم وان بلغوا فى الكفر ذلك المبلغ العظيم الا أن ذلك ليس بمانع من أن ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكى يصلحوا ويتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) وذلك أن حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام وانه ههنا جملة شرطية فدل على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت وأعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون فى الآخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار أى يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم أحد قال فى الكشاف ما وقعت موصولة بأين فى خط المصحف قلت وانى رأيت النقل على العكس كما ذكرته فى المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب ومعنى الآية أين الآلهة التى تدعون أى تعبدونهم وتدعونهم فى الشدائد (قالوا) على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف (ضلوا عنا) أى غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم (وشهدوا على أنفسهم) بالاعتراف أو بشهادة الجوارح عند معاينة الموت (أنهم كانوا كافرين) ثم شرح بقية أحوال الكفار وذلك قوله (قال) أى الله وعن مقاتل هو من كلام خازن النار وهذا مبنى على انه سبحانه لا يجوز أن يكلم الكفار وان كان كلام سخط (ادخلوا فى أمم) قيل أى ادخلوا فى النار مع أمم والاولى ان لا يلتزم أمره الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين فى جملة أمم تقدم زمانهم زمانكم فى النار وفيه دليل على ان أصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق (كلما دخلت أمة لعنت أختها) فى الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودى يلعن اليهودى والنصرانى يلعن النصرانى وكذا المجوس وسائر أديان الضلالة واذا لعنت نظيرها فلأن تلعن غيرها أولى (حتى اذا ادارکوا فيها) أى تداركوا بمعنى تلاحقوا

ذلك ميزان يوزن به الاعمال على ما وصفت فان أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته وقال أو بالله حاجة الى وزن الاشياء وهو العالم بمقدار كل شئ قبل خلقه اياه وبعده وفى كل حال أو قال وكيف توزن الاعمال والاعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة وانما توزن الاشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها وذلك لا يجوز الا على الاشياء التى توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة قيل له فى قوله وما وجه وزن الله الاعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها وزن ذلك نظير اثباته اياه فى أم الكتاب واستنساخه ذلك فى الكتاب من غير حاجة به اليه ومن غير خوف من نسيانه وهو العالم بكل ذلك فى كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده بل ليكون ذلك حجة على خلقه كما قال جل ثناؤه فى تنزيله كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم اما بالتقصير فى طاعته والتضييع واما بالتكميل والتتميم وأما وجه جواز ذلك فانه كما حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا عبد الرحمن بن زياد الافريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة الى الميزان فيوضع فى الكفة فيخرج له تسعة وتسعون سجلا فيها خطاياه وذنوبه قال ثم يخرج له كتاب مثل الانملة فيها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فتوضع فى الكفة فترجح بخطاياه وذنوبه فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته فى كفة من كفتى الميزان وكتب سيآته فى الكفة الاخرى ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلا وخفة فى الكفة التى الموزون بها أولى احتجاجا من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم استشهادا بذلك عليهم وما أشبه ذلك من حججه ويسئل من أنكر ذلك فيقال له ان الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم فى القيامة ويخفف موازين آخرين وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك فما الذى أوجب لك انكار الميزان أن يكون هو الميزان الذى وصفنا صفته الذى يتعارفه الناس أحجة عقل فقد يقال وجه صحته من جهة العقل وليس فى وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمة ولا دخول فى جور فى قضية فما الذى أحال ذلك عندك من حجة أعقل أو خبر اذ كان لا سبيل الى حقيقة القول بافساد ما لا يدفعه العقل الا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ولا سبيل الى ذلك وفى عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحق فى ذلك وليس هذا الموضع من مواضع الاكثار فى هذا المعنى على من أنكر الميزان الذى وصفنا صفته اذ كان قصدنا فى هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره ولولا ذلك لقرنا الى ما ذكرنا نظائر وفى الذى ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه ان شاء الله ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يقول جل ثناؤه ومن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل باقراره بتوحيد الله والايمان به وبرسوله واتباع

واجتمعوا فى النار وأدرك بعضهم بعضا واستقر معه (قالت أخراهم) أى آخرتهم دخولا فى النار (لاولاهم) دخولا فيها أو أتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندى لان المضل لابد وأن يكون مقدما على الضال فى دخول النار واللام بمعنى التعليل أى لاجل أولاهم وذلك لأن خطابهم مع الله لا معهم (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم) الفاء للجزاء (عذابا ضعفا) أى مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه فى أعينهم والسعى فى اخفاء الدلائل قال أبو عبيدة الضعف (٩٣) مثل الشئ مرة واحدة وهو قول الشافعى فى رجل أوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدى يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الأزهرى العرب تريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصور على المثلين بدليل قوله عز من قائل فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وأقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وانما قال الشافعى ما قال لان ذلك متيقن وما فوقه مشكوك (قال) أى الله أو خازن النار (لكل) من القادة والأتباع (ضعف) اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم وروجوا أمرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب للشخص الذى يستحق العذاب ظلم وأجيب فى التفسير الكبير بأن عذاب الكفار مؤبد فكل ألم يحصل فانه يعقبه حصول ألم آخر الى غير النهاية قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب أن يقال معنى تضعيف عذاب التابع والمتبوع أن ذلك العذاب زائد على مقدار ما تستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من حيثية التابعية والمتبوعية والله أعلم (ولكن لا تعلمون) من قرأه على الغيبة فمعناه لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون أيها المخاطبون مالكل منكم من العذاب أولا تعلمون يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك (وقالت أولاهم لأخراهم) اذ قد حكم الله بأن لكل منا ضعفا (فما كان) أى فما ثبت (لكم علينا من فضل) لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) يحتمل أن يكون من قول القادة وأن يكون من قول الله تعالى فيهم قال فى التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار يوم القيامة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا أن الكذب يجوز أن يصدر عنهم يوم القيامة الا أن هذا الكلام لا يجوز أن يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بأن لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال (ان

أمره ونهيه فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا بآياتنا يظلمون يقول بما كانوا يجحج الله وأدلته يجحدون فلا يقرون بصحتها ولا يوقنون بحقيقتها كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن مجاهد ومن خفت موازينه قال حسناته وقيل فأولئك ومن فى لفظ الواحد لان معناه الجمع ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد وطنا لكم أيها الناس فى الارض وجعلناها لكم قرارا تستقرون فيها ومهادا تمتهدونها وفراشا تفترشونها وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها أيام حياتكم من مطاعم ومشارب نعمة منى عليكم واحسانا منى اليكم قليلا ما تشكرون يقول وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التى أنعمتها عليكم لعبادتكم غيرى واتخاذكم الها سواى والمعايش جمع معيشة * واختلفت القراء فى قراءتها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار معايش بغير همز وقرأه عبد الرحمن الاعرج معائش بالهمز والصواب من القراءة فى ذلك عندنا معايش بغير همز لانها مفاعل من قول القائل عشت تعيش فالميم فيها زائدة والياء فى الحكم متحركة لان واحدها مفعلة معيشة متحركة الياء نقلت حركة الياء منها إلى العين فى واحدها فلما جمعت ردت حركتها اليها لسكون ما قبلها وتحركها وكذلك تفعل العرب بالياء والواو اذا سكن ما قبلهما وتحركتا فى نظائر ما وصفنا من الجمع الذى يأتى على مثال مفاعل وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التى تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل فان ما جاء من الجمع على هذا المثال فالعرب تهمزه كقولهم هذه مدائن وصحائف ونظائر لان مدائن جمع مدينة والمدينة فعيلة من قولهم مدنت المدينة وكذلك صحائف جمع صحيفة والصحيفة فعيلة من قولك صحفت الصحيفة فالياء فى واحدها زائدة ساكنة فاذا جمعت همزت لخلافها فى الجمع الياء التى كانت فى واحدها وذلك انها كانت فى واحدها ساكنة وهى فى الجمع متحركة ولو جعلت مدينة مفعلة من دان يدين وجمعت على مفاعل كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء وربما همزت العرب جمع مفعلة فى ذوات الياء والواو وان كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها اذا جاءت على مفاعل تشبيها منهم جمعها بجمع فعيلة كما تشبه مفعلا بفعيل فتقول مسيل الماء من سال يسيل ثم تجمعها جمع فعيل فتقول هى أمسلة فى الجمع تشبيها منهم لها بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه أبعرة وكذلك يجمع المصير وهو مفعل مصران تشبيها له بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه بعران وعلى هذا همز الأعرج معايش وذلك ليس بالفصيح فى كلامها وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها دون أنكرها وأشذها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك ولقد خلقناكم فى ظهر آدم أيها الناس ثم صورناكم فى أرحام النساء خلقا مخلوقا ومثالا ممثلا فى صورة آدم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى

الذين كذبوا بآياتنا) وهى الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد (واستكبروا عنها) أى ترفعوا عن قبولها (لا تفتح لهم أبواب السماء) قال ابن عباس أى لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشئ مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن قوله ان كتاب الابرار لفى عليين وقال السدى وغيره لا تفتح لارواحهم أبواب السماء التى هى موضع بهجة الارواح وأما كن سعاداتها كما جاء فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء وقيل بناء على أن الجنة فى السماء معناه ولا يؤذن لهم فى الصعود الى السماء ولا تطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل أى لا تنزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلاثة وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب فى البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه فى مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل من أعظم الاجسام المشهورة عند العرب كما قال

لا عيب بالقوم من طول ومن عظم
جسم الجمال وأحلام العصافير

وكان سم الابرة مثلا فى ضيق المسلك حتى قيل أضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه فى المضايق المشبهة بأخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل بوزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل ومعناه لانه حبل ضخم من ليف أو خوص من آلات السفن واختار ابن عباس هذا التفسير قائلا ان الله تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعنى أن الحبل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة والبعير لا يناسبه وأهل التناسخ أولوا الآية بأن الارواح التى كانت فى الابدان البشرية لما عصت وأذنبت فانها بعد موت الابدان ترد من بدن الى بدن

طلحة عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قوله خلقناكم يعنى آدم وأما صورناكم فذريته حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية قال أما خلقناكم فآدم وأما صورناكم فذرية آدم من بعده حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى الارحام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن ابن سعد قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقنا كم خلق آدم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقنا آدم ثم صورنا الذرية فى الارحام حدثنا بشر بن آدم قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلق الله آدم من طين ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال خلق الله آدم ثم صور ذريته من بعده حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن هرون عن نصر بن مشاوش عن الضحاك خلقناكم ثم صورناكم قال ذريته حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى ذريته * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقناكم فى أصلاب آبائكم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سماك عن عكرمة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم فى أصلاب الرجال وصورناكم فى أرحام النساء حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت الاعمش يقرأ ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم فى أصلاب الرجال ثم صورناكم فى أرحام النساء * وقال آخرون بل معنى ذلك خلقنا كم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى ظهره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولقد خلقناكم قال آدم ثم صورناكم قال فى ظهر آدم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد خلقناكم ثم صورناكم فى ظهر آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال صورناكم فى ظهر آدم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال فى ظهر آدم لما تصيرون اليه من الثواب فى الآخرة * وقال آخرون معنى ذلك ولقد خلقناكم فى بطون أمهاتكم ثم صورناكم

ولا تزال تبق فى التعذيب حتى تنتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فتنفذ فى سم الخياط وحينئذ تصير مطهرة عن تلك الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون المارذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين أنهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم يدخلون النار فقال (لهم من جهنم مهاد) أى فراش (ومن فوقهم غواش) هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك أى يجللك (٩٥) والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش والحاف والتنوين فى غواش مثله فى جوار أعنى انه للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء أو عن اسكان الياء (وكذلك نجزى الظالمين) هم المشركون أو الفسقة الذين ظلموا أنفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وقوله (لا نكلف نفسا الا وسعها) وقدم تفسيره فى آخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبى والام يحسن وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها تحصل بالعمل السهل من غير ما حرج وصعوبة فبعدا لمن فاتته وسحقا لمن فارقته ومن جعله خبرا فالعائد محذوف أى لا نكلف نفسا منهم ثم وصف أخلاق أهل الجنة فقال (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى أن يغل والآية تفسيران الاول أزلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوسواس ومنعه من أن يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم

فيها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عمن ذكره قال خلقناكم ثم صورناكم قال خلق الله الانسان فى الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره وأصابعه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تأويله ولقد خلقناكم ولقد خلقنا آدم ثم صورناكم بتصويرنا آدم كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالافعال تضيفها اليه والمعنى فى ذلك سلفه وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه الى الحى الموجود والمراد به السلف المعدوم فكذلك ذلك فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم معناه ولقد خلقنا آباءكم آدم ثم صورناه وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان الذى يتلو ذلك قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يصور ذريته فى بطون أمهاتهم بل قبل أن يخلق أمهاتهم وثم فى كلام العرب لا تأتى الا بايذان انقطاع ما بعدها عما قبلها وذلك كقول القائل قمت ثم قعدت لا يكون القعود اذا عطف به بثم على قوله قمت الا بعد القيام وكذلك ذلك فى جميع الكلام ولو كان العطف فى ذلك بالواو جاز أن يكون الذى بعدها قد كان قبل الذى قبلها وذلك كقول القائل قمت وقعدت فجائز أن يكون القعود فى هذا الكلام قد كان قبل القيام لان الواو تدخل فى الكلام اذا كانت عطفا لتوجب للذى بعدها من المعنى ما وجب للذى قبلها من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان فى وقت واحد أو وقتين مختلفين أوان كانا فى وقتين أيهما المتقدم وأيهما المتأخر فلما وصفنا قلنا ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم لا يصح تأويله الا على ما ذكرنا فان ظن ظان أن العرب اذ كانت ربما نطقت بثم فى موضع الواو فى ضرورة شعر كما قال بعضهم

سألت ربيعة من خيرها * أبا ثم أما فقالت لمه

يعنى أبا وأما فان ذلك جائز أن يكون نظيره فان ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شئ منه الى الشاذ من لغاتها وله فى الأفصح الاشهر معنى مفهوم ووجه معروف وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك الى أنه من المؤخر الذى معناه التقديم وزعم أن معنى ذلك ولقد خلقناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم وذلك غير جائز فى كلام العرب لانها لا تدخل ثم فى الكلام وهى مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر وان كانوا قد يقدمونها فى الكلام اذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير وذلك كقولهم قام ثم عبد الله عمرو فأما اذا قيل قام عبد الله ثم قعد عمرو فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان الا بعد قيام عبد الله اذا كان الخبر صدقا فقول الله تبارك وتعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا نظير قول القائل قام عبد الله ثم قعد عمرو فى أنه غير جائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان الا بعد الخلق والتصوير لما وصفنا قبل وأما قوله

الثانى ان درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرئ بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال أهل الجنة فان أولياء الله تعالى فى دار الدنيا أيضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى زوجة لغيره أحسن من زوجته ولا الى مشتهى ألذ مما رزقه الله وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون

كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة أولئك الكرام (تجرى من تحتهم الانهار) وهذه من جملة أسباب التنزه والترفه ان أجرى على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان أريد بها أنواع المكاشفات وأصناف التجليات (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) النعيم المقيم والفوز العظيم بأن يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف أو بأن أعطى العقل ونصب الادلة وأزاح العلة (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) من قرأ بواو العطف فظاهر ومن حذف (٩٦) الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى الاولى وكأنها تفسرها فلا حاجة الى العطف

المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) بجعله واسطة لهدايتنا أو لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف (ونودوا أن تلكم) بأنه تلكم (الجنة) والضمير للشأن والحديث ويجوز كونه بمعنى أى لان النداء فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكأنه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز أن يكون التبعيد للتعظيم ومعنى (أورثتموها) صارت اليكم كما يصير الميراث الى أهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورث الشرف أو العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان أهل الجنة يرثون منازل أهل النار لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا وله فى الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله (بما كنتم تعملون) يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة ذلك بفضله وجعل العمل أمارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا أو الملك الموكل بذلك والله تعالى أعلم ﴿ التأويل يا بنى آدم اما يأتينكم رسل الهامات من أنفسكم من طريق قلوبكم وأسراركم وفيه ان بنى آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول أكرمنى الله بالكرامات والمقامات ولم يعط أو كذب بمقامات أعطاها بعض أوليائه أولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا

للملائكة اسجدوا لآدم فانه يقول جل ثناؤه فلما صورنا آدم وجعلناه خلقا سويا ونفخنا فيه من روحنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ابتلاء منا واختبارا لهم بالأمر ليعلم الطائع منهم من العاصى فسجدوا يقول فسجد الملائكة الا إبليس فانه لم يكن من الساجدين لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود وقد بينا فيما مضى المعنى الذى من أجله امتحن جل جلاله ملائكته بالسجود لآدم وأمر إبليس وقصصه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لابليس اذ عصاه فلم يسجد لآدم اذ أمره بالسجود له يقول قال الله لابليس ما منعك أى شئ منعك أن لا تسجد أن تدع السجود لآدم اذ أمرتك أن تسجد قال أنا خير منه يقول قال ابليس أنا خير من آدم خلقتنى من نار وخلقته من طين فان قال قائل أخبرنا عن ابليس ألحقته الملامة على السجود أم على ترك السجود فان تكن لحقته الملامة على ترك السجود فكيف قيل له ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وان كان النكير على السجود فذلك خلاف ما جاء به التنزيل فى سائر القرآن وخلاف ما يعرفه المسلمون قيل ان الملامة لم تلحق ابليس الا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم اذ أمره بالسجود له غير أن فى تأويل قوله ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافا أبدأ بذكر ما قالوا ثم أذكر الذى هو أولى ذلك بالصواب فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك ما منعك أن تسجد ولا ههنا زائدة كما قال الشاعر

أبى جوده لا البخل واستعجلت به * نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله

وقال فسرته العرب أبى جوده البخل وجعلوا الزائدة حشوا ههنا وصلوا بها الكلام قال وزعم يونس أن أبا عمرو كان يجر البخل ويجعل لا مضافة اليه أراد أبى جوده لا التى هى للبخل ويجعل لا مضافة لأن لا قد تكون للجود والبخل لأنه لو قال له امنع الحق ولا تعط المسكين فقال لا كان هذا جودا منه * وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله غير أنه زعم أن العلة فى دخول لا فى قوله أن لا تسجد أن فى أول الكلام جحدا يعنى بذلك قوله لم يكن من الساجدين فان العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد الجحد كالاستيثاق والتوكيد له قال وذلك كقولهم

ما ان رأينا مثلهن لمعشر * سود الرؤس فوالج وفيول

فأعاد على الجحد الذى هو ما جحدا وهو قوله ان فجمعهما للتوكيد * وقال آخر منهم ليست لا بمحشوة فى هذا الموضع ولا صلة ولكن المنع ههنا بمعنى القول وانما تأويل الكلام من قال لك لا تسجد اذ أمرتك بالسجود ولكن دخل فى الكلام أن اذ كان المنع بمعنى القول لا فى لفظه كما يفعل ذلك فى سائر الكلام الذى يضارع القول وهو له فى اللفظ مخالف كقولهم ناديت أن لا تقم وحلفت أن لا تجلس وما أشبه

جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات الربانية بعد أن كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون أنهم كانوا كافرين ساترين الحق بالباطل فهداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار وقدم الجن لان الله تعالى خلق أولا بنى الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى أهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة (٩٧) وقيل رئيسهم ابليس فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت أمة فى أعمال أهل النار لعنت أختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سنوها حتى اذا تدارك الكل فى الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الكل ضعف لأن المتأخر أيضا متقدم الذى يتلوه و يستن بسنته ولكن لا تعلمون أنكم متقدمون لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم أبواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط أحكام الشريعة وآداب الطريقة وحتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ماسوى الله أدق من الشعرة بألف مرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صارت أنفسهم فى حمل الاوزار كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فتذهبهم وتحرق أنانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فيرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا

ذلك من الكلام وقال بعض من روى أبى جوده لا البخل بمعنى كلمة البخل لان لا هى كلمة البخل فكأنه قال كلمة البخل وقال بعضهم معنى المنع الحول بين المرء وما يريده قال والممنوع مضطر به الى خلاف ما منع منه كالممنوع من القيام وهو يريده فهو مضطر من الفعل الى ما كان خلافا للقيام اذ كان المختار للفعل هو الذى له السبيل اليه والى خلافه فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله قال فلما كانت صفة المنع ذلك خوطب ابليس بالمنع فقيل له ما منعك ألا تسجد كان معناه كأنه قيل له أى شئ اضطرك الى أن لا تسجد * قال أبو جعفر والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال ان فى الكلام محذوفا قد كفى دليل الظاهر منه وهو أن معناه ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين قوله الا ابليس لم يكن من الساجدين أن ذلك معنى الكلام من ذكره ثم عمل قوله ما منعك فى أن ما كان عاملا فيه قبل أحوجك لوظهر اذ كان قد ناب عنه وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شئ لا معنى له وأن لكل كلمة معنى صحيحا فتبين بذلك فساد قول من قال لا فى الكلام حشو لا معنى لها وأما قول من قال معنى المنع ههنا القول فلذلك دخلت لا مع أن فان المنع وان كان قد يكون قولا وفعلا فليس المعروف فى الناس استعمال المنع فى الامر بترك الشئ لان المأمور بترك الفعل اذا كان قادرا على فعله وتركه ففعله لا يقال فعله وهو ممنوع من فعله الا على استكراه للكلام وذلك ان المنع من الفعل حول بينه و بينه فغير جائز ان يكون وهو محول بينه و بينه فاعلا له لانه ان جاز ذلك وجب ان يكون محولا بينه و بينه لا محولا وممنوعا الا ممنوعا وبعد فان ابليس لم يأتمر لامر الله تعالى بالسجود لآدم كبرا فكيف كان يأتمر لغيره فى ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم فيجوز أن يقال له أى شئ قال لك لا تسجد لآدم اذ أمرتك بالسجود له ولكن معناه ان شاء الله ما قلت ما منعك من السجود له فأحوجك أو فأخرجك أو فاضطرك الى أن لا تسجد له على ما بينت وأما قوله أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فانه خبر من الله جل ثناؤه عن جواب ابليس اياه اذ سأله ما الذى منعه من السجود لآدم فاحوجه الى أن لا يسجد له واضطره الى خلافه أمره به وتركه طاعته أن المانع كان له من السجود والداعى له الى خلافه أمر ربه فى ذلك أنه أشد منه بدا وأقوى منه قوة وأفضل منه فضلا لفضل الجنس الذى منه خلق وهو النار من الذى خلق منه آدم وهو الطين فجهل عدو الله وجه الحق وأخطأ سبيل الصواب اذ كان معلوما أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوا والذى فى جوهرها من ذلك هو الذى حمل الخبيث بعد الشقاء الذى سبق له من الله فى الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه فاورثه العطب والهلاك وكان معلوما أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبت وذلك الذى فى جوهره من ذلك كان الداعى لآدم بعد السعادة التى كانت سبقت له من ربه فى الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس يعنيان بذلك

(١٣ ابن جرير - ثامن) نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون و بينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن

أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ (٩٨) القراآت نعم بكسر العين حيث كان على الباقون بالفتح مؤذن بغير همز النجاري عن ورش ويزيد والشموني وحمزة في الوقف أن مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب ۞ الوقوف حقاج لانتهاء الاستفهام نعم ج للعطف مع الابتداء بالتأذين على الظالمين ○ لا لأن الذين صفتهم عوجا ج لاحتمال الواو الاستئناف أو الحال كافرون ○ لان ما بعده لم يدخل في التأذين ولم يجز أن يكون حالا لاجاب ج لتناهي حال الفئتين واتفاق الجملتين بسماهم ط يطمعون ○ أصحاب النار لا لأن ما بعده جواب اذا الظالمين ○ تستكبرون ○ برحمة ط لتناهي الاستفهام والاقسام تحزنون ○ رزقكم الله ط الكافرين ○ الحياة الدنيا ج للابتداء مع فاء التعقيب هذا لا وما مصدرية كما في كما نسوا والتقدير ننساهم كنسيانهم وبجودهم يجحدون ○ يؤمنون ○ الا تأويله ط بالحق ج لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كنا نعمل ط يفترون ○ ۞ التفسير ولما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار أتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال (ونادى) وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه من حيث تحقق وقوعه كالماضي والظاهر أن هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قيل الجنة في أعلى السموات والنار في أسفل الارض هو ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء وأجيب بأن البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلا يسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل أهل الجنة لكل أهل النار لان أصحاب الجنة وأصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وأن في أن قد وجدنا مفسرة أو مخففة من الثقيلة كما مر في

القياس الخطا وهو هذا الذي ذكرنا من خطا قوله وبعده من اصابة الحق في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه من خلقه اياه بيده ونفخه فيه من روحه واسجاده له الملائكة وتعليمه أسماء كل شيء مع سائر ما خصه به من كرامته فضرب عن ذلك كله الجاهل صفحا وقصد الى الاحتجاج بأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين وهو في ذلك أيضا له غير كفؤ ولم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شيء غيره فكيف والذي خص به من كرامته يكثر تعداده وعلى احصاؤه حدثني عمرو بن مالك قال ثنا يحيى بن سليم الطائفي عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد ابن كثير عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن الحسن قوله خلقتني من نار وخلقته من طين قال قاس ابليس وهو أول من قاس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس استكبر لما كان حدث نفسه من كبره واغتراره فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله خلقتني من نار قال ثم جعل ذريته من ماء ۞ قال أبو جعفر وهذا الذي قاله عدو الله ليس لما سأله عنه بجواب وذلك ان الله تعالى ذكره قال له ما منعك من السجود فلم يجب بأن الذي منعه من السجود انه خلقه من نار وخلق آدم من طين ولكنه ابتدأ خبرا عن نفسه فيه دليل على موضع الجواب فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين﴾ يعني بذلك جل ثناؤه قال الله لابليس عند ذلك فاهبط منها وقد بينا معنى الهبوط فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فما يكون لك أن تتكبر فيها يقول تعالى ذكره فقال الله له اهبط منها يعني من الجنة فما يكون لك يقول فليس لك أن تستكبر في الجنة عن طاعتي وأمري فان قال قائل هل لأحد ان يتكبر في الجنة قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك فاهبط من الجنة فانه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله فأما غيرها فانه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكين لطاعته وقوله فاخرج انك من الصاغرين يقول فاخرج من الجنة انك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذل والمهانة يقال منه صغر يصغر صغرا وصغارا وصغرانا وقد قيل صغر يصغر صغارا وصغارة وبنحو الذي قلنا قال السدي حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين﴾ وهذه أيضا جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله اليه وذلك انه سأل النظرة الى قيام الساعة وذلك

قوله أن تلكم الجنة وكذا قوله أن لعنة الله لان النداء والتأذين فى معنى القول قال ابن عباس (وجدنا ما وعدنا ربنا) فى الدنيا من الثواب (حقا) صحيحا مطابقا للواقع (فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العقاب (حقا) والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن فى قلب العدو وفى هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما فى سائر الاخبار وانما حذف المفعول فى وعد ربكم لدلالة المفعول فى وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين (٩٩) ويحتمل أن يكون الاطلاق ليتناول كل

هو يوم يبعث فيه الخلق ولو أعطى ما سأل من النظرة كان قد أعطى الخلود وبقاء لا فناء معه وذلك أنه لا موت بعد البعث فقال جل ثناؤه له انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك الى اليوم الذى قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء لأنه لا شئ يبقى فلا يفنى غير ربنا الحى الذى لا يموت يقول الله تعالى ذكره كل نفس ذائقة الموت والانظار فى كلام العرب التأخير يقال منه أنظرته بحق على أنظره به انظارا فان قال قائل فان الله قد قال له اذ سأله الانظار الى يوم يبعثون انك من المنظرين فى هذا الموضع فقد أجابه الى ما سأل قيل له ليس الامر كذلك وانما كان مجيبا له الى ما سأل لو كان قال له انك من المنظرين الى الوقت الذى سألت أو الى يوم البعث أو الى يوم يبعثون أو ما أشبه ذلك مما يدل على اجابته الى ما سأل من النظرة وأما قوله انك من المنظرين فلا دليل فيه لولا الآية الاخرى التى قد بين فيها مدة انظاره اياه اليها وذلك قوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم على المدة التى أنظره اليها لانه اذا أنظره يوما واحدا أو أقل منه أو أكثر فقد دخل فى عداد المنظرين وتم فيه وعد الله الصادق ولكنه قد بين قدر مدة ذلك بالذى ذكرناه فعلم بذلك الوقت الذى أنظر اليه وبنحو ذلك كان السدى يقول حدثنى يونس بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فلم ينظره الى يوم البعث ولكن أنظره الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم ينفخ فى الصور النفخة الاولى فصعق من فى السموات ومن فى الارض فمات فتأويل الكلام قال ابليس لربه أنظرنى أى أخرنى وأجلنى وأنسئ فى أجلى ولا تمتنى الى يوم يبعثون يقول الى يوم يبعث الخلق فقال تعالى ذكره انك من المنظرين الى يوم ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فان قال قائل فهل أحد منظر الى ذلك اليوم سوى ابليس فيقال له انك منهم قيل نعم من لم يقبض الله روحه من خلقه الى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة فهم من المنظرين بآجالهم اليه ولذلك قيل لابليس انك من المنظرين بمعنى انك ممن لا يميته الله الا ذلك اليوم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ يقول جل ثناؤه قال ابليس لربه فبما أغويتنى يقول فبما أضللتنى كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فبما أغويتنى يقول أضللتنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فبما أغويتنى قال فبما أضللتنى وكان بعضهم يتأول قوله فبما أغويتنى بما أهلكتنى من قولهم غوى الفصيل يغوى غوى وذلك اذا فقد اللبن فمات من قول الشاعر

معطفة الاثناء ليس فصيلها * برازئها درا ولا ميت غوى

وأصل الاغواء فى كلام العرب تزيين الرجل للرجل الشئ حتى يحسنه عنده غار اله وقد حكى عن بعض قبائل طئ أنها تقول أصبح فلان غاويا أى أصبح مريضا وكان بعضهم يتأول ذلك أنه بمعنى القسم كأن معناه عنده فبإغوائك إياى لأقعدن لهم صراطك المستقيم كما يقال بالله لأفعلن

ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة (قالوا نعم) قال سيبويه نعم عدة وتصديق أى تستعمل تارة عدة وتارة تصديقا فاذا قال أتعطينى قال نعم فهو عدة واذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل أن نعم للتصديق فى الخبر والتحقيق فى الاستفهام مثبتين كانا أو منفيين فلو قيل قام زيد أو أقام زيد فتقول نعم كان معناه نعم قام زيد مصدقا أو محققا ولو قيل ما قام زيد أو ألم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا أو محققا ومن ثم قال ابن عباس لو قالوا فى جواب ألست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل أليس لى عليك دينار فقلت نعم التزمت بالدينار بناء على العرف الطارئ بعد الوضع وكنانة تكسر العين من نعم وروى عن عمر أنه سأل قوما عن شئ فقالوا نعم فقال عمر أما النعم فالابل قولوا نعم وأنكر هذه الرواية أبو عبيد (فأذن مؤذن) قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يأمره الله فينادى نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار ومعنى التأذين النداء والتصويت للاعلام ومنه الاذان لأنه اعلام بالصلاة ووقتها والظالمون فى الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر أنهم الكفار لان الصد عن سبيل الله

أى المنع عن قبول الدين الحق بالقهر أو بالحيلة والقاء الشكوك والشبهات فى الدلائل وهو المراد بقوله (ويبغونها عوجا) وقد مر فى آل عمران والكفر بالآخرة كلها من أوصاف الكفرة وانما قدم بالآخرة تصحيحا لفواصل الآى ولم يزد لفظة هم هنا على القياس وأما فى سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وقال ألا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك التبس أنهم هم أم غيرهم فكرر ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف أهل الجنة والنار فقال (وبينهما) يعنى بين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور فى قوله سبحانه

فضرب بينهم بسور له باب قيل أى حاجة الى ضرب هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم فى أسفل سافلين وأجيب بأن بعد أحدهما عن الآخر لا يمنع أن يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض منه والاعراف فى الآية يفسر بالمكان تارة وبغيره أخرى أما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الأعراف أعلى أعالى السور المضروب بين الجنة والنار ويروى عن ابن عباس وعنه أيضا أن الأعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان أحدهما أنهم أقوام يكونون فى الدرجة العليا من الثواب وثانيهما أنهم فى الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه فقال أبو مجلز هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ويرد عليه أن الرجل لغة يطلق على من يصلح أن يكون من نوعه أنثى بل يطلق على الذكر من بنى آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام أجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالى اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على أحوالهم ومقاديرثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثانى قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أوقفهم الله على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم تؤل عاقبة أمرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن امهاتهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفى هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحرث انهم مساكين أهل الجنة وقال قوم هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف وأما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة أهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام أو بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا أدرى لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال قوم يعرفون أهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة مبيضة وأهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بأن هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص أصحاب الاعراف بذلك ويمكن أن يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة آمنين وقال المحققون انهم كانوا

كذا وكان بعضهم يتاول ذلك بمعنى المجازاة كأن معناه عنده فلأنك أغويتنى أوفبأنك أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم وفى هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك اليه وأن السبب الذى به يصل المؤمن الى الايمان هو السبب الذى به يصل الكافر الى الكفر وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا لكان الخبيث قد قال بقوله فبما أغويتنى فبما أصلحتنى اذ كان سبب الاغواء هو سبب الاصلاح وكان فى اخباره عن الاغواء اخبار عن الاصلاح ولكن لما كان سببا هما مختلفين وكان السبب الذى به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك اليه فقال فبما أغويتنى وكذلك قال محمد بن كعب القرظى فيما حدثنى موسى ابن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو مودود سمعت محمد بن كعب القرظى يقول قاتل الله القدرية لا ابليس أعلم بالله منهم وأما قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فانه يقول لأجلسن لبنى آدم صراطك المستقيم يعنى طريقك القويم وذلك دين الله الحق وهو الاسلام وشرائعه وانما معنى الكلام لأصدن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم كما أغويتنى ولأضلنهم كما أضللتنى وذلك كما روى عن سبرة بن الفاكه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس فى الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه فجاهد وروى عن عون بن عبد الله فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا حيوة أبو يزيد عن عبد الله بن بكير عن محمد بن سوقة عن عون بن عبد الله لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق مكة والذى قاله عون وان كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله وانما أخبر عدو الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ولم يخصص منه شيأ دون شئ فالذى روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بظاهر التنزيل وأولى بالتأويل لان الخبيث لا يألو عباد الله الصد عن كل ما كان لهم قربة الى الله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل فى معنى المستقيم فى هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صراطك المستقيم قال الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا يقول لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال سبيل الحق فلا ضلنهم الا قليلا

* واختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى البصرة معناه لأقعدن لهم على صراطك المستقيم كما يقال توجه مكة أى الى مكة وكما قال الشاعر

كأنى اذ أسعى لأظفر طائرا * مع النجم من جو السماء يصوب

يعنى لأظفر بطائر فألقى الباء وكما قال أعجلتم أمر ربكم بمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وقال بعض نحويى الكوفة

يعرفون أهل الخير والايمان والصلاة وأهل الشر والكفر والافساد وهم كانوا فى الدنيا شهداء الله على أهل الايمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الأعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به ثم قال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على أهلها ثم أخبر على سبيل الاستئناف أن أهل الاعراف لم يدخلوا الجنة (وهم يطمعون) كأن سائلا سأل عن حالهم أو على انه صفة أخرى لرجال فان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الأشراف (١٠١) فيكون الله تعالى أخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على أحوال أهل الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلا فى الجنة كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى وسط السماء وان أبا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ولا يخفى ما فى هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا أصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل الله واحسانه أن ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) قال الواحدى التلقاء جهة اللقاء وهى جهة المقابلة وهو فى الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يأت من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء وانه فى الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى ان لا يجعلهم من زمرتهم وفى بناء الفعل للمفعول وأن لم يقل واذا أبصروا فائدة هى أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا ثم بين أن أصحاب الاعراف ينادون رجالا من أكابر أهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما لا يليق الا بهم فقال (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) المال أو كثرتكم واجتماعكم (وما كنتم تستكبرون) عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زاد فى التبكيت مشيرين الى فريق من أهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون أحوالهم وربما استهزؤا بهم وأنفوا من مشاركتهم فى دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) أما قوله (ادخلوا الجنة) الى آخر الآية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف أو من قول الملائكة لهم بأمره أو من قول بعضهم لبعض وذلك بعد أن يحبسوا ويجلسوا على

الكوفة المعنى والله أعلم لأقعدن لهم على طريقهم وفى طريقهم قال والقاء الصفة من هذا جائز كما تقول قعدت لك وجه الطريق وعلى وجه الطريق لان الطريق صفة فى المعنى يحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام اذ قيل آتيك غدا وآتيك فى غد * وهذا القول هو أولى القولين فى ذلك عندى بالصواب لان القعود مقتض مكانا يقعد فيه فكما يقال قعدت فى مكانك يقال قعدت على صراطك وفى صراطك كما قال الشاعر

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

فلا تكاد العرب تقول ذلك فى أسماء البلدان لا يكادون يقولون جلست مكة وقمت بغداد * القول فى تأويل قوله ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قوله لآتينهم من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم من قبل الحق وعن شمائلهم من قبل الباطل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يقول أشككهم فى آخرتهم ومن خلفهم أرغبهم فى دنياهم وعن ايمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى وقد روى عن ابن عباس بهذا الاسناد فى تأويل ذلك خلاف هذا التأويل وذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يعنى من الدنيا ومن خلفهم من الآخرة وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم وتحقق هذه الرواية الاخرى التى حدثنى بها محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال أما بين أيديهم فمن قبلهم وأما من خلفهم فامر آخرتهم وأما عن أيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيآتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم الآية أتاهم من بين أيديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيآت والمعاصى ودعاهم اليها وأمرهم بها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله * وقال آخرون بل معنى قوله من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم قال من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال من بين أيديهم من دنياهم ومن خلفهم من آخرتهم وعن ايمانهم من

الاعراف وينظروا الى الفريقين ويقولوا قال المفسرون الرجال ههنا الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمى ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان وعمارا وأمثالهم يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا خدمنا ورعاتنا أقسموا أن لا يخصهم بفضل دونهم فناداهم أصحاب الاعراف ثم ختم المناظرات بقوله (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) قال ابن عباس لما صار أصحاب الأعراف الى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد (١٠٢) اليأس فقالوا ربنا ان لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فأمر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر أهل جهنم الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم وقالوا (أفيضوا علينا من الماء) طلبوا الماء أولا لما فى بواطنهم من الاحتراق الشديد وفى الافاضة نوع دلالة على أن أهل الجنة أعلى مكانا من أهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال آخرون بل مع اليأس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الآيس من الشئ قد يطلبه كما يقال فى المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله (أو مما رزقكم الله) قيل أى سائر الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة وقيل أى من الثمار أو الطعام والمراد ألقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله

* علفتها تبنا وماء باردا * فيكون فى الآية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كأن سائلا سأل فماذا أجابهم أهل الجنة فقيل (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) أى منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة أعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة) وقدمر تفسير الوصفين فى أوسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر أن الانسان يطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته فى هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا فى بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيامة على سبيل الحكاية فقال (فاليوم ننساهم) أى نتركهم فى عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قاله الحسن ومجاهد والسدى والاكثرون وقيل أى نعاملهم معاملة من نسى بتركهم فى النار كما فعلوا هم فى الاعراض عن آياتنا فسمى جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل أنه

حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا سفيان قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم قال من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة يبطئهم عنها وعن ايمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يرغبهم فيه ويزينه لهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أما من بين أيديهم فالدنيا أدعوهم اليها وأرغبهم فيها ومن خلفهم فى الآخرة أشككهم فيها وأبعدها عليهم وعن أيمانهم يعنى الحق فاشككهم فيه وعن شمائلهم يعنى الباطل أخففه عليهم وأرغبهم فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله من بين أيديهم من دنياهم أرغبهم فيها ومن خلفهم آخرتهم أكفرهم بها وأزهدهم فيها وعن ايمانهم حسناتهم أزهدهم فيها وعن شمائلهم مساوئ أعمالهم أحسنها اليهم * وقال آخرون معنى ذلك من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قول الله من بين أيديهم وعن ايمانهم قال حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور قال ثنا كرنا عند مجاهد قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فقال مجاهد هو كما قال يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم زاد ابن حميد قال يأتيهم من ثم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال قال مجاهد فذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبى عاصم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معناه ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل وذلك أن ذلك عقب قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فأخبر أنه يقعد لبنى آدم على الطريق الذى أمرهم الله أن يسلكوه وهو ما وصفنا من دين الله دين الحق فيأتيهم فى ذلك من كل وجوهه من الوجه الذى أمرهم الله به فيصدهم عنه وذلك من بين أيديهم وعن أيمانهم ومن الوجه الذى نهاهم الله عنه فيزينه لهم ويدعوهم اليه وذلك من خلفهم وعن شمائلهم وقيل ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم ذكر من قال ذلك حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وأما قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فانه يقول ولا تجد رب أكثر بنى آدم شاكرين لك نعمتك التى أنعمت عليهم كتكرمتك أباهم آدم عما أكرمته به من اسجادك له ملائكتك وتفضيلك اياه على وشكرهم اياه طاعتهم له بالاقرار بتوحيده واتباع أمره ونهيه وكان ابن عباس يقول فى ذلك بما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد

لايجيب دعاءهم ولايرحم ضعفهم وذلهم عن أبي الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لايسمن ولايغنى من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى أهل الجنة كما فى هذه الآية فتقول أهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ماقيل بعد ألف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا أخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا فيها ولاتكلمون فعند ذلك ييأسون (١٠٣) من كل خير ويأخذون فى زفير وشهيق وعن

عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولاتجدأكثرهم شاكرين يقول موحدين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال اخرج منها مذؤما مدحورا﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن احلاله بالخبيث عدوه ماأحل به من نقمته ولعنته وطرده اياه عن جنته اذعصاه وخالف أمره وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به يقول قال الله له عند ذلك اخرج منها أى من الجنة مذؤما مدحورا يقول معيبا والذأم العيب يقال منه ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤم ويتركون الهمز فيقولون ذمته أذيمه ذيما وذاما والذأم والذيم أبلغ فى العيب من الذم وقد أنشد بعضهم هذا البيت

صحبتك اذعمنى علها غشاوة ۞ فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها

وأكثر الرواة على انشاده ألومها وأما المدحور فهو المقصى يقال دحره يدحره دحرا ودحورا اذا أقصاه وأخرجه ومنه قولهم ادحر عنك الشيطان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اخرج منها مذؤما مدحورا يقول اخرج منها لعينا منفيا حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مذؤما ممقوتا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال اخرج منها مذؤما يقول صغيرا منفيا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله اخرج منها مذؤما مدحورا أما مذؤما فمنفيا وأما مدحورا فمطرودا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مذؤما قال منفيا مدحورا قال مطرودا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله اخرج منها مذؤما قال منفيا والمدحور قال المصغر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن الزبير عن ابن عيينة عن يونس واسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس اخرج منها مذؤما قال منفيا حدثنى أبو عمرو القرقسانى عثمان بن يحيى قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التيمى سأل ابن عباس ما اخرج منها مذؤما مدحورا قال مقيتا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اخرج منها مذؤما مدحورا فقال مانعرف المذؤم والمذموم الا واحدا ولكن يكون (١) منتقصة وقال العرب لعامر ياعام ولحارث ياحار وانما أنزل القرآن على كلام العرب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ وهذا قسم من الله جل ثناؤه أقسم أن من اتبع من بنى آدم عدو الله ابليس وأطاعه وصدق ظنه عليه أن يملأ من جميعهم يعنى من كفرة بنى آدم تباع ابليس ومن ابليس وذريته جهنم فرحم الله امرأ كذب ظن عدو الله فى نفسه وخيب فيها أمله وأمنيته ولم يكن ممن طمع فيها عدوه

(١) بياض فى الاصل بقدر كلمة

ابن عباس فى صفة أهل الجنة انهم يرون الله عزوجل فى كل جمعة ولمنزل كل واحد منهم ألف باب فاذا رأوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لأهل الجنة وثمرتها أمثال القلال أشد بياضا من الفضة وألين من الزبد وأحلى من العسل لاعجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فتأهب لايهما شئت والله الموفق

۞ ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة فى مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدى الى الرشاد ويؤمن من الغلط والتخليط وانما فعلنا ذلك لا كيفما اتفق بل (على علم) بما فى كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بريئا من كل خلل وقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله (وهدى ورحمة) حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما (لقوم يؤمنون) لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب به فقال (هل ينظرون الا تأويله) والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعل فيهم أقواما تشككوا وتوقفوا ولهذا السبب انتظروه وأيضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تأتيهم لامحالة قال الفراء الضمير فى تأويله للكتاب أى الاعاقبة أمره وما يؤل اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد أو عاقبة ما وعد وابه على ألسنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل مرجع الشئ ومصيره من

قولهم آل الشئ يؤل (يوم يأتى) يريد يوم القيامة وانتصابه على أنه ظرف (يقول) ومعنى (نسوه) تركوا العمل به والايمان أو انهم صاروا فى الاعراض عنه بمنزلة من نسيه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى متلبسين بما هو الحق أو الباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر والنشر وأحوال القيامة وأهوالها اذا عاينوها (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) منصوب باضمار أن بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع (أو) هل (نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) فنوحد الله تعالى بدلا عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على أن أهل الآخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار

ومن تبعه والا لم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون فى الحال ثم حكم بأن ذلك التمنى لا يفيدهم شيأ وأن مطلوبهم لا يكون البتة فقال (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى لا ينتفعون بالاصنام التى عبدوها فى الدنيا وليس تفيدهم نصرة الأوثان التى بالغوا فى نصرها ﴿التأويل نادى أهل المحبة أهل القطيعة أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعنى قوله ألا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيرى لم يجدنى فأذن مؤذن العزة والعظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب فى غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وبينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى أهل النار أهل الجنة وكذا بين أهل الجنة وأهل الله وهم أصحاب الاعراف حجاب من أوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت أعرافا لانها موطن أهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال فى النساء ولا يتصرف فيهم شئ منه فالأعراف مرتبة فوق الجنان فى حظائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النيران بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته ونادوا أصحاب الجنة قال أن سلام عليكم يعنى هنيئا لكم ما أنتم فيه من النعيم والحور والقصور ثم أخبر عن همة أهل الاعراف فقال لم يدخلوها أى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون فى الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ابتلاء ليعرفوا أنه تعالى من أى درجة خلصهم وبأى كرامة خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما يسنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية وما أتاهم الله بشئ من الدنيا والجاه والقبول والاشتغال بالخلق ليعرفوا قدر العزلة والتجريد والانس مع الله فى الخلوات رجالا يعرفونهم بسيماهم يعنى أهل الجنة وأهل النار ما أغنى

واستغشه ولم يستنصحه وان الله تعالى ذكره انما نبه بهذه الآيات عباده على قدم عداوة عدوه وعدوهم ابليس لهم وسالف ما سلف من حسده لأبيهم وبغيه عليه وعليهم وعرفهم مواقع نعمه عليهم قديما فى أنفسهم ووالدهم ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم الى طاعته وينيبوا اليها ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ يقول الله تعالى ذكره وقال الله لآدم يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها ابليس وأخرجه منها وأباح لهما ان يأكلا من ثمارها من أى مكان شاآ منها ونهاهما أن يقربا ثمرة شجرة بعينها وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك وما نرى من القول فيه صوابا فى غير هذا الموضع فكرهنا اعادته فتكونا من الظالمين يقول فتكونا ممن خالف أمر ربه وفعل ما ليس له فعله ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فوسوس لهما فوسوس اليهما وتلك الوسوسة كانت قوله لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين واقسامه لهما على ذلك وقيل وسوس لهما والمعنى ما ذكرت كما قيل عرضت له بمعنى استبنت اليه وانما يعنى عرضت من هؤلاء اليه فكذلك معنى ذلك فوسوس من نفسه اليهما الشيطان بالكذب من القيل ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما كما قال رؤبة * وسوس يدعو مخلصا رب الفلق * ومعنى الكلام فجذب ابليس الى آدم حواء وألقى اليهما ما نهاما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ليبدى لهما ما وارى الله عنهما من عوراتهما فغطاه بستره الذى ستره عليهما وكان وهب بن منبه يقول فى الستر الذى كان الله سترهما به ما حدثنى به حوترة بن محمد المنقرى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن منبه فى قوله فبدت لهما سوآتهما قال كان عليهما نورا لا ترى سوآتهما ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ يقول جل ثناؤه وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها الا لئلا تكونا ملكين وأسقطت لا من الكلام لدلالة ما ظهر عليها كما أسقطت من قوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى يبين الله لكم أن لا تضلوا وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة أن تكونا ملكين كما يقال اياك أن تفعل كراهية أن تفعل أو تكونا من الخالدين فى الجنة الماكثين فيها أبدا فلا تموتا والقراءة على فتح اللام بمعنى ملكين من الملائكة وروى عن ابن عباس ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا عيسى الأعمى عن السدى قال كان ابن عباس يقرأ الا أن تكونا لكين بكسر اللام * وعن يحيى ابن أبى كثير ما حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنى القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون

عنكم جمعكم يا أهل الجنة وأهل الله من الطاعات و يا أهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير فى حقيقة لا اله الا الله أهؤلاء الذين أقسمتم يعنى أن من المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر فى بعض الاوقات من يقول لدناءة همته لأهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قوله ادخلى جنتى فى حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا * اعلم ان أهل الجنة وأهل النار يرون أهل الله وهم أصحاب الأعراف بالصورة ما داموا فى مواطن الكونين فاذا دخلوا الجنة الحقيقية المضافة الى الله فى حظائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن بابا جعفر الابهرى انه دخل على بابا طاهر الهمدانى فقال أين كنت فانى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك ثمة فقال يا باطاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الأخص فما رأيتنى أفيضوا علينا من الماء كانوا فى الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا وان أهل الجنة لما جوعوا بطونهم لونيمة الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس والمضايقة بها فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمهما عليهم فى الأزل فلم يوفقوا لمعاملات تورث الجنة هل ينظرون الا تأويله أى ما يؤل اليه عاقبته فى شأنهم فللمؤمنين كشف الغطاء وسبوغ العطاء ولأهل الجحود الفرقة والافتقار وعذاب النار أعاذنا الله تعالى منها ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ * القرا آت

قال ثنا يعلى بن حكيم عن يحيى بن أبى كثير أنه قرأها ملكين بكسر اللام وكأن ابن عباس ويحيى وجها تأويل الكلام الى أن الشيطان قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين من الملوك وأنهما تأولا فى ذلك قول الله فى موضع آخر قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة فى ذلك بغيرها القراءة التى عليها قراء الامصار وهى فتح اللام من ملكين يعنى ملكين من الملائكة لما قد تقدم من بياننا فى أن كل ما كان مستفيضا فى قرأة الاسلام من القراءة فهو الصواب الذى لا يجوز خلافه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وقاسمهما وحلف لهما كما قال فى موضع آخر تقاسموا بالله لنبيتنه يعنى تحالفوا بالله وكما قال خالد بن زهير عم أبى ذؤيب

وقاسمها بالله جهدا لأنتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

يعنى وحالفها بالله وكما قال أعشى بنى ثعلبة

رضيعى لبان ثدى أم تقاسما * بأسحم داج عوض لا نتفرق

يعنى تحالفا وقوله انى لكما لمن الناصحين أى لمن ينصح لكما فى مشورته لكما وأمره اياكما بأكل ثمر الشجرة التى نهيتكما عن أكل ثمرها وفى خبرى اياكما بما أخبركما به من أنكما ان أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين خلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعانى أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خادعنا بالله خدعنا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فدلاهما بغرور فخدعهما بغرور يقال منه ما زال فلان يدلى فلانا بغرور بمعنى ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل فلما ذاقا الشجرة يقول فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة يقول طعماه بدت لهما سوآتهما يقول انكشفت لهما سوآتهما لأن الله أعراهما من الكسوة التى كان كساهما قبل الذنب والخطيئة فسلبهما ذلك بالخطيئة التى أخطآ أو المعصية التى ركبا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوآتهما كما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوآتهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آدم كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته وكان لا يراها فانطلق فارا فتعرضت له شجرة فحبسته بشعره فقال لها أرسلينى فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لا ولكنى استحييتك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان بن

يغشى بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وحماد وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين ابن عامر وبفتح النون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف وأبو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير أبي زيد الباقون بضم النون والشين ميت بالتشديد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف (١٠٦) وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون بكسرها ۞ الوقوف

حثيثا ط لمن قرأ والشمس وما بعده مرفوعات بأمره ط والامر ط العالمين ○ وخفية ط المعتدين ○ للعطف مع الآية وطمعا ط المحسنين ○ رحمته ط الثمرات ط تذكرون ○ باذن ربه ج للابتداء مع العطف نكدا ط يشكرون ○ ۞ التفسير لما بالغ سبحانه في تقرير أمر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدا وهو ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تأكيدا للمعاد والمعنى ان الذي يربيكم ويصلح شأنكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكاره هو الذي بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام وأودع فيها أنواع المنافع وأصناف الفوائد فكيف يليق أن يرجع الى غيره في طلب الخيرات ويعول على غيره في تحصيل السعادات قال علماء الأدب أصل ست سدس بدليل سديس وأسداس ثم ان العرب كانوا يخاطبون اليهود فالظاهر أنهم سمعوا بعض أوصاف الخالق منهم فكأنه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذي سمعتم من عقلاء الناس أنه هو الذي خلق السموات والارض على غاية عظمتهما ونهاية جلالتهما في ستة أيام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادهما دفعة واحدة فما الفائدة في ذكر أنه خلقهما في ستة أيام في أثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع ونادى وأجيب بأنه أراد أن يعلم عباده الرفق والتأني في الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تأخير الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشئ اذا أحدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم أن ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق أما اذا أحدثت الأشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك أقوى في الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث حكيم عليم

عيينة وابن مبارك عن الحسن عن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وكان الذي وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وورق التين يلصقان بعضها الى بعض فانطلق آدم موليا في الجنة فأخذت برأسه شجرة من الجنة فناداه أي آدم أمني تفر قال لا ولكني استحييتك يا رب قال أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال وهو قول الله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال فبعزتي لأهبطنك الى الأرض ثم لا تنال العيش الا كدا قال فأهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فأهبطا في غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يخصفان قال يرقعان كهيئة الثوب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وكانا قبل ذلك لا يريانها وطفقا يخصفان الآية ۞ وقال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا الحسن عن أبي بن كعب أن آدم عليه السلام كان رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بما وقع به من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها أرسليني قالت اني غير مرسلتك فناداه ربه يا آدم أمني تفر قال رب اني استحييتك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جعفر ابن عون عن سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن حسام بن معبد عن قتادة وأبي بكر عن غير قتادة قال كان لباس آدم في الجنة ظفرا كله فلما وقع بالذنب كشط عنه وبدت سوأته قال أبو بكر قال غير قتادة فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بدت لهما سوآتهما قال كانا لا يريان سوآتهما **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال سمعت وهب بن منبه يقول ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما ۞ القول في تأويل قوله ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين﴾ يقول تعالى ذكره

قادر رحيم وأيضا ثبت بالدليل أنه تعالى يخلق العاقل أولا ثم يخلق السموات والارض بعده لان خلق مالا ينتفع به فى الحال يجرى العبث ثم ان ذلك العاقل ملكا كان أو جنيا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شئ آخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك أقوى فى افادة اليقين لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة وأما تقدير المدة بستة أيام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على أى مقدار فرض وقيل ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا خصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل كيف يعقل حصول الأيام قبل خلق الشمس التى نيط تقدير الازمنة بطلوعها وغروبها فالجواب أن المراد خلق السموات والارض فى مقدار ستة أيام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشى فى الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس أن هذه الايام أيام الآخرة كل يوم ألف سنة مما تعدون والأكثرون على أنها أيام الدنيا لان التعريف بها يقع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ونقول يمكن أن تحمل الايام الستة على الاطوار الستة التى للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدنى والنباتى والحيوانى والله تعالى أعلم بمراده أما قوله سبحانه (ثم استوى على العرش) فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذى يلى العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد باستقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه فى الكل لا كاحاطة الفلك الحاوى بالمحوى ولا كنفوذ النور المحسوس فى الشرف بل على نحو آخر تعوزه العبارة ومنها انه تعالى لو كان فى مكان وجهة لكان اما أن يكون غير متناه من كل الجهات أو متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى للقاذورات ومع ذلك فالشئ الذى هو محل السموات اما أن يكون عين الشئ الذى هو محل الارض أو غيره وعلى الاول يلزم أن يكون السماء والارض حالين فى محل واحد فهما شئ واحد لا شيآن وعلى الثانى يلزم التركيب

ونادى آدم وحواء ربهما ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التى أكلتما ثمرها وأعلمكما أن ابليس لكما عدو مبين يقول قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسدا وبغيا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قوله وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين لم أكلتها وقد نهيتك عنها قال يا رب أطعمتنى حواء قال لحواء لم أطعمته قالت أمرتنى الحية قال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال ملعون مدحورا أما أنت يا حواء فكلما مست الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك اهبطوا بعضكم لبعض عدو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء أمرتنى قال فانى قد أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجابا به واعترافهما على أنفسهما بالذنب ومسئلتهما اياه المغفرة منه والرحمة خلاف جواب اللعين ابليس اياه ومعنى قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا قال آدم وحواء لربهما ربنا فعلنا بأنفسنا من الاساءة اليها بمعصيتك وخلاف أمرك وبطاعتنا عدونا وعدوك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها وان لم تغفر لنا يقول وان أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا وترك فضيحتنا به بعقوبتك ايانا عليه وترحمنا بتعطفك علينا وتركك أخذنا به لنكونن من الخاسرين يعنى لنكونن من الهالكين وقد بينا معنى الخاسر فيما مضى بشواهده والرواية فيه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال آدم عليه السلام يا رب أرأيت ان تبت واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأل النظرة فأعطى كل واحد منهما ما سأل حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا الآية قال هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بابليس وذريته وآدم وولده والحية يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا من السماء الى الارض بعضكم لبعض عدو كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن طلحة عن أسباط عن السدى اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشى على بطنها وجعل رزقها من التراب واهبطوا الى الارض آدم وحواء وابليس والحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى عوانة عن اسمعيل بن سالم عن أبى صالح اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء والحية وقوله ولكم فى الارض مستقر يقول ولكم يا آدم وحواء

والتجزئة فى ذاته تعالى وأما ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل فى جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل فى حيز واحد فلو كان جوهرا فرد لزم أن يكون واجب الوجود أحقر الأشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه تكون مغايرة لمقابلتها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز أن يكون الشئ المحدود من جانب أو جوانب قديما أزليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز أن يقال فاعل العالم هو الشمس والقمر أو كوكب آخر وأيضا يصح على الشق المتناهى أن يكون غير متناه وعلى غير المتناهى أن يكون متناهيا لان الأشياء المتساوية فى تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقى فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل أن يكون انه غير متناه ولا يلزم من ذلك أن يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستحجاب الشئ للمحل غير كونه نفس المحل أو مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لا أصل له عند الرجل البرهانى ومنها أنه لو كان البارى تعالى حاصلا فى المكان والجهة لكان الامر المسمى بالجهة اما أن يكون موجودا مشارا اليه أو لا يكون فان كان موجودا كان له بعد وامتداد وللحاصل فيه أيضا بعد وامتداد فيلزم تداخل البعدين ومع ذلك يلزم كون الجهة والحيز أزليين ضرورة كون البارى تعالى أزليا ومحال أن يكون ما سوى الواجب أزليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بأن ذلك أيضا وارد عليكم فى قولكم الجسم حاصل فى الحيز والجهة وأجيب بأن مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوى وهذا المعنى بالاتفاق فى حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل أن يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا فى حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز أن يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم فى الاجسام أيضا بل لا بعد هناك ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام فى الخارج ومنها انه لو امتنع وجود البارى تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة فى تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من أن استحجاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة

وابليس والحية فى الارض قرارا تستقرونه وفراش تمهدونه كما حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولكم فى الارض مستقر قال هو قوله هو الذى جعل لكم الارض فراشا وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثت عن عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس قوله ولكم فى الارض مستقر قال القبور * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر آدم وحواء وابليس والحية اذ أهبطوا الى الأرض أنهم عدو بعضهم لبعض وأن لهم فيها مستقرا يستقرون فيه ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرا فى حال حياتهم دون حال موتهم بل عم الخبر عنها بأن لهم فيها مستقرا فذلك على عمومه كما عم خبر الله ولهم فيها مستقر فى حياتهم على ظهرها وبعد وفاتهم فى بطنها كما قال جل ثناؤه ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما قوله ومتاع الى حين فانه يقول جل ثناؤه ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا وذلك هو الحين الذى ذكره كما حدثت عن عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس ومتاع الى حين قال الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا والحين نفسة الوقت غير أنه مجهول القدر يدل على ذلك قول الشاعر

وما مر احلك بعد الحلم والدين * وقد علاك مشيب حين لاحين

أى وقت لاح وقت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله للذين أهبطهم من سمواته الى أرضه فيها تحيون يقول فى الارض تحيون يقول تكونون فيها أيام حياتكم وفيها تموتون يقول فى الارض تكون وفاتكم ومنها تخرجون يقول ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم اليه لبعث القيامة أحياء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم﴾ يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرون للطواف اتباعا منهم أمر الشيطان وتركا منهم طاعة الله فعرفهم انخداعهم بغروره لهم حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذى أنعم به عليهم حتى أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به وأنهم قد سار بهم سيرته فى أبويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذى كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما فعرّاهما منه يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يعنى بانزاله عليهم ذلك خلقه لهم ورزقه اياهم واللباس ما يلبسون من الثياب يوارى سوآتكم يقول يستر عوراتكم عن أعينكم وكنى بالسوآت عن العورات واحدتها سوأة وهى فعلة من السوء وانما سميت سوأة لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده كما قال الشاعر

خرقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا سوأة الرجله

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو

لامعنى له الا الفراغ المحض ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية فى تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث فحصوله فى الحيز محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو أولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل أن يقول ما لا يتناهى لا يعقل له حيز معين ولو فرض لا تناهى الاحياز أيضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشئ الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشئ والمعية بعد ذلك لا تضر ومنها لو كان فى الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزى والا لكان نقطة أو جوهرا فردا فلا بعد أن يقال ان الله العالم جزء من ألف جزء من رأس ابرة ملتصقة بذنب قملة أو نملة ولقائل أن يقول لا نسلم أن كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقى الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس يشار اليها بحسب الحس فلا بد أن يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبنى على نفى الجوهر الفرد ومنها لو كان فى حيز لكان اما أعظم من العرش أو مساويا له أو أصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوى للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه لان القدر الذى فضل به عليه مغاير لما سواه ولقائل أن يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار وتستحيل هذه التقادير ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهى الابعاد وانه محال لبرهان تناهى الابعاد ولقائل أن يقول ان برهان تناهى الأبعاد لا يسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسمانى ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا فى الحيز لكان كونه هناك اما أن يمنع من حصول جسم آخر فيه أو لا يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام فى هذا المعنى ثم انه ان لم تحصل بينه وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه ما يصح عليها من التغيرات وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان مابه المشاركة مغايرا لمابه المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وأيضا ان مابه المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما أن يكون محلا لمابه المخالفة أو حالا فيه أو لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لباسا يوارى سوآتكم قال كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا قال أربع آيات نزلت فى قريش كانوا فى الجاهلية لا يطوفون بالبيت الا عراة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف قال سمعت معبدا الجهنى يقول فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا قال اللباس الذى يلبسون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال كانت قريش تطوف عراة لا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال اللباس الذى يوارى سوآتكم هو لبوسكم هذا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لباسا يوارى سوآتكم قال هى الثياب **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول اللباس الثياب **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال يعنى ثياب الرجل التى يلبسها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وريشا﴾ اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار وريشا بغير ألف وذكر عن زر بن حبيش والحسن البصرى أنهما كانا يقرآنه ورياشا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبان العطار قال حدثنا عاصم أن زر بن حبيش قرأها ورياشا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك قراءة من قرأ وريشا بغير ألف لاجماع الحجة من القراء عليها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم خبر فى اسناده نظر أنه قرأه ورياشا فمن قرأ ذلك ورياشا فانه محتمل أن يكون أراد به جمع الريش كما تجمع الذئب ذئابا والبئر بئارا ويحتمل أن يكون أراد به مصدرا من قول القائل راشه الله يريشه رياشا وريشا كما يقال لبسه يلبسه لباسا ولبسا وقد أنشد بعضهم

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه * بأطراف طفل زان غيلا موشما

بكسر اللام من اللبس والرياش فى كلام العرب الأثاث وما ظهر من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار والريش انما هو المتاع والأموال عندهم وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال يقولون أعطاه سرجا بريشه ورحلا بريشه أى بكسوته وجهازه ويقولون انه لحسن ريش الثياب وقد يستعمل الرياش فى الخصب ورفاهة العيش ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال الرياش المال **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله

والامور التى بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية فى تمام الماهية فكل مايصح على بعضها يصح على البواقى وكل مايصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان مابه المخالفة محلا وذوات ومابه المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له أيضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل آخر لا الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان أجنبيا مباينا فتكون ذات الله تعالى مساوية لتمام الاجسام فى الماهية ويصح عليه مايصح عليها هذا محال وعلى التقدير الثانى وهو أن ذاته تعالى لاتمنع من حصول جسم آخر فى حيزه لزم سريانه فى ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر والكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى فى حيز محال ولقائل أن يقول كون البارئ تعالى مع الحيز مغايرا لكون الجسم فى الحيز فأين الاشتراك ولو سلم فالاشتراك فى اللوازم لايوجب الاشتراك فى الملزومات فمن أين يلزم التركيب قوله فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التى بها حصلت المخالفة أعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بلا وجوبه والكلام فى سريانه فى الموجودات قدمر ومنها انه لو كان فى حيز فان أمكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر فى حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث ومالا يخلو عن المحدث أولى بأن يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وأيضا لا يبعد فرض أجسام أخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكرامية يساعدون على أنه كفر ولقائل أن يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى احياز فأما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه بأحدهما فلم لا يجوز أن لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لا يصح وصفه بالتخلخل والتكاثف

قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وريشا يقول مالا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وريشا قال المال **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وريشا قال امارياشا فرياش المال **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول الرياش المال **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ورياشا يعنى المال * ذكر من قال هو اللباس ورفاهة العيش **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ورياشا قال الرياش اللباس والعيش والنعيم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى ورياشا قال الرياش المعاش **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهنى ورياشا قال هو المعاش * وقال آخرون الريش الجمال ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ورياشا قال الريش الجمال ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم لباس التقوى هو الايمان ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولباس التقوى هو الايمان **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولباس التقوى الايمان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنى حجاج عن ابن جريج ولباس التقوى الايمان * وقال آخرون هو الحياء ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى فى قوله ولباس التقوى الذى ذكر الله فى القرآن هو الحياء **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهنى فذكر مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن معبد بنحوه * وقال آخرون هو العمل الصالح ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولباس التقوى ذلك خير قال لباس التقوى العمل الصالح * وقال آخرون بل ذلك هو السمت الحسن **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود عن محمد بن موسى عن الزباء بن عمرو عن ابن عباس ولباس التقوى قال السمت الحسن فى الوجه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن قال رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قوهى محلول الزر وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله فى هذه السرائر فانى سمعت رسول

ونحو ذلك فتستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز آخر ولان العالم النورانى الذى لانهاية له مملوء منه فكيف يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم جبلا واقفا فى الحيز العالى وان كان نورا محضا جاز أن تفرض هذه الانوار التى تشرق على الجدران الها وأيضا ان كان له طرف وحد فان كان ذا عمق وثخن كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا فى غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل أرق منها ألف ألف مرة قلت ان أمثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لا يفرق بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادى والشئ القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب أن هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء أن الأجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة واللين واذا جاز أن يكون فى أنواع الاجسام نوع لا يمكن أن يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع أجل وأشرف من أن يتصف بأحدهما فلم لا يجوز أن يكون فيما هو أشرف من ذلك النوع شئ لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش أو مباينا له ببعد متناه أو غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له ثخن كان سطحا رقيقا كما مر وان كان له ثخن فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا ببعد متناه فلا يمتنع أن يرتفع العالم من حيزه الى أن يماسه ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم أن يكون غير المتناهى محصورا بين الحاصرين ولقائل أن يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصح عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل وأشباه ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سرا الا ألبسه الله رداءه علانية ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم تلا هذه الآية ورياشا ولم يقرأها وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله قال السمت الحسن * وقال آخرون هو خشية الله ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول لباس التقوى خشية الله * وقال آخرون لباس التقوى فى هذه المواضع ستر العورة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولباس التقوى يتقى الله فيوارى عورته ذلك لباس التقوى * واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المكيين والكوفيين والبصريين ولباس التقوى ذلك خير برفع ولباس وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ولباس التقوى بنصب اللباس وهى قراءة بعض قراء الكوفيين فمن نصب ولباس فانه نصبه عطفا على الريش بمعنى قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا وأنزلنا لباس التقوى وأما الرفع فان أهل العربية مختلفون فى المعنى الذى ارتفع به اللباس فكان بعض نحويى البصرة يقول هو مرفوع على الابتداء وخبره فى قوله ذلك خير وقد استخطأه بعض أهل العربية فى ذلك وقال هذا غلط لانه لم يعد على اللباس فى الجملة عائد فيكون اللباس اذا رفع على الابتداء وجعل ذلك خير خبرا * وقال بعض نحويى الكوفة ولباس يرفع بقوله ولباس التقوى خير ويجعل ذلك من نعته وهذا القول عندى أولى بالصواب فى رافع اللباس لانه لا وجه للرفع الا أن يكون مرفوعا بخير واذا رفع بخير لم يكن فى ذلك وجه الا أن يجعل للباس نعتا لا أنه عائد على اللباس من ذكره فى قوله ذلك خير فيكون خير مرفوعا بذلك وذلك به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام اذا رفع لباس التقوى ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه خيرا لكم يا بنى آدم من لباس الثياب التى توارى سوآتكم ومن الرياش التى أنزلناها اليكم فالبسوه وأما تأويل من قرأه نصبا فانه يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى هذا الذى أنزلنا عليكم من اللباس الذى يوارى سوآتكم والريش ولباس التقوى خير لكم من التعرى والتجرد من الثياب فى طوافكم بالبيت فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرى من الثياب فان ذلك سخرية منه بكم وخدعة كما فعل بأبويكم آدم وحواء فخدعهما حتى جردهما من لباس الله الذى كان ألبسهما بطاعتهما اله فى أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التى عصياه بأكلها وهذه القراءة أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب أعنى نصب قوله ولباس التقوى لصحة معناه فى التأويل على ما بينت وان الله انما ابتدأ الخبر عن انزاله اللباس الذى يوارى سوآتنا والرياش توبيخا للمشركين الذين كانوا يتجردون فى حال طوافهم بالبيت ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها فى كل حال مع الايمان به واتباع طاعته ويعلمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعريهم لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل اليهم خير من بعض ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك الآيات التى بعد هذه الآية وذلك قوله يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما

ومنها أن الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت أقوى كانت الفاعلية والتأثير أضعف وبالعكس ولهذا كان تأثير الارض أقل من تأثير الماء وتأثير الماء من تأثير الهواء وتأثير الهواء من تأثير النار بالاحراق والطبخ وتأثير النار من تأثير الافلاك المؤثرة فى العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة أشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريأ من الحجم والجرم والكثافة والرزانة قلت فى الاستقراء نزاع انه صحيح تام أو لا ولكن لا نزاع فى ان واجب الوجود تعالى شأنه برئ عن الجسمية والكثافة وعن كل شئ يقدح فى قيوميته وههنا حجج قد أوردت فى أوائل

قل هو الله أحد والأحد مبالغة فى كونه واحدا والذى يتلىء منه العرش ويفضل عن العرش يكون مركبا من أجزاء فوق أجزاء العرش وذلك ينافى كونه أحدا وأجيب بأنه ذات واحدة حصلت فى كل الاحياز دفعة واحدة وزيف بأن هذا معلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يقال جميع العرش الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا أن ذلك الجزء الذى لا يتجزأ حصل فى جملة الاحياز فظن انه أشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان هذا الجزء الذى لا يتجزأ لصغره غير الشئ الذى لا يقبل التجزئة والانقسام لذاته وأيضا المتحيز الذى مقداره ذراع فى ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع فى ذراع فلزم منه أن لا يشغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم فى ذاته حاصل فى جميع الأشياء لا منفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط ولا متصل بها اتصال العرض الساري فى الاجسام ولهذا لا يلزمه بانقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ويلزم منه أن يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب أنك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغنى فوجب أن يكون غير مفتقر الى المكان والجهة والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها عن ان فرعون طلب حقيقة الاله فى قوله ومارب العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف وأما فرعون فقد طلب الاله فى السماء فى قوله فأطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع فى أن حقيقة ذاته كما هى لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا بلوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور أن يكون الاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم

لباسهما ليريهما سوآتهما وما بعد ذلك من الآيات الى قوله وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون فانه جل ثناؤه يأمر فى كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرد والتعرى وبالايمان به واتباع أمره والعمل بطاعته وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان مؤكدا فى كل ذلك ما قد أجمله فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير * وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله ولباس التقوى استشعار النفوس تقوى الله فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته وذلك يجمع الايمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن لأن من اتقى الله كان به مؤمنا وبما أمره به عاملا ومنه خائفا وله مراقبا ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه فحسن سمته وهديه ورؤيت عليه بهجة الايمان ونوره وانما قلنا عنى بلباس التقوى استشعار النفس والقلب ذلك لان اللباس انما هو ادراع ما يلبس واحتباء ما يكتسى أو تغطية بدنه أو بعضه به فكل من ادرع شيأ واحتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه فهو له لابس ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسا وهن لهم لباسا وجعل الليل لعباده لباسا ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذى ذكرنا من تأويله اذا قرئ قوله ولباس التقوى رفعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولباس التقوى الايمان ذلك خير يقول ذلك خير من الرياش واللباس يوارى سوآتكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولباس التقوى قال لباس التقوى خير وهو الايمان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ يقول تعالى ذكره ذلك الذى ذكرت لكم أنى أنزلته اليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة لعلهم يذكرون يقول جل ثناؤه جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت ليذكر وا فيعتبروا وينيبوا الى الحق وترك الباطل رحمة منى بعبادى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾ يقول تعالى ذكره يا بنى آدم لا يخدعنكم الشيطان فيبدى سوآتكم للناس بطاعتكم اياه عند اختباره لكم كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره اياهما فأطاعاه وعصياه بهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعه من الجنة ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما واظهارها الأعينهما بعد أن كانت مستترة وقد بينا فيما مضى ان معنى الفتنة الاختبار والابتلاء بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل التأويل فى صفة اللباس الذى أخبر الله جل ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا وما كان فقال بعضهم كان ذلك أظفارا ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا فى ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عكرمة ينزع عنهما لباسهما قال لباس كل دابة منها ولباس الانسان الظفر فأدركت آدم التوبة عند ظفره أو قال أظفاره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحمانى عن نصر بن عمر

من اله غيرى ومنها هذه الآية لانها تدل على أنه استقر على العرش بعد تخليق السموات والأرض و كان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شئ فاذا خلق ما خلق من عالم الأجسام والاختلاط بقى ما وراءه نورا محضا ومنها قصة ابراهيم وتبرئه من الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا فى أفق الامكان والجواب أن نور الأنوار أجل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الأحياز ومع ما سواها أن يكون فى مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها أن أول الآية أعنى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض بدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشى الليل النهار الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان أجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بقى وبعوض صدق عليه أنه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته فى تدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب أن الاستقرار بالتفسير الذى ذكرناه أدل شئ على المدح والثناء وحديث البق والبعوض خراف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا أو بعوضا صدق عليه أنه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها أنه سبحانه حكم فى آيات كثيرة بأنه خالق السموات فلو كان فوق العرش كان سماء لساكنى العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سماء فيلزم أن يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم أن كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار أنه نور أو جسم أن ذاته سبحانه مخصوصة بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شئ هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة فى الآية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها الى الله والثانى الخوض فى التأويل وذلك من وجوه أحدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء أى استعلى على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وثالثها ذكر القفال أن العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه اذا استقام له أمره

عن عكرمة عن ابن عباس قال تركت أظفاره عليه زينة ومنافع فى قوله ينزع عنهما لباسهما حدثنى أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا ابراهيم بن أبى الوزير قال أخبرنا مخلد بن الحسين عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت الاظفار تذكرة وزينة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسه الظفر فانتهت توبته الى أظفاره * وقال آخرون كان لباسهما نورا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه ينزع عنهما لباسهما النور حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال سمعت وهب ابن منبه يقول فى قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما قال كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا * وقال آخرون انما عنى الله بقوله ينزع عنهما لباسهما يسلبهما تقوى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا مطلب بن زياد عن ليث عن مجاهد ينزع عنهما لباسهما قال التقوى حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن مجاهد ينزع عنهما لباسهما قال التقوى حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء وأن يجردهم من لباس الله الذى أنزله اليهم كما نزع عن أبويهم لباسهما واللباس المطلق من الكلام بغير اضافة الى شئ فى متعارف الناس هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء أو غطى بدنه أو بعضه واذ كان ذلك كذلك فالحق أن يقال ان الذى أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذى نزعه عنهما الشيطان هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفرا و يجوز أن يكون كان ذلك نورا و يجوز أن يكون غير ذلك ولا خبر عندنا بأى ذلك تثبت به الحجة فلا قول فى ذلك أصوب من أن يقال كما قال جل ثناؤه ينزع عنهما لباسهما وأضاف جل ثناؤه الى ابليس اخراج آدم وحواء من الجنة ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما وان كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما اياه اذ كان الذى كان منهما فى ذلك عن تشبيه ذلك لهما بمكره وخداعه فأضيف اليه أحيانا بذلك المعنى والى الله أحيانا بفعله ذلك بهما ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ يعنى جل ثناؤه بذلك ان الشيطان يراكم هو والهاء فى انه عائدة على الشيطان وقبيله يعنى وصنفه وجنسه الذى هو منه واحد جمعه قبل وهم الجن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انه يراكم هو وقبيله قال الجن والشياطين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انه يراكم هو وقبيله قال قبيله نسله وقوله من حيث لا ترونهم يقول من حيث لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان

واطرد وفى ضده خلا عرشه أى انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذى ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم لتستقر عظمة الله تعالى فى قلوبهم الا أن ذلك مشروط بنفى التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شئ ثم علموا بعقولهم أنه لم يحصل ذلك العلم بفكرة أو روية ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا منه أنه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا أنه غنى فى ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول فى كل من صفاته واذا أخبر أن له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه أنه نصب موضعا يقصدونه لما لأربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفى التشبيه وأنه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا أنه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا أخبر أنه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه أنه بعد أن خلقهما استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخى أنه يظهر تصرفه فى هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تأثير الفاعل لا يظهر الا فى القابل وقال أبو مسلم العرش لغة هو البناء والعارش البانى قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد أنه بعد أن خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قوله سبحانه (يغشى الليل النهار) قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال القفال لما أخبر بالاستواء على العرش وان أمر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيئته أراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر يعنى وقدم ذكر الليل والنهار لما فى تعاقبهما من المنافع الجليلة فبهما تتم أمور الحياة ثم وصف الحركة التى يحصلان منها بالسرعة والشدة فقال (يطلبه حثيثا) قال الليث الحث الاعجال وذلك أن حركة الفلك الأعظم أشد الحركات سرعة حتى انها فى مقدار ما تقول واحد واحد واحد تتحرك ألفا وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخا من مقعر فلكه والله أعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما الاولى فمستأنفة

وقيله انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون يقول جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ذكر أن معنى الفاحشة فى هذا الموضع ما حدثنى على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا أبو محياة عن منصور عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشئ فتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله ۞ فما بدا منه فلا أحله

حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن مفضل عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير والشعبى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة فاذا قيل لم تفعلون ذلك قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا فعلوا فاحشة قال طوافهم بالبيت عراة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال فى طواف الحمس فى الثياب وغيرهم عراة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة فتلك الفاحشة التى وجدوا عليها آباءهم قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الآية فتأويل الكلام اذا واذا فعل الذين لا يؤمنون بالله الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل وهو الفاحشة وذلك تعريهم للطواف بالبيت وتجردهم له فعذلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه قالوا وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ونقتدى بهديهم ونسنن بسنتهم والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فيه يقول الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء يقول لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها أتقولون أيها الناس على الله ما لا تعلمون يقول أتزورون على الله أنه أمركم بالتعرى والتجرد من الثياب واللباس للطواف وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله ما أمر ربى بما تقولون بل أمر ربى بالقسط

كأنه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات والارض فاجيب يغشى الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف يحتمل أن تكون هذه الجملة مبينة وأما الثانية ففى محل النصب على الحال من الملحق كما أن حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الملحق بعينه ثم قال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) من قرأهن منصوبات فمعناه وخلق هذه الأجرام حال كونهن تحت تسخيره ومن قرأها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا استقام أن يقال زيد مضروب

يعنى بالعدل كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل أمر ربى بالقسط بالعدل حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل أمر ربى بالقسط والقسط العدل وأما قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه وجهوا وجوهكم حيث كنتم فى الصلاة الى الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد الى الكعبة حيثما صليتم فى الكنيسة وغيرها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال اذا صليتم فاستقبلوا الكعبة فى كنائسكم وغيرها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد هو المسجد الكعبة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا خالد بن عبد الرحمن عن عمر بن ذر عن مجاهد فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال الكعبة حيثما كنت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال أقيموها للقبلة هذه القبلة التى أمركم الله بها * وقال آخرون بل عنى بذلك واجعلوا سجودكم لله خالصا دون ماسواه من الآلهة والأنداد ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال فى الاخلاص أن لا تدعوا غيره وأن تخلصوا له الدين * قال أبو جعفر وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما قاله الربيع وهو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم الى ربهم لا الى ماسواه من الأوثان والأصنام وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا لا مكاء ولا تصدية وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله انما خاطب بهذه الآية قوما من مشركى العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيع وانما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين فغير معقول أن يقال لمن لا يصلى فى كنيسة ولا بيعة وجه وجهك الى الكعبة فى كنيسة أو بيعة وأما قوله وادعوه مخلصين له الدين فانه يقول واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا فى شئ مما تعملون له شريكا كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين قال أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ثم توجهون الى البيت الحرام ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله كما بدأكم تعودون فقال بعضهم تأويله كما بدأكم أشقياء وسعداء كذلك تبعثون يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال ان الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال جل ثناؤه هو الذى

وقوله (بأمره) متعلق بمسخرات أى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال فى الكشاف سمى ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك ومنهم من حمل هذا الأمر على الأمر الذى هو الكلام وعلى هذا لا يبعد أن يكون بأمره متعلقا بخلق بدأ بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تأثيرها بالتسخين والقمر تأثيره بالترطيب وتوليد المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان لا يتم ولا يكمل الا بتأثير الحرارة فى الرطوبة ثم انه سبحانه وتعالى خص كل كوكب بخاصية عجيبة وتأثير غريب لا يعلمه بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم أن الأجسام متماثلة فى الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة فى العالم العلوى والسفلى وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوة أخرى لا بد أن يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بأمره وأيضا ان لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المغرب الى المشرق وسيرا آخر سريعا بسبب حركة الفلك الأعظم فقوله يغشى الليل النهار تنبيه على أن حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الأعظم المسمى بالعرش وقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره اشارة الى أن العرش يحرك جميع الأفلاك والكواكب وأنه سبحانه أودع فى جرمه قوة قاهرة قاسرة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وأيضا أن أقسام الأجسام ثلاثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط

وهي الاجرام الفلكية فتكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولأمر ما أكثر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية بدل الضياء بالظلام وبالعكس وأحوال الشمس والقمر والنجوم وأمر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء وبالتفكر فيهما قائلا أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب أن اعتقاد الفريق الثاني يكون أكمل وأقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع أما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن أحوال هذا العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد و بصيرته تتكامل الى أن يصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات أنزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب وأما قوله عز من قائل (ألا له الخلق والامر) فالخلق عبارة عن التقدير و يختص بكل ما هو جسم وجسماني لانه خص بمقدار معين فكل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه أوجد بأمر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق

خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور قال ثنا أصحابنا عن ابن عباس كما بدأكم تعودون قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن الضريس عن أبي جعفر عن الربيع عن رجل عن جابر قال يبعثون على ما كانوا عليه المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية قال عادوا الى علمه فيهم ألم تسمع الى قول الله فيهم كما بدأكم تعودون ألم تسمع قوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كما بدأكم تعودون قال ردوا الى علمه فيهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازي قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله كما بدأكم تعودون قال من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدأ الله خلقه عليه وان عمل بأعمال أهل السعادة كما أن ابليس عمل بأعمال أهل السعادة ثم صار الى ما ابتدئ عليه خلقه ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل بأعمال أهل الشقاء كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا الى ما ابتدئ عليه خلقهم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن وقاء بن اياس أبي يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو كين قال ثنا سفيان عن أبي يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد مثله **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة يقول كما بدأكم تعودون كما خلقنا كم فريق مهتدون وفريق ضال كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن سفيان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبعث كل نفس على ما كانت عليه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفري عن شريك عن سالم عن سعيد ابن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما بدأكم تعودون شقيا وسعيدا **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك كما خلقكم ولم تكونوا شيأ تعودون بعد الفناء ذكر من قال ذلك **حدثنا**

ابن

في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره * وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى أنه تعالى متكلم آمر ناه مخبر مستخبر لان قوله ألا له الخلق والامر دل على أن له الامر فوجب أن يكون له النهي وسائر أنواع الكلام ضرورة أنه لا قائل بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله ألا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم أنه لا يفيده فلا أقل من افادة أنه خالق بعض الاشياء

وحينئذ يثبت المطلوب لأن افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في وجود شئ واحد يجب أن يكون هو المؤثر في جميع الممكنات ولا يحتاج الى الممكنات الثالثة قالت الأشاعرة كل أثر يصدر عن فلك أو ملك أو جني أو انسي فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله ألا له الخلق والامر ويتفرع على هذا أنه لا اله الا الله والا كان الثاني مدبرا وخالقا وأنه لا تأثير للكواكب في أحوال هذا العالم وأن القول بالطبائع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة وأصحاب الطلسمات باطل وأن خالق أعمال العباد هو الله تعالى والقول بأن العلم يوجب العالمية والقدرة توجب القادرية باطل كل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى

الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان أمر الله مخلوقا لما صح هذا التمييز أجاب الجبائي بأنه لا يلزم من افراد الأمر بالذكر عقيب الخلق أن لا يكون الأمر داخلا في الخلق كقوله ومن ملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم أن تكون الكلمات غير الله تعالى وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق فكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على أنه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد به نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد أن يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه أمرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية * وقال آخرون معنى قوله ألا له الخلق أنه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب أن يكون معناه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر ويلزم منه أن يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن ذلك الامر بحسب مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق أنه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر هذا خلف وأجيب بأنه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة

ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم ولم تكونوا شيأ فأحياكم كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كما بدأكم تعودون قال بدأ خلقهم ولم يكونوا شيأ ثم ذهبوا ثم يعيدهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى يقول كما خلقناكم أول مرة كذلك تعودون **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كما بدأكم تعودون يحييكم بعد موتكم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كما بدأكم تعودون قال كما خلقهم أولا كذلك يعيدهم آخرا * قال أبو جعفر وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب القول الذي قاله من قال معناه كما بدأكم الله خلقا بعد أن لم تكونوا شيأ تعودون بعد فنائكم خلقا مثله يحشركم الى يوم القيامة لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم بما في هذه الآية قوما مشركين أهل جاهلية لا يؤمنون بالمعاد ولا يصدقون بالقيامة فأمره أن يدعوهم الى الاقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ومثيب من أطاعه ومعاقب من عصاه فقال له قل لهم أمر ربي بالقسط وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأن ادعوه مخلصين له الدين وأن أقروا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكر وأن أقروا بأن كما ترك ذكر أن مع أقيموا اذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات الى الاقرار بالصفة التي عليها ينشر من نشر وانما يؤمر بالدعاء الى ذلك من كان بالبعث مصدقا فأما من كان له جاحدا فانما يدعى الى الاقرار به ثم يعرف كيف شرائط البعث على أن في الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي **حدثناه** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني المغيرة ابن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس عراة غرلا وأول من يكسى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك من أن معناه ان الخلق يعودون الى الله يوم القيامة خلقا أحياء كما بدأهم في الدنيا خلقا أحياء يقال منه بدأ الله الخلق يبدؤهم وأبدأهم يبدئهم ابداء بمعنى خلقهم لغتان فصيحتان ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عما سبق من

فى الآية دلالة على أنه ليس لاحد أن يلزم غيره شيأ الا الله ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الألم لا يوجب العوض السادس دلت الآية على أن القبيح لا يجوز أن يقبح لوجه عائد اليه وأن الحسن لا يحسن لامر عائد اليه والالم يأمر الا بما حصل فيه وجه الحسن ولم ينه الا عما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهى كيف شاء وأراد هذا خلف السابعة أطلق الخلق والامر فيعلم أنه لو أراد خلق ألف عالم بما فيه من العرش والكرسى والكواكب فى أقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان أهل السنة يقولون معنى قوله الامر لله أنه صفة له فكذا الخلق صفة قائمة بذاته فلا يكون مخلوقا وأجيب بأن الخلق لو كان غير المخلوق فاما أن يكون قديما و يلزم من قدمه قدم المخلوق واما أن يكون حادثا فيفتقر الى خلق آخر و يتسلسل و يمكن أن يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضى أن لا أمر الا الله وقول النبى صلى الله عليه وآله اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم لا ينافى ذلك لان الموجب لأمره فى الحقيقة هو أمر الله تعالى العاشرة فى الآية دلالة على أن لله تعالى أمرا ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع كان واجب الوقوع فكان الأمر به تحصيلا للحاصل وان كان غير معلوم الوقوع كان ممتنع الوقوع فكان الأمر به أمرا بما يمتنع وقوعه وهو محال وأيضا انه تعالى ان خلق الداعى الى فعله كان واجب الوقوع والا فلا فائدة فى الامر به وأيضا الكافر أو الفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم أنه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الأمر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحليم وأيضا التكليف ان لم يكن لفائدة فى الأمر فهو عبث وان كان لفائدة فلا بد أن تعود الى المكلف لانه سبحانه غنى بجميع الفوائد منحصرة فى تحصيل نفع أو دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلهما للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف اضرارا محضا والجواب أن أول الآية دل على انه تعالى هو

علمه فى خلقه وجرى به فيهم قضاؤه فقال هدى الله منهم فريقا فوفقهم لصالح الاعمال فهم مهتدون وحق على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد باتخاذهم الشيطان من دون الله وليا واذا كان التأويل هذا كان الفريق الاول منصوبا باعمال هدى فيه والفريق الثانى بوقوع قوله حق على عائد ذكره فى عليهم كما قال جل ثناؤه يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ومن وجه تأويل ذلك الى أنه كما بدأكم فى الدنيا صنفين كافرا ومؤمنا كذلك تعودون فى الآخرة فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة نصب فريقا الاول بقوله تعودون و جعل الثانى عطفا عليه وقد بينا الصواب عندنا من القول فيه ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و يحسبون أنهم مهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ان الفريق الذى حق عليهم الضلالة انما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء جهالا منهم بخطا ما هم عليه من ذلك بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق وأن الصواب ما أتوه وركبوا وهذا من أبين الدلالة على خطا قول من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها الا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه فيها لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذى ضل وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما فى هذه الآية ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرون عند طوافهم ببيته الحرام و يبدون عوراتهم هنالك من مشركى العرب والمحرمين منهم أكل ما لم يحرمه الله عليهم من حلال رزقه تبرا عند نفسه لربه يا بنى آدم خذوا زينتكم من الكساء واللباس عند كل مسجد وكلوا من طيبات ما رزقتكم وحللته لكم واشربوا من حلال الأشربة ولا تحرموا الا ما حرمت عليكم فى كتابى أو على لسان رسولى محمد صلى الله عليه وسلم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى ابن حبيب بن عربى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا شعبة عن سلمة عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النساء كن يطفن بالبيت عراة وقال فى موضع آخر بغير ثياب الا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة فيما وصف ان شاء الله وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

قال فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

فقال الله خذوا زينتكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس خذوا

زينتكم

الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك فى ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن منه تعالى أن يأمر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا كما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا أو من كونه موجب عوض أو ثواب ولما بين أن له الأمر والنهى والحكم والتكليف ذكر أنه يستحق الثناء والتقديس فقال (تبارك الله رب العالمين) وللبركة تفسيران أحدهما الثبات والدوام ولا ريب أنه الواجب لذاته القائم بذاته الدائم الغنى بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة ولا شك أن كل الخيرات والكمالات فائضة من جوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وأرشد الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين أتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب والمآرب الدينية والدنيوية فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) قال فى الكشاف نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم أو الكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف الشئ على نفسه فى قوله وادعوه خوفا وطمعا والأظهر أنه على الأصل ومن الناس من أنكر الدعاء قال لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع أو كان مرادا فى الأزل أو كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وأيضا انه نوع من سوء الأدب وعدم الرضا بالقضاء وقد يطلب ما ليس بنافع له وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق أن الدعاء نوع من أنواع العبادة ورفضه يستدعى رفض كثير من الوسائل والوسائط والروابط ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روى عنه صلى الله عليه وآله ما من شئ أكرم على الله سبحانه من الدعاء الا أنه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء والسمعة واليهما أشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد أطنبنا فى تحقيق الدعاء وشرائطه فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذا سألك عبادى عنى ثم ختم الآية بقوله (انه لا يحب المعتدين) وللمسلمين اتفاق على أنه ليس معنى المحبة عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصال الثواب والخير الى العبد وهذا مبنى

زينتكم عند كل مسجد قال الشباب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا غندر ووهب بن جرير عن شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت مسلما البطين يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة قال غندر وهى عريانة قال وهب كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وما هنالك قال غندر وتقول من يعيرنى تطوافا تجعله على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله ✻ وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يوارى السوأة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء خذوا زينتكم قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا ثيابهم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء بنحوه **حدثنى** عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء فى قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد البسوا ثيابكم **حدثنا** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان ناس يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا الثياب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما وارى العورة ولو عباءة **حدثنا** عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد وأبو عاصم وعبد الله بن داود عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما يوارى عورتك ولو عباءة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله خذوا زينتكم عند كل مسجد فى قريش لتركهم الشباب فى الطواف **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الشباب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم عن نافع عن ابن طاوس عن أبيه خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الشملة من الزينة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن طاوس خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد وأبو اسامة عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فطافت امرأة بالبيت

على قول الكعبي وأبي الحسين انه تعالى غير موصوف بالارادة وأن كونه مريد الأفعال نفسه عبارة عن ايجادها وفعلها وكونه مريدا لأفعال غيره هو كونه آمرا بها وأما الأشاعرة ومعتزلة البصرة القائلون بصفة الارادة فانهم فسروا المحبة بارادة ايصال الثواب وقال بعض العلماء انا نجد في الشاهد أن الأب يحب ابنه فيترتب على تلك المحبة ارادة ايصال الخيرات الى ذلك الابن وكانت هذه الارادة أثرا من آثار تلك المحبة وثمرة من ثمراتها غاية ما في الباب أن هذه المحبة في الشاهد عبارة عن الشهوة وميل الطبع ورغبة في النفس وذلك في حقه تعالى محال الا أنا نقول لم لا يجوز أن يقال ان محبة الله صفة أخرى يترتب عليها ايصال الثواب أو ارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ماهي وكيف هي لأن عدم العلم بالشئ لا يوجب العلم بعدم ذلك الشئ نظير ذلك أن أهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الأجسام والألوان ويعني بالمعتدين المجاوزين ما أمر وا به فيشمل كل من خالف أمر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده أنه أمر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهره الوجوب اذ قد أثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف أرباب الطريقة ان الأولى في العبادات الاخفاء أم الاظهار فقيل الأولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الأولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالأولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا من شائبة الرياء فالأولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التأمين أفضل وقال أبو حنيفة الاخفاء أفضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من أسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة فان لم يثبت الوجوب فلا أقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله (ولا تفسدوا في الأرض) فيدخل فيه خمسة أشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الأموال

وهي عريانة فقالت

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان حي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنست فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر على ذلك والا طاف عريانا فأنزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يقول ما يواري العورة عند كل مسجد حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس قريش وأحلافهم فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقى ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد * وبه عن معمر قال قال ابن طاوس عن أبيه الشملة من الزينة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية كان ناس من أهل اليمن والاعراب اذا حجوا البيت يطوفون به عراة ليلا فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا في المسجد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد خذوا زينتكم قال زينتهم ثيابهم التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرون و حدثني به مرة أخرى باسناده عن ابن زيد في قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال كانوا اذا جاؤا البيت فطافوا به حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها فان وجدوا من يعيرهم ثيابا والا طافوا بالبيت عراة فقال من حرم زينة الله قال ثياب الله التي أخرج لعباده الآية * وكالذي قلنا أيضا قالوا في تأويل قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين في الطعام والشراب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم فقال الله لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يقول لا تسرفوا في التحريم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تسرفوا لا تأكلوا حراما ذلك الاسراف وقوله انه لا يحب

المسرفين يقول ان الله لا يحب المتعدين حده فى حلال أو حرام الغالين فيما أحل الله أو حرم باحلال الحرام و بتحريم الحلال ولكنه يحب أن يحلل ما أحل و يحرم ما حرم وذلك العدل الذى أمر به * القول فى تأويل قوله ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرون عند طوافهم بالبيت و يحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق من حرم أيها القوم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتجملوا بلباسها والحلال من رزق الله الذى رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم * واختلف أهل التأويل فى المعنى بالطيبات من الرزق بعد اجماعهم على أن الزينة ما قلنا فقال بعضهم الطيبات من الرزق فى هذا الموضع اللحم وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه فى حال احرامهم ذكر من قال ذلك منهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو اللحم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الذى حرموا على أنفسهم قال كانوا اذا حجوا أو اعتمروا حرموا الشاة عليهم وما يخرج منها وحدثنى به يونس مرة أخرى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل من حرم زينة الله الى آخر الآية قال كان قوم يحرمون ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها فقال الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال والزينة من الثياب حدثنى المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن رجل عن الحسن قال لما بعث الله محمدا فقال هذا نبى هذا خيارى استنوا به خذوا فى سنته وسبيله لم تغلق دونه الابواب ولم تقم دونه الحجبة ولم يغد عليه (١) بالجبار ولم يرجع عليه بها وكان يجلس بالارض و يأكل طعامه بالارض و يلعق يده و يلبس الغليظ و يركب الحمار و يردف عبده وكان يقول من رغب عن سنتى فليس منى قال الحسن فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها ثم علو جافسا قالوا أكلة الربا والغلول قد سفههم ربى ومقتهم زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت يتأولون هذه الآية قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وانما جعل ذلك لاولياء الشيطان قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه من كلام لم يحفظه سفيان * وقال آخرون بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرم من البحائر والسوائب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال ان الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها وهو قول الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا فأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق * القول فى تأويل قوله ﴿قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق اذ عموا بالجواب فلم يدروا ما يجيبونك زينة الله التى أخرج لعباده وطيبات رزقه للذين صدقوا الله

(١) كذا فى أصله وفى نسخة بالجباب بجيم وموحدتين بينهما ألف وحرر كتبه مصححه

بالكفر والبدعة وذلك أن قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد فى الوجود والمنع من الماهية يقتضى المنع من جميع أنواعه ومعنى (بعد اصلاحها) بعد ان أصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين أو المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرائع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع يقتضى وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن فى الارض وفى الآية دلالة على أن الاصل فى المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا يدل على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص على العام وفيها أيضا دلالة على أن كل عقد وقع التراضى به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لأن رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالأخص فى جميع أحكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على أن الاصل فى المضار والآلام الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل فى المنافع واللذات الاباحة والحل فكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين أن الدعاء لا بد أن يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء و بعدم المنافى وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر أن فائدة الدعاء والباعث

عليه أحد الامرين الخوف من العقاب والطمع فى الثواب واعترض عليه بأن أهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى

ورسوله واتبعوا ما أنزل اليك من ربك فى الدنيا وقد شركهم فى ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وهى للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة لا يشركهم فى ذلك يومئذ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول شاركهم المسلمون الكفار فى الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها وخلصوا بها يوم القيامة وحدثنى به المثنى مرة أخرى بهذا الاسناد بعينه عن ابن عباس فقال قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يعنى يشاركهم المسلمون المشركين فى الطيبات فى الحياة الدنيا ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول قل هى فى الآخرة خالصة لمن آمن بى فى الدنيا لا يشركهم فيها أحد وذلك أن الزينة فى الدنيا لكل بنى آدم فجعلها الله خالصة لاوليائه فى الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال اليهود والنصارى يشركونكم فيها فى الدنيا وهى للذين آمنوا خالصة يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة خالصة للمؤمنين فى الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار فأما فى الدنيا فقد شاركوهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة من عمل بالايمان فى الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة ومن ترك الايمان فى الدنيا قدم على ربه لا عذر له حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يشترك فيها معهم المشركون خالصة يوم القيامة للذين آمنوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول المشركون يشاركون المؤمنين فى الدنيا فى اللباس والطعام والشراب ويوم القيامة يخلص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين وليس للمشركين فى شئ من ذلك نصيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ويخلص خير الآخرة للمؤمنين وليس للكافر فيها نصيب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال هذه يوم القيامة للذين آمنوا لا يشركهم فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها فى الدنيا واذا كان يوم القيامة فليس لهم فيها قليل ولا كثير * وقال سعيد بن جبير فى ذلك بما حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن أبان وحيوة الرازى أبو يزيد عن يعقوب القمى عن سعيد بن جبير قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ينتفعون بها فى الدنيا ولا يتبعهم اثمها * واختلفت القراء فى قراءة قوله خالصة فقرأ ذلك بعض قراء المدينة خالصة برفعها بمعنى قل هى خالصة للذين آمنوا وقرأه سائر قراء الامصار خالصة بنصبها على الحال من لهم وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليها على ما قد وصفت فى تأويل الكلام ان معنى الكلام قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا

الالهية والعبودية أى كونه الهالنا وكوننا عبيد اله اقتضى أن يحسن منه أن يأمر عبيده بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه فى نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها فى نفسها مصالح فعلى القولين من أتى بها للخوف من العقاب والطمع فى الثواب لم يأت بها لوجه وجوبها فوجب أن لا يصح وأجيب بأن المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير فى بعض الشرائط المعتبرة فى قبول ذلك الدعاء ومع الطمع فى حصول تلك الشرائط بأسرها أى كونوا جامعين فى نفوسكم بين الخوف والرجاء فى جميع أعمالكم ولا تقطعوا أنكم وان اجتهدتم قد أديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندى أن غاية التكليف من الآمر غير غايته من المأمور اذ فهب أن الغاية الاولى هى المصلحة أو الالهية والعبودية فلم لا يجوز أن تكون الغاية الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ظاهره أن يقال قريبة وذكروا فى حذف علامة التأنيث وجوها فقيل لان تأنيث الرحمة غير حقيقى وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد أولا أن المراد بالرحمة الترحم أو الرحم وقيل انه صفة موصوف محذوف أى شئ قريب أو شبه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذلك

به فقيل قتلاء وأسراء وقيل لانه بزنة المصدر كالنقيض صوت العقبان أو الدجاجة والضغيب صوت الارنب وقيل المراد ذات مكان مشتركة

مشتركة وهى لهم فى الآخرة خالصة ومن قال ذلك بالنصب جعل خبرها فى قوله للذين آمنوا ۞ قال أبو جعفر وأولى القراءتين عندى بالصحة قراءة من قرأ نصبا لايثار العرب النصب فى الفعل اذا تأخر بعد الاسم والصفة وان كان الرفع جائزا غير أن ذلك أكثر فى كلامهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره كما بينت لكم الواجب عليكم فى اللباس والزينة والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها وميزت بين ذلك لكم أيها الناس كذلك أبين جميع أدلتى وحججى وأعلام حلالى وحرامى وأحكامى لقوم يعلمون ما يبين لهم ويفقهون ما يميز لهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه أيها القوم ان الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيبه لهم وانما حرم ربى القبائح من الاشياء وهى الفواحش ما ظهر منها فكان علانية وما بطن منها فكان سرا فى خفاء وقد روى عن مجاهد فى ذلك ما حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر منها طواف أهل الجاهلية عراة وما بطن الزنا وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك بالروايات فيما مضى فكرهت اعادته وأما الاثم فانه المعصية والبغى الاستطالة على الناس يقول تعالى ذكره انما حرم ربى الفواحش مع الاثم والبغى على الناس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والاثم والبغى أما الاثم فالمعصية والبغى أن يبغى على الناس بغير الحق حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا فى قوله ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى قال نهى عن الاثم وهى المعاصى كلها وأخبر ان الباغى بغيه كائن على نفسه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ يقول جل ثناؤه انما حرم ربى الفواحش والشرك به أن تعبدوا مع الله الها غيره ما لم ينزل به سلطانا يقول حرم ربكم عليكم أن تجعلوا معه فى عبادته شركا لشئ لم يجعل لكم فى اشراككم اياه فى عبادته حجة ولا برهانا وهو السلطان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون يقول وأن تقولوا ان الله أمركم بالتعرى والتجرد للطواف بالبيت وحرم عليكم أكل هذه الانعام التى حرمتموها وسيبتموها وجعلتموها وصائل وحوامى وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرمه أو أمر به أو أباحه فتضيفوا الى الله تحريمه وحظره والامر به فان ذلك هو الذى حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه أو تقولون ان الله أمركم به جهلا منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه الى الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره مهددا للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ووعيدا منه لهم على كذبهم عليه وعلى اصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم ومذكرا لهم ما أحل بأمثالهم من الامم الذين كانوا قبلهم ولكل أمة أجل يقول ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله وردنصائحهم والشرك بالله مع متابعة ربهم حجته عليهم أجل يعنى وقت لحلول العقوبات بساحتهم ونزول المثلات بهم على شركهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذى وقته الله لهلاكهم وحلول العقاب بهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول لا يتأخرون بالبقاء فى الدنيا ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان ولا يستقدمون يقول ولا يتقدمون بذلك أيضا عن

والمعاد فقال (وهو الذى يرسل الرياح) الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم ذاته والادام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل

وهى قريب لانه فى تأويل هو فى مكان قريب منى قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الماضى وقربا من المستقبل أى الآخرة التى هى مقام رحمة الله ويمكن أن يقال المراد به قرب الحصول سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة كقوله ألا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب أن لا يحصل للكافر والفاسق منها شئ والغرض أن صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو وأجيب بأن المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من آمن بالله تعالى وأقر بالتوحيد والنبوة فقد أحسن والدليل عليه الاجماع على أن الصبى اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على أن قوله ماهية الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر أيضا فى رحمة الله ونعمته فى الدنيا بدليل قوله ومن كفر فأمتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوى أتبعه ذكر الدلائل من أحوال هذا العالم وهى الآثار العلوية من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها أحوال الرياح والسحب والامطار وأيضا لما أقام الدلالة فى الآية الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم أقام الدلالة فى هذه الآية على صحة القول بالحشر والنشر ليتم بالآيتين تقرير المبدا

الوقت الذى جعله الله لهم وقتا للهلال ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره معرفا خلقه ما أعد لحزبه وأهل طاعته والايمان به وبرسوله وما أعد لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقول ان يجئكم رسلى الذين أرسلهم اليكم بدعائكم الى طاعتى والانتهاء الى أمرى ونهيى منكم يعنى من أنفسكم ومن عشائركم وقبائلكم يقصون عليكم آياتى يقول يتلون عليكم آيات كتابى ويعرفونكم أدلتى وأعلامى على صدق ما جاؤكم به من عندى وحقيقة ما دعوكم اليه من توحيدى فمن اتقى وأصلح يقول فمن آمن منكم بما أتاه به رسلى مما قص عليه من آياتى وصدق واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله وأصلح يقول وأصلح أعماله التى كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصى الله بالتحوب منها فلا خوف عليهم يقول فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله اذا وردوا عليه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها وشهواتهم التى تجنبوها اتباعا منهم لنهى الله عنها اذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام أبو عبدالله قال ثنا هياج قال ثنا عبدالرحمن بن زياد عن أبى سيار السلمى قال ان الله جعل آدم وذريته فى كفه فقال يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم نظر الى الرسل فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ثم بثهم فان قال قائل ما جواب قوله اما يأتينكم رسل منكم قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعضهم فى ذلك الجواب مضمر يدل عليه ما ظهر من الكلام وذلك قوله فمن اتقى وأصلح وذلك لانه حين قال فمن اتقى وأصلح كأنه قال فأطيعوهم * وقال آخرون منهم الجواب فمن اتقى لان معناه فمن اتقى منكم وأصلح قال ويدل على أن ذلك كذلك تبعيضه الكلام فكان فى التبعيض اكتفاء من ذكر منكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يقول جل ثناؤه وأما من كذب بآياتى رسلى التى أرسلتها اليه وجحد توحيدى وكفر بما جاءه به رسلى واستكبر عن تصديق حججى وأدلتى فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يقول هم فى نار جهنم ماكثون لا يخرجون منها أبدا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ يقول تعالى ذكره فمن أخطأ فعلا وأجهل قولا وأبعد ذها باعن الحق والصواب ممن افترى على الله كذبا يقول ممن اختلق على الله زورا من القول فقال اذا فعل فاحشة ان الله أمرنا بها أو كذب بآياته يقول أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه فجحد حقيقتها ودافع صحتها أولئك يقول من فعل ذلك فافترى على الله الكذب وكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول يصل اليهم حظهم مما كتب الله لهم فى اللوح المحفوظ ثم اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك النصيب الذى لهم فى الكتاب وما هو فقال بعضهم هو عذاب الله الذى أعده لأهل الكفر به ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أى من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولئك ينالهم نصيبهم من

تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الملتصق بقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تشيعا للفلك فحينئذ ترجع الأدخنة وتتفرق فى الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح وكلما كانت تلك الأدخنة أكثر وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضا أشد فكانت الرياح أقوى وزيف بأن صعود تلك الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا أنها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة وأيضا ان حركة تلك الاجزاء لا تكون قاهرة فان الرياح اذا أصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس أحد بنزولها ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وأيضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت أشد وجب أن يكون حصول الاجزاء الغبارية الارضية أكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة فى وجه البحر وليس فيها شئ من الغبار ويمكن أن يجاب بأن الحكم بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبنى على ان الريح هى تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء حدث فيما يجاوره

الكتاب يقول ما كتب لهم من العذاب حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبى سهل عن الحسن قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن رجل عن الحسن قال من العذاب * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الشقوة والسعادة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كشقى وسعيد حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمى عن الحكم قال سمعت مجاهدا يقول أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال هو ما سبق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة كشقى وسعيد * قال حدثنا ابن المبارك عن شريك عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب من الشقاوة والسعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير وابن ادريس عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما قد سبق من الكتاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما سبق لهم فى الكتاب * قال ثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم قال من الشقاوة والسعادة * قال حدثنا أبو معاوية عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ما قضى أو قدر عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ينالهم نصيبهم من الكتاب ينالهم الذى كتب عليهم من الاعمال حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل ابن سميع عن بكر الطويل عن مجاهد فى قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال قوم يعملون أعمالا لا بد لهم أن يعملوها * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذى كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا من خير وشر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خيرا جزى به ومن عمل شرا جزى به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم نصيبهم فى الآخرة من أعمالهم التى عملوا وأسلفوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أى أعمالهم أعمال السوء التى عملوها وأسلفوها حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال قال أبى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب زعم قتادة من أعمالهم التى عملوا حدثت عن الحسين بن الفرج

المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة وزيف بأنه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب أن وصول الكوكب الى الموضع الفلانى انما يوجب تحرك الهواء بتسخين أو تلطيف أو تكثيف يحدث فى بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك القابل مكانا أكثر أو أقل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك الهواء المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يتدافع الى أن يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض أجزاء الهواء ثم يستقر كل فى موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتأثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قال فى هذه السورة يرسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا فى الروم لان ما قبله هناك ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل وأما فى الروم فليناسب ما قبل ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وقال فى الفرقان أرسل الرياح بلفظ الماضى ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما بعده وهو الذى جعل وكذا فى فاطر مبنى على أول السورة فاطر السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضى والله تعالى أعلم أما قوله (نشرا) بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال بمعنى منتشرات وأما لان أرسل ونشر متقاربان كأنه قيل نشرها نشرا ومن قرأ نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف

كرسل ومن قرأ بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير ومعنى (بين يدى رحمته) أمام نعمته وهى الغيث الذى

هو من أجل النعم وأحسنها وهذا والعرب تستعمل اليدين بدل قدام وأمام مجازا لأن اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين (حتى اذا أقلت) حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذى يقدر على حمل الثقيل يزعم أن ما يرفعه قليل (سحابا) جمع سحابة ولهذا قال (ثقالا) على الجمع جمع ثقيلة والضمير فى (سقناه) يعود الى السحاب على لفظه وضميرا المتكلم فى سقناه على أصله أما الذى فى قوله وهو الذى فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر أن يقال نحن أرسلنا واعلم أن السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى معلقا فى الهواء لانه تعالى دبر بحكمته أن يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها أن أجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف المماطر ثم تصير متفرقة ومنها ان تتحرك الرياح يمنة ويسرة فتمنع الاجزاء المائية الرشية عن النزول فيبقى معلقا فى الهواء ومنها ان يتساق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها من النشو والنماء وهى اللواقح ومنها مبطلة لها كما فى الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم أو البرد الشديد ومنها مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد يشاهد غليان شديد فى البحر بسبب تولد الرياح فى قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى أن ينفصل الريح الى ما فوق البحر وحينئذ بحسب الأغلب فان المطر قلما لا يتقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب

قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم نصيبهم من العمل يقول ان عمل من ذلك نصيب خيرا جزى خيرا وان عمل شرا جزى مثله * وقال آخرون معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا فى الكتاب من خير أو شر ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس فى هذه الآية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الخير والشر * قال حدثنا زيد عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ما وعدوا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا فيه من خير أو شر * قال حدثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ليث عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال ما وعدوا فيه من خير أو شر حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا من خير أو شر حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن مجاهد فى قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم ما سبق لهم من الكتاب * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذى كتبه الله على من افترى عليه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم ما كتب عليهم يقول قد كتب لمن يفترى على الله ان وجهه مسود * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الرزق * قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب عن ابن لهيعة عن أبى صخر عن القرظى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال عمله ورزقه وعمره حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فنى هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقد فرغوا من هذه الاشياء كلها * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من خير وشر فى الدنيا ورزق وعمل وأجل وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله فأبان باتباعه ذلك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أن الذى ينالهم من ذلك انما هو ما كان مقضيا عليهم فى الدنيا أن ينالهم لانه قد أخبر ان ذلك ينالهم الى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب أو مما قد أعدلهم فى الآخرة لم يكن محدودا بأنه ينالهم الى مجىء رسل الله لوفاتهم لان رسل الله لا تجيئهم للوفاة فى الآخرة وان عذابهم فى الآخرة لا آخر له ولا انقضاء فان الله قد قضى عليهم بالخلود فيه فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا الى أن جاءتهم رسلنا يقول جل ثناؤه وهؤلاء الذين افتروا على الله

الكذب

الكذب أو كذبوا بآيات ربهم ينالهم حظوظهم التى كتب الله لهم وسبق فى علمه لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشر فى الدنيا الى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم فاذا جاءتهم رسلنا يعنى ملك الموت وجنده يتوفونهم يقول يستوفون عددهم من الدنيا الى الآخرة قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله يقول قالت الرسل أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء وهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه فأجابهم الاشقياء فقالوا ضلوا عنا أولياؤنا الذين كنا ندعوهم من دون الله يعنى بقوله ضلوا حاروا وأخذوا غير طريقنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا يقول الله جل ثناؤه وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله جاحدين وحدانيته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه المكذبين آياته يوم القيامة يقول تعالى ذكره قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة ادخلوا أيها المفترون على ربكم المكذبون رسله فى جماعات من ضربائكم قد خلت من قبلكم يقول قد سلفت من قبلكم من الجن والانس فى النار ومعنى ذلك ادخلوا فى أمم هى فى النار قد خلت من قبلكم من الجن والانس وانما يعنى بالامم الاحزاب وأهل الملل الكافرة كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول جل ثناؤه كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها يقول شتمت الجماعة الاخرى من أهل ملتها تبريا منها وانما عنى بالاخت الأخوة فى الدين والملة وقيل أختها ولم يقل أخاها لانه عنى بها أمة وجماعة أخرى كأنه قيل كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا ﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا تدارك الامم فى النار جميعا يعنى اجتمعت فيها يقال قد ادّاركوا وتدارك القوم اذا اجتمعوا يقول اجتمع فيها الاولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الاحزاب من أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة يقول الله تعالى ذكره فاذا اجتمع أهل الملل الكافرة فى النار فادّاركوا قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار الذين كانوا فى الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفا واماما فى الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم فى الدنيا ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ودعونا الى عبادة غيرك وزينوا لنا طاعة الشيطان فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قالت أخراهم الذين كانوا فى آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وأما قوله قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون فانه خبر من الله عن جوابه لهم يقول قال الله للذين يدعونه فيقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار لكلكم أولكم وآخركم وتابعوكم ومتبعوكم ضعف يقول مكرر عليه العذاب وضعف الشئ مثله مرة وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف مضعف حدثنى المثنى قال ثنا أبو

والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبى صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأنتن أكثر الارض وعن السدى أنه تعالى يرسل الرياح فتأتى بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه فى السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فينزل الماء على السحاب ثم يعطر السحاب بعد ذلك برحمته وهى المطر ومعنى (لبلد ميت) أى لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الأرض عامر أو غير عامر خال أو مسكون (فأنزلنا به الماء) قال الزجاج وابن الأنبارى أى بالبلد وجائز أن يراد بالسحاب أو بالسوق فالباء للسببية (فأخرجنا به) قال الزجاج أى بالبلد (من كل الثمرات) ويجوز أن يراد أى بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى أودع فى الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال أكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما أجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء بالتراب (كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى) فالتشبيه انما وقع فى أصل الاحياء أى كما أحيا هذا البلد وأنبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الموتى بعد أن كانوا ترابا الأن من قدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحياة فى بدن الميت وقال كثير من المفسرين المراد أنه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال الماء كذلك يحيى الموتى

بواسطة انزال مطر على الاجساد الرميمة يروى أنه يمطر على أجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمنى أربعين يوما فينبتون عند ذلك أحياء وعن مجاهد تمطر السماء عليهم حتى تنشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحياة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما أنه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والممتزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الآية بقوله (لعلكم تذكرون) والمعنى انكم شاهدتم أن الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم أحياها مرة أخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القرآن بالمطر وذلك أن الارض الحرة اذا نزل بها المطر حصل فيها أنواع الأزهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من شوائب الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها أنوار القرآن ظهرت عليها أنواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد أن الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل أمرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلا ن يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الآخرة بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها في أداء الطاعات كان أولى

حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال الله لكل ضعف للاولى وللآخرة ضعف حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنى غير واحد عن السدي عن مرة عن عبد الله ضعفا من النار قال أفاعي حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدي عن مرة عن عبد الله فآتهم عذابا ضعفا من النار قال حيات وأفاعي وقيل ان الضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان أكثر من ذلك وقوله ولكن لا تعلمون يقول ولكنكم يا معشر أهل النار لا تعلمون ما قدر ما أعد الله لكم من العذاب فلذلك تسأل الضعف منه الامة الكافرة الاخرى لاختها الاولى ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ يقول جل ثناؤه وقالت أولى كل أمة وملة سبقت في الدنيا الاخراها الذين جاؤا من بعدهم وحدثوا بعد زمانهم فيها فسلكوا سبيلهم واستنوا استنانهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بمعصيتنا اياه وكفرنا به وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر هل انتهيتم الى طاعة الله وارتدعتم عن غوايتكم وضلالكم فانقضت حجة القوم وخصموا ولم يطيقوا جوابا بأن يقولوا فضلنا عليكم أنا اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدقنا رسله قال الله لجميعهم فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي وتجترحون من الذنوب والأجرام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران عن أبي مجلز وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون قال يقول فما فضلكم علينا وقد بين لكم ما صنع بنا وحذرتم حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فقد ضللتم كما ضللنا وكان مجاهد يقول في هذا بما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من التخفيف من العذاب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من تخفيف وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد قول لا معنى له لان قول القائلين فما كان لكم علينا من فضل لمن قالوا ذلك انما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال يدل على ذلك دخول كان في الكلام ولو كان ذلك منهم توبيخا لهم على قيلهم الذي قالوا لربهم آتهم عذابا ضعفا من النار لكان التوبيخ أن يقال فما لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب عنكم وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا ولم يقل فما كان لكم علينا من فضل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها يقول وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا لا تفتح لهم لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ولا يصعد لهم في حياتهم الى الله قول ولا عمل لان أعمالهم خبيثة وانما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال جل ثناؤه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله لا تفتح لهم أبواب السماء فقال بعضهم معناه لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء ذكر من قال ذلك

حدثنا

وفى الآية دلالة على أن السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على أن الارواح قسمان منها ما تكون فى

حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبى سنان عن الضحاك عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء قال عنى بها الكفار ان السماء لا تفتح لارواحهم وتفتح لأرواح المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن أبى سنان عن الضحاك قال قال ابن عباس تفتح السماء لروح المؤمن ولا تفتح لروح الكافر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تفتح لهم أبواب السماء قال ان الكافر اذا أخذ روحه ضربته ملائكة الارض حتى يرتفع الى السماء فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط فضربته ملائكة الارض فارتفع فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط الى أسفل الارضين واذا كان مؤمنا أخذ روحه وفتحت له أبواب السماء فلا يمر بملك الا حياه وسلم عليه حتى ينتهى الى الله فيعطيه حاجته ثم يقول الله ردوا روح عبدى فيه الى الارض فانى قضيت من التراب خلقه والى التراب يعود ومنه يخرج * وقال آخرون معنى ذلك أنه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء الى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن ليث عن عطاء عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم قول ولا عمل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء يعنى لا يصعد الى الله من عملهم شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء يقول لا تفتح لخير يعملون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يصعد لهم كلام ولا عمل حدثنا مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم فى قوله لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سعيد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء * وقال آخرون معنى ذلك لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج لا تفتح لهم أبواب السماء قال لأرواحهم ولا لأعمالهم * قال أبو جعفر وانما اخترنا فى تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم فى شئ فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم فى شئ مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا فى ذلك وذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بأقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن عبد الرحمن عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فيقولون ذلك حتى يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت

أصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لأن تعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومنها ما تكون بالضد لا تقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التى لا يتولد فيها الاشجار والانهار والثمار ومما يقوى هذا الكلام أن النفوس نراها مختلفة فى الصفات فنها مجبولة على حب الالهيات منصرفة عن اللذات الجسمانيات كقوله تعالى ترى أعينهم تفيض من الدمع للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ومنها قاسية قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ومنها مائلة الى الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة فى المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين فى المال من يرغب فى العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعانى قوله سبحانه وتعالى باذن ربه أى بتيسيره وهو فى موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لوقوعه فى طباق نكدا والنكد الذى لا خير فيه وتقدير الآية ونبات البلد الخبيث لا يخرج أو البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو النبات وأقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد أن كان مجرورا بارزا من قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر أى ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الآيات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الآية بالحث على الشكر لان الذى

سبق ذكره هو أن الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذى هو سبب الملاذ والطيبات

فهذا يدل من أحد الوجهين على وجود الصانع وقدرته ومن الوجه الثانى على عظيم نعمته وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله أعلم

﴿التأويل﴾ عرّف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الآية وانما خص ستة أيام لان أنواع المخلوقات ستة الاول الارواح الانسانية ب الملكوتيات منها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة ج النفوس السماوية والارضية د الاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسى والسموات والجنة والنار ه الاجسام البسيطة السفلية وهى العناصر و الأجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف فى العالم ومافيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحمانى والاستواء كالعلم صفة من صفاته لا يشبه استواء المخلوقين كما أن علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن أسرار الخلافة الروح تتصرف فى النطفة أيام الحمل فتجعلها عالما صغيرا فبدنه كالارض ورأسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسى والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما أن العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات يغشى أى يستولى ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار أنوار القلب وبالعكس ألاله الخلق بواسطة والامر بلا واسطة أدعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب أو تضرعا بأداء حق العبودية وخفية بمطالب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين

حدثنا

فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء التى فيها الله واذا كان الرجل السوء قال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنى ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة لا يفتح لهم أبواب السماء بالياء من يفتح وتخفيف التاء منها بمعنى لا يفتح لهم جميعها بمرة واحدة وفتحة واحدة وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين لا تفتح بالتاء وتشديد التاء الثانية بمعنى لا يفتح لهم باب بعد باب وشئ بعد شئ * قال أبو جعفر والصواب فى ذلك عندى من القول أن يقال انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرة واحدة ولا مرة بعد مرة و باب بعد باب فكلا المعنيين فى ذلك صحيح وكذلك الياء والتاء فى يفتح وتفتح لان الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء لان الابواب جماعة فيخبر عنها خبر الجماعة

﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين﴾ يقول جل ثناؤه ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التى أعدها الله لأوليائه المؤمنين أبدا كما لا يلج الجمل فى سم الخياط أبدا وذلك ثقب الابرة وكل ثقب فى عين أو أنف أو غير ذلك فان العرب تسميه سما وتجمعه سموما وسماما والسمام فى جمع السم القاتل أشهر وأفصح من السموم وهو فى جمع السم الذى هو بمعنى الثقب أفصح وكلاهما فى العرب مستفيض وقد يقال لواحد السموم التى هى الثقوب سم وسم بفتح السين وضمها ومن السم الذى بمعنى الثقب قول الفرزدق

فنفست عن سمه حتى تنفسا * وقلت له لا تخش شيأ وراءنا

يعنى بسمه ثقبى أنفه وأما الخياط فانه المخيط وهى الابرة قيل لها خياط ومخيط كما قيل قناع ومقنع وازار ومئزر وقرام ومقرم ولحاف وملحف وأما القراء من جميع الامصار فانها قرأت قوله فى سم الخياط بفتح السين وأجمعت على قراءة الجمل بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير فانه حكى عنهم أنهم كانوا يقرؤن ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم على اختلاف فى ذلك عن سعيد وابن عباس فأما الذين قرؤه بالفتح من الحرفين والتخفيف فانهم وجهوا تأويله الى الجمل المعروف وكذلك فسروه ذكر من قال ذلك **حدثنا** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو زوج الناقة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن ابراهيم عن عبد الله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الجمل زوج الناقة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى حصين عن ابراهيم عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال الجمل زوج الناقة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة قال سمعت الحسن يقول الجمل الذى يقوم فى المربد

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال حتى يدخل البعير فى خرق الابرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال هو الجمل فلما أكثروا عليه قال هو الاشتر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن مثله حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن يحيى قال كان الحسن يقرؤها حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال فذهب بعضهم يستفهمه قال أشتر أشتر حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب عن أبى العالية حتى يلج الجمل قال الجمل الذى له أربع قوائم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى حصين أو حصين عن ابراهيم عن ابن مسعود فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال زوج الناقة يعنى الجمل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك أنه كان يقرأ الجمل وهو الذى له أربع قوائم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو تميلة عن عبيد عن الضحاك حتى يلج الجمل الذى له أربع قوائم حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن قرة عن الحسن حتى يلج الجمل قال الذى بالمربد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن مسعود أنه كان يقرأ حتى يلج الجمل الاصفر حدثنا نصر بن على قال ثنا يحيى بن سليم قال ثنا عبد الكريم بن أبى المخارق عن الحسن فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو بعل الناقة وأما الذين خالفوا هذه القراءة فانهم اختلفوا فروى عن ابن عباس فى ذلك روايتان احداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل ذكر الرواية بذلك عنه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط والجمل ذو القوائم وذكر أن ابن مسعود قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط وهو الجمل العظيم لا يدخل فى خرق الابرة من أجل أنه أعظم منها والرواية الاخرى ما حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال هو قلس السفينة حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل عن خالد ابن عبد الله الواسطى عن حنظلة السدوسى عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ حتى يلج الجمل فى سم الخياط يعنى الحبل الغليظ فذكرت ذلك للحسن فقال حتى يلج الجمل قال عبد الاعلى قال أبو غسان قال خالد يعنى البعير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن فضيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ الجمل مثقلة وقال هو حبل السفينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال الجمل حبال السفن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن مبارك عن حنظلة عن عكرمة عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الحبل الغليظ حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال هو الجبل الذى يكون على السفينة * واختلف عن سعيد بن جبير أيضا فى ذلك فروى عنه روايتان احداهما مثل الذى ذكرنا عن ابن عباس بضم الجيم وتثقيل الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا حسين المعلم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأها حتى يلج الجمل يعنى قلوس السفن يعنى الحبال الغلاظ والاخرى منهما بضم الجيم وتخفيف الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمرو عن سالم بن عجلان الافطس قال

وطمعا فى الاصطناع أو خوفا من الاثنينية وطمعا فى الوحدة أو خوفا من الانفصال وطمعا فى الوصال ان رحمة الله قريب من المحسنين الذين لا يرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فأنزلنا به ماء المحبة فأخرجنا به ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موت القلوب من قبور الصدور ولعلكم تذكرون أيام حياتكم فى عالم الارواح اذ كنتم فى رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحى يتخلق باخلاقه الحميدة كذلك نصرف الآيات أى النفوس وصفاتها الى أوصاف القلب وأخلاقه ﴿لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا

آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من

الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴿القرا آت الله غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلى الباقون بالرفع جملا على محل من اله اني أخاف بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير أبلغكم بالتخفيف حيث كان أبو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بصطة بالصاد أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل وعاصم وعلى وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخيرا ۞ الوقوف غيره ط عظيم ٥ مبين ٥ العالمين ٥ لا يعلمون ٥ ترحمون ٥ بآياتنا ط عمين ٥ هودا ط غيره ط تتقون ٥ الكاذبين ٥ العالمين ٥ أمين ٥ لينذركم ط لتناهي الاستفهام بسطة ج تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون ٥ آباؤنا ج للعدول مع فاء التعقيب الصادقين ٥ وغضب ط من سلطان ج لانتهاء الاستفهام الى أمر التهديد المنتظرين ٥ مؤمنين ٥ ۞ التفسير لما ذكر في تقرير المبدا والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على أن اعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول

قرأت على أبي حتى يلج الجمل فقال حتى يلج الجمل خفيفة هو حبل السفينة هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير وأما عكرمة فانه كان يقرأ ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم ويتأوله كما حدثني ابن وكيع قال ثنا أبو تميلة عن عيسى بن عبيد قال سمعت عكرمة يقرأ الجمل مثقلة ويقول هو الحبل الذي يصعد به الى النخل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الحبل الغليظ في خرق الابرة حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال حبل السفينة في سم الخياط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير سمعت مجاهدا يقول الجمل من حبال السفن وكأن من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضم الجيم على ما ذكرنا عن سعيد بن جبير على مثال الصرد والجعل وجهه الى جماع جملة من الحبال جمعت جملا كما تجمع الظلمة ظلما والخربة خربا ۞ وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في الميم ويقول انما أراد الراوي الجمل بالتخفيف فلم يفهم ذلك منه فشدده وحدثت عن الفراء عن الكسائي أنه قال الذي رواه عن ابن عباس كان أعجميا وأما من شدد الميم وضم الجيم فانه وجهه الى أنه اسم واحد وهو الحبل أو الخيط الغليظ ۞ قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو حتى يلج الجمل في سم الخياط بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها وفتح السين من السم لانها القراءة المستفيضة في قراء الامصار وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القراء وكذلك ذلك في فتح السين من قوله سم الخياط واذ كان الصواب من القراءة ذلك فتأويل الكلام ولا يدخلون الجنة حتى يلج والولوج الدخول من قولهم ولج فلان الدار يلج ولوجا بمعنى دخل الجمل في سم الابرة وهو ثقبها وكذلك نجزي المجرمين يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الاليم في الآخرة ومثل الذي قلنا في تأويل قوله سم الخياط قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وابن مهدي وسويد الكلبي عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق قال سألت الحسن عن قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم ابن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة في سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في سم الخياط قال جحر الابرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في سم الخياط يقول جحر الابرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في سم الخياط قال في ثقبه ۞ القول في تأويل قوله ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾ يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها من جهنم مهاد وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذي يفرش والبساط الذي يبسط ومن فوقهم غواش وهو جمع غاشية وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم وانما معنى الكلام لهم من جهنم مهاد من تحتهم فرش ومن فوقهم منها لحف وانهم بين ذلك وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب لهم من جهنم مهاد قال الفراش ومن فوقهم غواش قال اللحف حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش قال المهاد الفرش والغواشي اللحف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا

قلوب المبطلين ومنها التنبيه على أن الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث انه اخبار بالغيب لانه أمى لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحى لا محالة فمن القصص أولاها قصة آدم وقد مرت فى أول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فأهلكوا فندم أو حين راجع ربه فى شأن ابنه أو حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فعوتب على ذلك قال الله له أعبتنى اذ خلقته أم عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة فى المسمى والصحيح أنه اسم أعجمى قال ابن عباس معنى أرسلنا بعثنا * وقال آخرون معناه أنه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير تكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع لا أنه أصل قال فى التفسير الكبير وهذا البحث مبنى على مسئلة أصولية هى أن الرسول أرسل الى قوم ليعرفهم أحكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم أو الغرض من بعثته مجرد تأكيد ما فى العقول وهذا الاختلاف بتفاريع المعتزلة أليق أمرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بأنه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم هو القيامة أو الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلاث لان قول النبى صلى الله عليه وسلم بعد ظهور المعجزة حجة أو لعله قد ذكر الحجج وما حكاها الله تعالى لانه قد علم من القرآن ذم التقليد

أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش أما المهاد لهم كهيئة الفراش والغواشى تتغشاهم من فوقهم وأما قوله وكذلك نجزى الظالمين فانه يقول وكذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه فاكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبياءه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ يقول جل ثناؤه والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله وتنزيله وشرائع دينه وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يقول لا نكلف نفسا من الاعمال الا ما يسعها فلا تحرج فيه أولئك يقول هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصحاب الجنة يقول هم أهل الجنة الذين هم أهلها دون غيرهم ممن كفر بالله وعمل بسيآتهم فيها خالدون يقول هم فى الجنة ماكثون دائم فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يبلون نعيمهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار﴾ يقول تعالى ذكره وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم وأخبر أنهم أصحاب الجنة ما فيها من حقد وغمر وعداوة كان من بعضهم فى الدنيا على بعض فجعلهم فى الجنة اذا أدخلهموها على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم وفضله من كرامته عليه تجرى من تحتهم أنهار الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن سعيد بن بشير عن قتادة ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال هى الاحن حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن اسرائيل أبى موسى عن الحسن عن على قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسرائيل قال سمعته يقول قال على عليه السلام فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال على رضى الله عنه انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل رضوان الله عليهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار قال ان أهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عندها بها شجرة فى أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبدا حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى نضرة قال يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها اياه ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها اياه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات حين أدخلوا الجنة ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته وما صرف عنهم من العذاب المهين الذى ابتلى به أهل النار بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسله الحمد لله الذى هدانا لهذا يقول الحمد لله الذى وفقنا للعمل الذى أكسبنا هذا الذى نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عذابه عنا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله يقول وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا

فى مواضع كثيرة فيعلم أن نبى الله لا يأمر قومه بالتقليد المحض وأيضا قد مر دلائل التوحيد والنبوة وصحة القران من أول سورة البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع أن الحكم الثانى كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بأنه واحد لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فتقع العبادة ضائعة والاله معناه المستحق للعبادة والاله هو فى الازل غير معبود ومعنى الخوف فى الآية قال بعضهم الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا وآجلا * وقال آخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب أو لعل السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا أو لعله وصف العذاب بالعظم ولكنه جر على الجوار ثم انه تردد فى وصف العذاب بالعظم لا فى نفس العذاب وقيل المراد من الخوف التحذير وجملة قوله انى أخاف بيان للداعى الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون الاصنام فقال الملأ من قومه أى الاشراف وصدور المجالس الذين هم بعض قومه فى جواب نوح انا لنراك فى ضلال فى ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والبديهة نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بى ضلالة لم يقل ضلال ليكون أبلغ فى عموم السلب كأنه قال ليس بى نوع من أنواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذى نسب اليه وصف نفسه بأشرف الصفات وأجلها فاستدرك

الله له ووفقنا عنه وطوله كما حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من الجنة فيقولون لو هدانا الله فتكون علينا حسرة وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقولون لولا أن هدانا الله فهذا شكرهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا اسحق يحدث عن عاصم بن ضمرة عن على قال ذكر عمر شيئا لا أحفظه ثم ذكر الجنة فقال يدخلون فاذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان قال فيغتسلون من احداهما فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث أشعارهم ولا تغبر أبشارهم ويشربون من الاخرى فيخرج كل قذى وقذر أو شئ فى بطونهم قال ثم يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال فتستقبلهم الولدان فيحفون بهم كما تحف الولدان بالحميم اذا جاء من غيبته ثم يأتون فيبشرون أزواجهم فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فيقلن أنت رأيته قال فيستخفهن الفرح قال فيجئن حتى يقفن على أسكفة الباب قال فيجيئون فيدخلون فاذا أس بيوتهم بجندل اللؤلؤ واذا صروح صفر وخضر وحمر ومن كل لون وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فلولا أن الله قدرها لهم لا تمعت أبصارهم مما يرون فيها فبينما نحن الازواج ويقعدون على السرر ويقولون الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق الآية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات انهم يقولون عند دخولهم الجنة ورؤيتهم كرامة الله التى أكرمهم بها وهوان أعداء الله فى النار والله لقد جاءتنا فى الدنيا وهؤلاء الذين فى النار رسل ربنا بالحق من الاخبار عن وعد الله أهل طاعته والايمان به وبرسله ووعيده أهل معاصيه والكفر به وأما قوله ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون فان معناه ونادى مناد هؤلاء الذين وصف الله صفتهم وأخبر عما أعد لهم من كرامته أن يا هؤلاء هذه تلكم الجنة التى كانت رسلى فى الدنيا تخبركم عنها أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله لتصديقكم اياهم وطاعتكم ربكم وذلك هو معنى قوله بما كنتم تعملون وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال ليس من كافر ولا مؤمن الا وله فى الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ودخلوا منازلهم رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن سعد أبو داود الحفرى عن سعيد بن بكر عن سفيان الثورى عن أبى اسحق عن الاغر ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا واخلدوا فلا تموتوا وانعموا فلا تبأسوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن أبى اسحق عن الاغر عن أبى سعيد ونودوا أن تلكموا الجنة الآية قال ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا * واختلف أهل العربية فى أن التى مع تلكم فقال بعض نحويى البصرة هى أن الثقيلة خففت وأضمر فيها ولا يستقيم أن يجعلها الخفيفة لان بعدها اسما والخفيفة لا تليها الاسماء وقد قال الشاعر

فى فتية كسيوف الهند قد علموا * أن هالك كل من يحفى وينتعل

(وقال آخر)

أكاشره وأعلم أن كلانا * على ما ساء صاحبه حريص

قال

قال فمعناه أنه كلانا قال ويكون كقوله أن قد وجدنا في موضع أي وقوله أن أقيموا ولا تكون أن التي تعمل في الافعال لانك تقول غاظني أن قام وأن ذهب فتقع على الافعال وان كانت لا تعمل فيها وفي كتاب الله وانطلق الملأ منهم أن امشوا أي امشوا وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة فقال غير جائز أن يكون مع أن في هذا الموضع هاء مضمرة لان أن دخلت في الكلام لتقي ما بعدها قال وأن هذه التي مع تلكم هي الدائرة التي يقع فيها ما اضارع الحكاية وليس بلفظ الحكاية نحو ناديت أنك قائم وأن زيد قائم وأن قمت فتلي كل الكلام وجعلت أن وقاية لان النداء يقع على ما بعده وسلم ما بعد أن كما سلم ما بعد القول ألا ترى أنك تقول قلت زيد قائم وقلت قام فتلها ما شئت من الكلام فلما كان النداء بمعنى الظن وما أشبهه من القول سلم ما بعد أن ودخلت أن وقاية قال وأما أي فانها لا تكون على أن لا يكون أي جواب الكلام وان تكفي من الاسم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا في الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الايمان به وبهم وعلى طاعته فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب فأجابهم أهل النار بأن نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم قال وجد أهل الجنة ما وعدوا من ثواب وأهل النار ما وعدوا من عقاب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أو لم يعلموه ووعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه فذلك قوله وآخر من شكله أزواج قال فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم يقول من الخزي والهوان والعذاب قال أهل الجنة فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من النعيم والكرامة فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين واختلفت القراء في قراءة قوله قالوا نعم فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة قالوا نعم بفتح العين من نعم وروى عن بعض الكوفيين أنه قرأ قالوا نعم بكسر العين وقد أنشد بيت ابن الزبعرى كلب

نعم اذا قالها منه محققة * ولا تجيء عسى منه ولا لعن

بكسر نعم قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا نعم بفتح العين لانها القراءة المستفيضة في قراء الامصار واللغة المشهورة في العرب وأما قوله فأذن مؤذن بينهم يقول فنادى منادٍ وأعلم معلم بينهم أن لعنة الله على الظالمين يقول غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به وقد بينا القول في أن اذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية وليس بصريح الحكاية بأنها تشددها العرب أحيانا وتوقع الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحيانا وتعمل الفعل فيها فتنصبها به وتبطل عملها عن الاسم الذي يليها فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واذ كان ذلك كذلك فسواء شددت أن أو خففت في القراءة اذ كان معنى الكلام بأي ذلك قرأ القارئ واحدا وكانتا قراءتين مشهورتين في قراءة الامصار ۞ القول في تأويل قوله ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ﴾ يقول جل ثناؤه ان المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول ان لعنة الله على الظالمين الذين كفروا بالله وصدوا عن سبيله ويبغونها عوجا يقول حاولوا سبيل الله وهو دينه أن يغيروه ويبدلوه

تأكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهالتهم وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذي لا ضلال بعده وفيه أن مدح الانسان نفسه اذا كان في موضع الضرورة جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو أمران الاول تبليغ الرسالة والثاني تقرير النصيحة فقال أبلغكم الآية والجملة استئناف بيان لكونه رسولا من رب العالمين أو صفة لرسول وانما جاز أن تكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقوله

* أنا الذي سمتني أمي حيدره *

رسالات ربي ما أوحى الي في الاوقات المتطاولة أو ما أوحى الي في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح مقادير الثواب والعقاب في الآخرة ومقادير الحدود والزواجر في الدنيا ويجوز أن يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وأنصح لكم قال الفراء العرب لا تكاد تقول نصحتك وان كان جائزا ولكن تقول نصحت لك قال في الكشاف وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على اخلاص النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكر ومعنى الآية وأبلغكم تكاليف الله ثم أرشدكم الى الاصلح الاصوب وأدعوكم الى ما دعاني الله تعالى وأحب لكم ما أحب لنفسي وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم أنكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان وذلك أنهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم أو أعلم أن الله يعاقبكم في الآخرة عقابا أو أعلم من توحيد الله من صفات جلاله ما لا تعلمون ويكون المقصود حمل القوم على أن يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم

(أوعجبتم) الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به * وقال آخرون الذكر المعجز كتابا أو غير كتاب وقيل هو الموعظة على رجل أي على لسانه قاله ابن قتيبة ونظيره آتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخبر على وجهك ومع وجهك كلاهما جائز وقيل أي منزل على رجل ومعنى منكم من بني نوعكم كأنهم استبعدوا أن يكون الله رسول الى خلقه لاعتقادهم أن المقصود من الارسال التكليف وأن التكليف لا منفعة فيه للمعبود لتعاليه ولا للعابد لتضرره في الحال وأما في المآل فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وأيضا ان العقل كاف في معرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه فعل لانه تعالى لا يكلف ما لا يطاق وان لم يكن مضطرا اليه تركه حذرا عن الخطر وبتقدير أنه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة أولى لشدة بطشهم ووفور عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا أن من كان فقيرا خاملا لا يصلح للنبوة فأنكر نوح عليه السلام كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية أن يأمر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز أن يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز أن يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس أسكن وقدم في أول الانعام ثم بين ما لاجله يبعث الرسول فقال لينذركم الآية وانه ترتيب أنيق لان المقصود من

عما جعله الله له من استقامته وهم بالآخرة كافرون يقول وهم لقيام الساعة والبعث في الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون والعرب تقول للميل في الدين والطريق عوج بكسر العين وفي ميل الرجل على الشئ والعطف عليه عاج اليه يعوج عيا جا وعوجا وعوجا بالكسر من العين والفتح كما قال الشاعر (١) فقفا نبك من ذكرى منازل آل ليلى * على عوج اليها واننثناء

ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده اياه بكسر العين من عوج فأما ما كان خلقة في الانسان فانه يقال فيه عوج ساقه بفتح العين ۞ القول في تاويل قوله ﴿ وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وبينهما حجاب وبين الجنة والنار حجاب يقول حاجز وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهو الاعراف التي يقول الله فيها وعلى الاعراف رجال كذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبينهما حجاب وهو السور وهو الاعراف وأما قوله وعلى الاعراف رجال فان الاعراف جمع واحدها عرف وكل مرتفع من الارض عند العرب فهو عرف وانما قيل لعرف الديك عرف لارتفاعه على ما سواه من جسده ومنه قول الشماخ بن ضرار

وظلت بأعراف تعالى كأنها * رماح نحاها وجهة الريح راكز

يعني بقوله بأعراف بنشوز من الارض ومنه قول الآخر

كل كناز لحمه نهاف * كالعلم الموفى على الاعراف

وكان السدي يقول انما سمي الاعراف أعرافا لان أصحابه يعرفون الناس حدثني بذلك محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الله بن يزيد سمع ابن عباس يقول الاعراف هو النبي المشرف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبيد الله بن يزيد قال سمعت ابن عباس يقول مثله حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور كعرف الديك حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب قال أبو موسى وحدثني عبيد الله بن يزيد انه سمع ابن عباس يقول ان الاعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعني بالاعراف السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور له عرف كعرف الديك حدثنا

(١) في اللسان فقفا نسأل منازل آل ليلى * متى عوج اليها واننثناء ولاختلاف حركة الروى وابهام الشاعر أمسكنا كتبه مصححه

ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الاعراف سور بين الجنة والنار
حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول الاعراف السور الذى بين الجنة والنار * واختلف أهل التأويل فى صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم على الاعراف وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك فقال بعضهم هم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيآتهم فجعلوا هنالك الى أن يقضى الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته اياهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبى اسحق قال قال الشعبى أرسل الىّ عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش واذا هما تذاكرا من أصحاب الاعراف ذكرا ليس كما ذكرا فقلت لهما ان شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت ان حذيفة ذكر أصحاب الاعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة فاذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبيناهم كذلك اطلع اليهم ربك تبارك وتعالى فقال اذهبوا وادخلوا الجنة فانى قد غفرت لكم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار قال فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله فيهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وعمران بن عيينة عن حصين عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم كانت لهم ذنوب وحسنات فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فهم كذلك حتى يقضى الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن جابر عن الشعبى عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فيقول ادخلوا الجنة بفضلى ومغفرتى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال فمن استوت حسناته وسيآته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا أبصارهم الى يسارهم نظروا أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فيتعوذون بالله من منازلهم قال فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل أمة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا ربنا أتمم لنا نورنا وأما أصحاب الأعراف فان النور كان فى أيديهم فلم ينزع من أيديهم فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال فقال ابن مسعود على أن العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم يقول هلك من غلب وحدانه أعشاره حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال أخبرنى ابن وهب قال أخبرنى عيسى الخياط عن الشعبى عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار وهم آخر من

لم يرد من المبعوث اليهم الا التقوى والفوز بالجنة دون الكفر والعذاب وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا فكذبوه فى ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف وأصروا قال بعض العلماء ما فى حق العقلاء من التكذيب فبغير الباء نحو كذبوا رسلى وكذبوه وما فى حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا بآياتنا والتحقيق أن المراد كذبوا رسلنا بردّ آياتنا (فأنجيناه والذين) استقروا (معه فى الفلك) وأنجيناهم فى السفينة من الطوفان قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل كانوا تسعة وهم بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به وانما قال فى سورة يونس فنجيناه ومن معه فى الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من أدل على العموم ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين (انهم كانوا قوما عمين) قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال أهل اللغة يقال رجل عم فى البصيرة وأعمى فى البصر فالعمى يدل على عمى ثابت والعامى على عمى حادث * القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه (والى عاد أخاهم هودا) والتقدير لقد أرسلنا نوحا الى قومه وأرسلنا الى عاد أخاهم هودا واتفقوا على أن هودا ما كان أخاهم فى الدين ثم قال الزجاج معناه أنه كان من آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة والجن وقيل أراد واحدا منهم قاله الكلبى وهو من قولك يا أخا العرب لواحد منهم وقيل خص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا أعرف بحاله فى صدقه وأمانته

وقيل معناه صاحبهم والعرب تسمي صاحب صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لأخاهم وأما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم أن ألفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين أسرارها فمنها قوله هنالك فقال ياقوم اعبدوا الله وههنا قال ياقوم والفرق أن نوحا عليه السلام كان مواظبا على دعوتهم وما كان يؤخر الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة وأما هود فما كان جده الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود ويمكن أن يقال لما أضمر أرسلنا أضمر الفاء لان الداعي الى الفاء أرسلنا وفي الكشاف أن هذا وارد على سبيل الاستئناف ومنها قوله مالكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وفي قصة هود مالكم من اله غيره أفلا تتقون لأن واقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك أي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملأ من قومه وفي قصة هود قال الملأ الذين كفروا من قومه اما أن هذا وصف وارد للذم لا غير واما أنه لم يكن في أشراف قوم نوح من يؤمن وكان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فأريد التفرقة بالوصف ومنها أن قوم نوح قالوا انا لنراك في ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنراك في سفاهة أي متمكنا منها تمكن المظروف من الظرف وذلك أن نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة فقتلوا

يدخل الجنة قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا همام عن قتادة قال قال ابن عباس أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فلم تزد حسناتهم على سيآتهم ولا سيآتهم على حسناتهم حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف بذلك المكان حتى اذا بد الله أن يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ويبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن فقال تمنوا ماشئتم قال فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرة فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين الجنة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث قال أصحاب الاعراف يؤمر بهم الى نهر يقال له الحياة ترابه الورس والزعفران وحافتاه قضب اللؤلؤ قال وأحسبه قال مكلل باللؤلؤ وقال فيغتسلون فيه فتبدو في نحورهم شامة بيضاء فيقال لهم تمنوا فيقال لهم لكم ماتمنيتم وسبعون ضعفا وانهم مساكين أهل الجنة * قال حبيب وحدثني رجل انهم استوت حسناتهم وسيئاتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث قال أصحاب الأعراف يقتص بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب من ذهب قال سفيان أراه قال مكلل باللؤلؤ قال فيغتسلون منه اغتسالة فتبدو في نحورهم شامة بيضاء ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا فيقال لهم تمنوا ماشئتم فيتمنون ماشاؤا فيقال لهم لكم ماتمنيتم وسبعون ضعفا قال فهم مساكين أهل الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حصين عن الشعبي عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم على سور بين الجنة والنار لم يدخلوها وهم يطمعون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان ابن عباس يقول الأعراف بين الجنة والنار حبس عليه أقوام بأعمالهم وكان يقول قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس أهل الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم * وقال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن منصور عن سعيد بن جبير قال أصحاب الاعراف استوت أعمالهم حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا هنالك على السور حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن سفيع أو سميع « قال أبو جعفر كذا وجدت في كتاب سفيع » عن أبي علقمة قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم * وقال آخرون كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبي مسعر عن شرحبيل بن سعد قال هم قوم خرجوا في الغزو بغير اذن آبائهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني الليث قال ثني خالد عن سعيد عن يحيى بن شبل أن رجلا من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم

مدة طويلة فوصفوه بضعف الرأى والبعد عن السداد وأما هود فاذكر شيأ الا أنه زيف معتقدهم فى عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوه بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين فى ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه أن الشك والتجويز فى أصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وأنصح لكم وقال هود وأنا لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عليه السلام العود الى تجديد تلك الدعوة فى كل يوم وفى كل ساعة وصيغة الفعل دلت على التجدد المستمر ولهذا قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الى آخر الآيات وأما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عليه السلام قال وأعلم من الله مالا تعلمون لانه كان يعلم من أسرار الله تعالى مالم يصل اليه هود فلا جرم أمسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه أمينا ثقة أى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقى أن آتى بالكذب والغش أو المراد تقرير الرسالة فانها تدور على الأمانة أى أنا لكم ناصح فيما أدعوكم اليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه وفى هذين الجوابين عن مثل ذينك الشخصين مع جلالة قدرهما دليل على أن الحكيم يجب أن لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبنى على الحلم والاغضاء ومنها أن هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر فى قصة نوح أن فائدة الانذار هى حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك شيأ آخر يختص بهم فقال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء

فقتلوا فأعتقهم الله من النار بقتلهم فى سبيله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم آخر من يدخل الجنة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن أبى معشر عن يحيى بن شبل مولى بنى هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال قوم قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم قتلهم فى سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة * وقال آخرون بل هم قوم صالحون فقهاء علماء ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد قال أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء * وقال آخرون بل هم ملائكة وليسوا ببنى آدم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى مجلز قوله وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم الى قوله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين قال فنادى أصحاب الاعراف رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لابى مجلز يقول الله وعلى الاعراف رجال وتزعم أنت أنهم الملائكة قال فقال انهم ذكور وليسوا باناث **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمى عن أبى مجلز وعلى الاعراف رجال قال رجال من الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم أهل النار وأهل الجنة وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبى عدى عن التيمى عن أبى مجلز بنحوه * وقال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن التيمى عن أبى مجلز قال أصحاب الاعراف الملائكة **حدثنى** المثنى قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد قال أخبرنا التيمى عن أبى مجلز وعلى الأعراف رجال قال هم الملائكة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن أبى مجلز وعلى الاعراف رجال قال هم الملائكة قلت يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى رجال وأنت تقول ملائكة قال انهم ذكران ليسوا باناث **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال الملائكة قال قلت يقول الله رجال قال الملائكة ذكور * قال أبو جعفر والصواب من القول فى أصحاب الاعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ولا انه متفق على تأويلها ولا اجماع من الامة على انهم ملائكة فاذ كان ذلك كذلك وكان ذلك لا يدرك قياسا وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بنى آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق غيرهم كان بينا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له وأن الصحيح من القول فى ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك من الاخبار وان كان فى أسانيدها ما فيها وقد **حدثنى** القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم آخر من يفصل بينهم من العباد واذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلكم الجنة وأنتم عتقائى فارعوا من الجنة حيث شئتم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ يقول

من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الارض أو جعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لاظرف أى اذكروا وقت جعلكم خلفاء (وزادكم فى الخلق بسطة) فالخلق التقدير وقلما يطلق الا على الشئ الذى له مقدار وجميعة والمراد حصول الزيادة فى أجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم تذكر فى معرض الامتنان قال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وقال آخرون تلك الزيادة هى مقدار ما تبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على أهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة فى القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة منتشرين فى القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وفيما سواهما من عطاياه وآلاء الله نعمه واحدها الى ونحوه انى وآناء كعنب وأعناب قال الجوهرى واحدها ألى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء استدل الطاعنون فى وجوب الأعمال الظاهرة بالآية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر وأجيب بأن الآيات الدالة على وجوب العمل مخصصة أو مقيدة والتقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نبيهم نعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا أن العبادة نهاية التعظيم ولا تليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شئ من النعم لانها جماد والجماد لا قدرة له أصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة

تعالى ذكره وعلى الاعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليها ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقة أعينهم فاذا رأوا أهل الجنة نادوهم سلام عليكم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال يعرفون أهل النار بسواد الوجوه وأهل الجنة ببياض الوجوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من فى الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم فى ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها ان شاء الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة العيون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله فأقيموا ذلك المقام اذا نظروا الى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه فقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين واذا نظروا الى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه فذلك قوله ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم زعموا أن أصحاب الاعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوبا وكان حسم أمرهم لله فجعلهم الله على الاعراف فاذا نظروا الى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه فتعوذوا بالله من النار واذا نظروا الى أهل الجنة نادوهم أن سلام عليكم قال الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال وهذا قول ابن عباس حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يعرفون كلا بسيماهم يعرفون الناس بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعرفون كلا بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أهل الجنة بسيماهم بيض الوجوه وأهل النار بسيماهم سود الوجوه قال وقوله يعرفون كلا بسيماهم قال أصحاب الجنة وأصحاب النار ونادوا أصحاب الجنة قال حين رأوا وجوههم قد ابيضت حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك يعرفون كلا بسيماهم قال بسواد الوجوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة العيون * والسيماء العلامة الدالة على الشئ فى كلام العرب وأصله من السمة نقلت واوها التى هى فاء الفعل الى موضع العين كما يقال اضمحل وامضحل وذكر سماعا عن بعض بنى عقيل هى أرض خامة يعنى وخمة ومنه قولهم له جاه عند الناس بمعنى وجه نقلت واوه الى موضع عين الفعل وفيها

لغات

لغات ثلاث سيما مقصورة وسيماء ممدودة وسيماء بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ومدها على مثال الكبرياء كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن اذ رمى * له سيماء لا تشق على البصر

وأما قوله ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون أى حلت عليكم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله لم يدخلوها وهم يطمعون فقال بعضهم هذا خبر من الله عن أهل الاعراف أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الاعراف غير أنهم قالوه وهم يطمعون فى دخولها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أهل الاعراف يعرفون الناس فاذا مروا عليهم بزمرة يذهب بها الى الجنة قالوا سلام عليكم يقول الله لاهل الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن لم يدخلوها وهم يطمعون قال والله ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قال أنبأ كم الله بمكانهم من الطمع حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال أما أصحاب الاعراف فان النور كان فى أيديهم ما انتزع من أيديهم يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال فى دخولها قال ابن عباس فأدخل الله أصحاب الاعراف الجنة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعطاء لم يدخلوها وهم يطمعون قالا فى دخولها * وقال آخرون انما عنى بذلك أهل الجنة وان أصحاب الاعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة سلام عليكم وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها ولم يدخلوها بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمى عن أبى مجلز ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون قال الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الاعراف ينادون أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها ﴿القول فى تأويل قوله ﴿واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى حيالهم ووجاههم فنظروا الى تشويه الله لهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال واذا مروا بهم يعنى بأصحاب الاعراف بزمرة يذهب بها الى النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن أخيه عن عكرمة واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قال تحرد وجوههم للنار فاذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾ يقول جل ثناؤه

معتزل يتحنث فيه أى يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجىء الملك ومنها أن يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمنى ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أتعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده أى منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التى وقعت حالا بتأويل ولا يمكن أن يكون وحده ههنا اعترافا كما يقول الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده لان الفرض أنهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل أفلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم (فأتنا بما تعدنا) فأجابهم هود بقوله (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) ولا بد أن يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف أما الغضب فى حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا وأما الرجس فقيل العذاب واعترض عليه بلزوم التكرار وقيل العقائد المذمومة والصفات القبيحة وذلك أن الرجس ضد التطهير كما قال سبحانه فى صفة أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد فى الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير أخص أما قوله قد وقع ولم يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعض

من يقول بأن ارادة الله تعالى حادثة معناه أنه تعالى أحدث ارادة فى ذلك الوقت وقيل أراد هود أنه أخبر بنزول العذاب وقيل جعل المتوقع الذى لاشك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد أنها ستكون البتة وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء أباه يبكى فقال له يابنى مالك فقال لسعنى طوير كأنه ملتف فى بردى حبرة فضمه الى صدره وقال يابنى قد قلت الشعر ثم أنكر عليهم قبيح فعالهم فقال (أتجادلوننى فى أسماء) تناظروننى فى شأن آلهة أشياء ماهى الا أسماء (سميتموها) أحدثتموها (أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) أى لا حجة على حقيقتها فتنزل والحاصل انها أسماء بلا مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما أعطاء الله تعالى عزا أصلا وسموا آخر منها باللات من الالهية وماله من الالهية أثر وانما قال فى هذه السورة نزل وفى غيرها مما سيجىء أنزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجرى ما بعده مجرى التفصيل للجملة أو أنواع للجنس والله أعلم ثم انه ذكرهم وعيدا محدودا فقال (فانتظروا) سوء عاقبة هذه الاصنام (انى معكم من المنتظرين) عاقبة السوء أو عاقبة الحسنى وذلك قوله (فأنجيناه والذين معه برحمة) بسبب رحمة كانوا يستحقونها (منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم ودمرناهم عن آخرهم وقد مر مثله فى الانعام وفائدة نفى الايمان عنهم فى قوله (وما كانوا مؤمنين) مع اثبات التكذيب بآيات ربهم أن يكون تعريضا بمن آمن منهم كمرثد بن سعد وغيره كأنه قيل ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا

ونادى أصحاب الاعراف رجالا من أهل الارض يعرفونهم بسيماهم سيما أهل النار قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا وما كنتم تستكبرون يقول وتكبركم الذى كنتم تتكبرون فيها كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال فربهم يعنى بأصحاب الاعراف ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم قال يقول قال أصحاب الاعراف ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ونادى أصحاب الاعراف رجالا قال فى النار يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وتكبركم وما كنتم تستكبرون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمى عن أبى مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة الآية قلت لابى مجلز عن ابن عباس قال لابل عن غيره **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمى عن أبى مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال نادت الملائكة رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال رجال عظماء من أهل الدنيا قال فبهذه الصفة عرف أهل الاعراف أهل الجنة من أهل النار وانما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ورئيس أهل الشر يوم القيامة قال وقال ابن زيد فى قوله ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال على أهل طاعة الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذا الكلام فقال بعضهم هذا قيل الله لاهل النار توبيخا لهم على ما كان من قيلهم فى الدنيا لاهل الاعراف عند ادخاله أصحاب الاعراف الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله يقومون على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها واذا نظروا الى أهل النار تعوذوا بالله منها فأدخلوا الجنة فذلك قوله تعالى أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعنى أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك قال قال ابن عباس ان الله أدخل أصحاب الاعراف الجنة لقوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الله لاهل التكبر والاموال أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعنى أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أهؤلاء الضعفاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون قال فقال حذيفة أصحاب الاعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيآتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى بين العباد أذن لهم فى طلب الشفاعة فأتوا آدم عليه السلام فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت

رحمة الله اليه غضبه وسجدت له الملائكة غيرى فيقولون لا قال فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى ابراهيم قال فيأتون ابراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه فيقول هل تعلمون من أحد اتخذه الله خليلا هل تعلمون أحدا أحرقه قومه فى النار فى الله غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه فيقولون اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب غيرى فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله غيرى قال فيقولون لا قال فيقول أنا حجيج نفسى ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لها ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش فأثنى على ربى فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لى يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول رب أمتى فيقال هم لك فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب الا غبطنى يومئذ بذلك المقام وهو المقام المحمود قال فآتى بهم باب الجنة فأستفتح فيفتح لى ولهم فيذهب بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب من ذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود اليهم ألوان أهل الجنة وريحهم ويصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى فى صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال لهم مساكين أهل الجنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك قال ان الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة وهو قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون يعنى أصحاب الاعراف وهذا قول ابن عباس فتأويل الكلام على هذا التأويل الذى ذكرنا عن ابن عباس ومن ذكرنا قوله فيه قال الله لأهل التكبر عن الاقرار بوحدانية الله والاذعان لطاعته وطاعة رسله الجامعين فى الدنيا الأموال مكاثرة ورياء أيها الجبابرة الذين كانوا فى الدنيا أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم فى الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلى ورحمتى أدخلوا يا أصحاب الاعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم فى الدنيا من الآثام والاجرام ولا أنتم تحزنون على شئ فاتكم فى دنياكم * وقال أبو مجلز بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لاهل النار بعد ما دخلوا النار تعييرا منهم لهم على ما كانوا يقولون فى الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته وأما قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمى عن أبى مجلز قال نادت الملائكة رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم فى الدنيا من ترك طاعة الله وأداء ما كان فرض عليهم فيها فى أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة يقول تعالى ذكره ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سكنوها أن يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله أى أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام

وقوله ما يبينون الكلام أى لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنته به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم الذين لو بقوا لآمنوا قال فى الكشاف وان عادا قد بسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله هودا نبيا وكان من أوسطهم وأشرفهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة اذ ذاك العمالق أولاد عملیق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فهزت عاد الى مكة من أمائلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية احداهما وردة والاخرى جرادة ولما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى أن يكلمهم خيفة أن يظنوا أنه ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قولا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

ويسقى أرض عاد إن عادا * قد آمسوا ما يبينون الكلاما

الهينمة اخفاء الكلام فى الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا

وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادمن السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادلهم يقال له المغيث فاستبشر وا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فتعبدوا لله فيها حتى ماتوا ﴿التأويل﴾ لقد أرسلنا نوحا الروح الى قومه ببلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوحا الروح فأنجيناه والذين معه في الفلك الشريعة وأغرقنا النفس وصفاتها في البحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه وزادكم في الخلق بسطة كما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود الى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي مقالتكم تدل على حالتكم انه أصابكم سطوات العذاب فمن أمارات الاعراض رد العبد الى شهود الاغيار وتغريقه اياه في بحار الظنون والاوهام والجدال ﴿والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم

كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال من الطعام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال يستطعمونهم ويستسقونهم فأجابهم أهل الجنة ان الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده وكذبوا في الدنيا رسله والهاء والميم في قوله ان الله حرمهما عائدتان على الماء وعلى ما التي في قوله أو مما رزقكم الله * وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه أو أباه فيقول قد احترقت أفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين وحدثني المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا سفيان عن عثمان عن سعيد بن جبير ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه يا أخي قد احترقت فأغثني فيقول ان الله حرمهما على الكافرين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قال طعام أهل الجنة وشرابها ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين يقول تعالى ذكره فأجاب أهل الجنة أهل النار ان الله حرمهما على الكافرين الذين كفروا بالله ورسله الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله به لهوا ولعبا يقول سخرية ولعبا وروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا الآية قال وذلك أنهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به اغترارا بالله وغرتهم الحياة الدنيا يقول وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والخفض والدعة عن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية يقول الله جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا أي ففي هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم يقول نتركهم في العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له باتعاب أبدانهم في طاعة الله وقد بينا معنى قوله ننساهم بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نسوا في العذاب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ننساهم قال نتركهم في النار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا الآية يقول نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا في قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال نؤخرهم في النار وأما قوله وما كانوا بآياتنا يجحدون فان معناه اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا بآياتنا يجحدون فما التي في قوله وما كانوا معطوفة على ما التي في قوله كما نسوا

وتأويل

وتأويل الكلام فاليوم نتركهم فى العذاب كما تركوا العمل فى الدنيا لقاء الله يوم القيامة وكما كانوا بآيات الله يجحدون وهى حجته التى احتج بها عليهم من الانبياء والرسل والكتب وغير ذلك يجحدون يكذبون ولا يصدقون بشئ من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب يعنى القرآن الذى أنزله اليه يقول لقد أنزلنا اليهم هذا القرآن مفصلا مبينا فيه الحق من الباطل على علم يقول على علم منا بحق ما فصل فيه من الباطل الذى يميز فيه بينه وبين الحق هدى ورحمة يقول بيناه ليهتدى ويرحم به قوم يصدقون به وبما فيه من أمر الله ونهيه وأخباره ووعده ووعيده فينقذهم به من الضلالة الى الهدى وهذه الآية مردودة على قوله كتاب أنزلناه اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم والهدى فى موضع نصب على القطع من الهاء التى فى قوله فصلناه ولو نصب على فعل فصلناه فيكون المعنى فصلنا الكتاب كذلك كان صحيحا ولو كان قرئ هدى ورحمة كان فى الاعراب فصيحا وكان خفض ذلك بالرد على الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ يقول تعالى ذكره هل ينظرون الا تأويله هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه الا تأويله يقول الا ما يؤل اليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله به وقد بينا معنى التأويل فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا تأويله أى ثوابه يوم يأتى تأويله أى ثوابه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور قال ثنا معمر عن قتادة هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله قال تأويله عاقبته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا تأويله قال جزاءه يوم يأتى تأويله قال جزاؤه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل ينظرون الا تأويله أما تأويله فعواقبه مثل وقعة بدر والقيامة وما وعد فيه من موعد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فلا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر حتى يتم تأويله يوم القيامة ففى ذلك أنزل هل ينظرون الا تأويله حيث أثاب الله تبارك وتعالى أولياءه وأعداءه ثواب أعمالهم يقول يومئذ الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله قال يوم القيامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم يأتى تأويله قال يوم يأتى تحقيقه وقرأ قول الله تعالى هذا تأويل رؤياى من قبل قال هذا تحقيقها وقرأ قول الله وما يعلم تأويله الا الله قال ما يعلم حقيقته ومتى يأتى الا الله تعالى وأما قوله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل فان معناه يوم يجىء ما يؤل اليه أمرهم من عقاب الله يقول الذين نسوه من قبل أى يقول الذين ضيعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل اليه أمرهم يومئذ من العذاب من قبل ذلك فى الدنيا لقد جاءت رسل ربنا بالحق أقسم المساكين حين عاينوا البلاء وحل بهم العقاب أن رسل الله التى أتتهم بالنذارة وبلغتهم عن الله الرسالة قد كانت نصحت لهم وصدقتهم عن الله وذلك حين لا ينفعهم التصديق

هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ۞ القراآت وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام أبو جعفر ونافع وحفص وسهل أئنكم بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص وهشام يدخل بينهما مدة

ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق أما الذين نسوه فتركوه فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم استيقنوا فقالوا قد جاءت رسل ربنا بالحق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يقول الذين نسوه قال أعرضوا عنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط الله بهم ورودهم أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا فتجيبنا شفاعتهم عنده مما قد حل بنا من سوء فعالنا في الدنيا أو نرد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضيه ويعتبه من أنفسنا قال هذا القول المساكين هنالك لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم فيذكر واذلك في وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة يقول الله جل ثناؤه قد خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها بيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأسلمهم لعذاب الله وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ويزعمون كذبا وافتراء أنهم أربابهم من دون الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله قد خسروا أنفسهم يقول شروها بخسران وانما رفع قوله أو نرد ولم ينصب عطفا على قوله فيشفعوا لنا لان المعنى هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ولم يرد به العطف على قوله فيشفعوا لنا ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا﴾ يقول تعالى ذكره ان سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس هو المعبود الذي له العبادة من كل شئ الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة كما حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وكان بدء الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كألف سنة مما تعدون ثم استوى على العرش وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وأما قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا فانه يقول يورد الليل على النهار فيلبسه اياه حتى يذهب نضرته ونوره يطلبه يقول يطلب الليل النهار حثيثا يعني سريعا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يطلبه حثيثا يقول سريعا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا قال يغشى الليل النهار فيذهب بضوئه ويطلبه سريعا حتى يدركه ۞ القول في تأويل قوله ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم كل ذلك بأمره أمرهن الله فأطعن أمره ألا لله الخلق كله والامر الذي لا يخالف ولا يرد أمره دون ما سواه من الاشياء كلها ودون ما عبده المشركون من الآلهة والاوثان

آينكم بالمد وبالياء أبو عمرو وزيد أيتكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير زيد ۞ الوقوف صالحا ج لئلا يظن أن صالحا صفة لا علم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب وغيره من الاعلام العربية غيره ط من ربكم ط أليم ٥ بيوتا ط لما مر في قصة هود مفسدين ٥ من ربه ج مؤمنون ٥ كافرون ٥ المرسلين ٥ جاثمين ٥ ناصحين ٥ من العالمين ٥ من دون النساء ط لمكان الاضراب مسرفون ٥ من قريتكم ج لاحتمال التعليل استهزاء الامر أنه ز لاحتمال الاستئناف والأشبه أنها حال المرأة من الغابرين ٥ مطرا ط المجرمين ٥ ۞ التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانه لا ينصرف تارة بتأويل القبيلة وينصرف أخرى بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لانه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود أخو جديس وطسم وقد ورد القرآن بالصرف وعدمه جميعا قال تعالى ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة دالة على صدقي وكأنه قيل ما تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وانتصابها على الحال والعامل فيها

التى لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا تأمر تبارك الله معبودنا الذى له عبادة كل شئ رب العالمين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام أبو عبد الرحمن قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنى عبد الغفار ابن عبد العزيز الانصارى عن عبد العزيز الشامى عن أبيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه قل شكره وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الامر شيأ فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ يقول تعالى ذكره ادعوا أيها الناس ربكم وحده فأخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والاصنام تضرعا يقول تذللا واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه لا جهارا مرآة وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله كما حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك ابن فضالة عن الحسن قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا فرضى فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم الاحول عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم فقال أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا معكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال السر وأما قوله انه لا يحب المعتدين فان معناه ان ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذى حده لعباده فى دعائه ومسألته ربه ورفعه صوته فوق الحد الذى حد لهم فى دعائهم اياه ومسألتهم وفى غير ذلك من الامور كما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر بن سليمن قال أبنا اسمعيل بن حماد بن أبى سليمن عن عباد بن عباد عن علقمة عن أبى مجلز ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قال لا يسأل منازل الانبياء عليهم السلام حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس انه لا يحب المعتدين فى الدعاء ولا فى غيره قال ابن جريج ان من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها لا تشركوا بالله فى الارض ولا تعصوه فيها وذلك هو الفساد فيها وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى وبينا معناه بشواهده بعد اصلاحها يقول بعد اصلاح الله اياها لاهل طاعته باتباعه فيهم الرسل دعاة الى الحق وايضاحه حجه لهم وادعوه خوفا وطمعا يقول وأخلصوا له الدعاء والعمل ولا تشركوا فى عملكم له شيأ غيره من الآلهة والاصنام وغير ذلك وليكن ما يكون منكم فى ذلك خوفا من عقابه وطمعا فى ثوابه وان من كان دعاؤه اياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذبين لان من لم يخف عقاب الله ولم يرج ثوابه لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه ان رحمة الله قريب من المحسنين يقول تعالى ذكره ان ثواب الله الذى وعد المحسنين على احسانهم فى الدنيا قريب منهم وذلك هو رحمته لانه ليس

ما فى اسم الاشارة أو حرف التنبيه من معنى الفعل أى أشير اليها أو أنبه عليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص أولئك الاقوام بها مع أنها آية لكل أحد أنهم عاينوها وغيرهم أخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة أو لعله يثبت سائر المعجزات الا أن القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فأظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما أضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فعل وطرق آية من آياته كما تقول آية الله وبيت الله وبالحقيقة هى آية تشتمل على آيات نفروجها من الجبل آية وكونها لا من ذكر وأنثى آية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل آية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام فى قوتها المناسب للماء وفى غزارة لبنها وأنكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط ويروى أن جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود فى يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم (فذروها تأكل فى أرض الله) أى الناقة ناقة الله والارض أرض الله فدعوها تأكل فى أرض ربها ومما أنبت منها (ولا تمسوها بسوء) من الضرب والطرد وسائر أنواع الاذى اكراما لآية الله (فيأخذكم

بينهم وبين أن يصيروا الى ذلك من رحمته وما أعد لهم من كرامته الا أن تفارق أرواحهم أجسادهم ولذلك من المعنى ذكر قوله قريب وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة لانه أريد به القرب فى الوقت لا فى النسب والاوقات بذلك المعنى اذا رفعت أخبارا للاسماء أجرتها العرب مجرى الحال فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع وذكرتها مع المؤنث فقالوا كرامة الله بعيد من فلان وهى قريب من فلان كما يقولون هند قريب منا والهندان مناقريب والهندات مناقريب لأن معنى ذلك هى فى مكان قريب منا فاذا حذفوا المكان وجعلوا القريب خلفا منه ذكروه ووحدوه فى الجمع كما كان المكان مذكرا وموحدا فى الجمع وأما اذا أنثوه أخرجوه مثنى مع الاثنين ومجموعا مع الجميع فقالوا هى قريبة منا وهما مناقريبتان كما قال عروة بن الورد

عشية لا عفراء منك قريبة * فتدنو ولا عفراء منك بعيد

فأنث قريبة وذكر بعيدا على ما وصفت ولو كان القريب من القرابة فى النسب لم يكن مع المؤنث الا مؤنثا ومع الجمع الا مجموعا وكان بعض نحويى البصرة يقول ذكر قريب وهو صفة للرحمة وذلك كقول العرب ريح خريق وساحفة حديد وشاة سديس قال وان شئت قلت تفسير الرحمة ههنا المطر ونحوه فلذلك ذكر كما قال وان كان طائفة منكم آمنوا فذكر لانه أراد الناس وان شئت جعلته كبعض ما يذكرون من المؤنث كقول الشاعر * ولا أرض أبقل ابقالها * وقد أنكر ذلك من قيله بعض أهل العربية ورأى أنه يلزمه ان جاز أن يذكر قريبا توجيها منه للرحمة الى معنى المطر أن يقول هند قام توجيها منه لهند وهى امرأة الى معنى انسان ورأى أن ما شبه به قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين بقوله وان كان طائفة منكم آمنوا غير مشبهه وذلك أن الطائفة فيما زعم مصدر بمعنى الطيف كما الصيحة والصياح بمعنى ولذلك قيل وأخذ الذين ظلموا الصيحة * القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره هو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته والنشر بفتح النون وسكون الشين فى كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التى تنشئ السحاب وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهى نشر ومنه قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفيين خلا عاصم بن أبى النجود فانه كان يقرؤه بشرا على اختلاف عنه فيه فروى ذلك بعضهم عنه بشرا بالباء وضمها وسكون الشين وبعضهم بالباء وضمها وضم الشين وكان يتأول فى قراءته ذلك كذلك قوله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات تبشر بالمطر وانه جمع بشير بشرا كما يجمع النذير نذرا وأما قراء المدينة وعامة المكيين والبصريين فانهم قرؤا ذلك وهو الذى يرسل الرياح نشرا بضم النون والشين بمعنى جمع نشور جمع نشرا كما يجمع الصبور صبرا والشكور شكرا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول معناها اذا قرئت كذلك انها الريح التى تهب من كل ناحية وتجىء من كل وجه وكان بعضهم يقول اذا قرئت بضم النون فينبغى أن تسكن شينها لان ذلك لغة بمعنى النشر بالفتح وقال العرب تضم النون من النشر أحيانا وتفتح أحيانا بمعنى واحد قال فاختلاف القراء فى ذلك على قدر اختلافها فى لغتها فيه وكان يقول هو نظير الخسف والخسف بفتح الخاء وضمها * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قراءة من قرأ ذلك نشرا ونشرا بفتح النون وسكون الشين وبضم النون والشين قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار

عذاب أليم) يعنى أخذ الاستفزاز والاستئصال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) تفسيره كما فى قصة هود (وبوأكم فى الارض) أنزلكم فيها والمباءة المنزل والارض أرض الحجر (تتخذون من سهولها) أى تبنون من سهول الارض قصورا بما تعملون من الاراضى السهلة لبنا وآجرا ورهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا الان الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة ويجوز أن تكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما جاءت فى موضع آخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على أنه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء (فاذكروا آلاء الله) يعنى انى قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا أنتم تمامها (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) قيل نهى عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر فى أوائل سورة البقرة (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) أى المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله (لمن آمن منهم) بدل من قوله للذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير فى منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على أن المستضعفين فريقان مؤمنون وكافرون واما أن يرجع

(١) فلا أحب القراءة بها وان كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم فى المعنى والاعراب لما ذكرنا من العلة وأما قوله بين يدى رحمته فانه يقول قدام رحمته وأمامها والعرب كذلك تقول لكل شئ حدث قدام شئ وأمامه جاء بين يديه لان ذلك من كلامهم جرى فى أخبارهم عن بنى آدم وكثر استعماله فيهم حتى قالوا ذلك فى غير ابن آدم ومالا يدله والرحمة التى ذكرها جل ثناؤها فى هذا الموضع المطر فمعنى الكلام اذا والله الذى يرسل الرياح لينا هبوبها طيبا نسيمها أمام غيثه الذى يسوقه بها الى خلقه فينشئ بها سحابا ثقالا حتى اذا أقلتها والاقلال بها حملها كما يقال استقل البعير بحمله وأقله اذا حمله فقام به ساقه الله لاحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه ودرست مشاربه وأجدب أهله فأنزل به المطر وأخرج به من كل الثمرات ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته الى قوله لعلكم تذكرون قال ان الله يرسل الريح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والارض من حيث يلتقيان فيخرجه من ثم ثم ينشره فيبسطه فى السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وأما رحمته فهو المطر وأما قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون فانه يقول تعالى ذكره كما نحيى هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذى ننزله من السحاب فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وخلوه أهله كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم ودروس آثارهم لعلكم تذكرون يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الاصنام المكذبين بالبعث بعد الممات المنكرين للثواب والعقاب ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذى ذكرت لكم من احياء البلد الميت بقطر المطر الذى يأتى به السحاب الذى تنشره الرياح التى وصفت صفتها لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير فى قدرته احياء الموتى بعد فنائها واعادتها خلقا سويا بعد دروسها ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وكذلك تخرجون وكذلك النشور كما نخرج الزرع بالماء * وقال أبو هريرة ان الناس اذا ماتوا فى النفخة الاولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور الثانية عاشوا وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فنادا هم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كذلك نخرج الموتى قال اذا أراد الله أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تشقق عنهم الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيى الله الموتى بالمطر كاحيائه الارض ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه يخرج نباته اذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا باذنه طيبا ثمره فى حينه ووقته والذى خبث فردئت تربته وملحت مشاربه لا يخرج نباته الا نكدا يقول الا عسرا فى شدة كما قال الشاعر

(١) قوله فلا أحب الخ يظهر أن قبله سقطا ولعله وأما قراءة الباء فلا أحب الخ وحرره

الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على أن الاستضعاف من شأن أهل الايمان يستحقرهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم فى حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفى الآية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق والانقياد ينشأ من قلتهما (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل التهكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) جعلوا ارساله أمرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب وانما الكلام فى وجود الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك (قال الذين استكبروا) فى جوابهم (انا بالذى امنتم به كافرون فعقروا الناقة) قال الازهرى العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم أطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب وأسند العقر الى جميعهم مع أنه ما باشره الا بعضهم لانه كان برضاهم وقد يقال للقبيلة العظيمة أنتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم (وعتوا عن أمر ربهم) استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو فى الباطل وأمر ربهم شأنه أى دينه أو المراد ما أمر به صالح من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى أمر ربهم بتركها كان هو السبب فى عتوهم فان الانسان حريص على ما منع (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) أطلقوا

لا تعجز الوعدان وعدت وان * أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسر يقال منه نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد والنكد المصدر ومن أمثالهم نكدا وجحدا ونكدا وجحدا والجحد الشدة والضيق ويقال اذا شفه وسئل قد نكدوه ينكدونه نكدا كما قال الشاعر

وأعط ما أعطيته طيبا * لا خير في المنكود والناكد

واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل المدينة الانكدا بفتح الكاف وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف نكدا وخالفهما بعد سائر القراء في الامصار فقرؤه الانكدا بكسر الكاف كأن من قرأه نكدا بنصب الكاف أراد المصدر وكأن من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال هذه فخذ وكتد وكان الذي يجب عليه اذا أراد ذلك أن يكسر النون من نكد حتى يكون قد أصاب القياس * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه نكدا بفتح النون وكسر الكاف لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقوله كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون يقول كذلك نبين آية بعد آية ونري لي بحجة بعد حجة ونضرب مثلا بعد مثل لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتبصيرهاياهم سبيل أهل الضلالة باتباعهم ما أمرهم باتباعه وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالبلد الطيب الذي يخرج نباته باذن ربه مثل للمؤمن والذي خبث فلا يخرج نباته الانكدا مثل للكافر ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكدا فهذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله والبلد الطيب والذي خبث قال كل ذلك من الارض السباخ وغيرها مثل آدم وذريته فيهم طيب وخبيث حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكدا قال هذا مثل ضربه الله في الكافر والمؤمن حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد يعني ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث هي السبخة لا يخرج نباتها الانكدا والنكد الشئ القليل الذي لا ينفع فكذلك القلوب لما نزل القرآن فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الايمان فيه والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشئ ينفعه ولم يثبت فيه من الايمان شئ الا ما لا ينفع كما لم يخرج هذا البلد الا ما لا ينفع من النبات حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكدا قال الطيب ينفعه المطر فينبت والذي خبث السباخ لا ينفعه المطر لا يخرج نباته الانكدا قال هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم انما خلقوا من نفس واحدة فمنهم من آمن بالله وكتابه فطاب ومنهم من كفر بالله وكتابه فخبث ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ لقد أرسلنا نوحا الى قومه ففال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحا الى قومه منذرهم بأسه ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره فقال لمن كفر منهم ياقوم

اعبدوا

الوعد وأرادوا ما وعدهم من العذاب واستعجالهم العذاب انما كان لأجل تكذيبهم بكل ما أخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين (فأخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا أرجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع آخر أنهم أهلكوا بالطاغية وفي آخر أنهم أهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب أن الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة (فأصبحوا في دارهم) أي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في آية أخرى فقال في ديارهم لانه أراد بالدار ما لكل واحد من منزله الخاص الا أنه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كأنها من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة ومعنى (جاثمين) موتى لا حراك بهم قال أبو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطئا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها للرمي (فتولى عنهم) الفاء للتعقيب فالظاهر أن صالحا

اعبدوا الله الذى له العبادة وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة ودعوا عبادة ماسواه من الانداد والآلهة فانه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره فانى أخاف عليكم ان لم تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم يعنى عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم مجيئه اياكم بسخط ربكم وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله غيره فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة مالكم من اله غيره بخفض غير على النعت للاله وقرأه جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة مالكم من اله غيره برفع غير ردّا لها على موضع من لان موضعها رفع لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعا وقيل مالكم اله غير الله فالعرب لما وصفت (١) من أن المعلوم بالكلام أدخلت من فيه أو أخرجت وانها تدخلها أحيانا فى مثل هذا من الكلام وتخرجها منه أحيانا ترد ما نعتت به الاسم الذى عملت فيه على لفظه فاذا خفضت فعلى كلام واحد لانها نعت للاله وأما اذا رفعت فعلى كلامين مالكم غيره من اله وهذا قول يستضعفه أهل العربية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن جواب مشركى قوم نوح لنوح وهم الملأ والملأ الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم أنهم قالوا له حين دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له انا لنراك يا نوح فى ضلال مبين يعنون فى أمر زائل عن الحق مبين زواله عن قصد الحق لمن تأمله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال نوح لقومه مجيبا لهم يا قوم لم آمركم بما أمرتكم به من اخلاص التوحيد لله وافراده بالطاعة دون الانداد والآلهة زوالا منى عن محجة الحق وضلالا لسبيل الصواب وما بى ما تظنون من الضلال ولكنى رسول اليكم من رب العالمين بما أمرتكم به من افراده بالطاعة والاقرار له بالوحدانية والبراءة من الانداد والآلهة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه ولكنى رسول من رب العالمين أرسلنى اليكم فأنا أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم فى تحذيرى اياكم عقاب الله على كفركم به وتكذيبكم اياى وردكم نصيحتى وأعلم من الله ما لا تعلمون من أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾ وهذا أيضا خبر من الله عز ذكره عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم اذ ردّوا عليه النصيحة فى الله وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيا وقالوا له ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم يقول أوعجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم قيل معنى قوله على رجل منكم مع رجل منكم لينذركم يقول لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه على كفركم به ولتتقوا يقول ولكى تتقوا عقاب الله وبأسه بتوحيده واخلاص الايمان به والعمل بطاعته ولعلكم ترحمون يقول ولير حمكم ربكم ان اتقيتم الله وخفتموه وحذرتم بأسه وقتحتموا ومن قوله أوعجبتم لانها واو عطف دخلت عليها ألف استفهام ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين﴾ يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه اذ أخبرهم أنه لله رسول اليهم يأمرهم بخلع الانداد والاقرار بوحدانية الله والعمل بطاعته وخالفوا أمر ربهم ولجوا فى طغيانهم يعمهون فأنجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة فيما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم وستة أناسى ممن كان آمن به وكان حمل معه فى الفلك من كل زوجين اثنين كما قال تبارك وتعالى ومن آمن وما آمن معه الا قليل والفلك هو السفينة وأغرقنا

(١) قوله من أن المعلوم بالكلام الخ سقط خبر أن من الناسخ ولعل الاصل من أن المعلوم بالكلام ملحوظ أدخلت الخ والحاصل ان العرب تردما نعتت به الاسم الذى عملت من فيه تارة الى لفظه فيكون كلاما واحدا وأخرى الى محله فيكون كلامين تأمل كتبه مصححه

عليه السلام أدبر عنهم بعدما أبصرهم جاثمين وكأنه تولى وهو مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) وحد الرسالة بخلاف ما مر فى قصتى نوح وهود لأن المراد هناك أشياء كانا يأمران بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع فى آخر القصة فأراد بها مجموع ما أدى من الرسالة أو أراد بذلك أداء حديث الناقة فقط (ونصحت لكم) لم آل جهدا فى النصيحة (ولكن لا تحبون الناصحين) حكاية لحال ماضية واعترض على هذا التفسير بأنه كيف يصح خطاب الموتى وأجيب بأنه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فى حياته فلم يصغ اليه يا أخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى حتى ألقيت بنفسك الى التهلكة والفائدة فى مثل هذا الكلام أن يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل أيضا يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف تتكلم مع هؤلاء

الذين كذبوا بآياتنا يقول وأغرق الله الذين كذبوا بحججه ولم يتبعوا رسله ولم يقبلوا نصيحته اياهم
فى الله بالطوفان إنهم كانوا قوما عميين يقول عميين عن الحق كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عمين قال عن الحق حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قوما عمين قال العمى العامى عن الحق ﴿ القول
فى تأويل قوله ﴿والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول
تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى عاد أخاهم هودا ولذلك نصب هودا لانه معطوف به على نوح عليهما
السلام قال هود يا قوم اعبدوا الله فأفردوا له العبادة ولا تجعلوا معه الها غيره فانه ليس لكم اله غيره
أفلا تتقون ربكم فتحذرونه وتخافون عقابه بعبادتكم غيره وهو خالقكم ورازقكم دون كل
ماسواه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا
لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره
مخبرا عما أجاب هودا به قومه الذين كفروا بالله قال الملأ الذين كفروا يعنى الذين جحدوا توحيد الله
وأنكروا رسالة الله هودا اليهم انا لنراك يا هود فى سفاهة يعنون فى ضلالة عن الحق والصواب بترك
دينا وعبادة آلهتنا وانا لنظنك من الكاذبين فى قيلك انى رسول من رب العالمين قال يا قوم ليس بى
سفاهة يقول أى ضلالة عن الحق والصواب ولكنى رسول من رب العالمين أرسلنى فأنا أبلغكم رسالات
ربى وأؤديها اليكم كما أمرنى أن أؤديها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم
ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ يعنى بقوله
أبلغكم رسالات ربى أؤدى ذلك اليكم أيها القوم وأنا لكم ناصح يقول وأنا لكم فى أمرى
اياكم بعبادة الله دون ماسواه من الانداد والآلهة ودعائكم الى تصديق فيما جئتكم به من عند الله
ناصح فاقبلوا نصيحتى فانى أمين على وحى الله وعلى ما ائتمننى الله عليه من الرسالة لا أكذب فيه ولا
أزيد ولا أبدل بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم يقول أوعجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة
على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
يقول فاتقوا الله فى أنفسكم واذكروا ما حل بقوم نوح من العذاب اذ عصوا رسولهم وكفروا بربهم
فانكم انما جعلكم ربكم خلفاء فى الارض منهم لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها فاتقوا الله أن يحل بكم
نظير ما حل بهم من العقوبة فيهلككم ويبدل منكم غيركم سنته فى قوم نوح قبلكم على معصيتكم
اياه وكفركم به وزادكم فى الخلق بسطة زادفى أجسامكم طولا وعظما على أجسام قوم نوح وفى قوامكم
على قوامهم نعمة منه بذلك عليكم فاذكروا نعمه وفضله الذى فضلكم به عليهم فى أجسامكم وقوامكم
واشكروا الله على ذلك باخلاص العبادة له وترك الاشراك به وهجر الاوثان والانداد لعلكم
تفلحون يقول كى تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء فى النعيم فى الآخرة وتنجحوا فى طلباتكم عنده
وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يقول ذهب بقوم نوح واستخلفكم من بعدهم
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أى
ساكنى الارض بعد قوم نوح وبنحو الذى قلنا أيضا قالوا فى تأويل قوله بسطة ذكر من قال ذلك

الحيف فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب
* وتفسير آخر وهو أن يكون تولى عنهم تولى ذاهب عنهم منكر
لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم
مار وى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم
فى الارض فكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل
كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت من
الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا عن أمر الله
وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا
وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله
فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم
فسألوه آية فقال أية آية تريدون
قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى
يوم معلوم لهم من السنة فندعو
آلهتنا وتدعو الهك فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا
أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم
تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن
عمرو وأشار الى صخرة منفردة فى
ناحية الجبل يقال لها الكاثبة

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وزادكم فى الخلق بسطة قال ما لقوام قوم عاد وأما الآلاء فانها جمع واحدها إلى بكسر الالف فى تقدير معى ويقال الى فى تقدير قفا بفتح الالف وقد حكى سماعا من العرب الى مثل حسى والآلاء النعم وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذكروا آلاء الله أى نعم الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما آلاء الله فنعم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذكروا آلاء الله قال آلاؤه نعمه قال أبو جعفر وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم وبعث اليهم هودا يدعوهم الى توحيد الله واتباع ما أتاهم به من عنده فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وادعاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشحر من أرض اليمن وما والى بلاد حضرموت الى عمان كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى عن أبى الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت على بن أبى طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت هل رأيته قال نعم يا أمير المؤمنين والله انك لتنعته نعت رجل قد رآه قال لا ولكنى قد حدثت عنه فقال الحضرمى وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود صلوات الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا الاحقاف قال والاحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت باليمن وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التى آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هودا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر والله أعلم بغير ذلك فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن آمن به وصدقه رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا فى الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير نفع كلمهم هود فقال أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أى ما هذا الذى جئتنا به الا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التى تعيب قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون الى قوله صراط مستقيم فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون حتى جهدهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء أو جهد فطلبوا الى الله الفرج منه كانت طلبتهم الى الله عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة يعرف حرمتها ومكانها من الله قال ابن اسحق وكان البيت فى ذلك الزمان معروفا مكانه والحرم قائم فيما يذكرون وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عملیق بن لاوذ ابن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلا يقال له معاوية بن بكر وكان أبوه حيا فى ذلك الزمان ولكنه كان قد كبر وكان ابنه يرأس قومه وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون فى أهل ذلك البيت وكانت أم معاوية بن بكر كلهدة ابنة الخيبرى رجل من عاد فلما قحط

أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وآجبناك فأخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وكانت فى غاية العظم حتى قال أبو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعنى موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك أن الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما قال السدى وكانت الناقة فى اليوم الذى تشرب فيه الماء تحلب فيكفى الكل فكأنها كانت تصب اللبن صبا وفى اليوم الذى يشربون الماء لا تأتيهم وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطن الوادى واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد فى شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من أبنائهم ثم ولد العاشر فأبى أن يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام جلس مع قوم

يشربون الشراب فأرادوا ماء يمزجونه به وكان يوم شرب الناقة فما وجدوا الماء فاشتد ذلك عليهم فقال الغلام هل لكم فى أن أعقر هذه الناقة فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردوها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وأظهروا حينئذ كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق فصيلها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم أن العاقل مع مشاهدة هذه المعجزات والعلامات كيف يبقى مصرا على كفره وأجيب بأنهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وأن تكون توبتهم مقبولة عن جابر أن رسول الله

المطر عن عاد وجهدوا فقالوا اجهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل ابن عنز ولقيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر أخو أمه ثم بعثوا القمان بن عاد بن فلان ابن صد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية ابن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه فقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى نازلون على والله ما أدرى كيف أصنع بهم ان أمرتهم بالخروج الى ما بعثوا له فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا أو كما قال فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد آمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عيامى
وان الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لعادى سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية ذلك الشعر غنتهم به الجرادتان فلما سمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم اليه سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك فقال لهم جلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأملك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل والصداء مع الصمود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بها فقال لا أدعو الله بشئ مما خرجوا له فلما انتهى اليهم قام يدعو الله بمكة وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون يقول اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شئ مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد وقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا القمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فأعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا

ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادمن السحاب ياقيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب فقال اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لاتبقى من آل عاد أحدا لاوالدا تترك ولاولدا الاجعلته همدا الابنى اللوذية المهدا وبنوا للوذية بنولقيم بن هزال بن هذيلة ابن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم ولم يكونوا مع عاد بارضهم فهم عاد الآخرة ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التى اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ أمرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تيقنت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أن أفاقت قالوا ماذا رأيت يامهدد قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال الله والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا هلك فاعتزل هود فيما ذكرلى ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ماتلين عليه الجلود وتلتذبه الانفس وانها لتمر على عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم عن الحرث ابن حسان البكرى قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فررت على امرأة بالربذة فقالت هل أنت حاملى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فحملتها حتى قدمت المدينة فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر واذا بلال متقلد السيف واذا رايات سود قال فقلت ماهذا قالوا عمرو بن العاص قدم من غزوته فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره أتيته فاستأذنت فأذن لى فقلت يارسول الله ان بالباب امرأة من بنى تميم وقد سألتنى أن أحملها اليك قال يابلال ائذن لها قال فدخلت فلما جلست قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بينكم وبين تميم شئ قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم فان رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزا فعلت قال تقول المرأة فالى أين يضطر مضطرك يارسول الله قال قلت ان مثلى مثل ما قال الاول معزى حملت حتفها قال قلت وحملتك تكونين على خصما أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وافد عاد قال قلت على الخبير سقطت ان عادا قحطت فبعثت من يستسقى لها فبعثوا رجالا فمروا على بكر بن معاوية فسقاهم الخمر وتغنتهم الجرادتان شهرا ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة فدعوا فجاءت سحابات قال وكلما جاءت سحابة قال اذهبى الى كذا حتى جاءت سحابة فنودى خذها رمادا رمددا لاتدع من عاد أحدا قال فسمعه وكلهم حتى جاءهم العذاب قال أبو كريب قال ابو بكر بعد ذلك فى حديث عاد قال فأقبل الذين أتاهم فأتى جبال مهرة فصعد فقال اللهم انى لم أجئك لاسير فأفاديه ولا لمريض فأشفيه

صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لاتسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان فى حرم الله قالوا من هو قال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحا كان بعثه الى قوم فخالف أمره وروى أن نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبى رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبى رغال وأنه دفن ههنا وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا ألفا ونحو مائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا دارهم ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لايدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذى أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم ياعلى أتدرى من أشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك * القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه

تقديره أرسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز أن يكون معناه واذكر لوطا اذ قال لقومه على أن اذ بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم أحد السببين أتأتون الفاحشة أتفعلون الخصلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها قال فى الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله أى ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل أن تكون الباء فيه مثله فى قولك كتبت بالقلم وفى قوله تنبت بالدهن أى ما سبقكم ملتبسا بها من أحد من العالمين من الاولى زائدة لتأكيد النفى وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استئناف لانه أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وأنتم أول من عملها أو هو جواب سؤال مقدر كأنه قيل لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها من أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز أن تكون صفة للفاحشة كقوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى *

وههنا سؤال وهو أنه كيف يجوز دعوى عدم السبق فى هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها وينفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات أو المراد أن الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم

فاسق عادا ما كنت مسقيه قال فرفعت له سحابات قال فنودى منها اختر قال فجعل يقول اذهبى الى بنى فلان اذهبى الى بنى فلان قال فرت آخرها سحابة سوداء فقال اذهبى الى عاد فنودى منها خذها رمادا مددا لا تدع من عاد أحدا قال وكلمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون قال وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل انهم عنده وانهم فى طعامه قال فأخذ فى الغناء وذكرهم حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا سلام أبو المنذر النحوى قال ثنا عاصم عن أبى وائل عن الحرث بن يزيد البكرى قال خرجت لاشكو العلاء بن الحضرمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فررت بالربذة فاذا عجوز منقطع بها من بنى تميم فقالت يا عبد الله ان لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغى اليه قال فحملتها فقدمت المدينة قال فاذا رايات قلت ما شأن الناس قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست حتى فرغ قال فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فقعدت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان بينكم وبين تميم شئ قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم وقد مررت بالربذة فاذا عجوز منهم منقطع بها فسألتنى أن أحملها اليك وها هى بالباب فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت فقلت يا رسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزا فحميت العجوز واستوفزت وقالت الى أين يضطر مضطرك يا رسول الله قال قلت أنا كما قال الاول معزى حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لى خصما أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال وما وافد عاد قال على الخبير سقطت قال وهو يستطعمنى الحديث قلت ان عادا قحطوا فبعثوا قيلا وافدا فنزل على بكر فسقاه الخمر شهرا وغنته جاريتان يقال لهما الجرادتان فخرج الى جبال مهرة فنادى انى لم أجئ لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت مسقيه فمرت به سحابات سود فنودى منها خذها رمادا مددا لا تبق من عاد أحدا قال فكانت المرأة تقول لا تكن كوافد عاد ففيما بلغنى أنه ما أرسل عليهم من الريح يا رسول الله الا قدر ما يجرى فى خاتمى * قال أبو وائل فكذلك بلغنى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان عادا أتاهم هود فوعظهم وذكرهم بما قص الله فى القرآن فكذبوه وكفروا وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به وان عادا أصابهم حين كفروا قحوط المطر حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا وذلك أن هودا دعا عليهم فبعث الله عليهم الريح العقيم وهى الريح التى لا تلقح الشجر فلما نظروا اليها قالوا هذا عارض ممطرنا فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تنادوا البيوت فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فأصابتهم فى يوم نحس والنحس هو الشؤم ومستمر استمر عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوما حسمت كل شئ مرت به فلما أخرجتهم من البيوت قال الله تنزع الناس من البيوت كانهم أعجاز نخل منقعر انقعر من أصوله خاوية خوت فسقطت فلما أهلكهم الله أرسل اليهم طيرا سودا فنقلتهم الى البحر فألقتهم فيه فذلك قوله فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وذلك قوله فأهلكوا بريح صرصر عاتية والصرصر ذات الصوت الشديد ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان

كنت

كنت من الصادقين ﴾ يقول تعالى ذكره قالت عاد لهود أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كى نعبد الله وحده وندين له بالطاعة خالصا ونهجر عبادة الآلهة والاصنام التى كان آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها فلسنا فاعلى ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا اليه فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على ترككنا اخلاص التوحيد لله وعبادتنا ما نعبد من دونه من الاوثان ان كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين ﴾ يقول تعالى ذكره قال هود لقومه قد حل بكم عذاب وغضب من الله وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لنا عنه يزعم أن الرجز والرجس بمعنى واحد وأنهما مقلوبة قلبت السين زايا كما قلبت شئز وهى من شئس بسين وكما قالوا قربوس وقربوز وكما قال الراجز

ألا لحى الله بنى السعلات * عمرو بن يربوع لئام الذات

* ليسوا بأعفاف ولا أكيات *

يريد الناس وأكياس فقلبت السين تاء كما قال رؤبة

كم قد رأينا من عديد مبزى * حتى وقمنا كيده بالرجز

روى عن ابن عباس أنه كان يقول الرجز السخط حدثنى بذلك المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله قد وقع عليكم من ربكم رجس يقول سخط وأما قوله أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم فانه يقول أتخاصموننى فى أسماء سميتموها أصناما لا تضر ولا تنفع أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان يقول ما جعل الله لكم فى عبادتكم اياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها لان العبادة انما هى لمن ضر ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس فانه لا نفع فيه ولا ضر الا أن تتخذ منه آلة ولا حجة لعابد عبده من دون الله فى عبادته اياه لان الله لم يأذن بذلك فيعذر من عبده بأنه يعبده اتباعا منه أمر الله فى عبادته اياه ولا هو اذ كان الله لم يأذن فى عبادته مما يرجى نفعه أو يخاف ضره فى عاجل أو آجل فيعبد رجاء نفعه أو دفع ضره فانتظروا انى معكم من المنتظرين يقول فانتظروا حكم الله فينا وفيكم انى معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضائه فينا وفيكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا نوحا والذين معه من أتباعه على الايمان به والتصديق به وبما دعا اليه من توحيد الله وهجر الآلهة والاوثان برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا يقول وأهلكنا الذين كذبوا من قوم هود بحججنا جميعا عن آخرهم فلم نبق منهم أحدا كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا قال استأصلناهم وقد بينا فيما مضى معنى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا بشواهده بما أغنى عن اعادته وما كانوا مؤمنين يقول لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا وثمود هو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عابر وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بنى ثمود أخاهم صالحا وانما منع ثمود لان ثمود قبيلة كما بكر قبيلة وكذلك تميم قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره يقول قال صالح لثمود ياقوم اعبدوا الله وحده لا شريك

يوجد فى الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال فى أدبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض أئنكم لتأتون الرجال بيان لما أجمله فى قوله أتأتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفى الثانى أكثر ولهذا زيد فيه ان ومثله فى النمل أتأتون وبعده أئنكم لتأتون وفى العنكبوت انكم لتأتون الفاحشة أئنكم لتأتون الرجال فجمع بين ان وأئن لموافقة آخر القصة انا منجولك انا منزلون وانتصب شهوة على أنها مفعول له أى لاحامل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة أو مصدر وقع حالا يقال شهى يشهى شهوة بل أنتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ وختم هذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التى تقدمت العالمين الناصحين جائمين المرسلين وفى النمل قال بل أنتم قوم تجهلون أما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف وأما العدول من الاسم الى الفعل فلتوافق ما قبلها من الآيات وكلها أفعال ينصرون تتقون يعلمون واعلم أن قبح هذا العمل كالامر المقرر فى الطباع

له فما لكم اله يجوز لكم أن تعبدوه غيره وقد جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول وحقيقة ما اليه أدعو من اخلاص التوحيد لله وافراده بالعبادة دون ماسواه وتصديقي على اني له رسول وبينتي على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي وحجتي عليه هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهضبة دليلا على نبوتي وصدق مقالتي فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحد الا الله وانما استشهد صالح فيما بلغني على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة لانهم سألوه اياها آية ودلالة على حقيقة قوله ذكر من قال ذلك وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل قال قالت ثمود لصالح ائتنا بآية ان كنت من الصادقين قال فقال لهم صالح اخرجوا الى هضبة من الارض فخرجوا فاذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انها انفرجت فخرجت من وسطها الناقة فقال صالح هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فلما ملوها عقروها فقال لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب قال عبد العزيز وحدثني رجل آخر أن صالحا قال لهم ان آية العذاب أن تصبحوا غدا حمرا واليوم الثاني صفرا واليوم الثالث سودا قال فصبحهم العذاب فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والى ثمود أخاهم صالحا قال ان الله بعث صالحا الى ثمود فدعاهم فكذبوه فقال لهم ماذكر الله في القرآن فسألوه أن يأتيهم بآية فجاءهم بالناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم وقال ذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فأقروا بها جميعا فذلك قوله فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وكانوا قد أقروا له على وجه النفاق والتقية وكانت الناقة لها شرب فيوم تشرب فيه الماء تمرين جبلين فيرجونها ففيهما أثرها حتى الساعة ثم تأتي فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيروبهم فكانت تصب اللبن صبا ويوم يشربون الماء لا تأتيهم وكان معها فصيل لها فقال لهم صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شئ فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فاذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه أمرهم بذبح أبنائهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون قالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى المسجد أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا فقلنا ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون يصدقوننا يعلمون أنا قد خرجنا الى سفر فانطلقوا فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل فسقط عليهم الغار فقتلهم فذلك قوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون حتى بلغ ههنا فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين وكبر الغلام ابن العاشر ونبت نباتا عجبا من السرعة فجلس مع قوم يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا في شأن الناقة ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشرب به هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحروثنا كان خيرا لنا فقال الغلام ابن العاشر هل لكم في أن أعقرها لكم قالوا نعم فأظهر وادينهم فأتاها الغلام فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها فلما رأى ذلك دخل خلف صخرة على طريقها فاستتر بها فقال أجيشوها علي فأجاشوها عليه فلما جازت به ناداوه عليك فتنا ولها فعقرها فسقطت فذلك قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وأظهر واحينئذ

ووجوه القبح فيه كثيرة منها أن أكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا أنه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشئ الذي يشتهيه الحيوان في الفخ والغرض ابقاء النوع الانساني الذي هو أشرف الانواع فكل لذة لا تؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها أن الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها أن الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب أن الفاعل يلتذ بذلك العمل الا أنه سعي في الحاق العار العظيم بالمفعول مادام حيا والعاقل لا يرضى لاجل لذة زائلة الحاق منقصة دائمة بغيره ومنها أنه يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل أو على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لنفور طبعه عن رؤيته وأما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال تعالى خلق لكم من

أمرهم وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا وفزع ناس منهم الى صالح وأخبروه أن الناقة قد عقرت فقال علي بالفصيل فطلبوا الفصيل فوجدوه على رابية من الارض فطلبوه فارتفعت به حتى حلقت به في السماء فلم يقدروا عليه ثم دعا الفصيل الى الله فأوحى الله الى صالح أن مرهم فليتمتعوا في داركم ثلاثة أيام فقال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وآية ذلك أن تصبح وجوهكم أول يوم مصفرة والثاني محمرة واليوم الثالث مسودة واليوم الرابع فيه العذاب فلما رأوا العلامات تكفنوا وتحنطوا ولطخوا أنفسهم بالمر ولبسوا الأنطاع وحفروا الأسراب فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة حتى جاءهم العذاب فهلكوا فذلك قوله فدمرناهم وقومهم أجمعين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أهلك الله عادا وتقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فنزلوا فيها وانتشروا ثم عتوا على الله فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله بعث اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولا وكانت منازلهم الحجر الى قرح وهو وادي القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام فبعث الله اليهم غلاما شابا فدعاهم الى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم الا القليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء وأكثر لهم التحذير وخوفهم من الله العذاب والنقمة سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فيما يدعوهم اليه فقال لهم أي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله في يوم معلوم من السنة فتدعوا لهتك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم الى الله فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعوه به ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدميل وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو فان فعلت آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو حق وأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت وفعل الله لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا نعم فأعطوه على ذلك عهودهم فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث أنهم نظروا الى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تتمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة ثم أسقطت الناقة فانصدعت عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء تنوج ما بين جنبيها لا يعلمه الا الله عظما فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوا فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر بن جلهس وكانوا من أشراف ثمود وردوا أشرافها عن الاسلام والدخول فيما دعاهم اليه صالح من الرحمة والنجاة وكان لجندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس فأراد ان يسلم فنهاه أولئك الرهط عن ذلك فأطاعهم وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل وكان مسلما

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعواشها با
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم بأن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذئابا

أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها أنه تعالى أودع في الرحم قوة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شيء منه في مجاريه وأوعيته أما اذا واقع الذكر فانه يبقى شيء من أواخر المني في المجاري فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم يقتضي حل وطء المملوك مطلقا ذكرا كان أو أنثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله أتأتون الذكران من العالمين لان كلا من الآيتين أعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احداهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل وذلك لان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد أولى من شرع لوط وأجيب بأن الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام قال تعالى وما كان جواب قومه بالواو كيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفي النمل تجهلون فما كان وفي العنكبوت وتأتون في ناديكم المنكر فما كان لصحة تعقيب الفعل الفعل الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم وفي النمل أخرجوا آل لوط ليكون ما في النمل تفسير الهذه

فمكثت الناقة التى أخرجها الله لهم معها تسقيها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فقال لهم صالح عليه السلام هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقال الله لصالح ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر أى ان الماء نصفان لهم يوم ولها يوم وهى محتضرة فيومها لا تدع شربها وقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت فيما بلغنى والله أعلم اذا وردت وكانت تردغبا وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة فيزعمون أنها منها كانت تشرب اذا وردت تضع رأسها فيها فما ترفعه حتى تشرب كل قطرة ماء فى الوادى ثم ترفع رأسها فتفسح يعنى تفحج لهم فيحتلبون ماشاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا كل آنيتهم ثم تصدر من غير الفج الذى منه وردت لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لضيقه عنها فلا ترجع منه حتى اذا كان الغد كان يومهم فيشربون ماشاؤا من الماء ويدخرون ماشاؤا اليوم الناقة فهم من ذلك فى سعة وكانت الناقة فيما يذكرون تصيف اذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها المواشى أغنامهم وأبقارهم وابلهم فتهبط الى بطن الوادى فى حره وجدبه وذلك أن المواشى تنفر منها اذا رأتها وتشتو فى بطن الوادى اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار وكانت مراتعها فيما يزعمون الحباب وحسمى كل ذلك ترعى مع وادى الحجر فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وأجمعوا فى عقر الناقة رأيهم وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بام غنم وهى من بنى عبيد بن المهل أخى دميل بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وكانت ذات مال من ابل وبقر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا بن زهير بن المحيا سيد بنى عبيد وصاحب أوثانهم فى الزمن الاول وكان الوادى يقال له وادى المحيا وهو المحيا الاكبر جد المحيا الاصغر أبى صدوف وكانت صدوف من أحسن الناس وكانت غنية ذات مال من ابل وغنم وبقر وكانتا من أشد امرأتين فى ثمود عداوة لصالح وأعظمهم به كفرا وكانتا يحبان أن تعقر الناقة مع كفرهما به لما أضرت به من مواشيهما وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بنى هليل فأسلم فحسن اسلامه وكانت صدوف قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رق المال فاطلعت على ذلك من اسلامه صدوف فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله والى الاسلام فأبت عليه وسبت ولده فأخذت بنيه وبناته منه فغيبتهم فى بنى عبيد بطنها الذى هى منه وكان صنتم زوجها من بنى هليل وكان ابن خالها فقال لها ردى على ولدى فقالت حتى أنا فرك الى بنى صنعان بن عبيد أو الى بنى جندع بن عبيد فقال لها صنتم بل أنا أقول الى بنى مرداس بن عبيد وذلك ان بنى مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا فى الاسلام وأبطأ عنه الآخرون فقالت لا أنا فرك الا الى من دعوتك اليه فقال بنو مرداس والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته اياهم ثم ان صدوف وعنيزة تحيلا فى عقر الناقة للشقاء الذى نزل فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقره الناقة وعرضت عليه نفسها بذلك ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وكانت غنية كثيرة المال فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع رجلا من أهل قرح وكان قدار رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان لزنية من رجل يقال له صهياد ولم يكن لابيه سالف الذى يدعى اليه ولكنه قد ولد على فراش سالف وكان يدعى له وينسب اليه فقالت أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشراف رجال ثمود وكان

الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح فى الأولى وكنى فى الثانية قال فى الكشاف يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد أن ذلك العمل فى موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد أنهم يتباعدون عن المعاصى والآثام فأنجيناه وأهله أى أنصاره وأتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس أراد المتصلين به فى النسب بدليل قوله الا امرأته يقال امرأة الرجل بمعنى زوجته ولا يقال مرء المرأة يعنى زوجها لان الملكية حق الزوج كانت من الغابرين وفى النمل قدرناها من الغابرين أى كانت فى علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتأخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء أى من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا أو التذكير لتغليب

قدار عزيزا منيعا فى قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستنفرا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فكانوا تسعة نفر أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له (١) هويل بن مبلغ خال قدار بن سالف أخو أمه لابيها وأمها وكان عزيزا من أهل حجر ودعير بن غنم بن داعر وهو من بنى حلاوة بن المهل ودأب بن مهرج أخو مصدع بن مهرج وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل أخرى فرمت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فأسفرت عنه لقدار وأرته اياه ثم ذمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن فى لبتها فنحرها وانطلق سقبها حتى أتى جبلا منيعا ثم أتى صخرة فى رأس الجبل فرغا ولاذ بها واسم الجبل فيما يزعمون صور فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد عقرت قال انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته فاتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه فلما قال لهم صالح أبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له وهم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيهم الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس يعنى يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة يعنى يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار يعنى يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول يعنى يوم الاحد فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا يكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك والنفر الذين رضختهم الملائكة بالحجارة التسعة الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون الى قوله لآية لقوم يعلمون فأصبحوا من تلك الليلة التى انصرفوا فيها عن صالح ووجوههم مصفرة فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج صالح هاربا منهم حتى لجأ الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل يكنى بابى هدب وهو مشرك فغيبه فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح فعذبوهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم يا نبى الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم عليك قال نعم فدلهم عليه ميدع بن هرم فلما علموا بمكان صالح أتوا أبا هدب فكلموه فقال لهم عندى صالح وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا يمارون فى وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرة ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرة ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة حتى اذا كان ليلة الاحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين وتخلف رجل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم فنزل قرح وهى وادى القرى وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلا فنزل على سيدهم رجل يقال له عمرو بن غنم وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشترك

(١) وقع فى هذه القصة أسماء لم نقف عليها بعد البحث فلتحرر

الذكور وكانت كافرة موالية لاهل سدوم روى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال (وأمطرنا عليهم مطرا) أى أرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرا منهم كان فى الحرم

فى قتلها فقال له ميدع بن هرم يا عمرو بن غنم اخرج من هذا البلد فان صالحا قال من أقام فيه هلك ومن خرج منه نجا فقال عمرو ما شركت فى عقرها وما رضيت ما صنع بها فلما كانت صبيحة الاحد أخذتهم الصيحة فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك الا جارية مقعدة يقال لها الدريعة وهى كليبة ابنة السلق كانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع ما يرى شئ قط حتى أتت حيا من الأحياء فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود منه ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر أخبرنى من سمع الحسن يقول لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد تلا فقال يا رب أين أمى ثم رغا رغوة فنزلت الصيحة فأخذتهم **حدثنى** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن بنحوه الا انه قال أصعد تلا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة تمتعوا ثلاثة أيام وقال لهم آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرة ثم تصبح اليوم الثانى محمرة ثم تصبح اليوم الثالث مسودة فأصبحت كذلك فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم قال قتادة قال عاقر الناقة لهم لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين فجعلوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم والصبى حتى رضوا أجمعين فعقرها **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم الصيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم الا رجلا واحدا كان فى حرم الله قيل من هو قال أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه ۞ قال عبد الرزاق قال معمر وأخبرنى اسمعيل بن أمية أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبى رغال فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر أبى رغال قالوا فمن أبو رغال قال رجل من ثمود كان فى حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عليه فاستخرجوا الغصن ۞ قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهرى أبو رغال أبو ثقيف **حدثنا** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن جابر قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر ثم ذكر نحوه الا انه قال فى حديثه قالوا من هو يا رسول الله قال أبو رغال **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة قال كان يقال ان أحمر ثمود الذى عقر الناقة كان ولد زنية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى اسحق قال قال أبو موسى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وأخبرنى اسمعيل بن أمية بنحو هذا يعنى بنحو حديث عبد الله بن عثمان بن خيثم عن جابر قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبر أبى رغال قالوا ومن أبو رغال قال أبو ثقيف كان فى الحرم لما أهلك الله قومه منعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب قال فابتدره القوم يبحثون عنه حتى استخرجوا ذلك الغصن ۞ وقال الحسن كان للناقة يوم ولهم يوم فأضر بهم **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى قال لما مر النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذى

أصابهم

فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر) يا محمد أو كل من له أهلية النظر والاعتبار (كيف كان عاقبة المجرمين) وهذه الأمة وان أمنت من عذاب الاستئصال الا أن الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغى أن ينفك عنه على أن عذاب الآخرة أشد وأبقى ولم يأمنوه بعد ۞ مسائل الاولى مذهب الشافعى أن اللواط يوجب الحد لانه ثبت فى شريعة

أصابهم ثم قال هذا وادى النفر ثم رفع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادى وأما قوله ولا تمسوها بسوء فانه يقول ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر فيأخذكم عذاب أليم يعنى موجع ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه واعظا لهم واذكروا أيها القوم نعمة الله عليكم اذ جعلكم خلفاء يقول تخلفون عادا فى الارض بعد هلاكها وخلفاء جمع خليفة وانما جمع خليفة خلفاء وفعلاء انما هى جمع فعيل كالشركاء جمع شريك والعلماء جمع عليم والحلماء جمع حليم لانه ذهب بالخليفة الى الرجل فكأن واحدهم خليف ثم جمع خلفاء فأما لو جمعت الخليفة على أنها نظيرة كريمة وحليلة ورغيبة قيل خلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب اذ كانت من صفات الاناث وانما جمعت الخليفة على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن لانها جمعت مرة على لفظها ومرة على معناها وأما قوله وبوأكم فى الارض فانه يقول وأنزلكم فى الارض وجعل لكم فيها مساكن وأزواجا تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا اذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وتنحتون الجبال بيوتا كانوا ينقبون فى الجبال البيوت وقوله فاذكروا آلاء الله يقول فاذكروا نعمة الله التى أنعمها عليكم ولا تعثوا فى الارض مفسدين. وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول لا تسيروا فى الارض مفسدين وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والايمان بالله وبه للذين استضعفوا يعنى لاهل المسكنة من اتباع صالح والمؤمنين به منهم دون ذوى شرفهم وأهل السؤدد منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه أرسله الله الينا واليكم قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم انا بما أرسل الله به صالحا من الحق والهدى مؤمنون يقول مصدقون مقرون أنه من عند الله وأن الله أمر به وعن أمر الله دعانا صالح اليه قال الذين استكبروا عن أمر الله وأمر رسوله صالح انا أيها القوم بالذى آمنتم به يقول صدقتم به من نبوة صالح وأن الذى جاء به حق من عند الله كافرون يقول جاحدون منكرون لا نصدق به ولا نقر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره فعقرت ثمود الناقة التى جعلها الله لهم آية وعتوا عن أمر ربهم يقول تكبروا وتجبروا عن اتباع الله واستعلوا عن الحق كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعتوا علوا عن الحق لا يبصرونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد عتوا عن أمر ربهم علوا فى الباطل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فى قوله فعتوا عن أمر ربهم قال عتوا فى الباطل وتركوا الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وعتوا عن أمر ربهم قال علوا فى الباطل وهو من قولهم جبار عات اذا كان عاليا فى تجبره وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا

لوط فالأصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ فى شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالآية دلت على أن هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص وقال أبو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول ففى عقوبة الفاعل قولان أحدهما أن عقوبته القتل محصنا كان أو لم يكن لما روى

يقول قالوا جئنا ياصالح بما تعدنا من عذاب الله ونقمته استعجالا منهم للعذاب ان كنت من المرسلين يقول ان كنت لله رسولا الينا فان الله ينصر رسله على أعدائه فعجل ذلك لهم كما استعجلوه يقول جل ثناؤه فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ يقول تعالى ذكره فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة وهى الصيحة والرجفة الفعلة من قول القائل رجف بفلان كذا يرجف رجفا وذلك اذا حركه وزعزعه كما قال الاخطل

إما ترينى حنانى الشيب من كبر ۞ كالنسر أرجف والانسان مهدود

وانما عنى بالرجفة ههنا الصيحة التى زعزعتهم وحركتهم للهلاك لان ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الرجفة قال الصيحة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فأخذتهم الرجفة وهى الصيحة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فأخذتهم الرجفة قال الصيحة وقوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين يقول فأصبح الذين أهلك الله من ثمود فى دارهم يعنى فى أرضهم التى هلكوا فيها وبلدتهم وذلك وحد الدار ولم يجمعها فيقول فى دورهم وقد يجوز أن يكون أراد بها الدور ولكن وجه بالواحدة الى الجمع كما قيل والعصر ان الانسان لفى خسر وقوله جاثمين يعنى سقوطا صرعى لا يتحركون لانهم لا أرواح فيهم قد هلكوا والعرب تقول للبارك على الركبة جاثم ومنه قول جرير

عرفت المنتأى وعرفت منها ۞ مطايا القدر كالحدإ الجثوم

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين قال ميتين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ يقول تعالى ذكره فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله خارجا عن أرضهم من بين أظهرهم لان الله تعالى ذكره أوحى اليه انى مهلكهم بعد ثلاثة وقيل انه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله احلال عقوبته بهم فقال فتولى عنهم صالح وقال لقومه ثمود لقد أبلغتكم رسالة ربى وأديت اليكم ما أمرنى بادائه اليكم ربى من أمره ونهيه ونصحت لكم فى أدائى رسالة الله اليكم فى تحذيركم بأسه باقامتكم على كفركم به وعبادتكم الاوثان ولكن لا تحبون الناصحين لكم فى الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم الصادين لكم عن شهوات أنفسكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا لوطا ولو قيل معناه واذكر لوطا يا محمد اذ قال لقومه اذ لم يكن فى الكلام صلة الرسالة كما كان فى ذكر عاد وثمود كان مذهبا وقوله اذ قال لقومه يقول حين قال لقومه من سدوم والهم كان أرسل لوط أتأتون الفاحشة وكانت فاحشتهم التى كانوا يأتونها التى عاقبهم الله عليها اتيان الذكور ما سبقكم بها من أحد من العالمين يقول ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين وذلك كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن عمرو بن دينار قوله ما سبقكم

انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه الفاعل والمفعول وأصحهما أن حده حد الزنا فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطء ويختلف فيه البكر والثيب كالاتيان فى القبل وعلى قول القتل فيه وجوه أحدها يقتل بالسيف كالمرتد والثانى وبه قال مالك وأحمد يرجم تغليظا ويروى عن على عليه السلام أيضا والثالث يهدم عليه جدار أو يرمى من شاهق جبل ليموت أخذا من عذاب قوم لوط وأما المفعول فان

بهامن أحد من العالمين قال مارؤى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه توبيخا منه لهم على فعلهم انكم أيها القوم لتأتون الرجال فى أدبارهم شهوة منكم لذلك من دون الذى أباحه الله لكم وأحله من النساء بل أنتم قوم مسرفون يقول انكم لقوم تاتون ماحرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا وذلك هو الاسراف فى هذا الموضع والشهوة الفعلة وهى مصدر من قول القائل شهيت هذا الشئ أشهاه شهوة ومن ذلك قول الشاعر

وأشعث يشهى النوم قلت له ارتحل * اذا ما النجوم أعرضت واسبطرت

فقام يجر البرد لو أن نفسه * يقال له خذها بكفيك جرت

۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون﴾ يقول تعالى ذكره وما كان جواب قوم لوط للوط اذ ونهم على فعلهم القبيح وركوبهم ماحرم الله عليهم من العمل الخبيث الا أن قال بعضهم لبعض أخرجوا لوطا وأهله ولذلك قيل أخرجوهم بجمع وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره وقد يحتمل أن يكون انما جمع بمعنى أخرجوا لوطا ومن كان على دينه من قريتكم فاكتفى بذكر لوط فى أول الكلام عن ذكر أتباعه ثم جمع فى آخر الكلام كما قيل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع انهم أناس يتطهرون يقول ان لوطا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحن من اتيان الرجال فى الادبار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد النخعى عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن مجاهد انهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله انهم أناس يتطهرون قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الحسن بن عمارة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال ومن أدبار النساء حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انهم أناس يتطهرون قال يتحرجون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انهم أناس يتطهرون يقول عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط اياهم على ما يأتون من الفاحشة وابلاغه اياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم الا التمادى فى غيهم أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به إلا امرأته فانها كانت للوط خائنة وبالله كافرة وقوله من الغابرين يقول من الباقين وقيل من الغابرين ولم يقل الغابرات لانه يريد أنها ممن بقى مع الرجال فلما ضم ذكرها الى ذكر الرجال قيل من الغابرين والفعل منه غبر يغبر غبورا وغبرا وذلك اذا بقى كما قال الأعشى

عض بما أبقى المواسى له * من أمه فى الزمن الغابر

(وكما قال الآخر)

وأبى الذى فتح البلاد بسيفه * فأذلها لبنى أبان الغابر

يعنى الباقى فان قال قائل فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذى هلك به قوم لوط قيل لا بل

كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنا فيجلد ويغرب محصنا كان أو لم يكن وان أتى امرأة فى دبرها ولا ملك ولا نكاح فالأظهر أنه لواط لانه اتيان فى غير المأتى ويجىء فى الفاعل والمفعول ماذكرنا وقيل انه زنا لانه وطء أنثى فأشبه الوطء فى القبل فعلى هذا حده حد الزنا بلا خلاف وترجم المرأة ان كانت

كانت فيمن هلك فان قال فكيف قيل الا امرأته كانت من الغابرين وقد قلت ان معنى الغابر الباقى فقد وجب أن تكون قد بقيت قيل ان معنى ذلك غير الذى ذهبت اليه وانما عنى بذلك الا امرأته كانت من الباقين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير ومر بهم زمن كثير حتى هرمت فيمن هرم من الناس فكانت ممن غبر الدهر الطويل قبل هلاك القوم فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب وقيل معنى ذلك من الباقين فى عذاب الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا عجوزا فى الغابرين فى عذاب الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ يقول تعالى ذكره وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطا ولم يؤمنوا به مطرا من حجارة من سجيل أهلكناهم به فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يقول جل ثناؤه فانظر يا محمد الى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط فاجترموا معاصى الله وركبوا الفواحش واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال كيف كانت والى أى شئ صارت هل كانت الا البوار والهلاك فان ذلك أو نظيره من العقوبة عاقبة من كذب واستكبر عن الايمان بالله وتصديق ان لم يتوبوا من قومك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ولد مدين ومدين هم ولد مدين بن ابراهيم خليل الرحمن فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فان كان الامر كما قال فمدين قبيلة كتميم وزعم أيضا ابن اسحق أن شعيبا الذى ذكر الله أنه أرسله اليهم من ولد مدين هذا وانه شعيب بن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية يثرون فتأويل الكلام على ما قاله ابن اسحق ولقد أرسلنا الى ولد مدين أخاهم شعيب بن ميكيل يدعوهم الى طاعة الله والانتهاء الى أمره وترك السعى فى الارض بالفساد والصد عن سبيله فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ما لكم من اله يستوجب عليكم العبادة غير الاله الذى خلقكم وبيده نفعكم وضركم قد جاءتكم بينة من ربكم يقول قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعوكم اليه فأوفوا الكيل والميزان يقول أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذى تكيلون به وبالوزن الذى تزنون به ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها ومن ذلك قولهم بخسها حقها وهى باخسة بمعنى ظالمة ومنه قول الله وشروه بثمن بخس يعنى به رديء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول لا تظلموا الناس أشياءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبخسوا الناس أشياءهم قال لا تظلموا الناس أشياءهم وقوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها يقول ولا تعملوا فى أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله اليكم نبيه من عبادة غير الله والاشراك به وبخس الناس فى الكيل والوزن بعد اصلاحها يقول بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبى عليه السلام فيكم ينهاكم عما لا يحل لكم وما يكرهه الله لكم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وايفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد فى الأرض خير لكم فى عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقى فيما أقول لكم وأؤدى اليكم عن الله من أمره ونهيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقعدوا بكل صراط

محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته أو جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة ۞ التأويل هذه ناقة الله معجزة الخواص أن يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء بسقب سر السر وهو الخفى وناقة الله هى التى تحمل أمانة معرفته وتعطى ساكنى بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الالهية فذروها ترتع فى رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بسوء مخالفات الشريعة ومعارضات

توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تجلسوا بكل طريق وهو الصراط توعدون المؤمنين بالقتل وكانوا فيما ذكر يقعدون على طريق من قصد شعيبا وأراده ليؤمن به فيتوعدونه ويخوفونه ويقولون انه كذاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بكل صراط توعدون قال كانوا يوعدون من أتى شعيبا وغشيه فأراد الاسلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون والصراط الطريق يخوفون الناس أن يأتوا شعيبا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله قال كانوا يجلسون في الطريق فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا عليه السلام كذاب فلا يفتننكم عن دينكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى بكل صراط توعدون كل سبيل حق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن السدي ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال العشارون حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر الرازي قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا خرقته قال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون وهذا الخبر الذي ذكرناه عن أبي هريرة يدل على أن معناه كان عند أبي هريرة أن نبي الله شعيبا انما نهى قومه بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون عن قطع الطريق وأنهم كانوا قطاع الطريق وقيل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولو قيل في غير القرآن لا تقعدوا في كل صراط كان جائزا فصيحا في الكلام وانما جاز ذلك لان الطريق ليس بالمكان المعلوم فجاز ذلك كما جاز أن يقال قعد له بمكان كذا وعلى مكان كذا وفي مكان كذا وقال توعدون ولم يقل تعدون لان العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد تقول أوعدته بالالف وتقدم مني اليه وعيد فاذا بينت عما أوعدت وأفصحت به قالت وعدته خيرا ووعدته شرا بغير ألف كما قال جل ثناؤه النار وعدها الله الذين كفروا وأما قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به فانه يقول وتردون عن طريق الله وهو الرد عن الايمان بالله والعمل بطاعته من آمن به يقول تردون عن طريق الله من صدق بالله ووحده وتبغونها عوجا يقول وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته عوجا عن القصد والحق الى الزيغ والضلال كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتصدون عن سبيل الله قال أهلها وتبغونها عوجا تلتمسون لها الزيغ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وتبغونها عوجا قال تبغون السبيل عن الحق عوجا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وتصدون عن سبيل الله عن الاسلام

الطريقة فيأخذكم عذاب أليم بالانقطاع عن مواصلات الحقيقة اذ جعلكم خلفاء مستعدين للخلافة وبوأكم في أرض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان وتنحتون من جبال أطوار القلب بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا آلاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب تلويح السر فالترويح بوجود المسار والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في الارض القلب

تبغون السبيل عوجا هلا كا وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا قليلا عددهم وأن رفعهم من الذلة والخساسة يقول لهم فاشكروا الله الذى أنعم عليكم بذلك وأخلصوا له العبادة واتقوا عقوبته بالطاعة واحذروا نقمته بترك المعصية وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يقول وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من المثلات والنقمات وكيف وجدوا عقبى عصيانهم اياه ألم يهلك بعضهم غرقا بالطوفان وبعضهم رجما بالحجارة وبعضهم بالصيحة والافساد فى هذا الموضع معناه معصية الله

القول فى تأويل قوله ﴿وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره وان كان طائفة منكم وان كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا يقول صدقوا بالذى أرسلت به من اخلاص العبادة لله وترك معاصيه وظلم الناس وبخسهم فى المكاييل والموازين فاتبعونى على ذلك وطائفة لم يؤمنوا يقول وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم يتبعونى عليه فاصبروا حتى يحكم الله بيننا يقول فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين يقول والله خير من يفصل وأعدل من يقضى لانه لا يقع فى حكمه ميل الى أحد ولا محاباة لأحد والله أعلم

﴿تم الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء التاسع أوله القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾

بالفساد للاستعداد الفطرى الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا من أوصاف القلب والروح أتعلمون أن صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القلب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا أى النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فأخذتهم رجفة الموت فأصبحوا فى دار قالبهم جاثمين والله العزيز

تم الجزء الثامن من تفسير النيسابورى ويليه الجزء التاسع وأوله والى مدين أخاهم شعيبا الآيات

* (فهرست الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى) *

صحيفة	
٢	بيان أن أى معجزة لا تفيد الهداية ما لم يخلقها الله فى القلوب
٤	بيان أن للجن شياطين يضلونهم كما أن للانس شياطين
٩	بيان ما تشرع التسمية عليه
١٣	بيان الشبه التى ألقاها المشركون فى أمر تحريم الميتة
١٧	بيان مثل المتخلص من الشبه والواقع فيها
٢١	بيان العلامات التى يستدل بها على هداية الله للشخص
٢٣	بيان العلامة التى تدل على الشقاء وبيان أن السبب الذى به توصل الى الايمان غير السبب الذى توصل به الى الكفر وأن الكل من الله
٢٧	بيان الخلاف هل أرسل الى الجن رسل منهم أم لا
٣٠	بيان ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من فرض نصيب لآلهتهم فى الحرث والنعم
٣٨	ذكر كيفية وأد البنات فى الجاهلية وبيان أن ذلك كان فى ربيعة ومضر أيضا
٤٤	بيان أن آية وآتوا حقه يوم حصاده منسوخة بالزكاة وأنه ليس فى المال صدقة واجبة سوى الزكاة
٤٥	بيان الاسراف المحرم ما هو
٥١	بيان الاصناف المحرم أكلها
٥٤	بيان ما حرم على اليهود من أصناف الحيوان
٥٧	بيان أن المشركين اشتبه عليهم الرضا بالمشيئة فقالوا لو شاء الله ما أشركنا ورد الله ذلك عليهم
٦٢	بيان متى يجوز الأكل من مال اليتيم
٦٤	بيان أن سبل البدع والشبهات كثيرة وأن الميل الى واحد منها يبعد عن الاسلام
٦٩	ذكر أن الحجة لا تقوم الا بانزال الكتب
٧١	ذكر طلوع الشمس من مغربها
٧٨	بيان أن أهل البدع هم ممن فرقوا دينهم
٧٩	بيان معنى الحسنة التى يجازى عليها عشر أمثالها وأنها حسنة مخصوصة وكذلك السيئة
٨٥	* (تفسير سورة الاعراف) *
٩١	بيان أن الميزان الذى توزن به الاعمال هو الميزان المعروف
١٠٠	بيان فساد ما يقوله القدرية من أن الايمان والكفر من أفعال العبد وان الله فوض اليه الاسباب
١٠٦	بيان ما تم لآدم حين أكل من الشجرة
١١٢	بيان أولى الاقوال فى تفسير لباس التقوى
١١٤	بيان ما كانت أهل الجاهلية تفعله فى الطواف
١٢٢	بيان أن الطيبات فى الدنيا لأهل الطاعة وان شاركهم فيها غيرهم
١٢٨	بيان أن السماء تفتح لارواح المؤمنين وتغلق لارواح غيرهم
١٣١	بيان أن الجمل يطلق على حبل السفينة
١٣٦	بيان الأعراف وصفة أهلها
١٤٠	بيان السيما التى يعرف بها أهل الجنة وأهل النار
١٤٢	بيان الشفاعة التى تكون يوم القيامة
١٥١	بيان عدد أهل السفينة الذين كانوا مع نبى الله نوح عليه السلام
١٥٣	ذكر قصة عاد
١٥٨	ذكر قصة ثمود
١٦٤	ذكر قصة لوط
١٦٦	ذكر نسب شعيب

* (تم فهرست الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير) *

* (فهرست الجزء الثامن من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثامن من تفسير ابن جرير) *

صحيفة	
٢	تفسير قوله ولو أننا نزلنا الآيات وبيان ما فيها من القرا آت والوقوف
٥	بيان أن شياطين الانس أشد من شياطين الجن
٧	بيان أن كل ما حصل فى القرآن نوعان الخبر والتكليف
١٢	تأويل تلك الآيات
١٣	تفسير قوله أومن كان ميتا الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٤	بيان السبب فى اسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم
١٦	بيان أن النفوس متفاوتة وأن الرسل أيضا كذلك
١٨	ذكر ما حصل بين الاشعرى والجبائى من المناظرة وما انتصر به بعضهم للجبائى ورده
٢٥	تأويل تلك الآيات
٢٦	تفسير قوله ذلك أن لم يكن ربك الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٣٢	ذكر ما كانت تفعله أهل الجاهلية بالانعام
٣٣	تاويل تلك الآيات
٣٣	تفسير قوله وهو الذى أنشأ جنات الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٣٦	بيان أن صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل لا الوجوب ولا الاباحة وبيان ما استدل به الامام أبو حنيفة على وجوب الزكاة فى الثمار
٤٣	تأويل تلك الآيات
٤٤	تفسير قوله قل تعالوا الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٥١	بيان مقدار ما يضاعف على الحسنات وجملة أسئلة مع أجوبتها فى ذلك
٥٤	تأويل تلك الآيات
٥٦	(تفسير سورة الاعراف)
٥٨	بيان أن نفوس العالم قسمان ما ينفعه الذكرى وما ينفعه الانذار

صحيفة	
٦١	بيان الميزان وما يوزن به وكيف يوزن
٦٣	تأويل تلك الآيات
٦٤	تفسير قوله ولقد خلقناكم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٦٧	بيان الاشياء التى توهمها ابليس فى أفضلية النار على الطين وردها عليه
٧٢	بيان القوى الاربع التى فى الجسم وأنها توجب فوات السعادات الروحانية
٧٧	تأويل تلك الآيات
٨٠	تفسير قوله يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٨٤	بيان ما كانت العرب تفعله عند طوافها بالبيت
٨٥	بيان ما حصل بين طبيب الرشيد النصرانى وبين ابن واقد من كون القرآن فيه طب أم لا
٨٨	تأويل تلك الآيات
٩٠	تفسير قوله يابنى آدم اما يأتينكم الآيات وقرا آتها ووقوفها
٩٤	بيان مذهب أهل التناسخ فى تعذيب الارواح
٩٦	تأويل تلك الآيات
٩٧	تفسير قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٠٠	بيان أهل الاعراف وما قيل فيهم
١٠٤	تأويل تلك الآيات
١٠٥	تفسير قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٠٧	بيان معنى الاستواء على العرش وما فيه من المذاهب والردود
١١٥	بيان بعض خواص الشمس والقمر والسيارات وأنها مسخرة بأمره
١١٦	ذكر مسائل استنبطها العلماء من الآية الشريفة

صحيفة		صحيفة	
١٢٠	بيان التفصيل فى كون عبادة السر أفضل أو الجهر	١٤٣	بيان مساكن عاد وذكر طرف من تاريخهم
١٢٤	بيان ما قالته الحكماء فى أسباب وجود الريح	١٤٤	تأويل هذه الآيات
١٣٠	تأويل تلك الآيات	١٤٤	تفسير قوله والى ثمود أخاهم صالحا الآيات وبيان القراآت والوقوف التى فيها
١٣١	تفسير قوله لقد أرسلنا نوحا الى قومه الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٤٦	بيان نسب ثمود
		١٥٤	ذكر قصة ثمود
١٣٨	بيان نسب هود عليه السلام	١٦٢	مسائل تتعلق باللواط
		١٦٦	تأويل تلك الآيات

* (تم فهرست الجزء الثامن من تفسير النيسابورى)

الجـــزء التـاسع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٧ هجريه

﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم
اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل
والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم
ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون وتصدون عن سبيل الله
من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين وان
كان طائفة منكم آمنوا بالذي
أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين
قال الملأ الذين استكبروا من
قومه لنخرجنك ياشعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن
في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما
يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء
الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما
على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين
وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن
اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في
دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا
كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال
ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم فكيف آسى على
قوم كافرين﴾ القراءة كما مر
* الوقوف شعيبا ط غيره ط
اصلاحها ط مؤمنين ج ه لعطف
المتفقتين أو وقوع العارض أو رأس
الآية عوجا ج لاتفاق الجملتين

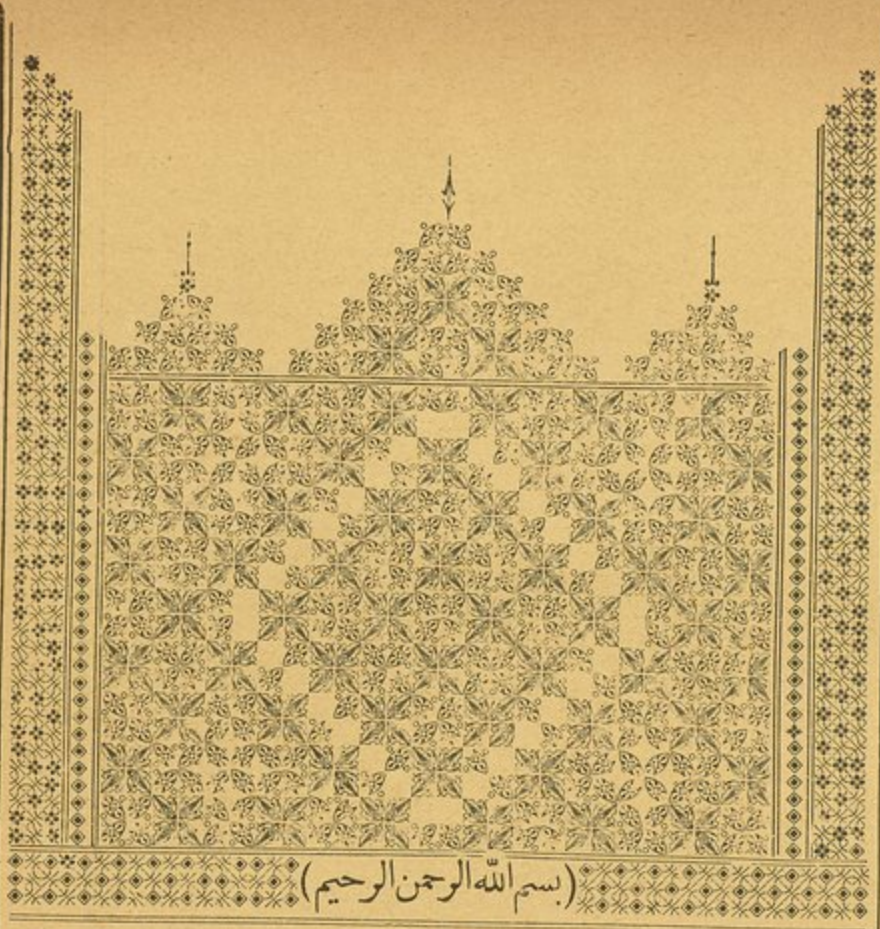

﴿القول في تأويل قوله ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾ يقول تعالى ذكره قال الملأ الذين استكبروا
يعني بالملأ الجماعة من الرجال ويعني بالذين استكبروا الذين تكبروا عن الايمان بالله والانتهاء الى
أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم وكفرهم به لنخرجنك
ياشعيب ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا يقول
لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه قال شعيب مجيبا لهم أولو كنا كارهين ومعنى الكلام
أن شعيبا قال لقومه أتخرجوننا من قريتكم وتصدوننا عن سبيل الله ولو كنا كارهين لذلك ثم
أدخلت ألف الاستفهام على واو ولو ﴿القول في تأويل قوله ﴿قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على
الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ يقول جل ثناؤه قال شعيب لقومه
اذ دعوه الى العود الى ملتهم والدخول فيها وتوعدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم ان لم يفعل ذلك هو
وهم قد افترينا على الله كذبا يقول قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن
عدنا في ملتكم فرجعنا فيها بعد اذ أنقذنا الله منها بأن بصرنا خطأها وصواب الهدى الذي نحن عليه
وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها ونترك الحق الذي نحن عليه الا أن يشاء الله ربنا الا أن
يكون سبق لنا في علم الله أنا نعود فيها فيمضي فينا حينئذ قضاء الله فينفذ مشيئته علينا وسع ربنا
كل شئ علما يقول فان علم ربنا وسع كل شئ فأحاط به فلا يخفى عليه شئ كان ولا شئ هو كائن فان
يكن سبق لنا في علمه أنا نعود في ملتكم فلا يخفى عليه شئ كان ولا شئ هو كائن فلا بد من أن يكون

مع طول الكلام فكثركم ج لعطف المتفقتين المفسدين ○ بيننا ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف الحاكمين ○ ملتنا ط كارهين ○ وقيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان أقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه منها ط الله ط ربنا ط علما ط توكلنا ز للعدول الفاتحين ○ الخاسرون (٣) ○ جاثمين ○ ج ان وصل وقف على

ماقد سبق فى علمه والا فانا غير عائدين فى ملتكم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق يقول ما ينبغى لنا أن نعود فى شرككم بعد اذ نجانا الله منها الا أن يشاء الله ربنا فالله لا يشاء الشر لك ولكن يقول الا أن يكون الله قد علم شيأ فانه وسع كل شئ علما وقوله على الله توكلنا يقول على الله نعتمد فى أمورنا واليه نستند فيما تعدوننا به من شركم أيها القوم فانه الكافى من توكل عليه ثم فزع صلوات الله عليه الى ربه بالدعاء على قومه اذ أيس من فلاحهم وانقطع رجاؤه من اذعانهم لله بالطاعة والاقرار له بالرسالة وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمنى قومه من فسقتهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة فقال ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق يقول احكم بيننا و بينهم بحكمك الحق الذى لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ولكنه عدل وحق وأنت خير الفاتحين يعنى خير الحاكمين ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضى الفاتح والفتاح وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب أنه من لغة مراد وأنشد لبعضهم بيتا وهو (١) ألا أبلغ بنى عصم رسولا * فانى عن فتاحتكم غنى

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال ما كنت أدرى ما قوله ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفاتحك يعنى أقاضيك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق يقول اقض بيننا و بين قومنا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو كريب قال ثنا مسعر قال سمعت قتادة يقول قال ابن عباس ما كنت أدرى ما قوله ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفاتحك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله افتح بيننا و بين قومنا بالحق أى اقض بيننا و بين قومنا بالحق **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة افتح بيننا و بين قومنا بالحق اقض بيننا و بين قومنا بالحق **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله افتح بيننا فيقول احكم بيننا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصرى افتح احكم بيننا و بين قومنا وانا فتحنا لك فتحا مبينا حكمنا لك حكما مبينا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس افتح اقض **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير قال ثنا مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال لم أكن أدرى ما افتح بيننا و بين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها انطلق أفاتحك ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا

(١) الذى فى اللسان * ألا من مبلغ عمرا رسولا * الخ قال والبيت للاشعر الجعفى اه مصححه

كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا من الضمير فى أصبحوا وكأن لم يغنوا حال لمعنى الفعل فى الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا من الذين الاول وقف على شعيب و يستأنف بكانوا ولا يحلو من تعسف الخاسرين ○ ونصحت لكم ط لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع أن فيه فاء التعقيب كافرين ○ والله أعلم

﴿التفسير﴾

القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن توبب بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه أمرهم باشياء الاول عبادة الله أمرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر فى شرائع جميع الانبياء الثانى تصديق ما ادعاه من النبوة وأشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة أى معجزة دالة على نبوتى ففى الآية دلالة مجملة على أن لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغى لكل مدعى نبوة والا كان متنبئا غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه يحكى أنه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا ثربت التنين وأيضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد أولادا عنقها أسود وسائرها أبيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما أخبر وكل ذلك قبل أن يستنبأ موسى فقال أهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى و يسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على أن الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فأوفوا الكيل الآية واعلم أن للانبياء عليهم السلام أن يبدؤا فى الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف فكأنه يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشئ القليل وهو أمر

مستقبح فى العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل والميزان قال فى الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما فى سورة هود لانه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل و وزن الميزان أو الميزان مصدر (٤) كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس قال ثعلب وان شئت قلت باخسة وذلك بتأويل الانسان أو النسمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة خص أولا ثم عم ليشمل جميع أنواع الظلم كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال يروى أنهم كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هى زيوف فقطعوها قطعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر وأعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا فى الارض وهذا أعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة دنيوية أو دينية والمعنى بعد اصلاح أهلها على حذف المضاف أو هو كقوله بل مكر الليل والنهار أى بعد الاصلاح فيها يعنى اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العالمين بشرائعهم ذلكم الذى ذكر من الامور الخمسة خير لكم فى الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس فى متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى أن حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لى فى قولى ثم فصل بعض ما أجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط قيل الصراط حقيقة وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم أو كانوا يقطعون الطرق أو كانوا عشارين وقيل انه مجاز عن الدين أى لا تقعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل أن تمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا أى التصق به وعلى مكان كذا

فى غيهم لآخرين منهم لئن أنتم اتبعتم شعيبا على ما يقول وأجبتموه الى ما يدعوكم اليه من توحيد الله والانتهاء الى أمره ونهيه وأقررتم بنبوته انكم اذا لخاسرون يقول لمغبونون فى فعلكم وتركتكم ملتكم التى أنتم عليها مقيمون الى دينه الذى يدعوكم اليه وهالكون بذلك من فعلكم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ يقول فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة وقد بينت معنى الرجفة قبل وأنها الزلزلة المحركة لعذاب الله فأصبحوا فى دارهم جاثمين على ركبهم موتى هلكى وكانت صفة العذاب الذى أهلكهم الله به كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والى مدين أخاهم شعيبا قال ان الله بعث شعيبا الى مدين والى أصحاب الايكة والايكة هى الغيضة من الشجر وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن ومارد وا عليه فلما عتوا وكذبوه سألوه العذاب ففتح الله عليهم بابا من أبواب جهنم فأهلكهم الحر منه فلم ينفعهم ظل ولا ماء ثم انه بعث سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها فتنادوا الظلة عليكم بها فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم انطبقت عليهم فأهلكتهم فهو قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى اسحق قال كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله فى القرآن كانوا أهل بخس للناس فى مكاييلهم وموازينهم مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم وكان يدعوهم الى الله وعبادته وترك ظلم الناس وبخسهم فى مكاييلهم وموازينهم فقال نصحا لهم وكان صادقا ما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لى يعقوب ابن أبى سلمة اذا ذكر شعيبا قال ذاك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه فيما يرادبهم فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفى من بلادهم وعتوا على الله أخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فبلغنى أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء لما رآها قال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم سميرا وعمران بن شداد
انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على صمانة الوادى
وانكم ان تروا فيها ضحاة غد * ما فيها الا الرقيم يمشى بين أبجاد

وسمير وعمران كاهناهم والرقيم كلبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى أبو اسحق قال فبلغنى والله أعلم أن الله سلط عليهم الحر حتى أنضجهم ثم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها مما هم فيه من الحر حتى اذا دخلوا تحتها أطبقت عليهم فهلكوا جميعا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى أبو عبد الله البجلى قال أبو جاد وهوز وحطى وسعفص وقرشت أسماء ملوك مدين وكان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب كلمون فقالت أخت كلمون تبكيه

كلمون هدركنى * هلكه وسط المحله سيد القوم أتاه * حتف نار وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم

أى على ذلك المكان وفيه اذا دخل حروف الجر تتعاقب فى مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال بأحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع أن صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معالم وحدود وأحكام كثيرة كل منها فى نفسه سبيل وكانوا اذا رأوا أحدا يشرع فيها أوعدوه (٥) وصدوه والضمير فى به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة فى التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا أى تصفونها للناس بأنها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال فى الكشاف أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا تعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم أى وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة الغنى بعد الفقر وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرا فى العدة والعدة والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من أفسد قبلهم من الامم وكانوا قريبى العهد مما أصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم أولا ثم رهبهم ثانيا وأكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الآية وفيه وعد للكافرين ووعد للمؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المحجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا أى أحد الامرين كائن لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو أن الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه وجوابه أن قول الكفار ليس حجة أليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا فى ملتكم وأجيب بأن الكلام بنى على التغليب وأن شعيبا أراد عود قومه الا أنه نظم نفسه فى جملتهم لما ذكرنا أو لعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على القوم وشعيب

الخاسرين﴾ يقول تعالى ذكره فأهلك الذين كذبوا شعيبا فلم يؤمنوا به فأبادهم فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم ينزلوا قط ولم يعيشوا بها حين هلكوا يقال غنى فلان بمكان كذا فهو يغنى به غنى وغنيا اذا نزل به وكان به كما قال الشاعر

ولقد يغنى بها جيرانك المسـ * ـتمسكو منك بعهد ووصال

وقال رؤبة * وعهد مغنى دمنة بضلفعا * انما هو مفعل من غنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا كأن لم ينعموا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس كان لم يغنوا فيها يقول كان لم يعيشوا فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأن لم يغنوا فيها كأن لم يكونوا فيها قط وقوله الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يقول تعالى ذكره لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الها لكن لانه أخبر عنهم جل ثناؤه أن الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فكذبهم الله بما أحل بهم من عاجل نكاله ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما خسر تباع شعيب بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدقوا وآمنوا به ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾ يقول تعالى ذكره فأدبر شعيب عنهم شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذبوه حزنا عليهم يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى وأديت اليكم ما بعثنى به اليكم من تحذيركم غضبه على اقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم ونصحت لكم بأمرى اياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته فكيف آسى يقول فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فكيف آسى يعنى فكيف أحزن حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فكيف آسى يقول فكيف أحزن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصاب شعيبا على قومه حزن لما يرى بهم من نقمة الله ثم قال يعزى نفسه فيما ذكر الله عنه يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرفه سنته فى الامم التى قد خلت من قبل أمته ومذكر من كفر به من قريش ليتزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلنا فى قرية من نبى قبلك الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء وهو البؤس وشظف المعيشة وضيقها والضراء وهى الضر وسوء الحال فى أسباب دنياهم لعلهم يضرعون يقول فعلنا ذلك ليتضرعوا الى ربهم ويستكينوا اليه وينيبوا بالاقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا

أجرى كلامه على وفق ذلك أو انه كان فى أول أمره يخفى مذهبه فتوهموا أنه على دينهم أو أريد بالملة الشريعة التى صارت منسوخة بشرعه أو يطلق العود على الابتداء كقوله وان تكن الايام أحسن مرة * الىّ فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب فى جوابهم أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير (٦) أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهيتنا ثم صرح بأنه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك أن أصل الباب فى النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب والعود فى ملتكم ينافى ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد أن علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانه أو المراد نجى قومه فغلب أو المراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال فى الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام لان الارتداد أعظم من الكفر حيث ان المرتد يزعم أنه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل وكفره أزيد والثانى أن يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا أى ما ينبغى لنا وما يصح أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا قال أهل السنة فى الآية دلالة على أن المنجى من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدى ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبنى وبنىّ أن نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفنى مسلما أجابت المعتزلة بوجوه الاول أن قوله الا أن يشاء قضية شرطية أى ان شاء بعد وليس فيه بيان أنه شاء أم أبى الثانى أن هذا على طريق التبعيد والاحالة لا وجه كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو أكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر أفضل وما كان جائزا صح أن يكون مرادا لله تعالى كما أن المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين أفضل الرابع يحتمل أن يعود الضمير فى فيها الى قرية كأنه قال ان أخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشيئة عند أهل السنة لا توجب

أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أخذنا أهلها بالبأساء والضراء يقول بالفقر والجوع وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا فى معنى البأساء والضراء بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقيل يضرعون والمعنى يتضرعون ولكن أدغمت التاء فى الضاد لتقارب مخرجهما * القول فى تأويل قوله ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم بدلنا أهل القرية التى أخذنا أهلها بالبأساء والضراء مكان السيئة وهى البأساء والضراء وانما جعل ذلك سيئة لانه مما يسوء الناس ولا تسوءهم الحسنة وهى الرخاء والنعمة والسعة فى المعيشة حتى عفوا يقول حتى كثروا وكذلك كل شئ كثر فانه يقال فيه قد عفا كما قال الشاعر ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات الشحم كوم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكان السيئة الحسنة قال مكان الشدة رخاء حتى عفوا حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مكان السيئة الحسنة قال السيئة الشر والحسنة الرخاء والمال والولد حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مكان السيئة الحسنة قال السيئة الشر والحسنة الخير حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة يقول مكان الشدة الرخاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا قال بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا فى الدنيا حتى عفوا من ذلك العذاب وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء واختلفوا فى تأويل قوله حتى عفوا فقال بعضهم بحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى عفوا يقول حتى كثروا وكثرت أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حتى عفوا قال جموا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى عفوا قال كثرت أموالهم وأولادهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى حتى عفوا حتى كثروا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم حتى عفوا قال حتى جموا وكثروا قال ثنا جابر ابن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس حتى عفوا قال حتى جموا قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك حتى عفوا يعنى جموا وكثروا قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن مجاهد حتى عفوا قال حتى كثرت أموالهم وأولادهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى عفوا كثروا كما يكثر النبات والريش ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون وقال آخرون معنى ذلك حتى سروا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى عفوا يقول حتى سروا بذلك وهذا الذى قاله قتادة فى معنى عفوا تأويل

جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذى يوجب الجواز هو الامر فيحتمل أن يراد بالمشيئة ههنا الامر فيكون التقدير الا أن يأمر الله أن نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد أن يأمر الله تعالى بالعمل به مرة أخرى السادس قال الجبائى المراد من الملة الشريعة التى يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلاة فمن الجائز أن يكون بعض أحكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا أن يشاء الله ابقاء بعض تلك الملة فدللنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم من وجهين أحدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا أن نعود وذلك يقتضى أن كل ما شاء الله تعالى وجوده كان فعله جائزا ما أذونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مراد الله تعالى وثانيهما أن قوله لنخرجنك أو لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج أيضا بخلقه قلت للسنى أن يلتزم ذلك أما قوله وسع ربنا كل شئ فوجه تعلقه بما تقدمه على قول الجبائى هو أن التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا أن يشاء الله الا أن تختلف المصلحة فى تلك العبادات فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بأن وسع كل شئ علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو أن القوم لما قالوا لنخرجنك أو لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شئ علما فربما كان فى علمه قسم ثالث وهو أن يبقينا فى القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا أى لا على غيره وانتصاب علما على التمييز وفى قوله وسع بلفظ الماضى دلالة على أنه تعالى كان فى الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شئ عن مقتضى علمه وهو معنى جفاف الاقلام وطى الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقى ويعلم من عموم كل شئ أنه علم الماضى والحال والمستقبل وعلم المعدوم أنه لو كان كيف يكون فهذه أقسام أربعة يقع كل منها على أربعة أوجه لانه علم الماضى كيف كان وعلم أنه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا أو مستقبلا أو معدوما محضا فانه كيف يكون

لا وجه له فى كلام العرب لانه لا يعرف العفو بمعنى السرور فى شئ من كلامها الا أن يكون أراد حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم فيكون ذلك وجها وان بعدوا أما قوله وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فانه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التى كانوا فيها استدراجا وابتلاء أنهم قالوا اذ فعل ذلك بهم هذه أحوال قد أصابت من قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا ونحن لا نعدو أن نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة فى المعايش والرخاء فيها وهى السراء لانها تسر أهلها وجهل المساكين شكر نعمة الله وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالانابة الى طاعته والمسارعة الى الاقلاع عما يكرهه بالتوبة حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون يقول جل جلاله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون يقول فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة أتاهم على غرة منهم بمجيئه وهم لا يدرون ولا يعلمون أنه يجيئهم بل هم بأنه آتيهم مكذبون حتى يعاينوه ويروه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويجحدون آياته استدراج الله اياهم بما أنعم به عليهم فى دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش كما استدرج الذين قص عليهم قصصهم من الامم قبلهم فان مكر الله لا يأمنه يقول لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم واصرارهم على معصيتهم الا القوم الخاسرون وهم الهالكون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ يقول أولم يبين للذين يستخلفون فى الارض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فسار واسيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا عن أمر ربهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم يقول أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم فأخذناهم بذنوبهم وعجلنا لهم بأسنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الارض فاهلكناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم يقول ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولم يهد قال يبين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولم يهد أولم يبين حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها يقول أولم يبين لهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها يقول أولم يتبين للذين يرثون الارض من بعد أهلها هم المشركون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم نهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أولم نبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم قال والهدى البيان الذى بعث هاديا لهم مبينا لهم حتى يعرفوا ولولا البيان لم يعرفوا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره هذه القرى التى ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها يعنى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب

وكذا الكلام فى الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس أو نوع أو صنف أو شخص من الجواهر والاعراض صار مبلغا تتحير فيه عقول العقلاء بل تقف دون أول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما أعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء قائلا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدى احكم

واقض وعن ابن عباس ما أدرى ما معناه حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها تعال أفاتحك أى أى أحاكمك وجوز الزجاج أن يكون معنى الآية أظهر أمرنا حتى يتضح و ينكشف ما بيننا وبين قومنا والمراد أن ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم أثنى على الله بقوله وأنت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان فتح باب الخيرات وهو أشرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان هو العبد كان خير الفاتحين هو العبد وللمعتزلة أن يقولوا لولا ألطافه المرجحة الداعية لم يوجد الايمان من العبد فصح أن الله هو خير الفاتحين ثم بين أن رؤساء قوم شعيب لم يقتصروا على الضلال بل بادروا الى الاضلال قائلين لمن دونهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون أى فى الدين أو فى الدنيا لانه يمنعكم من ازدياد الاموال بطريق البخس والتطفيف فأخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يقال غنى القوم فى دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغانى المنازل اذا كان فيها أهلها وقال الزجاج أى كأن لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذى هو ضد الفقر وعلى التفسيرين شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط فى تلك الديار كقوله

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

قال فى الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المختصون بالخسران العظيم دون أتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء والتكرير مبالغة فى رد مقالة

نقص عليك من أنبائها فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسل الله التى أرسلت اليهم لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذب رسل الله فيرتدعوا عن تكذيبك وينيبوا الى توحيد الله وطاعته ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يقول ولقد جاءت أهل القرى التى قصصت عليك نبأها رسلهم بالبينات يعنى بالحجج البينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند رسالتنا اليهم بما كذبوا من قبل ذلك وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا ليؤمنوا عند مجىء الرسل بما سبق فى علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان فى علمه يوم أقروا له بالميثاق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والانبياء ويدعوا علم ما أخفى الله عليهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفى ذلك قال ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى زمان آدم وتصديق ذلك حيث قال لنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم وقال فى ذلك ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وفى ذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفى ذلك قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولا حجة لأحد على الله * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا ليؤمنوا بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم كما قال جل ثناؤه ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابى أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بما كذبوا من قبل قال كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * قال أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب القول الذى ذكرناه عن أبى ابن كعب والربيع وذلك أن من سبق فى علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به فلن يؤمن أبدا وقد كان سبق فى علم الله تعالى لمن هلك من الامم التى قص نبأهم فى هذه السورة أنه لا يؤمن أبدا فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون فى سابق علمه قبل مجىء الرسل عند مجيئهم اليهم ولو قيل تأويله فما كان هؤلاء الذين ورثوا الارض يا محمد من مشركى قومك من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله وعده وعيده كان وجها ومذهبا غير أنى لا أعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن وأما الذى قاله مجاهد من أن معناه لو ردوا لما كانوا ليؤمنوا فتأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا من خبر عن الرسول

صحيح

الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت والعرب قد تكرر للتفخيم والتعظيم فتقول أخولك الذى ظلمنا أخولك الذى أخذ أموالنا أخولك الذى هتك أعراضنا وأيضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى أن الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفى الآية فوائد أخر منها أن ذلك العذاب (٩) انما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك أثر الكواكب والطبيعة والاحصل فى أتباع شعيب كما حصل فى حق الكفار ومنها أن ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصى ومنها أن يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين فى بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم أن هذا التولى جائز أن يكون قبل نزول العذاب وجائز أن يكون بعده قال الكلبى خرج من بينهم ولم يعذب قوم نبى حتى أخرج من بين أظهرهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى على قوم كافرين لانهم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والأسى شدة الحزن وقيل المراد لقد أعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحتى فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك ﴿التأويل﴾ ولا تبخسوا فيه أن البخاسة والدناءة والحرص والظلم من الصفات التى يجب تزكية النفس عنها فان الله تعالى يحب معالى الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا فى الارض أرض الطبيعة التى جبل الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بأنواع الحيل والمكايد اذكنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون فى الامور وبكثرة العدد والعدد نعمة تامة يجب أن تصرف فى اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم أى الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة فى العذاب واذاقة ألم الهجران أو لتعودن فى ملتنا اشارة الى أن كل جنس لا يميل الا الى أشكاله والا وجد فى بابه من يأمن نهج اضرابه بعد اذ نجانا الله منها فى القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت لنا من خاتمة

صحيح واذا كان ذلك كذلك فأولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل وأما قوله كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فانه يقول تعالى ذكره كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الامم التى قصصنا عليك نبأهم يا محمد فى هذه السورة حتى جاءهم بأس الله فهلكوا به كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبدا من قومك ﴿القول فى تأويل قوله﴿وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التى أهلكناها واقتصصنا عليك يا محمد نبأها من عهد يقول من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله واتباع رسله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه وهجر عبادة الاوثان والاصنام والعهد هو الوصية وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته وان وجدنا أكثرهم يقول وما وجدنا أكثرهم الا فسقة عن طاعة ربهم تاركين عهده ووصيته وقد بينا معنى الفسق قبل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى وان وجدنا أكثرهم لفاسقين قال القرون الماضية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد الاية قال القرون الماضية وعهده الذى أخذه من بنى آدم فى ظهر آدم ولم يفوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب وما وجدنا لاكثرهم من عهد قال فى الميثاق الذى أخذه فى ظهر آدم عليه السلام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وذلك أن الله انما أهلك القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به ﴿القول فى تأويل قوله﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران والهاء والميم اللتان فى قوله من بعدهم هى كناية ذكر الانبياء عليهم السلام التى ذكرت من أول هذه السورة الى هذا الموضع بآياتنا يقول بحججنا وأدلتنا الى فرعون وملئه يعنى الى جماعة فرعون من الرجال فظلموا بها يقول فكفروا بها والهاء والالف اللتان فى قوله بها عائدتان على الآيات ومعنى ذلك فظلموا بآياتنا التى بعثنا بها موسى اليهم وانما جاز أن يقال فظلموا بها بمعنى كفروا بها لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه بما أغنى عن اعادته والكفر بآيات الله وضع لها فى غير موضعها وصرف لها الى غير وجهها الذى عنيت به فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا فى الارض يعنى فرعون وملأه اذ ظلموا بآيات الله التى جاءهم بها موسى عليه السلام وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا فى البحر ﴿القول فى تأويل قوله﴿وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين﴾ يقول جل ثناؤه وقال موسى لفرعون يا فرعون انى رسول من رب العالمين ﴿القول فى تأويل قوله﴿حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت

الخير واظهار ما قدرت لهم من خاتمة السوء فأخذتهم الرجفة فصارت صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا جاثمي الارواح في ديار الاشباح كأن لم يغنوا فيها الان الباطل زاهق لا محالة ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم (١٠) بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ * القراآت لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد أو أمن بسكون الواو أبو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وابن كثير غير ابن فليح وقرأ ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها أولم نهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان أبو عمرو * (الوقوف) يضرعون ○ لا يشعرون ○ يكسبون ○ نائمون ○ لمن قرأ أو أمن بفتح الواو على أن الهمز للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لأن أو للعطف يلعبون ○ مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع أن الفاء للتعقيب الخاسرون ○ بذنوبهم ج للفصل بين الماضي والمستقبل والتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون ○ من أنبائها ج لعطف المختلفتين بالبينات ط لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءهم للامم الماضية مع أن الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين ○ من عهد ج لعطف الجملتين المختلفين لفاسقين ○ * ﴿التفسير﴾ أنه سبحانه لما عرفنا أحوال هؤلاء الانبياء وما جرى على أممهم ذكر ما يدل على أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم

من الصادقين﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة حقيق على أن لا أقول بارسال الياء من على وترك تشديدها بمعنى أنا حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق فوجهوا معنى على الى معنى الباء كما يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول اذا قرئ ذلك كذلك فمعناه حريص على أن لا أقول الا بحق وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة حقيق علي أن لا أقول بمعنى واجب علي أن لا أقول وحق علي أن لا أقول * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم يقول قال موسى لفرعون وملئه قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد أيها القوم على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من ارسال الله اياي اليكم رسولا فأرسل يا فرعون معي بني اسرائيل فقال له فرعون ان كنت جئت بآية يقول بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول فأت بها ان كنت من الصادقين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين﴾ يقول جل ثناؤه فألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يعني حية مبين يقول تتبين لمن يراها أنها حية وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فاذا هي ثعبان مبين قال تحولت حية عظيمة وقال غيره مثل المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا هي ثعبان مبين يقول فاذا هي حية كادت تتسوره يعني كادت تثب عليه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاذا هي ثعبان مبين والثعبان الذكر من الحيات فاتحة فاها واضعة لحيها الاسفل في الارض والأعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب فأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا مؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان بن عيينة قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فاذا هي ثعبان مبين قال ألقى العصا فصارت حية فوضعت فقمها أسفل القبة وفقمها أعلى القبة قال عبد الكريم قال ابراهيم وأشار سفيان باصبعه الابهام والسبابة هكذا شبه الطاق فلما أراد أن تأخذه قال فرعون يا موسى خذها فأخذها موسى بيده فعادت عصا كما كانت أول مرة حدثنا العباس بن الوليد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها سرعة الى فرعون فلما رأى فرعون أنها قاصدة اليه اقتحم عن سريره فاستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثعبان مبين قال الحية الذكر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما دخل موسى على فرعون قال له موسى

وبين العلة التى لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة أيضا وتقدير الكلام وما أرسلنا فى قرية من نبى فكذبه أهلها الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة فى الاموال والضراء الامراض فى الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون أى يتضرعون فأدغم التاء فى الضاد والمعنى ليحطوا أردية التعزز والاستكبار و يتبعوا نبيهم ثم بين أن تدبيره فى أهل القرى لا يجرى على نمط واحد فقال (ثم بدلنا مكان السيئة) وهى كل ما يسوء صاحبه (الحسنة) وهى (١١) ما يستحسنه الطبع والعقل أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما هو دأب الأشرين يقولون هذه عادة الدهر فى أهله يوم محنة و يوم منحة والمراد أنهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وأمن بعد خوف وراحة بعد عناء فأخذناهم بغتة آمن ما كانوا عليه ليكون ذلك أعظم فى الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة فى جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف أن العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع أبواب السعادات ولهذا قال (ولو أن أهل القرى) أى جنسها أو القرى المذكورة فى قوله وما أرسلنا فى قرية (آمنوا) بما يجب به الايمان فى باب المبدا والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض أى لاتيناهم بالخير من كل وجه أو أراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسير أسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا يسرت القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بالجدب والمحل وهو ضد البركة والخير بما كانوا يكسبون أى بشؤم كسبهم وهو الكفر والمعاصى ثم خوف

أعرفك قال نعم قال ألم نربك فينا وليدا قال فردّ اليه موسى الذى ردفقال فرعون خذوه فبادره موسى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فحملت على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فقتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله فألقى عصاه فاذا هى حية تسعى قال ما بين لحييها أربعون ذراعا حدثنا وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن جويبر عن الضحاك فاذا هى ثعبان مبين قال الحية الذكر قال أبو جعفر وأما قوله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين فانه يقول وأخرج يده فاذا هى بيضاء تلوح لمن نظر اليها من الناس وكان موسى فيما ذكر لنا آدم فجعل الله تحول يده بيضاء من غير برص له آية وعلى صدق قوله انى رسول من رب العالمين حجة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص ثم أعادها الى كمه فعادت الى لونها الاول حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله بيضاء للناظرين يقول من غير برص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ونزع يده أخرجها من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ونزع يده قال نزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين وكان موسى رجلا آدم فأخرج يده فاذا هى بيضاء أشد بياضا من اللبن من غير سوء قال من غير برص آية لفرعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ يقول تعالى ذكره قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم ان هذا يعنون موسى صلوات الله عليه لساحر عليم يعنون أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه اياهم حتى يخيل اليهم العصا حية والآدم أبيض والشئ بخلاف ما هو به ومنه قيل سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها من أصوله وقلب الارض ظهرا لبطن فهو يسحرها سحرا والارض مسحورة اذا أصابها ذلك فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله الى من سحره أنه يرى الشئ بخلاف ما هو به ومنه قول ذى الرمة فى صفة السراب

وساحرة العينين من الموامى * ترقص فى نواشزها الأروم

وقوله عليم يقول ساحر عليم بالسحر يريد أن يخرجكم من أرضكم أرض مصر معشر القبط السحرة

المكلفين نزول العذاب عليهم فى الوقت الذى يكونون فيه فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على المرء فيه التشاغل باللذات والمهمات فقال أفأمن قال فى الكشاف الهمزة للانكار والفاء للعطف على قوله فأخذناهم بغتة والآية بينهما اعتراض والتقدير أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو وأما قوله أفأمنوا مكر الله فتكرير لقوله أفأمن أهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز أن يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى أفعلوا ما فعلوا فأمن وأما

من قرأ أو ساكنة فعناه اما أحد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احدى هذه العقوبات واما اللاضراب كما تقول أنا أخرج ثم تقول أو أقيم على أن المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات للاقامة أى لا بل أقيم ومعنى بيانا قد تقدم فى أول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهرى ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على أنه مفرد كصرد وتؤنث على أنها جمع ضحوة ثم بعده الضحاء ممدودا مذكرا وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وقوله وهم يلعبون يحتمل التشاغل بما لا يجدى عليهم من أمور الدنيا فهى لهو ولعب ويحتمل خوضهم فى كفرهم لان ذلك كاللعب فى أنه يضر ولا ينفع ومكر الله كما تقدم فى آل عمران عذاب بعد الاستدراج أو سمى جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنتاه ان أباك يخاف البيات يعنى المذكور فى الآية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الآمنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر أن الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال أولم يهد من قرأ بالياء ففاعله أن لو نشاء والمعنى أولم يهد الذين يخلفون أولئك المتقدمين فيرثون أرضهم وديارهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أى بعقابها كما أصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله أن لو نشاء منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين ولهذا عدى فعلها باللام والمفعول على القراءة الاولى محذوف والتقدير أولم يكشف لهم الحال والشأن المذكور وأما قوله ونطبع على قلوبهم فاما أن يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع كما مر فى الوقوف واما أن يكون متصلا بما قبله قال فى الكشاف وذلك هو يرثون أو مادل عليه معنى أولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع ثم قال ولا يجوز أن يكون معطوفا على أصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجرى مجرى تحصيل الحاصل ولقائل أن يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين أن يكونوا مطبوعين فاقتراف الذنوب غير الطبع لانه يذنب أولا أو يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وأيضا جاز أن يراد وشئنا لزدنا فى طبعهم أولا دمناه والله سبحانه أعلم بمراده ثم أخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهى مبتدأ وخبر وقوله نقص حال والعامل معنى اسم الاشارة أو خبر بعد خبر أو القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة وأما على الاولين فترجع الفائدة الى الحال أو الخبر الثانى كما ترجع الى الصفة فى قولك هو الرجل الكريم

وقال فرعون للملا فماذا تأمرون يقول فأى شئ تأمرون أن نفعل فى أمره بأى شئ تشيرون فيه وقيل فماذا تأمرون والخبر بذلك عن فرعون ولم يذكر فرعون وقلما يجئ مثل ذلك فى الكلام وذلك نظير قوله قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب فقيل ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول يوسف ولم يذكر يوسف ومن ذلك أن يقول قلت لزيد قم فانى قائم وهو يريد فقال زيد انى قائم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين ﴾ يقول تعالى ذكره قال الملا من قوم فرعون لفرعون أرجئه أى أخره وقال بعضهم معناه احبس والارجاء فى كلام العرب التأخير يقال منه أرجيت هذا الامر وأرجأته اذا أخرته ومنه قول الله تعالى ترجى من تشاء منهن تؤخر فالهمز من كلام بعض قبائل قيس يقولون أرجأت هذا الامر وترك الهمز من لغة تميم وأسد يقولون أرجيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض العراقيين أرجه بغير الهمز وبجر الهاء وقرأه بعض قراء الكوفيين أرجه بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء فى المكنى فى الوصل اذا تحرك ما قبلها كما قال الراجز

ألحى على الدهر رجلا ويدا * فقسمه لا نصلح الا أفسدا

فنصلح اليوم ويفسده غدا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث فيقولون هذه طلحه قد أقبلت كما قال الراجز

لما رأى أن لا دعه ولا شبع * مال الى أرطاة حقف فاضطجع

وقرأه بعض البصريين أرجئه بالهمز وضم الهاء على لغة من ذكرت من قيس * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها فى كلام العرب وذلك ترك الهمز وجر الهاء وان كانت الأخرى جائزة غير أن الذى اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أرجه فقال بعضهم معناه أخره ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أرجه وأخاه قال أخره وقال آخرون معناه احبسه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرجه وأخاه أى احبسه وأخاه وأما قوله وأرسل فى المدائن حاشرين يقول من يحشر السحرة فيجمعهم اليك وقيل هم الشرط ذكر من قال ذلك حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن ابن عباس وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن ابراهيم ابن مهاجر عن أبيه عن مجاهد وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط قال ثنا حميد عن قيس عن السدى وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله فى المدائن حاشرين

والحاصل أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك وأيضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض أنبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا أقرب الامم الى العرب فذكرنا أحوالهم تنبيها على الاحتراز عن مثل أعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام (١٣) لتأكيد النفي وأن الايمان كان منافيا لحالهم

قال الشرط حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وأرسل في المدائن حاشرين قال الشرط ۞ القول في تأويل قوله ﴿يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملا من قوم فرعون على فرعون أن يرسل في المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم وفي الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر من اظهاره وهو فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا يقول ان لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك انا كنا يا فرعون نحن الغالبين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فأرسل في المدائن حاشرين فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا ايم يعمل هذا الساحر قالوا يعمل بالحيات قالوا والله ما في الارض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا فأجرنا ان غلبنا فقال لهم أنتم قرابتي وحامتي وأنا صانع اليكم كل شئ أحببتم حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم ابن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال فرعون لا نغالبه يعني موسى الا بمن هو منه فأعد علماء من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية بمصر يقال لها الفرما يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكتاب في الكتاب قال فعلموهم سحرا كثيرا قال وواعد موسى فرعون موعدا فلما كان في ذلك الموعد بعث فرعون فجاء بهم وجاء بعلمهم معهم فقال له ماذا صنعت قال قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لهم به فأما سحر أهل الارض فانه لن يغلبهم فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فحشر واعليه السحرة فلما جاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يقول عطية تعطينا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم أي كاثره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به وقد كان موسى وهرون خرجا من عنده حين أراهم من سلطانه وبعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا الا أتى به فذكر لي والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر فلما اجتمعوا اليه أمرهم أمره وقال لهم قد جاء نا ساحر ما رأينا مثله قط وانكم ان غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتي قالوا وان لنا ذلك ان غلبناه قال نعم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قال السحرة كانوا سبعين قال أبو جعفر أحسبه أنا قال ألفا قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن ابن المنذر قال كان السحرة ثمانين ألفا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد العزيز ابن رفيع عن خيثمة عن أبي سودة عن كعب قال كان سحرة فرعون اثني عشر ألفا ۞ القول

قال ابن عباس والسدي فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم أقروا باللسان كرها وأضمروا التكذيب وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لوأحييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى أن ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الآيات كذلك أي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذي كتب أن لا يؤمنوا أبدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو أن يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها أن صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما أضاف الطبع الى نفسه لأجل أن القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند أمره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله للذر ألست بربكم أقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة في قوله لفاسقين وقد عملت في ضمير شأن مقدر والتقدير وان الشأن والحديث علمنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والآية اعتراض ويحتمل أن يعود الضمير على الامم

المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن لنكشوه بعد كشف الضر ﴿التاويل﴾ الا أخذنا أهلها بالباساء والضراء لعلهم يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو أن أهل القرى يعني صفات النفس آمنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من ألطاف الحق واتقوا مشتبهات النفس لفتحنا عليهم أسباب العواطف من سماء الروح وأرض القلب فأخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وموافقات الطبع بياتا في صور القهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من أهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن أهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ القراآت حقيق

في تأويل قوله ﴿قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين﴾ يقول جل ثناؤه قال فرعون للسحرة اذ قالوا له ان لنا عندك ثوابا ان نحن غلبنا موسى قال نعم لكم ذلك وانكم لمن أقرب به وأدنيه مني قالوا يا موسى يقول قالت السحرة لموسى يا موسى اختر أن تلقي عصاك أو نلقي نحن عصينا ولذلك أدخلت أن مع اما في الكلام لانها في موضع أمر بالاختيار فأن اذا في موضع نصب لما وصفت من المعنى لان معنى الكلام اختر أن تلقي أنت أو نلقي نحن والكلام مع اما اذا كان على وجه الامر فلا بد من أن يكون فيه أن كقولك للرجل اما أن تمضي واما أن تقعد بمعنى الامر امض أو اقعد فاذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه أن كقوله وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهذا هو الذي يسمى التخيير وكذلك كل ما كان على وجه الخبر واما في جميع ذلك مكسورة ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة ألقوا ما أنتم ملقون فألقت السحرة ما معهم فلما ألقوا ذلك سحروا أعين الناس خيلوا الى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخدع أنها تسعى واسترهبوهم يقول واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم حتى خافوا من العصي والحبال ظنا منهم أنها حيات وجاؤا كما قال الله بسحر عظيم بتخييل عظيم كثير من التخييل والخداع وذلك كالذي **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل الا معه حبل وعصا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم يقول فرقوهم فأوجس في نفسه خيفة موسى **حدثني** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا قال فأقبلت تخيل اليه من سحرهم أنها تسعى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته ثم قالت السحرة يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والحبال فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا فأوجس في نفسه خيفة موسى وقال والله ان كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدو هذه أو كما حدث نفسه **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي قال ثنا القاسم بن أبي بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر وألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فألقاها فاذا هي تلقم وتبتلع ما يسحرون كذبا وباطلا يقال منه لقفت الشيء فأنا ألقفه لقفا ولقفانا وذلك كالذي **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن

علىّ بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف معى بفتح الياء حيث كان حفص أرجه باسكان هاء الضمير حمزة وعاصم غير المفضل أرجه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون أرجهى بالاشباع نافع غير قالون وعلى وعباس وخلف المفضل أرجئه بالهمزة أبو عمرو وغير عباس وسهل ويعقوب وابن الأخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلوانى أرجئهو بالاشباع ابن كثير والحلوانى عن هشام أرجه ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلى وخلف وكذلك فى يونس وقرأ قتيبة ونصير والدورى وحمزة فى رواية ابن سعدان هو أبى عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وأبو جعفر ونافع وحفص أئن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة آين لنا بالمدة وقلب الهمزة ياء أبو عمرو وزيد أين لنا بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى فى الثانية البزى وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل آمنتم بهمزة واحدة ممدودة حفص أأمنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص آمنتم بالمد وتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمى وابن مجاهد وأبى عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والخالصة الهاشمى عن قنبل وآمنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وأبو عون والهرندى عن قنبل ﴿الوقوف﴾ فظلموا بها ج للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ٥ العالمين ٥ ج وقف لمن قرأ حقيق علىّ بالتشديد أى واجب علىّ ومن قرأه مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بنى اسرائيل ط الصادقين ٥ مبين ٥ للفصل بين الجملتين والوصل أجود للجمع بين الحجتين الناظرين ٥ عليم ٥ لا لأن ما بعده وصف لساحر من أرضكم ج لاحتمال أن ما بعده من تمام قول الملا لفرعون وحده والجمع للتعظيم أوله ولعظماء حضرته وأن يكون ابتداء جواب من فرعون أى فماذا تشيرون قاهرون ٥ حاشرين ٥ لا لأن ما بعده جواب

عن قتادة وأوحينا الى موسى أن ألق أعصالك فألقى موسى عصاه فتحولت حية فأكلت سحرهم كله **حدثنا** عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فألقى عصاه فاذا هى حية تلقف ما يأفكون لا تمر بشئ من حبالهم وخشبهم التى ألقوها الا التقمته فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء وليس هذا بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أوحى الله الى موسى لا تخف وألق ما فى يمينك تلقف ما يأفكون فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أوحى الله اليه أن ألق ما فى يمينك فألقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهى حيات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها تبتلعها حية حية حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوه ثم أخذها موسى فاذا هى عصاه فى يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون لو كان هذا سحرا ما غلبنا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا القاسم بن أبى بزة قال أوحى الله اليه أن ألق عصاك فألقى عصاه فاذا هى ثعبان فاغر فاه فابتلع حبالهم وعصيهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يأفكون قال يكذبون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا هى تلقف ما يأفكون قال يكذبون **حدثنا** ابراهيم ابن المستمر قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا قرة بن خالد السدوسى عن الحسن تلقف ما يأفكون قال حبالهم وعصيهم تسترطها استراطا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره فى أمر موسى وانه لله رسول يدعو الى الحق وبطل ما كانوا يعملون من افك السحر وكذبه ومخايله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فوقع الحق قال ظهر **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد فى قوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون قال ظهر الحق وذهب الافك الذى كانوا يعملون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فوقع الحق قال ظهر الحق **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فوقع الحق ظهر موسى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ يقول تعالى ذكره فغلب موسى فرعون وجوعه هنالك عند ذلك وانقلبوا صاغرين يقول وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين يقال منه صغر الرجل يصغر صغرا وصغرا وصغارا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ يقول تعالى ذكره وألقى السحرة عند ما عاينوا من عظيم قدرة الله ساقطين على جوههم سجدا لربهم يقولون آمنا برب العالمين يقولون صدقنا بما جاء نابه موسى وان الذى علينا عبادته هو الذى يملك الجن

الامر عليم ۝ الغالبين ۝ المقربين ۝ الملقين ۝ ألقواج للعطف عظيم ۝ عصاك ط لحق المحذوف لان التقدير فألقاها فاذا هي ما يأفكون ۝ وكذلك يعملون ۝ صاغرين ۝ ج لمكان حروف العطف ساجدين ۝ ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين ۝ لا للبدل وهرون ۝ آذن لكم ج للابتداء مع اتحاد القائل أهلها ج (١٦) لأن سوف للتهديد مع العطف تعلمون ۝ أجمعين ۝ منقلبون ۝ للآية مع اتحاد المقول جاءتنا ط للعدول عن المحاباة الى المناجاة المسلمين ۝ ۞ التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى عليه السلام وقد ذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لأن جهل قومه أعظم وأفحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته أقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل أو الى الامم المذكورين وفي قوله بآياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها أي بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لأن وضع الانكار في موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع للشيء في غير موضعه أو ظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وأذوا من آمن بها فانظر أيها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذه قصة اجمالية ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين أي اله قادر عليم حكيم وفيه أن العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على أن لا أقول من قرأ بالتشديد في علي حقيق اما بمعنى فاعل أي واجب علي ترك القول على الله الا بالحق أو بمعنى مفعول أي حق علي ذلك تقول العرب الى لمحقوق على أن أفعل خيرا وأما قراءة العامة حقيق على أن لا أقول مرسلة الياء ففيه وجوه أحدها أن يكون على بمعنى ابن الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط أي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة أبي حقيق بأن لا أقول أي أنا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته فكأن المعنى

والانس وجميع الاشياء وغير ذلك ويدبر ذلك كله رب موسى وهرون لا فرعون كالذي **حدثني** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رأت السحرة ما رأت عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ۝ القول في تأويل قوله ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله يعني صدقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه آمنتم يقول أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوته قبل أن آذن لكم بالايمان به ان هذا يقول تصديقكم اياه واقراركم بنبوته لمكر مكرتموه في المدينة يقول لخدعة خدعتم بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها فسوف تعلمون ما أفعل بكم وتلقون من عقابي اياكم على صنيعكم هذا وكان مكرهم ذلك فيما **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في حديث ذكره عن أبي مالك وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق قال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر اليهم فهو قول فرعون ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اذ التقيتما لتظاهرا فتخرجا منها أهلها ۝ القول في تأويل قوله ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله موسى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى فيخالف بين العضوين في القطع فخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف ويقال ان أول من سن هذا القطع فرعون ثم لأصلبنكم أجمعين وانما قال هذا فرعون لما رأى من خذلان الله اياه وغلبة موسى عليه لسلام وقهره له **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفري وحبوية الرازي عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قال أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ۝ القول في تأويل قوله ﴿قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره قال السحرة مجيبة لفرعون اذ توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف والصلب انا الى ربنا منقلبون يعني بالانقلاب الى الله الرجوع اليه والمصير وقوله وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا يقول ما تنكر منا يا فرعون وما تجد علينا الا من أجل أن آمنا أي صدقنا بآيات ربنا يقول بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد سوى الله الذي له ملك السموات والارض ثم فزعوا الى الله بمسئلته الصبر على عذاب فرعون وقبض أرواحهم على الاسلام فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا يعنون بقولهم أفرغ أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون ايانا وتوفنا مسلمين يقول واقبضنا اليك على الاسلام دين خليلك ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا على الشرك بك فحدثني موسى

أنا ثابت مستمر على أن لا أقول الا الحق وثالثها أن يضمن حقيق معنى حريص ورابعها أن يكون من القلب الذى يشجع عليه أمن الالباس فيؤل المعنى الى قراءة نافع وخامسها أن يكون اغراقا فى الوصف ومبالغة بالصدق والمراد أنا حقيق على قول الحق أى واجب على أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به وسادسها أن يكون على هذه هى التى تقرن (١٧) بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة

ابن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف فقتلهم وصلبهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا فى أول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير قال كانت السحرة أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقى السحرة ساجدين قال ذكر لنا أنهم كانوا فى أول النهار سحرة وآخره شهداء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون أتدع موسى وقومه من بنى اسرائيل ليفسدوا فى الارض يقول كى يفسدوا خدمك وعبيدك عليك فى أرضك من مصر ويذرك وآلهتك يقول ويذرك ويدع خدمتك موسى وعبادتك وعبادة آلهتك وفى قوله ويذرك وآلهتك وجهان من التأويل أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وقد ترك عبادتك وعبادة آلهتك واذا وجه الكلام الى هذا الوجه من التأويل كان النصب فى قوله ويذرك على الصرف لا على العطف به على قوله ليفسدوا والثانى أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وليذرك وآلهتك كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين واذا وجه الكلام الى هذا الوجه كان نصب ويذرك على العطف على ليفسدوا والوجه الاول أولى الوجهين بالصواب وهو أن يكون نصب ويذرك على الصرف لان التأويل من أهل التأويل به جاء وبعد فان فى قراءة أبى بن كعب الذى **حدثنا** به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال فى حرف أبى بن كعب وقد ترك أن يعبدوك وآلهتك دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف وقد روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك ويذرك وآلهتك عطفا بقوله ويذرك على قوله أتذر موسى كأنه وجه تأويله الى أتذر موسى وقومه ويذرك وآلهتك ليفسدوا فى الارض وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وهو يذرك وآلهتك فيكون يذرك مرفوعا على ابتداء الكلام وأما قوله وآلهتك فان قراء الامصار على فتح الالف منها ومدها بمعنى وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التى تعبدها وقد ذكر عن ابن عباس أنه قال كان له بقرة يعبدها وقد روى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها ويذرك والاهتك بكسر الالف بمعنى ويذرك وعبودتك والقراءة التى لا نرى القراءة بغيرها هى القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليها ذكر من قال كان فرعون يعبد آلهة على قراءة من قرأ ويذرك وآلهتك **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ويذرك وآلهتك وآلهته فيما زعم ابن عباس كانت البقر كانوا اذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن عمرو عن الحسن قال كان لفرعون

(٣ - ابن جرير تاسع) قلب العصا ثعبانا وأظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا أن أمره ظاهر لا يشك فى أنه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات أو المراد أنه أبان قول موسى عن قول المدعى الكاذب والثعبان فى اللغة الحية الضخم الذكر روى أنه كان أشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا

فطرة الله التى فطر الناس عليها ويقال جاءنى فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية لم أتحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى دالا على وجود الاله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم أى بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فأرسل معى بنى اسرائيل أى أطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم فى الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان أحدهما لفظى وهو أن ههنا شرطين فأين جوابهما والجواب أن المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما أن قوله ان كنت جئت بآية وقوله فأت بها كلاهما واحد فى المعنى فكيف يفيد تعليق أحدهما بالآخر وجوابه المنع اذ المرادان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى عليه السلام باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته

وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأخذه البطن يومئذ أربعمائة مرة وكان لم يرمنه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاحوا ياموسى خذه وأنا أومن (١٨) بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا والنزع فى اللغة القلع والاخراج أى

أخرجها من جيبه أومن جناحه بدليل قوله فى موضع آخر وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء روى انه أرى فرعون يده وقال ماهذه فقال يدى ثم أدخلها فى جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للناظرين الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم أن القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطربت أقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا فى الانسان وسائر أنواع الحيوان أن يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا فى الجوهر الفرد أن يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا فى الاعمى الذى بالاندلس أن يبصر فى ظلمة الليل البقة التى تكون بأقصى المشرق وفى سليم البصر أن لا يرى الشمس فى كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات فى بعض الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا أن يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون أنكروا ذلك على الاطلاق وزعموا أنه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها فى الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز أن تنقلب العصا ثعبانا جاز فى الشخص الذى شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح فى النبوة والرسالة على فان زعم زاعم أن هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المخصص فى ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل

جمانة معلقة فى نحره يعبدها ويسجد لها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا أبان بن خالد قال سمعت الحسن يقول بلغنى أن فرعون كان يعبد الهة فى السر وقرأ ويذرك وآلهتك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن أبى بكر عن الحسن قال كان لفرعون اله يعبده فى السر ذكر من قال معنى ذلك ويذرك وعبادتك على قراءة من قرأ وإلاهتك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو عن الحسن عن ابن عباس ويذرك والاهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد قال ثنا أبى عن نافع عن ابن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ ويذرك والاهتك قال وعبادتك ويقول انه كان يعبد ولا يعبد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ويذرك وإلاهتك قال يترك عبادتك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ والاهتك يقول وعبادتك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويذرك والاهتك قال عبادتك حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو بن حسين عن ابن عباس أنه كان يقرأ ويذرك والاهتك وقال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد وقد زعم بعضهم أن من قرأ وإلاهتك انما يقصد الى نحو معنى قراءة من قرأ وآلهتك غير أنه أنث وهو يريد الها واحدا كأنه يريد ويذرك وإلاهة ثم أنث الاله فقال وإلاهتك وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سئل عن الالاهة فقال هى علمة يريد علما فأنث العلم فكأنه شئ نصب للعبادة يعبد وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعى

تروحنا من اللعباء عصرا * وأعجلنا الالاهة أن تؤبا

يعنى بالالاهة فى هذا الموضع الشمس وكأن هذا المتأول هذا التأويل وجه الالاهة اذا أدخلت فيها هاء التأنيث وهو يريد واحدا الآلهة الى نحو ادخالهم الهاء فى ولدتى وكوكبتى وأماتى وهو أهلة ذاك وكما قال الراجز

يامضر الحمراء أنت أسرتى * وأنت ملجاتى وأنت ظهرتى

يريد ظهرى وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى فى قراءتهما ذلك على ما قرآ فلا وجه لقول هذا القائل ما قال مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا اليه من معنى ذلك وقوله قال سنقتل أبناءهم يقول قال فرعون سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بنى اسرائيل ونستحيى نساءهم يقول ونستبقى اناثهم وانا فوقهم قاهرون يقول وانا عالون عليهم بالقهر يعنى بقهر الملك والسلطان وقد بينا أن كل شئ عال بقهر وغلبة على شئ فان العرب تقول هو فوقه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لقومه من بنى اسرائيل لما قال فرعون للملا من قومه سنقتل أبناء بنى اسرائيل ونستحيى نساءهم استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم واصبروا على ما نالكم من المكاره فى أنفسكم وأبنائكم من فرعون وكان قد تبع موسى من بنى اسرائيل

يقع فى تيه الاشكال والضلال مع أن زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم أبدا فلا ينقضى التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع أن المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المتحذلقين هما شئ واحد والمراد أن حجة موسى كانت قوية ظاهرة فمن حيث ان الحجة أبطلت أقوال المخالفين كانت كالثعبان الذى يلقف ما يأفكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة فى نفسها

على ما حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بنى اسرائيل وقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يقول ان الارض لله لعل الله أن يورثكم ان صبرتم على ما نالكم من مكروه فى أنفسكم وأولادكم من فرعون واحتسبتم ذلك واستقمتم على السداد أرض فرعون وقومه بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها فان الله يورث أرضه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين يقول والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه فخافه باجتناب معاصيه وأدى فرائضه ۞ القول فى تاويل قوله ﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم موسى لموسى حين قال لهم استعينوا بالله واصبروا أوذينا بقتل أبنائنا من قبل أن تأتينا يقول من قبل أن تأتينا برسالة الله الينا لان فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا وقوله ومن بعد ما جئتنا يقول ومن بعد ما جئتنا برسالة الله لان فرعون لما غلبت سحرته وقال للملأ من قومه ما قال أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقيل ان قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون وقد تراءى الجمعان فقالوا له يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من قبل أن تأتينا من قبل ارسال الله اياك وبعده حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد ردفهم قالوا انا لمدركون وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا انا لمدركون حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال سار موسى ببنى اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون وقوله قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم يقول جل ثناؤه قال موسى لقومه لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه ويستخلفكم يقول يجعلكم تخلفونهم فى أرضهم بعد هلاكهم لا تخافونهم ولا أحدا من الناس غيرهم فينظر كيف تعملون يقول فيرى ربكم ما تعملون بعدهم من مسارعتكم فى طاعته وتثاقلكم عنها ۞ القول فى تاويل قوله ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين يقول بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط يقال منه أسنت القوم اذا أجدبوا ونقص من الثمرات يقول واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم الا القليل لعلهم يذكرون يقول عظة لهم وتذكيرا لهم لينزجروا عن

وصفت باليد البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء فى الامر الفلانى أى قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق أن انقلاب العصا وغير ذلك أمور ممكنة فى ذواتها لان الاجسام متماثلة فى الجسمية فكل ما صح على شئ صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل ودفع ثم ان السحر كان غالبا فى ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين فى ذلك فزعم أتباع فرعون أن موسى عليه السلام كان لكونه فى النهاية من علم السحر أتى بتلك الصفة وانه كان يطلب بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم ولا ينافى هذا ما حكاه الله تعالى فى سورة الشعراء أنه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول فى تلك الحالة منه ومنهم أو لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملا منه فقالوه لغيرهم أو قالوا عنه لسائر الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر أن قوله فماذا تأمرون من كلام فرعون اما لأن الامر لا يجوز أن يكون من الادنى للاعلى أو لانه من قولهم أمرته فأمرنى بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأى ولهذا قال الملا فى جوابه أرجه وأخاه أى أخر أمره وأمر أخيه ولا تعجل بقضاء فى شأنهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهرى أرجأت الامر أخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبى وقتادة أن المعنى احبسه وزيف بأنه خلاف اللغة الا أن يقال حبس المرء نوع من التأخير فى أمره وبأن فرعون ما كان يظن أنه قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا (وأرسل فى المدائن حاشرين) أى جامعين جمع مدينة وهى فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا أقام به ولهذا أطبق القراء على همز مدائن لانه كصحائف وقيل انها

مفعلة من دنت أى ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مدائن وقال المبرد أصلها مدينة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بنحو مبيع فى مبيوع وليس المراد مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد (يأتوك بكل سحار) الباء بمعنى مع أو للتعدية قيل كانوا (٢٠) سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين

ألفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بأن المجوس من أتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى وفى الآية دلالة على كثرة السحرة فى ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كانت مخالفة له فى الحقيقة كما أن الطب لما كان غالبا على أهل زمن عيسى كانت معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة والبلاغة غالبة فى عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى وهى القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر فى سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل ففالوا بناء للكلام على سؤال مقدر كأن سائلا سأل ما قالوا اذ جاؤه فأجيب قالوا ان لنا لأجرا أى جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال نعم أى ان لكم أجرا وانكم لمن المقربين أرادانى لا أقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروى أنه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفى الآية اشارة الى أن أهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا قلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا ملك فرعون عن الى أنفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل أن لا يغتر بأكاذيبهم ومخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب فخيروا موسى أولا وقدموه فى الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين كما هو دأب المتناظرين والمتصارعين مع أن فى قولهم واما أن نكون نحن

ضلالتهم ويفزعوا الى ربهم بالتوبة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين قال سنى الجوع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بالسنين الجائحة ونقص من الثمرات دون ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى القاسم بن دينار قال ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة فى قوله ونقص من الثمرات قال حيث لا تحمل النخلة الا تمرة واحدة حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة عن كعب قال يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة ونقص من الثمرات قال يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أخذهم الله بالسنين بالجوع عاما فعاما ونقص من الثمرات فأما السنين فكان ذلك فى بادية أهل مواشيهم وأما بنقص من الثمرات فكان ذلك فى أمصارهم وقراهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾ يقول تعالى ذكره فاذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا ما يحبون فى دنياهم قالوا لنا هذه نحن أولى بها وان تصبهم سيئة يعنى جدوب وقحوط وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يقول يتشاءموا بهم ويقولوا ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية منذ جاءنا موسى عليه السلام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فاذا جاءتهم الحسنة العافية والرخاء قالوا لنا هذه نحن أحق بها وان تصبهم سيئة بلاء وعقوبة يطيروا يتشاءموا بموسى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قالوا ما أصابنا هذا الا بك يا موسى وبمن معك ما رأينا شرا ولا أصابنا حتى رأينا وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه قال الحسنة ما يحبون واذا كان ما يكرهون قالوا ما أصابنا هذا الا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا قال قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك فقال الله انما طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر الا عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك فلجهلهم بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله يقول مصائبهم عند الله قال الله ولكن أكثرهم لا يعلمون حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

مايدل على رغبتهم فى أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أومن جهة تعريف الخبر واحتمام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وأن فى هذه الآية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا فى موضع أمر بالاختيار أعنى فى موضع نصب كقول القائل اخترذا أوذا كانهم قالوا اختر أن تلقى بخلاف تلك الآية فان الامر لا يصلح هنالك قال موسى للسحرة ألقوا ما ترغبون فيه ازدراء بشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بأن الامر الالهى يغلب ولن يغلب فان قيل ان (٢١) القاءهم الحبال والعصى معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه أحدها أنه انما أمرهم بشرط أن يعلموا فى فعلهم أن يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا أمر البتة كقول القائل اسقنى الماء من الجرة فهذا انما يكون أمرا بشرط حصول الماء فى الجرة والثانى أن موسى علم أنهم جاؤا لذلك فلا بد أن يفعلوه ودفع النزاع فى التقديم والتأخير الثالث انه أذن لهم فى الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليبحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل ومراده أن يجيب عنها ويبين لكل أحد ضعفها وسقوطها فلما ألقوا سحروا أعين الناس قال القاضى لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا أعينهم فثبت أنهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدى بل المراد أنهم قلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروى أنهم أتوا بالحبال والعصى ولطخوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق دواخل العصى فلما أثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس أنها تسعى واسترهبوهم أى أرهبوهم والسين زائدة كأنهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس فبعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا أن ذلك سحر لا يطيقه سحرة أهل الارض عن ابن عباس أنه خيل الى موسى عليه السلام أن حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى فأوحى الله عز وجل اليه أن ألق عصاك وفى رواية الواحدى عنه ان المراد بالوحى ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فألقاها فاذا هى تلقف قال الجوهرى لقفت الشئ بالكسر ألقفه وتلقفته أيضا تناولته بسرعة وما فى ما يأفكون موصولة أو مصدرية بمعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه أو افكهم

عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله قال الامر من قبل الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال آل فرعون لموسى يا موسى مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتسحرنا يقول لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين يقول فما نحن لك فى ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا اليه وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن اعادته وكان ابن زيد يقول فى معنى مهما تأتنا به من آية ما حدثنى يونس قال قال ابن زيد فى قوله مهما تأتنا به من آية قال ان ما تأتنا به من آية وهذه فيها زيادة ما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الطوفان فقال بعضهم هو الماء ذكر من قال ذلك حدثنى ابن وكيع قال ثنا حبوية الرازى عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاء موسى بالآيات كان أول الآيات الطوفان فأرسل الله عليهم السماء حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى مالك قال الطوفان الماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال الطوفان الماء قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الطوفان الغرق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطوفان الماء والطاعون على كل حال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطوفان الموت على كل حال حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الطوفان الماء وقال آخرون بل هو الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا المنهال ابن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن مينا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء ما الطوفان قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عطاء عمن حدثه عن مجاهد قال الطوفان الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن عبد الله بن كثير فأرسلنا عليهم الطوفان قال الموت قال ابن جريج وسألت عطاء عن الطوفان قال الموت قال ابن جريج وقال مجاهد الموت على كل حال حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن حجاج عن رجل عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الطوفان الموت وقال آخرون بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس فأرسلنا عليهم الطوفان قال أمر الله الطوفان ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن الطوفان من السيل البعاق والدباش وهو الشديد ومن الموت المتتابع الذريع السريع وقال بعضهم هو كثرة المطر والريح وكان بعض نحويى الكوفيين يقول الطوفان مصدر مثل الرجحان والنقصان لا يجمع وكان بعض نحويى البصرة يقول هو جمع واحدها فى القياس الطوفانة ۞ والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس على ما رواه

تسمية للمأفوك بالافك قال المفسرون لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت فى الحجم والمقدار أصلا فلعل الله سبحانه أعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن ظهر وقال الفراء فتبين الحق من السحر وقيل الوقوع ظهور الشئ ووجوده نازلا الى مستقره (٢٢) وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا

ولم تفقد ولما فقدت ثبت أن ذلك بخلق الله وتقديره وبهذا تميز المعجزة عن السحر وقال القاضى معناه قوة الظهور بحيث لا يصح فيه نقيضه كما لا يصح فى الواقع أن يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التى أفكوها وهى تلك الحبال والعصى وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون أى الذى عملوه أو عملهم فغلبوا هنالك أى حين التحدى وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار أعظم فى حق المبطل من دحوض حجته روى أن تلك الحبال والعصى كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو أمر الهى قال المحققون انهم لاجل كمالهم فى علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل فى علم التوحيد والشريعة والحكمة وفى قوله وألقى السحرة ساجدين دليل على أن ملقيا ألقاهم وماذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعى والقدر وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف تقل عنهم أنهم سجدوا ثم قالوا آمنا برب العالمين وأجيب بأنه لا يبعد أنهم عند الذهاب الى الذى السجود قالوا ذلك أو أنهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله فى الحال شكرا على الفوز بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياى يعنون فلما قالوا رب موسى قال اياى يعنون لانى أنا الذى ربيته فلما زادوا هرون زالت الشبهة وعرف الكل أنهم آمنوا بالله السماء وكفروا بفرعون وقيل أفرد بالذكر من جملة العالمين ليعلم أن الداعى الى ايمانهم

عنه أبو ظبيان انه أمر من الله طاف بهم وانه مصدر من قول القائل طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا كما يقال نقص هذا الشئ ينقص نقصانا واذا كان ذلك كذلك جاز أن يكون الذى طاف بهم المطر الشديد وجاز أن يكون الموت الذريع ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا قول الحسن بن عرفطة غير الجذة من آياتها * خرق الريح وطوفان المطر

ويروى خرق الريح بطوفان المطر وقول الراعى

تضحى اذا العيس أدركنا نكائنها * خرقاء يعتادها الطوفان والزؤد

وقول أبى النجم قد مد طوفان فبث مددا * شهرا شآبيب وشهرا بردا

وأما القمل فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم هو السوس الذى يخرج من الحنطة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه وقال آخرون بل هو الدبى وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال القمل الدبى حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال الدبى القمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال القمل هو الدبى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال القمل الدبى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة قال القمل هى الدبى وهى أولاد الجراد حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال القمل الدبى قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عمن ذكره عن عكرمة قال القمل بنات الجراد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال القمل الدبى وقال آخرون بل القمل البراغيث ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل قال زعم بعض الناس فى القمل أنها البراغيث وقال بعضهم هى دواب سود صغار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا القمل دواب سود صغار وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الحمنان والحمنان ضرب من القردان واحدتها حمنانة فوق القمقامة والقمل جمع واحدتها قملة وهى دابة تشبه القمل تأكلها الابل فيما بلغنى وهى التى عناها الاعشى فى قوله

قوم تعالج قملا أبناؤهم * وسلاسلا أجدا وبابا مؤصدا

وكان الفراء يقول لم أسمع فيه شيأ فان لم يكن جمعا فواحده قامل مثل ساجد وراكع وان يكن اسما على معنى جمع فواحدته قملة ذكر المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب

هو موسى وقيل خصابالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما رأى أن أعلم الناس بالسحر أقر بنبوة موسى بحضرة جمع عظيم خاف أن يصير ذلك حجة عليه عند قومه فألقى فى الحال شبهة فى البين بعد ما أنكر عليهم ايمانهم أما الانكار فذلك قوله آمنتم له من لم يزد حرف الاستفهام فعلى انه اخبار توبيخا أى فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرأ بحرف الاستفهام فمعناه (٢٣) الاستبعاد والانكار وفى قوله قبل أن آذن

الذى من أجله أحدثها الله فيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال لما أتى موسى فرعون قال له أرسل معى بنى اسرائيل فأبى عليه فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيأ خافوا أن يكون عذابا فقالوا لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فأنبت لهم فى تلك السنة شيأ لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلا فقالوا هذا ما كنا ما نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلا فلما رأوا أثره فى الكلا عرفوا أنه لا يبقى الزرع فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فداسوا وأحرزوا فى البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذى يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بنى اسرائيل فبينا هو جالس عند فرعون اذ سمع نقيق ضفدع فقال لفرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا فأمسوا حتى كان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع وهم أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فكان ما استقوا من الانهار والآبار أوما كان فى أوعيتهم وجدوه دما عبيطا فشكوا الى فرعون فقالوا انا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد فى أوعيتنا شيأ من الماء الا وجدناه دما عبيطا فأتوه فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوبة الرازى عن يعقوب القمى عن جعفر عن ابن عباس قال لما خافوا الغرق قال فرعون يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن يعقوب حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم ان الله أرسل عليهم يعنى على قوم فرعون الطوفان وهو المطر فغرق كل شئ لهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم فقالوا ما يسرنا أنا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به فدعا فكشفه وقد بقى من زروعهم بقية فقالوا لم نؤمن وقد بقى من زرعنا بقية تكفينا فبعث الله عليهم الدبى وهو القمل فلحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان لا حدهم الطعام فيمتلئ دبى حتى ان أحدهم ليبنى الاسطوانة بالجص فيرتقبها حتى لا يرتقى فوقها شئ يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملآن دبى فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من الدبى وهو الرجز الذى ذكر الله فى القرآن انه وقع عليهم فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشف عنهم ويؤمنوا به فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فكان الاسرائيلى يأتى هو والقبطى يستقيان من ماء واحد فيخرج من ماء هذا القبطى دما ويخرج للاسرائيلى ماء فلما اشتد ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به

لكم دلالة على مناقضة فرعون فى ادعائه الالهية لانه لو كان الها لما جاز أن يأذن لهم فى أن يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والدحوض الذى يظهر على المبطلين وأما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها أى هذه حيلة احتلتموها أنتم وموسى أو تواطأتم عليها لغرض لكم وهو أن تخرجوا القبط وتسكنوا بنى اسرائيل وروى محمد ابن جرير عن السدى فى حديث عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم أن موسى وأمير السحرة التقيا فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بى وتشهد أن ما جئت به حق فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتنى لأومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد اجمالى وتفصيله لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أى من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه أم لا فمن قائل انه لم يقع لانهم سألوا ربهم أن يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملا أنهم قالوا لفرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ولو انه ترك أولئك السحرة لذكروهم أيضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بأنهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثانى بأنهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفى آخره شهداء برره ثم حكى عن القوم أنهم قالوا عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون أى نحن لا نبالى بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك أو ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب

أو انا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا أو انا لا محالة ميتون فما تقدر أن تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا قال ابن عباس ما أتينا بذنب تعد بنا عليه وما تعيب منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها الا الله تعالى وهذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله (٢٤) ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ثم لما لجؤا الى الدعاء كما هو دأب الصديقين عند نزول البلاء فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفض علينا سجال الثبات على متابعة الدين أو على ما توعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى أخبروا عن ايمانهم أولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن أن يستدل بالآية على أن الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالآية على أن الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون أمثال ذلك على منح الالطاف واعلم أن مبنى القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هناك يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضيرا انا الى ربنا منقلبون فسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة وأما قوله ههنا وأرسل في المدائن وهناك وابعث فلأن الارسال يفيد معنى البعث مع العلو لخص هذه السورة بذلك ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لان ضمير به في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل آمنت به وآمنت له واحد وقال ههنا لأصلبنكم وفي السورتين لأصلبنكم لانه لما افاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلاث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه (التأويل) فظلموا بها بأن جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين أفسدوا الاستعداد الفطري بالركون الى الدنيا ولذاتها حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق لاني قائم

فكشف ذلك فأبوا أن يؤمنوا وذلك حين يقول الله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فأرسلنا عليهم الطوفان قال أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ثم كشف عنهم فلم يؤمنوا وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله فأرسل الله عليه الجراد فأكله الا قليلا فلم يؤمنوا أيضا فأرسل الله القمل وهي الدبى وهي أولاد الجراد فأكلت ما بقي من زروعهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع فدخلت عليهم بيوتهم ووقعت في آنيتهم وفرشهم فلم يؤمنوا ثم أرسل الله عليهم الدم فكان أحدهم اذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دما قال الله آيات مفصلات **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلنا عليهم الطوفان حتى بلغ مجرمين قال أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما فدعوا موسى فدعا به فكشفه عنهم ثم عادوا لسوء ما يحضر بهم ثم أنبتت أرضهم ثم أرسل الله عليهم الجراد فأكل عامة حروثهم وثمارهم ثم دعوا موسى فدعا به فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم فأرسل الله عليهم القمل هذا الدبى الذي رأيتم فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم فلحسه فدعوا موسى فدعا به فكشفه عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم ثم أرسل الله عليهم الضفادع حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم فدعوا موسى فدعا به فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم فأرسل الله عليهم الدم فكانوا لا يغترفون من مائهم الا دما أحمر حتى لقد ذكر أن عدو الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون مما يلي الاسرائيلي ماء ومما يلي القبطي دما فدعوا موسى فدعا به فكشفه عنهم في تسع آيات السنين ونقص من الثمرات وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فأرسلنا عليهم الطوفان وهو المطر حتى خافوا الهلاك فأتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم المطر فأنبت الله به حروثهم وأخصب به بلادهم فقالوا ما نحب أنا لم نطر بترك ديننا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الجراد فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد وكان قد بقي من زرعهم ومعاشهم بقايا فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم القمل وهو الدبى فتتبع ما كان ترك الجراد فجزعوا وأحسوا بالهلاك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الدبى فقالوا ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الضفادع فلأ بيوتهم منها ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله انها كانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع فقد لقينا منها بلاء وأذى فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع فقالوا لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الدم فجعلوا لا يأكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا به

فكشف

بحقائق الجمع فان عن الخلق وآثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه أضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي ويعلم منه أن كل شئ أضفته الى نفسك وجعلته محل حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل ألقها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه أن الايدي قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية نورانية

روحانية وأن اليد لموسى كانت روحانية فى جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى فى بعض الاوقات خرقا للعادات على يده الجسمانية يريد أن يخرجكم لا شك أن موسى أراد أن يخرجهم من أرضهم ولكن من أرض بشريتهم الى نور الروحانية قالوا أرجه وأخاه توهموا أن التأخير وحسن التدبير يغير شيأ من التقدير ولم يعلموا أن عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم

فكشف عنهم الدم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فكانت آيات مفصلات بعضها على اثر بعض ليكون لله عليهم الحجة فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم فى اليم

حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال أرسل على قوم فرعون الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قال فكان الرجل من بنى اسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون فى السفينة فيغترف الاسرائيلى ماءه ويغترف الفرعونى دما قال وكان الرجل من قوم فرعون ينام فى جانب فيكثر عليه القمل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر فلم يزالوا كذلك حتى أوحى الله الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بنى اسرائيل فاستكبر قال لن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو الماء أمطر عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كل شئ فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا الله فكشف عنهم المطر فأنبت الله لهم حروثهم وأحيا بذلك المطر كل شئ من بلادهم فقالوا والله ما نحب أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر ولقد كان خيرا لنا فلن نرسل معك بنى اسرائيل ولن نؤمن لك يا موسى فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة حروثهم فأسرع الجراد فى فسادها فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد فانا مؤمنون لك ومرسلون معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم الجراد وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية فقالوا قد بقى لنا من حروثنا ما كان كافينا فما نحن بتاركى ديننا ولن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم القمل والقمل الدبى وهو الجراد الذى ليست له أجنحة فتتبع ما بقى من حروثهم وشجرهم وكل نبات كان لهم فكان القمل أشد عليهم من الجراد فلم يستطيعوا للقمل حيلة وجزعوا من ذلك وأتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فانه لم يبق لنا شيأ قد أكل ما بقى من حروثنا ولئن كشفت عنا القمل لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم القمل فنكثوا وقالوا لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها البيوت فلم يبق لهم طعام ولا شراب الا وفيه الضفادع فلقوا منها شيأ لم يلقوه فيما مضى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل قال فكشف الله عنهم فلم يفعلوا فأنزل الله فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون الى وكانوا عنها غافلين

حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسن بن واقد عن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تغرق أنفسها فى القدور وهى تغلى وفى التنانير وهى تفور فأتابها الله بحسن طاعتها برد الماء قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فرجع عدو الله يعنى فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلولا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليه بالآيات وأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء فقاض على وجه الارض ثم ركد لا يقدرون على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك

أئن لنا لأجرا لم يعلموا أن أجرهم فى المغلوبية لا فى الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين أجرى الله تعالى هذا على لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسى اما أن تلقى أكرموا موسى بالتقديم والاستئذان فأكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم أى عظيم فى الآثام كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمة اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هى تلقف ما يأفكون فيه أن عصا الذكر اذا ألقتها عند القاء سحر سحرة صفات النفس تبتلع بفم لا النفى جميع ما سحروا به أعين الناس فوقع الحق بأثبات لا اله الا الله و بطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا فى العيون فغلبوا أى سحرة صفات النفس اذ تنورت بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت أوامر الشرع ونواهيه وألقى السحرة ساجدين أى صارت صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية رب موسى الروح وهرون القلب واعلم أن صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل اللهم الا عند غرقها فى بحر الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفى القصة دلالة على أنه تعالى قد يبرز العدو فى صورة الولى مثل بلعام و بالعكس كالسحرة قبل أن آذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن أن الايمان باذنه ولم يعلم أن الايمان باذن الله لمكر مكروه فى موافقة موسى الروح فى مدينة القالب لتخرجوا منها أهلها وهو اللذات والشهوات الدنية لأقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لأصلبنكم فى جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله أعلم ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض و يذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال
عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم
يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه (٢٦) وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون
وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا
عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم آيات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما
كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم
بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا
منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا
فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على
بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وما
كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر فأتوا على قوم يعكفون على
أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة قال انكم قوم
تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه
وباطل ما كانوا يعملون قال أغير
الله أبغيكم الها وهو فضلكم على
العالمين واذ أنجيناكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب يقتلون
أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي
ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴿

* القراآت سنقتل بالتخفيف ابن كثير
وأبو جعفر ونافع يورثها بالتشديد
الخزاز عن هبيرة كلمات ربك
على الجمع يزيد في رواية يعرشون
بضم الراء حيث كان ابن عامر
وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وخلف الباقون بالضم أنجاكم ابن عامر الاخرون ولقومي
أنجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف نافع * الوقوف وآلهتك ط نساءهم ج للابتداء بواو العطف واتحاد القائل قاهرون ٥ واصبروا
ج لما قلنا من عباده ط للمتقين ٥ ماجئتنا ط تعملون ٥ يذكرون ٥ لنا هذه ج لبيان تباين الاضافتين على التناقض ومن

لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له
بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى ان كان ليأكل مسامير الابواب
من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء
مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى أمر أن يمشي الى كثيب حتى يضربه بعصاه فمضى
الى كثيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم
والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله
عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا اناء الا وجد فيه
الضفادع قد غلبت عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء
مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون
من اناء الا عاد دما عبيطا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن
كعب القرظي أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم
العطش فتقول اسقيني من مائك فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فيعود في الاناء
دما حتى ان كانت لتقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء فاذا مجته في فيها صار
دما فكثوا في ذلك سبعة أيام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد الجراد يأكل زروعهم ونباتهم والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم والدم
يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم قال ثنا شبل عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لما
سال النيل دما فكان الاسرائيلي يستقي ماء طيبا ويستقي الفرعوني دما ويشتركان في اناء
واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء طيبا وما يلي الفرعوني دما حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر قال ثني سعيد بن جبير أن موسى لما عالج فرعون بالآيات
الاربع العصا واليد ونقص من الثمرات والسنين قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض
وعتا في الارض وبغى عليّ وعلا عليك وعالى بقومه رب خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه
نقمة وتجعلها لقومي عظة ولمن بعدي آية في الامم الباقية فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء
وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط ماء
حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من حبس منهم غرق ولم يدخل في بيوت بني اسرائيل قطرة
فجعلت القبط تنادي موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني اسرائيل قال فوا نقموا موسى ميثاقا فأخذ عليهم به عهودهم وكان الماء أخذهم يوم السبت
فأقام عليهم سبعة أيام الى السبت الآخر فدعا موسى ربه فرفع عنهم الماء فأعشبت بلادهم من ذلك
الماء فأقاموا شهرا في عافية ثم جحدوا وقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا لبلادنا ما نحب
أنه لم يكن قال وقد قال قائل لابن عباس اني سألت ابن عمر عن الطوفان فقال ما أدري موتا كان أو ماء
فقال ابن عباس أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال فأخذهم الطوفان
وهم ظالمون أرأيت لو ماتوا الى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الاربع بعد الطوفان قال فقال
موسى يا رب ان عبادك قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدي رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة

معه ج لايعلمون ٥ بها بمؤمنين ٥ مجرمين ٥ عاهد عندك ج لان جواب لئن منتظر مع اتحاد القائل بنى اسرائيل ج لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون ٥ غافلين ٥ باركنا فيها ط للعدول عن الحكاية وكذلك بما صبروا ط لعكسه يعرشون ٥ يعكفون ٥ أصنام لهم ج لاتحاد القائل بلا عطف آلهة ط (٢٧) تجهلون ٥ يعملون ٥ العالمين ٥ سوء العذاب ج لاحتمال كون ما بعده مستأنفا أو حالا نساءكم ط عظيم ٥ والله أعلم ﴿التفسير﴾ ثم ان فرعون بعد وقوع هذه الواقعة لم يتعرض لموسى ولا أخذه ولا حبسه لانه كان كلما يرى موسى يخافه أشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على أخذه وحبسه فقالوا أتذر موسى أتتركه وقومه ليفسدوا فى الارض أى يغيروا على الناس دينهم الذى كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى أخذ الملك وقوله ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله وآلهتك مفعول معه والمراد أنه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع آلهته فقط ويحتمل أن يكون منصوبا على أنه جواب الاستفهام والمعنى أيكون منك أن تذر موسى ويكون من موسى أن يذرك وآلهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الأعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بأنه لعله كان اتخذ أصناما على صور الكواكب على أن الكواكب مدبرات العالم السفلى وأما المجدى فى هذا العالم للخلق والمربى لهم فهو نفسه ولذلك قال أنا ربكم الاعلى أى أنا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على أنه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون أوهم قومه انه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف منه فقال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم

ولقومى عظة ولمن بعدهم آية فى الامم الباقية قال فبعث الله عليهم الجراد فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة الا أكلها حتى لم يبق جنى حتى اذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب حتى أكل الابواب وسقوف البيوت وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع غير أنه لا يدخل بيوت بنى اسرائيل فجعوا وصاحوا الى موسى فقالوا يا موسى هذه المرة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا لهم ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم أقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا للتكذيب بهم ولانكارهم ولاعمالهم أعمال السوء قال فقال موسى يارب عبادك قد نقضوا عهدى وأخلفوا موعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فأرسل الله عليهم القمل قال أبو بكر سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان كان الى جنبهم كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه ضربة صار قملا تدب اليهم وهى دواب سود صغار فدب اليهم القمل فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم فصرخوا وصاحوا الى موسى انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك فدعا به فرفع عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم جعل الرمل دوابا وعزة فرعون لا نصدقه أبدا ولا نتبعه فعادوا للتكذيب بهم وانكارهم فدعا موسى عليهم فقال يارب ان عبادك نقضوا عهدى وأخلفوا وعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فأرسل الله عليهم الضفادع فكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاما حتى ما يستطيع أن ينصرف الى الشق الآخر ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته الى فيه ولا يعجن عجينا الا تشدخت فيه ولا يطبخ قدرا الا امتلأت ضفادع فعذبوا بها أشد العذاب فشكوا الى موسى عليه السلام وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ عهدهم وميثاقهم ثم دعا به فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت الى السبت فأقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا للتكذيب بهم وانكارهم وقالوا لقد تبين لكم سحره يجعل التراب دوابا ويجىء بالضفادع فى غير ماء فآذوا موسى عليه السلام فقال موسى يارب ان عبادك نقضوا عهدى وأخلفوا وعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فابتلاهم الله بالدم فأفسد عليهم معايشهم فكان الاسرائيلى والقبطى يأتيان النيل فيستقيان فيخرج للاسرائيلى ماء ويخرج للقبطى دما ويقومان الى الحب فيه الماء فيخرج للاسرائيلى فى انائه ماء وللقبطى دما

حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن سعد قال سمعت مجاهدا فى قوله فأرسلنا عليهم الطوفان قال الموت والجراد قال الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم والقمل هو الدبى سلطه الله عليهم بعد الجراد قال والضفادع تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم وقال بعضهم الدم الذى أرسله الله عليهم كان رعافا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أحمد ابن خالد قال ثنا يحيى بن أبى بكير قال ثنا زهير قال قال زيد بن أسلم أما القمل فالقمل وأما الدم فسلط الله عليهم الرعاف وأما قوله آيات مفصلات فان معناه علامات ودلالات على صحة نبوة

فكأنه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى فى تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون أى سنعيد عليهم ما كنا محناهم به قبل من قتل الابناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة أنه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصله ما جرى بين فرعون وملئه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب أن الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من علم أنه لا مدبر للعالم

الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم أن الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما أمرهم بشيئين بشرهم بآخرين فقال (ان الارض) يعنى أرض مصر أو جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية (لله يورثها من يشاء من عباده) ويعنى بالتوريث جعل الشئ للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة (٣٨) لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من كلام المنصف والا فمعلوم أن القبط لا تقوى لهم أو المراد أن كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغنى الكريم يعينه فى الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم فى قوله سنقتل الى غير ذلك من أنواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) أرض مصر ولا ريب أن فى عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبى المؤيد بالمعجزات القاهرة الناظر بنور الحق أفاد قوة اليقين وأزال ما خامره من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج أى يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قديما وانما يجازيهم على ما يقع منهم حديثا فتتعلق الرؤية الازلية به عن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون وكيف نصب بتعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما يتقدمه ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشؤم التكذيب والتمرد فقال ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ولما

أى بسنى القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت على القحط كالدابة والنجم وقد يراد بها فى غير هذا الموضع الحول والعام قال أبو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب النون ومنه قول الشاعر * دعانى من نجد فان سنينه * لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

موسى وحقيقة ما دعاهم اليه مفصلات قد فصل بينها فجعل بعضها يتلو بعضا وبعضها فى اثر بعض وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال فكانت آيات مفصلات بعضها فى اثر بعض ليكون لله الحجة عليهم فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم فى اليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله آيات مفصلات قال يتبع بعضها بعضا ليكون لله عليهم الحجة فينتقم منهم بعد ذلك وكانت الآية تمكث فيهم من السبت الى السبت وترفع عنهم شهرا قال الله عز وجل فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق آيات مفصلات أى آية بعد آية يتبع بعضها بعضا وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى المفصلات ما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى آيات مفصلات قال معلومات ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر فى هذه الآيات من الآيات والحجج عن الايمان بالله وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم واتباعه على ما دعاهم اليه وتعظموا على الله وعتوا عليه وكانوا قوما مجرمين يقول كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصى والفسق عتوا وتمردا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل﴾ يقول تعالى ذكره ولما وقع عليهم الرجز ولما نزل بهم عذاب الله وحل بهم سخطه ثم اختلف أهل التأويل فى ذلك الرجز الذى أخبر الله انه وقع بهؤلاء القوم فقال بعضهم كان ذلك طاعونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال وأمر موسى قومه من بنى اسرائيل وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس الطوفان وما ذكر الله فى هذه الآية فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال ليذبح كل رجل منكم كبشا ثم ليخضب كفه فى دمه ثم ليضرب به على بابه فقالت القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله يرسل علينا عذابا فنسلم وتهلكون فقالت القبط فما يعرفكم الله الا بهذه العلامات فقالوا هكذا أمرنا به نبينا فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا فأمسوا وهم لا يتدافنون فقال فرعون عند ذلك ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز وهو الطاعون لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشفه عنهم فكان أوفاهم كلهم فرعون فقال لموسى اذهب ببنى اسرائيل حيث شئت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوية الرازى وأبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال حبوية عن ابن عباس لئن كشفت عنا الرجز قال الطاعون وقال آخرون هو العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الرجز العذاب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما كشفنا عنهم الرجز أى العذاب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولما وقع عليهم الرجز يقول العذاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

والسنون من الجموع المصححة الشاذة عن ابن عباس السنون لأهل البوادى وأصحاب المواشى ونقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من أن يعلم أن كل الثمرات لم تنقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فيتنبهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان مس الضر مما يلين الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم يرمكروها فى ثلثمائة (٢٩) وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدة وجع أو وجوع أو حمى لما ادعى الربوبية قال القاضى فى الآية دلالة على أنه تعالى أراد منهم أن يتذكروا لا أن يقيموا على ما هم عليه من الكفر وأجيب بأنه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار فى الحقيقة ولا يرعوى عن الكفر والطغيان الا من شاء وأراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه (فاذا جاءتهم الحسنة) قال ابن عباس أى العشب والخصب والمواشى والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة (قالوا لنا هذه) أى نحن مخصوصون بذلك ولم نزل فى الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا أنها من الله فيشكروه عليها ويقوموا بحق نعمته (وان تصبهم سيئة) اضداد ما ذكرنا (يطيروا) يتشاءموا بموسى ومن معه وأصله يتطيروا فادغم التاء فى الطاء لقرب مخرجهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله وأما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت أيام البلاء فما عددت أيام الرخاء (ألا انما طائرهم عند الله) قال الازهرى يقال للشؤم طائر وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا أى حصل ووقع ذلك فى حظه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير لان الفأل الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازى وذلك لان الارواح الانسانية أقوى وأصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثانى ومعنى الآية أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الكل رهين بمشيئته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان أو بشؤمه وقد تشاءمت اليهود بالنبى صلى الله عليه وسلم وآله فى المدينة

ولما وقع عليهم الرجز قال الرجز العذاب الذى سلط الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون وقد بينا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده المغنية عن اعادتها * وأولى القولين بالصواب فى هذا الموضع أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب والسخط من الله عليهم فزعوا الى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان كل ذلك كان عذابا عليهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا ولم يخبرنا الله أى ذلك كان ولا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأى ذلك كان خبر فنسلم له فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه ولما وقع عليهم الرجز ولا نتعداه الا بالبيان الذى لا تمانع فيه بين أهل التأويل وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يقول بما أوصاك وأمرك به وقد بينا معنى العهد فيما مضى لئن كشفت عنا الرجز يقول لئن رفعت عنا العذاب الذى نحن فيه لنؤمنن لك يقول لنصدقن بما جئت به ودعوت اليه ولنقرن به لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل يقول ولنخلين معك بنى اسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاؤا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون﴾ يقول تعالى ذكره فدعا موسى ربه فأجابه فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم الى أجل هم بالغوه ليستوفوا عذاب أيامهم التى جعلها الله لهم من الحياة أجلا الى وقت هلاكهم اذا هم ينكثون يقول اذا هم ينقضون عهودهم التى عاهدوا ربهم وموسى ويقيمون على كفرهم وضلالهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى الى أجل هم بالغوه قال عدد مسمى لهم من أيامهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون قال ما أعطوا من العهود وهو حين يقول الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وهو الجوع ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ يقول تعالى ذكره فلما نكثوا عهودهم انتقمنا منهم يقول انتصرنا منهم باحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم فى اليم وهو البحر كما قال ذو الرمة

داوية ودجى ليل كأنهما * يم تراطن فى حافاته الروم

وكما قال الراجز * كما دح اليم سقاه اليم * بأنهم كذبوا بآياتنا يقول فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التى أريناهموها وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن النقمة التى أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة والهاء والالف فى قوله عنها كناية من ذكر النقمة فلو قال قائل هى كناية من ذكر الآيات ووجه تأويل الكلام الى وكانوا عنها معرضين فجعل اعراضهم عنها غفولا منهم عنها اذ لم يقبلوها كان مذهبا يقال من الغفلة غفل الرجل عن كذا يغفل عنه غفلة وغفولا وغفلا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع

فقالوا غلت أسعارنا وقلت أمطارنا منذ أتانا قال فى الكشاف و يجوز أن يكون معناه ألا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لأجله و يعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم أنهم لجهلهم أسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم أنهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تأتنا به الآية وفى مهما قولان فعن البصريين أن أصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فحذفوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائى أن مه بمعنى اكفف وما للشرط كأنه قيل كف ما تأتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى أى شئ تأتنا به أو النصب بمعنى أى شئ تحضرنا تأتنا به ومن آية بيان لمهما والضمير فى به وكذا فى بها يعود الى مهما لان البيان كالزيادة فلا يعود اليه شئ ما أمكن العود الى المبين الا أن الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وأنث أخرى حملا على المعنى وسموها آية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها و بقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فأرسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدرى وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى فى الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح أنه المطر وأصله ما طاف وغلب من مطر أو سيل أرسل الله عليهم السماء حتى كاد وا يهلكون و بيوت بنى اسرائيل و بيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله وزعموا أن هذا الذى جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شئ حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل غير بيوت بنى اسرائيل منها شئ ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فأرسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فألقته فى البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحى التى جاء منها فقالوا ما نحن بتاركى ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم

فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ يقول تعالى ذكره وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم و يستخدمونهم تسخيرا واستعبادا من بنى اسرائيل مشارق الارض الشأم وذلك ما يلى الشرق منها ومغاربها التى بارك فيها يقول التى جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لاهلها وانما قال جل ثناؤه وأورثنا لانه أورث ذلك بنى اسرائيل بهلاك من كان فيها من العمالقة و بمثل الذى قلنا فى قوله مشارق الارض ومغاربها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن اسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن فى قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى بارك فيها قال الشأم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سمعت الحسن يقول فذكر نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن فرات القزاز عن الحسن الارض التى بارك فيها قال الشأم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى بارك فيها هى أرض الشأم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله مشارق الارض ومغاربها التى بارك فيها قال التى بارك فيها الشأم وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الارض ومغاربها نصب على المحل يعنى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مشارق الارض ومغاربها وان قوله وأورثنا انما وقع على قوله التى بارك فيها وذلك قول لا معنى له لان بنى اسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ولم يكن له سلطان الا بمصر فغير جائز والامر كذلك أن يقال الذين يستضعفون فى مشارق الارض ومغاربها فان قال قائل فان معناه فى مشارق أرض مصر ومغاربها فان ذلك بعيد من المفهوم فى الخطاب مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير وأما قوله وتمت كلمة ربك الحسنى فانه يقول وفى وعد الله الذى وعد بنى اسرائيل بتمامه على ما وعدهم من تمكينهم فى الارض ونصرهم اياهم على عدوهم فرعون وكلمته الحسنى قوله جل ثناؤه ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل قال ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم فى الارض وما ورثهم منها **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه وأما قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه فانه يقول وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع وما كانوا يعرشون يقول وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وأخرجناهم من ذلك كله وخربنا جميع ذلك وقد بينا معنى التعريش فيما مضى بشواهده و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما كانوا يعرشون يقول يبنون **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعرشون يبنون البيوت والمساكن ما بلغت وكان عنبهم

القمل وهو الحمنان كبار القردان عن أبي عبيدة وقيل الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما ممتلئا قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم (٣١) كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا

غير معروش حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يعرشون بكسر الراء سوى عاصم ابن أبي النجود فانه قرأه بضمها وهما لغتان مشهورتان في العرب يقال عرش يعرش ويعرش فاذا كان ذلك كذلك فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك وأنهما معروفان من كلام العرب وكذلك تفعل العرب في فعل اذا ردته الى الاستقبال تضم العين منه أحيانا وتكسره أحيانا غير أن أحب القراءتين الي كسر الراء لشهرتها في العامة وكثرة القراءة بها وأنها أصح اللغتين

القول في تأويل قوله ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون﴾ يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبينات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكر معها البهائم اذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يقول يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله اجعل لنا يا موسى الها يقول مثالا نعبده وصنما نتخذه الها كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها ولا تنبغي العبادة لشئ سوى الله الواحد القهار وقال موسى صلوات الله عليه انكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشئ سوى الله الذي له ملك السموات والارض وذكر عن ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال ابن جريج على أصنام لهم قال تماثيل بقر فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر فذلك كان أول شأن العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وقيل ان القوم الذين كانوا عكوفا على أصنام لهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية قوم كانوا من لخم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا بشر بن عمر قال ثنا العباس بن المفضل عن أبي العوام عن قتادة فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال على لخم وقيل انهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أبا واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فررنا بسدرة قلت يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انكم ستركبون سنن الذين من قبلكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فررنا بسدرة فقلنا يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها

فأخذ في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم ولحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فأخذ عليهم العهود فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم وكان أحدهم اذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صارت ماؤها الطيب ملحا أجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله آيات مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها معجزات أو فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه أحوالهم وينظر أيوفون بالعهد أم ينكثون كما روى أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات ولا شك أن كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبطي دون الاسرائيلي معجزة أخرى فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز أي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير أنه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان أصابهم فمات من القبط سبعون ألف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بعهده

عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة فى قولك كتبت بالقلم أى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك أو تعلق المقسم عليه بالفعل فتكون باء الاستعطاف أى أسعفنا الى ما نطلب البك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو أن يكون قسما مجابا بالمؤمن فيكون متعلقا بالاقسام (٣٢) أى أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى

و يعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط قال قلتم والذى نفسى بيده ما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون أنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بنى اسرائيل يقول تعالى ذكره قال لهم موسى ان هؤلاء العكوف على هذه الاصنام الله مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده ومخسرهم فيه باثابته اياهم عليه العذاب المهين و باطل ما كانوا يعملون من عبادتهم اياها فمضمحل لانه غير نافع عند مجىء أمر الله وحلوله بساحتهم ولا مدافع عنهم بأس الله اذا نزل بهم ولا منقذهم من عذابه اذا عذبهم فى القيامة فهو فى معنى ما لم يكن و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل وحدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قالا جميعا حدثنا أسباط عن السدى ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول مهلك ما هم فيه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول خسران حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون قال هذا كله واحد كهيئة غفور رحيم عفو غفور قال والعرب تقول انه البائس المتبر وانه البائس المخسر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لقومه أسوى الله ألتمسكم الها وأجعل لكم معبودا تعبدونه والله الذى هو خالقكم فضلكم على عالمى دهركم وزمانكم يقول أفأبغيكم معبودا لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق ان هذا منكم لجهل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم و يستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لليهود من بنى اسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذكروا مع قيلكم هذا الذى قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر و بعد النعم التى سلفت منى اليكم والأيادى التى تقدمت فعلكم ما فعلتم اذ أنجيناكم من آل فرعون وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته فى الكفر بالله من قومه يسومونكم سوء العذاب يقول اذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذى كان يسومهم سيئه يقتلون أبناءكم الذكور من أولادهم و يستحيون نساءكم يقول يستبقون اناثهم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم يقول وفى سومهم اياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم وتعمد عظيم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ يقول تعالى ذكره وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وقيل انها ثلاثون ليلة من ذى القعدة وأتممناها بعشر يقول وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة وقيل ان العشر التى أتممناها به أربعين عشر ذى الحجة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد و واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة وعشر

اسرائيل أى نخليهم وشأنهم فتذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا فى جميع الوقائع بل الى أجل هم بالغوه لا محالة ومعذبون فيه اذا هم ينكثون جواب لما أى لما كشفنا عنهم فاجؤا النكث و بادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فأغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمى باليم لان المنتفعين به يتيممونه أى يقصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا أى كان اغراقهم بسبب التكذيب و بأنهم كانوا عنها أى عن الآيات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا أى وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين أى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى أرض مصر والشام لانها هى التى كانت تحت تصرف فرعون وقوله التى باركنا فيها أى بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بأرض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جلتها كداود وسليمان (وتمت كلمة ربك الحسنى) تأنيث الاحسن صفة للكلمة قيل يريد بالكلمة قوله فى سورة القصص ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة الى تمام الآيتين ومعنى تمت مضت ذى واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا (بما صبروا) أى بسبب صبرهم وفيه أن الصبر عنوان الظفر وضمين

بالنصر والفرج ودمرنا أى أهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعانى والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون (٣٣) والقبط ثم ذكر ما جرى على بنى اسرائيل بعد ذلك فقال (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) روى أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم أى مروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة أصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزلوا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد فى المعبود أنه الله أو اعتقد أنه مقرب الى الله ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشاهير بنى اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن على رضى الله عنه أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال على ما اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف أقدامكم ان هؤلاء يعنى عبدة تلك التماثيل متبر أى مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون أى يتبر الله أصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى فيصير الى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وفى تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى أن عبدة الاصنام ليسوا على شئ البتة وأن مصيرهم الى النار لا محالة قال أغير الله

ذى الحجة قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة وعشر ذى الحجة فى ذلك اختلفوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة هو ذو القعدة وعشر من ذى الحجة فذلك قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى أن الثلاثين التى كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر من ذى الحجة التى تم الله بها الاربعين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة قال ذو القعدة وأتممناها بعشر قال عشر ذى الحجة قال ابن جريج قال ابن عباس مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة والعشر الاول من ذى الحجة قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مسروق وأتممناها بعشر قال عشر الاضحى وأما قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة فانه يعنى فكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فتم ميقات ربه قال فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره لما مضى لموعد ربه قال لاخيه هرون اخلفنى فى قومى يقول كن خليفتى فيهم الى أن أرجع يقال منه خلفه يخلفه خلافة وأصلح يقول وأصلحهم بحملك اياهم على طاعة الله وعبادته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح وكان من اصلاحه أن لا يدع العجل يعبد وقوله ولا تتبع سبيل المفسدين يقول ولا تسلك طريق الذين يفسدون فى الارض بمعصيتهم ربهم ومعونتهم أهل المعاصى على عصيانهم ربهم ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ونجى منه بنى اسرائيل فيما قال أهل العلم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى الحجاج عن ابن جريج قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الآية قال يقول ان ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرق آل فرعون وخلص الى الارض الطيبة أنزل الله عليهم فيها المن والسلوى وأمره ربه أن يلقاه فلما أراد لقاء ربه استخلف هرون على قومه وواعدهم أن يأتيهم الى ثلاثين ليلة ميعادا من قبله من غير أمر ربه ولا ميعاده فتوجه ليلقى ربه فلما تمت ثلاثون ليلة قال عدو الله السامرى ليس يأتيكم موسى وما يصلحكم الا اله تعبدونه فناشدهم هرون وقال لا تفعلوا انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم فقالوا نعم فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامرى لمثل قوله بالأمس قال وأحدث الله الاجل الذى جعله بينهم عشرا فتم ميقات ربه أربعين ليلة فعاد هرون فناشدهم الا ما نظروا ويومهم ذلك أيضا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم ثم عاد السامرى الثالثة لمثل قوله لهم وعاد هرون فناشدهم أن ينتظروا فلما لم يروه قال القاسم قال الحسن حدثنى حجاج قال ثنى أبو بكر بن عبد الله الهذلى قال قام السامرى الى هرون حين انطلق موسى فقال يا نبى الله

أبغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التى لو تأخرت كانت صفة كما تقول أبغيكم الها غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدى يقال بغيت فلانا شأو بغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم

الجسام دون أبناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم مغمورين فى نعم الله فان الاله ليس شيأ يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآية الباقية قد مر تفسيرها فى البقرة والفائدة فى اعادتها ههنا التعجب والتعجيب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون لتناسب قوله سنقتل أبناءهم والله أعلم ﴿ التأويل وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس أتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا فى أرض البشرية ويذرك وآلهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل أبناءهم يعنى أعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم أى الصفات التى عنها يتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال موسى الروح لقومه هم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض لله أى أرض البشرية يورثها من يشاء من عباده يورث أرض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث أرض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء بصفاتها أوذينا من قبل أن تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتأذى من أوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعى البشرية اياه عسى ربكم أن يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى أن الواردات الروحانية لا تكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك من تجلى صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكفور لا يرى فضل المنعم وكذا الملول اذا أراد قطيعة * مل الوصال وقال كان وكانا ولكن أكثرهم

انا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليا كثيرا من زينتهم وان الذين معك قد أسرعوا فى الحلى يبيعونه وينفقونه وانما كان عارية من آل فرعون فليسوا باحياء فنردها عليهم ولا ندرى لعل أجاك نبى الله موسى اذا جاء يكون له فيها رأى اما يقربها قربانا فتأكلها النار واما يجعلها للفقراء دون الاغنياء فقال له هرون نعم ما رأيت وما قلت فأمر مناديا فنادى من كان عنده شئ من حلى آل فرعون فليأتنا به فأتوه به فقال هرون يا سامرى أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة فقبضها السامرى وكان عدو الله الخبيث صاغا فصاغ منه عجلا جسدا ثم قذف فى جوفه تربة من القبضة التى قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام اذ رآه فى البحر فجعل يخور ولم يخر الا مرة واحدة وقال لبنى اسرائيل انما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا الهكم واله موسى فنسى يقول ان موسى عليه السلام نسى ربه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء موسى للوقت الذى وعدنا أن يلقانا فيه وكلمه ربه وناجاه قال موسى لربه أرنى أنظر اليك قال الله له مجيبا لن ترانى ولكن انظر الى الجبل كان سبب مسئلة موسى ربه النظر اليه ما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر اليه قال ربى أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فخف حول الجبل وحف حول الملائكة بنار وحف حول النار بملائكة وحف حول الملائكة بنار ثم تجلى ربه للجبل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وقربناه نجيا قال ثنى من لقى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه قربه الرب حتى سمع صريف القلم فقال عند ذلك من الشوق اليه رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر الهذلى قال لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين حتى سمع كلام الله اشتاق الى النظر اليه فقال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى وليس لبشر أن يطيق أن ينظر الىّ فى الدنيا من نظر الىّ مات قال الهى سمعت منطقك واشتقت الى النظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الىّ من أن أعيش ولا أراك قال فانظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف ترانى حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أرنى أنظر اليك قال أعطنى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استخلف موسى هرون على بنى اسرائيل وقال انى متعجل الى ربى فاخلفنى فى قومى ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى الى ربه متعجلا للقيه شوقا اليه وأقام هرون فى بنى اسرائيل ومعه السامرى يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى طمع فى رؤيته فسأل ربه أن ينظر اليه فقال الله لموسى انك لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى الآية قال ابن اسحق فهذا ما وصل الينا فى كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر الى ربه وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأتنا فى كتاب الله والله أعلم قال ابن اسحق عن بعض أهل العلم الاول بأحاديث أهل الكتاب انهم يجدون فى تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك الى ربه انه كان من كلامه

لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحق مصدودة فأرسلنا عليهم الطوفان العام الكثير والجراد الواردات والقمل الالهامات والضفادع الخواطر والدم أصناف المجاهدات والرياضات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا غب حين فاستكبروا عن قبولها والعمل بها وكانوا قوما مجرمين في الازل فلهذا لم تفدهم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة (٣٥) فأغرقناهم في يم الدنيا وشهواتها وما كانوا

اياه حين طمع في رؤيته وطلب ذلك منه وردّ عليه ربه منه ما رد أن موسى كان تطهر وطهر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سيناء ونادى الله له في الغمام فكلمه سبحه وحمده وكبره وقدسه مع تضرع وبكاء حزين ثم أخذ في مدحته فقال رب ما أعظمك وأعظم شأنك كله من عظمتك انه لم يكن شئ من قبلك فأنت الواحد القهار كان عرشك تحت عظمتك نارتو قدلك وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور فما أعظمك رب وأعظم ملكك جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام فما أعظمك رب وأعظم ملكك في سلطانك فاذا أردت شيأ تقضيه في جنودك الذين في السماء أو الذين في الارض وجنودك الذين في البحر بعثت الريح من عندك لا يراها شئ من خلقك الا أنت ان شئت فدخلت في جوف من شئت من أنبيائك فبلغوا ما أردت من عبادك وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيأ من عظمتك ولا من عرشك ولا يسمع صوتك فقد أنعمت علي وأعظمت علي في الفضل وأحسنت الي كل الاحسان عظمتني في أمم الارض وعظمتني عند ملائكتك وأسمعتني صوتك وبذلت لي كلامك وآتيتني حكمتك فان أعد نعمائك لا أحصيها وان أردت شكرك لا أستطيعها دعوتك رب على فرعون بالآيات العظام والعقوبة الشديدة فضربت بعصاي التي في يدي البحر فانفلق لي ولمن معي ودعوتك حين جزت البحر فأغرقت عدوك وعدوي وسألتك الماء لي ولأمتي فضربت بعصاي التي في يدي الحجر فنبعت منه أرويتني وأمتي وسألتك لأمتي طعاما لم يأكله أحد كان قبلهم فأمرتني أن أدعوك من قبل المشرق ومن قبل المغرب فناديتك من شرقي أمتي فأعطيتهم المن من مشرقي لنفسي وآتيتهم السلوى من غربيهم من قبل البحر واشتكيت الحر فناديتك فظللت عليهم بالغمام فما أطيق نعمائك علي أن أعدها ولا أحصيها وان أردت شكرها لا أستطيعها فحئتك اليوم راغبا طالبا سائلا متضرعا التعطيني ما منعت غيري أطلب اليك وأسألك ياذا العظمة والعزة والسلطان أن ترني أنظر اليك فاني قد أحببت أن أرى وجهك الذي لم يره شئ من خلقك قال له رب العزة فلا ترى يا ابن عمران ما تقول تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يراني أحد فيحيا أليس في السموات معمري فانهن قد ضعفن أن يحملن عظمتي وليس في الارض معمري فانها قد ضعفت أن تسع بجندي فلست في مكان واحد فأتجلى لعين تنظر الي قال موسى يارب أن أراك وأموت أحب الي من أن لا أراك وأحيا قال له رب العزة يا ابن عمران تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يراني أحد فيحيا قال رب تمم علي نعمائك وتمم علي فضلك وتمم علي احسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فاقبض ولكن أحب أن أراك فيطمئن قلبي قال له يا ابن عمران لن يراني أحد فيحيا قال موسى رب تمم علي نعمائك وتمم علي فضلك وتمم علي احسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأموت على اثر ذلك أحب الي من الحياة فقال الرحمن المترحم على خلقه قد طلبت يا موسى وأعطيتك سؤلك ان استطعت أن تنظر الي فاذهب فاتخذ لوحين ثم انظر الى الحجر الاكبر في رأس الجبل فان ما وراءه ومادونه مضيق لا يسع الا مجلسك يا ابن عمران ثم انظر فاني أهبط اليك وجنودي من قليل وكثير ففعل موسى كما أمره ربه نحت لوحين ثم صعد بهما الى الجبل فجلس على الحجر فلما استوى عليه أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا فقال ضعي أكنافك حول الجبل فسمعت ما قال الرب ففعلت أمره ثم أرسل الله الصواعق

يعرشون أي يرفعون بالتجبر والتكبر أنفسهم يقال عرش الطائر اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا بصفات القلب من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على أصنام لهم من المعاني المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وأرادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته معكم ان هؤلاء يعني صفات الروح متبرما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعاني المعقولة وباطل ما كانوا يعملون في غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان والجن والملك بفضلة العبور من الجسمانيات والروحانيات الى الوصول الى المعارف والحقائق الالهيات ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم

هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم (٣٦) وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴿القرا آت أرنى أنظر بسكون الراء وفتح الياء ابن الفليح وزمعة والخزاعى عن البزى الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكاء بالمد حمزة وعلى وخلف انى اصطفيتك بفتح ياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو برسالتى على التوحيد أبو جعفر ونافع وابن كثير الباقون برسالاتى آياتى الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلى وخلف الباقون بضم الراء وسكون الشين من حليهم بفتح الحاء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد الياء حمزة وعلى الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب والنداء حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدى أعجلتم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو قال ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن أم فى طه * (الوقوف)

والظلمة والضباب على ما كان يلى الجبل الذى يلى موسى أربعة فراسخ من كل ناحية ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمروا بموسى فاعترضوا عليه فمروا به طيران النغر تتبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى بن عمران عليه السلام رب انى كنت عن هذا غنيا ما ترى عيناى شيأ قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف على ملائكة ربى ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال الاسد لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع فاقشعرت كل شعرة فى رأسه وجلده ثم قال ندمت على مسئلتى ياليتنى فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فأقبلوا أمثال النسور لهم نحف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم أو كلهب النار ففزع موسى وأيست نفسه وأساء ظنه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورأسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شئ من الذين مر وا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقار بهم شئ من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم وامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى طلب أن يرانى موسى بن عمران واعترضوا عليه فهبطوا عليه فى يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبد الايموت فى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى أنقلب مما أنا فيه أم لا ان خرجت أحرقت وان مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلئ جوفك وينخلع قلبك ويشتد بكاؤك فاصبر للذى جلست لتنظر اليه يا ابن عمران وكان جبل موسى جبلا عظيما فأمر الله أن يحمل عرشه ثم قال مروا بى على عبدى لير انى فقليل من كثير ما رأى فانفرج الجبل من عظمة الرب وغشى ضوء عرش الرحمن جبل موسى ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعا فارتج الجبل فاندك وكل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى بن عمران صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله الحياة برحمته فتغشاه برحمته وقلب الحجر الذى كان عليه وجعله كالمعدة كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فأقامه الروح مثل الام أقامت جنينها حين يصرع قال فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت أنك ربى وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فأعظم رب

أربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ○ ربه لا لأن ما بعده جواب لما البتك ط فسوف وأعظم
ترانى ج صعقا ط المؤمنين ○ الشاكرين ○ لكل شئ ج للعدول مع فاء التعقيب بأحسنها ج الفاسقين ○ بغير الحق ج بها ج
لابتداء شرط آخر ولبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج لذلك سبيلا ○ غافلين ○ أعمالهم ط يعملون ○ خوار ط سبيلا

وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك وتأمر السماء وما فيها فتطيعك لا تستنكف من ذلك ولا يعدل لك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت إليك الحمد لله الذي لا شريك له ما أعظمك وأجلك رب العالمين ﴿القول في تأويل قوله ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾ يقول تعالى ذكره فلما اطلع الرب للجبل جعل الله الجبل دكا أي مستويا بالارض وخر موسى صعقا أي مغشيا عليه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن محمد بن عمر والعنقزي قال ثني أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ما تجلى منه الا قدر الخنصر جعله دكا قال ترابا وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط قال زعم السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال تجلى منه مثل الخنصر فجعل الجبل دكا وخر موسى صعقا فلم يزل صعقا ما شاء الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال انقعر بعضه على بعض وخر موسى صعقا أي ميتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وخر موسى صعقا أي ميتا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله دكا قال دك بعضه بعضا حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول في قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين عن حجاج عن أبي بكر الهذلي فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انقعر فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا الاعمش عن رجل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى ربه للجبل أشار باصبعيه فجعله دكا وأرانا أبو اسمعيل باصبعه السبابة حدثني المثنى قال ثني الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال هكذا باصبعه ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل حدثني المثنى قال ثنا هدبة بن خالد قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال وضع الابهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ الجبل فقال حميد لثابت تقول هذا قال فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوله أنس وأنا أكتمه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكات حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فانه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل يندك على أوله فلما رأى موسى ما يصنع

يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراجحين ○ الدنيا ط المفترين ○ وآمنوا ج لظاهران والوجه الوصل لان ما بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم ○ الالواح ج صلى لاحتمال ما بعده الحال يرهبون ○ ﴿التفسير﴾ لما أهلك الله سبحانه أعداء بني اسرائيل سأل موسى ربه أن يؤتيه الكتاب الذي وعده فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فائدة التفصيل أنه تعالى أمره بصوم ثلاثين وأن يعمل فيها ما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقال أبو مسلم الاصفهاني من الجائز أن يكون موسى عند تمام الثلاثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما أعجلك عن قومك يا موسى فلما أعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة أخرى فتم أربعون ليلة وقيل لا يمتنع أن يكون الوعد الاول لحضرة موسى وحده والوعد الثاني

لحضرة المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم أن الميقات كان عشرين ثم أتمه بعشر فصار ثلاثين والفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدرا أم لا وانتصب أربعين على الحال أي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح كن مصلحا أو وأصلح

ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل ومن دعائه الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع أنه شريكه في النبوة بدليل وأشركه في أمري والشريك أعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكأنه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تأكيدا واطمئنانا والا فالنبي لا يفعل الا الاصلاح (٣٨) ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كأنه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددنا له كما يقال أتيته لعشر خلون من شهر كذا (وكلمه ربه) للناس في كلام الله مذاهب فقيل هو عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والأصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية أو جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يتعذر رؤيته عندنا مع أنه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع أنه ليس بحرف ولا صوت وقال أبو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام أصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة (٢) واختلف العلماء أيضا في أن الله تعالى كلم موسى وحده لظاهر الآية أو مع السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره قال رب أرني أنظر اليك أي أرني نفسك واجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك وأراك عن ابن عباس أن موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في أسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا قربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب أرني أنظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سأل الرؤية وأنه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها قال القاضي للمحصلين من العلماء في هذا المقام أقوال أحدها قول الحسن وغيره أن موسى ما عرف أن الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد أن يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم أن يكون موسى أدون حالا من علماء المعتزلة

الجبل خر صعقا واختلفت القراء في قراءة قوله دكا فقرأ نافع عامة قراء أهل المدينة والبصرة دكا مقصورا بالتنوين بمعنى دك الله الجبل دكا أي فتته واعتبارا بقول الله كلا اذا دكت الارض دكا دكا وقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد

بدك أركان الجبال هدمه * تخطر بالبيض الرقاق بهمه

وقرأ أنه عامة قراء الكوفيين جعله دكاء بالمد وترك الجر والتنوين مثل حمراء وسوداء وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة ويقول فيه ما حدثني به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن عباد عن يزيد بن حازم عن عكرمة قال دكاء من الدكاوات وقال لما نظر الله تبارك وتعالى الى الجبل صار صخرة ترابا واختلف أهل العربية في معناه اذا قرئ كذلك فقال بعض نحويي البصرة العرب تقول ناقة دكاء ليس لها سنام وقال الجبل مذكر فلا يشبه أن يكون منه الا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى واسأل القرية وكان بعض نحويي الكوفة يقول معنى ذلك جعل الجبل أرضا دكاء ثم حذفت الارض وأقيمت الدكاء مقامها اذ أدت عنها * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ جعله دكاء بالمد وترك الجر لدلالة الخبر الذي رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته وذلك أنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فساخ الجبل ولم يقل فتفتت ولا تحول ترابا ولا شك أنه اذا ساخ فذهب ظهر وجه الارض فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها وصارت دكاء بلا سنام وأما اذا دك بعضه فانما يكسر بعضه بعضا ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكاء فانها خلف من الارض فلذلك أتت على ما قد بينت فمعنى الكلام اذا فلما تجلى ربه للجبل ساخ فجعل مكانه أرضا دكاء وقد بينا معنى الصعق بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * القول في تأويل قوله ﴿فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره فلما تاب الى موسى عليه السلام فهمه من غشيته وذلك هو الافاقة من الصعقة التي خرلها موسى صلى الله عليه وسلم قال سبحانك تنزيها لك يا رب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش تبت اليك من مسئلتي اياك ما سألتك من الرؤية وأنا أول المؤمنين بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد الا هلك ونحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك الى يوم القيامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما رأى موسى ذلك وأفاق عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له فقال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال أبو العالية عنى أني أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم ابن بشار قال قال سفيان قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وخر موسى صعقا فمرت به الملائكة وقد صعق فقالت يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما فلما أفاق قال سبحانك لا اله الا أنت تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك يعني في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قال

(٢) لم يتم كلام الماتريدي وانظره في الفخر ليتم لك الفرق بينه وبين المعتزلة كتبه مصححه

العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبأنهم يدعون العلم الضرورى بأن كل ما كان مرئيا فانه يجب أن يكون مقابلا أو فى حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو أيضا محال وثانيها طريقة أبى على وأبى هاشم أن موسى عليه السلام سأل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بأنه لو كان كذلك لقال موسى أرهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني وبأنه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبأن ذكر الدليل القاطع فى هذا المقام فرض مضيق فلم يمكن تأخيره مع أنهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم فى الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم أن يقولوا لا نسلم أن هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار أبى القاسم الكعبى أن موسى سأل ربه المعرفة الضرورية بحيث تزول عندها الخواطر والوساوس كما فى معرفة أهل الآخرة وردّ بأنه تعالى أراه من الآيات كالعصا واليد وغيرها ما لا غاية بعدها فكيف يليق به أن يقول أظهر لى آية تدل على أنك موجود ولو فرضنا أنه لائق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل أن يقول منعه فى الدنيا لحكمة علمها الله تعالى ولا يلزم منه المنع فى الآخرة ورابعها وهو قول أبى بكر الاصم أن موسى أراد تأكيد الدليل العقلى بالدليل السمعى وتعاضد الدلائل أمر مطلوب للعقلاء وضعف بأنه كان الواجب عليه حينئذ أن يقول أريد يا الهى أن يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر فى عقلى ولقائل أن يقول هذا تعيين الطريق وفى الآية سؤال وهو أنه تعالى لم قال لن ترانى دون لن تنظرانى ليناسب قوله أنظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذى معه الادراك بدليل أرنى ومن حجج الاشاعرة أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز وردّ بأنه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه أى فى وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها

سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين يقول أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شئ من خلقك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك قال من مسئلتى الرؤية حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد قال سبحانك تبت اليك أن أسألك الرؤية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك أن أسألك الرؤية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عيسى بن ميمون عن مجاهد فى قوله سبحانك تبت اليك قال تبت اليك من أن أسألك الرؤية وقال آخرون معناه قوله وأنا أول المؤمنين بك من بنى اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى، قال ثنا أبى قال ثنا أسباط عن السدى عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين قال أول من آمن بك من بنى اسرائيل حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين يعنى أول المؤمنين من بنى اسرائيل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأنا أول المؤمنين أنا أول قومى ايمانا حدثنا ابن وكيع والمثنى قالا ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد وأنا أول المؤمنين يقول أول قومى ايمانا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنا أول المؤمنين قال أنا أول قومى ايمانا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وأنا أول المؤمنين قال أول قومى آمن وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى قوله وأنا أول المؤمنين على قول من قال معناه أنا أول المؤمنين من بنى اسرائيل لانه قد كان قبله فى بنى اسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم ولد اسرائيل لصلبه وكانوا مؤمنين وأنبياء فلذلك اخترنا القول الذى قلناه قبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى يا موسى انى اصطفيتك على الناس يقول اخترتك على الناس برسالاتى الى خلقى أرسلتك بها اليهم وبكلامى كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقى فخذ ما آتيتك يقول فخذ ما أعطيتك من أمرى ونهيى وتمسك به واعمل به يريد وكن من الشاكرين لله على ما آتاك من رسالته وحصل به من النجوى بطاعته فى أمره ونهيه والمسارعة الى رضاه ۞ القول فى تاويل قوله ﴿وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ﴾ يقول تعالى ذكره وكتبنا لموسى فى ألواحه وأدخلت الألف واللام فى الألواح بدلا من الاضافة كما قال الشاعر * والاحلام غير عوازب * وكما قال جل ثناؤه فان الجنة هى المأوى يعنى هى مأواه وقوله من كل شئ يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه موعظة لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب فى الالواح وتفصيلا لكل شئ يقول وتبيينا لكل شئ من أمر الله ونهيه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو سعيد بن جبير وهو فى أصل كتابى عن سعيد بن جبير

قوله فلما تجلى ربه أى ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا أبرزتها أو ظهر للجبل اقتداره وتصدى له أمره وارادته جعله دكا أى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق أخوان ومن قرأ بالمد أراد أرضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء أيضا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شأن الرؤية وان أحدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتأييده وقالت المعتزلة الرؤية أمر محال لقوله لن ترانى وكلمة لن ان لم تفد التأبيد فلا أقل من التأكيد وأيضا الاستدراك فى قوله ولكن انظر معناه أن النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر الى الجبل لتشاهد تدكك أجزائه وتفرق أبعاضه من عظمة التجلى واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قالت الاشاعرة ههنا لم يبعد أن يخلق الله تعالى حينئذ فى الجبل حياة وعقلا وفهما ورؤية وأيضا قوله وخر موسى صعقا أى مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وأيضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك أنزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك انى تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص من عندك وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس وقالت الاشاعرة وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى فى الدنيا أو بأنه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله اياها أخذ فى تعداد سائر نعمه عليه وأمره أن يشتغل بشكرها فقال يا موسى انى اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى بالمنهى عن منع الرؤية قيل وفى هذا دليل على جواز الرؤية فى نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض أنه تعالى خصه من دون الناس بمجموع أمرين الرسالة

فى قول الله وتفصيلا لكل شئ قال ما أمر وابه ونهوا عنه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ من الحلال والحرام **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وتفصيلا لكل شئ قال ما أمروا به ونهوا عنه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ قال عطية أخبرنى ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كره الموت قال هذا من أجل آدم قد كان الله جعلنا فى دار مثوى لا نموت فخطأ آدم أنزلنا ههنا فقال الله لموسى أبعث اليك آدم فتخاصمه قال نعم فلما بعث الله آدم سأله موسى فقال أبونا آدم عليهما السلام يا موسى سألت الله أن يبعثنى لك قال موسى لولا أنت لم نكن ههنا قال له آدم أليس قد آتاك الله من كل شئ موعظة وتفصيلا أفلست تعلم أنه ما أصاب فى الارض من مصيبة ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها قال موسى بلى فخصمه آدم صلى الله عليهما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول فى قوله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ قال كتب له لا تشرك بى شيأ من أهل السماء ولا من أهل الارض فان كل ذلك خلقى لا تحلف باسمى كاذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ووقر والديك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فخذها بقوة﴾ يقول تعالى ذكره وقلنا لموسى اذ كتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ خذ الالواح بقوة وأخرج الخبر عن الالواح والمراد ما فيها واختلف أهل التأويل فى معنى القوة فى هذا الموضع فقال بعضهم معناها بجد ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فخذها بقوة قال بجد **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى فخذها بقوة قال بجد واجتهاد وقال آخرون معنى ذلك فخذها بالطاعة لله ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله فخذها بقوة قال بالطاعة وقد بينا معنى ذلك بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه فى سورة البقرة عند قوله خذوا ما آتيناكم بقوة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ يقول تعالى ذكره قلنا لموسى وأمر قومك بنى اسرائيل يأخذوا بأحسنها يقول يعملوا بأحسن ما يجدون فيها كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وأمر قومك يأخذوا بأحسنها بأحسن ما يجدون فيها **حدثنى** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال أمر موسى أن يأخذها بأشدها أمر به قومه فان قال قائل وما معنى قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن قيل لا ولكن كان فيها أمر ونهى فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل

والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام بلا وسط سببا للاشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء فى الخبر أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج بعين الرأس وفى ذلك دليل على أفضليته على موسى شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب والمراد بالرسالات ههنا أسفار التوراة فخذ ما آتيتك من شرف الرسالة

والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بأن تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له فى الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطاه الله التوراة يوم النحر وذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرائيل وقيل من زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب أنها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى قطعها بيده وشققها بأصابعه وقيل طولها كان عشرة أذرع والتحقيق أن أمثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والاوجب السكوت عنه اذ ليس فى الآية ما يدل على ذلك وأما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرائيل بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل أيضا كما قلنا (من كل شئ) مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو أخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل فى الموعظة كل ما يوجب الرغبة فى الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد وأراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من أقسام الاحكام ويجوز أن يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا له فى الالواح موعظة من كل شئ وتفصيلا لكل شئ قيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منها فى سنة لم يقرأها الا

بالمنهى عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره لموسى اذ كتب فى الالواح من كل شئ خذها بجد فى العمل بما فيها واجتهاد وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بى فان من أشرك بى منهم ومن غيرهم فانى سأريه فى الآخرة عند مصيره الى دار الفاسقين وهى نار الله التى أعدها لاعدائه وانما قال سأريكم دار الفاسقين كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غدا الام يصير اليه حال من خالف أمرى على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سأريكم دار الفاسقين قال مصيرهم فى الآخرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا مبارك عن الحسن فى قوله سأريكم دار الفاسقين قال جهنم وقال آخرون معنى ذلك سأدخلكم أرض الشأم فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سأريكم دار الفاسقين منازلهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دار الفاسقين قال منازلهم وقال آخرون معنى ذلك سأريكم دار قوم فرعون وهى مصر ذكر من قال ذلك ٧ وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لان الذى قبل قوله جل ثناؤه سأريكم دار الفاسقين أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما فى التوراة فأولى الامور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرط فى العمل لله وحاد عن سبيله دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه سأنزع عنهم فهم الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور المروزى قال ثنى محمد بن عبد الله ابن بكر قال سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال يقول أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتى وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله ممن بعث اليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى لان القرآن انما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلام وقال آخرون فى ذلك معناه سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج سأصرف عن آياتى عن خلق السموات والارض والآيات فيها سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا ۞ وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه سيصرف عن آياته وهى أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته فى توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه والسموات والارض وكل موجود من خلقه فمن آياته والقرآن أيضا من آياته وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين فى الارض بغير الحق وهم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادكار بها مصروفون

٧ هكذا بياض بالاصل والذى فى الدر عن قتادة دار الفاسقين قال مصر اهـ قال العراقى انه تصحيف

أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب فى الالواح انى أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيأ ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ولا تزنوا ولا تقتلوا ولا تعقوا الوالدين نخذها على ارادة القول أى وكتبنا فقلنا له خذها أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والضمير للالواح أو لكل شئ لانه فى معنى الاشياء أو للرسالات

أو للتوراة بقوة بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما فى التوراة وجب كون الكل مأمورا به فظاهر قوله يأخذوا بأحسنها يقتضى أن فيه ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الاخذ به وأجاب العلماء بوجوه منها أن تلك التكاليف منها ما هو حسن ومنها ما هو أحسن كالاقتصاص (٤٣) والعفو والانتصار والصبر فرهم أن يأخذوا بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والأحسن الواجب والمندوب وقال فى الكشاف يجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف أحر من الشتاء ثم ختم الآية بالوعيد والتهديد فقال سأريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعنى جهنم أى ليكن ذكر جهنم حاضرا فى أذهانكم لتحذروا أن تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشأم ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما أصابهم وقال الكلبى هى منازل عاد وثمود وأقرانهم يمرون عليها فى أسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بأن الله تعالى سيرزقهم أرض أعدائهم ويؤيده ما قرئ سأورثكم وقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما به يعامل الفاسقين المتكبرين فقال سأصرف عن آياتى الآية فاحتجت الاشاعرة بها على أنه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائى قوله سأصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم فى الزمان الماضى فعلم أن المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وأيضا الصرف مذكور على وجه العقوبة على التكبر والاعتساف ولا تكون العقوبة كانت عين المعاقب عليه فوجب تأويل الآية وقال الكعبى وأبو مسلم الاصفهانى ان هذا الكلام تمام لما وعد الله به موسى من النصرة والعصمة أى أصرفهم عن آياتى فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل اليك الى قوله والله يعصمك

لانهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا الى الحق وذلك غير كائن منهم لأنه جل ثناؤه قال وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها فلا تبديل لكلمات الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ يقول تعالى ذكره وان يرهؤلاء الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وتكبرهم فيها بغير الحق تجبرهم فيها واستكبارهم عن الايمان بالله ورسوله والاذعان لأمره ونهيه وهم لله عبيد يغذوهم بنعمته ويربح عليهم رزقه بكرة وعشيا كل آية يقول كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته وكل دلالة على أنه لا تنبغى العبادة الا له خالصة دون غيره لا يؤمنوا بها يقول لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هى فيه حجة ولكنهم يقولون هى سحر وكذب وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يقول وان يرهؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذى ان سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا الى نعيم الأبد لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقا جهلا منهم وحيرة وان يروا سبيل الغى يقول وان يروا طريق الهلاك الذى ان سلكوه ضلوا وهلكوا وقد بينا معنى الغى فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته يتخذوه سبيلا يقول يسلكوه ويجعلوه لانفسهم طريقا لصرف الله اياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم فهم لا يفلحون ولا ينجحون ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول تعالى ذكره صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقية ما أمرناهم به ونهيناهم عنه غافلين لا يتفكرون فيها لاهين عنها لا يعتبرون بها فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعطبوا واختلف القراء فى قراءة قوله الرشد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين الرشد بضم الراء وتسكين الشين وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض المكيين الرشد بفتح الراء والشين ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك اذا ضمت راؤه وسكنت شينه وفيه اذا فتحتا جميعا فذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول معناه اذا ضمت راؤه وسكنت شينه الصلاح كما قال الله فان آنستم منهم رشدا بمعنى صلاحا وكذلك كان يقرؤه هو ومعناه اذا فتحت راؤه وشينه الرشد فى الدين كما قال جل ثناؤه تعلمنى مما علمت رشدا بمعنى الاستقامة والصواب فى الدين وكان الكسائى يقول هما لغتان بمعنى واحد مثل السقم والسقم والحزن والحزن وكذلك الرشد والرشد ۞ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما فى قراءة الامصار متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب بها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء المستكبرون فى الارض بغير الحق وكل مكذب بحجج الله ورسله وآياته وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ومنكر لقاء الله فى آخرته ذهبت أعمالهم فبطلت وحصلت لهم أوزارها فثبتت لانهم عملوا لغير الله وأتعبوا أنفسهم فى غير ما يرضى الله فصارت أعمالهم عليهم وبالا يقول الله جل ثناؤه هل يجزون الا ما كانوا يعملون يقول هل ينالون الا ثواب ما كانوا يعملون فصار ثواب أعمالهم الخلود فى نار أحاط بهم سرادقها اذ

من الناس وقيل سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما فى آياتى من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الآيات آيات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا فقد صيروا أنفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بما بعد ذلك فحينئذ يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه آخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم انه اذا شاهد تلك الآيات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح أن يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من يبالغ فى كفره وينتهى الى الحد الذى اذا وصل اليه مات قلبه وهى بالطبع والخذلان فالمراد بالمصروفين هؤلاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى قوله بغير الحق اما أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما أن يكون صلة للفعل أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذى لا أصل له ومنه يعلم أن للحق أن يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قاله الكسائى وفرق أبو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وبفتحتين الاستقامة فى الدين قوله تعالى مما علمت رشدا وسبيل الغى ضد ما ذكرنا ثم بين أن ذلك الصرف وتعكيس القضية انما كان لامرين كونهم مكذبين بآيات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء أو النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب أنهم كذا وكذا ثم بين أن أولئك المتكبرين مجزيون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أى جحدوا المعاد حبطت أعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول أبى هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا لانها دلت على أنه لا جزاء الا على عمل

كانت أعمالهم فى طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن نعوذ بالله من غضبه وقد بينا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره واتخذ بنو اسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقهم موسى ماضيا الى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذى كان ربه وعده من حليهم عجلا وهو ولد البقرة فعبدوه ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال جسدا له خوار والخوار صوت البقر يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل وذلك أن الرب جل جلاله الذى له ملك السموات والارض ومدبر ذلك لا يجوز أن يكون جسدا له خوار لا يكلم أحدا ولا يرشد الى خير وقال هؤلاء الذين قص الله قصصهم لذلك هذا الهنا واله موسى فعكفوا عليه يعبدونه جهلا منهم وذهابا عن الله وضلالا وقد بينا سبب عبادتهم اياه وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى بما أغنى عن اعادته وفى الحلى لغتان ضم الحاء وهو الاصل وكسرها وكذلك ذلك فى كل ما شاكله من مثل صلى وجنى وعتى وبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب لاستفاضة القراءة بهما فى القراءة لا تفارق بين معنييهما وقوله ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ألم ير الذين عكفوا على العجل الذى اتخذوه من حليهم يعبدونه أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ولا يرشدهم الى طريق وليس ذلك من صفة ربهم الذى له العبادة حقا بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله ويرشد خلقه الى سبيل الخير وينهاهم عن سبيل المهالك والردى يقول الله جل ثناؤه اتخذوه أى اتخذوا العجل الها وكانوا باتخاذهم اياه ربا معبودا ظالمين لانفسهم لعبادتهم غير من له العبادة واضافتهم الالوهة الى غير الذى له الالوهة وقد بينا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولما سقط فى أيديهم ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جل ثناؤه صفته عند رجوع موسى اليهم واستسلموا لموسى وحكمه فيهم وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف وعاجز عن شئ قد سقط فى يديه وأسقط لغتان فصيحتان وأصله من الاستسار وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه فيرمى به من يديه الى الارض ليأسره فيكتفه فالمرمى به مسقوط فى يدى الساقط به فقيل لكل عاجز عن شئ ومصارع لعجزه متندم على ما فاته سقط فى يديه وأسقط وعنى بقوله ورأوا أنهم قد ضلوا ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله وكفروا بربهم قالوا تائبين الى الله منيبين اليه من كفرهم به لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ثم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة لئن لم يرحمنا ربنا بالرفع على وجه الخبر وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لئن لم ترحمنا ربنا بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا يا ربنا على وجه الخطاب منهم لربهم واعتل قارئو ذلك كذلك بأنه فى احدى القراءتين قالوا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا وذلك دليل على الخطاب والذى هو أولى بالصواب من القراءة فى ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء فى يرحمنا وبالرفع فى قوله ربنا لانه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجها الى الخطاب والقراءة التى حكيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا لئن لم ترحمنا ربنا لا نعرف

وترك الواجب ليس بعمل أجاب أبو هاشم بأنى لا أسمى ذلك العقاب جزاء ورد بأن الجزاء ما يجزى أى يكفى فى المنع عن النهى أو فى الحث على المأمور لكن العقاب على ترك الواجب كاف فى الزجر عن ذلك الترك فكان جزاء قيل ان بنى اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلى فاستعاروها مرة فأغرق الله (٤٤) القبط فبقيت تلك الحلى فى أيدى بنى اسرائيل فلهذا أضيفت اليهم على أن مجرد ملابسة الاستعارة أيضا تحقق الاضافة

وتصحيحها والحلى جمع حلى كثدى وثدى ومن كسر الحاء فللاتباع لجمع

السامرى تلك الحلى وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامرى لهم عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك فقال قوم كان قد أخذ تراب حافر فرس جبرائيل فألقاه فى جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامرى هذا الهكم واله موسى وقال أكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع فى جوفه أنابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الرياح فظهر منه صوت شديد يشبه خوار العجل وقال آخرون انه صير ذلك التمثال أجوف وخبأ تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال سبحانه واتخذ قوم موسى مع أن المتخذ هو السامرى وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه أو لان المراد باتخاذ العجل هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده أى من بعد مضيه الى الطور قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الآية لقول موسى فى الدعاء رب اغفر لى ولاخى ولو كان غيرهما أهلا للدعاء لأشركهم فى ذلك وقال آخرون بل كان قد بقى فى بنى اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما أو بقى ذهبا كما كان مال بعضهم الى ضلوا الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار والجسد اسم للجسم ذى اللحم والدم والخوار انما يكون للبقرة لا للصورة واستبعده بعضهم وناقش فى أن الجسد مختص بذى الروح ثم قال ان ذلك الصوت لما أشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرأ على كرم الله وجهه جؤار بالجيم

صحتها من الوجه الذى يجب التسليم اليه ومعنى قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ويتغمد بها ذنوبنا لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم ﴾ يقول تعالى ذكره ولما رجع موسى الى قومه من بنى اسرائيل رجع غضبان أسفا لان الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامرى قد أضلهم فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك والاسف شدة الغضب والتغيظ به على من أغضبه كما حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمى قال ثنى شريح بن يزيد قال سمعت نصر بن علقمة يقول قال أبو الدرداء قول الله غضبان أسفا قال الاسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك وتفسير ذلك فى كتاب الله ذهب الى قومه غضبان وذهب أسفا وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أسفا قال حزينا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا يقول أسفا حزينا وقال فى الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والأسف على وجهين الغضب والحزن حدثنا نصر بن على قال ثنا سليمان بن سليمان قال ثنا مالك بن دينار قال سمعت الحسن يقول فى قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال غضبان حزينا وقوله قال بئسما خلفتمونى من بعدى يقول بئس الفعل فعلتم بعد فراقى اياكم وأوليتمونى فيمن خلفت ورائى من قومى فيكم ودينى الذى أمركم به ربكم يقال منه خلفه بخير وخلفه بشر اذا أولاه فى أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرا وقوله أعجلتم أمر ربكم يقول أسبقتم أمر ربكم فى نفوسكم وذهبتم عنه يقال منه عجل فلان هذا الامر اذا سبقه وعجل فلان فلانا اذا سبقه ولا تعجلنى يا فلان لا تذهب عنى وتدعنى وأعجلته استحثثته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ﴾ يقول تعالى ذكره وألقى موسى الالواح ثم اختلف أهل العلم فى سبب القائه اياها فقال بعضهم ألقاها غضبا على قومه الذين عبدوا العجل ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير قال قال ابن عباس لما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فأخذ برأس أخيه يجره اليه وألقى الالواح من الغضب وحدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رجع موسى الى قومه وكان قريبا منهم سمع أصواتهم فقال انى لأسمع أصوات قوم لاهين فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الالواح فكسرها وأخذ برأس أخيه يجره اليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أخذ موسى الالواح ثم رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فقال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا الى قوله فكذلك ألقى السامرى فألقى موسى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما انتهى موسى الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ألقى الالواح من يده ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول ما منعك اذ رأيتهم

والهمزة من جأر اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على فساد كون ذلك العجل الها بقوله ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله أن يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما أنزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال فمن كان مضلا عن الدين لا يصلح أن يكون الها قالت الاشاعرة لو صح أن الاله يلزم (٤٥) أن يكون متكلما هاديا يلزم أن يكون كل متكلم هاد إلها والحق أن الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا أن كل اله يجب أن يكون متكلما هاديا والموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على أنه يمكن أن يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم أخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في أيديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج أريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وقال في الكشاف ان من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده فتصير يده مسقوطا فيها الا ان فاه وقع فيها فأصل الكلام سقط فوه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فيه كما يحذف الفعل ويبنى للمفعول فيه في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد أن ذلك العمل خير وصواب وانه يورثه رفعة ورتبة فاذا بان أن ذلك العمل باطل فكأنه انحط وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا أخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كأنه تدارك الحالة التي لاجلها حصل له الندم وكأنه قد سقط في يد نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وحكى الواحدي أنه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بأدنى حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية في أكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط

ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري وقال آخرون انما ألقى موسى الالواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه فاشتد ذلك عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذ الالواح قال رب اني أجد في الالواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون أي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن كتابهم نظرا حتى اذا رفعوها لم يحفظوا شيأ ولم يعرفوه قال قتادة وان الله أعطاكم أيتها الامة من الحفظ شيأ لم يعطه أحدا من الامم قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة يؤمنون بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها وكان من قبلهم من الامم اذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها وان ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع قال وان الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فاذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الالواح وقال اللهم اجعلني من أمة أحمد قال فأعطى نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبي قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي قال فرضي نبي الله ثم أعطى الثانية ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضا حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما أخذ موسى الالواح قال يا رب اني أجد في الالواح أمة هم خير الامم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يا رب اني أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ الا أنه قال في حديثه فألقى موسى عليه السلام الالواح وقال اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم * والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يكون سبب القاء موسى الالواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل لان الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه فقال ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه وذلك أن الله لما كتب لموسى عليه السلام في الالواح التوراة أدناه منه حتى سمع صريف القلم ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدي عن أبي عمارة عن علي عليه السلام قال لما كتب الله الالواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الاقلام

اليد هو العجز التام كما يقال فى العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدى الى صلاحه وقيل ان فى بمعنى على أى سقط على أيديهم فان من عادة النادم أن يطأطئ رأسه ويضعه على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا أنهم قد ضلوا أى قد تبينوا ضلالهم كأنهم أبصروه بعيونهم قال القاضى الكلام على التقديم والتأخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطا والترتيب الاصلى ولما رأوا أنهم قد ضلوا اسقط فى أيديهم ويمكن أن يقال الواو لا تفيد الترتيب أو يقال الاقدام على ما لا يعلم كونه صوابا أو خطأ فاسد موجب للندم وقد يتكامل العلم فيظهر أنه خطأ جزما ثم انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر أبونا آدم وأمنا حواء ان لم يرحمنا ربنا الآية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول أبى مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان أسفا فانه يدل على أن هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء فى سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على أنه تعالى أخبره بوقوع الواقعة فى الميقات والأسف الشديد الغضب وهو قول أبى الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدى هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبان على قومه أسفا من فتنة ربه بئسما خلفتمونى خاطب عبدة العجل أو وجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتمونى والمخصوص محذوف التقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى مع قوله خلفتمونى من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الانداد أو من بعدما كنت أحمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفيهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله تخلف من بعدهم خلف أى من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة أعجلتم أمر ربكم قال الواحدى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة فى الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشئ فى أول وقته قال ابن عباس

فى الالواح قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أدناه حتى سمع صريف الاقلام وقيل ان التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وكان فيما رفع تفصيل كل شئ الذى قال الله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ وبقى الهدى والرحمة فى السبع الباقى وهو الذى قال الله أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وقر بعير يقرأ منها الجزء فى سنة كما حدثنى المثنى قال ثنا محمد بن خالد المكفوف قال ثنا عبد الرحمن عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس قال أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ منها الجزء فى سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى بن عمران وعيسى وعزير ويوشع بن نون صلوات الله عليهم واختلفوا فى الالواح فقال بعضهم كانت من زمرد أخضر وقال بعضهم كانت من ياقوت وقال بعضهم كانت من برد ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى موسى الالواح فتكسرت فرفعت الا سدسها قال ابن جريج وأخبرنى ان الالواح من زبرجد وزمرد من الجنة وحدثنى موسى بن سهل الرملى وعلى ابن داود وعبد الله بن أحمد بن شبويه وأحمد بن الحسن الترمذى قالوا أخبرنا آدم العسقلانى قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال كانت ألواح موسى عليه السلام من برد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى الجنيد عن جعفر بن أبى المغيرة قال سألت سعيد بن جبير عن الالواح من أى شئ كانت قال كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بيده فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال حدثنا عبد الرحمن عن محمد ابن أبى الوضاح عن خصيف عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال كانت الالواح زمردا فلما ألقى موسى الالواح بقى الهدى والرحمة وذهب التفصيل قال ثنا القاسم قال ثنا الاشجعى عن محمد بن مسلم عن خصيف عن مجاهد قال كانت الالواح من زمرد أخضر وزعم بعضهم أن الالواح كانت لوحين فان كان الذى قال كما قال فانه قيل وكتبنا له فى الالواح وهما لوحان كما قيل فان كان له اخوة وهما أخوان وأما قوله وأخذ برأس أخيه يجره اليه فان ذلك من فعل نبى الله صلى الله عليه وسلم كان لموجدته على أخيه هرون فى تركه اتباعه واقامته مع بنى اسرائيل فى الموضع الذى تركهم فيه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى حين أخبره هرون بعذره فقبل عذره وذلك قيله لموسى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقال يا ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء الآية واختلفت القراء فى قراءة قوله يا ابن أم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة يا ابن أم بفتح الميم من الأم وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ابن أم بكسر الميم من الأم واختلف أهل العربية فى فتح ذلك وكسره مع اجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان فى العرب فقال بعض نحويى البصرة قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلا اسما واحدا كما قيل يا ابن عم وقال هذا شاذ لا يقاس عليه وقال من قرأ ذلك يا ابن أم فهو على لغة الذين يقولون هذا غلام قد جاء جعله اسما واحدا آخره مكسور مثل قوله خمسة عشر وقال بعض نحويى

يعنى أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلتم وعد ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك أنهم قدروا أنه لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة فقد مات وروى أن السامرى قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا وقال الكلبى أعجلتم عبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم وقال عطاء أعجلتم سخط ربكم وفى الكشاف يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وماوصاكم به وألقى الالواح التى فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال يرحم الله أخى موسى ما الخبر كالمعاينة لقد أخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف أن ما أخبره الله تعالى به حق وانه مع ذلك متمسك بما فى يده وروى أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الالواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقى سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شئ وفيما بقى الهدى والرحمة قال فى التفسير الكبير القاء الالواح ثابت بالقرآن فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء وأقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء لا بالتكسر الذى لا يتعلق باختياره فكل ما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح أن يجعل عذرا عن التكسر وأخذ برأس أخيه أى بشعر رأسه يجره اليه بذؤابته واعلم أن موسى عليه السلام كان فى نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب الى بنى اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه أمرين أحدهما القاء الالواح والآخر أخذ رأس أخيه جارا اليه فزعم مثبتو عصمة الانبياء أنه جر برأس أخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لأجل الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف أن يتوهم جهال بنى اسرائيل أن موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن أم من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال أو على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما أضافه الى الام اشارة الى أن أمهما واحدة على ما روى أنه كان

نحو بنى الكوفة قيل يا ابن أم و يا ابن عم فنصب كما ينصب المعرب فى بعض الحالات فيقال يا حسرتا يا ويلتا قال فكانهم قالوا يا أماه و يا عماه ولم يقولوا ذلك فى أخ ولو قيل ذلك لكان صوابا قال والذين خفضوا ذلك فانه كثر فى كلامهم حتى حذفوا الياء قال ولا تكاد العرب تحذف الياء الا من الاسم المنادى يضيفه المنادى الى نفسه الا قولهم يا ابن أم و يا ابن عم وذلك أنهما يكثر استعمالهما فى كلامهم فاذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء فقالوا يا ابن أبى و يا ابن أختى وأخى و يا ابن خالتى و يا ابن خالى والصواب من القول فى ذلك أن يقال اذا فتحت الميم من ابن أم فمرادبه الندبة يا ابن أماه وكذلك من ابن عم فاذا كسرت فمرادبه الاضافة ثم حذفت الياء التى هى كناية اسم المخبر عن نفسه وكأن بعض من أنكر نسبته كسر ذلك اذا كسر كسر الزاى من خازباز لان خازبازا لا يعرف الثانى الا بالاول ولا الاول الا بالثانى فصارا كالاصوات وحكى عن يونس الجرمى تأنيث أم وتأنيث عم وقال لا يجعل اسما واحدا الا مع ابن المذكر قالوا وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة من قال يا ابن أمى باثبات الياء كما قال أبو زبيد

يا ابن أمى و يا شقيق نفسى ✻ أنت خلفتنى لدهر شديد

وكما قال الآخر

يا ابن أمى ولو شهدتك اذ تد ✻ عو تميما وأنت غير مجاب

وانما أثبت هؤلاء الياء فى الام لانها غير منادا وانما المنادى هو الابن دونها وانما تسقط العرب الياء من المنادى اذا أضافته الى نفسها لا اذا أضافته الى غير نفسها كما قد بينا وقيل ان هرون انما قال لموسى عليه السلام يا ابن أم ولم يقل يا ابن أبى وهما لاب واحد وأم واحدة استعطافا له على نفسه برحم الام وقوله ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى يعنى بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل وقالوا هذا الهنا واله موسى وخالفوا هرون وكان استضعافهم اياه تركهم طاعته واتباع أمره وكادوا يقتلونه يقول قاربوا ولم يفعلوا واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تشمت فقرأ قراء الامصار ذلك فلا تشمت بى الاعداء بضم التاء من تشمت وكسر الميم منها من قولهم أشمت فلان فلانا بفلان اذا سره فيه بما يكرهه المشمت به وروى عن مجاهد أنه قرأ ذلك فلا تشمت بى الاعداء حدثنى بذلك عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال قال حميد بن قيس قرأ مجاهد فلا تشمت بى الاعداء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد فلا تشمت بى الاعداء حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال ثنا سفيان بن عيينة عن رجل عن مجاهد أنه قال لا تشمت وقال الفراء قال الكسائى ما أدرى فلعلهم أرادوا فلا تشمت بى الاعداء فان تكن صحيحة فلها نظائر العرب تقول فرغت وفرغت فمن قال فرغت قال أنا أفرغ ومن قال فرغت قال أنا أفرغ وكذلك ركبت وركبت وشملهم أمر وشملهم فى كثير من الكلام قال والاعداء رفع لان الفعل لهم لمن قال تشمت أو تشمت والقراءة التى لا أستجيز القراءة الا بها قراءة من قرأ فلا تشمت بضم التاء الاولى وكسر الميم من أشمت به عدوه أشمته به ونصب الاعداء لاجماع الحجة من قراء الامصار عليها وشذوذ ما خالفها من القراءة وكفى بذلك شاهدا على ما خالفها هذا مع انكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب شمت فلان فلانا بفلان وشمت فلان بفلان يشمت به وانما المعروف من كلامهم اذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوه شمت به بكسر الميم يشمت به بفتحها فى الاستقبال

أخاه لامه ليكون أدعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هى التى تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفونى استذلونى وقهرونى ولم يبالوا بى لقلة أنصارى وكادوا يقتلوننى حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بى الاعداء العابدى العجل فانهم يحملون هذا الذى تفعل بى على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فى اشتراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد أنى واحد منهم ولا يخفى ما فى بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق أن هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح فى العصمة وغايته أن يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لى ما أقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولأخى ان عساه فرط فى شأن الخلافة ثم أخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما فى الحياة الدنيا فالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بأن قوله سينالهم للاستقبال وفى وقت نزول الآية كان القتل واقعا وأجيب بأن هذا الكلام حكاية عما أخبر الله تعالى موسى به فى الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم فى الغضب والذلة قلت ويجوز أن يكون الآيتان من تتمة قول موسى الا أن قوله وكذلك نجزى المفترين ينبو عن ذلك الا أن يحمل على الاعتراض ولما فى هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى أن المضاف فى الآية محذوف والتقدير ان الذين اتخذ آباؤهم العجل يعنى الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا بضرب الجزية أو غضب وذلة كلاهما فى الدنيا بالقتل والجلاء كما نال بنى قريظة والنضير أو التقدير ان الذين اتخذوا العجل سينال أولادهم وكذلك

وأما قوله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فانه قول هرون لاخيه موسى يقول لا تجعلنى فى موجدتك علىّ وعقوبتك لى ولم أخالف أمرك محل من عصاك فخالف أمرك وعبد العجل بعدك فظلم نفسه وعبد غيرمن له العبادة ولم أشايعهم على شئ من ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قال أصحاب العجل حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لما تبين له عذر أخيه وعلم أنه لم يفرط فى الواجب الذى كان عليه من أمر الله فى ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل رب اغفر لى مستغفرا من فعله بأخيه ولاخيه من سالف له بينه وبين الله تعمد ذنوبنا بستر منك تسترها به وأدخلنا فى رحمتك يقول وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين فانك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيأ ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم بتعجيل الله لهم ذلك وذلة وهى الهوان لعقوبة الله اياهم على كفرهم بربهم فى الحياة الدنيا فى عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة وكان ابن جريج يقول فى ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين قال هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام ومن فر منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضا وهذا الذى قاله ابن جريج وان كان قولا له وجه فان ظاهر كتاب الله مع تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه وذلك أن الله عم بالخبر عمن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وتظاهرت الاخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله اذ رجع الى بنى اسرائيل موسى عليه السلام تاب على عبدة العجل من فعلهم بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام فى كتابه وذلك قوله واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم فكان أمر الله اياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفس بعض عن غضب منه عليهم بعبادتهم العجل فكان قتل بعضهم بعضا هوانا لهم وذلة أذلهم الله بها فى الحياة الدنيا وتوبة منهم الى الله قبلها وليس لأحد أن يجعل خبرا جاء الكتاب بعمومه فى خاص مما عمه الظاهر بغير برهان من حجة خبرا أو عقل ولا نعلم خبرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الى باطن خاص ولا من العقل عليه دليل فيجب احالة ظاهره الى باطنه ويعنى بقوله وكذلك نجزى المفترين وكما جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها من احلال الغضب بهم والاذلال فى الحياة الدنيا على كفرهم ربهم وردتهم عن دينهم بعد ايمانهم بالله كذلك نجزى كل من افترى على الله فكذب عليه وأقر بألوهية غيره وعبد شيأ سواه من الاوثان بعد اقراره بوحدانية الله وبعد ايمانه به وبأنبيائه ورسله وقيل ذلك اذا لم يتب من كفره قبل قتله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب قال تلا أبو قلابة سينالهم غضب من

نجزى المفترين أى كل مفتر فى دين الله فجزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا وتجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ظاهر الآية يدل على أن التوبة تشرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان فما أصعب شأن

المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على أن من أتى بجميع المعاصى ثم تاب فان الله يغفرها له فما أحسن حال التائبين (الغفور) ستور عليهم محاء لما صدر منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وفيه أن الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه أعظم وأجل ولما بين ما كان من موسى مع الغضب بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون الاستعارة فكأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول ألق الالواح وغير ذلك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلب كما يقال أدخلت الخف فى رجلى وانما أدخل الرجل فى الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به أخذ الالواح التى ألقاها منبها على زوال غضبه لانه أوكد ما تقدم من أمارات الغضب وفى نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ والكتب أى وفى مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تتكسر وأخذها موسى بأعيانها بعد ما ألقاها أو قلنا انها تكسرت وأخذ ما بقى منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روى عن ابن عباس انه لما ألقى الالواح تكسرت فصام أربعين يوما فأعاد الله تعالى الالواح وفيها غير ما فى الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون أدخل اللام فى المفعول لتقدمه فان تأخر الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز أن يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لارياء وسمعه وجوز بعضهم أن تكون اللام صلة نحو ردف لكم ﴿التأويل ثلاثين ليلة لئلا تستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية وأتممناها بعشر لخصوصية الاربعين فى ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلى كن خليفتى فى قومى من الاوصاف البشرية وأصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هى السر الاعظم فى بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع

من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا الآية قال فهو جزاء كل مفتر يكون الى يوم القيامة أن يذله الله عز وجل

حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين قال هى والله لكل مفتر الى يوم القيامة قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ثابت أن جيد بن قيس ابن عباد وحارثة بن قدامة دخلا على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالا أرأيت هذا الامر الذى أنت فيه وتدعو اليه أعهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيته قال ما لكما ولهذا أعرضا عن هذا فقالا والله لا نعرض عنه حتى تخبرنا فقال ما عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كتابا فى قراب سيفى هذا فاستله فأخرج الكتاب من قراب سيفه واذا فيه انه لم يكن نبى الا له حرم وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم عليه السلام مكة لا يحمل فيها السلاح لقتال من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه أما ترى هذا الكتاب فرجعا وتركاه وقالا انا سمعنا الله يقول ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الآية وان القوم قد افتروا فرية ولا أدرى الا سينزل بهم ذلة

حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة فى قوله وكذلك نجزى المفترين قال كل صاحب بدعة ذليل ﴿القول فى تأويل قوله ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كل تائب اليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة كفرا كانت أو غير كفر كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم يقول جل ثناؤه والذين عملوا الاعمال السيئة ثم رجعوا الى طلب رضا الله بانابتهم الى ما يحب مما يكره والى ما يرضى مما يسخط من بعد سوء أعمالهم وصدقوا بأن الله قابل توبة المذنبين وتائب على المنيبين باخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك لغفور لهم يقول لساتر عليهم أعمالهم السيئة وغير فاضحهم بها رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين * القول فى تأويل قوله ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولما سكت عن موسى الغضب ولما كف موسى عن الغضب وكذلك كل كاف عن شئ ساكت عنه وانما قيل للساكت عن الكلام ساكت لكفه عنه وقد ذكر عن يونس الجرمى أنه قال يقال سكت عنه الحزن وكل شئ فيما زعم ومنه قول أبى النجم

وهمت الافعى بأن تسبحا * وسكت المكاء أن يضبحا

أخذ الالواح يقول أخذها بعد ما ألقاها وقد ذهب منها ما ذهب وفى نسختها هدى ورحمة يقول وفيما نسخ فيها أى منها هدى بيان للحق ورحمة للذين هم لربهم يرهبون يقول للذين يخافون الله ويخشون عقابه على معاصيه واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله لربهم يرهبون مع استقباح العرب أن يقال فى الكلام رهبت لك بمعنى رهبتك وأكرمت لك بمعنى أكرمتك فقال بعضهم ذلك كما قال جل ثناؤه ان كنتم للرؤيا تعبرون أوصل الفعل باللام وقال بعضهم من أجل ربهم يرهبون وقال بعضهم انما دخلت عقب الاضافة الذين هم راهبون لربهم وراهبو ربهم ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لانها عقيب الاضافة لا على التعليق وقال بعضهم

عليه كاسات الشرب أثر فيه سماع الكلمات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب أرنى أنظر اليك فقيل هيهات أنت بعد في بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن ترانى لأنه لا يرانى الا من كنت له بصرا فبى يبصر ولكن انظر الى جبل الأنانية فان استقر مكانه عند التجلى فسوف ترانى بيصر أنانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد أن بان مابان وأشرقت الارض بنور ربها قد كان ما كان سر الأبوح به * فظن خيرا (٥٠) ولا تسأل عن الخبر فلو لم يكن جبل أنانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش فى الحال وما عاش ولولا أن القلب يحيا عند الفناء بالتجلى لما أمكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استعد بالتجلى ولا بالتحلى فافهم فلما أفاق من غشية الانانية بسطوة تجلى الربوبية قال موسى بلاهويته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلق بك وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتى وبكلامى دون رؤيتى وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سألت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة والزيادة هى الرؤية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة أى بقوة الصدق والاخلاص أو بقوة واعانة مناسأريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الآخرة أو الدنيا سأصرف عن آياتى فبحجاب التكبر يحجب المتكبر عن رؤية الآيات واتخذ قوم موسى أى سامرى الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلى زينة الدنيا ورعونات البشرية التى استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط فى أيديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص له قائلة ان لم يرحمنا

انما فعل ذلك لان الاسم تقدم الفعل فحسن ادخال اللام وقال آخرون قد جاء مثله فى تأخير الاسم فى قوله ردف لكم بعض الذى تستعجلون وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال سمعت الفرزدق يقول نقدت له مائة درهم يريد نقدته مائة درهم قال والكلام واسع * القول فى تأويل قوله ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای﴾ يقول تعالى ذكره واختار موسى من قومه سبعين رجلا للوقت والاجل الذى وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم فى أمر العجل كما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال ان الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وايای حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لى حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى أطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای فسفهوا أفتهلك من ورائى من بنى اسرائيل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعو ربهم فكان فيما دعوا الله أن قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر عن ميمون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال لموعدهم الذى وعدهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا قال اختارهم لتمام الوعد وقال آخرون انما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هرون ذكر من قال ذلك

حدثنا

بجذبات العناية ربنا الآية غضبان مما عبدت صفات القلب عجل الدنيا أسفا على ما فاتها من عبودية الحق أعجلتم أمر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل أوانه من غير أن يأمركم به ربكم وفيه اشارة الى أن أصحاب السلوك لا ينبغى أن يلتفتوا الى شئ من الدنيا فى أثناء الطلب اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيأمرهم المولى أن يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق وألقى الالواح يعنى

مالاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعي وأخذ برأس أخيه القلب فانه أخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن أم هما من أب وأم واحد أبوهما الامر وأمهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان فى عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفونى يعنى ان أوصاف البشرية استذلونى بالغلبات عند غيبتك وكادوا (٥١) يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فيه أن صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض بتغير صفاته كما أن النفس لا تتغير من حيث هى عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الأمارية الى اللوامية والملهمة والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لى ولاخى اشارة الى أن للروح والقلب استعدادا قبول الجذبة الالهية التى يدخلها بالسير فى عالم الصفات وكذلك تجزى المفترين الذين يدعون أن الله أعطاهم قوة لا يضرهم عبادة الهوى والدنيا وشهواتها ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق

حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان قال ثنى أبو اسحق عن عمارة بن عبد السلولى عن على رضى الله عنه قال انطلق موسى وهرون وشبر وشبير فانطلقوا الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل قالوا له أين هرون قال توفاه الله قالوا أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال فاختاروا من شئتم قال فاختاروا سبعين رجلا قال فذلك قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال فلما انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلنى أحد ولكنى توفانى الله قالوا يا موسى لن نعصى بعد اليوم قال فأخذتهم الرجفة قال فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا وقال يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء قال فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن رجل من بنى سلول أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول فى هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان هرون حسن الخلق محببا فى بنى اسرائيل قال فلما مات دفنه موسى قال فلما أتى بنى اسرائيل قالوا له أين هرون قال مات فقالوا قتلته قال فاختار منهم سبعين رجلا قال فلما أتوا القبر قال موسى أقتلت أو مت قال مت قال فأصعقوا فقال موسى رب ما أقول لبنى اسرائيل اذا رجعت يقولون أنت قتلتهم قال فأحيوا وجعلوا أنبياء حدثنى عبد الله بن الحجاج ابن المنهال قال ثنا أبى قال ثنا الربيع بن حبيب قال سمعت أبا سعيد يعنى الرقاشى وقرأ هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال كانوا أبناء ما عدا عشرين ولم يتجاوزوا الاربعين وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه وان من لم يتجاوز الاربعين لم يفقد من عقله شيأ وقال آخرون انما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لانهم كانوا من عبدته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقرأ حتى بلغ السفهاء منا ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول انما تنا ولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ممن لم يكن قال ذلك القول على أنهم لم يجامعوهم عليه فاخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل قال فلما خرجوا ودعوا أماتهم الله ثم أحياهم فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال قال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم قال ابن سعد فذكر لى محمد بن كعب القرظى قال لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر ويأمروهم بالمعروف قال فأخذتهم الرجفة فماتوا ثم أحياهم الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عون عن سعيد بن حيان عن ابن عباس ان السبعين الذين اختارهم موسى من قومه انما أخذتهم الرجفة انهم لم يرضوا ولم ينهوا عن العجل حدثنا ابن بشار قال ثنا

وبه يعدلون ﴾ القراآت عذابى أصيب بفتح الياء أبو جعفر ونافع آصارهم على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد ﴿ الوقوف لميقاتنا ج للابتداء بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب وايای ط منا ج لتصدر ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك ج لان مابعده مستأنف وتهدى من تشاء ط الغافرين ٥ اليك ط من أشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما لشأنهما مع الاتفاق فى اللفظ كل شئ ط للتبيين واختلاف الجملتين والفاء لاستئناف وعد على الخصوص يؤمنون ٥ ج لاحتمال مابعده النصب أو الرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ج لان يأمرهم يحتمل أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هو يأمرهم وأن يكون نعتا أى مكتوبا بأمرا أو بدلا من مكتوبا أو مفعولا بعد مفعول أى يجدونه أمرا أو يكون التقدير الامى الذى يأمرهم فيكون كالبدل من الصلة كانت عليهم ط أنزل معه لا لأن مابعده خبر فالذين المفلحون ٥ والارض ج لاحتمال مابعده الابتداء والحال أى استحق ملك السموات غير مشارك ويميت ط لطول الكلام والافالفاء للجواب أى اذا كنت رسولا فآمنوا اجابة تهتدون ٥ يعدلون ٥ ﴿ التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشئ اذا أخذ خيره وخياره ومن هنا سمى فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك أن صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون أصله واختار موسى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل فمن الافعال مايتعدى الى المفعول الثانى بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبى واستغفرته ذنبى وجوز بعضهم فى الآية أن يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ماهو المقصود منهم فيكون مفعولا أول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا أو بيانا قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يجد الاستين شيخا فأوحى الله اليه أن يختار من الشبان عشرة

محمد بن جعفر قال ثنا عون قال ثنا سعيد بن حيان عن ابن عباس بنحوه واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال بعض نحويى البصرة معناه واختار موسى من قومه سبعين رجلا فلما نزع من أعمل الفعل كما قال الفرزدق

ومنا الذى اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع

وكما قال الآخر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب

وقال الراعى

اخترتك الناس اذ غنت خلائقهم * واعتل من كان يرجى عنده السول

وقال بعض نحويى الكوفة انما استجيز وقوع الفعل عليهم اذا طرحت من لانه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فاذا جازت الاضافة مكان من ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا وقد قال الشاعر * فقلت له اخترها قلوصا سمينة * وقال الراجز * تحت التى اختار له الله الشجر * بمعنى اختار هاله الله من الشجر وهذا القول الثانى أولى عندى فى ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب من التى بمعنى التبعيض ومن شأن العرب ان تحذف الشئ من حشو الكلام اذا عرف موضعه وكان فيما أظهرت دلالة على ماحذفت فهذا من ذلك ان شاء الله وقد بينا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدها وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم وحركهم وأهلكهم بعد فأماتهم أو أصعقهم فسلب أفهامهم وقد ذكرنا الرواية فى غير هذا الموضع وقول من قال انها كانت صاعقة أماتتهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا اختارهم موسى لتمام الموعد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم الله حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فلما أخذتهم الرجفة قال رجف بهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا أى بعبادة من عبد العجل قالوا وكان الله انما أهلكهم لانهم كانوا ممن يعبد العجل وقال موسى ما قال ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقال آخرون معنى ذلك أن اهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بنى اسرائيل اذا انصرفت اليهم وليسوا معى والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعا قام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای قد سفهوا أفتهلك من وراءنا من بنى اسرائيل بما فعل السفهاء منا أى ان هذا لهم هلاك قد اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع اليهم وليس معى رجل واحد فما الذى يصدقونى به أو يأمنونى عليه بعد هذا وقال آخرون فى ذلك بما

فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين فذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وللمفسرين خلاف فى أن هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية أم غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان أمره ربه أن يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما سمعوا (٥٣) الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أتؤاخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ولا استبدل بك غيرك * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال ان موسى انما حزن على هلاك السبعين بقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وانه انما عنى بالسفهاء عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم الا الأفضل فالأفضل منهم ومحال أن يكون الافضل كان عنده من أشرك فى عبادة العجل واتخذه دون الله الها قال فان قال قائل فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم فيقول أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ونحن من ذلك برآء قيل جائز أن يكون معنى الاهلاك قبض الارواح على غير وجه العقوبة كما قال جل ثناؤه ان امرؤ هلك يعنى مات فيقول أتميتنا بما فعل السفهاء منا وأما قوله ان هى الا فتنتك فانه يقول جل ثناؤه ما هذه الفعلة التى فعلها قومى من عبادتهم ما عبدوا دونك الا فتنة منك أصابتهم ويعنى بالفتنة الابتلاء والاختبار يقول ابتليتهم بها لتبين الذى يضل عن الحق بعبادته اياه والذى يهتدى بترك عبادته وأضاف اضلالهم وهدايتهم الى الله اذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جل ثناؤه وبنحو ما قلنا فى الفتنة قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية ان هى الا فتنتك قال بليتك قال ثنا حميد به الرازى عن يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير الا فتنتك الا بليتك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا ابن جعفر عن الربيع بن أنس ان هى الا فتنتك قال بليتك قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء ان هو الا عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عمن تشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هى الا فتنتك أنت فتنتهم وقوله أنت ولينا يقول أنت ناصرنا فاغفر لنا يقول فاستر علينا ذنوبنا بترك عقابنا عليها وارحمنا تعطف علينا برحمتك وأنت خير الغافرين يقول خير من صفح عن جرم وستر على ذنب ﴿القول فى تأويل قوله ﴿واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه واكتب لنا أى اجعلنا ممن كتبت له فى هذه الدنيا حسنة وهى الصالحات من الاعمال وفى الآخرة ممن كتبت له المغفرة لذنوبه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة قال مغفرة وقوله انا هدنا اليك يقول انا تبنا اليك وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير وقال عمران عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا زيد بن حباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال تبنا اليك قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال تبنا اليك قال ثنا عبد الله بن بكر عن حاتم بن أبى صغيرة عن سماك أن ابن عباس قال فى هذه الآية انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أحسبه عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى

حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة فى هذه الآية وابداهيون الى الثانى حملوا القصة على ما مر فى البقرة فى تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هناك أن منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الأنفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج أصحاب هذا المذهب على المغايرة بأنه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم أتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضى أن تكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا انخرم التناسب عن على عليه السلام ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى فقال ما قتلنى أحد فأخذتهم الرجفة هناك قيل كانت موتا وقيل أخذتهم الرعدة حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای قال فى الكشاف هذا تمن منه للاهلاك قبل أن يرى ما رأى كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكنى قبل هذا أتهلكنا جميعا يعنى نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله تعالى أهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد أرادا نك لا تفعل ذلك كما تقول أتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استعطاف أى لا تهلكنا فيل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ناسب أن يقال أتهلكنا بما قاله السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل أو غيرها ومنه يعلم أن هذا الميقات غير ميقات طلب

الرؤية ان هى الافتنتك الضمير يعود الى الفتنة أى كما تقول ان هو الا زيد وان هى الا هند قاله الواحدى ولعله يعود الى مقدر ذهنى والمعنى أن الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاءك ومحنتك حين كلمتنى وسمعوا كلامك أو حين أسمعتهم صوت العجل تضل بها أى بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدى من تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة فى الآية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكانه أضلهم بها وهداهم على الاتساع فى الكلام أو الضمير يعود الى الرجفة أى تضل عن الجنة بسبب عدم الصبر على تلك الرجفة أو لعدم الايمان بأنها من عندك من تشاء وتهدى الى الجنة بها لأضدادها قلنا من تشاء أو المراد بالاضلال الاهلاك أى تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عمن تشاء أنت ولينا يفيد الحصر أى لا ولى لنا ولا ناصر الا أنت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر أن قوله ان هى الا فتنتك جراءة عظيمة فأشرك نفسه مع قومه فى طلب المغفرة والرحمة وأنت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع أو دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب أوجب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة تطهيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقد فسرناها فى سورة البقرة واعلم أن كونه تعالى وليا للعبد يناسبه أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه والهيته وأيضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثانى وهو قوله انا هدنا اليك قال أهل اللغة الهود التوبة أى تبنا ورجعنا وقدم بذكر السببين عهد عن الربوبية وعهد ذل العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم طلب المغفرة والرحمة على طلب اسحاب الحسنة فى الدارين قال الله تعالى فى جواب موسى عذابى من حاله وصفته كلها أنى أصيب به من أشاء اذ ليس لاحد على اعتراض فى ملكى وقالت المعتزلة أى من وجب على فى الحكمة تعذيبه ولم يكن فى العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وقرأ الحسن من أساء من الاساءة ورحمتى من شأنها أنها وسعت كل شئ قالت الاشاعرة هذا من العام الذى أريد به الخاص

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس اناهدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنى يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا عبد الرحمن بن الاصبهانى عن سعيد ابن جبير فى قوله اناهدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح قالا ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن الاصبهانى عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال تبنا اليك قال ثنا محمد بن يزيد عن العوام عن ابراهيم التيمى قال تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمى مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اناهدنا اليك أى انا تبنا اليك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله هدنا اليك قال تبنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اناهدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اناهدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن ابى العالية قال هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا أبى عن أبى جحير عن الضحاك قال تبنا اليك قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال تبنا اليك وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فذكر مثله قال ثنا أبى وعبيد الله عن شريك عن جابر عن مجاهد قال تبنا اليك قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا أبى عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن على عليه السلام قال انما سميت اليهود لانهم قالوا هدنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس اناهدنا اليك يعنى تبنا اليك حدثنا ابن البرقى قال ثنا عمرو قال سمعت رجلا يسأل سعيدا انا هدنا اليك قال انا تبنا اليك وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته

القول فى تأويل قوله ﴿قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى هذا الذى أصبت به قومك من الرجفة عذابى أصيب به من أشاء من خلقى كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك ورحمتى وسعت كل شئ يقول ورحمتى عمت خلقى كلهم وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم مخرجه عام ومعناه خاص والمراد به ورحمتى وسعت المؤمنين بى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واستشهد بالذى بعده من الكلام وهو قوله فسأكتبها للذين يتقون الآية ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو سلمة المنقرى قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأ ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون قال جعلها الله لهذه الامة حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال قال سفيان قال أبو بكر الهذلى فلما نزلت ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس أنا من الشئ فنزعها الله من ابليس قال فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فقال اليهود نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيات

وقال أكثر المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته وأما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فسأكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولاحي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك ألم فله أعواض كثيرة واعلم أن تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فسأكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكليف الفعلي اما مالي وهو قوله و يؤتون الزكاة واما غيره وذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي الى آخره وصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم أفردها بالذكر قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل الملائكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون أحد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الآخر ولو سلم فذكر الآخر تتميم وتصريح بما علم ضمنا الثالثة كونه أميا قال الزجاج معناه انه على صفة أمة العرب قال صلى الله عليه وآله انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام أي انه على هيئته يوم ولد لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وبيانه من وجوه الاول أنه كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد أخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم أعادها فانه لا بد أن يزيد فيها وينقص فهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بأنه طالع كتب الاولين ولما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف أنه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الثالث أن تعلم الخط لا يفتقر الا الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط

كلها قال فنزعها الله من ابليس ومن اليهود وجعلها لهذه الامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس أنا من كل شيء قال الله فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الآية فقالت اليهود ونحن نتقي ونؤتي الزكاة فأنزل الله الذين يتبعون الرسول النبي الامي قال نزعها الله عن ابليس وعن اليهود وجعلها لأمة محمد سأكتبها للذين يتقون من قومك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فقال ابليس أنا من ذلك الشيء فأنزل الله فسأكتبها للذين يتقون معاصي الله والذين هم بآياتنا يؤمنون فتمنتها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطا وثيقا بينا فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي فهو نبيكم كان أميا لا يكتب صلى الله عليه وسلم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا خالد الحذاء عن أنيس بن أبي العريان عن ابن عباس في قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال فلم يعطها فقال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها الذين يتقون الى قوله الرسول النبي الامي حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية وعبد الاعلى عن خالد عن أنيس بن أبي العريان قال عبد الاعلى عن أنيس بن أبي العريان وقال قال ابن عباس واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال فلم يعطها موسى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال كان الله كتب في الالواح ذكر محمد وذكر أمته وما دخر لهم عنده وما يسر عليهم في دينهم وما وسع عليهم فيما أحل لهم فقال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون يعني الشرك الآية * وقال آخرون بل ذلك على العموم في الدنيا وعلى الخصوص في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله ورحمتي وسعت كل شيء قالا وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة وقال آخرون هي على العموم وهي التوبة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك فقال سأل موسى هذا فقال الله عذابي أصيب به من أشاء العذاب الذي ذكر ورحمتي التوبة وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون قال فرحمته التوبة التي سأل موسى عليه السلام كتبها الله لنا وأما قوله فسأكتبها للذين يتقون فانه يقول فسأكتب رحمتي التي وسعت كل شيء ومعنى أكتب في هذا الموضع أكتب في اللوح الذي كتب فيه التوراة الذين يتقون يقول للقوم الذين يخافون الله و يخشون عقابه على الكفر به والمعصية له في أمره ونهيه فيؤدون فرائضه و يجتنبون معاصيه وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه فقال بعضهم هو الشرك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فسأكتبها للذين يتقون يعني الشرك وقال آخرون بل هو المعاصي كلها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسأكتبها للذين يتقون معاصي

فسأكتبها للذين يتقون يعني الشرك وقال آخرون بل هو المعاصي كلها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسأكتبها للذين يتقون معاصي

مشكلا عليه ثم ان الله تعالى آتاه علوم الاولين والآخرين ومالم يصل اليه أحد من العالمين فالجمع بين هاتين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الضمير فى يجدون للذين يتبعونه من بنى اسرائيل ثم ان كان المراد أسلافهم فالوجه أن يراد بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل أنهم يجدون نعته مكتوبا عندهم فى الانجيل فمن المحال أن يجدوه فى الانجيل قبل انزال الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بنى اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالدلائل فى زمن موسى واتبع نبى آخر الزمان فى شرائعه وفى هذا دليل على أن نعته وصحة نبوته مكتوبة فى التوراة والانجيل والا كان ذكر هذا الكلام من أعظم القوادح والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعى فلا يرتكبه عاقل فلما أصر على ذلك دل على أن الامر فى نفسه كذلك الخامسة والسادسة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى آل عمران ومجامع ذلك محصورة فى قوله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل أى ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعنى الاشياء التى حكم الله تعالى بحلها وزيف بأنه يجرى مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات وهو تكرار ويمكن أن يجاب بأن المراد وبين لهم المحللات وفائدة العدول أن يعلم أن كل حلال ابن مستطاب طبعا وان الاصل فى كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل يعنى ما يحرم عليه من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من المحرمات وقيل كل ما يستخبثه

الله وأما الزكاة وايتاؤها فقد بينا صفتها فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقد ذكر عن ابن عباس فى هذا الموضع أنه قال فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويؤتون الزكاة قال يطيعون الله ورسوله فكان ابن عباس تأول ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكى النفس ويطهرها من صالحات الاعمال وأما قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يقول وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدقون ويقرون ﴿القول فى تأويل قوله ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل﴾ وهذا القول ابانة من الله جل ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبيه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التى وصفها جل ثناؤه بقوله ورحمتى وسعت كل شئ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة أعنى الامى غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ثنا زيد بن حباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن ابن عباس قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال موسى عليه السلام لينبى خلقت فى أمة محمد حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن شهر بن حوشب عن نوف الحميرى قال لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه قال الله لموسى أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا وأجعل السكينة معكم فى بيوتكم وأجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهور قلوبكم يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى لقومه ان الله قد يجعل لكم الارض طهورا ومسجدا قالوا لا نريد أن نصلى الا فى الكنائس قال ويجعل السكينة معكم فى بيوتكم قالوا لا نريد الا أن تكون كما كانت فى التابوت قال ويجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهور قلوبكم ويقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير قالوا لا نريد أن نقرأها الا نظرا فقال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله أولئك هم المفلحون حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن نوف البكالى قال لما انطلق موسى بوفد بنى اسرائيل كلمه الله فقال انى قد بسطت لهم الارض طهورا ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة الا عند مرحاض أو قبر أو حمام وجعلت السكينة فى قلوبهم وجعلتهم يقرؤن التوراة عن ظهر ألسنتهم قال فذكر ذلك موسى لبنى اسرائيل فقالوا لا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا فاجعلها لنا فى تابوت ولا نقرأ التوراة الا نظرا ولا نصلى الا فى الكنيسة فقال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة حتى بلغ أولئك هم المفلحون قال فقال موسى عليه السلام يارب اجعلنى نبيهم قال نبيهم منهم قال رب اجعلنى منهم قال لن تدركهم قال يارب أتيتك بوفد بنى اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال نوف البكالى فاحمدوا الله الذى حفظ غيبتكم وأخذ لكم بسهمكم وجعل وفادة بنى اسرائيل لكم حدثنا محمد

الطبع فالاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس فى صحة التوبة وكذا الاغلال التى كانت عليهم مثل لما فى شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق فى اللحم

ابن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن يحيى بن أبى كثير عن نوف البكالى بنحوه الا أنه قال فانى أنزل عليكم التوراة تقرؤنها عن ظهر ألسنتكم رجالكم ونساؤكم وصبيانكم قالوا لا نصلى الا فى كنيسة ثم ذكر سائر الحديث نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فسأكتبها للذين يتقون قال هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما قيل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون تمنتها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطا بينا وثيقا فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب وقد بينا معنى الامى فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل فان الهاء فى قوله يجدونه عائدة على الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم كالذى **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى هذا محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** ابن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا فليح عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله فنفتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا قال عطاء ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفا الا أن كعبا قال بلغته قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا **حدثنى** أبو كريب قال ثنا موسى ابن داود قال ثنا فليح بن سليمان عن هلال بن على قال ثنى عطاء قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فذكر نحوه الا أنه قال فى كلام كعب أعينا عموما وآذانا صموما وقلوبا غلوفا قال ثنا موسى قال ثنا عبد العزيز بن سلمة عن هلال بن على عن عطاء بن يسار عن عبد الله بنحوه وليس فيه كلام كعب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله الذى يجدونه مكتوبا عندهم يقول يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم﴾ يقول تعالى ذكره يأمر هذا النبى الامى أتباعه بالمعروف وهو الايمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى فذلك المعروف الذى يأمرهم به وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله والانتهاء عما نهاهم الله عنه وقوله ويحل لهم الطيبات وذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى ويحرم عليهم الخبائث وذلك لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التى حرمها الله كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويحرم عليهم الخبائث وهو لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التى حرمها الله وأما قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فان

جعلها الله تعالى أغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفى الآية دلالة على أن الاصل فى المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا أصل عظيم فى هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع أكد الايمان به بقوله فالذين آمنوا به قال ابن عباس يعنى من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال فى الكشاف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق بينه وبين قوله ونصروه فرق كبير واتبعوا النور الذى أنزل معه وهو القرآن أى أنزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن أو يتعلق باتبعوا أى اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته واتبعوا القرآن كما اتبعه النبى مصاحبين له فى اتباعه أولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب فى الدارين اعلم أنه سبحانه لما قال فسأكتبها للذين يتقون بين أن من شروط نزول الرحمة لأولئك المتقين

 كونهم متبعين لرسول آخر الزمان ثم أراد أن يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على أن محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم العيسوية أتباع عيسى الاصفهانى زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة

وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه أنه كان يدعى عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضى القدح فى كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبى حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وأيضا يمكن وجود قوم فى طرف من أطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب أن رفع القلم عن الاصناف الثلاثة أيضا حكم عليهم فبهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الآية وان دلت على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على أن غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى أرسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم وختم بى النبيون وردبأن مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبأن آدم بعث الى كل أولاده فى ذلك الزمان فيكون مبعوثا الى كل الناس وقتئذ ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد أنه خاتم النبيين وحده وفى رواية أخرى وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم أن يكون كل واحد منها كذلك وأيضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانها عرفت التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا ثم لما أمر رسول الله بأن يقول للناس انى رسول الله اليكم أتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وأنها لا تتم الا بتقرير أصول أربعة أولها اثبات أن للعالم الها حيا عالما قادرا وأشار اليه بقوله الذى

أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم يعنى بالاصر العهد والميثاق الذى كان أخذه على بنى اسرائيل بالعمل بما فى التوراة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس و يضع عنهم اصرهم قال عهدهم قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال عهدهم **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن على قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن و يضع عنهم اصرهم قال العهود التى أعطوها من أنفسهم قال ثنا ابن نمير عن موسى بن قيس عن مجاهد و يضع عنهم اصرهم قال عهدهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم يقول يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التى أخذت عليهم فى التوراة والانجيل **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرم عليهم يقول يضع ذلك عنهم وقال بعضهم عنى بذلك أنه يضع عمن اتبع نبى الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذى كان على بنى اسرائيل فى دينهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فجاء محمد صلى الله عليه وسلم باقالة منه وتجاوز عنه **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد و يضع عنهم اصرهم قال البول ونحوه مما غلظ على بنى اسرائيل قال ثنا الحمانى قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال شدة العمل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم قال من اتبع محمدا ودينه من أهل الكتاب وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد فى دينهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين قال قال أبو هريرة لابن عباس ما علينا فى الدين من حرج أن نزنى ونسرق قال بلى ولكن الاصر الذى كان على بنى اسرائيل وضع عنكم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله و يضع عنهم اصرهم قال اصرهم الذى جعله عليهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الاصر هو العهد وقد بينا ذلك بشواهده فى موضع غير هذا بما فيه الكفاية وأن معنى الكلام و يضع النبى الامى العهد الذى كان الله أخذ على بنى اسرائيل من اقامة التوراة والعمل بما فيها من الاعمال الشديدة كقطع الجلد من البول وتحريم الغنائم ونحو ذلك من الاعمال التى كانت عليهم مفروضة فنسخها حكم القرآن وأما الاغلال التى كانت عليهم فكان ابن زيد يقول بما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه فى قوله والاغلال التى كانت عليهم قال الاغلال وقر أغلت أيديهم قال تلك الاغلال قال ودعاهم الى أن يؤمنوا بالنبى فيضع ذلك عنهم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره فالذين صدقوا بالنبى الامى وأقروا بنبوته وعزروه يقول وقروه وعظموه وحموه من الناس كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وعزروه يقول حموه ووقروه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنى موسى بن قيس عن مجاهد وعزروه ونصروه قال عزروه

له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر أو كان له مؤثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول ببعثة الرسول ومحل الذى نصب أو رفع على المدح أو جر بدلا أو وصفا لله وثانيها أن اله العالم واحد وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة أحدهما أولى من عبادة

الآخر وثالثها أنه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحساب كما قال يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كل واحدة منها مبينة لما قبلها واذا ثبتت هذه الاصول الثلاثة ثبت أصل رابع وهو أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف أما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولاسيما اذا كان فردا منزها (٥٩) عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي وأما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا له الى الجزاء والى لذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه أجرا ممتنع وأشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي اقتصر من الصفات المذكورة ههنا على الأمية لانها أجل الاوصاف وأدلها على حقيقته وذلك أنه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم والتحقيق وأظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس ذلك الا بتأييد سماوي وفيض الهي ثم وصفه بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي صلى الله عليه وآله يجب أن يكون ممن آمن بالله وبكتبه وانما لم يقل فآمنوا بالله ونبي بعد قوله الى رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن أن يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم أن الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم أن الكمالات اما نظرية وأشار اليها بقوله فآمنوا بالله واما عملية واليها الاشارة بقوله واتبعوه أو الاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من أقواله والثانية اشارة الى المستفادة من أفعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلابد أن يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا أن يدل دليل منفصل على أن ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجي في لعلكم تهتدون قد مر في نظائره لاسيما في أول البقرة في قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وأنه يجب على الخلق

سددوا أمره وأعانوا رسوله ونصروه وقوله ونصروه يقول وأعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم واتبعوا النور الذي أنزل معه يعني القرآن والاسلام أولئك هم المفلحون يقول الذين يفعلون هذه الافعال التي وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجحون المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فانقموا يعني اليهود الا أن حسدوا نبي الله فقال الله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه فأما نصره وتعزيره فقد سبقتم به ولكن خياركم من آمن بالله واتبع النور الذي أنزل معه يريد قتادة بقوله فانقموا الا أن حسدوا نبي الله أن اليهود كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاءه به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه لانه جاء بوضع الاصر والاغلال عنهم فحملهم الحسد على الكفر به وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس كلهم اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلا الى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فان رسالتي ليست الى بعضكم دون بعض ولكنها الى جميعكم وقوله الذي من نعت اسم الله وانما معنى الكلام قل يا أيها الناس اني رسول الله الذي له ملك السموات والارض اليكم ويعني جل ثناؤه بقوله الذي له ملك السموات والارض الذي له سلطان السموات والارض ومافيهما وتدبير ذلك وتصريفه لا اله الا هو يقول لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة الا له جل ثناؤه دون سائر الاشياء غيره من الانداد والاوثان الا لمن له سلطان كل شئ والقادر على انشاء خلق كل ماشاء واحيائه وافنائه اذا شاء اماتته فآمنوا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه قل لهم فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته وأقروا بوحدانيته وانه الذي له الالوهة والعبادة وصدقوا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه مبعوث الى خلقه داع الى توحيده وطاعته ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ أما قوله النبي الامي فانه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينت معنى النبي فيما مضى بما أغنى عن اعادته ومعنى قوله الامي الذي يؤمن بالله يقول الذي يصدق بالله وكلماته ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وكلماته فقال بعضهم معناه وآياته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذي يؤمن بالله وكلماته يقول آياته وقال آخرون بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله الذي يؤمن بالله وكلماته قال عيسى بن مريم وحدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي الذي يؤمن بالله وكلماته فهو عيسى بن مريم * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ولم يخصص الخبر جل ثناؤه عن ايمانه من كلمات الله ببعض دون بعض بل أخبرهم عن جميع الكلمات فالحق في ذلك أن يعم القول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاءه به ظاهر كتاب الله وأما قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فاهتدوا به أيها

متابعته ذكر أن فى قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق أى يهدون الناس بكلمة الحق وبه أى بالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون وهذه الآية متى حصلت وفى أى زمان كانت اختلف المفسرون فى ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الأمة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن كما أطلق على الواحد فى قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذى جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل فى زمن تفرق بنى اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز أن يكونوا أقاموا على ذلك الى أن جاء المسيح فدخلوا فى دينه ويجوز أن يكونوا هلكوا قبل ذلك وقال السدى وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن بناء على أن خبر نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع أن خبر هذه الشريعة طار فى كل أفق وتغلغل فى كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبرائيل ذهب به صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرائيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى فآمنوا به وقالوا يارسول الله ان موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليه السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت ولا فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت والله اعلم ﴿التأويل﴾ واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذى اختاره الله كان مثل موسى وأنا اخترتك

الناس واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله لعلكم تهتدون يقول لكى تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق فى اتباعكم اياه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن قوم موسى يعنى بنى اسرائيل أمة يقول جماعة يهدون بالحق يقول يهتدون بالحق أى يستقيمون عليه ويعملون وبه يعدلون أى وبالحق يعطون ويأخذون وينصفون من أنفسهم فلا يجورون وقد قال فى صفة هذه الامة التى ذكرها الله فى الآية جماعة أقوالا نحن ذاكروما حضرنا منها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن صدقة أبى الهذيل عن السدى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد (٣) حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال بلغنى أن بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ووعد الآخرة عيسى بن مريم يخرجون معه قال ابن جريج قال ابن عباس سار وا فى السرب سنة ونصفا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما﴾ يقول تعالى ذكره فرقناهم يعنى قوم موسى من بنى اسرائيل فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى اثنتى عشرة قبيلة وقد بينا معنى الاسباط فيما مضى ومن هم واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث الاثنتى عشرة والاسباط جمع مذكر فقال بعض نحويى البصرة أراد اثنتى عشرة فرقة ثم أخبر أن الفرق أسباط ولم يجعل العدد على أسباط وكان بعضهم يستحكى على هذا التأويل ويقول لا يخرج العدد على عين الثانى ولكن الفرق قبل الاثنتى عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها ويكون الكلام وقطعناهم فرقا اثنتى عشرة أسباطا فيصح التأنيث لما تقدم وقال بعض نحويى الكوفة انما قال اثنتى عشرة بالتأنيث والسبط مذكر لان الكلام ذهب الى الامم فغلب التأنيث وان كان السبط ذكرا وهو مثل قول الشاعر

وان كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر

ذهب بالبطن الى القبيلة والفصيلة فلذلك جمع البطن بالتأنيث وكان آخرون من نحويى الكوفة يقولون انما أنثت الاثنتا عشرة والسبط ذكر لذكر الامم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن الاثنتى عشرة أنثت لتأنيث القطعة ومعنى الكلام وقطعناهم قطعا اثنتى عشرة ثم ترجم عن القطع بالاسباط وغير جائز أن تكون الاسباط مفسرة عن الاثنتى عشرة وهى جمع لان التفسير فيما فوق العشر الى العشرين بالتوحيد لا بالجمع والاسباط جمع لا واحد وذلك كقولهم عندى اثنتا عشرة امرأة

---

(٣) قوله نهر من شهد كذا بالاصل وابن كثير وفى الدر نهر من سهل أى من رمل يجرى وفى روح المعانى بينكم وبينهم نهر من رمل يجرى وقال ولا أظنك تجد لهذه الحكاية سندا يعول عليه الى آخر ما قال كتبه مصححه

والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي أن قلب موسى عليه السلام لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب أرني أنظر اليك فقدم عزة الربوبية وأظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فأخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وصعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنة واختبارا لهم فقال ان هي الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد صلى الله عليه وسلم فسأكتبها يعني حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويفوتون عن نصاب هذا المقام الزكاة الى طلابه والذين هم بأنوار شواهد الآيات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى أن في أمته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلاثة ومعنى الأمي أنه أم الموجودات وأصل المكونات كما قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فأما اتباعه في مقام الرسالة فبأن تأخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة

ولا يقال عندي اثنتا عشرة نسوة ففي ذلك أن الاسباط ليست بتفسير للاثنتي عشرة وان القول في ذلك على ما قلنا وأما الامم فالجماعات والسبط في بني اسرائيل نحو القرن وقيل انما فرقوا أسباطا لاختلافهم في دينهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى اذ فرقنا بني اسرائيل قومه اثنتي عشرة فرقة وتيهناهم في التيه فاستسقوا موسى من العطش وغور الماء أن اضرب بعصاك الحجر وقد بينا السبب الذي كان قومه استسقوه وبينا معنى الوحي بشواهده فانبجست فانصبت وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عينا من الماء قد علم كل أناس يعني كل أناس من الاسباط الاثنتي عشرة مشربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه وظللنا عليهم الغمام يكنهم من حر الشمس وأذاها وقد بينا معنى الغمام فيما مضى قبل وكذلك المن والسلوى وأنزلنا عليهم المن والسلوى طعاما لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم يقول وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيباه لكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وهو فأبوا ذلك وقالوا لن نصبر على طعام واحد فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وما ظلمونا يقول وما أدخلوا علينا نقصا في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا وفعلهم ما فعلوا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير والارذل بالافضل ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد من خطا فعل هؤلاء القوم وخلافهم على ربهم وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم اسكنوا هذه القرية وهي قرية بيت المقدس فكلوا منها يقول من ثمارها وحبوبها ونباتها حيث شئتم منها يقول أني شئتم منها وقولوا حطة يقول وقولوا هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا نغفر لكم بتغمدنا لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم فيعفو لكم عنها فلا يؤاخذكم بها سنزيد المحسنين منكم وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك باختلاف المختلفين والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول فقالوا وقد قيل لهم قولوا هذه حطة حنطة في شعيرة وقولهم ذلك كذلك هو غير القول الذي قيل لهم قولوه يقول الله تعالى فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بعثنا عليهم عذابا أهلكناهم بما كانوا يغيرون ما يؤمرون به فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ويقولون غير الذي أمرهم الله بقيله وقد بينا معنى الرجز فيما مضى ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره واسأل يا محمد هؤلاء

تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن أدى حقوق أحكام الرسالة في الظاهر يفتح له ببركة ذلك أحوال النبوة في الباطن فيصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وربما يؤل حاله الى أن يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال

كما قال صلى الله عليه وآله علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل وأما اتباعه فى مقام أمتيته فذلك لأخص الخواص وذلك انه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحى أنزل فى مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم اختطف بانوار الهوية عن أنانيته الى أوأدنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير فى متابعته من مقام البشرية الى أن بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة أنزل فى مقام التوحيد ثم اختطف بأنوار المتابعة عن أنانيته الى مقام الوحدة فقد حظى من مقام أمتيته مكتوبا عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده فى مقعد صدق بأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ماسواه ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم أى العهد الذى بين الله وبين حبيبه أن لا يوصل أحدا الى مقام أمتيته الا أمته وأهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتى حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة وأغلال تمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته وأشار الى هذه المعانى بقوله فالذين آمنوا به وعزروه وقروه باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذى أنزل معه له ملك سموات القلوب وأرض النفوس لا مدبر فيهما غيره يحيى قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكاماته هى ما أوحى اليه ليلة المعراج بلا واسطة ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق يعنى خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى وبه يعدلون فى الحكم بين العوام فشتان بين أمة غايتهم القصوى هى هداية الخلق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية فأجيب بلن ترانى وبين أمة أمية بلغوا بجذبات أنوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا أمة أميين وقال فى حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق فلهذا دعا موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من أمة

اليهود وهم مجاورله عن أمر القرية التى كانت حاضرة البحر يقول كانت بحضرة البحر أى بقرب البحر وعلى شاطئه واختلف أهل التأويل فيها فقال بعضهم هى أيلة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال هى قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير فى قوله واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال سمعنا أنها أيلة **حدثنى** سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا يحيى بن سليم الطائفى قال ثنا ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف فى حجره وهو يبكى فقلت ما يبكيك جعلنى الله فداك فقال ويلك وتعرف القرية التى كانت حاضرة البحر فقلت تلك أيلة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة قال هى أيلة **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هى قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال هم أهل أيلة القرية التى كانت حاضرة البحر **حدثنى** الحرث قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فى قوله واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال أيلة وقال آخرون معناه ساحل مدين **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة وقال آخرون هى مقنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال هى قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينونى وقال آخرون هى مدين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال هى قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين * والصواب من القول فى ذلك أن يقال هى قرية حاضرة البحر وجائز أن تكون أيلة وجائز أن تكون مدين وجائز أن تكون مقنا لان كل ذلك حاضرة البحر ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأن ذلك من أى والاختلاف فيه على ما وصفت ولا يوصل الى علم ما قد كان مضى مما لم نعاينه الا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك فى ذلك وقوله اذ يعدون فى السبت يعنى به أهله اذ يعتدون فى السبت أمر الله ويتجاوزونه الى ما حرمه الله عليهم يقال منه عدا فلان أمرى واعتدى اذا تجاوزه وكان اعتداؤهم فى السبت أن الله كان حرم عليهم السبت فكانوا يصطادون فيه السمك اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذى نهوا فيه عن العمل شرعا يقول شارعة ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية كشوارع الطرق كالذى **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعد عن بشر ابن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول ظاهرة على الماء **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس شرعا يقول من كل مكان وقوله ويوم لا يسبتون يقول ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت وذلك سائر الايام غير يوم السبت لا تأتيهم الحيتان كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون يقول كما وصفنا لكم

محمد صلى الله عليه وسلم شوقا الى لقاء ربه فافهم جدا ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ القرا آت تغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموعا جمع التكسير أبو عمرو خطيئتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطيئاتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذى يليق بجمع سلامة المؤنث يسبتون من الاسبات

من الاختبار والابتلاء الذى ذكرنا باظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده واخفائها عنهم فى اليوم المحلل صيده كذلك نبلوهم ونختبرهم بما كانوا يفسقون يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها واختلفت القراء فى قراءة قوله ويوم لا يسبتون فقرئ بفتح الياء من يسبتون من قول القائل سبت فلان يسبت سبتا وسبوتا اذا عظم السبت وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه ويوم لا يسبتون بضم الياء من أسبت القوم يسبتون اذا دخلوا فى السبت كما يقال أجمعنا مرت بنا جمعة وأشهرنا مر بنا شهر وأسبتنا مر بنا سبت ونصب يوم من قوله ويوم لا يسبتون بقوله لا تأتيهم لان معنى الكلام لا تأتيهم يوم لا يسبتون ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد اذ قالت أمة منهم جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين فى السبت وتنهاهم عن معصية الله فيه لم تعظون قوما الله مهلكهم فى الدنيا بمعصيتهم اياه وخلافهم أمره واستحلالهم ما حرم عليهم أو معذبهم عذابا شديدا فى الآخرة قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبيهم عن قولهم عظتنا اياهم معذرة الى ربكم نؤدى فرضه علينا فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولعلهم يتقون يقول ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه فينيبوا الى طاعته ويتوبوا من معصيتهم اياه وتعديهم على ما حرم عليهم من اعتدائهم فى السبت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون أى ينزعون عما هم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولعلهم يتقون قال يتركون هذا العمل الذى هم عليه واختلفت القراء فى قراءة قوله قالوا معذرة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والكوفة والبصرة معذرة بالرفع على ما وصفت من معناها وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة معذرة نصبا بمعنى اعذارا وعظناهم وفعلنا ذلك واختلف أهل العلم فى هذه الفرقة التى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم هل كانت من الناجية أم من الهالكة فقال بعضهم كانت من الناجية لانها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء فى السبت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا هى قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة يقال لها أيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا فى ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فمكثوا بذلك ما شاء الله ثم ان طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا الا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فقالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة الى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى

زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل رئم أبو جعفر ونافع بيس على فيعل كسيد ابن عامر بيئس على فيعل بفتح العين الاعشى والبرجمى الباقون بئيس على فعيل تأذن بالتليين الاصفهانى عن ورش والشمونى وحمزة فى الوقف تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك أبو بكر وحماد والآخرون بالتشديد ۞ الوقوف أيما ط وان اتفقت الجملتان لان أوحينا عامل اذ استسقاه دون قطعنا فان تفريق الاسباط لم يكن فى زمان الاستسقاء الحجر ط للحذف مع اتحاد الكلام أى فضرب فانبجست عينا ط مشربهم ط والسلوى ط مارزقناكم ط لحذف جمل أى قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا ط يظلمون ○ خطيئاتكم ط المحسنين ○ يظلمون ○ البحر لا كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله واسألهم فانه محال لا تأتيهم ج لاحتمال تعلق كذلك به أى يوم لا يسبتون لا تأتيهم اتيانا كاتيانهم يوم السبت والاصح أن كذلك صفة مصدر محذوف أى نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز أيضا يفسقون ○ قوما لالان الجملة بعده صفته شديدا ط يتقون ○ يفسقون ○ خاسئين ○ العذاب ط رحيم ○ وأيما ج لاحتمال كون ما بعده صفة أو مستأنفا دون ذلك ز للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة للاسم كان عطفا مع عارض يرجعون ○ سنغفر لناج يأخذوه ط مافيه ط يتقون ○ تعقلون ○ الصلاة ص على تقدير حذف أى لا نضيع أجرهم اذ هم المصلحون ولا نضيع أجر المصلحين ، وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير أى انا لا نضيع أجرهم المصلحين واقع بهم ط لحق المحذوف تتقون ○ أى

﴿التفسير﴾ انه سبحانه ختم قصة بنى اسرائيل بتعداد جمل من أحوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم أى صيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط أولاد الاولاد جمع سبط وأصله من السبط نبت يعتلفه الابل

كانت حاضرة البحر الى قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم يقول اذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعا يعنى من كل مكان ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وانهم قالوا لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجى عما يكفينا فيما سوى ذلك من الايام فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم وقالت طائفة من المؤمنين ان هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا ممتنهين دونه والله مخزيهم ومعذبهم عذابا شديدا قال المؤمنون بعضهم لبعض معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ان كان هلاك فلعلنا ننجو واما أن ينتهوا فيكون لنا أجرا وقد كان الله جعل على بنى اسرائيل يوما يعبدونه و يتفرغون له فيه وهو يوم الاثنين فتعدى الخبثاء من الاثنين الى السبت وقالوا هو يوم السبت فنهاهم موسى فاختلفوا فيه فجعل عليهم السبت ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه وان رجلا منهم ذهب ليحتطب فأخذه موسى عليه السلام فسأله هل أمرك بهذا أحد فلم يجد أحدا أمره فرجمه أصحابه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال بعض الذين نهوهم لبعض لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هانئ قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة عن ابن عباس واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال ما أدرى أنجا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكسانى حلة حدثنى المثنى قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية فذكر نحوه الا أنه قال فى حديثه فما زلت أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا يحيى بن سليم الطائفى قال ثنا ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف فى حجره وهو يبكى فقلت ما يبكيك جعلنى الله فداءك قال فقرأ واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله بما كانوا يفسقون قال ابن عباس لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن نكون مثلهم فقلت أما تسمع الله يقول فلما عتوا عما نهوا عنه فسرى عنه وكسانى حلة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكى واذا المصحف فى حجره فأعظمت أن أدنو ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلنى الله فداءك فقال هؤلاء الورقات قال واذا هو فى سورة الاعراف قال تعرف أيلة قلت نعم قال فانه كان بها حى من يهود سيقت الحيتان اليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بافنيتهم وأبنيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم ان الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها فى غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة منهم بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها فى يوم السبت وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الايمنون الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله وقال الأيسرون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الايمنون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون

فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو أن مميز ما عدا العشرة الى تسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثنى عشر سبطا وأجيب بأن كل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة كقوله

* بين رماحى مالك ونهشل *

ولهذا أنث اثنتى عشرة وقال الزجاج

المميز محذوف وأسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتى عشرة فرقة أسباطا وقال الفارسى والجوهرى أسباطا بدل من اثنتى عشرة والمميز كما قال الزجاج وقوله أمما بدل من اثنتى عشرة لان كل أسباط كانت جماعة كثيرة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقى الآية الى قوله عما كانوا يظلمون قدمر تفسيره فى البقرة وكذا بيان المتشابهات فلنذكر النوع الآخر من أحوالهم قوله تعالى واسئلهم عن القرية أى عن أهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلومة للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقرير ما كانوا قد أقدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلم أن لهم سابقة فى ذلك وليس كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير أنه محيط بتلك القصة وفيه أنه اذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحى فيكون معجزا والاكثرون على أن تلك القرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون فى السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو

أى ينتهون فهو أحب الينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وان لم ينتهوا فعذرة الى ربكم فضوا على الخطيئة فقال الآيسون قد فعلتم يا أعداء الله والله لانبايتنكم الليلة فى مدينتكم والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت اليهم فقال أى عباد الله قردة والله تعاوى لها أذناب قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القردة فجعلت القرود تأتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فتقول لهم ألم ننهكم عن كذا فتقول برأسها نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قال فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها قال قلت اى جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم قال فأمر بى فكسيت بردين غليظين **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ذكر لنا أنه اذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان حتى تنتطح على سواحلهم وأفنيتهم لما بلغها من أمر الله فى الماء فاذا كان فى غير يوم السبت بعدت فى الماء حتى يطلبها طالبهم فأتاهم الشيطان فقال انما حرم عليكم أكلها يوم السبت فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فصار القوم ثلاثة أصناف أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع فى الخطيئة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله حاضرة البحر قال حرمت عليهم الحيتان يوم السبت وكانت تأتيهم يوم السبت شرعا بلاء ابتلاهم ولا تأتيهم فى غيره الا أن يطلبوها بلاء أيضا بما كانوا يفسقون فأخذوها يوم السبت استحلالا ومعصية فقال الله لهم كونوا قردة خاسئين الا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوهم فقال بعضهم لبعض لم تعظون قوما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم حتى بلغ ولعلهم يتقون لعلهم يتركون ما هم عليه قال كانوا قد بلوا بكف الحيتان عنهم وكانوا يسبتون فى يوم السبت ولا يعملون فيه شيأ فاذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرعا واذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد قال وكانوا قوما قد قرموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاء فأخذ رجل منهم حوتا فربط فى ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشفة ثم تركه فى الماء حتى اذا غربت الشمس من يوم الاحد اجتره بالخيط ثم شواه فوجد جاره ريح حوت فقال يا فلان انى أجد فى بيتك ريح نون فقال لا قال فتطلع فى تنوره فاذا هو فيه فأخبره حينئذ الخبر فقال انى أرى الله سيعذبك قال فلما لم يره عجل عذابا فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربطهما ثم اطلع جاره عليه فلما رآه لم يعجل عذابا جعلوا يصيدونه فاطلع أهل القرية عليهم فنهاهم الذين ينهون عن المنكر فكانوا فرقتين فرقة تنهاهم وتكف وفرقة تنهاهم ولا تكف فقال الذين نهوا وكفوا اللذين ينهون ولا يكفون لم تعظون قوما الله مهلكهم

اصطيادهم فى يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال أى واسئلهم عن وقت عدوانهم قال فى الكشاف ويجوز أن يكون منصوبا بحاضرة أو بكانت بناء على أن كان الناقصة تعمل فى غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر فى وقت العدوان لانها حاضرته فى جميع الاحيان

أو معذبهم عذابا شديدا فقال الآخرون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فقال الله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء الى قوله بما كانوا يفسقون قال الله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقال لهم أهل تلك القرية علمتم بعمل سوء من كان يريد يعتزل و يتطهر فليعتزل هؤلاء قال فاعتزل هؤلاء وهؤلاء فى مدينتهم وضربوا بينهم سورا فجعلوا فى ذلك السور أبوابا يخرج بعضهم الى بعض قال فلما كان الليل طرقهم الله بعذابه فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحدا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة الرجل وأزواجه وأولاده فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون يا فلان ألم نحذرك سطوات الله ألم نحذرك نقمات الله ونحذرك ونحذرك قال فليس الا البكاء قال وانما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك قال وأما الذين نهوا فكلهم قد نهى ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن داود عن عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال لا أدرى أنجا القوم أو هلكوا فازلت أبصره حتى عرف أنهم نجوا وكسانى حلة **حدثنى** يونس قال أخبرنى أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانت تأتيهم يوم السبت فاذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شئ الى السبت فاتخذ لذلك رجل منهم خيطا ووتدا فربط حوتا منها فى الماء يوم السبت حتى اذا أمسوا ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فانه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدرى لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجد واريحه فجاؤا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما أصنع فقالوا له وما صنعت فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ربض فغلقوها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغدا اليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجبهم فتسوروا عليهم فاذا هم قردة فجعل القرد يدنو فيتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه و يتمسح به وقال آخرون بل الفرقة التى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله شرعا قال قال ابن عباس ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا اذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها فى البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم ترحتى السبت المقبل فاذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم ان رجلا منهم أخذ حوتا فخرم أنفه ثم ضرب له وتدا فى الساحل وربطه وتركه فى الماء فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاه منهم أحد الا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك فى الاسواق وفعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم فى سخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا

وقوله اذ تأتيهم منصوب ببعدون أو مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شئ دان من شئ فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اذا دنت من المغيب فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها ومجاهد ان اليهود أمروا باليوم الذى أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقى القصة مذكور فى البقرة وفيها دلالة على أن من أطاع الله تعالى خفف عليه أهوال الدنيا والآخرة ومن عصاه ابتلاه بأنواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب أن لا يكثر الحيتان فى ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر أسباب الشرور والنوع الثالث قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب أمة منهم جماعة من صلحاء أهل القرية الذين بالغوا فى موعظتهم حتى آيسوا الآخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مدمرهم أو معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بأن عاقبة المعصية شؤم والمنهمك فى الفساد لا يكاد يفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه أو موعظتنا أو قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة أو وعظناهم معذرة الى ربكم أى اذا طولبنا باقامة النهى عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجو أن يتقوا بعض الاتقاء فيتركوا الصيد فى السبت فلما نسوا يعنى أهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا اثلاثا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراآت شديد من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد والظاهر أن هذا العذاب غير المسخ المتأخر فى قوله فلما عتوا تكبروا وتمردوا أو أبوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهى عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد أمر

التكوين والايجاد لأن هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا أنه بقي ههنا بحث وهو أن أهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة والواعظة وأما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول أنه لو صح ذلك لكان اللائق أن يقال في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح أنهم ثلاث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون أما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق وأما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة فعن ابن عباس أنه توقف فيهم وكان يقول فيهم ليت شعري ما فعل بهؤلاء وعنه أيضا أنهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الآية بكى وقال ان هؤلاء الذين سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى أشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيأ وعن الحسن أنهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بأن الله سيهلكهم أو يعذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وأن النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء أو لعلهم كانوا أحرص الطائفتين ولعل الامة سألوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين والله تعالى أعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان وهو الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكأنه يؤذن النفس بأنه يفعله وأجرى مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فأجيب بجواب القسم أي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد واختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على أن لهم

أثلاثا ثالثة نهوا وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث أصحاب الخطيئة فانجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم فأصبح الذين نهوا عن السوء ذات يوم في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم فغلقوا عليهم دورهم فجعلوا يقولون ان للناس لشأنا فانظروا ما شأنهم فاطلعوا في دورهم فاذا القوم قد مسخوا في ديارهم قردة يعرفون الرجل بعينه وانه لقرد ويعرفون المرأة بعينها وانها لقردة قال الله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء الآية قال ابن عباس نجا الناهون وهلك الفاعلون ولا أدري ما صنع بالساكتين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هم ثلاث فرق الفرقة التي وعظت والموعوظة التي وعظت والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وقال الكلبي هما فرقتان الفرقة التي وعظت والتي قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هي الموعوظة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لأن أكون علمت من هؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا أحب الي مما عدل به **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال قال ابن عباس واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم قال أسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن ماهان الحنفي أبي صالح في قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانوا في المدينة التي على ساحل البحر وكانت الايام ستة الاحد الى الجمعة فوضعت اليهود يوم السبت وسبتوه على أنفسهم فسبته الله عليهم ولم يكن السبت قبل ذلك فوكده الله عليهم وابتلاهم فيه بالحيتان فجعلت تشرع يوم السبت فيتقون أن يصيبوا منها حتى قال رجل منهم والله ما السبت بيوم وكده الله علينا ونحن وكدناه على أنفسنا فلو تناولت من هذا السمك فتناول حوتا من الحيتان فسمع بذلك جاره فخاف العقوبة فهرب من منزله فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة تناول غيره أيضا في يوم السبت فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول في يوم السبت واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمور ويلعبون فيه بالمعازف فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم ويحكم انتهوا عما تفعلون ان الله مهلككم أو معذبكم عذابا شديدا أفلا تعقلون ولا تعدوا في السبت فأبوا فقال خيارهم نضرب بيننا وبينهم حائطا ففعلوا وكان اذا كان ليلة السبت تأذوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف حتى اذا كانت الليلة التي مسخوا فيها سكنت أصواتهم أول الليل فقال خيارهم ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة فقال بعضهم لعل الخمر غلبتهم فناموا فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حسا فقال بعضهم لبعض ما لنا لا نسمع من قومكم حسا فقالوا لرجل اصعد الحائط وانظر ما شأنهم فصعد الحائط فرآهم يوجع بعضهم في بعض قد مسخوا قردة فقال لقومه تعالوا فانظروا الى قومكم ما لقوا فصعدوا فجعلوا ينظرون الى الرجل فيتوسمون فيه فيقولون أي فلان أنت فلان فيومئ بيده الى صدره أي نعم بما كسبت يداي **حدثني** يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أيوب

نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المعتدين وألحق الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين أدركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية أما العذاب فقيل هو أخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وبني قريظة والنضير واذ قد أخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد أن الامر كذلك فهو اذا اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في أن أتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه أنهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بآلهته فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في الارض أمما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق وأولئك الذين هم وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وآمنوا به ومنهم دون ذلك أي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه فيجوز أن يكون فيهم بعض الصلاح وان كان أدون من صلاح الاولين الا أن قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على أن المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضد الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على أنه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلي المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة والنعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره يدل على أن الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف ومدها من بعد أولئك الصلحاء خلف سوء قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس أكثرهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء من أبيه بالتسكين وخلف صدق من أبيه بالتحريك قال لبيد ذهب الذين يعاش في أكنافهم

قال تلا الحسن ذات يوم واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون فقال كان حوتا حرمه الله عليهم في يوم وأحله لهم فيما سوى ذلك فكان يأتيهم في اليوم الذي حرمه الله عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحد وقلما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب الا واقعه قال فجعلوا يهمون ويمسكون حتى اخذوه فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قط أثقله خزيا في الدنيا وأشده عقوبة في الآخرة وأيم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ولكن الله جعل موعد قوم الساعة والساعة أدهى وأمر حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن أبي موسى عن الحسن قال جاءتهم الحيتان تشرع في حياضهم كأنها المخاض فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قط أسوأه عقوبة في الدنيا وأشده عذابا في الآخرة وقال الحسن وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كنت جالسا في المسجد فاذا شيخ قد جاء وجلس الناس اليه فقالوا هذا من أصحاب عبد الله ابن مسعود فقال قال ابن مسعود واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية قال لما حرم عليهم السبت كانت الحيتان تأتي يوم السبت وتأمن وتجيء فلا يستطيعون أن يمسوها وكان اذا ذهب السبت ذهبت فكانوا يتصيدون كما يتصيد الناس فلما أرادوا أن يعدوا في السبت اصطادوا فنهاهم قوم من صالحيهم فأبوا وكثرهم الفجار فأراد الفجار قتالهم فكان فيهم من لا يشتهون قتاله أبو أحدهم وأخوه أو قريبه فلما نهوهم وأبوا قال الصالحون انا نباينهم وانا نجعل بيننا وبينهم حائطا ففعلوا فلما فقدوا أصواتهم قالوا لو نظرتم الى اخوانكم ما فعلوا فنظروا فاذا هم قد مسخوا قردة يعرفون الكبير بكبره والصغير بصغره فجعلوا يكون اليهم وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء يعني عن معصية الله واستحلال حرمه وأخذنا الذين ظلموا يقول وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله فأحل بهم بأسه وأهلكهم بعذاب شديد بئيس بما كانوا يفسقون يخالفون أمر الله فيخرجون من طاعته الى معصيته وذلك هو الفسق ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج في قوله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء قال فلما نسوا موعظة المؤمنين اياهم الذين قالوا لم تعظون قوما حدثني محمد بن المثنى قال ثنا حرمي قال ثنى شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء قال بالله شعري ما السوء الذي نهوا عنه وأما قوله بعذاب بئيس فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز على مثال فعل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة بعذاب بيس على مثل فعيل من البؤس بنصب الباء وكسر الهمزة

وبقيت فى خلف كجلد الاجرب والخلف الردىء من القول يقال سكت ألفا ونطق خلفا أى سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطا ورثوا الكتاب
أى التوراة بقيت فى أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهى ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى أى
حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها (٦٩) البر والفاجر وفى الاشارة بقوله هذا الادنى
تحقير وتخسيس وأراد بالدنو القرب
لانه عاجل أو دنو الحال وسقوطها
وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من
الرشا فى تحريف الاحكام والنعوت
ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله
بما أخذنا واسناد الفعل اما الى
الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال
عليه يأخذون وان يأتهم عرض مثله
يأخذوه الواو للحال أى يرجون
المغفرة جزما وهم مصرون والمراد
الاخبار عن اصرارهم على الذنوب
وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم
على الدنيا وأنهم لا يشبعون منها ثم بين
نكث عهدهم فقال ألم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب أى التوراة
ومحل ألا يقولوا على الله الا الحق رفع
عطف بيان للميثاق المذكور
فى التوراة وهو أن لا يحرفوا الكلم
عن مواضعه ولا يقبلوا الرشا
أو لا يصروا على الذنب مع الجزم
بالغفران فان خلاف كل ذلك
خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء
على الله وتقول عليه ما ليس بحق
ويجوز أن يكون ألا يقولوا مفعولا
لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز
أن تكون أن مفسرة ولا يقولوا نهيا
كانه قيل ألم نقل لهم لا تقولوا على
الله الا الحق ودرسوا عطف على ألم
يؤخذ لانه تقرير كانه قيل أخذ
عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه أى أنهم
ذاكرون لما أخذ عليهم لانهم
قد قرؤه ودرسوه والدار الآخرة
خير من ذلك العرض الخسيس للذين
يتقون الرشا والمحرمات ثم لما ذكر

ومدها وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين غير أنه كسر باء بئيس على مثال فعيل وقرأه بعض الكوفيين
بيئس بفتح الباء وتسكين الياء وهمزة بعدها مكسورة على مثال فيعل وذلك شاذ عند أهل العربية
لان فيعل اذا لم يكن من ذوات الياء والواو فالفتح فى عينه الفصيح فى كلام العرب وذلك مثل قولهم
فى نظيره من السالم صيقل ونيرب وانما تكسر العين من ذلك فى ذوات الياء والواو كقولهم سيد
وميت وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندى

كلاهما كان رئيسا بيئسا * يضرب فى يوم الهياج القونسا

بكسر العين من فيعل وهى الهمزة من بيئس فلعل الذى قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه وذكر عن
آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه بيئس نحو القراءة التى ذكرناها قبل هذه وذلك بفتح الباء وتسكين
الياء وفتح الهمزة بعد الياء على مثال فيعل مثل صيقل وروى عن بعض البصريين انه قرأه بئس
بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال فعل كما قال ابن قيس الرقيات

ليتنى ألقى رقيه فى * خلوة من غير ما بئس

وروى عن آخرهم أنه قرأ بئس بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب * وأولى هذه
القراآت عندى بالصواب قراءة من قرأه بئيس بفتح الباء وكسر الهمزة ومدها على مثال فعيل
كما قال ذو الاصبع العدوانى

حنقا على ولن ترى * لى فيهم أثرا بئيسا

لان أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد فدل ذلك على صحة ما اخترنا ذكر من قال ذلك
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى رجل عن عكرمة
عن ابن عباس فى قوله وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أليم وجيع حدثنى محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس قال شديد حدثنى
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس أليم شديد
حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بعذاب بئيس قال موجع
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد بعذاب بئيس قال بعذاب شديد ﴿ القول
فى تأويل قوله ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ يقول تعالى ذكره فلما تمردوا
فيما نهوا عنه من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله
وتمادوا فيه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى بعداء من الخير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما عتوا
عما نهوا عنه يقول لما مرد القوم على المعصية قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة لها أذناب
تعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى
عن أبيه عن ابن عباس قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعل الله منهم
القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير حدثنى المثنى
قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن السدى عن أبى مالك أو سعيد بن جبير قال رأى موسى عليه

حال من ترك التمسك بالتوراة أتبعها حال من تمسك أى اعتصم به فقال والذين يمسكون الآية والتشديد للتكثير وفى افراد اقامة الصلاة بالذكر مع أن
التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلاة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا الجبل قال أبو عبيدة أصل النتق قلع
الشئ عن موضعه والرمى به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها كانها ترمى بأولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من أصله وجعلناه فوقهم كأنه ظلة

وهى كل ما أظلك من سقف أو حائط وظنوا أنه واقع بهم علموا وتيقنوا أنه ساقط عليهم وقيل قوى فى نفوسهم أنه يقع بهم ان خالفوا روى أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم

فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنابها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز ونغض لها رأسه خذوا على ارادة القول أى قلنا لهم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهى أو من التعريض للثواب أو المراد خذوا ما آتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما أنتم عليه من الاباء ﴿التأويل﴾ القرية التى كانت حاضرة البحر هى قرية الجسد الحيوانى على شاطئ بحر البشرية وأهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحانى كصفات الروح وصنف قلبى كصفات القلب وصنف نفسانى كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعى البشرية فى سبت محارم الله فلم تنتهك الحرمة الا الصفات النفسانية اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فتهيج الدواعى فى المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون أى بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن أمر الله لانها أمارة بالسوء واذ قالت أمة منهم هى صفات القلب قالوا لصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات معمر عند استيفاء اللذات والشهوات أو معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانه خلقنا هكذا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فنقضى ما علينا لعلم أنا ما تغيرنا عن أوصافنا الروحانية والملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون

السلام رجلا يحمل قصبا يوم السبت فضرب عنقه ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله واذ تأذن واذكر يا محمد اذ أذن ربك فأعلم وهو تفعل من الايذان كما قال الاعشى ميمون بن قيس

آذن اليوم جيرتى بخفوف * صرموا حبل آلف مألوف

يعنى بقوله أذن أعلم وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ تأذن ربك قال أمر ربك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد واذ تأذن ربك قال أمر ربك وقوله ليبعثن عليهم يعنى أعلم ربك ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء العذاب قيل ان ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارا وذلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هى الجزية والذين يسومونهم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته الى يوم القيامة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فهى المسكنة وأخذ الجزية منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال يهود وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال بعث عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة وقال عبد الكريم الجزرى يستحب أن تبعث الانباط فى الجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال العرب سوء العذاب قال الخراج وأول من وضع الخراج موسى عليه السلام فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال العرب سوء العذاب قال الخراج قال وأول من وضع الخراج موسى فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هم أهل الكتاب بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج الى يوم القيامة فهو سوء العذاب ولم يجب نبى الخراج قط الا موسى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك والا النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال يبعث عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة قال أخبرنا

فتتصف بالمأمورية والاطمئنان فانها قابلة لذلك بعذاب بئيس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيامة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذلة الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب في أرض الاجساد منهم الصالحون (٧١) قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك

معمر قال أخبرني عبد الكريم عن ابن المسيب قال يستحب أن تبعث الانباط في الجزية حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب يقول ان ربك يبعث على بني اسرائيل العرب فيسومونهم سوء العذاب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة ليبعثن على يهود ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد لسريع عقابه الى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له وانه لغفور رحيم يقول وانه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه فأناب وراجع طاعته يستر عليها بعفوه عنها رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها لانه يقبل التوبة ويقيل العثرة ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقطعناهم في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره وفرقنا بني اسرائيل في الارض أمما يعني جماعات شتى متفرقين كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقطعناهم في الارض أمما قال في كل أرض يدخلها قوم من اليهود حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقطعناهم في الارض أمما قال يهود وقوله منهم الصالحون يقول من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بني اسرائيل الصالحون يعني من يؤمن بالله ورسله ومنهم دون ذلك يعني دون الصالح وانما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وقبل كفرهم بربهم وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون يقول واختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه ويعني بالسيئات الشدة في العيش والشظف فيه والمصائب والرزايا في الاموال لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا الى طاعة ربهم وينيبوا اليها ويتوبوا من معاصيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ يقول تعالى ذكره فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلف يعني خلف سوء يقول حدث بعدهم وخلافهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق وخلف سوء وأكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح ومن ذلك في تسكينها في المدح قول حسان

لنا القدم الأولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

وأحسب أنه اذا وجه الى الفساد مأخوذ من قولهم خلف اللبن اذا حمض من طول تركه في السقاء حتى يفسد فكان الرجل الفاسد مشبه به وقد يجوز أن يكون منه قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وأما في تسكين اللام في الذم فقول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقيل ان الخلف الذي ذكر الله في هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم النصارى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله

في القبول وبلوناهم بالحسنات وهي الطاعات والسيئات وهي المعاصي لعلهم يرجعون الى الحق وذلك أن السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت أو بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر أو بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها كما كان حال آدم فخلف من بعد الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما ألهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثتها النفوس وجعلوها ذريعة للعروض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب أهل الاباحة أو سيغفر لنا اذا استغفرنا وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه أن الانسان لو وكل الى طبعه ونفسه لا يقبل شيأ من الامور الدينية وانما يعان على القبول بأمر ظاهر أو باطن وفيه أن على رؤس أهل الطلب جبل أمر الحق وهو أمر التحويل فيحولهم بالقدرة الى أن يأخذوا ما آتاهم الله تعالى بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم ﴿واذ أخذ ربك

من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل

عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى

فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين ﴿القرآت﴾ ذريتهم على التوحيد حمزة وعلى وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة فى الحرفين أبو عمرو ويلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهانى عن ورش والحلوانى عن قالون والنقاش عن أبى ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرأنا مظهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون بالهمز ﴿الوقوف﴾ أنفسهم ج لان التقدير وقال ألست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم ط فصلا بين السؤال والجواب بلى ج لان شهدنا يصلح أن يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق أن بمحذوف أى فعلنا ذلك لئلا تقولوا ويصلح أن يكون شهدنا من قول الملائكة أى قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من جملة بلى ومتصلا بأن تقولوا غافلين ○ لا للعطف من بعدهم ج لابتداء الاستفهام واتحاد القائل المبطلون ○ يرجعون ○ الغاوين ○ هواه ج لان قوله فمثله مبتدأ ولدخول الفاء فيه كمثل الكلب ان ج لابتداء الشرط مع أن الجملة تفسير للمثل أو تتركه يلهث ط بآياتنا ط يتفكرون ○ يظلمون ○ المهتدى ج للعطف ولان التفصيل بين الجملتين أبلغ فى التنبيه الخاسرون ○ والانس ط والوصل أولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها ج لان العطف

تخلف من بعدهم خلف قال النصارى * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى انما وصف أنه خلف القوم الذين قص قصصهم فى الآيات التى مضت خلف سوء ردى ء ولم يذكر لنا أنهم نصارى فى كتابه وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى وبعد فان ما قبل ذلك خبر عن بنى اسرائيل وما بعده كذلك فما بينهما بأن يكون خبرا عنهم أشبه اذ لم يكن فى الآية دليل على صرف الخبر عنهم الى غيرهم ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به فتأويل الكلام اذا فتبدل من بعدهم بدل سوء ورثوا كتاب الله تعلموه وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه يرشون فى حكم الله فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل الادنى يعنى بالادنى الاقرب من الآجل الأبعد ويقولون اذا فعلوا ذلك ان الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيا على الله الاباطيل كما قال جل ثناؤه فهم فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يقول وان شرع لهم ذنب حرام مثله من الرشوة بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل اصرار على ذنوبهم وليسوا بأهل انابة ولا توبة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عنه عباراتهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن المقدام قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن سعيد بن جبير فى قوله يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال يعملون الذنب ثم يستغفرون الله فان عرض ذلك الذنب أخذوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سعيد بن جبير وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال من الذنوب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال يعملون بالذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال ذنب آخر يعملون به **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن سعيد ابن جبير يأخذون عرض هذا الادنى قال الذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال ما أشرف لهم من شئ فى اليوم من الدنيا حلال أو حرام يشتهونه أخذوه ويبتغون المغفرة فان يجدوا الغد مثله يأخذوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال يتمنون المغفرة **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال لا يشرف لهم شئ من الدنيا الا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون المغفرة ويقولون سيغفر لنا وان يجدوا عرضا مثله يأخذوه **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فخلف من بعدهم خلف إى والله خلف سوء ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم ورثهم الله وعهد اليهم وقال الله فى آية أخرى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا تمنوا على الله أمانى وغرة يغترون بها وان يأتهم عرض مثله لا يشغلهم شئ عن شئ ولا ينهاهم عن ذلك كلما أشرف لهم شئ من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالا كان أو حراما **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يأخذون عرض هذا الادنى قال يأخذونه

صحيح ولكن الوقف لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم فى أول كل جملة لا يسمعون بها ط أضل ط الغافلون ٥ فادعوه بها ص لعطف المتفقتين فى أسمائه ط يعملون ٥ يعدلون ٥ لا يعلمون ٥ ج وعطف وأملى على سنستدرجهم أحسن من جعله مستأنفا فيوقف على أملى لهم متين ٥ ۞ التفسير لما شرح قصة موسى على أقصى الوجوه ذكر ما يجرى مجرى تقرير

ان كان حلالا وان كان حراما وان يأتهم عرض مثله قال ان جاءهم حلال أو حرام أخذوه **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فخلف من بعدهم خلف الى قوله ودرسوا ما فيه قال كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم وان خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم اذا استقضى ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشى فى الحكم فيقول سيغفر لى فيطعن عليه البقية الآخرون من بنى اسرائيل فيما صنع فاذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشى يقول وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه وأما عرض الادنى فعرض الدنيا من المال **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا يقول يأخذون ما أصابوا ويتركون ما شاؤا من حلال أو حرام ويقولون سيغفر لنا **وحدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يأخذون عرض هذا الادنى قال الكتاب الذى كتبوه ويقولون سيغفر لنا لا نشرك بالله شيأ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يأتهم المحق برشوة فيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بالرشوة وكان الظالم اذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة وهو الكتاب الذى كتبوه فحكموا له بما فى المثناة بالرشوة فهو فيها محق وهو فى التوراة ظالم فقال الله ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى قال يعملون بالذنوب ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم القائلين سيغفر الله لنا فعلنا هذا اذا عوتبوا على ذلك ميثاق الكتاب وهو أخذ الله العهود على بنى اسرائيل باقامة التوراة والعمل بما فيها فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم فى هذه الآية موبخا لهم على خلافهم أمره ونقضهم عهده وميثاقه ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ألا يقولوا على الله الا الحق ولا يضيفوا اليه الا ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأن لا يكذبوا عليه كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق قال فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها وأما قوله ودرسوا ما فيه فانه معطوف على قوله ورثوا الكتاب ومعناه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه ويعنى بقوله ودرسوا ما فيه قرؤا ما فيه يقول ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه فضيعوه وتركوا العمل به وخالفوا عهد الله اليهم فى ذلك كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ودرسوا ما فيه قال علموه علموا ما فى الكتاب الذى ذكر الله وقرأ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون والدار الآخرة خير للذين يتقون يقول جل ثناؤه وما فى الدار الآخرة وهو ما فى المعاد عند الله مما أعد لأوليائه والعاملين بما أنزل فى كتابه المحافظين على حدوده خير للذين

الحجة على جميع المكلفين وفى الآية للمفسرين قولان أحدهما ما روى مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس وأما المعتزلة وأصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الآية بأنه تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته

وكأنه قررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال الشاعر * امتلأ الحوض وقال قطنى * وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه انما الكلام

يتقون الله ويخافون عقابه فيراقبونه فى أمره ونهيه ويطيعونه فى ذلك كله فى دنياهم أفلا يعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الادنى على أحكامهم ويقولون سيغفر لنا أن ماعند الله فى الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس فى أحكامهم خير من هذا العرض القليل الذى يستعجلونه فى الدنيا على خلاف أمر الله والقضاء بين الناس بالجور ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لانضيع أجر المصلحين﴾ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم يمسكون بتخفيف الميم وتسكينها من أمسك يمسك وقرأه آخرون يمسكون بفتح الميم وتشديد السين من مسك يمسك ويعنى بذلك والذين يعملون بما فى كتاب الله وأقاموا الصلاة بحدودها ولم يضيعوا أوقاتها انا لانضيع أجر المصلحين يقول تعالى ذكره فمن فعل ذلك من خلقى فانى لا أضيع أجر عمله الصالح كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذين يمسكون بالكتاب قال كتاب الله الذى جاء به موسى صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله والذين يمسكون بالكتاب من يهود أو نصارى انا لانضيع أجر المصلحين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بنى اسرائيل كأنه ظلة غمام من الظلال وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة من فرائضنا وألزمناكم من أحكام كتابنا فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم فى أدائه من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه يقول ما فى كتابنا من العهود والمواثيق التى أخذنا عليكم بالعمل بما فيه لعلكم تتقون يقول كى تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بتركم العمل به اذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة يقول من العمل بالكتاب والا نرسل عليكم الجبل فأهلككم فقالوا بل نأخذ ما آتانا الله بقوة ثم نكثوا بعد ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة فهو قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم فقال خذوا ما آتيناكم بقوة والا أرسلته عليكم حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال انى لأعلم خلق الله لأى شئ سجدت اليهود على حرف وجوههم لما رفع الجبل فوقهم سجدوا وجعلوا ينظرون الى الجبل مخافة أن يقع عليهم قال فكانت سجدة رضيها الله فاتخذوها سنة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن عباس مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة أى بجد واذكروا ما فيه لعلكم تتقون جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤسهم فقال لتأخذن أمرى أو لأرمينكم به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد واذ نتقنا الجبل قال كما تنتق الريذة قال ابن جريج كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا

فى صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه أخذ من ظهر آدم شيأ ويمكن أن يجاب بانه تعالى يعلم أن الشخص الفلانى يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر فعلى الترتيب الذى علم دخولهم فى الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بنى آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للآية والخبر عن الطعن ومنها ان أولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن أخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب أن يتذكروا تلك الحالة فى هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل أن يجاب بالفرق وذلك أنا اذا كنا فى أبدان أخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع فى مجرى العادة نسيانها وأما أخذ هذا الميثاق فانما حصل فى أسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها أن جميع الخلق من أولاد آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على أن البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم فكل واحدة من أولئك الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما فى الجثة والمقدار وأجيب بأن البنية عندنا ليست شرطا فى الحياة والعقل فمن الجائز أن يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها أن فائدة أخذ الميثاق أن يكون حجة عليهم فى ذلك الوقت أو فى الدنيا والاجماع منعقد على أنهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب وعلى أنهم أدون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر وأجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا أرادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد أن يكون لبعض المكلفين فى اسماع هذه الأشياء نطق فكذا ههنا ولا يبعد أن يكون بها لبعض الملائكة فى تمييز السعداء من الاشقياء فى وقت أخذ الميثاق نطق وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ومنها أنه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون أولئك الذر أناسا ينافى كون الانسان

مخلوقا من الماء والطين والجواب لم لا يجوز أن يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة أخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدم الكل
أو يميتها فتحصل الحياة للانسان أربع مرات أولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر ورابعها في القيامة ويحصل له الموت
ثلاث مرات بين كل حياتين واحدة ولا يناقض هذا حكاية قول الكفرة ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء

بها خذوا ما آتيناكم بقوة قال يقول لتؤمنن بالتوراة ولتقبلنها أو ليقعن عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه فان فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم ونهاكم قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوا موسى مرارا فأوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى اذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال لهم موسى ألا ترون ما يقول ربي لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل قال فحدثني الحسن البصري قال لما نظروا الى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من أن يسقط عليه فلذلك ليس في الارض يهودي يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الالواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الارض صغير ولا كبير تقر أعليه التوراة الا اهتز ونفض لها رأسه واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله نتقنا فقال بعض البصريين معنى نتقنا رفعنا واستشهد بقول العجاج

* ينتق أقتاد السليل نتقا * وقال يعني بقوله ينتق يرفعها عن ظهره وبقول الآخر

* ونتقوا أحلامنا الاثاقلا * وقد حكي عن قائل هذه المقالة قول آخر وهو أن أصل النتق والنتوق كل شئ قلعته من موضعه فرميت به يقال منه نتقت نتقا قال ولهذا قيل للمرأة الكبيرة ناتق لانها ترمي بأولادها رميا واستشهد ببيت النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * دحقت عليك بناتق مذكار

وقال آخرون منهم معناه في هذا الموضع رفعناه وقالوا نتقني السير حركني وقالوا ما نتق برجله لا يركض والنتق نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو فذلك النتق والنتوق ونتقتني الدابة ونتقت المرأة تنتق نتوقا كثر ولدها وقال بعض الكوفيين نتقنا الجبل علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا وامرأة منتاق كثيرة الولد قال وسمعت أخذ الجراب ونتق ما فيه اذا نثر ما فيه

﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد ربك اذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به كما حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا فقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا الآية الى ما فعل المبطلون حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا كلثوم بن جبر قال سألت سعيد بن جبير عن قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت عنها ابن عباس فقال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا وأشار بيده فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثنا ابن وكيع ويعقوب

على حسب ظنونهم أما قوله أن تقولوا فالتقدير وأشهدهم على أنفسهم بكذا لئلا يقولوا أو كراهة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله ألست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى أو يقولوا يعني الكفار انما أشرك آباؤنا فقلدناهم في ذلك الشرك فكان الذنب لأسلافنا فكيف تعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله أفتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل أن الله تعالى لما أخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه أشهدنا عليهم كراهة أن يقولوا انما أشرك آباؤنا على سبيل التقليد لأسلافنا لأن نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة في شأن اليهود وكذلك قوله واتل عليهم أي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا أما قوله وكذلك أي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات

لهم ولعلهم يرجعون وارادة أن يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل نفصلها أو يرجعوا الى ما أخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو أن الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد بأخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما

تتذكر بالتذكير والتنبيه وربما لا تتذكر (واتل عليهم) على بني آدم أو اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك أن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه أن يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فازالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال أيضا انه كان نبيا من أنبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى عليه السلام انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله أعلم حيث يجعل رسالاته وفيه أنه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمرو سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبو روق نزلت في أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا أن يكون هو فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لقد كاد يسلم وذلك أنه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض وأحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في أبي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق وكان يتزهد في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وأمر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار وأتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وآله فمات هنالك طريدا وحيدا وهو قول سعيد ابن المسيب وقيل نزلت في منافق أهل الكتاب وكانوا يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم نبي حق عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكان يحبها فقالت اجعل لي ظهره

قالا ثنا ابن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا اللفظ لحديث يعقوب **وحدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ربيعة بن كلثوم عن أبيه في هذا الحديث قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **حدثنا** عمرو قال ثنا عمران بن عيينة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما أهبط الله آدم أهبطه بدجنى أرض بالهند فمسح الله ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى أن تقوم الساعة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أهبط آدم حين أهبط فمسح الله ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم قال ألست بربكم قالوا بلى ثم تلا واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم بخف القلم من يومئذ عما هو كائن الى يوم القيامة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضتين فقال لاصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام وقال للآخرين ادخلوا النار ولا أبالي **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن حبيب عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فأخرج كل طيب في يمينه وأخرج كل خبيث في الاخرى **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن علية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره بدجنى وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى قال فيرون يومئذ خف القلم عما هو كائن الى يوم القيامة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه فمسح ظهره فأخذ ذريته كهيئة الذر فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال ثنا يزيد بن هرون عن المسعودي عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه انه ربه وكتب أجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وأخذ ميثاقهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم قال مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان وادا الى جنب عرفة وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال ثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم عليه السلام من

منها دعوة قال لك منها واحدة فاذا تأمرين قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه وأرادت شيأ آخر فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب المثل فيقال أشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فأعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وأبي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيأ بالكلية انه انسلخ منه وقال أبو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها أي بيناها فلم يقبل وعرى منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة وأقام على الكفر والقول الاول أولى لان الانسلاخ يدل على أن الشئ كان موجودا فيه ثم خرج منه لا على أنه لم يوجد فيه أصلا وأيضا ثبت بالاخبار أن الآية نزلت في انسان كان عارفا بدين الله ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فأتبعه الشيطان أي أدركه ولحقه وصار قرينا له أو أتبعه الشيطان خطواته أو كفار الانس وغواتهم أي الشيطان جعل كفار الانس أتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى أو فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الأبرار بها أي بتلك الآيات ولكنه أخلد الى الارض أصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه قيل لزم الميل الى الارض ومنه أخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها أرض وسائر أمتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه أنه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه أخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى

ظهره كهيئة الذر وهو في اذى من الماء **حدثني** علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة قال ثنا أبو مسعود عن جويبر قال مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال يا جابر اذا أنت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده فان ابني مجلس ومسؤل ففعلت به الذي أمرني فلما فرغت قلت يرحمك الله عم يسئل ابنك قال يسئل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قال ثنى ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الاول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة **حدثني** يونس ابن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين فقال ان خياركم أولاد المشركين ألا انها ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فابواها يهودانها أو ينصرانها قال الحسن والله لقد قال الله ذلك في كتابه قال واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم **حدثنا** عبد الرحمن بن الوليد قال ثنا أحمد ابن أبي طيبة عن سفيان عن سعيد عن الاجلح عن الضحاك وعن منصور عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذ وامن ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس قال ابن حميد كما يؤخذ بالمشط **حدثنا** ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار **حدثنا** ابراهيم قال

لاجرم أقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على أن الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائى معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بأن
نحترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فأبى أن يستمر على الايمان أو المراد
لو شئنا لرفعناه بأن نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا أن ذلك ينافى التكليف فلاجرم تركناه مع اختياره وقال صاحب

الكشاف ومعناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هى تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى الى قوله ولكنه أخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذى هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا فى معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لان تمثيله بالكلب فى أخس أحواله وأذلها فى هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين ويجوز أن يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث اللهث هو أن الكلب ونحوه اذا نأله الاعياء عند شدة العدو وعند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شئ يلهث فانه يلهث من اعياء أو عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث فى جميع أحواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعته الخسيسة فمعنى الآية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث أيضا لاجل أن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل واعلم أن التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث وأخس الحيوانات هو الكلب وأخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل ابن بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل أنه يورد عليهم أنواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها ولا شك أنه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حاله شبيهة بحال ذلك

ثنا محمد بن المصفى عن بقية عن عمرو بن جعثم القرشى قال ثنى زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه
حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عمارة عن أبى محمد رجل من المدينة قال سألت عمر بن الخطاب عن قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتنى فقال خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم أجلسه فمسح ظهره بيده اليمنى فأخرج ذرا فقال ذرء ذرأتهم للجنة ثم مسح ظهره بيده الاخرى وكلتا يديه يمين فقال ذرء ذرأتهم للنار يعملون فيما شئت من عمل ثم أخذتهم بأسوء أعمالهم فأدخلهم النار **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال ان الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم فى صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم الى أن تقوم الساعة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الى قوله قالوا بلى شهدنا قال ابن عباس ان الله لما خلق آدم مسح ظهره وأخرج ذريته كلهم كهيئة الذر فأنطقهم فتكلموا وأشهدهم على أنفسهم وجعل مع بعضهم النور وانه قال لآدم هؤلاء ذريتك آخذ عليهم الميثاق أنا ربهم لئلا يشركوا بى شيأ وعلى رزقهم قال آدم فمن هذا الذى معه النور قال هو داود قال يا رب كم كتبت له من الاجل قال ستين سنة قال كم كتبت لى قال ألف سنة وقد كتبت لكل انسان منهم كم يعمر وكم يلبث قال يا رب زده قال هذا الكتاب موضوع فأعطه ان شئت من عمرك قال نعم وقد جف القلم عن أجل سائر بنى آدم فكتب له من أجل آدم أربعين سنة فصار أجله مائة سنة فلما عمر تسعمائة سنة وستين سنة جاء ملك الموت فلما رآه آدم قال مالك قال له قد استوفيت أجلك قال له آدم انما عمرت تسعمائة وستين سنة وبقى أربعون سنة قال فلما قال ذلك للملك قال الملك قد أخبرنى بها ربى قال فارجع الى ربك فاسأله فرجع الملك الى ربه فقال مالك قال يا رب رجعت اليك لما كنت أعلم من تكرمتك اياه قال الله ارجع فأخبره انه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء أهل النار ثم أخذ عهودهم على الايمان والمعرفة له ولامره والتصديق به وبامره بنى آدم كلهم فأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا وبلغنى أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل قال ابن جريج عن مجاهد قال ان الله لما أخرجهم قال يا عباد الله أجيبوا الله والاجابة الطاعة فقالوا أطعنا اللهم أطعنا اللهم أطعنا اللهم لبيك قال فأعطاها ابراهيم عليه السلام فى المناسك لبيك اللهم لبيك قال ضرب متن آدم حين خلقه قال وقال ابن عباس خلق آدم ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر فكلمهم ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد الا وقد تكلم فقال ربى الله فقال وكل خلق خلق فهو كائن الى يوم القيامة وهى الفطرة التى فطر الناس عليها قال ابن جريج قال سعيد

الكلب الذى أخرج لسانه أبدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخسيسة وأيضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لاجل أن ذلك الضلال والخسار عادة أصلية وطبيعة ذاتية له كما أن ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل جميع المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنون هادیا يهديهم

ابن جبير أخذ الميثاق عليهم بنعمان ونعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين عن الميثاق الذى أخذ عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون قال فانى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا اله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيأ وسأرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وسأنزل عليكم كتبى قالوا شهدنا أنك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع عليهم أباهم آدم فنظر اليهم فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لولا سويت بينهم قال فانى أحب أن أشكر قال وفيهم الانبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج وخص الانبياء بميثاق آخر قال الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وهو الذى يقول تعالى ذكره فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفى ذلك قال هذا نذير من النذر الاولى يقول أخذنا ميثاقه مع النذر الاولى ومن ذلك قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان فى علمه يوم أقروا به من يصدق ومن يكذب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قال أخرجهم من ظهر آدم وجعل لآدم عمر ألف سنة قال فعرضوا على آدم فرأى رجلا من ذريته له نور فأعجبه فسأل عنه فقال هو داود قد جعل عمره ستين سنة فجعل له من عمره أربعين سنة فلما احتضر آدم جعل يخاصمهم فى الاربعين سنة فقيل له انك أعطيتها داود قال فجعل يخاصمهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر فعرضهم على آدم باسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم قال فعرض عليه روح داود فى نور ساطع فقال من هذا قال هذا من ذريتك نبى خليفة قال كم عمره قال ستون سنة قال زيدوه من عمرى أربعين سنة قال والاقلام رطبة تجرى فأثبت لداود الاربعون وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة فلما استكملها الا الاربعين سنة بعث اليه ملك الموت فقال يا آدم أمرت أن أقبضك قال ألم يبق من عمرى أربعون سنة قال فرجع ملك الموت الحديث فقال ان آدم يدعى من عمره أربعين سنة قال أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود والاقلام رطبة فأثبتت لداود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن عطاء واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن نصر بن عربى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرجهم

وداعيا يدعوهم الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون فى صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين أو قصص بلعم الذى هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذ سار وا بخوسيرته ثم ذكر تأكيدا آخر فى باب التحذير فقال ساء مثلا القوم ولا بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وفى ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الآية يقتضى كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع أن الله تعالى ذكره والجواب أن الذم انما يتوجه الى ما أفاده المثل من تكذيبهم بآيات الله واعراضهم عنها حتى صاروا فى ذلك بمنزلة الكلب اللاهث أما قوله وأنفسهم كانوا يظلمون فاما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم واما أن يكون كلاما منقطعا عما قبله وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين أن الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتدى وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى أن ظاهر الآية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلال بل جميع الافعال بخلق الله تعالى

والمعتزلة أولوها بأن المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدى فى الدنيا ومن يضلله عن الجنة والثواب يضلله عن طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهد الله فقبل هداه فهو المهتدى ومن يضلل بأن لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدى ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه بسوء اختياره فأخرج لهذا السبب تلك الالطاف من أن تؤثر فيه فهو الخاسر وزيف بالعلم والداعى وبأن الاصل عدم الاضمار وبأن كل ما فى مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة فى حق جميع الكفار وبالآية بعدها وهى قوله ولقد ذرأنا الى آخره وذلك أنه بين أنه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك فى الازل وخلاف مقدوره ومعلومه محال وأيضا العاقل لا يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهى الى مسبب الاسباب لا محالة لا يقال العبد انما يسعى فى تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع فى هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهى الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الآيات الدالة على أنه سبحانه أراد من العبد الطاعة والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأيضا انه قال فى معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخره ولو كانوا مخلوقين للنار وغير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وأيضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار أصلا لان منافع الدنيا بأسرها لا اعتداد بها فى جنب العذاب الدائم لكن القرآن مملوء من أنه تعالى منعم على جميع الخلائق وأيضا مذهبكم يوجب أن لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب أن يخلقهم فى النار ابتداء لانه لا فائدة فى أن يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وأيضا الآية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا تفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرأنا هم لكى يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا وجب

من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه قال ثنا محمد بن عبيد عن أبى بسطام عن الضحاك قال حيث ذرأ الله خلقه لآدم قال خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال قال ابن عباس خلق الله آدم ثم أخرج ذريته من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال ألست بربكم قالوا بلى ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد من الخلق الا قد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن طلحة عن أسباط عن السدى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول تعالى ذكره وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق ثم عرضهم على آدم عليه السلام قال ثنا عمر عن أسباط عن السدى قال أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبط من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمر قال ثنا أسباط عن السدى بنحوه وزاد فيه بعد قوله وطائفة على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلذلك ليس فى الارض أحد من ولد آدم الا وهو يعرف أن ربه الله ولا مشرك الا وهو يقول لابنه انا وجدنا آباءنا على أمة والامة الدين وانا على آثارهم مقتدون وذلك حين يقول الله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى من ظهورهم ذرياتهم قال مسح الله على صلب آدم فأخرج من صلبه من ذريته ما يكون الى يوم القيامة وأخذ ميثاقهم أنه ربهم فأعطوه ذلك ولا يسأل أحد كافر ولا غيره من ربك الا قال الله وقال الحسن مثل ذلك أيضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن جعفر عن أبيه عن على ابن حسين أنه كان يقول ويتأول هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أقرت الارواح قبل أن تخلق أجسادها حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنى الزبيدى عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة النضرى عن أبيه عن هشام بن حكيم أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابتدأ الاعمال أم قد قضى القضاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم

أن تؤول الآية بأن اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا أو يقال انه جعلهم لاغراقهم فى الكفر وشدة شكائمهم فيه كانهم مخلوقون للنار كقولهم ماخلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا فى بعض الامور وأجيب اجمالا بانه لا يسأل عما يفعل وتفصيلا بأن النعمة وان قلت فهى فى نفسها نعمة وبان الوسائط معتبرة وبان حمل اللام على (٨١) العاقبة تجوز لا يصار اليه الا لضرورة تحصيح

فى كفيه ثم قال هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار **حدثنى** محمد بن عوف الطائى قال ثنا حيوة ويزيد قالا ثنا بقية عن الزبيدى عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة النضرى عن أبيه عن هشام بن حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنى** أحمد بن شبويه قال ثنا اسحق بن ابراهيم قال ثنا عمرو ابن الحرث قال ثنا عبد الله بن مسلم عن الزبيدى قال ثنا راشد بن سعد أن عبد الرحمن بن قتادة حدثه أن أباه حدثه أن هشام بن حكيم حدثه أنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فذكر مثله **حدثنا** محمد بن عوف قال ثنى أبو صالح قال ثنا معاوية عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلف فى قوله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فقال السدى هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته اذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فتأويل الكلام على هذا التأويل واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فقال الله وملائكته شهدنا عليكم باقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى والخبر الآخر الذى روى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وقال آخرون ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض حين أشهد الله بعضهم على بعض وقالوا معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم وأشهد بعضهم على بعض باقرارهم بذلك وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عمن قاله قبل * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان صحيحا ولا أعلمه صحيحا لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم واتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثورى فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى ذكره أحمد بن أبى طيبة عنه وان لم يكن ذلك عنه صحيحا فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض لانه جل ثناؤه قال وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا فكانه قيل فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا فقالوا بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴿أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره شهدنا عليكم أيها المقرون بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين انا كنا لا نعلم ذلك وكنا فى غفلة منه أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اتبعنا منهاجهم أفتهلكنا باشراك من أشرك من آبائنا واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق ويعنى بقوله بما فعل المبطلون بما فعل الذين أبطلوا فى دعواهم الها غير الله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض المكيين والبصريين أن يقولوا بالياء بمعنى شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة أن تقولوا بالتاء على وجه الخطاب من الشهود للمشهود عليهم والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وان اختلفت ألفاظهما لان العرب تفعل ذلك فى الحكاية كما قال الله لتبيننه للناس ولتبيننه وقد بينا نظائر ذلك فيما

المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعى والنقلية كآيات كثيرة على أن الكل من الله فوجب المصير الى طرف الخير ولا سيما فان ماقبل هذه الآية وهو قوله من يهد الله فهو المهتدى وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم يدل على ماقلنا وأيضا لا ريب أن أولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا أعين مبصرة وآذان سامعة فالمراد أنهم ما كانوا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يكتنه كنهه والعلم الضرورى حاصل بأن حصول الحب والبغض فى القلب ليس باختيار الانسان بل هو حالة حاصلة فى القلب كره الانسان أو أراد وحينئذ يثبت القول بالجبر وروى الشيخ أحمد البيهقى فى كتاب مناقب الشافعى أن على بن أبى طالب عليه السلام خطب الناس فقال وأعجب ما فى الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة وأضدادها فان سنح له الرجاء أولهه الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الأسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان سعد بالرضا شقى بالسخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان أصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد ما لا أطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان أجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان أعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من أحوال القلب فانها مستندة الى حالة أخرى حصلت قبلها واذا وقف

الانسان على هذه الحالة علم أنه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني أجد من نفسي أني ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري أجبنا وقلنا هب أنك وجدت من نفسك ذلك الا أنا نقول وهل تجد من نفسك أنك ان شئت ان تشاء شيأ شئت وان شئت أن لا تشاء لم تشأ ما أظنك تقول ذلك والا لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فلا مشيئتك بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيئتك بك وانما أنت مضطر في صورة مختار والله تعالى أعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على أن محل الفقه هو القلب وأقول ليس المراد بالقلب هو هذا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح أما قوله أولئك كالانعام بل هم أضل فتقريره أن الانسان يشارك سائر الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة وفي أحوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل أضل وأدون لان الذي أعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان أخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية أن الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار أكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر أبدا الى أربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة

مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله ﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة وبينا فيها ما فعلنا بالامم السالفة قبل قومك وأحللنا بهم من المثلات بكفرهم واشراكهم في عبادتي غيري كذلك نفصل الآيات غيرها ونبينها لقومك لينزجروا ويرتدعوا فينيبوا الى طاعتي ويتوبوا من شركهم وكفرهم فيرجعوا الى الايمان والاقرار بتوحيدي وافراد الطاعة لي وترك عبادة ما سواي ۞ القول في تأويل قوله ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل يا محمد على قومك نبأ الذي آتيناه آياتنا يعني خبره وقصته وكانت آيات الله للذي آتاه الله اياها فيما يقال اسم الله الاعظم وقيل النبوة واختلف أهل التأويل فيه فقال بعضهم هو رجل من بني اسرائيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله في هذه الآية واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال هو بلعم بن أبر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا قال رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن أبر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وابن مهدي وابن أبي عدي قالوا ثنا شعبة عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قال في هذه الآية فذكر مثله ولم يقل بن أبر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن أبر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عمران ابن الحرث عن ابن عباس قال هو بلعم بن باعر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الى فكان من الغاوين هو بلعم بن أبر **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود مثله الا انه قال ابن أبر بضم الباء **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانسلخ منها قال بلعام بن باعر من بني اسرائيل **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فذكر مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول فذكر مثله **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن وابن أبي عدي عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال في الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعام **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا بشر قال

وقال عطاء انهم الغافلون عما أعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على أن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه أن الامر كذلك فان القلب اذا غفل

عن الذكر وأقبل على الدنيا وقع فى نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا فتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الآفات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور فى ثلاثة مواضع آخر فى آخر بنى اسرائيل وفى أول طه وفى آخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها أسماء دالة على معانى

ثنا شعبة عن حصين قال سمعت عكرمة يقول هو بلعام **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن حصين عن مجاهد قال هو بلعم **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعم وقال آخرون كان بلعم هذا من أهل اليمن ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل يدعى بلعم من أهل اليمن وقال آخرون كان من الكنعانيين ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم وقال آخرون هو أمية بن أبى الصلت ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سعيد بن السائب عن غضيف بن أبى سفيان عن يعقوب ونافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال فى هذه الآية الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو أمية بن أبى الصلت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى قال أنبأنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم قال قال عبد الله بن عمرو هو صاحبكم أمية بن أبى الصلت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير قالا ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو بمثله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن رجل عن عبد الله بن عمرو ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه قال هو أمية بن أبى الصلت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت عبد الله بن عمرو قال فى هذه الآية الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو صاحبكم يعنى أمية بن أبى الصلت قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن رجل عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية بن أبى الصلت قال ثنا يزيد عن شريك عن عبد الملك عن فضالة أو ابن فضالة عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبد الملك بن عمير قال تذاكروا فى جامع دمشق هذه الآية فانسلخ منها فقال بعضهم نزلت فى بلعم بن باعوراء وقال بعضهم نزلت فى الراهب خرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص فقالوا فيمن نزلت هذه قال نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفى **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو أمية بن أبى الصلت وقال قتادة يشك فيه يقول بعضهم بلعم ويقول بعضهم أمية بن أبى الصلت واختلف أهل التأويل فى الآيات التى كان أوتيها التى قال جل ثناؤه آتيناه آياتنا فقال بعضهم كانت اسم الله الاعظم ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ان الله لما انقضت الاربعون سنة يعنى التى قال الله فيها انها محرمة عليهم أربعين سنة بعث يوشع ابن نون نبيا فدعا بنى اسرائيل فأخبرهم أنه نبى وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعم وكان عالما يعلم الاسم الاعظم المكتوم فكفر وأتى الجبارين فقال لا ترهبوا بنى اسرائيل فانى اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساء يعظمهن فكان ينكح أتانا له وهو

الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت فى تفسير البسملة أن أسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على أسرار حكمه فى مخلوقاته أكثر كان علمه بأسماء الله الحسنى أكثر والآن نقول ان من تقسيمات أسماء الله ما يقوله المتكلمون من أن صفات الله أنواع ما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه تعالى ومنها أن يقال ان أسماء الله اما أن يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها فى حق الله مغايرا لمعناها فى حق غيره واما أن لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثانى مثل يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها أن يقال من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حى يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا يا ميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب أن يقال يا محيى يا ميت يا ضار يا نافع ومنها أن يقال أول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما أن يرجح على سبيل الوجوب أو على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثانى هو المعنى بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون أفعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع أن لا يكون حيا فظهر أن العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا فى درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين أن الاسماء الحسنى لا تكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه

يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد فى المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف فى انه هل يطلق عليه اسم الشئ أم لا وقدمر تحقيق ذلك فى تفسير البسملة وفى الانعام فى قوله قل أى شئ أكبر شهادة قل الله أما قوله فادعوه بها ففيه دليل على أن الانسان لا يجوز أن يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى (٨٤) بعد أن عرف معانيها ويكون مستحضر الامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما أنه

فى قوله عند التحريم الله أكبر يشير الى أنه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ماسواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو أكبر من هذه الاشياء وأكبر من أن يقال له اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ماليس منه يقال قد ألحد فى الدين ولحد وقال غيره من أهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذى يحفر فى جانب القبر قال الواحدى الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع من العرب لاحد بمعنى ملحد والالحاد فى أسماء الله تعالى يقع على ثلاثة أوجه الاول اطلاق أسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن والثانى أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن البدو أن قالوا بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نحى بناء على أن النحوة مدح الثالث أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن فى بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز أن يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا فى حق الانبياء لا يجوز أن يقال ان آدم عاص أو غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم أوعد الملحدين فى أسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم لما أخبر أن كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار حكى أن بعضا منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وقدمر مثل هذه الآية فى قصة موسى عن قتادة وابن جريج وابن عباس أن المراد فى الآية أمة محمد صلى الله عليه وآله وروى الربيع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم

الذى يقول الله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها أى تنصل فانسلخ منها الى قوله ولكنه أخلد الى الارض **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا قال هو رجل يقال له بلعم وكان يعلم اسم الله الاعظم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال كان لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقال آخرون بل الآيات التى كان أوتيها كتاب من كتب الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان فى بنى اسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتابا وقال آخرون بل كان أوتى النبوة ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن غيره قال الحرث قال عبد العزيز يعنى عن غير نفسه عن مجاهد قال هو نبى فى بنى اسرائيل يعنى بلعم أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ماهم عليه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان قد أوتى النبوة وكان مجاب الدعوة قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهى الآيات * وقد دللنا على أن معنى الآيات الادلة والاعلام فيما مضى بما أغنى عن اعادته وجائز أن يكون الذى كان الله آتاه ذلك بلعم وجائز أن يكون أمية وكذلك الآيات ان كانت بمعنى الحجة التى هى بعض كتب الله التى أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذى ذكره الله فى هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذى كان أوتيها بلعم وجائز أن يكون أمية لان أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب وان كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبى الله عليه السلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الاعظم أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنيا به أمية لان أمية لا تختلف الامة فى أنه لم يكن أوتى شيأ من ذلك ولا خبر بأى ذلك المراد وأى الرجلين المعنى بوجب الحجة ولا فى العقل دلالة على أن ذلك المعنى به من أى فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحى من الله وأما قوله فانسلخ منها فانه يعنى خرج من الآيات التى كان الله آتاها اياه فتبر أمنها وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لما نزل موسى عليه السلام يعنى بالجبارين ومن معه أتاه يعنى بلعم بن عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه قال انى ان دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فذلك قوله فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان الله آتاه آياته فتركها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فانسلخ منها قال نزع منه العلم وقوله فأتبعه الشيطان يقول فصيره لنفسه تابعا ينتهى الى أمره فى معصية الله ويخالف أمر ربه فى معصية الشيطان وطاعة الرحمن وقوله فكان من الغاوين يقول فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمر ربه

بين أيديكم مثلها وعن الربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ان من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم أعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد أهل مكة والظاهر أنه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب اذا طواه شيأ بعد شيء ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أنهم كلما أقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من أبواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم أغفل ما يكونون وأملى لهم أطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بألفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة القضاء والقدر حتى قال بعض المجبرة المراد سنستدرجهم الى الكفر مع أنه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا آخر وحملها المعتزلة على أن المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا أو في الآخرة وزيف بأن هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو أراد به الخير لأماته قبل أن يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للاصلح أن لا يخلقه ابتداء أو يميته قبل التكليف فلما خلقه وألقاه في ورطة التكليف وأمهله ومكنه من المعاصي مع علمه بأن كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا أنه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم الآية ﴿التأويل﴾ واذ أخذ ربك لم يقل ربكم ليعلم أن في الآية نموضا لا يطلع عليه غيره صلى الله عليه وسلم وغير من أنعم الله به عليه من خواص متابعيه صلى الله عليه وسلم وانه تعالى لم يكلم أحدا وهو يحييه في العدم الا بني آدم كلهم وهم غير موجودين وأجابوه وهم معدومون فجرى بالجود ما جرى لا بالوجود فهذا بداياتهم والى هذا انتهى نهاياتهم بأن يكون الله تعالى سمعهم وأبصارهم وألسنتهم انما أشركنا آباؤنا بأن رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين أبطلوا استعداد

ربه وطاعة الشيطان ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ولكنه أخلد الى الارض يقول سكن الى الحياة الدنيا في الأرض ومال اليها وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة واتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة قال وان موسى أقبل في بني اسرائيل يريد الارض التي فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا قال فاتوا بلعاما فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أوامر ربي أو حتى أوامر قال فآمر في الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فانهم عبادي وفيهم نبيهم قال فقال لقومه اني آمرت ربي في الدعاء عليهم والى قد نهيت قال فأهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أوامر ربي فآمر فلم يأمره بشيء قال فقال قد وامرت فلم يأمرني بشيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الاولى قال فأخذ يدعو عليهم فاذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه واذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحوا من ذلك ان شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعو الا علينا قال ما يجري على لساني الا هكذا ولو دعوت عليه ما استجيب لي ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ان الله يبغض الزنا وانهم ان وقعوا بالزنا هلكوا ورجوت أن يهلكهم الله فأخرجوا النساء لتستقبلهم وانهم قوم مسافرون فعسى أن يزنوا فيهلكوا قال ففعلوا وأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو بلعام لا تمكني نفسك الا من موسى قال ووقعوا في الزنا قال وأتاها رأس سبط من أسباط بني اسرائيل فأرادها على نفسه قال فقالت ما أنا بممكنة نفسي الا من موسى قال فقال ان من منزلتي كذا وكذا وان من حالي كذا وكذا قال فأرسلت الى أبيها تستأمره قال فقال لها ممكنيه قال ويأتيهما رجل من بني هرون ومعه الرمح فيطعنهما وهما على ذلك فانتظمهما جميعا ورفعهما على رمحه قال فرآهما الناس أو كما حدث قال وسلط الله عليهم الطاعون قال فمات منهم سبعون الفا قال فقال أبو المعتمر فحدثني سيار أن بلعاما ركب حمارة له حتى اذا أتى المعاولي أو قال طريقا من المعاولي جعل يضربها ولا تتقدم قال وقامت عليه فقالت علام تضربني أما ترى هذا الذي بين يديك قال فاذا الشيطان بين يديه قال فنزل فسجد له قال الله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون قال فحدثني بهذا سيار ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال فبلغني حديث رجل من أهل الكتاب يحدث أن موسى سأل الله أن يطبعه وأن يجعله من أهل النار قال ففعل الله قال أنبئت أن موسى قتله بعد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن سالم أبي النضر أنه حدث أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم الى بلعم فقالوا له يا بلعم ان هذا موسى بن عمران في بني اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها

الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها أى وقع فرخ همته العلية عن ذكر طلب الحق ومحبته فأدركته هزة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم أن المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب أن لا يأمن مكر الله فلا يفتح على نفسه أبواب التنعم والترفه ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا وهم مظاهر القهر فادعوه بها بأن تتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات ثم تتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بماسوى الله تعالى والذين كذبوا بآياتنا بأن لم توافق أقوالهم أفعالهم سنستدرجهم فينحطون عن مراتبهم بالتدريج والله أعلم أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى

بنى اسرائيل ويسكنها وانا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله عليهم فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم قالوا ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجها الى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى اسرائيل وهو جبل حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى اذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله لها فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردنى عن وجهى هذا أتذهب الى نبى الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها لخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك قال فانطلقت به حتى اذا أشرفت على رأس جبل حسبان على عسكر موسى وبنى اسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر الا صرف به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بنى اسرائيل قال فقال له قومه أتدرى يا بلعم ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا ما لا أملك هذا شئ قد غلب الله عليه قال واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة فلم يبق الا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم ان زنى منهم واحد كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بنى اسرائيل وهو زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها فاخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام فقال انى أظنك ستقول هذه حرام علىك فقال أجل هى حرام علىك لا تقربها قال فوالله لا أطيعك فى هذا فدخل بها قبته فوقع عليها وأرسل الله الطاعون فى بنى اسرائيل وكان فنحاص بن العيزار ابن هرون صاحب أمر موسى وكان رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فأخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى لحييه وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بنى اسرائيل فى الطاعون فيما بين أن أصاب زمرى المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا والمقلل يقول عشرون ألفا فى ساعة من النهار فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هرون من كل ذبيحة ذبحوها الفشة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحييه والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان بكر العيزار ففى بلعم بن باعور أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها يعنى بلعم فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال انطلق رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعم فاتى الجبارين فقال لا ترهبوا من بنى اسرائيل فانى اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم فخرج يوشع

الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴿ القراآت فبأي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عياش والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عياش وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان أنا الا بالمد أبو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه بكسر الهاء حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعياش الآخرون بالضم للاتباع كيدوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل ينظرون بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعياش في الوصل ان ولي الله بياء واحدة مشددة أبو زيد عن المفضل وشجاع وعياش اذا قرأ بالادغام الكبير ولي بثلاث ياآت رويس والبرجمي الباقون بياءين أولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة ۞ الوقوف من جنة ط مبين ○ من شئ لا لان التقدير وفي أن عسى أجلهم ط لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون ○ هادي له ط لمن قرأ و يذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون ○ مرساها ط عند ربي ج لاختلاف الجملتين الا هو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ○ ماشاء الله ط من الخير ج لاحتمال أن يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال أن يفسر بالجنون الذي نسبوه اليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون ○ اليها ج لاجل الفاء فرت به ج لذلك الشاكرين ○ فيما آتاهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون ○ وهم يخلقون ○ والوصل أولى للعطف ينصرون ○ لا يتبعوكم ط صامتين ○ صادقين ○ يمشون بها ز لان أم عاطفة مع أنها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط ينظرون ○ الكتاب ط والوصل أولى

يوشع يقاتل الجبارين في الناس وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بني اسرائيل فكلما أراد أن يدعو على بني اسرائيل دعا على الجبارين فقال الجبارون انك انما تدعو علينا فيقول انما أردت بني اسرائيل فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنب الأتان فامسكها فجعل يحركها فلا تتحرك فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت أنت تنكحني بالليل وتركبني بالنهار ويلي منك ولوأني أطقت الخروج لخرجت ولكن هذا الملك يحبسني وفي بلعم يقول الله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثني رجل سمع عكرمة يقول قالت امرأة منهم أروني موسى فأنا أفتنه قال فتطيبت فمرت على رجل يشبه موسى فواقعها فأتى ابن هرون فأخبر فأخذ سيفا فطعن به في احليله حتى أخرجه من قبلها ثم رفعها حتى رآها الناس فعلم أنه ليس موسى ففضل آل هرون في القربان على آل موسى بالكتف والعضد والفخذ قال فهو الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها يعني بلعم واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولو شئنا لرفعناه بها فقال بعضهم معناه لرفعناه بعلمه بها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ولو شئنا لرفعناه بها لرفعه الله تعالى بعلمه وقال آخرون معناه لرفعناه عنه الحال التي صار اليها من الكفر بالله بآياتنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولو شئنا لرفعناه بها لرفعناه عنه بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شئنا لرفعناه بها لرفعناه عنه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله عم الخبر بقوله ولو شئنا لرفعناه بها أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه اياها والرفع يعم معاني كثيرة منها الرفع في المنزلة عنده ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك أنه لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها اياه واذ كان ذلك جائزا فالصواب من القول فيه أن لا يخص منه شئ اذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل وأما قوله بها فان ابن زيد قال في ذلك كالذي قلنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو شئنا لرفعناه بها بتلك الآيات وأما قوله ولكنه أخلد الى الارض فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض يعني ركن الى الارض قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض قال نزع الى الارض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أخلد سكن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان في بني اسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتابا فأخلد الى شهوات الارض ولذتها وأموالها لم ينتفع بما جاء به الكتاب حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه أما أخلد الى الارض فاتبع الدنيا وركن اليها وأصل الاخلاد في كلام العرب الابطاء والاقامة يقال منه أخلد فلان بالمكان اذا أقام به وأخلد نفسه الى المكان اذا أتاه من مكان آخر ومنه قول زهير

لتكون الواو عاطفة الصالحين ٥ ينصرون ٥ لا يسمعوا ط لا يبصرون ٥ ۞ التفسير انه تعالى لما بالغ فى تهديد الملحدين المعرضين عن آياته الغافلين عن التأمل فى بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال أولم يتفكروا واذا علم أن الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هى تقليب الحدقة الى جهة المرئى كذلك رؤية البصيرة وهى المسماة بالعلم واليقين حالة متعينة بالوضوح والانارة ولها مقدمة هى تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفى اللفظ محذوف والتقدير أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهى حالة من الجنون كالجلسة كان جهال أهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحى شبيهة بالغشى يتربد وجهه و يتغير لونه والثانى أن فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم وعن الحسن وقتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بنى فلان يا بنى فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون واظب على الصياح الى الصباح فأمرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر فى أمره وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بألفاظ فصيحة عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضى السيرة مواظبا على أعمال حسنة صار بسببها قدوة لعقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر فى أمر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض أى فى مدلولاتهما والملكوت الملك العظيم وفى انكار عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقدمر فى هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما فى سورة البقرة عند قوله ان فى خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شئ أى مما يقع عليه اسم الشئ من أجناس غير محصورة والغرض

لمن الديار غشيتها بالغرقد * كالوحى فى حجر المسيل المخلد

يعنى المقيم ومنه قول مالك بن نويرة

بأبناء حى من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وكان بعض البصريين يقول معنى قوله أخلد لزم وتقاعس وأبطأ والمخلد أيضا هو الذى يبطئ شيبه من الرجال وهو من الدواب الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رباعياته وأما قوله واتبع هواه كان ابن زيد قال فى تأويله ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتبع هواه قال كان هواه مع القوم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ يقول تعالى ذكره فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل الكلب الذى يلهث طردته أو تركته ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم مثله به فى اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها اياه واعراضه عن مواعظ الله التى فيها اعراض من لم يؤته الله شيأ من ذلك فقال جل ثناؤه فيه اذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التى آتاها اياه أولم يوعظ فى أنه لا يتعظ بها ولا يترك الكفر به فمثله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهثه طرد أولم يطرد اذ كان لا يترك اللهث بحال ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال تطرده هو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال تطرده بداءته ورجلك يلهث قال مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه قال ابن جريج الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له ان حملت عليه يلهث أو تتركه يلهث قال مثل الذى يترك الهدى لا فؤاد له انما فؤاده منقطع حدثنى ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور به عن معمر عن بعضهم فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فذلك هو الكافر هو ضال ان وعظته وان لم تعظه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه الحكمة لم يحملها وان ترك لم يهتد لخير كالكلب ان كان رابضا لهث وان طرد لهث حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال آتاه الله آياته فتركها فجعل الله مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان الآية هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه قال وكان الحسن يقول هو المنافق ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال هذا مثل الكافر ميت الفؤاد وقال آخرون انما مثله جل ثناؤه بالكلب لانه كان يلهث كما يلهث الكلب ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب وأما تحمل عليه فتشدد عليه * قال أبو جعفر وأولى التأويلين

التنبيه على أن الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل ظاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد في ذاته

في ذلك بالصواب تأويل من قال انما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها اياه وان معناه سواء وعظ أو لم يوعظ في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد في أنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه وانما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لدلالة قوله تعالى ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعل ذلك مثل المكذبين بآياته وقد علمنا أن اللهث ليس في خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الانابة من تكذيب بآيات الله وان ذلك انما هو مثل ضربه الله لهم فكان معلوما بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناها اياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك وأما قوله فاقصص القصص فانه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاقصص يا محمد هذا القصص الذي قصصته عليك من نبا الذي آتيناه آياتنا وأخبار الامم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم وما حل بهم من عقوبتنا ونزل بهم حين كذبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش ومن قبلك من يهود بني اسرائيل ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا الى طاعتنا لئلا يحل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من النقم والمثلات ويتدبره اليهود من بني اسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك اذ كان نبأ الذي آتيناه آياتنا من خفي علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه الا أحبارهم ومن قرأ الكتب ودرسها منهم وفي علمك بذلك وأنت أمي لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول وانك لم تعلم ما علمت من ذلك وحالك الحال التي أنت بها الا بوحي من السماء وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد عن سالم أبي النضر فاقصص القصص لعلهم يتفكرون يعني بني اسرائيل اذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم الا نبي يأتيه خبر السماء ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ساء مثلا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها وبيخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها وقيل ساء مثلا من الشر يعني بئس مثلا وأقيم القوم مقام المثل وحذف المثل اذ كان الكلام مفهوما معناه كما قال جل ثناؤه ولكن البر من آمن بالله فان معناه ولكن البر بر من آمن بالله وقد بينا نظائر ذلك في مواضع غير هذا بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره الهداية والاضلال بيد الله والمهتدي وهو السالك سبيل الحق الراكب قصد المحجة في دينه من هداه الله لذلك فوفقه لاصابته والضال من خذله الله فلم يوفقه لطاعته ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر يعني الهالك وقد بينا معنى الخسارة والهداية والضلالة في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا لجهنم

وفي جميع اعتباراته وأن عسى هي مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على أن الضمير للشأن وفي أن يكون ضمير الشأن أيضا والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم الموت أو القيامة واذا كان أحد هذين الاحتمالين قائما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم أما قوله فبأي حديث بعده يؤمنون فتعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا ولا دلالة في اطلاق لفظ الحديث على القرآن على أنه ليس بقديم لان المراد بالحديث ما يرادف الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر أتبعه الكلام في المعاد فقال يسألونك عن الساعة وأيضا لما ذكر اقتراب الاجل بين أن وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة وأداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس أنهم اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت

 نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها كما يقال للحبشي أبو البيضاء أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق وأيان استفهام عن الزمان ويختص بالامور

العظام نحو أيان مرساها وأيان يوم الدين ولا يقال أيان تمت وكسر همزته لغة بني سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من أى فعلان منه وأى فعل من أويت اليه لان البعض يأوى الى الكل وأنكر أن يكون اشتقاقه من أين لانه للزمان وأين للمكان ولقلة فعال فى الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسى أصله أى أوان حذفت الهمزة

مع الياء الاخيرة فبقى أيوان فادغم بعد القلب وقيل أصله أى آن بمعنى أى حين تخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون بأى وردبأن آنا لا يستعمل الا بلام التعريف والمرسى بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وأرست السفينة ولا أثقل من الساعة على الخلائق قل انما علمها أى علم وقت ارسائها وانبائها واقرارها عند ربى قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل يكاد يخفيها من نفسه لتكون أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى وقت الموت لذلك لا يجليها الا يظهرها الوقتها أى للخبر عن وقتها قبل مجيئها أحد الا هو والحاصل أنه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت فى السموات والارض قال الحسن أى ثقل مجيئها على أهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى أهل الارض لان فى ذلك اليوم فناءهم وهلاكهم أو ثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والاهوال أو ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم أى أشكل واستبهم حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفس محمد بيده لتقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسألونك للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله كأنك حفى عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثانى عن كنه ثقل الساعة

كثيرا من الجن والانس يقال منه ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذرأ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسين الازدى قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك ابن فضالة عن الحسن فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال مما خلقنا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن مبارك عن الحسن فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال خلقنا قال ثنا زكريا عن عتاب بن بشير عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير قال أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم قال ثنا زكريا بن عدى وعثمان الاحول عن مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن معاوية ابن اسحق عن جليس له بالطائف عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنا مما ذرأ لجهنم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولقد ذرأنا لجهنم يقول خلقنا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال لقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولقد ذرأنا لجهنم خلقنا وقال جل ثناؤه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون اليها بكفرهم بربهم وأما قوله لهم قلوب لا يفقهون بها فان معناه لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ولا يعتبرون بها حججه لرسله فيعلموا توحيد ربهم ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لاعراضهم عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر وكذلك قوله ولهم أعين لا يبصرون بها معناه ولهم أعين لا ينظرون بها الى آيات الله وأدلته فيتأملوها ويتفكروا فيها فيعلموا بها صحة ما تدعوهم اليه رسلهم وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم اعمالها فى الحق بأنهم لا يبصرون بها وكذلك قوله ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها ولكنهم يعرضون عنها ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وذلك نظير وصف الله اياهم فى موضع آخر بقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول مسكين الدارمى

أعمى اذا ما جارتى خرجت * حتى يوارى جارتى الستر
وأصم عما كان بينهما * سمعى وما بالسمع من وقر

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم ومنه قول الآخر

وعوراء اللئام صممت عنها * وانى لو أشاء بها سميع
وبادرة وزعت النفس عنها * ولو بينت من العصب الضلوع

وذلك كثير فى كلام العرب وأشعارها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله لهم قلوب لا يفقهون بها قال لا يفقهون بها شيأ من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم جعلهم كالانعام ثم جعلهم شرا من الانعام فقال بل هم أضل ثم أخبر

وشدتها ومهابتها ولهذا خص باسم الله فى قوله قل انما علمها عند الله لان أعظم أسماء الله مهابة هو الله وأما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفى الحفى وجوه فقيل انه البار اللطيف وعن بمعنى الباء أى كأنك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدى والضمير عائد الى قريش التى ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى (٩١) أن يخبرهم بالساعة والمعنى أنك لا تكون حفيا بهم

انهم هم الغافلون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله أولئك كالانعام هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالانعام وهى البهائم التى لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح ومالا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما فشبههم الله بها اذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حجه ولا يتفكرون فيما يسمعون من آى كتابه ثم قال بل هم أضل يقول هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد ذهابا عن الحق وألزم لطريق الباطل من البهائم لان البهائم لا اختيار لها ولا تميز فتختار وتميز وانما هى مسخرة ومع ذلك تهرب من المضار وتطلب لانفسها من الغذاء الاصلح والذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية مع ما أعطوا من الافهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارها فالبهائم منها أسد وهى منها أضل كما وصفها به ربنا جل ثناؤه وقوله أولئك هم الغافلون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم القوم الذين غفلوا يعنى سهوا عن آياتى وحججى وتركوا تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها الا البهائم التى قد عرفها ربها ما سخرها له ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولله الاسماء الحسنى وهى كما قال ابن عباس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ومن أسمائه العزيز الجبار وكل أسماء الله حسن حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها كلها دخل الجنة وأما قوله وذروا الذين يلحدون فى أسمائه فانه يعنى به المشركين وكان الحادهم فى أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هى عليه فسموا بها آلهتهم وأوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذى هو الله وسموا بعضها العزى اشتقاقا لها من اسم الله الذى هو العزيز وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال الحاد الملحدين أن دعوا اللات فى أسماء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال اشتقوا العزى من العزيز واشتقوا اللات من الله واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله يلحدون فقال بعضهم يكذبون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال الالحاد التكذيب وقال آخرون معنى ذلك يشركون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة يلحدون قال يشركون وأصل الالحاد فى كلام العرب العدول عن القصد والجور عنه والاعراض ثم يستعمل فى كل معوج غير مستقيم ولذلك قيل للحد القبر لحد لانه فى ناحية منه وليس فى وسطه يقال منه ألحد فلان يلحد الحادا ولحد يلحد لحدا ولحودا وقد ذكر عن الكسائى أنه كان يفرق بين الالحاد واللحد فيقول فى الالحاد انه العدول عن القصد وفى اللحد انه الركون الى الشئ وكان يقرأ جميع ما فى القرآن يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الا التى

لا تحصلا الا بمشيئة الله تعالى وأجابت المعتزلة بأن المراد لا أملك لنفسى من النفع والضر الا قدر ما شاء الله أن يقدرنى عليه ويمكننى منه وظاهر الآية وان كان عاما الا أنها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبى ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا تخبرنا ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشترى فنربح وبالارض التى تريد أن تجدب فنرتحل عنها الى ما قد أخصب فأنزل الله هذه الآية فالمراد بالخير فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت

من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاكساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت أعلم الغيب لكنت أعلم أن الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك فكنت أشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاء في الطريق ريح نفرت ناقته منها فاخبر صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا أين ناقتي فقال عبد الله بن أبي لقومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقته فقال صلى الله عليه وآله ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت أما قوله ومامسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدبير ان أنا الا عبد مرسل للنذراة والبشارة ومامن شأني أن أعلم الغيب وقوله لقوم يؤمنون اما أن يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر أو يتعلق بالوصفين جميعا الا أن المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم أن أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيثما تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير ومامسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير أمر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة والمروي عن ابن عباس أنها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في أول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعيش

في النحل فانه كان يقرؤها يلحدون بفتح الياء والحاء ويزعم أنه بمعنى الركون وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب فيرون أن معناهما واحد وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين يلحدون بضم الياء وكسر الحاء من ألحد يلحد في جميع القرآن وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد يلحد والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك غير أني أختار القراءة بضم الياء على لغة من قال ألحد لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وكان ابن زيد يقول في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه انه منسوخ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال هؤلاء أهل الكفر وقد نسخ نسخه القتال ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من انه منسوخ لان قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم وانما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم كما قال في موضع آخر ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الآية وكقوله ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون وهو كلام خرج مخرج الامر بمعنى الوعيد والتهديد ومعناه ان تمهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله الى أجل هم بالغوه فسوف يجزون اذا جاءهم أجل الله الذي أجله لهم جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله والالحاد في أسمائه وتكذيب رسوله ۞ القول في تأويل قوله ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن الخلق الذين خلقنا أمة يعني جماعة يهدون يقول يهتدون بالحق وبه يعدلون يقول وبالحق يقضون وينصفون الناس كما قال ابن جريج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن جريج ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال هذه أمتي قال بالحق يأخذون ويعطون ويقضون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ۞ القول في تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا فجحدوها ولم يتذكروا بها سنمهله بغرته ونزين له سوء عمله حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله الى نفسه محسن وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل ثم يأخذه باعماله السيئة فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعده وذلك استدراج الله اياه وأصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرج اليه محسن حتى يورطه مكروها وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأملي لهم ان كيدي متين﴾ يقول تعالى ذكره وأؤخر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ملاءة بالكسر والضم والفتح من الدهر وهي الحين ومنه قيل انتظرتك مليا لبلغوا بمعصيتهم ربهم المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم اليه ان كيدي والكيد هو المكر وقوله متين

لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث وذلك قوله فلما آتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعني آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث وهذا تمام القصة وقد زيفها النقاد بوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله أيشركون مالا يخلق (٩٣) شيأ الى آخر الآيات وفي ذلك تصريح بأن المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس لكان أيشركون مالا يخلق شيأ وهو يخلق ومنها أن آدم عليه السلام كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء أم كيف لم يعرف أن اسم ابليس كان حارثا أم كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد أن جرى عليه منه ما جرى ومنها أنه أراد بذلك اسم علم أو اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا لان أسماء الاعلام لا تفيد في المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك ذكر العلماء في تأويله وجوها أحدها أن هذا مثل فكأنه تعالى يقول هو الذي خلقكم أي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية يسكن أي تلك النفس فذكر بعد ما أنث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى فلما تغشاها أي جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر أو على الدابة فمرت به أي استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير اذلاق وقيل فقامت وقعدت به من غير مائقل وقيل المراد بالخفة أنها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما أثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا أي الزوج والزوجة الله ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه أو ولدا ذكرا الان الذكورة من الصلاح والجودة لتكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف المضاف أي ذوي شرك وهم الشركاء أيضا أو المراد أحدثا له اشراكا

متين يعني قوي شديد ومنه قول الشاعر (٣)

عدلن عدول الناس واقبح يبتلي ٭ اقاس من الهراب شدمماتن

يعني سيرا شديدا باقيا لا ينقطع ۞ القول في تأويل قوله ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين﴾ يقول تعالى ذكره أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم ويعلموا أن رسولنا الذي أرسلناه اليهم لا جنة به ولا خبل وان الذي دعاهم اليه هو الدين الصحيح القويم والحق المبين ولما نزلت هذه الآية فيما قيل كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح أو حتى أصبح فأنزل الله تبارك وتعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ويعني بقوله ان هو الا نذير مبين ما هو الا نذير منذركم عقاب الله على كفركم به ان لم تنيبوا الى الايمان به ويعني بقوله مبين قد أبان لكم أيها الناس انذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به ۞ القول في تأويل قوله ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الارض وفيما خلق جل ثناؤه من شئ فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيه ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص الا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا الى طاعته ويخلعوا الانداد والاوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا الى عذاب الله وأليم عقابه وقوله فبأي حديث بعده يؤمنون يقول فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدقون ان لم يصدقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره ان اعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا التاركي النظر في حجج الله والفكر فيها لاضلال الله اياهم ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبروا فأبصروا رشدهم ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا ومن أضله عن الرشاد فلا هادي له اليه ولكن الله يدعهم في تماديهم في كفرهم وتمردهم في شركهم يترددون ليستوجبوا الغاية التي كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله ۞ القول في تأويل قوله ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو﴾ اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله يسألونك عن الساعة فقال بعضهم عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسئلونك كأنك حفي عنها وقال آخرون بل عنى به قوم من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا

فى الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع وتارة الى الكواكب وتارة الى الاوثان والاصنام وثانيها أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله وهم آل قصى والمعنى هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وثالثها سلمنا أن الآية وردت فى قصة آدم الا أنه لم لا يجوز أن يكون قوله جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون أى تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك أنهم كانوا يقولون ان آدم عليه السلام كان يعبد الاصنام ويرجع فى طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره أن ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت فى حق فلان كذا وأحسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلنى بالشر والاساءة انه برىء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلنى بالشر النفى والتبعيد أو نقول لم لا يجوز أن يكون قوله جعلا له على حذف المضاف أى جعلا أولادهما له شريكا وكذا فيما آتاهما أى آتى أولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين أو نوعين ذكرا وأنثى وبلفظ الجمع أخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا أن الضمير فى جعلا وفى آتاهما لآدم وحواء الا أنهما كانا عزما أن يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به فى مصالح الدنيا فأريد بالشرك هذا القدر وعلى هذا فانما قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين أو نقول انما سماه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم عليه عبد المنعم ومنه قول بعض العلماء أنا عبد من علمنى حرفا فلما حصل الاشراك فى لفظ العبد صار امعاتبين بذلك والله تعالى أعلم ثم أقام الحجة على أن الاوثان لا تصلح للالهية فقال أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون اعتبر اللفظ أولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع

محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال جبل بن أبى قشير وسمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هى فأنزل الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى الى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن أبى خالد عن مخارق بن شهاب قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فأنزل الله هذه الآية وجائز أن يكون كانوا من قريش وجائز أن يكون كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أى ذلك كان فتأويل الآية اذا يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها ومعنى أيان متى فى كلام العرب ومنه قول الراجز

أيان تقضى حاجتى أيانا * أما ترى لنجحها إبانا

ومعنى قوله مرساها قيامها من قول القائل أرساها الله فهى مرساة وأرساها القوم اذا حبسوها ورست هى ترسو رسوا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها متى قيامها وقال آخرون معنى ذلك منتهاها وذلك قريب المعنى من معنى من قال معناه قيامها لان انتهاءها بلوغها وقتها وقد بينا أن أصل ذلك الحبس والوقوف ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يعنى منتهاها وأما قوله قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو فانه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها الا الله الذى يعلم الغيب وانه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره كما **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو يقول علمها عند الله هو يجليها لوقتها لا يعلم ذلك الا الله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يجليها يأتى بها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد لا يجليها قال لا يأتى بها الا هو **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا يجليها لوقتها الا هو يقول لا يرسلها لوقتها الا هو

القول فى تأويل قوله ﴿ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ثقلت الساعة على أهل السموات والارض أن يعرفوا وقتها ومجيئها لخفائها عنهم واستئثار الله بعلمها ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ثقلت فى السموات والارض يقول خفيت فى السموات والارض فلم يعلم قيامها متى تقوم ملك مقرب ولا نبى مرسل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن بعض أهل التأويل

ثقلت

بالواو والنون بناء على معتقدهم أنهم عقلاء واحتجت الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على أن غير الله لا يخلق ثم بين أن المعبود يجب أن يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا أنفسهم ينصرون ولا يدفعون عن أنفسهم مكروها فان من أراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل أن الاصنام لا تنصر من أطاعها ولا تقتص ممن عصاها بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر أنها كما لا تنفع ولا تضر فكذلك لا علم لها بشئ من الاشياء وأنها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز أن يكون المراد وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله بدليل قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في أول سورة البقرة في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين كانوا اذا وقعوا في مهم ومعضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم تحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين أن تستمروا على صمتكم ثم أكد بيان أنها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بأنها عباد وأجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بأن ذلك ورد على معتقدهم أنها عقلاء وفيه أيضا نوع من الاستهزاء أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها آلهة لكم وأربابا ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في أنها آلهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل أنها لا تقدر على الاجابة ظهر أنها لا تصلح للعبودية وأنها والعباد سواء بل هم أخس وأدون بدليل قوله ألهم أرجل يمشون بها الآية وذلك أن كل ما هو من شأنه ان يكون له هذه الاعضاء والآلات فاذا كان فيها قوى

ثقلت في السموات والارض قال ثقل علمها على أهل السموات وأهل الارض انهم لا يعلمون وقال آخرون معنى ذلك أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والارض ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر قال قال الحسن في قوله ثقلت في السموات والارض يعني اذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الارض يقول كبرت عليهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ثقلت في السموات والارض قال اذا جاءت انشقت السماء وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وكان ما قال الله فذلك ثقلها **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال بعض الناس في ثقلت عظمت وقال آخرون معنى قوله في السموات والارض على السموات والارض ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثقلت في السموات والارض أي على السموات والارض * قال أبو جعفر وأولى ذلك عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك ثقلت الساعة في السموات والارض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها لان الله أخفى ذلك عن خلقه فلم يطلع عليه منهم أحدا وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وأخبر بعده أنها لا تأتي الا بغتة فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق اذ كان ما قبله وما بعده كذلك وأما قوله لا تأتيكم الا بغتة فانه يقول لا تجيء الساعة الا فجأة لا تشعرون بمجيئها كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا تأتيكم الا بغتة يقول يبغتهم قيامها تأتيهم على غفلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تأتيكم الا بغتة قضى الله أنها لا تأتيكم الا بغتة قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه * القول في تأويل قوله ﴿يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره يسألك هؤلاء القوم عن الساعة كأنك حفي عنها فقال بعضهم يسئلونك عنها كأنك حفي بهم وقالوا معنى قوله عنها التقديم وان كان مؤخرا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يسئلونك كأنك حفي عنها يقول كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم فأوحى الله اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسألونك كأنك حفي عنها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يسألونك كأنك حفي عنها أي حفي بهم قال قالت قريش يا محمد أسر الينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر وهانئ بن سعيد عن حجاج عن خصيف عن مجاهد وعكرمة يسألونك كأنك حفي عنها قال حفي بهم حين يسألونك **حدثني**

الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يسألونك كأنك حفي عنها قال قريب منهم ويخفى عليهم قال وقال أبو مالك كأنك حفي بهم قال قريب منهم ويخفى عليهم قال وقال أبو مالك كأنك حفي بهم فتحدثهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يسألونك كأنك حفي عنها كأنك صديق لهم وقال آخرون بل معنى ذلك كأنك قد استحفيت المسئلة عنها فعلمتها ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كأنك حفي عنها استحفيت عنها السؤال حتى علمتها **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد في قوله كأنك حفي عنها قال استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك يسألونك كأنك حفي عنها قال كأنك عالم بها قال ثنا حامد بن نوح عن أبي روق عن الضحاك يسألونك كأنك حفي عنها قال كأنك تعلمها حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله يسألونك كأنك حفي عنها يقول يسألونك عن الساعة كأن عندك علما منها قل انما علمها عند ربي **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن بعضهم كأنك حفي عنها كأنك عالم بها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كأنك حفي عنها قال كأنك بها عالم وقال أخفى علمها على خلقه وقرأ ان الله عنده علم الساعة حتى ختم السورة **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك كأنك حفي عنها يقول كأنك يعجبك سؤالهم إياك قل انما علمها عند الله وقوله كأنك حفي عنها يقول لطيف بها فوجه هؤلاء تأويل قوله كأنك حفي عنها الى حفي بها وقالوا تقول العرب تحفيت له في المسئلة وتحفيت عنه قالوا ولذلك قيل أتينا فلانا نسأل به بمعنى نسأل عنه * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه كأنك حفي بالمسئلة عنها فاقة علمها فان قال قائل وكيف قيل حفي عنها ولم يقل حفي بها ان كان ذلك تأويل الكلام قيل ان ذلك قيل كذلك لان الحفاوة انما تكون في المسئلة وهي البشاشة للمسؤل عند المسئلة والاكثار من السؤال عنه والسؤال يوصل بعن مرة وبالباء مرة فيقال سألت عنه وسألت به فلما وضع قوله حفي موضع السؤال وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال وهو عن كما قال الشاعر

سؤال حفي عن أخيه كأنه * يذكره وسنان أو متواسن

وأما قوله قل انما علمها عند الله فان معناه قل يا محمد لسائلك عن وقت الساعة وحين مجيئها الاعلم لي بذلك ولا يعلم به الا الله الذي يعلم غيب السموات والارض ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه الا الله بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيان مرساها لا أملك لنفسي

بعض أغمار المشبهة أن الله تعالى لو لم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الهيته ثم انهم كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بآلهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أمر من الكيد المكر فلا تنظرون نهى عن الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله أن لا يبالي بغير الله كائنا من كان ثم لما أمره صلى الله عليه وسلم بالتبري حشه على التولي فقال ان ولي أي ناصري عليكم الله الآية وفيه أن الواجب على كل عامل عبادة الذي يتولى تحصيل منافع الدارين أما الدينية الأخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة وأما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين أي من عباده أن ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك يأس المشركين أن يضره كيدهم يحكى أن عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لأولاده شيأ فقيل له في ذلك فقال اما أن يكون ولدي من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له الى مالي واما أن يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن أكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم أشتغل باصلاح مهماته أقول وفي التقريب بالآية الثانية نظر لانها حكاية كلام موسى اللهم الا أن يقال التقريب في التقرير ثم أعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه نفعا

الآية قال الواحدي انما أعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كأنه قيل الاله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وان تدعوهم

الى الهدى لا يسمعوا لاسماع سمع ولاسماع اجابة وتراهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئى وقيل الضمير فى قوله وان تدعوهم الى آخر الآية يعود الى المشركين المار ذكرهم فى قوله قل ادعوا والمراد أنهم بلغوا فى الجهل والحماقة الى أنك لو دعوتهم وأظهرت أنواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم الى الناس واليك ينظرون ولكنهم لشدة اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكأنهم عمى يصدقه قوله فى موضع آخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴿التأويل﴾ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض لأرباب العقول النظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب الولوج والكشف لحصول الايقان والعيان وما خلق الله من شئ يعنى عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذى أبدع من غير شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم يعنى أجل فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا فبأى حديث بعده أى بعد النظر يؤمنون يسألونك عن الساعة يريد الساعة التى يظهر الله تعالى فيها آثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب فيجيب هو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الحياة الابدية ورفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هى الروح وخلق منها زوجها وهى القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من أصابع الرحمن فكان الروح يشم من القلب نسائم نفحات ألطاف الحق حلت حملا خفيفا فى البداية بظهور أدنى أثر من آثار الصفات البشرية فى القلب الروحانى فلما أثقلت كثرت آثار الصفات خاف الروح والقلب على أنفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا أى الروح والقلب له شركاء أى جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة

نفعا ولا ضرا يقول لا أقدر على اجتلاب نفع الى نفسى ولا دفع ضر يحل بها عنها الا ما شاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقوينى عليه ويعيننى ولو كنت أعلم الغيب يقول لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد لاستكثرت من الخير يقول لأعددت الكثير من الخير ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الخير الذى عناه الله بقوله لاستكثرت من الخير فقال بعضهم معنى ذلك لاستكثرت من العمل الصالح ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا قال الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء قال لاجتنبت ما يكون من الشر واتقيته وقال آخرون معنى ذلك ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ولعرفت الغلاء من الرخص واستعددت له فى الرخص وقوله وما مسنى السوء يقول وما مسنى الضر ان أنا الا نذير وبشير يقول ما أنا الا رسول الله أرسلنى اليكم أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره وأبشر بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعه منكم وقوله لقوم يؤمنون يقول يصدقون بانى لله رسول ويقرون بحقيقة ما جئتهم به من عنده ﴿القول فى تأويل قوله ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره هو الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى بالنفس الواحدة آدم كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم عليه السلام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة من آدم ويعنى بقوله وجعل منها زوجها وجعل من النفس الواحدة وهو آدم زوجها حواء كما **حدثنى** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل منها زوجها حواء فجعلت من ضلع من أضلاعه ليسكن اليها ويعنى بقوله ليسكن اليها ليأوى اليها لقضاء الحاجة ولذته ويعنى بقوله فلما تغشاها فلما تدثرها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها حملت حملا خفيفا وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف وذلك قوله فلما تغشاها حملت وانما الكلام فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت وقوله حملت حملا خفيفا يعنى بخفة الحمل الماء الذى حملته حواء فى رحمها من آدم انه كان حملا خفيفا وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها وأما قوله فمرت به فانه يعنى استمرت بالماء قامت به وقعدت وأتمت الحمل كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى عمير عن أيوب قال سألت الحسن عن قوله حملت حملا خفيفا فمرت به قال لو كنت امرأ عربيا لعرفت ما هى انما هى فاستمرت به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به استبان حملها **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمرت به قال استمر حملها **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله حملت حملا

وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيعون لهم نصرا أى لا تستطيع الدنيا ومن فيها للروح والقلب والنفس تقوية وتربية الا بالله ولا أنفسهم ينصرون للبقاء والدوام ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم

خفيفا قال هى النطفة وقوله فمرت به يقول استمرت به وقال آخرون معنى ذلك فشكت فيه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فمرت به قال فشكت أحملت أم لا ويعنى بقوله فلما أثقلت فلما صار ما فى بطنها من الحمل الذى كان خفيفا ثقيلا ودنت ولادتها يقال منه أثقلت فلانة اذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال أتمر فلان اذا صار ذا تمر كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما أثقلت كبر الولد فى بطنها قال أبو جعفر دعوا الله ربهما يقول نادى آدم وحواء ربهما وقالا يا ربنا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين واختلف أهل التأويل فى معنى الصلاح الذى أقسم آدم وحواء عليهما السلام انه ان آتاهما صالحا فى حمل حواء لنكونن من الشاكرين فقال بعضهم ذلك هو أن يكون الحمل غلاما ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن فى قوله لئن آتيتنا صالحا قال غلاما وقال آخرون بل هو أن يكون المولود بشرا سويا مثلهما ولا يكون بهيمة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن زيد بن جبير الحسمى عن أبى البخترى فى قوله لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين قال أشفقا أن يكون شيأ دون الانسان قال ثنا يحيى ابن يمان عن سفيان عن زيد بن جبير عن أبى البخترى قال أشفقا أن لا يكون انسانا قال ثنا محمد بن عبيد عن اسمعيل عن أبى صالح قال لما حملت امرأة آدم فأثقلت كانا يشفقان أن يكون بهيمة فدعوا ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال أشفقا أن يكون بهيمة **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال سعيد بن جبير لما هبط آدم وحواء ألقيت الشهوة فى نفسه فأصابها فليس الا أن أصابها حملت فليس الا ان حملت تحرك فى بطنها ولدها قالت ما هذا فاها ابليس فقال أترين فى الارض الا ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة هو بعض ذلك قالت والله ما منى شئ الا وهو يضيق عن ذلك قال فاطيعينى وسميه عبد الحرث تلدى شبهكما مثلكما قال فذكرت ذلك لآدم عليه السلام فقال هو صاحبنا الذى قد أخرجنا من الجنة فمات ثم حملت بآخر فاها فقال أطيعينى وسميه عبد الحرث وكان اسمه فى الملائكة الحرث والاولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة أو قتلته فانى أنا قتلت الاول قال فذكرت ذلك لآدم فكانه لم يكرهه فسمته عبد الحرث فذلك قوله لئن آتيتنا صالحا يقول شبهنا مثلنا فلما آتاهما صالحا قال شبههما مثلهما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما أثقلت كبر الولد فى بطنها جاءها ابليس نخوفها وقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو من قبلك أو ينشق بطنك فيقتلك فذلك حين دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا يقول مثلنا نكونن من الشاكرين * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء وأقسما لئن أعطاهما ما فى بطن حواء صالحا ليكونان لله من الشاكرين والصلاح قد يشمل معانى كثيرة منها الصلاح فى استواء الخلق ومنها

با يه قالوا ولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾

* القراآت طيف بسكون الياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد أبو جعفر ونافع الآخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وأمر مدغما أبو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف

﴿ الوقوف الجاهلين ○ بالله ط عليم ○ مبصرون ○ ج لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضى الوصل لبيان اختلاف حالى الفريقين لا يقصرون ○ اجتبيتها ط من ربى ج لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ○ ترحمون ○ من الغافلين ○ يسجدون ○

﴿ التفسير لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم أرشد الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما أتى من غير كلفة واعلم أن الحقوق التى تستوفى من الناس اما أن يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب الصلاح

أن يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما أن لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وأمر بالعرف وهو المعروف والعارفة كل أمر عرف أنه لا بد من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر فى هذا

القسم على الاخذ بالعفو ولم يبذل فى ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا أمر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال وأعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبرائيل ماهذا فقال لا أدرى حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبرائيل مطابق للفظ الآية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا أعطيت من حرمك فقد أمرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه ليس فى القرآن العزيز آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية ولبعض المفسرين فى تفسير الآية طريق آخر قالوا خذ العفو أى ما أتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ماوراء ذلك فنسخت بآية الزكاة وأمر بالعرف أى باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ وأعرض عن الجاهلين أى المشركين وهذه منسوخة بآية القتال والحق أن تخصيص أخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة لا ينافى ذلك لان آخذ الزكاة مأمور بأن لا يأخذ كرائم أموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكى وأيضا لا يمتنع أن يؤمر النبى بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن بقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال أبو زيد لما نزل قوله وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ أى غرز ونخس جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده

الصلاح فى الدين والصلاح فى العقل والتدبير واذ كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى الصلاح دون بعض ولا فيه من العقل دليل وجب أن يعم كما عمه الله فيقال انهما قالا لئن آتيتنا صالحا لنجمع معانى الصلاح وأما معنى قوله لنكونن من الشاكرين فانه لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا جعلا له شركاء فيما آتاهما ورزقهما ثم اختلف أهل التأويل فى الشركاء التى جعلاها فيما أوتيا من المولود فقال بعضهم جعلا له شركاء فى الاسم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عمر بن ابراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كانت حواء لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحرث فعاش لها ولد فسمته عبد الحرث وانما كان ذلك من وحى الشيطان **حدثنى** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر عن أبيه قال ثنا أبو العلاء عن سمرة بن جندب أنه حدث أن آدم عليه السلام سمى ابنه عبد الحرث قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحرث **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فاتاها ابليس وآدم فقال انكما لو تسميانه بغير الذى تسميانه لعاش فولدت له رجلا فسماه عبد الحرث ففيه أنزل الله تبارك وتعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما الى آخر الآية **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى آدم هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله فمرت به فاستكت أحبلت أم لا فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان ما يكون أبهيمة تكون أم لا وزين لهما الباطل انه غوى مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان انكما ان لم تسمياه بى لم يخرج سويا ومات كما مات الاولان فسميا ولدهما عبد الحرث فذلك قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لما ولد له أول ولد أتاه ابليس فقال انى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك قال ابن عباس وكان اسمه فى السماء الحرث قال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فأخرجتنى من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطيعنى والا مات كما مات الاول فعصاه فمات فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما أشركه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشركا بالله ولكن أطاعه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن هرون قال أخبرنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال ما أشركا آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال ان سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور

عن أبى زيد نزغت ما بين القوم أى أفسدت ما بينهم وأصله الازعاج بالحركة الى الشر وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب ونزغ الشيطان وسوسته فى القلب بما يسول للانسان من المعاصى وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهى الاستخلاص عن حول الانسان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على أوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبى حتى عرف الغضب فى وجه

أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء لو لم يجز على النبى الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب أن كلمة ان لا تفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن أين علم أنه صلى الله عليه وسلم قبل تلك الوسوسة منه ولو سلم فمحمول على ترك الاولى ثم ختم الآية بقوله انه سميع عليم ليعرف أن القول اللسانى بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكأنه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى سميع وأحضر معنى الاستعاذة فى ضميرك فانى عليم ثم بين أن حال المتقين قد تزيد على حال النبى فى باب وسوسة ابليس فان النبى لا يكون له الا النزغ الذى هو كابتداء الوسوسة وأما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف كالخاطر وجوز بعضهم أن يكون مصدرا كالعاقبة ولكنه بلا تاء والاصح أنه اسم فاعل من طاف يطوف أو من طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيف فهو اما مصدر أى لمسة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كبين أو من طاف يطوف كهين قال فى الكشاف وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا أصابهم نزغ من الشيطان والمام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف أى تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد واعلم أن الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد فى نفسه كونه قادرا وفى المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر الامور أما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف أن المغضوب عليه انما أقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه تلك الحالة فى الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فحينئذ يفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب وأيضا انه كم أساء فى العمل وقد تجاوز الله عنه وان الله أقدر عليه وانه اذا أمضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية واذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء مستأهلا

عن معمر عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا قال كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد الا مات فجاءه الشيطان فقال ان سرك أن يعيش ولدك هذا فسمه عبد الحرث ففعل قال فأشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال لهما سمياه عبد الحرث وكان من وحى الشيطان وأمره وكان شركا فى طاعته ولم يكن شركا فى عبادته **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون قال كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث ففعلا وأطاعاه فذلك قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبى حفصة عن سعيد بن جبير قوله أثقلت دعوا الله ربهما الى قوله فتعالى الله عما يشركون قال لما حملت حواء فى أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها ابليس قبل أن تلد فقال يا حواء ما هذا الذى فى بطنك فقالت ما أدرى فقال من أين يخرج من أنفك أو من عينك أو من أذنك قالت لا أدرى قال أرأيت ان خرج سليما أتطيعينى أنت فيما آمرك به قالت نعم قال سميه عبد الحرث وقد كان يسمى ابليس الحرث فقالت نعم ثم قالت بعد ذلك لآدم أتانى آت فى النوم فقال لى كذا وكذا فقال ان ذلك الشيطان فاحذريه فانه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ثم أتاها ابليس فأعاد عليها فقالت نعم فلما وضعته أخرجه الله سليما فسمته عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال قيل له أشرك آدم قال أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ولكن حواء لما أثقلت أتاها ابليس فقال لها من أين يخرج هذا من أنفك أو من عينك أو من فيك فقتلها ثم قال أرأيت ان خرج سويا زاد ابن فضيل لم يضرك ولم يقتلك أتطيعينى قالت نعم قال فسميه عبد الحرث ففعلت زاد جرير فانما كان شركة فى الاسم **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال فولدت غلاما يعنى حواء فأتاهما ابليس فقال سموه عبدى والا قتلته قال له آدم عليه السلام قد أطعتك وأخرجتنى من الجنة فأبى أن يطيعه فسماه عبد الرحمن فسلط الله عليه ابليس فقتله فحملت بآخر فلما ولدته قال لها سميه عبدى والا قتلته قال له آدم قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة فأبى فسماه صالحا فقتله فلما أن كان الثالث قال لهما فاذ غلبتما فسموه عبد الحرث وكان اسم ابليس وانما سمى ابليس حين أبلس ففعلوا فذلك حين يقول الله جعلا له شركاء فيما آتاهما يعنى فى التسمية * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجل وامرأته من أهل الكفر من بنى آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والاوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد وقالوا معنى الكلام هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها أى هذا الرجل الكافر حملت حملا خفيفا فلما أثقلت دعوتما الله ربكما قالوا وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ثم رد الى الخبر عن الغائب كما قيل هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ذلك بشواهده فيما مضى قبل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن جعلا له شركاء فيما آتاهما قال كان هذا فى بعض أهل الملل ولم يكن بآدم **حدثنا**

للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ماذكرنا من الاعتقادات والمراد من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات أما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشياطين وجمع لان المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت والضمير المرفوع في يمدونهم يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال أو الى الشياطين فيكون الخبر جاريا على غير من هو له والمعنى واخوان الشياطين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم أي يكونون مددا لهم في الغي وجوز أن يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول أوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال الواحدي عامة ما جاء في التنزيل مما يحمد ويستحب أمددت على أفعلت كقوله انما نمدهم به من مال وأمددناهم بفاكهة أتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ونمدهم في طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الضم الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب أليم أما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشئ قال ابن عباس أي لا يمسك الغاوي عن الضلال والمغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا أقبل على غي أن يمسك عنه سريعا لا أن يتمادى فيه وينهمك ولهذا قيل الرجوع الى الحق أولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال واذا لم تأتهم بآية وذلك أنهم كانوا يطلبون آيات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ثم انه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيهم بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها يقال اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه أي جمعه وجبى اليه فاجتباه أي أخذه والمعنى هلا افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر والمراد هلا أخذتها واقترحتها على الهك ومعبودك ان كنت صادقا في أن الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك وعند هذا أمر رسوله أن يذكر في الجواب انما أتبع ما يوحى الي من ربي ولست بمقترح للآيات أو لست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها ثم بين أن عدم الاتيان بتلك

محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عني بهذا ذرية آدم من أشرك منهم بعده يعني بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب قول من قال عنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء في الاسم لا في العبادة وان المعنى بذلك آدم وحواء لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك فان قال قائل فما أنت قائل اذ كان الامر على ما وصفت في تأويل هذه الآية وأن المعنى بها آدم وحواء في قوله فتعالى الله عما يشركون أهو استنكاف من الله أن يكون له في الاسماء شريك أو في العبادة فان قلت في الاسماء دل على فساده قوله أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وان قلت في العبادة قيل لك أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره قيل له ان القول في تأويل قوله فتعالى الله عما يشركون ليس بالذي ظننت وانما القول فيه فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الاوثان فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما ثم استؤنف قوله فتعالى الله عما يشركون كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فتعالى الله عما يشركون يقول هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب واختلفت القراء في قراءة قوله شركاء فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين جعلا له شركا بكسر الشين بمعنى الشركة وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين وبعض البصريين جعلا له شركاء بضم الشين بمعنى جمع شريك وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب لان القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام فلما آتاهما صالحا جعلا لغيره فيه شركا لان آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية ابليس ثم يجعلا لله فيه شركا لتسميتهما اياه بعبد الله وانما كانا يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ثم سمياه عبد الحرث فجعلا لابليس فيه شركا بالاسم فلو كانت قراءة من قرأ شركا صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام جعلا لغيره فيه شركا وفي نزول وحي الله بقوله جعلا له ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة شركاء بضم الشين على ما بينت قبل فان قال قائل فان آدم وحواء انما سميا ابنهما عبد الحرث والحرث واحد وقوله شركاء جماعة فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما جعلا له شركاء وانما أشركا واحدا قيل قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة اذا لم تقصد واحدا بعينه ولم تسمه كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وانما كان القائل ذلك واحدا فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة اذ لم يقصد قصده وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها وأما قوله فتعالى الله عما يشركون فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فتعالى الله عما يشركون قال هو الانكاف أنكف نفسه جل وعز يقول عظم نفسه وأنكفته الملائكة وماسبح له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة قال سمعت صدقة يحدث عن السدي قال هذا من الموصول والمفصول قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما في شأن آدم وحواء ثم قال الله تبارك وتعالى فتعالى الله عما يشركون قال

المعجزات التى اقترحوها لا يقدح فى الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة قاهرة كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من التعنت فقال هذا يعنى القرآن بصائر اطلاق لاسم المسبب على السبب وذلك أن فيه حججا بينة تفيد القلوب بصيرة وكشفا هدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر (١٠٢) لاصحاب عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شأن القرآن بتلك الاوصاف علم المكلفين أدبا حسنا فى بابه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن فى صلاة وغير صلاة وهو قول الحسن وأهل الظاهر وعن أبى هريرة كانوا يتكلمون فى الصلاة فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتى وهم فى الصلاة فيسألهم كم صليتم وكم بقى وكانوا يتكلمون فى الصلاة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة فى غير الصلاة أن ينصت القوم اذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل نزلت فى ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى الصلاة المكتوبة وقرأ أصحابه رافعين أصواتهم فخلطوا عليه صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة نزلت فى الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بأن اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن فى الخطبة أو على الخطبة نفسها بناء على أنها قد تسمى قرآنا لاشتمالها عليه وأجيب بأن كلمة اذا لا تفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فأنت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول الدار مرة أخرى وبدليل أن الشافعى أوجب على المأموم أن يقرأ الفاتحة وردبان المأموم انما يقرأ الفاتحة فى حال سكتة الامام كما قال أبو سلمة للامام سكتتان فادعوهم فاغتنم القراءة فى أيهما شئت يعنى سكتة بين التكبير الى أن يقرأ وأخرى بين القراءة الى أن يركع واعترض بان سكوت الامام واجب أم لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثانى يجوز أن لا يسكت وحينئذ يلزم أن تحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضى الى ترك الاستماع وأيضا فهذا

عما يشركه المشركون ولم يعنهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون﴾ يقول تعالى ذكره أيشرك فى عبادة الله فيعبدون معه مالا يخلق شيأ والله يخلقها وينشئها وانما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال ولد لآدم وحواء ولد فسمياه عبد الله فأتاهما ابليس فقال ما سميتما يا آدم ويا حواء ابنكما قال وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقال لاسميناه عبد الله فقال ابليس أتظنان أن الله تارك عبده عندكما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس قال فذلك قول الله تبارك وتعالى أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون الشمس تخلق شيأ حتى يكون لها عبدا نما هى مخلوقة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين خدعهما فى الجنة وخدعهما فى الارض وقيل وهم يخلقون فأخرج مكنيهم مخرج مكنى بنى آدم وقد قال أيشركون ما فأخرج ذكرهم بما لابمن مخرج الخبر عن غير بنى آدم لان الذى كانوا يعبدونه انما كان حجرا أو خشبا أو نحاسا أو بعض الاشياء التى يخبر عنها بما لابمن فقيل لذلك ما ثم قيل وهم فأخرجت كنايتهم مخرج كناية بنى آدم لان الخبر عنها بتعظيم المشركين اياها نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون﴾ يقول تعالى ذكره أيشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله مالا يخلق شيأ من خلق الله ولا يستطيع أن ينصرهم ان أراد الله بهم سوأ أو أحل بهم عقوبة ولا هو قادر ان أراد به سوأ نصر نفسه ولا دفع ضر عنها وانما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه وآلهتهم التى يعبدونها ويشركونها فى عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم بل لا تجتلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فهى من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعد يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطا هؤلاء الذين يشركون فى عبادتهم الله غيره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ يقول تعالى ذكره فى وصفه وعيبه ما يشركه هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربهم اياه ومن صفته انكم أيها الناس ان تدعوهم الى الطريق المستقيم والامر الصحيح السديد لا يتبعوكم لانها ليست تعقل شيأ فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرا وتركب ما كان مستقيما سديدا وانما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبيههم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم يقول جل ثناؤه فكيف يهديكم الى الرشاد من ان دعى الى الرشاد وعرفه لم يعرفه ولم يفهم رشادا من ضلال وكان سواء دعاء داعيه الى الرشاد وسكوته لانه لا يفهم دعاءه ولا يسمع صوته ولا يعقل ما يقال له يقول فكيف يعبد من كانت هذه صفته أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته الها وانما الرب المعبود هو النافع من يعبده الضار من يعصيه الناصر وليه الخاذل عدوه الهادى الى الرشاد من أطاعه السامع دعاء من دعاه وقيل سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فعطف بقوله صامتون وهو اسم على قوله أدعوتموهم وهو فعل ماض ولم يقل أم صمتم كما قال الشاعر

سواء عليك الفقر أم بت ليلة ✻ بأهل القباب من نمير بن عامر

وقد ينشد أم أنت بائت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم

السكوت ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة فى مقدار سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وأيضا الامام فى هذا السكوت يصير كالتابع للمأموم وذلك غير جائز قال الواحدى الانصات هو ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ فى نفسه اذا لم يسمع أحدا وأورد عليه أن غاية توجيهه هو أن الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان حصول الاستماع مع قراءته ممنوع فان الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ولعل الانصاف أن الاستماع على تقدير الانصات المفسر ممكن أن يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا أنهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك ههنا قوله صلى الله عليه وآله لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعى أنه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة فى الصلاة السرية لان الآية لا دلالة لها على هذه الحالة وفى الآية تفسير آخر وهو أن الخطاب فى الآية مع الكفار وذلك أن كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو أن النبى اذا قرأ عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وأنصتوا ليقفوا على مبانيه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات ومما يؤكد هذا التفسير قوله فى آخر الآية لعلكم ترحمون والترجى انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما فى قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن أن يجاب بأن الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الا الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه

فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الاوثان موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الاصنام ان الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله وتعبدونها شركا منكم وكفرا بالله عبادا أمثالكم يقول هم أملاك ربكم كما أنتم له مماليك فان كنتم صادقين أنها تضر وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها اياكم فليستجيبوا لدعائكم اذا دعوتموهم فان لم يستجيبوا لكم لانها لا تسمع دعاءكم فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر لان الضر والنفع انما يكونان ممن اذا سئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل ومن اذا شكى اليه من شئ سمع فضر من استحق العقوبة ونفع من لا يستوجب الضر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الاصنام من دونه معرفهم جهل ما هم عليه مقيمون ألأصنامكم هذه أيها القوم أرجل يمشون بها فتسعون معكم ولكم فى حوائجكم وتتصرفون بها فى منافعكم أم لهم أيد يبطشون بها فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشر ومكروه أم لهم أعين يبصرون بها فيعرفوكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه أم لهم آذان يسمعون بها فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه يقول جل ثناؤه فان كانت آلهتكم التى تعبدونها ليس فيها شئ من هذه الآلات التى ذكرتها والمعظم من الاشياء انما يعظم لما يرجى منه من المنافع التى توصل اليه بعض هذه المعانى عندكم فما وجه عبادتكم أصنامكم التى تعبدونها وهى خالية من كل هذه الاشياء التى بها يوصل الى اجتلاب النفع ودفع الضر وقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أنتم وهن فلا تنظرون يقول فلا تؤخرون بالكيد والمكر ولكن عجلوا بذلك يعلمه جل ثناؤه بذلك أنهم لن يضروه وانه قد عصمه منهم ويعرف الكفرة به عجزا وثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمشركين من عبدة الاوثان ان ولى نصيرى ومعينى وظهيرى على كيدكم الله الذى نزل الكتاب على بالحق وهو الذى يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ وهذا أيضا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين بقوله تعالى قل لهم ان الله نصيرى وظهيرى والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم فأى هذين أولى بالعبادة وأحق بالالوهة أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين وان تدعوا أيها المشركون آلهتكم الى الهدى وهو الاستقامة الى السداد لا يسمعوا يقول لا يسمعوا دعاءكم وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وهذا خطاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول وترى يا محمد آلهتهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ولذلك وحد ولو كان أمر النبى صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين لقال وترونهم ينظرون اليكم وقد روى عن السدى فى ذلك ما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان تدعوهم

ثم أمر نبيه وأمته بتعبيته صلى الله عليه وسلم بالذكر العام قرآنا كان أو غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفى فقال واذكر ربك فى نفسك * وفى الآية قيود الاول تخصيصه اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على أن سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء * والثانى ذكر الرب فى النفس ليكون أدخل فى الاخلاص وأبعد عن الرياء وقيل ذكره فى النفس هو أن يكون عارفا

بمعانى الاسماء التى يذكرها بلسانه قال بعض المتكلمين الذكر النفسانى هو الكلام النفسى الذى يثبته الاشاعرة * الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة أى متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف اما خوف العقاب وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا وأما خوف الخاتمة بل خوف السابقة فانها علة الخاتمة * الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد أن يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو أن يذكر ربه على وجه يسمع نفسه وانما أخر هذا عن الذكر القلبى لان الخيال يتأثر من الذكر القلبى فيوجب قوة فى النفس ولا يزال يتزايد فى ذلك الى أن يجرى الذكر على لسانه بل يسرى فى جميع أعضائه وجوارحه وأركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريئا من التعسف * السادس قوله بالغدو والآصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال دنا الصباح أى وقته وقيل انه جمع غدوة وأما الآصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ فى الشرع من أول الليل فسمى آخر النهار أصيلا لكونه ملاصقا لما هو الاصل لليوم الثانى وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندما ينقلب الحيوان من النوم الذى هو كالموت الى اليقظة التى هى كالحياة والعالم يتحول من الظلمة التى هى طبيعة عدمية الى النور الذى هو طبيعة وجودية وفى الآصال الامر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب أن يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن أن يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان * السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى أن الذكر القلبى يجب أن يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبرياءه بحسب الطاقة البشرية لينور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية فيضاهى سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى عند دنو الشرف والقرب من

الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال هؤلاء المشركون وقد يحتمل قول السدى هذا أن يكون أراد بقوله هؤلاء المشركون قول الله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وقد كان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ما تدعوهم الى الهدى وكأن مجاهدا وجه معنى الكلام الى أن معناه وترى المشركين ينظرون اليك وهم لا يبصرون فهو وجه ولكن الكلام فى سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه قال أبو جعفر فان قال قائل فما معنى قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وهل يجوز أن يكون شئ ينظر الى شئ ولا يراه قيل ان العرب تقول للشئ اذا قابل شيأ أو حاذاه هو ينظر الى كذا ويقال منزل فلان ينظر الى منزلى اذا قابله وحكى عنها اذا أتيت موضع كذا وكذا فنظر اليك الجبل فخذ يمينا أو شمالا وحدثت عن أبى عبيد قال قال الكسائى الحائط ينظر اليك اذا كان قريبا منك حيث تراه ومنه قول الشاعر

اذا نظرت بلاد بنى تميم * يمينا أو بلاد بنى صباح

يريد تقابل نبتها وعشبها وتحاذى فمعنى الكلام وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الاوثان يقابلونك ويحاذونك وهم لا يبصرونك لانه لا أبصار لهم وقيل وتراهم ولم يقل وتراها لانها صور مصورة على صور بنى آدم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله خذ العفو من أخلاق الناس وهو الفضل وما لا يجهدهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم عن مجاهد فى قوله خذ العفو قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فى قوله خذ العفو قال عفو أخلاق الناس وعفو أمورهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله خذ العفو الآية قال عروة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى الزبير قال ما أنزل الله هذه الآية الا فى أخلاق الناس خذ العفو وأمر بالعرف الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن أبى الزبير خذ العفو قال من أخلاق الناس والله لآخذن منهم ما صحبتهم قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى الزبير قال انما أنزل الله خذ العفو من أخلاق الناس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد خذ العفو قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس أو تحسس شك أبو عاصم وقال آخرون بل معنى ذلك خذ العفو من أموال الناس وهو الفضل قالوا وأمر بذلك قبل نزول الزكاة فلما نزلت الزكاة نسخ ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله خذ العفو يعنى خذ ما عفا لك من أموالهم وما أتوك به من شئ فخذه فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات

عنايته وألطافه لا يستكبرون عن عبادته فيداومون على ذلك ويسبحونه يبرئونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون بحضرته بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يعود الى أعمال الجوارح وفى هذا الترتيب دليل على أن الاصل فى الطاعة والعبودية أعمال القلوب ويتفرع عليه أعمال الجوارح والمقصود من الآية أن الملائكة (١٠٥) مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن

اليه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى خذ العفو أما العفو فالفضل من المال نسختها الزكاة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله خذ العفو يقول خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة وقال آخرون بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خذ العفو قال أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة قال ثم أمره بالغلظة عليهم وأن يقعد لهم كل مرصد وأن يحصرهم ثم قال فان تابوا وأقاموا الصلاة الآية كلها وقرأ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم فقال يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة بعد ما كان أمرهم بالعفو وقرأ قول الله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ثم لم يقبل منهم بعد ذلك الا الاسلام أو القتل فنسخت هذه الآية العفو * قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معناه خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم وقال أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين فى الكلام وذلك قوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وعقبه بقوله واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها فبين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم فى عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين فان قال قائل أفمنسوخ ذلك قيل لا دلالة عندنا على أنه منسوخ اذ كان جائزا أن يكون وان كان الله أنزله على نبيه عليه السلام فى تعريفه عشرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين مرادا به تأديب نبى الله والمسلمين جميعا فى عشرة الناس وأمرهم باخذ عفو أخلاقهم فيكون وان كان من أجلهم نزل تعليما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا لم يجب استعمال الغلظة والشدة فى بعضهم فاذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمل الواجب فيكون قوله خذ العفو أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو فاذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب اذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما قد بينا ذلك فى نظائره فى غير موضع من كتبنا وأما قوله وأمر بالعرف فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم بما حدثنى الحسن بن الزبرقان النخعى قال ثنى حسين الجعفى عن سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه قال لما نزلت هذه الآية خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال ما أدرى حتى أسأل العالم قال ثم قال جبريل يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن أبى قال لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وقال آخرون بما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه وأمر بالعرف يقول بالمعروف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا

بواعث الشهوة والغضب ودواعى الحقد والحسد يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية أولى بأن يداوم على ذكر معبوده وينجذب ما أمكن الى العالم العقلى ومقره الاصلى ويصفى مرآة قلبه عن أصداء الهواجس وينتقش بالحلا با القدسية والمعارف الحقية والله ولى التوفيق ﴿التأويل﴾ وأمر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين وأعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان نزغ فى طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم أرباب القلوب فان التقوى من شأن القلب كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطانى يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيذكره أنه يفسده ويكدر صفاءه فيجتنبه واخوانهم يعنى اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم أى لم تأت القلوب بآية من الله لتعجز النفوس عن تكذيبها قالوا أى النفوس للقلب لولا اخترقتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قل انما أتبع الهام الحق فلا أقدر على تزكية النفوس الا بقوة الالهام الربانى فاستمعوا بآذانكم الظاهرة وأنصتوا بألسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقى وذلك

قوله كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر فمن سمع القرآن من بارئه فقد سمع من قارئه وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستعد لخطاب واذكر ربك فى نفسك بأن تبدل أخلاقها بأخلاق الله تضرعا فى البداية وهو من باب التكلف وخيفة فى الوسط ودون الجهر من القول فى النهاية وهو مقام الفناء فان افشاء سر الربوبية كفر فى غد والازل وآصال الابد فان الذاكر

والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني أذكركم ومن هنا قال يوسف بن الحسين الرازي ما قال أحد الله الا الله ولا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون أن الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم أفنوا أخلاقهم في أخلاقه يسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى

* ﴿سورة الانفال مدنية الا سبع آيات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون حروفها ٥٢٩٤ كلمها ١٢٣١ آياتها خمس وسبعون﴾ *

* ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *

﴿يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم﴾ القراءات مردفين بفتح الدال أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بالكسر

أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأمر بالعرف قال أما العرف فالمعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأمر بالعرف أي بالمعروف * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف في كلام العرب مصدر في معنى المعروف يقال أوليته عرفا وعارفا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف فاذ كان معنى العرف ذلك فمن المعروف صلة رحم من قطع واعطاء من حرم والعفو عمن ظلم وكل ما أمر الله به من الاعمال أو ندب اليه فهو من العرف ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فالحق فيه أن يقال قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض وأما قوله وأعرض عن الجاهلين فانه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل وذلك وان كان أمرا من الله لنبيه فانه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم لا بالاعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها

﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم﴾ يعني جل ثناؤه بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الاعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم فاستعذ بالله يقول فاستجر بالله من نزغه انه سميع عليم يقول ان الله الذي تستعيذه من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شئ عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم قال علم الله أن هذا العدو منيع ومريد وأصل النزغ الفساد يقال نزغ الشيطان بين القوم اذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض ويقال منه نزغ ينزغ ونغز ينغز

﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله من خلقه فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق فعملوا به وانتهوا الى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان واختلفت القراء في قراءة قوله طيف فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة طائف على مثال فاعل وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين طيف من الشيطان واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين الطائف والطيف قال بعض البصريين الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال والشئ يلم بك قال ويجوز أن يكون الطيف مخففا عن طيف مثل ميت وميت وقال بعض الكوفيين الطائف

﴿الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم ج ص مؤمنين ٥ ما طاف يتوكلون ٥ ج لاحتمال جعل الذين مبتدأ والوصل أولى فيكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بحقيقة الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ٥ ج لما يجيء في التفسير بالحق ص لطول الكلام لكارهون ٥ لا ينظرون ٥ الكافرين ٥

المجرمون ٥ ج لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر أو بقوله ويحق مردفين ٥ قلوبكم ج لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم ٥ ۞ التفسير روى عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت القسمة جاء الشبان يطلبون نفلهم (١٠٧) وقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا

ما طاف بك من وسوسة الشيطان وأما الطيف فانما هو من اللمم والمس وقال آخرون منهم الطيف اللمم والطائف كل شيء طاف بالانسان وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول الطيف الوسوسة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه طائف من الشيطان لان أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به واذا كان ذلك معناه كان معلوما اذ كان الطيف انما هو مصدر من قول القائل طاف يطيف أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان وانما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه وذلك كالغضب والوسوسة وانما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه أو ليوسوس له والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان وأما الطيف فانما هو الخيال وهو مصدر من طاف يطيف ويقول لم أسمع في ذلك طاف يطيف ويتأوله بأنه بمعنى الميت وهو من الواو وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعا من العرب طاف يطيف وطفت أطيف وأنشدوا في ذلك

أني ألم بك الخيال يطيف * ومطافه لك ذكرة وشعوف

وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم ذلك الطائف هو الغضب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد اذا مسهم طائف قال الطيف الغضب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان قال هو الغضب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا قال هو الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله طائف من الشيطان قال الغضب وقال آخرون هو اللمة والزلة من الشيطان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الطائف اللمة من الشيطان فاذا هم مبصرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان يقول نزغ من الشيطان تذكروا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا زلوا تابوا * قال أبو جعفر وهذان التأويلان متقاربا المعنى لأن الغضب من استزلال الشيطان واللمة من الخطيئة أيضا منه وكان ذلك من طائف الشيطان واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى بل الصواب أن يعم كما عمه جل ثناؤه فيقال ان الذين اتقوا اذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ما كان ذلك العارض تذكروا أمر الله وانتهوا الى أمره وأما قوله فاذا هم مبصرون فانه يعني فاذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه فينتهون عما دعاهم اليه طائف الشيطان كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فاذا هم مبصرون يقول اذا هم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان ۞ القول

تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردأ لكم فأنزل الله تعالى يسألونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم أحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة بالعسكر والنهب فلما نفى الله العدو رجع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا قفاهم الله وهزمهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أنتم بأحق به منا نحن أحدقنا برسول الله لا ينال العدو منه صلى الله عليه وسلم غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن أخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسواء وعن سعد بن أبي وقاص لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فأخذت سيفه فأعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض أي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال عليه فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك

الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنائم لهم وصلاة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أي زيادة على ما سأل والضمير في يسألونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررناه وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة

الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا أن تعيين الجواب يدل على أن المراد انهم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سألوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بأن الآية دلت على أنها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة (١٠٨) ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء أي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن أبي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد أن الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سألوا عن الخمس فنزلت الآية ثم أمر بالشروع في الجواب فقال قل الانفال لله والرسول أي حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي أحد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا أن ما غنمتم الآية وضعف بأن جعل أربعة أخماسها ملكا للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس أو بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المؤاخاة والمصافاة فقال فاتقوا الله أي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال وأصلحوا ذات بينكم أي التي هي بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومودة وموافقة لما كانت مد الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما أن الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الآية بقوله ان كنتم مؤمنين أي كاملي الايمان تنبيها على أن كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال

في تأويل قوله ﴿واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ يقول تعالى ذكره واخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي يعني بقوله يمدونهم يزيدونهم ثم لا يقصرون عما قصر عنه الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وانما هذا خبر من الله عن فريق الايمان والكفر بأن فريق الايمان وأهل تقوى الله اذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم الى التوبة والانابة الى الله مما كان منهم من زلة وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيا الى غيهم اذا ركبوا معصية من معاصي الله ولا يحجزهم تقوى الله ولا خوف المعاد اليه عن التمادي فيها والزيادة منها فهو أبدا في زيادة من ركوب الاثم والشيطان يزيده أبدا لا يقصر الانسي عن شئ من ركوب الفواحش ولا الشيطان من مدة منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون يقول هم الجن يوحون الى أوليائهم من الانس ثم لا يقصرون يقول لا يسأمون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واخوانهم يمدونهم في الغي اخوان الشياطين من المشركين يمدهم الشيطان في الغي ثم لا يقصرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير واخوانهم من الجن يمدون اخوانهم من الانس ثم لا يقصرون يقول ثم لا يقصر الانسان قال والمد الزيادة يعني أهل الشرك يقول لا يقصر أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا لانهم لا يحجزهم الايمان قال ابن جريج قال مجاهد واخوانهم من الشياطين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون استجهالا يعدون أهل الشرك قال ابن جريج ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال فهؤلاء الانس يقول الله واخوانهم يمدونهم في الغي حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثني محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال اخوان الشياطين يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واخوانهم من الشياطين يمدونهم في الغي استجهالا وكان بعضهم يتأول قوله ثم لا يقصرون بمعنى ولا الشياطين يقصرون في مدهم اخوانهم من الغي ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم * قال أبو جعفر وقد بينا أولى التأويلين عندنا بالصواب وانما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك على ما بيناه لان الله وصف في الآية قبلها أهل الايمان به وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه الى محبته عند تذكرهم عظمته ثم أتبع ذلك الخبر عن اخوان الشياطين وركوبهم معاصيه وكان الاولى وصفهم بتماديهم فيها اذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها وأما قوله يمدونهم فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعض المدنيين يمدونهم بضم الياء من أمددت وقرأته عامة قراء الكوفيين والبصريين يمدونهم بفتح الياء من مددت قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا يمدونهم بفتح الياء لان الذي يمد الشياطين اخوانهم من المشركين انما هو زيادة من جنس الممدود واذا كان الذي

انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من أليم عقابه وقد يطمئن القلب بعد ذلك اذا تذكر كمال رأفته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم لمعصية فيقال له اتق الله فينزع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان تكون على ثلاثة أنحاء الاول بقوة الدليل وبكثرته فان كل دليل مركب لا محالة من مقدمات ولا شك فى أن النفوس مختلفة فى الاشراق والانارة والأذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات أكثر وأدوم كان علمه بالنتيجة أكمل وأتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه أتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

الثانى بتعدد التصديق وتجدده فمن المعلوم أن من صدق انسانا فى شيئين كان تصديقه أزيد من تصديق من صدقه فى شئ واحد فمعنى الآية أنهم كلما سمعوا آية متجددة أتوا باقرار جديد الثالث أن يقال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الآية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال أولئك هم المؤمنون فدل ذلك على أن كل تلك الخصال داخلة فى مسمى الايمان ويؤيده ما رواه أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلاثة فبسبب التفاوت فى العمل يظهر التفاوت فى الايمان وان لم يكن التفاوت فى الاقرار والاعتقاد متصورا أما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد الحصر أى لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على أحسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من أعمال القلوب وهى الخشية والتسليم والتوكل شرع فى وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها رأسها وسنامها وهما الصلاة والصدقة ثم عظمهم بقوله أولئك هم المؤمنون حقا وفى أولئك وفى توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات ما لا يخفى

مد من جنس الممدود كان كلام العرب مددت لا أمددت وأما قوله يقصرون فان القراء على لغة من قال أقصرت أقصر والعرب فيه لغتان قصرت عن الشئ وأقصرت عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ يقول تعالى ذكره واذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية من الله قالوا لولا اجتبيتها يقول قالوا هلا اخترتها واصطفيتها من قول الله تعالى ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء يعنى يختار ويصطفى وقد بينا ذلك فى مواضعه بشواهده ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه هلا افتعلتها من قبل نفسك واختلقتها بمعنى هلا اجتبيتها اختلاقا كما تقول العرب لقد اختار فلان هذا الامر وتخيره اختلاقا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أى لولا أتيتنا بها من قبل نفسك هذا قول كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قالوا لولا اقتضبتها قالوا لتخرجها من نفسك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قالوا لولا تقولتها جئت بها من عندك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول لولا تلقيتها وقال مرة أخرى لولا أحدثتها فأنشأتها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قالوا لولا اجتبيتها يقول لولا أحدثتها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله لولا اجتبيتها قال لولا جئت بها من نفسك وقال آخرون معنى ذلك هلا أخذتها من ربك وتقبلتها منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول لولا تقبلتها من الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لولا اجتبيتها يقول لولا تلقيتها من ربك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لولا اجتبيتها يقول لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من قال تأويله هلا أحدثتها من نفسك لدلالة قول الله قل انما أتبع ما يوحى الىّ من ربى هذا بصائر من ربكم يبين ذلك أن الله انما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه انما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه اليه لا أنه يحدث من قبل نفسه قولا وينشئه فيدعو الناس اليه وحكى عن الفراء أنه كان يقول اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك حدثنى بذلك الحرث قال ثنا القاسم عنه قال أبو عبيد وكان أبو زيد يقول انما تقول العرب ذلك للكلام يبديه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك فى نفسه قال أبو عبيد واختر عه مثل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انما أتبع ما يوحى الىّ من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك اذا لم تأتهم بآية هلا أحدثتها من قبل نفسك ان ذلك ليس لى ولا يجوز لى فعله لان الله انما أمرنى باتباع ما يوحى الىّ من عنده فانما أتبع ما يوحى الىّ من ربى لا انى عبده والى أمره أنتهى واياه أطيع هذا بصائر من ربكم يقول هذا القرآن والوحى الذى أتلوه عليكم بصائر من ربكم يقول حجج عليكم

وحقا صفة مصدر محذوف أى ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه أخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل انه منوط بما بعده أى حقا لهم درجات واعلم أن الائمة اتفقوا على أن الرجل المؤمن يجوز له أن يقول أنا مؤمن ثم اختلفوا فى أنه هل يجوز له أن يضيف اليه حقا أو لا بل يستثنى فيقول ان شاء الله والاول مذهب أصحاب أبى حنيفة لما ورد فى الآية ولان الشك فى الايمان لا يجوز لان التصديق والاقرار كلاهما محقق والثانى مذهب أصحاب الشافعى وأجابوا عن الآية بأنه لا نزاع فى أن الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع فى أن القائل أنا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما أم لا وأما حديث الشك فمبنى على أن الايمان عبارة عن الاركان الثلاثة ولا ريب أن كون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة أمر مشكوك فيه والشك فى أحد أجزاء الماهية يوجب الشك فى حصول تلك الماهية فاذن النزاع لفظى على أنا لا نسلم أن الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب أو لعدم القطع بحسن الخاتمة أو لنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وانه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى أمنهم أنا أم لا وعن الثورى من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع بأنه من أهل الجنة حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا ويحكى عن أبى حنيفة أنه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك فقال اتباعا لابراهيم فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة أن يقول ولكن ليطمئن قلبى وفيه ما فيه ثم أخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم أى سعادات روحانية متفاوتة فى الصعود والارتفاع ولكن استغراق كل واحد فى سعادته الخاصة به يمنعه عن التألم من حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما فى صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز

وبيان لكم من ربكم واحدتها بصيرة كما قال جل ثناؤه هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وانما ذكر هذا ووحد فى قوله هذا بصائر من ربكم لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحى وقوله وهدى يقول وبيان يهدى المؤمنين الى الطريق المستقيم ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين فأنقذهم به من الضلالة والهلكة لقوم يؤمنون يقول هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن يقول لمن صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده وكفر به بل هو على الذين لا يؤمنون به غم وخزى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة اذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يقول أصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه وأنصتوا اليه لتعقلوه وتتدبروه ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه واعتباركم بعبره واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه فى آيه ثم اختلف أهل التأويل فى الحال التى أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن اذا قرأ والانصات له فقال بعضهم ذلك حال كون المصلى فى الصلاة خلف امام يأتم به وهو يسمع قراءة الامام عليه أن يسمع لقراءته وقالوا فى ذلك أنزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن المسيب بن رافع قال كان عبد الله يقول كنا يسلم بعضنا على بعض فى الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال ثنا حفص بن غياث عن ابراهيم الهجرى عن أبى عياض عن أبى هريرة قال كانوا يتكلمون فى الصلاة فلما نزلت هذه الآية واذا قرئ القرآن والآية الاخرى أمروا بالانصات حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن أشعث عن الزهرى قال نزلت هذه الآية فى فتى من الانصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيأ قرأه فنزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن داود بن أبى هند عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال أما آن لكم أن تفقهوا أما آن لكم أن تعقلوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا الجريرى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح يتحدثان والقاص يقص فقلت ألا تستمعان الى الذكر وتستوجبان الموعود قال فنظرا الى ثم أقبلا على حديثهما قال فأعدت فنظرا الى ثم أقبلا على حديثهما قال فأعدت الثالثة قال فنظرا الى فقالا انما ذلك فى الصلاة واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال سمعت الاوزاعى قال ثنا عبد الله بن عامر قال ثنى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال نزلت فى رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم اسماعيل بن كثير عن مجاهد فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن رجل عن قتادة عن سعيد بن المسيب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال

عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه نقله الواحدي عن أهل اللغة فالله سبحانه موصوف بأنه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان كل شئ وقال انى ألقى الى كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقال وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما أخرجك يقتضي تشبيه شئ بهذا الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول أن المشبه محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى أن حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا ترغيبا لهم في القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو أعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقي خلق كثير بغير شئ فنزلت قل الانفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفي أنفس بعضهم شئ من الكراهة الثاني أن ينتصب الكاف على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله قل الانفال لله والرسول أي ثبت الحكم واستقر بأن الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل اخراج ربك بالحق الى القتال وان كرهوا ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين سائر أحكام الله أن القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه أقوى في وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو أن الحكم بكونهم مؤمنين حق كما أن حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته صلى الله عليه وآله بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق أي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهة بعضهم

في الصلاة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مجاهد واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت حميدا الاعرج قال سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة قال ثني عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا حميد عن مجاهد بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن ادريس عن ليث عن مجاهد واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة المكتوبة قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد وعن حجاج عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد وعن ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة المكتوبة قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد في الصلاة المكتوبة قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله قال ثنا المحاربي وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال في الصلاة المكتوبة قال ثنا جرير وابن فضيل عن مغيرة عن ابراهيم قال في الصلاة المكتوبة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت عليهم فأنزل الله ما تسمعون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم كم صليتم كم بقي فأنزل الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وقال غيره كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فأنزل الله واذا قرئ القرآن حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد والمحاربي عن أشعث عن الزهري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ورجل يقرأ فنزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال ثنا أبو خالد الاحمر عن الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال هذا في الصلاة قال ثنا أبي عن حريث عن عامر قال في الصلاة المكتوبة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال اذا قرئ في الصلاة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له يعني في الصلاة المفروضة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي هاشم عن مجاهد قال هذا في الصلاة في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له قال أخبرنا الثوري عن ليث عن مجاهد أنه كره اذا مر الامام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيأ قال السكوت قال أخبرنا الثوري عن ليث عن مجاهد قال لا بأس اذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون قال هذا اذا قام الامام للصلاة فاستمعوا له وأنصتوا حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال لا يقرأ من وراء الامام فيما يجهر به من القراءة تكفيهم قراءة الامام وان لم يسمعهم صوته ولكنهم يقرؤن فيما لم يجهر به سرا في أنفسهم ولا يصلح لاحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرا ولا علانية قال الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون حدثني

المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن ابن عباس انه كان يقول فى هذه واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة هذا فى المكتوبة وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك فانما هى نافلة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى صلاة مكتوبة وقرأ أصحابه وراءه فخلطوا عليه قال فنزل القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون فهذا فى المكتوبة وقال آخرون بل عنى بهذه الآية الامر بالانصات للامام فى الخطبة اذا قرئ القرآن فى خطبة ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق الازرق عن شريك عن سعيد بن مسروق عن مجاهد فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات للامام يوم الجمعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد وابن أبى عتبة عن العوام عن مجاهد قال فى خطبة يوم الجمعة وقال آخرون عنى بذلك الانصات فى الصلاة وفى الخطبة ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت ابراهيم بن أبى حمزة يحدث أنه سمع مجاهدا يقول فى هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة والخطبة يوم الجمعة حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن جابر عن عطاء قال وجب الصموت فى اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلى وعند الامام وهو يخطب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد واذا قرئ القرآن وجب الانصات قال وجب فى اثنتين فى الصلاة والامام يقرأ والجمعة والامام يخطب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال هشيم أخبرنا من سمع الحسن يقول فى الصلاة المكتوبة وعند الذكر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جابر عن مجاهد قال وجب الانصات فى اثنتين فى الصلاة ويوم الجمعة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن بقية بن الوليد قال سمعت ثابت بن عجلان يقول سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام من الصلاة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن حماد قال أخبرنا هشيم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال فى الصلاة وعند الذكر حدثنا ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال ثنى ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح قال أوجب الانصات يوم الجمعة قول الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وفى الصلاة مثل ذلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال أمروا باستماع القرآن فى الصلاة اذا قرأ الامام وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه وفى الخطبة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قرأ الامام فأنصتوا واجماع الجميع على أن من سمع خطبة الامام ممن عليه الجمعة الاستماع والانصات لها مع تتابع الاخبار بالامر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والانصات لسامعه من قارئه الا فى هاتين الحالتين على اختلاف فى احداهما وهى حالة أن يكون خلف امام مؤتم به وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله اذا قرأ الامام فأنصتوا فالانصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذكر ربك فى نفسك

ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز أن تكون الجملة بدلا أو خبرا بعد خبر روى أن عير قريش أقبلت من الشأم فيها تجارة عظيمة ومعهم أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس ابن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها انى رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل يجمع أهل مكة وهم النفير على ما قيل فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بخروجنا وأن محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرائيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فأحسنا أى الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله

تضرعا

تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ يقول تعالى ذكره واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن اذا قرئ في صلاة أو خطبة ربك في نفسك يقول اتعظ بما في آي القرآن واعتبر به وتذكر معاد اليه عند سماعكه تضرعا يقول افعل ذلك تخشعا لله وتواضعا له وخيفة يقول وخوفا لله من أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار وغفلة عما بين الله فيه من حدوده ودون الجهر من القول يقول ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار يقول ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء ان دعوت غير جهار ولكن في خفاء من القول كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول لا يجهر بذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول الآية قال أمروا أن يذكروه في الصدور تضرعا وخيفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن حيان بن عمير عن عبيد بن عمير في قوله واذكر ربك في نفسك قال يقول الله اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في أحسن منهم وأكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة قال يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء وأما قوله بالغدو والآصال فانه يعني بالبكر والعشيات وأما الآصال فجمع واختلف أهل العربية فيها فقال بعضهم هي جمع أصيل كما الأيمان جمع يمين والأسرار جمع سرير وقال آخرون منهم هي جمع أصل والاصل جمع أصيل وقال آخرون منهم هي جمع أصل وأصيل قال وان شئت جعلت الاصل جمعا للاصيل وان شئت جعلته واحدا قال والعرب تقول قد دنا الاصل فيجعلونه واحدا وهذا القول أولى بالصواب في ذلك وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل لأنهما قد يجمعان على أفعال وأما الآصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر الى المغرب وأما قوله ولا تكن من الغافلين فانه يقول ولا تكن من اللاهين اذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره وما فيه من عجائبه ولكن تدبر ذلك وتفهمه وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من قدرة الله عليك ان أنت غفلت عن ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بالغدو والآصال قال بالبكر والعشي ولا تكن من الغافلين حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معرف بن واصل السعدي قال سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس آصلنا بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله بالغدو والآصال قال الغدو آخر الفجر صلاة الصبح والآصال آخر العشي صلاة العصر قال وكل ذلك لها وقت أول الفجر وآخره وذلك مثل قوله في سورة آل عمران واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار وقيل العشي ميل الشمس الى أن تغيب والابكار أول الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن محمد بن شريك عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس سئل عن صلاة الفجر فقال انها التي كتاب الله ولا يقوم عليها (١) ثم قرأ في بيوت أذن الله أن ترفع الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سويد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة الى قوله بالغدو والآصال أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة أما بالغدو فصلاة الصبح والآصال بالعشي ﴿القول في تأويل قوله ﴿ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ يقول تعالى ذكره لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك واذكره اذا قرئ القرآن تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول فان الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون

صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك بنا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم ولنرجع الى التفسير قوله في الحق أي في تلقي النفير بعد ما تبين أي بعد اعلام النبي صلى الله عليه وسلم

(١) قوله ولا يقوم عليها كذا بالاصل ولعل الساقط الامؤمن أو نحو ذلك وحرر الرواية كتبه مصححه

عن التواضع له والتخشع وذلك هو العبادة ويسبحونه يقول ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم وله يسجدون يقول ولله يصلون وهو سجودهم فصلوا أنتم أيضا له وعظموه بالعبادة كما يفعله من عنده من ملائكته

﴿القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الانفال﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿القول فى تأويل قوله ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الانفال التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم هى الغنائم وقالوا معنى الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التى غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هى فقل هى لله ولرسوله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن عكرمة يسئلونك عن الانفال قال الأنفال الغنائم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الانفال المغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك يسألونك عن الانفال قال الغنائم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الانفال قال يعنى الغنائم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يسألونك عن الانفال الانفال الغنائم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يسألونك عن الأنفال قال الانفال الغنائم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الانفال الغنائم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء يسألونك عن الانفال قال الغنائم وقال آخرون هى أنفال السرايا ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا على بن صالح بن حى قال بلغنى فى قوله يسألونك عن الأنفال قال السرايا وقال آخرون الانفال ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عبد الملك عن عطاء فى قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال هو ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال دابة أو عبد أو متاع ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال هى ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع آو نفل فهو للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى أن ابن عباس سئل عن الانفال فقال السلب والفرس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ويقال الانفال ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تقسم الغنائم فهى نفل لله ولرسوله حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عثمان بن أبى سليمان عن محمد بن شهاب أن رجلا قال لابن عباس ما الانفال قال الفرس والدرع والرمح حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال قال ابن جريج قال عطاء الانفال الفرس الشاذ والدرع والثوب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن ابن عباس قال كان ينفل الرجل فرس الرجل وسلبه

بأنهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة أسبابه من قلة العدد والعدد روى أنه ما كان منهم الا فارسان وانتصب باضمار اذكر قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وقوله أنها لكم بدل من احدى الطائفتين وهما العير أو النفير وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أى تتمنون أن يكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله أن يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة وأسر الكفرة وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر ويقطع دابر الكافرين أى يستأصلهم والدابر الآخر يعنى أنكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف أى لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متأخرا ليفيد معنى الاختصاص أى ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق وابطال الباطل

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم ابن محمد قال سمعت رجلا سال ابن عباس عن الانفال فقال ابن عباس الفرس من النفل والسلب من النفل ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل الانفال التي قال الله في كتابه ماهي قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه فقال ابن عباس أتدرون مامثل هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال قال ابن عباس كان عمر رضي الله عنه اذا سئل عن شئ قال لا آمر لك ولا أنهاك ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه عليه السلام الا زاجرا آمرا محلا محرما قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الانفال فقال ابن عباس كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم أعاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس أتدرون مامثل هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه أو على رجليه فقال الرجل أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال يسألونك فيما شذ من المشركين الى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد فهو نفل للنبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون النفل الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يسألونك عن الانفال قال هو الخمس قال المهاجرون لم يرفع عنا هذا الخمس لم يخرج منا فقال الله هو لله والرسول حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الاربعة الاخماس فنزلت يسألونك عن الانفال * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في معنى الانفال قول من قال هي زيادات يزيدها الامام بعض الجيش أو جميعهم اما من سلبه على حقوقهم من القسمة واما مما وصل اليه بالنفل أو ببعض أسبابه ترغيبا له وتحريضا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين أو صلاح أحد الفريقين وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين الى المسلمين من عبد أو فرس لان ذلك أمره الى الامام اذا لم يكن ما وصلوا اليه لغلبة وقهر يفعل ما فيه صلاح أهل الاسلام وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر وانما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب لان النفل في كلام العرب انما هو الزيادة على الشئ يقال منه نفلتك كذا وأنفلتك اذا زدتك والانفال جمع نفل ومنه قول لبيد بن ربيعة

ان تقوى ربنا خير نفل * وبإذن الله ريثي وعجل

فاذ كان معناه ما ذكرنا فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة ان كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين بتنفيل الوالي ذلك اياه فيصير حكم ذلك له كالسلب الذي يسلبه القاتل فهو منفل ما زيد من ذلك لان الزيادة وان كانت مستوجبة في بعض الاحوال بحق فليست من الغنيمة التي تقع فيها القسمة وكذلك كل ما رضخ لمن لا سهم له في الغنيمة فهو نفل لانه وان كان مغلوبا عليه فليس مما وقعت عليه القسمة فالفصل اذ كان الامر على ما وصفنا بين الغنيمة والنفل أن الغنيمة هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل أو لم ينفل والنفل هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة واذ كان ذلك معنى النفل فتأويل الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو قل لهم يا محمد هو لله ولرسوله دونكم يجعله حيث شاء واختلف في السبب

وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل في ذاته وما ثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل والبيان وتارة بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فان قيل أليس في الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعده في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثاني اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل أن الاول جزئي أي أنتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التي حصل في ضمنها اعلاء كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما أخرجك ربك وقوله ليحق الحق على أن الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وبتكوينه ولا يمكن أن يقال المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقبل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل وأجيب بأن اللام في الحق ينصرف الى المعهود السابق

الذى من أجله نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى غنائم بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان نفل أقواما على بلاء فأبلى أقوام وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيما بعد انقضاء الحرب فانزل الله هذه الآية على رسوله يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماض جائز ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود بن أبى هند يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع اليه الشبان وبقى الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله عليه الآية فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم حدثنا المثنى قال ثنا عبد الاعلى وحدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا قال فتسارع فى ذلك شبان الرجال وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنائم جاؤا يطلبون الذى جعل لهم فقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا ردألكم وكنا تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا فتنازعوا فأنزل الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد ابن عبد الله عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا وكذا من النفل قال فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوا فلما فتح عليهم قالت المشيخة كنا ردألكم فلو انهزمتم انحزتم الينا لا تذهبوا بالمغنم دوننا فأبى الفتيان وقالوا جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فأنزل الله يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول قال فكان ذلك خيرا لهم (١) وكذلك أيضا أطيعونى فانى أعلم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فى هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال لما كان يوم بدر قال النبى صلى الله عليه وسلم من صنع كذا فله من النفل كذا فخرج شبان الرجال فجعلوا يصنعونه فلما كان عند القسمة قال الشيوخ نحن أصحاب الرايات وقد كنا ردألكم فانزل الله فى ذلك قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب الزبيرى قال ثنى المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه عن سليمان بن موسى عن مكحول مولى هذيل عن أبى سلام عن أبى أمامة الباهلى عن عبادة ابن الصامت قال أنزل الله حين اختلف القوم فى الغنائم يوم بدر يسألونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عن سواء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى الاسدى عن مكحول عن أبى أمامة الباهلى قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بسواء يقول على السواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين وقال آخرون انما نزلت هذه الآية لان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيأ قبل قسمتها فلم يعطه اياه اذ كان شركا بين الجيش فجعل الله جميع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى اسمعيل بن موسى السدى قال ثنا أبو الاحوص عن عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف فقلت يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله

أى فى هذه القضية فلم قلتم انه كذلك فى جميع الصور ولو كره المجرمون أى الكافرون أو المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفى موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله واذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفالك منا شدتك بالدعاء ربك فانه سينجز لك ما وعدك ويروى أنه لما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة يقول الواقع فى بلية أغثنى أى فرج عنى فاستجاب لكم الى أى بأنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها

(١) قوله وكذلك أيضا الخ كذا بالاصل ولعل قبله سقطا ولم نعثر عليه بعد المراجعة فحرر كتبه مصححه

به من المشركين فسألته اياه فقال ليس هذا لى ولا لك قال فلما وليت قلت أخاف أن يعطيه من لم يبل بلائى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى قال فقلت أخاف أن يكون نزل فى شئ قال ان السيف قد صار لى قال فأعطانيه ونزلت يسئلونك عن الانفال حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال ثنا عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال لما كان يوم بدر جئت بسيف قال فقلت يارسول الله ان الله قد شفى صدرى من المشركين أو نحو هذا فهب لى هذا السيف فقال لى هذا ليس لى ولا لك فرجعت فقلت عسى أن يعطى هذا من لم يبل بلائى فجاءنى الرسول فقلت حدث فى حدث فلما انتهيت قال ياسعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فهو لك ونزلت يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا يوم بدر فاعجبنى فقلت يارسول الله هبه لى فأنزل الله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى ثنى معاوية وقال ابن وكيع ثنا أبو معاوية قال ثنا الشيبانى عن محمد بن عبيد الله عن سعد ابن أبى وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاطرحه فى القبض فطرحته ورجعت وبى مالا يعلمه الا الله من قتل أخى وأخذ سلبى قال فما جاوزت الا قريبا حتى نزلت عليه سورة الانفال فقال اذهب فخذ سيفك ولفظ الحديث لابن المثنى حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة جميعا عن محمد بن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر عن قيس بن ساعدة قال سمعت أبا أسيد بن مالك بن ربيعة يقول أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر وكان السيف يدعى المرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما فى أيديهم من النفل أقبلت به فألقيته فى النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ يسأله فرآه الارقم بن أبى الارقم المخزومى فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه اياه حدثنى يحيى بن جعفر قال ثنا أحمد بن أبى بكر عن يحيى بن عمران عن جده عثمان بن الارقم عن عمه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ردوا ما كان من الانفال فوضع أبو أسيد الساعدى سيف ابن عائذ المرزبان فعرفه الارقم فقال هبه لى يارسول الله قال فأعطاه اياه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا قال فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه قال ضعه قال ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه أأجعل كمن لا غناء له فقال النبى صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث أخذته فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أخذت سيفا من المغنم فقلت يارسول الله هب لى هذا فنزلت يسئلونك عن الانفال حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد فى قوله يسئلونك عن الانفال قال قال سعد كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعطنى هذا السيف يارسول الله فسكت فنزلت يسئلونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين قال فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل نزلت لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شئ وقالوا معنى عن فى هذا الموضع من وانما معنى الكلام يسئلونك من الانفال وقالوا قد كان ابن مسعود يقرؤه

من أردفته اياه اذا أتبعته متعديا الى مفعولين أو من ردفته اذا اتبعته أى جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم أو مجعولين بعضهم تابعا لبعض أو أنفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم أو لملائكة أخرى ومعنى الثانى تابعين بعضهم لبعض أو للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم أو لغيرهم من الملائكة واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرائيل فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن أبى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن أبى جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى أن رجلا من المسلمين بينا هو يشتد فى أثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ذاك من مدد السماء وعن

يسئلونك الانفال على هذا التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش قال كان أصحاب عبد الله يقرؤنها يسألونك الانفال حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال هى فى قراءة ابن مسعود يسألونك الانفال ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال الانفال المغانم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لاحد منها شئ ما أصاب سرايا المسلمين من شئ أتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها قال الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لى جعلتها الرسولى ليس لكم فيها شئ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ثم أنزل الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن سمى فى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج يسألونك عن الانفال قال نزلت فى المهاجرين والانصار من شهد بدرا قال واختلفوا فكانوا أثلاثا قال فنزلت يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وملكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن الناس سألوا النبى صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر فنزلت يسألونك عن الانفال قال ثنا عباد بن العوام عن جويبر عن الضحاك يسألونك عن الانفال قال يسألونك أن تنفلهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا أيوب عن عكرمة فى قوله يسألونك عن الانفال قال يسألونك الانفال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى أخبر فى هذه الآية عن قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانفال أن يعطيهموها فأخبرهم الله أنها لله وأنه جعلها لرسوله واذا كان ذلك معناه جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذى ذكرنا عن سعد أنه سأله اياه وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش واختلفوا فيها أمنسوخة هى أم غير منسوخة فقال بعضهم هى منسوخة وقالوا نسخها قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا كانت الانفال لله وللرسول فنسختها واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يسئلونك عن الانفال قال أصاب سعد بن أبى وقاص يوم بدر سيفا فاختصم فيه وناس معه فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم منهم فقال الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول الآية فكانت الغنائم يومئذ للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة فنسخها الله بالخمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى سليم مولى أم محمد عن مجاهد فى قوله يسئلونك عن الانفال قال نسختها واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن مجاهد وعكرمة أو عكرمة وعامر قالا نسخت الانفال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه * وقال آخرون هى محكمة وليست منسوخة وانما معنى ذلك قل الانفال لله وهى لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة وللرسول يضعها فى مواضعها التى أمره الله بوضعها فيه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يسألونك عن الانفال فقرأ

أبى داود المازنى قال تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل أن يصل اليه سيفى وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والافلاك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا وقد أجبنا عن هذه الشبهة فى تفسير سورة آل عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الله الآية وقد مر هنالك وقد بقى علينا بيان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون فى قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم وأخره فى آل عمران ازدواجا بين الخطابين وعكس ههنا ازدواجا بين الغائبين ثم ان قصة بدر سابقة على قصة أحد فقيل فى الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعله فى آل عمران صفة لان الخبر قد سبق والله أعلم ﴿التأويل﴾ كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فأجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال وأصلحوا ما بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية وأطيعوا الله ورسوله بالتسليم والائتمار زادتهم ايمانا بحسب تزايد الانوار كما أخرجك ربك فيه أنه أخرج المؤمن الحقى عن أوصاف البشرية الى مقام العبودية

حتى بلغ ان كنتم مؤمنين فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شآ ويضعانها حيث أرادا فقالوا نعم ثم جاء بعد الاربعين واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية ولكم أربعة أخماس وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وهذا الخمس مردود على فقرائكم يصنع الله ورسوله فى ذلك الخمس ما أحبا ويضعانه حيث أحبا ثم أخبرنا الله بالذى يجب من ذلك ثم قرأ الآية لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر أنه جعل الانفال لنبيه صلى الله عليه وسلم ينفل من شاء فنفل القاتل السلب وجعل للجيش فى البداءة الربع وفى الرجعة الثلث بعد الخمس ونفل قوما بعد سهمانهم بعيرا بعيرا فى بعض المغازى فجعل الله تعالى ذكره حكم الانفال الى نبيه صلى الله عليه وسلم ينفل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين وعلى من بعده من الائمة أن يستنوا بسنته فى ذلك وليس فى الآية دليل على أن حكمها منسوخ لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذى وصفت وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ الا بحجة يجب التسليم لها فقد دللنا فى غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ الا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ينفيه من كل معانيه أو يأتى خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر وقد ذكر عن سعيد بن المسيب أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا منه لقول الله تعالى قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو قال أرسل سعيد ابن المسيب غلامه الى قوم سألوه عن شئ فقال انكم أرسلتم الى تسألونى عن الانفال فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينا أن للائمة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيهم بفعله فينفلوا على نحو ما كان ينفل اذا كان التنفيل صلاحا للمسلمين ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره خافوا الله أيها القوم واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله وأصلحوا ذات بينكم فقال بعضهم هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلفوا فى الغنيمة أن يردوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال كان نبى الله ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله ثم أنزل الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أمرهم أن يرد بعضهم على بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينفل الرجل على قدر جده وعنائه على ما رأى حتى اذا كان يوم بدر وملأ الناس أيديهم غنائم قال أهل الضعف من الناس ذهب أهل القوة بالغنائم فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ليرد أهل القوة على أهل الضعف وقال آخرون هذا تحريج من الله على القوم ونهى لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا خالد بن يزيد وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا ثنا أبو اسرائيل عن فضيل عن مجاهد فى قول الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال حرج عليهم حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن مجاهد عن ابن عباس فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم قال عباد قال سفيان هذا حين اختلفوا فى الغنائم يوم بدر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل

بجذبات العناية كما أخرج جذ من وطن وجوده بالحق وهو تجلى صفات الجمال والجلال وان فريقا هم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلى فان البقاء محبوب عند كل ذى وجود يجاذبونك أى الروح والقلب فى مجىء الحق بعد ما تبين مجيئه كأنهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت وأنتم تودون أيها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهى النفوس واما عير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون أن غير ذات الشوكة أى أردتم أن لا تجاهدوا عدو النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك أن السير قسمان سير السالكين على أقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على أجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرائيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين أو أدنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية أن لا يكل الله

قال ثنا أسباط عن السدى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أى لا تستبوا واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث البين فقال بعض نحويى البصرة أضاف ذات الى البين وجعله ذا تالان بعض الاشياء يوضع عليه اسم مؤنث وبعضا يذكر نحو الدار والحائط أنث الدار وذكر الحائط وقال بعضهم انما أراد بقوله ذات بينكم الحال التى للبين فقال وكذلك ذات العشاء يريد الساعة التى فيها العشاء قال ولم يضعوا مذكر المؤنث ولا مؤنثا لمذكر الا لمعنى * قال أبو جعفر هذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التى ذكرتها له وأما قوله وأطيعوا الله ورسوله فان معناه وانتهوا أيها القوم الطالبون الانفال الى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم فقد بين لكم وجوهه وسبله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاآ ويضعانها حيث أرادا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يقول تعالى ذكره ليس المؤمن بالذى يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله اليه فى كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه ولكن المؤمن هو الذى اذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لامره وخضع لذكره خوفا منه وفرقا من عقابه واذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها وأيقن أنها من عند الله فازداد بتصديقه بذلك الى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله اياهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يوقنون فى أن قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ولا يرهبون سواه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال المنافقون لا يدخل قلوبهم شئ من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشئ من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون اذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا يقول تصديقا وعلى ربهم يتوكلون يقول لا يرجون غيره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال فرقت قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال اذا ذكر الله عند الشئ وجل قلبه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يقول اذا ذكر الله وجل قلبه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجلت قلوبهم قال فرقت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجلت قلوبهم فرقت قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال سمعت السدى يقول فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية أحسبه قال فينزع عنه حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أبى الدرداء فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الوجل فى القلب كاحراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قال اذا وجدت ذلك فى القلب فادع الله فان الدعاء يذهب بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أى بحجته وبقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعنى استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلاء صفاتها بألف من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلى صفته القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم فى كل ما يفعل بمن يفعل والله أعلم ﴿ اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن

قلوبهم قال فرقا من الله ووجلا من الله وخوفا من الله تبارك وتعالى وأما قوله زادتهم ايمانا فقد ذكرت قول ابن عباس فيه وقال غيره فيه ما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قال خشية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قال هذا نعت أهل الايمان فأثبت نعتهم ووصفهم فأثبت صفتهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾ يقول تعالى ذكره الذين يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها وينفقون مما رزقهم الله من الاموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه من زكاة وجهاد وحج وعمرة ونفقة على من تجب عليهم نفقته فيؤدون حقوقهم أولئك يقول هؤلاء الذين يفعلون هذه الافعال هم المؤمنون لا الذين يقولون بألسنتهم قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا لا يقيمون صلاة ولا يؤدون زكاة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس الذين يقيمون الصلاة يقول الصلوات الخمس ومما رزقناهم ينفقون يقول زكاة أموالهم أولئك هم المؤمنون حقا يقول برئوا من الكفر ثم وصف الله النفاق وأهله فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الى قوله أولئك هم الكافرون حقا فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا وجعل الكافر كافرا حقا وهو قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك هم المؤمنون حقا قال استحقوا الايمان بحق فأحقه الله لهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ يعني جل ثناؤه بقوله لهم درجات لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم درجات وهي مراتب رفيعة ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التي ذكر الله أنها لهم عنده ما هي فقال بعضهم هي أعمال رفيعة وفضائل قدموها في أيام حياتهم ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد لهم درجات عند ربهم قال أعمال رفيعة وقال آخرون بل ذلك مراتب في الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن هشام بن جبلة عن عطية عن ابن محيريز لهم درجات عند ربهم قال الدرجات سبعون درجة كل درجة حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة وقوله ومغفرة يقول وعفو عن ذنوبهم وتغطية عليها ورزق كريم قيل الجنة وهو عندي ما أعد الله في الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنيء العيش حدثني المثنى قال ثنا اسحق عن هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة ومغفرة قال لذنوبهم ورزق كريم قال الجنة ۞ القول في تأويل قوله ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون﴾ اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله كما أخرجك وما الذي شبه باخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق فقال بعضهم شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقوا ربهم واصلحوا ذات بينهم وأطاعتهم الله ورسوله وقالوا معنى ذلك يقول الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق كان خيرا له ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية أي ان هذا خير لكم كما كان اخراجك من بيتك بالحق خيرا لك * وقال آخرون معنى ذلك كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم

الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خيرا لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ القرا آت يغشاكم النعاس ابن كثير وأبو عمرو يغشيكم النعاس من باب الافعال أبو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من باب التفعيل وينزل من الانزل ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو عمرو والآخرون بالتشديد ورمى بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وأبو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر

۞ الوقوف الاقدام ٥ ط لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين آمنوا ط كل بنان ط ورسوله الاول ج العقاب ٥ النار ٥ الادبار ٥ جهنم ط المصير ٥ ط قتلهم ص لعطف المتفقتين رمى ج

يكرهون القتال فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال كذلك يجادلونك في الحق **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك يجادلونك في الحق القتال قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال كذلك أخرجك ربك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال أنزل الله في خروجه يعني خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر ومجادلتهم اياه فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين يجادلونك في الحق بعد ما تبين اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي الكوفيين ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون وقال آخرون منهم معنى ذلك يسئلونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له وقال بعض نحويي البصرة يجوز أن يكون هذا الكاف في كما أخرجك على قوله أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى على ووقال آخرون منهم هي بمعنى القسم قال ومعنى الكلام والذي أخرجك ربك * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد وقال معناه كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين لان كلا الامرين قد كان أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارها وجدالهم في لقاء العدو عند دنو القوم بعضهم من بعض فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه وقال مجاهد في الحق الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تبينوه هو القتال **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يجادلونك في الحق قال القتال **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله من بيتك فان بعضهم قال معناه من المدينه ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي بزة كما أخرجك ربك من بيتك المدينة الى بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني محمد بن عباد بن جعفر في قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال من المدينة الى بدر وأما قوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون فان كراهتهم كانت كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشأم ندب اليهم المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين فقال بعضهم عنى بذلك أهل الايمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه حين توجه الى بدر للقاء المشركين ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء

القوم

لاحتمال أن تكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال أن تكون عاطفة على ولكن الله رمى أو على محذوف أي لتستبشروا وليبلي حسنا ط عليهم ط الكافرين ٥ الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم ج لذلك نعد ج كثرت ط لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين ٥ ﴿التفسير﴾ قال في الكشاف اذ يغشيكم اذ بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو باضمار اذكروا أمنة مفعول لاجله ومنه صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس وكذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا لمعنى تنعسون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لأمنتكم أو يغشاكم النعاس فتنعسون أمنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية أن تكون الامنة بمعنى الايمان أي ينعسكم ايمانا منه وجوز أن ينتصب الامنة على أنها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن اسناد الأمن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة أو على أن المراد انه أنامكم

القوم وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس فتعبوا للقتال وأمرهم بالشوكة وكره ذلك أهل الايمان فأنزل الله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر القوم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم أن قريشا قد سارت اليهم وانهم انما خرجوا يريدون العير طمعا في الغنيمة فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الى قوله لكارهون أي كراهية للقاء القوم وانكار المسير قريش حين ذكروا لهم وقال آخرون عنى بذلك المشركون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون قال هؤلاء المشركون جادلوك في الحق كأنما يساقون الى الموت حين يدعون الى الاسلام وهم ينظرون قال وليس هذا من صفة الآخرين هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثني عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري عن عمه قال كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العير * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن اسحق من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو وكان جدالهم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا لم يعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير ومما يدل على صحة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ففي ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين وان جدالهم كان في القتال كما قال مجاهد كراهية منهم له وان لا معنى لما قال ابن زيد لان الذي قبل قوله يجادلونك في الحق خبر عن أهل الايمان والذي يتلوه خبر عنهم فأن يكون خبرا عم أولى منه بأن يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر وأما قوله بعد ما تبين فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل الا ما أمرك الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي بعد ما تبين أنك لا تصنع الا ما أمرك الله به وقال آخرون معناه يجادلونك في القتال بعد ما أمرت به ذكر من قال ذلك روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وأما قوله كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان معناه كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو من كراهتهم للقائهم اذا دعوا الى لقائهم للقتال يساقون الى الموت وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون أي كراهة للقاء القوم وانكار المسير قريش حين ذكروا لهم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم اذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني احدى الفرقتين فرقة أبي سفيان بن حرب والعير وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم وقوله أنها لكم يقول ان ما معهم غنيمة لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يقول وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة يقول ليس لها حد ولا فيها قتال أن تكون لكم يقول تودون أن تكون لكم العير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاؤا لمنع عيرهم الذين في لقائهم القتال والحرب وأصل الشوكة من الشوك وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن نصر وعبد الوارث بن عبد الصمد قالا ثنا عبد الصمد بن

في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشاكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل وقدم فوائد هذا النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد احداها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي أصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاولى عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شئ مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الآية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك أن المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم أكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة

عبد الوارث قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشأم فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الاموال وبقلة عددهم فخرجوا لا يريدون الا أبا سفيان والركب معه لا يرونها الا غنيمة لهم لا يظنون أن يكون كبير قتال اذا رأوهم وهي ما أنزل الله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشأم ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ وادي يقال له ذفران فخرج منه حتى اذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض الى حيث أمرك الله فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لئن سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلقانا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم غدا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أبا سفيان أقبل في عير من الشأم فيها تجارة قريش وهي اللطيمة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس فخرجوا معه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فبعث عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى ابن الأريقط فأتاه بخبر القوم وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم فبعث الى أهل مكة يستعينهم فبعث رجلا من بني غفار

فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ أصحاب رسول الله الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد وأشار اليها بقوله ويثبت به أي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله ليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك أن من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم أي قواها ثبتت أقدامهم ومعنى على أن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه أن يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما أوقع فيها من اليقين روى أن المطر نزل على الكافرين أيضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله ويثبت به الاقدام يدل مفهومه على أن حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت أو باذكر الى معكم الخطاب

يدعى ضمضم بن عمرو فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشعر بخروج قريش فأخبره الله بخروجهم فتخوف من الانصار أن يخذلوه ويقولوا انا عاهدنا أن نمنعك ان أراد أحد ببلدنا فاقبل على أصحابه فاستشارهم في طلب العير فقال له أبو بكر رضى الله عنه انى قد سلكت هذا الطريق فانا أعلم به وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فشاورهم فعلوا يشيرون عليه بالعير فلما أكثر المشورة تكلم سعد بن معاذ فقال يارسول الله أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك وتعود فتشاورهم فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك وكأنك تتخوف أن تتخلف عنك الانصار أنت رسول الله وعليك أنزل الكتاب وقد أمرك الله بالقتال ووعدك النصر والله لا يخلف الميعاد امض لما أمرت به فوالذى بعثك بالحق لا يتخلف عنك رجل من الانصار ثم قام المقداد بن الاسود الكندى فقال يارسول الله انا لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول أقدم فقاتل انا معك مقاتلون ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال ان ربى وعدنى القوم وقد خرجوا فسيروا اليهم فساروا **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال الطائفتان احداهما أبو سفيان بن حرب اذ أقبل بالعير من الشأم والطائفة الاخرى أبو جهل معه نفر من قريش فكره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا أن يلقوا العير وأراد الله ما أراد **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين قال أقبلت عير أهل مكة يريد من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة فساروا السير اليها لا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله وعدهم احدى الطائفتين فكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما فلما سبقت العير وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم فكره القوم مسيرهم لشوكة فى القوم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال أرادوا العير قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ربيع الاول فأغار كرز بن جابر الفهرى يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فركب فى أثره فسبقه كرز بن جابر فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فأقام سنته ثم ان أبا سفيان أقبل من الشأم فى عير لقريش حتى اذا كان قريبا من بدر نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فأوحى اليه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فنفر النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين وهم يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا منهم سبعون ومائتان من الانصار وسائرهم من المهاجرين وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم فبعث الى جميع قريش وهم بمكة فنفرت قريش وغضبت **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال كان جبريل عليه السلام قد نزل فأخبره بمسير قريش وهى تريد عيرها ووعده اما العير واما قريشا وذلك كان ببدر وأخذوا السقاة وسألوهم فأخبروهم فذلك قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم هم أهل مكة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم الى آخر الآية خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر وهم يريدون يعترضون عير القريش قال وخرج الشيطان فى صورة سراقة بن جعشم حتى أتى أهل مكة فاستغواهم وقال ان محمدا وأصحابه قد

للملائكة والمرادانى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وقوله فثبتوا الذين آمنوا فى هذا التثبيت وجوه أحدها انه مفسر لقوله سألقى فاضربوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين وثالثها أن الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق أعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها ازالة الرأس من الجسد وقيل أراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح أحوال الانسان التى يريد أن يقيمها من أبن بالمكان أى أقام به والمراد نفى الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد أن يضربوهم كما شاؤا الأن ما فوق العنق هو الرأس

عرضوا العير كم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس من مثلكم وانى جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد الا هدمنا داره واستبحناه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عينا للقوم فأخبره بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدكم العير أو القوم فكانت العير أحب الى القوم من القوم كان القتال فى الشوكة والعير ليس فيها قتال وذلك قول الله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال الشوكة القتال وغير الشوكة العير حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن ابن أبى حبيب عن أبى عمران عن أبى أيوب قال أنزل الله جل وعز واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم فلما وعدنا احدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا والطائفتان عير أبى سفيان أو قريش حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران الانصارى أحسبه قال قال أبو أيوب واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قالوا الشوكة القوم وغير الشوكة العير فلما وعدنا الله احدى الطائفتين اما العير واما القوم طابت أنفسنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى يعقوب بن محمد قال ثنى غير واحد فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ان الشوكة قريش حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم هى عير أبى سفيان ودّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صرف عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أى الغنيمة دون الحرب وأما قوله أنها لكم ففتحت على تكرير يعد وذلك أن قوله يعدكم الله قد عمل فى احدى الطائفتين فتأويل الكلام واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعدكم أن احدى الطائفتين لكم كما قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة قال وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فأنث ذات لانه مراد بها الطائفة ومعنى الكلام وتودون أن الطائفة التى هى غير ذات الشوكة تكون لكم دون الطائفة ذات الشوكة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ويريد الله أن يحق الاسلام ويعليه بكلماته يقول بأمره اياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار وأنتم تريدون الغنيمة والمال وقوله ويقطع دابر الكافرين يقول يريد أن يجب أصل الجاحدين توحيد الله وقد بينا فيما مضى معنى دابر وأنه المتأخر وأن معنى قطعه الاتيان على الجميع منهم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم هذا خير لكم من العير حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين أى الوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ يقول تعالى ذكره ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والاصنام ويعز الاسلام وذلك هو تحقيق الحق ويبطل الباطل يقول ويبطل عبادة الآلهة والاوثان والكفر ولو كره ذلك الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والاوزار من الكفار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هم المشركون وقيل ان الحق فى هذا الموضع الله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ يقول تعالى ذكره ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم فاذ من صلة يبطل ومعنى قوله تستغيثون ربكم تستجيرون

وهو أشرف الاعضاء والبنان عبارة عن أضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه آخر الضرب اما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان عبارة عن افناء آلات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوّز فى الكشاف أن يكون قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به أى قولوا لهم قول سألقى أو يكون واردا على الاستئناف كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سألقى فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بأنهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم شئ يسير وقد رزر فى جنب ما أعدّ الله لهم ولأمثالهم فى الآجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب أى له والكاف فى ذلك للرسول أو لكل من له أهلية الخطاب وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر

به من عدوكم وتدعونه للنصر عليهم فاستجاب لكم يقول فأجاب دعاءكم بأنى ممدكم بالف من الملائكة يردف بعضهم بعضا ويتلو بعضهم بعضا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار بذلك حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال ثنى سماك الحنفى قال سمعت ابن عباس يقول ثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وعدتهم ونظر الى أصحابه نيفا على ثلثمائة فاستقبل القبلة فجعل يدعو يقول اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه وأخذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فوضع رداءه عليه ثم التزمه من ورائه ثم قال كفاك يا نبى الله بأبى وأمى مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال يارب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض أبدا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ربنا أنزلت على الكتاب وأمرتنى بالقتال ووعدتنى بالنصر ولا تخلف الميعاد فأتاه جبريل عليه السلام فأنزل الله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابن اسحق عن زيد بن نفيع قال كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو يقول اللهم انصر هذه العصابة فانك ان لم تفعل لن تعبد فى الارض قال فقال أبو بكر بعض مناشدتك منجز لك ما وعدك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره فأنزل الله عليه الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اذ تستغيثون ربكم قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تستغيثون ربكم أى بدعائكم حين نظروا الى كثرة عدوهم وقلة عددهم فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح قال لما كان يوم بدر جعل النبى صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النشدة يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يارسول الله بعض نشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك وأما قوله أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين فقد بينا معناه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين يقول المزيد كما تقول ائت الرجل فزده كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أحمد بن بشير عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنى أبى عن سفيان عن هرون بن عنترة عن ابن عباس مثله حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس ممدكم بألف من الملائكة مردفين قال وراء كل ملك ملك حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج بن أرطاة عن قابوس قال سمعت أباظبيان يقول مردفين قال الملائكة

أو العذاب ذلكم أو النصب والتقدير عليكم ذلكم أى الزموه فذوقوه أو هو كقولك زيدا فاضربه قال فى الكشاف وأن للكافرين عطف على ذلكم فى وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب قلت ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أى وان للكافرين عذاب النار حق أو بالعكس أى والحكم والشأن أن للكافرين وفى ذكر الذوق اشارة الى أن عذاب الدنيا شئ قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهرى أصل الزحف هو أن يزحف الصبى على استه قبل أن يقوم شبه بزحف الصبى مشى الطائفتين تتمشى كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى تتدانى للضرب فانتصابه على الحال من الفريقين أى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم ويجوز أن يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيبا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم

بعضهم على اثر بعض قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال مردفين قال بعضهم على أثر بعض حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله مردفين قال يمدون قال ابن جريج عن عبدالله بن كثير قال مردفين الارداف الامداد بهم حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بألف من الملائكة مردفين أى متتابعين حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى بألف من الملائكة مردفين يتبع بعضهم بعضا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مردفين قال المردفين بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بألف من الملائكة مردفين يقول متتابعين يوم بدر واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة مردفين بنصب الدال وقرأ بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين مردفين وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك ويقول فيما ذكر عنه هو من أردف بعضهم بعضا وأنكر هذا القول من قول أبى عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال انما الارداف أن يحمل الرجل صاحبه خلفه قال ولم يسمع هذا فى نعت الملائكة يوم بدر واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى ذلك اذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها فقال بعض البصريين والكوفيين معنى ذلك اذا قرئ بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال أردفته وقالوا العرب تقول أردفته وردفته بمعنى تبعته وأتبعته واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر

اذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا

قالوا فقال الشاعر أردفت وانما أراد ردفت جاءت بعدها لان الجوزاء تجىء بعد الثريا وقالوا معناه اذا قرئ مردفين أنه مفعول بهم كأن معناه بألف من الملائكة يردف الله بعضهم بعضا وقال آخرون معنى ذلك اذا كسرت الدال أردفت الملائكة بعضها بعضا واذا قرئ بفتحها أردف الله المسلمين بهم * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال لاجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين ففى اجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال بمعنى أردف بعض الملائكة بعضا ومسموع من العرب جئت مردفا لفلان أى جئت بعده وأما قول من قال معنى ذلك اذا قرئ مردفين بفتح الدال أن الله أردف المسلمين بهم فقول لا معنى له اذ الذكر الذى فى مردفين من الملائكة دون المؤمنين وانما معنى الكلام أن يمدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعض ثم حذف ذكر الفاعل وأخرج الخبر غير مسمى فاعله فقيل مردفين بمعنى مردف بعض الملائكة ببعض ولو كان الامر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون فى المردفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى وهى ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبدالله بن يزيد مردفين ومردفين ومردفين مثقل على معنى مرتدفين حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنى عبدالعزيز بن عمران عن الربعى عن أبى الحويرث عن محمد ابن جبير عن على رضى الله عنه قال نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضى الله عنه ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم وأنا فيها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن

للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالتى المداناة والمساواة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون أى اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم أو هو تقدمة نهى عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وفى قوله ومن يولهم يومئذ دبره أمارة عليه ثم بين أن الانهزام محرم الا فى حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل الى عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب أو متحيزا أى منحازا الى فئة الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من أعم الاحوال ووجه صحته مع أنه ليس فى الكلام نفى ظاهرا هو أنه فى معنى النفى كأنه قيل ومن لا يقدم أولا يعطف عليهم فى حال من الاحوال الا فى حال التحرف أو التحيز ويجوز أن يكون الاستثناء تاما على أن الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا ووزن متحيزا متفيعل لانه من حاز يحوز فعل به ما فعل بأيام ولو كان

به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لم يجعل الله ارداف الملائكة بعضها بعضا وتتابعها بالمصير اليكم أيها المؤمنون مددا لكم الا بشرى لكم أى بشارة لكم تبشركم بنصر الله اياكم على أعدائكم ولتطمئن به قلوبكم يقول ولتسكن قلوبكم بمجيئها اليكم وتوقن بنصر الله لكم وما النصر الا من عند الله يقول وما تنصرون على عدوكم أيها المؤمنون الا أن ينصركم الله عليهم لا بشدة بأسكم وقواكم بل بنصر الله لكم لأن ذلك بيده واليه ينصر من يشاء من خلقه ان الله عزيز حكيم يقول ان الله الذى ينصركم وبيده نصركم من يشاء من خلقه عزيز لا يقهره شئ ولا يغلبه غالب بل يقهر كل شئ ويغلبه لانه خلقه حكيم يقول حكيم فى تدبيره ونصره من نصر وخذلانه من خذل من خلقه لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل وروى عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فى ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول ما مد النبى صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين وذكر الثلاثة والخمسة بشرى ما مدوا بأكثر من هذه الالف الذى ذكر الله عز وجل فى الانفال وأما الثلاثة والخمسة فكانت بشرى وقد أتينا على ذلك فى سورة آل عمران بما فيه الكفاية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ يقول تعالى ذكره ولتطمئن به قلوبكم اذ يغشيكم النعاس ويعنى بقوله يغشيكم النعاس يلقى عليكم النعاس أمنة يقول أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وكذلك النعاس فى الحرب أمنة من الله عز وجل **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله قال النعاس فى القتال أمنة من الله عز وجل وفى الصلاة من الشيطان **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى فى قوله يغشاكم النعاس أمنة منه عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه قال قال عبد الله فذكر مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه والأمنة مصدر من قول القائل أمنت من كذا أمنة وأمانا وأمنا وكل ذلك بمعنى واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمنة منه أمانا من الله عز وجل قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمنة قال أمنا من الله **حدثنى** يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه قال أنزل الله عز وجل النعاس أمنة من الخوف الذى أصابهم يوم أحد فقرأ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا واختلفت القراء فى قراءة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة يغشيكم النعاس بضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس من أغشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأته عامة قراء الكوفيين يغشيكم بضم الياء وتشديد الشين من غشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين يغشاكم النعاس بفتح الياء ورفع النعاس بمعنى غشيهم النعاس فهو يغشاهم واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله فى آل عمران يغشى طائفة * وأولى ذلك بالصواب اذ يغشيكم على ما ذكرت من قراءة الكوفيين لاجماع جميع القراء على قراءة قوله وينزل عليكم من السماء ماء بتوجيه ذلك الى انه من فعل الله عز وجل فكذلك الواجب أن يكون كذلك يغشيكم اذ كان قوله وينزل عطفا على يغشى ليكون الكلام متسقا على نحو واحد وأما قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان ذلك مطر

متفعلا لقيل متحوزا عن ابن عمر خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم والعكرة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف فى غيرها تين الصورتين من أكبر الكبائر واحتج القاضى بالآية على القطع بوعيد الفساق من أهل الصلاة وأجيب بأنه مشروط بعدم العفو وعن أبى سعيد الخدرى والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان أول جهاده فناسب التشديد ولهذا منع من أخذ الفداء وأكثر المفسرين على أنه عام فى جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال أكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر وكان القائل يقول قتلت وأسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط

أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم لانهم كانوا أصبحوا يومئذ مجنبين على غير ماء فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا وكان الشيطان قد وسوس اليهم بما حزنهم به من اصباحهم مجنبين على غير ماء فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم وتثبيته بذلك المطر أقدامهم لانهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة هشاء فلبدها المطر حتى صارت الاقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم و بمثل الذى قلنا تتابعت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة عن على رضى الله عنه قال أصابنا من الليل طش من المطر يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر و بات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فلما أن طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث وأبو خالد عن داود عن سعيد بن المسيب ماء ليطهركم به قال طش يوم بدر حدثنى الحسن بن يزيد قال ثنا حفص عن داود عن سعيد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبى عدى وعبد الاعلى عن داود عن الشعبى وسعيد بن المسيب قالا طش يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى وسعيد بن المسيب فى هذه الآية ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به و يذهب عنكم رجز الشيطان قالا طش كان يوم بدر فثبت الله به الأقدام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الآية ذكر لنا أنهم مطروا يومئذ حتى سال الوادى ماء واقتتلوا على كثيب أعفر فلبده الله بالماء وشرب المسلمون وتوضؤا وسقوا وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال نزل النبى صلى الله عليه وسلم يعنى حين سار الى بدر والمسلمون بينهم و بين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ فوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وأمد الله نبيه بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل فى خمسمائة مجنبة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله و يثبت به الاقدام وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير و يقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاظم ذلك فى صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى فشرب المسلمون وملؤا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فجعل الله فى ذلك طهورا وثبت الاقدام وذلك أنه كانت بينهم و بين القوم رملة فبعث الله عليها المطر فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الاقدام حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فسبقهم المشركون الى ماء بدر فنزلوا عليه وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر فانطلقوا قال فنزلوا على أعلى الوادى ونزل محمد صلى الله عليه وسلم

عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى أعطنى قبضة من حصباء الوادى فأعطاه فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت اذ رميت أى وما رميت أنت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى أثبت الرمية للرسول صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه عليه السلام ونفاها عنه لان أثرها فوق حد تأثير القوى البشرية قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت فى طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحصباء فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال أقبل أبى بن خلف يوم أحد الى النبى صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله فاستقبله مصعب ابن عمير أخو بنى عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى من فرجة بين سابغة البيضة

في أسفله فكان الرجل من أصحاب محمد عليه السلام يجنب فلا يقدر على الماء فيصلي جنبا فألقى الشيطان في قلوبهم فقال كيف ترجون أن تظهروا عليهم وأحدكم يقوم الى الصلاة جنبا على غير وضوء قال فأرسل الله عليهم المطر فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا واشتدت لهم الارض وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم فاشتدت لهم من المطر واشتدوا عليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمئ المسلمون وصلوا مجنبين محدثين وكانت بينهم رمال فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن فقال تزعمون أن فيكم نبيا وانكم أولياء الله وقد غلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين قال فأنزل الله ماء من السماء فسال كل واد فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم وذهبت وسوسة الشيطان **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ماء ليطهركم به قال المطر أنزله عليهم قبل النعاس رجز الشيطان قال وسوسته قال فأطفأ بالمطر الغبار والتبدت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به أنزله عليهم قبل النعاس طبق بالمطر الغبار ولبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به الاقدام **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به قال القطر ويذهب عنكم رجز الشيطان وساوسه أطفأ بالمطر الغبار ولبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد رجز الشيطان وسوسته **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر وليذهب عنكم رجز الشيطان الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله ويثبت به الاقدام ان المشركين نزلوا بالماء يوم بدر وغلبوا المسلمين عليه فأصاب المسلمين الظمأ وصلوا محدثين مجنبين فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ووسوس فيها انكم تزعمون أنكم أولياء الله وان محمدا نبي الله وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين فأمطر الله السماء حتى سال كل واد فشرب المسلمون وملؤا أسقيتهم وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة وثبت الله به الاقدام وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ولا يمشي فيها الماشي الا بجهد فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الاقدام **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يغشاكم النعاس أمنة منه أي أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة فحبس المشركون أن يسبقوا الى الماء وخلى سبيل المؤمنين اليه ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ليذهب عنهم شك الشيطان بتخويفه اياهم عدوهم واستجلادا لارض لهم حتى انتهوا الى منزلهم الذي سبق اليه عدوهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة وقيامهم يصلون بغير وضوء فقال اذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام حتى تشتدون على الرمل وهو كهيئة الارض **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبي هند قال قال رجل عند

والدرع فطعنه بحربته فسقط أبي من فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما أجزك انما هو خدش فقال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين فمات أبي الى النار قبل أن يقدم مكة فأنزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فأقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو على فراشه وأصح الاقوال هو الاول كيلا يدخل في أثناء القصة كلام أجنبي نعم لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطهم عطاء جميلا فعل ما فعل وما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا أن المفسرين أجمعوا على أن معنى البلاء ههنا النعمة والا لكان يحتمل المحنة أي الذي فعله تعالى يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض أي الغرض ذلكم وان

سعيد بن المسيب وقال مرة قرأ و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم بها فقال سعيد انما هي وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال وقال الشعبي كان ذلك طشا يوم بدر وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة أن مجاز قوله و يثبت به الاقدام و يفرغ عليهم الصبر و ينزله عليهم فيثبتون لعدوهم وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين وحسب قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا وقد بينا أقوالهم فيه وأن معناه و يثبت أقدام المؤمنين بتليبد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم وأما قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم أنصركم فثبتوا الذين آمنوا يقول قووا عزمهم وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين وقد قيل ان تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم وقيل كان ذلك معونتهم اياهم بقتال أعدائهم وقيل كان ذلك بأن الملك يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم قالوا وذلك كان وحي الله الى ملائكته وأما ابن اسحق فانه قال بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فثبتوا الذين آمنوا أي فآزروا الذين آمنوا

القول في تأويل قوله ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ يقول تعالى ذكره سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم وأملؤها فرقا حتى ينهزموا عنكم فاضربوا فوق الاعناق واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فوق الاعناق فقال بعضهم معناه فاضربوا الاعناق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية فاضربوا فوق الاعناق قال اضربوا الاعناق قال ثنا أبي عن المسعودي عن القاسم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أبعث لأعذب بعذاب الله انما بعثت لضرب الأعناق وشد الوثاق حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاضربوا فوق الاعناق يقول اضربوا الرقاب واحتج قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول رأيت نفس فلان بعيني رأيته قالوا فكذلك قوله فاضربوا فوق الاعناق انما معناه فاضربوا الاعناق وقال آخرون بل معنى ذلك فاضربوا الرؤس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال وحدثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فاضربوا فوق الاعناق قال الرؤس واعتل قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الاعناق الرؤس قالوا وغير جائز أن تقول فوق الاعناق فيكون معناه الاعناق قالوا ولو جاز ذلك كان أن يقال تحت الاعناق فيكون معناه الاعناق قالوا وذلك خلاف المعقول من الخطاب وقلب معاني الكلام وقال آخرون معنى ذلك فاضربوا على الاعناق وقالوا على وفوق معناهما متقاربان فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف أن يضربوا فوق الاعناق منهم والأيدي والأرجل وقوله فوق الاعناق محتمل أن يكون مرادا به الرؤس ومحتمل أن يكون مرادا به فوق جلدة الاعناق فيكون معناه على الاعناق واذا احتمل ذلك صح قول من قال معناه الاعناق واذا كان الامر محتملا ما ذكرنا من التأويل لم يكن لنا أن نوجهه الى بعض معانيه دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة تدل على خصوصه فالواجب أن يقال ان الله أمر بضرب رؤس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرا وأما قوله واضربوا منهم كل بنان فان معناه واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم والبنان جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين ومن ذلك قول الشاعر

الا

الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله وأن للكافرين عذاب النار قال ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول اني قد أوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم وأسرت أشرافهم قال السدي والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين فأنزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا و بينه بالحق فنزلت وروى أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أجفر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل انه خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا أي عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وأسلم وان تعودوا للمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم أن يكون الخطاب في الجميع للمومنين أي ان تكفوا عن المنازعة في أمر القتال أو عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا

ألا ليتني قطعت منه بنانة * ولاقيته في البيت يقظان حاذرا

يعني بالبنانة واحدة البنان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال كل مفصل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال المفاصل قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك واضربوا منهم كل بنان قال كل مفصل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسن عن يزيد عن عكرمة واضربوا منهم كل بنان قال الاطراف وبقال كل مفصل حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واضربوا منهم كل بنان يعني بالبنان الاطراف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واضربوا منهم كل بنان قال الاطراف حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله واضربوا منهم كل بنان يعني الاطراف

القول في تأويل قوله ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك بأنهم هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الاعناق وضرب كل بنان منهم جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله وعقاب لهم عليه ومعنى قوله شاقوا الله ورسوله فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما وأطاعوا أمر الشيطان ومعنى قوله ومن يشاقق الله ورسوله ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله وفارق طاعتهما فان الله شديد العقاب له وشدة عقابه له في الدنيا احلاله به ما كان يحل بأعدائه من النقم وفي الآخرة الخلود في نار جهنم وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها

القول في تأويل قوله ﴿ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾ يقول تعالى ذكره هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون الله ورسوله في الدنيا من الضرب فوق الاعناق منكم وضرب كل بنان بأيدي أوليائي المؤمنين فذوقوه عاجلا واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار ولفتح أن من قوله وأن للكافرين من الاعراب وجهان أحدهما الرفع والآخر النصب فأما الرفع فبمعنى ذلكم فذوقوه ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير ذلكم كأنه قيل ذلكم الامر وهذا وأما النصب فمن وجهين أحدهما ذلكم فذوقوه واعلموا أو ووأ يقنوا أن للكافرين فيكون نصبه بنية فعل مضمر قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغا * متقلدا سيفا ورمحا

بمعنى وحاملا رمحا والآخر بمعنى ذلكم فذوقوه وبأن للكافرين عذاب النار ثم حذفت الباء فنصبت

القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ يعني تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم الذين كفروا في القتال زحفا يقول متزاحفا بعضكم الى بعض والتزاحف التداني والتقارب فلا تولوهم الادبار يقول فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم فان الله معكم عليهم ومن يولهم يومئذ دبره يقول ومن يولهم منكم ظهره الا متحرفا للقتال يقول الا مستطردا للقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه اصابتها فيكر عليه أو متحيزا الى فئة أو الا أن يوليهم ظهره متحيزا الى فئة يقول صائرا الى حيز المؤمنين الذين يفيؤون به معهم اليهم لقتالهم ويرجعون به معهم اليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة قال المتحرف المتقدم من أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها قال والمتحيز الفار الى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكذلك من فر اليوم الى أميره أو أصحابه قال

الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الآية بقوله وان الله مع المؤمنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك ﴿التأويل﴾ اذ يغشاكم النعاس أمنة فيه تغليب الحال الى ضده بأمر التكوين كما قال للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن أمنا على محمد وأصحابه فكان ويترل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام الرباني ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب اني معكم فثبتوا فيه أن التثبيت من الله لا من غيره وكذلك القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فتقعوا عن صراط الطلب الا متحرفا الا قلبا يتحرف لبتهيأ لاسباب القتال مع النفس أو راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها أو الى ولاية الشيخ أو الى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم

الضحاك وانما هذا وعيد من الله لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفروا وانما كان النبي عليه الصلاة والسلام فئتهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا القتال أو متحيزا الى فئة أما المتحرف يقول الا مستطردا يريد العودة أو متحيزا الى فئة قال المتحيز الى الامام وجنده ان هو كر فلم يكن له بهم طاقة ولا يعذر الناس وان كثروا أن يولوا عن الامام واختلف أهل العلم في حكم قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا القتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم هل هو خاص في أهل بدر أم هو في المؤمنين جميعا فقال قوم هو لأهل بدر خاصة لانه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه فأما اليوم فلهم الانهزام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة في قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره قال ذاك يوم بدر ولم يكن لهم أن ينحازوا ولو انحاز أحد لم ينحز الا الى قال أبو موسى يعني الى المشركين حدثنا اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره ثم ذكر نحوه الا أنه قال ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولم يكن يومئذ مسلم في الارض غيرهم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن مفضل قال ثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال نزلت في يوم بدر ومن يولهم يومئذ دبره حدثنا ابن المثنى وعلي بن مسلم الطوسي قال ابن المثنى ثني عبد الصمد وقال علي ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن داود يعني ابن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد ومن يولهم يومئذ دبره قال يوم بدر قال أبو موسى حدثت أن في كتاب غندر هذا الحديث عن داود عن الشعبي عن أبي سعيد حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال انما كان ذلك يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة ومن يولهم يومئذ دبره قال هذه نزلت في أهل بدر حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره أكان ذلك اليوم أم هو بعد قال وكتب الي انما كان ذلك يوم بدر حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد عن سفيان عن جويبر عن الضحاك قال انما كان الفرار يوم بدر ولم يكن لهم ملجأ يلجؤن اليه فأما اليوم فليس فرار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة ليس الفرار من الزحف من الكبائر قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن الضحاك ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة قال ثنا روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال نزلت في أهل بدر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلكم يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر فأما اليوم فان انحاز الى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس به حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن عون قال كتبت الى نافع ومن يولهم يومئذ دبره قال انما هذا يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة قال ثني يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله لمن فر يوم بدر النار قال ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا القتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان حنين بعد ذلك بسبع سنين فقال ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء

نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأحاله الى نفسه فقال ولكن ولم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة وكأن يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى ويبلي المؤمنين منه فيجتهدوا في متابعته الى أن يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا أي تفتحوا أبواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وتركك ماسوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فانه تعالى متجل في ذاته أزلا وأبدا فلا تغير له وانما التغير في أحوال الخلق فهم عند انغلاق أبواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح أبوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكالكم ونكلكم الى أنفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم لا يقوم شئ من الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شئ مما أعد لأهل الله وخاصته ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين

حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن محمد أن عمر رضى الله عنه بلغه قتل أبى عبيد فقال لو تحيزا الى لكنت له فئة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن جرير ابن حازم قال ثنى قيس بن سعيد قال سألت عطاء بن أبى رباح عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره قال هذه منسوخة بالآية التى فى الانفال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قال وليس لقوم أن يفروا من مثليهم قال ونسخت تلك الا هذه العدة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمان التيمى عن أبى عثمان قال لما قتل أبو عبيد جاء الخبر الى عمر فقال يا أيها الناس أنا فئتكم قال ابن المبارك عن معمر وسفيان الثورى وابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قال عمر رضى الله عنه أنا فئة كل مسلم * وقال آخرون بل هذه الآية حكمها عام فى كل من ولى الدبر عن العدو منهزما ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الشرك بالله والفرار من الزحف لان الله عز وجل يقول ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * وأولى التأويلين فى هذه الآية بالصواب عندى قول من قال حكمها محكم وانها نزلت فى أهل بدر وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين وان الله حرم على المؤمنين اذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين الا لتحرف لقتال أو لتحيز الى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الاسلام وان من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما بغير نية احدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده الا أن يتفضل عليه بعفوه وانما قلنا هى محكمة غير منسوخة لما قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ وله فى غير النسخ وجه الا بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وأما قوله فقد باء بغضب من الله يقول فقد رجع بغضب من الله ومأواه جهنم يقول ومصيره الذى يصير اليه فى معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير يقول وبئس الموضع الذى يصير اليه ذلك المصير ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ولكن الله قتلهم وأضاف جل ثناؤه قتلهم الى نفسه ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين اذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم وعن أمره كان قتال المؤمنين اياهم ففى ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله فى أفعال خلقه صنع به وصلوا اليها وكذلك قوله لنبيه عليه السلام وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فأضاف الرمى الى نبى الله ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه أنه هو الرامى اذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمى به الى الذين رموا به من المشركين والمسبب الرمية لرسوله فيقال للمسلمين ما ذكرنا قد علمتم اضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين الى نفسه بعد وصفه نبيه به واضافته اليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والارسال فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله الانشاء والانجاز بالتسبيب ومن الخلق الاكتساب بالقوى فلن يقولوا فى أحدهما قولا الا ألزموا فى الآخر مثله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فلم تقتلوهم لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال هذا قتلت

آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾

القرآن ولا تولوا بالادغام البزى وابن فليح ﴿ الوقوف تسمعون ج للآية وللعطف لا يسمعون ○ لا يعقلون ○ لاسمعهم ط معرضون ○ لما يحييكم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الظرف تحشرون ○ خاصة ج لمن العقاب ○ تشكرون ○ تعلمون ○ فتنة لا للعطف عظيم ○ ويغفر لكم ط العظيم ○ أو يخرجوك ط

وهذا قتلت ومارميت اذ رميت قال لمحمد حين حصب الكفار **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى قال رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة قال ما وقع منها شئ الا في عين رجل **حدثنا** عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة قال لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال هذه مصارعهم ووجد المشركون النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه ونزل عليه فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فلما أقبلوا استقبلهم فشا في وجوههم فهزمهم الله عز وجل **حدثنا** أحمد بن منصور قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران قال ثنا موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن زمعة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حكيم ابن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالا لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى الآية الى ان الله سميع عليم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومارميت اذ رميت الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها وجوه الكفار فهزموا عند الحجر الثالث **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلي رضي الله عنه أعطني حصا من الارض فناوله حصى عليه تراب فرمى به وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شئ ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فذكر رمية النبي صلى الله عليه وسلم فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قول الله عز وجل ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال يارب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد الا أصاب عينيه ومنخريه وفيه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال الله عز وجل في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رماهم ولكن الله رمى أي لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمتهم وروى عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الاقوال وهو ما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري ومارميت اذ رميت قال جاء أبي

ابن

وعكر الله ط الماكرين ٥ *

(التفسير) انه سبحانه بعد ذكر نحو من قصة بدر والغنائم أدب المؤمنين أحسن تأديب فأمرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لأن التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته في الجهاد أولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان وجوز أن يرجع الى الامر بالطاعة أي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأنتم تسمعون لم يبين أنهم ماذا يسمعون الا انه يعلم من مساق الكلام في السورة أن المراد وأنتم تسمعون دعاءه الى الجهاد أو المراد وأنتم تسمعون الامر المذكور أو وأنتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه أن يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد أن يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم أكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب أي ان شر من يدب على الارض أو ان

ابن خلف الجمحي الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال الله محيي هذا يا محمد وهو رميم وهو يفت العظم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم يميتك ثم يدخلك النار قال فلما كان يوم أحد قال والله لأقتلن محمدا اذا رأيته فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله وأما قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا فان معناه ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر باعدائهم ويغنمهم مامعهم ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك البلاء الحسن رمى الله هؤلاء المشركين ويعني بالبلاء الحسن النعمة الحسنة الجميلة وهي ماوصفت ومافي معناه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال في قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا أي ليعرف المؤمنين من نعمه عليهم في اظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته وقوله ان الله سميع عليم يعني ان الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ومناشدته ربه ومسئلته اياه اهلاك عدوه وعدوكم ولقيلكم وقيل جميع خلقه عليم بذلك كله وبما فيه صلاح حكم وصلاح عباده وغير ذلك من الاشياء محيط به فاتقوه وأطيعوا أمره وأمر رسوله ﴿القول في تأويل قوله ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ذلكم هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وامكانهم من قتلهم وأسرهم فعلنا الذي فعلنا وأن الله موهن كيد الكافرين يقول واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين يعني مكرهم حتى يذلوا وينقادوا للحق ويهلكوا وفي فتح أن من الوجوه مافي قوله ذلكم فذوقوه وأن للكافرين وقد بينته هنالك وقد اختلفت القراء في قراءة قوله موهن فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين موهن بالتشديد من وهنت الشئ ضعفته وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين موهن من أوهنته فأنا موهنه بمعنى أضعفته والتشديد في ذلك أعجب الي لان الله تعالى كان ينقض مايبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عقدا بعد عقد وشيأ بعد شئ وان كان الآخر وجها صحيحا ﴿القول في تأويل قوله ﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد وان تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدران تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم وأظلم الفئتين وتستنصروه عليه فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظالم والمحق على المبطل وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء قال ثنا سويد بن عمرو الكلبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني بذلك المشركين ان تستنصروا فقد جاءكم المدد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا قال ان تستقضوا القضاء وانه كان يقول وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيأ قلت للمشركين قال لا نعلم الا ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال كفار قريش في قولهم ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه ففتح بينهم يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن

شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا أنه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم أضل ومعنى عند الله أي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم أي في هؤلاء الصم البكم خيرا لأسمعهم عن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وروى أنهم سألوا النبي أن يحيي لهم قصي ابن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لأحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم أنهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وأنهم لو أسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولأعرضوا عنه على عادتهم المستمرة * واعلم أن معلومات الله تعالى على أربعة أقسام جملة الموجودات وجملة

معمر عن الزهري ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل فقال اللهم يعني محمدا ونفسه أينا كان أفجر لك اللهم وأقطع للرحم فأحنه اليوم قال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح

حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل بن هشام فقال اللهم أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه اليوم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه قال الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح فضربه ابنا عفراء عوف ومعوذ وأجهز عليه ابن مسعود حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوي حليف بني زهرة أن المستفتح يومئذ أبو جهل وأنه قال حين التقى القوم أينا أقطع للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله في ذلك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية يقول قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال كان المشركون حين خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول نصرت ما قلتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وأن الله مع المؤمنين وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيرهم وان أهل العير أبا سفيان وأصحابه أرسلوا الى المشركين بمكة يستنصرونهم فقال أبو جهل أينا كان خيرا عنده فانصره وهو قوله ان تستفتحوا يقول تستنصروا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستفتحوا العذاب فعذبوا يوم بدر قال وكان استفتاحهم بمكة قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال فجاءهم العذاب يوم بدر وأخبر عن يوم أحد وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية قال قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أهدى الفئتين وخير الفئتين وأفضل فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهري ان أبا جهل هو الذي استفتح يوم بدر وقال اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ثنا يزيد بن هرون عن ابن اسحق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أقطعنا لرحمه وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة وكان ذلك استفتاحا منه فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية قال ثنا يحيى بن آدم عن ابراهيم بن سعد عن صالح ابن كيسان عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله ابن ثعلبة بن صعير حليف بني زهرة قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه قال ابن اسحق فقال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح لقول أبي جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة قال الاستفتاح الانصاف في الدعاء حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان وغيره قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أحب الدينين اليك دينا

المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا فكيف يكون حاله والأولان علم بالواقع والآخران الباقيان علم بالمقدور ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لأسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وأورد على الآية أنها على صورة قياس شرطي فاذا حذفنا الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا التولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشئ لانتفاء غيره فيكون التولي منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخيرات فأول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم وآخره يقتضي حصول الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من أن الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهم والزام القبول والمراد بالاسماع الثاني صورة الاسماع فحسب وأيضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذا لا تعلق لاحدى الجملتين

العتيق أم دينهم الحديث فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وان الله مع المؤمنين وأما قوله وان تنتهوا فهو خير لكم فانه يقول وان تنتهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به فهو خير لكم فى دنياكم وآخرتكم وان تعودوا نعد يقول وان تعودوا الحرب وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين نعد أى بمثل الواقعة التى أوقعت بكم يوم بدر وقوله ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت يقول وان تعودوا نعد لهلاككم بايدى أوليائى وهزيمتكم ولن تغنى عنكم عند عودى لقتلكم بأيديهم وسبيكم وهزمكم فئتكم شيأ ولو كثرت يعنى جندهم وجماعتهم من المشركين كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين شيأ وان الله مع المؤمنين يقول جل ذكره وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم ينصرهم عليهم أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله وان تنتهوا فهو خير لكم قال يقول لقريش وان تعودوا نعد لمثل الوقعة التى أصابتكم يوم بدر ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين أى وان كثر عددكم فى أنفسكم لن يغنى عنكم شيأ وان الله مع المؤمنين ينصرهم على من خالفهم وقد قيل ان معنى قوله وان تعودوا نعد وان تعودوا للاستفتاح نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا معنى له لان الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له فى حرب أعدائه اظهار دينه واعلاء كلمته من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه فلا وجه لأن يقال والامر كذلك ان تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم وان تعودوا نعد لان الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير استفتح المشركون أو لم يستفتحوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان تعودوا نعد ان تستفتحوا الثانية نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المومنين محمد وأصحابه واختلفت القراء فى قراءة قوله وان الله مع المؤمنين ففتحها عامة قراء أهل المدينة بمعنى ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين فعطف بأن على موضع ولو كثرت كأنه قال لكثرتها ولان الله مع المؤمنين ويكون موضع أن حينئذ نصبا على هذا القول وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها اذا فتحت على وان الله موهن كيد الكافرين وان الله مع المؤمنين عطفا بالاخرى على الاولى وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وان الله بكسر الالف على الابتداء واعتلوا بانها فى قراءة عبد الله وان الله لمع المؤمنين وأولى القراءتين بالصواب قراءة من كسر ان للابتداء لتقضى الخبر قبل ذلك عما يقضى قوله وان الله مع المؤمنين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ولا تولوا عنه يقول ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفين أمره ونهيه وأنتم تسمعون أمره اياكم ونهيه وأنتم به مؤمنون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون انكم مؤمنون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أيها المؤمنون فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين اذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا قد

بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالآية على أن صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد أخبر أنهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال فى الكشاف لو علم الله فيهم خيرا أى انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين أدبا آخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على باب أبى بن كعب فناداه وهو فى الصلاة فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعونى الا أجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر على أن ظاهر الامر للوجوب والافلم يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير

سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون يقول وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به لاعراضهم عنه وتركهم أن يوعوه قلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وان كانوا قد سمعوها بآذانهم بمنزلة من لم يسمعها يقول جل ثناؤه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أنتم في الاعراض عن أمر رسول الله وترك الانتهاء اليه وأنتم تسمعونه بآذانكم كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم ويقولون قد سمعناوهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون كمن لم يسمعها وكان ابن اسحق يقول في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون المعصية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وهم لا يسمعون قال عاصون حدثني المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وللذي قال ابن اسحق وجه ولكن قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في سياق قصص المشركين ويتلوه الخبر عنهم بذمهم وهو قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعظوا به وينكصون عنه ان نطقوا به الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بهما أبدانهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان شر الدواب عند الله قال الدواب الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج عن عكرمة قال وكانوا يقولون انا صم بكم عما يدعو اليه محمد لا نسمعه منه ولا نجيبه به تصديقا فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الصم البكم الذين لا يعقلون قال الذين لا يتبعون الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وليس بالاصم في الدنيا ولا بالابكم ولكن صم القلوب وبكمها وعميها وقرأ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور واختلف فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها نفر من المشركين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس الصم البكم الذين لا يعقلون نفر من بني عبد الدار لا يتبعون الحق قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الصم البكم الذين لا يعقلون قال لا يتبعون الحق قال قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وقال آخرون عنى بها المنافقون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس وانه عنى بهذه الآية مشركو قريش لانها في سياق الخبر عنهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفي معناها فقال بعضهم عنى بها المشركون وقال معناها أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به لان الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال

واذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته ثم الاحياء لا يمكن أن يحمل على نفس الحياة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حياة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت أي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي به الحياة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان وهن أحد العدوين سبب حياة الآخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحياة الدائمة لقوله بل أحياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحياة الطيبة كما قال فلنحيينه حياة طيبة واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من أسعده الله والشقي من أضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعي والعقائد حسبما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء

ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لقالوا ائت بقرآن غير هذا ولقالوا لولا اجتبيتها ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم معرضون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون قال لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك ولتولوا وهم معرضون و حدثنى به مرة أخرى فقال لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بانهم لا ينتفعون به وقال آخرون بل عنى بها المنافقون قالوا ومعناه ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم لأنفذ لهم قولهم الذى قالوه بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون فأوفوا لكم بشر مما خرجوا عليه * وأولى القولين فى تأويل ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة وان ذلك ليس من صفة المنافقين فتأويل الآية اذا ولو علم الله فى هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله حجته منه ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا التولوا عن الله وعن رسوله وهم معرضون عن الايمان بما دلهم على حقيقته مواعظ الله وعبره وحجه معاندون للحق بعد العلم به ﴿القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله اذا دعاكم لما يحييكم فقال بعضهم معناه استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم للايمان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أما يحييكم فهو الاسلام أحياهم بعد موتهم بعد كفرهم وقال آخرون للحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لما يحييكم قال الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذا دعاكم لما يحييكم قال الحق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال للحق وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى ما فى القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال هو هذا القرآن فيه الحياة والعصمة فى الدنيا والآخرة وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى الحرب وجهاد العدو ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم أى للحرب الذى أعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق وذلك أن ذلك اذا كان معناه كان داخلا فيه الامر باجابتهم لقتال العدو والجهاد والاجابة اذا دعاكم الى حكم القرآن وفى الاجابة الى كل ذلك حياة لمجيب أما فى الدنيا فيقال الذكر الجميل وذلك له فيه حياة وأما فى الآخرة فحياة الابد فى الجنان والخلود فيها وأما قول من قال معناه الاسلام فقول لا معنى له لان الله قد وصفهم بالايمان بقوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول اذا دعاك الى الاسلام والايمان وبعد ففيما حدثنا

جميع الاسباب اليه ثم ختم الآية بقوله وانه اليه تحشرون ليعلم أنهم مع كونهم مجبورين خلقوا مثابين معاقبين اما للجنة واما للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز وأمر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وأنه تعالى أمر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم تكن الاجابة ممكنة فكيف يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لانه عليهم فاذا لا يمكن حمل الآية على ما قاله أهل الجبر فتأويلها ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه أى وان الشأن أو الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت أو انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية للشئ باسم محله فكأنه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل أو المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون فى قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالأمن خوفا وبالخوف أمنا وبالذكر

أحمد بن المقدام العجلى قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى وهو يصلى فدعاه أى أبى فالتفت اليه أبى ولم يجبه ثم ان أبيا خفف الصلاة ثم انصرف الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أى رسول الله قال وعليك مامنعك اذ دعوتك أن تجيبنى قال يارسول الله كنت أصلى قال أفلم تجد فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى يارسول الله لا أعود **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى وهو قائم يصلى فصرخ به فلم يجبه ثم جاء فقال يا أبى مامنعك أن تجيبنى اذ دعوتك أليس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أبى لا جرم يارسول الله لا تدعونى الا أجبت وان كنت أصلى مايبين عن أن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مافيه حياتهم باجابتهم اليه من الحق بعد اسلامهم لان أبيا لا شك انه كان مسلما فى الوقت الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم ماذكرنا فى هذين الخبرين ﴿القول فى تأويل قوله﴾ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ﴿اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه يحول بين الكافر والايمان وبين المؤمن والكفر ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازى عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه قال بين الكافر أن يؤمن وبين المؤمن أن يكفر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد قالا ثنا سفيان وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرازق قال ثنا الثورى عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازى عن سعيد بن جبير بنحوه **حدثنى** أبو زائدة زكريا بن أبى زائدة قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير مثله **حدثنى** أبو السائب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن المنهال عن سعيد ابن جبير يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه يحول بين الكافر والايمان وطاعة الله قال ثنا حفص عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان وعبد العزيز ابن أبى رواد عن الضحاك فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وطاعته وبين المؤمن ومعصيته **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى روق عن الضحاك بن مزاحم بنحوه قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال يحول بين المرء وبين أن يكفر وبين الكافر وبين أن يؤمن **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد العزيز بن أبى رواد عن الضحاك ابن مزاحم يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وبين طاعة الله وبين المؤمن ومعصية الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا ابن أبى رواد عن الضحاك بنحوه وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فذكر نحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن منهال قال ثنا المعتمر ابن سليمان قال سمعت عبد العزيز بن أبى رواد يحدث عن الضحاك بن مزاحم فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن ومعصيته **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين المؤمن وبين الكفر

ويحول

تسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأما مايثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وأنتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التى عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على أنه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وأن قربه من عبده أشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين أظهرهم وقوله لا تصيبن اما أن يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهى كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت قلت لا تطرحنك وعلى هذا من فى منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان أصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية أو لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما أن يكون نهيا بعد أمر ومن

ويحول بين الكافر وبين الايمان **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته ويحول بين المؤمن وبين معصيته **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان قال ثنا أبى عن ابن أبى روّاد عن الضحاك يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته وبين المؤمن وبين معصيته قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه يحول بين المؤمن والمعاصى وبين الكافر والايمان قال ثنا عبيدة عن اسمعيل عن أبى صالح يحول بين المرء وقلبه قال يحول بينه وبين المعاصى * وقال آخرون بل معنى ذلك يحول بين المرء وعقله فلا يدرى ما يعمل ذكر من قال ذلك **حدثنا** عبيد الله بن محمد الفريابى قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المرء وعقله **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال هى يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله عن حميد عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال اذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين قلب الكافر وأن يعمل خيرا وقال آخرون معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على ايمان أو كفر الا باذنه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر الا باذنه * وقال آخرون معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شئ أظهره أو أسره ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال هى كقوله أقرب اليه من حبل الوريد * وأولى الاقوال بالصواب عندى فى ذلك أن يقال ان ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيأ من ايمان أو كفر أو أن يعى به شيأ أو أن يفهم الا باذنه ومشيئته وذلك أن الحول بين الشئ والشئ انما هو الحجز بينهما واذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه فى شئ أن يدركه أو يفهمه لم يكن للعبد الى ادراك ما قد منع الله قلبه ادراكه سبيل واذا كان ذلك معناه دخل فى ذلك قول من قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان وقول من قال يحول بينه وبين عقله وقول من قال يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر الا باذنه لان الله عز وجل اذا حال بين عبد وقلبه لم يفهم العبد بقلبه الذى قد حيل بينه وبينه ما منع ادراكه به على ما بينت غير أنه ينبغى أن يقال ان الله عم بقوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه ولم يخصص من المعانى التى ذكرنا شيأ دون شئ والكلام محتمل كل هذه المعانى فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له وأما قوله وأنه اليه تحشرون فان معناه واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه أن الله الذى يقدر على قلوبكم وهو أملك بها منكم اليه مصيركم ومرجعكم فى القيامة فيوفيكم جزاء أعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسئ باساءته فاتقوه وراقبوه فيما

للبيان كانه قيل احذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كأن الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول أى واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * عن الحسن نزلت فى على وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما رأينا أنا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدى نزلت فى أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روى أن الزبير كان يسامر النبى صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل على فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلى فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى انى أحبه كحبى لولدى أو أشد حبا قال فكيف أنت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الآية بقوله واعلموا أن الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ أنتم وانتصابه على انه مفعول به أى وقت أنتم قليل يستوى فيه الواحد والجمع مستضعفون فى الارض أرض مكة قبل الهجرة تخافون أن يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم أعداء

أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه وأن لا تستجيبوا لرسوله اذا دعاكم لما يحييكم فيوجب ذلك سخطه وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون اليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله اتقوا أيها المؤمنون فتنة يقول اختبارا من الله يختبركم وبلاء يبتليكم لا تصيبن هذه الفتنة التى حذرتكموها الذين ظلموا وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله اما أجرام أصابوها وذنوب بينهم وبين الله ركبوها يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية أو يأتوا أثما يستحقون بذلك منه عقوبة وقيل ان هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين عنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن ابراهيم قال ثنا الحسن بن أبى جعفر قال ثنا داود بن أبى هند عن الحسن فى قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال نزلت فى على وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال قتادة قال الزبير بن العوام لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها ثم خصتنا فى اصابتنا خاصة حدثنى المثنى قال ثنا زيد بن عوف أبو ربيعة قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن أن الزبير بن العوام قال نزلت هذه الآية واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وما نظننا أهلها ونحن عنينا بها قال ثنا قبيصة عن سفيان عن الصلت بن دينار عن ابن صهبان قال سمعت الزبير بن العوام يقول قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هذه نزلت فى أهل بدر خاصة وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن السدى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب قال أصحاب الجمل حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هى أيضا لكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الفتنة الضلالة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن القاسم قال قال عبد الله ما منكم من أحد الا وهو مشتمل على فتنة ان الله يقول انما أموالكم وأولادكم فتنة فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال قال الزبير لقد خوفنا بها يعنى قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * واختلف أهل العربية فى تأويل ذلك فقال بعض نحويى البصرة اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا قوله لا تصيبن ليس بجواب ولكنه نهى بعد أمر ولو كان جوابا ما دخلت النون وقال بعض نحويى الكوفة قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا أمر هم ثم نهاهم ومنكم ظرف من الجزاء وان كان نهيا قال ومثله قوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان أمرهم ثم نهاهم وفيه تأويل الجزاء وكأن معنى الكلام عنده اتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم وأما قوله واعلموا أن الله شديد العقاب فانه تحذير من الله ووعيد لمن واقع الفتنة التى حذرها اياها بقوله واتقوا فتنة يقول اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه وخالف أمره فأثم به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض

لكم فاواكم الى المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد كم بالملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون أى ينقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والآلاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم أن تشتغلوا بالمنازعة فى الانفال ثم منعهم من الخيانة فى الامانة يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة بن مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ماترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه انه أى ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال

تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة يقول أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون واستجيبوا له اذا دعاكم لما يحييكم ولا تخالفوا أمره وان أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة فان الله يهونه عليكم بطاعتكم اياه ويعجل لكم منه ما تحبون كما فعل بكم اذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم ويناالونكم بالمكروه فى أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا جميعكم فآواكم يقول فجعل لكم مأوى تأوون اليه منهم وأيدكم بنصره يقول وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر ورزقكم من الطيبات يقول وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبا لعلكم تشكرون يقول لكى تشكروا على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم واختلف أهل التأويل فى الناس الذين عنوا بقوله أن يتخطفكم الناس فقال بعضهم كفار قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس قال يعنى بمكة مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائهم وموالهم قبل الهجرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى أو قتادة أو كلاهما واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون انها نزلت فى يوم بدر كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس فآواهم الله وأيدهم بنصره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه وقال آخرون بل عنى به غير قريش ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنى أبى قال سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله عز وجل تخافون أن يتخطفكم الناس قال فارس قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول وقرأ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس والناس اذ ذاك فارس والروم قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض قال كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا وأعراه جلودا وأبينه ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردى فى النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الارض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا حتى جاء الله بالاسلام فمكن به فى البلاد ووسع به فى الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس فبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا والله على نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر فى مزيد من الله تبارك وتعالى * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بذلك مشركو قريش لان المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم لانهم كانوا أدنى الكفار منهم اليهم وأشدهم عليهم يومئذ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين وأما قوله فآواكم فانه يعنى آواكم المدينة وكذلك قوله وأيدكم بنصره بالانصار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فآواكم قال الى الانصار بالمدينة وأيدكم بنصره وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيدهم بنصره يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات يعنى المدينة * القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تخونوا الله وخيانتهم الله ورسوله كانت باظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه

لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وقال السدى كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فيفشونه ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله أن يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فعلم النبى صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقال الزهرى والكلبى نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى أهل مكة بخروج النبى صلى الله عليه وسلم اليها حكاه الاصم قال القاضى والاقرب أنها فى الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمتها وخيانه للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل أن يراد بالامانة كل ما تعبد به وكأن معنى الآية ايجاب أداء التكاليف بأسرها فى الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا اخلال ومعنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء

وسلم والمؤمنين الايمان فى الظاهر والنصيحة وهو يستسر الكفر والغش لهم فى الباطن يدلون المشركين على عوراتهم ويخبرونهم بما يخفى عنهم من خبرهم وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية وفى السبب الذى نزلت فيه فقال بعضهم نزلت فى منافق كتب الى أبى سفيان يطلعه على سر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا شبابة ابن سوار قال ثنا محمد بن المحرم قال لقيت عطاء بن أبى رباح فحدثنى قال ثنى جابر بن عبد الله أن أباسفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أباسفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أباسفيان فى مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين الى أبى سفيان ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وقال آخرون بل نزلت فى أبى لبابة الذى كان من أمره وأمر بنى قريظة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن الزهرى قوله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم قال نزلت فى أبى لبابة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى حلقه انه الذبح قال الزهرى فقال أبو لبابة لا والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك قال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة ان من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالى قال يجزيك الثلث أن تصدق به حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد قال سمعت عبد الله بن أبى قتادة يقول نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فى أبى لبابة وقال آخرون بل نزلت فى شأن عثمان رضى الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يونس بن الحرث الطائفى قال ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفى عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية فى قتل عثمان رضى الله عنه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانة أمانته وجائز أن تكون نزلت فى أبى لبابة وجائز أن تكون نزلت فى غيره ولا خبر عندنا بأى ذلك كان يجب التسليم له بصحته فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول قال نهاكم أن تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تخونوا الله والرسول الآية قال كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين واختلفوا فى تأويل قوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فقال بعضهم لا تخونوا الله والرسول فان ذلك خيانة لاماناتكم وهلاك لها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم فانهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون أى لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه فى السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم فعلى هذا التأويل قوله وتخونوا أماناتكم فى موضع نصب على الظرف كما قال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

التمام فاذا خنت الرجل فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان الشتار السبب والكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراقى سمى كربا لانه يكرب من الدلو أى يقرب منه واشتار العسل اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل أن يكون جزما داخلا فى حكم النهى وان يكون نصبا باضمار أن كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به وأماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله أو تعلمون أنكم تخونون يعنى أن الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وأنتم علماء تعلمون قبيح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعى الى الخيانة هو محبة الاموال والاولاد ولعل ما فرط من أبى لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة أى أنها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم أو العذاب أو هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده فى ذلك الباب وان الله عنده أجر عظيم فعليكم أن تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضى

ويروى وتأتى مثله وقال آخرون معناه لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم يقول لاتخونوا يعنى لا تنقصوها فعلى هذا التأويل لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا أماناتكم واختلف أهل التأويل فى معنى الامانة التى ذكرها الله فى قوله وتخونوا أماناتكم فقال بعضهم هى ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال التى أمن الله عليها العباد يعنى الفريضة يقول ولاتخونوا يعنى لاتنقصوها حدثنا على بن داود قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله يقول بترك فرائضه والرسول يقول بترك سننه وارتكاب معصيته قال وقال مرة أخرى لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال ثم ذكر نحو حديث المثنى وقال آخرون معنى الامانات ههنا الدين ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخونوا أماناتكم دينكم وأنتم تعلمون قال قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار يظهرون الايمان وقرأ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الآية قال هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا أظهروا الايمان وأسروا الكفر فتأويل الكلام اذا يأيها الذين آمنوا لاتنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه لاتنقصوهما وتخونوا أماناتكم وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمها لكم وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج التى قد ثبتت لله عليكم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التى خولكموها الله وأولادكم التى وهبها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها والانتهاء الى أمره ونهيه فيها وان الله عنده أجر عظيم يقول واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم فى أموالكم وأولادكم التى اختبركم بها فى الدنيا وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه فى معادكم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا المسعودى عن القاسم عن عبد الرحمن عن ابن مسعود فى قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال ما منكم من أحد الا وهو مشتمل على فتنة فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة قال فتنه الاختبار اختبارهم وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره يأيها الذين صدقوا الله ورسوله ان تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين بنصره اياكم عليهم واعطائكم الظفر بهم ويكفر عنكم سيآتكم يقول ويعفو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه ويغفر لكم يقول ويغطيها فيسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها والله ذو الفضل العظيم يقول والله الذى يفعل ذلك بكم له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله وان فعله جزاء منه لعبده على طاعته اياه لانه الموفق عبده لطاعته التى اكتسبها حتى استحق من ربه الجزاء الذى وعده عليها وقد اختلف أهل التأويل فى العبارة

الى السعادات الروحانية الباقية ويمكن أن يتمسك بالآية فى بيان أن الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله هو أفضل من الاشتغال بالنكاح لادائه الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد وعن التهالك فى شأنهم فقال يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يجعل لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على أهل الاديان كلهم وفى أحوال الآخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يستر عليكم فى الدنيا صغائركم ان فرطت منكم ويغفر لكم فى دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشئ وفى به أحسن الايفاء ومن عظيم فضله أنه يتفضل بذاته من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد أن يخلق الله فيه داعية التفضل

وبعد أن يمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد أن يكون قد تصور فيه ثوابا أو ثناء أو حمله على ذلك رقة طبع أو عصبية والا فلا فضل في الحقيقة الا الله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ أنتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم وفيما أتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهدا وقتادة وغيرهم من المفسرين ذكروا أن قريشا اجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا بأس عليكم به فقال أبو البختري من بني عبد الدار رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا

قوله ذكر من قال فصلا يا أيها الذين آمنوا الخ كذا بالاصل والظاهر أنه سقط السند قبل يا أيها الخ فحرره

كتبه مصححه

عن تأويل قوله يجعل لكم فرقانا فقال بعضهم مخرجا وقال بعضهم نجاة وقال بعضهم فصلا وكل ذلك متقارب المعنى وان اختلفت العبارات عنها وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ذكر من قال معناه المخرج حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فرقانا قال مخرجا في الدنيا والآخرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فرقانا قال الفرقان المخرج حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فرقانا يقول مخرجا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ثنا زائدة عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك فرقانا قال مخرجا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيدا يقول سمعت الضحاك يقول فرقانا مخرجا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد عن زهير عن جابر عن عكرمة قال الفرقان المخرج ذكر من قال معناه النجاة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن عكرمة ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن رجل عن عكرمة ومجاهد في قوله يجعل لكم فرقانا قال عكرمة المخرج وقال مجاهد النجاة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم نجاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويجعل لكم فرقانا أي نجاة ذكر من قال فصلا يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال فرقان يفرق في قلوبهم بين الحق والباطل حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أي فصلا بين الحق والباطل يظهر به حقكم ويخفى به باطل من خالفكم والفرقان في كلام العرب مصدر من قولهم فرقت بين الشئ والشئ أفرق بينهما فرقا وفرقانا ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مذكره نعمه عليه واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا من مشركي قومك ليثبتوك واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ليثبتوك فقال بعضهم معناه ليقيدوك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك يعني ليوثقوك قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليثبتوك ليوثقوك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية يقول ليشدوك وثاقا وأرادوا بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومقسم قالا قالوا أوثقوه بالوثاق حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ليثبتوك قال الاثبات هو الحبس والوثاق وقال آخرون بل معناه الحبس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عن قوله

ليثبتوك

ليثبتوك قال يسجنوك وقالها عبد الله بن كثير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا اسجنوه وقال آخرون بل معناه ليسحروك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن اسمعيل البصري المعروف بالوساوسي قال ثنا عبد المجيد بن أبي رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير بن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأتمر بك قومك قال يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني فقال من أخبرك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أستوصي به بل هو يستوصي بي خيرا فنزلت واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال نعم قال فاخبره قال من أخبرك قال ربي قال نعم الرب ربك استوص به خيرا قال أنا أستوصي به أو هو يستوصي بي وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه كما حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثني أبي قال ثنا محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال وحدثني الكلبي عن زاذن مولى أم هانئ عن ابن عباس أن نفرا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح قالوا أجل ادخل فدخل معهم فقال انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يؤاتيكم في أموركم بأمره قال فقال قائل احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة اغا هو كاحدهم قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليكم ثم ليأتين اليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا قال فقال قائل أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه فانه اذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليكم ثم ليأتين اليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره قالوا وما هو قال نأخذ من كل قبيلة غلاما وسطا شابا نهدا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها فانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه فقال الشيخ النجدي هذا والله الرأي القول ما قال الفتى لا أرى غيره قال فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له قال فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الانفال يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وكان يسمى ذلك اليوم يوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأي حدثنا بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومقسم في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قالا تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فأوثقوه بالوثاق وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فلما أصبحوا رأوا

يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قومكم غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن الله له في الهجرة فأمر عليا عليه السلام فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردي فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويسجنوك لانه لا يقدر على الحركة وهو اشارة الى رأي أبي البختري وقوله أو يقتلوك اشارة الى رأي أبي جهل وقوله أو يخرجوك أي من مكة اشارة الى رأي هشام وأنكر القاضي حديث ابليس في القصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغيير ان كان بفعل الله فهو اعانة للكفار على المكر وان كان من فعل ابليس

عليا رضى الله عنه فرد الله مكرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنى أبى عن عكرمة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار أمر على بن أبى طالب فنام فى مضجعه فبات المشركون يحرسونه فاذا رأوه نائما حسبوا أنه النبى صلى الله عليه وسلم فتركوه فلما أصبحوا ثاروا اليه وهم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هم بعلى فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى قال فركبوا الصعب والذلول فى طلبه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرنى عثمان الجزرى أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه فلما رأوه على رضى الله عنه رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت قالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج على بابه فمكث فيه ثلاثا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين قال اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون فى النبى صلى الله عليه وسلم بعدما أسلمت الانصار وفرقوا أن يتعالى أمره اذا وجد ملجأ فلجأ اليه فجاء ابليس فى صورة رجل من أهل نجد فدخل معهم فى دار الندوة فلما أنكروه قالوا من أنت فوالله ما كان قومنا أعلمنا هم مجلسنا هذا قال أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم وأشير عليكم فاستحيوا فخلوا عنه فقال بعضهم خذوا محمدا اذا اصطبح على فراشه فاجعلوه فى بيت تتربصون به ريب المنون والريب هو الموت والمنون هو الدهر قال ابليس بئسما قلت تجعلونه فى بيت فيأتى أصحابه فيخرجونه فيكون بينكم قتال قالوا صدق الشيخ قال أخرجوه من قريتكم قال ابليس بئسما قلت يخرجونه من قريتكم وقد أفسد سفهاءكم فيأتى قرية أخرى فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخيل والرجال قالوا صدق الشيخ قال أبو جهل وكان أولاهم بطاعة ابليس بل نعمد الى كل بطن من بطون قريش فنخرج منهم رجلا فنعطيهم السلاح فيشدون على محمد جميعا فيضربونه ضربة رجل واحد فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشا فليس لهم الا الدية قال ابليس صدق وهذا الفتى هو أجودكم رأيا فقاموا على ذلك وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فنام على الفراش وجعلوا عليه العيون فلما كان فى بعض الليل انطلق هو وأبو بكر الى الغار ونام على بن أبى طالب على الفراش فذلك حين يقول الله ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك والاثبات هو الحبس والوثاق وهو قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا يقول يهلكهم فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة لقيه عمر فقال له ما فعل القوم وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وكذلك كان يصنع بالامم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخروا بالقتال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليثبتوك أو يقتلوك قال كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فعلوا ذلك بمحمد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه

فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكى عن القاضى وذهب عليه أن هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر أسباب الشرور والآثام وقد أجبنا عن أمثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر فى سورة آل عمران والحاصل أنهم احتالوا فى ابطال أمر محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فان قيل لا خير فى مكرهم فكيف قال والله أنه خير الماكرين وأجيب بأن المراد أقوى الماكرين أو المراد أنه لو قدر فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره أكثر أو المراد أنه فى نفسه خير

﴿ التأويل ﴾ ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق يسمع القلب والقبول البكم عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لا بد أن يكون أبكم فلذلك خصا بالذكر الذين لا يعقلون أنهم لما اخلقوا فلا جرم يئول حالهم من أن يكونوا خير البرية الى أن يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب بالمحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد للحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للمشاهدة واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى

عن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية هو النبي صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الى آخر الآية قال اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتلوا هذا الرجل فقال بعضهم لا يقتله رجل الا قتل به قالوا خذوه فاسجنوه واجعلوا عليه حديدا قالوا فلا يدعكم أهل بيته قالوا أخرجوه قالوا اذا يستغوى الناس عليكم قال وابليس معهم في صورة رجل من أهل نجد واجتمع رأيهم أنه اذا جاء يطوف البيت ويستلم أن يجتمعوا عليه فيعموه ويقتلوه فانه لا يدري أهله من قتله فيرضون بالعقل فنعقله ونستريح ونعقله فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه فعموه فأتى أبو بكر فقيل له ذلك فأتى فلم يجد مدخلا فلما أن لم يجد مدخلا قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال ثم فرجها الله عنه فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام فقال من أصحابك فقال فلان وفلان وفلان فقال لا نحن أعلم بهم منك يا محمد هو ناموس ليل (٣) قال وأخذ أوائك من مضاجعهم وهم نيام فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدم أحدهم الى جبريل فكحله ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته يا نبي الله ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل فقال كفيته يا نبي الله ثم أتى بآخر فنقر في ركبته فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته ثم أتى بآخر فسقاه مذقة فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته يا نبي الله وأتى بالخامس فلما غدا من بيته مر بنبال فتعلق مشقص بردائه فالتوى فقطع الاكحل من رجله وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمي وأما الذي سقي مذقة فأصبح وقد استسقى بطنه وأما الذي نقر فوق رأسه فأخذته النقدة والنقدة قرحة عظيمة أخذته في رأسه وأما الذي طعن في ركبته فأصبح وقد أقعد فذلك قول الله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أي فكرت لهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا قال هذه مكية قال ابن جريج قال مجاهد هذه مكية فنزل القول الكلام اذا واذ كر يا محمد نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك بائباتك أو قتلك أو اخراجك من وطنك حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم فامض لامري في حرب من حاربك من المشركين وتولى عن اجابة ما أرسلتك به من الدين القيم ولا يرعبنك كثرة عددهم فان ربك خير الماكرين بمن كفر به وعبد غيره وخالف أمره ونهيه وقد بينا معنى المكر فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع القول في تأويل قوله ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه قالوا جهلا منهم وعنادا للحق وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي تلى علينا ان هذا الا أساطير الاولين يعني أنهم يقولون ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم الا أساطير الاولين والاساطير جمع أسطور وهو جمع الجمع لان واحد الأسطر سطر ثم يجمع السطر أسطر وسطور ثم يجمع الاسطر أساطير وأساطر وقد كان بعض أهل العربية يقول واحد الاساطير أسطورة وانما عنى المشركون بقولهم ان هذا الا أساطير الاولين ان هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد الا ما سطره الاولون وكتبوه من أخبار الامم كأنهم أضافوه الى انه أخذ عن بني آدم وانه لم يوجه الله اليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا

للفناء في الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم يفنيكم عنكم ويبقيكم به واعلموا أن الله يحول بسطوات أنوار جماله وجلاله بين مرآة قلبه وظلمة أوصاف قالبه وانه اليه تحشرون بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا أيها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيب النفوس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجتذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس واعلموا أن الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ماسواه واذكروا اذ أنتم أيها الارواح والقلوب قليل لم ينشأ بعد لكم الصفات والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لا عوازالتربية بألبان آداب الطريقة ولانعدام جريان أحكام الشريعة عليكم الى أوان البلوغ تخافون أن تسلبكم النفوس وصفاتها والشيطان وأعوانه فآواكم الى حظائر القدس وأيدكم بالواردات الربانية ورزقكم المواهب الطاهرة من لوث الحدوث يا أيها الذين آمنوا يعني الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستعدة بسعادات العرفان

(٣) قوله هو ناموس موسى الخ ليل كذا بالاصل وحرره كتبه مصححه

مثل هذا قال كان النضر بن الحرث يختلف تاجرا الى فارس فيمر بالعباد وهم يقرؤن الانجيل ويركعون ويسجدون بفناء مكة فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد فقال النضر قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا الذى سمع من العباد فنزلت واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قال فقص ربنا ما كانوا قالوا بمكة وقص قولهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كان النضر بن الحرث بن علقمة أخو بنى عبد الدار يختلف الى الحيرة فيسمع سجع أهلها وكلامهم فلما قدم مكة سمع كلام النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن فقال قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين يقول أساجيع أهل الحيرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا عقبة بن أبى معيط وطعيمة بن عدى والنضر بن الحرث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذى أردت وفيه أنزلت هذه الآية واذا تتلى عليهم آياتنا الآية حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا المطعم بن عدى ٣ والنضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط قال فلما أمر بقتل النضر قال المقداد ابن الاسود أسيرى يا رسول الله قال انه كان يقول فى كتاب الله وفى رسوله ما كان يقول قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك وكان المقداد أسر النضر ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد أيضا ما حل بمن قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم اذ مكرت لهم فأتيتهم بعذاب أليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر وهذه الآية أيضا ذكر أنها نزلت فى النضر بن الحرث ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء قال نزلت فى النضر بن الحرث حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان كان هذا هو الحق من عندك قال قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة من بنى عبد الدار قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك قال هو النضر بن الحرث بن كلدة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال قال رجل من بنى عبد الدار يقال له النضر بن كلدة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقال لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قال عطاء لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال فقال يعنى النضر بن الحرث اللهم ان كان ما يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

لا تخونوا الله فيما آتاكم من المواهب فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا أماناتكم التى هى محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وأنتم تعلمون أنكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالاولى فتنة يختبركم الله بها التمييز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق يا أيها الذين آمنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفض عليكم من سجال جماله وجلاله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم الفانى ويغفر لكم يستركم بأنوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك أيها الروح فى أسفل سافلين الطبيعة أو يعدموك بانعدام آثارك أو أو يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال أهل الصلاح البتة ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم

٣ قال ابن كثير ذكر المطعم بدل طعيمة غلط لان المطعم لم يكن حيا يوم بدر اه كتبه مصححه

أو ائتنا بعذاب أليم قال الله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال قال ذلك سفهة هذه الامة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الامة وجهلتها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر غيرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك أى ما جاء به محمد فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم أى ببعض ما عذبت به الامم قبلنا واختلف أهل العربية فى وجه دخول هو فى الكلام فقال بعض البصريين نصب الحق لان هو والله أعلم حولت زائدة فى الكلام صلة توكيد كزيادة ما ولا تزاد الا فى كل فعل لا يستغنى عن خبر وليس هو بصفة لهذا لانك لو قلت رأيت هذا هو لم يكن كلاما ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ولكنها تكون من صفة المضمرة نحو قوله ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا لأنك تقول وجدته هو وايا ى فتكون هو صفة وقد تكون فى هذا المعنى أيضا غير صفة ولكنها تكون زائدة كما كان فى الاول وقد تجرى فى جميع هذا مجرى الاسم فيرفع ما بعدها ان كان ما بعدها ظاهرا أو مضمرا فى لغة بنى تميم يقولون فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا كما تقول كانوا آباؤهم الظالمون جعلوا هذا المضمر نحو هو وهما وأنت زائدا فى هذا المكان ولم تجعل مواضع الصفة لانه فصل أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله ولم يحتج الى هذا فى الموضع الذى لا يكون له خبر وكان بعض الكوفيين يقول لم تدخل هو التى هى عماد فى الكلام الا لمعنى صحيح وقال كأنه قال زيد قائم فقلت أنت بل عمرو هو القائم فهو لمعهود الاسم والالف واللام لمعهود الفعل التى هى صلة فى الكلام مخالفة لمعنى هو لان دخولها وخروجها واحد فى الكلام وليست كذلك هو وأما التى تدخل صلة فى الكلام فتوكيد شبيه بقولهم وجدته نفسه تقول ذلك وليست بصفة كالظريف والعاقل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أى وأنت مقيم بين أظهرهم قال وأنزلت هذه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة قال ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم فعذب الكفار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فأنزل الله عليه وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال فخرج النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون يعنى بمكة فلما خرجوا أنزل الله عليه ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه قال فاذن الله له فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى من بها من المسلمين ومالهم ألا يعذبهم الله يعنى مكة وفيها الكفار حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قول الله وما كان الله ليعذبهم يعنى أهل مكة

ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ القرآت بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب ۞ الوقوف مثل هذا الا أن الابتداء بان هنا الا أساطير الاولين قبيح الاولين ○ أليم ○ وأنت فيهم ط يستغفرون ○ وما كانوا أولياءه ط لا يعلمون ○ وتصدية ط تكفرون ○ عن سبيل الله ط يغلبون ○ ط لان ما بعده مبتدأ يحشرون ○ لا تتعلق اللام فى جهنم ط الخاسرون ○ سلف ط لابتداء الشرط مع العطف

وما كان الله معذبهم وفيهم المؤمنون يستغفرون يغفر لمن فيهم من المسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسماعيل الرازى وأبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن ابن أبزى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال بقية من بقى من المسلمين منهم فلما خرجوا قال ومالهم ألا يعذبهم الله قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبى مالك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال أهل مكة وأخبرنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون من أهل مكة ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قال المشركون من أهل مكة قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرن يقول الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة حتى أخرجك والذين آمنوا معك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لم يعذب قرية حتى يخرج النبى منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المؤمنين ثم عاد الى المشركين فقال وما لهم ألا يعذبهم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال يعنى أهل مكة وقال آخرون بل معنى ذلك وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد حتى أخرجك من بينهم وما كان الله معذبهم وهؤلاء المشركون يقولون يارب غفرانك وما أشبه ذلك من معانى الاستغفار بالقول قالوا وقوله ومالهم ألا يعذبهم الله فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبى زميل عن ابن عباس ان المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون لبيك لا شريك لك لبيك فيقول النبى صلى الله عليه وسلم قد قد فيقولون لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فقال ابن عباس كان فيهم أمانان نبى الله والاستغفار قال فذهب النبى صلى الله عليه وسلم وبقى الاستغفار ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون قال فهذا عذاب الآخرة قال وذاك عذاب الدنيا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا قالت قريش بعضها لبعض محمد أكرمه الله من بيننا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الى قوله لا يعلمون حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانوا يقولون يعنى المشركين والله ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى بقولهم وان كانوا يستغفرون كما قال وهم يصدون عن المسجد الحرام من آمن بالله وعبده أى أنت ومن تبعك حدثنا الحسن ابن الصباح البزار قال ثنا أبو بردة عن أبى موسى قال انه كان فيكم أمانان قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال أما النبى صلى الله عليه وسلم فقد مضى وأما الاستغفار فهو دائر فيكم الى يوم القيامة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز

الاولين ٥ كله لله ط بصير ٥ مولاكم ط النصير ٥ ﴿ التفسير لما حكى مكرهم فى ذات محمد صلى الله عليه وآله حكى مكرهم فى دينه روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى أحاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن أمثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة ويروى عن النضر أو عن أبى جهل على ما فى الصحيحين أن أحدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وهذا أسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب أى ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بنوع آخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفى كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بأمر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وعن معاوية أنه قال لرجل

قال ثنا يونس بن أبي اسحق عن عامر أبي الخطاب الثوري قال سمعت أبا العلاء يقول كان لامة محمد صلى الله عليه وسلم أمنتان فذهبت احداهما وبقيت الاخرى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية * وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون أن لو استغفروا قالوا ولم يكونوا يستغفرون فقال جل ثناؤه اذ لم يكونوا يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ان القوم لم يكونوا يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا وكان بعض أهل العلم يقول هما أمانان أنزلهما الله فأما أحدهما فمضى نبي الله وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم الاستغفار والتوبة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال الله لرسوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون ولو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن محمد وعن المسجد الحرام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يقول لو استغفروا لم أعذبهم وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وهم يسلمون قالوا واستغفارهم كان في هذا الموضع اسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال سألوا العذاب فقال لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون في الاسلام حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنت فيهم قال بين أظهرهم وقوله وهم يستغفرون قال يسلمون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم بين أظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم يسلمون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا محمد بن عبيد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال بين أظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال دخولهم في الاسلام وقال آخرون بل معنى ذلك وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يقول ما كان الله سبحانه يعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار ثم قال ومالهم ألا يعذبهم الله فعذبهم يوم بدر بالسيف وقال آخرون بل معناه وما كان الله معذبهم وهم يصلون ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد في قول الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يصلون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت

من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتأكيد النفي دلالة على أن تعذيبهم بعذاب الاستئصال والنبي بين أظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشأن النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم أي لو كانوا ممن يؤمن و يستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا أن المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل أهل المحلة فلانا وانما قتله واحد منهم أو اثنان وقيل وصفوا بصفة أولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله أن فيهم من يؤل أمره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن آمن يوم الفتح وقبله و بعده وفي الآية دلالة على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم أمانان نبي الله والاستغفار

فيهم يعنى أهل مكة يقول لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى يؤمنون ويصلون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم يصلون وقال آخرون بل معنى ذلك وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون قالوا ثم نسخ ذلك بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فى الانفال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فنسختها الآية التى تليها ومالهم ألا يعذبهم الله الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقوتلوا بمكة وأصابهم فيها الجوع والحصر * وأولى هذه الاقوال عندى فى ذلك بالصواب قول من قال تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم لانى لا أهلك قرية وفيها نبيها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه فهم للعذاب مستحقون كما يقال ما كنت لأحسن اليك وأنت تسىء الىّ يراد بذلك لا أحسن اليك اذا أسأت الىّ ولو أسأت الىّ لم أحسن اليك ولكن أحسن اليك لانك لا تسىء الىّ وكذلك ذلك ثم قيل ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام بمعنى وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان القوم أعنى مشركى مكة كانوا استعجلوا العذاب فقالوا اللهم ان كان ما جاء به محمد هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله لنبيه ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم وما كنت لأعذبهم لو استغفروا وكيف لا أعذبهم بعد اخراجك منهم وهم يصدون عن المسجد الحرام فأعلمه جل ثناؤه ان الذين استعجلوا العذاب حائق بهم ونازل وأعلمهم حال نزوله بهم وذلك بعد اخراجه اياه من بين أظهرهم ولا وجه لا يعادهم العذاب فى الآخرة وهم مستعجلوه فى العاجل ولا شك أنهم فى الآخرة الى العذاب صائرون بل فى تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول فى ذلك ما قلنا وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الى أنه عنى به المؤمنين وهو فى سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضى وعلى أن ذلك به عنوا ولا خلاف فى تأويله من أهله موجود وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال ذلك منسوخ بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الآية لان قوله جل ثناؤه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون خبر والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ وانما يكون النسخ للامر والنهى واختلف أهل العربية فى وجه دخول أن فى قوله ومالهم ألا يعذبهم الله فقال بعض نحويى البصرة هى زائدة ههنا وقد عملت كما عملت لا وهى زائدة وجاء فى الشعر

لولم تكن غطفان لاذنوب لها * (١) الى لام ذو وأحسابها عمرا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال لم تدخل أن الا لمعنى صحيح لان معنى ومالهم ما يمنعهم من أن يعذبوا قال فدخلت أن لهذا المعنى وأخرج بلا ليعلم أنه بمعنى الجحد لان المنع جحد قال ولا فى البيت صحيح معناها لان الجحد اذا وقع عليه جحد صار خبرا وقال ألا ترى الى قولك ما زيد ليس قائما فقد أوجبت القيام قال وكذلك لا فى هذا البيت ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ومالهؤلاء

أما النبى فقد مضى وأما الاستغفار فهو باق الى يوم القيامة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال ومالهم ألا يعذبهم الله وأى شىء لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة قيل لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون أى كيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس أن هذا العذاب عذاب الآخرة والذى نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون من المسلمين وليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن أكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض أسباب سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من

(١) قوله الى لام وروى اذن للام كما فى الاشمونى وغيره كتبه مصححه

المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ولم يكونوا أولياء الله ان أولياؤه يقول ما أولياء الله الا المتقون يعني الذين يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون بل يحسبون أنهم أولياء الله وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان أولياؤه الا المتقون من كانوا وحيث كانوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون الذين يخرجون منه ويقيمون الصلاة عنده أي أنت يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿ القول في تأويل قوله ﴿وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذين يصلون لله فيه ويعبدونه ولم يكونوا لله أولياء بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون في المسجد الحرام وما كان صلاتهم عند البيت يعني بيت الله العتيق الا مكاء وهو الصفير يقال منه مكا يمكو ومكوا ومكاء وقد قيل ان المكو أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم ويصيح ويقال منه مكت است الدابة مكاء اذا نفخت بالريح ويقال انه لا يمكو الا است مكشوفة ولذلك قيل للاست المكوة سميت بذلك ومن ذلك قول عنترة

وحليل غانية تركت مجدلا * تمكو فريصته كشدق الأعلم

وقول الطرماح فتحالأ ولاها بطعنة محفظ * تمكو جوانبها من الانهار

بمعنى تصوت وأما التصدية فانها التصفيق يقال منه صدى يصدى تصدية وصفق وصفح بمعنى واحد وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن قيس عن حجر بن عنبس الا مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية يقول كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء يعني التصفير وتصدية يقول التصفيق حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال التصفيق والصفير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن قرة ابن خالد عن عطية عن ابن عمر قال المكاء التصفيق والتصدية الصفير قال وأمال ابن عمر خده الى جانب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا وكيع عن قرة بن خالد عن عطية عن ابن عمر وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء والتصدية الصفير والتصفيق حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت محمد بن الحسين يحدث عن قرة بن خالد عن عطية العوفي عن ابن عمر قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية عن ابن عمر في قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق وقال قرة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر وأمال خده وصفق بيديه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن

الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الاصل معتل اللام أو من صدّ يصد مضاعفا أي صاح فقلبت الدال الاخيرة ياء كالتقضي في التقضض وأنكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوّب به الازهري وأبو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو أن يجعل بعض أصابع اليمين وبعض أصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تصويت يشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون فالمكاء والتصدية على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلاة بناء على معتقدهم وفيه أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له كقول العرب ما فلان عيب الا السخاء أي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف والصلاة عند المسجد الحرام يستهزؤن به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلاة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفائي صلتي أي أقام الجفاء مقام الصلة ثم خاطبهم على

ابن عوف يقول فى قول الله وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية قال بكر جمع لى جعفر كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا كما قال له أبو سلمة **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عمر وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية قال تصفير وتصفيق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حبوية أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده فأمروا بالثياب **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال كانت قريش يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف يستهزؤن به يصفرون به ويصفقون فنزلت وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد الامكاء قال كانوا ينفخون فى أيديهم والتصدية التصفيق **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الامكاء وتصدية قال المكاء ادخال أصابعهم فى أفواههم والتصدية التصفيق يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه لم يقل صلاته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المكاء ادخال أصابعهم فى أفواههم والتصدية التصفيق قال نفر من بنى عبد الدار كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاته **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة ابن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية قال من بين الاصابع قال أحمد سقط على حرف وما أراه الا الخذف والنفخ والصفير منها وأرانى سعيد بن جبير حيث كانوا يمكون من ناحية أبى قبيس **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن سليمان قال أخبرنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية قال المكاء كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها فذلك المكاء قال وأرانى سعيد بن جبير المكان الذى كانوا يمكون فيه نحو أبى قبيس **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن فى قوله مكاء وتصدية قال المكاء النفخ وأشار بكفه قبل فيه والتصدية التصفيق **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية قال كنا نحدث أن المكاء التصفيق بالايدى والتصدية صياح كانوا يعارضون به القرآن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية والمكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصدية التصفيق **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء صفير كان أهل الجاهلية يعلنون به قال وقال فى المكاء أيضا صفير فى أيديهم ولعب وقد قيل فى التصدية انها الصد عن بيت الله الحرام وذلك قول لا وجه له لان التصدية مصدر من قول القائل صديت تصدية وأما الصد فلا يقال منه صديت انما يقال منه صددت فان شددت منها الدال على معنى تكرير الفعل قيل صددت

سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر أو عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وأفعالكم التى لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح أحوال هؤلاء الكفار فى الطاعات البدنية أتبعها شرح أحوالهم فى الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية قال مقاتل والكلبى نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وأبو البخترى بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبى بن خلف وزمعة بن أسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس ابن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن أبزى نزلت فى أبى سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وأنفق عليهم أربعين أوقية من فضة والاوقية اثنان وأربعون مثقالا قاله فى الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما أصيب قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان

تصدية الا أن يكون صاحب هذا القول وجه التصدية الى أنه من صددت ثم قلبت احدى داليه ياء كما يقال تظنيت من ظننت وكما قال الراجز * تقضى البازى اذا البازى كسر * يعنى تقضض البازى فقلب احدى ضاديه ياء فيكون ذلك وجها يوجه اليه ذكر من قال ماذكرنا فى تأويل التصدية حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية صدهم عن بيت الله الحرام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق ابن سليمان قال أخبرنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وتصدية قال التصدية صدهم الناس عن البيت الحرام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتصدية قال التصدية عن سبيل الله وصدهم عن الصلاة وعن دين الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال ما كان صلاتهم التى يزعمون أنها يدرأ بها عنهم الا مكاء وتصدية وذلك ما لا يرضى الله ولا يحب ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به وأما قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فانه يعنى العذاب الذى وعدهم به بالسيف يوم بدر يقول للمشركين الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب ذوقوا أى اطعموا وليس بذوق بفم ولكنه ذوق بالحس ووجود طعم ألمه بالقلوب يقول لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة نبيكم صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أى ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال هؤلاء أهل بدر يوم عذبهم الله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعنى أهل بدر عذبهم الله يوم بدر بالقتل والاسر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله عن الايمان بالله ورسوله فسينفقون أموالهم فى ذلك ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة يقول تصير ندامة عليهم لان أموالهم تذهب ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من اطفاء نور الله واعلاء كلمة الكفر على كلمة الله لان الله معلى كلمته وجاعل كلمة الكفر السفلى ثم يغلبهم المؤمنون ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله الى جهنم فيعذبون فيها فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحى فخرب ماله وذهب باطلا فى غير درك نفع ورجع مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا وأما الهالك فقتل وسلب وعجل به الى نار الله يخلد فيها نعوذ بالله من غضبه وكان الذى تولى النفقة التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية والذين كفروا الى جهنم يحشرون قال نزلت فى أبى سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من بنى كنانة فقاتل بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك

وجئنا الى موج من البحر وسطه * أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نظنه * ثلاث مئين ان كثرن فأربع

ابن أمية فى رجال من قريش أصيب اباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال الذى أفلت على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا لمن أصيب منا فأنزل الله تعالى الآية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله أن غرضهم فى الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم أخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها أى سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا لقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ومعنى ثم فى الجملتين اما التراخى فى الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخى فى الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا أى الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان منهم من أسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من أسلم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمى عن جعفر عن ابن أبزى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أبى سفيان استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب قال أخبرنا أبى عن خطاب ابن عثمان العصفرى عن الحكم بن عتيبة ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أبى سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب وكانت الاوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية قال لما قدم أبو سفيان بالعير الى مكة أنشد الناس ودعاهم الى القتال حتى غزا نبى الله من العام المقبل وكانت بدر فى رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان وكانت أحد فى شوال يوم السبت لاحدى عشرة خلت منه فى العام الرابع حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال الله فيما كان المشركون ومنهم أبو سفيان يستأجرون الرجال يقاتلون محمدا بهم ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة يقول ندامة يوم القيامة وويلا ثم يغلبون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية حتى قوله أولئك هم الخاسرون قال فى نفقة أبى سفيان على الكفار يوم أحد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم ابن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ قالوا لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله ابن ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ففعلوا قال ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الى قوله والذين كفروا الى جهنم يحشرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الى قوله يحشرون يعنى النفر الذين مشوا الى أبى سفيان والى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سعيد ابن أبى أيوب عن عطاء بن دينار فى قول الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية نزلت فى أبى سفيان بن حرب وقال بعضهم عنى بذلك المشركون من أهل بدر ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية قال هم أهل بدر * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قلنا وهو أن يقال ان الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركى قريش أنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله لم يخبرنا بأى أولئك عنى غير أنه عم بالخبر الذين كفروا وجائز أن يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر وجائز أن يكون عنى الفريقين واذا كان ذلك كذلك فالصواب فى ذلك أن يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ليميز الله

منهم ثم بين الغاية والغرض فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث أى الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشئ يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض أولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال أى ليميز المال الخبيث الذى أنفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المال الطيب الذى أنفقه المهاجرون والانصار فى نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه فى جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وعلى هذا فاللام فى قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة قاله فى الكشاف ولا يبعد عندى أن يتعلق بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم فى عباداتهم البدنية والمالية أرشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل

الخبيث

الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم و ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله الى جهنم ليفرق بينهم وهم أهل الخبث كما قال وسماهم الخبيث و بين المؤمنين بالله وبرسوله وهم الطيبون كما سماهم جل ثناؤه فيزجل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الايمان به و برسوله جناته وأنزل أهل الكفر ناره و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليميز الله الخبيث من الطيب فيزأهل السعادة من أهل الشقاوة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم ذكر المشركين وما يصنع بهم يوم القيامة فقال ليميز الله الخبيث من الطيب يقول يميز المؤمن من الكافر فيجعل الخبيث بعضه على بعض و يعنى جل ثناؤه بقوله فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض فيركمه جميعا يقول فيجعلهم ركاما وهو أن يجمع بعضهم الى بعض حتى يكثروا كما قال جل ثناؤه فى صفة السحاب ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما أى مجتمعا كثيفا وكما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيركمه جميعا قال فيجمعه جميعا بعضه على بعض وقوله فيجعله فى جهنم يقول فيجعل الخبيث جميعا فى جهنم فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله ليميز الله الخبيث ثم قال أولئك هم الخاسرون فجمع ولم يقل ذلك هو الخاسر فرده الى أول الخبر و يعنى بأولئك الذين كفروا وتأويله هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون و يعنى بقوله الخاسرون الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم وذلك أنهم شروا بأموالهم عذاب الله فى الآخرة وتعجلوا بانفاقهم اياها فيما أنفقوا من قتال نبى الله والمؤمنين به الخزى والذل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين كفروا من مشركى قومك ان ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينيبوا الى الايمان يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل ايمانهم وانابتهم الى طاعة الله وطاعة رسوله بايمانهم وتوبتهم وان يعودوا يقول وان يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التى أوقعتها بهم يوم بدر فقد مضت سنتى فى الاولين منهم ببدر ومن غيرهم من القرون الخالية اذ طغوا وكذبوا رسلى ولم يقبلوا نصحهم من احلال عاجل النقم بهم فأحل بهؤلاء ان عادوا لحربك وقتالك مثل الذين أحللت بهم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فقد مضت سنة الاولين فى قريش يوم بدر وغيرها من الامم قبل ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فقد مضت سنة الاولين قال فى قريش وغيرها من الامم قبل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فى قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا لحربك فقد مضت سنة الاولين أى من قتل منهم يوم بدر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان يعودوا لقتالك فقد مضت سنة الاولين من أهل بدر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به و برسوله وان يعد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتى فيمن قاتلكم منهم يوم بدر وأنا

للذين كفروا أى قل لأجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول فى السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى ولو كان المراد خطابهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان تعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فاهلكوا أو غلبوا كقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلى واستدل كثير من العلماء منهم أصحاب أبى حنيفة بالآية على أن الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع و بعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب أبو حنيفة الى أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة فى حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا فى أن الزنديق هل تقبل توبته أم لا والصحيح أنها مقبولة لشمول الآية جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم أمر بقتالهم ان أصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الآية وقدمر

عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد الا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الارض وهو الفتنة و يكون الدين كله لله يقول وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعنى حتى لا يكون شرك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال الفتنة الشرك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يقول قاتلوهم حتى لا يكون شرك و يكون الدين كله لله حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل النبى صلى الله عليه وسلم والبها دعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون شرك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون بلاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله أى لا يفتن مؤمن عن دينه و يكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك و يخلع ما دونه من الأنداد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون كفر و يكون الدين كله لله لا يكون مع دينكم كفر حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كتب اليه يسأله عن أشياء فكتب اليه عروة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك كتبت الىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وسأخبرك به ولا حول ولا قوة الا بالله كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أن الله أعطاه النبوة فنعم النبى ونعم السيد ونعم العشيرة جزاه الله خيرا وعرفنا وجهه فى الجنة وأحيانا على ملته وأماتنا عليها وبعثنا عليها وانه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه لم ينفر وامنه أول ما دعاهم اليه وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانعطف عنه عامة الناس فتركوه الا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ثم ائتمرت رؤسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم واخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزلزال فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشى لا يظلم أحد بأرضه وكان يثنى عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة متجر القريش يتجرون فيها ومساكن لتجارتهم يجدون فيها رتاعا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا فأمرهم بها النبى صلى الله عليه وسلم فذهب اليها عامتهم لما قهروا بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث ذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم انه فشا الاسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكانت الفتنة الاولى هى أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال فلما استرخى عنهم ودخل فى الاسلام من دخل منهم تحدث بهذا الاسترخاء عنهم فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وانهم لا يفتنون فرجعوا الى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون و يكثرون وانه أسلم من الانصار بالمدينة ناس كثير وفشا بالمدينة

تفسيره فى سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله فى قوله و يكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع أهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر وأسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب أراد فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم ومتولى أموركم يحفظكم و يدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته (التأويل) قالوا قد سمعنا وما سمعوا فى الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعواهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر لتعلم أن من هذا حاله كيف يكون مثل القرآن مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا به و بأنواره وأسراره وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لأنه رحمة للعالمين والرحمة تنافى العذاب ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم يعنى أكثر المتقين

الاسلام وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأت ذلك قريش تواصرت على أن يفتنوهم و يشدوا عليهم فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم فأصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة فكانت ثنتين فتنة أخرجت من خرج منهم الى أرض الحبشة حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم فى الخروج اليها وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة ثم انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا رؤس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه على أنا منك وأنت منا وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا الى المدينة وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج هو وهى التى أنزل الله فيها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير أنه كتب الى الوليد أما بعد فانك كتبت الىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وعندى بحمد الله من ذلك علم بكل ما كتبت تسألنى عنه وسأخبرك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن الاعمش عن مجاهد وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال يسأف ونائلة صنمان كانا يعبدان وأما قوله فان انتهوا فان معناه فان انتهوا عن الفتنة وهى الشرك بالله وصاروا الى الدين الحق معكم فان الله بما يعملون بصير يقول فان الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول فى دين الاسلام لانه يبصركم و يبصر أعمالكم والاشياء كلها متجلية له لا تغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين وقد قال بعضهم معنى ذلك فان انتهوا عن القتال والذى قلنا فى ذلك أولى بالصواب لان المشركين وان انتهوا عن القتال فانه كان فرضا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا ﴿القول فى تأويل قوله﴿وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ يقول تعالى ذكره وان أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم اليه أيها المؤمنون من الايمان بالله ورسوله وترك قتالكم على كفرهم فأبوا الا الاصرار على الكفر وقتالكم فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم عليهم وناصركم نعم المولى هو لكم يقول نعم المعين لكم ولاوليائه ونعم النصير وهو الناصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان تولوا عن أمرك الى ما هم عليه من كفرهم فان الله هو مولاكم الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم نعم المولى ونعم النصير

﴿تم الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى و يليه الجزء العاشر
أوله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿واعلموا انما غنمتم﴾

أولا يعلمون أنهم لياؤه لان الولى قد لا يعرف أنه ولى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم كذلك دأب كفار النفوس ينفقون أموال الاستعداد الفطرى فى غير طلب الله وانما تصرفها فى استيفاء اللذات والشهوات فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولا جلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة والنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التى لا تركن الى الدنيا ولا تنخدع بانخداع النفوس فيركمه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فيلقى الجميع فى جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب أى ستروا النور الروحانى بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم يستر لهم تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس حتى لا تكون آفة مانعة عن الوصول و يكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى أعلم

م

* (فهرست الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى) *

صحيفة	
٣	ذكر من أرسل اليهم شعيب عليه السلام والعذاب الذى عذبوا به
١٠	ذكر طرف من أمر فرعون حين أرسل اليه موسى عليه السلام وألقى عصاه
١٣	ذكر ما فعله فرعون من تعليم طائفة السحر ليناظروا موسى
١٩	ذكر ما قالته بنو اسرائيل لموسى حين أدركهم فرعون
٢١	ذكر ما أرسل على فرعون وقومه من الآيات وما عذبوا به
٣٠	بيان أن بنى اسرائيل لم تملك مصر بعد فرعون وأن مشارق الارض ومغاربها التى ملكتها هى الشأم
٣١	بيان أن بنى اسرائيل حين خرجوا من البحر مروا على قوم لهم تماثيل بقر يعبدونها فتمنوا أن يكون لهم منها ما يعبد
٣٢	ذكر خروج موسى الى مناجاة ربه بعد غرق فرعون
٣٤	ذكر السبب فى سؤال موسى رؤية الله
٣٤	ذكر طرف مما يقوله أهل الكتاب فى قصة موسى عند طلب الرؤية
٣٦	ذكر ما تم للجبل حين التجلى
٤٠	ذكر ما قاله موسى لآدم وما قاله آدم له
٤٣	ذكر ما فعلته بنو اسرائيل من اتخاذ العجل بعد مفارقة موسى لهم
٤٥	ذكر طرف مما كان فى ألواح موسى من صفات هذه الامة
٤٦	بيان ما قيل فى من أى شئ كانت الالواح
٤٨	بيان ما يجب تعميمه من آى الكتاب

صحيفة	
٥٠	ذكر خبر خروج موسى لميقات واختياره السبعين من قومه
٥٦	بيان ما أخبر الله أن يجعله لبنى اسرائيل فاختار واغيره فجعله لهذه الامة
٦١	ذكر القرية التى مسخ أهلها بعدوانهم فى السبت وسوق قصتهم
٧٠	ذكر ما وعدت به اليهود من الذلة والصغار الى يوم القيامة
٧٢	ذكر ما كانت عليه اليهود من أخذهم الرشا وحكمهم بغير الحق
٧٤	ذكر ما فعلته بنو اسرائيل مع موسى حتى رفع فوقهم الجبل
٧٥	ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره
٨٢	ذكر قصة الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها
٩٠	ذكر صفة من خلقه للنار
٩٨	ذكر قصة ابليس مع حواء فى أول حملها
١٠٤	بيان الاخلاق التى أمر النبى أن يأخذ بها
١٠٦	بيان ما عليه أهل التقوى من تذكرهم عقاب الله عند ما يطرأ لهم طيف من غضب أو غيره
١١٠	بيان المحال التى يجب الانصات فيها القراءة القرآن وذكر الخلاف فيها
١١٤	* (تفسير سورة الانفال) *
١١٤	بيان الصواب فى معنى الانفال وبيان ما كان لهم من الاختلاف فى أمر الغنائم يوم بدر وكيف قسمة رسول الله لها
١٢٧	ذكر غزوة بدر وما تم فيها من امداد الملائكة
١٣٣	بيان ما يجب على المحارب من المصابرة وما يجوز له الفرار
١٣٥	بيان معجزة الرمى الذى فعله النبى فى بدر

صحيفة		صحيفة	
١٤٦	بيان مافعله بعض المنافقين فى مكاتبة المشركين حتى نزل يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الآية	١٥٢	ذكر ما كان يدعوبه المشركون
١٤٩	ذكر ما اتفق عليه المشركون فى دار الندوة من أذية رسول الله أوقتله	١٥٤	ذكر فوائد الاستغفار
		١٥٧	ذكر ما كان تفعله المشركون فى صلاتهم

(تم فهرست الجزء التاسع من تفسير ابن جرير)

* (فهرست الجزء التاسع من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء التاسع من تفسير ابن جرير) *

صحيفة	
٢	تفسير قوله والى مدين أخاهم شعيبا الآيات وبيان مافيها من القراآت والوقوف
٣	بيان أن الانبياء يبدؤن قومهم في الموعظة بصدهم عما كانوا مقبلين عليه
٩	تأويل تلك الآيات
١٠	تفسير قوله وما أرسلنا في قرية الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٤	تأويل تلك الآيات
١٤	تفسير قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٧	ذكر صفة الثعبان الذي تبدلت به العصا وما تم لفرعون عند رؤيته
٢٣	بيان الخلاف في أن فرعون فعل بالسحرة ما هم به أم لا
٢٤	تأويل تلك الآيات
٢٦	تفسير قوله وقال الملا الآيات وبيان القراآت والوقوف
٢٨	ذكر ما حصل بين عمرو بن عبيد والمنصور العباسي
٣٠	ذكر ما حصل لقوم فرعون حين دعا عليهم موسى
٣٣	ذكر ما فعلته بنو اسرائيل بعد ما جاوزوا البحر
٣٤	تأويل تلك الآيات
٣٥	تفسير قوله وواعدنا موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
٣٨	بيان المذاهب في كلام الله
٤٠	بيان ما استدل به الاشاعرة والمعتزلة على عدم الرؤية وجوازها
٤٤	ذكر قصة العجل الذي اتخذه السامري لبني اسرائيل وبيان الخلاف في الخوار
٤٩	تأويل تلك الآيات
٥١	تفسير قوله واختار موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف

صحيفة	
٥٩	بيان الاوصاف التسعة التي وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الآيات
٦٠	بيان ما ذكره جماعة من المفسرين من أن طائفة من بني اسرائيل دخلوا في نفق في الارض حتى خرجوا وراء الصين
٦٠	تأويل تلك الآيات
٦٣	تفسير قوله وقطعناهم الآيات وبيان القراآت والوقوف
٦٧	بيان أن أهل القرية الممسوخ أهلها كانوا ثلاث فرق أو اثنتين
٧٠	تأويل تلك الآيات
٧١	تفسير قوله واذ أخذ ربك الآيات وبيان القراآت والوقوف
٧٦	ذكر قصة بلعم بن باعوراء
٧٩	بيان ما تمسكت به الاشاعرة على أن الهداية والضلال بخلق الله وما أولت به المعتزلة الآية وما رد عليهم به
٨٥	تأويل تلك الآيات
٨٦	تفسير قوله أولم يتفكروا ما بصاحبهم الآيات وبيان القراآت والوقوف
٩٣	ذكر ما وقع لآدم مع ابليس حين حملت زوجته
٩٧	تأويل تلك الآيات
٩٨	تفسير قوله خذ العفو الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٠٠	بيان أن الغضب متى يهيج وانه كيف تخف وطأته على الانسان
١٠٢	بيان الخلاف في الانصات للقرآن متى يجب
١٠٥	تأويل تلك الآيات
١٠٦	*(تفسير سورة الانفال)*
١١٠	بيان الخلاف في أن الانسان يجوز له أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله أم لا
١١٢	ذكر قصة بدر
١١٧	بيان الاختلاف في قتال الملائكة يوم بدر

صحيفة		صحيفة	
١١٨	تأويل تلك الآيات	١٣٩	بيان أن الانسان يلزمه اجابة الرسول ولو فى الصلاة
١٢٢	تفسير قوله اذ يغشيكم النعاس الآيات وبيان القرآت والوقوف	١٤٣	بيان ماوقع فى أهل الجمل من الآيات
١٣٠	بيان الرمى الذى رماه صلى الله عليه وسلم وهل هو فى بدر أو غيرها	١٤٤	بيان حصار يهود بنى قريظة
١٣٣	تأويل تلك الآيات	١٥٠	تأويل تلك الآيات
١٣٦	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وبيان القرآت والوقوف	١٥٢	تفسير قوله واذا تتلى عليهم الآيات وبيان القرآت والوقوف
		١٥٨	بيان المطعمين يوم بدر من كفار قريش

(تم فهرست الجزء التاسع من النيسابورى)

الجـــزء العـــاشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٧ هجرية

﴿ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذا التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله ﴿واعلموا أنما غنمتم من شئ﴾ قال أبو جعفر وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم اذا غنموها يقول تعالى ذكره واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة واختلف أهل العلم فى معنى الغنيمة والفئ فقال بعضهم فيهما معنيان كل واحد منهما غير صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد عن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح قال سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وهذه الآية ما أفاء الله على رسوله قال قلت ما الفئ وما الغنيمة قال اذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة وأما الارض فهى فى سواد ناهذا فئ

وقال آخرون الغنيمة ما أخذ عنوة والفئ ما كان عن صلح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان الثورى قال الغنيمة ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهدها والفئ ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس هو لمن سمى الله

وقال آخرون الغنيمة والفئ بمعنى واحد وقالوا هذه الآية التى فى الانفال ناسخة قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال كان الفئ فى هؤلاء ثم نسخ ذلك فى سورة الانفال فقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر وجعل الخمس لمن كان له الفئ فى سورة الحشر وسائر ذلك لمن قاتل عليه وقد بينا فيما مضى الغنيمة وأنها المال يوصل اليه من

دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴿ القراآت بالعدوة بكسر العين في الحرفين ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيي بياءين أبو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزي وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وهشام اني أرى اني أخاف بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير ﴿ الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير ٥ أسفل منكم ط في الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حي عن بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ٥ مفعولا ط الامور ٥ تفلحون ٥ ج للآية وللعطف واصبروا ط الصابرين ٥ ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ٥ جار لكم ط أخاف الله ط العقاب ٥ دينهم ط حكيم ٥ ﴿ التفسير لما أمر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة أعاد حكم الغنيمة ببيان أوفى وأشفى فقال واعلموا أنما غنمتم أي الذي حزتم من أموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما أي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط والخيط وقوله فأن لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفي عن أبي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان أقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة واعلم أن الآية تقتضي أخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على أقوال أشهرها أن ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين

مال من خول الله ماله أهل دينه بغلبة عليه وقهر بقتال فأما الفيء فانه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك وهو ما رده عليهم منها بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب وقد يجوز أن يسمى ما ردته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيأ لان الفيء انما هو مصدر من قول القائل فاء الشيء يفيء فيأ اذا رجع وأفاءه الله اذا رده غير أن الذي ورد حكم الله فيه من الفيء بحكيه في سورة الحشر انما هو ما وصفت صفته من الفيء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب لعلل قد بينتها في كتابنا كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الدين وسنبينه أيضا في تفسير سورة الحشر اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى وأما قول من قال الآية التي في سورة الانفال ناسخة الآية التي في سورة الحشر فلا معنى له اذ كان لا معنى في احدى الآيتين ينفي حكم الاخرى وقد بينا معنى النسخ وهو نفي حكم قد ثبت بحكم خلافه في غير موضع بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله من شيء فانه مراد به كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء قال المخيط من الشيء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد بمثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم قوله فأن لله خمسه مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة وما فيهما وانما معنى الكلام فأن للرسول خمسه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول قال وقوله فأن لله خمسه مفتاح كلام لله ما في السموات وما في الارض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فأن لله خمسه قال لله كل شيء حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه قال لله كل شيء وخمس لله ورسوله ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس فخمس لله والرسول حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا أبان عن الحسن قال (١) أوصى أبو بكر رضي الله عنه بالخمس من ماله وقال ألا أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عبد الملك عن عطاء واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه

(١) الذي في ابن كثير عن ابن جرير أوصى الحسن وحرر اه كتبه مصححه

بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد وأما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله ويصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة الأهم فالأهم وواحد لذوى القربى يعنى أقارب رسول الله من أولاد هاشم والمطلب ابنى عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف أيضا المار وى عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بنى عبد شمس وجبير من بنى نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لانتكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه يستوى فى هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا أن للذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة أخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين أبى حنيفة والشافعى الا ان أبا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فأن لله خمسه وللرسول فأن لرسول الله خمسه كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وعن أبى العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة أسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لقاربه حتى قبض فاجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وهم اليتامى والمساكين قال وابن السبيل وكذلك روى عن عمر وعن من بعده من الخلفاء وروى ان أبا بكر منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيأ وروى عن زيد بن على أنه قال ليس

وللرسول قال نحس الله وخمس رسوله واحد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويصنع فيه ماشاء حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أصحابه عن ابراهيم واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال كل شئ لله الخمس للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل * وقال آخرون معنى ذلك فان لبيت الله خمسه وللرسول ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع بن الجراح عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذى قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الى آخر الآية قال فكان يجاء بالغنيمة فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم فيجعل أربعة بين الناس ويأخذ سهما ثم يضرب بيده فى جميع ذلك السهم فما قبض عليه من شئ جعله للكعبة فهو الذى سمى لله ويقول لا تجعلوا لله نصيبا فان لله الدنيا والآخرة ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم سهم للنبى صلى الله عليه وسلم وسهم لذوى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل * وقال آخرون ما سمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانما هو مراد به قرابته وليس لله ولا لرسوله منه شئ ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة فربع لله والرسول ولذى القربى يعنى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ والربع الثانى لليتامى والربع الثالث للمساكين والربع الرابع لابن السبيل * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال قوله فأن لله خمسه افتتاح كلام وذلك لاجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم وانما اختلف أهل العلم فى قسمه على خمسة فما دونها فأما على أكثر من ذلك فلا نعلم قائلا قاله غير الذى ذكرنا من الخبر عن أبى العالية وفى اجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا فأما من قال سهم الرسول لذوى القربى فقد أوجب للرسول سهما وان كان صلى الله عليه وسلم صرفه الى ذوى قرابته فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم وقد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الآية قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا غنم غنيمة جعلت أخماسا فكان خمس لله ولرسوله ويقسم المسلمون ما بقى وكان الخمس الذى جعل لله ولرسوله لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكان هذا الخمس خمسة أخماس خمس لله ورسوله وخمس لذوى القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبى عائشة قال سألت يحيى بن الجزار عن سهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال هو خمس الخمس حدثنا ابن وكيع

لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روى عن علي عليه السلام انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن أنس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان رأى أعطى بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فذا فعند هذا يكون معنى قوله فأن لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن العمل والطاعة أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة و (يوم الفرقان) يوم بدر لانه فرق فيه بين أهل الحق وأهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي أنزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد والله على كل شئ قدير) فبذلك نصر القليل على الكثير (اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان (بالعدوة) بالكسر والضم شط الوادي أي جانبه وحافته وقال أبو عمرو هي المكان المرتفع و (الدنيا) تأنيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا وأما القصوى تأنيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا أيضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة (والركب) يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير (أسفل منكم) بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ أي مكانا أسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلاث تصوير وقعة بدر ومادبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رأفته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كانت في مكان فيه الماء وكانت أرضا لا بأس بها وأما العدوة الدنيا فهي رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم ونجدتهم ولهذا كانت العرب

قال ثنا ابن عيينة وجرير عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمسه لذوي القربى وخمسه لليتامى وخمسه للمساكين ولابن السبيل خمسه وأما قوله ولذي القربى فان أهل التأويل اختلفوا فيهم فقال بعضهم هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة فجعل لهم خمس الخمس **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزني عن السدي عن ابن الديلمي قال قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشأم أما قرأت في الأنفال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية قال نعم قال فانكم لأنتم هم قال نعم **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قال هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن عطاء عن ابن عباس أن نجدة كتب اليه يسأله عن ذوي القربى فكتب اليه كتابا نزعم أنا نحن هم فأبى ذلك علينا قومنا * قال **حدثنا** الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمس لذوي القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين ولابن السبيل خمسه * وقال آخرون بل هم قريش كلها ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب نجدة الى ابن عباس يسأله عن ذي القربى قال فكتب اليه ابن عباس قد كنا نقول انا هم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا قريش كلها ذو وقربى * وقال آخرون سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار من بعده لولي الامر من بعده ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده * وقال آخرون بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة وممن قال ذلك الشافعي وكانت علته في ذلك ما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم

تخرج الى الحروب بعيالهم وأثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم فى الميعاد فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من (٦) التلاقى ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضى الله) أى ليظهر (أمرا كان مفعولا) مقدرا وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل من ليقضى بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام وذلك أن وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات ما يكون الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة أى لاشك فى كفره وعناده كما أنه لم يبق شك للمسلمين فى حقية دين الاسلام وفى قوله ليقضى وليهلك دلالة على أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بنياتكم (اذ يريكهم) منصوب باذكر أو بدل آخر من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أى يعلم تدابيركم اذ يريكهم (فى منامك) أى فى رؤياك (قليلا) أراه اياهم فى رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل فى منامك أى فى عينك فى اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف (ولو أراكهم كثيرا على ما هم عليه (لفشلتم) والفشل الجبن والخور (ولتنازعتم فى الامر) أمر الحرب والاقدام (ولكن الله سلم) عصم من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام (واذ يريكموهم) يبصركم اياهم (اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث (ويقللكم فى أعينهم) الحكمة فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهرة مع ان فى ذلك تصديقا لرؤيا النبى وأما تقليل المؤمنين والخمس فى أعين الكفار فالحكمة فى ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاتهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغى (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) فعل ما فعل من التقليل (والى الله ترجع الامور) فيه ان أحوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح أن يكون زادا للمعاد ثم علم

وبنو المطلب شئ واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه احداهما بالاخرى * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال سهم ذى القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وحلفائهم من بنى المطلب لان حليف القوم منهم والصحة الخبر الذى ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العلم فى حكم هذين السهمين أعنى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذى القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يصرفان فى معونة الاسلام وأهله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذى القربى فجعل هذان السهمان فى الخيل والسلاح وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبى صلى الله عليه وسلم لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم وقال قائلون سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدة فى سبيل الله فكانا على ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر ابن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يجعلان سهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان على رضى الله عنه يقول فيه قال كان على أشدهم فيه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين الآية قال ابن عباس فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أنحاس أربعة بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة لله وللرسول ولذى القربى يعنى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم رد أبو بكر رضى الله عنه نصيب القرابة فى المسلمين فجعل يحمل به فى سبيل الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذى القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى حمل عليه أبو بكر وعمر فى سبيل الله صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون سهم ذوى القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ولى أمر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو ابن ثابت عن عمران بن طيبان عن حكيم بن سعد عن على رضى الله عنه قال يعطى كل انسان نصيبه من الخمس ويلى الامام سهم الله ورسوله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذوى القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفى جعل لولى الامر من بعده * وقال آخرون سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس

المؤمنين آداب اللقاء فى الحروب فقال (اذا لقيتم فئة فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا والتقاء اسم غلب فى القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات فى القتال لا ينافى الرخصة فى التحرف والتحيز فلعل الثبات فى الحرب لا يحصل الا بهما (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة (٧) وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له أن يفتر عن ذكر ربه فى أى شغل وعمل كان ولو أن رجلا أقبل من المغرب الى المشرق منفقا أمواله لله والآخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه فى سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجرا وقيل المراد من هذا الذكر أن يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم (وأطيعوا الله ورسوله) فى سائر ما يأمر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات (ولا تنازعوا فتفشلوا) منصوب باضمار أن أو مجزوم لدخوله فى حكم النهى ويظهر التقدير ان فى قوله (وتذهب ريحكم) على القراءتين والريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأى نحو ما وقع لهم بأحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضى غالبا الى النزاع المنهى عنه وكذا القائلون بأن النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال أهل السير ان أهل مكة حين نفروا لحماية العير أتاهم رسول أبى سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ننحر بها الجزور ونعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) الآية وصفهم بأوصاف ثلاثة أولها البطر وهو الطغيان فى النعمة ويقال أيضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله

والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك قول جماعة من أهل العراق * وقال آخرون الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار قال ثنا المنهال بن عمرو قال سألت عبد الله بن محمد ابن على وعلى بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلى ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقالا يتامانا ومساكيننا * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ما روى عن ابن عباس للقرابة سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل سهم لان الله أوجب الخمس لاقوام موصوفين بصفات كما أوجب الاربعة الاخماس لآخرين وقد أجمعوا أن حق الاربعة الاخماس لمن يستحقه غيرهم فكذلك حق أهل الخمس لمن يستحقه غيرهم فغير جائز أن يخرج عنهم الى غيرهم كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التى جعلها الله لمن سماه فى كتابه بفقد بعض من يستحقه الى غير أهل السهمان الاخر وأما اليتامى فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل المجتاز سفرا قد انقطع به كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال الخمس الرابع لابن السبيل وهو الضيف الفقير الذى ينزل بالمسلمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتم من شئ فقسوم القسم الذى بينته وصدقوا به ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق بين الحق والباطل ببدر فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم وذلك يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين والله على اهلاك أهل الكفر واذلالهم بأيدى المؤمنين وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شئ أراده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يعنى بالفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير * واسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله يومئذ المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن مقسم يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عثمان الجزرى عن مقسم فى قوله يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يوم التقى

فيها فذالك هو البطر والتكبر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على آبناء الزمان فذالك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية أو هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله (ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدى معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم أو يكون الكل أحوالا على تأويل بطرين مرائين صادين أو يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه فى التفسير الكبير بأنه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح له كون الكلمة معطوفة على جنسها وكان من الواجب عليه أن يذكر السبب الذى لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان أباجهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرياء فذكر بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما وأما الصد فانما حصل فى زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التى اخترعها الامامان (والله بما يعملون محيط) فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار أقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار (واذ زين) معناه واذكر اذ زين أو هو معطوف على ما قبله من النعم وأقربها قوله واذ يريكموهم وفى هذا التزيين وجهان أحدهما أن الشيطان زين بوسوسته من غير أن يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفى الكشاف زين لهم الشيطان أعمالهم التى عملوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أى بطل كيده حين نزلت بكسر جنود الله وثانيهما انه ظهر فى صورة انسان وذلك ان المشركين حين أرادوا المسير الى بدر ذكروا الذى بينهم وبين بنى كنانة من الحرب فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من أشرافهم فى جند من الشياطين

الجمعان يوم بدر وبدر بين المدينة ومكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنى يحيى ابن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله الثقفى عن أبى عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب قال قال الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم التقى الجمعان قال ابن جريج قال ابن كثير يوم بدر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أى يوم فرق بين الحق والباطل ببدر أى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وذاكم يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم﴾ يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم ان كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر اذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله اذ أنتم حينئذ بالعدوة الدنيا يقول بشفير الوادى الأدنى الى المدينة وهم بالعدوة القصوى يقول وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادى الاقصى الى مكة والركب أسفل منكم يقول والعير فيه أبو سفيان وأصحابه فى موضع أسفل منكم الى ساحل البحر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذ أنتم بالعدوة الدنيا قال شفير الوادى الأدنى وهم بشفير الوادى الاقصى والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وهما شفيرا الوادى كان نبى الله أعلى الوادى والمشركون بأسفله والركب أسفل منكم يعنى أبا سفيان انحدر بالعير على حوزته حتى قدم بها مكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى من الوادى الى مكة والركب أسفل منكم أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا لم يشعروا بأصحاب بدر ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقيا على ماء بدر من يسق لهم كلهم فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر منازل القوم والعير فقال اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب هو أبو سفيان وعيره أسفل منكم على شاطئ البحر واختلفت القراء فى قراءة قوله اذ أنتم بالعدوة فقرأ ذلك عامة قراء المدنيين والكوفيين بالعدوة بضم العين وقرأه بعض المكيين والبصريين بالعدوة بكسر العين وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ينشد بيت الراعى

وعينان حرما آقيهما * كما نظر العدوة الجؤذر

معه رايه (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس) أى لاغالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لاغالب الا ياكم لانتصب كما يقال لاضارباز يدا (واني جار لكم) أى مجيركم من بنى كنانة أومن كل عدو يعرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار (فلما تراءت الفئتان) أى التقى الجمعان (٩) بحيث رأت كل واحدة الاخرى (نكص على عقبيه) والنكوص الاحجام عن الشئ أى رجع (وقال انى برىء منكم) قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال (انى أرى مالا ترون) أى من نزول الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفى الحديث مارؤى ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا مارأى يوم بدر وأما قوله (انى أخاف الله) فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن أن الوقت الذى أنظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى أرى مالا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله وقوله (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز أن يكون اعتراضا وظرفه (اذ يقول) أولا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على أنه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف و(المنافقون) قوم من الاوس والخزرج بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد قوم من قريش أسلموا وماقوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة أقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر (غر هؤلاء دينهم) قال ابن عباس معناه أنه خرج بثلثمائة وثلاثة عشر الى زهاء ألف وماذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل أنفسهم

بكسر العين من العدوة وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر

وفارس لوتحل الخيل عدوته * ولواسراعا وماهموا باقبال

القول فى تأويل قوله ﴿ولوتواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ يعنى تعالى ذكره ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم لاختلفتم فى الميعاد لكثرة عدد عدوكم وقلة عدد كم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولوتواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عدد كم مالقيتموهم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله عن غير بلاء منكم فعل ما أراد من ذلك بلطفه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمر بن اسحق قال أقبل أبوسفيان فى الركب من الشام وخرج أبوجهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقت السقاة قال ونظر الناس بعضهم لبعض ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ولكن الله جمعهم هنالك ليقضى أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة وهذه اللام فى قوله ليهلك مكررة على اللام فى قوله ليقضى كأنه قال ولكن ليهلك من هلك عن بينة جمعكم ويعنى بقوله ليهلك من هلك عن بينة ليموت من مات من خلقه عن حجة الله قد أثبتت له وقطعت عذره وعبرة قد عاينها ورآها ويحيا من حى عن بينة يقول وليعيش من عاش منهم عن حجة الله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليهلك من هلك عن بينة لما رأى من الآيات والعبر ويؤمن من آمن على مثل ذلك وأما قوله وان الله لسميع عليم فان معناه وان الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه فى منامه ويريكم عدوكم فى أعينكم قليلا وهم كثير ويراكم عدوكم فى أعينهم قليلا عليم بما تضمره نفوسكم وتنطوى عليه قلوبكم حينئذ وفى كل حال يقول جل ثناؤه لهم ولعباده واتقوا ربكم ايها الناس فى منطقكم أن تنطقوا بغير حق وفى قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشد فان الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن

القول فى تأويل قوله ﴿اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره وان الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك عليم بما يضمرونه اذ يريك الله عدوك وعدوهم فى منامك قليلا يقول يريكهم فى نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم ولو أراك ربك عدوك وعدوهم

رجاء أن يجعلوا أحياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل أمره اليه ويثق بفضله (فان الله عزيز) غالب يسلط الضعيف القليل على القوى الكثير (حكيم) يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه ۞ التأويل واعلموا يا أهل الجهاد الاكبر أنما غنمتم عند رفع الحجب من أنوار (١٠) المشاهدات وأسرار المكاشفات فلكم أربعة أخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون نحسها في الله مخلصا والرسول متابعا ولذى القربى يعنى الاخوان في الله مواصلا واليتامى يعنى أهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين تمسكوا بأيدى الارادة بأذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما أنزلنا على عبدنا في سفر فاوحى الى عبده ما أوحى يوم الفرقان الذى فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يتبعه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل والله على كل شئ قدير فيقدر على أن يوصلكم في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ أنتم أيها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى أى الارواح بأقصى عالم الملكوت بارزة والركب أسفل منكم يعنى الهيا كل والقوالب في أسفل سافلى الطبيعة ولو تواعدتم أيها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم في الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضى الله أمرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التى استعدلها فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيا من حى عن بينة له فالاشقياء يبقون في سجين الطبيعة ونار القطيعة وأما السعداء فارواحهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ثم قال ارجعى الى ربك راضية ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلى في عبادى وأبدانهم في جنات النعيم

كثير الفشل أصحابك فجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا انه عليم بما تخفيه الصدور لا يخفى عليه شئ مما تضمره القلوب وقد زعم بعضهم أن معنى قوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا أى في عينك التى تنام بها فصير المنام هو العين كأنه أراد اذ يريكهم الله في عينك قليلا وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ يريكهم الله في منامك قليلا قال أراه الله اياهم في منامه قليلا فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه * وقال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يريكهم الله في منامك قليلا الآية فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولكن الله سلم فقال بعضهم معناه ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن الله سلم يقول سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ولكن الله سلم أمره فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولكن الله سلم قال سلم أمره فيهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن عباس وهو أن الله سلم القوم بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم في منامه من الفشل والتنازع حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم وذلك أن قوله ولكن الله سلم عقيب قوله ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر فالذى هو أولى بالخبر عنه انه سلمهم منه جل ثناؤه مما كان مخوفا منه لو لم يرنبيه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم في منامه ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور﴾ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم اذ يرى الله نبيه في منامه المشركين قليلا واذ يريهم الله المؤمنين اذ لقوهم في أعينهم قليلا وهم كثير عددهم ويقلل المؤمنين في أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم كما حدثنى ابن بزيع البغدادى قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم هم قال كنا ألفا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا قال ابن مسعود قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل أتراهم يكونون مائة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل ألا ان اذ

كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والآصال عليم بمن يستحق الاذلال أو يستأهل الاجلال
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة طبع الانسان ولكن الله سلم من الخوف
البشري ويقللكم في أعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معنا كم ومددكم بالملائكة

برزلكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال ياقوم لا تقتلوهم بالسلاح ولكن خذوهم أخذا فاربطوهم بالحبال يقوله من القدرة في نفسه وقوله ليقضي الله أمرا كان مفعولا يقول جل ثناؤه قللتكم أيها المؤمنون في أعين المشركين وأريتكموهم في أعينكم قليلا حتى يقضي الله بينكم ماقضى من قتال بعضكم بعضا واظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وذلك أمر كان الله فاعله وبالغا فيه أمره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته والى الله ترجع الامور يقول جل ثناؤه مصير الامور كلها اليه في الآخرة فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسن باحسانه والمسيء باساءته ۞ القول في تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الايمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به والافعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم ثم يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الادبار هاربين الامتحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة منكم واذكروا الله كثيرا بقلوبكم وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره لعلكم تفلحون يقول كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يقاتلونكم في سبيل الله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما في شئ ولا تنازعوا فتفشلوا يقول ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم وهذا مثل يقال للرجل اذا كان مقبلا عليه مايحبه ويسر به الريح مقبلة عليه يعني بذلك مايحبه ومن ذلك قول عبيد بن الابرص

كما حميناك يوم النعف من شطب ۞ والفضل للقوم من ريح ومن عدد

يعني من البأس والكثرة وانما يراد به في هذا الموضع وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل واصبروا يقول اصبروا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنه وتتركوه ان الله مع الصابرين يقول اصبروا فاني معكم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصركم قال وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذ القيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان وأعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما أنتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم أوصافهم وتركوا الدنيا وداروا البلاد وزاروا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا أنهم بلغوا مبلغ الرجال وأنه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق أهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وأمد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها نكص على عقبيه زهق باطله وصار مخالفا للنفس كما قال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من القلوب ولو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لأحرقه ولهذا قال اني أخاف الله وفيه اشارة الى أنه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه أرحم الراحمين

﴿ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون

فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (١٢) وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا

للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه
هو السميع العليم وان يريدوا أن
يخدعوك فان حسبك الله هو
الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف
بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن
الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين
على القتال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين باذن الله والله مع الصابرين
القراآت تتوفى بتاء التأنيث شامي
الباقون بالتذكير ولا يحسبن بياء
الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص
والمفضل الآخرون بتاء الخطاب
انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر
السين أبو بكر وحماد ترهبون
بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف
من الارهاب وان يكن منكم بالياء
التحتانية أبو عمرو وسهل ويعقوب
وعاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون
بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول
ضعفاء بالمد جعفر يزيد وقرأ حمزة
وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه
ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم
فان يكن منكم مائة بالتحتانية
عاصم وحمزة وعلى وخلف الوقوف كفروا لا لأن فاعل يتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفى

حين نازعوه يوم أحد حدثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتذهب ريحكم فذكر
نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه الا أنه
قال ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل
قال ثنا أسباط عن السدي ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال حربكم وجدكم حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتذهب ريحكم قال ريح الحرب حدثني يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتذهب ريحكم قال الريح النصر لم يكن نصر قط
الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو فاذا كان ذلك لم يكن لهم قوام حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تنازعوا فتفشلوا أي لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم فيذهب
جدكم واصبروا ان الله مع الصابرين أي اني معكم اذا فعلتم ذلك حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنازعوا فتفشلوا قال الفشل الضعف عن جهاد عدوه
والانكسار لهم فذلك الفشل القول في تأويل قوله ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾ وهذا تقدم من الله جل ثناؤه الى
المؤمنين به ورسوله أن لا يعملوا عملا الا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من
المشركين في مسيرهم الى بدر طلب رئاء الناس وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه وقيل لهم انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها فأبوا وقالوا نأتي بدرا
فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث بنا العرب لمكاننا فيها فسقوا مكان الخمر كؤس
المنايا كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثنا أبان قال ثنا هشام بن
عروة عن عروة قال كانت قريش قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم راكب
من أبي سفيان والركب الذين معه انا قد أجزنا القوم فارجعوا فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان
الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدرا فنقيم فيه ثلاث ليال
ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فانه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قال الله
الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والتقواهم والنبي صلى الله عليه وسلم ففتح الله على رسوله
وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المؤمنين منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق
في حديث ذكره قال ثني محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن
عروة بن الزبير وغيره من علمائنا عن ابن عباس قال لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل الى
قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل
ابن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل
عام فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا
العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا قال ابن حميد ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع
حتى نأتي بدرا وننحر بها الجزر ونسقي بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون

يهابوننا

هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لأن الكفار لا يستحقون أن يتوفاهم الله بلا واسطة وأدبارهم ج لحق الاضمار أي
يقولون ذوقوا الحريق ○ للعبيد ○ لا لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب ○ بأنفسهم

لا لعطف أن على أن عليم ○ لا للكاف من قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون ج لأن الواو تصلح للاستئناف والحال ظالمين ○ لا يؤمنون ○ ج لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الذم لا يتقون ○ يذكرون ○ على سواء ط الخائنين ○ سبقوا ط لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون ○ من دونهم ج

يا بونا أى لا يكونن أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم وموازرة نبيكم أى لا تعملوا الا لله ولا تطلبوا غيره **حدثنى** محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال أصحاب بدر **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بطرا ورئاء الناس قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير هم مشركو قريش وذلك خروجهم الى بدر **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعنى المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط قال كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبى الله يوم بدر خرجوا ولهم بغى وفخر وقد قيل لهم يومئذ ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم قالوا لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز مسيرنا وعددنا قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم ان قريشا أقبلت بفخرها وخيلائها تحادك ورسولك **حدثنى** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر المشركين وما يطعمون على المياه فقال لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الذين خرجوا من ديارهم بطرا قال هم المشركون خرجوا الى بدر أشرا وبطرا **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال لما خرجت قريش من مكة الى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط فتأويل الكلام اذا ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله فى العمل بالرياء والسمعة وترك اخلاص العمل لله واحتساب الاجر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومرآة الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس من دين الله والدخول فى الاسلام بقتالهم اياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الايمان بالله والله بما يعملون من الرياء والصد عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم محيط يقول عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه منه شئ وذلك أن الاشياء كلها له متجلية لا يعزب عنه منها شئ فهو لهم بها معاقب وعليها معذب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى

لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستئناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون ○ على الله ط العليم ○ حسبك الله ط بين قلوبهم الاول ط بينهم ط حكيم ○ من المؤمنين ○ على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ○ ضعفا ج مائتين ج باذن الله ط الصابرين ○ ۞ التفسير لما شرح أحوال هؤلاء الكفار فى حياتهم شرح أحوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى فى معنى الماضى لخاصية لو وكذا يتوفى لخاصية اذ واذ نصب على الظرف قاله فى الكشاف ويمكن أن يكون مفعولا به والمعنى لو رأيت أو عاينت أو شاهدت وقت قبض الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا فظيعا (يضربون وجوههم وأدبارهم) قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكنى وفى تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزى والنكال وعن ابن عباس المراد ما أقبل منهم وما أدبر وذلك أن المشركين كانوا اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا أدبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله فى وقت خروج أرواحهم ومعنى (عذاب الحريق) مقدمة عذاب النار أو عذاب النار نفسها فى الآخرة تبشيرا لهم بذلك وعن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله (ذلك بما قدمت أيديكم) الآية قد مر تفسيرها فى آخر آل عمران ويحتمل أن تكون هنا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر أن هذه سنة فى فرق الكفرة كلهم فقال (كدأب آل فرعون) يريد أن عادتهم وعملهم الذى داوموا عليه كعادة آل فرعون فجوزى هؤلاء

بالقتل والسبى كما جوزى أولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجرى مجرى العلة فى العقاب الذى أنزله بهم فقال (ذلك بان الله لم يك) حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الآية ان ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم يستقم فى حكمته وتدبيره أن يغير (نعمته على قوم حتى يغيروا ما) بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركى مكة قد فتح الله عليهم أبواب الخيرات وأزال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلاجرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن (وأن الله سميع) للاقوال (عليم) بالاحوال فيجزى كل فريق بما يستأهله ثم ذكر مرة أخرى قوله (كدأب آل فرعون) وفى التكرير بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثانى كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله فى حال الموت والثانى لما بعد الموت قلت ويشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق يحال الموت أنسب ومنها أن الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثانى اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد فى الاول كدأب آل فرعون فيما فعلوا وفى الثانى كدأب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون فى الاول ومفعولون فى الثانى ومنها أن المراد بالاول كفرهم بالله وبالثانى تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بردّ آيات ربهم ومنها أن يجعل الضمير فى كفروا وكذبوا لكفار قريش أى كفروا بآيات الله كدأب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم مدبرا أنكروا دلائل الالهية فكان لازمه الاخذ والثانى اشارة الى انهم أنكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله (وكل كانوا ظالمين) أى وكل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمى أنفسهم بالكفر

برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وحين زين لهم الشيطان أعمالهم وكان تزيينه ذلك لهم كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال جاء ابليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رايته فى صورة رجل من بنى مدلج فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده فولى مدبرا هو وشيعته فقال الرجل يا سراقة تزعم أنك لنا جار قال انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أتى المشركين ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى الشاعر ثم المدلجى فجاء على فرس فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس فقالوا ومن أنت قال أنا جار لكم سراقة وهؤلاء كنانة قد أتوكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر يعنى من الحرب فكاد ذلك أن يثبطهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التى كانت بينهم يقول الله فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون وصدق عدو الله انه رأى ما لا يرون وقال انى أخاف الله والله شديد العقاب فأوردهم ثم أسلمهم قال فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذى رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحى فذكر أحدهما فقال أين سراقة أسلمنا عدو الله وذهب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الى قوله شديد العقاب قال ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة فزعم عدو الله أنه لا يدى له بالملائكة وقال انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله وكذب والله عدو الله ما به مخافة الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال لما كان يوم بدر سار ابليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وانى جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان الى أمداد الملائكة نكص على عقبيه قال رجع

والمعاصى وظالمى غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال (ان شر الدواب) الآية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وأشار الى هذا بقوله (فهم لا يؤمنون) وشر المصرين الناكثون للعهود وأشار اليهم بقوله (الذين عاهدت منهم) ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف أى الذين عاهدتهم وهم بعض أولئك الكفرة يعنى الاشراف الذين معهم تليق المعاهدة (ثم ينقضون) عطف المستقبل على الماضى لفائدة الاستمرار وان من شأنهم نقض العهد (فى كل مرة) من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا وأعانوا عليه يوم الخندق (وهم لا يتقون) عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم أمر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال (فاما تثقفنهم) تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب (فشرد بهم من خلفهم) والتشريد التفريق مع الاضطراب أى ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه أكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير فى (لعلهم يذكرون) لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه أحد بعدهم اتعاظا بحالهم (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصدا أى أخبرهم اخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة قال فى الكشاف الجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل أن يكون حالا من المنبوذ أى حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شأن العهد اذ ذاك أو عن

مدبرا وقال انى أرى مالا ترون الآية **حدثنا** أحمد بن الفرج قال ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ابن الماجشون قال ثنا مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤى ابليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب الا ما رأى يوم بدر قالوا يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أما انه رأى جبريل يزع الملائكة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سليمن بن المغيرة عن حميد بن هلال عن الحسن فى قوله انى أرى مالا ترون قال رأى جبريل معتجرا ببرد عشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام ماركب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا سليمن بن المغيرة عن حميد بن هلال قال قال الحسن وتلا هذه الآية واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال سار ابليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم ولن تغلبوا كثرة فلما التقوا نكص على عقبيه يقول رجع مدبرا وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون يعنى الملائكة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال لما أجمعت قريش على السير قالوا انما نتخوف من بنى بكر فقال لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم أنا جار لكم من بنى بكر ولا غالب لكم اليوم من الناس فتأويل الكلام وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال وحين زين لهم الشيطان خروجهم اليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم وحسن ذلك لهم وحثهم عليكم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من بنى آدم فاطمئنوا وأبشروا وانى جار لكم من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم أجيركم وأمنعكم منهم ولا تخافوهم واجعلوا جدكم وبأسكم على محمد وأصحابه فلما تراءت الفئتان يقول فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ونظر بعضهم الى بعض نكص على عقبيه يقول رجع القهقرى على قفاه هاربا يقال منه نكص ينكص وينكص نكوصا ومنه قول زهير

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا * لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا

وقال للمشركين انى برىء منكم انى أرى مالا ترون يعنى أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين والمشركون لا يرونهم انى أخاف عقاب الله وكذب عدو الله والله شديد العقاب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال واذ يقول المنافقون وكرر بقوله اذ يقول المنافقون على قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا والذين فى قلوبهم مرض يعنى شك فى الاسلام لم يصح يقينهم ولم تشرح بالايمان صدورهم غر هؤلاء دينهم يقول غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم وذلك الاسلام وذكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالاسلام من مشركى قريش ولم يستحكم الاسلام فى قلوبهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال كان ناس من

انكشاف حاله فى النبذ قال أهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما أن تظهر ظهورا محتملا أو ظهورا مقطوعا به فان كان الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور فى الآية وذلك أن قريظة عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب أما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته فى يوم بدر ولم يتمكن من التشفى منه والانتقام كيلا يبقى حسرة فى قلبه فقد كان فيهم من بلغ فى أذيته مبلغا عظيما فقال (ولا يحسبن) من قرأ بتاء الخطاب ففعوله الاول (الذين كفروا) وثانيه (سبقوا) أى فاتوا وأفلتوا من ان يظفر بهم (انهم لا يعجزون) كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له الا أن المكسورة على طريقة الاستئناف كأن سائلا سأل مالهم لا يحسبون سابقين فأجيب بما أجيب والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف أى لأنهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أعجزت فلانا وعجزته جعلته أو وجدته عاجزا والمراد لا تحسبنهم أنهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا وآجلا ومن قرأ بالياء التحتانية نذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على أن الاصل أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود أنهم سبقوا ومنها أن الفعل وقع على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا فى موضع الحال ومنها أن المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم أولا يحسبن أنفسهم الذين كفروا سبقوا قال ومنها ان فاعله محذوف أى ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا آلة وعدة أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله ويتأهبوا لقتال الاعداء فقال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) عن عكرمة

أهل مكة تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاصى بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين قال معمر وقال بعضهم قوم كانوا أقروا بالاسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الى قوله فان الله عزيز حكيم قال رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله وذكر لنا أن أباجهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال ناس كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر وهم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا * قال **حدثنى** حجاج عن ابن جريج فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال لما مادنا القوم بعضهم من بعض فقلل الله المسلمين فى أعين المشركين وقللهم فى أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون فى ذلك فقال الله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم وأما قوله ومن يتوكل على الله فان معناه ومن يسلم أمره الى الله ويثق به ويرض بقضائه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شئ ولا يقهره أحد فجاره منيع ومن يتوكل عليه يكفه وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم أن يفوضوا أمرهم اليه ويسلموا القضائه كيما يكفيهم أعداءهم ولا يستذلهم من ناوأهم لأنه عزيز غير مغلوب بجاره غير مقهور حكيم يقول هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم لا يدخل تدبيره خلل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو تعاين يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم تضرب الوجوه منهم والأستاه ويقولون لهم ذوقوا عذاب النار التى تحرقكم يوم ورودكم جهنم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم قال يوم بدر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسمعيل بن كثير عن مجاهد يضربون وجوههم وأدبارهم

هى الحصون وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال ألا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله والأصح أنها عامة فى كل ما يتقوى به فى الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمى كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر أنه بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب أن ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد روى عن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى فى الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

ولقد علمت على توقى الردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها أولى بالربط لتفيد النسل وقيل هى الفحول لانها أقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لأجله أمر باعداد هذه الاشياء فقال (ترهبون به) أى بما استطعتم (عدو الله وعدوكم) لان الكفار اذا علموا تأهب المسلمين للقتال لم يجسروا على هجومهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة (وآخرين من دونهم) يريد بالاولين أهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجاريه قوله (لا تعلمونهم الله يعلمهم) والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم فى سلك المسلمين ظاهرا وأجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون فى أنفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدى هم أهل فارس وروى ابن جريج عن سليمن بن موسى انهم كفرة الجن وجاء فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالآخرين أعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم آخر ثم رغبهم فى الانفاق فى باب الجهاد فقال (وما تنفقوا من شئ

قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى ثنا سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد فى قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال أخبرنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير فى قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال ان الله كنى ولو شاء لقال أستاههم وانما عنى بأدبارهم أستاههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أستاههم يوم بدر * قال ابن جريج قال ابن عباس اذا أقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن قال قال رجل يا رسول الله انى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشراك فما ذاك قال ضرب الملائكة حدثنا محمد قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن منصور عن مجاهد أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر رأسه فقال سبقك اليه الملك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة أنه سمع عمر مولى غفرة يقول اذا سمعت الله يقول يضربون وجوههم وأدبارهم فانما يريد أستاههم * قال أبو جعفر وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره وهو قوله ويقولون ذوقوا عذاب الحريق حذفت يقولون كما حذفت من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا بمعنى يقولون ربنا أبصرنا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الله الذى يحرقكم هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم أى بما كسبت أيديكم من الآثام والاوزار واجترحتم من معاصى الله أيام حياتكم فذوقوا اليوم العذاب وفى معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بان الله ليس بظلام للعبيد لا يعاقب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه ولا يعذبه الا بمعصيته اياه لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه وفى فتح أن من قوله وأن الله وجهان من الاعراب أحدهما النصب وهو للعطف على ما التى فى قوله بما قدمت بمعنى ذلك بما قدمت أيديكم وبان الله ليس بظلام للعبيد فى قول بعضهم والخفض فى قول بعض والآخر الرفع على ذلك بما قدمت وذلك أن الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ﴾ يقول تعالى ذكره فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنعهم وفعلهم وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الامم الخالية قبلهم ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك وقد بينا فيما مضى أن الدأب هو الشأن والعادة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا شيبان عن جابر عن عامر ومجاهد وعطاء كدأب آل فرعون كفعل آل فرعون كسنن آل فرعون وقوله فأخذهم الله بذنوبهم يقول فعاقبهم الله بتكذيبهم حجه ورسله ومعصيتهم ربهم كما عاقب أشكالهم والامم الذين قبلهم ان الله قوى لا يغلبه غالب

في سبيل الله يوف اليكم) أي ثوابه (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم رخص في المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال (وان جنحوا للسلم) الآية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب أو بتأويل الخصلة أو الفعلة عن ابن عباس ومجاهد أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله أو بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى أن يقال انها ثابتة فليس بحتم أن يقاتل المشركون أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وذويه فاذا رأى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد أو لقلة المال وبعد العدو وقد تكون مع القوة للطمع في اسلامهم أو قبولهم الجزية اذا خالطوا المسلمين أو بأن يعينوه على قتال غيرهم وأما مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح في المهادنة فقد قال الشافعي يهادن أربعة أشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا في الارض أربعة أشهر وذلك كان في أقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا أنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استأنف العقد ثم قال (وتوكل على الله) أي فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وبنصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شأن قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم (انه هو السميع) للاقوال (العليم) بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما أمكن ثم ذكر حكما من أحكام المهادنة فقال (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك) محسبك وكافيك (الله) والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان أصل الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الآية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم

ولا يرد قضاءه وراد ينفذ أمره ويمضي قضاءه في خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حجته ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم باخراجهم اياه من بينهم وتكذيبهم له وحربهم اياه فغيرنا نعمتنا عليهم باهلاكنا اياهم كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يقول نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش وكفروا فنقله الى الانصار وقوله وأن الله سميع عليم يقول لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر عليم بما تضمره صدورهم وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره غير هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر نعمة ربهم التي أنعم بها عليهم بابتعاثه محمدا منهم وبين أظهرهم داعيا لهم الى الهدى بتكذيبهم اياه وحربهم له كدأب آل فرعون كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبي الله في تكذيبهم اياه وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الامم المكذبة رسلها وصنيعهم فأهلكناهم بذنوبهم بعضا بالرجفة وبعضا بالخسف وبعضا بالريح وأغرقنا آل فرعون في اليم وكل كانوا ظالمين يقول كل هؤلاء الامم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر اذ غيروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف وأذللنا بعضهم بالاسار والسباء ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون يقول فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرون بوحيه وتنزيله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ان شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم يا محمد يقول أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوا فعلوك وحاربوك وظاهروا عليك وهم لا يتقون الله ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم قال قريظة مالؤا على محمد يوم الخندق أعداءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاما

خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على أمور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على أمارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم أكد كون الله تعالى كافيا له بقوله (هو الذى أيدك بنصره) أى من غير واسطة أسباب معتادة (و بالمؤمنين) أى بوساطة الانصار ثم بين أنه كيف أيده بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك أشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن فى الامور المستحقرة لم تكد تألف أهواؤهم وينتظم شملهم ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال والتحقيق فى الباب أن المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة أمرا سريع التغير كالمال أو الجاه أو اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق فى المال والجاه والتعصب والتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين أخرى فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين فى الله ولله (انه عزيز حكيم) أى قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعى فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان أو على حسب المصالح على اختلاف القولين فى مسئلة الجبر والقدر قال القاضى لولا ألطاف الله تعالى

تلقين فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة فتأسرهم فشرد بهم من خلفهم يقول فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد والتشريد التطريد والتبديد والتفريق وانما أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه و بينهم اذا قدر عليهم فعلا يكون اخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينه عهد حتى لا يجترؤا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يعنى نكل بهم من بعدهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من وراءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول عظ بهم من سواهم من الناس حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدو لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فشرد بهم من خلفهم قال أنذر بهم من خلفهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال نكل بهم من خلفهم من بعدهم * قال ابن جريج قال عبد الله ابن كثير نكل بهم من وراءهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من بعدهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم قال أخفهم بما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وأما قوله لعلهم يذكرون فان معناه كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم فيحذروا نقض العهد الذى بينك و بينهم خوف أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء اذا هم نقضوه * القول فى تأويل قوله ﴿واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين﴾ يقول تعالى ذكره وإما تخافن يا محمد من عدوك بينك و بينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك وذلك هو الخيانة والغدر فانبذ اليهم على سواء يقول فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك و بينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء فى العلم بأنك لهم محارب فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر ان الله لا يحب الخائنين الغادرين بمن كان منه فى أمان وعهد بينه و بينه أن يغدر به فيحاربه قبل اعلامه اياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد فان قال قائل وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظن لا يقين قيل ان الامر بخلاف ما اليه ذهبت وانما معناه اذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك وخفت وقوعهم بك فألق اليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب

ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وأدبه الى أبيه لاجل أنه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته وأجيب بأنه عدول عن الظاهر والآية صريحة في أن العقائد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك انك (٣٠) قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال (يا أيها النبي حسبك الله) ومحل (ومن اتبعك) منصوب لانه بمنزلة زيد في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم أن يقولوا حسبك وأخيك بل المستعمل أن يقال حسبك وحسب أخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك وحسب من اتبعك ومعنى الآية كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فأنزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه أن كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشئ وذكروا في اشتقاقه أنه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كأنه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المأمور أو كأنه يأمره أن يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف وفي قوله (ان يكن منكم عشرون صابرون) عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم بعون الله وتأييده واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يغلب قط مائتان كفروا من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن أن يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله (الآن خفف الله عنكم) والنسخ

وذلك كالذي كان من بني قريظة اذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معه بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اجابتهم اياه الى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لامام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها حق على امام المسلمين أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب ومعنى قوله على سواء أي حتى يستوي علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم وقيل نزلت الآية في قريظة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانبذ اليهم على سواء قال قريظة وقد قال بعضهم السواء في هذا الموضع المهل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال انه مما تبين لنا أن قوله فانبذ اليهم على سواء أنه على مهل كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان في قول الله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر وأما أهل العلم بكلام العرب فانهم في معناه مختلفون فكان بعضهم يقول معناه فانبذ اليهم على عدل يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز

واضرب وجوه الغدر للاعداء * حتى يجيبوك الى السواء

يعني الى العدل * وكان آخرون يقولون معناه الوسط من قول حسان

يا ويح أنصار الرسول ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد

يعني في وسط اللحد وكذلك هذه المعاني متقاربة لان العدل وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصر عنه وكذلك الوسط عدل واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة عدل من الفعل ووسط وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهل فما لا أعلم له وجها في كلام العرب

القول في تأويل قوله ﴿ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم وبالتاء في تحسبن بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل ان هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم اذا طلبهم وأراد تعذيبهم واهلاكهم بأنفسهم فيفوتوه بها وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة ولا يحسبن الذين كفروا بالياء في يحسبن وكسر الالف من انهم وهي قراءة غير جيدة لمعنيين أحدهما خروجها من قراءة القراء وشذوذها عنها والآخر بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن يحسب يطلب في كلام العرب منصوبا وخبره كقولك عبد الله يحسب أخاك قائما ويقوم وقام فقارئ هذه القراءة أصحب يحسب خبر الغير مخبرا عنه مذكورا وانما كان مراده بطي ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزوننا فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه واستعمل في قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام وأحسب أن الذي دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله وذلك أنه فيما ذكر في مصحف عبد الله ولا يحسبن الذين

بالامر أليق منه بالخبر و بدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب فى الثبات على الجهاد فعنى الآية اذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا فى القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديدا لاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب على الواحد أن يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر فى قوله

كفروا أنهم سبقوا إنهم لا يعجزون وهذا فصيح صحيح اذا أدخلت أنهم فى الكلام لان تحسبن عاملة فى أنهم واذا لم يكن فى الكلام أنهم كانت خالية من اسم تعمل فيه وللذى قرأ ذلك من القراء وجهان فى كلام العرب وان كانا بعيدين من فصيح كلامهم أحدهما أن يكون أراد به ولا تحسبن الذين كفروا أن سبقوا أو أنهم سبقوا ثم حذف أن وأنهم كما قال جل ثناؤه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا بمعنى أن يريكم وقد ينشد فى نحو ذلك بيت لذى الرمة

أظن ابن طرثوث عينة ذاهبا * بعاديتى تكذابه وجعائله

بمعنى أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتى تكذابه وجعائله وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالباء بوجه سبقوا الى سابقين على هذا المعنى والوجه الثانى على أنه أراد اضمار منصوب بحسب كأنه قال ولا تحسب الذين كفروا أنهم سبقوا ثم حذف الهمز وأضمر وقد وجه بعضهم معنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه انما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه وأن ذكر المؤمن مضمر فى قوله يخوف اذ كان الشيطان عنده لا يخوف أولياءه وقرأ ذلك بعض أهل الشام ولا تحسبن الذين كفروا بالتاء من تحسبن سبقوا أنهم لا يعجزون بفتح الالف من أنهم بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون ولا وجه لهذه القراءة يعقل الا أن يكون أراد القارئ بلا التى فى يعجزون لا التى تدخل فى الكلام حشوا وصلة فيكون معنى الكلام حينئذ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون ولا وجه لتوجيه حرف فى كتاب الله الى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله فى الصحة مخرج * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا تحسبن بالتاء الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم لا يعجزون بمعنى ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بأنفسهم ففاتونا انهم لا يعجزوننا أى يفوتوننا بانفسهم ولا يقدرون على الهرب منا كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون يقول لا يفوتون * القول فى تأويل قوله ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ يقول تعالى ذكره وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد اذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة يقول ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التى تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم يقول تخيفون باعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل من جهينة يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان الرمى هو القوة ألا ان الرمى هو القوة حدثنا أبو كريب قال ثنا سعيد بن بشر جبيل قال ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب وعبد الكريم بن الحرث عن أبى على الهمدانى أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ألا وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ثلاثا حدثنا أبو كريب قال ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبو نعيم عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل

حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كررت النسبة مرتين لان السرايا التى كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة وأما فى الكرة الثانية فانما كررت النسبة للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى أن عدد عسكر الاسلام سيؤل من العشرات والمئات الى الالوف والله أعلم بمراده ثم بين السبب فى الغلبة فقال (بأنهم قوم لا يفقهون) أى بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة عندهم فى هذه الحياة العاجلة وأيضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه آخر وهو أن أهل العلم والمعرفة يكون لهم فى أعين الناس هيبة وحشمة ويكونون فى أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن فى غربة وعدونا فى أهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا واسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم

أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة فى ثلاثين راكبا قبل بدر فلقى أبا جهل فى ثلثمائة راكب وأرادوا قتالهم فمنعهم حمزة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس الى خالد بن سفيان وكان فى جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لى فقال انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغنى أنه جمع لى فانطلق اليه واقتله فلما خرجت

نحوه ودنوت منه وجدت القشعريرة فقال لى من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف وأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أنى قتلته فأعطانى عصاه وقال امسكها فانها آية بينى وبينك يوم القيامة وقال عكرمة انما أمر الرجل أن يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس أيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل أن الجمهور ادعوا أن قوله (الآن خفف الله عنكم) ناسخ لحكم الآية المتقدمة وأنكر ذلك أبو مسلم الاصفهانى قال لأن لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا أنه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين فى مقابلة المائتين ولم لا يجوز أن يكون المراد ان حصل عشرون صابرون فى مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل فى حق هؤلاء لقوله وعلم أن فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضى ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الآيتين والناسخ يجب أن يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول أبى مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى أعلم ومعنى قوله (وعلم أن فيكم ضعفا) ظهر معلومه فلا يبقى لهشام حجة فى مذهبه أنه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك والظاهر أن المراد الضعف الانسانى المذكور فى قوله وخلق الانسان ضعيفا ۞ التأويل يضربون وجوههم وأدبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له ألم من جهة الخلف ويقبل على الآخرة ولا نور له يبصر به ما أمامه فيحصل له ألم من قدام لم يلتذ بمغير انعمة مبدلا حسن تقديم واستعداد أعطاهم الله بضده حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد الفطرى الذين عاهدت

عن عقبة بن عامر الجهنى قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فقال الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى ثلاث مرات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر فذكر نحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه محمد بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن شعبة ابن دينار عن عكرمة فى قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الحصون ومن رباط الخيل قال الاناث **حدثنا** على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبى سلمة قال لقى رجل مجاهدا بمكة ومع مجاهد جوالق قال فقال مجاهد هذا من القوة ومجاهد يتجهز للغزو **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من سلاح وأما قوله ترهبون به عدو الله وعدوكم فقال ابن وكيع **حدثنا** أبى عن اسرائيل عن عثمان بن المغيرة الثقفى عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عثمان عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم (١) وكذا كان يقرأ بها ترهبون **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة وخصيف عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به تخزون به **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله يقال منه أرهبت العدو ورهبته فانا أرهبه وأرهبه ارهابا وترهيبا وهو الرهب والرهب ومنه قول طفيل الغنوى

ويل أم حى دفعتم فى نحورهم * بنى كلاب غداة الرعب والرهب

۞ القول فى تأويل قوله ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ اختلف أهل التأويل فى هؤلاء الآخرين من هم وما هم فقال بعضهم هم بنو قريظة ذكر من قال ذلك **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم يعنى من بنى قريظة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم قال قريظة * وقال آخرون من فارس ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم هؤلاء أهل فارس * وقال آخرون هم كل عدو للمسلمين غير الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يشرد بهم من خلفهم قالوا وهم المنافقون ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم

---

(١) يريد أن ابن عباس كان يقرأ تخزون بدل ترهبون كما نقله عنه فى الكشاف اه كتبه مصححه

منهم يار وح فى الازل لان نو رلئ وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشر ديار وح بهم من خلفهم اى بالغ فى تبديل صفات النفس وفى تزكيتها بحيث يؤثر نور تبدلها فى الصفات التى وراءها فانبذ اليهم على سواء أى أظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون أى النفوس الكافرة تحت تصرفى فلا تقنطوا من رحمتى فى اصلاح حالهم من قوة الروح

وغلبات صفاتها واعداده بمداومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الله الشيطان وعدوكم النفس والهوى وآخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلمونهم أنهم عدوكم من الاحباب والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم أنهم عدو لكم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شئ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائده من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وألف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو أنفقت ما فى أرض وجودك من السعى والجد والاجتهاد لما بين الروح النورانى والنفس الظلمانى من التضاد ولكن الله ألف بين الروح والنفس وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانسانى طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله أعلم ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء

قال أخفهم بهم لما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله و يغزون معكم * وقال آخرون هم قوم من الجن * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين باعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل ولا وجه لان يقال عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة وقد عم الله الامر بها فان قال قائل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله ألا ان القوة الرمى قيل له ان الخبر وان كان قد جاء بذلك فليس فى الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمى خاصة دون سائر معانى القوة عليهم فان الرمى أحد معانى القوة لانه انما قيل فى الخبر ألا ان القوة الرمى ولم يقل دون غيرها ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم هذا مع وهى سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم فان قول من قال عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب لانه جل ثناؤه قد أدخل بقوله ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الامر بارتباط الخيل لارهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة فريظة وفارس لهم لعلمهم بأنهم مشركون وأنهم لهم حرب ولا معنى لان يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنى ذلك ان شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله و رسوله وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بنى آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم لأن بنى آدم لا يرونهم وقيل ان صهيل الخيل يرهب الجن وان الجن لا تقرب دارا فيها فرس فان قال قائل فان المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما تنكر أن يكون عنى بذلك المنافقون قيل فان المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم وانما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يستسرون من الكفر وانما أمر المؤمنون باعداد القوة لارهاب العدو فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل فى معنى من أمر باعداد ذلك له المؤمنون وقيل لا تعلمونهم فاكتفى للعلم بمنصوب واحد فى هذا الموضع لانه أريد لا تعرفونهم كما قال الشاعر

فان الله يعلمنى (١) * وانا سوف يلقاه كلانا

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع أو غير ذلك من النفقات فى جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم فى الدنيا ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة وأنتم لا تظلمون يقول يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وان جنحوا للسلم

---

(١) سقط منه شئ من قلم الناسخ ولم نقف على البيت فحرره كتبه مصححه

بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم ﴿ القرا آت أن تكون بالتاء الفوقانية أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد أسارى يزيد والمفضل الآخرون أسرى من الاسارى يزيد وأبو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو حمزة والباقون بفتحها ﴿ الوقوف فى الارض ط لتقدير الاستفهام أى أتريدون الآخرة ط حكيم ○ عظيم ○ واتقوا الله ط رحيم ○ ويغفر لكم ط رحيم ○ منهم ط حكيم ○ أولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ○ أولياء بعض ط كبير ○ حقا ط كريم ○ منكم ط فى كتاب الله ط عليم ○ ﴿ التفسير هذا حكم آخر من أحكام الجهاد ومعنى ما كان ماصح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل فى الكفرة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبى طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن علينا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال وتوكل فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم

فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ اليهم على سواء وآذنهم بالحرب وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان مالوا الى مسالمتك ومتاركتك الحرب اما بالدخول فى الاسلام وإما باعطاء الجزية واما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجنح لها يقول قبل اليها وابذل لهم ما مالوا اليه من ذلك وسألوكه يقال منه جنح الرجل الى كذا يجنح (١) اليه جنوحا وهى لتميم وقيس فيما ذكر عنها تقول يجنح بضم النون وآخرون يقولون يجنح بكسر النون وذلك اذا مال ومنه قول نابغة بنى ذبيان

جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

جوانح موائل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان جنحوا للسلم قال للصلح ونسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان جنحوا للسلم الى الصلح فاجنح لها قال وكانت هذه قبل براءة كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم الى أجل فاما أن يسلموا واما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك بعد فى براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال قاتلوا المشركين كافة ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويسلموا وأن لا يقبل منهم الا ذلك وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به فان براءة جاءت بنسخ ذلك فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا وان جنحوا للسلم فاجنح لها نسختها الآية التى فى براءة قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان جنحوا للسلم فاجنح لها يقول وان أرادوا الصلح فأرده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم الى الاسلام فصالحهم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قال فصالحهم قال وهذا قد نسخه الجهاد فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون الا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا وقول الله فى براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم غير نافٍ حكمه حكم قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها لأن قوله وان جنحوا للسلم انما عنى به بنو قريظة وكانوا يهودا أهل كتاب وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم وأما قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فانما عنى به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس فى احدى الآيتين نفى حكم الاخرى بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان جنحوا للسلم قال قريظة وأما قوله وتوكل على الله يقول فوض الى الله يا محمد أمرك واستكفه واثق به أنه يكفيك كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق

(١) أى من باب منع اه مصححه

قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فان

وتوكل على الله ان الله كافيك وقوله انه هو السميع العليم يعنى بذلك ان الله الذى تتوكل عليه سميع لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه ويشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط والعليم بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ومن المضمر ذلك منكم فى قلبه والمنطوى على خلافه لصاحبه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره وان يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ اليهم على سواء ان خفت منهم خيانة وعلمتهم ان جنحوا للسلم خداعك والمكر بك فان حسبك الله يقول فان الله كافيكهم وكافيك خداعهم اياك لانه متكفل باظهار دينك على الأديان ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى هو الذى أيدك بنصره يقول الله الذى قواك بنصره اياك على أعدائه وبالمؤمنين يعنى بالانصار * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان يريدوا أن يخدعوك قال قريظة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هو الذى أيدك بنصره قال بالانصار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ﴾ يريد جل ثناؤه بقوله وألف بين قلوبهم وجمع بين قلوب المؤمنين من الاوس والخزرج بعد التفرق والتشتت على دينه الحق فصيرهم به جميعا بعد أن كانوا أشتاتا وأخوانا بعد أن كانوا أعداء وقوله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو أنفقت يا محمد ما فى الارض جميعا من ذهب وورق وعرض ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ولكن الله جمعها على الهدى فألفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييدا منه ومعونة على عدوك يقول جل ثناؤه والذى فعل ذلك وسببه لك حتى صار والك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغالك سوأ هو الذى ان رام عدو منك مراما يكفيك كيده وينصرك عليه فثق به وامض لامره وتوكل عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وألف بين قلوبهم قال هؤلاء الانصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بشير بن ثابت رجل من الانصار أنه قال فى هذه الآية لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعنى الانصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك به اليهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه يعنى الاوس والخزرج حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابراهيم الجزرى عن الوليد بن أبى مغيث عن مجاهد قال اذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما قال قلت لمجاهد بمصافحة يغفر لهما فقال مجاهد

وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل أحب الىّ * واعلم أن الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا فى هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبى صريح فى النهى وقد حصل الاسر بدليل قل لمن فى أيديكم من الاسرى الثانى انهم أمروا بالقتل يوم بدر فى قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية وأجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان أمر غير مضبوط فظنوا أن ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا فى الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم بأخذ الفداء معصية والالم يتوجه الذم فى قوله (تريدون عرض الدنيا) أى حطامها سمى بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر (والله يريد الآخرة) أى ثوابها أو ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل فى أعدائه وقرئ بجر الآخرة أى عرض الآخرة

(٤ - ابن جرير - عاشر)

على التقابل (والله عزيز) يغلب أولياؤه على أعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه (حكيم) لا يرخص فى أخذ الفداء الا بعد افشاء القتل فى الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام فى قوله (لولا كتاب من الله سبق) أى لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا يخطئ فى الاجتهاد

لانهم نظروا فى ان استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وحصول أولاد منهم مسلمين وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوى اسلامهم أنزل الله بعد ذلك فى الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء

قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم أن مقتضى الآيتين مختلف وليس كذلك فان كلتاهما تدل على انه لابد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفدية وكأن قرب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهى وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان فى كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم أن لا يكونوا مكلفين والجواب أن عدم العقاب على الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا روى انهم أمسكوا عن الغنائم أو عن أخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت (فكلوا) والفاء للتسبيب ومعنى الآية قد أبحت لكم الغنائم فكلوا و(حلالا) نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (واتقوا الله) فيما يستقبل فلا تقدموا على شئ لم تؤمروا به (ان الله غفور) لما فرط منكم من ترك الاولى (رحيم) فبذلك رخص لكم فيما رخص من أخذ الفداء واستشهد

ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله) ان يظهر معلومه أن (فى قلوبكم خيرا) وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله فى جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصى ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول

أما سمعته يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم فقال الوليد لمجاهد أنت أعلم منى

حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد عن أبى عمرو قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ولقيته وأخذ بيدى فقال اذا تراأى المتحابان فى الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا اليسير قال لا تقل ذلك فان الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت أنه أفقه منى

حدثنى محمد بن خلف قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا فضيل بن غزوان قال أتيت أبا اسحق فسلمت عليه فقلت أتعرفنى فقال فضيل نعم لولا الحياء منك لقبلتك

حدثنى أبو الاحوص عن عبد الله قال نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم

حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمير بن اسحق قال كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس أو قال عن الناس الألفة

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد عن الاوزاعى قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم عن الوليد

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث عن فضيل بن غزوان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص قال سمعت عبد الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية قال هم المتحابون فى الله وقوله انه عزيز حكيم يقول ان الله الذى ألف بين قلوب الاوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما وجعلهم لك أنصارا عزيزا لا يقهره شئ ولا يرد قضاءه رادوا لكنه ينفذ فى خلقه حكمه يقول فعليه فتوكل وبه فثق حكيم فى تدبير خلقه

القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم أمرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن شوذب بن معاذ عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله

حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن شوذب عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من معك

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن شوذب عن عامر بنحوه الا أنه قال حسبك الله وحسب من شهد معك

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين ان حسبك أنت وهم الله فمن من قوله ومن اتبعك من المؤمنين على هذا التأويل الذى ذكرناه عن الشعبى نصب عطفا على معنى الكاف فى قوله حسبك الله لا على لفظه لأنها فى محل خفض فى الظاهر وفى محل نصب فى المعنى لان معنى الكلام يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين وقد قال بعض أهل العربية فى من انها فى موضع رفع على العطف على اسم الله كأنه قال حسبك الله ومتبعوك الى جهاد العدو من المؤمنين دون القاعدين عنك منهم

والتوبة عن محاربته (يؤتكم) فى الدنيا (خيرا مما أخذ منكم) من المنافع العاجلة (ويغفر لكم) فى الآخرة أو المراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم أن كل من خلص من الاسر وآمن فقد آتاه الله فى الدنيا خيرا لدلالة الآية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دنيا فلا شك أن كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان أعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفضيل ذلك غير معلوم الا ما روى عن بعضهم كالعباس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأنا أرجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الآية فى العباس وعقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لأهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى أسر فقال العباس كنت مسلما الا انهم استكرهونى فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فقال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك ذلك الذهب لى فقال أما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفنى الرسول صلى الله عليه وسلم فداء ابن أخى عقيل بن أبى طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتنى يا محمد أتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقلت خرج لك من مكة وقلت لها لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى فان حدث فى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك فأما اذ أخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب ان

واستشهد على صحة قوله دلك بقوله حرض المؤمنين على القتال ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ألآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال حث متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين ان يكن منكم عشرون رجلا صابرون عند لقاء العدو يحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوهم يغلبوا مائتين من عدوهم ويقهروهم وان يكن منكم مائة عند ذلك يغلبوا منهم ألفا بأنهم قوم لا يفقهون يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لانهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا وطلب موعود الله فى المعاد ما وعد المجاهدين فى سبيله فهم لا يثبتون اذا صدقوا فى اللقاء خشية أن يقتلوا فتذهب دنياهم ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين اذ علم ضعفهم فقال لهم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا يعنى أن فى الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة عند لقائهم للثبات لهم يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم باذن الله يعنى بتخلية الله اياهم لغلبتهم ومعونته اياهم والله مع الصابرين لعدوهم وعدو الله احتسابا فى صبره وطلبا لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه ﴿وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سفيان عن ليث عن عطاء فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان الواحد لعشرة ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغى له أن يفر منهما حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبى قال ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار فقال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فخفف ذلك عنهم فجعل على الرجل رجلان قال ابن عباس فما أحب أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين قال وكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم وان كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغى له أن يفر منهم فكانوا كذلك حتى أنزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين فنسخ الامر الاول وقال مرة أخرى فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فأمر الله الرجل

أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى ثم قال (وان يريدوا خيانتك) أى نكث ما بايعوك عليه روى انه صلى الله عليه وسلم لما أطلقهم من الاسر عهد معهم أن لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء (فامكن) أى المؤمنين (منهم) يوم بدر قتلا وأسرا فاذاقوا وبال أمرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة أخرى ان أعادوا الخيانة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) فيجازيهم على حسب أعمالهم واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هنالك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه فى الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه فى ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر فى خاتمة هذه السورة أحكام هذه الاصناف وأحوالهم مع ذكر أنصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار أيضا فقال (ان الذين آمنوا) ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف (وهاجروا) فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران فى طلب مرضاة الله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضيعاتهم وبقيت فى أيدى الاعداء واحتاجوا الى الانفاق فى تلك العزيمة والسفرة وفى الغزوات والمحاربات وأما المجاهدة بالانفس فيكفى فى وصف ذلك أنهم أقدموا على قتال أهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء فى غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على أنهم أزالوا أطماعهم عن الحياة وبذلوا أرواحهم فى سبيل الله وكانوا أول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه صبروا

المسابقة أثر عظيم فى تقوية الدين لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدى بهم وتقوى دواعيهم عما يرون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولأن المهاجرين لهم سابقة قدم فى الاسلام ذكر الله

من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك على المؤمنين ورحمهم الله فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال الى قوله بأنهم قوم لا يفقهون وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشبهم يعنى يغريهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو وان الله ناصرهم على العدو ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه ولكن كان تحريضا ووصية أمر الله بها نبيه ثم خفف عنهم فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا ولو كان عليهم واجبا الغزو اذا بعد كل رجل من المسلمين عمن لقى من الكفار اذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم فلا يغرنك قول رجال فانى قد سمعت رجالا يقولون انه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان وحتى يكون على كل رجلين أربعة ثم بحساب ذلك وزعموا أنهم يعصون الله ان قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك وانه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان وعلى كل رجلين أربعة وقد قال الله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وقال الله فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين فهو التحريض الذى أنزل الله عليهم فى الأنفال فلا يعجزك قائل قد سقطت بين ظهرى أناس كما شاء الله أن يكونوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحصين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا قال فى سورة الانفال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ثم نسخ فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الى قوله والله مع الصابرين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون قال واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ثم خفف عنهم فجعل عليهم أن لا يفر رجل من رجلين **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الى قوله وان يكن منكم مائة قال هذا الأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار فضجوا من ذلك فجعل على الرجل رجلين تخفيفا من الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم ابن يزيد عن عمرو بن دينار وأبى معبد عن ابن عباس قال انما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة والعشرة لمائة اذا المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم فامر الرجل أن يصبر لرجلين والعشرة للعشرين والمائة للمائتين **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقى عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم وقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين فيقول لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم ان

تعالى الانصار بعدهم فقال (والذين آووا ونصروا) أى الذين أنزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على اعدائهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) أطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على أن المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازى رحمه الله هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما أمكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان ولى من لا ولى له وقال سبحانه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد أن المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصروا أنهم يد واحدة على الاعداء وأن حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه أما قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ) فوجهت قراءة حمزة بأن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز أن يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشئ لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر وأجيب بانا لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان أهل الايمان قد ينصر بعض أهل الذمة فى بعض الاحوال مع أنهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل أن يهاجروا وأثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهى المسلمين عن موالاتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه أن المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان كل واحد منهم فى نهاية الانكار لصاحبه وذلك من أدل الدلائل أن تلك العداوة ليست لاجل

صبروا لهم غلبوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين جعل الله على كل رجل رجلين بعدما كان على كل رجل عشرة وهذا الحديث عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن جرير بن حازم عن الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا فشق ذلك عليهم فأنزل الله التخفيف فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين خفف الله عنهم ونقصوا من الصبر بقدر ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين يقول يقاتلوا مائتين فكانوا أضعف من ذلك فنسخها الله عنهم فخفف فقال فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فجعل أول مرة الرجل لعشرة ثم جعل الرجل لاثنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذ ألقى عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فيقول لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جويبر عن الضحاك قال كان هذا واجبا أن لا يفر واحد من عشرة * وبه قال أخبرنا الثورى عن ليث عن عطاء مثل ذلك وأما قوله بانهم قوم لا يفقهون فقد بينا تأويله وكان ابن اسحق يقول فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بانهم قوم لا يفقهون أى لا يقاتلون على نية ولا حق فيه ولا معرفة لخير ولا شر وهذه الآية أعنى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان كان مخرجها مخرج الخبر فان معناها الأمر يدل على ذلك قوله الآن خفف الله عنكم فلم يكن التخفيف الا بعد التثقيل ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه لأن التخفيف انما هو ترخيص فى ترك الواجب من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو واذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما لم يكن للترخيص وجه اذ كان المفهوم من الترخيص انما هو بعد التشديد واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن حكم قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ناسخ لحكم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا وقد بينا فى كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الاحكام أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء وعلى تركه عقابا وعذابا وان لم يكن خبرا ظاهره مخرج الامر ففى معنى الامر بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * واختلفت القراء فى قراءة قوله وعلم أن فيكم ضعفا فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين وعلم أن فيكم ضعفا بضم الضاد فى جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وعلم أن فيكم ضعفا بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف وقرأه بعض المدنيين ضعفاء على

تقدير فعلاء جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريف شركاء والرحيم رحماء * وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه وعلم أن فيكم ضعفا وضعفا بفتح الضاد أو ضمها لانهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فأما قراءة من قرأ ذلك ضعفاء فانها عن قراءة القراء شاذة وان كان لها في العربية مخرج فلا أحب لقارئ القراءة بها ﴿القول في تأويل قوله عز ذكره﴾ ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ما كان لنبي أن يحتبس كافر اقدر عليه وصار في يده من عبدة الاوثان للفداء أو للمن والاسر في كلام العرب الحبس يقال منه مأسور يراد به محبوس ومسموع منهم أناله الله أسرا وانما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم واطلاقهم وقوله حتى يثخن في الارض يقول حتى يبالغ في قتل المشركين فيها ويقهرهم غلبة وقسرا يقال منه أثخن فلان في هذا الامر اذا بالغ فيه وحكى أثخنته معرفة بمعنى قتلته معرفة تريدون يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع يقول تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها والله يريد الآخرة يقول والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته في جناته بقتلكم اياهم وإثخانكم في الارض يقول لهم واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم اليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها والله عزيز يقول ان أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدوكم لان الله عزيز لا يقهر ولا يغلب وانه حكيم في تدبيره أمر خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد وإما فداء فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا الآية قال أراد أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ففادوهم بأربعة آلاف ولعمري ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان أول قتال قاتله المشركين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد قال الاثخان القتل حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن الاعمش عن سعيد بن جبير في قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض قال اذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل * قال حدثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد ما كان لنبي أن تكون له أسرى الآية نزلت الرخصة بعد ان شئت فمن وان شئت ففاد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك

الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على أن الكفار في التوارث على اختلاف ملهم كأهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال (الا تفعلوه) أي ما أمرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة أصلا (تكن فتنة) أي تحصل مفاسد عظيمة (في الارض) من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشأن المؤمنين وثناء عليهم قوله (والذين آمنوا وهاجروا) الآية فوصفهم بأنهم هم المؤمنون حقا و (لهم مغفرة ورزق كريم) وقد تقدم تفسير مثله في أول السورة والحاصل أن هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم أعرضوا عن اللذات الجسمانية فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على أنه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال (والذين آمنوا من بعد) نقل الواحدي عن ابن عباس أن المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والأصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى (فاولئك منكم) ألحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشأن السابقين ولولا كون القسم الاول أشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله (وأولو الارحام) أي ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) أي أحق بهم وأجدر (في كتاب الله) أي في حكمه وقسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة عند الأكثرين للتوارث بالهجرة والنصرة أما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الآية أن ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم أعني ازالة وهم من يجعل الولاية هنالك بمعنى الارث وقد تمسك أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوي الارحام وهم يقول

ذووقرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة أوكل قريب يخرج عن أصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة أصناف الجد أبوالام وكل جدوجدة ساقطين وأولاد البنات وبنات الاخوة وأولاد الاخوات وبنوالاخوة للام والعم للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف فى أنه اذالم يوجد ذوفرض أوعصبة فهل يورث ذووالارحام أو يوضع المال فى بيت المال فقدمهم أبوحنيفة على بيت المال للاية وعكس الشافعى وقال ان الآية مجملة فى الشئ الذى حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال فى كتاب الله كان معناه فى الحكم الذى بينه الله فى كتابه فصارت هذه الآية مقيدة باحكام آية الميراث فلا تبقى حجة فى توريث ذوى الارحام * واعلم انه سبحانه قال فى أول الآيات وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وفى براءة بتقديم فى سبيل الله لان فى هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة فى قوله تريدون عرض الدنيا وفى قوله لمسكم فيما أخذتم أى من الفداء وفى قوله فكلوا مما غنمتم وفى براءة تقدم ذكر الجهاد فى سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفى قوله كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية باموالهم وأنفسهم اكتفاء بما فى الاولى وحذف من الثالثة فى سبيل الله أيضا اكتفاء بما فى الآيتين قبلها والله أعلم ثم ختم السورة بقوله (ان الله بكل شئ عليم) والمراد أن هذه الاحكام التى ذكرتها وفصلتها كلها حكم وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب ونظيره أن الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم انى أعلم مالا تعلمون ﴿ التأويل ما كان لنبى الروح أن يكون له أسرى أى يقول فى قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض يعنى الذين أسروا ببدر

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان لنبى أن تكون له أسرى من عدوه حتى يثخن فى الارض أى يثخن عدوه حتى ينفيهم من الارض تريدون عرض الدنيا أى المتاع والفداء بأخذ الرجال والله يريد الآخرة بقتلهم لظهور الدين الذى يريدون اطفاءه الذى به تدرك الآخرة

حدثنى أبوالسائب قال ثنا أبومعاوية قال ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبدالله قال لما كان يوم بدر وجئ بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى هؤلاء الاسرى فقال أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبدالله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا قال فقال له العباس قطعت رحمك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول عبدالله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك ياأبابكر مثل ابراهيم قال من تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك ياأبابكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك الآية ومثلك ياعمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك ياابن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أوضرب عنق قال عبدالله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء منى فى ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال فأنزل الله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى آخر الثلاث الآيات

حدثنا ابن بشار قال ثنا عكرمة بن عمار قال ثنا أبو زميل قال ثنى عبدالله بن عباس قال لما أسروا الاسارى يعنى يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبو بكر وعمر وعلى قال ماترون فى الأسارى فقال أبو بكر يارسول الله هم بنوالعم والعشيرة وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى ياابن الخطاب فقال لا والذى لا اله الا هو ما أرى الذى رأى أبو بكر ياني الله ولكن أرى أن تمكننا منهم فنضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكنى من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت قال عمر فلما كان من الغد جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يارسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى للذى عرض لأصحابى من أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل

نفس مأسورة وقوى موجهة الى تدبير أمور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق للحق حتى يشيع فى أرض البشرية قتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحى يتحنث فى غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى أن الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الآخرة منكم أى ليس الانسان من

ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله حلالا طيبا وأحل الله الغنيمة لهم

القول فى تأويل قوله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لاهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الاسرى الفداء لولا كتاب من الله سبق يقول لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر فى اللوح المحفوظ بأن الله محل لكم الغنيمة وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وأنه لا يعذب أحدا شهد المشهد الذى شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا دين الله لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله لولا كتاب من الله سبق الآية قال ان الله كان مطعم هذه الامة الغنيمة وانهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمر وابه قال فعاب الله ذلك عليهم ثم أحله الله حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله لولا كتاب من الله سبق الآية وذلك يوم بدر أخذ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم المغانم والاسارى قبل أن يؤمر وابه وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فى أم الكتاب المغانم والاسارى حلال لمحمد وأمته ولم يكن أحله لأمة قبلهم وأخذوا المغانم وأسروا الاسارى قبل أن ينزل اليهم فى ذلك قال الله لولا كتاب من الله سبق يعنى فى الكتاب الاول أن المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا كتاب من الله سبق الآية وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الامم اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلا أو كثيرا حرم ذلك على كل نبى وعلى أمته فكانوا لا يأكلون منه ولا يغلون منه ولا يأخذون منه قليلا ولا كثيرا الا عذبهم الله عليه وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا فلم يحله لنبى الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وكان قد سبق من الله فى قضائه ان المغنم له ولامته حلال فذلك قوله يوم بدر فى أخذ الفداء من الاسارى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عروة عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال ان الله كان معطى هذه الامة الغنيمة وفعلوا الذى فعلوا قبل ان تحل الغنيمة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الاعمش فى قوله لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله ان أحل لهم الغنيمة حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن بشير بن ميمون قال سمعت سعيدا يحدث عن أبى هريرة قال قرأ هذه الآية لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم قال يعنى لولا انه سبق فى علمى أنى سأحل الغنائم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح وأبو معاوية بنحوه عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء وتأكلها حتى كان يوم بدر فوقع الناس فى الغنائم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم حتى بلغ حلالا طيبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه قال فلما كان يوم بدر أسرع الناس فى الغنائم حدثنا

سجيته وطبعه أن يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله اياه وبعنايته الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون منجذبا بنحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما أخذتم من فداء النفس المأسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من أوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بأنوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يغنيكم عنكم ويبقيكم به يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى من النفوس المأسورة التى أسرت فى الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذل عليها ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من اللذات الفانية وأسبابها وذلك هو البقاء الحقيقى والذوق السرمدى وان يريدوا خيانتك يعنى الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فأمكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم بأحوالها حكيم فيما دبر من أمر جهادها وتزكيتها والذين آووا وذكر الله ومحبته فى القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم أولئك بعضهم أولياء بعض فى المرافقة والموافقة فى الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بأن الطلب حق ولم يهاجروا عن أوصافهم وأفعالهم ووجودهم المجازى وان استنصروكم تمسكوا بأذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بأن تدلوهم على أبو طريق الحق بما ملتكم وسيركم ليقتدوا بكم و باحوالكم الاعلى قوم أى الاعلى بعض أحوالكم مما صالحتهم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها وأسرتموها وأمنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح فى أوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى أن

المتأخرين اذا دخلوا فى زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذوو رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال عليه الصلاة والسلام أمتى كالمطر لا يدرى أولهم خير أم آخرهم

أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منهم سبعون قال عبيدة وظنوا الخيرتين كلتيهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والأوقية أربعون درهما ومن الدنانير ستة دنانير حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال فى أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بلى نأخذ الفداء فستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام بن يحيى قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال أمر عمر رضى الله عنه بقتل الاسارى فأنزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لولا كتاب من الله سبق قال كان المغنم محرما على كل نبى وأمته وكانوا اذا غنموا يجعلون المغنم لله فيرمانا تأكله النار وكان سبق فى قضاء الله وعلمه ان يحل المغنم لهذه الامة يأكلونه فى بطونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء فى قول الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم قال كان فى علم الله ان تحل لهم الغنائم فقال لولا كتاب من الله سبق بانه أحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيرى عن شريك عن سالم عن سعيد لولا كتاب من الله سبق قال لاهل بدر من السعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر مشهدهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله خير لاهل بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم كان سبق لهم من الله خير وأحل لهم الغنائم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم فقال سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم سبق أنه لا يعذب المؤمنين لانه لا يعذب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه قال كتاب

* (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم

ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ۞ القراآت ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة الباقون أئمة بهمز (٣٤) ثم ياء لا إيمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعملون بياء الغيبة عباس ۞ الوقوف من المشركين ط معجزي الله لا للعطف الكافرين ○ من المشركين لا للعطف ورسوله ط لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط أليم ○ لا للاستثناء مدتهم ط المتقين ○ مرصد ج سبيلهم ط رحيم ○ مأمنه ط لا يعلمون ○ المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ○ ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ○ ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا يعملون ○ ولا ذمة ط المعتدون ○ في الدين ط يعلمون ○ أئمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ○ أول مرة ط أتخشونهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين ○ مؤمنين ○ لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ○ وليجة ط تعملون ○ ۞ التفسير قد عد في الكشاف من أسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردبهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت لكم تقول ومنهم حتى حسبنا أن لا تدع أحدا والعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وتوفي رسول

سبق لقوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون سبق ذلك وسبق أن لا يؤاخذ قوما فعلوا شيأ بجهالة لمسكم فيما أخذتم قال ابن جريج قال ابن عباس فيما أخذتم مما أسرتم ثم قال بعد فكلوا مما غنمتم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عاتبه في الاساري وأخذ الغنائم ولم يكن أحد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثني أبو سلمة عن محمد قال ثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأعطيت جوامع الكلم وأحلت لي المغانم ولم تحل لنبي كان قبلي وأعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبي كان قبلي قال محمد فقال ما كان لنبي أي قبلك أن يكون له أسرى الى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم أي من الاساري والمغانم عذاب عظيم أي لولا أنه سبق مني أن لا أعذب الا بعد النهي ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل وذلك أن قوله لولا كتاب من الله سبق خبر عام غير محصور على معنى دون معنى وكل هذه المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشئ منها هذه الامة وذلك ما عملوا من عمل بجهالة واحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر وكل ذلك مما كتب لهم واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى وقد عم الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب جعل لا يلقى أسيرا الا ضرب عنقه وقال يا رسول الله مالنا وللغنائم نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عذبنا في هذا الامر يا عمر ما نجا غيرك قال الله لا تعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق لما نزلت لولا كتاب من الله سبق الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه الا سعد بن معاذ لقوله يا نبي الله كان الاثخان في القتل أحب الى من استبقاء الرجال ۞ القول في تأويل قوله ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالا باحلاله لكم طيبا واتقوا الله يقول وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا في دينكم شيأ بعد هذه من قبل أن يعهد فيه اليكم كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم ان الله غفور رحيم وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وتأويل الكلام فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ان الله غفور رحيم واتقوا الله ويعني بقوله ان الله غفور لذنوب أهل الايمان من عباده رحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يقول ان يعلم الله في قلوبكم اسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم يقول ويصفح

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فقرنت بينهما وكأنه أراد بالمشابهة ماروى عن أبى بن كعب ان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا فى بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحى لجوزنا مثله فى سائر السور وفى آيات السورة الواحدة وذلك يفضى الى تجويز الزيادة والنقصان فى القرآن على ما يقوله الامامية * وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا فى أن الانفال مع التوبة سورتان أم سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت فى القتال والمغازى فلم كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم تكتب البسملة تنبيها على قول من يرى أنهما واحدة فعملوا عملا يدل على أن هذا الاشتباه حاصل وفيه أنهم لما لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين فى ضبط الدين وحفظ القرآن من التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على أن البسملة آية من كل سورة والا جازت كتابتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا فقيل له أليس أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال فى آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى ومما يؤكد شبهة من زعم أنهما سورة واحدة هو أن ختم الانفال وقع بايجاب أن يوالى المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تأكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهى خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف لا بالبراءة لفساد المعنى والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن يكون

لكم عن عقوبة جرمكم الذى اجترمتموه بقتالكم نبى الله وأصحابه وكفركم بالله والله غفور لذنوب عباده اذا تابوا رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول فى نزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبى اسحق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس فى نزلت ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم باسلامى وسألته أن يحاسبنى بالعشرين الاوقية التى أخذ منى فأبى فأبدلنى الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالى فى يديه وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثنى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رياب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فى والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامى ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توضأ لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ شيأ ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثى فأخذ قال وكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية وكان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين نزلت هذه الآية لقد أعطانى الله خصلتين ما أحب أن لى بهما الدنيا انى أسرت يوم بدر ففديت نفسى بأربعين أوقية فآتانى أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الى قوله والله غفور رحيم يعنى بذلك من أسر يوم بدر يقول ان علمتم بطاعتى ونصحتم لرسولى آتيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى عباس وأصحابه قال قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله لنمحضن لك على قومنا فنزل ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم اعمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أصيب منكم ويغفر لكم الشرك الذى كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وان لى الدنيا لقد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد أعطانى خيرا مما أخذ منى مائة ضعف وقال يغفر لكم وأرجو أن يكون قد غفر لى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية يعنى العباس وأصحابه أسروا يوم بدر يقول الله ان علمتم بطاعتى ونصحتم لى ولرسولى أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم وكان العباس ابن عبد المطلب يقول لقد أعطانا الله خصلتين ما شئ هو أفضل منهما عشرين عبدا وأما الثانية فنحن فى موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان يرد

براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد أذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ اليهم وكأنه قيل للمسلمين اعلموا أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روى أنهم كانوا عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب

هؤلاء الاسارى الذين في أيديكم خيانتك أي الغدر بك والمكر والخداع باظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم فقد خانوا الله من قبل يقول فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر وأمكن منهم ببدر المؤمنين والله عليم بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم حكيم في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وان يريدوا خيانتك يعني العباس وأصحابه في قولهم آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله لننصحن لك على قومنا يقول ان كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا وقاتلوك فأمكنك الله منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يريدوا خيانتك الآية قال ذكر لنا أن رجلا كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ثم عمد فنافق فلحق بالمشركين بمكة ثم قال ما كان محمد يكتب الا ما شئت فلما سمع ذلك رجل من الانصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف فلما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وابن خطل وامرأة كانت تدعو على النبي صلى الله عليه وسلم كل صباح فجاء عثمان بابن أبي سرح وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة فقال يا رسول الله هذا فلان أقبل تائبا نادما فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع به الأنصاري أقبل متقلدا سيفه فأطاف به وجعل ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ اليه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه فقال أما والله لقد تلومتك فيه لتوفي نذرك فقال يا نبي الله اني هبتك فلولا أومضت الى فقال انه لا ينبغي لنبي أن يومض حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا بالله ونقضوا عهده فأمكن منهم ببدر ﴿القول في تأويل قوله ﴿ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وهاجروا يعني هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم يعني تركوهم وخرجوا عنهم وهجرهم قومهم وعشيرتهم وجاهدوا في سبيل الله يقول بالغوا في اتعاب نفوسهم وانصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله يقول في دين الله الذي جعله طريقا الى رحمته والنجاة من عذابه والذين آووا ونصروا يقول والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون اليه وهو المثوى والمسكن يقول أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن اذ أخرجهم قومهم من منازلهم ونصروا يقول ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين أولئك بعضهم أولياء بعض يقول هاتان الفرقتان يعني المهاجرين والانصار بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين وأيديهم واحدة على من كفر بالله وبعضهم اخوان لبعض دون أقربائهم الكفار وقد قيل انما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض وان الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والارحام وان الله نسخ ذلك بعد بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك

فتكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين أين ساروا والاشهر هي الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روى أن فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد أمر فيها أبا بكر على الموسم فلما نزلت السورة أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشئ نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل يوم التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف

بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا الطعن بالرماح وضرب بالسيوف * استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل على كرم الله وجهه وعلى تقديمه وأجاب أهل السنة بأنه أمر أبا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلى على خلف أبى بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر وأما قوله لا يبلغ عنى الا رجل منى فذلك لان المتعارف بين العرب أنه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا أو عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو أو رجل من ذوى قرابته كأخ أو عم فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا فى نقض العهد فأزيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما أحضر أبا بكر لتولية أمر الموسم أحضر عليا لهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب * ولنرجع الى التفسير قال ابن الانبارى فى الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا فى الاشهر الاربعة فعن الزهرى أن براءة نزلت فى شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أمنوا فيها وحرم قتالهم وقتالهم أو سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان فيهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة قال المفسرون هذا تأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطت الى أربعة ومن كانت مدته أقل رفعت اليها والمقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا فى أنفسهم ويحتاطوا فى الامر ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا أحد أمور ثلاثة الاسلام أو قبول الجزية أو السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى أشار بقوله

بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوى الارحام قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا يقول ما لكم من ميراثهم من شئ وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فى الميراث فنسخت التى قبلها وصار الميراث لذوى الارحام **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يقول لا هجرة بعد الفتح انما هو الشهادة بعد ذلك والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله حتى يهاجروا وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل منهم المؤمن المهاجر المبايع لقومه فى الهجرة خرج الى قوم مؤمنين فى ديارهم وعقارهم وأموالهم وفى قوله آووا ونصروا وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة وشهروا السيوف على من كذب وجحد فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض فكانوا يتوارثون بينهم اذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الانصارى بالولاية فى الدين وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل انه لم يهاجر ولم ينصر فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم وهى الولاية التى قال الله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا اذا استنصروهم فى الدين أن ينصروهم ان قاتلوا الا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق فلا نصر لهم عليهم الا على العدو الذين لا ميثاق لهم ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا فجعل لكل انسان من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم وبقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الثلاث الآيات خواتيم الانفال فهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وبين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا الى قوله بما تعملون بصير قال بلغنا أنها كانت فى الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا قال ثم نزل بعد وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم فتوارثوا ولم يهاجروا قال ابن جريج قال مجاهد خواتيم الانفال الثلاث الآيات فبهن ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والاعرابى المسلم لا يرث من المهاجر شيأ فنسخ ذلك بعد ذلك قول الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أى من أهل الشرك فأجيزت الوصية ولا ميراث لهم وصارت المواريث بالملل والمسلمون يرث بعضهم بعضا

(واعلموا أنكم غير معجزى الله) أى اعلموا أن هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة واطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كأنه قيل افعلوا فى هذه المدة كل ما أمكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم أى مذلكم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب وقوله (مخزى الكافرين) من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم أراد أن يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال (وأذان) وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج فى قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو أيضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتهم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله (الى الناس) والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه أذان الصلاة أمر الله تعالى بهذا الاعلام (يوم الحج الاكبر) وهو الجمع الاعظم الذى حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الأطراف ويشتهر وكان النبى صلى الله عليه وسلم يريد أن يحج فى السنة الآتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه أعظم أعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن على عليه السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس فى رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه عن قول الشعبى والنخعى والسدى والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك أن معظم أفعال الحج من الطواف والحلق والرمى والنحر يقع فيه ومثله ماروى عن على رضى الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال مايوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتى يعنى يوم النحر

من المهاجرين والمؤمنين ولا يرث أهل ملتين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الى قوله مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا كان الاعرابى لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر فنسخها فقال وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء الاعراب مالكم من ولايتهم من شئ فى الميراث وان استنصروكم فى الدين يقول بانهم مسلمون فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم الذين توارثوا على الهجرة فى كتاب الله ثم نسختها الفرائض والمواريث فتوارث الاعراب والمهاجرون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره والذين آمنوا الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يهاجروا قومهم الكفار ولم يفارقوا دار الكفر الى دار الاسلام مالكم أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب من ولايتهم يعنى من نصرتهم وميراثهم وقد ذكرت قول بعض من قال معنى الولاية ههنا الميراث وسأذكر ان شاء الله من حضرنى ذكره بعد من شئ حتى يهاجروا قومهم ودورهم من دار الحرب الى دار الاسلام وان استنصروكم فى الدين يقول ان استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا فى الدين يعنى بانهم من أهل دينكم على أعدائكم واعدائهم من المشركين فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والانصار النصر الا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعنى عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه والله بما تعملون بصير يقول والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والانصار وترك ولايته من آمن ولم يهاجر ونصرتكم اياهم عند استنصارهم فى الدين وغير ذلك من فرائض الله التى فرضها عليكم بصير براه ويبصره فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شئ **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالاسلام والهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه فنسخ ذلك قوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين **حدثنا** محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل فى الاسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وأنك لا ترى نار مشرك الا وأنت حرب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان استنصروكم فى الدين يعنى ان استنصركم الاعراب المسلمون أيها المهاجرون والانصار على عدوهم فعليكم أن تنصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وهو قول سفيان الثورى وكان يقول يوم الحج الاكبر أيامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد أيضا هذا وقد حذفت الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا والتقدير بأن الله برىء من المشركين) وقوله (ورسوله) بالرفع مبتدأ محذوف الخبر أى ورسوله أيضا كذلك أو هو معطوف على المنوى فى برىء أى برىء هو ورسوله وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار أو على أن الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله أن الله برىء أن المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثانى اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وأيضا المراد بالاول البراءة من العهد وبالثانى البراءة التى هى نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على أن الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا أتبعه قوله (فان تبتم) أى عن الشرك (فهو خير لكم) وفيه ترغيب فى التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة (وان توليتم) أعرضتم عن التوبة أو بقيتم على التولى والاعراض عن الايمان والوفاء (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) فائتين أخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه فاعلموا أنكم غير معجزى الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثانى للزمان (وبشر) يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن أن عذاب الدنيا لو فات وزال خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معدلهم يوم القيامة أما قوله (الا الذين) فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال فى الكشاف وجهه أن يكون مستثنى

عن ابن جريج قال قال ابن عباس ترك النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفى على أربع منازل مؤمن مهاجر والانصار واعرابى مؤمن لم يهاجر ان استنصره النبى صلى الله عليه وسلم نصره وان تركه فهو اذن له وان استنصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الدين كان حقا عليه أن ينصره فذلك قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر والرابعة التابعون باحسان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين آمنوا وهاجروا الى آخر السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل مؤمن مهاجر ومسلم أعرابى والذين آووا ونصروا والتابعون باحسان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله بعضهم أولياء بعض يقول بعضهم أعوان بعض وأنصاره وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله وقد ذكرنا قول من قال عنى بيان أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين وسنذكر بقيته من حضر ناذكره حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك قال قال رجل نورث أرحامنا من المشركين فنزلت والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير نزلت فى مواريث مشركى أهل العهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير قال كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذى ليس بمهاجر لا يتوارثان وان كانا أخوين مؤمنين قال وذلك لان هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالارحام وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرأ وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار بعضهم أنصار بعض وانه لا يكون مؤمن امن كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قال كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول ان ظهر هؤلاء كنت معهم وان ظهر هؤلاء كنت معهم فأبى الله عليهم ذلك وأنزل الله فى ذلك فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك الا صاحب جزية مقرا بالخراج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حض الله المؤمنين على التواصل بجعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض * وأما قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه الا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والانصار بالايمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار تكن فتنة يقول يحدث بلاء فى الارض بسبب ذلك وفساد كبير يعنى ومعاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض

من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فأتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الى الذين عاهدتم ومعنى (لم ينقصوكم شيأ) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ومعنى (لم يظاهروا) لم يعاونوا أى لم يقدموا على المحاربة بانفسهم ولم يهيجوا أقواما آخرين وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة أى لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) أدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم ثم ختم الآية بقوله (ان الله يحب المتقين) يعنى أن قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين ولا يجعل الوفى كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم انى ناشد محمدا ❊
حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا ❊
ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ❊
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم ومعنى ناشد محمدا أذكره الحلف والعهد لانه كان بين أبيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والأتلد الأقدم ثم بين حكم انقضاء أجل الناكثين فقال (فاذا انسلخ الأشهر الحرم) أى التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزأ فجزأ الى أن ينقضى كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال الممكن عن مكانه فكلاهما ظرف (فاقتلوا المشركين) يعنى الناقضين (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم وفى أى وقت كان (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) بالله امنعوهم من التصرف فى البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) أى فى كل ممر ومجاز ترقبونهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)

وفساد كبير الا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الايمان الا بالهجرة ولا يجعلونهم منهم الا بالهجرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث الا تفعلوه يقول الا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ❊ وقال آخرون معنى ذلك الا تناصروا أيها المؤمنون فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ان يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد الموارث الى الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال الا تعاونوا وتناصروا فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ❊ قال أبو جعفر وأولى التأويلين بتأويل قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قول من قال معناه أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام فى دار الحرب وترك الهجرة لان المعروف فى كلام العرب من معنى الولى أنه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه الا بمعنى أنه يليه فى القيام بارثه من بعده وذلك معنى بعيد وان كان قد يحتمله الكلام وتوجيه معنى كلام الله الى الاظهر الاشهر أولى من توجيهه الى خلاف ذلك واذ كان ذلك كذلك فبين أن أولى التأويلين بقوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير تأويل من قال الا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة فى الارض اذ كان مبتدأ الآية من قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله أولئك هم أهل الايمان بالله ورسوله حقا لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل الشرك ولم يغز مع المسلمين عدوهم لهم مغفرة يقول لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها ورزق كريم يقول لهم فى الجنة طعم ومشرب هنئ كريم لا يتغير فى أجوافهم فيصير نجوا ولكنه يصير رشحا كرشح المسك وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا ان معنى قول الله بعضهم أولياء بعض فى هذه الآية وقوله مالكم من ولايتهم من شئ انما هو النصرة والمعونة دون الميراث لانه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والانصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الآية ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك الا الحث على مضى الميراث على ما امر وفى صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ فى هذه الآيات لشئ ولا منسوخ ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا

ان حصلوا على شروطها (فخلوا سبيلهم) المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام أو عن التصرف في مهماتهم (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعي انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة فما لم يوجد أحد هذه الامور لم يوجد

بالله ورسوله من بعد تبياني ما بينت من ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجروها جروا دار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون فاولئك منكم في الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة في الدين والموارثة مثل الذي يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم رد المواريث الى الارحام التي بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أي في الميراث ان الله بكل شئ عليم

﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم ﴾

يقول تعالى ذكره والمتناسبون بالارحام بعضهم أولى ببعض في الميراث اذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا وحظا من الحليف والولى في كتاب الله يقول في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عالم بما يصلح عباده في تورثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون الحلف بالعقد وبغير ذلك من الامور كلها لا يخفى عليه شئ منها * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنا أبي قال ثنا قتادة انه قال كان لا يرث الاعرابي المهاجر حتى أنزل الله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن عيسى بن الحرث أن أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه جارية فلما شبت الجارية زوجت فولدت غلاما ثم ماتت السرية واختصم شريح بن الحرث والغلام الى شريح القاضي في ميراثها فجعل شريح بن الحرث يقول ليس له ميراث في كتاب الله قال فقضى شريح بالميراث للغلام قال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فركب ميسرة ابن يزيد الى ابن الزبير وأخبره بقضاء شريح وقوله فكتب ابن الزبير الى شريح ان ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وانه ليس كذلك انما نزلت هذه الآية ان الرجل كان يعاقد الرجل يقول ترثني وأرثك فنزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فجاء بالكتاب الى شريح فقال شريح أعتقها جنين بطنها وأبى أن يرجع عن قضائه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ثني عيسى ابن الحرث قال كانت لشريح بن الحرث سرية فذكر نحوه الا انه قال في حديثه كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثني وأرثك فلما نزلت ترك ذلك

﴿ القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة ﴾

﴿ القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه براءة من الله ورسوله هذه براءة من الله ورسوله فبراءة مرفوعة بمحذوف وهو هذه كما قوله سورة أنزلناها مرفوعة بمحذوف هو هذه ولو قال قائل براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله الى الذين عاهدتم وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها اذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله من الله ورسوله

والمفسر حذفوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث ان من مظان وقوع الفعل بعده وأيضا ذكر الفاعل ههنا أهم لما بينا أن ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار يقال استجرت فلانا أي طلبت منه أن يكون جارا لي أي محاميا وحافظا من أن يظلمني ظالم ومنه

يقال أجاره الله من العذاب أى أنقذه والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر لاعهد بينك وبينه فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه (حتى يسمع كلام الله) سماع تدبر وتأمل (ثم أبلغه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت فيها وفيه أن المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد (٤٣) وأن النظر فى دين الله من أعلى المقامات فان الكافر الذى دمه مهدر لما أظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه أما زمان مهلة النظر فليس فى الآية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على ذلك المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال أمهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وأبلغ المأمن ويشبه أن يقال المدة أربعة أشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعى والمذكور فى الآية كونه طالبا لسماع القرآن الا أنه ألحق به كونه طالبا لسماع الدلائل ولجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال فى آخر الآية (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفى سماع كلام الله وجوه قيل أراد جميع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل أراد سماع سورة براءة لأنها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوى لمعظم الدلائل * واعلم أن الامان قد يكون عاما يتعلق بأهل اقليم أو بلدة أو ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقدمر فى تفسير قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بأفراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن آحاد المسلمين أيضا وهذا مقصود الآية وانه ثابت غير منسوخ روى عن سعيد بن جبير أن رجلا من المشركين جاء الى على رضى الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدى والضحاك هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين

كالمعرفة وصار معنى الكلام (١) براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كان مذهبا غير مدفوعة صحته وان كان القول الاول أعجب الى لأن من شأن العرب أن يضمروا الكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين هذا وهذه فيقولون عند معاينتهم الشئ الحسن حسن والله والقبيح قبيح والله يريدون هذا حسن والله وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الاول وقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والمعنى الى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لان العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه وأن عقود النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم لانهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ولعقوده عليهم مسلمين فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم فلذلك قال الى الذين عاهدتم من المشركين لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده * وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله اليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين فأذن له فى السياحة فى الارض أربعة أشهر فقال بعضهم هم صنفان من المشركين أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر وأمهل بالسياحة أربعة أشهر والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك ويؤسر الا أن يتوب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميرا على الحاج من سنة تسع ليقيم للناس حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ونزلت سورة براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه وأن لا يخاف أحد فى الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص الى أجل مسمى فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تبوك وفى قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أى لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب فسيحوا فى الارض أربعة أشهر الى قوله ان الله برئ من المشركين ورسوله أى بعد هذه الحجة * وقال آخرون بل كان امهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأما من لم يكن له من رسول الله عهد فانما كان أجله خمسين ليلة وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله قالوا وانما كان ذلك كذلك لان أجل الذين لا عهد لهم كان الى انسلاخ الاشهر الحرم كما قال الله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قالوا والنداء ببراءة كان يوم الحج الاكبر وذلك يوم النحر فى قول قوم وفى قول آخرين يوم عرفة وذلك خمسون يوما قالوا وأما تأجيل الاشهر الاربعة فانما كان لاهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة قالوا ونزلت فى أول شوال فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الاشهر الحرم وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول ابتداء التأجيل

(١) فيه شئ ولعل الأصل براءة موصوفة بأنها من الله الخ واصلة الى الذين الخ تأمل

وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم أدناهم وعن أم هانئ قالت أجرت رجلين من أحمائى فقال صلى الله عليه وسلم أمنا من أمنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح أمان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله أجرتك أولا تخف وكناية كقوله أنت على ما تحب أو كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روى عن عمر أنه قال والذى نفسى بيده لو أن أحدكم أشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب أما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة فى دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبى فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمى ولا يتعدى الامان الى ما خلفه فى دار الحرب من أهل ومال وأما الذى معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالأرجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك * وقد بقى فى الآية مسئلة أصولية هى أن المعتزلة استدلوا بالآية على أن كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك أن يكون كلامه محدثا لأن دخول هذه الحروف فى الوجود على التعاقب وأجيب بأن هذه المسموعة فعل الانسان وليست هى التى خلقها الله تعالى أو لا عندكم فعلمنا أن هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هى الدالة على الكلام النفسى فلهذا أطلق عليها أنها كلام الله كما ان الجبائى قال ان كلام الله شئ مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا أن هذه الحروف والاصوات قديمة للزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم أكد المعانى المذكورة من أول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد (كيف يكون للمشركين عهد) المرفوع اسم كان وفى خبره ثلاثة أوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثانى للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد أو ليكون

كان للغريمين واحدا أعنى الذى له العهد والذى لا عهد له غير أن أجل الذى كان له عهد كان أربعة أشهر والذى لا عهد له انسلاخ الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيث ما شاؤا وحد أجل من ليس له عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر الى انسلاخ المحرم فذلك خمسون ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم أمره بان يضع السيف فيمن عاهد **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت براءة من الله الى وأن الله مخزى الكافرين يقول براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت براءة فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر وأمرهم أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل براءة انسلاخ الاشهر الحرم وانسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة الى انسلاخ المحرم وهى خمسون ليلة عشرون من ذى الحجة وثلاثون من المحرم فاذا انسلخ الاشهر الحرم الى قوله واقعدوا لهم كل مرصد يقول لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم اذن ببراءة الى عشر من أول ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قبل أن تنزل براءة عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم فنزلت براءة من الله الى كل أحد ممن كان عاهد له من المشركين فانى انقض العهد الذى بينك وبينهم فأوجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاؤا من الارض آمنين وأجل من لم يكن بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة وأذن بها يوم النحر فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين فذلك خمسون ليلة فامر الله نبيه اذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبى الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام وأمر بمن كان له عهدا اذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله براءة من الله ورسوله الى قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم قال ذكر لنا أن عليا نادى بالاذان وأمر على الحاج أبو بكر رضى الله عنهما وكان العام الذى حج فيه المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد ذلك العام قوله الذين عاهدتم من المشركين الى قوله الى مدتهم قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه ان يوفى بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا يقبل منهم الا ذلك * وقال آخرون

أو للجار أو هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق ببيكون وكيف حال من العهد يعنى محال ان يثبت لهؤلاء
عهد وهم أضداد لكم يضمرون الغدر فى كل عهد فلا تطمعوا فى الوفاء منهم ولا تتوانوا فى قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد
الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبنى (٤٤) كنانة وبنى ضمرة ثم بين حكمهم فقال (فما استقاموا لكم) فى ما وجهان

أحدهما أن تكون زمانية وهى المصدرية على التحقيق أى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثانى شرطية أى ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله (ان الله يحب المتقين) فيه اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من أعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال (كيف) وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهد (و) حالهم انهم (ان يظهروا عليكم) أى يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك أن الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور فى نفسه كمالا فانه يريد أن يظهر ذلك لغيره فأطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها (لا يرقبوا) لا يراعوا (فيكم) ولا ينتظروا بكم (الا ولا ذمة) قال فى الصحاح الال العهد والقرابة ووجه ذلك فى الكشاف بأن اشتقاقه من الأل وهو الجؤار والأنين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وسميت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفى الصحاح أيضا ان الال بالكسر من أسماء الله عز وجل وفى الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندى على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الألة الحربة وأذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل أمر لزمك وكان بحيث لو ضيعته فسيحوا
لزمك مذمة وقال أبو عبيدة الذمة ما يتذمم منه أى ما يجتنب فيه الذم قال فى الكشاف (يرضونكم) كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يحرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل

كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا قالوا وكان ابتداؤه يوم الحج الاكبر وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال لما نزلت هذه الآية برئ من عهد كل مشرك ولم يعاهد بعدها الا من كان عاهد وأجرى لكل مدتهم فسيحوا فى الارض أربعة أشهر لمن دخل عهده فيها من عشر ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر قال ثنا محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع وبعث على بن أبى طالب رضى الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الارض فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقرأها عليهم فى منازلهم وقال لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسيحوا فى الارض أربعة أشهر عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذى بينهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله الى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد من غيرهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضى الله عنهما فطافا بالناس بذى المجاز وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهى الاشهر المتواليات عشرون من آخر ذى الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال أهل العهد مدلج والعرب الذين عاهدهم ومن كان له عهد قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ثم قال انه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضى الله عنهما فطافا بالناس بذى المجاز وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله وآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهى الاشهر الحرم المنسلخات المتواليات عشرون من آخر ذى الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد * وقال حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك فغزا تبوك بعد ما جاء الى المدينة * وقال آخرون ممن قال ابتداء الاجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا كان ابتداؤه يوم نزلت براءة وانقضاؤه انقضاء الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى

ثم قال سبحانه (وأكثرهم فاسقون) عن ابن عباس لا يبعد أن يكون بعض هؤلاء الكفار قد أسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر أنه أراد ان أكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الأديان والنحل (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن أو بالاسلام (ثمنا قليلا) هو اتباع الأهواء (فصدوا عن سبيله) فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم أنفسهم قال مجاهد أراد الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وقيل لا يبعد أن يراد طائفة من اليهود الذين أعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالأمر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) ولو أراد المشركين كان تكرارا (وأولئك هم المعتدون) المتجاوزون حدود الله في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان كان هذا في اليهود وما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) فلم يكن من التكرار في شئ قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة (ونفصل الآيات) نبينها (لقوم يعلمون) لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد الحث على التأمل في أحكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها (وان نكثوا) يعني هؤلاء التائبين (أيمانهم من بعد عهدهم) أي من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين أو المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض طاقات الحبل من بعد ابرامه (وطعنوا في دينكم) ثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) هي جمع امام وأصلها أأمة كمثال

فسيحوا في الارض أربعة أشهر قال نزلت في شوال فهذه الاربعة الاشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم * وقال آخرون انما كان تأجيل الله الاشهر الاربعة المشركين في السياحة لمن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فانه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتم له عهده الى مدته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الاربعة الاشهر فأتم له الاربعة ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهو الذي أمر أن يتم له عهده وقال أتموا اليهم عهدهم الى مدتهم * قال أبو جعفر رحمه الله وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر انما هو لأهل العهد الذين ظاهر واعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه فان الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتمام العهد بينه و بينهم الى مدته بقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فان ظن ظان أن قول الله تعالى ذكره فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يدل على خلاف ما قلنا في ذلك اذ كان ذلك ينبئ عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الاشهر الحرم قتل كل مشرك فان الامر في ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبئ عن صحة ما قلنا وفساد ما ظنه من ظن أن انسلاخ الاشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يكن كان له منه عهد وذلك قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين فهؤلاء مشركون وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوهم عليهم و بعد ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين بعث عليا رضي الله عنه ببراءة الى أهل العهود بينه و بينهم أمره فيما أمره أن ينادي به فيهم ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته أوضح الدليل على صحة ما قلنا وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم الى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه وأنه انما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد الى أجل غير محدود فأما من كان أجل عهده محدودا ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باتمام عهده الى غاية أجله مأمورا وبذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبي قال ثنى محرر بن أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت مع علي رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي فكان اذا أصحل صوته ناديت - قلت بأي شئ كنتم تنادون قال بأربع لا يطف بالكعبة عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته

وأمثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وأدغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أن من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر متقدم فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم أبدى غرض القتال بقوله (لعلهم ينتهون) ليعلم أن الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا أمر نفساني وداع شهواني

ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك * حدثني محمد بن عمرو قال ثنا عفان قال ثنا قيس بن الربيع قال ثنا الشيباني عن الشعبي قال أخبرنا المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي رضي الله عنه فذكر نحوه الا أنه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى أجله وقد حدث بهذا الحديث شعبة فخالف قيسا في الاجل فحدثني يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن المثنى قالا ثنا عثمان بن عمر قال ثنا شعبة عن المغيرة عن الشعبي عن المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة الى أهل مكة فكنت أنادي حتى صحل صوتي فقلت بأي شئ كنت تنادي قال أمرنا أن ننادي أنه لا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله الى أربعة أشهر فاذا حل الاجل فان الله بري من المشركين ورسوله ولا يطف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك * قال أبو جعفر رحمه الله وأخشى أن يكون هذا الخبر وهما من ناقله في الاجل لان الاخبار متظاهرة في الاجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على ما بينته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن علي رضي الله عنه قال أمرت بأربع أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطف رجل بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة الا كل نفس مسلمة وأن يتم الى كل ذي عهد عهده حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع قال نزلت براءة فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذها منه فلما رجع أبو بكر قال هل نزل في شئ قال لا ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي فانطلق الى مكة فقام فيهم بأربع أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطف بالكعبة عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع عن علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بأربع أن لا يطف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عبد الأعلى عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه قال بعثت الى أهل مكة بأربع ثم ذكر الحديث حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا سليمان بن قرم عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ثم أتبعه عليا فأخذها منه فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حدث في شئ قال لا أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض ولا يؤدي عني الا أنا أو علي وكان الذي بعث به عليا أربعا لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن عامر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم

ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا أيمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال أثبت لهم الأيمان أولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم في الحقيقة لأن أيمانهم ليست مما يعد أيمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك أبو حنيفة في أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر أي لا اسلام لهم أولا يعطون الأمان بعد الردة والنكث فظاهر * قال العلماء اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع في ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال (ألا تقاتلون) قال أهل المعاني اذا قلت ألا تفعل كذا فانما تستعمل ذلك في فعل مقدر وجوده واذا قلت ألست تفعل فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق أن لا ينفي بها المستقبل فاذا دخلت عليه الالف صار تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعمل في نفي الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدي والكلبي نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حتى هاجر أو من المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا أبا سفيان عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه صلى الله عليه وسلم مكة ثم يخرجوه قبل أن يتم حجه استخفافا به صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يعني يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو المراد أنهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة أو المراد أن علما الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادي أظلم والحاصل أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وأن يوبخ من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ

فقال فيه (أتخشونهم) تقرير اللخشية منهم وتقوية لداعية القتال كما اذا قلت للرجل أتخشى خصمك لانه يستنكف أن ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب أن يكون الامر عليه قائلا (فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) يعني أن قضية الايمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته أتم وعقابه أشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفي الفاء نوع تعليل لان الاستفهام في معنى النهي كأنه قيل لا تخشوهم لان الله أحق بالخشية وأحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كأنه قيل ان صح أنكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد في تأكيد الامر بالقتال فقال (قاتلوهم) ورتب عليه خمس نتائج * الاولى قوله (يعذبهم الله بأيديكم) أي بالقتل والأسر واغتنام الاموال وهذا لا ينافي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لانه أراد هنالك عذاب الاستئصال قالت الأشاعرة في الآية دلالة على أن الذي يدخل في الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على أيدي العباد واعترض الجبائي بأنه لو كان كذلك لجاز أن يقال كذب الله أنبياءه على لسان الكفرة وأجيب بأن الامر كذلك عندنا الا أنا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما أنكم لا تقولون يا مسهل أسباب الزنا واللواط ويا دافع الموانع عنها * الثانية (ويخزهم) قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا أنفسهم مقهورين في أيدي المؤمنين وهو قريب من الاول أو هو هو وقيل هو عذاب الآخرة * الثالثة (وينصركم عليهم) أورد عليه أن النصر يستتبعه اخزاء الخصم فأي حاجة الى افراده بالذكر والجواب أن المغايرة كافية في افراد كل من المتلازمين بالذكر على أنه من المحتمل أن يحصل لهم الخزي من جهة المؤمنين الا أن المؤمنين يحصل لهم آفة لسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال * الرابعة (ويشف صدور قوم مؤمنين) هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب * الخامسة (ويذهب غيظ قلوبهم) قيل شفاء الصدر واذهاب غيظ

علي رضي الله عنه فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم الحج للناس قيل له يا رسول الله لو بعثت الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أو مأمور قال مأمور ثم مضيا رضي الله عنهما فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا من براءة فمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة الى الأجل المسمى **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال لما نزلت هذه الآيات الى رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعلي فأخذها منه فرجع أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحاج وعلي يؤذن ببراءة فقام يوم الأضحى فقال لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده الى مدته وان هذه أيام أكل وشرب وان الله لا يدخل الجنة الا من كان مسلما فقالوا نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك الا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع عن علي قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وأن يتم الى كل ذي عهد عهده قال معمر وقاله قتادة

* قال أبو جعفر رحمه الله فقد أنبأت هذه الاخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا وان أجل الاشهر الاربعة انما كان لمن وصفنا فأما من كان عهده الى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وفى له

القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب أن القلب أخص من الصدر كقوله * يادارمية بالعلياء فالسند * أوشفاء الصدر
اشارة الى الوعد بالفتح ولاريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه
المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال (ويتوب الله على من يشاء) وهو ابتداء
كلام للاخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فأصدق وأكن أما ان التوبة كيف تقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر وأما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا أقدم عليه صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وأيضا ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد أن يصير ذلك داعيا له الى أن يتوب عن جميع الذنوب وقد تصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وأيضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتحت عليه أبواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو أحد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لاينبغي لاحد من بعدي يعني بعد حصول هذا الملك لاينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا (والله عليم) بكل ما يجري في ملكه وملكوته (حكيم) مصيب في أفعاله وأقواله وأحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله ألا تقاتلون الآية ترغيب في فتح مكة لان النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين أنه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال وانما المقصود أن يؤتى به انقياد الامر الله ولتكاليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال (أم حسبتم) الآية وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة

بعهده الى مدته عن أمر الله اياه بذلك وعلى ذلك دل ظاهر التنزيل وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الاشهر الاربعة فانها كانت أجل من ذكرنا وكان ابتداؤها يوم الحج الاكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر متتابعة جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الارض يذهبون حيث شاؤا لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب فان قال قائل فاذا كان الامر في ذلك كما وصفت فما وجه قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ المحرم وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر وانما بين يوم الحج الأكبر وانسلاخ الاشهر الحرم خمسون يوما أكثره فأين الخمسون يوما من الاشهر الاربعة قيل ان انسلاخ الاشهر الحرم انما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشهر الاربعة لمن له عهد اما الى أجل غير محدود واما الى أجل محدود قد نقضه فصار بنقضه اياه بمعنى من خيف خيانته فاستحق النبذ اليه على سواء غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الاجل الاربعة الاشهر ألا ترى الله يقول لاصحاب الاشهر الاربعة ويصفهم بأنهم أهل عهد براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله ووصف المجعول لهم انسلاخ الاشهر الحرم أجلا بأنهم أهل شرك لا أهل عهد فقال وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله الآية الا الذين عاهدتم من المشركين الآية ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وباتمام عهد الذين لهم عهد اذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وادخال النقص فيه عليهم فان قال قائل وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الاكبر دون أن يكون كان من شوال على ما قاله قائلو ذلك قيل له ان قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة وذلك غير جائز أن يكون صحيحا لان المجعول له أجل السياحة الى وقت محدود اذا لم يعلم ما جعل له ولا سيما مع عهده له قد تقدم قبل ذلك بخلافه فكيف لم يجعل له ذلك لانه اذا لم يعلم ماله في الاجل الذي جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الاجل ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك إلا حين نودي فيهم بالموسم واذا كان ذلك كذلك صح أن ابتداءه ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا وأما قوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر فانه يعني فسيروا فيها مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه يقال منه ساح فلان في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا وأما قوله واعلموا أنكم غير معجزي الله فانه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية اعلموا أيها المشركون أنكم ان سحتم في الارض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الاقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله غير معجزي الله يقول غير مفيتيه بأنفسكم لانكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الارض ففي قبضته وسلطانه لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه اذا أراد كم بعذاب معقل ولا موئل الا الايمان به وبرسوله والتوبة من معصيته يقول فبادروا عقوبته بتوبة ودعوا السياحة

ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة والوليجة البطانة يعنى الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل أو هو الرجل يكون فى القوم وليس منهم قال الواحدى يقال هو وليجتى يستوى فيه الواحد والجمع ومعنى الآية لا تحسبوا أن تتركوا على ما أنتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهدين المنافقين من المجاهدين الخلص

التى لا تنفعكم وأما قوله وأن الله مخزى الكافرين يقول واعلموا أن الله مذل الكافرين وموردهم العار فى الدنيا والنار فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله﴾ يقول تعالى ذكره واعلام من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقد بينا معنى الاذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وكان سليمن بن موسى يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال زعم سليمن بن موسى الشامى أن قوله وأذان من الله ورسوله قال الأذان القصص فاتحة براءة حتى تختم وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فذلك ثمان وعشرون آية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأذان من الله ورسوله قال اعلام من الله ورسوله ورفع قوله وأذان من الله عطفا على قوله براءة من الله كأنه قال هذه براءة من الله ورسوله وأذان من الله وأما قوله يوم الحج الاكبر فان فيه اختلافا بين أهل العلم فقال بعضهم هو يوم عرفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد قالا أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكرى وهو يقول سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن يوم الحج الأكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه يقيم للناس الحج وبعثنى معه بار بعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت الىّ فقال قم يا على وأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسى وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبى بكر يوم عرفة فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر ألا وهو يوم عرفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق قال سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فقلت أمن عندك أو من أصحاب محمد قال كل ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر يوم عرفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمر بن الوليد الشنى عن شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال قال عمر رضى الله عنه يوم الحج الأكبر يوم عرفة فذكرته لسعيد بن المسيب فقال أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال الحج الاكبر عرفة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال ثنا شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول هذا يوم عرفة يوم الحج الاكبر فلا يصومنه أحد قال فحججت بعد أبى فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيته فقلت انى سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرنى عن صوم يوم عرفة فقال أخبرك عمن هو أفضل منى أضعافا عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الأكبر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الصمد بن حبيب عن معقل بن داود قال سمعت ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا يصمه أحد حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا غالب بن عبيد الله قال سألت عطاء عن يوم الحج الاكبر

حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الآية بقوله (والله خبير بما تعملون) ليعلموا أنه لم يزل عالما بالأشياء لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء فيجدوا فى استقامة السيرة ويجتهدوا فى نقاء السريرة ۞ التأويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التى اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادنها الروح والقلب فى أوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا فى أرض البشرية أربعة أشهر هى مدة كمال الأوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وأذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركى الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها فى اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وركنتم الى غير الله فاعلموا أنكم غير معجزى الله عن التصرف فيكم أما لأهل السعادة فبالجذبات الازلية وأما لأهل الشقاوة فبأليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم أيها القلوب والارواح من مشركى النفوس على التوافق فى العبودية ثم لم ينقصوكم شيأ من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم أحدا من الشيطان والدنيا فأتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى أوان طلوع فجر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا النفوس المشركة بسيف النهى عن الشهوات حيث وجدتموهم فى الطاعة بان تكلفوها اياها وفى المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم احبسوهم فى حصار

الحقيقة واقعدوالهم كل مرصد اقبوهم فى الأحوال كلها فان تابوا رجعوا الى طلب الحق وأقاموا الصلاة أدوا حق العبودية وآتوا الزكاة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية وان أحد من مشركى صفات النفس استجارك يا قلب لترك ماهو المخصوص به من الصفات الذميمة فأجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم أبلغه مأمنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تنجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله وأسراره فلا يميلون اليه و يعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركى النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها أن تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على أهل الدنيا وهو مقام أهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فاستقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم اسرحها فى متسع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة فى عالمى الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم فى الدين رفقاؤكم فى طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون أن السير الى الله من أعظم المقامات وأهم المهمات وطعنوا فى دينكم يحيى أنكروا مذهب السلوك أئمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول يعنى الواردات الغيبية بانسداد وزنة القلب أول مرة فى أوان الطفولية أتخشونهم فى فوات حظوظها فالله أحق أن تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعنى وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب

فقال يوم عرفة فأفض منها قبل طلوع الفجر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى محمد بن قيس بن مخرمة قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ثم قال أما بعد وكان لا يخطب الا قال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا اسحق بن سليمن عن سلمة بن محب عن عكرمة عن ابن عباس قال يوم الحج الأكبر يوم عرفة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى طاوس عن أبيه قال قلنا ما الحج الأكبر قال يوم عرفة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الأكبر * وقال آخرون هو يوم النحر ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الأكبر يوم النحر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الأجلح عن أبى اسحق عن الحرث قال سمعت عليا يقول الحج الأكبر يوم النحر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن الحج الأكبر فقال هو يوم النحر **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمن الشيبانى قال سألت عبد الله بن أبى أوفى عن الحج الأكبر قال فقال يوم النحر **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك قال دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبى أوفى قال فسألته عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر يوم يهراق فيه الدم **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيبانى قال سألت ابن أبى أوفى عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيبانى عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى وسئل عن قوله يوم الحج الاكبر قال هو اليوم الذى يراق فيه الدم و يحلق فيه الشعر **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن على أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجمانة فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته فسأله عن الحج الاكبر فقال هو يومك هذا خل سبيلها **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن مالك بن مغول وشتير عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال سئل عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن على أنه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه فسأله عن يوم الحج الاكبر قال هو هذا اليوم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا

الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادى فى الباطل من غير حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها أم حسبتم أيها النفوس الأمارة أن تتركوا بلا رياضة وليجة أولياء من الشيطان والدنيا والهوى

﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك﴾ (٥١) حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما

يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الملك بن عمير وعياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال هو اليوم الذى يهراق فيه الدماء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ابن أبى أوفى قال الحج الاكبر يوم تهراق فيه الدماء ويحلق فيه الشعر ويحل فيه الحرام **حدثنى** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن عبد الله ابن يسار قال ثنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير وقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة ابن شعبة فذكر نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمن الشيبانى قال سمعت سعيد بن جبير يقول الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى جحيفة قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر قال اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة فى يوم الحج الاكبر قال على هو يوم النحر وقال الذى من آل شيبة هو يوم عرفة فأرسل الى سعيد بن جبير فسألوه فقال هو يوم النحر ألا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحج فاذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن سعيد بن جبير أنه قال الحج الاكبر يوم النحر قال فقلت له ان عبد الله ابن شيبة ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك فقال محمد بن على هو يوم النحر وقال عبد الله هو يوم عرفة فقال سعيد بن جبير أرأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة أكان يفوته الحج واذا فاته يوم النحر فاته الحج **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيبانى عن سعيد بن جبير قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال ثنى رجل عن أبيه عن قيس بن عبادة قال ذو الحجة العاشر النحر وهو يوم الحج الاكبر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عبد الله ابن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبى اسحق عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن مسلم الحجبى قال سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الاكبر قال يوم النحر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم يهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر الذى يحل فيه كل حرام * قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن عون قال سألت محمدا عن يوم الحج

يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور

رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾ ۞ القرآت مسجد الله ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع أبو بكر وحماد وجبلة وضاقت ونحوها ممالة حمزة رحبت ثم مظهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم

غير الأعشى ۞ الوقوف بالكفر ط أعمالهم ج لعطف المختلفين خالدون ٥ المهتدين ٥ في سبيل الله ط عند الله ط الظالمين ٥ لئلا يشتبه بالوصف وأنفسهم لا لأن ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ٥ مقيم ٥ لا لأن ما بعده حال أبدا ط عظيم ٥ على الايمان ط الظالمون ٥ كثيرة لا لعطف الظرف على الظرف بأمره ط الفاسقين ٥

حنين لا لأن اذ ظرف نصركم مدبرين ٥ ج للآية والعطف كفروا ط الكافرين ٥ من يشاء ط رحيم ٥ هذا ج ان شاء ط حكيم ٥ ۞ التفسير انه سبحانه بدأ السورة بذكر البراءة من المشركين و بالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم أراد أن يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في أن هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال علي عليه السلام ألكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فأنزل الله تعالى ردا عليهم (ما كان للمشركين) ماصح لهم وما استقام (أن يعمروا مساجد الله) يعني المسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما أن يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام أيضا الذي هو أشرفها وهذا آكد لأن طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفي لقراءته القرآن من نصر يحك بذلك أو يراد المسجد الحرام وجمع لأنه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد أولأن كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد إما لزومه و إما كثرة اتيانه للصلاة والاعتكاف ولا شك أنه ليس للمشرك ذلك و إما مرمنه وتعهده وليس للمشرك هذا أيضا لانه يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي أن يكون للكافر منة على أهل الاسلام ولان دخوله المسجد صلى

الا كبر فقال كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوبر حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن ذر قال سألت مجاهدا عن يوم الحج الا كبر فقال هو يوم النحر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد يوم الحج الا كبر يوم النحر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ثور عن مجاهد يوم الحج الا كبر يوم النحر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الا كبر يوم النحر وقال عكرمة يوم الحج الا كبر يوم النحر يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام قال وقال مجاهد يوم يجمع فيه الحج كله وهو يوم الحج الا كبر * قال ثنا اسرائيل عن عبد الأعلى عن محمد بن علي يوم الحج الا كبر يوم النحر * قال ثنا اسرائيل عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي اسحق قال قال علي الحج الا كبر يوم النحر قال وقال الزهري يوم النحر يوم الحج الا كبر حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني يونس وعمرو عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال الزهري فكان حميد يقول يوم النحر يوم الحج الا كبر حدثنا الحسن ابن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبي عن أبي اسحق قال سألت عبد الله بن شداد عن الحج الا كبر والحج الاصغر فقال الحج الا كبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق قال سألت عبد الله بن شداد فذكر نحوه * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول يوم الحج الا كبر يوم يوضع فيه الشعر ويهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام * قال ثنا الثوري عن أبي اسحق عن علي قال الحج الا كبر يوم النحر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن عياش العامري عن عبد الله بن أبي أوفى أنه سئل عن يوم الحج الا كبر فقال سبحان الله هو يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام ويوضع فيه الشعر هو يوم النحر * قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقته فقال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الا كبر * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الحج الا كبر يوم النحر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز عن ابراهيم بن طهمان عن مغيرة عن ابراهيم يوم الحج الا كبر يوم النحر ويحل فيه الحرام حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال لما كان ذلك اليوم قعد على بعيره النبي وأخذ انسان بخطامه أو زمامه فقال أي يوم هذا قال فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه فقال أليس يوم الحج حدثنا سهل بن محمد الحساني قال ثنا أبو جابر الحرشي قال ثنا هشام بن الغازي الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال وقف رسول الله

يؤدى الى تلويث المسجد إما لكونه نجسا فى الحكم و إما لانه قلما يحترز عن النجاسات وماروى أنه صلى الله عليه وآله أنزل وفد ثقيف فى المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفى على سارية من سوارى المسجد محمول على تعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم كأنه أراد أن يكون ذلك بحضرة منه وهو فى المسجد وقوله (شاهدين على أنفسهم) حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين

صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمدانى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم يومكم قالوا يوم النحر قال صدقتم يوم الحج الأكبر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمرو بن مرة قال ثنا مرة قال ثنا رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبيه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس فنادى ببراءة انه يوم الحج الاكبر ألا انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ألا ولا يطوف بالبيت عريان ألا ولا يحج بعد العام مشرك ألا ومن كان بينه و بين محمد عهد فأجله الى مدته والله برىء من المشركين و رسوله **حدثنى** يعقوب قال ثنى هشيم عن حجاج بن أرطاة عن عطاء قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم الحج الاكبر قال يوم النحر يوم يحل فيه المحرم و ينحر فيه البدن وكان ابن عمر يقول هو يوم النحر وكان أبى يقوله وكان ابن عباس يقول هو يوم عرفة ولم أسمع أحدا يقول انه يوم عرفة الا ابن عباس قال ابن زيد والحج يفوت بفوت يوم النحر ولا يفوت بفوت يوم عرفة ان فاته اليوم لم يفته الليل يقف ما بينه و بين طلوع الفجر **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوم الاضحى يوم الحج الاكبر **حدثنا** سفيان قال ثنا أبى عن شعبة عن عمرو بن مرة قال ثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرفتى هذه حسبته قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر

* وقال آخرون معنى قوله يوم الحج الاكبر حين الحج الاكبر ووقته قال وذلك أيام الحج كلها لا يوم بعينه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج أيامه كلها **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد قال الحج الاكبر أيام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا بذى المجاز وعكاظ ومجنة حين نودى فيهم أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته **حدثنى** الحرث قال ثنا أبو عبيد قال كان سفيان يقول يوم الحج و يوم الجمل و يوم صفين أى أيامه كلها **حدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله يوم الحج الاكبر قال حين الحج أى أيامه كلها * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصحة قول من قال يوم الحج الاكبر يوم النحر لتظاهر الاخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة الى المشركين وتلا عليهم براءة يوم النحر هذا مع الاخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر أتدرون أى يوم هذا هذا يوم الحج الاكبر وبعد فان اليوم انما يضاف الى المعنى الذى يكون

أمرين متنافيين عمارة معابد الله مع الكفر به وفى تفسير هذه الشهادة أقوال أصحها أنهم أقروا على أنفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبى والقرآن ولهذا قال السدى هى أن النصرانى اذا قيل له ما أنت قال نصرانى واليهودى يقول يهودى وعابد الوثن يقول أنا عابد الوثن وقيل هى قولهم فى طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس أنه قال المراد أنهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق فى هذا الباب فقال (أولئك حبطت أعمالهم) الصادرة عنهم كاكرام الوالدين و بناء الربط واطعام الجائع لأنه لا يفيد مع الكفر طاعة لأن الكفر يوجب عقاب الأبد ولهذا قال (وفى النار هم خالدون) ولا فادة هذا التركيب الحصر احتجت الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استئهال عمارة المسجد فقال (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لان المرء ما لم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على أنه واسطة والتوجه الحقيقى من الله والى الله ولهذا ورد فى الحديث المصلى يناجى ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفى هذه التهمة ترك ذكره صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه بقوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة لانهما معلومتان من أفعاله صلى الله عليه وسلم ولما فى الصلاة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلاة لا ريب أن فيها عمارة المسجد والحضور فيه وأما ايتاء الزكاة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكاة ولان ايتاء الزكاة واجب

وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان مالم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكاة فالظاهر أنه لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال (ولم يخش الا الله) ليعلم أنه لو أتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن أن يختار في جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان ذلك لوضره في العاجل فسينفعه في الآجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الآية تنبيه على أن من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من أهل عمارة المسجد وأن المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ومن عمارة المساجد تعظيمها والدرس فيها وفهها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وفي قوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) حسم لأطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باهتداء المشركين ومغبتهم وفيه أن المؤمن يجب أن لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر أن بعض الامة ذهبوا الى أن عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال (أجعلتم سقاية الحاج) ومعناه هبوا أن عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا أن هذه القول الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن لقوله لكن آمن وقصته ما مر أن العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

فيه كقول الناس يوم عرفة وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ويوم الاضحى وذلك يوم ينحرون فيه ويوم الفطر وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحج يوم يحجون فيه وانما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر لان في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان الى طلوع الفجر وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج فأما يوم عرفة فانه وان كان فيه الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به الى طلوع الفجر من ليلة النحر والحج كله يوم النحر وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج انما هو أيامه كلها فان ذلك وان كان جائزا في كلام العرب فليس بالاشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس الى مثله من الغد وانما تحمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه * واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم يوم الحج الاكبر فقال بعضهم سمي بذلك لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها واجتمع فيها المسلمون والمشركون فلذلك سمي الحج الاكبر ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال يوم الحج الاكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال قوله يوم الحج الاكبر قال انما سمي الحج الاكبر لانه يوم حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود * وقال آخرون الحج الاكبر القران والحج الأصغر الافراد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو بكر النهشلي عن حماد عن مجاهد قال كان يقال الحج الاكبر والحج الأصغر فالحج الاكبر القران والحج الاصغر إفرادا لحج * وقال آخرون الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر قال قلت له هذا الحج الاكبر فما الحج الاصغر قال العمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال كان يقال الحج الاصغر العمرة في رمضان * قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال الحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي أسماء عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الاصغر العمرة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال الحج الاكبر الحج لانه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها فقيل له الاكبر لذلك وأما الاصغر فالعمرة لان عملها أقل من عمل الحج فلذلك قيل لها الاصغر لنقصان عملها عن عمله وأما قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله فان معناه أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة ومعنى الكلام واعلام من الله ورسوله الى الناس في يوم الحج الاكبر أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أن الله بريء من المشركين ورسوله أي بعد هذه الحجة

المسجد الحرام ونسقى الحاج وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت اليهود لهم أنتم أفضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله أولئك أعظم درجة وهذا يقتضى ان يكون للمفضول أيضا درجة وقصته ماروى عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال الآخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكنى اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبى أن طلحة قال أنا صاحب البيت بيدى مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال على رضى الله عنه ما أدرى ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال على رضى الله عنه للعباس بعد أن كان أسلم ألا تهاجر ألا تلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست فى أفضل من الهجرة ألست أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما أرانى الا تاركا سقايتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف أى أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل أن يسأل ما بال أحد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا (لا يستوون عند الله) ثم صرح بالمفضول فقال (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى المشركين ان الشرك لظلم عظيم وأى ظلم أشنع من وضع أخس الموجودات وهو الاصنام مقام أشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع فى استعدادهم الفطرى وذلك لكونهم مظاهر القهر فانهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال (الذين آمنوا) الآية

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ يقول تعالى فان تبتم من كفركم أيها المشركون ورجعتم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد فالرجوع الى ذلك خير لكم من الاقامة على الشرك فى الدنيا والآخرة وان توليتم يقول وان أدبرتم عن الايمان بالله وأبيتم الا الاقامة على شرككم فاعلموا أنكم غير معجزى الله يقول فأيقنوا أنكم لا تفيتون الله بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه الاليم وعقابه الشديد على اقامتكم على الكفر كما فعل بذويكم من أهل الشرك من انزال نقمه به واحلاله العذاب عاجلا بساحته وبشر الذين كفروا يقول وأعلم يا محمد الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم بعذاب موجع يحل بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله فان تبتم قال آمنتم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين﴾ يقول تعالى ذكره وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين أيها المؤمنون ثم لم ينقصوكم شيأ من عهدكم الذى عاهدتموهم ولم يظاهروا عليكم أحدا من عدوكم فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول ففوا لهم بعهدهم الذى عاهدتموهم عليه ولا تنصبوا لهم حربا الى انقضاء أجل عهدهم الذى بينكم وبينهم ان الله يحب المتقين يقول ان الله يحب من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول الى أجلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا الذين عاهدتم من المشركين أى العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا الآية قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر فأمر الله نبيه أن يوفى لهم بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن لا يقبل منهم الا ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة الى عشر من شهر ربيع الآخر وذلك أربعة أشهر فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم وان وفوا بعهدهم الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهر واعليه عدوا فقد أمر أن يؤدى اليهم عهدهم ويفى به ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاذا انقضى ومضى وخرج يقال منه سلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا يعنى خرجنا منه ومنه قولهم شاة مسلوخة يعنى المنزوعة من جلدها المخرجة منه ويعنى

ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن أورد عليه أن قوله أعظم درجة يوجب ان يكون للمفضول أيضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة وأجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم أو المراد أنهم أعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر أو المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولاشك أنهما من أعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله (عند الله) تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وكذا في قوله (وأولئك هم الفائزون) لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات) التنكير فيها يفيد أنها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله (لهم فيها نعيم) اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة ألفاظ مؤكدات أولها (مقيم) وثانيها (خالدين) وثالثها (أبدا) وقال أهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا أعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى أعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب عن بالمقام اشارة الى أن الذي ربا كم في الدنيا بالنعم التي لا حد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز أن تكون الرحمة اشارة الى رضا العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك

بالاشهر الحرم ذا القعدة وذا الحجة والمحرم أو انما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده لان الاذان كان ببراءة يوم الحج الاكبر فعلوم أنهم لم يكونوا أجلوا الأشهر الحرم كلها وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هو لهما ثالثا وهي كلها متصل بعضها ببعض قيل فاذا انسلخ الاشهر الحرم ومعنى الكلام فاذا انقضت الاشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه أو كان عهدهم الى أجل غير معلوم فاقتلوا المشركين يقول فاقتلوهم حيث وجدتموهم يقول حيث لقيتموهم من الارض في الحرم وغير الحرم في الاشهر الحرم وغير الاشهر الحرم وخذوهم يقول وأسروهم واحصروهم يقول وامنعوهم التصرف في بلاد الاسلام ودخول مكة واقعدوا لهم كل مرصد يقول واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كل مرصد يعني كل طريق ومرقب وهو مفعل من قول القائل رصدت فلانا أرصده رصدا بمعنى رقبته فان تابوا يقول فان رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وأعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها فخلوا سبيلهم يقول فدعوهم يتصرفون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام ان الله غفور رحيم لمن تاب من عباده فأناب الى طاعته بعد الذي كان عليه من معصيته ساتر على ذنبه رحيم به أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته بعد التوبة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أجلوا الى انسلاخ الاشهر الحرم * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيأ فارقها والله عنه راض قال وقال أنس هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله قال الله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال توبتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ثم قال في آية أخرى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حتى ختم آخر الآية وكان قتادة يقول خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله فانما الناس ثلاثة رهط مسلم عليه الزكاة ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين اذا أعطى عشور ماله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فاذا انسلخ الاشهر الحرم وهي الاربعة التي عددت لك يعني عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعا الاول وعشرا من شهر ربيع الآخر وقال قائلو هذه المقالة قيل لهذه الاشهر الحرم لان الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعرض لهم الا بسبيل خير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابراهيم بن أبي بكر أنه أخبره

راضية مرضية ثم أكد المعانى المذكورة بقوله (الله عنده أجر عظيم) وفى تصدير الجملة الاسمية بان وفى لفظ عند وتقديمه وتنكير أجر ووصفه بالعظم مبالغات لاتخفى قال الكلبى لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة ففهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون

عن مجاهد وعمرو بن شعيب فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم أنها الاربعة التى قال الله فسيحوا فى الارض قال هى الحرم من أجل انهم أومنوا فيها حتى يسيحوها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال ضرب لهم أجل أربعة أشهر وتبرأ من كل مشرك ثم أمر اذا انسلخت تلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد لاتتركوهم يضربون فى البلاد ولا يخرجون للتجارة ضيقوا عليهم بعدها أمر بالعفو فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعنى الاربعة التى ضرب لهم اجلا لاهل العهد العام من المشركين فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية القول فى تأويل قوله ﴿وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذى أنزله الله عليه فأجره يقول فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم أبلغه مأمنه يقول ثم رده بعد سماعه كلام الله ان هو أبى أن يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن الى مأمنه يقول الى حيث يأمن منك وممن فى طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين ذلك بانهم قوم لا يعلمون يقول تفعل ذلك بهم من اعطائك اياهم الامان ليسمعوا القرآن وردك اياهم اذا أبوا الاسلام الى مأمنهم من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون ما لهم بالايمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والاثم بتركهم الايمان بالله * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان أحد من المشركين استجارك أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم فأجره **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فأجره حتى يسمع كلام الله أما كلام الله فالقرآن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان أحد من المشركين استجارك فأجره قال انسان يأتيك فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا فلقى العدو وأحرج المسلمون رجلا من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة فقال الرجل ارفعوا عنى سلاحكم وأسمعونى كلام الله تعالى فقالوا تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الانداد وتتبرأ من اللات والعزى فقال فانى أشهدكم أنى قد فعلت **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أبلغه مأمنه قال ان لم يوافقه ما تقول عليه وتحدثه فأبلغه قال وليس هذا بمنسوخ واختلف فى حكم هذه الآية هل هو منسوخ أو هو غير منسوخ فقال بعضهم هو غير منسوخ وقد ذكرنا قول من قال ذلك * وقال آخرون هو منسوخ ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

ننشدك الله أن لا تدعنا الى غير شئ فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) الآيتين وذكروا فى وجه النظم أن هذه الآية جواب عن شبهة أخرى قالوها وهى انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو فى الاصل طلب المحبة ثم ان النهى كان يحتمل أن يكون نهى تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) قال ابن عباس يريد أنه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله أبعد الناس ويبغض فى الله أقرب الناس وعن ابن عباس هى فى المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل

يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدى عشيرة الرجل أهله الأدنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا تكاد

العرب تجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو والكاسب يدنى الشئ من نفسه ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور فى الآية فى غاية الحسن لان أعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم انه يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفى آخر المراتب الرغبة

فى الاوطان التى بنيت للسكنى فبين تعالى أنه يجب تحمل هذه المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر أنه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله (فتربصوا انتظروا وانما تحبون (حتى يأتى الله بأمره) عن الحسن هو عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل يعنى القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روى أن هذه السورة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما أوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين أراد أن يبين أن كل من أعرض عن الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعى مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لنا مثلا فقال (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) قال الواحدى النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع موطن وهو كل موضع أقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولاهاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وهى على ما فى الصحاح تسع عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير وأحد وغزوة الخندق وذات الرقاع وغزوة بنى المصطلق وغزوة أنمار وغزوة ذى قرد وخيبر والحديبية والفتح (ويوم حنين) أى وفى يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضى الله عنه قال على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر أى ونصركم يوم حنين لان قوله اذ أعجبتكم كثرتكم بدل من

لمشرك

سفيان عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم نسختها فاما منا بعد واما فداء * قال ثنا سفيان عن السدى مثله * وقال آخرون بل نسخ قوله فاقتلوا المشركين قوله فاما منا بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن ابن أبى عروبة عن قتادة حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال ليس ذلك بمنسوخ وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره ولم تصح حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المن عليهم فاذ كان ذلك كذلك فكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم وذلك من يوم بدر كان معلوما أن معنى الآية فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم واذا كان ذلك معناه صح ما قلنا فى ذلك دون غيره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين﴾ يقول تعالى ذكره أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله وبأى معنى يكون للمشركين بر بهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله يوفى لهم به ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون فى البلاد وانما معناه لا عهد لهم وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم الا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم فان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم والاستقامة لهم عليه ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين * واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فقال بعضهم هم قوم من جذيمة ابن الديل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم هم بنو جذيمة بن الديل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر قوله الا الذين عاهدتم من المشركين قال هم جذيمة بكر من كنانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف يكون للمشركين الذين كانوا أنتم على العهد العام بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم ولا فى الشهر الحرام عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحى من قريش وبنو الديل من بكر فأمر باتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر الى مدته فما استقاموا لكم الآية * وقال آخرون هم قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم قريش حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعنى أهل مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يقول هم قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم مدة ولا ينبغى

يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها وجوز أن يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد فى عطف الزمان على المكان وما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم أن يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا فى عدد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا وقال قتادة كانوا اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة وألفان من الطلقاء الاسارى الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبى كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكانت هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى المراد من قوله (اذ أعجبتكم) وقيل قالها أبو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان فى جميع الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها ثم قال (فلم تغن عنكم شيأ) والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة أى لم تعطكم الكثرة شيأ يدفع حاجتكم ولم تفدكم (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور فى موضع الحال أى متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا فى الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لهربكم اليه وكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) أى انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث والذى لا اله الا الله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط لقد رأيته وأبو سفيان اخذ بالركاب والعباس آخذ

لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطى المسلم الجزية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم يعنى أهل العهد من المشركين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هؤلاء قريش وقد نسخ هذا الاشهر التى ضربت لهم وغدروا بهم فلم يستقيموا كما قال الله فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا باى بلاد شاؤا قال فاسلموا قبل الاربعة الاشهر وقبل وقبل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هم قوم جذيمة قال فلم يستقيموا نقضوا عهدهم أى أعانوا بنى بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هم قوم من خزاعة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال أهل العهد من خزاعة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب عندى قول من قال هم بعض بنى بكر من كنانة ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بنى الديل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة وانما قلت هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان الله أمر نبيه والمؤمنين باتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ما استقاموا على عهدهم وقد بينا أن هذه الآيات انما نادى بها على فى سنة تسع من الهجرة وذلك بعد فتح مكة بسنة فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده لأن من كان منهم من ساكنى مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات وأما قوله ان الله يحب المتقين فان معناه ان الله يحب من اتقى الله وراقبه فى أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده واجتناب معاصيه وترك الغدر بعهوده لمن عاهده * القول فى تأويل قوله ﴿كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أولمن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة وهم ان يظهروا عليكم يغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة واكتفى بكيف دليلا على معنى الكلام لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب اذا أعادت الحرف بعد مضى معناه استجازوا حذف الفعل كما قال الشاعر

وخبر تمانى انما الموت فى القرى * فكيف وهذى هضبة وكثيب

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها ومعنى الكلام فكيف يكون الموت فى القرى وهذى هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فقال بعضهم معناه لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يرقبون فى مؤمن الا قال الله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن عن أبى مجلز فى قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة قال مثل قوله جبرائيل ميكائيل اسرافيل كأنه يقول يضاف جبر وميكا واسراف الى ايل يقول عبد الله

لا يرقبون فى مؤمن الا كانه يقول لا يرقبون الله حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنى محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا ولا ذمة لا يرقبون الله ولا غيره * وقال آخرون الال القرابة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة يقول قرابة ولا عهدا وقوله وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال يعنى القرابة والذمة العهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة الال القرابة والذمة العهد يعنى أهل العهد من المشركين يقول ذمتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وعبدة عن حوشب عن الضحاك الال القرابة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن عكرمة عن ابن عباس لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة قال الال القرابة والذمة العهد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة الال القرابة والذمة الميثاق حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى كيف وان يظهروا عليكم المشركون لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا * وقال آخرون معناه الحلف ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الحلف والذمة العهد * وقال آخرون الال هو العهد ولكنه كرر لما اختلف اللفظان وان كان معناهما واحدا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد إلا قال عهدا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة قال احداهما من صاحبتها كهيئة غفور رحيم قال فالكلمة واحدة وهى تفترق قال والعهد هو الذمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال العهد حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال الذمة العهد

* قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا والال اسم يشتمل على معان ثلاثة وهى العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا يعنى الله فاذ كانت الكلمة تشمل هذه المعانى الثلاثة ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فيقال لا يرقبون فى مؤمن الله ولا قرابة ولا عهدا ولا ميثاقا ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل

أفسد الناس خلوف خلفوا * قطعوا الال وأعراق الرحم

بمعنى قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت

لعمرك ان إلك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل

بلجام الدابة وهو يقول أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار

لا يبالى وكانت بغلته شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة ستة عشر ألفا أو ثمانية آلاف أو خمسة آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا واختلفوا فى قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا فى هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة فى قلوب المؤمنين ثم قال (وعذب الذين كفروا) أى بالقتل والاسر وأخذ الاموال وسبى الذرارى احتجت الاشاعرة بانزال السكينة وهى داعية السكون والثبات وبقوله وعذب على أن الدواعى والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الآية بقوله (وذلك جزاء الكافرين) واعلم ان الحنفية تمسكوا فى مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافى وكون الجلد كافيا يمنع ان يكون غيره مشروعا معه وأجابت الشافعية بانه تعالى قال فى هذه الآية وذلك أى الأخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق أما قوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أى يسلم ناس منهم روى أن ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا وقالوا يا رسول الله وجدناهم

أنت خير الناس وابرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال ان عندى ماترون يعنى العساكر الفقراء وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين

وجدناهم كاذبا إلهم * وذو الال والعهد لا يكذب

وقد زعم بعض من ينسب الى معرفة كلام العرب من البصريين أن الال والعهد والميثاق واليمين واحد وأن الذمة فى هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له والجمع ذمم وكان ابن اسحق يقول عنى بهذه الآية أهل العهد العام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف وان يظهروا عليكم أى المشركون الذين لا عهد لهم الى مدة من أهل العهد العام لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فأما قوله يرضونكم بافواههم فانه يقول يعطونكم بالسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم فى نفوسهم من العداوة والبغضاء وتأبى قلوبهم أى تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم يحذر رجل ثناؤه أمرهم المؤمنين ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله وأن لا يقصروا فى مكروههم بكل ما قدروا عليه وأكثرهم فاسقون يقول وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقضون له كافرون بربهم خارجون عن طاعته ﴿القول فى تأويل قوله ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يقول جل ثناؤه ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حجته يسيرا من العوض قليلا من عرض الدنيا وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا قال أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله فصدوا عن سبيله فان معناه فمنعوا الناس من الدخول فى الاسلام وحاولوا رد المسلمين عن دينهم انهم ساء ما كانوا يعملون يقول جل ثناؤه ان هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ساء عملهم الذى كانوا يعملون من اشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أومن أراد أن يؤمن ﴿القول فى تأويل قوله ﴿لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون﴾ يقول تعالى ذكره لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم فى قتل مؤمن لو قدروا عليه إلا ولا ذمة يقول فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم وأولئك هم المعتدون يقول المتجاوزون فيكم الى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول جل ثناؤه فان رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله الى الايمان به وبرسوله وأنابوا الى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به وهو الاسلام ونفصل الآيات يقول ونبين حجج الله وأدلته على خلقه لقوم يعلمون ما بين لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين يقول ان تركوا اللات والعزى

الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شئ وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه صلى الله عليه وسلم العرفاء أن قد رضوا ثم انه سبحانه أجاب عن شبهة أخرى لهم وذلك أن عليا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة فنبذ اليهم عهدهم قال أناس يا أهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قال فى الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذو و نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت و يجوز أن يجعل المصدر نعتا للمبالغة فى الوصف واختلف فى تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادى من أئمة الزيدية وأما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة أبدانهم واحتج القاضى على ذلك بما روى أنه صلى الله عليه وسلم شرب من أوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام وأولوا الآية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث أو انهم بمنزلة الشئ النجس فى وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم أو ان كفرهم الذى هو صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن أبى حنيفة وأصحابه أن المراد أن لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية

والدليل عليه قول علي عليه السلام في النداء ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع من الدخول فيه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الأرفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله (فسوف يغنيكم الله من فضله) أي من تفضله بوجه آخر قال عكرمة أنزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم أخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل أغناهم من الني ء وعن مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك أعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى (ان شاء) تعليم وارشاد وأن لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله واللجأ اليه وليعلم أن حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الآية بقوله (ان الله عليم) أي باحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب ۞ التأويل ما كان لمشرك النفوس الامارة أن يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى حبطت أعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات على الاخروية وأدام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب

وشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن رجل عن ابن عباس فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أمرتم باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له وقيل فاخوانكم فرفع بضمير فهم اخوانكم اذ كان قد جرى ذكرهم قبل كما قال فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين بمعنى فهم اخوانكم في الدين ۞ القول في تأويل قوله ﴿وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ يقول تعالى ذكره فان نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وطعنوا في دينكم يقول وقدحوا في دينكم الاسلام فثلموه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر يقول فقاتلوا رؤساء الكفر بالله انهم لا أيمان لهم يقول ان رؤساء الكفر لا عهد لهم لعلهم ينتهون لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر فقال بعضهم هم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم وكان حذيفة يقول لم يأت أهلها بعد ذكر من قال هم من سميت **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى لعلهم ينتهون يعني أهل العهد من المشركين سماهم أئمة الكفر وهم كذلك يقول الله لنبيه وان نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر لانهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى ينتهون فكان من أئمة الكفر أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وهم الذين هموا باخراجه **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أئمة الكفر أبو سفيان وأبو جهل وأمية ابن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة **حدثنا** ابن وكيع وابن بشار قال ابن وكيع ثنا غندر وقال ابن بشار ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي بشر عن مجاهد فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم قال أبو سفيان منهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا أسباط عن السدي وان نكثوا أيمانهم الى ينتهون هؤلاء قريش يقول ان نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الاسلام وطعنوا فيه فقاتلوهم **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فقاتلوا أئمة الكفر يعني رؤس المشركين أهل مكة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فقاتلوا أئمة الكفر أبو سفيان بن حرب وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا باخراج الرسول وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والفرى

اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لايستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لايهدى القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة فى غير موضعها الذين آمنوا أى القلوب المؤمنة وهاجروا أى الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا فى سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وأنفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود بتجلى

على الله وعلى كتابه ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية فقاتلوا أئمة الكفر فقال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنى أبو السائب قال ثنا الاعمش عن زيد بن وهب قال قرأ حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان واسرائيل عن أبى اسحق عن صلة بن زفر انهم لاأيمان لهم لاعهد لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وان نكثوا أيمانهم قال عهدهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وان نكثوا أيمانهم عهدهم الذى عاهدوا على الاسلام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صلة عن عمار بن ياسر فى قوله لاأيمان لهم قال لاعهد لهم حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر انهم لاأيمان لهم قال لاعهد لهم وأما النكث فان أصله النقض يقال منه نكث فلان قوى حبله اذا نقضها والايمان جمع اليمين * واختلفت القراء فى قراءة قوله انهم لاايمان لهم فقرأه قراء الحجاز والعراق وغيرهم انهم لاأيمان لهم بفتح الالف من أيمان بمعنى لاعهود لهم على ماقد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك انهم لاايمان لهم بكسر الالف بمعنى لااسلام لهم وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك انهم لاأمان لهم أى لاتؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم كانه أراد المصدر من قول القائل آمنته فانا أومنه ايمانا * قال أبو جعفر والصواب من القراآت فى ذلك الذى لاأستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الالف دون كسرها لاجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولاجماع أهل التأويل على ماذكرت من أن تأويله لاعهد لهم والأيمان التى هى بمعنى العهد لاتكون الا بفتح الالف لانها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذى بينكم وبينهم وطعنوا فى دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا باخراج الرسول من بين أظهرهم فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعنى فعلهم ذلك يوم بدر وقيل قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة أتخشونهم يقول أتخافونهم على أنفسكم فتتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فالله أحق أن تخشوه يقول فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بتركيكم جهادهم وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لايملكون لكم ضرا ولانفعا الا باذن الله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا

صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده أجر عظيم أى من وصل الى مقام العندية فالله يعظم أجره لاتتخذوا آباءكم الآيتان فيهما اشارة الى ان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى ويوم حنين أى حين حنت قلوبكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم أنكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم أرض الوجود ثم أعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم أنزل الله سكينته وهى واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وأنزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها فى أحكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين أى علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعى انما المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب حينئذ عن اتباع النفوس وأمرها بقتالها ومنعها عن طوافها الثلاثة تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس وأوصافها الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت

النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين ۞ القرآت عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلى وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهؤن بالهمز عاصم الآخرون يضاهون بحذف الهمزة أن يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة فى الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسى بالتشديد ورش من طريق النجارى وحمزة فى الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد على وحمزة غير العجلى وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد ان العجلى وأوقيه ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد ۞ الوقوف صاغرون ه المسيح ابن الله ط بأفواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ه ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده أن تكون حالا واستئنافا

أيمانهم من بعد عهدهم وهموا باخراج الرسول يقول هموا باخراجه فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم بدؤكم أول مرة قال قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التى ضرب لهم أجلا الا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول الى قوله والله خبير بما تعملون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم يعذبهم الله بأيديكم يقول يقتلهم الله بأيديكم ويخزهم يقول ويذلهم بالاسر والقهر وينصركم عليهم فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة ويشف صدور قوم مؤمنين يقول ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم واذلالكم وقهركم اياهم وذلك الداء هو ما كان فى قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الاذى والمكروه وقيل ان الله عنى بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرا عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة يشف صدورهم من بنى بكر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين قال حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ يقول الله تعالى ذكره ويذهب وجد قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكربها بما فيها من الوجد عليهم بمعونتهم بكرا عليهم كما حدثنى ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى ويذهب غيظ قلوبهم حين قتلهم بنو بكر وأعانتهم قريش حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى مثله الا أنه قال وأعانهم عليهم قريش وأما قوله ويتوب الله على من يشاء فانه خبر مبتدأ ولذلك رفع وجزم الاحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة كأنه قال قاتلوهم فانكم

واحدا ج لان مابعده يصلح ابتداء ووصفا الاهو ط يشركون ٥ الكافرون ٥ كله لا تتعلق لو بما قبله المشركون ٥ عن سبيل الله ط فى سبيل الله لا تتعلق الفاء أليم ٥ لا أى فى يوم وظهورهم ط تكنزون ٥ حرم ط يقاتلونكم كافة ط المتقين ٥ فيحلوا ماحرم الله ط أعمالهم ط الكافرين ٥ ۞ التفسير انه سبحانه لما ذكر شبهات المشركين وأجاب عنها بأجوبة صحيحة أراد أن يبين أحكام أهل الكتاب والمقصود تمييزهم من المشركين فى الحكم لان الواجب فى المشركين القتال الى الاسلام والواجب فى أهل الكتاب القتال الى الاسلام أو الجزية واعلم أنه تعالى ذكر صفات أربعة وأمر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله (من الذين أوتوا الكتاب) فدل ذلك على ان أهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فأورد عليه أن القوم يقولون نحن نؤمن بالله وأجيب بأن ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بأن كل من نازع فى صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم أن يكون أكثر المتكلمين كذلك فالاشعرى من أهل السنة أثبت البقاء صفة والقاضى أنكره وعبد الله بن سعيد أثبت القدم صفة والباقون أنكروه والقاضى اثبت لله ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ أبو اسحق أنكره والقاضى أثبت للصفات سبعة أحوال معللة بتلك الصفات وغيره أنكره وعبد الله ابن سعيد زعم أن كلام الله فى الازل ما كان أمرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون أنكروه وقوم من قدماء الاشاعرة أثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهى والاستخبار والخبر والنداء

ان تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ثم ابتدأ فقال ويتوب الله على من يشاء لان القتال غير موجب لهم التوبة من الله وهو موجب لهم العذاب من الله والخزى وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ولم يكن موجبا القتال التوبة فابتدأ الحكم به ورفع ومعنى الكلام وعن الله على من يشاء من عباده الكافرين فيقبل به الى التوبة بتوفيقه اياه والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه ومن منهم غير أهل لها فيخذله حكيم فى تصريف عباده من حال كفر الى حال ايمان بتوفيق من وفقه لذلك ومن حال ايمان الى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده وغير ذلك من أمرهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم الذى بينهم وبينه بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية حاضا على جهادهم أم حسبتم أيها المؤمنون أن يتركم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به فيعرف الصادق منكم فى دينه من الكاذب فيه ولما يعلم الله الذين جاهدوا يقول أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم فى سبيله من المضيعين أمر الله فى ذلك المفرطين ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله يقول ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين وليجة هو الشئ يدخل فى آخر غيره يقال منه ولج فلان فى كذا يلجه فهو وليجة وانما عنى بها فى هذا الموضع البطانة من المشركين نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون اليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يقول والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعد ما قد نهاكم عنه لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم والله مجازيكم على ذلك ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وبنحو الذى قلت فى معنى الوليجة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا المؤمنين وليجة يتولجها من الولاية للمشركين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع وليجة قال دخلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم حسبتم أن تتركوا الى قوله وليجة قال أبى أن يدعهم دون التمحيص وقرأ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقرأ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآيات كلها أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أبى الله الا أن يمحص حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وليجة قال هو الكفر والنفاق أو قال أحدهما وقيل أم حسبتم ولم يقل أحسبتم لانه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام فادخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا وقد بينت نظائر ذلك فى غير

(٩ - ابن جرير عاشر) والمشهور أن كلام الله واحد واختلفوا فى أن خلاف المعلوم هل هو مقدور لله وأما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فأكثر من أن تحصى هاهنا وأجيب بأن المجسم خالف فى الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دل على أن اله العالم ليس بجسم ولا جسمانى وأما الخلاف فى المسائل المذكورة فراجع الى الصفة فظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية

القائلين بن كلام الله تعالى حل فى كل لسان وفى كل جسم كتب فيه القرآن كما نكفر النصارى القائلين بأن أقنوم الكلمة حلت فى عيسى * الصفة الثانية أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسمانى والقرآن دل على ان أهل الجنة يأكلون ويشربون وباللذات يتمتعون أما السعادات الروحانية (٦٦) فتتفق عليها * الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أى لا يحرمون ما حرم الله فى القرآن والرسول فى سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال أبو روق أى لا يعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا باحكام توافق مشتهاهم * الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق أى لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال (حتى يعطوا الجزية) فعلة من جزى يجزى اذا قضى ما عليه قال الواحدى هى ما يعطى المعاهد على عهده وقال فى الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى (عن يد) ان أريد بها يد المعطى أى عن يد مؤاتية غير ممتنعة يقال أعطى يده اذا انقاد وأصحب أو المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد أحد وان أريد بها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أى بسببها كقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * أى يتناهون فى السمن بسببهما أو المراد عن انعام علينا بها فان قبول الجزية منهم بدلا عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود موحدة فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به فى حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم أما مقدار الجزية فعن أنس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر أفضل على فقرائهم فى المدينة اثنى عشر درهما وعلى الاوساط أربعة وعشرين وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين فذهب الشافعى الى أن أقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضى وذهب أبو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه

موضع من الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون ﴾ يقول تعالى ذكره ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر يقول ان المساجد انما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر فانها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر يقول ما ينبغى لهم أن يعمروها وأما شاهدين على أنفسهم بالكفر فان النصرانى يسئل ما أنت فيقول نصرانى واليهودى فيقول يهودى والصابئ فيقول صابئ والمشرك يقول اذا سألته ما دينك فيقول مشرك لم يكن ليقوله أحد الا العرب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العنقزى عن أسباط عن السدى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله قال يقول ما كان ينبغى لهم أن يعمروها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى شاهدين على أنفسهم بالكفر قال النصرانى يقال له ما أنت فيقول نصرانى واليهودى يقال له ما أنت فيقول يهودى والصابئ يقال له ما أنت فيقول صابئ وقوله أولئك حبطت أعمالهم يقول بطلت وذهبت أجورها لانها لم تكن لله بل كانت للشيطان وفى النار هم خالدون يقول ماكثون فيها أبدا لا أحياء ولا أمواتا واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مساجد الله على الجمع وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين مسجد الله على التوحيد بمعنى المسجد الحرام وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله مساجد الله على الجمع لانه اذا قرئ كذلك احتمل معنى الواحد والجمع لان العرب قد تذهب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد كقولهم عليه ثوب أخلاق ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ يقول تعالى ذكره انما يعمر مساجد الله المصدق بوحدانية الله المخلص له العبادة واليوم الآخر يقول الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها وأدى الزكاة الواجبة عليه فى ماله الى من أوجبها الله له ولم يخش الا الله يقول ولم يرهب عقوبة شئ على معصيته اياه سوى الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين يقول تخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق واصابة الصواب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر يقول من وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول أقر بما أنزل الله وأقام الصلاة يعنى الصلوات الخمس ولم يخش الا الله يقول ثم لم يعبد الا الله قال فعسى أولئك يقول ان أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقول ان ربك سيبعثك مقاما محمودا وهى الشفاعة وكل عسى فى القرآن فهى واجبة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت ولا أحد

وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر وذلك أن لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك أن كتبهم وهى الصحف التى أنزلت على ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد رفعت الى السماء لأحداث أحدثوها وليس المقصود من أخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون فى كتابهم فيعرفون صدق محمد ومادعاهم اليه وأيضا فيه حرمة أنبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل وأما قوله (وهم صاغرون) فمعناه أنه لابد مع أخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه أن طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا أمهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر أن مجموع ذلك يحمله على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار فى الآية بأخذ الجزية على سبيل الاهانة بأن يكون الذمى قائما والمسلم الذى يأخذ الجزية قاعدا ويأمره بأن يخرج يده من جيبه ويحنى ظهره ويطأطئ رأسه فيصب مامعه فى كفة الميزان ويأخذ المستوفى بلحيته ويضرب فى لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس أخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند أبى حنيفة دون الشافعى وانها تؤخذ عند أبى حنيفة فى أول السنة وعند الشافعى فى آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة وخنثى ولا صبى ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه وتضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفانى والراهب والاعمى على الاصح من قولى الشافعى لان الجزية بمنزلة الكراء يستوى فيه المعذورون وغيرهم قال الشافعى فى أحد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول أخذنا ان أيسر والا فهى فى ذمته الى أن يوسر وهكذا فى كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام أو نائبه الذى فوضه اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد أن يقول أقررتكم أو أذنت لكم فى الاقامة فى دار الاسلام على أن تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التى يراها الامام ولا يقر أهل الكتاب بالجزية فى أرض الحجاز لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أخرجوا اليهود من

أفضل منا فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك انما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فاولئك عمارها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر فى الايمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيله لا فى الذى افتخروا به من السدانة والسقاية وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو الوليد الدمشقى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى معاوية بن سلام عن جده أبى سلام الأسود عن النعمان بن بشير الانصارى قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فقال رجل منهم ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فأنزل الله تبارك وتعالى أجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى قال الله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين يعنى أن ذلك كان فى الشرك ولا أقبل ما كان فى الشرك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين وذلك أن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعنى أنهم يستكبرون بالحرم وقال به سامرا لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم فخير الايمان بالله والجهاد مع نبى الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه قال الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيأ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن النعمان بن بشير أن رجلا قال ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلنا عليه

فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يستوون عند الله حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو عن الحسن قال نزلت فى على وعباس وعثمان وشيبة تكلموا فى ذلك فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل عن الشعبى قال نزلت فى على والعباس تكلما فى ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرت عن أبى صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معى مفتاحه لو أشاء بت فيه وقال عباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت فى المسجد وقال على ما أدرى ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية كلها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الحسن قال لما نزلت أجعلتم سقاية الحاج قال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله قال افتخر على وعباس وشيبة بن عثمان فقال العباس أنا أفضلكم أنا أسقى حجاج بيت الله وقال شيبة أنا أعمر مسجد الله وقال على أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاهد معه فى سبيل الله فأنزل الله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الى نعيم مقيم حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أجعلتم سقاية الحاج الآية أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العانى ونحجب البيت ونسقى الحاج فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج الآية فتأويل الكلام اذا أجعلتم أيها القوم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون هؤلاء وأولئك ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما الا أن الله تعالى لا يقبل بغير الايمان به وباليوم الآخر عملا والله لا يهدى القوم الظالمين يقول والله لا يوفق لصالح الاعمال من كان به كافرا ولتوحيده جاحدا ووضع الاسم موضع المصدر فى قوله كمن آمن بالله اذ كان معلوما معناه كما قال الشاعر

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى * ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل خبر الفتيان أن وهو كما يقال انما السخاء حاتم والشعر زهير ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية والآخر بالسدانة والآخر بالايمان بالله والجهاد فى سبيله يقول تعالى ذكره الذين آمنوا بالله صدقوا بتوحيده من المشركين وهاجروا دور قومهم وجاهدوا المشركين فى دين الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند

الحجاز قال الشافعى هو مكة والمدينة ومخاليفهما أى قراهما وما روى أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بان يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب فمحمول على انه أراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقى فى الآية نكتة ذكرها بعض العلماء فى أن المسلم لا يقتل بالذمى قال لأن قوله قاتلوا مشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا أن المجموع انتفى عند اعطاء الجزية ولكن انتفاء المجموع يكفى فيه انتفاء أحد جزأيه وأحد الجزأين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم بعد أداء الجزية كما كان ولقائل أن يقول لا نزاع فى الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وأنت بصدد اثباته ولما حكم فى الآية المتقدمة أن أهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع فى اثبات تلك الدعوى فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن أسقط التنوين من عزير فلانه اسم أعجمى زائد على ثلاثة أحرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه أسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن فى هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم أن ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا أنه جاء على عادة العرب فى ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول أو يجالس الملوك ولعله لم يركب أو لم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه أيضا أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فأنذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء

وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله أصدق وقال فى الكشاف الدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وأما النصارى فلا شك أنهم يقولون ذلك وقد حكى الواحدى فى سبب ذلك أن أتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى الى السماء حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من أصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار وانى أحتال فأضلهم فعرقب فرسه وأظهر الندامة عما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تتنصر وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه وأحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتى فادع الناس الى نحلتك ولقد رأيت عيسى فى المنام ورضى عنى وانى غدا أذبح نفسى لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه هذا هو السبب فى وقوع هذا الكفر فى طوائف النصارى والأقرب أن لفظ الابن قد وقع فى الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك أنت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل فى حق ابراهيم عليه السلام وقال المسيح عليه السلام للحواريين أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء الذى أشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد فى أحد الطرفين بغلو فاسد فى الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه (ذلك قولهم بافواههم) وفائدة هذا التخصيص وكل قول فانما يقال بالفم أنه قول لا يعضده برهان بل

الله وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون وأولئك يقول وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم الفائزون بالجنة الناجون من النار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ يقول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه قد رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم بانه قد رضى عنهم بطاعتهم اياه وأدائهم ما كلفهم وجنات يقول وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد ثابت دائم أبدا لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الموسوى قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله سبحانه أعطيكم أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ أفضل من هذا قال رضوانى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم﴾ يقول تعالى ذكره خالدين فيها ماكثين فيها يعنى فى الجنات أبدا لا نهاية لذلك ولا حد ان الله عنده أجر عظيم يقول ان الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذى ذكر فى هذه الآية أجر ثواب على طاعتهم لربهم وأدائهم ما كلفهم من الاعمال عظيم وذلك النعيم الذى وعدهم أن يعطيهم فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الاسلام وأهله وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر على الايمان يقول ان اختاروا الكفر بالله على التصديق به والاقرار بتوحيده ومن يتولهم منكم يقول ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ويؤثر المقام معهم على الهجرة الى رسول الله ودار الاسلام فأولئك هم الظالمون يقول فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله فوضعوا الولاية فى غير موضعها وعصوا الله فى أمره وقيل ان ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب أنا أسقى الحاج وقال طلحة أخو بنى عبد الدار أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فأنزلت لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء الى قوله يأتى الله بأمره بالفتح فى أمره اياهم بالهجرة هذا كله قبل فتح مكة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام المقيمين بدار الشرك ان كان المقام مع آبائكم وأبنائكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وكانت أموال اقترفتموها يقول اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها بفراقكم بلدكم ومساكن ترضونها فسكنتموها أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد فى سبيله يعنى فى نصرة دين الله الذى ارتضاه

البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو مبرأ عن الحاجة والشهوة والمضاجعة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التى لا تجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها فى القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر نظيره قوله وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم أو نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه أما اذا نطق به فذلك هو الغاية فى اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية فى الحسن والتأثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة أو انه مذهب لا يساعده دليل فلا تأثير له فى القلوب ويحتمل أن يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت فى الافواه والألسنة (يضاهؤن) من قرأ بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهى منقوصا أى شاكل ومن قرأ بالهمز فلمجىء ضاهأت من قولهم امرأة ضهيأ على وزن فعيل وهى التى شاكلت الرجال فى انها لا تحيض ومن جعل ضهيأ على فعلأ بزيادة الهمزة كما فى عرقىء لقشرة البيض السفلى لمجىء ضهياء ممدودا بمعناه فلا ثبت فى هذا الثانى عنده ولا بد من تقدير مضاف أى يضاهى قولهم قول الذين حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى أن قول هؤلاء المعاصرين للنبى من أهل الكتاب يشبه قول قدمائهم أى انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهى قول أهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير فى يضاهؤن للنصارى فقط أى يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود أقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب معجبا ومستفهما على سبيل الانكار (قاتلهم الله أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق أى هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ان ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم ولن ضل عن الطريق أين تذهب ثم وصفهم بضرب آخر من الاشرالـ فقال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) قال أهل المعانى الحبر العالم الذى يعبر عما يريد بأحسن بيان والراهب الذى ظهرت آثار الرهبة من قلبه على وجهه ولباسه لكن

فتربصوا يقول فتنظروا حتى يأتى الله بأمره حتى يأتى الله بفتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفى معصيته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى يأتى الله بأمره بالفتح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتربصوا حتى يأتى الله بأمره فتح مكة حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها يقول تخشون أن تكسد فتبيعوها ومساكن ترضونها قال هى القصور والمنازل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأموال اقترفتموها يقول أصبتموها

القول فى تأويل قوله ﴿لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ يقول تعالى ذكره لقد نصركم الله أيها المؤمنون فى أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة ويوم حنين يقول وفى يوم حنين أيضا قد نصركم وحنين واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأجرى لانه مذكر اسم لمذكر وقد يترك اجراؤه ويراد به أن يجعل اسما للبلدة التى هو بها ومنه قول الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال حنين واد الى جنب ذى المجاز اذ أعجبتكم كثرتكم وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا اثنى عشر ألفا وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم لن نغلب من قلة وقيل قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ يقول فلم تغن عنكم كثرتكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت يقول وضاقت الارض بسعتها عليكم والباء ههنا فى معنى فى ومعناه وضاقت عليكم الارض فى رحبها وبرحبها يقال منه مكان رحيب أى واسع وانما سميت الرحاب رحابا لسعتها ثم وليتم مدبرين عن عدوكم منهزمين مدبرين يقول وليتموهم الادبار وذلك الهزيمة يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش وأنه ينصر القليل على الكثير اذا شاء ويخلى القليل فيهزم الكثير وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين حتى بلغ وذلك جزاء الكافرين قال وحنين ما بين مكة والطائف قاتل عليها نبى الله هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بنى نصر وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفى قال وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وذكر لنا أن رجلا قال يومئذ لن نغلب اليوم بكثرة قال وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس وجعلوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء وذكر لنا

فى عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من أصحاب الصوامع واختلفوا فى معنى اتخاذهم اياهم أربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد أنهم جعلوهم آلهة العالم فقال أكثر المفسرين المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم نقل أن عدى بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدى انا لسنا نعبدهم فقال أليس تحرمون ما أحل الله وتحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا فى كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج لأن الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا أنه يلعنه ويستخف به بخلاف أولئك الأتباع المعظمين لمتبوعيهم قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله فى مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الىّ كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا سارياً فى عرف الاكثرين قلت ولعلهم توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الآى على ما لم يقف عليه الخلف وقيل فى تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا فى تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ فى ذلك اذا كان مزوراً طالباً للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيماً واجلالاً مع ان السجود عبادة لا تليق الا بالله واذا كان هذا مشاهداً فى هذه الامة فكيف بالامم السالفة وأما المسيح فحين جعلوه ابناً لله فقد أهلوه للعبادة والالهية ولعل السبب فى افراد المسيح بالذكر أن قولهم فيه أشنع من قولهم فى الاحبار والرهبان أولان القول بالهية المسيح مخصوص بأحد الفريقين فلو قيل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا

أن نبى الله قال أى رب آتنى ما وعدتنى قال والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نادِ يا معشر الانصار و يا معشر المهاجرين فجعل ينادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب سورة البقرة قال فجاء الناس عنقا واحدا فالتفت نبى الله صلى الله عليه وسلم واذا عصابة من الانصار فقال هل معكم غيركم فقالوا يا نبى الله والله لو عمدت الى برك الغماد من ذى يمن لكنا معك ثم أنزل الله نصره وهزم عدوهم وتراجع المسلمون قال وأخذ رسول الله كفا من تراب أو قبضة من حصباء فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرانة فقسم بها مغانم حنين وتألف أناسا من الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فقالت الانصار حن الرجل الى قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة له من أدم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذى بلغنى ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله وكنتم أذلة فاعزكم الله وكنتم وكنتم قال فقال سعد بن عبادة رحمه الله ائذن لى فأتكلم قال تكلم قال أما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكنا كذلك وكنتم أذلة فأعزكم الله فقد علمت العرب ما كان حى من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد أتدرى من تكلم فقال نعم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو سلكت الانصار واديا والناس واديا لسلكت وادى الانصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الانصار كرشى وعيبتى فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار أما ترضون أن ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله و رسوله والله ما قلنا ذلك الا حرصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم و يعذرانكم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته أو ظئره من بنى سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أملكهم وانما لى منهم نصيبى ولكن ائتينى غدا فسلينى والناس عندى فانى اذا أعطيتك نصيبى أعطاك الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبا فقعدت عليه ثم سألته فأعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة الآية ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة وأعجبته كثرة الناس وكانوا اثنى عشر ألفا فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوكلوا الى كلمة الرجل فانهزموا عن رسول الله غير العباس وأبى سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بين يديه فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الانصار أين الذين بايعوا تحت الشجرة فتراجع الناس فأنزل الله الملائكة بالنصر فهزموا المشركين يومئذ وذلك قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن

لأوهم اشتراك الفريقين فى اتخاذ المسيح ربا (وما أمروا) الضمير للمتخذين والذى أمرهم بذلك أدلة العقل والكتب السماوية وفى القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز أن يكون الضمير للاحبار والرهبان أى وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الايمان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال (سبحانه عما يشركون) ثم ذكر نوعا آخر من قبائح

أفعال أهل الكتاب وهو سعيهم فى ابطال أمر محمد وجدهم فى اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال (يريدون أن يطفؤا نور الله) أى دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما فى الاهتداء بهما وذلك أن دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التى بمثلها ثبتت نبوة موسى وعيسى ولاسيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب فى السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة أرادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذى هو أشد الانوار المحسوسة بسبب أن ينفخ فيه ولا ريب أن ذلك سعى باطل وكيد زاهق ولهذا قال (ويأبى الله الا أن يتم نوره) أى لم يرد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهى المنع والامتناع قال * وان أرادوا ظلمنا أبينا * امتدح بذلك ولا يجوز أن يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوى فيه القوى والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم أكد ذلك المعنى بقوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى بكثرة الدلائل والمعجزات (ودين الحق) لاشتماله على أمور تظهر لكل أحد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية أمره وتمام حكمه فقال (ليظهره على الدين كله) أى ليجعل الرسول أو دين الحق

الزهرى عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه قال لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون يومئذ قال فلقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ومامعه أحد الا أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب آخذا بغرز النبى صلى الله عليه وسلم لا يألو ما أسرع نحو المشركين قال فأتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء فقال ياعباس ناد أصحاب السمرة وكنت رجلا صيتا فأذنت بصوتى الأعلى أين أصحاب السمرة فالتفتوا كانها الابل اذا حنت الى أولادها يقولون يالبيك يالبيك يالبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون وتنادت الانصار يامعشر الانصار ثم قصرت الدعوة فى بنى الحرث بن الخزرج فتنادوا يابنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ثم قال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة قال فوالله مازال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله قال فلكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبى ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك فقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عندى من ترون وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء قد جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده منهم شئ فطابت نفسه أن يرده فليفعل ذلك ومن لا فلعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا يانبى الله رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل منكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا حدثنا على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا يعلى بن عطاء عن أبى همام عن أبى عبد الرحمن يعنى الفهرى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين فلما ركدت الشمس لبست لأمتى وركبت فرسى حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل شجرة فقلت يارسول الله قد حان الرواح فقال أجل فنادى يابلال يابلال فقام بلال من تحت سمرة فأقبل كأن ظله ظل طير فقال لبيك وسعديك ونفسى فداؤك يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسرج فرسى فأخرج سرجا دفتاه حشوهما ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب النبى صلى الله عليه وسلم فصافنا هم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين كما قال الله فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباد الله يامعشر المهاجرين قال ومال النبى صلى الله عليه وسلم عن فرسه فأخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم فولوا مدبرين قال يعلى بن عطاء فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا ما بقى منا أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء وسأله رجل من قيس فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام

ولقد

غالبا على أهل الاديان كلهم أو على كل دين عن أبى هريرة أنه قال هذا وعد من الله بأن يجعل الاسلام ظاهرا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج المهدى ونزول عيسى وقال السدى ذلك عند خروج المهدى عليه السلام لا يبقى أحد الا دخل فى الاسلام وأدى

الخراج قلت قد دخل فى عصرنا من الملوك الكفرة ومن أشياعهم فى الاسلام مالا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على أن الكل سيدخلون فى الاسلام وقد جاء فى الحديث زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره فى جزيرة العرب وهذا تخصيص أوجبه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شئ من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار فى بعض الاقطار ظاهرة ولقائل أن يقول ان المسلمين فى تلك البلاد وان قلوا فانهم غالبون على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام أحكامه قوله (هو الذى أرسل) فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة أنه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة أنه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء وأراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة أنه هو المعطى لمثل هذه النعمة التى لا يوازيها نعمة وهى نعمة الهدى والاسلام وقوله (ولو كره الكافرون) وفى الآية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا فالدلالة تنبيها على أن اليهود والنصارى أيضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركى قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق أراد أن يصفهم بالطمع والحرص فقال (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية) وفيه تنبيه على أن مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ولعمرى ان من تأمل فى أحوال أهل الناقوس والتزوير فى زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت الا فى شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه فى الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة فى تحصيله وفى قوله كثيرا دلالة على أن هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم

ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها وهو يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال سأله رجل يا أبا عمارة وليتم يوم حنين فقال البراء وأنا أسمع أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ دبره وأبو سفيان يقود بغلته فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فما رؤى يومئذ أحد من الناس كان أشد منه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى جعفر ابن سليمن عن عوف الاعرابى عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال ثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبنا القوم فكانت اياها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال ويومئذ سمى الله الانصار مؤمنين قال فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ قال كانوا اثنى عشر ألفا **حدثنا** محمد بن يزيد الآدمى قال ثنا معن بن عيسى عن سعيد بن السائب الطائفى عن أبيه عن يزيد بن عامر قال لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ضرب النبى صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فأخذ منها قبضة من تراب فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين فخثاها فى وجوههم وقال ارجعوا شاهت الوجوه قال فانصرفنا ما يلقى أحد أحدا الا وهو يمسح القذى عن عينيه * وبه عن يزيد بن عامر السوائى قال قيل له يا أبا حازر الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين ماذا وجدتم قال وكان أبو حازر ممن شهد المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن ثم يقول كان فى أجوافنا مثل هذا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثنى المعتمر ابن سليمن عن عوف قال سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم قال ثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم فى أدبارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت وتوليتكم الاعداء أدباركم كشف الله نازل البلاء عنكم بانزاله السكينة وهى الأمنة والطمأنينة عليكم وقد بينا أنها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا

لا يخلو عن المحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم أنه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك فى سائر الامم وعبر عن أخذهم أموال الناس بالاكل تسمية للشئ باسم ما هو أعظم مقاصده وأيضا من أكل شيأ فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو أخذه ولهذا فان من أخذ أموال الناس فاذا طولب بردها قال أكلتها وما بقيت فلا قدرة لى على ردها وفى

تفسير الباطل وجوه منها أنهم كانوا يأخذون الرشا فى تخفيف الاحكام والمسامحة فى الشرائع وفى اخفاء نعت محمد وتأويل الدلائل الدالة على نبوته ومنها أنهم كانوا يدعون عند عوامهم الحق أنه لا سبيل الى الفوز برضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال فى مرضاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها أنهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان أولئك الفقهاء أقوياء عظماء أصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المرؤسون فى زماننا هذا أما قوله (ويصدون عن سبيل الله) فمعناه يبالغون فى المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو أقروا بدينه ثم قال سبحانه (والذين يكنزون) الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشئ اجتمع قيل المراد بقوله والذين يكنزون الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد أراد أن يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن أموالهم وقيل المقصود مانعو الزكاة من المسلمين ووجه النظم أنه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى فى أخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبى ذر فقلت له ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية فقال

الموضع وأنزل جنودا لم تروها وهى الملائكة التى ذكرت فى الاخبار التى قد مضى ذكرها وعذب الذين كفروا بقول وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبى الاهلين والذرارى وسلب الاموال والذلة وذلك جزاء الكافرين يقول هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى جزاء الكافرين يقول هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وعذب الذين كفروا يقول قتلهم بالسيف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن سعيد وعذب الذين كفروا قال بالهزيمة والقتل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين قال من بقى منهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والانابة اليه من بعد عذابه الذى به عذب من هلك منهم قتلا بالسيف على من يشاء أى يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به الى طاعته والله غفور لذنوب من أناب وتاب اليه منهم ومن غيرهم منها رحيم بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم ولا يؤاخذهم بها بعد انابتهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأفروا بوحدانيته ما المشركون الا نجس * واختلف أهل التأويل فى معنى النجس وما السبب الذى من أجله سماهم بذلك فقال بعضهم سماهم بذلك لانهم يجنبون فلا يغتسلون فقالوا هم نجس ولا يقربوا المسجد الحرام لان الجنب لا ينبغى له أن يدخل المسجد ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر فى قوله انما المشركون نجس لا أعلم قتادة الا قال النجس الجنابة * وبه عن معمر قال وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى حذيفة وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده فقال حذيفة يا رسول الله انى جنب فقال ان المؤمن لا ينجس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس أى أجناب * وقال آخرون معنى ذلك ما المشركون الا رجس خنزير أو كلب وهذا قول روى عن ابن عباس من وجه غير جيد فكرهنا ذكره وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا يقول للمؤمنين فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم وانما عنى بذلك منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلناه ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر وابن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء الحرم كله قبلة ومسجد قال فلا يقربوا المسجد الحرام لم يعن المسجد وحده انما عنى مكة والحرم قال ذلك غير مرة وذكر عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك ما **حدثنا** عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد ابن مسلم قال ثنا أبو عمرو أن عمر بن عبد العزيز كتب أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع فى نهيه قول الله انما المشركون نجس **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن انما المشركون نجس قال لا تصافحوهم فمن صافحهم فليتوضأ

معاوية نزلت فى أهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان يشكونى فكتب الى عثمان أن اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عنى كأنهم لم يرونى من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا قلت

انى والله لاأدع ما كنت أقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رأيت أباذر يقول بشر الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت مارأيت هؤلاء الا كرهوا ماقلت لهم فقال ماعسى يصنع بى

قريش واختلف علماء الصحابة فى هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذى لم تؤدز كاته عن عمر بن الخطاب مال أديت زكاته فليس بكنز وقال ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وكل مال لم تؤدز كاته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا ينفقونها فى سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضى ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات وقال الأقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء أديت زكاته أولم تؤد وحجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسألكم أموالكم وقوله عليه السلام كل امرئ أحق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من أكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث أو الأقل فى المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر المريض أن يتصدق بالكل بل الصحيح فى حال صحته بحجة الأقلين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له صلى الله عليه وسلم أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وقوله من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال

فليتوضأ وأما قوله بعد عامهم هذا فانه يعنى بعد العام الذى نادى فيه على رحمة الله عليه ببراءة وذلك عام حج بالناس أبو بكر وهى سنة تسع من الهجرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو العام الذى حج فيه أبو بكر ونادى على رحمة الله عليهما بالاذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج نبى الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع لم يحج قبلها ولا بعدها وقوله وان خفتم عيلة يقول للمؤمنين وان خفتم فاقة وفقرا بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء يقال منه عال يعيل عيلة وعيولا ومنه قول الشاعر

ومايدرى الفقير متى غناه * ومايدرى الغنى متى يعيل

وقد حكى عن بعضهم أن من العرب من يقول فى الفاقة عال يعول بالواو وذكر عن عمرو بن فائد أن كان تأول قوله وان خفتم عيلة بمعنى واذ خفتم ويقول كان القوم قد خافوا وذلك نحو قول القائل لأبيه ان كنت أبى فأكرمنى بمعنى اذ كنت أبى وانما قيل ذلك لهم لان المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك وأمنهم الله من العيلة وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ماهو خير لهم منه وهو الجزية فقال لهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله الى صاغرون وقال قوم بادرار المطر عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن قال من أين تأكلون وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم العير فقال الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأمرهم بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال كان المشركون يجيئون الى البيت ويجيئون معهم بالطعام ويتجرون فيه فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا طعام فأنزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأنزل عليهم المطر وكثر خيرهم حتى ذهب عنهم المشركون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد ابن عبد الرحمن عن على بن صالح عن سماك عن عكرمة انما المشركون نجس الآية ثم ذكر نحو حديث هناد عن أبى الاحوص حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير قال لما نزلت انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع فنزلت وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن واقد مولى زيد بن خليدة عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت هذه الآية انما المشركون نجس الى قوله عيلة قال الفقر فسوف يغنيكم الله من

ثوبا فقالوا له صلى الله عليه وسلم أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وقوله من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال

كيتان وعن علي رضي الله عنه كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال
لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور رحمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى
عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد

فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب عليه ثم يعاقبه وقال أهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لأن تزايد المال لا حد له يقف هنالك فينجر الى تضييع العمر تارة في تحصيله وأخرى في حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة ونخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده وأما ظاهر الفتوى فهو أن صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا أدى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية على وعيد مانعي الزكاة في النقود قاس الزكاة في المواشي عليه وقد ورد أيضا في الحديث ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم وهو مشهور ولا ريب أن الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن أوجب الزكاة في الحلي المباح الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكاة في الحلي المباح

فضله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية العوفي قال قال المسلمون قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم فنزلت انما المشركون نجس الى قوله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي أحسبه قال أنبأنا أبو جعفر عن عطية قال لما قيل ولا يحج بعد العام مشرك قالوا قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله يعني بما فاتهم من بياعاتهم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال بالجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان وأبو معاوية عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك قال أخرج المشركون من مكة فشق ذلك على المسلمين وقالوا كنا نصيب منهم التجارة والميرة فأنزل الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثقفوا وأن يقعدوا لهم كل مرصد قذف الشيطان في قلوب المؤمنين فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير فعلم الله من ذلك ما علم فقال أطيعوني وامضوا لأمري وأطيعوا رسولي فاني سوف أغنيكم من فضلي فتوكل لهم الله بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله انما المشركون نجس الى قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال قال المؤمنون كنا نصيب من متاجر المشركين فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بان لا يقربوهم المسجد الحرام فهذه الآية من أول براءة في القراءة ومن آخرها في التأويل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام شق ذلك على المسلمين وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون فانزل الله تعالى ذكره وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فاغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم يأخذونها شهرا شهرا عاما عاما فليس لاحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال الا صاحب الجزية أو عبد رجل من المسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال الا صاحب جزية أو عبد الرجل من المسلمين حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وان

ولم يصححه أبو عيسى الترمذي وبتقدير أن يصح حملوه على اللائي لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل أن يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللآلي لم تبق لقيد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز أو الاموال أولا أن كل واحد منهما جملة واحدة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير

خفتم

فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ أى ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب اما لأنه داخل فى الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمنيين نفيسين مقصودين بالكنز فأغنى ذكر أحدهما عن الآخر كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وإما لان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله

خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن أبى الزبير عن جابر انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك أن الناس قالوا لتقطعن عنا الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الى قوله وهم صاغرون ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية وأما قوله ان الله عليم حكيم فان معناه ان الله عليم بما حدثكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام وغير ذلك من مصالح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول ولا يصدقون بجنة ولا نار ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق يقول ولا يطيعون الله طاعة الحق يعنى أنهم لا يطيعون طاعة أهل الاسلام من الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى وكل مطيع ملكا أو ذا سلطان فهو دائن له يقال منه دان فلان لفلان فهو يدين له دينا قال زهير

لئن حللت بجو فى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقوله من الذين أوتوا الكتاب يعنى الذين أعطوا كتاب الله وهم أهل التوراة والانجيل حتى يعطوا الجزية والجزية الفعلة من جزى فلان فلانا ما عليه اذا قضاه يجزيه والجزية مثل القعدة والجلسة ومعنى الكلام حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذى يبذلونه للمسلمين دفاعا عنها وأما قوله عن يد فانه يعنى من يده الى يد من يدفعه اليه وكذلك تقول العرب لكل معط قاهرا له شيأ طائعا له أو كارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فاه الى فم ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد ليد وأما قوله وهم صاغرون فان معناه وهم أذلاء مقهورون يقال للذليل الحقير صاغر وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره بحرب الروم فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * واختلف أهل التأويل فى معنى الصغار الذى عناه الله فى هذا الموضع فقال بعضهم أن يعطيها وهو قائم والآخذ جالس ذكر من قال ذلك

* فانى وقيار بها لغريب *

وقيار كذلك ثم قال (فبشرهم بعذاب أليم) تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هى الخبر الذى يؤثر فى القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح أو من الغم كان حقيقة (يوم يحمى عليها) معناه أن النار تحمى عليها أى يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى أى الكنوز كقولك أحميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ذكر العلماء فى تخصيص هذه الأعضاء بالكى وجوها منها أن حصول الاموال يقصد به فرح فى القلب يظهر أثره فى الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة ولما فى داخلها من الاعضاء الشريفه ومنها أنهم يكبون على الجهات الاربع أمامن قدام فعلى الجبهة وأمامن خلف فعلى الظهر وأمامن اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها أن المراد وقوع الكى على كل الاعضاء لانها اما فى غاية النظافة ومثاله الجبهة واما فى غاية الصلابة ومثاله الظهر وإما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها أن الجمال فى الوجه والقوة فى الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول أبى بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه وولى ظهره وأنا أقول يحتمل أن يراد بالجباه قدام الشخص حيث لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف

حيث خلف ما أعقبه الحسرات وبالجنوب اليمين والشمال حيث لم يصرف المال فى مرضاة الله وأنفقه فى معصيته وسخطه وهذا بالتأويل أليق ثم الذى جعل كياهو كل ماله أو قدر الزكاة الظاهر أنه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا فى كل ماله فناسب أن يعذب بكل الاجزاء ثم

قال (هذا ما كنزتم) والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم (لأنفسكم) وفيه توبيخ واشعار بأنهم عورضوا بنقيض ما قصدوا وأكد ذلك بقوله (فذوقوا ما كنتم تكنزون) ما مصدرية أو موصولة والمعنى اعرفوا وبال كونكم كانزين أو ذوقوا وبال المال الذى كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال (ان عدة الشهور) الآيتان وذلك أنه تعالى لما حكم فى كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسىء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم فى تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة فى كفرهم واعلم أن المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هى مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثنى عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال أبو على الفارسى لا يجوز أن يتعلق قوله فى كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبى وهو الخبر أعنى اثنا عشر فقوله فى كتاب الله ويوم خلق الثانى بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام فى الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت فى علمه فى أول ما خلق الله العالم ويجوز أن يكون فى كتاب الله صفة اثنا عشر أى اثنا عشر شهرا مثبتة فى كتاب الله وعلى هذا لا يجوز أن يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم الله متعلق به ولا تتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول أى فيما أثبته فى ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا فى كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو

حدثنى عبد الرحمن بن بشر النيسابورى قال ثنا سفيان عن ابن سعد عن عكرمة حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون قال أى تأخذها وأنت جالس وهو قائم * وقال آخرون معنى قوله حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون وذلك قول روى عن ابن عباس من وجه فيه نظر * وقال آخرون اعطاؤهم اياها هو الصغار ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ اختلف أهل التأويل فى القائل عزير ابن الله فقال بعضهم كان ذلك رجلا واحدا وهو فنحاص ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله وقالت اليهود عزير ابن الله قال قالها رجل واحد قالوا ان اسمه فنحاص وقالوا هو الذى قال ان الله فقير ونحن أغنياء * وقال آخرون بل كان ذلك قول جماعة منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله فأنزل الله فى ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى أنى يؤفكون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وانما قالوا هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان فى أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعلمون بها ما شاء الله أن يعلموا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشى كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير الله وابتهل اليه أن يرد اليه الذى نسخ من صدره من التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن فى قومه فقال يا قوم قد آتانى الله التوراة وردها الىّ فعلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا أنه ابن الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالت اليهود عزير ابن الله انما قالت ذلك لانهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم وأخذوا التوراة وذهب علماؤهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة فى الجبال وكان عزير غلاما يتعبد فى رؤس الجبال لا ينزل الا يوم عيد فعل الغلام يبكى ويقول رب تركت بنى اسرائيل بغير عالم فلم يزل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع اذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكى وتقول يا مطعماه ويا كاسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل قالت الله قال فان

اللوح المحفوظ وقيل القرآن (منها أربعة حرم) ثلاثة سرد أى مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب (ذلك الدين القيم) يعنى ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذى كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه تركه (فلا تظلموا فيهن) أى فى الاشهر الاربعة (أنفسكم) بان تجعلوا حرامها حلالا عن عطاء قال تالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدائم الذى لا يزول وعن عطاء الخراسانى أحلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه أن لبعض الاوقات أثرا فى زيادة الثواب أو العقاب كالأمكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء أوقاتا مخصوصة وفيه فائدة أخرى هى أن الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو أمر مطلوب فى نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد أو لاعتقاده أن الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلى ولا ريب أن تخصيص ذلك من الشارع أقرب الى اتحاد الآراء وتطابق الكلمة وقيل الضمير فى قوله فيهن عائد الى اثنا عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الفساد مدة عمره أو المراد المنع من النسىء على ما يجىء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا أن لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب أن تخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلاثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الوحدة قال حسان

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

الله حتى لم يمت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله قالت فلم تبكى عليهم فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبرا فدعته فقالت يا عزير اذا أصبحت غدا فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم اخرج فصل ركعتين فانه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه فلما أصبح انطلق عزير الى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيأ كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يا بنى اسرائيل انى قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل اصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال وكانت فى خواب مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطاك الله هذا الا أنك ابنه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء اهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين وقالت اليهود عزير ابن الله لا ينونون عزيرا وقرأه بعض المكيين والكوفيين عزير ابن الله بتنوين عزير قال هو اسم مجرى وان كان أعجميا لخفته وهو مع ذلك غير منسوب الى الله فيكون بمنزلة قول القائل زيد ابن عبد الله وأوقع الابن موقع الخبر ولو كان منسوبا الى الله لكان الوجه فيه اذا كان الابن خبرا الاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه وأما من ترك تنوين عزير فانه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الاول منهما استثقالا لتحريكه قال الراجز

لتجدنى بالأمير برا * وبالقناة مدعسا مكرا * اذا غطيف السلمى فرا

فحذف النون للساكن الذى استقبلها * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ عزير ابن الله بتنوين عزير لان العرب لا تنون الاسماء اذا كان الابن نعتا للاسم كقولهم هذا زيد بن عبد الله فأرادوا الخبر عن عزير بأنه ابن الله ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا والابن فى هذا الموضع خبر لعزير لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك انما أخبروا عن عزير أنه كذلك وان كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يعنى قول اليهود عزير ابن الله يقول نسبة قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح الى أنه لله ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيرا الى أنه لله ابن ولا ينبغى أن يكون لله ولد سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول يشبهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل النصارى يضاهؤن قول اليهود فى عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج

ويقال لثلاث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل (وقاتلوا المشركين) وظاهر الآية يدل على اباحة القتال في جميع الاشهر لأن الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى (كافة) جميعا لانهم اذا اجتمعوا تراصوا فكف بعضهم بعضا ونصبه على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز أن يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله (كما يقاتلونكم كافة) قولان فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون قتال جميعكم وقيل قاتلوهم بأجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله (واعلموا أن الله مع المتقين) حث لهم على التقوى وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الآية المتقدمة وأكد النهي عنه بقوله (انما النسيء) وهو مصدر نسأ اذا أخر كالنذير والنكير وقال قطرب أصله الزيادة من قوله نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بأنه يقال لها ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى أن الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن أن يجاب بان المراد ان العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وأيضا أطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار وأجيب بأن الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمي هذا العمل كفرا لأنه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله (يضل به الذين كفروا) بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم أن اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز أو بالحقيقة وقد مر مرارا قوله (يحلونه عاما) الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي أي يحلون التأخير عاما وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا فيه في الشهر الحرام ويحرمون التأخير عاما آخر وهو الذي يتركون فيه

يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول النصارى يضاهؤن قول اليهود حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول قالوا مثل ما قال أهل الأوثان وقد قيل ان معنى ذلك يحكون بقولهم قول أهل الاديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يضاهون بغير همز وقرأه عاصم يضاهؤن بالهمز وهي لغة لتثقيف وهما لغتان يقال ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة اذا ماألته عليه وأعنته * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار واللغة الفصحى وأما قوله قاتلهم الله فان معناه فيما ذكر عن ابن عباس ما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتلهم الله يقول لعنهم الله وكل شئ في القرآن قتل فهو لعن وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله قاتلهم الله يعني النصارى كلمة من كلام العرب فأما أهل المعرفة بكلام العرب فانهم يقولون معناه قتلهم الله والعرب تقول قاتعك الله وقاتعها الله بمعنى قاتلك الله قالوا وقاتعك الله أهون من قاتله الله وقد ذكروا أنهم يقولون شاقاه الله ما باقاه يريدون أشقاه الله ما أبقاه قالوا ومعنى قوله قاتلهم الله كقوله قتل الخراصون وقتل أصحاب الاخدود واحد وهو بمعنى التعجب فان كان الذي قالوا كما قالوا فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس لان فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلا الا من اثنين كقولهم خاصمت فلانا وقاتلته وما أشبه ذلك وقد زعموا أن قولهم عافاك الله منه وان معناه أعفاك الله بمعنى الدعاء لمن دعاله بأن يعفيه من السوء وقوله أنى يؤفكون يقول أي وجه يذهب بهم ويحيدون وكيف يصدون عن الحق وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ۞ القول في تأويل قوله ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون﴾ يقول جل ثناؤه اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا قبل واحدهم حبر وحبر بكسر الحاء منه وفتحها وكان يونس الجرمي فيما ذكر عنه يزعم أنه لم يسمع ذلك الا حبر بكسر الحاء ويحتج بقول الناس هذا مداد حبر يراد به مداد عالم وذكر الفراء أنه سمعه حبرا وحبرا بكسر الحاء وفتحها والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم قال قراءهم وعلماءهم أربابا من دون الله يعني سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرمه الله عليهم ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم كما حدثني الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا عبد السلام بن حرب الملائي عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا يحلون لهم فيحلون حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا مالك بن اسمعيل وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب قال ثنا غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي

الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متواليه من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم فى شهر منها أو فى المحرم حرب وغارة أخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدى وأكثر العلماء على أن هذا التأخير كان من المحرم الى صفر ويروى أنه حدث ذلك فى كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكنانى مطاعا فى قومه وكان يقوم على جمل فى الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على أنهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا أنهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى (فيحلوا ما حرم الله) أى من القتال وترك الاختصاص قال أهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه كأن كل واحد منهم يطأ حيث يطأ أصاحبه والايطاء فى الشعر من هذا وهو أن يأتى فى القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما أحلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل أن تكون عدة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسىء كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك أن السنة القمرية أعنى اثنى عشر شهرا قمريا هى ثلثمائة

ابن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال ياعدى اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ فى سورة براءة فقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال قلت يارسول الله انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم واللفظ لحديث أبى كريب **حدثنى** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية عن قيس بن الربيع عن عبد السلام بن حرب النهدى عن غطيف عن مصعب بن سعد عن عدى بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة فلما قرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلت يارسول الله أما انهم لم يكونوا يصلون لهم قال صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البخترى عن حذيفة أنه سئل عن قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن أبى البخترى قال قيل لابى حذيفة فذكر نحوه غير أنه قال ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن حبيب عن أبى البخترى قال قيل لحذيفة أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم قال أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ أحله الله لهم حرموه فتلك كانت ربوبيتهم * قال ثنا جرير وابن فضيل عن عطاء عن أبى البخترى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال انطلقوا الى حلال الله فجعلوه حراما وانطلقوا الى حرام الله فجعلوه حلالا فأطاعوهم فى ذلك فجعل الله طاعتهم عبادتهم ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البخترى قال سأل رجل حذيفة فقال يا أبا عبد الله أرأيت قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن أبى عدى عن أشعث عن الحسن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال فى الطاعة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يقول وزينوا لهم طاعتهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عبد الله بن عباس لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم فسماهم الله بذلك أربابا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال قلت لأبى العالية كيف كانت الربوبية التى كانت فى بنى اسرائيل قال قالوا ما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم وهم يجدون فى كتاب الله ما أمروا به وما نهوا

وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهى عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان

تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف أخرى وكذا فى الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل أسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفى فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخامسة ثم فى السابعة ثم فى العاشرة ثم فى الثالثة عشرة ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهر يحوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصفة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس وسمى بالنسىء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ما خطب به ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر فكانت حجة أبى بكر قبلها فى ذى القعدة التى سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلاثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بأن عدة الشهور اثنا عشر شهرا أى لا أزيد ولا أنقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم أيضا ما لزمهم فى التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن أماكنها فيجوز أن تكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما أى يحلون النسىء فى عام الكبس ويحرمونه عاما أى فى غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله ما روى أنه كان يقوم فى الموسم منهم خطيب ويقول أنا أنسئ لكم فى هذه السنة شهرا وكذا أفعل

عنه فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم حدثنى بشر بن سويد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى البخترى عن حذيفة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال لم يعبدوهم ولكنهم أطاعوهم فى المعاصى وأما قوله والمسيح ابن مريم فان معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله وأما قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا فانه يعنى به وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا الا أن يعبد وا معبودا واحدا وأن يطيعوا الا ربا واحدا دون أرباب شتى وهو الله الذى له عبادة كل شىء وطاعة كل خلق المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية لا اله الا هو يقول تعالى ذكره لا تنبغى الالوهة الا لواحد الذى أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته سبحانه عما يشركون يقول تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك فى طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله والقائلون المسيح ابن الله المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا أن يطفؤا نور الله بأفواههم يعنى أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعث به رسوله وصدهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه وهو النور الذى جعله الله لخلقه ضياء ويأبى الله الا أن يتم نوره يعلو دينه وتظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره اتمام الله اياه الكافرون يعنى جاحديه المكذبين به * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم يقول يريدون أن يطفؤا الاسلام بكلامهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى يأبى الا اتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعنى ببيان فرائض الله على خلقه وجميع اللازم لهم وبدين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين كله يقول ليعلى الاسلام على الملل كلها ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ليظهره على الدين كله فقال بعضهم ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا شقيق قال ثنى ثابت الحداد أبو المقدام عن شيخ عن أبى هريرة فى قوله ليظهره على الدين كله قال حين خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق قال ثنى من سمع أبا جعفر ليظهره على الدين كله قال اذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين * وقال آخرون معنى ذلك ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليظهره على الدين كله قال ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله فيعطيه اياه كله ولا يخفى عليه منه شىء وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون

فى كل سنين أقبلت حتى يأتى بحكم وقت الادراك فينسئ المحرم ويجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فتكرر حرم عليهم واحدا برأيه على وفق مصلحتهم وأحل الآخر وباقى الآية قد مر تفسيرمثله مرارا والله تعالى أعلم ﴿التأويل﴾ قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر أى لا يعملون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق أى لا يطلبون الحق من الذين أوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهى معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار أنوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كما أن اليهود لما سمعت التوراة والعلوم التى هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك أن الروح ربما يتجلى للقلب فى صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحى يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا أحبارهم أى قلوبهم ورهبانهم أى أرواحهم أربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفى وذلك أن الخفى هو أول مظهر للفيض الالهى الذى منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها ترى التربية من القالب ثم يرتقى نظرها الى أن ترى التربية من القلب ثم يرتقى نظرها الى أن ترى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون أى النفوس أن يطفؤا نور الله الذى رش على الارواح فى بدء الخلق بأفواههم أى بأفواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذى أرسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وصلب الحق ليظهره فى طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من أحبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون أى يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا فى الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها فى سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمى ترك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها فى نار جهنم

عن سبيل الله ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانية ربهم ان كثيرا من العلماء والقراء من بنى اسرائيل من اليهود والنصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل يقول يأخذون الرشا فى أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا ثم يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون من أراد الدخول فى الاسلام الدخول فيه بنهيهم اياهم عنه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل أما الاحبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى وأما سبيل الله فمحمد صلى الله عليه وسلم * القول فى تأويل قوله ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويأكلها أيضا معهم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول بشر الكثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله * واختلف أهل العلم فى معنى الكنز فقال بعضهم هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته قالوا وعنى بقوله ولا ينفقونها فى سبيل الله ولا يؤدون زكاتها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذى ذكره الله فى القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا حدثنا الحسين بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أنه قال كل مال أديت منه الزكاة فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد منه الزكاة وان لم يكن مدفونا فهو كنز حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا فى الارض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وجرير عن الاعمش عن عطية عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز * قال ثنا أبى عن العمرى عن نافع عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ومالم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا * قال ثنا جرير عن الشيبانى عن عكرمة قال ما أديت زكاته فليس بكنز حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة والكنز مالم تؤد زكاته وان كان على ظهر الارض وان قل وان كان كثيرا قد أديت زكاته فليس بكنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر قال قلت لعامر مال على رف بين السماء والارض لا تؤدى زكاته أكنز هو قال يكوى به يوم القيامة * وقال آخرون كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على رحمة الله عليه قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن

الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم امتنعوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا تتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى أصابكم من ألم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنتم فذوقوا الآن ألم كى نار الحرص لانكم لم تذوقوه فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها أربعة حرم فيه اشارة

الى أن الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب أن يجعل أوقات عمره أثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الآخرة وثلثا من ذلك حرام أن يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى أشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على أن من لم يكن هكذا كان فى سلوكه اعوجاج ثم ذكر أن من شأن النفوس المشركة أنها ان أقبلت على طاعة أخرتها عن وقتها وهو النسيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت أن ذلك التأخير مما لا بأس به ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا

الذهب

لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

أبى حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبى قال أخبرنى أبو حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على رحمة الله عليه فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز * وقال آخرون الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبيد الله بن معاذ قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن أنس عن عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال كان نعل سيف أبى هريرة من فضة فنهاه عنها أبو ذر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش وعمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال النبى صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة يقول لها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فأى مال نتخذ فقال عمر أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا اسرائيل عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان بمثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال المهاجرون وأى المال نتخذ فقال عمر أسأل النبى صلى الله عليه وسلم عنه قال فأدركته على بعير فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا فأى المال نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة قال توفى رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيتان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن صدى بن عجلان أبى أمامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى اخر فوجد فى مئزره ديناران فقال نبى الله كيتان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سالم عن ثوبان قال كنا فى سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المهاجرون لودد نا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه اذ نزل فى الذهب والفضة ما نزل فقال عمر ان شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا أجل فانطلق فتبعته أوضع على بعيرى فقال يا رسول الله ان المهاجرين لما أنزل الله فى الذهب والفضة ما أنزل قالوا ودد نا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه قال نعم فيتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على ايمانه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة القول الذى ذكر عن ابن عمر من أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وأن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله الا أن يتفضل الله عليه بعفوه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة وذلك أن الله أوجب فى خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها وفى عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها فاذ كان ذلك فرض الله فى

وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا أوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ۞ القراآت وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون بالرفع ۞ الوقوف الى الارض ط من الآخرة ط قليل ○ شيأ ط قدير ○ معنا ج لعطف أنزل على نصره مع عوارض الظروف السفلى ط الا لمن قرأ وكلمة بالنصب العليا ط حكيم ○ فى سبيل الله ط تعلمون ○ الشقة ط معكم ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أنفسهم ج لواو الابتداء والحال لكاذبون ○ عنك ج لحق الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين ○ وأنفسهم ط بالمتقين ○ يترددون ○ القاعدين ○ الفتنة ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال لهم ط بالظالمين ، كارهون ○ ولا تفتنى ط سقطوا ط بالكافرين ○ ۞ التفسير لما شرح الله معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب فى قتالهم عن ابن عباس أنها نزلت فى غزوة تبوك سنة عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أقام بالمدينة أياما فأمر بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان صيف وللقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود أسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج فى غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك لستعد الناس تمام العدة وأصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير وأصل (اثاقلتم) تثاقلتم كما قلنا فى فاداراتم ومعناه تباطأتم وانما عدى بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله أخلد الى الارض أى مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بأرضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام فى مالكم الانكار وقرئ أثاقلتم على الاستفهام للانكار أيضا فيكون جواب اذا فعلا آخر

الذهب والفضة على لسان رسوله فعلوم أن الكثير من المال وان بلغ فى الكثرة ألوف ألوف لو كان وان أديت زكاته من الكنوز التى أوعد الله أهلها عليها العقاب لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من ربع العشر لان ما كان فرضا اخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه الى أهله لا ربع عشره وذلك مثل المال المغصوب الذى هو حرام على الغاصب امساكه وفرض عليه اخراجه من يده الى يده فالتطهر منه رده الى صاحبه فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم أو ما فضل عن حاجة ربه التى لابد منها مما يستحق صاحبه باقتنائه اذا أدى الى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره بل كان اللازم له الخروج من جميعه الى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه كالذى ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله رده على ربه وبعد فان فيما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال قال معمر أخبرنى سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت ابلا الا بطح لها بقاع قرقر تطؤه باخفافها حسبته قال وتعضه بافواهها يرد أولاها على أخراها حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت غنما فمثل ذلك الا أنها تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها وفى نظائر ذلك من الاخبار التى ذكرها الاطالة بذكرها الدلالة الواضحة على أن الوعيد انما هو من الله على الاموال التى لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لاهلها من الصدقة لا على اقتنائها واكتنازها وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على أن الآية خاص كما قال ابن عباس وذلك ما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول هم أهل الكتاب وقال هى خاصة وعامة يعنى بقوله هى خاصة وعامة هى خاصة من المسلمين فيمن لم يؤد زكاة ماله منهم وعامة فى اهل الكتاب لانهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم ان أنفقوا يدل على صحة ما قلنا فى تأويل قول ابن عباس هذا ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الى قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الارض أو فى بطنها فهو كنز وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الارض أو فى بطنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال الكنز ما كنز عن طاعة الله وفريضته وذلك الكنز وقال افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما وانما قلنا ذلك على الخصوص لان الكنز فى كلام العرب كل شئ مجموع بعضه على بعض فى بطن الارض كان أو على ظهرها يدل على ذلك قول الشاعر

لا در درّى ان أطعمت نازلهم * قرف الحتى وعندى البر مكنوز

يعنى بذلك وعندى البر مجموع بعضه على بعض وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض واذا كان ذلك معنى الكنز عندهم وكان قوله والذين يكنزون الذهب والفضة معناه

والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها الى بعض ولا ينفقونها فى سبيل الله وهو عام فى التلاوة لم يكن فى الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذى اذا جمع بعضه الى بعض استحق الوعيد كان معلوما ان خصوص ذلك انما أدر لئ بوقف الرسول عليه وذلك كما بينا من انه المال الذى لم يؤد حق الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته وقد كان بعض الصحابة يقول هى عامة فى كل كنز غير أنها خاصة فى أهل الكتاب واياهم عنى الله بها ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا هشيم قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فلقيت أباذر فقلت ما أباذر ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشأم فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية ليست هذه الآية فينا انما هذه الآية فى أهل الكتاب قال فقلت انها الفينا وفيهم قال فارتفع فى ذلك بينى وبينه القول فكتب الى عثمان يشكونى فكتب الى عثمان أن أقبل الىّ قال فأقبلت فلما قدمت المدينة ركبنى الناس كأنهم لم يرونى قبل يومئذ فشكوت ذلك الى عثمان فقال لى تنح قريبا قلت والله انى لن أدع ما كنت أقول حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررنا بالربذة ثم ذكر عن أبى ذر نحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث وهشام عن أبى بشر قال قال أبو ذر خرجت الى الشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فقال معاوية انما هى فى أهل الكتاب قال فقلت انها الفينا وفيهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبى ذر قال قلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال فقال نزلت فى أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين فان قال قائل فكيف قيل ولا ينفقونها فى سبيل الله فأخرجت الهاء والالف مخرج الكناية عن أحد النوعين قيل يحتمل ذلك وجهين أحدهما أن يكون الذهب والفضة مرادا بهما الكنوز كأنه قيل والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونها فى سبيل الله لان الذهب والفضة هى الكنوز فى هذا الموضع والآخر أن يكون استغنى بالخبر عن احداهما فى عائد ذكرهما من الخبر عن الاخرى لدلالة الكلام على أن الخبر عن الاخرى مثل الخبر عنها وذلك كثير موجود فى كلام العرب واشعارها ومنه قول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

فقال راض ولم يقل راضون وقال الآخر

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ * ـود مالم يعاص كان جنونا

فقال يعاص ولم يقل يعاصيا فى أشياء كثيرة ومنه قول الله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ولم يقل اليهما ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ يقول تعالى ذكره فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فاليوم من صلة العذاب الاليم كأنه قيل يبشرهم بعذاب أليم يعذبهم الله به فى يوم يحمى عليها

الداعية الى القتال وبينا أنواع فضائحهم التى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولولم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا ﴿فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة﴾ أى فى جنبها وفى مقابلها ﴿الا قليل﴾ ويجوز أن يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهى الزائل الى غير المتناهى الباقى والظاهر أن هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا أنه طالما أعطى للاكثر حكم الكل وأطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم فى الجهاد بعرض الثواب عليهم رغبهم فيه بعرض العقاب فقال ﴿الا تنفروا﴾ ورتب عليه ثلاث خصال الاولى قوله ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله أعلم بالعذاب الذى كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الآخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ يعنى قوما آخرين خيرا منهم وأطوع قيل هم أهل اليمن عن أبى روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل أن يراد بهم الملائكة وقال الأصم معناه أنه يخرجه من بين أظهركم وهى المدينة والأصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله ﴿ولا تضروه شيأ﴾ قال الحسن الضمير لله وفيه أنه غنى عنهم فى نصرة دينه بل فى كل شئ وقال آخرون الضمير الرسول لان الله وعده أن يعصمه ووعد الله كائن لا محالة وفى قوله ﴿والله على كل شئ قدير﴾ ويعنى تنبيه على أنه قادر على نصرة رسله بأى وجه أراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف أمره كائنا من كان عن الحسن وعكرمة أن الآية منسوخة بقوله ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ والصحيح أنها خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ قال

الجبائى فى الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من أن أهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضى فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول أو لا لقوله تعالى مالكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير فى قوله لا يضروه عائد الى الرسول فجوابه أن خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها ثم رغبهم فى الجهاد بطريق آخر فقال (الا تنصروه فقد نصره الله) وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل أن الله نصره وقواه حال مالم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد وفيه أنه لما أوجب له النصرة وقتئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله (اذ أخرجه الذين كفروا) أى ألجؤه الى أن خرج ظرف لنصره و(ثانى اثنين) نصب على الحال ومعناه أحد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثانى الآخر وواحد منهما وقوله (اذ هما فى الغار) بدل من اذ أخرجه و (اذ يقول) بدل ثان والغار نقب عظيم فى الجبل والمراد به ههنا نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمين مكة على مسيرة ساعة واعلم أنا قد ذكرنا فى سورة الانفال أن قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا فأمره الله تعالى أن يخرج هو وأبو بكر الصديق الى الغار فخرج وأمر عليا أن يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل أبو بكر يلتمس ما فى الغار فقال له الرسول مالك فقال بابى أنت وأمى الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان بى لا بك فخرق عمامته وسد الخرة وبقى بحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الأثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام (لا تحزن ان الله معنا) وقيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد أخذ الله أبصارهم عنه استدل

ويعنى بقوله يحمى عليها تدخل النار فيوقد عليها أى على الذهب والفضة التى كنزوها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وكل شئ أدخل النار فقد أحمى احماء يقال منه أحميت الحديدة فى النار أحميها احماء وقوله فتكوى بها جباههم يعنى بالذهب والفضة المكنوزة يحمى عليها فى نار جهنم يكوى الله بها يقول يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم ومعناه ويقال لهم هذا ما كنزتم فى الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون يقول فيقال لهم فاطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكاثرة ومباهاة وحذف من قول هذا ما كنزتم ويقال لهم لدلالة الكلام عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن حميد بن هلال قال كان أبو ذر يقول بشر الكنازين بكى فى الجباه وكى فى الجنوب وكى فى الظهور حتى يلتقى الحر فى أجوافهم * قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى العلاء بن الشخير عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا أنا فى حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكنازين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤوسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيأ قال وأدبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيأ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنى عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة الجملى عن أبى نصر عن الاحنف بن قيس قال رأيت فى مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب رث الهيئة يطوف فى الحلق وهو يقول بشر أصحاب الكنوز بكى فى جنوبهم وكى فى جباههم وكى فى ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول ما عسى تصنع بى قريش **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال أبو ذر بشر أصحاب الكنوز بكى فى الجباه وكى فى الجنوب وكى فى الظهور **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يوم يحمى عليها فى نار جهنم قال حية تنطوى على جبينه وجبهته تقول أنا مالك الذى بخلت به **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ثوبان أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذى تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن طاوس عن أبيه قال بلغنى أن الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول أنا كنزك لا يدرك منه شيأ الا أخذه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله قال والذى لا اله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينارا دينارا ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته * قال ثنا أبى عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال ما من رجل يكوى بكنز فيوضع دينار

أهل السنة بالآية على أفضلية أبي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقته باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر أبي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض الايمان ولا على أبي بكر فآمن ثم عرض أبو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة أخرى من أجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات وفي أداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد أقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ثاني اثنين من أول أمره الى آخره ولو قدرنا أنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم أن لا يقوم بأمره ولا يكون وصيه الا أبو بكر وأن لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا أبو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك أن من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين ابن فضيل من أنكر صحبة غير أبي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن أنكر صحبة أبي بكر فانه يكون كافرا لأنه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه أجابت الشيعة بأن كونه ثاني اثنين ليس أعظم من كون الله رابعا لكل ثلاثة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون المصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك وكما احتمل أن يقال انه عليه السلام استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل التقية احتمل أن يكون ذلك لاجل انه خاف أن يدل الكفار عليه أو عيسى يوقفهم على أسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب وخطأ سلمنا دلالة الآية على فضل أبي بكر الا أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراشه أعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس أجاب أهل السنة بأن كون الله رابعا لكل ثلاثة أمر مشترك وكونه ثاني اثنين

على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده القول في تأويل قوله ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ يقول تعالى ذكره ان عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم يقول هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال ثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم حدثنا محمد ابن معمر قال ثنا روح قال ثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر بين جمادى وشعبان حدثنا يعقوب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سليمان التيمي قال ثني رجل بالبحرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم منى ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وهو قول عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم أما أربعة حرم فذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأما كتاب الله فالذي عنده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

تشريف زائد اختص الله أبا بكر به على أن المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فأين أحدهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضي الاهانة والاذلال وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب أن الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل واستنكروا أن يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روى أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وأن عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروى أن جبريل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر به أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصد اله لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك أنت الأعلى وقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا أن صحبة أبي بكر أعظم لان الحاضر أعلى حالا من الغائب ولان عليا رضي الله عنه ما تحمل المحنة الا ليلة وأبو بكر مكث في الغار أياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغير الم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبي بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على أبي بكر أشد من غضبهم على علي رضي الله عنه ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ألم لما عرفوا أن المضطجع هو ثم زعم أهل السنة أن الضمير في قوله

عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله قال يذكر بها شأن النسيء وأما قوله ذلك الدين القيم فان معناه هذا الذي أخبرتكم به من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله وان منها أربعة حرما هو الدين المستقيم كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذلك الدين القيم يقول المستقيم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك الدين القيم قال الامر القيم يقول قال تعالى واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن وان من هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر حرما ذلك دين الله المستقيم لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحل من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها وأما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان معناه فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال الظلم العمل بمعاصي الله والترك لطاعته ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله فيهن فقال بعضهم عاد ذلك على الاثني عشر شهرا وقال معناه فلا تظلموا في الاشهر كلها أنفسكم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في الاربعة الاشهر الحرم أنفسكم والهاء والنون عائدة على الاشهر الاربعة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال ان الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظم الامور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في تصييركم حرام الاشهر الاربعة حلالا وحلالها حراما أنفسكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن فلا تظلموا فيهن

(١٢ - ابن جرير عاشر) (فأنزل الله سكينته عليه) عائد الى أبي بكر لا الى الرسول لانه أقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر ولان الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولناسب أن يقال فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله (وأيده) عطف على فأنزل

فواجب أن يتحد الضميران فى حكم العود وأجيب بان قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره فى واقعة الغار وأيده فى واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة والظاهر أن الحزن لا يبعد أن يكون شاملا للنبى صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول أو يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما ألقى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها قلبه وعلم أنه منصور لا محالة كقوله فى قصة حنين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وقوله (وجعل) يعنى يوم بدر وسائر الوقائع (كلمة الذين كفروا) وهى دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام (السفلى وكلمة الله) وهى دعوته الى الاسلام أو كلمة التوحيد لا اله الا الله (هى العليا) وفى توسيط كلمة الفصل أعنى هى تأكيد فضل كلمة الله فى العلو وأنها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا أحب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ أن يقال وكلمته هى العليا ألا ترى انك تقول أعتق أبولك غلامه ولا تقول أعتق أبولك غلام أبيك قلت وفى الرفع أيضا الاستئناف وما فى الجملة الاسمية من الثبات (والله عزيز حكيم) قاهر غالب لا فعل له الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال (انفروا خفافا وثقالا) قال المفسرون أى خفافا فى النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وأن المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التى يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضى تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روى عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى أن أنفر قال ما أنت الا خفيف أو ثقيل فرجع الى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد كان أبا أيوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول

أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن على فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال فلا تظلموا فى الاشهر الاربعة أنفسكم باستحلال حرامها فان الله عظمها وعظم حرمتها وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى تأويله لقوله فلا تظلموا فيهن فاخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة الى العشرة وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة الى العشرة اذا كنت عنه فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ولاربعة أيام بقين واذا أخبرت عما فوق العشرة الى العشرين قالت فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ولاربع عشرة مضت فكان فى قوله جل ثناؤه فلا تظلموا فيهن أنفسكم واخراجه كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة الى العشرة الدليل الواضح على أن الهاء والنون من ذكر الاشهر الاربعة دون الاثنى عشر لان ذلك لو كان كناية عن الاثنى عشر شهرا لكان فلا تظلموا فيها أنفسكم فان قال قائل فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثنى عشر وان كان الذى ذكرت هو المعروف فى كلام العرب فقد علمت ان المعروف من كلامها اخراج كناية ما بين الثلاث الى العشر بالهاء دون النون وقد قال الشاعر

أصبحن فى قرح وفى داراتها * سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل معلوفاتهن وذلك كناية عن السبع قيل ان ذلك وان كان جائزا فليس الافصح الاعرف فى كلامها وتوجيه كلام الله الى الافصح الأعرف أولى من توجيهه الى الانكر فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فقد يجب أن يكون مباحا الناظلم أنفسنا فى غيرهن من سائر شهور السنة قيل ليس ذلك كذلك بل ذلك حرام علينا فى كل وقت وزمان ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الاشهر وشرفهن على سائر شهور السنة فخص الذنب فيهن بالتعظيم كما خصهن بالتشريف وذلك نظير قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله حافظوا على الصلوات ولم يبح ترك المحافظة عليهن بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما وعلى المحافظة عليها توكيدا وفى تضييعها تشديدا فكذلك ذلك فى قوله منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأما قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فانه يقول جل ثناؤه وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين مؤتلفين غير مفترقين كما يقاتلكم المشركون جميعا مجتمعين غير متفرقين كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة أما كافة فجميع وأمركم مجتمع **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوا المشركين كافة يقول جميعا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا والكافة فى كل حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع لانها وان كانت بلفظ فاعلة فانها فى معنى المصدر كالعافية والعاقبة ولا تدخل العرب فيها الالف واللام لكونها آخر الكلام مع الذى فيها من معنى المصدر كما لم يدخلوها اذا قالوا قاموا معا وقاموا جميعا

قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو قال كنت والياعلى حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا الى الشأم حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن له فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم خلف من النساء والرجال أقواما فذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخرج لزمه ذلك ومن أمره أن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع في هذا انما النزاع في الضعفاء والمرضى ثم قال (وجاهدوا باموالكم وأنفسكم) وفيه ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بالنفس ان لم يكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بأن يستنيب من يغزو عنه ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء (ذلكم خير لكم) يعني أنه خير في نفسه أو انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال (ان كنتم تعلمون) لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل أن وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا قريبا) قال الزجاج أي لو كان المدعو اليه حذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة مأخذه (وسفرا قاصدا) أي وسطا بين القرب

جميعا وأما قوله واعلموا أن الله مع المتقين فان معناه واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم ان قاتلتم المشركين كافة واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شئ لان الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ما النسيء الا زيادة في الكفر والنسيء مصدر من قول القائل نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك أي زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا وكل زيادة حدثت في شئ فالشئ الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ولذلك قيل للبن اذا كثر بالماء نسيء وقيل للمرأة الحبلى نسوء ونسئت المرأة لزيادة الولد فيها وقيل نسأت الناقة وأنسأتها اذا زجرتها لتزداد سيرها وقد يحتمل أن النسيء فعيل صرف اليه من مفعول كما قيل لعين وقتيل بمعنى ملعون ومقتول ويكون معناه انما الشهر المؤخر زيادة في الكفر وكان القول الاول أشبه بمعنى الكلام وهو أن يكون معناه انما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حراما زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك انما النسي بترك الهمز وترك مده يضل به الذين كفروا واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يضل الله بالنسيء الذي ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يزول عن محجة الله التي جعلها لعباده طريقا يسلكونه الى مرضاته الذين كفروا وقد حكي عن الحسن البصري يضل به الذين كفروا بمعنى يضل بالنسيء الذي سنه الذين كفروا والناس ۞ قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال هما قراءتان مشهورتان قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به وهما متقاربتا المعنى لأن من أضله الله فهو ضال ومن ضل فبإضلال الله اياه وخذلانه له ضل فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيب وأما الصواب من القراءة في النسيء فالهمز وقراءته على تقدير فعيل لانها القراءة المستفيضة في قرأة الامصار التي لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه وأما قوله يحلونه عاما فان معناه يحل الذين كفروا النسيء والهاء في قوله يحلونه عائدة عليه ومعنى الكلام يحلون الذي أحرموا تحريمه من الاشهر الاربعة الحرم عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرموا منها عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم يقول حسن لهم وحبب اليهم سيئ أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته والله لا يهدي القوم الكافرين يقول والله لا يوفق لمحاسن الافعال وحلها ومالله فيه رضا القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الاشهر الحرم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما النسيء زيادة في الكفر قال النسيء هو أن جنادة بن عوف ابن أمية الكناني كان يوافي الموسم كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فينادي ألا ان أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب

والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد أى ذو قصد لان كل أحد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده وفحوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا (لاتبعوك) طمعا فى الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم أخبر أنه سيجدهم اذا رجع من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما أخبر فكان معجزا و (بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر فى الوجهين أى سيحلفون بالله قائلين (لو استطعنا) وقوله (لخرجنا) سادّ مسدّ جوابى القسم ولو جميعا قيل فى الآية دلالة على أن قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما أمكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا فى التخلف قال الجبائى فيها دليل على أن الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان لم من يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبى زائدا عليه فان قيل لم لا يجوز أن يراد أنهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر فى ترك الخروج فمن لا قدرة له أولى وأيضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا أريد به المال فلأنه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن وأجيب بان المعتزلة سلموا أن القدرة على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الحالس فى مكان لا يكون قادرا فى هذا الزمان على أن يفعل فعلا فى مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله فى المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما ألزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل أن يقول انهم وان كانوا غير قادرين على القتال الا أنهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال فى الكشاف (يهلكون) بدل من سيحلفون أو حال أى يوقعونها فى الهلاك يحلفهم الكاذب أو حال من ضمير خرجنا أى لخرجنا أنفسنا فى التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب

ألا وان صفر العام الاول حلال فيحله الناس فيحرم صفرا عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قوله تعالى انما النسىء زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين وقوله انما النسىء زيادة فى الكفر يقول يتركون المحرم عاما وعاما يحرمونه * قال أبو جعفر وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدل على صحة قراءة من قرأ النسى بترك الهمز وترك المد وتوجيهه معنى الكلام الى أنه فعل من قول القائل نسيت الشىء أنساه ومن قول الله نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا الله فتركهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما النسىء زيادة فى الكفر قال فهو المحرم كان يحرم عاما وصفرا عاما ويزيد صفرا آخر فى الاشهر الحرم وكانوا يحرمون صفرا مرة ويحلونه مرة فعاب الله ذلك وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر قال كان النسىء رجلا من بنى كنانة وكان ذا رأى فيهم وكان يجعل سنة المحرم صفرا فيغزون فيه فيغنمون فيه ويصيبون ويحرمه سنة * قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر الآية وكان رجل من بنى كنانة يسمى النسىء فكان يجعل المحرم صفرا ويستحل فيه الغنائم فنزلت هذه الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال كان رجل من بنى كنانة يأتى كل عام فى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس انى لا أعاب ولا أجاب ولا مرد لما أقول انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفر ثم يجىء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله قال يعنى الاربعة فيحلوا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر النسىء المحرم وكان يحرم المحرم عاما ويحرم صفر عاما فالزيادة صفر وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم فيحلوا ما حرم الله وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما النسىء زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين عمد أناس من أهل الضلالة فزادوا صفرا فى الاشهر الحرم فكان يقوم قائمهم فى الموسم فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت العام المحرم فيحرمونه ذلك العام ثم يقوم فى العام المقبل فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت صفر فيحرمونه ذلك العام وكان يقال لهما الصفران قال فكان أول من نسأ النسىء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة (١) أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحرث ثم أحد بنى كنانة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر قال فرض الله الحج فى ذى الحجة قال وكان المشركون يسمون الأشهر ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفر صفر ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون رمضان شوالا ثم يسمون ذا القعدة شوالا ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون

(١) كذا فى الدر أيضا ولم يذكر الثلاثة وقد تقدم أن اسم أبى ثمامة جنادة حرر

لانه مخبر عنهم يقال حلف بالله ليفعلن أولأفعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفى الوجه الاخير نظر للزوم بناء أول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح حينئذ أن لو قيل لخرجنا معكم نهلك أنفسنا والله تعالى أعلم ثم بين أن ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله (عفا الله عنك) فان العفو يستدعى سابقة الذنب وبقوله

فى كل شهر عامين حتى وافق حجة أبى بكر رضى الله عنه الآخر من العامين فى ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم حجته التى حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما النسىء زيادة فى الكفر قال حجوا فى ذى الحجة عامين ثم حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين فكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبى بكر الآخر من العامين فى ذى القعدة قبل حجة النبى صلى الله عليه وسلم بسنة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم من قابل فى ذى الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبى مالك انما النسىء زيادة فى الكفر قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفرا فيستحلون فيه الحرمات فأنزل الله انما النسىء زيادة فى الكفر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا الآية قال هذا رجل من بنى كنانة يقال له القلمس كان فى الجاهلية وكانوا فى الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض فى الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يعد اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم فقال ننسئه العام هما العام صفران فاذا كان عام قابل قضينا فجعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تغزوا فى صفر حرموه مع المحرم هما محرمان المحرم أنسأناه عاما أول ونقضيه ذلك الانساء وقال شاعرهم * ومنا منسئ الشهور القلمس * وأنزل الله انما النسىء زيادة فى الكفر الى آخر الآية وأما قوله زيادة فى الكفر فان معناه زيادة كفر بالنسىء الى كفرهم بالله وقيل ابتداعهم النسىء كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انما النسىء زيادة فى الكفر يقول ازدادوا به كفرا الى كفرهم وأما قوله ليواطؤا فانه من قول القائل واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة اذا وافقته عليه معينا له غير مخالف عليه وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول يشبهون وذلك قريب المعنى مما بينا وذلك أن ما شابه الشئ فقد وافقه من الوجه الذى شابهه وانما معنى الكلام أنهم يوافقون بعدة الشهور التى يحرمونها عدة الاشهر الاربعة التى حرمها الله لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها وان قدموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم عدة ما حرم الله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل ﴾ وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك يقول جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله مالكم أى شئ أمركم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله يقول اذا قال لكم رسول الله محمد انفروا أى اخرجوا من منازلكم الى مغزاكم وأصل النفر مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك ومنه نفور الدابة غير أنه يقال من النفر الى الغزو نفر

(لم أذنت لهم) فانه استفهام فى معنى الانكار وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيآن فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله بطريق الملاطفة كما تسمعون والذى عليه المحققون أنه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب فى التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدى الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله ألا عرفت حقى وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله لم أذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء فى الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه عليه السلام أذن لهم من تلقاء نفسه من غير أن يكون من الله فى ذلك اذن والا لم يعاتب أو منع والا كان عاصيا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله ولا ريب أنه لا يكون مجرد التشهى فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هى قوله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ولا يمكن أن يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحى والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين أن يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطأ واقعا فى الاجتهاد لا فى النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد وفى الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له فى سورة النور فى قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال أبو مسلم يحتمل أن يريد بقوله لم أذنت لهم الاذن فى الخروج

لا فى القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين على المسلمين واذا كان هذا محتملا فلا تتعين الآية لرخصة الاذن فى القعود وقال القاضى هذا بعيد لان سياق الآية يدل على أن الكلام فى القاعدين وفى بيان حالهم ثم ذكر أنه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوا لأن الاستئذان من علامات النفاق فقال (٩٤) (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) أى فى أن يجاهدوا وكان

فلان الى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا وأحسب أن هذا من الفروق التى يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وان اتفقت معانى الخبر فمعنى الكلام مالكم أيها المؤمنون اذا قيل لكم اخرجوا غزاة فى سبيل الله أى فى جهاد أعداء الله اثاقلتم الى الارض يقول تثاقلتم الى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها وقيل اثاقلتم لانه أدغم التاء فى الثاء فأحدث لها ألف ليتوصل الى الكلام بها لان التاء مدغمة فى الثاء ولو أسقطت الالف وابتدئ بها لم تكن الا متحركة فأحدثت الالف لتقع الحركة بها كما قال جل ثناؤه حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا وكما قال الشاعر

تولى الضجيع اذا ما استافها خصرا * عذب المذاق اذا ما تابع القبل

فهو بنى الفعل افتعلتم من التثاقل وقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة يقول جل ثناؤه أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين فى جنانه فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة يقول فما الذى يستمتع به المتمتعون فى الدنيا من عيشها ولذاتها فى نعيم الآخرة والكرامة التى أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته الا قليل يسير يقول لهم فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وترف الكرامة التى عند الله لاوليائه بطاعته والمسارعة الى الاجابة الى أمره فى النفير لجهاد عدوه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين أمروا بالنفير فى الصيف حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يا أيها الذين منوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض الآية قال هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف أمرهم بالنفير فى الصيف حين اخترفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج قال فقالوا منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمنتشر به أمره فى ذلك كله فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا * القول فى تأويل قوله ﴿الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفر الى عدوهم من الروم ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا فى الدنيا بتركهم النفر اليهم عذابا موجعا ويستبدل قوما غيركم يقول يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون اذا استنفروا ويجيبونه اذا دعوا ويطيعون الله ورسوله ولا تضروه شيأ يقول ولا تضروا الله بتركهم النفير ومعصيتكم اياه شيأ لأنه لا حاجة به اليكم بل أنتم أهل الحاجة اليه وهو الغنى عنكم وأنتم الفقراء والله على كل شئ قدير يقول جل ثناؤه والله على اهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الاشياء قدير وقد ذكر أن العذاب الأليم فى هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنى عبد المؤمن ابن خالد الحنفى قال ثنى نجدة الحرانى قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه

الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد وكانوا بحيث لو أمرهم بالقعود شق عليهم ذلك ألا ترى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبقى فى المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى أن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفى مضمر كأضمار الجار والتقدير فى أن لا يجاهدوا والان سياق الآية يدل على ذم من يستأذن فى القعود وعلى هذا يمكن أن يقال معناه كراهة أن يجاهدوا وفى قوله (والله عليم بالمتقين) رمز الى أنهم من جملة المتقين وأن لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستئذان فقال (انما يستأذنك) الآية وفيه أن الشاك فى أمر الدين وفى أصوله لا فى بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه أن محل الريب واليقين هو القلب وأن الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والالم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله (فهم فى ريبهم يترددون) أن الشاك مترددبين النفى والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقريره أن الاعتقاد اما أن يكون جازما أولا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة أو نظر فهو العلم أولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان أحد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شأن صاحبه كما أن الثبات والاستقرار يدين المستبصر قال المفسرون ان المستأذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم فقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد فترك العدة دليل على أنهم

أرادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى أنهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة (ولكن كره الله انبعاثهم) أى انطلاقهم (فثبطهم) والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذى هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو أرادوا الخروج يعطى معنى نفى الخروج وكأنه قيل ماخرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما تقول ما أحسن الى زيد ولكن أساء الى ومثل هذا يسمى فى علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تأكيد الذم بما يشبه المدح ولو قيل مثل هذا فى المنع لقيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وههنا سؤال وهو أن خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله فى اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيب ذلك (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحى وكذا على قول أبى مسلم ومعاذ الله أنه صلى الله عليه وسلم أذن لهم فى الخروج قوله تعالى فى هذه السورة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا وقوله فى سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله قل لن تتبعونا وأما عند نا فانما لم يستحسن الله من الرسول صلى الله عليه وسلم اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه أذن لهم قبل اتمام التفحص واكمال التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء أنفسهم فكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم ولا تبقى حاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه أخر دالة على هتك أستارهم وكشف أسرارهم قال معتزلة البصرة فى الآية دلالة على أنه تعالى موصوف بصفة الكراهة كما أنه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله أنه أراد عدم ذلك الشئ وزيف بأن العدم لا يصلح أن يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن أن يجاب بأن الارادة صفة تقتضى ترجيح أحد طرفى الممكن على الآخر سواء فى ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة به تحصيلا

فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم فذلك قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن نجدة قال سألت ابن عباس فذكر نحوه الا أنه قال فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما استنفر الله المؤمنين فى لهبان الحر فى غزوة تبوك قبل الشأم على ما يعلم الله من الجهد وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وقال ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون فنسختها الآية التى تليها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون * قال أبو جعفر ولا خبر بالذى قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التى ذكر وايجب التسليم له ولا حجة تأتى بصحة ذلك وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد وجائز أن يكون قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما لخاص من الناس ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس واذا كان ذلك كذلك كان قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة نهيا من الله المؤمنين عن اخلاء بلاد الاسلام بغير مؤمن مقيم فيها واعلاما من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض وذلك على من استنفرمنهم دون من لم يستنفر واذا كان ذلك كذلك لم يكن فى احدى الآيتين نسخ للاخرى وكان حكم كل واحدة منهما ماضيا فيما عنيت به * القول فى تأويل قوله (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وهذا اعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه واظهاره عليهم دونهم أعانوه أو لم يعينوه وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد فى قلة والعدو فى كثرة فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدو فى قلة يقول لهم جل ثناؤه الا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولى اذا استنفركم فتنصروه فالله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره اذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ثانى اثنين يقول أخرجوه وهو أحد الاثنين أى واحد من الاثنين وكذلك تقول العرب هو ثانى اثنين يعنى أحد الاثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة يعنى أحد الثلاثة وأحد الأربعة وذلك خلاف قولهم هو أخو ستة وغلام سبعة لان الاخ والغلام غير الستة والسبعة وثالث الثلاثة أحد الثلاثة وانما عنى جل ثناؤه بقوله ثانى اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه لانهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش اذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا فى الغار وقوله اذ هما فى الغار يقول اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه فى الغار والغار النقب العظيم يكون فى الجبل اذ يقول لصاحبه يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر لا تحزن وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن لأن الله معنا والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا الينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله

للحاصل وأيضا عدم الشئ المخصوص ليس عدما محضا أما قوله (وقيل اقعدوا) فيحتمل أن يكون قد جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود ويحتمل أن يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة أو قول بعضهم لبعض لما أرادوا الاجتماع على التخلف أو هو قول الرسول كأنه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد أذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم أذنت لهم أى لم ذكرت هذه اللفظة التى أمكنهم أن يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذمهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الخنوع فى البيوت (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى عسكره على ذى حدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله يعزى نبيه (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) فيكون استثناء متصلا من أعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على أن التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال فى اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى إلا شرا وقال سلمان إلا مكرا وقال الضحاك إلا غدرا وقيل إلا خبثا وقيل هو الاضطراب فى الرأى وذلك بتزيين أمر لقوم وتقبيحه لآخرين حتى يختلفوا وتتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الآية على أنه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل على أنه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح ولقائل أن يقول اثبات حكم كلى بحكم جزئى غير معقول واعلم أنه سبحانه عدد من مفاسد خروجهم ثلاثة الاول قوله ما زادوكم إلا خبالا الثانى (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) قال فى الكشاف زيد ألف فى الكتابة لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه فى النمل ولا آتوها فى الاحزاب

على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله ويحوجه اليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا تنصروه ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعثه يقول الله فأنا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته اذ ذاك وهو ثانى اثنين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا تنصروه فقد نصره الله قال ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعث فالله فاعل به كذلك ناصره كما نصره اذ ذاك ثانى اثنين اذ هما فى الغار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تنصروه فقد نصره الله الآية قال فكان صاحبه أبو بكر وأما الغار فجبل بمكة يقال له ثور **حدثنا** عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه وكان لابى بكر منيحة من غنم تروح على أهله فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة فى الغنم الى ثور وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبى صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثور وهو الغار الذى سماه الله فى القرآن **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم بن جبير الواسطى قال ثنا عفان وحبان قالا ثنا همام عن ثابت عن أنس أن أبا بكر رضى الله عنه حدثهم قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وأقدام المشركين فوق رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال مكث أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى اذ هما فى الغار قال فى الجبل الذى يسمى ثورا مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبيه أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا قال اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر وقال أنا والله صاحبه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل على أبى بكر وأيده بجنود لم تروها يقول وقواه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم وجعل كلمة الذين كفروا وهى كلمة الشرك السفلى لانها قهرت وأذلت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الأعلى وكلمة الله هى العليا يقول ودين الله وتوحيده وقول لا اله الا الله وهى كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة كما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهى الشرك بالله وكلمة الله هى العليا وهى لا اله الا الله وقوله وكلمة الله هى العليا خبر مبتدأ غير مردود على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى لأن ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الاولى لكان نصبا وأما قوله والله عزيز حكيم فانه يعنى والله عزيز فى انتقامه من أهل الكفر به لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب

ولا رابع لها فى القرآن وفى الايضاع قولان لاهل اللغة فقال أكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا وأوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون فى الآية حذف والتقدير ولأوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وأبو عبيد انه جاء لازما ويقال أوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفة وعليه (٩٧) السكينة وأوضع فى وادى محسر أى أسرع قال الواحدى والآية تشهد للاخفش وأبى عبيد وعلى القولين المراد فى الآية السعى بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة فى الاول أكثر لان الراكب أسرع من الماشى ومعنى (خلالكم) أى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين و(يبغونكم الفتنة) أى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وابغ لى أى اطلبه لأجلى ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش فى المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام أسرع ما يكون فالحاصل من النوع الاول اختلاف الآراء ومن الثانى المشى بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض وأما النوع الثالث فذلك قوله (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد وابن زيد أى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على أكمل الوجوه لامحالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم وأجيب بأن ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام أو لمن جبل على الجبن والفشل أو لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة أو هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف سخيف أو أهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الآية بقوله (والله عليم بالظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين

غالب ولا ينصر من عاقبه ناصر حكيم فى تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فى مشيئته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الخفة والثقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه فقال بعضهم معنى الخفة التى عناها الله فى هذا الموضع الشباب ومعنى الثقل الشيخوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال شيبا وشبانا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن قال شيوخا وشبانا * قال ثنا ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس عن أبى طلحة انفروا خفافا وثقالا قال كهولا وشبانا ما أسمع الله عذر أحدا تخرج الى الشام فجاهد حتى مات حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان قال كان رجل من النخع وكان شيخا بادنا فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبى وقاص فقال ان الله يقول انفروا خفافا وثقالا فأذن له سعد فقتل الشيخ فسأل عنه بعد عمر فقال ما فعل الشيخ الذى كان (١) من بنى هاشم فقالوا قتل يا أمير المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن اسمعيل عن أبى صالح قال الشاب والشيخ * قال ثنا أبو أسامة عن مالك بن مغول عن اسمعيل عن عكرمة قال الشاب والشيخ * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك كهولا وشبانا * قال ثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمى عن جعفر بن حميد عن بشر بن عطية كهولا وشبانا حدثنا الوليد قال ثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبانا وكهولا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشيوخا وأغنياء ومساكين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن شيوخا وشبانا حدثنى سعيد بن عمرو قال ثنا بقية قال ثنا جرير قال ثنى حبان بن زيد الشرعبى قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل الافسوس الى الجراجمة فلقيت شيخا كبيرا هما قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت عليه فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه وانما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال كل شيخ وشاب * وقال آخرون معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن الحكم فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال مشاغيل وغير مشاغيل * وقال آخرون معناه انفروا أغنياء وفقراء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال أغنياء وفقراء * وقال آخرون معناه نشاطا وغير نشاط ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن

(١) لعله مولى بنى هاشم تأمل كتبه مصححه

(١٣ - ابن جرير عاشر) كيد أهل النفاق قديما وحديثا فقال (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن أبى يوم أحد حين انصرف عن النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعنى الفتنة السعى فى تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد

الالفة فسلمهم الله منه (وقلبوا لك الامور) حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حول مصايد المكايد (حتى جاء الحق) الذى هو القرآن (وظهر أمر الله) غلب دينه وشرعه (وهم كارهون) رد الله مكرهم فى نحرهم وأتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك فى الماضى فكذا يكون الحال فى المستقبل لقوله ويأبى الله الا أن يتم نوره (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بان لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت احتمل أن يكون قد ذكره على سبيل السخرية أو على سبيل الجد بأن كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتنى أى لا تلقنى فى التهلكة فانى ان خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار أنى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فنزلت الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا الجد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء ابن معرور (ألا فى الفتنة سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الآية بقوله (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أما فى الدنيا فلاحاطة أسبابها بهم من النعى عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار وأما فى الآخرة فلما آل حالهم الى الدرك الاسفل من النار ۞ التأويل أيها الارواح والقلوب المؤمنة ما مصيبتكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الربانى اخرجوا من الدنيا وما فيها فى طلب الله والسير اليه فى اثاقلتم الى أرض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيودشهواتها يعذبكم عذابا أليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية ويأم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول

ابن عباس قوله انفروا خفافا وثقالا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خفافا وثقالا قال نشاطا وغير نشاط * وقال آخرون معناه ركبانا ومشاة ذكر من قال ذلك **حدثنا** على بن سهل قال ثنا الوليد قال قال أبو عمرو اذا كان النفر الى دروب الشأم نفر الناس اليها خفافا ركبانا واذا كان النفر الى هذه السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا ركبانا ومشاة * وقال آخرون معنى ذلك ذا ضيعة وغير ذى ضيعة ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال الثقيل الذى له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته ويخرج والخفيف الذى لا ضيعة له فقال الله انفروا خفافا وثقالا **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرا فيقول انى أحسبه قال أثالا ثم فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين الا وهو فى أخرى الا عاما واحدا وكان أبو أيوب يقول انفروا خفافا وثقالا فلا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا **حدثنا** على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا جرير عن عثمان عن راشد بن سعد عمن رأى المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فضل عنه من عظمه فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا **حدثنا** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا جرير قال ثنى عبد الرحمن بن ميسرة قال ثنى أبو راشد الحبرانى قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص قد فضل عنه من عظمه يريد الغزو فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه فى سبيله خفافا وثقالا وقد يدخل فى الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا تيسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادرا على الظهر والركاب ويدخل فى الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال فاذ كان قد يدخل فى الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف فى الكتاب ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نصب على خصوصه دليلا وجب أن يقال ان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال من أحوال الخفة والثقل **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مسلم بن صبيح قال أول ما نزل من براءة انفروا خفافا وثقالا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مثله **حدثنا** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ان أول ما نزل من براءة لقد نصركم الله

الكاملة المفارقة الاتنصر وارسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا أى النفوس الامارة الكافرة من أرض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذهما فى غار العدم وكلمة الله هى العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعى واصلة الى مقام العندية انفروا أيها الطلاب خفافا مجردين من علائق الأهل والأولاد والأموال وثقالا متلبسين بها أوخفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بقدمى بذل الاموال والأنفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعنى أرباب النفوس لخرجنا معكم يا أهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم فى ريبهم يترددون بين أوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لأعدوا له عدة وهى متابعة الأنبياء فثبطهم حبسهم فى سجن البشرية مازادوكم الاخبالا فيه اشارة الى أن قعود أهل الطبيعة فى حبس البشرية صلاح لارباب القلوب وأصحاب السلوك لانهم لوخرجوا لاعن نية صادقة وعزيمة صالحة مازادوهم الاتشويشا وتفرقة لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى أن صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح فى شهواتها حتى جاء الحق وهو لعقل القابل لأوامر الشرع وظهر أمر الله وهو التكليف وهم أى من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لى فى القعود عن الارتقاء فى مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنى يا روح بتكليفى مالیس من شأنى وذلك ان الهوى مركب المحبة تستعمله الروح فى تصاعده الى ذروة الكمال والوصال ألا فى الفتنة سقطوا أى ان فتنة الهبوط هى الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم كفار

فى مواطن كثيرة قال يعرفهم نصره ويوطنهم لغزوة تبوك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم فأنفقوها فى مجاهدتهم على دين الله الذى شرعه لكم حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعا أو كرها أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا ان كانوا أهل كتاب أو تقتلوهم وأنفسكم يقول وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى آمركم به من النفر فى سبيل الله تعالى خفافا وثقالا وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل الى الارض اذا استنفرتم والخلود اليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة ان كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد فى سبيل الله على القعود عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون﴾ يقول جل ثناؤه للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلف عنه حين خرج الى تبوك فاذن لهم لو كان ما تدعوا اليه المتخلفين عنك والمستأذنيك فى ترك الخروج معك الى مغزاك الذى استنفرتهم اليه عرضا قريبا يقول غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا يقول وموضعا قريبا سهلا لاتبعوك ونفروا معك اليهما ولكنك استنفرتهم الى موضع بعيد وكلفتهم سفرا شاقا عليهم لانك استنهضتهم فى وقت الحر وزمان القيظ وحين الحاجة الى الكن وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يقول تعالى ذكره وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك اعتذارا منهم اليك بالباطل لتقبل منهم عذرهم وتأذن لهم فى التخلف عنك بالله كاذبين لو استطعنا لخرجنا معكم يقول لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لابد للمسافر والغازى منه وصحة البدن والقوى لخرجنا معكم الى عدوكم يهلكون أنفسهم يقول يوجبون لانفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب لانهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه والله يعلم انهم لكاذبون فى حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل الى ذلك بالذى كان عندهم من الاموال مما يحتاج اليه الغازى فى غزوه والمسافر فى سفره وصحة الابدان وقوى الاجسام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان عرضا قريبا الى قوله لكاذبون انهم يستطيعون الخروج ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة فى الخير حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو كان عرضا قريبا قال هى غزوة تبوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يعلم انهم لكاذبون أى انهم يستطيعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه حين شخص الى تبوك لغزو الروم من المنافقين يقول جل ثناؤه عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك وفى التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه لم أذنت لهم

النفس وصفاتها أعاذنا الله منها ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم
أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم
قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم
منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان
لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون﴾
﴿ القراآت هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزي وابن فليح وقرأه حمزة وعلي وهشام مدغما حتى لا يجتمع ساكنان الباقون
باظهار اللام وتخفيف التاء أن تقبل بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم
الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب
الآخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير ﴿ الوقوف تسؤهم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف فرحون
○ لنا ج للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولانا ط لابتداء اخبار من الله أو الحكاية عنهم
المؤمنون ○ الحسنيين ط للاستئناف بعد تمام الاستفهام بأيدينا ط والوصل أصح لان الفاء جواب تربصوا متربصون ○ منكم ط فهم
فاسقين ○ كارهون ○ ولا أولادهم ط كافرون ○ لمنكم ط يفرقون ○ يجمحون ○ في الصدقات ط للشرط مع
الفاء يسخطون ○ ورسوله لا الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو ووجواب لو بعد التمام محذوف أي لكان خيرا لهم ﴿ التفسير هذا

لأي شيء أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يقول ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم
في التخلف عنك اذ قالوا لك لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن
لا عذر له منهم فيكون اذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا
وشكا في دين الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عفا الله عنك
لم أذنت لهم قال ناس قالوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن
لكم فاقعدوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عفا الله عنك
لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور
فرخص له في أن يأذن لهم ان شاء فقال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم فجعله
الله رخصة في ذلك من ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة
عن عمرو بن دينار عن عمرو بن ميمون الاودي قال اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين وأخذه من الاساري فأنزل الله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية
حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد بن سليمن قال قرأت على سعيد بن أبي عروبة قال هكذا سمعته
من قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور فاذا استأذنوك
لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الآية حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا النضر بن شميل
قال أخبرنا موسى بن مروان قال سألت مورقا عن قوله عفا الله عنك قال عاتبه ربه ﴿ القول في
تأويل قوله ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله
عليم بالمتقين﴾ وهذا اعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين أن من علاماتهم التي
يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم
الخروج معه اذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد
لا تأذن في التخلف عنك اذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر فانه
لا يستأذنك في ذلك الا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر فأما الذي يصدق بالله ويقر بوحدانيته
وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب فانه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله
ونفسه والله عليم بالمتقين يقول والله ذو علم بمن خافه فاتقاه باداء فرائضه واجتناب معاصيه
والمسارعة الى طاعته في غزو عدوه وجهادهم بماله ونفسه وغير ذلك من أمره ونهيه * وبنحو
الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال
ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله فهذا تعيير للمنافقين حين
استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر وعذر الله المؤمنين فقال لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴿
القول في تأويل قوله ﴿انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم
في ريبهم يترددون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم انما يستأذنك يا محمد في التخلف
خلافك وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدقون بالله ولا يقرون بتوحيده وارتابت
قلوبهم يقول وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله وفي ثواب أهل طاعته وعقابه أهل معاصيه

نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة فى يوم بدر والمصيبة فى يوم أحد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال المنافقين أنهم كانوا فى كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذى ذكر الله تعالى ومعنى (أخذنا أمرنا) أى أمرنا الذى نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الرأى والتدبير و(من قبل) أى من قبل ماوقع (وتولوا) أى عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم أو أعرضوا عن الرسول (وهم فرحون) مسرورون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول فى جوابهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) قيل أى فى اللوح المحفوظ من خير أو شر أو خوف أو رجاء أو شدة أو رخاء وفائدته أنه اذا علم الانسان أن الذى وقع امتنع أن لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل أى فى عاقبة أمرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان أحوال المسلمين وان كانت مختلفة فى الغم والسرور والمحنة الا أن العاقبة والدولة تكون لهم والظفر يقع فى جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين فى الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم أو الشهادة وعلى هذا القول يقع ما فى الآية الثانية كالمكرر (هو مولانا) لا يتولى أمورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من أسباب التهانى والتعازى لا اعتراض لاحد عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فيه تنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم أمره بجواب ثان فقال (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) التربص التمسك بما ينتظر به مجىء حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تأنيث الاحسن وهى صفة الحالة أو الخصلة أو العاقبة يعنى النصرة أو الشهادة وفى الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفى الثانية ابقاء الذكر والفوز بنعيم الآخرة (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذاب الدارين (أو بأيدينا) يعنى القتل بأن يظهر نفاقكم ويأمر بقتلكم كالكافر الحربى (فتربصوا) أمر للتهديد نحو ذق انك أنت العزيز

فهم فى ريبهم يترددون يقول فى شكهم متحيرون وفى ظلمة الحيرة مترددون لا يعرفون حقا من باطل فيعملون على بصيرة وهذه صفة المنافقين وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التى ذكرت فى سورة النور ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله فهم فى ريبهم يترددون نسختهما الآية التى فى النور انما المؤمنون الذين آمنوا بالله الى ان الله غفور رحيم وقد بينا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ يقول تعالى ذكره ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يا محمد فى ترك الخروج معك لجهاد عدوك الخروج معك لأعدوا له عدة يقول لأعدوا للخروج عدة ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما ولكن كره الله انبعاثهم يعنى خروجهم لذلك فثبطهم يقول فثقل عليهم الخروج حتى استحفوا القعود فى منازلهم خلافك واستثقلوا السفر والخروج معك فتركوا ذلك الخروج وقيل اقعدوا مع القاعدين يعنى اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين فى سبيل الله وكان تثبيط الله اياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به لعلمه بنفاقهم وغشهم للاسلام وأهله وأنهم لو خرجوا معهم ضروهم ولم ينفعوا وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود كانوا عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس ومن كان على مثل الذى كانا عليه كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوه فيما بلغنى من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ يقول تعالى ذكره لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم الا خبالا يقول لم يزيدوكم بخروجهم فيكم الا فسادا وضرا ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم وقد بينا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل ولأوضعوا خلالكم يقول ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم وأصله من ايضاع الخيل والركاب وهو الاسراع بها فى السير يقال للناقة اذا أسرعت السير وضعت الناقة تضع وضعا وموضوعا وأوضعها صاحبها اذا حثها وأسرع يوضعها ايضاعا ومنه قول الراجز

يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع

وأما أصل الخلال فهو من الخلل وهى الفرج تكون بين القوم فى الصفوف وغيرها ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم تراصوا فى الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف وأما قوله يبغونكم الفتنة فان معنى يبغونكم الفتنة يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم فى مغزاكم يتثبيطهم اياكم عنه يقال منه بغيته الشر وبغيته الخير أبغيه بغاء اذا التمسته له بمعنى بغيت له وكذلك عكمتك وحلبتك بمعنى حلبت لك وعكمت لك واذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه قالوا أبغيتك كذا وأحلبتك وأعكمتك أى أعنتك عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

الكريم ثم ذكر أنهم ان أتوا بشئ من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به فى الآخرة والغرض أن أسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم فى الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وهذا مالى أعينك به ولا يبعد أن يكون السبب خاصا والحكم عاما و(أنفقوا) لفظه أمر ومعناه خبر كقوله فيما يجئ استغفر لهم أولا تستغفر لهم ومعناه أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أولا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة * أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * كأنه يقول امتحنى لطف محلك عندى وعاملينى بالاساءة والاحسان وانظرى هل تجدين منى تفاوتا فى الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب أحدهما مقام الآخر اذا دل الكلام عليه فعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب (طوعا أو كرها) على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين من جهتهما وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل أن يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم أو ملزمين من جهتهم وذلك أن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا رأوا فيه مصلحة ومعنى (لن يتقبل منكم) أن الرسول لا يقبله منكم أو أنه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين) قال الجبائى فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات وأجيب بأن الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه (وما منعهم أن تقبل منهم) الآية علل منع القبول بامور ثلاثة أولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) قال المفسرون معناه أنه ان كان فى جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه أنه يصلى للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلاة ووجوبها فلهذا لزم منه الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون) وذلك انهم لا ينفقون رغبة فى ثواب الله وانما ينفقون لأجل المصالح

ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولأوضعوا خلالكم يقول ولأوضعوا (١) أسلحتهم خلالكم بالفتنة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم قال رفاعة بن التابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول وأوس بن قيظى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا الأزقة خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم عبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول * قال **حدثنا** الحسن قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قال هؤلاء المنافقون فى غزوة تبوك يسلى الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال وما يحزنكم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يقولون قد جمع لكم وفعل وفعل يخذلونكم ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة الكفر وأما قوله وفيكم سماعون لهم فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وفيكم سماعون لحديثكم لهم يؤدونه اليهم عيون لهم عليكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفيكم سماعون لهم يحدثون باحاديثكم عيون غير منافقين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وفيكم سماعون لهم قال يحدثون عيون غير منافقين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفيكم سماعون لهم يسمعون ما يؤدونه لعدوكم * وقال آخرون بل معنى ذلك وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيكم سماعون لهم وفيكم من يسمع كلامهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوا فيما بلغنى من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم فعلى هذا التأويل وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم اياهم عن السير معكم وأما على التأويل الاول فان معناه وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم فيبلغونهم ويؤدونه اليهم عيون لهم عليكم * قال أبو جعفر وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب تأويل من قال معناه وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم سماع وصف من وصف به أنه سماع للكلام كما قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه سماعون للكذب واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث وأما اذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه اليه فانما تصفه بأنه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو له سماع مطيع وأما قوله والله عليم بالظالمين فان معناه والله ذو علم بمن يوجه أفعاله الى غير وجوهها ويضعها فى غير مواضعها ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ومن يستأذنه شكا

(١) لعله خيلهم وحرر كتبه مصححه

الدنيوية فهم فى حكم الكارهين وان أنفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أدواز كاة أموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل فى منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الآخرين والجواب أنهما أمارات ويجوز تواردالامارات المتعددة على شئ واحد وبوجه آخر أطلق كفرهم أولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلاة والزكاة وبعبارة أخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من أنواع كفرهم هذين تفظيعا لشأن تارك الصلاة والزكاة قال فى الكشاف وقرأت فى بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية وأن الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الآية وهو أن شيأ من أعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو أن يصرف ذلك الى تأثيره فى تخفيف العقاب ولقائل أن يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له فى التخفيف أيضا أثر وقيل فى الآية دلالة على ان الصلاة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الآخرة أراد أن يبين أن ما يظنونه من منافع الدنيا فهو أيضا فى الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (فلا تعجبك) الآية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط أى ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلاة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجىء فى الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه وأنه من البعيد فى حكم الله أن يزيل ذلك الشئ عنه ويحصله لغيره كقوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس فى ذلك الشئ وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ازالته فى قدرة

شكا فى الاسلام ونفاقا ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسر عاسر المؤمنين ويسىء بما ساءهم لا يخفى عليه شئ من سرائر خلقه وعلانيتهم وقد بينا معنى الظلم فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ يقول تعالى ذكره لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردهم الى الكفر بالتخذيل عنه كفعل عبد الله بن أبى بك وبأصحابك يوم أحد حين انصرف عنك عن تبعه من قومه وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا الأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل ويعنى بقوله من قبل من قبل هذا وقلبوا لك الامور يقول وأجالوا فيك وفى ابطال الدين الذى بعثك به الله الرأى بالتخذيل عنك وانكار ما تأتيهم به ورده عليك حتى جاء الحق يقول حتى جاء نصر الله وظهر أمر الله يقول وظهر دين الله الذى أمر به وافترضه على خلقه وهو الاسلام وهم كارهون يقول والمنافقون لظهور أمر الله ونصره اياك كارهون وكذلك الآن يظهر لك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقلبوا لك الامور أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وذكر أن هذه الآية نزلت فى نفر مسمين باعيانهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو عن الحسن قوله وقلبوا لك الامور قال منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وعبد الله بن نبتل أخو بنى عمرو بن عوف ورفاعة بن رافع وزيد بن التابوت القينقاعى وكان تخذيل عبد الله بن أبى أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم كل قد حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض وكل قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طاب الثمار وأحبت الظلال والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذى يصمد له الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم فتجهز الناس على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره فأمر الناس بالجهاز والانكماش (١) وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى ابن سلول عسكره على ذى حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس

(١) الانكماش الاسراع فى الامر والجد فيه اه كتبه مصححه

الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك فى حبها فان المسكن الاصلى هو الآخرة لا الاولى وقوله (انما يريد الله ليعذبهم) اعرابه كما مر فى قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدى وقتادة فى الآية تقديم وتأخير والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة كأنهم نظروا الى أن المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده وأورد عليه أنهما لا يكونان عذابا فى الآخرة أيضا فان تكلفوا وقالوا أراد بذلك أنهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتأخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب فى الدنيا أيضا وبوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان فى الدنيا لا محالة فأى فائدة فى ذكرها واعلم أن الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب فى الدنيا والآخرة وذلك أن كل ما كان حبه للشئ أشد كان خوفه عن فواته أكثر وحزنه على فواته أعظم فصاحب المال أبدا اما فى خوف فوات المال واما فى حزن فواته واما فى تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضى الى طغيانه وقساوة قلبه الى أن ينسى حب الله وذكر الآخرة ثم انه ان بقى عليه ذلك الى آخر عمره فعند الموت يعظم أسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى سجن وجحيم وعند الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت أن حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام فى الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا أن المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم أنه انما خلق للآخرة يقول لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذى اعتقد أن لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وأيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون فى ذلك فائدة أخروية وكانوا فى أشق تكليف وكانوا مبغضين

بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله بن أبى أخا بنى عوف بن الخزرج وعبد الله بن نبتل أخا بنى عمرو ابن عوف ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بنى قينقاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيد للاسلام وأهله قال وفيهم كما ثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنزل الله لقد ابتغوا الفتنة من قبل الآية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ وذكر أن هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس ويعنى جل ثناؤه بقوله ومنهم ومن المنافقين من يقول ائذن لى أقم فلا أنخض معك ولا تفتنى يقول ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الاصفر وبناتهم فانى بالنساء مغرم فاخرج وآثم بذلك وبذلك من التأويل تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ائذن لى ولا تفتنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر ونساء الروم فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تغنموا بنات الاصفر يعنى نساء الروم ثم ذكر مثله * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ائذن لى ولا تفتنى قال هو الجد بن قيس قال قد علمت الانصار أنى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله ابن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه للجد بن قيس أخى بنى سلمة هل لك يا جد العام فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله أو تأذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى ما رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الآية أى ان كان انما يخشى الفتنة من نساء بنى الاصفر وليس ذلك به فساقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى قال هو رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغزو بنى الاصفر وتتخذ منهم سرارى ووصفانا فقال أى رسول الله ائذن لى ولا تفتنى ان لم تأذن لى افتتنت ووقعت فغضب فقال الله ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين وكان من بنى سلمة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة فقالوا جد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوى من البخل ولكن سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء بن معرور حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى يقول ائذن لى ولا تحرجنى ألا فى الفتنة سقطوا يعنى فى الحرج سقطوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ولا تؤثمنى ألا فى الاثم سقطوا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين

للنبي صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض أولادهم وأموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم أولاد أتقياء مخلصون كحنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة وكعبد الله بن عبد الله بن أبي شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يرون طريق آبائهم في النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه ولاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء أن التقدير يريد الله أن يزيد في أموالهم ليعذبهم أما قوله (وتزهق أنفسهم) أي تخرج وهم (كافرون) فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى أراد منهم الكفر وأورد الجبائي عليه أن المريض اذا قال للطبيب أريد أن تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا المرض نفسه والجواب ان أمثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمه الى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح أفعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أي على دينكم ثم قال (وما هم منكم) أي ليسوا على دينكم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم أكد نفاقهم بقوله (لو يجدون ملجأ) مفرا فيتحصنون فيه آمنين على أنفسهم منكم لفروا اليه وافارقوكم فلا تظنوا

يقول وان النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذب رسله محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة يقول فكفى للجد بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليها خزيا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجد بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين وان تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجد ونظراؤه قد أخذنا أمرنا من قبل أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد وتركنا اتباعه الى عدوه من قبل يقول من قبل أن تصيبه هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يقول ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقتل من قتل منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان تصبك حسنة تسؤهم يقول ان تصبك في سفرك هذا الغزوة تبوك حسنة تسؤهم قال الجد وأصحابه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل حذرنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ووقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل قال حذرنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تصبك حسنة تسؤهم ان كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره مؤدبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك لن يصيبنا أيها المرتابون في دينهم الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا هو مولانا يقول هو ناصرنا على أعدائه وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانهم ان يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيأ غيره يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم هل تنتظرون بنا الا احدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما اما ظفرا بالعدو وفتحا لنا بغلبتنا اياهم ففيها الاجر والغنيمة والسلامة واما قتلا من عدونا لنا ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكلتاهما مما يحب ولا يكره ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يقول ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم فتربصوا انا معكم متربصون يقول فانتظروا انا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا وما اليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول فتح أو شهادة وقال مرة أخرى يقول القتل فهي الشهادة والحياة والرزق واما يخزيكم بأيدينا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول قتل فيه

(١٤ - ابن جرير عاشر) ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور الانسان فيه أي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول أدغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما والتدخل تفعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يتحفظ بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفق كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه مع انهاشر

الحياة والرزق واما أن يغلب فيؤتيه الله أجرا عظيما وهو مثل قوله ومن يقاتل فى سبيل الله الى فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا احدى الحسنيين قال القتل فى سبيل الله والظهور على أعدائه * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال القتل فى سبيل الله والظهور حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد احدى الحسنيين القتل فى سبيل الله والظهور على اعداء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال ابن جريج قال ابن عباس بعذاب من عنده بالموت أو بأيدينا قال القتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الافتحا أو قتلا فى سبيل الله ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا أى قتل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره وعلى أى حال شئتم من حال الطوع والكره فانكم ان تنفقوها لن يتقبل الله منكم نفقاتكم وأنتم فى شك من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه انكم كنتم قوما فاسقين يقول خارجين عن الايمان بربكم وخرج قوله أنفقوا طوعا أو كرها مخرج الامر ومعناه الخبر والعرب تفعل ذلك فى الاماكن التى يحسن فيها ان التى تأتى بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فهو فى لفظ الامر ومعناه الخبر ومنه قول الشاعر

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

فكذلك قوله أنفقوا طوعا أو كرها انما معناه ان تنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وقيل ان هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم هذا مالى أعينك به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال الجد بن قيس انى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالى قال ففيه نزلت أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم قال لقوله أعينك بمالى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ يقول تعالى ذكره وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك وفى غير ذلك من السبل الا أنهم كفروا بالله وبرسوله فأن الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع لان معنى الكلام ما منع قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى يقول لا يأتونها الا متثاقلين بها لانهم لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا وانما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فاذا أمنوهم لم يقيموها ولا ينفقون يقول ولا ينفقون من أموالهم شيأ الا وهم كارهون أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه مما فيه تقوية للاسلام وأهله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾

والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى أعلم ومن جملة قبائحهم قوله (ومنهم من يلمزك) الآية قال الزجاج لمزت الرجل ألمزه وألمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب فى الحضور والهمز العيب فى الغيبة واعلم أن العيب فى الصدقات يحتمل وجوها الاول فى أخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء أفقرهم وان شاء أغناهم الثانى ان يقال هب أنك تأخذ الزكوات الا أن ما تأخذه كثير فوجب أن تقنع باقل من ذلك الثالث هب أنك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع فى قسمة الصدقات وفى تفريقها وهذا هو الذى دلت الاخبار على أنهم أرادوه عن أبى سعيد الخدرى بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين قال له ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فنزلت وعن الكلبى هو أبو الجواظ قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين أن عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال (فان اعطوا منها رضوا) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى (اذا هم يسخطون) فهم يسخطون وفائدته ان يعلم أن الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم أرشدهم الى ما هو صلاحهم فى نفس الامر فقال (ولو أنهم رضوا) الآية ورتبه على أربع

اختلف

مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكل ما كان حكمه وقضاءه منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر أثر ذلك الرضا على لسانهم وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحبيب الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله فى غنيمة أخرى الرابعة الرغبة الى

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة وقال معنى ذلك التقديم وهو مؤخر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قال هذه من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة * وقال آخرون بل معنى ذلك انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا بما ألزمهم فيها من فرائضه ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن سلمان الاقصرى عن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا قال بأخذ الزكاة والنفقة فى سبيل الله تعالى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا بالمصائب فيها هى لهم عذاب وهى للمؤمنين أجر * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك عندنا التأويل الذى ذكرنا عن الحسن لان ذلك هو الظاهر من التنزيل فصرف تأويله الى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه الى باطن لا دلالة على صحته وانما وجهه من وجه ذلك الى التقديم وهو مؤخر لانه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم فى الحياة الدنيا وجها يوجهه اليه وقال كيف يعذبهم بذلك فى الدنيا وهى لهم فيها سرور وذهب عنه توجيهه الى أنه من عظيم العذاب عليه الزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه اذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على ضجر منه وكره وأما قوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون فانه يعنى وتخرج أنفسهم فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوة نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم يقال منه زهقت نفس فلان وزهقت فمن قال زهقت قال تزهق ومن قال زهقت قال تزهق زهوقا ومنه قيل زهق فلان بين أيدى القوم يزهق زهوقا اذا سبقهم فتقدمهم ويقال زهق الباطل اذا ذهب ودرس ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ يقول تعالى ذكره ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم انهم لمنكم فى الدين والملة يقول الله تعالى مكذبا لهم وماهم منكم أى ليسوا من أهل دينكم وملتكم بل هم أهل شك ونفاق ولكنهم قوم يفرقون يقول ولكنهم قوم يخافونكم فهم خوفا منكم يقولون بالسنتهم انا منكم لنأمنوا فيكم فلا يقتلوا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون﴾ يقول تعالى ذكره لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ يقول عصرا يعتصرون به من حصن ومعقلا يعتقلون فيه منكم أو مغارات وهى الغيران فى الجبال واحدتها مغارة وهى مفعلة من غار الرجل فى الشئ يغور فيه اذا دخل ومنه قيل غارت العين اذا دخلت فى الحدقة أو مدخلا يقول سربا فى الارض يدخلون فيه وقال أو مدخلا الآية لانه من ادخل يدخل وقوله لولوا اليه يقول لأدبروا اليه هربا منكم وهم يجمحون يقول وهم يسرعون فى مشيهم وقيل ان الجماح مشى بين المشيين ومنه قول مهلهل

لقد جمحت جاحا فى دمائهم * حتى رأيت ذوى أحسابهم خمدوا

الله بانه المقصد الحقيقى والمقصود الاصلى من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون الله فقال ما الذى حملكم عليه فقالوا الرغبة فى الثواب فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال أنتم المحقون ﴿التأويل﴾ ان تصبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها فبها تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع أخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خالفناه فى السير الى العالم الروحانى قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للرد وانظر وقل هل تربصون بنا أيتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما أو بأيدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا أو رياء وكرها أى نفاقا لن يتقبل منكم لان أعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولا لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن أبلغ من عمله وباقى الآيات اشارات الى أن من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو

أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم
ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم (١٠٨) بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض

ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم
قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ۞ القراآت أذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل الباقون بالاضافة ورحمة
بالجر حمزة الآخرون بالرفع ألم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم
غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التأنيث في الثاني ۞ الوقوف وابن السبيل ط أي فرض الله فريضة
من الله ط حكيم ○ هو أذن ط آمنوا منكم ط أليم ○ ليرضوكم ط لاحتمال الواو الحال أو الاستئناف
مؤمنين ○ خالدا فيها ط العظيم ○ بما في قلوبهم ط استهزؤا ط لاحتمال الهمزة في ان للتعليل تحذرون ○ ونلعب ط تستهزؤن ○ بعد ايمانكم ط مجرمين ○

وانما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة لانهم انما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الايمان بالله وبرسوله لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الايمان وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به والعداوة لهم فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم لو يجدون ملجأ أو مغارات الآية وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ الملجأ الحرز في الجبال والمغارات الغيران في الجبال وقوله أو مدخلا والمدخل السرب حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ملجأ يقول حرزا أو مغارات يعني الغيران أو مدخلا يقول ذهابا في الارض وهو النفق في الارض وهو السرب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال حرزا لهم يفرون اليه منكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال محرزا لهم لفروا اليه منكم وقال ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ حرزا أو مغارات قال الغيران أو مدخلا قال نفقا في الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا يقول لو يجدون ملجأ حصونا أو مغارات غيرانا أو مدخلا سربا لولوا اليه وهم يجمحون ۞ القول في تأويل قوله ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾ يقول تعالى ذكره ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات من يلمزك في الصدقات يقول يعيبك في أمرها ويطعن عليك فيها يقال منه لمز فلان فلانا يلمزه ويلمزه اذا عابه وقرصه وكذلك همزه ومنه قيل فلان همزة لمزة ومنه قول رؤبة

قاربت بين عنقي وجمزي ۞ في ظل عصري باطلي ولمزي

ومنه قول الآخر

اذا لقيتك تبدي لي مكاشرة ۞ وان أغيب فأنت العائب الهمز

فان أعطوا منها رضوا يقول ليس بهم في عيبهم اياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين ولكن الغضب لانفسهم فان أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك وان أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات قال يروزك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات يروزك ويسألك ۞ قال ابن جريج وأخبرني داود بن أبي عاصم قال قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ورآه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات يقول

ومنهم من بعض ط كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي صفة لكلهم أيديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ○ فيها ط حسبهم ط
لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في اتمام الجزاء ولعنهم الله ج لذلك مقيم ○ لا بناء على تعلق الكاف وأولادا ط خاضوا ط والآخرة

ومنهم من يطعن عليك فى الصدقات وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد باعرابية أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأشباهه فان فى أمتى أشباه هذا يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفسى بيده ما أعطيكم شيأ ولا أمنعكموه انما أنا خازن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يطعن * قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ائذن لى فأضرب عنقه قال دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا يتطر شيأ ثم ينظر فى نصله فلا يجد شيأ ثم ينظر فى رصافه فلا يجد شيأ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى يديه أو قال يديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فترة من الناس قال فنزلت ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال أبو سعيد أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا رحمة الله عليه حين قتلهم جىء بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال هؤلاء المنافقون قالوا والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثر بها الا هواه فأخبر الله نبيه وأخبرهم انه انما جاءت من الله وان هذا أمر من الله ليس من محمد انما الصدقات للفقراء الآية ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد فى الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم وقالوا حسبنا الله يقول وقالوا كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله يقول سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها انا الى الله راغبون يقول وقالوا انا الى الله نرغب فى أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة اليهم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لا تنال الصدقات الا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله جل ثناؤه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة الفقير والمسكين فقال بعضهم الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة والمسكين المحتاج السائل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير الجالس فى بيته والمسكين الذى يسعى حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال المساكين الطوافون والفقراء فقراء المسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا

ج الخاسرون ٥ ﴿ التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفى تصدير الكلام بانما دلالة على أنه لا حق لاحد فى الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع فى الرأس وداء فى البطن ولنتكلم فى تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثانى الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون لا يفى دخلهم بخرجهم انما الكلام فى انهما متساويا الدلالة أو أحدهما أسوأ حالا فعن أبى يوسف ومحمد والجبائى أنهما واحد حتى لو أوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائى انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد أمرهم فى الصدقات والفائدة فيه أن يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعى الفقير أسوأ حالا لانه تعالى أثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذى وقع الابتداء بذكره يكون أشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن أن يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن أعظم أنواع الشر والدواهى وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد سأل المسكنة فى قوله اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فكانه سأل توسط الحال ولهذا لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أشياء معلومة مع انه تعالى أجاب دعاءه ظاهرا فاماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على أن المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذى لا يجد شيأ كأهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذى يسأل الناس والغالب انه يحصل له منهم شئ وقريب منه قول من قال سمى مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم فى قوله سبحانه وفى أموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على أن الفقر

ضد الغنى ولم يقل أحد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال أبو حنيفة المسكين أسوأ حالا لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة أعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي أفقير أنت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل وأجيب بأنه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله أعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء أجورا مثالهم لانها أجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح أن الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ان يبعث أبا رافع عاملا على الصدقات وقال أما علمت أن مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذ كان واليا عليها واختلفوا في أن الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة أو لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على أن العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك أجرة عمله وعن الحسن أنه لا يأخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم أشراف من الاحياء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم أبو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة وان لم يكن ما أعطاهم من الصدقات ويروى ان أبا بكر الصديق أعطى عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه أيام الردة والذي استقر عليه رأي الأئمة ان المؤلفة ثلاثة أقسام ضعيف النية في الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتألف على جهاد من يليهم من الكفار ومانع الزكاة حيث

أبو أسامة عن جرير بن حازم قال سمعت رجلا عن جابر بن زيد أنه سئل عن الفقراء قال الفقراء المتعففون والمساكين الذين يسألون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل ابن عبيد الله الجزري قال سألت الزهري عن قوله انما الصدقات للفقراء قال الذين في بيوتهم لا يسألون والمساكين الذين يخرجون فيسألون حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يحيى ابن سعيد عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل * قال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة والمساكين الذين يسألون الناس حدثنا الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقراء الذين لا يسألون والمساكين الذين يسألون * وقال آخرون الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين هو الصحيح الجسم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح المحتاج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين أما الفقير فالزمن الذي به زمانة وأما المسكين فهو الذي ليست به زمانة * وقال آخرون الفقراء فقراء المهاجرين والمساكين من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم عن علي بن الحكم عن الضحاك بن مزاحم انما الصدقات للفقراء قال فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء المهاجرين قال سفيان يعني ولا يعطى الأعراب منها شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقة لفقراء المهاجرين * قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله تعالى حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله الى انهم فقراء وجعل لهم سهما في الزكاة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقات في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله * وقال آخرون المسكين الضعيف البئيس ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن محمد قال قال عمر ليس الفقير بالذي لا مال له ولكن الفقير الأخلق الكسب * قال يعقوب قال ابن علية الأخلق المحارف عندنا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رحمة الله تعالى عليه قال ليس المسكين بالذي لا مال له ولكن المسكين الأخلق الكسب * وقال بعضهم الفقير من المسلمين والمسكين من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين انما المساكين مساكين أهل الكتاب * قال أبو جعفر وأولى هذه

الاقوال

يكون ذلك أهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما رأى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فأما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتألفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيأ من الزكاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس والآن لا يعطون أصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تألفهم ولانه ليس فى الآية دلالة على ان

المؤلفة يجوز أن يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان يقال ان حكم الآية منسوخ الصنف الخامس قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب وللائمة فى تفسيره أقوال فعن ابن عباس أنهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بأن لا يكون لهم شئ أو لا يفى ما فى أيديهم بنجومهم صرف اليهم أو الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك وأحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن أبى حنيفة وأصحابه وهو قول سعيد بن جبير والنخعى انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل وذلك ينافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى فى لأن الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصفات التى لاجلها استحقوا سهم الزكاة ففى الرقاب يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق أو الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة

الاقوال عندى بالصواب قول من قال الفقير هو ذو الفقر والحاجة مع حاجته يتعفف عن مسئلة الناس والتذلل لهم فى هذا الموضع والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم وانما قلنا ان ذلك كذلك وان كان الفريقان لم يعطيا الا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة لاجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين انما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر وأن معنى المسكنة عند العرب الذلة كما قال الله جل ثناؤه وضربت عليهم الذلة والمسكنة يعنى بذلك الهون والذلة لا الفقر فاذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر فجعلهم صنفين كان معلوما أن كل صنف منهم غير الآخر واذ كان ذلك كذلك كان لا شك أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذى لا مسكنة فيه والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع الى فقره المسكنة وهى الذل بالطلب والمسئلة فتأويل الكلام اذ كان ذلك معناه انما الصدقات للفقراء المتعففين منهم الذى لا يسأل والمتذلل منهم الذى يسأل وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن شريك بن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انما المسكين المتعفف على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر مساكين لا على تفضيل المسكين من الفقير ومما ينبئ عن أن ذلك كذلك انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وذلك فى صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر فقال للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقوله والعاملين عليها وهم السعاة فى قبضهم من أهلها ووضعها فى مستحقها يعطون ذلك بالسعاية أغنياء كانوا أو فقراء وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن العاملين عليها فقال السعاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاملين عليها قال جباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والعاملين عليها الذى يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك فقال بعضهم يعطى منه الثمن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن جويبر عن الضحاك قال للعاملين عليها الثمن من الصدقة حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والعاملين عليها قال يأكل العمال من السهم الثامن * وقال آخرون بل يعطى على قدر عمالته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الاخضر بن عجلان قال ثنا عطاء بن زهير العامرى عن أبيه أنه لقى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة أى مال هى فقال مال العرجان والعوران والعميان وكل منقطع به فقال له ان للعاملين حقا والمجاهدين قال ان المجاهدين قوم أحل لهم وللعاملين عليها على قدر عمالتهم ثم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة

يصرف المال الى اعدد ما يحتاج اليه فى الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان فى اللوعاء فنبه به على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين * الصنف السادس الغارمون قال الزجاج أصل الغرم لزوم ما يستحق

وسمى العشق غراما لكونه أمرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم فالغارمون المديونون والدين ان حصل بسبب معصية لم يدخل فى الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية أو لاصلاح ذات البين وان كان متمولا أو للضمان ان أعسر هو والاصيل وكل داخل فى الآية روى الاصم فى تفسيره

أنه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة فى جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمد ابن مالك أعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمد على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض أعطى الباقى * الصنف السابع قوله فى سبيل الله يعنى الغزاة قال الشافعى يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك وأحمد واسحق وأبى عبيد وقال أبو حنيفة لا يعطى الغازى الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها فى سبيل الله * الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر لا لأجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد أو موضع ماله ان كان له فى الطريق مال قال الشافعى ويدخل فى المسافر الشاخص من وطنه أو من بلد كان مقيما به منشئا للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله أعلم ولنذكر طرفا من أحكام هذه الاصناف * الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكاة الواجبة فى قوله انما الصدقات لقوله فى موضع آخر خذ من أموالهم صدقة ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة واختلفوا فى الصدقة المندوبة فمنهم من قال تدخل والفائدة أن تعلم أن مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف قال والاقرب اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك فى الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكاة ولان الآية تدل على الحصر فى الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه أخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى ولان الصدقات تنصرف

سوى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يكون للعامل عليها ان عمل بالحق ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن انما يفرضون له بقدر عمالته حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والعاملين عليها قال كان يعطى العاملون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يعطى العامل عليها على قدر عمالته وأجر مثله وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الاموال بين الاصناف الثمانية على ثمانية أسهم وانما عرف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الاصناف الثمانية الى غيرهم واذ كان كذلك بما سنوضح بعد وبما قد أوضحناه فى موضع آخر كان معلوما أن من أعطى منها حقا فانما يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه واذا كان ذلك كذلك وكان العامل عليها انما يعطى على عمله لا على الحاجة التى تزول بالعطية كان معلوما أن الذى أعطاه من ذلك انما هو عوض من سعيه وعمله وأن ذلك انما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله الذى لا يزول بالعطية وانما يزول بالعزل وأما المؤلفة قلوبهم فانهم قوم كانوا يتألفون على الاسلام ممن لم تصح نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته كأبى سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والاقرع بن حابس ونظرائهم من رؤساء القبائل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والمؤلفة قلوبهم وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات فاذا أعطاهم من الصدقات فاصابوا منها خيرا قالوا هذا دين صالح وان كان غير ذلك عابوه وتركوه حدثنا عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير ان المؤلفة قلوبهم من بنى أمية أبو سفيان بن حرب ومن بنى مخزوم الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بنى جمح صفوان ابن أمية ومن بنى عامر بن لؤى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومن بنى أسد بن عبد العزى حكيم بن حزام ومن بنى هاشم سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن بنى فزارة عيينة ابن حصن بن بدر ومن بنى تميم الاقرع بن حابس ومن بنى نصر مالك بن عوف ومن بنى سليم العباس بن مرداس ومن ثقيف العلاء بن حارثة أعطى النبى صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة ناقة الا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بن عبد العزى فانه أعطى كل رجل منهم خمسين حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى قال قال صفوان بن أمية لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض الناس الى فما برح يعطينى حتى انه لأحب الناس الى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ناس كان يتألفهم بالعطية عيينة بن بدر ومن كان معه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن والمؤلفة قلوبهم الذين يؤلفون على الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما المؤلفة قلوبهم فأناس من الاعراب ومن غيرهم كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن قوله والمؤلفة قلوبهم فقال من أسلم من يهودى أو نصرانى قلت وان كان غنيا

الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات * الحكم الثانى فى الآية دلالة على أن الزكاة انما يتولى أخذها الامام أو نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذى نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتأكد هذا النص بقوله خذ من أموالهم صدقة فالقول بأن المالك يجوز له اخراج زكاة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل آخر كقوله وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب أن يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه أفضل * الحكم الثالث مذهب أبى حنيفة أنه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وأبى العالية والنخعى لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم أن يكون كل جزء من أجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذى لا يملك الا عشرين دينارا فأخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على أربعة وعشرين لدفع كل ثلاثة منها الى ثلاثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فى مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى وقال الشافعى لابد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بأن الله تعالى ذكر هذه القسمة فى نص الكتاب ثم أكدها بقوله فريضة من الله وهو فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء فى قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك تعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب

ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الآية بقوله (والله عليم) أى بتقدير الانصباء والمصالح (حكيم) لا يفعل الا ما هو الاصوب والاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط فى صرف الزكاة ومن ههنا قال الشافعى لابد فى كل صنف من ثلاثة لانه تعالى ذكر أكثر الاصناف بلفظ الجمع وأقل الجمع ثلاثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين

قال وان كان غنيا **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معقل بن عبيد الله الجزرى عن الزهرى والمؤلفة قلوبهم قال من هو يهودى أو نصرانى * ثم اختلف أهل العلم فى وجود المؤلفة اليوم وعدمها وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الاسلام من الصدقة فقال بعضهم قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ولا سهم لأحد فى الصدقة المفروضة الا لذى حاجة اليها وفى سبيل الله أو لعامل عليها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والمؤلفة قلوبهم قال أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال لم يبق فى الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم انما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الرحمن ابن يحيى عن حبان بن أبى جبلة قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأتاه عيينة بن حصن الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أى ليس اليوم مؤلفة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال ليس اليوم مؤلفة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال انما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلما ولى أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشا * وقال آخرون المؤلفة قلوبهم فى كل زمان وحقهم فى الصدقات ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال فى الناس اليوم المؤلفة قلوبهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن الله جعل الصدقة فى معنيين أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الاسلام وتقويته فما كان فى معونة الاسلام وتقويته أسبابه فانه يعطاه الغنى والفقير لانه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه اليه وانما يعطاه معونة للدين وذلك كما يعطى الذى يعطاه بالجهاد فى سبيل الله فانه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو لا لسد خلته وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وان كانوا أغنياء استصلاحا باعطائهموه أمر الاسلام وطلب تقويته وتأييده وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الاسلام وعز أهله فلا حجة لمحتج بان يقول لا يتألف اليوم على الاسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم فى الحال التى وصفت وأما قوله وفى الرقاب فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم وهم الجمهور الاعظم هم المكاتبون يعطون منها فى فك رقابهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن الحسين أن مكاتبا قام الى أبى موسى الاشعرى رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال له أيها الامير حث الناس على فحث عليه أبو موسى فالقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتما حتى ألقوا سوادا كثيرا فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع فاعطى المكاتب مكاتبته ثم أعطى الفضل فى الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما أعطى الناس فى الرقاب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن

غرم للثالث أقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل فى أفراد الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فتسهل التسوية بينهم * الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان فى زماننا فبقى ان تصرف الزكاة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف فى بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعى أما اذا لم يفعل ذلك فانها مجزئة عند سائر الأئمة أما الحكمة فى ايجاب الزكاة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق فى حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكاة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم أى عن دنس الاستغراق فى حب المال وأيضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فتصير المسألة دورية لا مقطع لها ولا آخر فاثبت الشرع لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال فى طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلمانى الذى لا آخر له ويفضى فى الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وأيضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها فى التعظيم لامر الله وعملية وكمالها فى الشفقة على خلق الله فأوجب الله الزكاة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محسنا الى الخلق واذا أحسن اليهم أمدوه بالدعاء والهمة وأيضا المال سمى مالا لكثرة ميل كل أحد اليه وهو غاد ورائح فى سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا أنفقه لوجه الله بقى بقاء لا يمكن زواله وفى انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغنى الا عن الشئ لا به لان الاستغناء عن الشئ صفة الحق والاستغناء بالشئ صفة المخلوقين العاجزين ففى الامر بالزكاة نقل للانسان من درجة

قوله وفى الرقاب قال المكاتبون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى الرقاب قال المكاتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن وفى الرقاب قال هم المكاتبون * وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال عنى بالرقاب فى هذا الموضع المكاتبون لاجماع الحجة على ذلك فان الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه فى ماله يخرجها منه لا يرجع اليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض والمعتق رقبة منها راجع اليه ولاء من أعتقه وذلك نفع يعود اليه منها * وأما الغارمون فالذين استدانوا فى غير معصية الله ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولا عرض وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الغارمون من احترق بيته أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ويدان على عياله فهذا من الغارمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله والغارمين قال من احترق بيته وذهب السيل بماله وادان على عياله حدثنا أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمين المستدين فى غير سرف ينبغى للامام أن يقضى عنهم من بيت المال * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألنا الزهرى عن الغارمين قال أصحاب الدين * قال ثنا معقل عن عبد الكريم قال ثنى خادم لعمر ابن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون قال أحمد أكثر ظنى من الصدقات * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون المستدين فى غير سرف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما الغارمون فقوم غرقتهم الديون فى غير املاق ولا تبذير ولا فساد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الغارم الذى يدخل عليه الغرم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد والغارمين قال هو الذى يذهب السيل والحريق بماله ويدان على عياله * قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال المستدين فى غير فساد * قال ثنى أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون الذين يستدينون فى غير فساد ينبغى للامام أن يقضى عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد هم قوم ركبتهم الديون فى غير فساد ولا تبذير فجعل الله لهم فى هذه الآية سهما وأما قوله وفى سبيل الله فانه يعنى وفى النفقة فى نصرة دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى سبيل الله قال الغازى فى سبيل الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة رجل عمل عليها أو رجل اشتراها بماله أو فى سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار تصدق عليه فاهداها له * قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا لثلاثة

أدنى الى درجة أعلى وأيضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح فى الاستغراق فى بحار معرفة الله وبذل البدن فى العبودية لله والصلاة له فكيف يليق به أن لا يبذل المال فى ابتغاء مرضاته وأيضا اذا فضل المال عن قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال أما فى حق المالك فهو أنه سعى فى اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به وأما فى حق الفقير فلاحتياجه الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فأبقى عليه الكثير وأمر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل فى الوجود وأيضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا أنه ألقاها فى أيديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملء بطنه وكم من غافل تأتيه الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال خزانتى الى المحتاجين من عبيدى وأيضا ان الاغنياء لو لم يلزموا باصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها أو على الالتحاق باعداء المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكأن الله تعالى يقول للغنى أعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فأخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فتصير من الصابرين ويقول للفقير ما أعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكنى أوجبت على الغنى ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرنى فتكون من الشاكرين وأيضا أراد الله سبحانه ان يكون الغنى منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغنى بما قبله منه ليحصل الخلاص له فى الدنيا من الذم والعار وفى الآخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من فضائح المنافقين وهو أنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم (هو اذن) عن ابن عباس كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغى

فى سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار فتصدق عليه فاهدى اليه وأما قوله وابن السبيل فالمسافر الذى يجتاز من بلد الى بلد والسبيل الطريق وقيل للضارب فيه ابن السبيل للزومه اياه كما قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتنى وليدا * الى أن شبت واكتهلت لداتى

وكذلك تفعل العرب تسمى اللازم للشئ يعرف بابنه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال ابن السبيل المجتاز من أرض الى أرض حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا منذل عن ليث عن مجاهد وابن السبيل قال لابن السبيل حق من الزكاة وان كان غنيا اذا كان منقطعا به حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن ابن السبيل قال يأتى على ابن السبيل وهو محتاج قلت فان كان غنيا قال وان كان غنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابن السبيل الضيف جعل له فيها حق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن السبيل المسافر من كان غنيا أو فقيرا اذا أصيبت نفقته أو فقدت أو أصابها شئ أو لم يكن معه شئ فحقه واجب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك أنه قال فى الغنى اذا سافر فاحتاج فى سفره قال يأخذ من الزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال ابن السبيل المجتاز من الارض الى الارض وقوله فريضة من الله يقول جل ثناؤه قسم قسمه الله لهم فأوجبه فى أموال أهل الاموال لهم والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفى غير ذلك لا يخفى عليه شئ فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة حكيم فى تدبيره خلقه لا يدخل فى تدبيره خلل * واختلف أهل العلم فى كيفية قسم الصدقات التى ذكرها الله فى هذه الآية وهل يجب لكل صنف من الاصناف الثمانية فيها حق أو ذلك الى رب المال ومن يتولى قسمها فى أن له أن يعطى جميع ذلك من شاء من الاصناف الثمانية فقال عامة أهل العلم للمتولى قسمها وضعها فى أى الاصناف الثمانية شاء وانما سمى الله الاصناف الثمانية فى الآية اعلاما منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الاصناف الثمانية الى غيرها الا ايجابا بالقسم بين الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن الحجاج بن أرطاة عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة فى قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال ان شئت جعلته فى صنف واحد أو صنفين أو ثلاثة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن المنهال عن زر عن حذيفة قال اذا وضعتها فى صنف واحد أجزأ عنك * قال ثنا جرير عن ليث عن عطاء عن عمر انما الصدقات للفقراء قال أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك * قال ثنا ابن نمير عن عبد المطلب عن عطاء انما الصدقات للفقراء الآية قال لو وضعتها فى صنف واحد من هذه الاصناف أجزأك ولو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى * قال أخبرنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل فأى صنف أعطيته من هذه الاصناف

فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فنحلف له فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن سامعة فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى الشيطان

فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبى صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فأرادوا ان يقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذى يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين وفسر ايذاءهم النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم يقولون له هو أذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وأنه ليس ذا ذكاء ولا بعيد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز أن يراد بالايذاء أنواع أخر سوى هذا القول أى يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر أنواع الاذية ويقولون فى وجهه الاعتذار عن ذلك هو أذن يقبل كل ما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا وخفض فيرضى ثم انه سبحانه أجاب عن قولهم فقال (قل أذن خير لكم) بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ومجوز الاضافة هو الملايسة كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن اذا أريد هو أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن فى غير ذلك ويؤيده

أجزألك * قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال انما هذا شئ أعمله فأى صنف من هذه الاصناف أعطيته أجزأ عنك * قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء قال فى أى هذه الاصناف وضعتها أجزألك * قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزألك * قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزألك * قال ثنا خالد بن حيان أبو يزيد عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران انما الصدقات للفقراء قال اذا جعلتها فى صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك * قال ثنا محمد بن بشر عن مسعود عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية قال أعلم أهلها من هم * قال ثنا حفص عن ليث عن عطاء عن عمر أنه كان يأخذ الفرض فى الصدقة ويجعلها فى صنف واحد * وكان بعض المتأخرين يقول اذا تولى رب المال قسمها كان عليه وضعها فى ستة أصناف وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا وان سهم العاملين يبطل بقسمه اياها ويزعم انه لا يجزيه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس وكان يقول ان تولى قسمها الامام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف لا يجزى عنده غير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه وهو من قولهم رجل أذنه مثل فعلة اذا كان يسرع الاستماع والقبول كما يقال هو يقن ويقن اذا كان ذا يقين بكل ما حدث وأصله من أذن له يأذن اذا استمع له ومنه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن ومنه قول عدى بن زيد

أيها القلب تعلل بددن * ان همى فى سماع وأذن

وذكر أن هذه الآية نزلت فى ربيع (١) بن الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله عيبهم يعنى المنافقين وأذاهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن الآية وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى نبتل بن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف وفيه نزلت هذه الآية وذلك أنه قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله قل أذن خير لكم أى يستمع الخير ويصدق به واختلفت القراء فى قراءة قوله قل أذن خير لكم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير يعنى قل لهم يا محمد هو أذن خير لا أذن شر وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك قل أذن خير لكم بتنوين أذن وبصير خير خبرا له بمعنى قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ان كان محمد كما وصفتموه من أنكم اذا آذيتموه فانكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم اياه وعيبكم له سمع منكم وصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون ثم كذبهم فقال بل لا يقبل الا من المؤمنين يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندى فى ذلك قراءة من قرأ قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير

(١) لعله نبتل بن الحرث كما فى الأثر بعد وكما فى كتب التفسير الأخرى وحرر كتبه مصححه

قراءة حمزة رحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام أى هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه أذن خير بانه (يؤمن بالله) أى يقر به و يعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة (و يؤمن للمؤمنين) يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من أهل الغرة والبله (و) هو (رحمة للذين آمنوا منكم) باللسان دون الجنان لانه يجرى أمركم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش

وخفض الخير يعنى قل هو أذن خير لكم لا أذن شر و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن يسمع من كل أحد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن قال كانوا يقولون انما محمد أذن لا يحدث عنا شيأ الا هو أذن يسمع ما يقال له حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و يقولون هو أذن نقول ما شئنا و نحلف فيصدقنا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هو أذن قال يقولون نقول ما شئنا ثم نحلف له فيصدقنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وأما قوله يؤمن بالله فانه يقول يصدق بالله وحده لا شريك له وقوله و يؤمن للمؤمنين يقول و يصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا محمد أذن يقول جل ثناؤه انما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير يصدق بالله و بما جاءه من عنده و يصدق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله وقيل و يؤمن للمؤمنين معناه و يؤمن المؤمنين لان العرب تقول فيما ذكر لنا عنها آمنت له وآمنته بمعنى صدقته كما قيل ردف لكم بعض الذى تستعجلون ومعناه ردفكم وكما قال للذين هم لربهم يرهبون ومعناه للذين هم ربهم يرهبون و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين يعنى يؤمن بالله و يصدق المؤمنين وأما قوله ورحمة للذين آمنوا منكم فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ورحمة للذين آمنوا بمعنى قل هو أذن خير لكم وهو رحمة للذين آمنوا منكم فرفع الرحمة عطفا بها على الاذن وقرأه بعض الكوفيين ورحمة عطفا بها على الخير بتأويل قل أذن خير لكم وأذن رحمة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه ورحمة بالرفع عطفا بها على الاذن بمعنى وهو رحمة للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاءه به من عند به لان الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جناته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقولون هو أذن وأمثالهم من مكذبيه والقائلين فيه الهجر والباطل عذاب من الله موجع لهم فى نار جهنم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم اياه بالطعن عليه والعيب له ومطابقتهم سرا أهل الكفر عليكم بالله والايمان الفاجرة انهم ما فعلوا ذلك وانهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم يبتغون بذلك رضاكم يقول الله جل ثناؤه والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والانابة مما قالوا ونطقوا ان كانوا مؤمنين يقول ان كانوا مصدقين بتوحيد الله مقرين بوعده و وعيده و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا

عن بواطنكم فان الله هو الذى يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وأما من قرأ أذن خير بالرفع فيهما فعلى ان الاذن خير مبتدا محذوف وخير كذلك أى هو أذن هو خير والمعنى هو أذن موصوف بالخيرية فى حقكم لانه يقبل معاذيركم و يتغافل عن جهالاتكم فتحفظ بذلك دماؤكم وأموالكم وقيل التقدير قل أذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله (يؤمن بالله) الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدى وهو ان قوله أذن وان كان رفعا فى الظاهر لكنه نصب فى الحقيقة على الحال وتأويله قل هو أذن اخير لكم ثم ذكر أن من قبائح المنافقين اقدامهم على الأيمان الكاذبة فقال (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) أى كان من الواجب أن يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستسرون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر أو المراد والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك أو وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضا الله ورضا رسوله شئ واحد كما يقال احسان زيد واجماله بعتنى ومعنى (ان كانوا مؤمنين) أى بزعمهم ثم وبخهم بقوله (ألم يعلموا) وذلك أنه يقال ذلك لمن تتوقع فى تعليمه مدة ثم لم يظهر عليه أثر العلم والرشد وكان النبى صلى الله عليه وسلم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه فى الطاعة والضمير فى قوله (أنه) للشأن وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما فى حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما فى شق آخر وقال أبو مسلم هى من الحديد حديد السلاح ثم ذكر فى الجزاء قوله (فان له) بالفتح أى فحق أن

له (نار جهنم) وقيل أن مكرر للتأكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على أنه وجواب من محذوف وهو يهلك قال الزجاج يجوز
كسر ان على الاستئناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره أنه قرئ بالكسر قال السدي، قال بعض المنافقين والله
لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شئ فيفضحنا فأنزل الله تعالى (يحذر المنافقون) وقال مجاهد كانوا يقولون

القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين ويجوز أن تكون الضمائر كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكأنها تخبر عما في بواطنهم وتذيع عليهم أسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به وأجيب بأنهم عرفوا ذلك بالتجربة أو كفرهم كان كفر عناد أو كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في أمر خائف من وقوعه أو هذا الخبر في معنى الامر أي ليحذر المنافقون عن أبي مسلم أنهم أظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا أجابهم الله بقوله (استهزؤا) وهو أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما تحذرونه من نفاقكم أو محصل انزال السورة لان الشئ اذا حصل بعد عدم فكأن فاعله أخرجه من العدم الى الوجود قوله (ولئن سألتهم) الآية عن ابن عمر أن رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء القراء أرغب بطونا أي أوسع ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله وأصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وأنت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال والله ان هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وان كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال فسمعها رجل من المسلمين فقال والله ان ما يقول محمد حق ولأنت شر من الحمار فسعى بها الرجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الرجل فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك قال وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله في ذلك يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم﴾ يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق أنه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما فان له نار جهنم في الآخرة خالدا فيها يقول لابثا فيها مقيما الى غير نهاية ذلك الخزي العظيم يقول فلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذل العظيم وقرأت القراء فأن بفتح الالف من أن بمعنى ألم يعلموا أن لمن حاد الله ورسوله نار جهنم واعمال يعلموا فيها كأنهم جعلوا أن الثانية مكررة على الاولى واعتمدوا عليها اذ كان الخبر معها دون الاولى وقد كان بعض نحويي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها وان دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء وانها اذا كانت جواب الجزاء كان الاختيار فيها الابتداء والقراءة التي لا أستجيز غيرها فتح الالف في كلا الحرفين أعني أن الاولى والثانية لان ذلك قراءة الامصار وللعلة التي ذكرت من جهة العربية ۞ القول في تأويل قوله ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون﴾ يقول تعالى ذكره يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقول تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم وقيل ان الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المنافقين كانوا اذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر شيأ من أمره وأمر المسلمين قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم استهزؤا متهددا لهم متوعدا ان الله مخرج ما تحذرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة قال يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال سرنا هذا وأما قوله ان الله مخرج ما تحذرون فانه يعني به ان الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن﴾ يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ليقولن لك انما قلنا ذلك لعبا وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا يقول الله لمحمد صلى الله

الى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا علىّ الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدى أصل الخوض الدخول فى مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى أطلق على كل دخول فيه تلويث وأذى أى كنا نخوض فى الباطل كما يخوض الركب (١١٩) لقطع الطريق ثم أمر نبيه بأن يقول فى جوابهم

عليه وسلم قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن وكان ابن اسحق يقول الذى قال هذه المقالة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال هذه المقالة فيما بلغنى وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد من بنى عمرو بن عوف حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا الليث قال ثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك مالقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فقال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن مايزيده * قال ثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس مارأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل فى المجلس كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله ابن عمر فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن عكرمة فى قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله بأنهم كانوا مجرمين قال فكان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم انى أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت قال فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا وجد غيره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوته الى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم احبسوا علىّ هؤلاء الركب فأتاهم فقال قلتم كذا قلتم كذا قالوا يانبى الله انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ماتسمعون حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال علىّ بهؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى قوله

(أبالله) أى بتكاليفه أو بأسمائه أو بقدرته حيث استبعدتم اعانته النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على فتح قصور الشام (وآياته) يعنى القرآن (ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم فجعلوا كأنهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بأن أولى الاستفهام الذى يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل أتستهزؤن بالله ثم قال (لا تعتذروا) نقل الواحدى عن أئمة اللغة أن معنى الاعتذار محو أثر الذنب أو قطعه من قولهم اعتذر المنزل ذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر أى تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشئ الذى يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله (قد كفرتم) أى صرحا (بعد ايمانكم) أى بعد الايمان الذى أظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى فى الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرائعه (ان نعف عن طائفة منكم) ذكر المفسرون أنهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك أخف لانه لم يوافق القوم فى الكفر فلاجرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى أنه من خاض فى عمل باطل فعليه أن يجتهد فى التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له ببركة

ذلك القليل أن يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة فى اللغة الجماعة لانها المقدار الذى يمكنه أن يطيف بالشئ ثم يجوز أن يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وأقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس أنه قال الطائفة الواحد فما فوقه ووجه بأن من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد أن يسمى طائفة بهذا السبب والتاء للمبالغة وقال ابن الانبارى

العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعنى نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية (بأنهم كانوا مجرمين) أى مصرين مستمرين على الجرم ويجوز أن يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز أن يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة أحوال المنافقين وان اناسهم فى ذلك كذكورهم فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى فى صفة النفاق وأريد به نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) وهو كل قبيح عقلا أو شرعا وأعظم ذلك تكذيب الله ورسوله ﴿وينهون عن المعروف) وهو كل حسن عقلا أو شرعا وأعظم ذلك الاخلاص فى الايمان (ويقبضون أيديهم) عن كل خير أو عن كل واجب كصدقة أو زكاة أو انفاق فى سبيل الله وهذا أولى لتوجه الذم بتركه وقبض الأيدى كناية عن الشح والبخل كبسطها فى الكرم والسخاء (نسوا الله) أغفلوا أمره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقى لا يتوجه عليه الذم (فنسيهم) جازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسى شيأ لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال (ان المنافقين هم الفاسقون) وفيه دليل على انهم هم الكاملون فى الفسق وأن على المسلم أن يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال أهل النفاق والكفر فقال (وعد الله) الآية ومعنى (خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها قاله فى الكشاف ويحتمل أن يراد مستأهلين للخلود (هى حسبهم) كافيهم فى الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذب امقرونا بالاهانة والطرد (ولهم عذاب مقيم) نوع آخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار أو عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين

مجرمين وان رجليه ليسفعان بالحجارة وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما كنا نخوض ونلعب قال قال رجل من المنافقين يحدث ان محمدا أن ناقة فلان بوادى كذا وكذا فى يوم كذا وكذا وما يدريه ما الغيب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم لا تعتذروا بالباطل فتقولوا كنا نخوض ونلعب قد كفرتم يقول قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به بعد ايمانكم يقول بعد تصديقكم به واقراركم به ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وذكر أنه عنى بالطائفة فى هذا الموضع رجل واحد وكان ابن اسحق يقول فيما **حدثنا** به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى عفى عنه فيما بلغنى مخشى بن حمير الأشجعى حليف بنى سلمة وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حبان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ان نعف عن طائفة منكم قال طائفة رجل * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ان نعف عن طائفة منكم بانكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر نعذب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال بعضهم كان رجل منهم لم يعالجهم فى الحديث فيسير مجانبا لهم فنزلت ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فسمى طائفة وهو واحد * وقال آخرون بل معنى ذلك ان تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه يعذب الله طائفة منكم بتركه التوبة وأما قوله انهم كانوا مجرمين فان معناه نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم وهو الكفر بالله وطعنهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره المنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون للمؤمنين الايمان بألسنتهم ويسرون الكفر بالله ورسوله بعضهم من بعض يقول هم صنف واحد وأمرهم واحد فى اعلانهم الايمان واستبطانهم الكفر يأمرون من قبل منهم بالمنكر وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه وينهون عن المعروف يقول وينهونهم عن الايمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله وقوله ويقبضون أيديهم يقول ويمسكون أيديهم عن النفقة فى سبيل الله ويكفونها عن الصدقة فيمنعون الذين فرض الله لهم فى أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ويقبضون أيديهم قال لا يبسطونها بنفقة فى حق **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه

حدثنا

بالكفار الذين كانوا قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب (كالذين من قبلكم) أى أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثانى نصب ثم وصف أولئك الكفار بأنهم كانوا أشد قوة أى جسامة من هؤلاء المنافقين (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) وهو ما خلق للانسان أى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب أى أثبت (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الأولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا وأجيب بأنه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية فى المبالغة قال جار الله نظيره أن تقول لبعض الظلمة أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وأنت تفعل مثل فعله وأما قوله (وخضتم كالذى خاضوا) فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذى كالخوض الذى خاضوه أو كالفوج الذى خاضوا وقيل أصله كالذين فحذف النون ثم بين أن أولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال أما فى الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وأما فى الآخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم فى هذه الاعمال والفضائح مع ضعف بنيتهم وقلة عددهم وعددهم أولى بخزى الدارين وخسار الأمرين ﴿ التأويل انما الصدقات وهى

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقبضون أيديهم لا يبسطونها بخير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويقبضون أيديهم قال يقبضون أيديهم عن كل خير وأما قوله نسوا الله فنسيهم فان معناه تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته * وقد دل المنافيما مضى على أن معنى النسيان الترك بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نسوا الله فنسيهم نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر قوله ان المنافقين هم الفاسقون يقول ان الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الايمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الايمان به وبرسوله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله نار جهنم أن يصليهموها جميعا خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا لا يحيون فيها ولا يموتون هى حسبهم يقول هى كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله ولعنهم الله يقول وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ولهم عذاب مقيم يقول وللفريقين جميعا يعنى من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب أبالله وآياته وكتابه ورسوله كنتم تستهزؤن كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله وعجل لهم فى الدنيا الخزى مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال فى الآخرة يقول لهم جل ثناؤه واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حل بهم فانهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا وأكثر منكم أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم يقول فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ورضوا بذلك من نصيبهم فى الدنيا عوضا من نصيبهم فى الآخرة وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم فى الاستمتاع بخلاقكم يقول فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى بخلاقهم يقول كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم وخضتم فى الكذب والباطل على الله كالذى خاضوا يقول وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون نحو خوض تلك الأمم قبلكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى أبو معشر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذ الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم القرآن كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم قال فهل الناس الا هم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

صدقات مواهب الله كما قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده الفقراء وهم الأغنياء بالله الذين قنوا عنهم وبقوابه والمساكين الذين لهم بقية أوصاف الوجود ألفوا سفينة القلب فى بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم أرباب الاعمال كما كان الفقراء

والمساكين أرباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله وفى الرقاب الذين يريدون أن يتخلصوا عن رق الموجودات تحرير لعبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين الذين استقرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفى سبيل الله المجاهدين الجهاد الأكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن أوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على أقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله أوجبها على ذمة كرمه كما قال ألا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فى معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا او يقولون هو أذن رأوا محامده بنظر المذمة والعيب قل أذن خير لكم أى سامعيته خير لكم لان له مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائد ايمانه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغنى عن القدر ان نعف عن طائفة اظهارا للفضل والرأفة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان أرواحهم كانت فى صف واحد فى الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات أرواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصى لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هى حسبهم لانها نصيبهم فى الازل كانوا أشد منكم قوة بالاستعداد الفطرى وضيعوها فى الاستمتاع العاجل خسروا رأس المال ولم يربحوا ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين عن والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله

عن عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قوله كالذين من قبلكم الآية قال قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لا أعلم الا أنه قال والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج وأخبرنى زياد ابن سعد عن محمد بن زيد بن مهاجر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله أهل الكتاب قال فمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال أبو سعيد الخدرى انه قال فمن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فاستمتعوا بخلاقهم قال بدينهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذركم أن تحدثوا فى الاسلام حدثا وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام من هذه الامة فقال الله فى ذلك فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا وانما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببنى اسرائيل قبلهم وان الفتنة عائدة كما بدت وأما قوله أولئك حبطت أعمالهم فان معناه هؤلاء الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الامم قبلهم حبطت أعمالهم يقول ذهبت أعمالهم باطلا فلا ثواب لها الا النار لانها كانت فيما يسخط الله ويكرهه وأولئك هم الخاسرون يقول وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله وينهون عن الايمان به وبرسوله نبأ الذين من قبلهم يقول خبر الامم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا ثم بين جل ثناؤه من أولئك الامم التى قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم فقال قوم نوح ولذلك خفض القوم لانه ترجم بهم عن الذين والذين فى موضع خفض ومعنى الكلام ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعى بهم اذ كذبوا رسولى نوحا وخالفوا أمرى ألم أغرقهم بالطوفان وعاد يقول وخبر عاد اذ عصوا رسولى هودا ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية وخبر ثمود اذ عصوا رسولى صالحا ألم أهلكهم بالرجفة فاتركهم بافنيتهم خمودا وخبر قوم ابراهيم اذ عصوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمرود وخبر أصحاب مدين بن ابراهيم ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة اذ كذبوا رسولى شعيبا وخبر المنقلبة بهم أرضهم فصار أعلاها أسفلها اذ عصوا رسولى لوطا وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق يقول تعالى ذكره أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزؤن بالله وبآياته ورسوله أن يسلك بهم فى الانتقام منهم وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا سبيل أسلافهم من الامم ويحل بهم بتكذيبهم رسولى محمدا صلى الله عليه وسلم ما حل بهم فى تكذيبهم رسلنا اذ أتتهم بالبينات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر

المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم
يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم
الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير
* ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا
به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم
نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما
أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا
يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم
ونجواهم وأن الله علام الغيوب
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
فى الصدقات والذين لا يجدون الا
جهدهم فيسخرون منهم سخر الله
منهم ولهم عذاب أليم ۞ القرآت
والمؤتفكات وبابه بغير همز أبو عمرو
غير شجاع وورش ويزيد والحلوانى
عن قالون والاعشى وحمزة فى الوقف
۞ الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات
ج لابتداء النفى مع فاء التعقيب
يظلمون ○ أولياء بعض م
لما مر ورسوله ط سيرحمهم
الله ط حكيم ○ عدن ط
أكبر ط العظيم ○ واغلظ عليهم
ط جهنم ط المصير ○ ما قالوا
ط لم ينالوا ج من فضله ط
خيرا لهم ج والآخرة ج ولا
نصير ○ من الصالحين ○ معرضون
○ يكذبون ○ علام الغيوب
○ ج لاحتمال النصب أو الرفع
على الذم وكونه بدلا من الضمير فى
نجواهم فيسخرون منهم ط
سخر الله منهم ط لاتمام الجزاء
مع اختلاف النظم أليم ○

عن قتادة والمؤتفكات قال قوم لوط انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها **حدثنا** بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والمؤتفكات قال هم قوم لوط فان قال قائل فان
كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط فكيف قيل المؤتفكات فجمعت ولم توحد قيل انها كانت قريات
ثلاثا فجمعت لذلك ولذلك جمعت بالتاء على قول الله والمؤتفكة أهوى فان قال وكيف قيل أتتهم
رسلهم بالبينات وانما كان المرسل اليهم واحدا قيل معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول
يدعوهم الى الله فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم اليهم للدعاء الى الله عن رسالته
رسلا اليهم كما قالت العرب لقوم نسبوا الى أبى فديك الخارجى الفديكات وأبو فديك واحد ولكن
أصحابه لما نسبوا اليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا الى رئيسهم فكذلك قوله أتتهم رسلهم بالبينات
وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الامم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية
رسلهم من الله بالبينات وقوله فما كان الله ليظلمهم يقول جل ثناؤه فما أهلك الله هذه الامم التى ذكر
أنه أهلكها الا باجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلما من الله لهم ولا
وضعا منه جل ثناؤه عقوبة فى غير من هو لها أهل لأن الله حكيم لا خلل فى تدبيره ولا خطأ فى تقديره
ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم
فحقت عليهم كلمة العذاب فعذبوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وأما المؤمنون والمؤمنات
وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه فان صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم يأمرون
بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ويقيمون الصلاة يقول
ويؤدون الصلاة المفروضة ويؤتون الزكاة يقول ويعطون الزكاة المفروضة أهلها ويطيعون الله
ورسوله فيأتمرون لامر الله ورسوله وينتهون عما نهياهم عنه أولئك سيرحمهم الله يقول هؤلاء الذين
هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته لا أهل النفاق والتكذيب بالله
ورسوله الناهون عن المعروف الآمرون بالمنكر القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم ان
الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به لا يمنعه من
الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر حكيم فى انتقامه منهم وفى جميع أفعاله * وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن
أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كل ما ذكر الله فى القرآن من الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهى عن المنكر
النهى عن عبادة الاوثان والشياطين * قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن
عباس قوله يقيمون الصلاة قال الصلوات الخمس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان
من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله
وأقروا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء جنات تجرى من تحتها الانهار يقول بساتين

۞ التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان أولئك الكفار من هم فذكر
ست طوائف سمع العرب أخبارهم لأن بلادهم وهى الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف
الاستفهام للتقرير فأولهم قوم نوح وقد أهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد وأهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود وأخذوا بالصيحة

ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر ملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم أصحاب مدين قوم شعيب أخذتهم الرجفة وسادسهم أصحاب المؤتفكات قوم لوط أمطر الله عليهم الحجارة بعد أن جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن أن يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب أحوالهم من الخير الى الشر

ثم قال (أتتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات ولابد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) قالت المعتزلة أى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقدم الكلام فى أمثال ذلك ثم بين أن شأن المؤمنين فى الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال (والمؤمنون) الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا أولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق أتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم وبمقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة فى الاستدلال والتوفيق والهداية وأقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم فى أمر من الامور بالجملة كالدار أو حكم من الاحكام الشرعية أو سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل أن يكون تكلفا أو بطريق النفاق لان سببه انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم فى ذلك بلفظ من لمكان الاحتمال المذكور وأما تشارك المؤمنين فى السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضى الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وهاتان لهم فى أنفسهم وهما بازاء قوله فى صفة المنافقين حدثنى ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال (ويطيعون الله ورسوله) أى فى كل ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما أعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال (أولئك سيرحمهم الله) والسين تفيد المبالغة فى انجاز الوعد بالرحمة

تجرى تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لا يبغين فيها أبدا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ومساكن طيبة يقول ومنازل يسكنونها طيبة وطيبها أنها فيما ذكرنا كما حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمن عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية فى كتاب الله تبارك وتعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من لؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا قرة ابن حبيب عن حسن بن فرقد عن الحسن عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وأما قوله فى جنات عدن فانه يعنى هذه المساكن الطيبة التى وصفها جل ثناؤه فى جنات عدن وفى من صلة مساكن وقيل جنات عدن لانها بساتين خلد واقامة لا يظعن منها أحد وقيل انما قيل لها جنات عدن لانها دار الله التى استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه من قول العرب عدن فلان بأرض كذا اذا أقام بها وخلد بها ومنه المعدن ويقال هو فى معدن صدق يعنى به أنه فى أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

وان تستضيفوا الى حكمه * تضافوا الى راجح قد عدن

وينشد قد وزن * وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأولونه حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس جنات عدن قال معدن الرجل الذى يكون فيه حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا الكندى سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة ابن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل فى الساعة الاولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك وذكر فى الساعة الثالثة حدثنى موسى بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا الليث بن سعد قال ثنا زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله تبارك وتعالى طوبى لمن دخلك * وقال آخرون معنى جنات عدن جنات أعناب وكروم ذكر من قال ذلك

كما يؤكد الوعيد به اذا قلت سأنتقم منك يوما يعني أنك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الآية بقوله (ان الله عزيز حكيم) وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما أجمل من الرحمة بقوله (وعد الله المؤمنين) الآية وقد كثر (١٢٥) كلام أصحاب الآثار في معنى جنات عدن فقال

حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي قال ثنا زكريا بن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث أن ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن فقال هي الكروم والاعناب بالسريانية * وقال آخرون هي اسم لبطنان الجنة ووسطها ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن سليمان الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال عدن بطنان الجنة حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان وشعبة عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله جنات عدن قال بطنان الجنة قال ابن بشار في حديثه فقلت ما بطنانها وقال ابن المثنى في حديثه فقلت للاعمش ما بطنان الجنة قال وسطها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة وأبي الضحى عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بمثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا أو عن أحدهما عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قول الله جنات عدن قال بطنان الجنة * وقال آخرون عدن اسم لقصر ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبدة أبو غسان عن عون بن موسى الكناني عن الحسن قال جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ورفع به صوته حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا عبد الله بن عاصم قال ثنا عون بن موسى قال سمعت الحسن ابن أبي الحسن يقول جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل رفع الحسن به صوته حدثنا أحمد قال ثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والروح له خمسون ألف باب على كل باب حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق حدثنا الحسن ابن ناجح قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت يعقوب بن عاصم يحدث عن عبد الله بن عمرو أن في الجنة قصرا يقال له عدن له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد * وقيل هي مدينة الجنة ذكر من قال ذلك حدثت عن عبد الرحمن المحاربي عن جويبر عن الضحاك في جنات عدن قال هي مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها وقيل انه اسم نهر ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربي عن واصل بن السائب الرقاشي عن عطاء قال عدن نهر في الجنة جنانه على حافتيه وأما قوله ورضوان من الله أكبر فان معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك

الحسن سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك أجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها قاله الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستنقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على أن عدنا علم ويؤيده قوله

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب أن أصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا أقام به ومنه المعدن للمكان الذي تخلق فيه الجواهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا أن يغلب الاسم على بعضها (ورضوان من الله) شئ يسير من رضاه (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على أن

السعادات الروحانية أعلى حالا وأشرف مآلا من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على أن الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث الشرع (ذلك) الموعود والرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك

عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا يارب وأي شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا **حدثنا** ابن حميد قال ثني يعقوب عن حفص عن شمر قال يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب الى الرجل حين ينشق عنه قبره فيقول أبشر بكرامة الله أبشر برضوان الله فيقول مثلك من يبشر بالخير ومن أنت فيقول أنا القرآن الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك فيحمله على رقبته حتى يوافي به ربه فيمثل بين يديه فيقول يارب عبدك هذا اجزه عني خيرا فقد كنت أسهر ليله وأظمئ نهاره وآمره فيطيعني وأنهاه فيطيعني فيقول الرب تبارك وتعالى فله حلة الكرامة فيقول أي رب زده فانه أهل ذلك فيقول فله رضواني قال ورضوان من الله أكبر وابتدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كل ماذكر جل ثناؤه فرفع وان كان الرضوان فيما قد وعدهم ولم يعطف به في الاعراب على الجنات والمساكن الطيبة ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ماقسم لهم من فضله واعطاهم من كرامته نظير قول القائل في الكلام لآخر اعطيتك ووصلتك بكذا وأكرمتك ورضاي بعد عنك أفضل ذلك هذه الاشياء التي وعدت المؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم لانهم ظفروا بكرامة الأبد ونجوا من الهوان في السقر فهو الفوز العظيم الذي لاشئ أعظم منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين فقال بعضهم أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم عن حسن بن صالح عن علي بن الاقمر عن عمرو بن جندب عن ابن مسعود في قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه * وقال آخرون بل أمره بجهادهم باللسان ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم **حدثنا** القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس جاهد الكفار والمنافقين قال الكفار بالقتال والمنافقين أن تغلظ عليهم بالكلام **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يقول جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم * وقال آخرون بل أمره باقامة الحدود عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن جاهد الكفار والمنافقين قال جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحدود أقم عليهم حدود الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

قالوا وأي شئ أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا ثم عاد مرة أخرى الى شرح أحوال المنافقين فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) قال الضحاك أي جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا تجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف بأن النسق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرفه الله حالهم فصاروا كسائر الكفرة فحارقتالهم وزيف بأنه وان علم حالهم بالوحي الا أنه مأمور بأن يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح أن الجهاد بذل المجهود في حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه بأن يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها واعترض عليه بأن اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر عنه بأنه قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق أو لان الغالب ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها يا أهل النفاق ماهذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ماقالوا شيأ من ذلك فأنزل الله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) وعن قتادة

أن رجلين اقتتلا رجل من جهينة و رجل من غفار فظهر الغفارى على الجهنى فنادى عبد الله بن أبى يابنى الأوس انصروا أخاكم فوالله مامثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فجعل يحلف بالله ماقال فنزلت الآية (وكفروا بعد اسلامهم) أنهم أظهروا الكفر بعد ما كانوا يظهرون الاسلام أما قوله (وهموا بما لم ينالوا) فهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك أنه توافق خمسة عشر رجلا منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل و كان عمار بن ياسر أخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل و بقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم ياأعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقدم فى تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبى وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم) كقول القائل

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجمعوا الاموال وروى أنه قتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال (فان يتوبوا يك) يعنى ذلك الرجوع (خيرا لهم) و كان الجلاس

يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف و يغلظ على المنافقين فى الحدود * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب ماقال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذى أمره به من جهاد المشركين فان قال قائل فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم قيل ان الله تعالى ذكره انما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ثم أقام على اظهاره ما أظهر من ذلك وأما من اذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها ورجع عنها وقال انى مسلم فان حكم الله فى كل من أظهر الاسلام بلسانه أن يحقن بذلك له دمه وماله وان كان معتقدا غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله اياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لان أحدهم كان اذا اطلع عليه انه قد قال قولا كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الاسلام بلسانه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه الا بما أظهر له من قوله عند حضوره اياه وعزمه على امضاء الحكم فيه دون ماسلف من قول كان نطق به قبل ذلك ودون اعتقاد ضميره الذى لم يبح الله لاحد الأخذ به فى الحكم وتولى الاخذ به هو دون خلقه وقوله واغلظ عليهم يقول تعالى ذكره واشدد عليهم بالجهاد والقتال والارعاب وقوله ومأواهم جهنم يقول ومساكنهم جهنم وهى مثواهم ومأواهم وبئس المصير يقول و بئس المكان الذى يصار اليه جهنم * القول فى تأويل قوله ﴿يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى نزلت فيه هذه الآية والقول الذى كان قاله الذى أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ماقاله فقال بعضهم الذى نزلت فيه هذه الآية الجلاس بن سويد بن الصامت وكان القول الذى قاله ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت فى الجلاس بن سويد بن الصامت قال ان كان ماجاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمير فقال له ابن امرأته والله ياعدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فانى ان لا أفعل أخاف أن تصيبنى قارعة وأؤاخذ بخطيئتك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الجلاس فقال ياجلاس أقلت كذا وكذا فحلف ماقال فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه قال نزلت هذه الآية يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم فى الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ماجاء به محمد حقا لنحن أشر من حميرنا هذه التى نحن عليها فقال مصعب أما والله ياعدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وخشيت أن ينزل فى القرآن أو تصيبنى قارعة أو ان أخلط قلت

ممن تاب فحسنت توبته (وان يتولوا) يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) بالقتل والسبى واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل فى القبر وأما عذاب الآخرة فمعلوم (ومالهم فى الارض) يحتمل أرض الدنيا وأرض القيامة ثم بين أن هؤلاء كما ينافقون الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال (ومنهم من عاهد الله) روى عن أبى امامة الباهلى

أن ثعلبة بن حاطب الانصارى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال فضة وذهبا لسارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأوتين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ماسواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر خبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا وأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية ما أدرى ماهذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الى فانطلقا وأخبرا السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسى بها طيبة فأخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال أروني كتابكما ثم قال ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فخرج اليه وقال يا ويحك أنت يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعنى ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبل

يارسول أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة أن أؤاخذ بخطيئته أو تصيبنى قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له ياجلاس أقلت الذى قال مصعب قال فحلف فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال تلك المقالة فيما بلغنى الجلاس ابن سويد بن الصامت فرفعها عنه رجل كان فى حجره يقال له عمير بن سعيد فانكر فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغنى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كلمة الكفر قال أحدهم لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فقال له رجل من المؤمنين ان ما قال لحق ولأنت شر من حمار قال فهم المنافقون بقتله فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى أيوب بن اسحق بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر الآية * وقال آخرون بل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول قالوا والكلمة التى قالها ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله ما قالوا الى قوله من ولى ولا نصير قال ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار وظهر الغفارى على الجهنى فقال عبد الله بن أبى للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة أن الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبى ابن سلول والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بان ذلك من أى ذا كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ويتوصل به الى يقين العلم به وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل فالصواب ان يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأما قوله وهموا بما لم ينالوا فان أهل التأويل اختلفوا فى الذى كان هم بذلك (١) وما الشئ الذى كان هم به أقتل ابن امرأته الذى سمع منه ما قال وخشى ان يفشيه عليه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون بقتله يعنى قتل المؤمن الذى قال له

(١) فى العبارة سقط ولعل الاصل فقال بعضهم كان الذى هم الجلاس بن سويد والشئ الذى كان هم به قتل ابن امرأته

منه شيأ رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها فقبض أبو بكر وأبى أن يقبلها ثم جاء بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وكذا فى خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفا افتداء

أنت شر من الحمار فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد به * وقال آخرون كان الذى هم رجلا من قريش والذى هم به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شبل عن جابر عن مجاهد فى قوله وهموا بما لم ينالوا قال رجل من قريش هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الاسود * وقال آخرون الذى هم عبد الله بن أبى ابن سلول وكان همه الذى لم ينله قوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل من قول قتادة وقد ذكرناه وقوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر لنا أن المنافق الذى ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر كان فقيرا فأغناه الله بأن قتل له مولى فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته فلما قال ما قال قال الله تعالى وما نقموا يقول ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام ابن عروة عن أبيه وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وكان الحلاس قتل له مولى له فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى فذلك قوله وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله * قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قضى النبى صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا فى مولى لبنى عدى بن كعب وفيه أنزلت هذه الآية وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال كانت لعبد الله بن أبى دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان قال ثنا عمرو قال سمعت عكرمة ان مولى لبنى عدى بن كعب قتل رجلا من الانصار فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا وفيه أنزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال عمرو لم أسمع هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من عكرمة يعنى الدية اثنى عشر ألفا حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا محمد بن سنان العوقى قال ثنا محمد بن مسلم الطائفى عن عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثنى عشر ألفا فذلك قوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال يأخذ الدية وأما قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم يقول تعالى ذكره فان يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذى قالوه فرجعوا عنه يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق وان يتولوا يقول وان يدبروا عن التوبة فيأبوها ويصروا على كفرهم يعذبهم الله عذابا أليما يقول يعذبهم عذابا موجعا فى الدنيا اما بالقتل واما بعاجل خزى لهم فيها ويعذبهم فى الآخرة بالنار وقوله وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير يقول وما لهؤلاء المنافقين ان عذبهم الله فى عاجل الدنيا من ولى يواليه على منعه من عقاب الله ولا نصير ينصره من الله فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ان احتاجوا الى نصرهم وذكر أن الذى نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه

برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول وماذا الا بشؤم اللجاج أولا وآخرا قال بعض العلماء المعاهدة أعم من أن تكون باللسان أو بالقلب وقال المحققون انه لابد من التلفظ بها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن أمتى ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول اللسانى والمراد بالفضل ايتاء المال بطريق التجارة أو الاستغنام ونحوهما وأصل لنصدقن لنتصدقن أدغمت التاء فى الصاد والمصدق المعطى لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ومعنى قوله (ولنكونن من الصالحين) عن ابن عباس أنه أراد الحج ولعل المراد احراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعى والتولى نقض العهد والاعراض أراد به الاحجام عن تكاليف الله وأن ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظة البخل عليه وهو فى عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة فى قوله لنصدقن هى الصدقة الواجبة وأن الرجل قد عاهد ربه أن يقوم بما

 يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل فى الآية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن فى وقته الذى يليق به وفى الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما

ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه (فاعقبهم نفاقا) عن الحسن وقتادة ان أعقب مسند الى ضمير البخل أى أورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التأويل ان جعل عائدا الى التولى أو الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا فى حصول النفاق فى القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو أمر وجودى والعدم لا يؤثر فى الوجود ولان هذا الترك قد يوجد فى حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو أوجب حصول الكفر فى القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا أو محرما فسبب اختلافات الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل أو التولى أو الاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الآية ان التولى أوجب النفاق بسبب التولى وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا أن يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على أن خالق الكفر فى القلوب هو الله ومن هنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا فى الماضى فالله تعالى يضلهم عن الدين فى المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير فى أعقبهم لله أن الضمير فى قوله (الى يوم يلقونه) عائد الى الله وللمعتزلة أن يقولوا النفاق وان سلم انه وجودى لكنه أمر شرعى ولا يبعد جعل شئ عدمى أمارة عليه وأيضا الترك المقرون بالتولى والاعراض لا نسلم أنه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم أن البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من أين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولا يجوز أن يراد فأعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم فى قلوبهم يوم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف أو يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا ولاهل السنة أن يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع أن الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الآية يدل

فان يتوبوا يك خيرا لهم قال قال الجلاس قد استثنى الله لى التوبة فانا أتوب فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم الآية فقال الجلاس يا رسول الله انى أرى الله قد استثنى لى التوبة فأنا أتوب فتاب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من عاهد الله يقول أعطى الله عهدا لئن آتانا من فضله يقول لئن أعطانا الله من فضله ورزقنا مالا ووسع علينا من عنده لنصدقن يقول لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربنا ولنكونن من الصالحين يقول ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به وانفاقه فى سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى فرزقهم الله وآتاهم من فضله فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذى آتاهم فلم يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة ولم ينفقوا منه فى حق الله وتولوا يقول وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله وهم معرضون عنه فأعقبهم الله نفاقا فى قلوبهم بخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله واخلافهم الوعد الذى وعدوا الله ونقضهم عهده فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه من الصدقة والنفقة فى سبيله وبما كانوا يكذبون فى قيلهم وحرمهم التوبة منه لانه جل ثناؤه اشترط فى نفاقهم أنه أعقبهموه الى يوم يلقونه وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا * واختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتانى الله من فضله آتيت منه كل ذى حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله فأخلف الله ما وعده وأغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه فى القرآن ومنهم من عاهد الله الآية الى قوله يكذبون حدثنى المثنى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا محمد بن شعيب قال ثنا معاذ بن رفاعة السلمى عن أبى عبد الملك على بن يزيد الالهانى أنه أخبره عن القاسم ابن عبد الرحمن انه أخبره عن أبى امامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الانصارى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان

على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ فى الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصرى أن نقض العهد يوجب النفاق لاستحالة تمسكا بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان وقال عطاء عن أبى رباح حدثنى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق فى المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وأؤتمنوا على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد أخلف كما ذكره الله فيمن عاهده واذا أؤتمن على دين الله خان فى السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء أرسل الى الحسن رجلا فقال ان أولاد يعقوب حدثوه فى قولهم فأكله الذئب فكذبوا ووعدوه فى قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وأتمنهم أبوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن فى مذهبه قال أهل التفسير قوله الى يوم يلقونه دل على أن ذلك المعاهد يموت على ذلك وكان كما أخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائى هذا الالقاء لا شك أنه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء فى القرآن ليس بمعنى الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد فى القرآن كذلك كقوله الذين يظنون أنهم ملاقوربهم ثم وبخهم على التجاهل أو عدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم وتناجيهم فقال (ألم يعلموا) الآية والسر ما ينطوى عليه الصدر والنجوى ما يكون بين اثنين وأكثر مع الاخفاء عن غيرهم والترتيب يدل على التخليص كما مر فى الانجاء كأن المتناجيين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الآية كيف تتجرؤن على النفاق الذى الاصل فيه الاستسرار والتناجى فيما بينهم مع أنه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على أى وجه يفرض

يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية ما أدرى ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن تأخذ هذا منك قال بلى فخذوه فان نفسى بذلك طيبة وانما هى لى فأخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال أروانى كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى فأنزل الله تبارك وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثى على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبضها فلما ولى عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا لا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها ثم ولى عثمان رحمة الله عليه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رحمة الله عليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية ذكر لنا أن رجلا من الانصار أتى على مجلس من الانصار فقال لئن آتاه الله مالا ليؤدين الى كل ذى حق حقه فآتاه الله مالا فصنع فيه ما تسمعون قال فلما آتاهم من فضله بخلوا به الى قوله وبما كانوا يكذبون ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة الى بنى اسرائيل قالت بنو اسرائيل ان التوراة كثيرة وانا لا نفرغ لها فسل لنا ربك جماعا من الامر نحافظ عليه ونتفرغ فيه لعلنا نشك قال يا قوم مهلا مهلا هذا كتاب الله ونور الله وعصمة الله قال فأعادوا عليه فأعاد عليهم قالها ثلاثا قال فأوحى الله الى موسى ما يقول عبادى قال يا رب يقولون كيت وكيت قال فانى آمرهم بثلاث ان حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة أن ينتهوا الى قسمة الميراث فلا يظلموا

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على أن يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يارسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها فى سبيل الله وأمسكت نصفها لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وقيل صولحت احداهما على ثمانين ألفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال أجرت الليلة الماضية نفسى من رجل لارسال الماء الى نخله فاخذت صاعين من تمر أمسكت أحدهما لعيالى وأقرضت الآخر لربى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر والله غنى عن صاعه فأنزل الله سبحانه (الذين يلمزون المطوعين) أى المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شئ قليل يعيش به المقل قاله الليث وقال الفراء الضم لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبى الاول فى العمل والثانى فى القوة (سخر الله منهم) خبر لادعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة أو المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد أنه تعالى يكافئهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليه وانما توجه الذم على المنافقين فى هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطى الكثير كعبد الرحمن بن عوف وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك أمر استأثر الله به ورسوله فذكر

وأيضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما لم يقدر الا عليه فقد بذل كل ماله فعلم منه غالبا أنه ان قدر على أكثر من ذلك لم يكن منه منع وسعى الانسان فى أن يضم نفسه الى أهل الخير والدين خير له من أن يضم نفسه الى أهل الكسل والبطالة ولو لم تكن فيه الا الثقة بالله والدخول

فيها ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم وأن لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤا وضوء الصلاة قال فرجع بهن نبى الله صلى الله عليه وسلم الى قومه ففرحوا وراعوا أنهم سيقومون بهن قال فوالله ما لبث القوم الا قليلا حتى جنحوا وانقطع بهم فلما حدث نبى الله بهذا الحديث عن بنى اسرائيل قال تكفلوا لى بست أتكفل لكم بالجنة قالوا ما هن يارسول الله قال اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا أؤتمنتم فلا تخونوا وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم أبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم عن الزنا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ثلاث من كن فيه صار منافقا وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا وعد أخلف * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجلان أحدهما ثعلبة والآخر معتب بن قشير ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى الآخر وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير هما من بنى عمرو بن عوف **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله قال رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم الله بخلوا به **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم بخلوا به فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا لنصدقن فلم يفعلوا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين فلما آتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقا الى يوم يلقونه ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو كما أصاب ابليس حين منعه التوبة * قال أبو جعفر فى هذه الآية الابانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق أعنى فى قوله فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ووردت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض من قال ذلك **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر وأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله يكذبون **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن صبيح بن عبد الله بن عميرة عن عبد الله بن عمر قال ثلاث من كن فيه كان منافقا اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان قال وتلا هذه الآية ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر الآية **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت صبيح بن عبد الله القيسى يقول سألت عبد الله بن عمرو عن المنافق

فذكر نحوه **حدثني** محمد بن معمر قال ثنا أبو هشام المخزومي قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا عثمان بن حكيم قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث بالكذب والاخلاف والخيانة فالتمستها في كتاب الله زمانا لا أجدها ثم وجدتها في آيتين من كتاب الله قوله ومنهم من عاهد الله حتى بلغ وبما كانوا يكذبون وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض هذه الآية **حدثني** القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا أسامة قال ثنا محمد المخرمي قال سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان فقلت للحسن يا أبا سعيد لئن كان لرجل على دين فلقيني فتقاضاني وليس عندي وخفت أن يحبسني وبهلكني فوعدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل أمنافق أنا قال هكذا جاء الحديث ثم حدث عن عبد الله ابن عمرو أن أباه لما حضره الموت قال زوجوا فلانا فاني وعدته أن أزوجه لا ألقى الله بثلث النفاق قال قلت يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن قال هكذا جاء الحديث قال فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح فأخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن وبالذي قلت له وقال لي فقال أعجزت أن تقول له أخبرني عن اخوة يوسف عليه السلام ألم يعدوا أباهم فأخلفوه وحدثوه فكذبوه وأتمنهم فخانوه أمنافقين كانوا ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبي وجدهم نبي قال فقلت لعطاء يا أبا محمد حدثني بأصل النفاق وبأصل هذا الحديث فقال حدثني جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة الذين حدثوا النبي فكذبوه وأتمنهم على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه قال وخرج أبو سفيان من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون وأنزل في المنافقين ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فاذا لقيت الحسن فاقرئه السلام وأخبره بأصل هذا الحديث وبما قلت لك قال فقدمت على الحسن فقلت يا أبا سعيد ان أخاك عطاء يقرئك السلام فأخبرته بالحديث الذي حدث وما قال لي فأخذ الحسن بيدي فاما لها وقال يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا سمع مني حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله صدق عطاء هكذا الحديث وهذا في المنافقين خاصة **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يعقوب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وان صلى وصام وزعم أنه مسلم فهو منافق فقيل له ما هي يا رسول الله فقال النبي عليه السلام اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثنا ميسرة عن الاوزاعي عن هرون بن رياب عن عبد الله بن عمرو بن وائل أنه لما حضرته الوفاة قال ان فلانا خطب الى ابنتي واني كنت قلت له فيها قولا شبيها بالعدة والله لا ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم اني قد زوجته * وقال قوم كان العهد الذي عاهد الله هؤلاء المنافقون شيأ نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به

الضروري ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا أيها النبي يعني القلب الذي له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة في الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم في المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى تمرن نفوسهم والا فأواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهي التي توجب الانكار والاعتراض على الشيخ وهموا بما لم ينالوا أي أثبتوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل أوانها وما نقموا الا أن الشيخ زباهم بلبان فضل الله عن حلمة الولاية فلم يحتملوا الضيق حوصلة الهمة ومريد الطريقة أعظم من مريد الشريعة فلهذا يكون عذابه أليما في الدنيا والآخرة كما قال الجنيد لو أقبل صديق الى الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فان ما فاته أكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطري لئن آتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما أعطانا فيما أعطى لاجله الى يوم يلقونه أي يلقون جزاء النفاق وأن الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به أنفسهم وهو غيب عن الخلق ويعلم ما يستكن في قلوبهم وهو غيب في نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضي ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم في الازل (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا

يفقهون فليضحكوا قليلا ولا يبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي
أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم
كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا
بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك
أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا
نكن من القاعدين رضوا بأن
يكونوا مع الخوالف وطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول
والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات
وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم
جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
القراآت معي أبدا بفتح الياء أبو
جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو
وحفص والمفضل معي عدوا بالفتح
حفص فقط الوقوف أولا تستغفر
لهم ط فلن يغفر الله لهم ط ورسوله
ط الفاسقين ○ في الحر ط حرا
م لأن المعنى لو كانوا يفقهون حرارة
النار لما قالوا لا تنفروا في الحر ولو
وصل لأوهم ان جهنم لا يكون نارها
أشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون
○ كثيرا ج لان جزاء يصلح أن يكون
مفعولا له أو مصدر محذوف أي
يجزون جزاء يكسبون ○ معي
عدوا ط الخالفين ○ على قبره ط
فاسقون ○ وأولادهم ط كافرون ○
القاعدين ○ لا يفقهون ○
وأنفسهم ط الخيرات ز لابتداء
وعد الفلاح على التعظيم بدليل
تكرار أولئك مع اتفاق الجملتين
المفلحون ○ خالدين فيها ط العظيم
○ التفسير عن ابن عباس ان
عند نزول الآية الاولى في المنافقين

ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت معتمر بن سليمن التيمي يقول ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة فنذر قوم منا نذورا ونويت أنا لم أتكلم به فلما قدمت البصرة سألت أبي سليمن فقال لي يا بني فه به * قال معتمر و ثنا كهمس عن سعيد بن ثابت قال قوله ومنهم من عاهد الله الآية قال انما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع الى قوله ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرا ويظهرون الايمان بهما لاهل الايمان بهما جهرا أن الله يعلم سرهم الذي يسرونه في أنفسهم من الكفر به وبرسوله ونجواهم يقول ونجواهم اذا تناجوا بينهم بالطعن في الاسلام وأهله وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به فيعذرهم من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم للاسلام وأهله فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه وأن الله علام الغيوب يقول ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم مما أكنته نفوسهم فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة فيهناهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب وزجرهم عن اضمار غير ما يبدونه واظهار خلاف ما يعتقدونه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره الذين يلمزون المطوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم ويطعنون فيها عليهم بقولهم انما تصدقوا به رياء وسمعة ولم يريدوا وجه الله ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به الا جهدهم وذلك طاقتهم فينتقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا سخرية منهم بهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا ولهم عذاب أليم يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم وذكر ان المعنى بقوله المطوعين من المؤمنين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي الانصاري وأن المعنى بقوله والذين لا يجدون الا جهدهم أبو عقيل الاراشي أخو بني أنيف ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال جاء عبد الرحمن ابن عوف بأربعين أوقية من ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وجاء رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس يوما فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من أحوجهم بمن من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعان بصاعك من شيء

قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المفسرين من قال انهم ثم
طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهي عن الشيء لا يدل على المنهي أقدم على ذلك الفعل
ثم ان الدليل قد دل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرعه ان الاستغفار للكافر غير جائز ولان الاستغفار

للمنافق يجرى مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم غير مجاب الدعوة وان أكثر فى الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على أن الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روى أنه لما نزلت الآية قال صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فنزل سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا أنه فهم بدليل الخطاب أن

ثم ان عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بنى زهرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى من أحد من أهل هذه الصدقات فقال لا فقال عبد الرحمن بن عوف ان عندى مائة أوقية من ذهب فى الصدقات فقال له عمر بن الخطاب أمجنون أنت فقال ليس بى جنون فقال أتعلم ما قلت قال نعم مالى ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربى وأما أربعة آلاف فلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وكره المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن ابن عوف عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان به متطوعا فأنزل الله عذره وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر فقال الله فى كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين قال جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف فلمزه المنافقون وقالوا راءى والذين لا يجدون الا جهدهم قال رجل من الانصار آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره فجاء به فلمزوه وقالوا كان الله غنيا عن صاع هذا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الآية قال أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله فتقرب به الى الله فلمزه المنافقون فقالوا ما أعطى ذلك الا رياء وسمعة فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له حبحاب أبو عقيل فقال يا نبى الله بت أجر الجرير على صاعين من تمر أما صاع فأمسكته لاهلى وأما صاع فها هو ذا فقال المنافقون والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا فأنزل الله فى ذلك القرآن الذين يلمزون الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله وكان ماله ثمانية آلاف دينار فتصدق بأربعة آلاف دينار فقال ناس من المنافقين ان عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء فقال الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات وكان لرجل صاعان من تمر فجاء بأحدهما فقال ناس من المنافقين ان كان الله عن صاع هذا لغنيا فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم فقال الله والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطى قال ثنا أبو عوانة عن أبى سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تصدقوا فانى أريد أن أبعث بعثا قال فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ان عندى أربعة آلاف ألفين أقرضهما الله وألفين لعيالى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت فقال رجل من الانصار وان عندى صاعين من تمر صاعا لربى وصاعا لعيالى قال فلمز المنافقون وقالوا ما أعطى ابن عوف هذا الا رياء وقالوا أولم يكن الله غنيا عن صاع هذا فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الى آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال أصاب الناس جهد شديد فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدقوا فجاء عبد الرحمن

الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لأزيدن على ذلك وأجيب بأنه أراد اظهار الرحمة والرأفة بأمته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم لبعض لا أنه فهم منه ذلك كيف وقد قال تعالى لن يغفر الله لهم وأردفه بقوله ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود بهذا العدد تحديد المنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتنى سبعين مرة لم أقضها ولهذا بين العلة التى لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهى كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم فى الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو أن السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء وأيام الاسبوع فضرب السبعة فى عشرة لان الحسنة بعشر أمثالها وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكأنه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقدم فى تفسير قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها أن هذا أمر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعالهم فقال (فرح المخلفون) قيل انهم احتالوا أن يتخلفوا وكان الاولى أن يقال فرح المتخلفون وأجيب بأنهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك أو أريد خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان أو المجاهدون لما لم يوافقوهم فى القعود فكأنهم خلفوهم أو أطلق عليهم المخلفون باعتبار أنهم سيصيرون ممنوعين من الخروج فى الآية الآتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معى عدوا ومعنى (بمقعدهم) بقعودهم قاله مقاتل أو بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس

ومعنى (خلاف رسول الله) صلى الله عليه وسلم مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على أنه مفعول له أى قعدوا لاجل خلافه أو على الحال مثل فأرسلها العراك أى مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الأمام التى يقصدها الانسان يخالفها جهة الخلف (وكرهوا أن يجاهدوا) كيف لا يكرهون وليس فيهم باعث الايمان وداعى الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين أموالهم وأرواحهم فى الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم أن الفرح بالاقامة يدل على كراهية الذهاب الا أنه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد أنه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستئناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) أن بعد هذه الدار دارا أخرى وبعد هذه الحياة حياة أخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكأنه صاحب الكشاف

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم انها شبه أنصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

وفى هذا استجهال عظيم لهم ثم قال (فليضحكوا) وهو خبر الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فسيضحكون قليلا أى ضحكا قليلا أو زمانا قليلا وسيبكون كثيرا روى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح فى سائر الغزوات فقال (فان رجعك الله الى طائفة منهم) أى ان ردك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المخلفين من المنافقين (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم

بأربعمائة أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فيما أمسك فقال المنافقون ما فعل عبد الرحمن هذا الا رياء وسمعة قال وجاء رجل بصاع من تمر فقال يا رسول الله آجرت نفسى بصاعين فانطلقت بصاع منهما الى أهلى وجئت بصاع من تمر فقال المنافقون ان الله غنى عن صاع هذا فأنزل الله هذه الآية والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية وكان من المطوعين من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف دينار وعاصم بن عدى أخو بنى عجلان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ما هذا الا رياء وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف الاراشى حليف بنى عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فأفرغه فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن سليمن عن أبى وائل عن أبى مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان كنا نعمل قال فجاء رجل فتصدق بشئ كثير قال وجاء رجل فتصدق بصاع تمر فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة قال ثنى خالد بن يسار عن ابن أبى عقيل عن أبيه قال بت أجر الحرير على ظهرى على صاعين من تمر فانقلبت بأحدهما الى أهلى يتبلغون به وجئت بالآخر أتقرب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال انثره فى الصدقة فسخر المنافقون منه وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآيتين **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريرى عن أبى السليل قال وقف على الحى رجل فقال ثنى أبى أو عمى فقال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له بها عند الله يوم القيامة قال وعلى عمامة لى قال فنزعت لوثا أو لوثين لأتصدق بهما قال ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم فعصبت بهما رأسى قال فجاء رجل لا أرى بالبقيع رجلا أقصر قة ولا أشد سوادا ولا أدم لعينى منه يقود ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها قال أصدقة هى يا رسول الله قال نعم قال فدونكها فألقى بخطامها أو بزمامها قال فلمزه رجل جالس فقال والله انه ليتصدق بها ولهى خير منه فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو خير منك ومنها يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك يقول الذى تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون أبو خيثمة الانصارى **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العبدالى قال ثنا عامر بن يساف اليمامى عن يحيى بن أبى كثير اليمامى قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها فى سبيل الله وأمسكت

وأمسكت أربعة آلاف لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت وجاء رجل آخر فقال يارسول الله بت الليلة أجر الماء على صاعين فأما أحدهما فتركت لعيالى وأما الآخر فجئتك به أجعله فى سبيل الله فقال بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال ناس من المنافقين والله ما أعطى عبد الرحمن الا رياء وسمعة ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات يعنى عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهدهم يعنى صاحب الصاع فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم واذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف فقال هذا مالى أقرضه الله وقد بقى لى مثله فقال له بورك لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال المنافقون ما أعطى الا رياء وما أعطى صاحب الصاع الا رياء ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شئ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الى قوله ولهم عذاب أليم قال أمر النبى عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا فقام عمر بن الخطاب فألفى مالا وافرا فاخذ نصفه قال فجئت أحمل مالا كثيرا فقال له رجل من المنافقين ترائى يا عمر فقال عمر أرائى الله ورسوله وأما غيرهما فلا قال ورجل من الانصار لم يكن عنده شئ فآجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين ليلته فترك صاعا لعياله وجاء بصاع يحمله فقال له بعض المنافقين ان الله ورسوله عن صاعك لغنيان فذلك قول الله تبارك وتعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم هذا الانصارى فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وقد بينا معنى اللمز فى كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى وأما قوله المطوعين فان معناه المتطوعين أدغمت التاء فى الطاء فصارت طاء مشددة كما قيل ومن يطوع خيرا يعنى يتطوع وأما الجهد فان للعرب فيه لغتين يقال أعطانى من جهده بضم الجيم وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ومن جهده بفتح الجيم وذلك لغة نجد وعلى الضم قراءة الامصار وذلك هو الاختيار عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية فانهم يزعمون أنهما مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد وانما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم فى الوجد والوجد بالضم والفتح من وجدت وروى عن الشعبى فى ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة عن الشعبى قال الجهد فى العمل والجهد فى القوت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عيسى بن المغيرة عن الشعبى مثله * قال ثنا ابن ادريس عن عيسى بن المغيرة عن الشعبى قال الجهد فى العمل والجهد فى المعيشة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم فى هذه الآيات بالمغفرة أو لا تدع لهم بها وهذا كلام خرج مخرج الامر وتأويله الخبر ومعناه ان استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم يقول ان تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها فلن يستر الله عليهم ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رؤس الاشهاد يوم القيامة ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه هذا الفعل من الله بهم وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم من أجل

والطرد وصلاحا لامر الجهاد لما فى استصحابهم من المفاسد المذكورة فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعنى بأول مرة غزوة تبوك واغا لم يقل أول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات مرة مرة كانت هذه أولها نظيره هو أفضل رجل يعنى ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو أفضلهم وانما لم يقل أولى مرة لان أكثر اللغتين هند أكبر النساء ولا يكاد يقال هى كبرى امرأة (فاقعدوا مع الخالفين) كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل فى قومه وعن الاصمعى أنه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا أن الخالفين الذين أمروا بالقعود كانوا اثنى عشر رجلا عن ابن عباس أنه لما

أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الايمان به وبرسوله ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية قال لأزيدن فى الاستغفار لهم على سبعين مرة رجاء منه أن يغفر الله لهم فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن أبى ابن سلول قال لاصحابه لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله وهو القائل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل فانزل الله استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال النبى صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شبالك عن الشعبى قال دعا عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول النبى صلى الله عليه وسلم الى جنازة أبيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال حباب بن عبد الله بن أبى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ان الحباب هو الشيطان ثم قال النبى عليه السلام انه قد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فانا أستغفر لهم سبعين وسبعين وألبسه النبى صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عرق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان تستغفر لهم سبعين مرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم سأزيد على سبعين استغفارة فانزل الله فى السورة التى يذكر فيها المنافقون لن يغفر الله لهم عزما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الشعبى قال لما ثقل عبد الله بن أبى انطلق ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان أبى قد احتضر فاحب أن تشهده وتصلى عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبى ان الحباب اسم شيطان قال فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له أتصلى عليه وهو منافق فقال ان الله قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولأستغفرن له سبعين وسبعين قال هشيم وأشك فى الثالثة حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم الى قوله القوم الفاسقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أسمع ربى قد رخص لى فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة فلعل الله أن يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أستغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال نبى الله قد خيرنى ربى فلأزيدنهم على سبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأزيدن على سبعين فقال الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا

اشتكى عبد الله ابن أبى ابن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلى عليه اذا مات ويقوم على قبره ويعطيه قميصه الذى يلى جلده ليكفن فيه ففعل كل ذلك وعنه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفى عبد الله بن أبى دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت يارسول الله أعلى عدو الله عبد الله ابن أبى القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عنى ياعمر انى خيرت فاخترت قد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو أعلم انى ان زدت على السبعين غفر له لزدت

أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴾ يقول تعالى ذكره فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه بمقعدهم خلاف رسول الله يقول بجلوسهم فى منازلهم خلاف رسول الله يقول على الخلاف لرسول الله فى جلوسه ومقعده وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر الى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا فى منازلهم وقوله خلاف مصدر من قول القائل خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال كما يقال قاتله فهو يقاتله قتالا ولو كان مصدرا من خلفه لكانت القراءة بمقعدهم خلف رسول الله لان مصدر خلفه خلف لا خلاف ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خالف فقرئ خلاف رسول الله وهى القراءة التى عليها قراء الامصار وهى الصواب عندنا وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد على ذلك بقول الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما ❊ بسط الشواطب بينهن حصيرا

وذلك قريب لمعنى ما قلنا لانهم قعدوا بعده على الخلاف له وقوله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يقول تعالى ذكره وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يعنى فى دين الله الذى شرعه لعباده لينصروه ميلا الى الدعة والخفض وايثارا للراحة على التعب والمشقة وشحا بالمال أن ينفقوه فى طاعة الله وقالوا لا تنفروا فى الحر وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم استنفرهم الى هذه الغزوة وهى غزوة تبوك فى حر شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض لا تنفروا فى الحر فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم التى أعدها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله أشد حرا من هذا الحر الذى تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه يقول الذى هو أشد حرا أحرى أن يحذر ويتقى من الذى هو أقل منها أذى لو كانوا يفقهون يقول لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آى كتابه ولكنهم لا يفقهون عن الله فهم يحذرون من الحر أقله مكروها وأخفه أذى ويوافقون أشده مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى قوله يفقهون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك فى الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر فى الحر فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بمقعدهم خلاف رسول الله قال من غزوة تبوك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد الى تبوك فقال رجل من بنى سلمة لا تنفروا فى الحر فأنزل الله قل نار جهنم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأجمع السير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد يقول الله جل ثناؤه وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا ❊ القول فى تأويل قوله ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله فليضحكوا فرحين قليلا فى هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم فانهم سيبكون طويلا فى جهنم مكان ضحكهم القليل

قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن أبى قال وما يغنى عنه قميصى وصلاتى من الله والله ان كنت لارجو أن يسلم به ألف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذى مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب أن يصلى عليه وذكر من أسباب

في الدنيا جزاء يقول ثوابا منالهم على معصيتهم بتركهم النفر اذا استنفروا الى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله بما كانوا يكسبون يقول بما كانوا يجترحون من الذنوب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي رزين فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال يقول الله تبارك وتعالى الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين في قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا يتمتعون الا قليلا قال (١) أجلهم أحد هذين الحديثين رفعه الى ربيع بن خيثم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فليضحكوا قليلا قال ليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة في نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا أي في النار ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ذكر لنا أنه نودي عند ذلك أو قيل له لا تقنط عبادي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة * قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين فليضحكوا قليلا قال في الدنيا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا يقول الله تبارك وتعالى فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا يوم القيامة كثيرا وقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان ردك الله يا محمد الى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاقعدوا مع الخالفين يقول فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكم منهم فاقتدوا بهديهم واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر وذلك في غزوة تبوك فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج فتخلف عنه رجال فادركتهم نفوسهم فقالوا والله ما صنعنا شيأ فانطلق منهم ثلاثة فلحقوا برسول الله صلى الله

دفع القميص أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أسيرا بيدرولم يجد واله قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها أن المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ومنها أن ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول أكرمه لمكان ابنه ومنها اظهار الرأفة والرحمة كما مر قوله (مات) صفة لاحد (وابدا) ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تأبيد النفي (٢) ونفي التأبيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من أن يصلي على أحد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى

(١) أي أحد الحديثين في الآية هو الأجل والغرض من الحديثين القليل والكثير تأمل كتبه مصححه
(٢) عبارة الفخر وتأبيد المنفي وهي أوضح تأمل كتبه مصححه

عليه وسلم فلما أتوه تابوا ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله ولا تقم على قبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الذين تخلفوا فأنزل الله عذرهم لما تابوا فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم وقال انه بهم رؤف رحيم

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله فاقعدوا مع الخالفين أى مع النساء ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين فقيل فيهم ماقيل

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فاقعدوا مع الخالفين والخالفون الرجال * قال أبو جعفر والصواب من التأويل فى قوله الخالفين ماقال ابن عباس فأما ماقال قتادة من أن ذلك النساء فقول لا معنى له لان العرب لا تجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالواو والنون ولو كان معنيا بذلك النساء لقيل فاقعدوا مع الخوالف أو مع الخالفات ولكن معناه ماقلنا من أنه أريد به فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء واذا اجتمع الرجال والنساء فى الخبر فان العرب تغلب الذكور على الاناث ولذلك قيل فاقعدوا مع الخالفين والمعنى ماذكرنا ولو وجه معنى ذلك الى فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفا اذا فسد ومن قولهم هو خلف سوء كان مذهبا وأصله اذا أريد به هذا المعنى من قولهم خلف اللبن يخلف خلوفا اذا خبث من طول وضعه فى السقاء حتى يفسد ومن قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه * القول فى تأويل قوله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ولا تقم على قبره يقول ولا تتول دفنه وتقبره من قول القائل قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره إنهم كفروا بالله يقول انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الاسلام مفارقون أمر الله ونهيه وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبى ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع وسوار بن عبد الله قالوا ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال أخبرنى نافع عن ابن عمر قال جاء ابن عبد الله بن أبى ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال أعطنى قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فاعطاه قميصه وقال اذا فرغتم فآذنونى فلما أراد أن يصلى عليه جذبه عمر وقال أليس قد نهاك الله أن تصلى على المنافقين فقال بل خيرنى وقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم قال فصلى عليه قال فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره قال فترك الصلاة عليهم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن ابن عمر قال لما توفى عبد الله بن أبى ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلى عليه فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخذ بثوب النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلول أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما خيرنى ربى فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على سبعين فقال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال ثنا يحيى بن سعيد عن مجالد قال ثنى عامر عن جابر بن عبد الله أن رأس المنافقين مات بالمدينة فأوصى أن يصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأن يكفن فى قميصه فكفنه فى قميصه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

قوله (ولا تقم على قبره) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبى معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره و (انهم كفروا) تعليل للنهى ويرد عليه أن الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم وأجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال فى الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا فى دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح فى جميع الاديان أما قوله (ولا تعجبك أموالهم

حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وقد أدخل حفرته فاخرجه فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه والله أعلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد (٣) أيامه ورسول الله عليه السلام يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت وقد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلو أعلم أني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجب لي وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله قميصه فأعطاه فكفن فيه أباه حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي فذكر مثل حديث ابن حميد عن سلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية قال بعث عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عن ذلك عمر فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أهلكك حب اليهود قال فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه اياه فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية قال ذكر لنا ان نبي صلى الله عليه وسلم كلم في ذلك فقال وما يغني عنه قميصي من الله أو رب وصلاتي عليه واني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أهلكك حب يهود قال يا رسول الله انما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتؤنبني ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه فأعطاه اياه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تعالى ذكره ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم اذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده فاني انما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات وتزهق أنفسهم يقول وليموت فتخرج

نفسه

وأولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت ألفاظ فوجب علينا أن نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى أعلم بمراده انما ذكر النهي ههنا بالواو وهناك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موتهم على حالة الفسق خلاف ما هناك وانما قال ههنا وأولادهم بدون لا لان المراد هناك الترقي من الادون الى الاعلى وهو أن اعجاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق اعجابهم بأموالهم كقولك لا يعجبني أمر النائب ولا أمر المنوب وههنا أراد المعية فقط اما اكتفاء بما سبق هناك واما لان هؤلاء أقوام آخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هناك لما علق الثاني بالاول تعليق الجزاء

(٣) كذا في النيسابوري أيضا ولعله مصحف آثامه ورواية البخاري أعد قوله فحرر كتبه مصححه

نفسه من جسده فيفارق ما أعطيته من المال والولد فيكون ذلك حسرة عليه عند موته وو بالا عليه حينئذ ووبالا عليه فى الآخرة بموته جاحدا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن السدى وتزهق أنفسهم فى الحياة الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ يقول تعالى ذكره واذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن بان يقال لهؤلاء المنافقين آمنوا بالله يقول صدقوا بالله وجاهدوا مع رسوله يقول اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك أولو الطول منهم يقول استأذنك ذوو الغنى والمال منهم فى التخلف عنك والقعود فى أهله وقالوا ذرنا يقول وقالوا لك دعنا نكن ممن يقعد فى منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك فى السفر * وبنحو الذى قلنا فى معنى الطول قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله استأذنك أولو الطول قال يعنى أهل الغنى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أولو الطول منهم يعنى الأغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم كان منهم عبد الله بن أبى والجد بن قيس فنعى الله ذلك عليهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ يقول تعالى ذكره رضى هؤلاء المنافقون الذين اذا قيل لهم آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم فى التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين أن يكونوا فى منازلهم كالنساء اللواتى ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعود فى منازلهن وبيوتهن وطبع على قلوبهم يقول وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها وقد بينا معنى الطبع وكيف الختم على القلوب فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع

* وبنحو الذى قلنا فى معنى الخوالف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال والخوالف هن النساء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعنى النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوية أبو يزيد عن يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال النساء * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك مع الخوالف قال مع النساء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أى مع النساء حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قالا النساء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال مع النساء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم فأنفقوا فى جهادهم أموالهم وأتعبوا فى قتالهم أنفسهم وبذلوها وأولئك يقول وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا

بالشرط أكد معنى النهى بتكرار لا وانما قال ههنا أن يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو العذاب واما فى الآية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدر وقيل الفائدة فيه التنبيه على أن التعليل فى أحكام الله محال وأنه أينما ورد حرف التعليل فمعناه أن وانما حذف الحياة ههنا اكتفاء بما ذكر هناك وقيل تنبيها على ان الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها وأما فائدة التكرير فهى المبالغة فى التحذير من الاموال والاولاد لانها جذابة للقلوب فتحتاج الى صارف قوى ويحتمل أن تكون الاولى فى قوم والثانية فى آخرين وقيل الثانية فى اليهود والاولى فى المنافقين

بأموالهم وأنفسهم الخيرات وهى خيرات الآخرة وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها واحدتها خيرة كما قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات

والخيرة من كل شئ الفاضلة وأولئك هم المفلحون يقول وأولئك هم المخلدون فى الجنات الباقون فيها الفائزون بها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات وهى البساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لا يبغين فيها لا يموتون فيها ولا يظعنون عنها ذلك الفوز العظيم يقول ذلك النجاء العظيم والحظ الجزيل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فى التخلف وقعد عن المجىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله وقالوا الكذب واعتذروا بالباطل فيهم يقول تعالى ذكره سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم فان قال قائل فكيف قيل وجاء المعذرون وقد علمت أن المعذر فى كلام العرب انما هو الذى يعذر فى الامر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه وليست هذه صفة هؤلاء وانما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا فى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدوهم وحرصوا على ذلك فلم يجدوا اليه السبيل فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا أولى وأحق منهم بأن يوصفوا بأنهم عذروا اذا وصفوا بذلك فالصواب فى ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس وذلك ما حدثناه المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك قال كان ابن عباس يقرأ وجاء المعذرون مخففة ويقول هم أهل العذر مع موافقة مجاهدا اياه وغيره عليه قيل ان معنى ذلك على غير ما ذهبت اليه وان معناه وجاء المعتذرون من الاعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها فصيرتا الا مشددة لتقارب مخرج احداهما من الاخرى كما قيل يذكرون فى يتذكرون ويذكر فى يتذكر وخرجت العين من المعذرين الى الفتح لان حركة التاء من المعتذرين وهى الفتحة نقلت اليها فحركت بما كانت به محركة والعرب قد توجه فى معنى الاعتذار الى الاعذار فتقول قد اعتذر فلان فى كذا يعنى أعذر ومن ذلك قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فقال فقد اعتذر بمعنى فقد أعذر على أن أهل التأويل قد اختلفوا فى صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرين فقال بعضهم كانوا كاذبين فى اعتذارهم فلم يعذرهم الله ذكر من قال ذلك حدثنى أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن الحسين قال كان قتادة يقرأ وجاء المعذرون من الأعراب قال اعتذروا بالكذب حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الاعراب قال نفر من بنى غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء أن هؤلاء القوم انما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق فغير جائز أن يوصفوا بالاعذار الا أن يوصفوا بأنهم أعذروا فى الاعتذار بالباطل فأما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء فغير جائز أن يوصفوا به وقد كان بعضهم يقول انما جاؤا معذرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله فمن وجهه الى هذا التأويل فلا كلفة فى ذلك غير أنى لا أعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله الى ذلك فاستجبوا القول به وبعد فان الذى عليه من القراءة قراء الامصار التشديد فى الذال أعنى من

ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة) أى بتمامها ويجوز أن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد (أن آمنوا) أن هى المفسرة لان انزال السورة فى معنى القول وقال الواحدى تقديره بأن آمنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان (أولو الطول) ذو الفضل والسعة من طال عليه طولا قاله ابن عباس والحسن وقال الأصم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم ألزم اذ لا عذر لهم فى القعود (مع القاعدين) مع أصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتى تخلفن فى البيت وجوز بعضهم أن

قوله

قوله المعذرون ففى ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار لان القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمر اعذر وافيه وانما كانوا فرقتين اما مجتهد طائع واما منافق فاسق لامر الله مخالف فليس فى الفريقين موصوف بالتعذير فى الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو معذر مبالغ أو معتذر فاذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة من القراء مجمعة على تشديد الذال من المعذرين علم أن معناه ماوصفناه من التأويل وقد ذكر عن مجاهد فى ذلك موافقة ابن عباس حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد وجاء المعذرون مخففة وقال هم أهل العذر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان المعذرون (١) ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها الى مغزاه حرج وهو الاثم يقول ليس عليهم اثم اذا نصحوا لله ولرسوله فى مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على المحسنين من سبيل يقول ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله فى تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله والله غفور رحيم يقول والله ساتر على ذنوب المحسنين يتغمدها بعفوه لهم عنها رحيم بهم أن يعاقبهم عليها وذكر أن هذه الآية نزلت فى عائذ بن عمرو المزنى وقال بعضهم فى عبد الله بن مغفل ذكر من قال نزلت فى عائذ بن عمرو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله نزلت فى عائذ بن عمرو ذكر من قال نزلت فى ابن مغفل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزنى فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم فى كتابه فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الى قوله فهم لا يعلمون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره ولا سبيل أيضا على النفر الذين اذا ما جاؤك لتحملهم يسألونك الحملان ليبلغوا الى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد قلت لهم لا أجد حمولة أحملكم عليها تولوا يقول أدبروا عنك وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد فى سبيل الله * وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت فى نفر من مزينة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه قال هم من مزينة حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا على

(١) بياض بالاصل والذى ذكره السيوطى فى الدر وابن كثير فى تفسيره عن ابن اسحق أنهم نفر من بنى غفار منهم خفاف بن ايماء بن رحضة فتنبه كتبه مصححه

يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال (وطبع على قلوبهم) كقوله ختم الله على قلوبهم وقدم البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب فى الكفر الى حد كأنه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع فى اللغة الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التى جبل عليها الانسان (فهم لا يفقهون) أسرار حكمة الله فى الجهاد أو فى الذهاب من السعادة وما فى التخلف من الشقاء وفى قوله (لكن الرسول) نكتة هى أنه ان تخلف هؤلاء فقد أنهض الى الغز ومن هو خير منهم وأصدق نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال (وأولئك لهم الخيرات) وهى شاملة لمنافع الدارين وقيل هى الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله (وأولئك هم المفلحون)

الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد فى قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون قال هم بنو مقرن من مزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة * قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن عروة عن ابن مغفل المزنى وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال منهم ابن مقرن * وقال سفيان قال الناس منهم عرباض ابن سارية * وقال آخرون بل نزلت فى عرباض بن سارية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر الكلاعى قالا دخلنا على عرباض بن سارية وهو الذى أنزل فيه ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثنى المثنى قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد قال ثنا ثور عن خالد عن عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر بنحوه * وقال آخرون بل نزلت فى نفر سبعة من قبائل شتى ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فأنزل الله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية قال هم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بنى واقف حرمى بن عمرو ومن بنى مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بنى المعلى سلمان ابن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة وهو الذى تصدق بعرضه فقبله الله منه ومن بنى سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزنى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا وهم البكاؤن كانوا سبعة والله أعلم

المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما أجمل فقال (أعد الله) الآية وقيل الخيرات الفلاح فى الدنيا وهذه فى الآخرة و (الفوز العظيم) عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية ۞ التأويل انما لم يؤثر استغفار الرسول فى حقهم لقصور فى القابل لا لتقصير فى الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستور والقلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعى العبودية نالوا خيرات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب أعظم من حجاب النفس والله أعلم

﴿ تم الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الحادى عشر أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انما السبيل الآية ﴾

تم الجزء العاشر من تفسير النيسابورى ويليه الجزء الحادى عشر وأوله (وجاء المعذرون الآية)

﴿ فهرست الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	بيان معنى الغنيمة والفيء وبيان المصرف للغنيمة وذكر الخلاف فى ذلك	٧٠	ذكر قصة حنين وتعيين المكان
٩	بيان أن التقاء المشركين بالمؤمنين فى بدر كان على غير ميعاد	٧٤	ذكر السبب فى تسمية المشركين نجسا
١٠	ذكر ما جعله الله من الاسباب لنصر المؤمنين ببدر	٧٨	ذكر من قال من اليهود فى عزير انه ابن الله والسبب فى اعتقادهم فيه
١٢	ذكر أن ما أصاب المؤمنين من الفشل يوم أحد كان بأسباب المنازعة	٨٠	بيان معنى اتخاذ اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
١٤	ذكر ما صنعه ابليس يوم بدر من تصوره بصورة سراقة بن مالك وفراره	٨٣	بيان الخلاف فى معنى الكنز الذى ورد فيه الوعيد
١٩	ذكر ما يجوز به فسخ المعاهدة التى بين المسلمين وغيرهم	٨٨	بيان المراد بالأشهر الحرم ومعنى ظلم النفس فيهن
٢١	بيان معنى القوة التى أمر الله باعدادها للعدو	٩١	بيان معنى النسىء وما كانت العرب تفعله فى حجها
٢٧	بيان ما يجب على المؤمنين من مصابرتهم لمثليهم من العدو	٩٥	ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار لما أراد الخروج الى الهجرة
٣٠	بيان ما عاتب الله به المؤمنين على أخذهم الفداء من المشركين يوم بدر	٩٩	ذكر طرف من غزوة تبوك وبيان ما فعله المنافقون بها
٣٥	بيان ما وعد الله به الأسرى من الغفران والخير إن علم فى قلوبهم الايمان وتمام ذلك لبعضهم	١٠٨	بيان ما لمز به المنافقون رسول الله فى أمر الصدقة
٣٧	بيان ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث	١١٠	بيان أصناف مصرف الصدقة وذكر الخلاف بين الأئمة فى بعضها
٤١	﴿ تفسير سورة التوبة ﴾	١١٧	بيان ما كان المنافقون يقولونه فى شأن النبى ويسرونه ففضحهم الله به
٤٥	بيان الصواب فى الأجل الذى جعله الله لأهل العهد من المشركين	١٢٦	بيان الخلاف فى معنى الجهاد المأمور به فى حق المنافقين
٤٧	ذكر تولية أبى بكر للحج بالناس وارسال علىّ لقطع العلائق بين رسول الله والمشركين	١٣٠	ذكر قصة ثعلبة بن أبى حاطب الذى دعا له رسول الله بالغنى
٥٤	بيان الخلاف فى يوم الحج الأكبر والسبب فى هذه التسمية	١٣٤	ذكر ما كان أهل اليسار وذو الفاقة يتصدقون به وعيب المنافقين لهم
٥٨	بيان القبائل التى كان لهم عهد عند المسجد الحرام ومن نقض منهم ذلك	١٣٨	ذكر ما كان عليه النبى من الرحمة حتى بأهل النفاق وارادته الاستغفار لهم
٦٣	بيان ما فعلته قريش من نقض العهد بقتالهم خزاعة حلفاء رسول الله	١٤١	بيان منعه عليه الصلاة والسلام من الصلاة على المنافقين وما تم له مع عبد الله بن أبىّ
٦٧	بيان ما أبطله الله من افتخار المشركين بسقاية الحاج وغيرها	١٤٥	بيان من عذرهم الله فى عدم الخروج للجهاد

﴿ تم فهرست الجزء العاشر من تفسير ابن جرير الطبرى ﴾

﴿فهرست الجزء العاشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء العاشر من تفسير ابن جرير﴾

صحيفة	
٢	تفسير قوله واعلموا أنما غنمتم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦	بيان أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات
٨	بيان معنى الشكر والبطر والرياء
١٠	تأويل تلك الآيات
١٢	تفسير قوله ولو ترى اذ يتوفى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٦	بيان أن آثار نقض العهد اما أن تكون محتملة واما أن تكون قطعية وأحكام ذلك
١٨	بيان أن حرب المشركين ليس بحتم وكذا الهدنة والمدار على ما يراه الامام مصلحة
٢١	ذكر سرية حمزة وسرية عبد الله بن أنيس رضى الله عنهما
٢٢	تأويل تلك الآيات
٢٤	تفسير قوله ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٧	ذكر ما من الله به على العباس تحقيقا لآية ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا
٢٩	بيان أن التوارث كان بالهجرة والنصرة
٣١	تأويل تلك الآيات
٣٤	﴿تفسير سورة التوبة﴾
٣٧	ذكر ما استدل به الامامية على تفضيل علي والجواب عنه
٤١	ذكر ما استدل به الشافعي على قتل تارك الصلاة
٤٦	ذكر ما استدل به الامام أبو حنيفة على أن يمين الكافر ليس بيمين
٤٩	تأويل تلك الآيات
٥١	تفسير قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٩	ذكر غزوة حنين
٦٢	تأويل تلك الآيات
٦٣	تفسير قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

صحيفة	
٦٦	بيان مقدار الجزية وعلى من تجب
٦٨	بيان دعوى اليهود فى عزير أنه ابن الله
٦٩	ذكر السبب فى تفرق أمم النصارى فى الاعتقاد
٧٣	بيان تهالك أهل الناقوس على الدنيا
٧٨	بيان أن الامور الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية
٨١	بيان السنة الشمسية والقمرية
٨٣	تأويل تلك الآيات
٨٤	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم الآيات والقراآت والوقوف فيها
٨٧	ذكر خروج رسول الله الى الغار
٩١	ذكر دليل من رأى أنه لا يجوز التخلف عن الغزو
٩٥	بيان ما ذهبت اليه الأشاعرة فى كراهة الله للشئ وما ورد عليه
١٠٠	تفسير قوله ان تصبك حسنة الآيات والقراآت والوقوف فيها
١٠٤	بيان ما فى النسخ من المضار الدينية
١٠٧	تأويل تلك الآيات
١٠٧	تفسير قوله انما الصدقات الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٠٩	بيان الخلاف فى المسكين والفقير وبيان أصناف أهل الزكاة
١١٢	بيان أحكام تتعلق بتلك الآيات
١١٨	بيان ما قاله المنافقون فى غزوة تبوك
١٢١	تأويل تلك الآيات
١٢٢	تفسير قوله ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٢٨	ذكر خبر ثعلبة بن حاطب
١٣٠	بيان أن ترك الأوامر يوجب النفاق ومالأهل السنة والمعتزلة من الخلاف فى ذلك
١٣٤	تفسير قوله استغفر لهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

﴿تم فهرست الجزء العاشر من النيسابوري﴾

الجـــزء الحـادى عشر

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه فى التفسير أبى جعفر

محمد بن جرير الطبرى المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره ﴾

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سـنة ١٣٢٧ هجريه

﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد ولكنها على الذين يستأذنونك فى التخلف خلافك وترك الجهاد معك وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو نفاقا وشكا فى وعد الله ووعيده رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يقول رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء وهن الخوالف خلف الرجال فى البيوت ويتركوا الغزو معك وطبع الله على قلوبهم يقول وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك وما عليهم من قبيح الثناء فى الدنيا وعظيم البلاء فى الآخرة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره يعتذر اليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالاباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم من سفركم وجهادكم قل لهم يا محمد لا تعتذروا لن نؤمن لكم يقول لن نصدقكم على ما تقولون قد نبأنا الله من أخباركم يقول قد أخبرنا الله من أخباركم وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم وسيرى الله عملكم ورسوله يقول وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يقول ثم ترجعون بعد مماتكم الى عالم الغيب والشهادة يعنى الذى يعلم السر والعلانية الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن والسيئ منها بالسيئ ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم

فى رحمته ان الله غفور رحيم ۞ القرا آت المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد دائرة السوء بضم السين وكذلك فى الفتح
أبو عمرو وابن كثير الآخرون بفتحها قربة بضم الراء نافع غير قالون الباقون باسكانها وكلاهما بمعنى ۞ الوقوف ورسوله ط أليم ٥ لله ورسوله
ط من سبيل ط رحيم ٥ لا للعطف ماينفقون ٥ أغنياء ج لاحتمال (٣) ان يكون رضوا مستأنفا أو وصفا مع الخوالف

فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ۞ يقول تعالى ذكره سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله اذا انقلبتم اليهم يعنى اذا انصرفتم اليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم يقول جل ثناؤه للمؤمنين فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختار والأنفسهم من الكفر والنفاق انهم رجس ومأواهم جهنم يقول انهم نجس ومأواهم جهنم يقول ومصيرهم الى جهنم وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله وذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين من المنافقين قالا ما حدثنا به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألا تغزو بنى الاصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم فانهم حسان فقال رجلان قد علمت يارسول الله ان النساء فتنة فلا تفتنا بهن فأذن لنا فأذن لهما فلما انطلقا قال أحدهما ان هو الا شحمة لأول آكل فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل عليه فى ذلك شئ فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه لوكان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ونزل عليه عفا الله عنك لم أذنت لهم ونزل عليه لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ونزل عليه انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم وهم خلفهم فقال تعلمون أن قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن قالوا ما الذى سمعت قال ما أدرى غير أنى سمعت أنه يقول انهم رجس فقال رجل يدعى مخشيا والله لوددت أنى أجلد مائة جلدة وانى لست معكم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك فقال وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح وأنا فى الكن فأنزل الله عليه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى وقالوا لا تنفروا فى الحر ونزل عليه فى الرجل الذى قال لوددت أنى أجلد مائة جلدة قول الله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم فقال رجل مع رسول الله لئن كان هؤلاء كما يقولون ما فينا خير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنت صاحب الكلمة التى سمعت فقال لا والذى أنزل عليك الكتاب فأنزل الله فيه ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأنزل فيه وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله وصدقته حديثى فقال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى ما قال لأحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله فان الله

لا لأن الواو اما للعطف أو الحال
لا يعلمون ٥ اليهم ط من أخباركم
ط تعملون ٥ لتعرضوا عنهم ط
عنهم ط رجس ز لاختلاف
الجملتين مع شدة اتصال المعنى فى
اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء
يصلح أن يكون مفعولا له أو مفعولا
مطلقا لمحذوف أى يجزون جزاء
يكسبون ٥ لترضوا عنهم ط
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب
الفاسقين ٥ على رسوله ط حكيم ٥
الدوائر ط دائرة السوء ط عليم ٥ الرسول
ط لهم ط فى رحمته ط رحيم ٥
۞ التفسير لما شرح أحوال منافقى
المدينة شرع فى أحوال المنافقين
من أهل البدو فقال (وجاء المعذرون)
من قرأ بالتخفيف فهو من أعذر
اذا اجتهد فى العذر وبالغ فيه ومنه
قولهم من أنذر فقد أعذر فكأنه
تعالى فصل بين أصحاب العذر وبين
الكافرين فالمعذرون هم الذين
أتوا بالعذر وهم أسد وغطفان قالوا
ان لنا أتباعا وعيالا وان بنا جهدا
فأذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك
أغارت أعراب طيئ على أهالينا
ومواشينا فقال صلى الله عليه وآله
سيغنينى الله عنكم وعن مجاهد نفر
من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه
وجهان الاول أن يكون من التعذير
وهو التقصير فى الامر والتوانى فيه
وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما
يفعل ولا عذر له الثانى وقد ذكره

الفراء والزجاج وابن الانبارى انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون أدغمت التاء فى الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر *
أى جاء بعذر صحيح فاذا أخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا أخذنا بقراءة التشديد وفسرناها بالمعتذرين احتمل الامر ان ومن

المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدى باسناده عن أبى عمرو أنه قال ان أقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله وهم الذين أرادهم

الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم) أى من الاعراب (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر أن تكليف الجهاد ساقط عن أصحاب الاعذار الحقيقية فقال (ليس على الضعفاء) وهم الذين فى أبدانهم ضعف فى أصل الخلقة أو لهرم (ولا على المرضى) ويدخل فيه أصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) فى الغزو على أنفسهم (حرج) قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة وفيه دليل على أنه لا يحرم عليه الخروج اذا أمكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك طاعة مقبولة منه اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم انه شرط فى جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقوموا على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ماله مدخل فى طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ثم قال (ما على المحسنين) أى المعذورين الناصحين (من سبيل) للعتاب والمؤاخذة قال بعض أهل الظاهر كداود الاصفهانى وغيره ان المحسن هو الآتى بالاحسان ورأس الاحسان وسنامه هو قول

لا يرضى عن القوم الفاسقين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره يحلف لكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يقول فان أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم اذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فان رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله لان الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ومن خفى اعتقادهم ما تجهلون وانهم على الكفر بالله يعنى انهم الخارجون من الايمان الى الكفر بالله ومن الطاعة الى المعصية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره الاعراب أشد جحودا التوحيد الله وأشد نفاقا من أهل الحضر فى القرى والامصار وانما وصفهم جل ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وقلة مشاهدتهم لاهل الخير فهم لذلك أقسى قلوبا وأقل علما بحقوق الله وقوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله يقول وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وذلك فيما قال قتادة السنن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله قال هم أقل علما بالسنن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغرا عن الاعمش عن ابراهيم قال جلس أعرابى الى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال والله ان حديثك ليعجبنى وان يدك لتريبنى فقال زيد وما يريبك من يدى انها الشمال فقال الاعرابى والله ما أدرى أليمين يقطعون أم الشمال فقال زيد ابن صوحان صدق الله الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وقوله والله عليم حكيم يقول والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله والمنافق من خلقه والكافر منهم لا يخفى عليه منهم أحد حكيم فى تدبيره اياهم وفى حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم وخداعهم أولياءه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ومن الأعراب من يعد نفقته التى ينفقها فى جهاد مشرك أو فى معونة مسلم أو فى بعض ما ندب الله اليه عباده مغرما يعنى غرما لزمه لا يرجو ثوابا ولا يدفع به عن نفسه عقابا ويتربص بكم الدوائر يقول وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الايام والليالى الى مكروه ونفى محبوب وغلبة عدو لكم يقول الله تعالى ذكره عليهم دائرة السوء يقول جعل الله دائرة السوء عليهم ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون ولا بكم والله سميع لدعاء الداعين عليهم بتدبيرهم وما هو بهم نازل من عقاب الله وما هم اليه صائرون من أليم عقابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر قال هؤلاء المنافقون من الاعراب الذين انما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا أو يحاربوا أو يقاتلوا ويرون نفقتهم مغرما ألا تراه يقول ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل المدينة والكوفة عليهم دائرة السوء بفتح السين بمعنى النعت للدائرة وان كانت الدائرة مضافة اليه كقولهم هو رجل السوء وامرؤ الصدق كأنه اذا فتح مصدر من قولهم سؤته أسوءه سوأ ومساءة

ومسائية

لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا يدل على أن المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته عن مطالبة نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفى عليكم كذا وكذا وبعد ذلك لا سبيل لاحد على أحد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك

لان باب النفي لانهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا الورد في القرآن ألف تكليف أو أقل أو أكثر كان ذلك تنصيصا على أن التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وأمر ونهي وبهذا الطريق تصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس لان هذا النص دل على (٥) أن الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة أيضا فضائع وان كان يفيد شغل الذمة صار مخصصا للعموم النص وانه لا يجوز لان النص أقوى من القياس ولما ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسما رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا على الزاد فقال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) أى على المركوب (قلت) قال في الكشاف هو حال من الكاف في أتوك باضمار قد أى اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) وجوز أن يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل أن يكون بدلا من أتوك قال مجاهد هم أبناء مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى الاشعرى وأصحابه أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله يستحملونه ووافق منه غضبا فقال والله ما أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم مدبرون يبكون فدعاهم وأعطاهم ذود اغر الذرى فقال أبو موسى ألست حلفت يا رسول الله فقال اما اني ان شاء الله لا أحلف بيمين فارى غيرها خيرا منها الا أتيت الذى هو خير وكفرت عن يميني وقيل هم البكاؤن سبعة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا نبي الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وهم يبكون وقوله (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كلها فائضة ومن للبيان والجار والمجرور في محل النصب على التمييز (حزنا أن لا يجدوا) أى على أن لا يجدوا (انما السبيل) أى سبيل الخطاب

ومسائية وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين عليهم دائرة السوء بضم السين كأنه جعله اسما كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب ومن قال عليهم دائرة السوء فضم لم يقل هذا رجل السوء بالضم والرجل السوء (١) وقال الشاعر

وكنت كذئب السوء لما رأى دما ❊ بصاحبه يوما أحال على الدم

والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين بمعنى عليهم الدائرة التي تسوءهم سوأ كما يقال هو رجل صدق على وجه النعت ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن الاعراب من يصدق الله ويقر بوحدانيته وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب وينوى بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قربات عند الله والقربات جمع قربة وهو ما قربه من رضا الله ومحبته وصلوات الرسول يعني بذلك ويبتغي بنفقة ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معاني الصلاة الدعاء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وصلوات الرسول يعني استغفار النبي عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال دعاء الرسول قال هذه ثنية الله من الأعراب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر قال هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال هم بنو مقرن من مزينة ❊ قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله الأعراب أشد كفرا ونفاقا ائم استثنى فقال ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا جعفر عن البختري بن المختار العبدى قال سمعت عبد الله بن مغفل قال كنا عشرة ولد مقرن فنزلت فينا ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الى آخر الآية قال الله ألا انها قربة لهم يقول تعالى ذكره ألا ان صلوات الرسول قربة لهم من الله وقد يحتمل أن يكون معناه ألا ان نفقته التي ينفقها كذلك قربة لهم عند الله سيدخلهم الله في رحمته يقول سيدخلهم الله فيمن رحمه فادخله برحمته الجنة ان الله غفور لما اجترموا رحيم بهم مع توبتهم واصلاحهم أن يعذبهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره والذين سبقوا الناس أولا الى الايمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم والانصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه

(١) لأن السوء ليس بالرجل بل هو الضر والبيت للفرزدق والسوء فيه بالفتح وأحال الذئب على الدم أقبل عليه انظر اللسان كتبه مصححه

والعتاب فى أمر الغزو والجهاد (على الذين يستأذنونك) فى التخلف وهم أغنياء ثم قال على سبيل الاستئناف (رضوا) كأنه قيل مالهم استأذنوا وهم قادرون على الاستعداد فقيل رضوا بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ومن جملة أسباب الاستئذان أن طبع الله تعالى على قلوبهم قال أهل العلم لما قال فى الآية الاولى واذا أنزلت قال هنالك وطبع ليكون المجهول مبنيا على المجهول بخلافه فى هذه الآية ثم ان العلم فوق الفقه فكان أنسب بالمقام الذى جرى فيه ذكر الله أما قوله (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصير عذره مقبولا واذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله (قد نبأنا الله) علة لانتفاء التصديق (وسيرى الله عملكم) يعنى رؤية وقوع أى سيقع أنكم هل تبقون على الحالة التى تظهرونها أم لا وفى قوله (ثم تردون الى عالم الغيب) تخويف شديد وفيه أنه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوءة من النفاق والكذب وانما لم يقل فى هذه الآية والمؤمنون كما فى الآية التى تجىء لان هذه فى المنافقين ولا يطلع على ما فى باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه أو بنور نبوته كما قال قد نبأنا الله من أخباركم والآية الاخرى فى المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم آية المنافقين بقوله ثم تردون لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف آية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد من الله ثم ذكر أن منافقى الاعراب سيؤكدون أعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقى المدينة فقال (سيحلفون بالله لكم) أى لاجلكم (اذا انقلبتم) أى رجعتم (اليهم) ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر أنهم حلفوا على أنهم ما قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم أرادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح ولهذا قال ابن عباس فى أرادت لك الكلام والسلام وقال مقاتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب عنهم فقال (انهم رجس) فكأنهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعتاب

وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله والذين اتبعوهم باحسان يقول والذين سلكوا سبيلهم فى الايمان بالله ورسوله والهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام طلب رضا الله رضى الله عنهم ورضوا عنه واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله والسابقون الاولون فقال بعضهم هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أو أدركوا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن اسمعيل عن عامر والسابقون الاولون قال من أدرك بيعة الرضوان * قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عامر قال المهاجرون الاولون من أدرك البيعة تحت الشجرة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال المهاجرون الاولون الذين شهدوا بيعة الرضوان حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن مطرف عن الشعبى قال المهاجرون الاولون من كان قبل البيعة الى البيعة فهم المهاجرون الاولون ومن كان بعد البيعة فليس من المهاجرين الاولين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ومطرف عن الشعبى قال السابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن داود عن عامر قال فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان وهى بيعة الحديبية حدثنى المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد ومطرف عن الشعبى قال هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبثر أبو زبيد عن مطرف عن الشعبى قال المهاجرون الاولون من أدرك بيعة الرضوان * وقال آخرون بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن عثمان الثقفى عن مولى لابى موسى عن أبى موسى قال المهاجرون الاولون من صلى القبلتين مع النبى صلى الله عليه وسلم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن عثمان بن المغيرة عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن مولى لابى موسى قال سألت أبا موسى الأشعرى عن قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى هلال عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب لم سموا المهاجرين الاولين قال من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا فهو من المهاجرين الاولين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا عباس بن الوليد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن بعض أصحابه عن قتادة عن سعيد بن المسيب وعن اشعث عن ابن سيرين فى قوله والسابقون الأولون قال هم الذين صلوا القبلتين حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن محمد قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة

والتوبيخ وفى أمثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة المعاتبة المعاودة و بشرة الاديم ظاهره الذى عليه الشعر أى انما يعاد الى الدباغ من الاديم ماسلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب واذا لم تمكن المعاتبة نافعة فيهم فترکها هو الصواب (ومأواهم) جهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين أنهم طلبوا اعراض الصفح بقوله (يحلفون لكم لترضوا عنهم) نهاهم عن الرضا بقوله (فان ترضوا عنهم)

فى قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا وأما الذين اتبعوا المهاجرين الاولين والانصار باحسان فهم الذين أسلموا لله اسلامهم وسلكوا منهاجهم فى الهجرة والنصرة وأعمال الخير كما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال مر عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان قال من أقرأك هذه الآية قال أقرأنيها أبى بن كعب قال لا تفارقنى حتى أذهب بك اليه فأتاه فقال أنت أقرأت هذا هذه الآية قال نعم قال وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا قال وتصديق ذلك فى أول الآية التى فى أول الجمعة وأوسط الحشر وآخر الانفال أما أول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وأما آخر الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار حتى بلغ ورضوا عنه قال وأخذ عمر بيده فقال من أقرأك هذا قال أبى بن كعب فقال لا تفارقنى حتى اذهب بك اليه فلما جاءه قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا قال نعم قال أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبى بلى تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم الى وهو العزيز الحكيم وفى سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وفى الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم الى آخر الآية وروى عن عمر فى ذلك ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن حبيب بن الشهيد وعن ابن عامر الانصارى أن عمر بن الخطاب قرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان فرفع الانصار ولم يلحق الواو فى الذين فقال له زيد بن ثابت والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر الذين اتبعوهم باحسان فقال زيد أمير المؤمنين أعلم فقال عمر ائتونى بأبى بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك فقال أبى والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر اذا نتابع أبيا والقراءة على خفض الانصار عطفا بهم على المهاجرين وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ الانصار بالرفع عطفا بهم على السابقين والقراءة التى لا أستجيز غيرها الخفض فى الانصار لاجماع الحجة من القراء عليه وأن السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والانصار وانما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع والحاق الواو فى الذين اتبعوهم باحسان لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعا على أن التابعين باحسان غير المهاجرين والانصار وأما السابقون فانهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم فى قوله رضى الله عنهم ورضوا عنه ومعنى الكلام رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه وأجابوا نبيه الى ما دعاهم اليه من أمره ونهيه ورضى عنه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم اياه وايمانهم به و بنبيه عليه السلام وأعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار يدخلونها خالدين فيها الابثين فيها أبدا

الآية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة لارادة الله وأى فائدة فى رضا المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادبهم جمعا معينين كانوا بالون منافق المدينة قال أهل اللغة رجل عربى اذا كان نسبه الى العرب ثابتا ورجل أعرابى اذا كان بدويا سواء كان من العرب أو من مواليهم وجمعه أعراب كالمجوسى والمجوس واليهودى واليهود فالأعرابى اذا قيل له يا اعرابى فرح واذا قيل للعربى يا أعرابى غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربى ومن نزل البادية فهو أعرابى ولهذا لا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب وانما هم عرب قال صلى الله عليه وسلم لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا أعرابى مهاجرا قيل انما سمى العرب عربا لان أولاد اسمعيل عليه السلام نشؤا بالعربة وهى من تهامة ونسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم وقيل لان ألسنتهم معربة عما فى ضمائرهم لما فى لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء أنه قال حكمة الروم فى أدمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند فى أوهامهم وحكمة اليونان فى أفئدتهم وذلك لكثرة مالهم من المباحث العقلية وحكمة العرب فى ألسنتهم وذلك لحلاوة ألفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم أشد كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال أهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش الى البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من أصبح وأمسى مشرفا عليه أزاد النبوة ومشرفا باستماع مواعظه وآدابه كيف يكون مساويا لمن نشأ

كما يشاء من غير سياسة سائس ولا تأديب مؤدب وان شئت فقس الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين أي الاكارين لانهم يفدون أي يصيحون وقوله (وأجدر) أي أولى وأحق (بان لا يعلموا حدود ما أنزل الله) أي مقادير تكاليفه وأحكامه وما تنتهي اليه (٨) الادلة العقلية والسمعية (والله عليم) بما في قلوب أهل البدو والحضر وأصحاب الوبر والمدر (حكيم) في كل ما قدر من الشرائع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم أي يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت أن أصل الغرم اللزوم كأنه اعتقد أنه لزمه لامر من خارج كتقية أو رياء ليس مما ينبعث من النفس والمغرم اما مصدر أو موضع (ويتربص بكم الدوائر) نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكأنها لا تستعمل الا في المكروه تشبيها بالدائرة التي تحيط بما في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذويه بأن دعا عليهم بقوله (عليهم دائرة السوء) وانها جملة معترضة كقوله غلت أيديهم والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه الدائرة للملابسة كقولك رجل صدق قال في الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد أنهم لا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) لاقوالهم (عليم) بنياتهم قيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال (ومن الأعراب من يؤمن) الآية والمعنى أنهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لصلوات الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى ثم انه تعالى شهد لهم ولامثالهم بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستئناف مؤكدا بحرف التنبيه والتحقيق (ألا انها قربة لهم) ثم فسر القربة بقوله (سيدخلهم الله في رحمته) والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه أخذت أمه بجادا وهو كساء مخطط فشقته نصفين فردته بأحدهما وأزرته بالثاني

لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن القوم الذين حول مدينتكم من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقوله مردوا على النفاق يقول مرنوا عليه ودربوا به ومنه شيطان مارد ومريد وهو الخبيث العاتي ومنه قيل تمرد فلان على ربه أي عتا ومرد على معصيته واعتادها وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن أهل المدينة مردوا على النفاق أي لجوا فيه وأبوا غيره لا تعلمهم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة ولكنا نحن نعلمهم كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون الى قوله نحن نعلمهم قال فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ولقد تكلفت شيأ ما تكلفته الانبياء قبلك قال نبي الله نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ وقال الله لنبيه عليه السلام لا تعلمهم نحن نعلمهم وقوله سنعذبهم مرتين يقول سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين احداهما في الدنيا والاخرى في القبر ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ما هي فقال بعضهم هي فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قول الله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق الى قوله عذاب عظيم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختبؤا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بامرهم فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين أبشر يا عمر فقد فضح الله المنافقين اليوم فهذا العذاب الاول حين أخرجهم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك سنعذبهم مرتين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين فيعذبهم بلسانه قال وعذاب القبر (١) ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال القتل والسباء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل

---

(١) يظهر أن في الكلام سقطا والأصل وقال آخرون هي الخوف والجوع أو القتل والسباء ذكر الخ تأمل اه كتبه مصححه

وبعثته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قائده والله أعلم ﴿ التأويل الناس ثلاثة المتضررون المعذرون المعترفون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون فى الطلب ولكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم فى القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن فى الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا (٩) ما أتوك بطريق المتابعة لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم يكونوا بالغيها بجناحى البشرية والروحانية قلت لا أجد ما أحملكم عليه ترفعا ودلالا واستيراء لزناد أشواقهم كما قيل لموسى لن ترانى زيادة لشوقه وهم أغنياء لهم الاستعدادات الكاملة فلم يستعملوها فى طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الأعراب أشد كفرا ان فى عالم الانسانية بدواهو نفسه وحضراهو قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما أن الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس وقد تصير النفس مؤمنة بسراية القلب ولكن النفس تكون أشد كفرا من القلب الكافر كما أن القلب يكون أشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما أنزل الله على رسوله يعنى الواردات النازلة على الروح فان القلب حضر الروح كما أن المدينة حضر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن النفوس من يعتقد أن ما يصرف من أوقاته فى طلب الكمال ضائع وخسار وينتظر بالقلب اشتغالا وفترة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها وقهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليم بمن ينبغى أن يسمع فى حقه ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين بالجوع وعذاب القبر قال ثم يردون الى عذاب عظيم يوم القيامة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل وقال يحيى بالخوف والقتل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال بالجوع والقتل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى مالك سنعذبهم مرتين قال بالجوع وعذاب القبر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل * وقال آخرون معنى ذلك سنعذبهم عذابا فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أسر الى حذيفة باثنى عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ فى كتف أحدهم حتى يفضى الى صدره وستة يموتون موتا ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان اذا مات رجل يرى أنه منهم نظر الى حذيفة فان صلى عليه صلى عليه والا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا قال لا والله ولا أومن منها أحدا بعدك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن سنعذبهم مرتين قال عذاب الدنيا وعذاب القبر **حدثنا** محمد بن بشار ومحمد بن العلاء قالا ثنا بدل بن المحبر قال ثنا شعبة عن قتادة سنعذبهم مرتين قال عذابا فى الدنيا وعذابا فى القبر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب النار * وقال آخرون كان عذابهم احدى المرتين مصائبهم فى أموالهم وأولادهم والمرة الاخرى فى جهنم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سنعذبهم مرتين قال أما عذاب فى الدنيا فالاموال والاولاد وقرأ قول الله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا بالمصائب فيهم هى لهم عذاب وهى للمؤمنين أجر قال وعذاب فى الآخرة فى النار ثم يردون الى عذاب عظيم قال النار * وقال آخرون بل احدى المرتين الحدود والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضى * وقال آخرون بل احدى المرتين أخذ الزكاة من أموالهم والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن سليمن بن أرقم عن الحسن * وقال آخرون بل احدى المرتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ فى أمر الاسلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنعذبهم مرتين قال العذاب الذى وعدهم مرتين فيما بلغنى عنهم ما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ثم عذابهم فى القبر اذا صاروا اليه ثم العذاب العظيم الذين يردون اليه عذاب الآخرة ويخلدون فيه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال ان الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين ولم يضع لنا دليلا لا نتوصل به الى علم صفة ذينك العذابين وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبأنا عنهم وليس عندنا علم بأى ذلك من بأى على أن فى قوله جل ثناؤه ثم يردون الى عذاب عظيم دلالة على أن العذاب فى المرتين كلتيهما قبل

(٢ - ابن جرير الحادى عشر) ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب

الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ۞ القرآت من تحتها بزيادة من ابن كثير والباقون بحذفها وبالنصب على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الآخرون بالجر ان صلاتك على التوحيد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة بعد الجيم أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى أبى بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو أبو جعفر ونافع وابن عامر أسس بنيانه مجهولا فى الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى وحماد الباقون بالضم هار بالامالة أبو عمرو وحمزة فى رواية ابن سعدان وأبى عمرو وعلى غير ليث وابن حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى أن قرأها يعقوب الباقون الا أن تقطع فعلا ماضيا أو مضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس

دخولهم النار والأغلب من احدى المرتين انها فى القبر وقوله ثم يردون الى عذاب عظيم يقول ثم يردون هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله اياهم مرتين الى عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم يقول أقروا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا يعنى جل ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها والآخر السيئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج غازيا وتركهم الجهاد مع المسلمين فان قال قائل وكيف قيل خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وانما الكلام خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فكان بعض نحويى البصرة يقول قيل ذلك كذلك وجائز فى العربية أن يكون بآخر كما تقول استوى الماء والخشبة أى بالخشبة وخلطت الماء واللبن وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم استوى الماء والخشبة واعتل فى ذلك بأن الفعل فى الخلط عامل فى الاول والثانى وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز فى قولهم استوى الماء والخشبة وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط ۞ قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أنه بمعنى قولهم خلطت الماء واللبن بمعنى خلطته باللبن عسى الله أن يتوب عليهم يقول لعل الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب وانما معناه سيتوب الله عليهم ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت ان الله غفور رحيم يقول ان الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها رحيم به أن يعذبه بها وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية والسبب الذى من أجله أنزلت فيه فقال بعضهم نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك منهم أبو لبابة فربط سبعة منهم أنفسهم الى السوارى عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم توبة منهم من ذنبهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما حضر رجوع النبى صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد وكان ممر النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع فى المسجد عليهم فلما رآهم قال من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله (١) حتى تطلقهم وتعذرهم فقال النبى عليه السلام وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذى يطلقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن بالله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا فأنزل الله تبارك وتعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب فلما نزلت أرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم ۞ وقال آخرون بل كانوا ستة أحدهم أبو لبابة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر

---

(١) الذى فى الدر أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى الخ

سيأ تقطع مضارعا مجهولا من التقطع روح الباقون تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع ۞ الوقوف باحسان لا لان قوله رضى الله عنهم خبر والسابقون أبدا ط العظيم ○ منافقون ط لمن قدر ومن أهل المدينة قوم مردوا ومن وصل وقف على أهل المدينة تقديره هم مردوا

على النفاق ط ومن قدر ومن أهل المدينة قوم احتمل أن يجعل لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم ط نحن نعلمهم ط عظيم ٥ ج لاحتمال أن يكون التقدير ومنهم آخرون وأن يكون معطوفا على منافقون أو على قوم المقدر سيئا ط عليهم ط رحيم ٥ وصل عليهم ط لهم ط عليم ٥ الرحيم ٥ والمؤمنون ط تعملون ٥ يتوب عليهم ط حكيم ٥ من قبل ط الحسنى ط لكاذبون ٥ أبدا ط أن تقوم فيه ط أن يتطهروا ط المطهرين ٥ في نار جهنم ط الظالمين ٥ قلوبهم ط حكيم ٥ ۞ التفسير لما ذكر الأعراب المخلصين بين أن فوق منازلهم منازل أعلى وأجل وهي منازل السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان قال ابن عباس السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن والظاهر أن الآية عامة في كل من سبق في الهجرة والنصرة قال أهل السنة لا شك أن أبا بكر أسبق في الهجرة أو هو من السابقين فيها وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنه رضي عنهم ولا شك أن الرضا معلل بالسبق إلى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة إمامته والاستحقاق اللعن والمقت قال أكثر العلماء كلمة من في قوله من المهاجرين والأنصار للتبعيض وإنما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لأنهم آمنوا وفي عدد المسلمين في مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوى الإسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زياد أنه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال لي إن الله تعالى قد غفر لهم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة قال سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى والسابقون

سيأ عسى الله الى قوله ان الله غفور رحيم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلكة وقالوا نكون في الكن والطمأنينة مع النساء ورسول الله والمؤمنون معه في الجهاد والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسواري المسجد وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان طريقه في المسجد فمر عليهم فقال من هؤلاء الموثقو أنفسهم بالسواري فقالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم وقد اعترفوا بذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أطلقهم حتى أومر باطلاقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم وقد تخلفوا عني ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم فأنزل الله برحمته وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وعسى من الله واجب فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم وتجاوز عنهم ۞ وقال آخرون الذين ربطوا أنفسهم بالسواري كانوا ثمانية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم قال هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسواري منهم كردم ومرداس وأبو لبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الذين ربطوا أنفسهم بالسواري هلال وأبو لبابة وكردم ومرداس وأبو قيس ۞ وقال آخرون كانوا سبعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ذكر لنا أنهم كانوا سبعة ربط تخلفوا عن غزوة تبوك فأما أربعة فخلطوا عملا صالحا وآخر سيأ جد بن قيس وأبو لبابة وحرام وأوس وكلهم من الأنصار وهم الذين قيل فيهم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال هم نفر ممن تخلف عن تبوك منهم أبو لبابة ومنهم جد بن قيس تيب عليهم قال قتادة وليسوا بالثلاثة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال هم سبعة منهم أبو لبابة كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك وليسوا بالثلاثة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ نزلت في أبي لبابة وأصحابه تخلفوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان قريبا من المدينة ندموا على تخلفهم عن رسول الله وقالوا نكون في الظلال والاطعمة والنساء ونبي الله في الجهاد واللأواء والله لنوثقن أنفسنا بالسواري ثم لا نطلقها حتى يكون نبي الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا وأوثقوا أنفسهم وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فقدم رسول الله صلى الله

الاولون الى آخر الآية أوجب لجميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك أن يقتدوا بهم فى أعمالهم الحسنة لا السيئة أو باحسان فى القول وهو أن لا يقولوا فيهم سوأ ويحفظوا ألسنتهم عن الاغتياب والطعن فى حقهم قال العلماء معنى رضا الله عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح أحوال المنافقين فقال (وممن حولكم) هو خبر مقدم (من الاعراب) بيان أو حال و(منافقون) مبتدأ (ومن أهل المدينة) عطف على الخبر أو خبر لمبتدأ آخر بناء على أن التقدير ومن أهل المدينة قوم (مردوا) التركيب يدل على الملابسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام أمرد وأرض مرداء لا نبات فيها وتمردا ذا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقى كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال (سنعذبهم مرتين) قال ابن عباس هما العذاب فى الدنيا بالفضيحة والعذاب فى القبر روى السدى عن أبى مالك أنه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق اخرج يا فلان انك منافق حتى أخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبى وعذاب القبر وقال قتادة بالدبيلة وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم فى القبور وقال الحسن بأخذ الزكاة من أموالهم وبعذاب القبر وقيل أحد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والآخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار (ثم يردون الى عذاب عظيم) هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبى وممن حولكم جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار ومن أهل المدينة عبد الله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأبو عامر الراهب وأضرابهم ثم قال (وآخرون) وهو معطوف على منافقون أو مبتدأ و(اعترفوا) صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستأنفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف فى أنهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم

عليه وسلم من غزوته فرقى المسجد وكان طريقه فأبصرهم فسأل عنهم فقيل له أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبى الله فصنعوا بأنفسهم ما ترى وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم لا أطلقهم حتى أومر باطلاقهم ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين فأنزل الله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب فأطلقهم نبى الله وعذرهم * وقال آخرون بل عنى بهذه الآية أبو لبابة خاصة وذنبه الذى اعترف به فتيب عليه منه ما كان من أمره فى بنى قريظة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت فى أبى لبابة قال لبنى قريظة ما قال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أبو لبابة اذ قال لقريظة ما قال أشار الى حلقه ان محمدا ذابحكم ان نزلتم على حكم الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم فذكر نحوه الا أنه قال ان نزلتم على حكمه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد ربط أبو لبابة نفسه الى سارية فقال لا أحل نفسى حتى يحلنى الله ورسوله قال فحله النبى صلى الله عليه وسلم وفيه أنزلت هذه الآية وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت فى أبى لبابة * وقال آخرون بل نزلت فى أبى لبابة بسبب تخلفه عن تبوك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الزهرى كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فربط نفسه بسارية فقال والله لا أحل نفسى منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه قال ثم تاب الله عليه ثم قيل له قد تيب عليك يا أبا لبابة فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلنى قال فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله قال يجزيك يا أبا لبابة الثلث * وقال بعضهم عنى بهذه الآية الأعراب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال فقال انهم من الاعراب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حجاج بن أبى ذئب قال سمعت أبا عثمان يقول ما فى القرآن آية أرجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى والله غفور رحيم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب فى ذلك قول من قال نزلت هذه الآية فى المعترفين بخطا فعلهم فى تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص الى تبوك وان الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى ذلك لان الله جل ثناؤه قال وآخرون اعترفوا بذنوبهم فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ولم

يكن

أوقوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس فى رواية الوالبى نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد روى أنهم كانوا ثلاثة أبولبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين

يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية فى حصار قريظة غير أبى لبابة وحده فاذ كان ذلك وكان الله تبارك وتعالى قد وصف فى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم بالاعتراف بذنوبهم جماعة علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد فقد تبين بذلك أن هذه الصفة اذلم تكن الا لجماعة وكان لا جماعة فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والاخبار وأجمع عليه أهل التأويل الا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك صح ما قلنا فى ذلك وقلنا كان منهم أبولبابة لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم وتزكيهم بها يقول وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها الى منازل أهل الاخلاص وصل عليهم يقول وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها ان صلاتك سكن لهم يقول ان دعاءك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم والله سميع عليم يقول والله سميع لدعائك اذا دعوت لهم ولغير ذلك من كلام خلقه عليم بما تطلب لهم بدعائك ربك لهم وبغير ذلك من أمور عباده ۞ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال جاؤا بأموالهم يعنى أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا قال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص وصل عليهم يقول استغفر لهم حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبولبابة وصاحباه بأموالهم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من أموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ منها شيأ حتى أومر فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم يقول استغفر لهم من ذنوبهم التى كانوا أصابوا فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من أموالهم فتصدق بها عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم قال لما أطلق النبى صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى قالوا يا رسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا الله عنهم يا نبى الله طهر أموالنا فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكان الثلاثة اذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله وكان عمى منهم اثنان فلم يزل الآخر يدعو حتى عمى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الاربعة جد بن قيس وأبولبابة وحرام وأوس هم الذين قيل فيهم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم أى وقار

بلغهم مانزل فى المتخلفين فأيقنوا بالهلاك أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد وقالوا والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزل خذ من أموالهم صدقة الآية والاعتراف هو الاقرار بالشئ عن معرفة والمراد أنهم أقروا بذنوبهم وهذه كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضى والعزم على تركه فى الحال وفى الاستقبال (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) أى خلطوا كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا أبلغ من قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت فى الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز

أن يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت شاة ودرهما أى شاة بدرهم وذلك أن الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز أن يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال أهل السنة فيه دليل على نفى القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفى قوله (عسى الله أن يتوب عليهم) دليل على وقوع التوبة التى أخبر بحصول مقدمتها وهى الاعتراف منهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع

واجب وفائدته أن يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه أن التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معنى أن يتوب أن يقبل التوبة وردبأنه عدول عن الظاهر مع أن الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيئته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه (خذ من أموالهم صدقة) عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال أكثر الفقهاء المراد بها الزكاة ووجه النظم أنهم لما أظهروا التوبة والندامة أمروا باخراج الزكاة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك أن الامر ظاهره الوجوب وأيضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من أموالهم دلالة على أن القدر المأخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على أن المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكاة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله (تطهرهم وتزكيهم) التاء فيهما للخطاب أي تطهرهم أيها الآخذ وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتأنيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير أو هي بمعنى الانماء كأنه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة أو المراد بالتزكية تعظيم شأنهم والاثناء عليهم قال أبو حنيفة ظاهر الآية يدل على أن الزكاة طهرة للآثام فلا تجب الا حيث يمكن حصول الآثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب الزكاة في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا (وصل عليهم) قال ابن عباس معناه ادع لهم فمن هنا قال الشافعي السنة للامام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال آخرون بظاهر اللفظ لما روى عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أبي من أصحاب الشجرة وكان

لهم وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدقوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك قال لما أطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه أتوا نبي الله بأموالهم فقالوا يا نبي الله خذ من أموالنا فتصدق به عنا وطهرنا وصل علينا يقولون استغفر لنا فقال نبي الله لا آخذ من أموالكم شيأ حتى أومر فيها فأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم من ذنوبهم التي أصابوا وصل عليهم يقول استغفر لهم ففعل نبي الله عليه السلام ما أمره الله به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله خذ من أموالهم صدقة أبو لبابة وأصحابه وصل عليهم يقول استغفر لهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم قال هؤلاء ناس من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اعترفوا بالنفاق وقالوا يا رسول الله قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ولكن توبة جديدة وصدقة نخرجها من أموالنا فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها بعد ما قال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره * واختلف أهل العربية في وجه رفع تزكيهم فقال بعض نحويي البصرة رفع تزكيهم بها في الابتداء وان شئت جعلته من صفة الصدقة ثم جئت بها توكيدا وكذلك تطهرهم وقال بعض نحويي الكوفة ان كان قوله تطهرهم للنبي عليه السلام فالاختيار أن تجزم أنه لم يعد على الصدقة عائد وتزكيهم مستأنف وان كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما * قال أبو جعفر والصواب في ذلك من القول أن قوله تطهرهم من صلة الصدقة لان القراء مجمعة على رفعها وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة وأما قوله وتزكيهم بها فخبر مستأنف بمعنى وأنت تزكيهم بها فلذلك رفع * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ان صلاتك سكن لهم فقال بعضهم رحمة لهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ان صلاتك سكن لهم يقول رحمة لهم * وقال آخرون بل معناه ان صلاتك وقار لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان صلاتك سكن لهم أي وقار لهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء المدينة ان صلواتك سكن لهم بمعنى دعواتك وقرأ قراء العراق وبعض المكيين ان صلاتك سكن لهم بمعنى ان دعاءك وكأن الذين قرؤا ذلك على التوحيد رأوا أن قراءته بالتوحيد أصح لان في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله ان صلواتك سكن لهم اذ كانت الصلوات هي جمع لما بين الثلاث الى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك والذي قالوا من ذلك عندنا كما قالوا وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعلة أن ذلك في العدد أكثر من الصلوات ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته أنه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد واذا كان ذلك كذلك كان التوحيد في الصلاة أولى ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أخبر به المؤمنين به أن قبول توبة من تاب من المنافقين

النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وأكثر الأئمة الآن على أنه لا تحسن الصلاة لغير النبي على غيره الا تبعا وأطلق بعضهم كالغزالي وامام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام أيضا في معنى الصلاة وأما الشيعة فانهم يذكرون الصلاة والسلام في حق آل الرسول أيضا كعلي وأولاده عليه السلام وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني أمية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكاة فكيف يمتنع ذكره أولا يحسن في أهل بيت الرسول ولان الكل أجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق وأما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في آل الرسول (ان صلاتك سكن لهم) والسكن ما يسكن اليه المرء وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيتطهرون بها وكيف لا يفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج مانعو الزكاة بها في زمان أبي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن والآن لا سكن ورد عليهم بسائر الآيات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (ألم يعلموا) يعني غير التائبين وقيل معناه ألم يعلم التائبون قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (أن الله هو يقبل التوبة) الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو أن يعلم أن الالهية هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه أيضا أن قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله (عن عباده) دون من اشارة الى البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان أو الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة أخذ الصدقات الى الله بعد أن أمر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وأنها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي أحدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله أعظم من أحد وقد جاء هذا المعنى في الحديث

المنافقين وأخذ الصدقة من أموالهم اذا أعطوها ليسا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأن نبي الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك انما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن اليه صلى الله عليه وسلم وأن ذلك الى الله تعالى ذكره دون محمد وأن محمدا انما يفعل ما يفعل من ترك واطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر الله فقال جل ثناؤه ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقو أنفسهم بالسواري القائلون لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس الى محمد وأن ذلك الى الله وأن الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده أو يردها ويأخذ صدقة من تصدق منهم أو يردها عليه دون محمد فيوجهوا توبتهم وصدقتهم الى الله ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره ويخلصوا التوبة له ويريدوه بصدقتهم ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم يقول المرجع بعبيده الى العفو عنهم اذا رجعوا الى طاعته الرحيم بهم اذا هم أنابوا الى رضاه من عقابه وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الآخرون يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء يعني الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فقال الله ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرني رجل كان يأتي حمادا ولم يجلس اليه قال شعبة قال العوام بن حوشب هو قتادة أو ابن قتادة رجل من محارب قال سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول ما من عبد تصدق بصدقة الا وقعت في يد الله فيكون هو الذي يضعها في يد السائل وتلا هذه الآية وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي عن عبد الله بن مسعود قال ما تصدق رجل بصدقة الا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ثم قرأ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة عن ابن مسعود بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة قال قال عبد الله ان الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد ابن منصور عن القاسم أنه سمع أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات حدثنا سليمن بن عمر بن الأقطع الربي قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم عن أبي هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله يقبل الصدقة ثم ذكر نحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد

ثم أمر نبيه بأن يقول للتائبين أو لغير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة (اعملوا) فيه نوع تهديد وتخويف (فسيرى الله عملكم) وقدمر تفسير مثله عن قريب والحاصل أنه كأنه قيل لهم اجتهدوا فى العمل فان له فى الدنيا حكما وهو أن يراه الله ورسوله والمؤمنون وفى الآخرة حكما وهو الجزاء

وبوجه آخر كانه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من الظاهرين فاعمل لتفوز بثناء شهداء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيامة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك أن رؤية الله تعالى شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا أما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل أفعال القلوب الا بارادة الله واطلاعه وافشائه واعلم أنه تعالى قسم المخلفين الى ثلاثة أقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثانى التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا أمرهم وذلك قوله (وآخرون) واعرابه كاعراب قوله وآخرون اعترفوا ومعنى (مرجون) أى مؤخرون من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه قوله أرجه وأخاه كما مر وبه سميت المرجئة لانهم يجازمون بغفران ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشيئة الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعى لانهم يؤخرون العمل عن الايمان وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية أمر رسول الله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما سيجىء وقال الحسن انهم قوم من المنافقين حذرهم الله بهذه الآية ان لم يتوبوا وقوله (اما يعذبهم) التشكيك فيه راجع الى العباد أى ليكن أمرهم على الخوف والرجاء وكان يقول اناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا

عن أبى هريرة قال ان الله يقبل الصدقة اذا كانت من طيب ويأخذها بيمينه وان الرجل يتصدق بمثل اللقمة فيربيها الله له كما يربى أحدكم فصيله أو مهره فتربو فى كف الله أو قال فى يد الله حتى تكون مثل الجبل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفس محمد بيده لا يتصدق رجل بصدقة فتقع فى يد السائل حتى تقع فى يد الله **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأن الله هو التواب الرحيم يعنى ان استقاموا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك اعملوا لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه فسيرى الله عملكم ورسوله يقول فسيرى الله ان عملتم عملكم ويراه رسوله والمؤمنون فى الدنيا وستردون يوم القيامة الى من يعلم سرائركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ من باطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون يقول فيخبركم بما كنتم تعملون ومامنه خالصا ومامنه رياء ومامنه طاعة ومامنه معصية فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم المحسن باحسانه والمسىء باساءته **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن مجاهد وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون قال هذا وعيد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوكم أيها المؤمنون آخرون ورفع قوله آخرون عطفا على قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وآخرون مرجون يعنى مرجؤن لأمر الله وقضائه يقال منه أرجأته أرجئه ارجاء وهو مرجأ بالهمز وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد وقد قرأت القراء بهما جميعا وقيل عنى بهؤلاء الآخرين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمه ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى فأرجأ الله أمرهم الى أن صحت توبتهم فتاب عليهم وعفا عنهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال وكان ثلاثة منهم يعنى من المتخلفين عن غزوة تبوك لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى أرجؤا سبتة لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم فأنزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين الى قوله ان الله هو التواب الرحيم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية يعنى قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم يعنى من أموال أبى لبابة وصاحبيه فتصدق بها عنهم وبقى الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ولم يوثقوا ولم يذكروا بشئ ولم ينزل عذرهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت وهم الذين قال الله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فجعل الناس يقولون هلكوا اذ لم ينزل لهم عذر وجعل آخرون يقولون عسى الله أن يغفر لهم

ويقول آخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائى جعل أمرهم دائرا بين التعذيب والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة وأجيب بأنه يجوز أن تكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولما ذكر أصناف المنافقين وبين طرائقهم المختلفة قال (والذين

اتخذوا) كأنه قال ومنهم الذين اتخذوا فى الكشاف أن محله النصب على الاختصاص أو الرفع على الابتداء وخبره محذوف أى وممن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير كانوا اثنى عشر رجلا بنوا مسجدا يضارّون به مسجد قباء وروى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا كذلك واعلم أنه سبحانه حكى أن الباعث لهم على هذا العمل كان أمورا أربعة الاول الضرار وهو المضارة والثانى الكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وذلك أنهم أرادوا تقوية أهل النفاق والثالث التفريق بين المؤمنين لانهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعتهم ولاسيما اذا صلى النبى فى مسجدهم فيؤدى ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) وقوله (من قبل) يتعلق بحارب أى من قبل بناء مسجد الضرار وقال فى الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون انه الاعداد والمراد بمن حارب أبو عامر الراهب والد أبى حنظلة الذى غسلته الملائكة وسماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر فى الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود

لهم فصاروا مرجئين لامر الله حتى نزلت لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الذين خرجوا معه الى الشام من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا يعنى المرجئين لامر الله نزلت عليهم التوبة فعموا بها فقال حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الى قوله ان الله هو التواب الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة وآخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله قال هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله هلال ابن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآخرون مرجون لامر الله هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة يريد غير أبى لبابة وأصحابه ولم ينزل الله عذرهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل فى أبى لبابة وأصحابه وتقول فرقة أخرى عسى الله أن يعفو عنهم وكانوا مرجئين لامر الله ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال لقد تاب الله على النبى والمهاجرين الآية وأنزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون مرجون لامر الله قال كنا نحدث أنهم الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع رهط من الانصار **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وآخرون مرجون لأمر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الثلاثة الذين خلفوا وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتتهم توبتهم من الله وأما قوله اما يعذبهم فانه يعنى اما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه اياهم فيعذبهم بذنوبهم التى ماتوا عليها فى الآخرة واما يتوب عليهم يقول واما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم فيغفرلهم والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون اليه من التوبة والمقام على الذنب حكيم فى تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه لا يدخل حكمه خلل ﴿القول فى تأويل قوله﴾ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ يقول تعالى ذكره والذين ابتنوا مسجدا ضرارا وهم فيما ذكر اثنا عشر نفسا من الانصار ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى

(٣ - ابن جرير - حادى عشر) ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا أبا عامر ليصلى بهم فى ذلك المسجد ثم أخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله (وليحلفن ان أردنا) أى ما أردنا ببناء هذا المسجد (الا) الخصلة (الحسنى) وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق ذلك غزوة تبوك فأتوا رسول الله وقالوا ابنينا مسجد الذى العلة والحاجة والليلة المطيرة

والليلة الشاتية ونحن نحب ان نصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه اتيان المسجد فنزل (لا تقم فيه أبدا) الآية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله أن يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرائيل لا تقم فيه ولا ريب أن النهى عن القيام فيه يستلزم النهى عن الصلاة فيه ثم بين علة النهى فقال (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أى من ابتداء وجوده (أحق أن تقوم فيه) والمعنى لو كان القيام فى غيره جائزا كان هذا أولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة فى هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من أول يوم كان أولى بالصلاة فيه فالامام أولى بأن يكون متقيا من أول عمره وماذاك الا على عليه السلام لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا فى هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عن أبى سعيد الخدرى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أياما مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال فى الكشاف وهذا أولى لان الموازنة بين مسجدى قباء أوقع وقال القاضى كل مسجد بنى على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح أحق أن تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وأيضا كل مسجد بنى مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى وجه الله أو عمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا آخر وذلك قوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما

ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى من تبوك حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا أتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدى أو أخاه عاصم بن عدى أخا بنى العجلان فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشم فقال مالك لمعن انظرنى حتى أخرج اليك بنار من أهلى فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى آخر القصة وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا خذام بن خالد بن عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد وهو الى بنى أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية وزيد بن جارية ونبتل بن الحرث وهم من بنى ضبيعة وبخدج وهو الى بنى ضبيعة وبجاد بن عثمان وهو من بنى ضبيعة ووديعة ابن ثابت وهو الى بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر فتأويل الكلام والذين ابتنوا مسجدا ضرارا المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمحادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرقوا به المؤمنين ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يقول واعدادا لأبى عامر الكافر الذى خالف الله ورسوله وكفر بهما وقاتل رسول الله من قبل يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزب الاحزاب يعنى حزب الاحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خذله الله لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبى الله وكتب الى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلى فيه فيما يزعم اذا رجع اليهم ففعلوا ذلك وهذا معنى قول الله جل ثناؤه وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى يقول جل ثناؤه وليحلفن بانوه ان أردنا الا الحسنى ببنائنا اياه الا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المسير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه وتلك هى الفعلة الحسنة والله يشهد انهم لكاذبون فى حلفهم ذلك وقيلهم ما بنيناه الا ونحن نريد الحسنى ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوآى ضرار المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لابى عامر الفاسق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى

أن أهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولأن طهارة الباطن أشد تأثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك أنهم كانوا لا يستنجون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وروى أنها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا بأجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضا عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ثم بين أنه لا نسبة بين الفريقين وأن بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير (أفمن أسس بنيانه) وهو مصدر كالعمران وأريد به المبنى والمعنى أن من أسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه (خير أم من أسس) دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير أي الشفة والجرف هو ما اذا سال السيل وانحسر الوادي وبقي على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف والهار الهائر وهو أيضا المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال في الكشاف انه صفة قصرت عن فاعل تكلف من خالف وألفه ليست بالف فاعل انما هي عينه وأصله هور على فعل ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر جهنم يروى أنه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى

قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وهم أناس من الانصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فأنزل الله فيه لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء خرج رجال من الانصار منهم بخدج جد عبد الله بن حنيف ووديعة بن حزام ومجمع بن جارية الانصاري فبنوا مسجد النفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخدج ويلك ما أردت الى ما أرى فقال يا رسول الله والله ما أردت الا الحسنى وهو كاذب فصدقه رسول الله وأراد أن يعذره فأنزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني رجلا منهم يقال له أبو عامر كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد انطلق الى هرقل فكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلي فيه وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال أبو عامر الراهب انطلق الى قيصر فقالوا اذا جاء يصلي فيه كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لأبي عامر الراهب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا أبو اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال نزلت في المنافقين وقوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال هو أبو عامر الراهب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم بنو غنم بن عوف **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حي يقال لهم بنو غنم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير في قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حي يقال لهم بنو غنم * قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت وارصادا لمن حارب الله ورسوله أبو عامر الراهب انطلق الى الشأم فقال الذين بنوا مسجد الضرار انما بنيناه ليصلي فيه أبو عامر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية عمد ناس من أهل النفاق فابتنوا مسجدا بقباء ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا الى رسول الله ليصلي فيه ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى

الدخان يخرج منه ثم ذكر أن بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) فى كونه سببا للريبة (فى قلوبهم) وجوه منها أن هدمه صار سببا لازدياد شكهم فى نبوته ومنها أنهم ظنوا أن تخريبه لاجل الحسد فارتفع أمانهم عنه وصاروا مرتابين فى أنه هل يتركهم على ماهم فيه أو يأمر بقتلهم ونهب (٣٠) أموالهم فلا تزول تلك الريبة (الا أن تقطع قلوبهم) أجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يضمحل أثرها عنها والمقصود أن هذا الشك يبقى فى قلوبهم أبدا ويموتون على النفاق قال فى الكشاف يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم

﴿ التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية أو السابقون الاولون عند الخروج من العدم وهم أهل الصف الاول من الجنود المجندة أو السابقون فى جواب ألست بربكم الاولون فى استماع هذا الخطاب أو السابقون فى استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم فى الازل الاولون باداء حق المحبة فى سر يحبونه أو السابقون عند تخمير طينة آدم فى مماسة ذراتهم يد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة فى كمال الاربعين صباحا أو السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق مخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم وبأمته كما قال نحن الآخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم فى طلب الحق والذين اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم فى متابعتهم بقدر الامكان رضى الله عنهم باعطاء الاستعدادات الكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها ومن حولكم ذكر من أعراب صفات النفس منافقون ومن أهل مدينة القلب فمن صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية بل تميل الى الشهوة

أطلعه الله على ذلك وأما قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله فانه كان رجلا يقال له أبو عامر فر من المسلمين فلحق بالمشركين (٣) فقتلوه باسلامه قال اذا جاء صلى فيه فانزل الله لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى الآية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء يضارون به نبى الله والمسلمين وارصادا لمن حارب الله ورسوله كانوا يقولون اذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه وكانوا يقولون اذا قدم ظهر على نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال مسجد قباء كانوا يصلون فيه كلهم وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل الملائكة وصيفى وأخيه وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين فخرج أبو عامر هاربا هو وابن بالين من ثقيف وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم فاما علقمة وابن بالين فرجعا فبايعا النبى صلى الله عليه وسلم وأسلما وأما أبو عامر فتنصر وأقام قال وبنى ناس من المنافقين مسجد الضرار لابى عامر قالوا حتى يأتى أبو عامر يصلى فيه وتفريقا بين المؤمنين يفرقون بين جماعتهم لانهم كانوا يصلون جميعا فى مسجد قباء وجاؤا يخدعون النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادى ويحول بيننا وبين القوم فنصلى فى مسجدنا فاذا ذهب السيل صلينا معهم قال وبنوه على النفاق قال وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وألقى الناس عليه النتن والقمامة فانزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين لئلا يصلى فى مسجد قباء جميع المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل أبى عامر وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبى جعفر عن ليث أن شقيقا لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر فقيل له مسجد بنى فلان لم يصلوا بعد فقال لا أحب أن أصلى فيه فانه بنى على ضرار وكل مسجد بنى ضرارا أو رياء أو سمعة فان أصله ينتهى الى المسجد الذى بنى على ضرار ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تقم يا محمد فى المسجد الذى بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ثم أقسم جل ثناؤه فقال لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم أنت فيه يعنى بقوله أسس على التقوى ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أول يوم ابتدئ فى بنائه أحق أن تقوم فيه يقول أولى أن تقوم فيه مصليا وقيل معنى قوله من أول يوم مبدأ أول يوم كما تقول العرب لم أره من يوم كذا بمعنى مبدؤه ومن أول يوم يراد به من أول الايام كقول القائل لقيت كل رجل بمعنى كل الرجال واختلف أهل التأويل فى المسجد الذى عناه بقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم فقال بعضهم هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه منبره وقبره اليوم

(٣) كذا فى الاصل ولعله مصحف والاصل فبنوه باشارته وقالوا اذا الخ تأمل كتبه مصححه

اذا خليت وطباعها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وان أخوف ما أخاف على أمتى النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية فى طلب الغذاء فانها باقية على طلبها مادام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل مايتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل أن تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس مالم تتبدل بالكلية أولم تكن مغلوبة بأنوار صفات القلب ففيها بعض النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعنى أن هذه الافعال لا يعرفها أرباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها أصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة بأحكام الشريعة ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء فى الله أو بجذبات القهر الى اسبال حجب البعد والبقاء فى عالم الطبيعة وآخرون يعنى القلب وصفاته اعترفوا بذنوب ثبوت صفات النفس والتلوث بها خلطوا عملا صالحا وهو صدق التوجه وآخر سيأ وهو مطاوعة النفس والهوى فى بعض الاوقات عسى الله أن يوفقهم للرجوع الى طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة فان حب الدنيا رأس كل خطيئة

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن ابراهيم بن طهمان عن عثمان بن عبيد الله قال أرسلنى محمد بن أبى هريرة الى ابن عمر أسأله عن المسجد الذى أسس على التقوى أى مسجد هو مسجد المدينة أو مسجد قباء قال لا مسجد المدينة * قال ثنا القاسم بن عمرو العنقزى عن الدراوردى عن عثمان بن عبيد الله عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبى سعيد قالوا المسجد الذى أسس على التقوى مسجد الرسول * قال ثنا أبى عن ربيعة بن عثمان عن عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع قال سألت ابن عمر عن المسجد الذى أسس على التقوى قال هو مسجد الرسول * قال ثنا ابن عيينة عن أبى الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم * قال ثنا أبى عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن ذكوان عن أبيه عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد الرسول حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد ثنا حميد الخراط المدنى قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بى عبد الرحمن بن أبى سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال لى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فى بيت بعض نسائه فقلت يارسول الله أى مسجد الذى أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا هكذا سمعت أباك يذكره حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد النبى الاعظم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال ان المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد المدينة الا كبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود قال قال سعيد بن المسيب فذكر مثله الا أنه قال الاعظم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال هو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن أبى الزناد عن خارجة بن زيد قال أحسبه عن أبيه قال مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الذى أسس على التقوى * وقال آخرون بل عنى بذلك مسجد قباء ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس لمسجد أسس على التقوى من أول يوم يعنى مسجد قباء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية لمسجد أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن صالح بن حيان عن ابن بريدة قال مسجد قباء الذى أسس على التقوى بناه نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى بنو عمرو بن عوف * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قال أبو كريب ثنا وكيع وقال ابن وكيع ثنا أبى عن ربيعة بن عثمان التيمى عن عمران بن أبى أنس رجل من الانصار عن سهل بن سعد قال اختلف رجلان على عهد

و يأخذ الصدقات فيه أن المعطى يجب أن لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير أصلا وسترد ون بأقدام أعمالكم الى الله الذى يعلم ماغاب عنكم من نتائج أعمالكم وماغبتم عنه من التقدير الازلى وما تشاهدون بالعيون والقلوب فى عالمى الملك والملكوت وآخرون مرجون أخرت توبتهم ليتردد وا بين الخوف والرجاء فيطيروا بجناحى القبض والبسط الى أن يصلوا الى سرادقات الهيبة والانس والله عليم بتربية

عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا في عالم الطبيعة مزبلة النفس مسجدا اضرار الارباب الحقيقة وكفرا بأحوالهم لمن حارب الله هم أهل الاباحة من مدعى الفقر لا تقم يا رسول الروح أسس على التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من أول يوم من الميثاق رجال يحبون أن يتطهروا (٣٢) هم الاوصاف الحميدة والملكات المزكاة عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين أهل السعادة والشقاوة فقال أفمن أسس بنيانه أي جبل على الخير ومافيه رضا الله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا أن تقطع قلوبهم غير واعن طباعهم وذلك محال أو لا يزال يسرى من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم غير وا عن طباعهم وذلك بسكين الرياضة فتزول عنها تلك الملكات

﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ القراآت

رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد النبي وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هو مسجدى هذا اللفظ لحديث أبي كريب وحديث سفيان نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن عبد الله ابن عامر الاسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال مسجدى هذا **حدثني** يونس قال أخبرني ابن وهب قال ثني الليث عن عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه قال تمارى رجلان في المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال آخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله هو مسجدى هذا **حدثني** بحر بن نصر الخولاني قال قرئ على شعيب بن الليث عن أبيه عن عمران بن أبي أنس عن سعيد بن أبي سعيد الخدرى قال تمارى رجلان فذكر مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سجل بن محمد بن أبي يحيى قال سمعت عمي أنيس بن أبي يحيى يحدث عن أبيه عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا وفي كل خير **حدثني** المثنى قال ثني الحماني قال ثنا عبد العزيز عن أنيس عن أبيه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال أخبرنا أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا من بني خدرة ورجلا من بني عمرو بن عوف امتريا في المسجد الذى أسس على التقوى فقال الخدرى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العوفي هو مسجد قباء فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه فقال هو مسجدى هذا وفي كل خير ﴿القول في تأويل قوله ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ يقول تعالى ذكره في حاضري المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم رجال يحبون ان ينظفوا مقاعدهم بالماء اذا أتوا الغائط والله يحب المتطهرين بالماء وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا همام بن يحيى عن قتادة عن شهر بن حوشب قال لما نزل فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الطهور الذى أثنى الله عليكم قالوا يا رسول الله نغسل أثر الغائط **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء ان الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا أثر الغائط والبول **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم فيه قالوا انا نستطيب بالماء اذا جئنا من الغائط **حدثني** جابر بن الكردى قال ثنا محمد بن سابق قال ثنا مالك بن مغول عن سيار أبي الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أخبروني فان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا فقالوا يا رسول الله انا نجد عندنا مكتوبا في التوراة الاستنجاء بالماء **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا يحيى بن رافع عن مالك بن مغول قال سمعت سيارا أبا الحكم غير مرة يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد ابن

فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلى وخلف الآخرون على العكس ويقتلون بالتشديد أبو عون عن قنبل ابراهام وكذلك مابعده هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التأنيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى ابن رومى عن عباس الباقون بالتشديد مجهولا ز الوقوف الجنة ط ويقتلون ط والقرآن ط بايعتم به ط العظيم ٥ لحدود الله ط المؤمنين ٥ الجحيم ٥ اياه ط منه ط ج حليم ٥ طما يتقون ط عليم ٥ والارض ط ويميت ط نصير ٥ تاب عليهم ط رحيم ٥ ط للعطف على النبي خلفوا ط الااليه ط ليتوبوا ط الرحيم ٥ الصادقين ٥ ۞ التفسير لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر أقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه فقال (ان الله اشترى) الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فأغلى ثمنهم وقال جعفر الصادق عليه السلام والله مالأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم أن هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لأن المشترى انما يشترى ما الا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن اشترى أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها والمراد بأنفسهم النفوس المجاهدة وبأموالهم التي ينفقونها في أسباب الجهاد وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي أن قيم الطفل له أن يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الآية البائع والمشترى هو الله ففيه تنبيه على أن العبد كالطفل الذي لا يهتدي الى مصالح نفسه وأنه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى أنواع الخيرات وأصناف السعادات وبوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد

ابن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قباء قال ان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا يعني قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا قالوا انا نجده مكتوبا عندنا في التوراة الاستنجاء بالماء حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى بن رافع قال ثنا مالك بن مغول عن سيار عن شهر ابن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال يحيى ولا أعلمه الا عن أبيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل قباء ان الله قد أثنى عليكم في الطهور خيرا قالوا انا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء وفيه نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا اسمعيل ابن صبيح اليشكري قال ثنا أبو أويس المدني عن شرحبيل بن سعد عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني أسمع الله قد أثنى عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيأ الا أن جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا محمد بن سعيد قال ثنا ابراهيم ابن محمد عن شرحبيل بن سعد قال سمعت خزيمة بن ثابت يقول نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عامر قال كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء فنزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شبابة بن سوار عن شعبة عن مسلم القري قال قلت لابن عباس أصب على رأسي وهو محرم قال ألم تسمع الله يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن داود وابن أبي ليلى عن الشعبي قال لما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ماهذا الذي أثنى الله عليكم قالوا ما منا من أحد الا وهو يستنجي من الخلاء حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الحميد المدني عن ابراهيم بن اسمعيل الانصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة ماهذا الذي أثنى الله عليكم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال نوشك أن نغسل الأدبار بالماء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن حصين عن موسى بن أبي كثير قال بدء حديث هذه الآية في رجال من الانصار من أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا نستنجي بالماء حدثني المثنى قال ثنا أصبغ بن الفرج قال أخبرني ابن وهب قال أخبرني يونس عن أبي الزناد قال أخبرني عروة بن الزبير عن عويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف ومعن بن عدي من بني العجلان وأبي الدحداح فأما عويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجال منهم عويم بن ساعدة لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلا غير عويم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن هشام بن حسان قال ثنا الحسن قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي ذكركم الله به في أمر الطهور فاثنى به عليكم قالوا نغسل أثر الغائط والبول حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مالك بن مغول قال

الذى هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضرورات المعاش كالآلات والوسائط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبائع هو جوهر الروح القدسى والمشترى هو الله وأحد العوضين الجسد البالى والمال الفانى والعوض الآخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وفى قوله (يقاتلون) معنى الامر كقوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وهو كالتفسير لتلك المبايعة (فيقتلون ويقتلون) أى انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه أن طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق أن كل أنواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد أكمل أثرا من القتال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام لأن يهدى الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولأن الانسان جوهر شريف فتى أمكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان أولى من افناء ذاته ألا ترى أن جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا أخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله (وعدا عليه) قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بأن لهم الجنة كأنه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله (حقا) أو هو نعت للمصدر مؤكد وما الذى حصل (فى التوراة والانجيل والقرآن) قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لأمة محمد وقيل الامر بالقتال (ومن أوفى) استفهام بمعنى الانكار أى لا أحد أوفى بما وعد (من الله) لانه الغنى عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفى الآية أنواع من التوكيدات فأولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشترى هو الاله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها أنه عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشراء

سمعت سيارا أبا الحكم يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أو قال قدم علينا رسول الله فقال ان الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيرا أفلا تخبرونى قالوا يا رسول الله انا نجد علينا مكتوبا فى التوراة الاستنجاء بالماء قال مالك يعنى قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طهوركم هذا الذى ذكر الله قالوا يا رسول الله كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى مسجد قباء رجال من الانصار يوضؤن سفلتهم بالماء يدخلون النخل والماء يجرى فيتوضؤن فاثنى الله بذلك عليهم فقال فيه رجال يحبون أن يتطهروا الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء فنزلت فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقيل والله يحب المطهرين وانما هو المتطهرين ولكن أدغمت التاء فى الطاء فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج احداهما من الاخرى ﴿القول فى تأويل قوله ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أفمن أسس بنيانه فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما وقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على وصف من بناء الفاعل الذى أسس بنيانه وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن قراءته بتوجيه الفعل الى من اذ كان من المؤسس أعجب الىّ فتأويل الكلام اذا أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على اتقاء الله بطاعتهم فى بنائه وأداء فرائضه ورضا من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك وفعلهم ما فعلوه خير أم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على شفا جرف هار يعنى بقوله على شفا جرف على حرف جرف والجرف من الركى ما لم يبن له جول هار يعنى متهور وانما هو هائر ولكنه قلب فاخرت ياؤها فقيل هار كما قيل هو شال السلاح وشائل وأصله من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا انهدم ومن جعله من هذه اللغة قال هرت ياجرف ومن جعله من هار يهور قال هرت ياجرف وانما هذا مثل يقول تعالى ذكره أى هذين الفريقين خير وأى هذين البناءين أثبت أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه بان بناءه لله طاعة والله به راض أم من ابتدأه بنفاق وضلال وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه فهدمه كما يأتى البناء على جرف ركية لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ترى به التراب متناثرا الا تلبثه السيول أن تهدمه وتنثره يقول الله جل ثناؤه فانهاربه فى نار جهنم يعنى فانتثر الجرف الهارى ببنائه فى نار جهنم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فانهار به قواعده فى نار جهنم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فانهار به يقول فخر به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

حتى يكون حقا مؤكدا ومنها أنه قال بأن لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون أن يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تأكيد التحقيق ومنها قوله فى التوراة والانجيل والقرآن وانه يجرى مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن أوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على أنه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله (وذلك هو الفوز) ثم وصف الفوز بـ(العظيم) واعلم أن هذه الخاتمة تقع على ثلاثة أوجه أحدها ذلك الفوز بغير هو وانه فى ستة مواضع فى براءة موضعان وفى النساء والمائدة والصف والتغابن وما فى النساء بزيادة واو والآخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك فى ستة مواضع أخرى فى براءة موضعان ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما فى براءة أحدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية وكذلك ما فى المؤمن وسبب هذا الاختلاف أن الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بالواو والعطف واما بالكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين الشيئين منها والثلاثة للدلالة على المبالغة وقد جمع فى هذه الخاتمة بين الثلاثة لغاية التوكيد والمبالغة أولأنه ذكر الكتب الثلاثة فكل رابطة فى مقابلة كتاب واحد وكذلك فى المؤمن وقع الثلاثة فى مقابلة ثلاثة أدعية فاغفر وقهم وأدخلهم قال أبو القاسم البلخى لابد من حصول الاعواض على الآلام للاطفال والبهائم قياسا على ما أثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على ألم القتل وهو الجنة ثم ذكر أن حكم سائر المؤمنين كذلك فقال (التائبون) قال الزجاج انه مبتدأ محذوف الخبر أى التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون وما بعده أى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال أما تفسير هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق ومال آخرون

سعيد عن قتادة قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله الى قوله فانهار به فى نار جهنم قال والله ما تناهى أن وقع فى النار ذكر لنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى منها الدخان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج (١) بنو عمرو بن عوف استأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم فى بنيانه فاذن لهم ففرغوا منه يوم الجمعة فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد قال وانهار يوم الاثنين قال وكان قد استنظرهم ثلاثا السبت والاحد والاثنين فانهار به فى نار جهنم مسجد المنافقين انهارا فلم يتناه دون أن وقع فى النار * قال ابن جريج ذكر لنا أن رجالا حفروا فيه فأبصروا الدخان يخرج منه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج عن طلق بن حبيب عن جابر قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا قال رأيت المسجد الذى بنى ضرارا يخرج منه الدخان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن مرزوق البصرى قال ثنا أبو سلمة قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال ثنى طلق العنزى عن جابر ابن عبد الله قال رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا خلف بن ياسين الكوفى قال حججت مع أبى فى ذلك الزمان يعنى زمان بنى أمية فررنا بالمدينة فرأيت مسجد القبلتين يعنى مسجد الرسول وفيه قبلة بيت المقدس فلما كان زمان أبى جعفر قالوا دخل الجاهل فلا يعرف القبلة فهذا البناء الذى يرون جرى على يد عبد الصمد بن على ورأيت مسجد المنافقين الذى ذكره الله فى القرآن وفيه جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة قوله والله لا يهدى القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للرشاد فى أفعاله من كان بانيا بناءه فى غير حقه وموضعه ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ريبة يقول لا يزال مسجدهم الذى بنوه ريبة فى قلوبهم يعنى شكا ونفاقا فى قلوبهم يحسبون أنهم كانوا فى بنائه محسنين الا أن تقطع قلوبهم يعنى الا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم فى دينهم وما قصدوا فى بنائه موه وأرادوه وما اليه صائر أمرهم فى الآخرة وفى الحياة ما عاشوا وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم حكيم فى تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم يعنى شكا الا أن تقطع قلوبهم يعنى الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ريبة فى قلوبهم قال شكا فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم الى أن يموتوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم يقول حتى يموتوا حدثنى مطر بن محمد الضبى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى قوله الا أن تقطع قلوبهم قال الا أن يموتوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا

(١) الذى تقدم له عن غير ابن جريج أن بانى مسجد الضرار بنو غنم بن عوف وان بانى مسجد قباء بنو عمرو بن عوف فان لم يكن مصحفا أو رواية فهو اشتباه فتأمل وحرر كتبه مصححه

الى التعميم ليشمل المعاصى أيضا اذ لا دليل على التخصيص (والعابدون) قال ابن عباس هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله فى السراء والضراء والعبادة لا شك أنها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم و(الحامدون) هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وذلك أن الحمد ذكر من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر أهل الدنيا يقولون فى كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين و(السائحون) قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة أمتى الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهرى انما قيل للصائم سائح لأن الذى يسيح فى الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل أصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى عنه من الاكل والشرب والوقاع وقال أهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه أبواب المعانى والحكم وتجلت له أنوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة فى عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلب العلم فى مظانه وكانت السياحة فى بنى اسرائيل قال عكرمة عن وهب ابن منبه لا ريب أن للسياحة أثرا عظيما فى تكميل النفس لانه يلقى أنواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء وللاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار (الراكعون الساجدون) يعنى المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلاة لان سائر هيئات المصلى موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلى وغيره بالركوع والسجود وقيل أول مراتب التواضع القيام وأوسطها الركوع وغايتها السجود

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة والحسن لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قالا شكا فى قلوبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى قال ثنا أبو سنان عن حبيب لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال غيظا فى قلوبهم * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا * قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن حبيب الا أن تقطع قلوبهم الا أن يموتوا * قال ثنا قبيصة عن سفيان عن السدى ريبة فى قلوبهم قال كفر قلت أكفر مجمع بن جارية قال لا ولكنها حزازة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال حزازة فى قلوبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم لا يزال ريبة فى قلوبهم راضين بما صنعوا كما حبب العجل فى قلوب أصحاب موسى وقرأ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قال حبه الا أن تقطع قلوبهم قال لا يزال ذلك فى قلوبهم حتى يموتوا يعنى المنافقين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن السدى عن ابراهيم ريبة فى قلوبهم قال شكا قال قلت يا أبا عمران تقول هذا وقد قرأت القرآن قال انما هى حزازة * واختلفت القراء فى قراءة قوله الا أن تقطع قلوبهم فقرأ ذلك بعض قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة الا أن تقطع قلوبهم بضم التاء من تقطع على أنه لم يسم فاعله وبمعنى الا أن يقطع الله قلوبهم وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة الا أن تقطع قلوبهم بفتح التاء من تقطع على أن الفعل للقلوب بمعنى الا أن تتقطع قلوبهم ثم حذفت احدى التاءين وذكر أن الحسن كان يقرأ الى أن تقطع قلوبهم بمعنى حتى تتقطع قلوبهم وذكر أنها فى قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك الا أن تقطع بضم التاء والقول عندى فى ذلك أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى لان القلوب لا تتقطع اذا تقطعت الا بتقطيع الله اياها ولا يقطعها الله الا وهى متقطعة وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته وأما قراءة من قرأ ذلك الى أن تقطع فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدا عليه حقا بقول وعدهم الجنة جل ثناؤه وعدا عليه حقا أن يوفى لهم به فى كتبه المنزلة التوراة والانجيل والقرآن اذا هم وفوا بما عاهدوا الله فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءه فقتلوا وقتلوا ومن أوفى بعهده من الله يقول جل ثناؤه ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله فاستبشروا يقول ذلك للمؤمنين فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به فان ذلك هو الفوز العظيم كما حدثنا ابن

خصا بالذكر تنبيها على أن المقصود من الصلاة نهاية الخضوع ثم قال (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ومعناهما مذكور فيما مر الا أن ههنا بحثا آخر وهو أنه لم أدخل الواو فى قوله والناهون والحافظون دون سائر الاوصاف وأجيب بأن الفسق يجىء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب أو المراد أن الموصوفين بالصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب فى الجهاد لان رأس المعروف الايمان بالله ورأس المنكر الكفر به والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر أو النهى عن المنكر أصعب أقسام التكاليف لافضائه فى الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فأدخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الآية ومافى الكهف فى قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ومافى الزمر فى قوله فى ذكر الجنة وفتحت أبوابها ومافى التحريم فى قوله ثيبات وأبكارا وذلك أنهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها فى القرآن والاخبار فالثمانية تجرى مجرى استئناف كلام فلهذا فصل بالواو وأما قوله (والحافظون لحدود الله) فكالجمال بعد تفصيل وذلك أن التكاليف اما أن تتعلق بمصالح الدين وهى باب العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذر ونحوها أو بمصالح الدنيا وهى المعاملات وانها اما لجلب المنافع أو لدفع المضار والمنافع اما ان تكون مقصودة بالاصالة أو بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هى المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس وهى المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملوسات ويدخل فيها باب أحكام الوقاع فنها ما يفيد حله كالنكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والسكنى وأحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن أحكام الملوسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاوانى الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل

حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال ما من مسلم الا ولله فى عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها فى قول الله ان الله اشترى من المؤمنين الى قوله وذلك هو الفوز العظيم ثم حلاهم فقال التائبون العابدون الى وبشر المؤمنين **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم يعنى بالجنة * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ثامنهم الله فأغلى لهم الثمن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن أنه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال بايعهم فأغلى لهم الثمن **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا قال عبد الله ابن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال الجنة قالوا رابح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين الآية * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبيد بن طفيل العبسى قال سمعت الضحاك بن مزاحم وسأله رجل عن قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية قال الرجل ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل قال ويلك أين الشرط التائبون العابدون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره ان الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ولكنه رفع اذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها والعرب تفعل ذلك وقد تقدم بياننا ذلك فى قوله صم بكم عمى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ومعنى التائبون الراجعون مما كرهه الله وسخطه الى ما يحبه ويرضاه كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن فى قول الله التائبون قال تابوا الى الله من الذنوب كلها **حدثنا** سوار بن عبد الله العنبرى قال ثنى أبى عن أبى الاشهب عن الحسن أنه قرأ التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى الاشهب قال قرأ الحسن التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن قال التائبون من الشرك **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية التائبون العابدون قال الحسن تابوا والله من الشرك وبرئوا من النفاق **حدثنا** بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله التائبون قال تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا فى الاسلام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج التائبون قال الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها وأما قوله العابدون فهم الذين ذلوا خشية لله وتواضعا له فجدوا فى خدمته كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة العابدون قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن

سماعه ومالا يحل والمشومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب فى بعض الاوقات ومنعه فى بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كأكل البصل والثوم للمصلى بالجماعة فى المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هى الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الموات والالتقاط وأخذ الفىء والغنائم والزكاة وكالبيع بيع العين بالعين أو بيع الدين بالعين وهو السلم أو بالعكس كما اذا اشترى شيأ فى الذمة أو بيع الدين بالدين وهو بيع الكالئ بالكالئ المنهى عنه الاعند تقاص الدينين أو من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة أو من جهة الاسباب التى توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة أو من جهة الاسباب التى تمنع المالك التصرف فى ملكه كالرهن والاجارة والتفليس وأما دفع المضار والمضرة اما فى النفس وهو كتاب الجراح أو فى الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد وأحكام البغاة واما فى النسب وهو باب أحكام الزنا والقذف واللعان واما فى العقل كباب تحريم الخمر واما فى المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق أو على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر وهو أن كل أحد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب أمر الله بنصب الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهى الشهادة والأيمان فحصل من ذلك كتاب آداب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما أمكن من ضبط معاقد تكاليف الله تعالى وأحكامه وحدوده وكلها منوطة بأعمال الجوارح دون أعمال القلوب التى لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله والحافظون لحدود الله يشمل ذلك أيضا بل رعايته أهم من رعاية أحوال الظواهر ثم ختم الآية بتكرير البشارة وفيه من كمال العناية ما فيه ولما بين من أول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين الكفرة الاحياء أراد أن يبين وجوب البراءة من أمواتهم أيضا وان كانوا أقارب

فى قول الله العابدون قال عبدوا الله على أحايينهم كلها فى السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن العابدون قال العابدون لربهم وأما قوله الحامدون فانهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحامدون قوم حمدوا الله على كل حال حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة قال قال الحسن الحامدون الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها فى السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن الحامدون قال الحامدون على الاسلام وأما قوله السائحون فانه الصائمون كما حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى وابن وكيع قالا ثنا سفيان عن عمرو عن عبيد بن عمير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن عمرو عن عبيد بن عمير قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون حدثنى محمد بن عبدالله بن بزيع قال ثنا حكيم بن حزام قال ثنا سليمن عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال السائحون الصائمون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبدالله قال السائحون الصائمون * قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنى عاصم عن زر عن عبدالله بمثله حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيدالله قال أخبرنا شيبان عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن قال السياحة الصيام حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السائحون الصائمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه واسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السائحون الصائمون حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد ابن جبير قال السائحون الصائمون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أشعث بن أبى الشعثاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبدالله مثله * قال ثنا أبى عن أبيه عن أبى اسحق عن عبد الرحمن قال السائحون هم الصائمون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس السائحون قال يعنى بالسائحين الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيدالله عن اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال السائحون هم الصائمون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد السائحون الصائمون * قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كل ما ذكر الله فى القرآن السياحة هم الصائمون * قال ثنا أبى عن المسعودى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن أبى عمرو العبدى قال السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن السائحون الصائمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن قال السائحون الصائمون شهر

فقال (ما كان للنبي) ومعناه النهي أي ماصح له وما استقام وماينبغي له ذلك ثم علل المنع بقوله (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فطلب غفرانهم جار مجرى طلب اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لمرتبة النبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بأن يكونوا من الاباعد أو من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله (ولو كانوا أولى قربى) روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وابن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك مالم أنه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا قد استغفر ابراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت ما كان للنبي الآيتان وقيل عن ابن عباس لما افتتح صلى الله عليه وسلم مكة سأل أي أبويه أحدث به صلى الله عليه وسلم عهدا أي آخرهما موتا فقيل أمك آمنة فزار صلى الله عليه وسلم قبرها ثم قام باكيا فقال الى استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي ما كان للنبي الآية فقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن أبي الفضل هذا أصح لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولا وكانت وفاة أبي طالب بمكة في أول الاسلام ويمكن أن يوجه الاول بأنه صلى الله عليه وسلم لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الآية ثم اعتذر عن استغفار ابراهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك أن أباه كان وعد ابراهيم أن يؤمن فكان يستغفر له بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابراهيم أنه عدو لله اما باصراره على الكفر أو بموته على ذلك أو بطريق الوحي (تبرأ منه) وترك الاستغفار ويجوز أن يكون الواعد ابراهيم عليه السلام ويوافقه قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة وذلك في قوله لأستغفرن لك وعده أن يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد

شهر رمضان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال السائحون الصائمون * قال ثنا أبو أسامة عن جويبر عن الضحاك قال كل شيء في القرآن السائحون فانه الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك السائحون الصائمون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله السائحون يعني الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير وبعلي وأبو أسامة عن عبد الملك عن عطاء قال السائحون الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو أنه سمع وهب بن منبه يقول كانت السياحة في بني اسرائيل وكان الرجل اذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله فساح ولد بغى أربعين سنة فلم ير شيأ فقال أي رب أرأيت ان أساء أبواي وأحسنت أنا قال فأرى ما رأى السائحون قبله * قال ابن عيينة اذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة قالت سياحة هذه الامة الصيام وقوله الراكعون الساجدون يعني المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الراكعون الساجدون قال الصلاة المفروضة وأما قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فانه يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل وينهونهم عن المنكر وذلك نهيهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه وقد روى عن الحسن في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الآمرون بالمعروف لا اله الا الله والناهون عن المنكر عن الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة ابن سهيل قال قال الحسن في قوله الآمرون بالمعروف قال أما انهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها والناهون عن المنكر قال أما انهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية قال كل ما ذكر في القرآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهي عن المنكر نهي عن عبادة الاوثان والشياطين وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من أن الأمر بالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم والنهي عن المنكر هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله واذ كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أنها عنى بها خصوص دون عموم ولا خبر عن الرسول ولا في فطرة عقل فالعموم بها أولى لما قد بينا في غير موضع من كتبنا وأما قوله والحافظون لحدود الله فانه يعني المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه الذين لا يضيعون شيأ ألزمهم العمل به ولا يركبون شيأ نهاهم عن ارتكابه كالذي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والحافظون لحدود الله يعني القائمين على طاعة الله وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد اذا وفوا لله بشرطه وفى لهم شرطهم حدثني محمد بن سعد قال

من استغفار ابراهيم لابيه دعاؤه له الى الاسلام الموجب للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى أن يرزقه الايمان وقيل المقصود النهى عن صلاة الجنازة فكان قوله ولا تصل على أحد منهم فى حق المنافقين خاصة وهذه فى حق الكافرين عامة ثم ختم الآية بقوله (ان ابراهيم لاواه حليم) قال أهل اللغة أواه فعال مأخوذ من حروف أوه كلمة يقولها المتوجع وذلك أن الروح القلبى

يختنق عند الحزن فى داخل القلب ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما به وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الاواه الخاشع المتضرع والحلم ضد السفه وصفه تعالى بشدة الرأفة والشفقة والخوف والوجل فبين أن ابراهيم مع هذه العادة تبرأ من أبيه حين انقطع رجاؤه منه فأنتم بهذا المعنى أولى ثم ان المسلمين خافوا أن يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين فأنزل الله (وما كان الله ليضل قوما) أى عن طريق الجنة أو يحكم عليهم بالضلال أو يخذلهم أو يوقع الضلالة فى قلوبهم حين يكون منهم الامر الذى يستحق به العقاب (بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) ما يجب عليهم أن يحترزوا عنه والحاصل ان الله لا يسمى قوما ضالا لا بعد اذ سماهم مهديين ما لم يقدموا على شئ مبين خطره وأما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما لم يؤاخذ بشرب الخمر والربا قبل تحريمهما وفى الآية تشديد عظيم حيث جعل المهدى للاسلام اذا أقدم على بعض المحظورات داخلا فى حكم الضلال ثم قال (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت) والمراد ان من كان عالما قادرا هكذا لم يحتج الى أن يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على أنه يقبح من الله الابتداء بالعقاب وأجيب بأن له ذلك بحكم المالكية غاية

حتى

ما فى الباب أنه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفى قوله ان الله له ملك السموات والارض فائدة أخرى هى أنه لما أمر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن أراد استظهار المسلمين كيلا تضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كأنه قال وجب عليكم أن

ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والحافظون لحدود الله قال القائمون على طاعة الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة بن سهيل قال قال الحسن فى قوله والحافظون لحدود الله قال القائمون على أمر الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن والحافظون لحدود الله قال لفرائض الله وأما قوله وبشر المؤمنين فانه يعنى وبشر المصدقين بما وعدهم الله اذا هم وفوا الله بعهده أنه موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة كما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة ابن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم حتى ختم الآية قال الذين وفوا ببيعتهم التائبون العابدون الحامدون حتى ختم الآية فقال هذا عملهم وسيرهم فى الرخاء ثم لقوا العدو فصدقوا ما عاهدوا الله عليه * وقال بعضهم معنى ذلك وبشر من فعل هذه الافعال يعنى قوله التائبون العابدون الى آخر الآية وان لم يغزوا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن وبشر المؤمنين قال الذين لم يغزوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم﴾ يقول تعالى ذكره ما كان ينبغى للنبى محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا ويقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولى قربى ذوى قرابة لهم من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم يقول من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الاوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار لان الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك فلا ينبغى لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله فان قالوا فان ابراهيم قد استغفر لابيه وهو مشرك فلم يكن استغفار ابراهيم لابيه الا لموعدة وعدها اياه فلما تبين له وعلم أنه لله عدو خلاه وتركه وترك الاستغفار له وآثر الله وأمره عليه فتبرأ منه حين تبين له أمره واختلف أهل التأويل فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ونزلت انك لا تهدى من أحببت **حدثنى** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله قال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة

تفيؤا الى حكمى وتكاليفى لانى الهكم وأنتم عبيدى ثم عاد الى بقية أحكام الكفار فقال (لقد تاب الله على النبى) الآية ولنبين تفسير الآيتين على أسئلة مع جواباتها فالسؤال الاول أن قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبى معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا أعباء ذلك السفر الطويل فكان اللائق بحالهم أن يثنى عليهم والجواب

حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله انك لا تهدى من أحببت الآية

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين قال يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا وقد استغفر ابراهيم لابيه كافرا فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبى طالب حتى ينهانى عنه ربى فقال أصحابه لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبى صلى الله عليه وسلم لعمه فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الى قوله تبرأ منه

حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل بن هشام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عم انك أعظم الناس على حقا وأحسنهم عندى يدا ولأنت أعظم على حقا من والدى فقل كلمة تجب لى بها الشفاعة يوم القيامة قل لا اله الا الله ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن محمد بن ثور

* وقال آخرون بل نزلت فى سبب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل عن عطية قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الى قوله تبرأ منه

* قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن علقمة بن مرثد عن سليمن بن بريدة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى رسما قال وأكثر ظنى أنه قال قبرا فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلت يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فارؤى باكيا أكثر من يومئذ

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن ابيه عن ابن عباس قوله ما كان للنبى والذين آمنوا الى أنهم أصحاب الجحيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عن ذلك فقال وان ابراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم الى لأواه حليم

* وقال آخرون بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الايمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينههم أن يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

والاستغفار لأنه لا ينفك عن هفوة اما من باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما أشير الى ذلك فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ولعله قد وقع فى قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عانوا من المتاعب ولا أقل من الوساوس والهواجس فأخبر الله سبحانه أن تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التى صدرت عنهم فى ذلك السفر الطويل بل فى مدة عمرهم وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز أن يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شأن المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السؤال الثانى ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد تستعمل الساعة فى معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذى صعب عليهم الامر جدا فى ذلك السفر كانوا فى عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد وفى عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ثم الى ان مصتها جماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفى شدة زمان من حرارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا فى الحر وقال

أبو مسلم يجوز أن يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التى مرت عليهم فى غزواتهم كما ذكر الله تعالى فى غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى كاد يزيغ وكيف اعرابه والجواب هما استعمالان كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد يخار جا أى قارب الخروج ومعنى الثانى كاد الشأن يكون كذا يعنى قارب الشأن هذا الخبر وشبهه

سيبوبه بقولهم ليس خلق الله مثله أى ليس الشأن ذلك ولكن ضده والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا أنفسهم وصبروا وثبتوا وندموا وقيل ما كان الاحديث نفس بلاعزيمة ومع ذلك خافوا أن يكون معصية الرابع ذكر التوبة فى أول الآية فلم كررها فى قوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد الضمير فى عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هى أن التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك أنه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة ليدل على أن العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضا عفوت عنك ثم عفوت عنك واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس فى تفسير قوله ثم تاب عليهم ير يدازداد عنهم رضا ثم أكد هذه المعانى بقوله (انه بهم رؤف رحيم) فيشبه أن يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة أو الاول رحمة سابقة والثانى لاحقة الخامس الثلاثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين كما سموا مرجئين أى مؤخرين عن أبى لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعد أولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة من قرأ بالتخفيف أى خلفوا الغازين وقيل المخلف من خلوف الفم أى فسد واوقرأ جعفر الصادق عليه السلام خالفوا (حتى اذا ضاقت عليهم الارض) مع سعتها وهو مثل للحيرة فى الامر (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور (وظنوا) أى علموا وتيقنوا (أن لا ملجأ من) سخط (الله الا) الى استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم له أعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلى وهو الرجحان وذلك أنهم ما كانوا قاطعين بأن ينزل الله فى شأنهم قرآنا وان سلم أنهم قطعوا بذلك الا أنهم جوزوا أن تكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم

قالوا يانبى الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العانى ويوفى بالذمم أفلا نستغفر لهم قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى والله لأستغفرن لابى كما استغفر ابراهيم لأبيه قال فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين حتى بلغ الجحيم ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال وذكر لنا أن نبى الله قال أوحى الى كلمات فدخلن فى أذنى ووقرن فى قلبى أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف * واختلف أهل العربية فى معنى قوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك ما كان لهم الاستغفار وكذلك معنى قوله وما كان لنفس أن تؤمن وما كان لنفس الا يمان الا باذن الله وقال بعض نحويى الكوفة معناه ما كان ينبغى لهم أن يستغفروا لهم قال وكذلك اذا جاءت أن مع كان فكلها بتأويل ينبغى ما كان لنبى أن يغل ما كان ينبغى له ليس هذا من أخلاقه قال فلذلك دخلت أن تدل على الاستقبال لأن ينبغى تطلب الاستقبال وأما قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فان أهل العلم اختلفوا فى السبب الذى أنزل فيه فقال بعضهم أنزل من أجل أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ظنا منهم أن ابراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن ابراهيم قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضر ناذكره وسنذكر عمن لم نذكره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الخليل عن على قال سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان فقال أولم يستغفر ابراهيم لابيه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله وما كان استغفار ابراهيم الى تبرأ منه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الخليل عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لابويه وهما مشركان حتى نزلت وما كان استغفار ابراهيم لابيه الى قوله تبرأ منه وقيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة ومعناه الامن بعد موعدة كما يقال ما كان هذا الامر الاعن سبب كذا بمعنى من بعد ذلك السبب أو من أجله فكذلك قوله الاعن موعدة من أجل موعدة وبعدها وقد تأول قوم قول الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الآية أن النهى من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم لقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وقالوا ذلك لا يتبينه أحد الا بأن يموت على كفره وأما وهو حى فلا سبيل الى علم ذلك فللمؤمنين أن يستغفروا لهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** سليمن بن عمر الرقى ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى عن الشيبانى عن سعيد بن جبير قال مات رجل يهودى وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال كان ينبغى له أن يمشى معه ويدفنه ويدعوله بالصلاح مادام حيا فاذا مات وكله الى شأنه ثم قال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه لم يدع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا فضيل عن ضرار بن مرة عن سعيد بن جبير قال مات رجل نصرانى فوكله ابنه الى أهل دينه فأتيت ابن عباس فذكرت ذلك

ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الاحسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا أنا بنداء من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت علينا الارض بما رحبت وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لا أهنئك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب ابن مالك وصاحبيه * السادس قد عرفنا فائدة قوله ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم أو تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بأن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة أو تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمؤمنين أو تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة المقصود بيان أن فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وأيضا قالوا في الآية دلالة على أن قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت من أول الامر ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن أن يجاب بان شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من أول الامر فلهذا

له فقال ما كان عليه لو مشى معه وأجنه واستغفر له ثم تلا وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية * وتأول آخرون الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال ثنا حبيب ابن أبي مرزوق عن عطاء بن أبي رباح قال ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا الى لم أسمع الله يحجب الصلاة الا عن المشركين يقول الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين * وتأوله آخرون بمعنى الاستغفار الذي هو دعاء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عصمة بن راشد عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة ولامه قلت ولأبيه قال لا ان أبي مات وهو مشرك * قال أبو جعفر وقد دللنا على أن معنى الاستغفار مسئلة العبد ربه غفر الذنوب واذ كان ذلك كذلك وكانت مسئلة العبد ربه ذلك قد تكون في الصلاة وفي غير الصلاة لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا لان الله عم بالنهي عن الاستغفار للمشرك بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ولم يخصص من ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له وأما قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فان معناه ما قد بينت من أنه من بعد ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار وقيل أصحاب الجحيم لانهم سكانها وأهلها الكائنون فيها كما يقال لسكان الدار هؤلاء أصحاب هذه الدار بمعنى سكانها وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم قال تبين للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات ان التوبة قد انقطعت عنه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال تبين له حين مات وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه يعني في قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية يقول اذا ماتوا مشركين يقول الله ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة الآية واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال بعضهم معناه فلما تبين له بموته مشركا بالله تبرأ منه وترك الاستغفار له ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لابيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لم يزل ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات لم يستغفر له حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني استغفر له ما كان حيا فلما مات أمسك عن الاستغفار له حدثني مطر بن محمد الضبي قال ثنا أبو عاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة قالا ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه

تأخر القبول دليله قوله تعالى حتى اذا ضاقت الآية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام فى زمرة أهل الصدق لا النفاق فقال (يا أيها الذين آمنوا) الآية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين لا بمعنى أن يكونوا على طريقهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع النبى مشروط بوجود ذلك الشئ فلابد من وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم أن التكاليف المذكورة فى القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيامة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول وأصحابه فى الغزوات بل أعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز أن يكون منحصرا فى الامام المعصوم الذى يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين أهل الحل والعقد فى كل حين والمراد أنهم اذا أجمعوا على شئ كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين أن يكونوا معهم ظاهرا وباطنا وقال أكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا فى دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة نية وقولا وعملا وقيل أى كونوا مع الثلاثة المذكورين فى الصدق والثبات وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أى وافقوا المهاجرين والانصار فى الصدق وقيل الخطاب للذين شدوا أنفسهم على السوارى وفى الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روى أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى أريد أن أومن بك الا أنى أحب الخمر والزنا والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لى بتركها بأسرها فان قنعت منى بترك واحد منها آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم أسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت وسألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على فتركها ثم عرض عليه الزنا فجاءه ذلك

قال لما مات حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما تبين له أنه عدو لله قال موته وهو كافر حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله * قال ثنا البراء بن عتبة عن أبيه عن الحكم فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال حين مات ولم يؤمن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه موته وهو كافر * قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال لما مات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما تبين له أنه عدو لله لما مات على شركه تبرأ منه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه كان ابراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه مادام حيا فلما مات على شركه تبرأ منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال موته وهو كافر حدثنا محمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو اسرائيل عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فلما تبين له أنه عدو لله قال فلما مات * وقال خرون معناه فلما تبين له فى الآخرة وذلك أن أباه يتعلق به اذا أراد أن يجوز الصراط فيمر به عليه حتى اذا كاد أن يجاوزه حانت من ابراهيم التفاتة فاذا هو بأبيه فى صورة قرد أوضبع فخلى عنه وتبرأ منه حينئذ ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا عبد الله بن سليمن قال سمعت سعيد بن جبير يقول ان ابراهيم يقول يوم القيامة رب والدى رب والدى فاذا كانت الثالثة أخذ بيده فيلتفت اليه وهو ضبعان فيتبرأ منه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عبيد ابن عمير قال انكم مجموعون يوم القيامة فى صعيد واحد يسمعكم الداعى وينفذكم البصر قال فتزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا وقع لركبتيه ترعد فرائصه قال فحسبته يقول نفسى نفسى قال و يضرب الصراط على جسر جهنم كحد السيف وحضر من له وفى جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان قال فيمضون كالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الركاب وكأجاويد الرجال والملائكة يقولون رب سلم سلم فناج سالم ومخدوش ناج ومكدوس فى النار فيقول ابراهيم لأبيه انى كنت آمرك فى الدنيا فتعصينى واست تاركك اليوم فخذ بحقوى فيأخذ بضبعيه فيمسخ ضبعا فاذا رآه قد مسخ تبرأ منه وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول الله وهو خبره عن ابراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدو تبرأ منه وذلك حال علمه و يقينه أنه لله عدو وهو به مشرك وهو حال موته على شركه (القول فى تأويل قوله ﴿ان ابراهيم لأواه حليم﴾ اختلف أهل التأويل فى الأواه فقال بعضهم هو الدعاء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الأواه الدعاء حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو بكر عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الأواه الدعاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى

جرير

الخاطر فتركه وكذا فى السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب انسد أبواب المعاصى على وتبت عن الكل ومن فضائل الصدق أن الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب أن الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب أن ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى فى قوله لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضى لقبح الكذب هو كونه كذبا عند المعتزلة وكونه مفضيا الى المفاسد عند الاشاعرة والله أعلم ۞ التأويل ان الله اشترى فى التقدير الازلى ولهذا تيسر لهم الآن بذل النفس والمال فى الجهاد الاصغر وفى الجهاد الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة اشترى من أوليائه الصديقين قلوبهم وأرواحهم بان لهم الجنة التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون له على ما وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون اليه بقدمى الصبر والشكر أو التبرى والتولى الراكعون أى الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجدهم الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلاهم الآمرون بالمعروف الحقيقى الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبى فيه أن الاجتهاد ليس سببا للنيل المراد وأن الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابراهيم لاواه الأواه هو المتبرئ من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تولاه مولاه فهما ورد له وأراد الحق ضاق عليه نطاق الخلق فيتأوه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما أصابه من الخلق للحق فلا رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لجبرائيل حين سأله ألك حاجة أما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما ليردهم بالمكر الى الاثنينية والبعد بعد اذ هداهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من آفات البشرية وعاهات الدنيا فهى رأس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور أو

جرير بن حازم عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال سألت عبد الله عن الأواه فقال هو الدعاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن ابن أبى عروبة عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله * قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عبد الكريم عن أبى عبيدة عن عبد الله قال الأواه الدعاء * قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان واسرائيل عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبى هند قال نبئت عن عبيد بن عمير قال الأواه الدعاء **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا داود عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى عن أبيه قال الأواه الدعاء * وقال آخرون بل هو الرحيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبى العبيدين قال سئل عبد الله عن الاواه فقال الرحيم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنى محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن أبى العبيدين رجل ضرير البصر أنه سأل عبد الله عن الاواه فقال الرحيم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربى و **حدثنا** خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل جميعا عن المسعودى عن سلمة بن كهيل عن أبى العبيدين أنه سأل ابن مسعود فقال ما الاواه قال الرحيم **حدثنا** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين أنه جاء الى عبد الله وكان ضرير البصر فقال يا أبا عبد الرحمن من نسأل اذا لم نسألك فكأن ابن مسعود رق له قال أخبرنى عن الأواه قال الرحيم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبى العبيدين قال سألت عبد الله عن الأواه فقال هو الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار قال جاء أبو العبيدين الى عبد الله فقال له ما حاجتك قال ما الأواه قال الرحيم * قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين رجل من بنى سوأة قال جاء رجل الى عبد الله فسأله عن الأواه فقال له عبد الله الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى وهانئ بن سعيد عن حجاج عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين عن عبد الله قال الأواه الرحيم **حدثنى** يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين رجل من بنى نمير قال يعقوب كان ضرير البصر وقال ابن وكيع كان مكفوف البصر سأل ابن مسعود فقال ما الأواه قال الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال الأواه الرحيم * قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد ابن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن قال هو الرحيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الأواه الرحيم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان ابراهيم لأواه قال رحيم * وقال عبد الكريم الجزرى عن أبى عبيدة عن ابن مسعود مثل ذلك **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الكريم عن أبى عبيدة

نقول ان الله تعالى بعد اذ هداهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات التأني حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك الاحوال ان الله له ملك السموات سموات القلوب والارض أرض النفوس يحيي بنور

ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء ومالكم من دون الله من ولي فلا يشغلنكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين الذين اتبعوه في ساعة عسرة الدنيا وترك شهواتها أو نقول لقد تاب الله أي أفاض أنوار عرفانه على نبي الروح ومهاجري صفاته الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتلاء حتى اذا ضاقت عليهم أرض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم أنفسهم تحننا الى نيل تلك السعادات وتحقق لهم بنور اليقين أن لو بقوا في السفل لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق أبدا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق والله أعلم

﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار وسلم ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين

عن عبد الله قال الأواه الرحيم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله عن الأواه فقال الرحيم * قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن شرحبيل قال الأواه الرحيم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال الأواه الرحيم بعباد الله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو خيثمة زهير قال ثنا أبو اسحق الهمداني عن أبي ميسرة عن عمرو بن شرحبيل قال الاواه الرحيم بلحن الحبشة * وقال آخرون بل هو الموقن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الأواه الموقن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن مبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة * قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال سمعت سفيان يقول الأواه الموقن وقال بعضهم الفقيه الموقن حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن عطاء قال الأواه الموقن بلسان الحبشة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن رجل عن عكرمة قال هو الموقن بلسان الحبشة * قال ثنا ابن نمير عن الثوري عن مجالد عن أبي هاشم عن مجاهد قال الأواه الموقن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مسلم عن مجاهد قال الأواه الموقن * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قابوس عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال الأواه الموقن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أواه موقن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أواه قال مؤمن موقن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان ابراهيم لأواه حليم قال الأواه الموقن * وقال آخرون هي كلمة بالحبشية معناها المؤمن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لأواه حليم قال الأواه هو المؤمن بالحبشة حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان ابراهيم لأواه يعني المؤمن التواب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس قال الأواه المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج الأواه المؤمن بالحبشة * وقال آخرون هو المسبح الكثير الذكر لله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال الأواه المسبح حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن يناق أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه أواه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن حيان عن ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال الاواه الكثير الذكر لله * وقال آخرون هو الذي يكثر تلاوة القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيمان قال ثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه

ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ۞ القراآت موطئا ونحوه بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف غلظة بفتح الغين المفضل الباقون بكسرها أولا ترون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة ۞ الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين ○ لا للعطف يعملون ○ كافة ط يحذرون ○ غلظة ط المتقين ○ ايمانا ط يستبشرون ○ كافرون ○ يذكرون ○ الى بعض ط لحق المحذوف أي يقولون هل يراكم ثم انصرفوا ط لا يفقهون ○ عزيز ط على تأويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لأن المعنى شديد عليه ما أثمتم ولا وقف في الآية الى قوله رحيم حسبي الله ط والاصح الوصل على جعل الجملة حالا أي يكفي الله غير مشارك في الالوهية الا هو ط العظيم ○ ۞ التفسير لما أمر بموافقة النبي وأصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين أكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال (ما كان لاهل المدينة) أي لا يستقيم ولا يجوز لهم والأعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس أنهم مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار وكأنه أراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى (ولا يرغبوا) ولا أن يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر أي أبخل بها عليه ولا أتركها له والمراد أنه لا يصح لهم أن يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب

وسلم دفن ميتا فقال يرحمك الله ان كنت لأواها يعني تلاء للقرآن * وقال آخرون هو من التأوه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي يونس القشيري عن قاص كان بمكة أن رجلا كان في الطواف فجعل يقول أوه قال فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال دعه انه أواه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة كان أصله رومي يحدث عن أبي ذر قال كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه أواه زاد أبو كريب في حديثه قال فخرجت ذات ليلة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن جعفر بن سليمن قال ثنا أبو عمران عن عبد الله بن رباح عن كعب قال الأواه اذا ذكر النار قال أوه حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد العزيز عن عبد الصمد القمي عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح عن كعب قال كان اذا ذكر النار قال أوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن جعفر بن سليمن قال أخبرنا أبو عمران قال سمعت عبد الله بن رباح الانصاري يقول سمعت كعبا يقول ان ابراهيم لأواه قال اذا ذكر النار قال أوه من النار * وقال آخرون معناه انه فقيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ان ابراهيم لأواه قال فقيه * وقال آخرون هو المتضرع الخاشع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر ابن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس قال رجل يا رسول الله ما الأواه قال المتضرع قال ان ابراهيم لأواه حليم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن عبد الحميد عن شهر عن عبد الله بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأواه الخاشع المتضرع * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زر أنه الدعاء وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله ذكر ذلك ووصف به ابراهيم خليله صلوات الله عليه بعد وصفه اياه بالدعاء والاستغفار لأبيه فقال وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وترك الدعاء والاستغفار له ثم قال ان ابراهيم لدعاء ربه شاك له حليم عمن سبه وناله بالمكروه وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له ودعاء الله له بالمغفرة عند وعيد أبيه اياه وتهدده له بالشتم بعد ما رد عليه نصيحته في الله وقوله أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا فقال له صلوات الله عليه سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فوفى لابيه بالاستغفار له حتى تبين له أنه عدو لله فوصفه الله بأنه دعاء لربه حليم عمن سفه عليه وأصله من التأوه وهو التضرع والمسألة بالحزن والاشفاق كما روى عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكما روى عقبة بن عامر الخبر الذي حدثنيه يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثنا أبي قال ثنا ابن لهيعة قال ثني الحرث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أنه قال لرجل يقال له ذو البجادين انه أواه

صلاح أنفسهم وبقائها بل عليهم أن يحبوه على الباساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه أعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض فى شدة وجب على سائر الانفس أن لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفى هذا النهى مع التهييج توبيخ عظيم ولا يخفى أن الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع وأن أصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فيبقى ما وراء هاتين الصورتين داخلا تحت عموم الآية ثم ذكر ترغيبا يجرى مجرى علة المنع من التخلف فقال (ذلك بأنهم) أى الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب أنهم مثابون على أنواع المتاعب وأصناف الشدائد بل على جميع الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب والظمأ شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التى تظهر ضمور البطن والموطئ اما مصدر كالمورد أو مكان وعلى التقديرين الضمير فى يغيظ عائد الى الوطء الصريح أو المقدر ثم الوطء يجوز أن يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز أن يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابى غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة والمراد أنهم لا يتصرفون فى أرض الكفار تصرفا يغيظهم ويرزؤهم شيأ الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول فى طرف المعصية ولكن بالضد فما أعظم بركة الطاعة وما أشد شؤم المعصية وبهذه الآية استشهد أصحاب أبى حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش فى الغنيمة لان وطء ديارهم طاعته مما يغيظهم وينكى فيهم وقال الشافعى لا يشاركون الغانمين فى الغنيمة وان شاركوهم فى الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى خطرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد أن يتخلف عنه الا

وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض لم تتأوه كما قال المثقب العبدى

اذا ما قمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

ومنه قول الجعدى

ضروح مروح يتبع الودق بعدما * يغرس شكوى آهه ويئرا

ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل وانما تقول فيه تفعل يتفعل مثل تأوه يتأوه وأوه يؤوه كما قال الراجز

فأوه الراعى وضوضى أكلبه *

وقالوا أيضا أوه ومنك ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده

فأوه من الذكرى اذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض بيننا وسماء

قال وربما أنشدنا فأوه من الذكرى بغير هاء ولو جاء فعل منه على الاصل لكان آيؤه أوها ولأن معنى ذلك توجع وتحزن وتضرع اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذى ذكرت فقال من قال معناه الرحمة ان ذلك كان من ابراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس وقال آخرون انما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له وقال آخرون كان لصحة ايمانه بربه وقال آخرون كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذى أنزله عليه وقال آخرون كان ذلك منه عند ذكر ربه وكل ذلك عائد الى ما قلت وتقارب معنى بعض ذلك من بعض لان الحزين المتضرع الى ربه الخاشع له بقلبه ينوبه ذلك عند مسألته ربه ودعائه اياه فى حاجاته وتعتوره هذه الخلال التى وجه المفسرون اليها تأويل قول الله ان ابراهيم لأواه حليم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم﴾ يقول تعالى ذكره وما كان الله ليقضى عليكم فى استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهى عنه فتتركوا الانتهاء عنه فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهى عنه ثم تتعدوا نهيه الى مانهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالضلال لأن الطاعة والمعصية انما يكونان من المأمور والمنهى فأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعا أو عاصيا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه ان الله بكل شئ عليم يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهى الله اياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين من الجزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه اليكم بالنهى عنه وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها فبين لكم حلمه فى ذلك عليكم ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بيان الله للمؤمنين فى الاستغفار للمشركين خاصة وفى بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بيان الله للمؤمنين أن لا يستغفروا للمشركين خاصة وفى بيانه

بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان فى المسلمين قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وأمرهم قال العلماء وكذلك غيره من الأئمة والولاة اذا عينوا طائفة لأنا لو جوزنا للمندوب أن يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدى الى تعطيل الجهاد قوله (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سيف أو سوط وما أربى عليها مثل ما أنفق عثمان فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم وهذا شائع فى استعمال العرب يقولون لا تصل فى وادى غيرك وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادى كل منعطف بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل (الا كتب لهم) ذلك الانفاق والقطع أو ذلك العمل الصالح المعهود فى الآية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال (ليجزيهم الله) أى أثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء جزاء أحسن من أعمالهم وأجل وقيل الاحسن من صفة الفعل أى يجزيهم على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم أنه سبحانه عدد أشياء بعضها ليس من أعمال المجاهدين وهو الظمأ والنصب والمخمصة وباقيها من أعمالهم وهى الوطء والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقى قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من أعمالهم تنبيها على أنه فى الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح أى جزاء عمل صالح وأكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم أورد الشطر الباقى لغرض آخر وهو الوعد بأحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك أو اكتفاء بما تقدم أولأن الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى أعلم بمراده ثم قال (وما كان المؤمنون) وفيه قولان أحدهما أنه من بقية أحكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ فى عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الآية قاله ابن عباس والمعنى أنه لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا بأسرهم الى الجهاد بل يجب أن يصير واطائفتين احداهما للملازمة

طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال يبين الله للمؤمنين فى أن لا يستغفر والمشركين فى بيانه فى طاعته وفى معصيته فافعلوا أو ذروا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس له سلطان السموات والارض وملكهما وكل من دونه من المملوك فعبيده ومماليكه بيده حياتهم وموتهم يحيى من يشاء منهم ويميت من يشاء منهم فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بى من المملوك ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم واغزوهم وجاهدوهم فى طاعتى فانى المعز من أشاء منهم ومنكم والمذل من أشاء وهذا حض من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك واغراء منه لهم بحربهم وقوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يقول وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه ان أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره يستنقذكم من عقابه ولا نصير ينصركم منه ان أراد بكم سوأ يقول فبالله فثقوا واياه فارهبوا وجاهدوا فى سبيله من كفر به فانه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بان لكم الجنة تقاتلون فى سبيله فتقتلون وتقتلون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الانابة الى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم الى دار الاسلام وأنصار رسوله فى الله الذين اتبعوا رسول الله فى ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك فى دينه ويرتاب بالذى ناله من المشقة والشدة فى سفره وغزوه ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم جل ثناؤه الانابة والرجوع الى الثبات على دينه وابصار الحق الذى كان قد كاد يلتبس عليهم انه بهم رؤف رحيم يقول ان ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم فى سفرهم من الشدة والمشقة رؤف بهم رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الايمان بعد ما قد أبلوا فى الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا عليه من البأساء والضراء * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى ساعة العسرة فى غزوة تبوك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله ابن محمد بن عقيل فى ساعة العسرة قال خرجوا فى غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا فى حر شديد وأصابهم يومئذ عطش شديد فجعلوا ينحرون ابلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها وكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ساعة العسرة قال غزوة تبوك قال العسرة أصابهم جهد شديد حتى ان الرجلين ليشقان التمرة بينهما وانهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

خدمة الرسول والاخرى للنفر الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا (فلولا نفر) أى هلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) فذهب الاكثر الى أن الضمير فى ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية فى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا فى خدمته شاهدوا الوحى والتنزيل وضبطوا ما حدث من (٤٠) الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وأقام طائفة

الذين اتبعوه فى ساعة العسرة قال غزوة تبوك * قال ثنا زكريا بن على عن ابن مبارك عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر الذين اتبعوه فى ساعة العسرة قال عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الآية الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قبل الشأم فى لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشتقان التمرة بينهما وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن عتبة بن أبى عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه فى شأن العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده فقال أبو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع لنا قال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكبت فلؤا ما معهم ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر **حدثنى** اسحق بن زيادة العطار قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد الله ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه حدثنا عن شأن جيش العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله فى هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام اذا ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة فارجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عمن سمع عكرمة فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال خلفوا عن التوبة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله خلفوا فخلفوا عن التوبة حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت يقول بسعتها نما وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاقت عليهم أنفسهم بما نالهم من الوجد والكرب بذلك وظنوا أن لا ملجأ يقول وأيقنوا بقلوبهم أن لا شئ لهم يلجؤن اليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينجيهم من كربه ولا مما يحذرون من عذاب الله الا الله ثم رزقهم الانابة الى طاعته

والرجوع

التفصيلية والظاهر أن المراد فى الآية أعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث وأصول الدين وأصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعى أو الشخصى وفى قوله ولينذروا قومهم اشارة الى أن الغرض الاصلى من التعلم

هو الانذار والارشاد لما يقصده علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمناصب والمفاخر أعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بأن خبر الواحد حجة قالوا أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحدا ثم انه أوجب العمل (٤١) بأخبارهم بقوله ولينذروا وأجيب بأن ايجاب

والرجوع الى ما يرضيه عنهم لينيبوا اليه ويرجعوا الى طاعته والانتهاء الى أمره ونهيه ان الله هو التواب الرحيم يقول ان الله هو الوهاب لعباده الانابة الى طاعته الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة أو يخذل من أراد منهم التوبة والانابة ولا يتوب عليه * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكلهم من الانصار **حدثني** عبيد بن الوراق قال ثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بنحوه الا أنه قال ومرارة بن الربيع أو ابن ربيعة شك أبو اسامة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال أرجؤا في أوسط براءة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الثلاثة الذين خلفوا قال الذين أرجؤا في أوسط براءة قوله وآخرون مرجون لامر الله هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا الذين أرجؤا في وسط براءة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن ليث عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال الذين أرجؤا * قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وكان شاعرا ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكلهم أنصار * قال ثنا أبو خالد الاحمر والمحاربي عن جويبر عن الضحاك قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة ابن الربيع وكعب بن مالك **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هاشم عن جويبر عن الضحاك قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة ابن الربيع كلهم من الانصار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة تخلفوا في غزوة تبوك ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه الى سارية فقال لا أطلقها أولا أطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه ان شاء وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك بجعله صدقة في سبيل الله وقال والله لا أطعمه وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله ترفعه أرض وتضعه أخرى وقد ماه تشلشلان دما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك قال الثلاثة الذين خلفوا هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن ربيعة * قال ثنا أبو داود الحفري عن سلام أبي الاحوص عن سعيد بن مسروق عن عكرمة وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية ومرارة وكعب بن مالك **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمر بن كثير

الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه أداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بأن قوله لعلهم يحذرون ايجاب للعمل بأخبارهم ثم أرشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) أي يقربون منكم مبتدأ من الأقرب ومنتقلا الى الأبعد والقتال واجب مع كافة الكفرة بآية القتال ولكن هذه الآية أخص لان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الأبعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا تكون هذه منسوخة بآية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر ولان القرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة وكما في سائر المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وأيضا المؤنة في قتال الأقربين من النفقة والدواب تكون أقل والقتال معهم يكون أسهل للوقوف على أحوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الأبعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام ويروى أن أعرابيا جلس على المائدة وكان يمديده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلى الله عليه وسلم كل مما

(٦ - ابن جرير حادي عشر) يليك فثبت بهذه الوجوه أن الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى العدول ضرورة وقوله (وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة نظير قوله واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح الغين فهو المصدر أيضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال ولشدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف أما فيما يتصل بالبيع والشراء

والمجالسة فلا وليكن تقوى الله سبحانه على ذكر منه فى موارده ومصادره ولهذا ختم الآية بقوله (واعلموا أن الله مع المتقين) فان قتله قتله لله وان تركه على الجزية تركه لله وان كسر عدوه وآل الامر الى أخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله ثم حكى بقية فضائح أعمال المنافقين فقال (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول) أى يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة

ابن أفلح قال قال كعب بن مالك ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى تلك الغزاة قال كعب بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أتجهز غدا ثم ألحقه فأخذت فى جهازى فأمسيت ولم أفرغ فلما كان اليوم الثالث أخذت فى جهازى فأمسيت ولم أفرغ فقلت هيهات سار الناس ثلاثا فأقمت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الناس يعتذرون اليه فجئت حتى قمت بين يديه فقلت ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى هذه الغزاة فأعرض عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الناس أن لا يكلمونا وأمرت نساؤنا أن يتحولن عنا قال فتسورت حائطا ذات يوم فاذا أنا بجابر بن عبد الله فقلت أى جابر نشدتك بالله هل علمتنى غششت الله ورسوله يوما قط فسكت عنى فجعل لا يكلمنى فبينا أنا ذات يوم اذ سمعت رجلا على الثنية يقول كعب كعب حتى دنا منى فقال بشروا كعبا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام حتى اذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها وأنزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الآية والثلاثة الذين خلفوا رهط منهم كعب بن مالك وهو أحد بنى سلمة ومرارة بن ربيعة وهو أحد بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية وهو من بنى واقف وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة فى بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة صدقه أولئك حديثهم واعترفوا بذنوبهم وكذب سائرهم فخلفوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم الا العذر فقبل منهم رسول الله وبايعهم ووكلهم فى سرائرهم الى الله ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا وقال لهم حين حدثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم قد صدقتم فقوموا حتى يقضى الله فيكم فلما أنزل الله القرآن تاب على الثلاثة وقال للآخرين سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم حتى بلغ لا يرضى عن القوم الفاسقين قال ابن شهاب وأخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توا ثقنا على الاسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس منها فكان من خبرى حين تخلفت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عددا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريد والمسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك

العلم الحاصل بالوحى والعمل به أو يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول (أيكم) مرفوع بالابتداء وخبره (زادته هذه ايمانا) ثم انه تعالى حكى أنه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران أحدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه فى أول سورة الانفال والثانى الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الآخرة واما بالعزة والنصرة فى الدنيا والمراد أنهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقائد فاسدة وأخلاق ذميمة أمران أولهما ما زيادة الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر أولا أن حصول حسد وغل ونفاق عقيب أمثالها ازدياد ملكة ذميمة غب أخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقائد والاعمال الى أن ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الا ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقى عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان فى العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازى عند المعتزلة لانهم يقولون انهم أحدثوا الرجس من عند أنفسهم حين نزول السورة بدليل أن الآخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه أن النفس الطاهرة النقية عن

درن الدنيا باستيلاء حب الله والآخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبته فى الآخرة ونفرته

الديوان

عن الدنيا وأما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الآخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها وكل بقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال (أولا يرون أنهم

يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين) قال ابن عباس أى يمتحنون بالمرض (ثم لا يتوبون) من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن فانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدى ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا فى ألسنة الناس باللعن والخزى وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا أنفسهم للقتل وأموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرائيل فيوبخهم بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) أى سورة مشتملة على ذكرهم أو أعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحى قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما فى الباطن من الانكار الشديد أو أرادوا ان كان من ورائكم أحد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل (ثم انصرفوا) أى من مكان الوحى الى مكانهم أو عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى (صرف الله قلوبهم) قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله على قلوبهم وقال الزجاج أضلهم الله قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح أو اخبار بأنه صرفهم عن الألطاف التى يختص بها من آمن بها أو المراد صرف قلوبهم بما أورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا

الديوان قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب الا يظن أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وأنا اليها أصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فلم أقض من جهازى شيأ ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم فيالليتنى فعلت فلم يقدر ذلك لى فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم يحزننى أنى لا أرى لى أسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيناهو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون قال كعب فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى همى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشئ أبدا فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يارسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق قم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج

وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق أنه قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلاة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد فى الخير دون الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما أمر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها

فقال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من جنس البشر لا الملك لان الجنس الى الجنس أميل وبه آلف وآنس أو الخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من أبناء جلدتهم أو الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون أهل الحرم أهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم فكأنه قيل لهم

كنتم قبل مقدمه مجدبين فى خدمة أسلافه فلم تتكاسلون فى خدمته مع أنه لا نسبة له فى الشرف الى آبائه أو المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كأنه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال من هذه حاله وصفته يكون من أعظم نعم الله عليكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من آشرفكم وأفضلكم وتنسب هذه القراءة الى النبى والوصى وأهل البيت عليهم السلام ثم وصفه بما تستتبعه المجانسة والمناسبة من النتائج وذلك قوله (عزيز عليه ما عنتم) العزة الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية أى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه وأولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما أرسل لدفع هذا المكروه (حريص عليكم) الحرص يمتنع أن يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الآفات والثانية لايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار وقال الفراء الحريص الشحيح والمعنى أنه شحيح عليكم أن تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين أنه رحمة للعالمين فقال (بالمؤمنين) أى منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قال ابن عباس لم يجمع الله بين اسمين من أسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة أن هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالأب الشفيق واذا عرف أن الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتأديب منهما احسان واجمال وان كان صعبا مؤلما فاقبلوا ما أمركم به من التكاليف

وكان

وأشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى معه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله فسكت قال فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاء فتأممت به التنور فسجرته به حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وأرسل الى صاحبى بمثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحقى بأهلك تكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال لا ولكن لا يقربنك قالت فقلت انه والله ما به حركة الى شئ والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرينى ماذا يقول لى اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عنا قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنؤنى بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله

وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله فان لم يقبلوا بل أعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع أمورك الى الله الذى بالحق أرسلك فهو كافيك (وهو رب العرش العظيم) فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه يحيط بالعرش وبما يحويه العرش والله أعلم ۞ التأويل ما كان لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى والقلب (٤٥) ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية أن يتخلفوا عن رسول الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب من أنواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطؤن موطئا من مقامات الفناء يغيظ كفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من أسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هى بذل الصفات ولا كبيرة هى بذل الذات فى صفات الله وفى ذاته ولا يقطعون واديا من أودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح أحسن ما كانوا يعملون لان عملهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم وما كان المؤمنون لينفروا فى السير الى الله وبالله وفى الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم وأهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا السلوك ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون من غير الله قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس والهوى وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزيمة صادقة فى ترك شهواتها وماتواوهم كافرون أى لموت قلبهم لتزايد ظلمة النفاق كل حين ثم أخبر عن موت القلب بقوله أولا يرون أنهم يفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى قلب حى هل يراكم من أحد فى مقام الانكار والنفاق أى هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقرآن فان كان رسولا يرانا بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من أمارات حياة القلب من أنفسكم تسكين للعوام لئلا يتنفروا عنه واشارة للخواص

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى أن انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك سهمى الذى بخيبر وقلت يا رسول الله ان الله انما أنجانى بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام أحسن مما ابتلانى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى أرجو أن يحفظنى الله فيما بقى قال فأنزل الله لقد تاب الله على النبى حتى بلغ وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر الله مما خلفنا عن الغزو انما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منهم حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فذكر نحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه قال لم أتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاها الا بدرا ولم يعاتب النبى صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن شهاب الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصارى ثم السلمى عن أبيه أن أباه عبد الله بن كعب وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره قال سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وحديث صاحبيه قال ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها غير أنى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر ثم ذكر نحوه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه والخلاص من أليم عذابه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه باداء فرائضه وتجنب حدوده وكونوا فى الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا فى الآخرة مع الصادقين فى الجنة يعنى مع من صدق الله الايمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قيلهم فعلهم وانما معنى الكلام وكونوا مع الصادقين فى الآخرة باتقاء الله فى الدنيا كما قال جل ثناؤه ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

الى أن البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعوني يحببكم الله ومن قرأ من أنفسكم أى أشرفكم فلانه أول جوهر خلقه الله تعالى أول ما خلق الله تعالى روحى ولاختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين وبلوغه الى قاب قوسين أو أدنى وتحليه بحلية فأوحى الى عبده ما أوحى ولعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر القدر ولقدر أى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم فمن رأفته أمر بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهى أن رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط ، وكانت رحمته تعالى ورأفته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة أخرى هى أن رحمته صلى الله عليه وسلم عامة للعالمين بقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وأما رحمته المضمومة الى الرأفة فخاصة بالمؤمنين وكأن الرأفة اشارة الى ظهور أثر الدعوة فى حقهم فالمؤمنون أمة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم أمة الدعوة فقط فقل حسبى الله لان المقصود من التبليغ قد حصل لك وهو وصولك الى الله أعرضوا عن دعوتك أو أقبلوا والله المستعان

* (سورة يونس مكية الا ثلاث آيات قوله تعالى فان كنت فى شك الى آخرهن حروفها ٥٥٦٧ كلماتها ١٨٣٢ وآياتها ١٠٩

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل

والصديقين والشهداء والصالحين وانما قلنا ذلك معنى الكلام لان كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأى وجوه الكون كان معهم ان لم يكن عاملا عملهم واذا عمل عملهم فهو منهم واذا كان منهم كان لا وجه فى الكلام أن يقال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولتوجيه الكلام الى ما وجهنا من تأويله فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بان قال معناه وكونوا مع أبى بكر وعمر أو مع النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم ذكر من قال ذلك أو غيره فى تأويله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم عن نافع فى قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوية أبو يزيد عن يعقوب القمى عن زيد بن أسلم عن نافع قال قيل للثلاثة الذين خلفوا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين محمد وأصحابه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن عبد الرحمن المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى قوله وكونوا مع الصادقين قال مع أبى بكر وعمر وأصحابهما رحمة الله عليهم * قال ثنا محمد بن يحيى قال ثنا اسحق بن بشر الكاهلى قال ثنا خلف بن خليفة عن أبى هاشم الرمانى عن سعيد بن جبير فى قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع أبى بكر وعمر رحمة الله عليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع المهاجرين الصادقين وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه وكونوا من الصادقين ويتأوله أن ذلك نهى من الله عن الكذب ذكر الرواية عنه بذلك حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول قال ابن مسعود ان الكذب لا يحل منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قال وكذلك هى قراءة ابن مسعود من الصادقين فهل ترون فى الكذب رخصة * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة عن عبد الله نحوه * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو ابن مرة قال سمعت أبا عبيدة يحدث عن عبد الله قال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين وهى كذلك فى قراءة عبد الله فهل ترون من رخصة فى الكذب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن ابراهيم عن عبد الله قال لا يصلح الكذب فى هزل ولا جد ثم تلا عبد الله اتقوا الله وكونوا ما أدرى أقال من الصادقين أو مع الصادقين وهو فى كتابى مع الصادقين * قال ثنا أبى عن الاعمش عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله مثله * قال ثنا أبى عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله مثله والصحيح من التأويل فى ذلك هو التأويل الذى ذكرناه عن نافع والضحاك وذلك أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على وكونوا مع الصادقين وهى القراءة التى لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها وتأويل عبد الله رحمة الله عليه فى ذلك على قراءته تأويل صحيح غير أن القراءة بخلافها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾

والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ۞ القرآت الربا مالفه كذلك

يقول تعالى ذكره لم يكن لاهل المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من الأعراب سكان البوادى الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهم من أهل الايمان به أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارهم ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فى صحبته فى سفره والجهاد معه ومعاونته على ما يعانيه فى غزوه ذلك يقول انه لم يكن لهم هذا بأنهم من أجل أنهم وبسبب أنهم لا يصيبهم فى سفرهم اذا كانوا معه ظمأ وهو العطش ولا نصب يقول ولا تعب ولا مخمصة فى سبيل الله يعنى ولا مجاعة فى اقامة دين الله ونصرته وهدم منار الكفر ولا يطؤن موطئا يعنى أرضا يقول ولا يطؤن أرضا يغيظ الكفار وطؤهم اياها ولا ينالون من عدو نيلا يقول ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيأ فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم الا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قدار تضاه ان الله لا يضيع أجر المحسنين يقول ان الله لا يدع محسنا من خلقه أحسن فى عمله فأطاعه فيما أمره وانتهى عما نهاه عنه أن يجازيه على احسانه ويثيبه على صالح عمله فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ما ذكر فى هذه الآية الثواب على كل ما فعل فلم يضيع له أجر فعله ذلك وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية فقال بعضهم هى محكمة وانما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لم يكن لاحد أن يتخلف اذا غزا خلافه فيقعد عنه الا من كان ذا عذر فأما غيره من الأئمة والولاة فان لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه اذا لم يكن بالمسلمين اليه ضرورة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه هذا اذا غزا نبى الله بنفسه فليس لاحد أن يتخلف ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن أشق على أمتى ما تخلفت خلف سرية تغزو فى سبيل الله لكنى لا أجد سعة فانطلق بهم معى ويشق على أو أكره أن أدعهم بعدى حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعى وعبد الله بن المبارك والفزارى والسبيعى وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون فى هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الى آخر الآية انها الأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين فى سبيل الله * وقال آخرون هذه الآية نزلت وفى أهل الاسلام قلة فلما كثر وانسخها الله وأباح التخلف لمن شاء فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله فقرأ حتى بلغ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال هذا حين كان الاسلام قليلا فلما كثر الاسلام بعد قال وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى آخر الآية * والصواب من القول فى ذلك عندى أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم الآية ثم قال جل ثناؤه ما كان لاهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافه ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب فى غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه الى الشخوص الا من آذن له أو أمره بالمقام بعده فلم يكن

معناه انا الله أرى وقيل لا رب غيرى وقيل الر وحم ون اسم الرحمن (تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم و الكتاب السورة و الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها أو وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل أو يحكم بأن محمدا صادق لان القرآن أظهر معجزاته وأبقاها وقيل بمعنى مفعول أى حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات

ما بعده أبو عمرو وخلف وحمزة وعلى والخزاز عن هبيرة والنجارى عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون لسحر حقا أنه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل يفصل بالياء ابن كثير وعمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والمجلى الباقون بالنون واطمأنوا بغير همز الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ۞ الوقوف الرق كوفى الحكيم ○ ط عند ربهم ط مبين ○ يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ○ جميعا ط حقا ط الا لمن قرأ أنه بالفتح بالقسط ط يكفرون ○ والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالياء أمكنه أن يجعل يفصل حالا يعلمون ○ يتقون ○ غافلون ○ لا لأن أولئك خبران بايمانهم ج ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم ○ سلام ج ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة أخرى لان قوله وآخر دعواهم معطوف على دعواهم الاول العالمين ○ ۞ التفسير اتفقوا على ان قوله (الر) ليس بآية وعلى أن طه آية ولعل الفرق أن الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده عن ابن عباس الر

وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك أنه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل أن يقال الكتاب الحكيم هو القرآن أو اللوح المحفوظ أو التوراة والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة فى الاصول ويجوز أن يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن واعلم أنه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدى وذلك أن حروف القرآن من جنس الحروف التى يتلفظون بها فلولا أنه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق أن محمدا رسول حق من عند الله أنكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال (أكان للناس عجبا) نصب على أنه خبر كان واسمه (أن أوحينا) وفائدة اللام فى قوله للناس مع تقديمه هى أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما أن يكون من جعل البشر رسولا أو من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحى والنبوة فقد روى أنهم كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وكلا الامرين ليس بعجب أما الاول فلان الجنس الى الجنس أميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وأما الثانى فلان الفقر واليتم لا يوجب فى النبوة قدحا لان الله غنى عن العالمين وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر فى الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك قبل بعثه اليد الطولى اذ كان يدعى محمدا الامين وأن فى قوله (أن أنذر الناس) هى المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول أو مخففة من الثقيلة وقد عملت فى ضمير شأن مقدر معناه انه أى ان الشأن قولنا أنذر الناس وقوله (وبشر الذين آمنوا أن لهم) أى بأن لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه الخصب عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل أن يراد بالناس الكفار فقط ويمكن أن يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر فى العقول تعطيل الاعمال وأن يترك الانسان سدى وارسال الرسل أمر مما أخلى الله تعالى المكلفين عنه شيأ من الازمنة

لمن قدر على الشخوص التخلف فعذر جل ثناؤه من تخلف منهم فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا وعذر من كان تخلفه لعذر وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شك ولا ارتياب فى أمر الله اذ تاب من خطا ما كان منه من الفعل فأما التخلف عنه فى حال استغنائه فلم يكن محظورا اذ لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك وكذلك حكم المسلمين اليوم ازاء امامهم فليس بفرض على جميعهم النهوض معه الا فى حال حاجته اليهم لما لا بد للاسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه اياهم فيلزمهم حينئذ طاعته واذا كان ذلك معنى الآية لم تكن احدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للاخرى اذ لم تكن احداهما نافية حكم الاخرى من كل وجوهه ولا جاء خبر يوجه الحجة بأن احداهما ناسخة للاخرى وقد بينا معنى النخمصة وأنها المجاعة بشواهده وذكرنا الرواية عمن قال ذلك فى موضع غير هذا فأغنى ذلك عن اعادته ههنا وأما النيل فهو مصدر من قول القائل نالنى ينالنى ونلت الشئ فهو منيل وذلك اذا كنت تناله بيدك وليس من التناول وذلك أن التناول من النوال يقال منه نلت له أنول له من العطية وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول النيل مصدر من قول القائل نالنى بخير ينولنى نوالا وأنالنى خيرا إنالة وقال كأن النيل من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو وليس ذلك بمعروف فى كلام العرب بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو اذا سكنت وانفتح ما قبلها كقولهم القول والعول والحول ولو جاز ما قال لجاز القيل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ وسائر ما ذكر ولا ينالون من عدو نيلا ولا ينفقون نفقة صغيرة فى سبيل الله ولا يقطعون مع رسول الله فى غزوه واديا الا كتب لهم أجر عملهم ذلك جزاء لهم عليه كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التى كانوا يعملونها وهم مقيمون فى منازلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية قال ما ازداد قوم من أهليهم فى سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا وقد بينا معنى الكافة بشواهده وأقوال أهل التأويل فيه فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله بهذه الآية وما النفر الذى كرهه لجميع المؤمنين فقال بعضهم هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الاسلام فلما نزل قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله انصرفوا عن البادية الى النبى صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه وممن عنى بالآية فأنزل الله فى ذلك عذرهم بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وكره انصراف جميعهم من البادية الى المدينة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة قال ناس من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادى فأصابوا من الناس معروفا ومن

وبه تتم المالكية والامر والنهى والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغى والتبشير ترغيب فى فعل ما ينبغى والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى (قدم صدق) سابقة فضل ومنزلة رفيعة أى سبق لهم عند الله خير قال أحمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانبارى كناية عن العمل الذى لا يقع فيه تأخير ولا ابطاء والسبب فى اطلاق القدم على السابقة أن السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة والتنبيه على أنها من السوابق العظيمة أى القدم التى يصدق ويحق أن تسمى قدما وأما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هى الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أما قوله (قال الكافرون) فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما أنذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ السحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بأنهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم أن يكونوا أرادوا به المدح أى انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما أنكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهى الواسطة أراد أن يقيم البرهان عليها باثبات المبدا ويبين غايتها باثبات المعاد وذلك فى آيتين متواليتين وقدمر فى الاعراف تفسير قوله (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وأنه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره فقال (يدبر الامر ما من شفيع الا من

الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا فى أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يبتغون الخير ليتفقهوا وليسمعوا ما فى الناس وما أنزل الله بعدهم ولينذروا قومهم الناس كلهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال فى حديثه فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة خرج بعض وقعد بعض يبتغون الخير * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحو حديثه عن أبى حذيفة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث المثنى عن أبى حذيفة غير أنه قال فى حديثه ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وقال ليتفقهوا وليسمعوا ما فى الناس * وقال آخرون معنى ذلك وما كان المؤمنون لينفروا جميعا الى عدوهم ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال ليذهبوا كلهم فلولا نفر من كل حى وقبيلة طائفة وتخلف طائفة ليتفقهوا فى الدين ليتفقه المتخلفون مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الدين ولينذر المتخلفون النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول ما كان المؤمنون لينفر واجميعا ويتركوا النبى صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصبة يعنى السرايا ولا يتسر وا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبى صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخر فذلك قوله ليتفقهوا فى الدين يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ويعلمونه السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال هذا اذا بعث نبى الله الجيوش أمرهم أن لا يعرو انبيه وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه فى الدين وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم **حدثنا** الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية كان نبى الله اذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه الا أهل العذر وكان اذا أقام فأسرت السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا الا باذنه فكان الرجل اذا أسرى فنزل بعده قرآن تلاه نبى الله على أصحابه القاعدين معه فاذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرؤنهم ويفقهونهم فى الدين وهو قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول اذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى بذلك أنه لا ينبغى للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبى الله قاعد ولكن اذا

بعد اذنه) وانما فقد العاطف لانهما كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الله الخ والامر الشأن أراد به أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى أنه يقضى ويقدر بمقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب فى أفعاله الناظر فى أدبار الامور وعواقبها التى لا يدخل فى الوجود ما لا ينبغى قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا

بهذه الآية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بأنه ليس لأحد أن يشفع اليه فى شئ الا بعد اذنه لانه أعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم أن يسألوه مالا يعلمون أنه صواب وصلاح ففى قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله فى التصرف فى جانب المبدا وفى قوله مامن شفيع اشارة الى استقلاله فى

من الأصلح مع أنه ما كان هناك شفيع يشفع فى تحصيل المصالح فدل ذلك على أنه محسن الى عباده مريد للخير والرأفة بهم كامل العناية بأحوالهم قال أبو مسلم الشفيع معناه الثانى من الشفع الذى يخالف الوتر أى خلق السموات والارض وحده ولا حى معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد أنه لم يدخل فى الوجود أحد الا من بعد أن قال له كن حتى كان وحصل ثم أشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال (ذلكم الله ربكم) الذى يستأهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام من خلق السموات والارض بما فيهما وعليهما (فاعبدوه) وحده (أفلا تذكرون) فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر فى الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع فى اثبات المعاد فقال (اليه مرجعكم) أى رجوعكم (جميعا) مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون فى العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم أكد ذلك بقوله (وعد الله حقا) وفيه تأكيدان كامر ثم قال (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) وهو استئناف فيه معنى التعليل كأنه قال ان الذى قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعنى أنه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم أولا ثم على انشاء أجزائكم حال حياتكم ثانيا شيأ فشيأ من غير أن تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بأنه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرأ أنه بالفتح فعلى حذف لام التعليل أى لانه أو على أنه منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعد ابدء الخلق ثم اعادته ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أى حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال (ليجزى الذين آمنوا وعملوا

فعد نبى الله تسرت السرايا وقعد معه عظم الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ولكنهم منافقون ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون لنفر بعض لينفقه فى الدين ولينذر قومه اذا رجع اليهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فانها ليست فى الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله الى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذر واقومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول ثالث وهو ما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ويتفقهون فى دينهم ويقولون لنبى الله ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا ما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم قال فيأمرهم نبى الله بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا أتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليعرف أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة * وقال آخرون انما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزروا باعراب المسلمين وعزروهم فى تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ممن قد عذره الله بالتخلف ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الى ان الله لا يضيع أجر المحسنين قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة الآية حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا سليمان الأحول عن عكرمة قال سمعته يقول لما نزلت إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفر وامعه وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البدو الى قومهم يفقهونهم فأنزل الله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى قوله لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له الآية * واختلف الذين قالوا عنى بذلك النهى عن نفر الجميع فى السرية وترك النبى عليه السلام وحده فى المعنيين بقوله ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فقال بعضهم عنى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصالحات) قال المفسرون فى الآية اضمار والتقدير انه يبدأ الخلق ليأمرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزى وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولأن الاعادة لا تكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله (بالقسط) أى بالعدل متعلق بيجزى أى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجرهم أو ليجزيهم بقسطهم وبما لم يظلموا أنفسهم حين آمنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفى قوله (والذين كفروا) من غير أن يدخل لام العاقبة فى الجملة كما أدخلها فى الاولى دليل على أنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم فى طريق القهر والحميم الماء الذى أسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة وأجيب بأن عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بأن الفساق أكثر من أهل الطاعة فكيف يجوز طى ذكرهم واعلم أن للعلماء فى اثبات المعاد طريقين الاول طريق القائلين بالحسن والقبح العقليين والثانى طريق من يقول لا يجب على الله شئ أصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد أما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها أنه تعالى خلق الخلق وأعطاهم عقولا وقدرا فيجب فى حكمته أن يرغبهم فى الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا فى المأمورات وبالعكس فى المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل فى الدنيا فلا بد من دار أخرى هى دار الآخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم أن يكون الله تعالى كاذبا فى قوله ليجزى الخ فان قيل لم لا يكفى فى الترغيب والردع ما أودع الله فى العقول من تحسين الخيرات

وقالوا معنى الكلام فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ليتفقه المتخلفون فى الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا فى السرية اذا رجعوا اليهم من غزوهم وذلك قول قتادة وقد ذكر نا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبى عروبة وقد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين الآية قال ليتفقه الذين قعدوا مع نبى الله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم يقول لينذر والذين خرجوا اذا رجعوا اليهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وقتادة وما كان المؤمنون لينفروا كافة قالا كافة ويدعوا النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون منهم بل معنى ذلك لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة وتحذر النافرة المتخلفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين قال ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذر واقومهم اذا رجعوا اليهم * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال تأويله وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله وحده وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا فى غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ولكن عليهم اذا سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهى الفرقة طائفة وذلك من الواحد الى ما بلغ من العدد كما قال الله جل ثناؤه فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يقول فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وهذا الى هاهنا على أحد الاقوال التى رويت عن ابن عباس وهو قول الضحاك وقتادة وانما قلنا هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب لان الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب لغير عذر يعذرون به اذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فكان معلوما بذلك اذ كان قد عرّفهم فى الآية التى قبلها اللازم لهم من فرض النفر والمباح لهم من تركه فى حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخوصه عن مدينته لجهاد عدو وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه الا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته واشخاص غيره عنها كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم وأما قوله ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فان أولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الاسلام وظهوره على الاديان من لم يكن فقهه ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذى نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك اذا هم رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يقول لعل قومهم اذا هم

وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز أن يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لا أنه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله ألستم تخصصون أكثر عمومات القرآن ثم تزعمون أنه لا كذب سلمنا أنه يفعل لكن لم لا يجوز أن يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان فى دار الدنيا من الراحات والآلام فالجواب أن العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا أن الهوى والنفس

يدعوان الى الانهماك فى الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وماذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال وتجويز الخلف فى ذلك مناف للغرض وأخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد مادام فى الدنيا فهو فى العمل وقد ترى أزهد الناس وأعلمهم مبتلى بالآفات والبليات وأفسقهم وأجهلهم فى أتم اللذات والمسرات ومنها أن صريح العقل يوجب فى حكمة الحكيم أن يفرق بين المحسن والمسىء والمظلوم والظالم وأن لا يجعل من كفر به وعصاه كمن آمن به وأطاعه وليس هذه التفرقة فى الدنيا كما قيل

كم عالم عالم أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

فلا بد من دار أخرى يظهر فيها التفاوت ومنها أنه كاف عبيده بأن يعبدوه والحكيم اذا أمر عبده بشىء فلا بد أن يجعل له فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال بأداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل أسباب الراحات فلو لم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما أمر به فان قيل لم لا يكفى فى نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على أنواع الظلم والايذاء لأن الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له فى الدنيا ولا فى الآخر ومنها أنه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب أن يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك فى الدنيا لأن لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الألم وازالة الألم أمر عدمى وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وأيضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام بل اللذة فى الدنيا كالقطرة من البحر وعلمنا ان للراحة دارا أخرى فان قيل ليس انه يعذب أهل النار على لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق أن ذلك الالم استحقوه على أعمالهم وهذا الالم الحاصل فى الدنيا غير مستحق فوجب أن يعقبه خيرات عظيمة والا فينافى كونه أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين ومنها أنه لو لم يحصل للانسان معاد لكان أخس من جميع الحيوانات لأنها تشاركه

حذر وهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم وانما قلنا ذلك أولى الاقوال بالصواب وهو قول الحسن البصرى الذى رويناه عنه لان النفر قد بينا فيما مضى أنه اذا كان مطلقا بغير صلة بشىء أن الاغلب من استعمال العرب اياه فى الجهاد والغزو فاذا كان ذلك هو الاغلب من المعانى فيه وكان جل ثناؤه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين علم أن قوله ليتفقهوا انما هو شرط للنفر لا لغيره اذ كان يليه دون غيره من الكلام فان قال قائل وما تنكر أن يكون معناه ليتفقه المتخلفون فى الدين قيل ننكر ذلك لاستحالته وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم وترك التفقه وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفر لم يكن سببا لمنعهم من التفقه وبعد فانه قال جل ثناؤه ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم عطفا به على قوله ليتفقهوا فى الدين ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا الا والانذار قد تقدم من الله اليها وللانذار وخوف الوعيد نفرت فما وجه انذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة وقد تساوتا فى المعرفة بانذار الله اياهما ولو كانت احداهما جائزا أن توصف بانذار الاخرى لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة لانها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ما لم تعاين المقيمة ولكن ذلك ان شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها من لم يؤمن بالله اذا رجعت اليه أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بعدهم يقول لهم ابدؤا بقتال الأقرب فالأقرب اليكم دارا دون الأبعد فالأبعد وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ والشأم كانت أقرب الى المدينة من العراق فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد فان الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى من نواحى بلاد الاسلام فان اضطروا اليهم لزمهم عونهم ونصرهم لأن المسلمين يد على من سواهم ولصحة كون ذلك كذلك تأول كل من تأول هذه الآية أن معناها ايجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء ذكر الرواية بذلك عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقى عن رجل من بنى تميم قال سألت ابن عمر عن قتال الديلم قال عليك بالروم حدثنا ابن بشار وأحمد بن اسحق وسفيان بن وكيع قالوا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسن قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال الديلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الربيع عن الحسن أنه كان اذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب قال ثنا عمران أخى قال سألت جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقلت ما ترى فى قتال الديلم فقال قاتلوهم ورابطوهم فانهم من الذين قال الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الربيع عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم فقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الديلم حدثنى

في اللذات الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوز في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه وتأذيه في أغلب الاحوال يتفكر في الاحوال الماضية فيتأسف ويتأمل في الاحوال الآتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه وعزيته ومنها أن ايصال النعم اما أن يكون مشوبا بالآفات أو خالصا عنها فلما أنعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب أن ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار أخرى اظهارا لكمال القدرة والرأفة والحكمة فهنالك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل الغموم والهموم والآفات والمخافات ومما يقوى هذا الكلام أن الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن أمه الى أن يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى أن ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى أن يصير أميرا نافذا الحكم على الخلق أو عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء أن يكون حاله بعد الموت أشرف وأبهى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا آمنا بالمعاد وتأهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غاية ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها أن أحوال الانسان من صباه الى هرمه تضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني تعود الى تلك الحياة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها أن الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع أن تجتمع مرة أخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها أن النظر في تغيرات العالم أدى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بأن هذا الحكيم لا يليق به أن يترك عبيده هملا يكذبون عليه ويجورون فلابد من أن يكون له أمر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء * وأما الفريق الآخر الذين لا يعللون أفعال الله تعالى برعاية

علي بن سهل قال ثنا الوليد قال سمعت أبا عمرو وسعيد بن عبد العزيز يقولان يرابط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ويتأولان قول الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم فلما فرغ قال الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى بلغ وهم صاغرون قال فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب قال وجهادهم أفضل الجهاد عند الله وأما قوله وليجدوا فيكم غلظة فان معناه وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم فيكم أي منكم شدة عليهم واعلموا أن الله مع المتقين يقول وأيقنوا عند قتالكم اياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم فان اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فان الله ناصر من اتقاه ومعينه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول أيها الناس أيكم زادته هذه السورة ايمانا يقول تصديقا بالله وبآياته يقول الله فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك فزادتهم السورة التي أنزلت ايمانا وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الايمان واليقين فان قال قائل أوليس الايمان في كلام العرب التصديق والاقرار قيل بلى فان قيل فكيف زادتهم السورة تصديقا واقرارا قيل زادتهم ايمانا حين نزلت لانهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الاقرار بها والعمل بها بعينها الا في جملة ايمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله حق فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الاقرار بأنها بعينها من عند الله ووجب عليهم فرض الايمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه فكان ذلك هو الزيادة التي زادتهم نزول السورة حين نزلت من الايمان والتصديق بها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا قال كان اذا نزلت سورة آمنوا بها فزادهم الله ايمانا وتصديقا وكانوا يستبشرون **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فزادتهم ايمانا قال خشية ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين في قلوبهم مرض نفاق وشك في دين الله فان السورة التي أنزلت زادتهم رجسا الى رجسهم وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا فكان ذلك زيادة شك حادثة في تنزيل الله لزمهم الايمان به عليهم بل ارتابوا بذلك فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم الى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق وذلك معنى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا وهم كافرون يعني وهم كافرون بالله وآياته ۞ القول في تأويل قوله ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله

المصالح فانهم يقولون المعاد أمر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان فى المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية أيضا جائزة ثم ان الله العالم
قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تمييز أجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن أجزاء بدن
عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء عليهم السلام وعلى أن القرآن كلام الله

الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسمانى أما شبهة المنكرين فمن ذلك أنهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا منها فاما أن يقال انه قادر على خلق ذلك الأجود أو لا ثم تركه وفعل الأرذل فذلك سفه أو يقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب أن كلا من الدارين خير فى وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانسانى من قبيل العلم والعمل والاخرى للراحة والجزاء ومن ذلك أنهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستدير لا ضد له ومالا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا فى كتبنا الحكمية من أن كل جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا أنها أزلية فحركاتها غير أزلية لأن الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الماهية تقتضى المسبوقية بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافى المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم أن الحركة أزلية فلم لا يجوز أن يكون بعض أوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذى الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تأليف مخصوص لان أجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت أجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال وأجيب بأن الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس

أولا يرون فقرأته عامة قراء الامصار أولا يرون بالياء بمعنى أولا يرى هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض النفاق وقرأ ذلك حمزة أولا ترون بالتاء بمعنى أولا ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون والصواب عندنا من القراءة فى ذلك الياء على وجه التوبيخ من الله لهم لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وصحة معناه فتأويل الكلام اذا أولا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم فى كل عام مرة أو مرتين بمعنى أنه يختبرهم فى بعض الاعوام مرة وفى بعضها مرتين ثم لا يتوبون يقول ثم هم مع البلاء الذى يحل بهم من الله والاختبار الذى يعرض لهم لا ينيبون من نفاقهم ولا يتوبون من كفرهم ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته فيتعظوا بها ولكنهم مصرون على نفاقهم

واختلف أهل التأويل فى معنى الفتنة التى ذكر الله فى هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها فقال بعضهم ذلك اختبار الله اياهم بالقحط والشدة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يفتنون قال يبتلون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال يبتلون بالعذاب فى كل عام مرة أو مرتين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال [illegible]نة والجوع * وقال آخرون بل معناه أنهم يختبرون بالغزو والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال يبتلون بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أو مرتين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله * وقال آخرون بل معناه أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الاكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيفتتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال كنا نسمع فى كل عام كذبة أو كذبتين فيفضل بها فئام من الناس كثير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة قال كان لهم فى كل عام كذبة أو كذبتان * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال ان الله يعجب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ويوبخ المنافقين فى أنفسهم بقلة تذكرهم وسوء تنبههم لمواعظ الله التى يعظهم بها وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التى ينزلها بهم من الجوع والقحط وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به ويرزقه من اظهار كلمته على كلمتهم وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم بركونهم الى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذى يجب التسليم له ولا قول فى ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو أولا يرون أنهم يختبرون فى كل عام مرة أو مرتين بما يكون زاجرا لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعظون ﴿القول فى تأويل

سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا أو جسما مخصوصا طيفا باقيا فى جميع أحوال البدن من الصبا الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذى يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك أنهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان آخر لزم أن تعاد تلك الاجزاء فى بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال وأجيب بعين ما مر وهى ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزأ من انسان آخر فهذه

تأويل قوله ﴿ واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا ما أنزلت سورة من القران فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هذه السورة وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم الى بعض فتناظروا هل يراكم من أحد ان تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معايبهم ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله صرف الله قلوبهم فقال صرف الله عن الخير والتوفيق والايمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين ذلك بأنهم قوم لا يفقهون يقول فعل الله بهم هذا الخذلان وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه استكبارا ونفاقا واختلف أهل العربية فى الجالب حرف الاستفهام فقال بعض نحويى البصرة قال نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد كأنه قال قال بعضهم لبعض لان نظرهم فى هذا المكان كان ايماء وتنبيها به والله أعلم وقال بعض نحويى الكوفة انما هو واذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد وقال آخر منهم هذا النظر ليس معناه القول ولكنه النظر الذى يجلب الاستفهام كقول العرب تناظروا أيهم أعلم واجتمعوا أيهم أفقه أى اجتمعوا لينظروا فهذا الذى يجلب الاستفهام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة * قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن عمير بن تميم الثعلبى عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم * قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى الضحى عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض الآية قال هم المنافقون * وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ممن سمع خبركم رآكم أحد أخبره اذا نزل شئ يخبر عن كلامهم قال وهم المنافقون قال وقرأ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا حتى بلغ نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد أخبره بهذا ان كان معكم أحد سمع كلامكم أحد يخبره بهذا حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اسحق الهمدانى عمن حدثه عن ابن عباس قال لا تقل انصرفنا من الصلاة فان الله غير قوما فقال انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قل قد صلينا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره للعرب لقد جاءكم أيها القوم رسول الله اليكم من أنفسكم تعرفونه لا من غيركم فتتهموه على أنفسكم فى النصيحة لكم عزيز عليه ما عنتم أى عزيز عليه عنتكم وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والاذى حريص عليكم يقول حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم الى الحق بالمؤمنين رؤف أى رفيق رحيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه

خلاصة ما وصل اليه العقول من أمر المعاد والله تعالى أعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال (هو الذى جعل الشمس ضياء) وهو أجوف واوى مهموز اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرأ بهمزتين بينهما ألف فمحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف فانقلب همزة كما فى كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض أو مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف أى جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا أن يحمل على المبالغة فجعلا نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء أقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء أن ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها وأما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى أنه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف أحواله من الهلالية الى البدرية كما بينا فى تفسير قوله تعالى يسألونك عن الأهلة (وقدره منازل) قال فى الكشاف أى قدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل ومنزلة القمر المسافة التى يقطعها فى يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وأساميها مشهورة الشرطين البرجا البطين الخ وهى كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فترى القمر كل ليلة نازلا بقرب

أحدها وذلك أنهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عددا أيام دور القمر فأصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التى وقعت وقت التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعهما العائدة على المكلفين فقال (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احداهما على الاخرى فى تفسير قوله

تعالى ان عدة الشهور الآية فلا حاجة الى التكرار ثم أشار الى سائر منافعهما وخواصهما بقوله (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول تنتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حاله فى زيادة النور ونقصانه تختلف أحوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التى يرشد اليها التأمل والتدبر ولهذا قال (يفصل الآيات لقوم يعلمون) لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذى يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقدمر تفسيره فى سورة البقرة فى قوله ان فى خلق السموات والارض الآية ومعنى قوله وما خلق الله فى السموات والارض كقوله وما خلق الله من شئ وقدمر فى آخر الاعراف وانما خص كونها آيات بالمتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر فى هذه الاحوال علم أن الدنيا مخلوقة لشقاء الناس وأن خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهى ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال فى الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدإ والمعاد ثم شرع فى شرح أحوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال (ان الذين لا يرجون لقاءنا) عن ابن عباس ومقاتل والكلبى معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع أى لا يطمعون فى حسن لقائه كما يأمله السعداء أو لا يتوقعونه أصلا لأنهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية (ورضوا) مع ذلك (بالحياة الدنيا) الحسية الخسيسة (واطمأنوا بها) سكنوا اليها كسكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق فى اللذات الجسمانية (والذين هم عن آياتنا غافلون) فلا يعتبرون بالآيات ولا ينظرون

فى قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال لم يصبه شئ من شرك فى ولادته **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد فى قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه بنحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال جعله الله من أنفسهم ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة وأما قوله عزيز عليه ما عنتم فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه ما ضللتم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن ابن عباس فى قوله عزيز عليه ما عنتم قال ما ضللتم * وقال آخرون بل معنى ذلك عزيز عليه عنت مؤمنكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عزيز عليه ما عنتم عزيز عليه عنت مؤمنهم * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول ابن عباس وذلك أن الله عم بالخبر عن نبى الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه ولم يخصص أهل الايمان به فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم فان قال قائل وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم وهو يقتل كفارهم ويسبى ذراريهم ويسلبهم أموالهم قيل ان اسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب اليه من اقامتهم على كفرهم وتكذيبهم اياه حتى يستحقوا ذلك من الله وانما وصف الله جل ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم لانه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبى وأما ما التى فى قوله ما عنتم فانه رفع بقوله عزيز عليه لان معنى الكلام ما ذكرت عزيز عليه عنتكم وأما قوله حريص عليكم فان معناه ما قد بينت وهو قول أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حريص عليكم حريص على ضالهم أن يهديه الله **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله حريص عليكم قال حريص على من لم يسلم أن يسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ يقول تعالى ذكره فان تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة فى الله وما دعوتهم اليه من النور والهدى فقل حسبى الله يكفينى ربى لا اله الا هو لا معبود سواه عليه توكلت وبه وثقت وعلى عونه اتكلت واليه والى نصره استندت فانه ناصرى ومعينى على من خالفنى وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس وهو رب العرش العظيم الذى يملك كل ما دونه والملوك كلهم مماليكه وعبيده وانما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفى ملكه وسلطانه لان العرش العظيم انما كان يكون للملوك فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه وأنه الملك العظيم دون غيره وأن من دونه فى سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فان تولوا فقل حسبى الله يعنى الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه فى المؤمنين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن

فى الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدا والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد (أولئك مأواهم النار) فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله (بما كانوا يكسبون) وفيه أن الاعمال السابقة هى المؤثرة فى حصول العذاب الجسمانى وهو النار المحسوسة والعذاب الروحانى وهو نار البعد من المألوفات والقطيعة من السعادات الباقيات فيكون مثاله مثال من أخرج عن مجالسة معشوقه فألقى فى بئر ظلمانية لا الف بها ولا مؤنس بل يكون فيها أنواع المؤذيات وأصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له وأما حال الذى يؤمن به فذلك قوله (ان الذين آمنوا) استكملوا من جهة القوة النظرية (وعملوا الصالحات) استكملوا من قبل القوة العملية أو صدقوا بقوله ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذى جاءت به الانبياء والكتب من عند الله أو أشغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار وآذانهم باستماع كلام الله وألسنتهم بذكر الله وسائر أعضائهم بطاعة الله تعالى (يهديهم ربهم بايمانهم) قال أكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم وأعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم أى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث تزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدى الى حصول المثوبات ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الزوائد الحاصلة فى الدنيا بعد الايمان قال الفقال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجرى من تحتهم الانهار الا انه حذف

عيينة عن عمرو عن عبيد بن عمير قال كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية فى المصحف حتى يشهد رجلان فجاء رجل من الانصار بهاتين الآيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه فقال عمر لا أسألك عليهما بينة أبدا كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير عن الاعمش عن أبى صالح الحنفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رحيم يحب كل رحيم يضع رحمته على كل رحيم قالوا يا رسول الله انا لنرحم أنفسنا وأموالنا قال وأراه قال وأزواجنا قال ليس كذلك ولكن كونوا كما قال الله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم أراه قرأ هذه الآية كلها **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال آخر آية نزلت من القرآن لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبى قال آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن أبى قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآيتين **حدثنى** أبو كريب قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا أبان بن يزيد العطار عن قتادة عن أبى بن كعب قال أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة

﴿القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الر﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم تأويله أنا الله أرى ذكر من قال ذلك **حدثنا** يحيى بن داود بن ميمون الواسطى قال ثنا أبو أسامة عن أبى روق عن الضحاك فى قوله الر أنا الله أرى **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس قوله الر قال أنا الله أرى * وقال آخرون هى حروف من اسم الله الذى هو الرحمن ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الله ابن أحمد بن شبويه قال ثنا على بن الحسين قال ثنى أبى عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان قال ذكر سالم بن عبد الله الر وحم ونون فقال اسم الرحمن مقطع ثم قال الرحمن **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا مندل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الر وحم ونون هو اسم الرحمن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو الكلبى عن أبى عوانة عن اسمعيل بن سالم عن عامر أنه سئل عن الر وحم وص قال هى أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء فاذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى * وقال

الواو وجعل قوله تجرى خبرا مستأنفا منقطعا مما قبله والتحقيق فى تقرير هذا الوجه أن العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن حالهما بالضد من النقوش الجسمانية فان تزاحم النقوش الجسمانية يكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد لوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهى للعلوم والحقائق كفهم المبتدئ فان الانسان اذا آمن بالله فقد أشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا تزال تتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيرتقى فى معارجها لحظة فلحظة ولما كان لانهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفى قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما يعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجرى من تحتهم الانهار أنهم يكونون فى البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجرى من بين أيديهم (دعواهم فيها) قال بعض المفسرين أى دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم بالك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما تكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى أن أهل الجنة يدعون فى الدنيا والآخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال أصله من الدعاء لأن الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل أى طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعى للشئ مواظب عليه فيمكن أن يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن فى قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل أى تمنيهم كقوله لهم ما يدعون أى ما يتمنونه وتقول العرب ادع على ما شئت أى تمن فكان تمنيهم فى الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه ولقد كانوا فى الدنيا يدعون فى الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فيقولون يا آل فلان فاخبر الله تعالى عنهم أن أنسهم

قدم

آخرون هى اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الراسم من أسماء القرآن وقد ذكرنا اختلاف الناس وما اليه ذهب كل قائل فى الذى قال فيه وما الصواب لدينا من القول فى ذلك فى نظيره وذلك فى أول سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وانما ذكرنا فى هذا الموضع القدر الذى ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله فى هذا قوله فى ألم فأما الذين وفقوا بين معانى جميع ذلك فقد ذكرنا قولهم هنالك مكتفيا عن الاعادة ههنا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ اختلف فى تأويل ذلك فقال بعضهم تلك آيات التوراة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد تلك آيات الكتاب الحكيم قال التوراة والانجيل * قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن * وقال آخرون معنى ذلك هذه آيات القرآن * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله هذه آيات القرآن ووجه معنى تلك الى معنى هذه وقد بينا وجه توجيه تلك الى هذا المعنى فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته والآيات الاعلام والكتاب اسم من أسماء القرآن وقد بينا كل ذلك فيما مضى قبل وانما قلنا هذا التأويل أولى فى ذلك بالصواب لانه لم يجئ للتوراة والانجيل قبل ذكر ولا تلاوة بعده فيوجه الخبر اذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم ومعنى الحكيم فى هذا الموضع المحكم صرف مفعل الى فعيل كما قيل عذاب أليم بمعنى مؤلم وكما قال الشاعر

* أمن ريحانة الداعى السميع * وقد بينا ذلك فى غير موضع من الكتاب فمعناه اذا تلك آيات الكتاب المحكم الذى أحكمه الله وبينه لعباده كما قال جل ثناؤه الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس﴾ يقول تعالى ذكره أكان عجبا للناس ايحاؤنا القرآن على رجل منهم بانذارهم عقاب الله على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله الى مثله من البشر فتعجبوا من وحينا اليه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال عجبت قريش أن بعث رجل منهم قال ومثل ذلك والى عاد أخاهم هودا والى ثمود أخاهم صالحا قال الله أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يقول جل ثناؤه أكان عجبا للناس أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق عطف على أنذر واختلف أهل التأويل فى معنى قوله قدم صدق فقال بعضهم معناه أن لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الاعمال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك أن لهم قدم صدق عند ربهم قال ثواب صدق * قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد أن لهم

في الجنة بذكر الله وسكونهم بتحميده (وتحيتهم فيها سلام) أي بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله أو الملائكة اياهم اضافة المصدر الى المفعول (وآخر دعواهم أن الحمد) هي أن المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله) على أن الضمير للشأن قال أهل الظاهر من المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار بأهل الجنة أن قوله سبحانك اللهم علم بين أهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم أتوهم بما يشتهونه قال ابن جريج وردفي الاخبار أنه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بذلك المشتهى فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل أهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم أي نسبحك عن الخلف في الوعد وقيل ألهم الله بني آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن أن يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واحترق في أوائل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فأفاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخافات والمكاره عنهم بكل ما أمكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا أثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا يدور أمرهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون ﴿التأويل﴾ الرفيه اشارتان احداهما من الحق المحق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال

قدم صدق عند ربهم قال الاعمال الصالحة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن حبان عن ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن أبي مغيث عن مجاهد أن لهم قدم صدق عند ربهم قال صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق قال خير **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال قدم صدق ثواب صدق عند ربهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق قال القدم الصدق ثواب الصدق بما قدموا من الاعمال * وقال آخرون معناه أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول سبقت لهم السعادة في الذكر الاول * وقال آخرون معنى ذلك أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن آدم عن فضيل بن عمرو بن الجون عن قتادة أو الحسن أن لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد شفيع لهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم أي سلف صدق عند ربهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم في قوله أن لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد صلى الله عليه وسلم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب وذلك أنه محكي عن العرب هؤلاء أهل القدم في الاسلام أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا فكان لهم فيه تقديم ويقال له عندي قدم صدق وقدم سوء وذلك ما قدم اليه من خير أو شر ومنه قول حسان ابن ثابت رضي الله عنه

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لأولنا في طاعة الله تابع

وقول ذي الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس أنها * مع الحسب العادي طمت على البحر

فتأويل الكلام اذا وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمة خير من الاعمال الصالحة عند ربهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال الكافرون ان هذا لسحر مبين﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ان هذا لسحر مبين بمعنى ان هذا الذي جئتنا به يعنون القرآن لسحر مبين وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قراء الكوفيين ان هذا لساحر مبين

بآلائي عليك في الازل وأنت في العدم وبلطفي عليك في الوجود وبرحمتي ورأفتي لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه عليه السلام اليه يقول بانسك معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبلبيك الذي أجبتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت ياسيدي فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك تلك أي هذه الآيات المنزلة عليك

آيات الكتاب الحكيم الذى وعدتك فى الازل وراثته لك ولامتك والحكيم الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرائع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما رأى فيه رجولية قبول الوحى دون غيره ويحتمل أن يكون معنى للناس الناسى عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول من خرج (٦٠) من العدم الى الوجود أو هو العناية الازلية سبقت رحمتى غضبى لساحر

وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة نزل الموصوف على صفته وصفته عليه فالقارئ مخير فى القراءة فى ذلك وذلك نظير هذا الحرف قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ولساحر مبين وذلك أنهم انما وصفوه بأنه ساحر ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر واذا كان ذلك كذلك فسواء بأى ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحى قال الكافرون ان هذا الذى جاء نابه لسحر مبين فتأويل الكلام اذا أ كان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم فلما أتاهم بوحى الله وتلاه عليهم قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله ان هذا الذى جاء نابه محمد لسحر مبين أى يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الذى له عبادة كل شئ ولا تنبغى العبادة الا له هو الذى خلق السموات السبع والارضين السبع فى ستة أيام وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير ثم استوى على عرشه مدبر اللامور وقاضيا فى خلقه ما أحب لا يضاده فى قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل ما من شفيع الا من بعد اذنه يقول لا يشفع عنده شافع يوم القيامة فى أحد الا من بعد أن يأذن فى الشفاعة ذلكم الله ربكم يقول جل جلاله هذا الذى هذه صفته سيدكم ومولاكم لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبر ولا يقضى من الآلهة والاوثان فاعبدوه يقول فاعبدوا ربكم الذى هذه صفته وأخلصوا له العبادة وأفردوا له الالوهة والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه فى العبادة أفلا تذكرون يقول أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج فتنيبون الى الاذعان بتوحيد ربكم وافراده بالعبادة وتخلعون الانداد وتبرؤن منها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه قال يقضيه وحده حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره الى ربكم الذى صفته ما وصف جل ثناؤه فى الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا وعد الله حقا فأخرج وعد الله مصدرا من قوله اليه مرجعكم لانه فيه معنى الوعد ومعناه يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقا فلذلك نصب وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده يقول تعالى ذكره ان ربكم يبدأ انشاء الخلق واحداثه وايجاده ثم يعيده يقول ثم يعيده فيوجده حيا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه كما حدثنى محمد

والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة ابن
والله تعالى أعلم ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا

القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الىّ انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين ۞ القرآت لقضى اليهم مبنيا للفاعل أجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع أجلهم أو بدله بضم اللام وسكون الهاء روى خلف عن الكسائى والاختيار عنه وعن غيره الاشمام لى أن بفتح الياء وكذلك انى أخاف أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو نفسى ان بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع ولأدراكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى أبو ربيعة عن البزى وحمزة وقرأ حمزة وعلى وأبو عمرو وخلف وورش من طريق النجارى والخزاز عن جبيرة وهبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى من طريق أبى حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب

ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يبدأ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته «قال أبو جعفر» وأحسبه أنا قال ثم يحييه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله ابن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد يبدأ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته ثم يحييه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انه يبدأ الخلق ثم يعيده يحييه ثم يميته ثم يبدؤه (١) ثم يحييه * قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه وقرأت قراء الامصار ذلك انه يبدأ الخلق بكسر الالف من انه على الاستئناف وذكر عن أبى جعفر الرازى أنه قرأه أنه بفتح الالف من انه كأنه أراد حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده فأن حينئذ تكون رفعا كما قال الشاعر

أحقا عباد الله أن لست زائرا * أباحبة الاعلى رقيب

وقوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط يقول ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ليجزى الذين آمنوا يقول ليثيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الاعمال واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط يقول ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التى عملوها فى الدنيا الحسن من الثواب والصالح من الجزاء فى الآخرة وذلك هو القسط والقسط العدل والانصاف كما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم فانه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعد الله للذين كفروا من العذاب وفيه معنى العطف على الاول لانه تعالى ذكره عم بالخبر عن معاد جميعهم كفارهم ومؤمنيهم اليه ثم أخبر أن اعادتهم ليجزى كل فريق بما عمل المحسن منهم بالاحسان والمسئ بالاساءة ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعد للذين كفروا من العذاب ما يدل سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر والمعنى العطف فقال والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله لهم شراب فى جهنم من حميم وذلك شراب قد أغلى واشتد حره حتى انه فيما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه وكما وصفه جل ثناؤه كالمهل يشوى الوجوه وأصله مفعول صرف الى فعيل وانما هو محموم أى مسخن وكل مسخن عند العرب فهو حميم ومنه قول المرقش

وكل يوم لها مقطرة * فيها كباء معد وحميم

يعنى بالحميم الماء المسخن وقوله عذاب أليم يقول ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم بما كانوا يكفرون بالله ورسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض هو الذى جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل ومعنى ذلك هو الذى أضاء الشمس وأنار القمر وقدره منازل يقول قضاه فسواه منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها على حال واحدة أبدا وقال وقدره منازل

(١) لعله تفسير للبدء تأمل كتبه مصححه

وكذلك فى النحل والروم حمزة وعلى وخلف الباقون بالياء ۞ الوقوف أجلهم ط لأن ما بعده مستقبل فنحن نذر يعمهون ○ أو قائما ط مسه ط يعملون ○ ظلموا لا لأن الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين ○ تعملون ○ بينات لا لأن ما بعده جواب اذا أو بدله ط نفسى ج ط لأن ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الىّ ط ج لمثل ما قلنا عظيم ○ به ط والوصل أولى للفاء

أولشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون ○ بآياته ط المجرمون ○ عندالله ط فى الارض ط يشركون ○ فاختلفوا ط يختلفون ○ من ربه ج ط للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء أوالتعليل المنتظرين ○ ۞ التفسير انه سبحانه ابتدأ فى هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى أنهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة فأزال ذلك التعجب بالانكار و بالدلائل الدالة على صحة المبدا والمعاد فكأنه قيل انه ماجاء الا بدليل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع فى شبهة أخرى وهى أنهم كانوا يقولون أبدا اللهم ان كان محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فأجابهم بقوله (ولو يعجل الله) الآية وقال القاضى لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدا والمعاد ذكر أن ذلك العذاب من حقه أن يتأخر عن هذه الحياة الدنيا والا نافى التكليف وقال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة أكد ذلك بأن من غاية غفلتهم أن الرسول متى أنذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى أنه لامصلحة فى تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون أو يخرج من أصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجىء فى الآية التالية وفى الرخاء كانوا يستعجلون النبى بالعذاب فقال مامعناه ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوابه كما يعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لأميتوا وأهلكوا قال فى الكشاف أصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا أن الاستعجال أشهر وأظهر فمعنى الآية لو أراد الله عجلة الشر للناس كما أرادوا عجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يلزمه الاستعجال وبنحو الا أنه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب فى الآية شرا لانه أذى وألم فى حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا لمعنى نفى التعجيل فيمكن أن يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوى كأنه قيل ولكن

فوحده وقد ذكر الشمس والقمر فان فى ذلك وجهين أحدهما أن تكون الهاء فى قوله وقدره للقمر خاصة لأن بالأهلة يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس والآخر أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما قال فى موضع آخر والله ورسوله أحق أن يرضوه وكما قال الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدى ✻ بريا ومن جول الطوى رمانى

وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب يقول وقدر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين دخول مايدخل منها وانقضاء مايستقبل منها وحسابها يقول وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها ماخلق الله ذلك الا بالحق يقول جل ثناؤه لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما الا بالحق يقول الحق تعالى ذكره خلقت ذلك كله بحق وحدى بغير عون ولا شريك يفصل الآيات يقول يبين الحجج والأدلة لقوم يعلمون اذا تدبروها حقيقة وحدانية الله وصحة مايدعوهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من خلع الانداد والبراءة من الاوثان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره منبها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته وأنه خالق كل مادونه ان فى اعتقاب الليل النهار واعتقاب النهار الليل اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وفى الارض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شئ لآيات يقول لأدلة وحججا وأعلاما واضحة لقوم يتقون الله فيخافون وعيده ويخشون عقابه على اخلاص العبادة لربهم فان قال قائل أولا دلالة فيما خلق الله فى السموات والارض على صانعه الا لمن اتقى الله قيل فى ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكل من صحت فطرته وبرئ من العاهات قلبه ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله وانما معناه ان فى ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله فلم يحمله هواه على خلاف ماوضح له من الحق لأن ذلك يدل كل ذى فطرة صحيحة على أن له مدبرا يستحق عليه الاذعان له بالعبودة دون ماسواه من الآلهة والانداد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب متنافسون فى زين الدنيا وزخارفها راضون بها عوضا من الآخرة مطمئنين اليها ساكنين والذين هم عن آيات الله وهى أدلته على وحدانيته وحججه على عباده فى اخلاص العبادة له غافلون معرضون عنها لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه فيعلموا بها حقيقة مادلتهم عليه ويعرفوا بها بطول ماهم عليه مقيمون أولئك مأواهم النار يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين هذه صفتهم مأواهم مصيرهم الى النار نار جهنم فى الآخرة بما كانوا يكسبون فى الدنيا من الآثام والاجرام ويجترحون من السيئات والعرب تقول فلان لا يرجو فلانا اذا كان لا يخافه ومنه قول الله جل ثناؤه مالكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول أبى ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ✻ وخالفها فى بيت نوب عواسل

لا يعجل فيذرهم الزاما للحجة أو لصالح أخرى ثم بين أنهم كاذبون فى استعجال الشر ولو أصابهم ما طلبوه أظهروا العجل والطيش فقال (واذا مس الانسان الضر) أى هذا الجنس (دعانا لجنبه) اللام فى معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت فى موضع الحال لان الظرف والحال متآخيان فيصح عطف أحدهما على الآخر وتأويل أحدهما بالآخر أى دعانا مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) أو وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد أنه يدعو الله فى جميع أحواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل أن يراد أنه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود أو قاعدا غير قادر على القيام أو قائما لا يطيق المشى الى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها أو يراد أن من المضرورين من هو أسوأ حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع فى القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبيه تحكم لورود مثل قوله تعالى هل أتى على الانسان الا أن يساعده نقل صحيح والأصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللأواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ماهم وهم الذين نظرهم فى جميع الاحوال على المقدر المؤجل للامور حسب ارادته ومشيئته فلا جرم ان أصابهم السراء شكروا وان أصابهم الضراء صبروا فأفنوا ارادتهم فى ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج فى الآية تقديم وتأخير والتقدير واذا مس الانسان الضر لجنبه أو قاعدا أو قائما وضعف بان تعديد أحوال الدعاء أبلغ من تعديد أحوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسى ذلك فى وقت الرخاء كان أعجب ومعنى (مر) مضى على طريقته التى له قبل مس الضراء ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى (كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى أو النفس أو الشيطان مفرع عن مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمى الكافر مسرفا لانه أنفق ماله

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون قال اذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ولها يحزن ولها يسخط ولها يرضى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية كلها قال هؤلاء أهل الكفر ثم قال أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وذلك العمل بطاعة الله والانتهاء الى أمره يهديهم ربهم بايمانهم يقول يرشدهم ربهم بايمانهم به الى الجنة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له ما أنت فوالله انى لأراك امرأ صدق فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة وأما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فوالله انى لأراك امرأ سوء فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يهديهم ربهم بايمانهم قال يكون لهم نورا يمشون به **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال ابن جريج يهديهم ربهم بايمانهم قال يمثل له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله يهديهم ربهم بايمانهم والكافر يمثل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاذه حتى يقذفه فى النار * وقال آخرون معنى ذلك بايمانهم يهديهم ربهم لدينه يقول بتصديقهم هداهم ذكر من قال ذلك (١)

وقوله تجرى من تحتهم الانهار يقول تجرى من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم

---

(١) بياض بالاصل

من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة فى الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التى هى أحقر من لاشئ ومن الشهوات الفانية التى لا أصل لها ولا دوام والمسرف فى اللغة هو الذى ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر مايجرى مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال (ولقد أهلكنا القرون) وقدمضى

تفسير القرن فى أول الانعام (ولما) ظرف لأهلكنا والواو فى (وجاءتهم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم (رسلهم) بالدلائل والحجج على صدقهم وهى المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) اما أن يكون عطفا على ظلموا أو يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفى وان الله قد علم منهم أنهم يصرون على الكفر والسبب فى اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء وهو الاستئصال الكلى نجزى كل مجرم وفيه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ثم جعلناكم خلائف) أى استخلفناكم (فى الارض) بعد تلك القرون (لننظر كيف تعملون) خيرا أوشرا استعير النظر للعلم الحقيقى الذى لا يتطرق اليه شك ويعنى به العلم الذى يتعلق به الجزاء كما مر فى الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من الرسول أحد أمرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض أزور

الآيات ووضع أخرى فى مكانها فأمره الله تعالى أن يقول فى جوابهم (ما يكون لى) أى ما ينبغى وما يحل (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى فنفى عن نفسه أحد القسمين الذى هو أسهل وأقل ليلزم منه نفى الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم أكد الجواب بقوله

أنهار الجنة فى جنات النعيم يقول فى بساتين النعيم الذى نعم الله به أهل طاعته والايمان به فان قال قائل وكيف قيل تجرى من تحتهم الانهار وانما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة فى سائر القرآن أنها تجرى تحت الجنات وكيف يمكن الانهار أن تجرى من تحتهم الا أن يكونوا فوق أرضها والانهار تجرى من تحت أرضها وليس ذلك من صفة أنهار الجنة لأن صفتها أنها تجرى على وجه الارض فى غير أخاديد قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك تجرى من دونهم الانهار الى ما بين أيديهم فى بساتين النعيم وذلك نظير قول الله قد جعل ربك تحتك سريا ومعلوم أنه لم يجعل السرى تحتها وهى عليه قاعدة اذ كان السرى هو الجدول وانما عنى به جعل دونها بين يديها وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى يعنى من دونى بين يدى وأما قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم فان معناه دعاؤهم فيها سبحانك اللهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرت أن قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال اذا مر بهم الطير فيشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام قال فاذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم يقول ذلك قولهم فيها وتحيتهم فيها سلام حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله الاشجعى قال سمعت سفيان يقول دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قال اذا أرادوا الشئ قالوا اللهم فيأتيهم ما دعوا به وأما قوله سبحانك اللهم فان معناه تنزيها لك يارب مما أضاف اليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى عن غير واحد عطية فهم سبحان الله تنزيه لله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت موسى ابن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله قال ابراء الله عن السوء حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاد بن أسلم قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا قابوس عن أبيه أن ابن الكواء سأل عليا رضى الله عنه عن سبحان الله قال كلمة رضيها الله لنفسه حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا أبو أسامة عن سفيان بن سعيد الثورى عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحى عن موسى بن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء حدثنى على بن عيسى البزار قال ثنا عبيد الله بن محمد قال ثنا عبد الرحمن ابن حماد قال ثنى حفص بن سليمن قال ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله من كل سوء حدثنى محمد بن عمرو بن تمام الكلبى قال ثنا سليمن بن أيوب قال ثنى أبى عن جدى عن موسى بن طلحة عن أبيه قال قلت يارسول الله قول سبحان الله قال تنزيه الله عن السوء وتحيتهم يقول وتحية بعضهم بعضا فيها سلام أى سلمت وأمنت مما ابتلى به أهل النار والعرب تسمى الملك التحية ومنه قول عمرو بن معديكرب

(ان أتبع) أى ما اتبع (الا ما يوحى الى) ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد وأجيب بأن رجوعهما أيضا الى الوحى ونقل عن ابن عباس أن قوله (انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وضعف

بأن النسخ انما يكون فى الاحكام والتعبدات لا فى ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل أن يكون على سبيل السخرية فقد روى مقاتل والكلبى أنهم خمسة نفر من مشركى مكة وهم المستهزؤن فى قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل أن يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا أنه كاذب أو أرادوا أن هذا القرآن مشتمل على ذم آلهتهم فطلبوا قرآنا آخر لا يكون كذلك ثم أكد كون هذا القرآن من عند الله سبحانه وأنه غير مستبد فى ايراده فقال (لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم) ولا أعلمكم الله (به) على لسانى ومن قرأ بلام الابتداء فعناه ما تلوته أنا عليكم ولا أخبركم الله به على لسان غيرى ولكنه من على من يشاء من عباده فرآنى أهلا لذلك دون غيرى وقرئ لأدراكم به بالهمزة ووجهه أن تكون الهمزة مقلوبة من الالف أو يكون من الدرء الدفع ومعنى ادرأته جعلته دارئا أى لم أجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال وتكذبوننى (فقد لبثت فيكم عمرا) أى بعضا معتبرا من العمر وهو أربعون سنة (من قبله) أى من قبل نزول هذا القرآن (أفلا تعقلون) فيه قدح فى صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا شك فيه أنه من قبيل الوحى والمدد السماوى كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) الآية وفيه أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله لم يكن أحد أظلم منه ثم قبح الله أصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال

أزوربها أباقابوس حتى * أنيخ على تحيته بجندى

ومنه قول زهير بن جناب الكلبى

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

وقوله وآخر دعواهم يقول وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين يقول وآخر دعائهم أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ولذلك خففت أن ولم تشدد لانه أريد بها الحكاية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر وذلك فيما عليهم مضرة فى نفس أو مال استعجالهم بالخير يقول كاستعجاله لهم فى الخير بالاجابة اذا دعوه به لقضى اليهم أجلهم يقول لهلكوا وعجل لهم الموت وهو الأجل وعنى بقوله لقضى لفرغ اليهم من أجلهم وتبدى لهم كما قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

فنذر الذين لا يرجون لقاءنا يقول فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور فى طغيانهم يقول فى تمردهم وعتوهم يعمهون يعنى يترددون وانما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله اجابة دعائهم فى الشر لو استجاب لهم أن ذلك كان يدعوهم الى التقرب الى الوثن الذى يشركه به أحدهم أو يضيف ذلك الى أنه من فعله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان اذا غضب لولده وماله لا بارك الله فيه ولعنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه فلو يعجل الله الاستجابة لهم فى ذلك كما يستجاب فى الخير لأهلكهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه لقضى اليهم أجلهم قال لأهلك من دعا عليه ولأماته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الرجل لولده اذا غضب عليه أو ماله اللهم لا تبارك فيه والعنه قال الله لقضى اليهم أجلهم قال لأهلك من دعا عليه ولأماته قال فنذر الذين لا يرجون لقاءنا قال يقول لا نهلك أهل الشرك ولكن نذرهم فى طغيانهم يعمهون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقضى اليهم أجلهم قال لأهلكناهم وفرأ ما ترك على ظهرها من دابة قال يهلكهم كلهم ونصب قوله استعجالهم بوقوع يعجل عليه كقول القائل قمت اليوم قيامك يعنى قمت كقيامك وليس بمصدر من يعجل لانه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف أعنى كاف التشبيه فيه واختلفت القراء فى قراءة قوله لقضى

(٩ - ابن جرير حادى عشر)

(ويعبدون من دون الله مالا يضرهم) ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) ان عبدوه ومن حق المعبود أن يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بانها جماد والمعبود لابد أن يكون أكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا تليق العبادة الا له (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قد ذكرنا وجه ذلك فى أوائل سورة البقرة فى قوله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ثم أنكر عليهم معتقدهم

بقوله (قل أتنبئون الله بما لا يعلم) والمراد أنه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور تقول ما علم الله ذلك منى والمقصود أنه ما وجد منك ذلك قط وفى قوله فى السموات ولا فى الارض تأكيد آخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) اما ان يكون من تمام ما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم أو ابتداء كلام من الله تعالى تنزيها لنفسه عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين أن عبادة الاصنام بدعة وأن الناس يعنى العرب أو البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقدر تفسير مثله فى سورة البقرة فى قوله كان الناس أمة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك وعبادة الاصنام من دون الله فى أعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع (ولولا كلمة سبقت من ربك) من بناء أمر الثواب والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر أو من تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة أو من قوله سبقت رحمتى غضبى (لقضى بينهم) عاجلا ولميز المحق من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من أغاليطهم فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) وقدر تفسيره فى الانعام فى قوله لولا أنزل عليه آية من ربه كأنهم لم يعتدوا بالقرآن آية واقترحوا غيره تعنتا (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه وهذا أمر فيه تهديد ووعيد والله ورسوله أعلم (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح

اليهم أجلهم فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق لقضى اليهم أجلهم على وجه ما لم يسم فاعله بضم القاف من قضى ورفع الاجل وقرأ عامة أهل الشام لقضى اليهم أجلهم بمعنى لقضى الله اليهم أجلهم وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أنى أقرؤه على وجه ما لم يسم فاعله لان عليه أكثر القراء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره واذا أصاب الانسان الشدة والجهد دعانا لجنبه يقول استغاث بنا فى كشف ذلك عنه لجنبه يعنى مضطجعا لجنبه أو قاعدا أو قائما بالحال التى يكون بها عند نزول ذلك الضر به فلما كشفنا عنه ضره يقول فلما فرجنا عنه الجهد الذى أصابه مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه يقول استمر على طريقته الاولى قبل أن يصيبه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه وترك الشكر لربه الذى فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به وعاد للشرك ودعوى الآلهة والأوثان أربابا معه يقول تعالى ذكره كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يقول كما زين لهذا الانسان الذى وصفنا صفته استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر كذلك زين للذين أسرفوا فى الكذب على الله وعلى أنبيائه فتجاوزوا فى القول فيهم الى غير ما أذن الله لهم به ما كانوا يعملون من معاصى الله والشرك به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله دعانا لجنبه قال مضطجعا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أهلكنا الامم التى كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظلموا يقول لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه وجاءتهم رسلهم من عند الله بالبينات وهى الآيات والحجج التى تبين عن صدق من جاء بها ومعنى الكلام وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق وما كانوا ليؤمنوا يقول فلم تكن هذه الامم التى أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدقوهم الى ما دعوهم اليه من توحيد الله واخلاص العبادة له كذلك نجزى القوم المجرمين يقول تعالى ذكره كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم أنفسهم وتكذيبهم رسلهم وردهم نصيحتهم كذلك أفعل بكم فاهلكنكم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ان أنتم لم تنيبوا وتتوبوا الى الله من شرككم فان من ثواب الكافر بى على كفره عندى أن أهلكه بسخطى فى الدنيا وأورده النار فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ثم جعلناكم أيها الناس خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا تخلفونهم فى الارض وتكونون فيها بعدهم لننظر كيف تعملون يقول لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الامم بذنوبهم وكفرهم بربهم تحذرون مثالهم فيه فتستحقون من العقاب ما استحقوا أم تخالفون سبيلهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرون بالبعث بعد الممات فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف

عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم
اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل
الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت

تعملون ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صدق ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر كيف أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار والسر والعلانية حدثنى المثنى قال ثنا يزيد ابن عوف أبو ربيعة بهذا * قال ثنا حماد عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عوف ابن مالك رضى الله عنه قال لابى بكر رضى الله عنه رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دلى من السماء فانشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دلى فانشط أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر رضى الله عنه بثلاث أذرع الى المنبر فقال عمر دعنا من رؤيالك لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال يا عوف رؤيالك قال وهل لك فى رؤيا ى من حاجة أولم تنتهرنى قال ويحك انى كرهت أن تنعى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقص عليه الرؤيا حتى اذا بلغ ذرع الناس الى المنبر بهذه الثلاث الاذرع قال أما احداهن فانه كائن خليفة وأما الثانية فانه لا يخاف فى الله لومة لائم وأما الثالثة فانه شهيد قال فقال يقول الله ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون فقد استخلفت يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل وأما قوله فانى لا أخاف فى الله لومة لائم فما شاء الله وأما قوله فانى شهيد فأنى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به ثم قال ان الله على ما يشاء قدير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الىّ انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات واضحات على الحق دالات قال الذين لا يرجون لقاءنا يقول قال الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالمعاد الينا ولا يصدقون بالبعث لك ائت بقرآن غير هذا أو بدله يقول أو غيره قل لهم يا محمد ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أى من عندى والتبديل الذى سألوه فيما ذكر أن يحول آية الوعيد آية وعد وآية الوعد وعيدا والحرام حلالا والحلال حراما فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس اليه وأن ذلك الى من لا رد لحكمه ولا يتعقب قضاؤه وانما هو رسول مبلغ ومأمور متبع وقوله ان أتبع الا ما يوحى الىّ يقول قل لهم ما أتبع فى كل ما آمركم به أيها القوم وأنهاكم عنه الا ما ينزله الىّ ربى ويأمرنى به انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم يقول انى أخشى من الله ان خالفت أمره وغيرت أحكام كتابه وبدلت وحيه فعصيته بذلك عذاب يوم عظيم هوله وذلك يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه معرفا الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل لهم يا محمد لو شاء الله ما تلوته عليكم أى ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس بأن كان لا ينزله علىّ فيأمرنى بتلاوته عليكم ولا أدراكم به يقول ولا أعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يقول فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم ومن قبل أن يوحيه الىّ ربى أفلا تعقلون أنى لو كنت منتحلا ما ليس لى من القول كنت قد انتحلته فى أيام شبابى وحداثتى وقبل الوقت الذى تلوته عليكم فقد كان لى اليوم لو لم يوح الىّ وأومر بتلاوته عليكم مندوحة عن معاداتكم ومتسع فى الحال التى كنت بها منكم قبل أن يوحى الىّ

الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾

﴿القراآت﴾ يمكرون بياء الغيبة سهل وروح الباقون بالتاء الفوقانية ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلى وسهل ويعقوب والآخرون بفتحها تتلو بتاءين من التلاوة حمزة وعلى وخلف وروح وروى عن عاصم نتلو بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون

بتاء التأنيث كل بالرفع ﴿الوقوف﴾ آياتنا ط مكرا ط تمكرون ٥ والبحر ط فى الفلك ج ط للعدول مع أن جواب اذا منتظر أحيط بهم لا لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وان جعل دعوا جوابا عن سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف وجه الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء فى معنى القول الشاكرين ٥ بغير الحق ط

على أنفسكم ط الا لمن جعله متعلقا ببغيكم تعلمون ○ والانعام ط عليها لا لان مابعده جواب اذا بالامس ط يتفكرون ○ السلام ط مستقيم ○ وزيادة ط ولاذلة ط الجنة ج ط خالدون ○ بمثلها لالأن قوله وترهقهم معطوف على محذوف أى يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم ج ط لان الكاف لايتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سوادالوجه المعبرعنه بقوله كأنما مظلما ط أصحاب النار ج ط خالدون ○ وشركاؤكم ج للعدول مع فاء التعقيب تعبدون ○ لغافلين ○ يفترون ○

﴿ التفسير لما بين فى الآية المتقدمة أنهم يطلبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا أكد ذلك بقوله (واذا أذقنا) روى أنه سبحانه سلط القحط على أهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وأنزل الامطار النافعة ثم انهم أضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم فى دفع آيات الله بكل مايقدرون عليه من القاء شبهة أو تخليط فى المناظرة وفى تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على أن الكثير من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه أن الانسان لغاية ضعفه الفطرى لايطيق أدنى الرحمة كما أنه لايطيق أدنى الألم الذى يمسه قال فى الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وهذا أيضا من جملة الضعف لأنه نسى ماعهده من الضر الشديد واذا الثانية للمفاجأة ووقع مقام الفاء فى جواب الشرط كما مر فى قوله اذا هم يسخطون وفائدته أن يعلم أنهم فاجؤا وقوع المكر منهم فى وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ماينفضون عن رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه (قل الله أسرع مكرا) يقدر على ايصال جزاء مكرهم اليهم قبل أن يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم وروى

وأومن بتلاوته عليكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا أدراكم به ولا أعلمكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول لوشاء الله لم يعلمكموه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول ماحذرتكم به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله وهو قول مشركى أهل مكة للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون لبث أربعين سنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ولا أعلمكم به حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن أنه كان يقرأ ولا أدراتكم به يقول ما أعلمتكم به حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا أدراكم به يقول ولا أشعركم الله به وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط وكان الفراء يقول فى ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال ولا أدرأتكم به قال فان يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت فلعل الحسن ذهب اليها وأما أن يصلح من دريت أو أدريت فلا لأن الياء والواو اذا انفتح ماقبلهما وسكنتا صحتا ولم تنقلبا الى ألف مثل قضيت ودعوت ولعل الحسن ذهب الى طبيعته وفصاحته فهمزها لانها تضارع در أت الحد وشبهه وربما غلطت العرب فى الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز فهمزوا غير المهموز وسمعت امرأة من طى تقول رثأت زوجى بابيات ويقولون لبأت بالحج وحلأت السويق يتغلطون لأن حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الابل ولبأت ذهبت به الى اللبأ لبأ الشاء ورثأت زوجى ذهبت به الى رثأت اللبن اذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك الرثيثة وكان بعض البصريين يقول لاوجه لقراءة الحسن هذه لانها من أدريت مثل أعطيت الا أن لغة بنى عقيل أعطات يريدون أعطيت تحول الياء ألفا قال الشاعر

لقد آذنت أهل اليمامة طيئ * بحرب كناصاة الاغر المشهر

يريد كناصية حكى ذلك عن المفضل وقال زيد الخيل

لعمرك ما أخشى التصعلك مابقا * على الارض قيسى يسوق الاباعرا

فقال بقا وقال الشاعر

زجرت فقلنا الانريع لزاجر * ان الغوى اذا نهالم يعتب

يريد نهى قال وهذا كله على قراءة الحسن وهى مرغوب عنها قال وطيئ تصير كل ياء انكسر ماقبلها ألفا يقولون هذه جاراة وفى الترقوة ترقاة والعرقوة عرقاة قال وقال بعض طيئ قد لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحولها ألفا لسكون التاء فيلتقى ساكنان وقال زعم يونس أن نساورضا لغة معروفة قال الشاعر

وأبنيت بالاعراض ذا البطن خالدا * نسا أوتناسى أن يعد المواليا

ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بابانه قوله (ان رسلنا يكتبون ماتمكرون) وقدمر تحقيق هذا فى تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم أن مضمون هذه الآية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا أن هذه زائدة عليها بدقيقة هى أنهم بعد الاعراض عن الدعاء

يطلبون الغوائل و يقابلون الرحمة بالمكر والخديعة ولا يرضون رأسا برأس ثم ضرب لاجل ماوصفهم به مثالا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال (هوالذى يسيركم) ومن قرأ ينشركم فكقوله فانتشروا فى الارض قال بعض العلماء المسير فى البحر هوالله سبحانه وتعالى وأما فى البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق أن جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله

تعالى غاية ذلك أن آثار اقداره واحداثه فى البحر أظهر كما مر فى تفسير قوله والفلك التى تجرى فى البحر قال القفال هوالله الهادى لكم الى السير فى البحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل أنه هيأ لكم أسباب ذلك السير (وحتى) لانتهاء الغاية والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة فى الشرط ثلاثة أولها الكون فى الفلك وثانيها جرى الفلك بهم بالريح الطيبة والضمير فى جرين للفلك على أنها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة فى الجزاء ثلاثة أيضا أولها جاءتها أى الفلك أو الريح الطيبة تلتها ريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن أولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها (وجاءهم الموج من كل مكان) أى من جميع جوانب احياز الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى غلب على ظنونهم الهلاك وأصله أن العدو اذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من البوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا فى الهلاك وقرئ فى الفلك والماء زائدة كما فى الاجرى أو أريد به الماء الغمر الذى لا تجرى الفلك الا فيه قال فى الكشاف وانما التفت فى قوله وجرين بهم الى آخره من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح وقال الامام فخر الدين الرازى الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة فى هذه الآية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك فى قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت هذا وجه حسن أما قوله (دعوا الله مخلصين) فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من آلهتهم شيأ وأقروا لله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا الاخلاص الايمان لكن لاجل العلم بأنه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرارى

وروى عن ابن عباس فى قراءة ذلك أيضا رواية أخرى وهى ماحدثنا به المثنى قال ثنا المعلى بن أسد قال ثنا خالد بن حنظلة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه كان يقرأ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أنذركم به والقراءة التى لا أستجيز أن تعدوها هى القراءة التى عليها قراء الامصار قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به بمعنى ولا أعلمكم به ولا أشعركم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك الى الكذب أى خلق أشر بعدنا وأوضع لقيله فى غير موضعه ممن اختلق على الله كذبا وافترى عليه باطلا أو كذب بآياته يعنى بحججه ورسله وآيات كتابه يقول له جل ثناؤه قل لهم ليس الذى أضفتمونى اليه بأعجب من كذبكم على ربكم وافترائكم عليه وتكذيبكم بآياته انه لا يفلح المجرمون يقول انه لا ينجح الذين اجترموا الكفر فى الدنيا يوم القيامة اذا لقوا ربهم ولا ينالون الفلاح ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذى لا يضرهم شيأ ولا ينفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة وذلك هو الآلهة والأصنام التى كانوا يعبدونها ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعنى أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض يقول أتخبرون الله بما لا يكون فى السموات ولا فى الارض وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله فى السموات ولا فى الارض وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل لهم أتخبرون الله أن مالا يشفع فى السموات ولا فى الارض يشفع لكم فيهما وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون وانها لا تشفع لاحد ولا تنفع ولا تضر سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تنزيها لله وعلوا عما يفعله هؤلاء المشركون من اشراكهم فى عبادته مالا يضر ولا ينفع وافترائهم عليه الكذب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره وما كان الناس الا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا فى دينهم فافترقت بهم السبل فى ذلك ولولا كلمة سبقت من ربك يقول ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما الا بعد انقضاء آجالهم لقضى بينهم فيما فيه يختلفون يقول لقضى بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم وينجى أهل الحق وقد بينا اختلاف المختلفين فى معنى ذلك فى سورة البقرة وذلك فى قوله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين وبينا الصواب من القول فيه بشواهده فاغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنى المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا حين قتل أحد ابنى آدم أخاه حدثنى المثنى قال ثنا القاسم قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا

وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والا لم يدعوا الا الله وعن أبي عبيدة أن المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره ياحي ياقيوم يحكى أن رجلا قال لجعفر الصادق رضي الله عنه ما الدليل على اثبات الصانع فقال أخبرني عن حرفتك فقال التجارة في البحر قال صف لي كيف حالك

فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من ألواحها وجاءت الرياح العاصفة قال جعفر الصادق رضي الله عنه هل وجدت في قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت (لئن أنجيتنا من هذه) الشدة كما مر في الانعام (يبغون في الارض بغير الحق) البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد وأصله الطلب فلهذا أكد المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على أرض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قلت ويحتمل أن يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرأ متاع بالنصب فما قبله جملة تامة أي انما بغيكم وبال على أنفسكم وهو مصدر مؤكد كأنه قيل يتمتعون متاع الحياة الدنيا ومن قرأ بالرفع فاما على أن التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام أو على أنه خبر وقوله على أنفسكم صلة أي انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا ولا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى اثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على أنفسكم أي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض الا أياما قلائل وهي مدة حياتكم من مع قصرها وسرعة انقضائها (ثم) الى ما وعدنا من المجازاة (مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) وهو في هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد سأخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال (انما مثل الحياة الدنيا)

الى معكم من المنتظرين) يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون هلا أنزل على محمد آية من ربه يقول علم ودليل نعلم به أن محمدا محق فيما يقول قال الله له فقل يا محمد انما الغيب لله أي لا يعلم أحد بفعل ذلك الا هو جل ثناؤه لانه لا يعلم الغيب وهو السر والخفي من الامور الا الله فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجيل عقوبته للمبطل منا واظهاره المحق عليه انى معكم ممن ينتظر ذلك ففعل ذلك جل ثناؤه فقضى بينهم وبينه بأن قتلهم يوم بدر بالسيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يقول تعالى ذكره واذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ورخاء بعد شدة أصابتهم وقيل عنى به المطر بعد القحط والضراء هي الشدة والرحمة هي الفرج يقول اذا لهم مكر في آياتنا استهزاء وتكذيب كما حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذا لهم مكر في آياتنا قال استهزاء وتكذيب ۞ قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله قل الله أسرع مكرا يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا يا محمد الله أسرع مكرا أي أسرع محالا بكم واستدراجا لكم وعقوبة منكم من المكر في آيات الله والعرب تكتفي باذا من فعلت وفعلوا فلذلك حذف الفعل معها وانما معنى الكلام واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم مكروا في آياتنا فاكتفى من مكروا باذا لهم مكر إن رسلنا يكتبون ما تمكرون يقول ان حفظتنا الذين نرسلهم اليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) يقول تعالى ذكره الله الذي يسيركم أيها الناس في البر على الظهر وفي البحر في الفلك حتى اذا كنتم في الفلك وهي السفن وجرين بهم يعني وجرت الفلك بالناس بريح طيبة في البحر وفرحوا بها يعني وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها والهاء في قوله بها عائدة على الريح الطيبة جاءتها ريح عاصف يقول جاءت الفلك ريح عاصف وهي الشديدة والعرب تقول ريح عاصف وعاصفة وقد أعصفت الريح وعصفت وأعصفت في بني أسد فيما ذكر قال بعض بني دبير

حتى اذا أعصفت ريح مزعزعة ۞ فيها قطار ورعد صوته زجل

وجاءهم الموج من كل مكان يقول تعالى ذكره وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم يقول وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم وكان مفزعهم حينئذ الى الله دونها كما حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله دعوا الله مخلصين له الدين قال اذا مسهم الضر في البحر أخلصوا له الدعاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة في قوله مخلصين له الدين هياشراهيا تفسيره ياحي ياقيوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا أذقنا الناس رحمة

أى صفتها العجيبة الشأن (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به) أى اشتبك بسبب هذا الماء (نبات الارض) فيحتمل أن يراد أن نباته ثم وصوله الى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد أن النبات كان فى أول بروزه ومبدا حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز وربا حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) قال الجوهرى الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور (وازينت) أصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام فى نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التى تأخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها (وظن أهلها) أى غلب على ظنونهم أو تيقنوا (أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ريعها (أتاها أمرنا) باهلاكها واستئصالها وضربها ببعض العاهات (ليلا أو نهارا) أى حين غفلتهم بالنوم أو حين اشتغالهم وتقلبهم فى طلب معايشهم (فجعلناها) أى زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) أى كأن الشأن لم يلبث زرعها (بالامس) أى فى زمان قريب يقال غنى بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا أقام به والامس مثل فى الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان أن هذا التشبيه من التشبيه المركب قال فى الكشاف شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد أن عاقبة هذه الحياة التى ينفقها المرء فى باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذى حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لان الغالب أن المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها وعظمت رغبته فيها وانتظم أمره بعض الانتظام أتاه الموت وتلخيصه أنه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد ويحتمل أن يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود رونقها مرة أخرى فكذا النشور (كذلك نفصل الآيات) نذكر واحدة منها بعد الأخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال

من بعد ضراء مستهم الى آخر الآية قال هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا كان الضر لم يدعوا الا الله فاذا نجاهم اذا هم يشركون لئن أنجيتنا من هذه الشدة التى نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك وتخليصك ايانا مما نحن فيه باخلاصنا العبادة لك وافراد الطاعة دون الآلهة والأنداد واختلفت القراء فى قراءة قوله هو الذى يسيركم فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق هو الذى يسيركم من السير بالسين وقرأ ذلك أبو جعفر القارى هو الذى ينشركم من النشر وذلك البسط من قول القائل نشرت الثوب وذلك بسطه ونشره من طيه فوجه أبو جعفر معنى ذلك الى أن الله يبعث عباده فيبسطهم برا وبحرا وهو قريب المعنى من التسيير وقال وجرين بهم بريح طيبة وقال فى موضع آخر فى الفلك المشحون فوحد والفلك اسم للواحدة والجماع ويذكر ويؤنث قال وجرين بهم وقد قال هو الذى يسيركم فخاطب ثم عاد الى الخبر عن الغائب وقد بينت ذلك فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وجواب قوله حتى اذا كنتم فى الفلك جاءتها ريح عاصف وأما جواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم فدعوا الله مخلصين له الدين القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا فى البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذى كانوا فيه أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا فى الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به والعمل بمعاصيه على ظهرها يقول الله يا أيها الناس انما اعتداؤكم الذى تعتدونه على أنفسكم واياها تظلمون وهذا الذى أنتم فيه متاع الحياة الدنيا يقول ذلك بلاغ تبلغون به فى عاجل دنياكم وعلى هذا التأويل البغى يكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله على أنفسكم ويكون قوله متاع الحياة الدنيا مرفوعا على معنى ذلك متاع الحياة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ بمعنى هذا بلاغ وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك انما بغيكم فى الحياة الدنيا على أنفسكم لانكم بكفركم تكسبونها غضب الله متاع الحياة الدنيا كأنه قال انما بغيكم متاع الحياة الدنيا فيكون البغى مرفوعا بالمتاع وعلى أنفسكم من صلة البغى وبرفع المتاع قرأت القراء سوى عبد الله بن أبى اسحق فانه نصبه بمعنى انما بغيكم على أنفسكم متاعا فى الحياة الدنيا فجعل البغى مرفوعا بقوله على أنفسكم والمتاع منصوبا على الحال وقوله ثم الينا مرجعكم يقول ثم الينا بعد ذلك معادكم ومصيركم وذلك بعد الممات فننبئكم بما كنتم تعملون يقول فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله ونجازيكم على أعمالكم التى سلفت منكم فى الدنيا القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره انما مثل ما تباهون فى الدنيا وتفاخرون به من زينتها وأموالها مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت كمثل ماء أنزلناه من السماء يقول كمطر أرسلناه من السماء الى الارض فاختلط به نبات الارض يقول فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله انما مثل

الشك (لقوم يتفكرون) فى أحوال الآفاق والانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم فى الآخرة بقوله (والله يدعو الى دار السلام) ومثله ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد بنى دارا وصنع مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم مامن يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام واتفقوا على أن دار السلام هى الجنة واختلفوا فى سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما أطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات وكفى بدار أضافها الله تعالى لنفسه فضلا وشرفا وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم أن الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) ومن هنا ذهب أهل السنة الى أن الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدى من يشاء الى اجابة تلك الدعوة ويعنون أن من أجاب الدعاء وأطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم أهل الدعوة الى قسمين وبين حال كل طائفة فقال (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ولابد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس أحسنوا أى ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى أن المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم وأما الحسنى فقال فى الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانبارى العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك

الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض قال اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة والشعير وسائر حبوب الارض والبقول والثمار ومما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعى وقوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها يعنى ظهر حسنها وبهاؤها وازينت يقول وتزينت وظن أهلها يعنى أهل الارض أنهم قادرون عليها يعنى على ما أنبتت وخرج الخبر عن الارض والمعنى للنبات اذ كان مفهوما بالخطاب ماعنى به وقوله أتاها أمرنا ليلا أو نهارا يقول جاء الارض أمرنا يعنى قضاؤنا بهلاك ماعليها من النبات إما ليلا وإما نهارا فجعلناها يقول فجعلنا ما عليها حصيدا يعنى مقطوعة مقلوعة من أصولها وانما هى محصودة صرفت الى حصيد كأن لم تغن بالأمس يقول كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الارض نابتة قائمة على الارض قبل ذلك بالامس وأصله من غنى فلان بمكان كذا يغنى به اذا أقام به كما قال النابغة الذبيانى

غنيت بذلك اذهم لى جيرة * منها بعطف رسالة وتودد

يقول فكذلك يأتى الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها حتى صارت كأن لم تغن بالامس كأن لم تكن قبل ذلك نباتا على ظهرها يقول الله جل ثناؤه كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون يقول كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا وعرفناكم حكمها وأمرها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر وخص به أهل الفكر لانهم أهل التمييز بين الامور والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه فى الصدور * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها الآية اى والله لئن تشبث بالدنيا وحدب عليها لتوشك الدنيا أن تلفظه وتقضى منه

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وازينت قال أنبتت وحسنت

حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكها الا بذنوب أهلها قال قد قرأتها وليست فى المصحف فقال عباس بن عبد الله بن العباس هكذا يقرؤها ابن عباس فارسلوا الى ابن عباس فقال هكذا أقرأنى أبى بن كعب

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كأن لم تغن بالامس يقول كأن لم تعش كأن لم تنعم

حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل قال سمعت أبا سلمة ابن عبد الرحمن يقول فى قراءة أبى كأن لم تغن بالامس وما أهلكناها الا بذنوب أهلها كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون واختلفت القراء فى قراءة قوله وازينت فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق وازينت بمعنى وتزينت ولكنهم أدغموا التاء فى الزاى لتقارب مخرجيهما وأدخلوا ألفا ليوصل الى قراءته اذ كانت التاء قد سكنت والساكن لا يبتدأ به وحكى عن أبى العالية وأبى رجاء والاعرج وجماعة أخر غيرهم أنهم قرؤا ذلك وأزينت على مثال أفعلت والصواب من القراءة فى ذلك وازينت لاجماع الحجة من القراء عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله يدعو

موصوفها وأما الزيادة فحملها أهل السنة على رؤية الله لان اللام فى الحسنى للمعهود بين المسلمين من المنافع التى أعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها فما هى الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب أن يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره أعطيتك عشرة أمنان من الحنطة وزيادة أما اذا كان غير مقدر كما لو قال أعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب أن تكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكور فى الآية لفظة الحسنى وهى الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شئ مغاير لكل ما فى الجنة وعن على عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن سمرة هى أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم هذا شأن المنافع الحاصلة لهم وأما أنها منافع خالصة عن الكدورات فأوادذلك بقوله (ولا يرهق) أى لا يغشى (وجوههم قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال ثم أشار الى كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله (والذين) أى وجزاء الذين (كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) أى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها الا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز أن يكون التقدير وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على أن المراد بالزيادة فى الآية المتقدمة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله فناسب أن يكون قد دل هنالك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله (وترهقهم ذلة) فانهم حين ماتوا

الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره لعباده أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها فان مصيرها الى فناء وزوال كما مصير النبات الذى ضربه الله لها مثلا الى هلاك وبوار ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ولها فاعملوا وما عند الله فالتمسوا بطاعته فان الله يدعوكم الى داره وهى جناته التى أعدها لاوليائه تسلموا من الهموم والاحزان فيها وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التى أعدها لمن دخلها وهو يهدى من يشاء من خلقه فيوفقه لاصابة الطريق المستقيم وهو الاسلام الذى جعله جل ثناؤه سببا للوصول الى رضاه وطريقا لمن ركبه وسلك فيه الى جنانه وكرامته كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال الله السلام وداره الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والله يدعو الى دار السلام قال الله هو السلام وداره الجنة حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قيل لى لتنم عينك ولتعقل قلبك ولتسمع أذنك فنامت عينى وعقل قلبى وسمعت أذنى ثم قيل سيد بنى دار ثم صنع مأدبة ثم أرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمأدبة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ذكر لنا أن فى التوراة مكتوبا يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر انته حدثنى الحسين ابن سلمة بن أبى كبشة قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عباد بن راشد عن قتادة قال ثنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمسه الا وبجنبتيها ملكان ينادیان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى قال وأنزل ذلك فى القرآن فى قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال انى رأيت فى المنام كان جبرائيل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول من أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ يقول تعالى ذكره للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه فأطاعوه فيما أمر ونهى الحسنى ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه فقال بعضهم الحسنى هى الجنة جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء والزيادة عليها النظر الى الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عامر

ناقصين خالين عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم على أنفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام أن الجهل سواد وظلمة كما أن العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رضي الله عنه

كل بيت أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج (٧٤) ومريض أنت عائده * قد أتاه الله بالفرج

(مالهم من الله من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من عذابه وسخطه أو مالهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق أنه لا عاصم من الله لأحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا أن هذا المعنى في الآخرة أظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال (كأنما أغشيت) أي ألبست (وجوههم قطعا من الليل) من قرأ بسكون الطاء فعناه البعض والطائفة و(مظلما) صفته ومن قرأ بفتحها على أنه جمع قطعة فظلما حال من الليل والعامل فيه اما معنى الفعل في من الليل أو أغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان اقضاء العامل الى الموصوف كاقضائه الى الصفة قاله في الكشاف واعلم أن جماعة من العلماء ذهبوا الى أن المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هم الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام ينتال الكافر والفاسق الا أن الآيات المذكورة مخصصة ثم شرح بعض أحوال المشركين في القيامة فقال (ويوم نحشرهم) منصوب باضمار اذكر أو ظرف متعلق بتبلو أي في يوم كذا تبلو كل نفس وحاصل الكلام أنه يحشر العابد والمعبود ليسئلوا فيتبرأ المعبود من العابد خلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه اشارة الى أن الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف (مكانكم) أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعند

ابن سعد عن أبي بكر الصديق للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم **حدثنا** سفيان قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن أبي اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد ابن نمران عن أبي بكر للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تعالى **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عامر بن سعد للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن عامر بن سعد قال في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مسلم بن نذير عن حذيفة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم **حدثني** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك قال سمعت أبا اسحق يقول في قول الله وزيادة قال النظر الى وجه الرحمن **حدثني** علي بن عيسى قال ثنا شبابة قال ثنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادي هل أنجز كم الله ما وعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال أخبرنا أبو تميمة الهجيمي قال سمعت أبا موسى الاشعري يخطب على منبر البصرة يقول ان الله يبعث يوم القيامة ملكا الى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجز كم الله ما وعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيرون الحلى والحلل والثمار والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجز نا الله ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجز كم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيأ مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي لكم شئ ان الله يقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الاشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم ان الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم وقرأ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد النظر الى وجه ربهم **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمن بن المغيرة قال أخبرنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله وزيادة قال قيل له أرأيت قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة فاعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم قال نودوا يا أهل الجنة ان الله قد وعدكم الزيادة فيتجلى لهم قال ابن أبي ليلى فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم وحين صارت الصحف في أيمانهم وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم كل ذلك لم يكن شيأ فيما رأوا * قال ثنا ابن المبارك عن معمر وسليمن بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى

أبي على هو اسم من أسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب و (أنتم) لتأكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل عين الكلمة واوا لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل أي زيولنا مثل بيطر أعل اعلال سيد وقيل هي من زلت الشيء أزيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظير زيلنا قوله ونادى أصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن (وقال شركاؤهم) في صحة هذه الاضافة وجوه منها أنهم جعلوا نصيبا من أموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها أنهم متشاركون في الخطاب في قوله مكانكم ومنها أنهم أثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين وكيف تنطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحياة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم أو يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه وقيل يخلق فيهم الكلام فقط وهذا الخطاب تهديد في حق العابدين فهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل أما قول الشركاء (ما كنتم ايانا تعبدون) وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد أنكم ما عبدتمونا بأمرنا وارادتنا لقولهم (فكفى بالله شهيدا) الآية ومن أعظم أسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل لما في ذلك الموقف من الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما أقاموا لاعمال الكفار وزنا بل جعلوها كالعدم وقيل المراد أنهم عبدوا الشياطين حيث أمروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيامة فلا اشكال و (هنالك) أي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلو كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر أو نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما أسلفت

ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم * قال ثنا الحجاج ومعلى ابن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم انه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه قال ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى الرب **حدثنا** عمرو بن علي ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نودوا يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا قالوا ما هو ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فيتجلى لهم فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ولفظ الحديث لعمرو **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو ابن علي وابن بشار عن عبد الرحمن * قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن سعيد بن عمران عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تبارك وتعالى * قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن عامر بن سعد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد إن الله وعدكم الحسنى وهي الجنة وأما الزيادة فالنظر الى وجه الرحمن **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى * قال ثنا جرير عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط قال الحسنى النضرة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى **حدثنا** ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية قال ثنا أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله * وقال آخرون في الزيادة بما **حدثنا** به يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن الحكم عن علي رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن الحكم عن علي رضي الله عنه نحوه الا أنه قال فيها أربعة أبواب * قال ثنا جرير عن منصور عن

من الشر ومن قرأ تتلو بتاءين فمعناه تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار وتقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولاهم الحق) الصادق ربوبيته (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا) يدعون أنهم شركاء الله أو ما كانوا يختلقون من شفاعة الآلهة والحاصل أنهم (٧٦) يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك ۞ التأويل واذا أذقنا الناس ذوق توبة وانابة أو ذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهى الفسوق والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف اذا لهم مكر فى آياتنا باظهارها الى غير أهلها بشرف النفس وطلب الجاه والقبول قل الله أسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون هو الذى يسيركم فى بر البشرية وبحر الروحانية أو فى بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم فى فلك جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها ريح تجلى صفات الجلال وجاءهم موج البلا والمحن من أماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما أنجاهم فيه اشارة الى أن أرباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال استقبلتهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغى وهو الطلب فى أرض ماسوى الحق غير الحق كماء أنزلناه من سماء القلب الى أرض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من أرض البشرية مما يأكل الناس والانعام من الصفات الحمدة الانسانية والذميمة البهيمية أتاها حكمنا الازلى ليلا عند استيلاء ظلمات صفات النفس أو نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحانى لكنه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع فى ورطة العقائد الباطلة كالبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعو الى دار السلام وهى مقام الفناء لأن صاحبه يسلم عن آفات الحجب أو مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الاثنينية والجهالة ويهدى من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدى الى السير بالله فى الله للذين أحسنوا الحسنى فالاحسان أن تعبد الله كأنك تراه والحسنى هى شواهد الحق والنظر

الحكم بن عتيبة عن على رضى الله عنه مثل حديث يحيى بن طلحة عن فضيل سواء * وقال آخرون الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف الى تمام العشر ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال هو مثل قوله ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله وقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن علقمة بن قيس للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال قلت هذه الحسنى فما الزيادة قال ألم تر أن الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول فى هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة بالحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف * وقال آخرون الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة زيادة مغفرة من الله ورضوان ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد للذين أحسنوا الحسنى مثلها حسنى وزيادة مغفرة ورضوان * وقال آخرون الزيادة ما أعطوا فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة وزيادة ما أعطاهم فى الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقرأ وآتيناه أجره فى الدنيا قال ما آتاه مما يحب فى الدنيا عجل له أجره فيها * وكان ابن عباس يقول فى قوله للذين أحسنوا الحسنى بما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله للذين أحسنوا الحسنى يقول للذين شهدوا أن لا اله الا الله * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة وأن تبيض وجوههم ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة على ادخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر اليه وأن يعطيهم غرفا من لآلئ وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله اياهم على الحسنى التى جعلها الله لأهل جنانه وعم ربنا جل ثناؤه بقوله وزيادة الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيأ دون شئ وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله فأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة لا يغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر والقتر الغبار وهو جمع قترة ومنه قول الشاعر

متوج برداء الملك يتبعه * موج ترى فوقه الرايات والقترا

يعنى بالقتر الغبار ولا ذلة ولا هوان أولئك أصحاب الجنة يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها هم فيها خالدون يقول هم فيها ما كثون أبدا لا يتبيد فيخافوا زوال نعيمهم ولا هم يخرجون فتتنغص عليهم لذتهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وكان ابن أبى ليلى يقول فى قوله ولا يرهق وجوههم قتر ما **حدثنا** محمد بن منصور الطوسى قال ثنا

اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم أو هى ما زاد على النظر من افناء الناسوتية فى اللاهوتية والله ولى التوفيق ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريؤن مما أعمل وأنا برىء مما تعملون﴾ ﴿القرا آت كلمات ربك وكذلك فى آخر السورة على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدى مثل يرمى حمزة وعلى وخلف يهدى بسكون الهاء وتشديد الدال أبو جعفر ونافع غير ورش وعباس أبو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدى بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبلة ورويس يهدى بكسرتين والتشديد يحيى يهدى بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس ﴿الوقوف يدبر الامر ط الله ج تتقون ٥ ج ط ربكم الحق ج ط للاستفهام مع الفاء الا الضلال ج ط تصرفون ٥ لا يؤمنون ٥ ثم يعيده الاول ط تؤفكون ٥ الى الحق ط للحق ط أن يهدى ج ط لما مر فما لكم ص لحق الاستفهام الثانى تحكمون ٥ ط الا ظنا ط شيأ ط

عفان قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد نظرهم الى ربهم **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج ومعلى بن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ولا يرهق وجوههم قتر قال سواد الوجوه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم﴾ يقول تعالى ذكره والذين عملوا السيئات فى الدنيا فعصوا الله فيها وكفروا به وبرسوله جزاء سيئة من عمله السيئ الذى عمله فى الدنيا بمثلها من عقاب الله فى الآخرة وترهقهم ذلة يقول وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم مالهم من الله من عاصم يقول مالهم من الله من مانع يمنعهم اذا عاقبهم يحول بينه وبينهم وبنحو الذى قلنا فى قوله وترهقهم ذلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وترهقهم ذلة قال تغشاهم ذلة وشدة واختلف أهل العربية فى الرافع للجزاء فقال بعض نحويى الكوفة رفع باضمار لهم كأنه قيل ولهم جزاء السيئة بمثلها كما قال فصيام ثلاثة أيام فى الحج والمعنى فعليه صيام ثلاثة أيام قال وان شئت رفعت الجزاء بالباء فى قوله وجزاء سيئة بمثلها وقال بعض نحويى البصرة الجزاء مرفوع بالابتداء وخبره بمثلها قال ومعنى الكلام جزاء سيئة بمثلها وزيدت الباء كما زيدت فى قولهم بحسبك قول السوء وقد أنكر ذلك من قوله بعضهم فقال يجوز أن تكون الباء فى حسب لان التأويل ان قلت السوء فهو حسبك فلما لم تدخل فى الجزاء أدخلت فى حسب بحسبك أن تقوم ان قمت فهو حسبك فان مدح ما بعد حسب أدخلت الباء فيما بعدها كقولك حسبك بزيد ولا يجوز بحسبك زيد لان زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يكون الجزاء مرفوعا باضمار بمعنى فلهم جزاء سيئة بمثلها لان الله قال فى الآية التى قبلها للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فوصف ما أعد لأوليائه ثم عقب ذلك بالخبر عما أعد لأعدائه فأشبه بالكلام أن يقال وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة واذا وجه ذلك الى هذا المعنى كانت الباء صلة للجزاء ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قطعا من الليل وهى جمع قطعة وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما **حدثنا** به محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما قال ظلمة من الليل واختلفت القراء فى قراءة قوله تعالى قطعا فقرأته عامة قراء الامصار قطعا بفتح الطاء على معنى جمع قطعة وعلى معنى أن تأويل ذلك كأنما أغشيت وجه كل انسان منهم قطعة من سواد الليل ثم جمع ذلك فقيل كأنما أغشيت وجوههم قطعا من سواد اذ جمع الوجه وقرأه بعض متأخرى القراء قطعا بسكون الطاء بمعنى كأنما أغشيت وجوههم سوادا من الليل وبقية من الليل ساعة منه كما قال فأسر بأهلك بقطع من الليل أى ببقية قد بقيت منه ويعتل لتصحيح قراءته ذلك كذلك أنه فى مصحف أبى ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والقراءة التى لا يجوز خلافها عندى قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء لاجماع الحجة من قراء الامصار على تصويبها

يفعلون ○ العالمين ○ افتراء ط صادقين ○ تأويله ط الظالمين ○ لا يؤمن به ط بالمفسدين ○ عملكم ج لأن أنتم مبتدأ والعامل واحد تعملون ○ ۞ التفسير لما بين فضائح عبدة الاوثان أكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من أحوال الرزق والموت والحياة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤل ليكون أبلغ فى الزام الحجة وأوقع فى النفوس فالحجة الاولى قوله (قل من يرزقكم من السماء والارض) بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية والحيوانية فى الارض بعد رعاية شرائط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات (أمن يملك السمع والابصار) خص الحاستين بالذكر لما فى خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان صلى الله عليه وسلم يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم ولما فى تحصينهما من الآفات فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ مزيد قدرة ورأفة (ومن يخرج الحى من الميت) الحيوان الماشى والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال فى سورة الانعام (ومن يدبر الامر) عم بعد ما خصص لأن أقسام تدبيره تعالى فى العالم العلوى والعالم السفلى وعالمى الغيب والشهادة أمور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر (فسيقولون الله) وفيه دليل على أنهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على أنها شفعاؤهم وأنها تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين فى هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله (فقل أفلا تتقون) الله الذى اعترفتم بأنه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التى لا تقدر على نفع أو ضر (فذلكم) الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة (الله ربكم الحق) الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان (فماذا بعد الحق) ذا مزيدة ان وما نافية أو استفهامية أو مجموع ماذا كلمة واحدة معناها أى شئ بعد الحق (الا الضلال) والمراد أنه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الالهية فيه لان واجب الوجود يجب أن يكون واحدا فى ذاته وفى صفاته وفى جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى

وشذوذ ما عداها وحسب الاخرى دلالة على فسادها خروج قارئها عما عليه قراء أهل الأمصار والاسلام فان قال لنا قائل فان كان الصواب فى قراءة ذلك ما قلت فما وجه تذكير المظلم وتوحيده وهو من نعت القطع والقطع جمع لمؤنث قيل فى تذكيره ذلك وجهان أحدهما أن يكون قطعا من الليل وأن يكون من نعت الليل فلما كان نكرة والليل معرفة نصب على القطع فيكون معنى الكلام حينئذ كانما أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم ثم حذفت الالف واللام من المظلم فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك حالا والكوفيون قطعا والوجه الآخر على نحو قول الشاعر ۞ لو أن مدحة حى منشر أحدا ۞

والوجه الاول أحسن وجهيه وقوله أولئك أصحاب النار يقول هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها هم فيها خالدون يقول هم فيها ما كثون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأندادمكانكم أى امكثوا مكانكم وقفوا فى موضعكم أنتم أيها المشركون وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان فزيلنا بينهم يقول ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به (١) وبين غيره وأبنته منه وقال فزيلنا ارادة تكثير الفعل وتكريره ولم يقل فزلنا بينهم وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه فزايلنا بينهم كما قيل ولا تصعر خدك ولا تصاعر خدك والعرب تفعل ذلك كثيرا فى فعلت يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد فيقولون فاعلت اذا كان الفعل لواحد وأما اذا كان لاثنين فلا تكاد تقول الا فاعلت وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون وذلك حين تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ونصبت لهم آلهتهم قالوا كنا نعبد هؤلاء فقالت الآلهة لهم ما كنتم إيانا تعبدون كما حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدون فيقال هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله لايا كم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم قال فرقنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون قالوا بلى قد كنا نعبدكم فقالوا كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم فقال الله هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت الآية ۞ وروى عن مجاهد أنه كان يتأول الحشر فى هذا الموضع الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش قال سمعتهم يذكرون عن مجاهد فى قوله ويوم نحشرهم جميعا قال الحشر الموت والذى قلنا فى ذلك أولى بتأويله لان الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكرأنه يقول لهم ومعلوم أن ذلك غير كائن فى القبر وأنه انما هو خبر عما يقال لهم ويقولون فى الموقف بعد البعث ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم

---

(١) لعل فيه سقطا من الناسخ والأصل يقال زلت بين الشئ وبين غيره أبنته منه تأمل وحرر

ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هف محال ولهذا ختم الآية بقوله (فأنى تصرفون) كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر وتقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن يخطئ أحدهما وقع في الآخر (كذلك) أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك (حقت كلمة ربك) وتفسير الكلمة (أنهم لا يؤمنون) على أنه بدل أي حق عليهم انتفاء الايمان

ان كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة اذ قال المشركون بالله لها يا كم كنا نعبد كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أي انها تقول حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون فانه قد علم أنا ما علمنا ما تقولون انا كنا عن عبادتكم لغافلين يقول ما كنا عن عبادتكم ايانا دون الله الا غافلين لا نشعر به ولا نعلم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال ذلك كل شئ يعبد من دون الله حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال يقول ذلك كل شئ كان يعبد من دون الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله هنالك تبلو كل نفس بالباء بمعنى عند ذلك تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر وكان ممن يقرؤه ويتأوله كذلك مجاهد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت قال تختبر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز تتلو كل نفس ما أسلفت بالتاء واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه وتأويله هنالك تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا ذلك اليوم وروى بنحو ذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى أنه قال يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله يوم القيامة فيتبعونهم حتى يوردوهم النار قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت وقال بعضهم بل معناه تتلو كتاب حسناته وسيئاته يعني تقرأ كما قال جل ثناؤه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وقال آخرون تبلو تعاين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت قال ما عملت تبلو تعاينه * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متقاربتا المعنى وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا هجم به على مورده فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيئ في الدنيا وان من خبر ما أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة فانما يخبر بعد مصيره الى حيث أحله ما قدم في الدنيا من عمله فهو في كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له فبأيتهما قرأ القارئ كما وصفنا فمصيب الصواب في ذلك وأما قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فانه يقول ورجع هؤلاء المشركون يومئذ الى الله الذي هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والانداد وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وبطل عنهم ما كانوا يتخرصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء وأنها تقربهم منه زلفى كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا

وقد علم الله منهم ذلك في الازل وأراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فأنى تصرفون أن الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجيب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بأنهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك وتعلق خبره بأنهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ وأشهد عليه ملائكته وأنزله على أنبيائه وأشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) وانما قال ثم يعيده مع أن الخصم لا يعترف به لانه قدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تأمل وأنصف فبنى الامر على ذلك وانما أمر نبيه أن ينوب عنهم في الجواب بقوله (قل الله) الآية تنبيها على أن هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكأنه قيل تكلم عنهم اذ لا يدعهم لجاجهم أن ينطقوا بكلمة الحق وقوله (فأنى تؤفكون) كقوله فأنى تصرفون وقدم في المائدة * الحجة الثالثة (قل هل من شركائكم من يهدي) الآية الاستدلال على وجود

الصانع بالخلق أولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل صلى الله عليه وسلم الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وأمر محمدا صلى الله عليه وسلم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه أن المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وارتسام العلوم والمعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير

محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال لملك أو انسي أو جني فضلا عن الاصنام التي هي في أدنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدي) وسائر

القراآت أصلها يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الباء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها (الا أن يهدى) وأجيب بوجوه منها أن المراد بها في الآية رؤساؤهم وأشرافهم كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا والمراد أن الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل النقلية وبما يمكنهم منه من الدلائل العقلية وأما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على أن يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها أنهم لما اتخذوها آلهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها أن ذلك بالفرض والتقدير يعني أنها لو كانت بحيث يمكنها أن تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا أن تهدى ومنها أن البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحياة والعقل فيصح من الله تعالى أن يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها أن المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها أي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال (فما لكم كيف تحكمون) ثم بين ما بنوا عليه أمر دينهم فقال (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا) أي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من أسلافهم أو في قولهم للاصنام انها آلهة أو شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع (ان الظن) يقول في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه (لا يغني من الحق) وهو العلم والتحقيق (شيأ) من الغناء والمعنى أن الظن لا يقوم مقام العلم في شئ من الاحوال ثم أوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الآباء بقوله (ان الله عليم بما يفعلون) وتمسك نفاة القياس بالآية ظاهر من قبل أن القياس

يفترون قال ما كانوا يدعون معه من الانداد والآلهة ما كانوا يفترون الآلهة وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله افتراء وكذبا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الاوثان والاصنام من يرزقكم من السماء الغيث والقطر ويطلع لكم شمسها ويغطش ليلها ويخرج ضحاها ومن الارض أقواتكم وغذاءكم الذي ينبته لكم وثمار أشجارها أم من يملك السمع والابصار يقول أم من ذا الذي يملك أسماعكم وأبصاركم التي تسمعون بها أن يزيد في قواها أو يسلبكموها فيجعلكم صما وأبصاركم التي تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها أو يذهب بنورها فيجعلكم عميا لا تبصرون ومن يخرج الحي من الميت يقول ومن يخرج الشئ الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يقول ويخرج الشئ الميت من الحي وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل والصواب من القول عندنا في ذلك بالأدلة الدالة على صحته في سورة آل عمران بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ومن يدبر الامر وقل لهم من يدبر أمر السماء والارض وما فيهن وأمركم وأمر الخلق فسيقولون الله يقول جل ثناؤه فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذي يفعل ذلك كله الله فقل أفلا تتقون يقول أفلا تخافون عقاب الله على شركتكم وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيأ ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا ولا يفعل فعلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون﴾ يقول تعالى ذكره لخلقه أيها الناس فهذا الذي يفعل هذه الافعال فيرزقكم من السماء والارض ويملك السمع والابصار ويخرج الحي من الميت والميت من الحي ويدبر الامر الله ربكم الحق لا شك فيه فماذا بعد الحق الا الضلال يقول فأي شئ سوى الحق الا الضلال وهو الجور عن قصد السبيل يقول فاذا كان الحق هو ذا فادعاؤكم غيره الها ورباهو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه فأنى تصرفون يقول فأي وجه عن الهدى والحق تصرفون وسواهما تسلكون وأنتم مقرون بأن الذي تصرفون عنه هو الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك يقول وجب عليهم قضاؤه وحكمه في السابق من علمه على الذين فسقوا فخرجوا من طاعة ربهم الى معصيته وكفروا به أنهم لا يؤمنون يقول لا يصدقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هل من شركائكم يعني من الآلهة والاوثان من يبدأ الخلق ثم يعيده يقول من ينشئ خلق شئ من غير أصل فيحدث خلقه ابتداء ثم يعيده يقول ثم يفنيه بعد انشائه ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه فانهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أرباب وهي لله في العبادة شركاء كاذبون مفترون فقل لهم حينئذ يا محمد الله يبدأ الخلق فينشئه من غير شئ ويحدثه من غير أصل ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل الفناء فأنى تؤفكون

لا يفيد الا الظن وأجيب بأن التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الآية من العمومات فلم يجب اتباعها بزعمكم وما أفضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل التوحيد شرع فى اثبات النبوة فقال (وما كان هذا القرآن أن يفترى) أى افتراء من دون الله أو كلمة أن بمعنى اللام أى ما ينبغى له وما استقام أن يكون مفترى والحاصل أن وصفه

ليس وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهو عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق أيضا معجز لان أقاصيصه موافقة لما فى كتب الاولين مع أنه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت فى تلك الكتب على وفق دعواه ولأنه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر أن القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة أما أنه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله (وتفصيل الكتاب) أى يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله عليكم قال فى الكشاف (قوله لا ريب فيه من رب العالمين) داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين وجوز أن يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم أعاد بيان اعجازه مرة أخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار (أم يقولون افتراه قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربية

يقول فأى وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقلبون كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فأنى تؤفكون قال أنى تصرفون وقد بينا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله أنى تؤفكون والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده فى سورة الانعام ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم الذين تدعون من دون الله وذلك آلهتهم وأوثانهم من يهدى الى الحق يقول من يرشد ضالا من ضلالته الى قصد السبيل ويسدد جائرا عن الهدى الى واضح الطريق المستقيم فانهم لا يقدرون أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا أو تهدى جائرا وذلك أنهم ان ادعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة فاذا قالوا لا وأقروا بذلك فقل لهم فالله يهدى الضال عن الهدى الى الحق أفمن يهدى أيها القوم ضالا لا الى الحق وجائرا عن الرشد الى الرشد أحق أن يتبع الى ما يدعو اليه أم من لا يهدى الا أن يهدى واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتشديد الدال بمعنى ساكنين وكأن الذى دعاهم الى ذلك أنهم وجهوا أصل الكلمة الى أنه أم من لا يهتدى ووجدوه فى خط المصحف بغير ما قرروا وان التاء حذفت لما أدغمت فى الدال فأقروا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه وشددوا الدال طلبا لادغام التاء فيها فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال وكذلك فعلوا فى قوله وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وفى قوله يخصمون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال وأموا ما أمه المدنيون من الكلمة غير أنهم نقلوا حركة التاء من يهتدى الى الهاء الساكنة فحركوا بحركتها وأدغموا التاء فى الدال فشددوها وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال بنحو ما قصده قراء أهل المدينة غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استثقالا للفتحة بعدها كسرة فى حرف واحد وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتخفيف الدال وقالوا ان العرب تقول هديت بمعنى اهتديت قالوا فمعنى قوله أم من لا يهدى أم من لا يهتدى الا أن يهدى * وأولى القراءة فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أم من لا يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك وان ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب وفهم المنكر غيره وأحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها كلام الله تبارك وتعالى فتأويل الكلام اذا أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهتدى الى شئ الا أن يهدى وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه الا أن ينقل وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى الا أن يهدى قال الا وثان الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أمن لا يهدى الا أن يهدى قال قال الوثن وقوله فما لكم كيف تحكمون ألا تعلمون أن من يهدى الى الحق أحق أن يتبع من الذى لا يهتدى الى شئ الا أن يهدى به الله هاد غيره فتتركوا اتباع من لا يهتدى الى شئ وعبادته

والفصاحة (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه (ان كنتم صادقين) أنه افتراه قال بعض العلماء هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح أن التحدى واقع على أقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود فى الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا

بذلك فدل على أن القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدى وأجيب بأن القران يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدى انما وقع بهذه لا بتلك (بل كذبوا) سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) وهو القرآن (ولما يأتهم تأويله) ومعنى التوقع فيه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل

تقليدا للآباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدى عليهم واستيقان عجزهم عن هذا بغيا وحسدا وعنادا وذلك انما حملهم على التكذيب أولا وآخرا وجوه منها أنهم وجدوا فى القرآن أقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا أساطير الاولين وخفى عليهم أن الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف فى هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف أن الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون أن لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ومنها أنهم كلما سمعوا حروف التهجى فى أوائل السور ولم يفهموا منها شيأ ساءظنهم بالقرآن فأجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذى أنزل عليك الكتاب الى قوله وأخر متشابهات الآية ومنها أنهم رأوا القرآن يظهر شيأ فشيأ فاتهموا النبى وقالوا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة ومنها أنهم وجدوا القرآن مملوأ من حديث الحشر والنشر وكانوا قد ألفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك وأنهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة من الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غنى عنا وعن طاعاتنا (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر فى معجزات أنبيائهم قال أهل التحقيق فى الآية دلالة على أن من كان غير عارف بوجوه التأويل قد يقع فى الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التأويل وقيل معنى الآية ان القرآن كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها أحوال الآخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب به قبل أن ينظروا

وتتبعوا من يهديكم فى ظلمات البر والبحر وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ظنا يقول الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم منه فى شك وريبة ان الظن لا يغنى من الحق شيأ يقول ان الشك لا يغنى من اليقين شيأ ولا يقوم فى شئ مقامه ولا ينتفع به حيث يحتاج الى اليقين ان الله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين وهو لهم بالمرصاد حيث لا يغنى عنهم ظنهم من الله شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ما ينبغى لهذا القرآن أن يفترى من دون الله يقول ما ينبغى له أن يتخرصه أحد من عند غير الله وذلك نظير قوله وما كان لنبى أن يغل بمعنى ما ينبغى لنبى أن يغله أصحابه وانما هذا خبر من الله جل ثناؤه أن هذا القرآن من عنده أنزله الى محمد عبده وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا هو شعر وكهانة والذين قالوا انما يتعلمه محمد من يعيش الرومى يقول لهم جل ثناؤه ما كان هذا القرآن ليختلقه أحد من عند غير الله لأن ذلك لا يقدر عليه أحد من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه يقول تعالى ذكره ولكنه من عند الله أنزله مصدقا لما بين يديه أى لما قبله من الكتب التى أنزلت على أنبياء الله كالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه وتفصيل الكتاب يقول وتبيان الكتاب الذى كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفرائضه التى فرضها عليهم فى السابق من علمه لا ريب فيه يقول لا شك فيه أنه تصديق الذى بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين لا افتراء من عند غيره ولا اختلاق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله قل يا محمد لهم ان كان كما تقولون انى اختلقته وافتريته فانكم مثلى من العرب ولسانى ولسانكم لحمؤا بسورة مثل هذا القرآن والهاء فى قوله مثله كناية عن القرآن وقد كان بعض نحويى البصرة يقول معنى ذلك قل فأتوا بسورة مثل سورته ثم القيت سورة وأضيف المثل الى ما كان مضافا اليه السورة كما قيل واسئل القرية يراد به واسئل أهل القرية وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن والصواب من القول فى ذلك عندى أن السورة انما هى سورة من القرآن وهى قرآن وان لم تكن جميع القرآن فقيل لهم فأتوا بسورة مثله ولم يقل مثلها لان الكناية أخرجت على المعنى أعنى معنى السورة لا على لفظها لانها لو أخرجت على لفظها لقيل فأتوا بسورة مثلها وادعوا من استطعتم من دون الله يقول وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها من قدرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله يقول من عند غير الله فأجمعوا على ذلك واجتهدوا فانكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا وقوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين فى أن محمدا افتراه فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على

الاتيان

فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما يأتهم تأويله اشارة الى تكذيبهم قبل أن يتحنوا غيوبه هل تطابق الواقع أم لا ثم ختم الاية بقوله (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) والمراد أنهم طلبوا الدنيا وأعرضوا عن الآخرة فلم تبق عليهم الدنيا وفاتتهم الآخرة فبقوا فى خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستئصال الذى نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوائف الامم المكذبين فقال (ومنهم من يؤمن به) أى بالقرآن أو بالرسول أى يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند (ومنهم) من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن أن يقال المراد به قسمتهم فى الاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فتكون الآية كالعذر فى تبقيتهم وعدم استئصالهم (وربك أعلم بالمفسدين) فيجازيهم على حسب مراتبهم فى التكذيب ويعلم طويا تهم هل يتوبون أو يصرفون ثم بين اختصاص كل مكلف بأفعاله وبنتائج أعماله من الثواب والعقاب فقال (وان كذبوك فقل لى عملى) أى جزاء عملى على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة (ولكم عملكم) قال مقاتل والكلبى هى منسوخة بآية القتال والتحقيق أن آية القتال لا تدفع شيأ من مدلولات هذه فلا نسخ والله أعلم ﴿التأويل﴾ قل من يرزقكم أى من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس ويخرج من أرض النفس نبات الافعال والاعمال وينزل من سماء القلب مطر انارة فيض الروح ويخرج من أرض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية أو ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من أرض القلب نبات الاوصاف الحميدة أو ينزل من سماء القدرة مطر تجلى الصفات والفيض الربانى ويخرج من أرض الروح المحبة والاخلاق الالهية أو ينزل من سماء الذات مطر تجلى الصفات ويخرج من أرض الوجود نبات الفناء فى الله وثمرات البقاء بالله أمن يملك السمع والابصار فيكون سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر يخرج الحى من الميت النفس من القالب والقلب من الروح والروح من القلب وبالعكوس ومن يدبر أمر الانسان بالتربية من التراب الى أن يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن

الاتيان بها فان لم تفعلوا ذلك فلا شك أنكم كذبة فى زعمكم أن محمدا افتراه لان محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم فاذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله فالواحد منهم عن أن يأتى بجميعه أعجز ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه مما أنزل الله عليك فى هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم ولما يأتهم تأويله يقول ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى هذا القرآن كذلك كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله كذلك كذب الامم التى خلت قبلهم بوعيد الله اياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عقبى كفر من كفر بالله ألم نهلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالغرق يقول فان عاقبة هؤلاء الذين يكذبونك ويجحدون بآياتى من كفار قومك كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الامم ان لم ينيبوا من كفرهم ويسارعوا الى التوبة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ يقول تعالى ذكره ومن قومك يا محمد من قريش من سوف يؤمن به يقول من سوف يصدق بالقرآن ويقر أنه من عند الله ومنهم من لا يؤمن به أبدا يقول ومنهم من لا يصدق به ولا يقر أبدا وربك أعلم بالمفسدين يقول والله أعلم بالمكذبين به منهم الذين لا يصدقون به أبدا من كل أحد لا يخفى عليه وهو من وراء عقابه فأما من كتبت له أنه يؤمن به منهم فانى سأتوب عليه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان كذبك يا محمد هؤلاء المشركون وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك فقل لهم أيها القوم لى دينى وعملى ولكم دينكم وعملكم لا يضرنى عملكم ولا يضركم عملى وانما يجازى كل عامل بعمله أنتم بريئون مما أعمل لا تؤاخذون بجريرته وأنا برىء مما تعملون لا أؤاخذ بجريرة عملكم وهذا كما قال جل ثناؤه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد وقيل ان هذه الآية منسوخة نسخها الجهاد والامر بالقتال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم الآية قال أمره بهذا ثم نسخه وأمره بجهادهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء المشركين من يستمعون الى قولك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون يقول أفأنت تخلق لهم السمع ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به أم أنا وانما هذا اعلام من الله عباده أن التوفيق للايمان به بيده لا الى أحد سواه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما أنك لا تقدر أن تسمع يا محمد من سلبته السمع فكذلك لا تقدر أن تفهم أمرى ونهيى قلبا سلبته فهم ذلك لا الى ختمت عليه أنه لا يؤمن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المشركين مشركى قومك من ينظر اليك

بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة أفلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى القلم فى الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب وتفصيل الجملة التى هى مكتوبة عنده فى أم الكتاب وهو علمه القائم بذاته وربك أعلم بالمفسدين الذين أفسدوا استعدادهم الفطرى والله أعلم

﴿ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين وامانرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ القراآت أفانت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف

يا محمد ويرى أعلامك وحجتك على نبوتك ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدى ولا تقدر أن تهديه كما لا تقدر أن تحدث للاعمى بصرا يهتدى به أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون يقول أفأنت يا محمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون اليك والى أدلتك وحجتك فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها ويبصرون فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ولا يقدر عليه أحد سواى فكذلك لا تقدر على أن تبصرهم سبيل الرشاد أنت ولا أحد غيرى لان ذلك بيدى والىّ وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعة ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذب وتعزية له عنهم وأمر برفع طمعه من اتابتهم الى الايمان بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه لا يعاقبهم الا بمعصيتهم اياه ولا يعذبهم الا بكفرهم به ولكن الناس يقول ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه وانما هذا اعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون الايمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم واخبار أنه انما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها فحق عليهم قول ربهم وطبع على قلوبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم فى موقف الحساب كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ثم انقطعت المعرفة وانقضت تلك الساعة يقول الله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه حظوظهم من الخير وهلكوا وما كانوا مهتدين يقول وما كانوا موفقين لاصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله لانه أكسبهم ذلك ما لا قبل لهم به من عذاب الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وامانرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم فالينا مرجعهم يقول فمصيرهم بكل حال الينا ومنقلبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون يقول جل ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا وأنا عالم بها لا يخفى علىّ شئ منها وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم الى ومرجعهم جزاءهم الذى يستحقونه كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وامانرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فى حياتك أو نتوفينك قبل فالينا مرجعهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولكل أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته اليهم كما أرسلت محمدا اليكم يدعون من أرسلتهم اليهم الى دين الله وطاعته فاذا جاء رسولهم يعنى فى الآخرة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

والرفع حمزة وعلى وخلف يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك أو نتوفينك بالنون الخفيفة رويس الا ان يوزن عالان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان أبو جعفر ونافع وزمعة وحمزة فى الوقف ربى انه بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع فليفرحوا بالياء الغيبة تجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ زيد على ضده وقرأ رويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما ۞ الوقوف اليك ط لا يعقلون ○ اليك ط لا يبصرون ○ يظلمون ○ بينهم ط مهتدين ○ يفعلون ○ رسول ج ط لا يظلمون ○ صادقين ○ ماشاء الله ط أجل ط ولا يستقدمون ○ المجرمون ○ آمنتم به ط تستعجلون ○ الخلد ج ط للاستفهام مع أن القائل واحد تكسبون ○ أحق هو ط بمعجزين ○ لافتدت به ط العذاب ج ط للعطف على أسروا دون رأوا يظلمون ○ والارض ط لا يعلمون ○ ترجعون ○ للمؤمنين ○ فليفرحوا ط يجمعون ○ وحلالا ط تفترون ○ القيامة ط لا يشكرون ○ ۞ التفسير ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه فى كلامه معرضة عن جهات محاسنه فيه وكما أن الصمم فى الاذن معنى ينافى حصول ادراك الصوت والعمى فى العين أمر ينافى حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه أن فى أولئك الكفار من بلغت حاله فى النفرة والعداوة الى هذا الحد (يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون وينظرون اليك يعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يتبصرون ولا

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قال يوم القيامة وقوله قضى بينهم بالقسط يقول قضى حينئذ بينهم بالعدل وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيأ ولكن يجازى المحسن باحسانه والمسىء من أهل الايمان اما أن يعاقبه الله واما أن يعفو عنه والكافر يخلد فى النار فذلك قضاء الله بينهم بالعدل وذلك لا شك عدل لا ظلم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قضى بينهم بالقسط قال بالعدل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد متى هذا الوعد الذى تعدنا أنه يأتينا من عند الله وذلك قيام الساعة ان كنتم صادقين أنت ومن تبعك فيما تعدوننا به من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لمستعجليك وعيد الله القائلين لك متى يأتينا الوعد الذى تعدنا ان كنتم صادقين لا أملك لنفسى أيها القوم أى لا أقدر لها على ضر ولا نفع فى دنيا ولا دين الا ما شاء الله أن أملكه فأجلبه اليها باذنه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم فاذ كنت لا أقدر على ذلك الا باذنه فانا عن القدرة على الوصول الى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة أعجز وأعجز الا بمشيئته واذنه لى فى ذلك لكل أمة أجل يقول لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم فاذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم لا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون ويؤخرون ولا يستقدمون قبل ذلك لان الله قضى أن لا يتقدم ذلك قبل الحين الذى قدره وقضاه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك أرأيتم ان أتاكم عذاب الله بياتا يقول ليلا أو نهارا وجاءت الساعة وقامت القيامة أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم يقول الله تعالى ذكره ماذا يستعجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله وهم الصالون بحره دون غيرهم ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ﴾ يقول تعالى ذكره أهنالك اذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به يقول صدقتم به فى حال لا ينفعكم فيها التصديق وقيل لكم حينئذ آلآن تصدقون به وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون وأنتم بنزوله مكذبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذبون ومعنى قوله أثم فى هذا الموضع أهنالك وليست ثم هذه ها هنا التى تأتى بمعنى العطف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبدا الذى لا فناء له ولا زوال هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يقول يقال لهم فانظروا هل تجزون أى هل تثابون الا بما كنتم تكسبون يقول الا بما كنتم تعملون فى حياتكم قبل مماتكم من معاصى الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ يقول تعالى ذكره ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك أحق ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله فى الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصى الله فى الدنيا

يصدقون قال أهل المعانى المستمع الى القرآن كالمستمع الى النبى صلى الله عليه وسلم بخلاف النظر فكان فى المستمعين كثرة بجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد الناظر حملا على اللفظ اذ لم يكثروا كثرتهم ثم قال أتطمع أن تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم أو تقدر على هداية العمى ولا سيما اذا قرن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى

وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله أفأنت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فان الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أصلا أعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذق ثم أكد عدم قابليتهم في الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيامة بقوله (ان الله لا يظلم) الآية فسرها المعتزلة بأن المراد من نفي الظلم أنه ما ألجأ أحدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار أنفسهم أقدموا عليها وأجاب الواحدي عنه بأنه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف في ملك نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق أنه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق القهر ضروري ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم في الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال (ويوم يحشرهم) أي واذكر يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا) في محل النصب على الحال أي مشبهين بمن لم يلبث (الا ساعة) وقوله (يتعارفون) اما حال أخرى أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا لان التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز أن يكون قوله ويوم يحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم في الدنيا وقيل في القبور استقلوا المدد الطوال اما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة أو لطول وقوفهم في الحشر أو لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها وأما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطا والكفر وقيل يعرف كل واحد أهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما أن هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه أنت أضللتني يوم كذا أو أنهم المشركين يتعارفون اذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة وانما حذف جميعا في هذه الآية اكتفاء بما في الآية السابقة ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا ولان الآية سيقت هنالك لبيان حشر العابدين والمعبودين فأكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله أعلم قوله (قد خسر)

قل لهم يا محمد اى وربي انه لحق لا شك فيه وما أنتم بمعجزي الله اذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع بل أنتم في قبضته وسلطانه وملكه اذا أراد فعل ذلك بكم فاتقوا الله في أنفسكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن لكل نفس كفرت بالله وظلمها في هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادته وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ما في الارض من قليل أو كثير لافتدت به يقول لافتدت بذلك كله من عذاب الله اذا عاينته وقوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا أنه واقع بهم وقضى بينهم بالقسط يقول وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل وهم لا يظلمون وذلك أنه لا يعاقب أحدا منهم الا بجريرته ولا يأخذه بذنب أحد ولا يعذب الا من قد أعذر اليه في الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول جل ذكره ألا ان كل ما في السموات وكل ما في الارض من شئ لله ملك لا شئ فيه لاحد سواه يقول فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شئ يملكه فيفتدي به من عذاب ربه وانما الاشياء كلها للذي اليه عقابه ولو كانت له الاشياء التي هي في الارض ثم افتدى بها لم يقبل منه بدلا من عذابه فيصرف بها عنه العذاب فكيف وهو لا شئ له يفتدي به منه وقد حق عليه عذاب الله يقول الله جل ثناؤه ألا ان وعد الله حق يعني أن عذابه الذي أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حق فلا علیهم أن لا يستعجلوا به فانه بهم واقع لا شك ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم فهم من أجل جهلهم به مكذبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو يحيي ويميت واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره وان الله هو المحيي المميت لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من احياء هؤلاء المشركين اذا أراد احياءهم بعد مماتهم ولا إماتتهم اذا أراد ذلك وهم اليه يصيرون بعد مماتهم فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعد الله وعقابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لخلقه يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني ذكرى تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده من ربكم يقول من عند ربكم لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفتعلها أحد فتقولوا لا تأمن أن تكون لا صحة لها وانما يعني بذلك جل ثناؤه القرآن وهو الموعظة من الله وقوله وشفاء لما في الصدور يقول ودواء لما في الصدور من الجهل يشفي به الله جهل الجهال فيبرئ به داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته وهدى يقول وهو بيان لحلال الله وحرامه ودليل على طاعته ومعصيته ورحمة يرحم بها من شاء من خلقه فينقذه به من الضلالة الى الهدى وينجيه به من الهلاك والردى وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به لان من كفر به فهو عليه عمى وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في لظى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء

استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز فى الكشاف أن يكون على ارادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم أكد خسرانهم بقوله (وما كانوا مهتدين) أى فى رعاية مصالح هذه التجارة لانهم أعطوا الكثير الشريف الباقى وقنعوا بالقليل الخسيس الفانى كمن رأى زجاجة خسيسة فظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله

المشركين بك وبما أنزل اليك من عند ربك بفضل الله أيها الناس الذى تفضل به عليكم وهو الاسلام فبينه لكم ودعاكم اليه وبرحمته التى رحمكم بها فأنزلها اليكم فعلمكم مالم تكونوا تعلمون من كتابه وبصركم بها معالم دينكم وذلك القرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يقول فان الاسلام الذى دعاهم اليه والقرآن الذى أنزله عليهم خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسين الازدى قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن عطية عن أبى سعيد الخدرى فى قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بالاسلام الذى هداكم وبالقرآن الذى علمكم حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته قال بالاسلام والقرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من الذهب والفضة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف فى قوله قل بفضل الله وبرحمته قال فضل الله الاسلام ورحمته القرآن حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف فى قوله قل بفضل الله وبرحمته قال الاسلام والقرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم وقبيصة قالا ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أما فضله فالاسلام وأما رحمته فالقرآن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل بفضل الله وبرحمته قال فضله الاسلام ورحمته القرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل بفضل الله وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله هو خير مما يجمعون قال الاموال وغيرها حدثنا على بن داود قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قل بفضل الله وبرحمته يقول فضله الاسلام ورحمته القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بكتاب الله وبالاسلام هو خير مما يجمعون * وقال آخرون بل الفضل القرآن والرحمة الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال بفضل الله القرآن وبرحمته حين جعلهم من أهل القرآن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال فضل الله القرآن ورحمته الاسلام حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قوله قل بفضل الله وبرحمته قال بفضل الله القرآن وبرحمته الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

فاذا عرضها على الناقدين خاب سعيه وفات أمله ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال (وامانرينك) وجوابه محذوف وقوله (فالينا مرجعهم) جواب أو نتوفينك والمعنى وإما نرينك فى أعدائك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن تدركه فنحن نريكهم فى الآخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده فقد أراه فى هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستعلاء عليهم والاستيلاء على ديارهم وأموالهم والذى سيريه فى الآخرة أكثر وأدوم يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة فى قوله (ثم الله شهيد على مايفعلون) ولايخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد انطاق جوارحهم يوم القيامة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين أنه ما أهمل أمة من الامم من رسول فى وقت من الاوقات فقال (ولكل أمة رسول) وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبى صلى الله عليه وسلم المتقدم ووقوع موجبات التخليط فى شرعه (فاذا جاء رسولهم) فبلغ فكذبه قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) أى حكم وفصل بالعدل فانجى الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الآية نظيرة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل أن يقال المراد ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول ينسبون اليه ويدعون به فكأنه تعالى يقول أنا شهيد على أعمالهم ومع ذلك فانى أحضر فى موقف القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان (فاذا جاء رسولهم) وشهد لهم أو عليهم (قضى بينهم) والمراد منه المبالغة فى اظهار العدل والنصفة فتكون الآية كقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ثم ذكر شبهة أخرى من شبهات الكفرة وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا

(يقولون متى هذا الوعد) استبعادا لنزوله وقد حاق بنبوته وهذا مما يؤكد القول الاول فى الآية المتقدمة لانه لا يجوز أن يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم فى دار الآخرة لحصول اليقين والمعرفة حينئذ وأيضا قوله (ان كنتم صادقين) لفظا الجمع موافق لقوله ولكل أمة رسول ثم أمره أن يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله (قل لا أملك لنفسى ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء الله) قال العلماء انه استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين أن أحد الا يموت الا بالقضاء وأن لعذاب كل طائفة أمدا محدودا لا يتجاوزه فلا وجه للاستعجال (فقال ولكل أمة أجل) الآية وقدم تفسير الآية فى أوائل الاعراف الا أنه أدخل الفاء ههنا فى الجزاء فانه بنى الشرط على الاستئناف أو البيان بخلاف ما هناك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل أمة أجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رأيهم فى استعجال العذاب مرة أخرى فقال (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أتاكم عذابه بياتا) أى فى حين الغفلة والراحة (أو نهارا) حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر فى أول الاعراف (ماذا يستعجل) أى شئ يستعجل (منه) أى من العذاب (المجرمون) وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه وان أبطأ مجيئه فضلا عن أن يستعجله ومن للبيان أو للابتداء والمعنى أن العذاب كله مر المذاق موجب للنفار فأى شئ يستعجلون منه وليس شئ منه بموجب الاستعجال أو المراد التعجب كأنه قيل أى شئ هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير فى منه لله تعالى وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه وماذا الجملة مفعول أرأيتم ويجوز أن يكون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم ويجوز أن يكون اعتراضا وجواب الشرط (أثم اذا ما وقع آمنتم به) والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الا أنه على ارادة القول أى قيل لهم هذا

ابن زيد فى قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال كان أبى يقول فضله القرآن ورحمته الاسلام * واختلفت القراء فى قراءة قوله فبذلك فليفرحوا فقرأ ذلك عامة قراء الامصار فليفرحوا بالياء هو خير مما يجمعون بالياء أيضا على التأويل الذى تأولناه من أنه خبر عن أهل الشرك بالله يقول فبالاسلام والقرآن الذى دعاهم اليه فليفرح هؤلاء المشركون لا بالمال الذى يجمعون فان الاسلام والقرآن خير من المال الذى يجمعون وكذلك حدثت عن عبد الوهاب بن عطاء عن هرون عن أبى التياح فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يعنى الكفار وروى عن أبى بن كعب فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أسلم المنقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ فبذلك فلتفرحوا هو خير مما يجمعون بالتاء حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الاجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب مثل ذلك وكذلك كان الحسن البصرى يقول غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله هو خير مما يجمعون بالياء الاول على وجه الخطاب والثانى على وجه الخبر عن الغائب وكان أبو جعفر القارئ فيما ذكر عنه يقرأ ذلك نحو قراءة أبى بالتاء جميعا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار من قراءة الحرفين جميعا بالياء فليفرحوا هو خير مما يجمعون لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثانى صحته فى العربية وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء وانما تأمره فتقول افعل ولا تفعل وبعد فانى لا أعلم أحدا من أهل العربية الا وهو يسترذئ أمر المخاطب باللام ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير الفراء فانه كان يزعم أن اللام فى ذى التاء الذى خلق له واجهت به أم لم تواجه الا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الامر خاصة فى كلامهم كما حذفوا التاء من الفعل قال وأنت تعلم أن الجازم والناصب لا يقعان الا على الفعل الذى أوله الياء والتاء والنون والالف فلما حذفت التاء ذهبت اللام وأحدثت الالف فى قولك اضرب وافرح لان الفاء ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء كما قالوا ادارأتم واثاقلتم وهذا الذى اعتل به الفراء عليه لا له وذلك أن العرب ان كانت قد حذفت اللام فى المواجه وتركتها فليس لغيرها اذا نطق بكلامها أن يدخل فيه ما ليس منه مادام متكلما بلغتها فان فعل ذلك كان خارجا عن لغتها وكلام الله الذى أنزله على محمد بلسانها فليس لاحد أن يتلوه الا بالأفصح من كلامها وان كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها فكيف بما ليس بمعروف من لغة حى ولا قبيلة منها وانما هو دعوى لا اثبت بها ولا حجة * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتم أيها الناس ما أنزل الله لكم من رزق يقول ما خلق الله لكم من الرزق فخولكموه وذلك ما تتغذون به من الاطعمة فجعلتم منه حراما وحلالا يقول فحللتم بعض ذلك لأنفسكم وحرمتم بعضه عليها وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرمونه من حروثهم التى كانوا يجعلونها لاوثانهم كما وصفهم الله به فقال وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ومن الانعام ما كانوا يحرمونه بالتبحير والتسيب ونحو ذلك مما قد مناه فيما مضى من كتابنا

اذا آمنوا بعد وقوع العذاب (الآن) آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) على جهة التكذيب والانكار وقوله (ثم قيل) عطف على قيل المضمر قبل الآن والحاصل أن الذى تطلبونه ضرر محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما أن تؤمنوا واما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب آخر أشد وأدوم ويقال على سبيل الاهانة (ذوقوا عذاب الخلد) فان قلتم الهنا أنت الغنى عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد أجبتم (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله الحكيم أو ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة أو بحكم الوعد المحض عند أهل السنة وتفسير الكسب مذكور فى البقرة فى قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ثم حكى عنهم أنهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة أخرى عن تحقيق العذاب فقال (ويستنبئونك أحق هو) وهو استخبار على جهة الاستهزاء والانكار أى أحق ما تعدنا به من نزول العذاب فى العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد أحق ما جئت به من القرآن والشرائع وقيل أى ما تعدنا من البعث والقيامة فأمره الله تعالى أن يجيبهم بقوله (قل اى وربى) ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة هذا القسم فى جوابهم أن يكون قد أبرز الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر أن من أخبر عن شئ وأكده بالقسم فقد أخرجه عن حد الهزل وأدخله فى باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم ألد ثم أكد مضمون المقسم عليه بقوله (وما أنتم بمعجزين) فائتين العذاب والغرض التنبيه على أن أحدا لا يدافع نفسه عما أراد الله وقضى ثم زاد فى التأكيد بقوله (ولو أن لكل نفس) الآية وقد مر مثله فى آل عمران والمائدة وقوله (ظلمت) صفة لنفس أما قوله (وأسروا الندامة) فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار

هذا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الله أذن لكم بأن تحرموا ما حرمتم منه أم على الله تفترون أى تقولون الباطل وتكذبون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها وهو قول الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا فأنزل الله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم الى قوله أم على الله تفترون قال هم أهل الشرك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فجعلتم منه حراما وحلالا قال الحرث والانعام * قال ابن جريج قال مجاهد البحائر والسيب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فجعلتم منه حراما وحلالا قال فى البحيرة والسائبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الآية يقول كل رزق لم أحرم حرمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم آلله أذن لكم فيما حرمتم من ذلك أم على الله تفترون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا فقرأ حتى بلغ أم على الله تفترون وقرأ وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وقرأ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر حتى بلغ لا يذكرون اسم الله عليها فقال هذا قوله جعل لهم رزقا فجعلوا منه حراما وحلالا وحرموا بعضه وأحلوا بعضه وقرأ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أى هذين حرم على هؤلاء الذين يقولون وأحل لهؤلاء نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الى آخر الآيات حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا هو الذى قال الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى قوله ساء ما يحكمون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يقول تعالى ذكره وما ظن هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب فيضيفون اليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الارزاق والاقوات التى جعلها الله لهم غذاء أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر كلا بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا ان الله لذو فضل على الناس يقول ان الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة فى الدنيا وامهاله اياه الى ورود عليه فى القيامة ولكن أكثرهم لا يشكرون يقول ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك وبغيره من سائر نعمه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما

والهمزة للسلب أى أظهروا الندامة حينئذ لضعفهم وليس هناك تجلد والمشهور أنه الاخفاء وسببه أنهم بهتوا حين عاينوا ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء أو أخفوا الندامة من سفلتهم وأتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التزوير فى أول ما يرون العذاب أما عند احاطة النار بهم فلا يبقى هذا التماسك أو أراد بالاخفاء الاخلاص لان من أخلص فى الدعاء أسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم أتوا بذلك فى غير وقته (وقضى بينهم بالقسط) قيل أى بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون فى ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم وان اشتركا كلهم فى العذاب ثم ذكر فى آيتين أن له جميع ما قرر بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل فى وجه النظم انه لما ذكر حديث الاقتداء بين أنه ليس للظالم شئ يقتدى به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما أقسم على حقية ما جاء به النبى وكان دليلا قنا عيا أراد أن يصححها بالبرهان النير فذكر أن كل ما فى هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوى وسفلى بسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى أوليائه والعذاب الى أعدائه ولكونه منزها عن النقائص والآفات يكون بريئا عن الخلف فى الوعد والايعاد وفى تصدير الكلام بكلمة ألا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين فى الاسباب الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون أن كلها عوار وودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع • واعلم أن الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بأمور أحدها اظهار المعجزة على يده مطابقا لدعواه وقد قرره الله سبحانه فى هذه السورة جل على أحسن الوجوه حيث قال (وما كان هذا القرآن أن يفترى) الى تمام الآيتين والثانى أن نعلم بعقولنا أن الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا أنه النبى الحق فأشار سبحانه الى هذا الطريق

يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما تكون يا محمد فى شأن يعنى فى عمل من الاعمال وما تتلو منه من قرآن يقول وما تقرأ من كتاب الله من قرآن ولا تعملون من عمل يقول ولا تعملون من عمل أيها الناس من خير أو شر الا كنا عليكم شهودا يقول الا ونحن شهود لأعمالكم وشؤنكم اذ تعملونها وتأخذون فيها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس وجماعة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اذ تفيضون فيه يقول اذ تفعلون * وقال آخرون معنى ذلك اذ تشيعون فى القرآن الكذب ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك اذ تفيضون فيه يقول فتشيعون فى القرآن من الكذب * وقال آخرون معنى ذلك اذ تفيضون فى الحق ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ تفيضون فيه فى الحق ما كان * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى اخترناه فيه لانه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عباده عملا الا كان شاهده ثم وصل ذلك بقوله اذ تفيضون فيه فكان معلوما أن قوله اذ تفيضون فيه انما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين أنه له شاهد لا عن وقت تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم القرآن لان ذلك لو كان خبرا عن شهوده تعالى ذكره وقت افاضة القوم فى القرآن لكانت القراءة بالياء اذ يفيضون فيه خبرا منه عن المكذبين فيه فان قال قائل ليس ذلك خبرا عن المكذبين ولكن خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أنه شاهده اذ تلا القرآن فان ذلك لو كان كذلك لكان التنزيل اذ تفيض فيه لان النبى صلى الله عليه وسلم واحد لا جمع كما قال وما تتلو منه من قرآن فأفرده بالخطاب (١) ولكن ذلك فى ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالافراد ثم عوده الى اخراج الخطاب على الجمع نظير قوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وذلك أن فى قوله اذا طلقتم النساء دليلا واضحا على صرفه الخطاب الى جماعة المسلمين مع النبى صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره لأنه ابتدأ خطابه ثم صرف الخطاب الى جماعة الناس والنبى صلى الله عليه وسلم فيهم وخبر عن أنه لا يعمل أحد من عباده عملا الا وهو له شاهد يحصى عليه ويعلمه كما قال وما يعزب عن ربك يا محمد عمل خلقه ولا يذهب عليه علم شئ حيث كان من أرض أو سماء وأصله من عزوب الرجل عن أهله فى ماشيته وذلك غيبته عنهم فيها يقال منه عزب الرجل عن أهله يعزب ويعزب لغتان فصيحتان قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنييهما واستفاضتهما فى منطق العرب غير أنى أميل الى الضم فيه لانه أغلب على المشهورين من القراء وقوله من مثقال ذرة يعنى من زنة نملة صغيرة يحكى عن العرب خذ هذا فانه أخف مثقالا من ذاك أى أخف وزنا والذرة واحدة الذر والذر صغار النمل وذلك خبر عن أنه لا يخفى عليه

(١) قوله ولكن ذلك الخ لعله وليس ذلك الخ وقوله مع جماعة للناس غيره لعله وهنا صرف الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم الى جماعة الخ تأمل كتبه مصححه

بقوله (قل يا أيها الناس) الآية فوصف القرآن بصفات أربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى المريض أولا عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور لحصول العقائد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك أنه اذا زالت الملكات الرديئة التي طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بأن تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض أنوارها على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على أجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة أرواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بأنوارهم كما أن كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضيء بنورها والحاصل أن الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقائد الفاسدة والاخلاق الرديئة بتحصيل اضدادها وهي الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للباقين وهي النبوة ولما أرشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر أنها هي التي يجب أن يكمل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال (قل بفضل الله وبرحمته) قال في الكشاف أصل الكلام بفضل الله

جل جلاله أصغر الاشياء وان خف في الوزن كل الخفة ومقادير ذلك ومبلغه ولا أكبرها وان عظم وثقل وزنه وكم مبلغ ذلك يقول تعالى ذكره لخلقه فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم فانا شهود لا عمالكم لا يخفى علينا شيء منها ونحن محصوها ومجازوكم بها واختلفت القراء في قراءة قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر فقرأ ذلك عامة القراء بفتح الراء من أصغر وأكبر على أن معناها الخفض عطفا بالاصغر على الذرة وبالاكبر على الاصغر ثم فتحت راؤهما لانهما لا يجريان وقرأ ذلك بعض الكوفيين ولا أصغر من ذلك ولا أكبر رفعا عطفا بذلك على معنى المثقال لان معناه الرفع وذلك أن من لو ألقيت من الكلام لرفع المثقال وكان الكلام حينئذ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر وذلك نحو قوله من خالق غير الله وغير الله * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض والرد على الذرة لان ذلك قراءة قراء الامصار وعليه عوام القراء وهو أصح في العربية مخرجا وان كان للاخرى وجه معروف وقوله الا في كتاب يقول وما ذلك كله الا في كتاب عند الله مبين عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه أنه لا شيء كان أو يكون الا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه وأنه لا يعزب عن الله علم شيء من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما يعزب يقول لا يغيب عنه **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس وما يعزب عن ربك قال ما يغيب عنه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله لان الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا والاولياء جمع ولي وهو النصير وقد بينا ذلك بشواهده واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم فقال بعضهم هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والاخبات ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان قال ثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم وسعيد بن جبير عن ابن عباس ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم **حدثنا** أبو كريب وأبو هشام قالا ثنا ابن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبي الضحى مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن أبيه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم * قال ثنا ابن مهدي وعبيد الله عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبي الضحى قال سمعته يقول في هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال من الناس مفاتيح اذا رؤا ذكر الله لرؤيتهم * قال ثنا أبي عن مسعر عن سهل بن الاسد عن سعيد بن جبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال الذين اذا رؤا ذكر الله * قال ثنا زيد بن حباب عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل عن عبد الله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين اذا رؤا ذكر الله لرؤيتهم * قال ثنا أبو يزيد الرازي عن يعقوب

وبرحمته فليفرحوا (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتقرير والتأكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة الآخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح وجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وأن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا

يكون قل اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فعناه على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاصل والقياس لانه أدل على الامر بالفرح وأشد تحريضا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغائب واحد الا انه خفف أمر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فاضطروا الى همزة الوصل ومن قرأ تجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا أنه غلب الخطاب كما يغلب التذكير أو كأنه أراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على النوازع النفسانية الجسمانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الآلام والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير أن تكون صفات ثبوتية الا ان التضرر بآلامها أقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهي أقوى اللذات الى ألم القولنج وسائر الآلام القوية وأيضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الآلام كل جزء من أجزاء البدن وأيضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في مقدماتها ولو احققها لكفى ومن المعلوم أن الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري

ان حزنا في ساعة الموت ضعا * ف سرور في ساعة الميلاد

فتبين بهذه الوجوه أن الفرح انما يجب أن يكون بأمور روحانية الباقيات لا بالجسمانيات الزائلات أما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روى عن أبي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله ثم أشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال (قل أرأيتم) الآية وتقريره أنكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها فان كان هذا المجرد التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق

عن جعفر عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا فرات عن أبي سعد عن سعيد بن جبير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله قال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن عبد الله بن أبي الهذيل في قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية قال ان ولي الله اذا رؤي ذكر الله * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو فضيل قال ثنا أبي عن عمارة بن القعقاع الضبي عن أبي زرعة عن عمرو بن جرة البجلي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم من نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فانا نحبهم لذلك قال هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا الحسن بن نصر الخولاني قال ثنا يحيى بن حسان قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم يتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفزع الناس فلا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والصواب من القول في ذلك أن يقال الولي أعني ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال الله الذين آمنوا وكانوا يتقون * وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من هم يا رب قال الذين آمنوا وكانوا يتقون قال أبى أن يتقبل الايمان الا بالتقوى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره الذين صدقوا الله ورسوله وما جاء به من عند الله وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقوله الذين آمنوا من نعت الاولياء ومعنى الكلام ألا ان أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قال قائل فاذ كان معنى الكلام ما ذكرت عندك أفي موضع رفع الذين آمنوا أم في موضع نصب قيل في موضع رفع وانما كان كذلك وان كان من نعت الاولياء لمجيئه بعد خبر الاولياء والعرب كذلك تفعل خاصة في ان اذا جاء نعت الاسم الذي عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه فقالوا ان أخاك قائم الظريف كما قال الله قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وكما قال ان ذلك لحق تخاصم أهل النار

لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الآراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول أرسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفى الآية أيضا اشارة الى فساد طريقتهم فى شرائعهم وأحكامهم من تحريم السوائب والبحائر وقولهم هذه أنعام وحرث حجر وغير ذلك وما أنزل الجملة فى محل

الرفع بالابتداء وخبره آلله أذن لكم وقل مكرر للتأكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدإ والخبر متعلق بأرأيتم والمعنى أخبرونى الذى أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله أذن لكم فى تحريمه وتحليله (أم على الله تفترون) وعن الزجاج أن ما فى ما أنزل بمعنى الاستفهام منصوبا بأنزل وأنه مع معموله مفعول أرأيتم معناه أخبرونيه وعلى هذا يكون قل آلله كلاما مستأنفا ومعنى أنزل خلق وأنشأ كقوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وذلك أن كل ما فى الارض من زرع أو ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال فى الكشاف ويجوز أن تكون الهمزة فى آلله للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال (وما ظن الذين) يعنى أى شئ ظنهم فى ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو فى صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفترى على الله حيث أبهم أمره وكفى به زاجرا للمفتى فى الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت (لذو فضل على الناس) اذ أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبى وتعليم الشرائع (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة بجحد نبيه أو مخالفته ﴿التأويل﴾ أنت تسمع الصم صم آذان القلوب أفأنت تهدى العمى عمى أبصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج أجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص خروج أرواحهم الأخروية من قبور أجسادهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء وامائرينك بعض الذى نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن أو نتوفينك فنبلغك أقصى المراتب

وقد اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك مع أن اجماع جميعهم على أن ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب وليس هذا من مواضع الابانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره البشرى من الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ثم اختلف أهل التأويل فى البشرى التى بشر الله بها هؤلاء القوم ما هى وما صفتها فقال بعضهم هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن ذكوان عن شيخ عن أبى الدرداء قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال أخبرنا الأوزاعى قال أخبرنى يحيى ابن أبى كثير قال ثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة وفى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك أو قال غيرك قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود ممن ذكره عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا أبو قلابة قال ثنا مسلم قال ثنا أبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن المثنى وأبو عثمان بن عمر قالا ثنا على بن يحيى عن أبى سلمة قال نبئت أن عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبى الدرداء لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال لقد سألتنى عن شئ ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشراه فى الحياة الدنيا وبشراه فى الآخرة الجنة حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا عثمان بن سعيد عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك الا رجلا واحدا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما سألنى عنها أحد منذ أنزلها الله غيرك الا رجلا واحدا هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمع عطاء بن يسار يخبر عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكونى عن عثمان

ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل أمة رسول فى الظاهر من الانبياء وفى الباطن من الهام الحق لكل أمة أجل فى استكمال السعادة والشقاوة بيانا أى فى الازل أو نهارا أى يظهر الآن ما قدر لكم فى الازل قل اى و ربى انه لحق أى أقسم بربك الذى يربك أن وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار ليلة المعراج ظلمت بافئدة الاستعدادات ألا ان لله ما فى سموات الارواح وأرض القلوب والنفوس ألا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة فى الازل حق هو يحيى قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل أو يحيى بالنور ويميت بالظلمة أو يحيى بصفة الجمال ويميت بصفة الجلال يا أيها الناس يا أهل النسيان قد جاءتكم موعظة هى خطاب ألست بربكم وهو داء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما فى الصدور وهو القلب فانها درة صدف الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض الى أن يبلغ غاية الكمال ويفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب ورحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعه أهل الدنيا فى دنياهم ما أنزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على أنفسكم وحلالا على غيركم أى حدثت أنفسكم بأن تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شأننا وانما هو من شأن الانبياء وخواص الاولياء قل آلله أذن لكم أن تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها أم على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطرى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة

ابن سعيد. حدثنى أبو حميد الحمصى أحمد بن المغيرة قال ثنى يحيى بن سعيد قال ثنا عمر بن عمرو بن عبد الاخوينى عن حميد بن عبد الله المزنى قال أتى رجل عبادة بن الصامت فقال آية فى كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال عبادة ما سألنى عنها أحد قبلك سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مثل ذلك ما سألنى عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن فى المنام أو ترى له حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة هى البشرى يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى صالح قال قال أبو هريرة الرؤيا الحسنة بشرى من الله وهى المبشرات حدثنا محمد بن حاتم المؤدب قال ثنا عمار بن محمد قال ثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لهم البشرى فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له وهى فى الآخرة الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن يزيد قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن أبى الشيخ عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها العبد جزء من تسعة وأربعين جزأ من النبوة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة فما بشرى الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهى جزء من أربعة وأربعين جزأ أو سبعين جزأ من النبوة حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا فقال لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد من أمتى قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة حدثنى أحمد بن حماد الدولابى قال ثنا سفيان عن عبيد الله ابن أبى يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت المبشرات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن الاعمش عن ذكوان عن رجل عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن أبى صالح عن عطاء بن يسار عن رجل كان بمصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال أبو الدرداء ما سألنى عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما سألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة * قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبى صالح عن أبى الدرداء قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال ما سألنى عنها أحد غيرك هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن عطاء بن يسار عن أبى

الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴿القراآت﴾ شأن بغير همز حيث كان أبو عمرو غير شجاع والاعشى ويزيد والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يعزب بالكسر حيث كان على الباقون بالضم ولا أصغر ولا أكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الآخرون بالنصب ﴿الوقوف﴾ تفيضون فيه ط مبين ٥ يحزنون ٥ ج لان الذين يصلح صفة لاولياء ويصلح نصبا أو رفعا على المدح فيوقف على يتقون أو مبتدأ خبره لهم البشرى فلا يوقف على يتقون وفى الآخرة ط لكلمات الله ط العظيم ٥ ط لانه لو وصل لأوهم أن الضمير عائد الى أولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم م لئلا يوهم أن قوله ان العزة مقول الكفار جميعا ط العليم ٥ الارض ط شركاء ط يخرصون ٥ مبصرا ط يسمعون ٥ سبحانه ط الغنى ط وما فى الارض ط بهذا ط مالا تعلمون ٥ لا يفلحون ٥ ط يكفرون ٥ ﴿التفسير لما بين فساد طريقة الكفار فى عقائدهم وأحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل أحد وبما فى قلبه من الدواعى والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال (وما تكون) يا محمد (فى شأن) أى أمر من الامور وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده قال ابن عباس أى فى شأن من أعمال البر وقال الحسن فى شأن الدنيا وحوائجها وما فى وما تكون وما تتلو نافية والضمير فى منه اما لله عز وجل أى نازل من عنده واما للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم

الدرداء فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما سألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وفى الآخرة الجنة * قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى صالح قال ابن عيينة ثم سمعته من عبد العزيز عن أبى صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ما سألنى عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما سألنى عنها أحد منذ أنزلت على الا رجل واحد هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له * قال ثنا عبد الله بكر السهمى عن حاتم بن أبى صغيرة عن عمرو بن دينار أنه سأل رجلا من أهل مصر فقيها قدم عليهم فى بعض تلك المواسم قال قلت ألا تخبرنى عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال سألت عنها أبا الدرداء فأخبرنى أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هى الرؤيا الحسنة يراها العبد أو ترى له * قال ثنا أبى عن على بن مبارك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له **حدثنى** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم وأبو الوليد الطيالسى قالا ثنا أبان قال ثنا يحيى عن أبى سلمة عن عبادة بن الصامت قال قلت يا رسول الله قال الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك أو أحد من أمتى قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له * قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح قال سمعت أبا الدرداء وسئل عن الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ما سألنى عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ما سألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبيد الله بن أبى يزيد عن نافع بن جبير عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الحسنة يراها الانسان أو ترى له * وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبى الدرداء أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال هى الرؤيا الصالحة * وقال ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه قال هى الرؤيا يراها الرجل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير قال هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح * قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا عبدة بن سليمان عن طلحة القناد عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض اخوانه * قال ثنا أبى عن الأعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون الرؤيا من المبشرات **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ما سألنى عنها

شأنه ولهذا أفرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما القرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال (ولا تعملون) أيها المكلفون (من عمل) أى عمل كان (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء والجمع للتعظيم أو لان المراد الملائكة الموكلون (اذ تفيضون فيه) الافاضة الشروع فى العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا أفضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم أنه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب أن الشهادة علم خاص ولا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشئ كما لو أخبرنا الصادق أن زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم زاد فى التعميم فقال (وما يعزب عن ربك) أى لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب أى بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى (مثقال ذرة) قدم فى قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك فى سورة النساء والمقصود أنه لا يغيب عن علمه شئ أصلا وان كان فى غاية الحقارة وانما قال ههنا فى الارض ولا فى السماء خلاف ما فى سورة سبا وهو المعهود فى القران لان الكلام سيق لشهادته على شؤن أهل الارض فناسب أن يقدم ذكر ما فى الارض هذا بعد تسليم أن الواو تفيد الترتيب ثم بالغ فى تعميم علمه فقال (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأ بالنصب على نفى الجنس أو بالرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه فلا اشكال وأما من جعله منصوبا معطوفا على لفظ مثقال لانه فى موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف أو جعله مرفوعا معطوفا على محل من مثقال لانه فاعل يعزب فاورد عليه الاشكال وهو أنه يصير تقدير الآية لا يعزب عنه شئ فى الارض ولا فى السماء الا فى كتاب ويلزم منه أن يكون ذلك الشئ الذى فى الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن أن يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم أوجده الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم آخر أوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك أن هذا القسم الثانى متباعد فى سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب

أحد من أمتى منذ أنزلت على قبلك قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو ترى له * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمى أن ابن مسعود قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له * قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا فهو قوله لنبيه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا قال هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له * قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن عطاء فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى رؤيا الرجل المسلم يبشر بها فى حياته **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث أن دراجا أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة **حدثنى** يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه فى هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له **حدثنا** محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا جميد بن عبد الله أن رجلا سأل عبادة بن الصامت عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال عبادة لقد سألتنى عن أمر ما سألنى عنه أحد قبلك ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتنى فقال لى يا عبادة لقد سألتنى عن أمر ما سألنى عنه أحد من أمتى تلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له * وقال آخرون هى بشارة يبشر بها المؤمن فى الدنيا عند الموت ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى وقتادة لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى البشارة عند الموت فى الحياة الدنيا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبى بسطام عن الضحاك لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال يعلم أين هو قبل الموت * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى فى الحياة الدنيا ومن البشارة فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ومنها بشرى الملائكة اياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الملائكة التى تحضره عند خروج نفسه تقول لنفسه اخرجى الى رحمة الله ورضوانه ومنها بشرى الله اياه ما وعده فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل كما قال جل ثناؤه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وكل هذه المعانى من بشرى الله اياه فى الحياة الدنيا بشره بها ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فذلك مما عمه جل ثناؤه أن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وأما فى الآخرة فالجنة وأما قوله لا تبديل لكلمات الله فان معناه ان الله لا خلف لوعده ولا تغيير لقوله عما قال ولكنه يمضى لخلقه مواعيده وينجزها لهم وقد **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن نافع قال أطال الحجاج الخطبة فوضع ابن عمر رأسه فى حجرى فقال الحجاج ان ابن الزبير بدل كتاب الله فقعد ابن عمر فقال لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله فقال الحجاج لقد أوتيت علما أن تفعل قال أيوب

الوجود فالمراد من الآية أنه لا يبعد عن مرتبة وجوده شئ في الارض ولا في السماء الا هو في كتاب مبين وهو كتاب أثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم أنه تعالى غير عالم بالجزئيات أو نقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر أبو علي الجرجاني صاحب النظم أن الا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند

قوله ولا أكبر ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا في كتاب أي وهو أيضا في كتاب (مبين) والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين أتبعها تفصيل حال كل فريق فقال (ألا ان أولياء الله) الآية والتركيب يدل على القرب فكأنهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله قال أبو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في وصفهم (الذين آمنوا) وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية (وكانوا يتقون) وهو اشارة الى كمال حال القوة العملية وههنا مقام آخر وهو أن يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال أما في موقف العلم فبأن يقدس ذاته عن أن يكون مقصورا على ما عرفه أو يكون كما وصفه وأما في مقام العمل فأن يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون أبدا في الخوف والدهشة وأما نفي الخوف والحزن عنهم فقد مر تفسيره في أوائل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني أن مشاهدتهم تذكر أمر الآخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر سمعت النبي صلى الله

أيوب فلما أقبل عليه في خاصة نفسه سكت وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول تعالى ذكره هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم يعني الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون واشراكهم معه الاوثان والاصنام فان العزة لله جميعا يقول تعالى ذكره فان الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة لا شريك له فيها وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد لانه لا يعازه شئ هو السميع العليم يقول وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه محصى ذلك عليهم كله وهو لهم بالمرصاد وكسرت ان من قوله ان العزة لله جميعا لأن ذلك خبر من الله مبتدأ ولم يعمل فيها القول لان القول عني به قول المشركين وقوله ان العزة لله جميعا لم يكن من قيل المشركين ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان لله يا محمد كل من في السموات ومن في الارض ملكا وعبيدا لا مالك لشئ من ذلك سواه يقول فكيف يكون الها معبودا من يعبده هؤلاء المشركون من الأوثان والاصنام وهي لله ملك وانما العبادة للمالك دون المملوك وللرب دون المربوب وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يقول جل ثناؤه وأي شئ يتبع من يدعو من دون الله يعني غير الله وسواه شركاء ومعنى الكلام أي شئ يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا والله المنفرد بملك كل شئ في سماء كان أو أرض ان يتبعون الا الظن يقول ما يتبعون في قيلهم ذلك ودعواهم الا الظن يقول الا الشك لا اليقين وان هم الا يخرصون يقول وان هم الا يتقولون الباطل تظننا وتخرصا للافك عن غير علم منهم بما يقولون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة هو الرب الذي جعل لكم الليل وفصله من النهار لتسكنوا فيه مما كنتم فيه في نهاركم من التعب والنصب وتهدؤا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار والنهار مبصرا يقول وجعل النهار مبصرا فأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم وذلك كما قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت ومالي المطي بنائم

فأضاف النوم الى الليل ووصفه به ومعناه نفسه أنه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره يقول تعالى ذكره فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون لا ما لا ينفع ولا يضر ولا يفعل شيأ وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يقول تعالى ذكره ان في اختلاف حال الليل والنهار وحال أهلهما فيهما دلالة وحجاجا على أن الذي له العبادة خالصا بغير شريك هو الذي خلق الليل والنهار وخالف بينهما بان جعل هذا للخلق سكنا وهذا لهم معاشا دون من لا يخلق ولا يفعل شيأ ولا يضر ولا ينفع

عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية يحكى أن ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور رحالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءه السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما أصبح زالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على بدنه فأظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما غاب ذلك الوارد فانا أضعف خلق الله ثم أخبر الله سبحانه عنهم بأن (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فقيل بشراهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياهم بالثناء الحسن عن أبي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن والدليل العقلي عليه أن الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل أحد اذا أنصفه ولم يحسده ولا كمال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي أي قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد أن النبي صلى الله عليه وسلم استنبئ بعد أربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلاث وستون سنة وكان يأتيه الوحي أولا بطريق المنام ستة أشهر ونسبة هذه المدة الى ثلاث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة

الاعرج

وقال لقوم يسمعون لا المراد منه الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها فيعتبرون بها ويتعظون ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم ثم يعرضون عن عبره وعظاته ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون بالله من قولك يا محمد اتخذ الله ولدا وذلك قولهم الملائكة بنات الله يقول الله منزها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك سبحان الله تنزيها لله عما قالوا وادعوا على ربهم هو الغني يقول الله غني عن خلقه جميعا فلا حاجة به الى ولد لأن الولد انما يطلبه من يطلبه ليكون عونا له في حياته وذكرا له بعد وفاته والله عن كل ذلك غني فلا حاجة به الى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد فيكون به حاجة الى خلف بعده له ما في السموات وما في الارض يقول تعالى ذكره لله ما في السموات وما في الارض ملكا والملائكة عباده وملكه فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا يقول أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون ان عندكم من سلطان بهذا يقول ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها وهي السلطان أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الذين يفترون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويدعون له ولدا لا يفلحون يقول لا يبقون في الدنيا ولكن لهم متاع في الدنيا يتمتعون به وبلاغ يتبلغون به الى الأجل الذي كتب فناؤهم فيه ثم الينا مرجعهم يقول ثم اذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم الينا مصيرهم ومنقلبهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وذلك اصلاؤهم جهنم بما كانوا يكفرون بالله في الدنيا فيكذبون رسله ويجحدون آياته ورفع قوله متاع بمضمر قبله اما ذلك واما هذا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولدا من قومك نبأ نوح يقول خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي يقول ان كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشق عليكم وتذكيري بآيات الله يقول ووعظي اياكم بحجج الله وتنبيهي اياكم على ذلك فعلى الله توكلت يقول ان كان شق عليكم مقامي بين أظهركم وتذكيري بآيات الله فعزمتم على قتلي أو طردي من بين أظهركم فعلى الله اتكالي وبه ثقتي وهو سندي وظهري فأجمعوا أمركم يقول فأعدوا أمركم واعزموا على ما تقدمون عليه في أمري يقال منه أجمعت على كذا بمعنى عزمت عليه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له بمعنى من لم يعزم ومنه قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمري مجمع

وروى عن الاعرج في ذلك ما حدثني بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هرون عن أسيد عن

وأربعين واما أن الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك وعن عطاء البشرى فى الدنيا هى البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة واما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة ومايرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم ومايقرؤن منها الى آخر أحوالهم فى الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا إخلاف لمواعيده وقد مر مثله فى الانعام (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج قال القاضى لا تبديل لكلمات الله يدل على أنها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع أن يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفى شئ عن شئ لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك له ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك أو نقول انه كما أزال الحزن عنه فى الآخرة بقوله ألا ان أولياء الله أزال الحزن عنه فى الدنيا بقوله (ولا يحزنك قولهم) أى تكذيبهم لك وتهديدهم بالخدم والاموال وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك وبالجملة كل ما يتكلمون به فى شأنك من المطاعن والقوادح ثم استأنف قوله (ان العزة لله) كأنه قيل مالى لا أحزن فقيل لان العزة لله (جميعا) ان الغلبة والقهر له ولحزبه كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وقرئ أن بالفتح لا على أنه بدل فان ذلك يؤدى الى أن القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التعليل لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واثقا بوعد الله تعالى فى جميع الاحوال وان كان قد يقع فى بعض الحروب والوقائع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم أكد الوعد بقوله (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد فى التأكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) فخصص ذوى العقول اما للتغليب واما لان الآية سيقت

الاعرج فأجمعوا أمركم وشركاءكم يقول أحكموا أمركم وادعوا شركاءكم ونصب قوله وشركاءكم بفعل مضمر له وذلك وادعوا شركاءكم وعطف بالشركاء على قوله أمركم على نحو قول الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

فالرمح لا يتقلد ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف فكذلك ذلك فى قوله وشركاءكم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار وشركاءكم نصبا وقوله فأجمعوا بهمز الالف وفتحها من أجمعت أمرى فأنا أجمعه اجماعا وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه فأجمعوا أمركم بفتح الالف وهمزها وشركاؤكم بالرفع على معنى وأجمعوا أمركم وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم * والصواب من القول فى ذلك قراءة من قرأ فأجمعوا أمركم وشركاءكم بفتح الالف من أجمعوا ونصب الشركاء لانها فى المصحف بغير واو ولاجماع الحجة على القراءة بها ورفض ما خالفها ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم وقوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة يقول ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم غم على الناس الهلال وذلك اذا أشكل عليهم فلم يتبينوه ومنه قول رؤبة

بل لو شهدت الناس اذ تكموا * بغمة لم تفرج غموا

وقيل ان ذلك من الغم لان الصدر يضيق به ولا يتبين صاحبه لامره مصدرا يصدره يتفرج عنه ما بقلبه ومنه قول خنساء

وذى كربة راخى ابن عمرو خناقه * وغمته عن وجهه فتجلت

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أمركم عليكم غمة قال لا يكبر عليكم أمركم وأما قوله ثم اقضوا الى فان معناه ثم امضوا الى ما فى أنفسكم وافرغوا منه كما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما كنتم قاضين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما فى أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله ثم اقضوا الى فقال بعضهم معناه امضوا الى كما يقال قد قضى فلان يراد قدمات ومضى * وقال آخرون منهم بل معناه ثم افرغوا الى وقالوا القضاء الفراغ والقضاء من ذلك قالوا وكأن قضى دينه من ذلك انما هو فرغ منه وقد حكى عن بعض القراء أنه قرأ ذلك ثم أفضوا الى بمعنى توجهوا الى حتى تصلوا الى من قولهم قد أفضى الى الوجع وشبهه وقوله ولا تنظرون يقول ولا تؤخرون من قول القائل أنظرت فلانا بما لى عليه من الدين وانما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه انه بنصرة الله له عليهم واثق ومن كيدهم وتوائقهم غير خائف واعلام منه لهم أن آلهتهم لا تضره ولا تنفعه يقول لهم امضوا ما تحدثون أنفسكم به فى على عزم منكم صحيح واستعينوا مع من شايعكم على بآلهتكم التى تدعون من دون الله ولا تؤخروا ذلك فانى قد توكلت على الله وأنابه واثق أنكم لا تضرونى الا أن يشاء ربى وهذا وان كان خبرا من الله تعالى عن نوح فانه حث من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسى به وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من

لبيان فساد عقائد أهل الشرك فذكر أن العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح أحد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام أولى بأن لا يكون ندا له ثم أكد هذا المعنى بقوله (وما يتبع) ما نافية ومفعول يدعون محذوف أى ليس يتبع (الذين يدعون من دون الله شركاء) شركاء فى الحقيقة انما هى أسماء لا مسميات لها لان شركة الله فى الربوبية محال وانما حذف أحد المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثانى مفعول يتبع ويجوز أن تكون ما استفهامية بمعنى أى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى اضمار ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم زاد فى التأكيد فقال (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقد مر مثله فى سورة الانعام ثم ذكر طرفا من آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) طلبا للراحة (والنهار مبصرا) ذا ابصار باعتبار صاحبه أى جعله مضيئا لتهتدوا به فى حوائجكم وهذان طرفان من منافع الليل والنهار (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تأمل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا آخر من أباطيلهم فقال (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) وقد مر فى البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله (هو الغنى) وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا أجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وأيضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذى يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلى القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وأيضا الغنى لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح أن يتولد منه مثله لصح أن يكون هو أيضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ فى البرهان فقال (له ما فى السموات وما فى الارض) واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شئ منها ولدا له لان الاب يساوى الابن فى الطبيعة بخلاف الملاك ثم

الرسالة والبلاغ عنه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه فان توليتم أيها القوم عنى بعد دعائى اياكم وتبليغ رسالة ربى اليكم مدبرين فأعرضتم عما دعوتكم اليه من الحق والاقرار بتوحيد الله واخلاص العبادة له وتركتم اشراك الآلهة فى عبادته فتضييع منكم وتفريط فى واجب حق الله عليكم لا بسبب من قبلى فانى لم أسألكم على ما دعوتكم اليه أجرا ولا عوضا أعتاضه منكم باجابتكم اياى الى ما دعوتكم اليه من الحق والهدى ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء ان أجرى الا على الله يقول جل ثناؤه ان جزائى وأجر عملى وثوابه الا على ربى لا عليكم أيها القوم ولا على غيركم وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرنى ربى أن أكون من المذعنين له بالطاعة المنقادين لامره ونهيه المتذللين له ومن أجل ذلك أدعوكم اليه وبأمره آمركم بتركتم عبادة الاوثان ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى فنجيناه ومن معه ممن حمل معه فى الفلك يعنى فى السفينة وجعلناهم خلائف يقول وجعلنا الذين نجيناهم مع نوح فى السفينة خلائف فى الارض من قومه الذين كذبوه بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا يعنى بحججنا وأدلتنا على توحيدنا ورسالة رسولنا نوح يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله على تكذيبهم اياه وعبادتهم الاصنام يقول له جل ثناؤه انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم فان عاقبة من كذب من قومك ان تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذى كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه يقول جل ثناؤه فليحذروا أن يحل بهم مثل الذى حل بهم ان لم يتوبوا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم فأتوهم ببينات من الحجج والأدلة على صدقهم وأنهم لله رسل وأن ما يدعونهم اليه حق فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يقول فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الامم الخالية من قبلهم كذلك نطبع على قلوب المعتدين يقول تعالى ذكره كما طبعنا على قلوب أولئك ختمنا عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ولا يستجيبون لدعائهم اياهم الى ربهم بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه فتجاوز ما أمره به من توحيده وخالف ما دعاهم اليه رسلهم من طاعته عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح الى قومهم موسى وهرون ابنى عمران الى فرعون مصر وملئه يعنى وأشراف قومه وسادتهم بآياتنا يقول بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم اليه من الاذعان لله بالعبودة والاقرار لهما بالرسالة فاستكبروا يقول فاستكبروا عن الاقرار بما دعاهم اليه موسى وهرون وكانوا قوما مجرمين يعنى آثمين بربهم بكفرهم بالله تعالى

زيف دعواهم الفاسدة فقال (ان عندكم من سلطان بهذا) أى ما عندكم من حجة بهذا القول قال فى الكشاف والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان أقول كأنه نظر الى أن استعمال الباء بمعنى فى أكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال (أتقولون على الله مالا تعلمون) ثم أوعدهم على افترائهم فقال (قل ان الذين يفترون) الآية ثم بين أن ذلك المفترى ان فاز بشئ من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة من رياسة ظاهرة وغرض زائل فذلك (متاع قليل) فى الدنيا ثم لا بد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الاليم أعاذنا الله منه ﴿التأويل وما تكون فى شأن من النبوة وما تتلو من شأن النبوة من قرآن ولا تعملون يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من عمل من الاعمال من قبول القرن ورده من مثقال ذرة مما أظهر من حركة فى أرض البشرية بعمل من أعمال الخير والشر ولا فى السماء أى فى سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا أصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا أكبر من النية وهو العمل ألا ان أولياء الله الذين هم أعداء النفوس لا خوف عليهم من تمنى النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى فى الحياة الدنيا بالوقائع والمبشرات وفى الآخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الأزلية حيث قال للولى كن وليا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركى النفوس فى تزيين شهوات الدنيا ولذاتها فى نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء فى الدنيا وفى الآخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الآخرة بل ربما يعينه على الآخرة كما جاء فى الحديث الربانى وان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى فان أفقرته يفسده ذلك ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض أى القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن أى يظنون أنهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذى جعل لكم ليل البشرية لتستريحوا فيه من تعب

﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءهم الحق من عندنا يعنى فلما جاءهم بيان ما دعاهم اليه موسى وهرون وذلك الحجج التى جاءهم بها وهى الحق الذى جاءهم من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون أنه يبين لمن رآه وعاينه أنه سحر لا حقيقة له قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم من عند الله أسحر هذا واختلف أهل العربية فى سبب دخول ألف الاستفهام فى قوله أسحر هذا فقال بعض نحويى البصرة أدخلت فيه على الحكاية لقولهم لانهم قالوا أسحر هذا فقال أتقولون أسحر هذا وقال بعض نحويى الكوفة انهم قالوا هذا سحر ولم يقولوه بالالف لان أكثر ما جاء بغير ألف قال فيقال فلم أدخلت الالف فيقال قد يجوز أن تكون من قبلهم وهم يعلمون أنه سحر كما يقول الرجل للجائزة اذا أتته أحق هذا وقد علم أنه حق قال وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم أسحر هذا ما أعظمه وأولى ذلك فى هذا بالصواب عندى أن يكون المقول محذوفا ويكون قوله أسحر هذا من قيل موسى منكرا على فرعون وملئه قولهم للحق لما جاءهم سحر فيكون تأويل الكلام حينئذ قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم وهى الآيات التى أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه سحر أسحر هذا الحق الذى ترونه فيكون السحر الاول محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى أسحر هذا على أنه مراد فى الكلام كما قال ذو الرمة

فلما لبسن الليل أو حين نصبت * له من خذا آذانها وهو جانح

يريد أو حين أقبل ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكما قال جل ثناؤه فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم والمعنى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه فى أشباه لما ذكرنا كثيرة يتعب احصاؤها وقوله ولا يفلح الساحرون يقول ولا ينجح الساحرون ولا يبقون

﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون وملؤه لموسى أجئتنا لتلفتنا يقول لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا من قبل مجيئك من الدين يقال منه لفت فلان عنق فلان اذا لواها كما قال ذو الرمة * لفتا وتهزيعا سواء اللفت * التهزيع الدق واللفت اللى كما

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتلفتنا قال لتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا وقوله وتكون لكما الكبرياء فى الارض يعنى العظمة وهى الفعلياء من الكبر ومنه قول ابن الرقاع

سودا غير فاحش لابدا * نمه تحباره ولا كبرياء

حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الملك * قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال السلطان فى الارض * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال الملك فى الارض * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الطاعة

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الملك * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله

حدثنى

المجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة ونهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقى فى المقامات لقوم يسمعون حقائق القرآن بسمع القلوب الواعية ثم أخبر عن الشبهات التى تقع فى أثناء السلوك قالوا أى مشركو النفوس عند تجلى الروح بالخلافة فى صفة الربوبية معترفا بتجلى صفة ابداع الحق ومبدعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى تثبت الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذ البنوة أخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف والابتداء هو مبتدأ ضلالة اليهود والنصارى له ما فى السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما فى الارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والآفات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقائق ثم نذيقهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فأحسوا بالالم والله أعلم

﴿واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه

الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد قال السلطان فى الارض وهذه الاقوال كلها متقاربات المعانى وذلك أن الملك سلطان والطاعة ملك غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت فى كلام العرب ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك وقوله وما نحن لكما بمؤمنين يقول وما نحن لكما يا موسى وهرون بمؤمنين يعنى بمقرين بانكما رسولان أرسلتما الينا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لقومه ائتونى بكل من يسحر من السحرة عليم بالسحر فلما جاء السحرة فرعون قال موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم وفى الكلام محذوف قد ترك وهو فأتوه بالسحرة فلما جاء السحرة ولكن اكتفى بدلالة قوله فلما جاء السحرة على ذلك فترك ذكره وكذلك بعد قوله ألقوا ما أنتم ملقون محذوف أيضا قد ترك ذكره وهو فألقوا حبالهم وعصيهم فلما ألقوا قال موسى ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه فترك ذكره ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره فلما ألقوا ما أتوا به ملقوه قال لهم موسى ما جئتم به السحر واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ما جئتم به السحر على وجه الخبر من موسى عن الذى جاءت به سحرة فرعون انه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم قال موسى الذى جئتم به أيها السحرة هو السحر وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين والبصريين ما جئتم به آلسحر على وجه الاستفهام من موسى الى السحرة عما جاؤا به أسحر هو أم غيره وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام لان موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له فيحتاج الى استخبار السحرة عنه أى شئ هو وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة انما جاءهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذى كان الله آتاه فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه فى الخبر عما جاؤا به من الباطل فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاؤا به من ذلك بالحق الذى أتاه ومبطل كيدهم بجده وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخرى فان قال قائل فما وجه دخول الالف واللام فى السحر ان كان الامر على ما وصفت وأنت تعلم أن كلام العرب فى نظير هذا أن يقولوا ما جاءنى به عمرو درهم والذى أعطانى أخوك دينار ولا يكادون أن يقولوا الذى أعطانى أخوك الدرهم وما جاءنى به عمرو الدينار قيل له بلى كلام العرب ادخال الالف واللام فى خبر ما والذى اذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب بل لا يجوز اذا كان ذلك كذلك الا بالالف واللام لان الخبر حينئذ خبر عن شئ بعينه معروف عند الفريقين وانما يأتى ذلك بغير الالف اذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شئ بعينه فحينئذ لا تدخل الالف واللام فى الخبر وخبر موسى كان خبرا عن معروف عنده وعند السحرة وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التى جعلها الله علما له على صدقه ونبوته الى أنه سحر فقال لهم موسى السحر الذى وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة هو الذى جئتم به أنتم لا ما جئتكم به أنا ثم أخبرهم أن الله سيبطله فقال ان الله سيبطله يقول سيذهب به

على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى

به فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى فحولها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شئ ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعنى انه لا يصلح عمل من سعى فى أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى بن كعب ما أتيتم به سحر وفى قراءة ابن مسعود ما جئتم به سحر وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخترنا من القراءة فيه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى انه قال للسحرة ويحق الله الحق يقول ويثبت الله الحق الذى جئتكم به من عنده فيعليه على باطلكم ويصححه بكلماته يعنى بأمره ولو كره المجرمون يعنى الذين اكتسبوا الاثم بربهم بمعصيتهم اياه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة الا ذرية من قومه خائفين من فرعون وملئهم * اختلف أهل التأويل فى معنى الذرية فى هذا الموضع فقال بعضهم الذرية القليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال كان ابن عباس يقول الذرية القليل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه الذرية القليل كما قال الله تعالى كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين * وقال آخرون معنى ذلك فما آمن لموسى الا ذرية من أرسل اليه موسى من بنى اسرائيل لطول الزمان لان الآباء ماتوا وبقى الأبناء فقيل لهم ذرية لانهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل اليهم موسى عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال أولاد الذين أرسل اليهم من طول الزمان وموت آبائهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال أولاد الذين أرسل اليهم موسى من طول الزمان وموت آبائهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش فما من لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال أبناء أولئك الذين أرسل اليهم فطال عليهم الزمان وماتت باؤهم * وقال آخرون بل معنى ذلك فما آمن لموسى الا ذرية من قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال كانت الذرية التى آمنت لموسى من أناس غير بنى اسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وقد روى عن ابن عباس خبر يدل على خلاف هذا القول وذلك ما حدثنى به المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذرية من قومه يقول بنى اسرائيل فهذا الخبر

ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾

﴿القراآت وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان أجرى بفتح الياء حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمر وابن عامر وحفص ويكون لكما بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التأنيث آلسحر بالمد يزيد وأبو عمرو أن تبوءا بالياء الخراز وحمزة فى الوقف وان شاء لين الهمزة الآخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غير الحلوانى عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفى كلتا القراءتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلوانى عن هشام تتبعان بتشديدها فى الحالين آمنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف بدلا من آمنت حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح وقتيبة والآخرون بالتشديد ﴿الوقوف نأنوح م لئلا يوهم أن اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون ٥ من أجرط على الله ج لان التقدير وقد أمرت من المسلمين ٥ بآياتنا ج للفاء ولان أمر النظر للعبرة يقتضى التثبت للتدبر المنذرين ٥ من قبل ط المعتدين ٥

مجرمين ٥ مبين ٥ لما جاءكم ط بناء على أن التقدير أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله أسحر يستحق الابتداء وسيجيء له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون ٥ في الارض ط بمؤمنين ٥ عليم ٥ ملقون ٥ ما جئتم به ط لمن قرأ آلسحر مستفهما السحر ط سيبطله ط المفسدين ٥ (١٠٤) المجرمون ٥ أن يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام المسرفين ٥ مسلمين ٥ توكلنا ج للعدول مع اتحاد القائل الظالمين ٥ لا للعطف الكافرين ٥ ج وأقيموا الصلاة ط لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وان أريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين ٥ الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله آتيت وربنا تكرار للاول لاجل التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الأليم ٥ لا يعلمون ٥ وعدوا ط الغرق لا لان قال جواب اذا المسلمين ٥ المفسدين ٥ آية ط لغافلون ٥ ۞ التفسير لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب أقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد التي سبق ذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها أنه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان أي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أي ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها أن يراد به المكث أي شق عليكم مكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة الا خمسين عاما ولا شك أن من ألف طريقة ويدعى الى خلافها ولا سيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها أن يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون الى على أرجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله (فعلى الله توكلت) أي ان شدة بغضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي وأنا لا أقابل ذلك الشر

ينبئ عنه أنه كان يرى ان الذرية في هذا الموضع هم بنو اسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون * وأولى هذه الاقوال عندي بتأويل الآية القول الذي ذكرته عن مجاهد وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل اليه موسى من بني اسرائيل فهلكوا قبل أن يقروا بنبوته لطول الزمان فأدركت ذريتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى وانما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لانه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فلأن تكون الهاء في قوله من قومه من ذكر موسى لقربها من ذكره أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها اذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر وبعد فان في قوله على خوف من فرعون وملئهم الدليل الواضح على أن الهاء في قوله الا ذرية من قومه من ذكر موسى لا من ذكر فرعون لانها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام على خوف منه ولم يكن على خوف من فرعون وأما قوله على خوف من فرعون فانه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى فتأويل الكلام فما آمن لموسى الا ذرية من قومه من بني اسرائيل وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم وقد زعم بعض أهل العربية أنه انما قيل فما آمن لموسى الا ذرية من قومه لان الذين آمنوا به انما كانت أمهاتهم من بني اسرائيل وآباؤهم من القبط فقيل لهم الذرية من أجل ذلك كما قيل لابناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم أبناء والمعروف من معنى الذرية في كلام العرب أنها أعقاب من نسبت اليه من قبل الرجال والنساء كما قال الله جل ثناؤه ذرية من حملنا مع نوح وكما قال ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ثم قال بعد وزكريا ويحيى وعيسى والياس فجعل من كان من قبل الرجال والنساء من ذرية ابراهيم وأما قوله وملئهم فان الملأ الاشراف وتأويل الكلام على خوف من فرعون ومن أشرافهم واختلف أهل العربية فيمن عنى بالهاء والميم اللتين في قوله وملئهم فقال بعض نحويي البصرة عنى بها الذرية وكأنه وجه الكلام الى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأ الذرية من بني اسرائيل وقال بعض نحويي الكوفة عنى بهما فرعون قال وانما جاز ذلك وفرعون واحد لان الملأ اذا ذكر لخوف أو سفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم اليه والى من معه وقال ألا ترى أنك تقول قدم الخليفة فكثر الناس تريد بمن معه وقدم فغلت الاسعار لا تنوي بقدومه قدوم من معه قال وقد يكون أن يريد بفرعون آل فرعون ويحذف آل فرعون فيجوز كما قال واسئل القرية تريد أهل القرية والله أعلم قال ومثله قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال الهاء والميم عائدتان على الذرية ووجه معنى الكلام الى أنه على خوف من فرعون وملأ الذرية لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل اليهم موسى من كان أبوه قبطيا وأمه اسرائيلية فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى وقوله أن يفتنهم يقول كان ايمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب فيصدهم عن دينهم ويحملهم على الرجوع عن ايمانهم والكفر بالله وقال أن يفتنهم فوحد ولم يقل أن يفتنوهم (١) لدليل الخبر عن فرعون بذلك أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدم من قوله على خوف من فرعون وملئهم وقوله وان فرعون لعال في الارض يقول تعالى ذكره وان فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه وانه لمن المسرفين وانه لمن المتجاوزين الحق

(١) لعل في العبارة تحريفا شوشها والغرض ظاهر تأمل كتبه مصححه

بالتوكل على الله فان ذلك هجيرى قديما وحديثا وإما قوله فأجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت أنكرت على شيأ فالله حسبى فاعمل ما تريد ولا يحسن أن يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فأجمعوا أمركم اعزموا عليه من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفراء وقال أبو الهيثم أجمع أمره أى جعله جميعا بعدما كان متفرقا وتفرقه أنه يقول مرة أفعل كذا ومرة أفعل كذا فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه أى جعله جميعا فهذا هو الاصل فى الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل أجمعت على الامر أى عزمت عليه والفصيح أجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه أى مع شركائكم ومن قرأ بالرفع جعله عطفا على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تأكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما من هم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم أنه عليه السلام قال فى أول الامر فعلى الله توكلت ليدل على أنه واثق بوعد الله جازم بأن تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم أورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا أمركم كأنه قال حصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى أنفسكم شركاءكم الذين تزعمون أن حالكم يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) قال أبو الهيثم أى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم أى التبس وقال الليث لقى غمة من أمره اذا لم يهتد له وقال الزجاج أى ليكن أمركم الذى أجمعتموه ظاهرا منكشفا أى تجاهروننى بالاهلاك بسببى غصة وحالكم عليكم غمة أى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا آخر فقال (ثم اقضوا الىّ) ذلك الامر الذى تريدون بى أى أدوا الىّ قطعه واحكموا بصحته وامضائه وعن القفال أن فيه تضمينا والمعنى ألقوا الىّ ما استقر عليه رأيكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام

الى الباطل وذلك كفره بالله وتركه الايمان به وبجوده وحدانية الله واتخاذه لنفسه الالوهة وسفكه الدماء بغير حلها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه يا قوم ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وصدقتم بربوبيته فعليه توكلوا يقول فبه فثقوا ولأمره فسلموا فانه لن يخذل وليه ويسلم من توكل عليه ان كنتم مسلمين يقول ان كنتم مذعنين لله بالطاعة فعليه توكلوا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فقال قوم موسى لموسى على الله توكلنا أى به وثقنا واليه فوضنا أمرنا وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يقول جل ثناؤه مخبرا عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين ولا تمتحنهم بنا يعنون قوم فرعون وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى سألوه ربهم من اعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم فقال بعضهم سألوه أن لا يظهرهم عليهم فيظنوا أنهم خير منهم وأنهم انما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهو ان الآخرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال قالوا لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تسلطهم علينا فيفتنونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تسلطهم علينا فيفتنونا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيضلونا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال أيضا فيفتنونا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تعذبنا بأيدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا فيفتنوا بنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تعذبنا بأيدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا فيفتنوا بنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم فيفتنوا ويقولوا لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم وما عذبوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تبتلنا ربنا فتجهدنا وتجعله فتنة لهم هذه الفتنة وقرأ فتنة للظالمين قال المشركون حين كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ويرمونهم أليس ذلك فتنة لهم وسوأ لهم وهى بلية للمؤمنين * والصواب من

بقوله (ولا تنظرون) أى عجلوا ذلك بأشد ما تقدرون عليه من غير اهمال ومعلوم أن مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ فى التوكل الغاية القصوى ثم بين أن كل ما أتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس فقال (فان توليتم) أعرضتم عن نصحى وتذكيرى (فما سألتكم من أجر) فما كان عندى ما ينفركم عنى وتتهمونى لاجله من طمع أو غرض عاجل (ان أجرى) ليس أجرى (الا على الله) أى ما نصحتكم الا لوجهه ولا يثبينى الا هو وفى الآية نكتة كأنه أراد أنه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى الله توكلت الى آخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الآية (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى سواء قبلتم دين الاسلام أو لم تقبلوه فأنا مأمور بأن أكون على دين الاسلام أو مأمور بالاستسلام لكل ما ألقى من قبل هذه الدعوة (فكذبوه) بقوا على تكذيبهم الى آخر المدة المتطاولة (فنجيناه ومن معه فى الفلك) قد ذكرنا فى الأعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنا لك (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لشأن اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح (رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) الآية وقد مر تفسيرها فى أواسط الاعراف الا أنه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله وهو كذبوا بآياتنا وكذلك فى الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء (ثم بعثنا من بعدهم) بعد الرسل أو الامم (بآياتنا) يعنى الآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوى آثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات أما قوله (أسحر هذا) فليس بقول لقوله أتقولون لانهم قطعوا فى قوله ان هذا لسحر مبين بأنه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه أن يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة أى مطاعن الناس فكأنه قال أتعيبون الحق وتطعنون

القول فى ذلك أن يقال ان القوم رغبوا الى الله فى أن يجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء لكل ما كان من أمر كان لهم مصدة عن اتباع موسى والاقراربه وبما جاءهم به فانه لا شك أنه كان لهم فتنة وكان من أعظم الامور لهم ابعادا من الايمان بالله ورسوله وكذلك من المصدة كان لهم عن الايمان أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة فى أنفسهم من بلية تنزل بهم فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادا القوم فرعون عن الايمان بالله بأسبابهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ونجنا يا ربنا برحمتك فخلصنا من أيدى القوم الكافرين قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاشياء القذرة من خدمتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتا يقال منه تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه وكذلك تبوأ مصحفا اذا اتخذه وبوأته أنا بيتا اذا اتخذته له واجعلوا بيوتكم قبلة يقول واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله واجعلوا بيوتكم قبلة فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حميد عن عكرمة عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة قال مساجد حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال أمروا أن يتخذوها مساجد * قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا فقال لهم اجعلوا بيوتكم قبلة يقول اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال خافوا فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شبل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا لا يصلون الا فى البيع وكانوا لا يصلون الا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم * قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانت بنو اسرائيل تخاف فرعون فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول مساجد * قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يصلون فى بيوتهم يخافون حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن أبى سنان عن الضحاك أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد حدثنا

فيه ثم أنكر عليهم قولهم فقال أسحر هذا أو يقال مفعول تقولون محذوف وهو قولهم ان هذا السحر مبين أو يقال جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا منكرين لما جاء به أجئتمونا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح السحرة لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه (قالوا أجئتنا لتلفتنا) التركيب يدل على الالتواء ومنه (١٠٧) الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو

ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال قال أبى زيدا جعلوا فى بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة * وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة يعنى الكعبة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين قال قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ألا ترى أنه يقول فى بيوت أذن الله أن ترفع حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا فى الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة ثم ذكر مثله سواء * قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا مساجد * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة قال وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم فى بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بيوتكم قبلة قال نحو القبلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق عن أبى سنان عن الضحاك وأحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة * وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير واجعلوا بيوتكم قبلة قال يقابل بعضها بعضا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى قدمنا بيانه وذلك أن الاغلب من معانى البيوت وان كانت المساجد بيوتا البيوت المسكونة اذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد لان المساجد لها اسم هى به معروفة خاص لها وذلك المساجد فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشئ ولا اضافتها الى شئ فالبيوت المسكونة وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس اياها فى قبل المساجد والصلوات فاذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز توجيه معانى كلام الله الا الى الاغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذى نزل به دون الخفى المجهول مالم تأت دلالة تدل على غير ذلك ولم يكن على قوله واجعلوا بيوتكم قبلة دلالة تقطع

الصرف واللى (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) أى الملك والعز فى أرض مصر قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضا فالنبى صلى الله عليه وسلم اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته اليه وصار أكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل أنهم علموا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص فى طلب الدنيا والجد فى بقاء الرياسة ويجوز أن يقصد ذمهما وأنهما ان ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين (وما نحن لكما بمؤمنين) ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة فى الاعراف أما قوله ما جئتم به فمعناه الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذى سبق كأنهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع فى وهمه أنه يسأل عن الرجل الذى ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فالاستفهام يبتدأ وجئتم به خبره كأنه قيل أى شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ آلسحر أى أهو لسحر أو السحر جئتم به (ان الله سيبطله) باظهار المعجزة عليه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يؤيده بجميل الخاتمة (ويحق الله الحق) يثبته (بكلماته) بمواعيده أو بما سبق من قضائه أو بأوامره (فما آمن لموسى) أى فى أول أمره (الا ذرية من قومه) قال ابن عباس لفظة الذرية يعبر بها عن القوم على وجه التحقير ولا ريب أن المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد

أولاد من أولاد قومه كأنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف من فرعون أن يصرفهم عن دينهم بتسليط أنواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية أقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وأمهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة (١٠٨) خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى أظهر لانه أقرب المذكورين ولما نقل أن الذين آمنوا به كانوا من بني اسرائيل والضمير في (ملئهم) اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو أصحاب يأتمرون له أو المراد آل فرعون بحذف المضاف أو للذرية يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم يدل على ذلك قوله (أن يفتنهم) أي يعذبهم فرعون ثم أكد أسباب الخوف بقوله (وان فرعون لعال) لغالب (في الارض) أرض مصر (وانه لمن المسرفين) في القتل والتعذيب أو لمن المجاوزين الحد لانه من أخس العبيد فادعى الربوبية العليا (وقال موسى) تثبيتا لقومه (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) خصوه بتفويض أموركم اليه (ان كنتم مسلمين) قال العلماء المؤخر في مثل هذه السورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك قوة فان ضربك زيد فاضربه فكأنه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بأنه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع أموركم اليه وحده (فقالوا) مؤتمرين لموسى (على الله توكلنا) ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة) أي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم أو صرفهم عن دينهم أو المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار من ذلك شبهة لهم في أنا لسنا على الحق ويجوز أن تكون الفتنة بمعنى المفتون أي لا تجعلنا مفتونين بأن تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في أن يصون دينهم عن الفساد أتبعوه سؤال عصمة أنفسهم فقالوا (ونجنا) الآية وفي ذلك دليل على أن عنايتهم

العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب لم يجز لنا توجيهه الى غير الظاهر الذي وصفنا وكذلك القول في قوله قبلة وأقيموا الصلاة يقول تعالى ذكره وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها وقوله وبشر المؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام وبشر مقيمي الصلاة المطيعي الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره وقال موسى يا ربنا انك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم وهم الملأ زينة من متاع الدنيا وأثاثها وأموالا من أعيان الذهب والفضة في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك يقول موسى لربه ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا الناس عن سبيلك ويصدوهم عن دينك وقرأ ذلك آخرون ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا هم عن سبيلك فيجوروا عن طريق الهدى فان قال قائل أفكان الله جل ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليضلوا الناس عن دينه أو ليضلوا هم عنه فان كان لذلك أعطاهم ذلك فقد كان منهم ما أعطاهم لأجله فلا عتب عليهم في ذلك قيل ان معنى ذلك بخلاف ما توهمت وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله ليضلوا فقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك ربنا فضلوا عن سبيلك كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا وانما التقطوه فكان لهم قال فهذه اللام تجيء في هذا المعنى وقال بعض نحويي الكوفة هذه اللام لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا ثم دعا عليهم وقال آخر هذه اللامات في قوله ليضلوا وليكون لهم عدوا وما أشبهها بتأويل الخفض آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم والتقطوه لكونه لانه قد آلت الحالة الى ذلك والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخفض ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى قال الله تعالى يحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم أي لاعراضكم ولم يحلفوا لاعراضهم وقال الشاعر

سموت ولم تكن أهلا لتسمو * ولكن المضيع قد يصاب

قال وانما يقال وما كنت أهلا للفعل ولا يقال لتفعل الا قليلا قال وهذا منه * والصواب من القول في ذلك عندي أنها لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والاموال لتفتنهم فيه ويضلوا عن سبيلك عبادك عقوبة منك وهذا كما قال جل ثناؤه لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم هذا دعاء من موسى دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها ويبدلها الى غير الحال التي هي بها وذلك نحو قوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها يعني به من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي بها يقال منه طمست عينه أطمسها وأطمسها طمسا وطموسا وقد تستعمل العرب الطمس في العفو والدثور وفي الاندقاق والدروس كما قال كعب بن زهير

من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك في هذا الموضع فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا ذكر

بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب أن تكون عقيدة كل مسلم والله الموفق (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فنهم من ذهب الى أنها المساجد كقوله في بيوت أذن الله أن ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أن يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس أو الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنه بأمر الله تعالى في أيام نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة أي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة أما السبب في اتخاذ هذه البيوت فأن يصلوا في بيوتهم خفية خيفة من الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في أول الاسلام بمكة أو المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما أظهر فرعون العداوة الشديدة أمر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل أن يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب أولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلاة واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير في قوله (وبشر المؤمنين) لان الغرض الأصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشأن البشارة والمبشر (قال الضعيف مؤلف الكتاب) قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة أن الخطاب في قوله وبشر المؤمنين لنبينا صلى الله عليه وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون البشارة أنه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم أمروا باتخاذ موضع يرجعون اليه البتة للعبادة والله أعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا

من قال ذلك **حدثني** زكريا بن يحيى بن زائدة قال ثنا حجاج قال ثنى ابن جريج عن عبد الله ابن كثير قال بلغنا عن القرظي في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال اجعل سكرهم حجارة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن محمد بن كعب القرظي قال اجعل سكرهم حجارة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية اطمس على أموالهم قال اجعلها حجارة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس في قوله اطمس على أموالهم قال صارت حجارة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن زرعهم تحولت حجارة **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة **حدثنا** المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان ربنا اطمس على أموالهم قال يقولون صارت حجارة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى الحماني قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال صارت حجارة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن حروثهم صارت حجارة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال قد فعل ذلك وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شئ * وقال آخرون بل معنى ذلك أهلكها ذكر من قال ذلك **حدثني** زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا اطمس على أموالهم قال أهلكها **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس ربنا اطمس على أموالهم يقول دمر عليهم وأهلك أموالهم وأما قوله واشدد على قلوبهم فانه يعني واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالايمان **كما حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس وقال موسى قبل أن يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له وحال بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس واشدد على قلوبهم يقول واطبع على قلوبهم حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم بالضلالة * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم قال بالضلالة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثت**

سبب الدعاء عليه فلهذا (قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا) فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب وأثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله (ليضلوا) لام التعليل كأن موسى عليه السلام قال يارب انك أعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل أن يضلوا ففيه دلالة على أنه تعالى تسبب لضلالهم وأراد منهم ذلك والالم يهيئ أسبابه ثم شرع في الدعاء عليهم بالطمس على أموالهم والطمس المحو أو المسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل أن نطمس وجوها و بالشد على قلوبهم ومعناه الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر للغائب دعا عليهم بثلاثة أمور بالضلال وبالطمس وبالشد كأنه لما علم بالتجربة وطول الصحبة أن اعانهم كالمحال أو علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره قائلا ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه واستمر على غيه سلمنا أن قوله ليضلوا ليس دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا أن اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا ولم لا يجوز أن يكون لام مقدرة أي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي أن لا تضلوا أو يكون حرف الاستفهام مقدرا في آيت على سبيل التعجب أما قوله تعالى (فلا يؤمنوا) فاما أن يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما أن يكون جوابا لقوله واشدد ويجوز أن يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد (قال قد أجيبت دعوتكما) أضاف الدعوة اليهما لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان الا أنه خص موسى بالذكر في الآية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله واشدد على قلوبهم يقول أهلكهم كفارا وأما قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فان معناه فلا يصدقوا بتوحيد الله و يقروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا يؤمنوا بالله فيما يرون من الآيات حتى يروا العذاب الاليم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال سمعت المنقري يقول فلا يؤمنوا يقول دعا عليهم واختلف أهل العربية في موضع يؤمنوا فقال بعض نحويي البصرة هو نصب لان جواب الامر بالفاء أو يكون دعاء عليهم اذ عصوا وقد حكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول هو نصب عطفا على قوله ليضلوا عن سبيلك وقال آخر منهم وهو قول نحويي الكوفة موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم بمعنى فلا آمنوا كما قال الشاعر

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى * ولا تلقني الا وأنفك راغم

بمعنى فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ولا لقيتني على الدعاء وكان بعض نحويي الكوفة يقول هو دعاء كأنه قال اللهم فلا يؤمنوا قال وان شئت جعلتها جوابا بالمسئلة اياه لان المسئلة خرجت على لفظ الامر فتجعل فلا يؤمنوا في موضع نصب على الجواب وليس بسهل قال ويكون كقول الشاعر

يا ناق سيري عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

قال وليس الجواب بسهل في الدعاء لانه ليس بشرط * والصواب من القول في ذلك أنه في موضع جزم على الدعاء بمعنى فلا آمنوا وانما اخترت ذلك لان ما قبله دعاء وذلك قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فالحاق قوله فلا يؤمنوا اذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأولى وأما قوله حتى يروا العذاب الاليم فان ابن عباس كان يقول معناه حتى يروا الغرق وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الغرق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ وهذا خبر من الله عن اجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهرون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم يقول جل ثناؤه قال الله لهما قد أجيبت دعوتكما في فرعون وملئه وأموالهم فان قال قائل وكيف نسبت الاجابة الى اثنين والدعاء انما كان من واحد قيل ان الداعي وان كان واحدا فان الثاني كان مؤمنا وهو هرون فلذلك نسبت الاجابة اليهما لان المؤمن داع وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة في قوله قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون يؤمن فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين وأنشد في ذلك

فقلت لصاحبي لا تجعلانا * بنزع أصوله واجتز شيحا

حدثنا

ألف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة يدعوهم الى الله (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أن الاستعجال لا يفيد في اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) قد مرت تلك القصة في أوائل سورة البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر الآية ومعنى قوله (فأتبعهم) لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه والبغي الافراط في الظلم والعدو ومجاوزة الحد وفي الآية سؤال وهو أن فرعون تاب ثلاث مرات احداها قوله (آمنت) وثانيتها (أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل) وثالثتها (وأنا من المسلمين) فلم تقبل توبته والجواب من وجوه الاول أنه ايمان اليائس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انها لم تكن مقرونة بالاخلاص وانما كانت لدفع البلية الحاضرة والمحنة الناجزة الثالث أن ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد والمخذول كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي أن بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلعله أراد الايمان بذلك العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سبب الزيادة الكفر الخامس أن أكثر اليهود يميلون الى التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكأنه ما آمن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما أنه لو قيل ألف مرة لا اله الا الله لم يصح ايمان الا اذا قرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع روي أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا ما قول الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبريل اليه خطه فعرفه أما قوله (آلآن) فالمشهور من الأخبار أنه قول جبريل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأدركك وقوله (وكنت من المفسدين) في مقابلة قوله

حدثنا ابن وكيع قال ثنا زكريا بن عدي عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمن هرون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وزيد بن حباب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمن هرون * قال ثنا أبو معاوية عن شيخ له عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمن هرون حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمن هرون * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد وعبد الله بن أبي جعفر عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال دعا موسى وأمن هرون فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن عكرمة في قوله قال قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون يؤمن فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قد أجيبت دعوتكما لموسى وهرون * قال ابن جريج قال عكرمة أمن هرون على دعاء موسى فقال الله قد أجيبت دعوتكما فاستقيما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان هرون يقول آمين فقال الله قد أجيبت دعوتكما فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها وأما قوله فاستقيما فانه أمر من الله تعالى لموسى وهرون بالاستقامة والثبات على أمرهما من دعاء فرعون وقومه الى الاجابة الى توحيد الله وطاعته الى أن يأتيهم عقاب الله الذي أخبرهما أنه أجابهما فيه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فاستقيما فامضيا لأمري وهي الاستقامة * قال ابن جريج يقولون ان فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة وقوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يقول ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فتستعجلان قضائي فان وعدي لا خلف له وان وعيدي نازل بفرعون وعذابي واقع به وبقومه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين﴾ يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني اسرائيل البحر حتى جاوزوه فأتبعهم فرعون يقول فتبعهم فرعون وجنوده يقال منه أتبعته وتبعته بمعنى واحد وقد كان الكسائي فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول اذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهمز الالف واذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم فانه من اتبعت مشددة التاء غير مهموزة الالف بغيا على موسى وهرون ومن معهما من قومهما من بني اسرائيل وعدوا يقول واعتداء عليهم وهو مصدر من قولهم عدا فلان على فلان في الظلم يعدو عليه عدوا مثل غزا يغزو غزوا وقد روي عن بعضهم أنه كان يقرأ بغيا وعدوا وهو أيضا مصدر من قولهم عدا يعدو عدوا مثل علا يعلو علوا حتى اذا أدركه الغرق يقول حتى اذا أحاط به الغرق وفي الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه فغرقناه حتى اذا أدركه الغرق وقوله قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة آمنت يقول أقررت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم وهو قراءة عامة

وأنا من المسلمين يروى أن جبريل أخذ يملأ فاه بالطين حين قال آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء أن هذا الخبر غير صحيح لانه
ان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب أن يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه
لكانت التوبة ممكنة لان الاخر قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد

المدينة والبصرة أنه بفتح الالف من أنه على اعمال آمنت فيها ونصبها به وقرأ آخرون آمنت
انه بكسر الالف من انه على ابتداء الخبر وهى قراءة عامة الكوفيين والقول فى ذلك عندى أنهما
قراءتان متقاربتا المعنى وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد
ابن كعب عن عبد الله بن شداد قال اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا
مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ستمائة ألف فلما أدركهم فرعون فرأوه قالوا يا موسى أين المخرج
فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم وبيس لهم البحر وكشف الله عن وجه الارض وخرج فرعون على فرس
حصان أدهم على لونه من الدهم ثمانمائة ألف سوى ألوانها من الدواب وكانت تحت جبريل عليه
السلام فرس وديق ليس فيها أنثى غيرها وميكائيل يسوقهم لا يشذ رجل منهم الا ضمه الى الناس فلما
خرج آخر بنى اسرائيل دنا منه جبريل ولصق به فوجد الحصان ريح الانثى فلم يملك فرعون من
أمره شيأ وقال أقدموا فليس القوم أحق بالبحر منكم ثم أتبعهم فرعون حتى اذا هم أولهم أن
يخرجوا ارتطم ونادى فيها آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ونودى
الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال
ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * وعن عدى بن ثابت عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رفعه أحدهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان جبرائيل كان
يدس فى فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا اله الا الله حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال
ثنا أبى قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال جعل جبرائيل عليه السلام يدس أو يحشو فى فم فرعون الطين مخافة
أن تدركه الرحمة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن كثير بن زاذان عن أبى
حازم عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم قال لى جبرائيل يا محمد لو رأيتنى وأنا أغطه
وأدس من حمئه فى فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له يعنى فرعون حدثنى المثنى قال
ثنا حجاج قال ثنا حماد عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فقال
جبرائيل يا محمد لو رأيتنى وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة
حدثنى المثنى قال ثنى عمرو عن حكام قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما قال فرعون لا اله الا الله جعل جبرئيل
يحشو فى فيه الطين والتراب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال
أخبرنى من سمع ميمون بن مهران يقول فى قوله آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل قال
أخذ جبرئيل من حمأة البحر فضرب بها فاه أو قال ملأ بها فاه مخافة أن تدركه رحمة الله حدثنا
ابن وكيع قال ثنا الحسين بن على عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال خطب

رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه
أن يقول لموسى وهرون فقولا له قولا
لينا ثم يأمر جبريل بمنعه عن
الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك
من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما
نتنزل الا بأمر ربك لا يسبقونه
بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال
التكليف فلم يكن لما فعل جبريل
فائدة اللهم الا أن يقال انه دس حال
البحر فيه فى وقت لا ينفعه ايمانه
غضبا لله على الكافر قوله (فاليوم
ننجيك ببدنك) فيه أقوال منها أن
معناه نخرجك من البحر ونخلصك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر
ولكن بعد أن تغرق وقوله ببدنك
فى موضع الحال أى فى الحال التى
لا روح فيك وانما أنت بدن قال
كعب رماه الماء الى الساحل كأنه
ثور أو المراد ببدنك كاملا سويا لم
ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا
لست الابدنا وفيه نوع تهكم كأنه قيل
ننجيك لكن هذه النجاة انما تحصل
لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك
أو نخلصك من السجن ولكن بعد
أن تموت وقيل ننجيك ببدنك أى
نلقيك بنجوة من الارض وهى
المكان المرتفع وقيل ببدنك أى
بدرعك قال الليث البدن الدرع
القصير الكمين عن ابن عباس قال
كان عليه درع من ذهب يعرف
بها فأخرجه الله من الماء مع ذلك
الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية
كانت معجزة لموسى عليه السلام وأما قوله (لتكون لمن خلفك آية) فقيل ان قوما

الضحاك

اعتقدوا فى الهيته وزعموا أن مثله لا يموت فأظهر الله تعالى أمره بأن أخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم
وكانت مطروحة على ممر من بنى اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى أراد أن يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعد

ماسمعوا منه قوله أنا ربكم الأعلى ليكون ذلك زجرا للعابرين عن مثل طريقته ويعرفوا أنه كان بالامس فى نهاية الجلالة ثم آل أمره الى ما آل فلا يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك بالساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للامم الآتية ثم زجر هذه الامة عن ترك النظر فى الدلائل وحثهم على التأمل والاعتبار فقال (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)

الضحاك بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين قال الله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * قال ثنى أبى عن شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبرئيل يحثو فى فيه التراب خشية أن يغفر له * قال ثنا محمد بن عبيد عن عيسى بن المغيرة عن ابراهيم التيمى أن جبرئيل عليه السلام قال ما خشيت على أحد من بنى آدم الرحمة الا فرعون فانه حين قال ما قال خشيت أن تصل الى الرب فيرحمه فأخذت من حمأة البحر وزبده فضربت به عينيه ووجهه * قال أخبرنا أبو خالد الاحمر عن عمر بن يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال جبرئيل عليه السلام لقد حشوت فاه الحمأة مخافة أن تدركه الرحمة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره معرفا فرعون قبيح صنيعه أيام حياته واساءته الى نفسه أيام صحته بتماديه فى طغيانه ومعصيته ربه حين فزع اليه فى حال حلول سخطه به ونزول عقابه مستجيرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر وغشيته كرب الموت آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين له المنقادين بالذلة له المعترفين بالعبودية آلآن تقر لله بالعبودية وتستسلم له بالذلة وتخلص له الالوهة وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فأسخطته على نفسك وكنت من المفسدين فى الارض الصادين عن سبيله فهلا وأنت فى مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ يقول تعالى ذكره لفرعون فاليوم نجعلك على نجوة من الارض ببدنك ينظر اليك هالكا من كذب بهلاكك لتكون لمن خلفك آية يقول لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك فينزجرون عن معصية الله والكفر به والسعى فى أرضه بالفساد والنجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الارض ومنه قول أوس بن حجر

فمن بعقوته كمن بنجوته * والمستكن كمن يمشى بقرواح

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن أبى السليل عن قيس بن عباد وغيره قال قالت بنو اسرائيل لموسى انه لم يمت فرعون قال فأخرجه الله اليهم ينظرون اليه مثل الثور الاحمر حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن أبى السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بنى اسرائيل قال خدثنا ان أول جنود فرعون لما انتهى الى البحر هابت الخيل اللهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها أحسبه أنا قال فانسل فاتبعته قال فلما تتام آخر جنود فرعون فى البحر وخرج آخر بنى اسرائيل أمر البحر فانطبق عليهم فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه قال فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يترآه بنو اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد فاليوم ننجيك ببدنك قال بدنه جسده رمى به البحر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح

۞ التأويل واتل عليهم نبأ نوح الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامى فى الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائى الى الله براهينه الواضحة فاسألتكم من أجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظى الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء الله فى أرضه وباقى التأويل كما مر فى الأعراف وهكذا فى قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازى ويحق الله الحق أى الذكر بكلماته وهى لا اله الا الله ولو كره أهل الهوى والنفوس الامارة فما آمن لموسى القلب الا صفاته أو بعض صفات فرعون النفس بتبديل أخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها أن يصرفهم الى حالها الطبيعية التى جبلت عليها وأوحينا الى موسى القلب وهرون السر أن هيئا الصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا فى عالم النفس السفلى واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق وأقيموا الصلاة أدعوا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة أمرهم أن ينقطعوا أو يقطعوا بتلك الملاذ عن السير فى طلبك ربنا اطمس على أموالهم بمحقها وتحقيرها فى

(١٥ - ابن جرير حادى عشر) نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم عليه فى طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب الحق حتى يذيقهم ألم الفطام عن الدنيا ومشتهياتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببنى اسرائيل هم القلب والسر وصفاتها والبحر بحر

الروحانية الملكوتية فأتبعهم فرعون النفس وصفاتها بعد الفطام عن شوائب عالم الملك قهرا وقسرا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته فى لجى بحر الوصال وبلغت أفواج أمواجه الى ساحل البشرية أدرك فرعون النفس الغرق فاستمسك بعروة ذلك الفريق وقال آمنت ومن أمارات أجنبية فرعون النفس من عالم الروح أنه لم يتمسك بحبل التوحيد والمعرفة بيد الصدق والاستقلال ولم يقل آمنت بالله الذى لا اله الا هو وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك أى نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا على كمال قدرتنا وعنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من أهل النجاة والدرجات بعد أن كان من أهل الهلاك والدركات والله حسبنا ﴿ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا

عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاوز موسى البحر بجميع من معه التقى البحر عليهم يعنى على فرعون وقومه فأغرقهم فقال أصحاب موسى انا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا به فأخرجه فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنكر ذلك طوائف من بنى اسرائيل فقذفه الله على ساحل البحر ينظرون اليه **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتكون لمن خلفك آية قال لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك فأخرجه الله آية وعظة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن أبى السليل عن قيس بن عباد أو غيره بنحو حديث ابن عبد الاعلى عن معمر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك * قال ثنا محمد بن بكير عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كذب بعض بنى اسرائيل بموت فرعون فرمى به على ساحل البحر ليراه بنو اسرائيل قال كأنه ثور أحمر * وقال آخرون تنجو بجسدك من البحر فتخرج منه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنجى الله فرعون لبنى اسرائيل من البحر فنظروا اليه بعد ما غرق فان قال قائل وما وجه قوله ببدنك وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه فيحتاج الكلام الى أن يقال فيه ببدنك قيل كان جائزا أن ينجيه بهيئته حيا كما دخل البحر فلما كان جائزا ذلك قيل فاليوم ننجيك ببدنك ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ولكن ميتا وقوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس عن آياتنا يعنى عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والالوهة لنا خالصة لغافلون يقول لساهون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا بنى اسرائيل منازل صدق قيل عنى بذلك الشام وبيت المقدس وقيل عنى به الشام ومصر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك مبوأ صدق قال منازل صدق مصر والشام **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مبوأ صدق قال بوأهم الله الشام وبيت المقدس **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق الشام وقرأ الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وقوله ورزقناهم من الطيبات يقول ورزقنا بنى اسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يقول جل

تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴿

ثناؤه فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبى صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوة محمد والاقرار به وبمبعثه غير مختلفين فيه بالنعت الذى كانوا يجدونه مكتوبا عندهم فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا فذلك قوله فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يعلمونه نبيا الله فوضع العلم مكان المعلوم وكان بعضهم يتأول العلم ههنا كتاب الله ووحيه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم(١) بغيا بينهم قال العلم كتاب الله الذى أنزله وأمره الذى أمرهم به وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم أهل هذه الاهواء هل اقتتلوا الا على البغى قال والبغى وجهان وجه النفاسة فى الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها وبغى فى العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ويرى نفسه مصيبا عالما فيبغى باصابته وعلمه على هذا المخطئ وقوله ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يقضى بين المختلفين من بنى اسرائيل فيك يوم القيامة فيما كانوا فيه من أمرى فى الدنيا يختلفون بأن يدخل المكذبين بك منهم النار والمؤمنين بك منهم الجنة فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كنت يا محمد فى شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزل اليك من أن بنى اسرائيل لم يختلفوا فى نبوتك قبل أن تبعث رسولا الى خلقه لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم فى التوراة والانجيل فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من أهل التوراة والانجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والايمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال التوراة والانجيل الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فامنوا به يقول فاسئلهم ان كنت فى شك بأنك مكتوب عندهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هم أهل الكتاب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك نبى الله صلى الله عليه وسلم فان قال قائل أوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شك من خبر الله أنه حق يقين حتى قيل له فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قيل لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم حدثنى يعقوب

(١) نظم هذه الآية حتى جاءهم العلم ان ربك وأما آية الجاثية الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا الخ فتنبه

القراآت بوانا مثل أنشانا ونجعل بالنون يحيى وحماد الآخرون بالياء التحتانية ثم ننجى من الانجاء نصر وروح ويزيد ننجى المؤمنين من الانجاء أيضا على وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالتشديد فيهما ﴿ الوقوف الطيبات ج للابتداء بالنفى مع الفاء العلم ط يختلفون ٥ من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين ٥ لا للعطف الخاسرين ٥ لا يؤمنون ٥ لا لتعلق لو بما قبلها الأليم ٥ يونس ط حين ٥ جميعا ط مؤمنين ٥ باذن الله ط أى وهو يجعل لا يعقلون ٥ والارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون ٥ من قبلهم ك من المنتظرين ٥ كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل أو يكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجى المؤمنين انجاء كذلك وحقا علينا اعتراض المؤمنين ٥ يتوفاكم ج لاحتمال أن يراد وقد أمرت المؤمنين ٥ لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستئناف المشركين ٥ ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين ٥ الاهوج للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم ٥ من ربكم ج لنفسه ج عليها ج للعطف مع النفى بوكيل ٥ ط يحكم الله ج لاحتمال العطف والاستئناف الحاكمين ٥ ﴿ التفسير لما ذكر ما وقع عليه الختم فى واقعة فرعون وجنوده أراد أن يذكر ما وقع عليه الختم فى واقعة بنى اسرائيل فقال (ولقد بوأنا) أى أسكنا هم مسكن صدق أو اسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان أو مصدرا والعرب اذا مدحت شيأ أضافته الى الصدق ليعلم أن كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن ويوجد فيه فيكون

المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببنى اسرائيل اما اليهود الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام فبوأ الصدق الشام ومصر وما يدانيها فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك فقد أورثهم الله جميع ما كان تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت (فما اختلفوا) فى دينهم وما تشعبوا فيه شعبا وكانوا على طريقة واحدة حتى قرؤا التوراة فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف وأحدثوا المذاهب المتعددة وإما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع أنزلناهم منزل الصدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس فى غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فى نعته وصفته وآمن به قوم وبقى على الكفر آخرون وبالجملة فالله تعالى يقضى بين المحقين منهم والمبطلين فى يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود فى شأن كتابهم أو فى شأن رسوله حقق حقيقته وحقيقة ما أنزل عليه بقوله (فان كنت فى شك) والشك فى اللغة ضم الشئ بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر فى العقد وشككته بالرمح أى خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكال البيوت المصطفة والشال يضم الى ما يتوهمه شيأ آخر خلافه والخطاب فيه للرسول فى الظاهر والمراد أمته كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعيد ذلك (قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى) ولانه لو كان شاكا فى شأنه لكان غيره بالشك أولى ويمكن أن يقال الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا عدم وقوعه بل المراد استلزام الاول للثانى على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين

ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فقال لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال ماشك وما سأل حدثنى الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ومنصور عن الحسن فى هذه الاية قال لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل فان قال فما وجه مخرج هذا الكلام اذا ان كان الامر على ما وصفت قيل قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه ان كنت مملوكى فانته الى أمرى والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده كذلك قول الرجل منهم لابنه ان كنت بنى فبرنى وهو لا يشك فى ابنه أنه ابنه وان ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم وذكر ذلك بشواهد وأن منه قول الله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا فى حقيقة خبر الله وصحته والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالما ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا اذ كان القرآن بلسانهم نزل وأما قوله لقد جاءك الحق من ربك الاية فهو خبر من الله مبتدأ يقول تعالى ذكره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك لله رسول وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك ويجدون نعتك عندهم فى كتبهم فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن من الشاكين فى صحة ذلك وحقيقته ولو قال قائل ان هذه الاية خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته صلى الله عليه وسلم ممن كان قد أظهر الايمان بلسانه تنبيها له على موضع تعرف حقيقة أمره الذى يزيل اللبس عن قلبه كما قال جل ثناؤه يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما كان قولا غير مدفوعة صحته ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكونن يا محمد من الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فتكون ممن غبن حظه وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهى لعنته اياهم بقوله ألا لعنة الله على الظالمين فثبتت عليهم يقال منه حق على فلان كذا يحق عليه اذا ثبت ذلك عليه ووجب وقوله لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية يقول لا يصدقون بحجج الله ولا يقرون بواحدانية ربهم ولا بأنك لله رسول ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعاينوها حتى يعاينوا العذاب الاليم كما لم يؤمن فرعون وملؤه اذ حقت عليهم كلمة ربك حتى عاينوا العذاب الاليم فحينئذ قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به

وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمأنينة وفيه استمالة لأمته والحث لهم على السؤال عما كانوا منه فى شك وفيه أن أهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل الى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل ان نافية أى فما كنت فى شك يعنى لانا أمرناك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتأتى منه الشك ومن المسؤل منه قال المحققون هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الدارى وكعب الاحبار لأنهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لأنهم اذا بلغوا حد التواتر وقرؤا آية من التوراة والانجيل تدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لان تلك الآية لما بقيت مع توفر دواعيهم على تحريف نعته كانت من أقوى الدلائل والظاهر أن المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مما أنزلنا اليك وقيل السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال (لقد جاءك الحق من ربك) ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون فى صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا فى الظاهر لنبيه قائلا (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن) الآية والمراد فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين أن له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة أما الاولون فأشار اليهم بقوله (ان الذين حقت) الآية وقدم مثله فى هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع اليأس وموتهم على الكفر مكتوب عند الله وثبت عليهم قوله فى الازل بما يجرى عليهم لكنها كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد

به بنو اسرائيل حين لم ينفعه قيله فكذلك هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك من قومك من عبدة الاوثان وغيرهم لا يؤمنون بك فيتبعونك الا فى الحين الذى لا ينفعهم ايمانهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قال حق عليهم سخط الله بما عصوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حق عليهم سخط الله بما عصوه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾ يقول تعالى ذكره فهلا كانت قرية آمنت وهى كذلك فيما ذكر فى قراءة أبى ومعنى الكلام فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه فنفعها ايمانها ذلك فى ذلك الوقت كما لم ينفع فرعون ايمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه فى غيه واستحقاقه سخط الله بمعصيته الا قوم يونس فانهم نفعهم ايمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم ايمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم وأخرجهم منهم وأخبر خلقه أنه نفعهم ايمانهم خاصة من بين سائر الامم غيرهم

فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها بمعنى فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود فكيف نصب قوم وقد علمت أن ما قبل الاستثناء اذا كان جحدا كان ما بعده مرفوعا وأن الصحيح من كلام العرب ما قام أحد الا أخوك وما خرج أحد الا أبوك قيل ان ذلك انما يكون كذلك اذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله وذلك أن الاخ من جنس أحد وكذلك الاب ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله كان الفصيح من كلامهم النصب وذلك لو قلت ما بقى فى الدار أحد الا الوتد وما عندنا أحد الا كلبا أو حمار الان الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد ومنه قول النابغة الذبيانى

* أعيت جوابا وما بالربع من أحد * ثم قال

الا الأوارى لأيا ما أبينها * والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

فنصب الأوارى اذ كان مستثنى من غير جنسه فكذلك نصب قوم يونس لانهم أمة غير الامم الذين استثنوا منهم ومن غير جنسهم وشكلهم وان كانوا من بنى آدم وهذا الاستثناء الذى يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ولو كان قوم يونس بعض الامة الذين استثنوا منهم كان الكلام رفعا ولكنهم كما وصفت وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها يقول لم تكن قرية آمنت فنفعها الايمان اذا نزل بها بأس الله الا قرية يونس قال ابن جريج قال مجاهد فلم تكن قرية آمنت فنفعها ايمانها كما نفع قوم يونس ايمانهم الا قوم يونس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يقول لم يكن هذا فى الامم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت الا قوم

وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مر أمثال هذه الابحاث مرارا كثيرة وأما الآخرون فذلك قوله (فلولا كانت) أي فهلا حصلت (قرية) واحدة (آمنت) تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل معاينة العذاب (فنفعها ايمانها) لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون أوان الياس والاضطرار (الاقوم يونس) هو استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس لان أول الكلام جرى على القرية وان كان المراد أهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الاقوم يونس يروى أن يونس صلى الله عليه وسلم بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسودها ئلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل منهم كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ثم بين أن الايمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل

يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وألهوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله أربعين ليلة فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم قال وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرض الموصل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الاقوم يونس قال بلغنا أنهم خرجوا فنزلوا على تل وفرقوا بين كل بهيمة وولدها يدعون الله أربعين ليلة حتى تاب عليهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحماني عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن صالح المري عن قتادة عن ابن عباس ان العذاب كان هبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * واسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا قال كما نفع قوم يونس زاد أبو حذيفة في حديثه قال لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها ايمانها الاقوم يونس متعناهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في امارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحدث عن قوم يونس حين أنذر قومه فكذبوه فأخبرهم ان العذاب يصيبهم ففارقهم فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب (١) لكنهم خرجوا من مساكنهم وصعدوا في مكان رفيع وأنهم جأروا الى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب وأن يرجع اليهم رسولهم قال ففي ذلك أنزل فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين فلم تكن قرية غشيها العذاب ثم أمسك عنها الا قوم يونس خاصة فلما رأى ذلك يونس لكنه ذهب عاتبا على ربه وانطلق مغاضبا وظن أن لن نقدر عليه حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف الريح فذكر قصة يونس وخبره **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال لما رأوا العذاب ينزل فرقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والانعام ثم قاموا جميعا فدعوا الله وأخلصوا ايمانهم فرأوا العذاب يكشف عنهم قال يونس حين كشف عنهم العذاب أرجع اليهم وقد كذبتهم وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة فغضب ذلك فخرج مغاضبا وساء ظنه **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال لما أرسل يونس الى قومه يدعوهم الى الاسلام وترك ما هم عليه قال فدعاهم فأبوا فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل أخذ مخلاته فتزود فيها شأ ثم خرج فلما أصبحوا تغشاهم العذاب كما يتغشى الانسان الثوب في القبر ففرقوا بين الانسان وولده وبين البهيمة وولدها ثم عجوا الى الله فقالوا آمنا بما جاء به يونس وصدقنا فكشف الله عنهم العذاب فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيأ قال جربوا علي كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

---

(١) قوله لكنهم خرجوا وقوله بعد لكنه ذهب لعل لفظ الاستدراك في الموضعين من زيادة الناسخ تأمل كتبه مصححه

ايمان أهل الارض بالكلية فدل هذا على أنه تعالى ما أراد ايمان الكل وأول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر وأجيب بأن الكلام في الايمان الذى كان يطلبه النبى منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسرى الذى لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الآية وكذا المشيئة على ايمان الالجاء ومشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر أن القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال (أفأنت تكره) فأولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام في المكره من هو وما هو والاله وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على خلق الايمان ومعناه أنه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا أنت بدليل قوله (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس) أى الكفر والفسق (على الذين لا يعقلون) وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون يعنى المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على أنه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحجر واذا كان أصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه أولى أجابت المعتزلة بأن المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين أن الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى أمر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض فقال (قل انظروا ماذا في السموات والارض) أى شئ فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر أن التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال (وما تغنى) يحتمل أن تكون ما نافية أى لا تفيد هذه (الآيات والنذر) وهى جمع نذير صفة أو مصدر في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وأن تكون استفهامية للانكار بمعنى أى شئ يغنى عنهم ثم قال (فهل ينتظرون) والمراد أن الانبياء المتقدمين

حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون قال ثنا ابن مسعود في بيت المال قال ان يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم الى ثلاثة أيام ففرقوا بين كل والدة وولدها ثم خرجوا فجأروا الى الله واستغفروه فكشف الله عنهم العذاب وغدا يونس ينظر العذاب فلم ير شيأ وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فانطلق مغاضبا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا صالح المرى عن أبى عمران الجونى عن أبى الجلد جيلان قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال قولوا ياحى حين لا حى و ياحى محيى الموتى و ياحى لا اله الا أنت فكشف عنهم العذاب ومتعوا الى حين **حدثنا** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال بلغنى فى حرف ابن مسعود فلولا يقول فهلا وقوله لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا يقول لما صدقوا رسولهم وأقروا بما جاءهم به بعد ما أظلهم العذاب وغشيهم أمر الله ونزل بهم البلاء كشفنا عنهم عذاب الهوان والذل فى حياتهم الدنيا ومتعناهم الى حين يقول وأخرنا فى آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة وتركناهم فى الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم الى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم التى قضيت فناءها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ولو شاء يا محمد ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا بك فصدقوك أنك لى رسول وأن ما جئتهم به وما تدعوهم اليه من توحيد الله واخلاص العبودة له حق ولكن لا يشاء ذلك لانه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور الامن سبقت له السعادة فى الكتاب الاول قبل أن يخلق السموات والارض وما فيهن وهؤلاء الذين عجبوا من صدق ايحائنا اليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بانذاره ممن قد سبق له عندى أنهم لا يؤمنون بك فى الكتاب السابق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ونحو هذا فى القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس و يتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن من قومه الا من قد سبق له من الله السعادة فى الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء فى الذكر الاول فان قال قائل فما وجه قوله لآمن من فى الارض كلهم جميعا فالكل يدل على الجميع والجميع على الكل فما وجه تكرار ذلك وكل واحدة منهما تغنى عن الاخرى قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى أهل البصرة جاء بقوله جميعا فى هذا الموضع توكيدا كما قال لا تتخذوا الهين اثنين ففى قوله الهين دليل على الاثنين وقال غيره جاء بقوله جميعا بعد كلهم لان جميعا لا تقع الا توكيدا وكلهم يقع توكيدا واسما فلذلك جاء بجميعا بعد كلهم قال ولو قيل انه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد لجاز ههنا قال وكذلك الهين اثنين العدد كله يفسر به فيقال رأيت قوما أربعة فلما جاء باثنين وقد اكتفى بالعدد منه لانهم يقولون عندى درهم

كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على أنواع العذاب أو بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه (قل فانتظروا) وفيه تهديد ووعيد بأنه سينزل بهؤلاء مثل ما أنزل بأولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول وأتباعه كما حكى تلك الاحوال الماضية بقوله (ثم ننجي رسلنا) الآية قالت المعتزلة (حقا علينا) المراد به الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيأ ثم أمر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال (قل يا أيها الناس) والمعنى يا أهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا أني مبرأ عن أديانكم الباطلة (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق أولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا أولان الموت أشد الاحوال مهابة في القلوب فكان أقوى في الزجر والردع أولانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكأنه قال أعبد الله الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الآية اشارة الى أنه لن يوافقهم في دينهم كيلا يشكوا في أمره ويقطعوا أطماعهم عنه ولما ذكر أنه لا يعبد الا الله بين أنه مأمور بالايمان والمعرفة فقال (وأمرت أن أكون) أي بأن أكون (من المؤمنين) ثم عطف عليه قوله وأن أقم وجهك ولا تدع نظرا الى المعنى كأنه قيل له كن مؤمنا ثم أقم ولا تدع أو المراد وأمرت بكذا وأوحي الي أن أقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه أن يوصل أن بالامر والنهي وشبهه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال ومعنى أقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين أو من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل أو المراد توجه الكلية الى طلب الدين كمن يريد أن ينظر الى شئ نظرا تاما فانه يقيم وجهه في مقابلته لا يصرفه عنه ثم أكد الامر

ودرهمان فيكفي من قولهم عندي درهم واحد ودرهمان اثنان فاذا قالوا دراهم قالوا ثلاثة لان الجمع يلتبس والواحد والاثنان لا يلتبسان لم يؤت الواحد والتثنية على تناف الجمع لانه ينبغي أن يكون مع كل واحد واحد لان درهما يدل على الجنس الذي هو منه وواحد يدل على كل الاجناس وكذلك اثنان يدلان على كل الاجناس ودرهمان يدلان على أنفسهما فلذلك جاء بالاعداد لانه الاصل وقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك ويقر بما جئت به الا من شاء ربك أن يصدقك لا باكراهك اياه ولا بحرصك على ذلك أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك يقول له جل ثناؤه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وما كان لنفس خلقتها من سبيل الى تصديقك يا محمد الا بأن آذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعبد الله وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها ثم خلها فان هداها بيد خالقها وكان الثوري يقول في تأويل قوله الا باذن الله ما حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان في قوله وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله قال بقضاء الله وأما قوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فانه يقول تعالى ذكره ان الله يهدي من يشاء من خلقه للايمان بك يا محمد ويأذن له في تصديقك فيصدقك ويتبعك ويقر بما جئت به من عند ربك ويجعل الرجس وهو العذاب وغضب الله على الذين لا يعقلون يعني الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما دعاهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويجعل الرجس قال السخط ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها وفي الارض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فان في ذلك لكم ان عقلتم وتدبرتم عظة ومعتبرا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات يقول الله جل ثناؤه وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون يقول جل ثناؤه وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار لا يؤمنون بشئ من ذلك ولا يصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم محذرا مشركى قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم نحو الذى حل بنظرائهم من قبلهم من سائر الامم الخالية من قبلهم السالكة فى تكذيب رسل الله وجحود توحيده بهم سبيلهم فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك المكذبون بما جئتهم به من عند الله الا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذين كانوا على مثل الذى هم عليه من الشرك والتكذيب الذين مضوا قبلهم فخلوا من قوم نوح وعاد وثمود قل لهم يا محمد ان كانوا ذلك ينتظرون فانتظروا عقاب الله اياكم ونزول سخطه بكم انى من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التى تحل بكم من الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم يقول وقائع الله فى الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس فى قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين قال خوفهم عذابه ونقمته وعقوبته ثم أخبرهم أنه اذا وقع من ذلك أمر أنجى الله رسله والذين آمنوا معه فقال الله ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الامم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله فان ذلك اذا جاء لم يهلك به سواهم ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك ثم ننجى هنالك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وصدقه واتبعه على دينه كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حق على أممهم كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين يقول كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين فننجيك وننجى المؤمنين بك حقا علينا غير شك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت اليك ان كنتم فى شك أيها الناس من دينى الذى أدعوكم اليه فلم تعلموا أنه حق من عند الله فانى لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنى شيأ فتشكوا فى صحته وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف وانما معنى الكلام ان كنتم فى شك من دينى فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه وانما ينبغى لكم أن تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الاصنام التى لا تعقل شيأ ولا تضر ولا تنفع فأما دينى فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه لأنى أعبد الله الذى يقبض الخلق فيميتهم اذا شاء وينفعهم ويضر من يشاء وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة وأما عبادة الاوثان فينكرها كل ذى لب وعقل صحيح وقوله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم يقول ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم فيميتكم عند آجالكم وأمرت أن أكون من المؤمنين يقول وهو الذى أمرنى أن أكون من المصدقين بما جاءنى من عنده ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وأن الثانية عطف على أن الاولى ويعنى بقوله أقم وجهك للدين أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا مستقيما عليه غير معوج عنه الى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة

بالنهى عن ضده فقال (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت) أى فان دعوت من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل للاختصار واذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ماسوى مدبر الكل وضع للشئ فى غير موضعه ثم صرح بأنه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غيره فقال (وان يمسسك الله) الآية وقد مر تفسير مثلها فى أول سورة الانعام

وثن ولا تكونن من المشركين يقول ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والانداد فتكون من الهالكين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيأ لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة والاصنام يقول لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها فانها لا تنفع ولا تضر فان فعلت ذلك فدعوتها من دون الله فانك اذا من الظالمين يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان يصبك الله يا محمد بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك الا ربك الذي أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد وان يردك بخير يقول وان يرد ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور فلا راد لفضله يقول فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ولا يردك عنه ولا يحرمكه لانه الذي بيده السراء والضراء دون الآلهة والاوثان ودون ما سواه يصيب به من يشاء يقول يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء من يشاء ويريد من عباده وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه الى الايمان به وطاعته الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذبه بعد التوبة والانابة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم يعني كتاب الله فيه بيان كل ما بالناس اليه حاجة من أمر دينهم فمن اهتدى يقول فمن استقام فسلك سبيل الحق وصدق بما جاء من عند الله من البيان فانما يهتدي لنفسه يقول فانما يستقيم على الهدى ويسلك قصد السبيل لنفسه فايا ها يبغي الخير بفعله ذلك لا لغيرها ومن ضل يقول ومن اعوج عن الحق الذي أتاه من عند الله وخالف دينه وما بعث به محمدا والكتاب الذي أنزله عليه فانما يضل عليها يقول فان ضلاله ذلك انما يجني به على نفسه لا على غيرها لانه لا يؤخذ بذلك غيرها ولا يورد بضلاله ذلك المها لك سوى نفسه ولا تزر وازرة وزر أخرى وما أنا عليكم بوكيل يقول وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم انما أمركم الى الله وهو الذي يقوم من شاء منكم وانما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أرسلت به اليكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ يقول تعالى ذكره واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه اليك وتنزيله الذي ينزله عليك فاعمل به واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الاذى والمكاره وعلى ما نالك منهم حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل وهو خير الحاكمين يقول وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر وقتلهم بالسيف وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم أو يتوبوا وينيبوا الى طاعته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أنت عليهم بوكيل واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قال هذا منسوخ حتى يحكم الله حكم الله بجهادهم وأمره بالغلظة عليهم والله الموفق للصواب والحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

﴿تفسير السورة التي يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ قال

قال الواحدي (وان يردك بخير) من القلب وأصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز ابدال كل واحد منهما بالآخر وأقول في تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على أن الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره في الهداية والضلال فقال (قل يا أيها الناس) الآية وفسرها الاشاعرة بأن من حكم له في الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك وان من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه كما مر في سورة الانعام قد جاءكم

أبو جعفر قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله الر والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده عما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله كتاب أحكمت آياته يعنى هذا الكتاب الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن ورفع قوله كتاب بنيه هذا كتاب فأما على قول من زعم أن قوله الر مراد به سائر حروف المعجم التى نزل بها القرآن وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها وان معنى الكلام هذه الحروف كتاب أحكمت آياته فان الكتاب على قوله ينبغى أن يكون مرفوعا بقوله الر وأما قوله أحكمت آياته ثم فصلت فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم تأويله أحكمت آياته بالامر والنهى ثم فصلت بالثواب والعقاب ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنى أبو محمد الثقفى عن الحسن فى قوله كتاب أحكمت آياته ثم فصلت قال أحكمت بالامر والنهى وفصلت بالثواب والعقاب حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الكريم بن محمد الجرجانى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن الر كتاب أحكمت آياته قال أحكمت فى الامر والنهى وفصلت بالوعيد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن رجل عن الحسن الر كتاب أحكمت آياته قال بالامر والنهى ثم فصلت قال بالثواب والعقاب وروى عن الحسن قول خلاف هذا وذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى بكر عن الحسن قال و حدثنا عباد ابن العوام عن رجل عن الحسن قال أحكمت بالثواب والعقاب ثم فصلت بالامر والنهى * وقال آخرون معنى ذلك أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت فبين منها الحلال والحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أحكمت آياته ثم فصلت قال أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بينها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه أحكم الله آياته من الدخل والخلل والباطل ثم فصلها بالامر والنهى وذلك أن احكام الشئ اصلاحه واتقانه واحكام آيات القرآن احكامها من خلل يكون فيها أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قبله وأما تفصيل آياته فانه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهى وكان بعض المفسرين يفسر قوله فصلت بمعنى فسرت وذلك نحو الذى قلنا فيه من القول ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ثم فصلت قال فسرت حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فصلت قال فسرت * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد ثم فصلت قال فسرت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال قتادة معناه بينت وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل وهو شبيه المعنى بقول مجاهد وأما قوله من لدن حكيم خبير فان معناه حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها خبير بما يؤول اليه عواقبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله من لدن حكيم خبير يقول من عند حكيم خبير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير و بشير﴾ يقول تعالى ذكره ثم فصلت بأن لا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له وتخلعوا

بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه الآية وقالت المعتزلة المراد أنه بين الشريعة وأزاح العلة وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فانفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس أن الآية منسوخة بآية القتال ولا يخفى ضعفه ثم أمره باتباع الوحى والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر عليه الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم فى الصبر شعر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى
وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

الآلهة والانداد ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس انني لكم من عند الله نذير يحذركم عقابه على معاصيه وعبادة الاصنام وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته واخلاص العبادة والالوهة له ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يقول تعالى ذكره ثم فصلت آياته بان لا تعبدوا الا الله وبأن استغفروا ربكم ويعني بقوله وأن استغفروا ربكم وأن اعملوا أيها الناس من الاعمال ما يرضى ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الاوثان والاصنام واشراككم الآلهة والانداد في عبادته وقوله ثم توبوا اليه يقول ثم ارجعوا الى ربكم باخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الانداد وبراءتكم من عبادتها ولذلك قيل وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ولم يقل وتوبوا اليه لان التوبة معناها الرجوع الى العمل بطاعة الله والاستغفار استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين والعمل لله لا يكون عملا له الا بعد ترك الشرك به فاما الشرك فان عمله لا يكون الا للشيطان فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة اليه بعد الاستغفار من الشرك لان أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم وهم على شركهم مقيمون وقوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فانكم اذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها وأنسأ لكم في آجالكم الى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى فأنتم في ذلك المتاع فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه فان الله منعم يحب الشاكرين وأهل الشكر في مزيد من الله وذلك قضاؤه الذي قضى وقوله الى أجل مسمى يعني الموت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الى أجل مسمى قال الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الى أجل مسمى وهو الموت حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الى أجل مسمى قال الموت وأما قوله ويؤت كل ذي فضل فضله فانه يعني يثيب كل من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسبا بذلك مريدا به وجه الله أجزل ثوابه وفضله في الآخرة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويؤت كل ذي فضل فضله قال ما احتسب به من ماله أو عمل بيده أو رجله أو كلامه أو ما تطوع به من أمره كله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال * وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه الا أنه قال أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه وما تطول به من أمره كله حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال وما نطق به من أمره كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويؤت كل ذي فضل فضله أي في الآخرة * وقد روي عن ابن مسعود أنه كان يقول في تأويل ذلك ما حدثت به عن المسيب بن شريك عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود في قوله ويؤت كل ذي فضل فضله قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره وقوله وان تولوا فاني

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني
صبرت على شيء أمر من الصبر

﴿التأويل﴾ ولقد بوأنا بني اسرائيل يعني متولدات الروح العلوي من القلب والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليا في العالم النوراني ورزقناهم من الطيبات من الفيض الرباني الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب فكل ما فاض من صفة الروحانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم

أخاف عليكم عذاب يوم كبير يقول تعالى ذكره وان أعرضوا عما دعوتهم اليه من اخلاص العبادة لله وترك عبادة الآلهة وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة اليه فأدبر واموليين عن ذلك فانى أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وقال جل ثناؤه وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير ولكنه مما قد تقدمه قول والعرب اذا قدمت قبل الكلام قولا خاطبت ثم عادت الى الخبر عن الغائب ثم رجعت بعد الى الخطاب وقد بينا ذلك فى غير موضع مما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذكره الى الله أيها القوم مآبكم ومصيركم فاحذروا عقابه ان توليتم عما أدعوكم اليه من التوبة اليه من عبادتكم الآلهة والاصنام فانه مخلدكم نار جهنم ان هلكتم على شركم قبل التوبة اليه وهو على كل شئ قدير يقول وهو على احيائكم بعد مماتكم وعقابكم على اشراككم به الاوثان وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ألا انهم يثنون صدورهم فقرأته عامة قراء الامصار ألا انهم يثنون صدورهم على تقدير يفعلون من ثنيت والصدور منصوبة واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله فقال بعضهم ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن حصين عن عبد الله بن شداد فى قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عبد الله بن شداد بن الهاد قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان المنافقون اذا مر وابه ثنى أحدهم صدره ويطأطئ رأسه فقال الله ألا انهم يثنون صدورهم الآية حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن حصين قال سمعت عبد الله ابن شداد يقول فى قوله يثنون صدورهم قال كان أحدهم اذا مر بالنبى صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وتغشى بثوبه كى لا يراه النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم اذا فعلوا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال شكا وامتراء فى الحق ليستخفوا من الله ان استطاعوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم شكا وامتراء فى الحق ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال تضيق شكا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال تضيق شكا وامتراء فى الحق قال ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال من جهالتهم به قال الله ألا حين يستغشون ثيابهم فى ظلمة الليل فى أجواف بيوتهم يعلم تلك

فمن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه آخر مبوأ صدق بين الاصبعين من أصابع الرحمن فما اختلفوا حتى أدركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاء فان كنت فى شك خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه أبواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن أنه مما يخادع به الاطفال فلا يدرى هل هو من كرامة الاجتباء أو من وخامة الابتلاء فكان النبى صلى الله عليه وسلم من خصوصية انما أنا بشر مثلكم يرتع فى هذه الرياض وباختصاص يوحى الى يسقى بكاسات المناولات

الساعة مايسرون ومايعلنون انه عليم بذات الصدور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم يحني ظهره ويستغشى بثوبه * وقال آخرون انما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا انهم يثنون صدورهم الآية قال كانوا يحنون صدورهم كيلا يسمعوا كتاب الله قال تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون وذلك أخفى مايكون ابن آدم اذا حنى صدره واستغشى بثوبه وأضمر همه في نفسه فان الله لا يخفى ذلك عليه حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يستغشون ثيابهم قال أخفى مايكون الانسان اذا أسر في نفسه شيأ وتغطى بثوبه فذلك أخفى مايكون والله يطلع على مافي نفوسهم والله يعلم مايسرون ومايعلنون * وقال آخرون انما هذا اخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة وأنهم معه وعلى دينه يقول جل ثناؤه ألا انهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم * وقال آخرون كانوا يفعلون ذلك اذا ناجى بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال هذا حين يناجي بعضهم بعضا وقرأ ألا حين يستغشون ثيابهم الآية وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك ألا انهم تثنوني صدورهم على مثال تحلولي التمرة تفعوعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس يقرأ ألا انهم تثنوني صدورهم قال كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط الا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم الى السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول سمعت ابن عباس يقرؤها ألا انهم تثنوني صدورهم قال سألته عنها فقال كان ناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يصيبوا فيفضوا الى السماء * وروى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال أخبرت عن عكرمة أن ابن عباس قرأ ألا انهم تثنوني صدورهم وقال ابن عباس تثنوني صدورهم الشك في الله وعمل السيئات يستغشون ثيابهم يستكبر أو يستكن من الله والله يراه يعلم مايسرون ومايعلنون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ ألا انهم تثنوني صدورهم قال عكرمة تثنوني صدورهم قال الشك في الله وعمل السيئات فيستغشي ثيابه ويستكن من الله والله يراه ويعلم مايسرون ومايعلنون * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ماعليه قراء الامصار وهو ألا انهم يثنون صدورهم على مثال يفعلون والصدور نصب بمعنى يحنون صدورهم ويكبونها كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يثنون صدورهم يقول يكبون حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون مافي قلوبهم ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما عملوا بالليل والنهار حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ألا انهم يثنون صدورهم يقول تثنوني صدورهم وهذا التأويل الذي تأوله الضحاك على

من تلك الحياض فشك عند سكره أنها من شهود التلوين أو من كشوف التمكين فأدركته العناية الازلية فأكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النهي نهي التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا أشك ولا أسأل الامثل أيام الذين خلوا من أنه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا ظهور ما قدر لكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ماسواه والله أعلم

مذهب

مذهب قراءة ابن عباس الا أن الذى حدثنا هكذا ذاكرا القراءة فى الرواية فاذا كانت القراءة التى ذكرنا أولى القراءتين فى ذلك بالصواب لاجماع الحجة من القراء عليها فأولى التأويلات بتأويل ذلك تأويل من قال انهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تناجوه بينهم وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لان قوله ليستخفوا منه بمعنى ليستخفوا من الله وان الهاء فى قوله منه عائدة على اسم الله ولم يجر لمحمد ذكر قبل فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهى فى سياق الخبر عن الله فاذ كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى واذا صح أن ذلك كذلك كان معلوما أنهم لم يحدثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله الا بجهلهم به فأخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سر أمورهم وعلانيتها على أى حال كانوا تغشوا بالثياب أو ظهروا بالبراز فقال ألا حين يستغشون ثيابهم يعنى يتغشون ثيابهم يتغطونها ويلبسون يقال منه استغشى ثوبه وتغشاه قال الله واستغشوا ثيابهم وقالت الخنساء

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها * وتارة أتغشى فضل أطماري

يعلم ما يسرون يقول جل ثناؤه يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم اذا حنوها على ما فيها وثنوها وما تناجوه بينهم فأخفوه وما يعلنون سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من ايمان وكفر وحق وباطل وخير وشر وما تستجنه مما لم يجنه بعد كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا حين يستغشون ثيابهم يقول يغطون رؤسهم «قال أبو جعفر» فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون فى صدركم الشك فى شئ من توحيده أو أمره أو نهيه أو فيما ألزمكم الايمان به والتصديق فتهلكوا باعتقادكم ذلك والله أعلم

﴿تم الجزء الحادى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثانى عشر أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومامن دابة فى الارض الآيات﴾

﴿ فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٣	بيان ما اعتذر به المتخلفون عن غزوة تبوك
٥	لرسول الله بعد مرجعه منها
٦	بيان من هم السابقون الأولون
٨	ذكر ما فعله رسول الله فى بعض خطبه من تعيين بعض أهل النفاق بأسمائهم
١٠	بيان من تخلف عن رسول الله فى غزوة تبوك وحين رجع ربط نفسه فى بعض السوارى تائبا وفيهم نزل وآخرون اعترفوا الآية
١٣	بيان ما ورد من الآثار فى تفسير قوله خذ من أموالهم صدقة
١٨	بيان مسجد الضرار ومن بناه
٢١	بيان المسجد الذى أسس على التقوى
٢٧	بيان ما قالته الأنصار لرسول الله عند الدخول فى الاسلام
٣٠	بيان النهى عن الاستغفار للمشركين وسببه
٤٠	بيان الثلاثة الذين تيب عليهم بعد حصول الضيق الشديد لهم وذكر حديثهم
٤٧	بيان أنه كان لا يسوغ لأحد أن يتخلف عن رسول الله وأما غيره من الأئمة ففيه خلاف
٤٩	بيان أنه لا يسوغ لاهل الاسلام أن ينفروا جميعا للجهاد ويتركوا رسول الله ليس معه أحد
٥٢	بيان أنه يجب على أهل كل جهة أن تقاتل من يليهم من الاعداء
٥٧	بيان ما ورد فى معنى الرحمة المذكورة فى قوله بالمؤمنين رؤف رحيم
٥٧	﴿ تفسير سورة يونس ﴾
٦٢	بيان أن الادلة لا تنفع إلا من خشى العقاب ولم يتبع هواه وكان ذا فطرة سليمة
٦٣	بيان أن الاعمال تصور يوم القيامة بصور تناسبها فتهدى عمالها الى منازلها

صحيفة	
٦٨	بيان أن العرب ربما يهمزون غير المهموز وشواهده
٧٠	بيان جواز اضافة المكر اليه تعالى مرادا به الاستدراج
٧٣	بيان أن المراد من الحسنى الجنة ومن الزيادة النظر الى وجه الله
٧٨	بيان أن صيغتى فاعل وفعل لمعنى التكثير اذا كان الفعل لواحد
٨٦	بيان أن القرآن شفاء لداء الجهل
٩١	بيان صفات أولياء الله
٩٣	بيان أن الرؤيا الصالحة من المبشرات
٩٨	بيان أن المشركين ممن قالوا اتخذ الله ولدا بقولهم فى الملائكة بنات الله
٩٨	بيان ما أظهره نوح لقومه من الثقة بالله
١٠١	القول فى تأويل قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا الآية والاستشهاد على ذلك من كلام العرب
١٠٣	بيان أن أتباع موسى عليه السلام كانوا طائفة قليلة من بنى اسرائيل ومن قوم فرعون
١٠٥	بيان ما دعا به قوم موسى
١٠٦	بيان ما أمر الله به قوم موسى من اتخاذهم بيوتهم مساجد يصلون فيها
١٠٨	بيان ما دعا به موسى ربه على فرعون وقومه
١١٢	بيان عدد بنى اسرائيل حين اجتمعوا بمصر مع يوسف وحين خرجوا منها مع موسى
١١٣	بيان أن فرعون بعد غرقه أخرج على نجوة من الارض لينظروا اليه هالكا
١١٧	ذكر قصة قوم يونس عليه السلام
١٢١	بيان ما فى قوله تعالى قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك الآية من لطيف التلميح
١٢٢	﴿ تفسير سورة هود ﴾
١٢٤	بيان فوائد الاستغفار

﴿ تم فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير ابن جرير الطبرى ﴾

﴿فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الحادى عشر من تفسير ابن جرير﴾

صحيفة	
٣	تفسير قوله تعالى وجاء المعذرون الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٥	بيان ما استدل به أهل الظاهر على نفى القياس
٧	بيان أنه لم سمى العرب عربا وبيان السبب فى كون الاعراب أشد كفرا
٩	تأويل تلك الآيات
١٠	تفسير قوله والسابقون الأولون الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٥	بيان الخلاف فى جواز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وآله
١٧	بيان ما فعله أهل مسجد الضرار
٢٠	تأويل تلك الآيات
٢٣	تفسير قوله ان الله اشترى الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٢٧	بيان التكاليف وأقسامها
٣٣	ذكر قصة الثلاثة الذين تيب عليهم
٣٤	بيان الرد على الشيعة فى أنه لا يكون الامام إلا معصوما
٣٥	تأويل تلك الآيات
٣٧	تفسير قوله ما كان لأهل المدينة الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٤١	بيان حجة القائلين بأن خبر الواحد حجة
٤٥	تأويل تلك الآيات
٤٧	﴿تفسير سورة يونس﴾ وبيان القرا آت والوقوف فيها
٥١	بيان أن للعلماء فى اثبات المعاد طريقين وذكر أدلة كل
٥٥	بيان منازل القمر وبعض خواصه
٥٧	بيان التحقيق فى معنى يهديهم ربهم بايمانهم والفرق بين نقوش اللوح ونقوش الروح

صحيفة	
٥٩	تأويل تلك الآيات
٦١	تفسير قوله ولو يعجل الله الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٦٥	بيان ما تمسك به نفاة القياس والاجتهاد
٦٧	تفسير قوله واذا أذقنا الناس الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٧٣	بيان ما احتجت به المعتزلة على نفى رؤية البارئ
٧٦	تأويل تلك الآيات
٧٧	تفسير قوله قل من يرزقكم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٨٢	بيان أن من كان غير عارف بوجوه التأويل قد يقع فى الكفر والبدعة
٨٤	تفسير قوله ومنهم من يستمعون الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٩٠	بيان الطرق التى تثبت بها النبوة
٩٣	تأويل تلك الآيات
٩٤	تفسير قوله وما تكون فى شأن الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٠٠	بيان الدليل على استحالة أن لله ولدا
١٠١	تأويل تلك الآيات
١٠٣	تفسير قوله واتل عليهم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١١١	بيان الاسباب فى عدم قبول توبة فرعون
١١٢	بيان ان الخبر المروى فى دس جبريل الطين فى فم فرعون متكلم فيه
١١٣	تأويل تلك الآيات
١١٤	تفسير قوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١١٨	ذكر قصة يونس مع قومه
١٢٤	تأويل تلك الآيات

﴿تم فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى﴾

NOV 9 6 1928

This book is due two weeks from the last date stamped below, and if not returned at or before that time a fine of five cents a day will be incurred.

APR 24 1934		